مؤسسة الفكر العربي
Arab Thought Foundation

التقرير العربي الرابع للتنمية الثقافية

- التعليم الجامعي وسوق العمل: اختلالات على الجانبين
- قضايا الشباب العربي على الإنترنت: "مؤشرات ودلالات"
- كتابات الشباب العرب: محاولة للرصد
- الملف الخاص: اغتراب اللغة أم اغتراب الشباب؟ (استطلاع رأي)
- ملف الإبداع
  - السينما عشية "الربيع العربي"
  - المسرحيّون العرب والنفق المظلم
  - المضمون الثقافي للأغنية العربية
- ملف الحصاد الثقافي السنوي في العام 2010












التقرير العربي الرابع
للتنمية الثقافية

مؤسسة الفكر العربي
Arab Thought Foundation

التقرير العربي الرابع للتنمية الثقافية

- التعليم الجامعي وسوق العمل: اختلالات على الجانبين
- قضايا الشباب العربي على الإنترنت: "مؤشرات ودلالات"
- كتابات الشباب العرب: محاولة للرصد
- الملف الخاص: اغتراب اللغة أم اغتراب الشباب؟ (استطلاع رأي)
- ملف الإبداع
  السينما عشية "الربيع العربي"
  المسرحيّون العرب والنفق المظلم
  المضمون الثقافي للأغنية العربية
- ملف الحصاد الثقافي السنوي في العام 2010

مؤسسة الفكر العربي



الطبعة الأولى

1433/1432 هـ - 2011 م

ISBN: 978 – 9953 – 0 – 2246 – 8



مؤسّسة الفكر العربي

شارع المعرض، خلف الجامع العمري، الوسط التجاري

ص.ب.: 524 – 11 **بيروت – لبنان**

هاتف: 00961 1 997100 - **فاكس:** 00961 1 997101

www.arabthought.org

info@arabthought.org

الآراء الواردة في هذا التقرير لا تعبّر بالضرورة عن وجهة نظر مؤسّسة الفكر العربي

هيئـة التقريـر



مقدمة

رئيس مؤسّسة الفكر العربي

صاحب السمو الملكي الأمير خالد الفيصل

يسرُّ مؤسّسة الفكر العربي أن تقدم تقريرها العربي (الرابع) ضمن مشروعها المعرفي لتشخيص واقع التنمية الثقافية في دول الوطن العربي ورصد أبرز مقوّماتها في التعليم، والمحتوى الرقمي، وحركة التأليف والفكر، والإبداع، والحصاد الثقافي السنوي، بالإضافة إلى ملف خاص بعنوان اغتراب اللغة أم اغتراب الشباب؟

وقد أسعدنا بقدر ما ضاعف من مسؤوليتنا ما أثارته التقارير الثلاثة السابقة من أصداء واهتمامات من جانب الوسط الثقافي العربي سواء في المؤسّسات الرسمية أم في صفوف المثقفين أم في المجتمع الأهلي. كان ديدن هذا المشروع المعرفي أن يلتزم منهجية متواضعة في ظاهرها عميقة المغزى في جوهرها ألا وهي تشخيص الحالة الثقافية والمعرفية في الحاضر العربي بالأرقام والمعطيات بعيداً (ولو مؤقتاً) عن أي تنظير أو تأصيل أيديولوجي، تاركين هذه المهمة للنقاد والمتخصصين ليرتبوا على الشيء مقتضاه. حسبنا أننا نرصد واقعنا المعرفي والثقافي كما هو دون تهوين أو تهويل.

ولئن كانت أحداث ما سُمّي بالربيع العربي قد طرحت بقوّة دور الشباب في الحراك الحاصل في الوطن العربي، فإن تقرير هذا العام قد أفرد للشباب معظم ملفاته. ففي كل القضايا والظواهر التي يعالجها هذا التقرير ثمة اهتمام خاص بالشباب العربي الذي أكدّت أحداث هذا العام أهمية الاستماع إليه والتحاور معه.

كان هدف هذا المشروع المعرفي ومازال أن يسهم مع كل جهد عربي آخر في إبراز أوجه التقصير والسلبيات دون إغفال الإشارة للإيجابيات لتكون الصورة شاملةً وأمينةً تحت يد صناع القرار وواضعي السياسات المعرفية والثقافية في وطننا العربي. وفقنا الله جميعاً لما فيه نهضة أمتنا وخير الانسان في كل مكان.



أمين عام مؤسّسة الفكر العربي - منسّق التقرير
سليمان عبدالمنعم

يجـيء هـذا **التقرير العربي الرابـع للتنمية الثقافيـة** في وقت تجتاح فيـه **المجتمع العربي** تغيّرات سياسـية واجتماعيـة سريعـة ومتلاحقـة .. مفاجئة وعميقـة. ووسط هذه التغـيرات الهادرة التي اصطلـح – أو يكاد – على تسميتها **بالربيع العربي** يصبح السؤال: أين وكيف كانت الثقافة في كلّ هذا؟ هل كان هذا الذي حدث ولادة طبيعية اكتمـل فيهـا النضج الثقافي للمجتمع العربي أم ولادة متعسرة جاءت قبل أوانهـا؟ إذا اعتبرنا (في فرض أوّل) أنَّ هذه الثورات والانتفاضات العربية ولادة طبيعية فهل كان ذلك بسبب الوعي الثقافي والمعرفي، أو أنَّ هناك أسباباً أخرى معيشية في مقدمتها الفقر والبطالة والتهميش؟

أما إذا اعتبرنا – (في فرضٍ ثانٍ) – أنَّ ولادة هذه الثورات والانتفاضات جاءت قيصرية ومتسرعة قبل أوانها؟ فكيف نضمن لولادة متعسّرة نمواً طبيعياً وكاملاً بعيداً عن تشرذم الداخل وحسابات الخارج؟ ثمّ – وهذا سؤال آخر مهم – كيف نضمن التوفيق بين تحديث مجتمعاتنا ووحدة أوطاننا؟

هذه، وغيرها، تساؤلات تفرضها اللحظة الراهنة، وهي تساؤلات لا يمكن إغفال الإشارة إليها في معرض الحديث عن تقرير سنوي يستهدف رصد حال الثقافة والمعرفة في دول **الوطن العربي**.

والواقع أن كلّ المؤشّرات والدلالات الخاصة بمكوِّنات الثقافة والمعرفة والتي تتضمّنها ملفات تقرير هذا العام لا تخلو من تضارب والتباس شديدين. وهو ما يكشف عن تعقيد مشهد التغيير في **العالم العربي**، واحتياجه لقراءة متعمّقة تعلو على الرؤية السطحية للأرقام.

الشباب هو السمة الغالبة لمعظم ملفات **تقرير** هذا العام، وهو أمر فرضـه منطق الأحداث التي شـهدها العديد مـن **البلـدان العربية** منذ أواخر العام **2010** وعلى مدى **العام الجاري 2011**. فقد كان الشباب في قلب المشـهد في أكثر من بلد عربي.

حاولنا في **تقرير** هذا العام، وهو المعنيّ أصـلاً برصـد حالة الثقافة والمعرفة في دول **الوطن العربي**، معرفة كيف كان الشباب حاضراً بقضـاياه واهتماماته وهمومه في الملفّات التي يعالجها التقرير. ولهذا خصّصـنا **ملف التعليم** هذا العام لرصد إحدى أهم قضايا الشباب وهي **قضية البطالة** التي يعاني منها خرّيجو **الجامعات العربية**. من هنا كان عنوان هذا الملف: "**التعليم الجامعي وسوق العمل: اختلالات على الجانبين**".

بدت خلاصـة هذا الملف سـاطعة ومقلقة وهي افتقاد التناغم وغياب السياسـات المتكاملة بين نظم الالتحاق بالتعليـم الجامعي وتوزّع التخصّصـات داخله من ناحية وبين **سوق العمل** مـن ناحية أخرى. فالجامعات العربيّة تضخّ كلّ عام في مجالات مهنيّة معيّنة أعداداً هائلة من المتخرجين بأكثر ممّا يحتاج سوق العمل، في الوقت الذي لا تلبّـي فيـه **الجامعـات العربية** ما يحتاجه سوق العمل بشدّة في مجالات مهنيّة أخـرى. وكان نتيجة هذا الخلل زيـادة نسبة البطالة لـدى خريجي الجامعات إلى درجة أن بلداً مثل **مصر** بلغ فيـه معدل بطالة خرّيجي الجامعات **18.4%** مـن إجمـالي العاطلين عن العمل في مقابل معـدل بطالة بلغ **1.2%** للأميين الذيـن لم يتلقّوا تعليماً ما.

كما أنّه من بين **600 ألف** خريج جامعي في **تونس** يوجد أكثر من **128 ألف** عاطل عن العمل، أي أنَّ حوالى ربع العاطلين عن العمل في **تونس** هم من خريجي الجامعات. وفي **الأردن** بلغت نسبة بطالة خرّيجي الجامعات **32.3%** من إجمالي العاطلين عن العمل. كذلك لوحظ بشدّة تواضع الاهتمام **بالتعليم الفنّي والمهني** في المرحلة ما قبل الجامعية، وهو نوع من التعليم كان يعقد عليه الأمل في المساهمة في دفع عجلة التنمية، إلى حدّ أن ما ينفق على **التعليم الفنّي والمهني** في دولة مثل **المملكة العربيّة السعوديّة** لا يتجاوز **3%** من إجمالي ما ينفق على كلّ أنواع التعليم الأخرى في **المملكة**. مع ملاحظة أن نسبة الإنفاق الحكومي على **التعليم العالي** في **السعودية** تبلغ **3.8%** من مجمل الإنفاق الحكومي. وهذا يعني أنَّ نصيب الطالب من الإنفاق العام على **التعليم العالي** في **المملكة** يبلغ **23619** دولاراً سنوياً، وهو من أعلى المعدلات العالميّة.

لا تنفي هذه المؤشّرات السلبية ما هنالك من تطوّر إيجابي على صعد تعليميّة أخرى. ففي **السعودية** مثلاً يوجد الآن نحو **120 ألف** مبتعث سعودي في **الجامعات الأجنبية** المتقدّمة (منهم دارسو اللغات) لتحتلّ **المملكة** بذلك المرتبة الثانية عالمياً في عدد المبتعثين الوطنيّين للدراسة في الخارج. وفي **تونس** ارتفعت نسبة الالتحاق بالتعليم الجامعي في خلال **22 عاماً** فقط من **6%** إلى **49%**.

ووسط هذه المؤشّرات السلبية والتي لم تخل أحياناً من إيجابية هنا أو هناك تبقى الظاهرة المقلقة هي التنافر الحاصل في السياسات بين نظم الالتحاق بالجامعات العربية وواقع العملية التعليمية فيها من ناحية ومتطلّبات **سوق العمل** من ناحية أخرى. ثمة ما يشبه الجزر المنعزلة في سياسات **التعليم وسوق العمل** في الدول العربية. فكلٌّ يخطّط ويعمل بمعزل عن الآخر في الدولة الواحدة.

• • •

في **ملف المعلوماتية**، والمخصّص هذا العام لرصد **قضايا الشباب العربي على الإنترنت**، تبدو المؤشّرات والدلالات مثيرة للاهتمام والفضول. وقد تمَّ استخلاصها جميعاً من ثلاثة مصادر هي: **الفيس بوك**، **والمدوّنات**، **والمنتديات**. ثمة نشاط ملحوظ ومتنام لتواصل العرب عبر الفضاء الإلكتروني. ففي العام **2010** بلغ معدّل ما يمكن تسميته بتواصل العرب عبر الإنترنتً **29 مليوناً** و**600 ألف** حالة تواصل عبر المنتديات الإلكترونية. واستحوذت قضايا الاقتصاد على نصيب الأسد من هذه التعليقات حيث بلغت حصتها **32.7%** من إجمالي التعليقات.

وكانت المفاجأة في مجال **المدوّنات The blogs** أن التدوين النسائي يكتسح تسع دول عربيّة. ففي منطقة **الخليج** سجلت المدوّنات النسائية في **السعودية 70%** مقابل **30%** للمدوّنين من الرجال. وفي **قطر** تقدّمت الإناث المدوّنات ليمثلن **76%** وفي **الإمارات** حقّقن **75%** وفي **المغرب العربي** وصلت النسبة في **الجزائر** إلى **82%** للنساء. أمّا التدوين الذكوري فتركّز بصفة خاصة في كلّ من **سورية** و**العراق** و**المغرب** و**ليبيا** و**الأردن** و**مصر**. ولا تخفى الدلالات الكامنة في هذه المؤشّرات الرقمية، إذ يبدو أن الفضاء الإلكتروني المفتوح بلا قيود أو اشتراطات يمثل متنفساً بديلاً في بعض المجتمعات.

وعلى صعيد **الفيس بوك** لم يكن مصادفة أن تكون **قضية المذهبية** أكبر قضية يتمّ تداولها بين الصفحات الجماعية للفيس بوس وتصل فيها نسبة المشاركات الصادرة عن المجموعات إلى أكثر من **95%**، وأن تكون قضية **الخواطر والمشاعر** الشخصية هي – في المقابل – أكبر قضية يتمّ تداولها في الصفحات الفردية وتصل فيها نسبة المشاركة إلى أكثر من **95%**. الأمر الذي يعني بوضوح أن قضايا الشأن العام تحظى بقدر من "**الهندسة والتنظيم**" على **الفيس بوك** لا تحظى به قضايا الشأن الخاص. ولعلَّ هذا يفسر كيف كان **الفيس بوك** سلاحاً إلكترونياً استخدمه الشباب لتنظيم التظاهرات الحاشدة في بعض **البلدان العربية**.

والملاحظ في رصد **حركة قضايا الشباب العربي على الإنترنت**، وبعيداً عن الأرقام والتفصيلات، أن هذه القضايا تختلف في أولوياتها وجماهيريّة انتشارها بحسب ما إذا كان الأمر يتعلّق **بالمدوّنات** أو **الفيس بوك** أو **المنتديات**. فقضايا المدوّنات الأكثر إثارة للاهتمام تتمثّل في **القضايا الدينية**. أمّا **قضايا الفيس بوك** التي تأتي في المقدمة فهي **الخواطر والمشاعر** الشخصية، وفي المنتديات فإنَّ **الأفلام السينمائيّة والأغاني** تتصدّر الاهتمامات؛ ويكشف تأمل اهتمامات المدوّنات العربيّة على **الإنترنت** عن دلالات مثيرة للفضول. "**فالمدوّنات**" العراقية هي الأكثر اهتماماً **بإسرائيل** بينما تتصدّر "**المنتديات**" اللبنانية قائمة المنتديات العربيّة الأكثر اهتماماً بإسرائيل تليها "المنتديات" الفلسطينيّة. أمّا "المدونات" السورية فكان اهتمامها الأول هو قضايا **حريّة التعبير** بقدر ما كانت القضية الأولى التي تناقشها "المنتديات" التونسيّة هي أيضاً **حرية التعبير**. وجاءت "المنتديات" الإماراتية في مقدمة من يهتم **بقضايا الاقتصاد**. أمَّا "المدوّنات" القطرية فتحتلّ المركز الأول بين **البلدان العربية** من حيث الاهتمام **بقضايا التربية والتعليم**.

ومن الملاحظات الجديرة بالرصد على شبكة الإنترنت في العام **2010** المكانة المتدنّية لقضية **حقوق الإنسان** في سلم أولويات المدوّنات العربيّة، إذ جاءت في المرتبة الثامنة والعشرين لدى المدوّنين العرب ولدى "المنتديات" العربيّة في المرتبة الثامنة والعشرين لدى المدوّنين العرب ولدى "المنتديات" العربيّة في المرتبة الثامنة والثلاثين! وكان لافتاً تباين الاهتمام العربي بقضية **الطائفية** على الإنترنت من بلد عربي لآخر فكانت المدوّنات العراقية هي الأكثر اهتماماً بقضية **الطائفية** تليها المدوّنات البحرينية والكويتية والمصرية واليمنية؛ أمَّا الأقل اهتماماً بها فهي المدوّنات اللبنانية والقطرية والليبية والسودانية.

• • •

يتضمّن هذا **التقرير الرابع للتنمية الثقافية** ملفاً لكتابات الشباب العرب تمَّ فيه تقديم نماذج لبعض الدول العربية هي **مصر والسودان ولبنان وسورية والسعودية ودول الخليج العربي وتونس**. لم يكن الهدف من هذا الملف إجراء دراسة نقدية أو تحليليّة لهذه الكتابات الشبابية بقدر ما كان مجرد محاولة لرصد كتابات الشباب العرب للتعرّف إلى حجم هذه الكتابات ضمن حركة التأليف والإبداع عموماً، بالإضافة إلى معرفة الحقول المعرفية أو الإبداعية التي تنتمي إليها هذه الكتابات.

وقد انطلق هذا الملف من اعتبار من هم دون سنّ الخامسة والثلاثين عاماً من الشباب. وتفاوت نصيب الشباب ضمن هذه الشريحة العمرية في حركة التأليف والإبداع من دولة عربية إلى أخرى. فكان ملحوظاً على سبيل المثال وجود طفرة في الكتابات الشبابية في دولة مثل **المملكة العربية السعودية**، إذ بلغ عدد إصدارات الشباب فيها **294 إصداراً** احتلّ الإبداع الأدبي فيها نسبة **52%**، بينما لم تتجاوز كتابات الشباب السعودي في العلوم نسبة **1%** فقط. لكن تبقى كتابات الشباب السعودي (**294 كتاباً**) متقدمة بفارقٍ كبير على كلّ ما كتبه الشباب الخليجي مجتمعاً (**66 كتاباً**).

وفي **مصر** مازال حجم كتابات الشباب متواضعاً مقارنةً بإجمالي حركة التأليف والإبداع عموماً. وتسجّل حركة إصدارات الكتب الجديدة في **مصر** للعام **2010** صدور **11,986** كتاباً لم يتجاوز عدد كتب الشباب من بينها

الخمسين كتاباً، وذلك من واقع نشرة الإبداع المصرية **للعام 2010**، والتي يفترض أنها تمثّل السجّل المصري الرسمي لكلّ ما نشر في **مصر**، وهي نسبة – بافتراض وقتها – جدّ متدنية **0.4%** من إجمالي إصدارات الكتب المصرية في العام **2010**. كما تبدو هذه النسبة متدنية أكثر بالنظر إلى الارتفاع الكبير لنسبة الشباب إلى إجمالي عدد السكان. أمّا كتابات الشباب في كلّ من **لبنان وسورية** فبلغ عددها في العام **2010** نحو **37 كتاباً** من بين إجمالي الإصدارات في العام ذاته، والتي بلغ عددها **949** كتاباً أي ما نسبته **3.8%**.

وفي ما وراء الأرقام الصمّاء ثمة ظواهر يمكن رصدها بشان كتابات الشباب في **مصر**، لعلّ أولها عودة الروح الوطنية للمصريّين في الكثير من الكتابات التي يمكن اعتبار بعضها من قبيل التنبّؤ بثورة **25 يناير 2011**، لكن ثمة روايات تكتب الآن بالعامية المصرية الخالصة بعيداً عن العربية الفصحى. كما تركّز الكاتبات الشابات في **مصر** على التعبير عن إحباطات الذات والمستقبل والزواج، وهذا ملمح عام يمكن رصده في الكتابات النسائية الشابة في العديد من **الدول العربية**.

وبعيداً من الدراسة النقدية أو التحليلية لكتابات الشباب العرب والتي تتجاوز منهجية هذا التقرير والهدف منه، يمكن رصد إشكاليّتين في موضوع كتابات الشباب. الإشكالية الأولى هي صعوبة الوصول إلى أرقام موثّقة يمكن الاعتماد عليها في هذا الشأن، فمازال العرب يفتقرون إلى ثقافة الأرقام الموثّقة في الكثير من مناحي النشاط الإنساني كما تغيب عنهم الآليات المؤسّسية الكفيلة بإعداد هذه الأرقام، خصوصاً مع ظاهرة طباعة بعض الشباب كتباً على نفقتهم الخاصة من دون دار نشر أو رقم إيداع لدى جهة رسميّة. بل إن دولة مثل **مصر**، وهي ذات تقاليد نسبياً في إيداع عناوين الكتب الجديدة لدى دار الكتب والوثائق، مازال يصعب الاعتماد على ما هو مسجّل في نشرة الإيداع لديها. فهناك أرقام إيداع يتمّ تسجيلها لكتب لا يتمّ الانتهاء من تأليفها وطباعتها إلاّ بعد سنوات عدّة؛ مثل هذه الكتب تحسب افتراضياً ضمن إصدارات العام لمجرد تسجيل بياناتها على الرغم من عدم صدورها واقعياً في العام ذاته. ثم تصدر في ما بعد من دون أن يتمّ احتسابها فعليّاً من ضمن إصدارات العام.

أمّا الإشكالية الثانية فهي صعوبة النشر التي يلاقيها الكثير من الشباب نتيجة ضيق ذات اليد تارةً أو لعدم تبنّي أعمالهم من قبل دور النشر تارةً أخرى. أمّا عن المستوى الإبداعي لكتابات الشباب فهذه قضية أخرى تتجاوز منهجية عمل هذا التقرير. لكن يبدو أن الواقع يكشف عن بخل إبداعي في السنوات الأخيرة إلى حدّ أن كتّاباً عرباً يعتقد الجمهور في كونهم شباباً يبرع نجمهم فجأة بعمل إبداعي كبير، فإذا بنا نكتشف أنهم تجاوزوا الخمسين من العمر!

• • •

يأتي الملف الإبداعي في تقرير هذا العام وهو يتضمّن رصداً لحركة الإبداع العربي في السينما والدراما والمسرح والأغنية خلال العام **2010**. فتحت عنوان **السينما عشية الربيع العربي** يمكن رصد بعض الظواهر والمستجدات اللافتة مثل الأفلام المصريّة التي تنبأت بشكل مدهش بمقدمات ثورة **25** يناير المصرية، ونشوء مؤسّسات عربية لدعم السينما، ولا سيما في **قطر ودبي وأبوظبي**، وسطوع نجم السينما المغربية التي أصبح إنتاجها يأتي في المرتبة الثانية إفريقياً بعد **مصر**.

وعلى الرغم من التقدّم النسبي الذي حققته صناعة السينما وتوزيعها في بعض **الدول العربيّة**، مازالت الغلبة في سوق عرض السينما في **العالم العربي** للأفلام الأجنبية. ففي العام **2010** بلغ نصيب الأفلام الأميركية والأوروبية والآسيوية **77%** من إجمالي ما هو معروض في أسواق العرض السينمائي في **العالم العربي**. أمّا الأفلام العربيّة (ومعظمها مصرية) فبلغت نسبتها **18%** من إجمالي أسواق العرض، وهبطت حصة الأفلام المحلية إلى **4%** فقط.

أمّا **المسرح العربي** فيبدو أنه يراوح مكانه، فمعظم ما قدّم في العام **2005** أو **2006** أو **2007** هو نفسه ما يقدّم في العام **2010** أو **2011** إلاّ باختلاف العناوين. لكن المسرح الفلسطيني مازال يقاوم الزمن والاحتلال حيث بدت مسرحية "نص كيس رصاص" التي عرضت في القدس في العام **2010** علامة بارزة في تجربة تشقّ طريقها وسط معوقات كثيرة ومعاناة أكثر.. وفي العموم مازالت الشقة واسعة بين إمكانيات المسرح العربي وإمكانيات المسرح في البلدان الغربية المتقدمة، ففي **القاهرة** مثلاً، ذات الـ **12 مليون نسمة** وفقاً لأدنى التقديرات، يبلغ عدد المسارح نحو **35 مسرحاً**، أي بواقع مسرح لكلّ **340 ألفاً** من السكان بينما في مدينة أوروبية مثل فيينا، التي لا يتجاوز عدد سكانها المليوني نسمة، يوجد أكثر من **400 مسرح** أي بواقع مسرح لكلّ **5000 نسمة**.

وفي **ملف المضمون الثقافي للأغنية العربية** مازال السؤال الذي ينشغل به التقرير العربي للتنمية الثقافية هو عن ماذا يغنّي العرب وما هي القيم الجمالية والاجتماعية التي تثير اهتمامهم الغنائي؟ ومازالت محاولتنا مستمرة من دون أن تصل إلى خواتيمها المرجوّة في بلورة مفهوم سوسيولوجي ثقافي للأغنية العربية. لكن ما أمكن رصده – في ظل العقبة الكؤود للبحث عن أرقام – أنَّ الغناء العاطفي العربي في العام **2010** قد استأثر بنسبة **69%** من إجمالي الغناء العربي قبل الغناء الشعبي **22%** والغناء الديني **7%**. أما الظاهرة "المفجعة" فهي التدنّي الذي بلغ حدّ "الانحطاط" في كلمات الكثير من الأغاني العربيّة. والمفارقة المقلقة أن هذا الانحطاط اللغوي في كلمات الأغنية العربية يجد له رواجاً يصعب تفسيره لدى الجمهور المستمع! ومازالت الأغنية المصوّرة "الفيديو كليب" تمثّل احتياطياً كبيراً لتغطية الثغرات في الأداء الغنائي و"تعرية" ما دون ذلك!!.

• • •

وفي تقرير هذا العام، يعالج الملف الثابت "**الحصاد الثقافي السنوي**" القضايا والظواهر والتساؤلات التي انشغل بها العرب في العام **2010** عبر مؤتمراتهم وملتقياتهم وفي صفحات دورياتهم ومطبوعاتهم الفكرية. وليس من المبالغة القول إن العرب ما زالوا أسرى ثقافة الاجترار والتكرار للقضايا والتساؤلات ذاتها. فليس ثمة جديد يذكر سواء على صعيد موضوعات هذه القضايا أم على صعيد منهج مقاربتها. مازال الحديث دائراً في المؤتمرات والملتقيات العربيّة حول التعددية الثقافية، ومسألة الهوية، وحوار الثقافات، وإشكالية الأصالة والحداثة. وقد أمكن على سبيل المثال رصد خمسة مؤتمرات عربية من العام **2010** تبحث كلّها عن هاجس العروبة والمأزق العربي.

لكن اللافت في العام **2010** هو الحضور البارز **لقضية اللغة العربية** وحالة الاستنفار لدى العديد من الجهات والمؤسّسات انطلاقاً من الشعور بمستويات "الأزمة" المتفاقمة التي تحف بتخوم لغة الضاد. وكانت قضية اللغة العربية أحد محاور عمل **اللقاء التحضيري للقمّة الثقافية العربية** الذي نظمته في **بيروت** في العام **2010** **مؤسّسة الفكر العربي** بالتنسيق مع **المنظمة العربية للتربية والعلوم والثقافة "أليكسو"** في أعقاب دعوة **رئيس مؤسّسة الفكر العربي الأمير خالد الفيصل** إلى عقد **قمّة ثقافية عربية**، وهي الدعوة التي تبنتّها **جامعة الدول العربية**.

ولعلّ تأمل ملف **الحصاد الثقافي السنوي** والمنهج التوثيقي الذي اكتسى به هذا العام يعطي فكرة يمكن البناء عليها في دراسات فرعية أخرى حول اهتمامات العقل الثقافي العربي، ومنطق الأولويات لديه، والمقاربات التي يتوسّلها في معالجة قضاياه. وهي ملامح ثلاثة على دجة عظيمة من الأهمية لو أمكن لنا دراستها واستجلاء دلالاتها، الظاهر منها والباطن.

• • •

جديد تقرير هذا العام هو أنه يتضمّن ملفاً خاصاً حول **أزمة اللغة العربية في الحاضر العربي**. يأتي ملف هذا العام بعنوان "**اغتراب اللغة أم اغتراب الشباب**" بناءً على استطلاع للرأي أجرته **مؤسّسة الفكر العربي** في **9** دول عربية. ويتوجّه هذا الاستطلاع ميدانياً إلى ثماني فئات معنيَّة **بقضية اللغة العربية** من بينها فئة الشباب. أصبح جليَّاً أن اللغة العربية تعاني من الاغتراب في ديارها، وهو اغتراب تتفاقم حدّته لدى الشباب. فالحاصل اليوم أن شبابنا العربي يكاد ينطق بلغة لا يكتبها، ويكتب لغة لا ينطقها. أصبحت الثنائية اللغوية والازدواجية اللغوية ظاهرتين مقلقتين في الحاضر العربي. فهل نحن إزاء اغتراب اللغة ذاتها أو أن شبابنا هو الذي يعاني الاغتراب؟

وقد جاء هذا الاستطلاع كاشفاً عن مجموعة من المؤشّرات المهمّة وربما المثيرة. أول هذه المؤشّرات المقلقة أن **53%** من الشباب العربي الذي تمّ استطلاع رأيه يستخدم اللغة الإنكليزية أو لغة أجنبية أخرى في التواصل عبر الإنترنت في ما يُعرف بقاعات "الدردشة". كما أضحت الكتابة عبر الإنترنت، وباستخدام أجهزة الهاتف المحمول، تتمّ بالحروف اللاتينية لمفاهيم تدرك باللغة العربية في ظاهرة تستدعي التوقّف والقلق. هذه وغيرها مؤشّرات يتعيّن استخلاص الدلالات الكامنة فيها لكي لا تصبح اللغة العربية هي الجدار الرخو في آخر حصون مقاومتنا الحضارية في زمن طوفان العولمة.

• • •

يبدو هذا التقرير العربي الرابع للتنمية الثقافية، الذي حرره وعالج موضوعاته مجموعة من الخبراء العرب واضطلعت بمراجعته وتحكيم مواده هيئة استشارية من المتخصّصين الثقاة، محاولةً أخرى لتشخيص حال الثقافة والمعرفة في **الوطن العربي**. ما زال التقرير يشخّص من دون أن ينقد ويرصد من دون أن يستشرف. وهذه منهجية عمل مقصودة لذاتها. ربما نتفق أو نختلف حول بعض ما تضمّنه هذا التقرير، لكن الأمر المؤكّد في نهاية المطاف أن هذا هو واقع الثقافة والمعرفة في بلادنا. الشكر واجب لكلّ من أسهم في هذا التقرير الذي أنجز في ظروف بالغة الصعوبة، ولا سيما في ظلّ الأحداث التي شهدتها العديد من المجتمعات العربية ما جعل التواصل عسيراً في بعض الاحيان. يقتضي الإنصاف في النهاية أن أتوجّه بكلّ الامتنان والإعجاب والتقدير للسيدتين رفيف صيداوي وريما كوثراني من فريق عمل مؤسّسة الفكر العربي اللتين قدمتا جهداً مضنياً وشاقاً بلا كلل أو ملل لكي يرى هذا التقرير النور.

ملف

قضايا الشباب العربي على الإنترنت
«مؤشّرات ودلالات»

المعلوماتية

ملامح عامة لقضايا الشباب على الانترنت

منهجية البحث

كان الشباب في المقدمة أو رأس الحربة في ما جرى من تغيير على الأرض، في الوطن العربي، العام 2011، وكانوا الأكثر انتشاراً وفاعلية ومهارة في استخدام الإنترنت وأشكال التقنية الأخرى، وفي الوقت نفسه برزت ظاهرة "الفضاء الرقمي التفاعلي"، الذي يمكن لمئات الآلاف بل والملايين من الناس أن يتواصلوا من خلاله ويتبادلون الأفكار ويجرون المناقشات، وينجزون الاتفاقات والخطط وينظمون الأحداث وينفذونها بمساعدة الإنترنت وأدوات المعلوماتية المختلفة الأخرى، وعملياً تشكل هذا الفضاء الرقمي من خلال قنوات أدوات أساسية هي المدوّنات والمنتديات وشبكات التواصل الاجتماعي وعلى رأسها موقع **الفيس بوك**.

في هذا السياق كان من الضروري أن يرصد التقرير العربي التنمية الثقافية ما دار في الفضاء الرقمي التفاعلي العربي – المدوّنات العربية والمنتديات العربية وصفحات ومجموعات الفيس بوك العربية – خلال 2010، ليوثق ما جرى من توجهات وما أثير من قضايا شغلت اهتمام الشباب العربي والعرب عموما" في هذا العام الفاصل من الناحية الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والخدمية وغيرها، بما يساعد في شرح وتوضيح بعض النقاط التي تفرضها طبيعة التغيير الجاري أو المتوقع في الوطن العربي [1].

والواقع أن أي محتوى على الإنترنت يتكون من نواة محورية هي مادة المحتوى ذاتها، لكن هذه النواة الصلبة أو المحتوى نفسه لا تتضح ملامحه ويتم التعرف على كامل هويته إلا من خلال أربع بصمات، الأولى هي البصمة الجماهيرية، أي معرفة قدرته على جذب الجمهور، والثانية البصمة الجغرافية، أي خريطة انتشاره جغرافياً في البلدان المختلفة، والثالثة البصمة التقنية أي علاقته بالخصوصية التقنية والإمكانات الفنية لقنوات النشر التي يقدم من خلالها، هذا بخلاف بصمات أو أبعاد أخرى كثيرة أقل أهمية، والرابعة بصمة الزمن، أي تتبع حالة المحتوى عبر الزمن وملاحظة ما يطرأ عليه من تطورات في الأوقات المختلفة لفترة البحث.

ما الذي يشغل الشباب العربي على الإنترنت؟

انتهت عمليات التصنيف إلى أن الفضاء التفاعلي الرقمي العربي انتشرت فيه وشاعت

1 – قام فريق البحث بتجميع عينة من المحتوى العربي بالفضاء الرقمي التفاعلي على مستويين، الأول مستوى وحدات للتحليل، وهي المدوّنات والمنتديات وصفحات ومجموعات الفيس بوك، والمستوى الثانى المواد الموجودة داخل وحدات التحليل، والمقصود بها التدوينات داخل المدوّنات، والمشاركات داخل المنتديات، والمشاركات داخل الصفحات والمجموعات بالفيس بوك.وقد تشكلت عينة البحث بإجمالي 107 آلاف و659 وحدة تحليل، موزعة على 16 ألفاً و631 منتدى، و12 ألفاً و934 مدونة، و78 ألفا و94 صفحة ومجموعة على الفيس بوك، أما مواد التحليل فبلغت 661 ألفاً و715 مادة تحليل في المنتديات، و120 ألفاً و757 مادة في المدوّنات و155 ألفاً و107 مواد في الفيس بوك بإجمالي 937 ألفاً و579 مادة.



53 قضية، شغلت بال العرب والشباب على وجه الخصوص في 2010، وهذه القضايا تشكل النواة الصلبة للمحتوى الذي تم تحليله وعرضه بالتقرير.

وقد اتضح أن هذه القضايا سارت في مسارين رئيسيين، أحدهما يتعلق بقضايا "الشأن الخاص" التي تدور في الفلك الضيق للشخص واهتماماته العائلية والعملية والاجتماعية، والآخر بقضايا "الشأن العام" التي تدور في فلك المجتمع والوطن والهموم المشتركة قومياً وإنسانياً في آفاقها الرحبة الواسعة، وفي قضايا الشأن الخاص راح المواطن العربي يبحث داخل الفضاء الرقمي التفاعلي عن الترفيه عبر الأفلام والمسلسلات، وعن سبل أفضل لتسيير تفاصيل حياته اليومية عبر النصائح والإرشادات، وعن الصحة الجسدية والنفسية عبر قضايا الطب، وعن الغذاء الروحي عبر القضايا الدينية، ثم إشباع النهم الاستهلاكي العصري، عبر التعاطي مع قضايا التكنولوجيا والإنترنت ومهارات استخدامها.

وفي هذا السياق نلاحظ مثلاً أن قضايا الشأن الخاص تسيطر سيطرة شبه مطلقة على اهتمامات الملايين التي تنشىء الصفحات والمجموعات على الفيس بوك، أو تتابع او تعجب أو تعلق على ما يثار فيها من قضايا، فحسب **الجدول** "11"[1] تتصّدر المشهد قضيةُ المشاركات والنقاشات والتعليقات المعبرة عن الخواطر والمشاعر الإنسانية والعلاقات الإنسانية والخواطر المتنوعة على اختلاف صورها، أي أن الفيس بوك في المقام الأول بالنسبة الى العرب هو فضاء للتنفيس عن مكنونات المستخدم وخواطره، أو هو محتوى يُفرِّج هموم ملايين العرب عبر الفضاء الرقمي، للتعبير عن آمالهم وإحباطاتهم وأحلامهم ونجاحاتهم وفشلهم في الحياة والعلاقات الاجتماعية والإنسانية. أما الدائرة الأصغر التي تشكل ما يناهز ثلث اهتمامات المستخدمين للفيس بوك (30 % تحديداً) فينحشر بداخلها خمسون قضية، يختلط فيها الشأن العام مع الشأن الخاص، وإن كانت الغلبة فيها أيضاً لقضايا الشأن الخاص التي تتبوأ الكثير من المراكز المتقدمة في قائمة أكثر القضايا انتشاراً واهتماماً على **الفيس بوك**، فهناك قضايا الرياضة في المركز السادس، والمطربون والمطربات في المركز السابع، والطب والصحة في المركز التاسع، والأفلام والسينما في المركز العاشر، والتلفزيون في المركز الحادي عشر. ومن بين قضايا الشأن العام تظهر القضايا الاجتماعية وقضايا الثقافة والفكر في المركزين الرابع والخامس على التوالي، في **الفيس بوك**، وبعد ذلك لا تظهر قضايا الشأن العام إلا متأخرةً، كالإعلام، وحرية التعبير، والتربية، والتعليم، والعلوم، والمؤسّسات السياسية، وقضية فلسطين، وحقوق الإنسان، واتفاقيات السلام، والبيئة، والموارد، وغيرها. ولا يختلف الحال كثيراً في المدوّنات والمنتديات.

هل كل ما يكتبه المدوّنون يثير الاهتمام؟

جرت خلال البحث متابعة وفحص جماهيرية القضايا المختلفة، وتم التوصل إلى العديد من النتائج، منها أن من بين 120754 تدوينة كتبها المدوّنون، كانت هناك 100336 تدوينه لم يكترث بها الجمهور ولم يُعلَّق عليها بحرف، وهذه الأرقام تعني أن الجمهور العام لم يكترث بحوالى 83 % من التدوينات التي كتبت، لكنه علّق على حوالى 20 **ألفاً** و420 تدوينة تمثل 17 % من إجمالي التدوينات.

وفي ضوء هذه الأرقام، نحن أمام نتيجة واضحة للعيان، وهي أن الغالبية الساحقة من التدوينات فشلت في جذب الجمهور وحثّه على التفاعل معها عبر التعليقات، أي أن أغلب ما يدور في مجتمع التدوين العربي هو في نظر الجمهور العام من زوّار المدوّنات،

1 – راجع ملحق الجداول من ص 146 إلى ص 189 حيثما ترد الجداول

مجـرد "مونولوج" أو حديث داخلي بين المدوّن ونفسه، ولا يستحق الدخول فيه.

بيد أن هذه النتيجة الصـادمة يخفّف منها أن عدد التعليقات التي كُتبت على هذه النسبة القليلة كانت معقولة، حيث وصلت إلى 212 **ألفاً** و192 **تعليقاً**، بمتوسط عام 1.8 **تعليقاً** للتدوينة الواحدة، مما يوحي بأن جمهور الإنترنت والمدوّنات ليس سلبياً أو عازفاً عن المشاركة، لكنه ينفعل ويشارك حينما يجد تدوينات تستحق الوقوف عندها والتعليق عليها.

وقد جاءت التدوينات المصرية في صدارة التدوينات التي حظيت بأكبر قدر من التعليقات، وإذا أكملنا قائمة المراكز العشرة الأوائل، سنجد أن التدوينات السعودية تأتي في المركز الثاني تليها الكويتية، فالأردنية، فالتدوينات التي وضعها من يقيمون في بلدان غير عربية، ثم التدوينات الفلسطينية، فالمغربية، فالليبية، ثم اللبنانية.

تبيَّن كذلك أن التدوينات الصادرة عن الصحافيين والكتّاب تتصَّدر قائمة الفئات التي استطاعت جذب الجمهور إلى تدويناتها، تليها الوظائف المصنفة تحت بند "أخرى"، ثم الأطباء والإداريون والمدرسون. وفي المراكز الخمسة الأخيرة، يأتي أصحاب المهن التشكيلية والدعاة ورجال الأعمال والمترجمون والباحثون. والمُلاحَظ أن الجميع يتنافس على قدر ضئيل جداً من التعليقات يتراوح بين 0.1 % و2 %.

وكشفت النتائج عن أن الحوار بين العاطلين والجمهور كان أعمق واكثر تلاحماً من الحوار بين الصحافيين والكتّاب والجمهور بفارق كبير. بينما كانت تدوينات الكتّاب والصحافيين أكثر انتشاراً من غيرها، وتشير التحليلات التي أُجريت خلال الدراسة إلى أن تدوينات العاطلين كانت تعكس مرارات ومشكلات يعيشونها. ولاقت تعاطفاً وقبولاً من آخرين من الجمهور، هم في الأغلب من العاطلين عن العمل أيضاً، أو على الأقل من المتأثرين بالبطالة، فكانوا يكتبون تعليقات متعددة على التدوينة الواحدة. وفي هذا السياق يمكن لنا القول إن مجتمع التدوين يلعب دوراً مهماً بين أصحاب المشكلة الواحدة. فمن يكتب يجد صدىً واقتراباً ممَّن يشاطره المشكلة ويقرأ أو يتابع. ولا يظهر هذا الاقتراب بالقدر نفسه من الوهج والعمق في حالة الكتابة الإعلامية والصحافية العادية، التي تصدر عن محترفين لا يتشاركون مع المتلقّي في مشكلته.

وفي المنتديات التي خضعت للتحليل تبَيَّن أن العرب كتبوا عبر منتدياتهم في العام 2010 ما إجماله 661 **ألفاً** و715 مشاركة، في 53 **قضية** مختلفة. ووصلت الردود على هذه المشاركات إلى 29 **مليوناً** و600 **ألف** و540 **تعليقاً**، بمتوسط 44.7 تعليقاً على المشاركة الواحدة، واستحوذت قضايا الاقتصاد على نصيب الأسد من هذه التعليقات، حيث بلغت حصتها 32.7 % من إجمالي التعليقات.

وقد كانت القضايا المثارة عبر المنتديات في مجملها قضايا غير جاذبة للجمهور ولا تدفعه أو تحثه على التفاعل معها بالرد والتعليق، لأن العدد الإجمالي للتعليقات ضئيل جداً، في مقابل العدد الإجمالي. ويتضح ذلك بصورة أكبر من المتوسط العام للتعليق على القضايا، الذي يناهز بالكاد الـ 45 **تعليقاً** للقضية الواحدة، ويعبّر عن مستوى جماهيرية لا يتَّسق والحركة الهادرة للجماهير على الإنترنت، التي تدفع بالتعليقات داخل المنتديات والمدوّنات وغيرها إلى ما يتجاوز المئات من التعليقات على الكثير من الموضوعات بسهولة.

لا بد لنا أن نشير هنا إلى أن ضعف جماهيرية القضايا المثارة على المنتديات لا يعبّر بالضرورة عن تراخي أو ضآلة الاهتمام بموضوع القضايا نفسها، ولكنه يعبّر في المقام الأول عن عدم قدرة المشاركة المكتوبة حول هذه القضايا في جذب الجمهور، وإقناعه بالتفاعل مع ما يكتب حول هذه القضية أو تلك.



ماذا عن الفيس بوك؟

في الفيس بوك بدأت جماهيرية القضايا، من الناحية الإجمالية، من نقطة انطلاق مكونة من 155 **ألفاً** و107 مشاركة، كان عدد مرات التعرّض للقراءة والمطالعة مليار و527 **مليون** و245 **ألفاً** و721 مرة، وعدد مرات الإعجاب والمتابعة التي حصلت عليها 457 **ألفاً** و185 مرة. وكان المتوسط العام لنصيب المشاركة الواحدة من مرات الإعجاب 2.95 مرة، وكان عدد التعليقات التي كتبت عليها **مليون وسبعة آلاف** و590 تعليقاً، وبلغ نصيب كل مشاركة من التعليقات 6.5 **تعليقات**.

وقد أعاد فريق البحث قراءة ما كشفت عنه الأرقام وعمليات الرصد والتصنيف والفهرسة قراءة عامة من منظور تحليلي يربط ما تم التوصل إليه بما يجري في السياق العربي العام. وقد قادت هذه القراءة إلى إحدى عشرة نقطة، تؤكّد أننا أمام ساحة رحبة للبوح، تسودها حركة ضخمة بلا قيادة، يؤثر أطرافها في بعضهم بعضاً، ويمتد تأثيرهم الى المجتمع الواسع من حولهم، بدرجة تختلف من قضية لأخرى، ومن مكان لآخر، وأن الإنترنت وفضاءه الرقمي التفاعلي في **الوطن العربي** لم يعد بالنسبة الى المجتمع العربي الواقعي مثل قطعة القماش الحريرية التي يدفعها الهواء فيجعلها تلامس حجراً صلداً بخفة، بل تصلَّد وتثاقل وازداد وزنُه وأصبح أقرب إلى جسم يحتك بجسم، وليس قطعة قماش تهفهف على حجر، وهذه النقاط الإحدى عشرة يمكن لأي جهة أو شخص أو طرف الاستفادة منها في تعامله مع الفضاء الرقمي التفاعلي بصورته الجديدة الآخذة في التغير و تأثيرها وتداخلها مع مجالات العلوم والاقتصاد والخدمات والسياسة والمجتمع وكل أشكال الحياة الأخرى.

دلالات لافتة للنظر

النتيجة العامة التي يمكن الخروج بها من التحليلات السابقة أن الفضاء الرقمي التفاعلي العربي بقنواته الثلاث (مدونات، منتديات، فيس بوك) هو في حقيقة الأمر أشبه بمسرح كبير وعملاق تجوبه حزمة من الثنائيات التي تضفي عليه قدراً كبيراً من الحيوية، وتنبىء بأنه مرشح للتوسع في الحجم والتعاظم في الأهمية والنضج في الأداء بمرور الوقت، وتضم حزمة الثنائيات النشطة على مسرح الفضاء الرقمي العربي التفاعلي مثل ثنائية الحركة في الفضاء الرقمي والحركة المرتبطة بها في الواقع الفعلي "حركة الشارع العربي"؛ وثنائية قضايا المقدمة وقضايا المؤخرة (فقه الأولويات في القضايا المثارة). وكذلك ثنائية الشأن العام والشأن الخاص.

ومن أبرز ما تم التوصل إليه في ضوء هذه الثنائيات أن هذا الفضاء قد وفَر بيئة خصبة أمام شريحة المواطنين العرب المستخدمين للإنترنت، من أجل إنتاج وتداول وتوزيع وتوظيف المعلومات الخاصة بأكثر من خمسين قضية، بعيداً عن مراكز اتخاذ القرار العليا للمجتمع، فقد نقل هذا الفضاء عملية إنتاج المعلومات الخاصة بهذه القضايا إلى الأرصفة والميادين والمقاهي والنوادي والشواطىء والأرائك في غرف الاستقبال في المنازل. وهذا يعني أن شريحة العرب المنضوين في هذا الفضاء قد انخرطوا ضمن ما يعرف بأنشطة "الويكي"، أي الأنشطة القائمة على التعاون والعمل المشترك والبناء من أسفل، في سلسلة أفقية، كالخط المستقيم، وليس الهرم الذي يأخذ شكل المثلث ذي القاعدة العريضة والقمة المدببة التي تتسع لفرد واحد.

استناداً إلى ذلك، يمكن لنا القول إن من تحرّكوا في الفضاء الرقمي التفاعلي العربي خلال العام 2010، هم نتاج مرحلة التواصل اللحظي وأنشطة الويكي التي تقوم كما سبقت الإشارة على البناء من أسفل بصورة عريضة، والتشبيك الأفقي المكوَّن من طبقة واحدة يقف جميع أفرادها على قدم المساواة مع بعضهم بعضاً، من حيث المشاركة والفعل والتنظيم.

الفضاء الرقمي التفاعلي العربي بقنواته الثلاث (مدونات، منتديات، فيس بوك) هو في حقيقة الأمر مسرح كبير وعملاق تجوبه حزمة من الثنائيات التي تضفي عليه قدراً كبيراً الحيوية وتنبىء بأنه آخذ في التوسع في الحجم والتعاظم في الأهمية والنضج في الأداء.

وهـذا الأمـر يفسـر الكثـير مـن التحـركات والتفاعـلات التـي تجـري الآن علـى الأرض، في **الوطـن العربـي**، على الصـعيد الاجتماعي والاقتصـادي والسياسـي، والتـي تبـدو في ظاهرهـا حـركات اجتماعيـة أو جماهيريـة عريضـة النطاق بلا قائد محـدد، وربما ظهرت بأوضح ما يكون في ثورتّي **مصر وتونس**.

وفي ضـوء التحليـلات يمكـن القـول إن الجماهـير المنشـغلة بقضـايا الشـأن الخاص بالفضـاء التفاعلـي الرقمـي، والتـي شـكلت الغالبيـة السـاحقة مـن جمهـور هذا الفضـاء، كانـت هـي تقريبـاً المعـادل الموضـوعي للجماهير الواسـعة الصـامتة، أو غـير الراغبة في المشـاركة، في الشأن العام والمنصرفة إلى شـؤونها الخاصـة في الواقـع الفعلـي. وكل ما تفعله هـذه الفئة من المواطنـين على الإنترنت لا يُحدث صـدىً كبيراً أو يحقق انتشاراً ورواجاً واسـعَين؛ فمثلاً، لا يتوقف أحد عنـد حقيقة أن مليـونَيْ شـخص قامـوا بالبحث عـن أغنية، أو كتبـوا تعليقـات حـول قصـة شـعر لممثلـة، أو قامـوا بتحميل فيلم سـينمائي، تمامـاً كما هو الحـال حينمـا يدخـل ملايـين النـاس إلى دور السـينما كل يوم، أو يشـترون شرائـط أغاني أو يتحلقون حول التلفاز يتناقشون في مسلسل أو مباراة كرة.

ويختلف الوضع كليةً حينما يقوم صاحب صـفحة على الفيس بوك بتناول قضـية تتعلق بأهل الحكـم والسياسـة، أو يكتب عن الحريات والفساد بضعة أسطر فيتم اعتقاله أو ملاحقته بصـورة أو بأخـرى؛ تمامـاً كما يحـدث فيما لو أُلقِـيَ القبض على ناشـط أو مجموعة نشـطاء سياسـيين، لا يزيـد عددهـم علـى أصـابع اليد الواحدة، في أحد الشـوارع؛ فهنا يكون الإيقاع مختلفـاً والتأثـير أكـثر شـدّةً والانتشـار أكـثر إشـعاعاً سـواء كان الحدث على الإنترنت أم في الواقع الفعلي.

وهكذا تقـدم حركة الملايـين العاديين من مسـتخدمي الإنترنت من ذوي الشـأن الخاص محتـوىً يتحـرك حركـة ضـخمة لكنهـا غـير محسوسـة، أما حركة الأقلية النشطة التي تهتم بالشأن العام، سواء على الإنترنت أم في الواقع الفعلـي، فهي أقـلّ حجماً وشـيوعاً، لكنها أكثر عنفـاً وحيويـة، وفي هذا السـياق تقـدم حركة المعارضـة السياسـية والحـركات الشـبابية نموذجـاً جيداً في هـذا الصـدد، علـى نحو ما شـهده العـالم العربي من ثـورات وتحولات في العـام 2011، فالأرقـام والتحليـلات السـابقة تجعلنـا نقـول إن مـا حـدث لا يخـرج عـن تحركات الفئـة القليلة المهتمة بالشـأن العام، عبر الإنترنت والفضـاء التفاعلـي، خلال العام 2010، قابلهـا نشـاط لفئـة مماثلـة في الواقع الفعلـي، وحينمـا تلاقـت حركـة الفئتـين لعب الفيسـ بـوك (والإنترنـت عمومـاً) دور القائم بالتنظيم والحشـد والدعـم اللوجسـتي والبيئة الحاضـنة للأفـكار، والوسـيط السـهل السريع للتواصـل، وتبادل المعلومات القابلة للتوظيف اللحظي، إلى غير ذلك من الأمور الأخرى.

وقـد أشـارت التحليـلات أيضـاً إلى أنـه كانـت هنـاك فـروق واضـحة في التعامـل مع القضـايا بـين كل قناة نشر وأخرى، بصـورة تـدل علـى أن جمهـور كل قناة نشر كان لديه "فقـه للأولويـات" خاصـ بـه، أو طريقـة أو مزاج خاصـ في تعامله مع القضـايا المثارة؛ فالأرقـام الخاصـة بالمدونّين تـدل على تقدم محسـوس للقضايا الجادّة ذات العلاقة بالشأن العام، واختفاء القضايا الخفيفة والخلافية عن المراكز الخمسـة عشر الأولى.وهذا يعتبر مؤشراً على وجود درجة واضحة من النضج في " فقه الأولويات" أو ترتيب الأولويات، لدى المدّونين ومَن يعلّقون علـى تدويناتهـم، وأن أولوياتهم تتعامـل بصـورة عامة في قضـايا ذات علاقة بالفكـر التنمـوي والاهتمامـاًت الحقيقيـة، وتبتعد بصورة واضـحة عن تقديم أو استهلاك المحتـوى الخفيـف أو الغـث أو الذي مـا يؤجج الخلافات والفرقة كما يشـاع دائماً عن جمهور الإنترنت العربي.

وقد كان الفضاء الرقمي التفاعلي العربي في العـام 2010 سـاحة يتبارى ويتصـارع فيهـا الشـأن العـام والشـأن الخاصـ، على اهتمامـاًت الفرد والجماعة معاً. وهو ما يدل على أن هذا الصراع بلغ مستوى من الحيوية والعنفوان قد يفوق ما كان يجري في الواقع الفعلي؛ فالإنسان العربي في فضائه الرقمي التفاعلـي لم يكن كلـه أو غالبيته السـاحقة مسـحوباً إلى دائـرة اهتماماًتـه الضـيقة الخاصـة ومنكفئـاً عليهـا، بـل بـات يتلفَّتُ حولـه ليسـمع ويرى ويشـارك في مـا ينقله بمحضـ المصـادفة أو عـن وعـي إلى دائرة الاهتمامـاًت العامـة؛ وذلـك بفعل تعرضـه لتيارات من البيانات والمعلومات المتلاطمة في جهات ومسـارات شتى، الأمر الذي يجعل من الفضـاء الرقمي التفاعلي حاضنة لبذور جديـدة تعيـد توجيـه اهتمامـاًت شريحـة كبيرة من المواطنين العرب إلى الشـأن العام ليقوى ويشـتد في مواجهة الاهتمام بالشأن الخاص.

ولم يتوقـف اختلاف المواقـف والتوجهات نحو القضـايا عند تقسـيمها إلى قضايا الشأن العـام والشـأن الخاصـ، أو عنـد الانتشـار الظاهـري والانتشـار الفعلـي، بـل تعداهـا إلى الاختـلاف في مسـتوى عمق التعامـل مع هذه القضـايا؛ فالأرقام تكشـف عن أنه كان هناك ميـل من الجمهـور نحو التعامل مـع الكثير من القضـايا تعاملاً سـطحياً، والتعامل مع الكثير مـن القضـايا الأخـرى تعامـلاً عميقـاً؛ الأمر الـذي جعـل حركـة قضـايا التعامل السـطحي في الفضـاء الرقمي تبدو كحركـة أفقية خفيفة سريعـة، وحركـة قضـايا التعامـل العميـق تبـدو كحركة رأسـية متثاقلة بطيئـة. والمعيار الحاسـم في هذا التمايز كان مسـتوى "تفريع" القضـايا وتفتيتها إلى قضـايا فرعية والولوج إلى تفاصـيلها وفروعها من قبل من يكتبون أو يعلقون ويتابعون، وليس الوقوف عند صورتها الإجمالية فقط.

الفضاء التفاعلي الرقمي

بنـاء علـى الأرقـام الخاصـة بالتعليقات والـردود والمتابعـات الصـادرة علـى ما كتب مـن تدوينـات ومشـاركات، يمكـن لنـا القول إن الفضـاء التفاعلـي الرقمـي منـح الجمهـور العربـي قـدراً كبيراً مـن "التمكين" والسـيطرة علـى تحركاته وخياراته، وإن الجمهور تجاوب مع هـذه الميـزة النسـبية، وقـام باسـتغلالها وتوظيفها بوضـوح، حيث كان هناك مسـتوى جيد من التفاعل من قبل الجمهور مع القضـايا السـابق الإشـارة إليهـا، يبـدأ بمجـرد البحـث في مجموعـة من النصـوص والاختيـار منها، وينتهـي بإمـكان توجيـه الأسـئلة المباشرة والفورية الى الطرف الآخر أو مصـدر المعلومة نفسه، أو التدخل للمشاركة في صناعة محتوى أو معلومـة جديـدة تتعلـق بقضـية مـا، أثنـاء القراءة والتصـفح، من خـلال إبداء الملاحظات أو المشـاركة في استطلاعات الرأي، والحوارات مـع الآخريـن حـول مـا يقـرأ. وعمليـاً تقـول الأرقـام السـابقة إن الجمهور العربي اسـتخدم ثلاثـة أنـواع مـن التفاعل في الفضـاء الرقمي التفاعلـي، الأول هـو التفاعـل الملاحـي، الذي يتم من خلال التجوال أو الملاحة في صـفحات المواقع ومحتوياته المختلفة باسـتخدام أزرار الصفحة التالية، والعودة إلى البداية، أو تصفح من خلال القوائم والروابط النشـطة. ولعل أبرز دليل على ذلك هو أن القضايا الثلاث والخمسين التي تم رصدها ظهرت في قنوات النشر الثلاث، بين المدّونات والمنتديات والفيس بوك، بنسَبٍ ليس بينها تفاوت كبير.

وعلى الرغم من أن جمهور الفضاء الرقمي التفاعلي يتَّسم بقدر كبير من التشابك ويشترك في الكثـير من الصـفات والاهتمامـاًت، إلا أن هذا الجهور ظهر بأوجه عدة، تختلف باختلاف القضـية التي يختارها، أو بطبيعة سلوكه على قناة النشر التي ينشط ويتفاعل داخلها.

في هذا السـياق تقـدم المدوّنات الكثير من الدلائـل على حالـة الظهور بأكثر مـن وجه، أو

هناك مجموعة من القضايا تمثل قواسم مشتركة بين مختلف المجتمعات العربية، بغضّ النظر عن موقعها الجغرافي، في الخليج أم على المحيط، في الشمال أم الجنوب. ويؤكد ذلك أن الفضاء الرقمي يتمتع بدرجة عالية من الجدارة في تقديم صورة للوطن العربي واقعية، أو أقرب إلى الواقعية.

بأوجه غير متوقعة من جانب الجمهور؛ فقد لوحظ مثلا أن نمط توزيع القضايا يتغير من مركز لآخر، ومن فئة لأخرى، بصورة لافتة؛ فالقضايا الدينية ظهرت كأكبر قضية كتبت حولها تدوينات وخُصِّصت لها مدونات، لكنها ليست كذلك بالنسبة إلى كل فئات المدوّنين، فقد ظهرت كأولوية أولى لدى سبع فئات فقط من بين 18 فئة، وظهرت كأولوية ثانية لدى فئتين فقط، ثم أخذت تضمحل بعد ذلك لتتقدم عليها قضايا أخرى لدى فئات أخرى. ومعنى ذلك أن المدوّنين الذين يهتمون بالقضايا الدينية يتّسمون بغزارة الإنتاج والتركز داخل فئات أقل من المدوّنين، في حين أن المدوّنين الذين يهتمون بالقضايا الأخرى موزعون على عدد كبير من الفئات، وتدويناتهم أقل عدداً وحرصاً على مواصلة التدوين، وهو أمر ربما يعكس قدراً أكبر من التنظيم والمثابرة لدى من يهتمون بالقضايا الدينية، مقارنةً بنظرائهم الذين يهتمون بالقضايا الأخرى.

وتلعب ثقافة المعلومات وكيفية التعامل معها، عبر الإنترنت، دوراً مهماً في مستوى جودة البيانات المتاحة على المحتوى المنشور على الشبكة، كما تلعب الدور الحاسم في تحديد مناطق "الغموض والفراغ المعلوماتي" التي عادة ما تواجه فرق البحث التي تدرس وتحلّل المحتوى الرقمي على الشبكة.

وقد اتضح من التحليلات أن هناك الكثير من مناطق الغموض وفراغ المعلومات في الفضاء الرقمي التفاعلي العربي، وهي مناطق تضعنا أمام واقع غير صحي في ما يتعلق بثقافة المعلومات السائدة عبر الفضاء الرقمي التفاعلي العربي، وتدفع إلى القول إنها ثقافة إما قائمة على الخوف الذي يقود إلى الحجب، أو إلى الجهل وعدم الوعي الذي يقود إلى التجاهل وتدنّي مهارة التعامل كما يجب مع أدوات هذا الفضاء، أو على الأقل كما هو سائد لدى العديد من المجتمعات الأخرى.

وثقافة الخوف ناشئة عن ضغوط لها علاقة بالسياسة والأمن وغيرها من العوامل ذات العلاقة، التي تدفع الكثير من النشطاء والمستخدمين للتخفّي، خوفاً من الملاحقة، أو ناشئة عن ضغوط لها علاقة بالظروف الاجتماعية والدينية والعادات والتقاليد السائدة، والتي تلعب دوراً كبيراً في منع المستخدمين عن التخلّي عن حالة الغموض التي يختارونها طواعيةً لأنفسهم. كذلك لا يمكن نفي أن هناك شريحة من المستخدمين تعي جيداً قضية إتاحة البيانات على الإنترنت وتبعاتها على حماية الحق في الخصوصية، وتمارس هذا النوع من التخفي بناء على ما وعته من مخاطر وتهديدات تمس الخصوصية وأمن البيانات على الإنترنت.

من الملامح الجديرة بالرصد، داخل الفضاء الرقمي التفاعلي العربي، الملمحُ الخاص بوجود قدر من "التوافق الجغرافي" تجاه العديد من القضايا. بعبارة أخرى، هناك مجموعة من القضايا التي تمثل قواسم مشتركة بين مختلف المجتمعات العربية، بغضّ النظر عن موقعها الجغرافي في **الخليج** أو في **المحيط**، في **الشمال** أو **الجنوب**. ويؤكد ذلك أن الفضاء الرقمي يتمتع بدرجة عالية من الجدارة في تقديم صورة واقعية أو أقرب الى الواقعية في **الوطن العربي**.

وقد بدا هذا واضحاً في الاختيار الأول الذي كان شبه موحد، في معظم بلدان العالم العربي، داخل المدوَّنات تحت راية القضايا الدينية، فمن لم يختره في المركز الأول، وضعه في المركز الثاني، بفوارق بسيطة. وفي الفيس بوك برزت ظاهرة "التساوي" في درجة الاهتمام بهذه القضية بين الدول العربية المختلفة، وهذا الأمر يعكس حالة من التساوي أيضاً في مستوى التديُّن والعمق الروحي للمواطنين العرب في مختلف البلدان، كما يعكس أن الإيمان والتدين سمة عامة مترسخة بدرجة متساوية عند الغالبية العظمى من الشعوب العربية.



وأخيراً كشفت التحليلات أن الفضاء الرقمي التفاعلي العربي هو أقرب إلى البحيرة الهادئة الخالية من موجات المد والجزر الكبيرة طوال العام؛ فمعدل إمداد تلك البحيرة بالمحتوى يكاد يكون متوازناً طوال العام. وما يشهده من ارتفاعات وانخفاضات أقرب إلى ما تثيره الرياح الناعمة في صفحة الماء من موجات تكاد لا تلحظها العين المجردة، فإن لاحظتها ففي الحدود الآمنة التي لا تلفت الانتباه وتستدعي النظر، فمثلاً لو تمّ النظر إلى القضايا الخمس الأول على المنتديات، لتبيّن أن قضية السينما والأفلام والأغاني ظلت في المركز الأول طوال العام، كما ظلت قضية النصائح والإرشادات، وقضية الطب والصحة، في مركزَيْهما الثاني والثالث، طوال العام، أما الربع الثالث فقد تراجعت فيه النصائح والإرشادات الى المركز الثالث، والطب والصحة الى المركز الرابع، وقفزت فيه القضايا الدينية الى المركز الثاني.

المنهجية التي اتُّبعت لإعداد هذه الدراسة

الواقع أنّ للمحتوى العربي على الإنترنت تحدياً كبيراً لآليات السحب والإعداد والتحليل والتصنيف الآلي، لسببين أساسيَّين: الأول، هو الطبيعة الخاصة للغة العربية صرفاً ونحواً، وثانيهما هو سلوك المستخدم العربي للشبكة في إنتاج واستهلاك هذا المحتوى، وبخاصة في ما يتعلق بطريقة كتابة المحتوى والتعريف به ووضع البيانات التعريفية الخاصة بمنتج المحتوى، ومستوى التنظيم والالتزام بالقواعد المعيارية في التعريف بالمواقع والمدوّنات والمنتديات، حيث اتضّح من تحليل البيانات أن المستخدم العربي يميل إلى العشوائية في عرض البيانات التعريفية، أو الى عدم الاهتمام بها أصلاً، ونورد في آخر هذا الملف تفصيلاً للخطوات التي أتبعت في التعامل مع هذا المحتوى بالسحب والتحليل والتصنيف، مع بيان بعض الصعوبات والتحديات التي ظهرت من خلال التعامل المباشر مع هذا المحتوى[1] .

1 – راجع ص: ______ وما بعدها من هذا التقرير

مؤشّرات القضايا المثارة عبر الانترنت في العام 2010

كان أمام فريق البحث طريقان للوصول إلى أهم القضايا المثارة عبر الفضاء التفاعلي الرقمي العربي في العام 2010: الأول، أن يضع قائمة بكلمات مفتاحية محددة سلفاً تعّبر عن القضايا التي تتطّلب البحثَ عن مدى الاهتمام بها، أو عدم الاهتمام بها، ثم استخدام هذه القائمة في تصنيف المحتوى الموجود بالمدوّنات والمنتديات والفيس بوك. والثاني، أن يقوم بتحليل ومراجعة المحتوى القائم بالفعل ويستخرج منه أكثر القضايا شيوعاً وجذباً لمن يكتبون ويطرحون القضايا للنقاش أي "ينتجون المحتوى"، ولمن يتابعون ويعلّقون ويعبّرون عن إعجابهم ويشاركون في المناقشة، أي "من يستهلكون المحتوى" من الجمهور العام للشبكة وزوار المدوَّنات والمنتديات وصفحات الفيس بوك.

> في مجال اهتمام المدوَّنات العربية (بصفة عامة) بالشأن العام تأتي قضايا الأدب والثقافة وقضية فلسطين والقضايا الاقتصادية والاجتماعية في المقدمة بينما تأتي قضايا المذهبية والأقليات في مؤخرة الاهتمام.

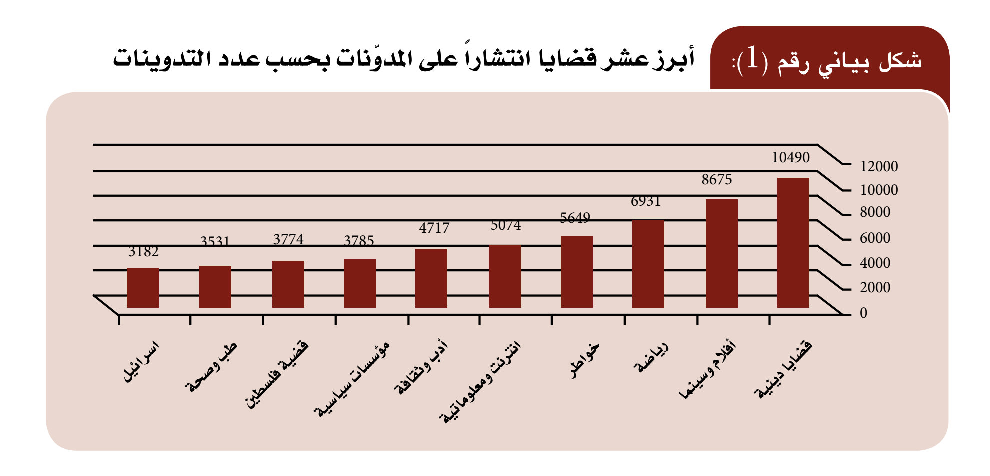
الأصعب بدلاً من الأسهل

كان الطريق الأول هو الأسهل والأقل جهداً سواء في تصنيف المحتوى أم في تحليله، ولكن الفريق اختار الطريق الثاني الأصعب والأشق والأكثر جهداً، لأنه أكثر دقّةً وصدقاً في التعبير عن الحالة "الفعلية الطبيعية" التي يوجد عليها المحتوى، وما يحمله من قضايا شغلت بال الشباب العربي والمواطن العربي بعامة في العام 2010.

في ضوء ذلك، تمّ تصنيف وتحليل المحتوى الذي قدّمته العيّنة المدروسة بطريقة آلية أولاً، ثم تمَّ استكمالها بالتدخل البشري في مرحلة لاحقة، وانتهت عمليات التصنيف إلى أن الفضاء التفاعلي الرقمي العربي انتشرت فيه وشاعت 53 قضية، شغلت بال العرب والشباب بخاصة، في العام 2010. وقد تم استخراج هذه القضايا آلياً، طبقاً لمستوى شيوعها داخل العيّنة المدروسة، وبالمسميات التي ظهرت بها، من دون تدخل فريق البحث، وجرى التوقف عند 53 قضية، لأن القضايا التالية كان معدل الاهتمام بها ضئيلاً للغاية ولا يبرر ضمَّها إلى التحليل.

يوضح **الجدول** "8" ترتيب القضايا المثارة، عبْرَ الفضاء الرقمي التفاعلي العربي، في العام 2010 (مدونات - منتديات - فيس بوك) طبقاً لموقع كل قضية في قنوات النشر الثلاث (أنظر الأشكال التالية من 1 إلى 6).

شكل بياني رقم (1): أبرز عشر قضايا انتشاراً على المدوّنات بحسب عدد التدوينات





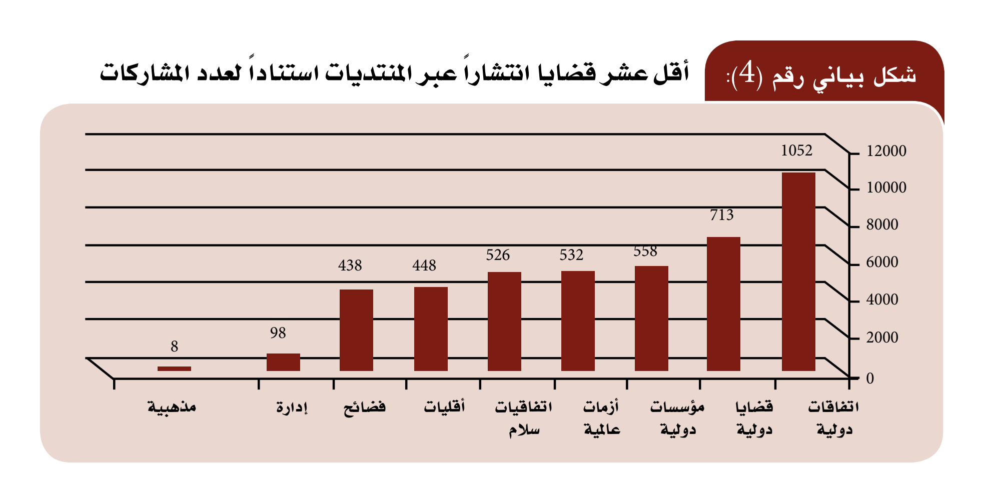
شكل بياني رقم (2): أقل عشر قضايا انتشاراً بالمدوّنات بحسب عدد التدوينات

اتفاقات سلام	فنانون وفنانات	قضايا دولية	فضائح	اتفاقات دولية	ملوك	أزمات عالمية	إدارة	أقليات	مذهبية
423	361	333	301	235	225	207	203	113	85

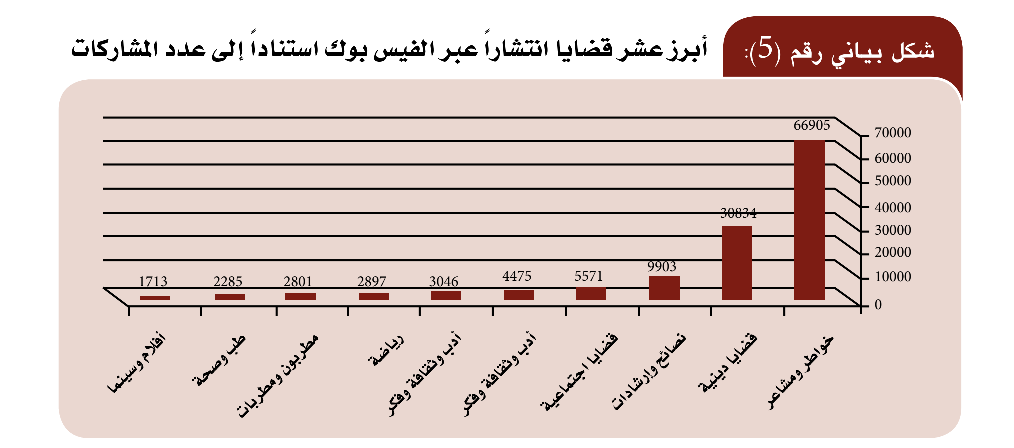
شكل بياني رقم (3): أبرز القضايا انتشاراً على المنتديات طبقاً لعدد المشاركات

أفلام وسينما وأغانٍ	نصائح وإرشادات	طب وصحة	قضايا دينية	إنترنت ومعلوماتية..	أدب وثقافة وفكر	خواطر	رياضة	تربية وتعليم	قضايا اجتماعية
10490	8675	6931	5649	5074	4717	3785	3774	3531	3182

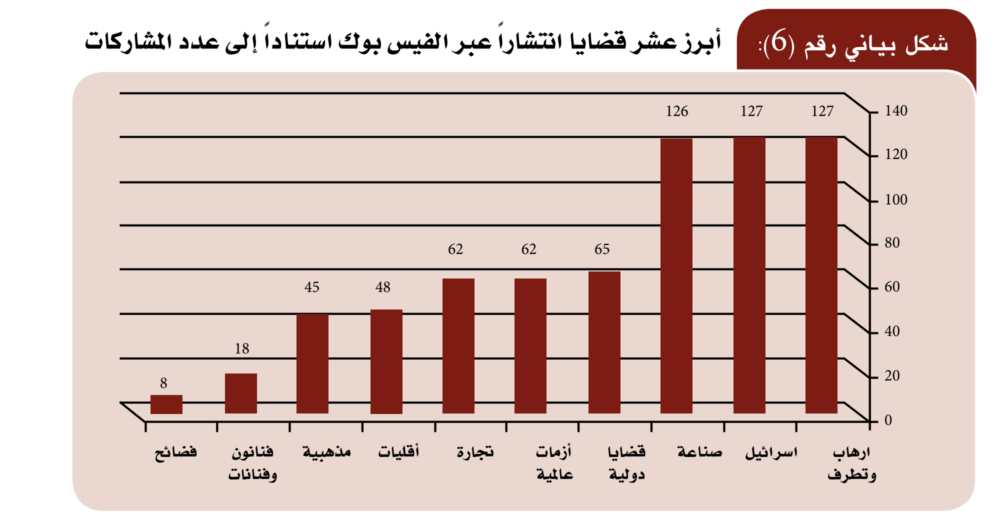
شكل بياني رقم (4): أقل عشر قضايا انتشاراً عبر المنتديات استناداً لعدد المشاركات



شكل بياني رقم (5): أبرز عشر قضايا انتشاراً عبر الفيس بوك استناداً إلى عدد المشاركات



شكل بياني رقم (6): أبرز عشر قضايا انتشاراً عبر الفيس بوك استناداً إلى عدد المشاركات



في مجال الشأن الخاص كان اهتمام المدوّنات العربية (عموماً) منصبّاً على القضايا الدينية والسينما والغناء والرياضة بينما تذيّل اهتمامها قضايا الفضائح والقضايا الفنية.

شأن عام وشأن خاص

اتضّح بعد تفحّص القائمة الموجودة في الجدول أن هذه القضايا سارت في مسارين رئيسيين، أحدهما يتعلق بقضايا "الشأن الخاص"، التي تدور في الفلك الضيق للشخص واهتماماته العائلية والعملية والاجتماعية، والآخر بقضايا "الشأن العام"، التي تدور في فلك المجتمع والوطن والهموم المشتركة قومياً وإنسانياً في آفاقها الرحبة الواسعة.

وتقدم الجداول "9 و10 و11" تحليلاً لأوضاع قضايا الشأن العام والشأن الخاص، في المدوّنات والمنتديات والفيس بوك، حيث يوضح كل جدول ترتيب كل قضية بالنسبة الى القضايا الأخرى في مسارها، وكذلك ترتيب كل قضية ضمن الترتيب العام للقضايا ككل داخل قناة النشر، كما يوضح كل جدول نصيب كل قضية من المواد والمحتوى المنشور في قناة النشر.

توضيحاً لذلك، يعرض **الجدول رقم** "10" مثلاً ترتيبَ قضية الثقافة والأدب والفكر في المركز الأول بين قضايا الشأن العام في المنتديات، والمركز السادس بين ترتيب القضايا ككل في المنتديات، كما يعرض نصيبها من المشاركات التي ظهرت على المنتديات، ويعرض الجدول نفسهُ ترتيب قضية الأفلام والسينما والأغاني، باعتبارها في المركز الأول بين قضايا الشأن الخاص، والمركز الأول بين ترتيب قضايا الفيس بوك ككل، كما يعرض نصيبَها من المشاركات.

الترفيه قبلة الباحثين

إذا قرأنا الجداول الثلاثة (11،10،9) قراءةً تحليلية فاحصة تبيَّن أن الشخص في قضايا الشأن الخاص، يبحث داخل الفضاء الرقمي التفاعلي عن الترفيه عبر الأفلام والمسلسلات وعن سبل أفضل لتسيير تفاصيل حياته اليومية عبْرَ النصائح والإرشادات، وعن الصحة الجسدية والنفسية عبْرَ قضايا الطب، وعن الغذاء الروحي عبْرَ القضايا الدينية، ثم إشباع النهم الاستهلاكي العصري عبر التعاطي مع قضايا التكنولوجيا والإنترنت ومهارات استخدامها.

التنفيس وظيفة أولى للفيس بوك

وفي هذا السياق نلاحظ مثلاً أن قضايا الشأن الخاص تسيطر سيطرة شبه مطلقة على اهتمامات الملايين التي تنشىء الصفحات والمجموعات على الفيس بوك، أو تتابع او تعجب أو تعلّق على ما يثار فيها من قضايا، فبحسب **الجدول** "11" تتصدّر المشهد قضية المشاركات والنقاشات والتعليقات المعبّرة عن الخواطر والمشاعر الإنسانية، والعلاقات الإنسانية، والخواطر المتنوعة على اختلاف صورها؛ أي أن الفيس بوك في المقام الأول بالنسبة إلى العرب هو فضاء للتنفيس عن مكنونات المستخدم وخواطره، أو هو محتوى زفرات كبرى من ملايين العرب عبر الفضاء الرقمي، تجسد آمالهم وإحباطاتهم وأحلامهم ونجاحاتهم وفشلهم في الحياة والعلاقات الاجتماعية والإنسانية. ويعزز هذه الفرضية أن القضية التالية بعد الخواطر هي القضايا الدينية التي تستحوذ على حوالى خمس المشاركات والتعليقات والمتابعات، وكأنه انتقال سريع من البحث عن فضاء للتنفيس عن الخواطر والمشاعر، إلى البحث عن غذاء الروح والعقيدة. وتزداد الحلقة إحكاماً حول الشأن الخاص، بالانتقال إلى القضايا المتعلقة بالنصائح والإرشادات والاستفسارات، والتي يتركز معظمها في الوصفات والمأكولات وشؤون المطبخ، إلى جانب مجالات حياتية أخرى. وهكذا تستوعب دائرة "الشأن الخاص" أكثر من ثلثي اهتمامات المستخدمين العرب على الفيس بوك، حيث يدور حوالى 70 % من المستخدمين يدور في فلك الخواطر والمشاعر وغذاء الروح الديني وغذاء البطن والجسد والحرفة أو المهارة المطلوبة للحياة (أنظر الشكلين التاليين: 7و8).

شكل بياني رقم (7): أوضاع أبرز عشر قضايا للشأن العام بالفيس بوك

القضية	عدد المشاركات	الترتيب العام بالفيس بوك	الترتيب بين الشأن العام
قضايا اجتماعية	5571	4	1
أدب وثقافة وفكر	4475	5	2
تربية وتعليم	1450	13	3
اقتصاد	1422	14	4
اعلام وحرية تعبير	1264	16	5
علوم	1157	17	6
قضايا سياسية	1143	18	7
أمن وجريمة	1065	19	8
تنمية	1057	20	9
مؤسسات سياسية	926	21	10

الفيس بوك في المقام الأول بالنسبة إلى العرب هو فضاء للتنفيس عن مكنونات المستخدم وخواطره، من ملايين العرب عبر الفضاء الرقمي، ويعزز هذه الفرضية أن القضية التالية بعد الخواطر هي القضايا الدينية التي تستحوذ على حوالى خمس المشاركات والتعليقات والمتابعات.

شكل بياني رقم (8): أوضاع أبرز عشر قضايا للشأن الخاص بالفيس بوك

خمسون قضية في دائرة ضيقة

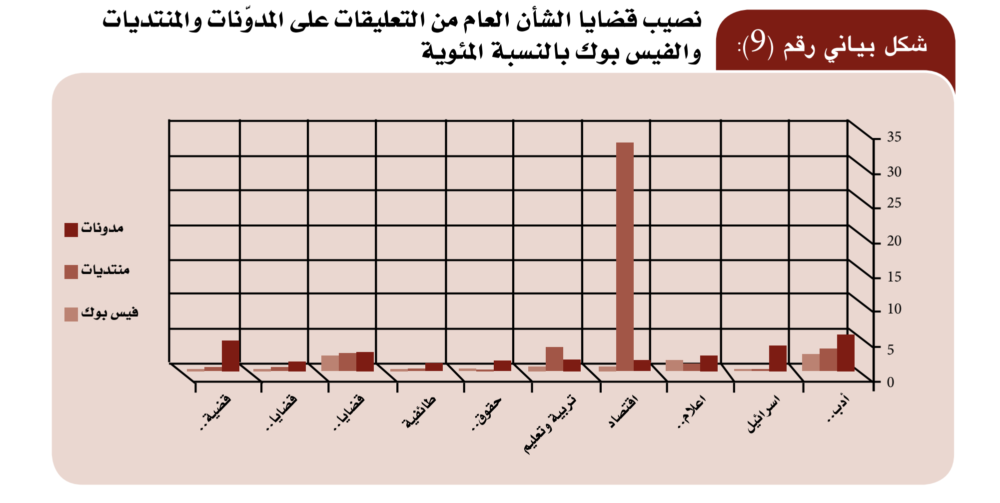
أما الدائرة الأصغر التي تشكّل ما يناهز ثلث اهتمامات المستخدمين للفيس بوك (30 % تحديداً) فينحشر بداخلها خمسون قضية، يختلط فيها الشأن العام مع الشأن الخاص، وإن كانت الغلبة فيها أيضاً لقضايا الشأن الخاص التي تتبوأ الكثير من المراكز المتقدمة في قائمة أكثر القضايا انتشاراً واهتماماً على الفيس بوك؛ فهناك الرياضة في المركز السادس، والمطربون والمطربات في المركز السابع، والإنترنت والمعلوماتية في المركز الثامن، والطب والصحة في المركز التاسع، والأفلام والسينما في المركز العاشر، والتلفزيون في المركز الحادي عشر.

من بين قضايا الشأن العام تظهر القضايا الاجتماعية وقضايا الثقافة والفكر في المركزين الرابع والخامس على التوالي في الفيس بوك، وبعد ذلك لا تظهر قضايا الشأن العام إلا متأخرةً، كالإعلام وحرية التعبير، والتربية، والتعليم، والعلوم، والمؤسّسات السياسية، وقضية فلسطين، وحقوق الإنسان، واتفاقيات السلام، والبيئة، والموارد، وغيرها. ولا يختلف الحال كثيراً في المدوّنات والمنتديات.

صورة من قريب لـ 20 قضية

ومن بين القائمة التي تشمل الـ 53 قضية اخترنا الاقتراب عن كَثَب، من عشرين قضية، عشرٌ منها في الشأن الخاص والعشر الآخر في

شكل بياني رقم (9): نصيب قضايا الشأن العام من التعليقات على المدوّنات والمنتديات والفيس بوك بالنسبة المئوية





المعلوماتية

شكل بياني رقم (10): نصيب قضايا الشأن الخاص من التعليقات على المدوّنات والمنتديات والفيس بوك بالنسبة المئوية

الشأن العام، لتكون عيِّنةً معبرةً عن مجمل أوضاع هذه القضايا في الفضاء الرقمي التفاعلي العربي، خلال العام 2010، وسيتم التركيز في استعراض هذه القضايا على محاور عدة هي في الوقت نفسه أساس اختيار العيّنة المصغّرة من بين كل القضايا التي تم استعراضها سابقاً. وهذه المحاور هي:

- حجم ما أُنتج حولها من محتوى ومشاركات.
- طبيعة رد الفعل الجماهيري تجاهها.
- نمط الاهتمام بها من قِبَل الذكور والإناث، أو الرجال والنساء.
- نمط الاهتمام بها طوال العام.
- خريطة انتشارها في الدول العربية.

وتقديرنا، أن هذه عَينة تمثل تمثيلاً جيداً ما شغل الفضاء الرقمي العربي من قضايا، لأنها من حيث حجم المحتوى المنتج وردّ الفعل الجماهيري تستحوذ على أكثر من 97 % من إجمالي قنوات العيِّنة التي خضعت للتحليل، وإجمالي المحتوى الذي نُشر من خلال هذه القنوات، فضلاً عن أن تجميع البيانات وإنتاجها بهذه الصورة العرضية العابرة للبلدان والشهور وقنوات النشر، يَتطلّب جهداً شاقاً للغاية في مرحلة تحليل البيانات، حيث كان من المحتم تتّبع القضية الواحدة في كل الجداول والأرقام الخاصة بقنوات النشر، ثم كل الجداول والأرقام الخاصة بالبلدان، ثم عبر معايير التحليل الأخرى، كالنوع ومعدل النشر الشهري، وهذه بيانات كانت موجودة على الإنترنت في صورة متفرقة مشتتة لا رابط بينها. وبالنظر إلى حجم العيِّنة الذي وصل إلى ما يناهز المليون مادة تحليل، يمكن أن يتَّضح مدى الصعوبة البالغة في تجميع البيانات على هذه الصورة، والوصول إلى خيط يتتبع أوضاع كل قضية في كل الاتجاهات، ثم تقديمها في صورة مركزة مترابطة.

قضية الأدب والثقافة والفكر

ناقش مجتمع المدوّنات والمنتديات والفيس بوك العربي حوالى 29 موضوعاً ثقافياً وفكرياً خلال العام 2010، وقد تمثلت هذه الموضوعات في أدب الطفل، والأساطير القديمة، والإبداع الأدبي والفنّي، والأدب المعاصر، والتراث الأدبي، والتراجم، والأعلام، وقضية الترجمة، والثقافة الجماهيرية، والحضارة الإنسانية، والحضارات الرومانية والفرعونية واليونانية، والشعر الأندلسي، والعواصم الثقافية، والفكر العربي، والفكر الغربي، وقضية القراءة، عبر الوطن العربي، والمذاهب الفلسفية، والمكتبات والنقد الأدبي، والنقد الفنّي، والهوية الثقافية، والكُتّاب والأدباء العرب، والكتب، والمعاجم، وقضايا اللغة، والمتاحف، والنشاطات الثقافية، والمؤتمرات، والهيئات والمراكز الثقافية.

تستوعب دائرة "الشأن الخاص" أكثر من ثلثي اهتمامات المستخدمين العرب على الفيس بوك، حيث نجد أن حوالي 70 % من المستخدمين يدورون في فلك الخواطر والمشاعر وغذاء الروح الديني وغذاء البطن والجسد والحرفة أو المهارة المطلوبة للحياة.

الدائرة الأصغر التي تشكل ما يناهز ثلث اهتمامات المستخدمين للفيس بوك (30 % تحديداً) ينحشر بداخلها خمسون قضية، يختلط فيها الشأن العام مع الشأن الخاص، وإن كانت الغلبة فيها لقضايا الشأن الخاص، فهناك قضايا الرياضة في المركز السادس، فضلاً عن قضايا المطربين والمطربات في المركز السابع.

أكثر المدوّنات العربية اهتماماً بقضايا الثقافة هي المدوّنات العمانية، تليها الإماراتية ثم البحرينية والفلسطينية والسورية، أما أقلُّها اهتماماً فهي المدوّنات العراقية واليمينة والمغربية والجزائرية والموريتانية، وتقع البلدان العربية الباقية في الوسط، ويختلف الأمر في حالة المنتديات، فالمنتديات السودانية، في مجتمع المنتديات العربي،هي الأكثر اهتماماً بقضايا الثقافة والفكر والأدب، تليها المنتديات اللبنانية ثم السعودية، أما أقلُّها اهتماماً فهي المنتديات الأردنية والمصرية والموريتانية.

نصيب متقارب من المشاركات والتعليقات

احتلت الموضوعات السابقة بعامّة مركزاً معقولاً بين جدول اهتمامات العرب في الفضاء الرقمي العام 2010، فمن حيث الترتيب العام حصلت على 3.9 % من إجمالي ما نُشِر من تدوينات على المدوَّنات العربية، وهي نسبة جعلتها سابعَ قضية، من حيث الانتشار عبر المدوّنات، كما حصلت على 5.3 % من المشاركات التي نُشِرت على المنتديات، وبذلك حصلت على المركزَ السابع بين القضايا التي نوقشت على المنتديات العربية، وحصلت على 2.89 % مما نُشِر عْبَر صفحات ومجموعات الفيس بوك، وهي نسبةٌ جعلتها تحتل المركز الخامس بين القضايا المثارة في مجتمع الفيس بوك العربي.

ومن حيث الطريقة التي تلقَّى بها جمهور الإنترنت هذه الموضوعات، اتَّضح أنها حظيت بنصيب متقارب من اهتمام الجمهور؛ ففي المدوّنات كان نصيبها 5.4 % من تعليقات الجمهور، وفي المنتديات كان نصيبها 3.2 %، وفي الفيس بوك كان نصيبها 2.54 %، لكن كان هناك اختلاف في ما يتعلق بالمعيار الخاص بنصيب كل مشاركة من التعليقات. فقد كان القبول الجماهيري للتعليق على القضايا الفكرية والثقافية متدنياً بوضوح في كل من المنتديات والفيس بوك، حيث بلغ نصيب المشاركة أو التدوينة الواحدة 2.4 و5.7 مرات تعليق على التوالي، في حين ارتفع الرقم إلى 27.4 مرة تعليق في المنتديات، مما يدل على أن الاحتفاء الجماهيري بالقضايا الثقافية كان أعلى بكثير في المنتديات منه في الفيس بوك والمدوّنات.

قبول أعلى لدى الذكور

وقد كان قبول الذكور للقضايا الثقافية عالياً في المدوّنات حيث شكّلت هذه القضايا رابع قضية يهتم بها الذكور في المدوّنات، لكن في المنتديات تراجعت إلى المركز الحادي عشر، وفي الفيس بوك احتلت المركز السادس والثلاثين. ولم تختلف الصورة كثيراً لدى الإناث، فقد تعادلن مع الذكور في اهتمامهنّ بالثقافة والفكر عبر المدوّنات، وتفوَّقْنَ عليهم في المنتديات وجعلنها في المركز الثالث. وفي الفيس بوك كان هناك تقاربٌ نسبيٌّ، حيث جعلت الإناثُ الثقافةَ في المركز التاسع والعشرين.

وعلى مدار العام تراوح الترتيب العام لقضايا الثقافة بين المركزين الرابع والسادس، سواء في المدوّنات أم في المنتديات أم في الفيس بوك، مما يدلّ على أن الشريحة المهتمة بالثقافة والفكر لا تهتم بالثقافة اهتماماً موسمياً أو متقلباً، من شهر لآخر، أو من فصل لآخر، بل تمنحها قدراً واضحاً من الولاء والاستقرار.

تفوّق عماني سوداني

أما خريطة التوزيع الجغرافي لقضايا الثقافة والفكر عبر البلدان العربية فتقول إن أكثر المدوّنات العربية اهتماماً" بقضايا الثقافة هي المدوّنات العمانية، تليها الإماراتية ثم البحرينية والفلسطينية والسورية. أما أقلها اهتماماً فهي المدوّنات العراقية واليمينة والمغربية والجزائرية والموريتانية. وتقع البلدان العربية الباقية في الوسط. وبالتقسيم الجغرافي يمكن القول إن مدونات الخليج العربي هي الاكثر اهتماماً بقضية الثقافة والفكر والأدب، بيمنا مدونات المغرب العربي هي الأقل اهتماماً بها.

ويختلف الأمر في حالة المنتديات، فالمنتديات السودانية هي، في مجتمع المنتديات العربي،الأكثر اهتماماً بقضايا الثقافة والفكر والأدب، تليها المنتديات اللبنانية ثم السعودية ثم السورية ثم البحرينية.أما أقُّلها اهتماماً فهي المنتديات الأردنية والمصرية والموريتانية والفلسطينية والتونسية.

ويقدم نمط الانتشار الجغرافي لقضايا الثقافة عبر الفيس بوك ساحةً أخرى للتفوق السوداني، فقد منحت الصفحات والمجموعات السودانية على الفيس بوك لهذه القضية المركز الثالث بين القضايا التي تهتم بها. وبعدها تأتي **اليمن** ثم **الكويت** ثم **السعودية فلبنان**، بينما تأتي القضية في مراكز متأخرة لدى صفحات ومجموعات الفيس بوك الجزائرية والتونسية والقطرية والموريتانية. وأخيراً الصفحات والمجموعات العراقية التي تحتل فيها الثقافة المركز 46 بين سائر القضايا الأخرى.

وتكشف هذه الأرقام أن قضية الثقافة والفكر والأدب هي قضية مدونات بالدرجة الأولى، وليس قضية منتديات أو فيس بوك. وهذه نتيجة أقرب إلى المنطق والتوقع، لأن القضايا الفكرية والثقافية تحتاج بطبيعتها إلى تمهُّلٍ ورويَّة وَقدْرٍ من الصبر لمتابعتها وفهمها والمشاركة في النقاش الدائر حولها. وهذا يناسب المدوّنات كقالب نشر طويل النفس، أكثر مما يناسب المنتديات ذات "السرعة المتوسطة" في الأخذ والرد والكتابة والتعليق، وأكثر مما يناسب الفيس بوك ذا "السرعة الأعلى" في العرض والتناول والمناقشة.

قضية إسرائيل

تناول العرب **قضية إسرائيل** عبر المدوّنات والمنتديات والفيس بوك العربي من سبع زوايا رئيسة، هي:

- الإعلام الإسرائيلي وما ينشره من قضايا وأخبار،
- جهاز المخابرات الإسرائيلي الموساد وأنشطته،
- الجيش الإسرائيلي وتسليحه وقوته وممارساته ضد الفلسطينيين واللبنانيين،
- قضايا الداخل الإسرائيلي،
- السلوك العدواني الإسرائيلي ضد الفلسطينيين والعرب،
- العلاقات الإسرائيلية مع العرب وغير العرب،
- تصريحات قادة إسرائيل ومواقفهم.

ترتيب متأخر للغاية

ومن حيث الترتيب العام داخل قائمة أولويات المستخدمين العرب، احتلت قضية إسرائيل وتفريعاتها السبعة مرتبةً متأخرة في المنتديات (المرتبة الثانية والأربعين) كما في الفيس بوك (المرتبة الخامسة والأربعين)، بنصيب من المشاركات على المنتديات بلغ 0.2 % ومن المشاركات على الفيس بوك 0.08 %، وهي نسب ضئيلة للغاية، وقد كان الحال أفضل في المدوّنات حيث كان ترتيبها العام في المركز الحادي عشر ونصيبها 2.6 % من التدوينات التي ظهرت في المدوّنات العربية.

جمهور لا يكترث

لم تتوقف ضآلة الاهتمام بقضية **إسرائيل** عند حجم ما ينتج حولها من مشاركات، بل امتدت إلى مستوى الاهتمام بها من قبل الجمهور، فعلى الفيس بوك والمنتديات كانت نسبتها من عدد التعليقات تكاد لا تُذكر، إذ تدنَّت كثيراً عن نصف في المائة. وفي المدوّنات كانت الحال أفضل قليلاً ووصلت التعليقات إلى 3.8 %. واستمر هذا التدني فشملت اللامبالاة الجماهيرية نصيب كل مشاركة أو تدوينة من مرات التعليق، حيث كانت جميعها ضئيلة ومحبطة، ولم تتعدَّ 2.5 مرة تعليق في المدوّنات و11 **مرة** تعليق في المنتديات و1.5 مرة تعليق في الفيس بوك.

وفي المدوّنات كانت الموضوعات المتعلقة **بإسرائيل** في المركز الثامن من حيث تفضيلات الذكور، لكن في المنتديات تقهقرت إلى المركز الثامن والأربعين، وفي الفيس بوك احتلت المركز السابع والأربعين، فيما ظهر بعض الاختلاف الطفيف لدى الإناث، حيث ظهرت **إسرائيل** وقضاياها في المركز

العاشر لدى الإناث في المدوّنات، وفي المركز الحادي والأربعين لدى الإناث في المنتديات، وفي المركز الثامن والعشرين لدى الفيس بوك. وتكشف أنماط التفضيل لدى النوعين أن الإناث العرب على المنتديات والفيس بوك أكثر اهتماماً من الذكور بقضايا **إسرائيل**.

وعبر شهور السنة المختلفة تقلبت قضايا **إسرائيل** بين المركزين العاشر والثاني عشر على المدوّنات، وبين المركزين الأربعين والحادي والأربعين على المنتديات، وبين المركزين الثامن والثلاثين والخامس والأربعين على **الفيس بوك**.

عراقيون ولبنانيون أكثر اهتماماً بإسرائيل

من حيث نمط الانتشار الجغرافي، أظهرت المدوّنات العراقية أنها الأكثر اهتماماً بالقضايا الإسرائيلية، مقارنة بالمدوّنات العربية الأخرى، حيث جاءت **إسرائيل** في المركز الثالث بين القضايا التي تُثار على المدوّنات العراقية، تليها المدوّنات السودانية ثم المغربية ثم المدوّنون العرب المقيمون خارج **الوطن العربي**، والمدوّنات الفلسطينية. أما المدوّنات الأقل اهتماماً **بإسرائيل** فكانت المدوّنات البحرينية والجزائرية والموريتانية والسورية والسعودية.

في المنتديات، تصدرت القائمةَ المنتدياتُ اللبنانية، واحتلت المركز الأول بين المنتديات العربية الأكثر اهتماماً **بإسرائيل**، تلتها المنتديات الفلسطينية، ثم منتديات المقيمين في الخارج، ثم المنتديات الليبية فاليمنية، أما المنتديات الأقل اهتماماً فكانت المنتديات العراقية والأردنية والإماراتية والكويتية والعمانية، التي كانت أقل المنتديات العربية اهتماماً **بإسرائيل**. وفي الفيس بوك كان نمط الانتشار الجغرافي مختلفاً اختلافاً واضحاً، حيث تصدرت الصفحات والمجموعات المصرية المشهدَ، وكانت الأكثر اهتماماً **بإسرائيل**، تليها الصفحات والمجموعات السعودية ثم الفلسطينية فالعراقية فالإماراتية. وفي قائمة الأقل اهتماماً جاءت الصفحات والمجموعات البحرينية والسورية والعمانية والمغربية والتونسية.

أظهرت المدوّنات العراقية أنها الأكثر اهتماماً بالقضايا الإسرائيلية مقارنة بالمدوّنات العربية الأخرى، حيث جاءت إسرائيل في المركز الثالث بين القضايا المثارة على المدوّنات العراقية، تليها المدوّنات السودانية ثم المغربية، أما المدوّنات الأقل اهتماماً بإسرائيل فكانت المدوّنات البحرينية والجزائرية والموريتانية والسورية والسعودية.

وفي المنتديات، تصدرت المنتديات اللبنانية القائمة واحتلت المركز الأول بين المنتديات العربية الأكثر اهتماماً بإسرائيل، تلتها المنتديات الفلسطينية.

إسرائيل قضية مدونات

تتشابه قضية **إسرائيل** مع قضية الثقافة والأدب في كونها قضية مدونات، وليست قضية منتديات أو فيس بوك، سواء من زاوية مستوى إنتاج المشاركات أم من زاوية المحتوى المتعلق بالقضية أو مستوى القبول الجماهيري والانجذاب إلى ما كتب ونشر، أم من زاوية الاهتمام بها عبر شهور السنة المختلفة؛ ففي كل هذه الزوايا ظل مجتمع المدوّنات هو الأعلى إنتاجاً والاكثر جذباً للجماهير طوال العام، فيما قدمت المنتديات والفيس بوك سلوكاً معاكساً مفادُه عدم الاهتمام بالقضية طوال العام.

وقد كانت هناك بعض اللمحات الأخرى في التوزيع الجغرافي، منها عدمُ بروزِ دورٍ واضح وكاسح للمدونات والمنتديات والصفحات الفلسطينية والسورية واللبنانية، وهو أمر يعود في الأغلب إلى أوضاع البنى التحتية الضعيفة في هذه البلدان مقارنةً ببلدان عربية أخرى، فضلاً عن الصعوبات التي تكتنف حرية التعبير، أو التركيز على الشأن الداخلي، كما هو الحال في **لبنان**. وفي **الخليج** يبرز الفيس بوك كمجال للحركة والتعبير عن هذه القضية بصورة أوضح من قنوات النشر الأخرى، مثلما هو الحال مع **السعودية**.

قضية الإعلام وحرية التعبير

توزع الاهتمام بقضية الإعلام وحرية التعبير على تسعة موضوعات هي الصحافة الحكومية، والصحافة الخاصة والمستقلة، والصحف الإلكترونية، ومدى تأثّرها بحرية التعبير ومنافستها للصحف الورقية، وتحديات حرية التعبير والقيود المفروضة عليها، سواء القانونية أم الأمنية، وحرية الصحافة والدعاية والإعلان وعلاقتها بالصحافة وحرية التعبير ومصداقية الصحف، والقضايا الإعلامية، والمتابعة الإخبارية ومستوياتها وموضوعيتها داخل وسائل الإعلام المختلفة.

وفي ضوء البيانات التي كشف عنها التحليل، يمكن القول إن هذه القضية حظيت بأهمية تتراوح بين المتوسطة والضعيفة، فقد احتلت المركز الخامس عشر بالمدوّنات وكان نصيبها 2.3 % من إجمالي المدوّنات التي نشرت، وحققت المركز الخامس والعشرين بالمنتديات بنصيب 1.3 % من المشاركات التي أُنتِجت على المنتديات، والمركز السادس عشر في الفيس بوك بنصيب 0.81 % من المشاركات.

الحرية ليست قضية جماهيرية

ولم يختلف ردُّ فعل الجمهور كثيراً تجاه هذه القضية، فقد كان نصيبها 2.4 % من إجمالي التعليقات على المدوّنات و0.9 % من التعليقات على المنتديات، و1.6 % من التعليقات على الفيس بوك، وبلغ نصيب المشاركة الواحدة من مرات التعليق 1.8 مرة تعليق في المدوّنات، و34 في المنتديات، و12.8 في الفيس بوك. وتدلُّ هذه الأرقام على أن حرية التعبير ليست قضية جماهيرية من حيث ما ينتج حولها من محتوى ومشاركات وتدوينات. لكن هذا القدر الضئيل من المحتوى المنتَج حقَّقَ تقدُّماً طفيفاً في مستوى التفاعل وجذب الجمهور لم نجده في قضية **إسرائيل** والثقافة مثلاً، فمستوى مرات التعليق حولها يتجاوز ما تحقق في القضيتين السابقتين، ومن ثم فإن تدوينات حرية التعبير تحقق لها "مريدون" أكثر نشاطاً وحرصاً على المتابعة.

وقد وضع الذكور هذه القضية في المركز الرابع والعشرين داخل المدوّنات، والمركز العشرين في المنتديات والسابع عشر في الفيس بوك، بينما كانت تفضيلات النساء مختلفةً اختلافاً بسيطاً، ففي المدَّونات وضعنها في المركز الخامس والعشرين، وفي المنتديات والفيس بوك جاءت في المركز العشرين لكل منهما. ويشير هذا التقسيم إلى أن قضايا الإعلام وحرية التعبير تشغل حيزاً يكاد يكون متساوياً لدى المرأة والرجل في المدوّنات والمنتديات وصفحات الفيس بوك العربية.

ومن الواضح أن الأحداث التي شهدها **الوطن العربي** طوال شهور العام 2010 لم تترك تأثيراً مهماً على مستوى الاهتمام بقضايا الإعلام وحرية التعبير، داخل المدوّنات؛ فقد تراوحت هذه القضية بين المركزين الثالث عشر والرابع عشر طوال شهور العام، بينما كان الوضع مختلفاً بدرجة طفيفة في المنتديات، حيث تراوحت بين المركزين الثاني والعشرين والخامس والعشرين، ثم كان أكثر تذبذباً في الفيس بوك حيث تراوحت بين المركزين الخامس عشر والتاسع عشر.

ثمة عزوف ملحوظ لدى الشباب عن التواصل مع المؤسّسات المعنيّة باللغة العربية بنسبة تصل إلى 71.9 % من إجمالي المستطلع رأيهم. فهل تقع المسؤولية على الشباب وحدهم أو على المؤسسات العربية المعنية؟

مدونات سورية في المقدمة

وقد سجَّلت المدوّنات السورية حضوراً مميزاً في ما يتعلق بمستوى الاهتمام بقضايا حرية التعبير، حيث جاءت هذه القضية في المركز الأول بالنسبة إلى المدوّنات السورية، تليها المدوَّنات الفلسطينية ثم السودانية ثم اللبنانية ثم السعودية. وفي المقابل كانت أقلَّ المدوّنات العربية اهتماماً بحرية التعبير هي المدوّنات البحرينية والعراقية والإماراتية والأردنية والجزائرية.

وفي المنتديات، تقفز **تونس** إلى الواجهة، وتمنح منتدياتها قضية حرية التعبير المرتبةَ الأولى، تليها منتديات **فلسطين** ثم **الجزائر والسودان والسعودية**. أما المنتديات الأقلُّ اهتماماً فكانت المنتديات الكويتية والسورية والإماراتية واللبنانية والعراقية، وفي الفيس بوك تكرر صفحات الفيس بوك المصرية ما فعلته في قضية **إسرائيل**، وتمنح قضايا حرية التعبير المركَز الأول، تليها **السعودية**

المعلوماتية

وفلسطين والأردن، فضلاً عن المقيمين خارج **الوطن العربي**.

وهكذا تتّسم قضية حرية التعبير بكونها ليست قضية مدونات بالدرجة الأولى، كما هو الحال مع قضايا أخرى، بل قضية يتوزّع نشاطُها المتوسط أو الضعيف على الفيس بوك والمنتديات، ولا يتركز بصورة أساسية في المدوّنات؛ ولعل ذلك يعود إلى أن الأجيال المستخدمة للمنتديات والفيس بوك التي تتركز في معظم الأحوال، في الفئات العمرية الأقل سناً وتعليماً، تجذبها هذه القضية وتجعلها تشارك في مناقشاتها وتعلّق على مجرياتها بصورة أكبر مما يحدث في قضايا الفكر والثقافة.

قضية الاقتصاد

تفرّعت قضية الاقتصاد عبر المدوّنات والمنتديات والفيس بوك إلى 25 **موضوعاً**، هي أسعار السلع والمنتجات والخدمات، وأسعار الذهب والعملات، والموضوعات الاقتصادية العامة، والإصلاح الاقتصادي والإفلاس، والانفتاح الاقتصادي، والبنوك والبورصة، والتأمين، والتسعيرة الجبرية، والتسويق، والحد الأدنى للأجور، والدين العام، والضرائب العقارية، والمال العام، والنمو الاقتصادي، وبطاقات الائتمان، والتمويل، والاستثمار، ودراسات الجدوى، ورجال الاعمال، وسوق العمل، وعقود العمل، والغرف التجارية، ومصادر الدخل والشركات.

وقد حققت هذه الموضوعات مجتمعةً مكانةً أفضلَ من قضية حرية التعبير، من حيث الترتيب العام لمستوى الاهتمام؛ ففي المدوّنات حقّقت المركز الثاني عشر بنصيب 2.6 % من إجمالي التدوينات؛ وفي المنتديات، حقّقت المركزَ الحادي عشر بنصيب 3.5 % من إجمالي المشاركات ؛ وفي الفيس بوك، حققت المركز الرابع عشر بنصيب 0.9 % من المشاركات. وفي المقابل حصلت على تعليقات قدرُها 1.6 % من إجمالي التعليقات على التدوينات، و32.7 % من التعليقات على المنتديات، و0.69 % من التعليقات على الفيس بوك، فيما بلغ نصيب المشاركة من مرات التعليق 1.1 % مرة تعليق بالمدوّنات و415 مرة تعليق بالمنتديات، و4.89 مرات في الفيس بوك.

وقد أظهرت التحليلات أن الذكور في المدوّنات يضعون الاقتصاد في المرتبة الرابعة عشرة، لكن في المنتديات يجعلونها القضية رقم واحد بالنسبة إليهم، وفي الفيس بوك يهملونها إلى حد كبير ويضعونها في المركز **رقم** 44. أما النساء، فالأمر مختلف لديهنّ، ففي المدوّنات تتقدم القضية إلى المركز التاسع، وتتراجع لديهن في المنتديات إلى السابع عشر، ثم إلى السادس والأربعين في الفيس بوك.

اهتمام شبه مستقر

ومنذ يناير كانون الثاني وحتى سبتمبر أيلول كان الاهتمام بقضايا الاقتصاد على المنتديات شبه مستقر وبلا تغيير، لكن في الأشهر الثلاثة الأخيرة من العام 2010 تغيَّر الوضع وتقدَّمت قضايا الاقتصاد إلى الأمام قليلاً عبر المدوَّنات، وأصبحت في المركز التاسع. أما في المنتديات، فكانت مستقرةً نسبياً، وتراوحت بين المركزين العاشر والثاني عشر. وفي الفيس بوك، بدا الاهتمام بها، في بداية العام، باهتاً ووضعها في المركز الثامن عشر. لكن، في الربع الأخير من العام، تقدَّم الاهتمامُ بها وارتفع ليضَعَها في المركز الرابع عشر.

ومن حيث الانتشار الجغرافي للاقتصاد وقضاياه سجَّلت المدوّنات السودانية واليمنية والتونسية مستوياتٍ متساويةً، وظهر بها الاقتصاد في المركزٍ الثامن، تلتها المدوّنات الجزائرية ثم المصرية ثم الإماراتية فالقطرية، أما المدوّنات الأقلّ اهتماماً فكانت الموريتانية والعمانية والليبية والعراقية والسورية.

اختلف الأمر في المنتديات، وجاءت المنتديات الإماراتية في مقدمة من يهتم بالاقتصاد، حيث وضعته في المرتبة الأولى من اهتماماتها، وتلتها المنتديات الأردنية فالقطرية ثم الجزائرية ثم البحرينية. أما المنتديات الأقل اهتماماً فكانت التونسية والليبية والعراقية واللبنانية والسورية. وفي الفيس بوك عادت الصفحات والمجموعات المصرية والسعودية للواجهة، فاحتلّتا المركزين الأول والثاني من حيث الاهتمام بالاقتصاد، كما هو الحال في قضايا سابقة، يليهما العرب المقيمون خارج **الوطن العربي والسودان والإمارات**.

أداء لافت بالمنتديات

وبهذه الصورة تحقِّق قضايا الاقتصاد أداءً لافتاً للنظر على المنتديات بالذات، بما يجعلها قضية "منتديات" أكثر منها قضية مدونات أو صفحات فيس بوك؛ فعلى الرغم من ضآلة عدد المشاركات التي كُتِبت حولها، فإن الإقبال الجماهيري عليها قدَّمَ مستوىً أكثر من جيد، سواءً من حيث نصيبها من إجمالي التعليقات، أم من حيث نصيب المشاركة الواحدة من مرات التعليق. ويكفي أن نتصور أن المشاركة الواحدة كانت تجذب أكثر من 400 **تعليق في** المتوسط، وهو ما يدل على أن قضايا الاقتصاد مقبولة وجاذبة إلى حد كبير على المنتديات، وأن الجمهور على استعداد للتفاعل والتواصل مع ما يكتب. أما على المدوّنات والفيس بوك، فأداؤها يبدو نمطياً شبيهاً بما رأيناه في قضايا حرية التعبير **وإسرائيل**.

وحققت قضايا الاقتصاد سمةً أخرى، وهي أنها تمثل مساراً رأسياً في الانتشار والجماهيرية على الإنترنت. ويتضح ذلك من أنه في مقابل ضآلة ما يُنتج أو يُنشر حولها من محتوى، إلا أن هذا المحتوى القليل كان من الثراء بحيث أفرز أو استوعب 29 موضوعاً فرعياً، في دلالة على أن الجمهور القليل نسبياً، والذي يتناول قضايا الاقتصاد، يغوص فيها رأسياً ويقسِّمها لما هو أصغر. وجغرافياً، يلاحَظُ بروزُ **السودان والإمارات** بشكل واضح سواءً في إنتاج المحتوى أم في قدرته على جذب الجمهور.

قضية التربية والتعليم

ناقش العرب في هذه القضية سلسلةً مكونةً من 21 **موضوعاً** تضمنت الأساليب الحديثة في التربية، والأمية، والبحث العلمي، والتربية الحديثة، والتعليم الأساسي، والتربية الدينية، والتعليم الثانوي، والتعليم الجامعي، والتعليم الخاص، والثانوية العامة، والدرجات العلمية، والشهادات المعادلة، والمناهج الدراسية، وتعليم اللغات الاجنبية، ورياض الأطفال، والمنح التعليمية، والقيادات الجامعية، وكادر المعلمين، كما تضمَّنت المناقشاتُ بعض المؤسّسات التربوية والبحثية مثل أكاديمية البحث العلمي والمجلس الأعلى للجامعات والمركز القومي للبحوث في **مصر**.

على صعيد الاهتمام العام، كانت القضايا التعليمية السابقة هي الثالثة عشرة في ترتيب القضايا لدى المدوِّنين، بعدما حازت على 2.5 % من التدوينات، والمركز التاسع في المنتديات بعدما حصلت على 3.9 % من المشاركات. والمركز الثالث عشر في صفحات ومجموعات الفيس بوك إثر حصولها على 0.93 % من المشاركات، ومن ناحية الإقبال الجماهيري، كان نصيبُها من إجمالي تعليقات جمهور المدوّنات 1.9 %، ومن تعليقات جمهور المنتديات 3.5 %، ومن تعليقات جمهور صفحات الفيس بوك 0.76 %. أما متوسط نصيب المشاركة أو التدوينة الواحدة من مرات التعليق فكان 1.3 مرة تعليق في المدوّنات، و40 مرة تعليق في المنتديات، و 5.28 مرات تعليق في الفيس بوك. وهذه الأرقام تضع قضايا التعليم ضمن فئة القضايا القليلة الاهتمام، سواء من جانب من ينتجون أم يكتبون المحتوى أم من جانب الجمهور الذي يتابعه ويتفاعل معه.

التعليم التاسع عشر لدى الذكور

وقد وضع الذكور قضايا التعليم في المركز التاسع عشر داخل المدوّنات والرابع في المنتديات والتاسع والثلاثين في الفيس بوك، ولم يختلف الأمرُ كثيراً لدى الإناث، حيث جاءت في المركز الثامن عشر في المدوّنات، والعاشر في المنتديات، والخامس والثلاثين في الفيس بوك.

وقد سجلت الاحصاءات بعض التفاوت في مستوى الاهتمام بقضية التعليم في فترات العام المختلفة في المدوّنات، حيث وصل هذا الاهتمام إلى مستوى وضع القضية في المركز الثاني عشر في الأشهر الثلاثة الأول من العام، ثم تراجع الاهتمام قليلاً ليصبح في المركز الرابع عشر في الأشهر الثلاثة التالية، ثم تقدم ليصل إلى أقصى مستوى له في الربع الثالث، أي في موسم العودة للمدارس ليصبح في المركز الحادي عشر، ثم يهبط لأدنى مستوى في الشهور الثلاثة الأخيرة من العام، قبيل منتصف العام الدراسي، لتصبح القضية في المركز السابع عشر. وكان الوضع قريباً من ذلك في الفيس بوك، حيث بدأت من المركز الثاني عشر في بداية العام، ثم تراجعت في الأشهر الثلاثة التالية، إلى المركز الرابع عشر. وفي موسم العودة الى المدارس قفزت إلى المركز الحادي عشر، مثلما هو الحال في المدوّنات، ثم تراجعت في نهاية العام إلى المركز الخامس عشر. أما في المنتديات، فالتربية والتعليم قضية بارزة، وتحجز لنفسها مكاناً ثابتاً ضمن القضايا العشر الأكثر أهمية وتظل طوال العام في المركز التاسع.

قطر أكثر اهتماماً بالتعليم

وفي هذه القضية تتقدم المدوّنات القطرية لتحتل المركز الأول بين **البلدان العربية** من حيث الاهتمام والانشغال بقضية التربية والتعليم، حيث احتلت هذه القضية المركز الرابع في قائمة اهتمامات المدوّنين القطريين، وهو أعلى مركز تحققه في **الوطن العربي**؛ تليها المدوّنات التونسية ثم المغربية والعمانية والموريتانية. أما المدوَّنات الأقل اهتماماً بالتعليم فكانت الكويتية والإماراتية والعراقية ومدوّنات العرب المقيمين في الخارج والمدوّنات السورية.

وفي المنتديات، سجَّلت قضيةُ التربية والتعليم حضوراً مميزاً ومتساوياً لدى المنتديات البحرينية والأردنية والكويتية والسورية، حيث احتلَّت فيها المركزَ الأول، كما حققت مركزاً متساوياً لدى كل من منتديات **الإمارات وعمان وفلسطين**، وسجَّلت فيها المركز الثاني، وبعد ذلك جاءت منتديات **الجزائر والمغرب وقطر**. أمَّا أقل المنتديات اهتماماً بالتعليم، فكانت منتديات العرب المقيمين في الخارج، والمنتديات العراقية واليمنية والسودانية واللبنانية.

وعلى **الفيس بوك** سجَّلت قضية التعليم أرفع مستوى من الاهتمام لدى الصفحات والمجموعات اليمنية، تليها الإماراتية والليبية والسعودية والمغربية. أما الصفحات والمجموعات الأقل اهتماماً فكانت الصفحات المصرية والسودانية والجزائرية وصفحات العرب المقيمين في الخارج والصفحات الليبية.

وهكذا تشير أوضاع قضية التعليم إلى أنها ضعيفة الاهتمام بعامة، لكن اللافت للنظر أن الشريحة الصغيرة المهتمة بها تبدو نشطة وحيَّة على المنتديات بالذات. ويتضح ذلك من التفريعات الكثيرة التي تمضي فيها مسارات المناقشة في القضية والتي وصلت إلى 21 مساراً. وكذلك مستوى الجماهيرية الذي وصل إلى المرتبة الأولى والثانية في **ستة بلدان**. أما في المدوّنات والفيس بوك فأوضاعها صعبة، كما أنها من القضايا الموسمية التي يتفاوت الاهتمام بها، عبر شهور السنة المختلفة. وتزداد درجة الإلحاح عليها والانجذاب لها مع موسم العودة إلى المدارس، الأمر الذي يدفع إلى القول بأن اهتمامات الفضاء الرقمي العربي بهذه القضية لا يتناسب مع أهميتها البالغة لحاضر التنمية الإنسانية والبشرية في الوطن العربي ومستقبلها.

قضية حقوق الإنسان

من أولى الحقائق الصادمة في تعامل الفضاء الرقمي العربي مع قضايا حقوق الإنسان أن المستخدم العربي لا يبحث إلا في أربعة مسارات فقط متعلقة بهذه القضية؛ ممَّا يدل على أنها قضية تحظى بمتابعة هامشية. وهذه المسارات هي الوثائق الخاصة بحقوق الإنسان، وتحديد حقوق الإنسان كما وردت في هذه الوثائق، ثم القضايا والحالات التي تمثل انتهاكاً لحقوق الإنسان في **الوطن العربي**، ومؤسسات حقوق الإنسان في **الوطن العربي** أو في العالم.

صدمة التدني بالمدوّنات

بعد هذه الصدمة تأتي صدمةٌ أخرى، وهي المكانة المتدنية لهذه القضية في قائمة الأولويات؛ فهي لدى المدوّنين في المرتبة الثامنة والعشرين، بنصيب 1.2 % من إجمالي التدوينات؛ ولدى المنتديات في المرتبة الثامنة والثلاثين، بنصيب 0.3 % من إجمالي المشاركات؛ ولدى الفيس بوك في المرتبة الخامسة والعشرين، بنصيب 0.53 % من إجمالي المشاركات. ولم يكن الوضع أفضل حالاً لدى الجمهور، فنصيبها من التعليقات كان 1.6 % من إجمالي التعليقات على المدوَّنات وأقلّ من نصف في المائة على المنتديات والفيس بوك، ونصيب المشاركة أو التدوينة الواحدة من مرات التعليق كان 2.4 مرة تعليق في المدوّنات، و14.7 مرة تعليق في المنتديات، و3.6 مرّات تعليق في المنتديات، وجميعها أرقام هزيلة لا تتناسب على الإطلاق مع طبيعة القضية أو النشاط على الإنترنت.

ويمتد الأمر إلى وضعية القضية لدى كل من الإناث والذكور، فقد مثلت قضية حقوق الإنسان القضية الثالثة والعشرين في قائمة أولويات الذكور بالمدوّنات، والتاسعة عشرة لدى المنتديات، والرابعة والعشرين في صفحات ومجموعات الفيس بوك. أما الإناث فكانت لديهن في المرتبة السادسة والعشرين في المدوّنات والسابعة والثلاثين في المنتديات والثانية عشرة في **الفيس بوك**.

وبالنسبة إلى توزيع الاهتمام عبر شهور السنة، احتلت قضية حقوق الانسان المرتبة السابعة والعشرين في المدوّنات في الشهور الثلاثة الأولى، والثامنة والعشرين في الشهور الثلاثة التي تليها، والسابعة والعشرين في بداية النصف الثاني من العام، ثم قفزت إلى المركز الخامس في الشهور الاخيرة. أما في المنتديات فظلت في المركز الثامن والثلاثين طوال العام، وفي الفيس بوك كانت في المركز التاسع والعشرين في بداية العام، ثم تقدمت إلى المركز الحادي والعشرين، في نهايته.

وفي ما يتعلق بمستوى الاهتمام على المستوى الجغرافي بكل بلد على حدة، سجَّلت المدوَّنات القطرية أعلى مستوى من الاهتمام بقضية حقوق الإنسان بين المدوّنات العربية، تليها مدونات العرب المقيمين في الخارج، وبعدها المدوّنات السورية ثم البحرينية والمغربية. أمَّا اقل المدوّنات اهتماماً بها فكانت المدوّنات الفلسطينية والليبية والأردنية واليمنية والجزائرية. وفي المنتديات كانت المنتديات الكويتية هي الأعلى اهتماماً بحقوق الإنسان تلتها منتديات **البحرين وفلسطين واليمن والإمارات**. أما المنتديات الأقل اهتماماً فكانت **الجزائر وتونس وليبيا وسورية وعمان**. وفي الفيس بوك كانت **مصر** في المقدمة تليها **سورية** ثم **الأردن والبحرين** اللتان جاءت بهما القضية في مراكز متساوية حيث احتلت المركز الثالث لديهما، ثم **السعودية والعرب المقيمون في الخارج**. أما صفحات الفيس بوك الأقل اهتماماً، فكانت الصفحات الكويتية واليمنية والقطرية والموريتانية والتونسية.



حقوق الإنسان .. ضعيفة

في ضوء ما سبق، يبدو مستوى الاهتمام العام بقضية حقوق الإنسان ضعيفاً لا يتناسب على الإطلاق مع طبيعة القضية أو النشاط المفترض أن يتمّ حولها عبر الإنترنت، سواء من قِبَل مَن يكتبون وينشرون أم من جهة مَن يتابعون ويعلقون، كما هو حاصل في مناطق أخرى من العالم، كما تكشف الأرقام السابقة أن حقوق الإنسان قضية شبه ميتة طوال العام في المنتديات، لكنها شهدت قدْراً من الزخم والحيوية، في الأشهر الثلاثة الأخيرة، في المدوّنات والفيس بوك، وكانت الحركة أكبر في المدوّنات حتى أنها تقدَّمت إلى المركز الخامس. ومن الواضح أن لهذا الأمر علاقة بالحراك السياسي والغليان الذي كانت تشهده بعض المجتمعات العربية قبيل شهر يناير كانون الثاني 2011 الذي انفجرت فيه ثورتا **تونس ومصر**.

قضية الطائفية

تعدّ الطائفية من القضايا التي عادة ما تُتَّهم الإنترنت بأنها من أسباب إثارتها ورفع وتيرتها وتسخينها، عبر ما تتيحه من فضاء غير منضبط، أمام من يسعون وراء تأجيجها لغرض أو لآخر. وعند تحليل أوضاع هذه القضية في الفضاء الرقمي التفاعلي عبر الإنترنت اتضح أن جمهور المستخدمين العرب في هذا الفضاء لا يحفل بهذه القضية، وربما يبدو غير مكترث بها أصلاً. وأول ما يدل على ذلك هو ضآلة عدد الموضوعات التي يبحث عنها أو يناقشها أو يتابعها تحت مظلة هذه القضية؛ فالأمر لم يتعدَّ أربعةَ موضوعات هي الأقباط، والتبشير، والطوائف الدينية، والقضايا الطائفية الجارية، وذلك خلافاً لقضايا أخرى كثيرة وصلت فيها التنويعات والبحث والتفريع والتفصيلات إلى ما يزيد على ثلاثين فرعاً.

لا مبالاة جماهيرية بالطائفية

من الأمور الدالّة أيضاً على عدم الاكتراث هو تراجع القضية في دول اهتمام المدوّنين والمستخدمين للمنتديات إلى المركز الحادي والعشرين، حيث حصلت هذه القضية على 1.6% فقط من إجمالي التدوينات، و1.4 % فقط من إجمالي المشاركات على المنتديات. أما في الفيس بوك فكان الاهتمام بها أقل حيث كان مركزها الرابع والعشرين في الترتيب العام وحصلت على نصف في المائة فقط من المشاركات التي نشرت على الفيس بوك.

هذا من جانب من يكتبون وينشرون؛ أما الجمهور فلم يكن مختلفاً كثيراً، فقد حصلت الطائفية على 1.3 % من إجمالي التعليقات على المدوّنات، ونصف في المائة من إجمالي التعليقات على مشاركات المنتديات و0.2 % من إجمالي التعليقات على مشاركات الفيس بوك، وكان نصيب التدوينة الواحدة من مرات التعليق 1.4 مرة، والمشاركة على المنتديات 12.8 مرة تعليق، والمشاركة على الفيس بوك 2.5 مرة تعليق.

وفي المدوّنات وضع الذكور الطائفية في المركز الخامس عشر على قائمة أولوياتهم، وفي المنتديات في المركز الثاني والثلاثين، وفي الفيس بوك في المركز الثامن عشر، أما الإناث فقد وضعْن الطائفية في المركز الثامن والثلاثين على المدوّنات والرابع والثلاثين في المنتديات، والثاني عشر في الفيس بوك. وبالتالي يبدو رجال المدوّنات أكثر اهتماماً بالطائفية من إناث المدوّنات، فيما تحرص نساء الفيس بوك على التحدث في الطائفية ومتابعتها أكثر من حرص رجال الفيس بوك.

وقد بلغت ذروة الاهتمام بالطائفية على المنتديات في الثلث الثالث من العام، حينما أصبحت تحتلّ المركز السادس عشر على قائمة اهتمام المدونين العرب، لكنها تراجعت مع نهاية العام إلى المركز الرابع والعشرين. أما في المنتديات، فقد كانت مستقرةً تقريباً حيث تراوحت بين المركزين الحادي والعشرين والرابع والعشرين. وفي الفيس بوك كان الاهتمام بها أكبر في الأشهر الثلاثة الأول من العام، ومع بداية النصف الثاني حيث كان ترتيبها الحادي والعشرين، بينما تراجع الاهتمام بها في نهاية العام لتصبح في المركز الخامس والعشرين.

يأتي على رأس الأدباء العرب المعروفين لدى الشباب بترتيب نسبة معرفتهم: أحمد شوقي، وعنترة بن شداد، والمتنبي، ونجيب محفوظ، وجبران خليل جبران.

الطائفية الأكثر بروزا في المدوّنات العراقية والمنتديات المصرية

في ما يتعلق بنمط الانتشار الجغرافي للطائفية يُلاحَظ أن المدوّنات العراقية هي الأكثر اهتماماً بهذه القضية، تليها المدَّونات البحرينية والكويتية والمصرية واليمنية. أمّا الأقل اهتماماً بها فهي المدوّنات اللبنانية والقطرية والليبية والسودانية والتونسية.

وفي المنتديات، أبدَت المنتديات المصرية والموريتانية أعلى مستوى من الاهتمام بالطائفية بين المنتديات العربية، وكان الاهتمام فيهما متساوياً، تليه المنتديات البحرينية واللبنانية والعراقية. أما المنتديات الأقل اهتماماً بالطائفية فكانت المنتديات السودانية والتونسية والإماراتية والمغربية والفلسطينية. وفي الفيس بوك كانت الصفحات المصرية هي الأعلى اهتماماً بالطائفية بلا منازع، تليها صفحات العرب المقيمين في الخارج، ثم الصفحات الأردنية والعراقية والسعودية. أما الصفحات الأقل اهتماماً فكانت الصفحات الليبية والقطرية والبحرينية والموريتانية والجزائرية.

وبغض النظر عن هذه التقلبات في مستوى الاهتمام، من شهر لآخر، فإن الأرقام الخاصة بقضية الطائفية تقول إنها في الجملة، قضيةٌ لا يوجد حرصٌ من جانب الغالبية الساحقة من الجمهور، على الاحتفاء بها أو المشاركة فيما يخصها، بل إن الأرقام السابقة تكاد تدل على أن هناك حالة من عدم الاهتمام بها، وبالتالي فالطائفية عبر الفضاء الرقمي العربي التفاعلي تعتبر حديثاً للقلة النادرة، سواء التي تكتب وتنشر أم التي تسمع وتتابع وتعلق.

القضايا الاجتماعية

طَرَحَ مستخدمو المدوّنات والمنتديات والفيس بوك العرب خمساً وعشرين قضية تندرج جميعاً تحت تصنيف القضايا الاجتماعية، وتغطي جوانب عدة من أوجه الحياة. وقد تضمنت هذه القضايا الأبراج، والتنبؤات، والآداب العامة، والانتحار، والبدع، والخدمة المدنية، والسحر، والشعوذة، والشؤون الاجتماعية، والضمان الاجتماعي، والعدالة الاجتماعية، والعشوائيات، والعلاقة بين الجنسين،وقضايا العمال، وقضايا الفلاحين، والعقل الجمعي المجتمعي، والفساد، والأنساب، والتهاني، وذوي الاحتياجات الخاصة، والعادات، والتقاليد، والعلاقات الاجتماعية، وعمالة الأطفال، ومشكلات الغنى والفقر.

الفيس بوك حاضنة القضايا الاجتماعية

وعلى كثرة هذه القضايا وتنوعها احتلّت مجتمعة المركز الرابع عشر في المدوّنات بعدما حصلت على 2.4 % من إجمالي التدوينات، والعاشر في المنتديات، بعدما حصلت على 3.5 % من إجمالي المشاركات بالمنتديات. لكنها سجلت موقعاً أفضل بكثير في الفيس بوك، واحتلت المركز الرابع، بعدما حصلت على 3.59 % من إجمالي المشاركات على الفيس بوك.

في المقابل كان الاستقبال الجماهيري لها لا بأس به مقارنةً بالقضايا السابقة، فقد حصلت على 2.8 % من إجمالي التعليقات على التدوينات، و2.6 % من إجمالي التعليقات على مشاركات المنتديات، و2.24 من إجمالي التعليقات على مشاركات الفيس بوك. وبلغ نصيب التدوينة الواحدة من التعليقات 2.1 **مرة** تعليق، و33.8 مرات تعليق على مشاركات المنتديات، و4.05 مرات تعليق على مشاركات الفيس بوك.

وبالنسبة إلى قبول هذه القضايا لدى الذكور اتضح أن الذكور في المدوّنات والمنتديات يضعونها في المركز الثالث عشر، أما في الفيس

أكثر من 55 % من الشباب العربي (المستطلَع رأيه) لم يسمع مطلقا بوداد سكاكيني، وزكريا تامر، وبنت الشاطئ، وغازي القصيبي، وجابر عصفور!! في مقابل 5 % لم يسمع بأحمد شوقي و7 % بالمتنبي و15 % بنجيب محفوظ و18 % بجبران خليل جبران.

بوك فيضعونها في المركز الحادي عشر، فيما تقدم درجة القبول تقدماً طفيفاً لدى النساء في المدوّنات، لتصبح في المركز الثاني عشر، وتتراجع درجةً في المنتديات لتصبح في المركز الرابع عشر، وتظل على حالها في الفيس بوك عند المركز الحادي عشر، أي أنه تقريباً لا فروق ذات مغزى بين الجنسين في التعاطي مع القضايا الاجتماعية.

وكان الاستقرار هو السمة العامة في مستوى الاهتمام بالقضايا الاجتماعية في المدوّنات خلال العام، باستثناء الربع الثاني من العام الذي شهد ارتفاعاً ملحوظاً بانتقال القضية من المركز الرابع عشر إلى العاشر. أما في المنتديات فكان مستوى الاهتمام مستقراً، وتراوح بين المركزين العاشر والحادي عشر، وفي الفيس بوك حقّقت هذه القضايا مستوىً جيداً، وتراوحت بين المركزين الخامس والرابع.

موريتانيا في المقدمة

جغرافياً، كانت المدوّنات الموريتانية هي الاكثر اهتماماً بالقضايا الاجتماعية عن غيرها، تليها المدوّنات العمانية والبحرينية والجزائرية واللبنانية. أما المدّونات الأقلّ اهتماماً فكانت المدوّنات المصرية واليمنية ومدونات العرب المقيمين في الخارج والمدوّنات السودانية والسورية، وفي المنتديات كانت المنتديات العمانية هي الأكثر احتفاءً ونقاشاً للقضايا الاجتماعية، حيث احتلت فيها القضايا الاجتماعية المركزَ الأول، تليها منتديات **البحرين والمغرب**، بدرجة متساوية، ثم **الجزائر والأردن والسودان** في درجة تالية ومتساوية في البلدان الثلاثة، ثم **فلسطين والكويت**. أما المنتديات الأقلّ اهتماماً فكانت المنتديات الليبية والسعودية واللبنانية والمصرية والموريتانية، وفي الفيس بوك تصدَّرت الصفحات والمجموعات الإماراتية المشهد، تليها الصفحات الجزائرية واليمنية والعمانية بدرجة متساوية، ثم المغربية والموريتانية والكويتية.

ويبدو من الأوضاع السابقة أن القضايا الاجتماعية هي قضية "فيس بوك" بالأساس، حيث تحتل فيها مركزاً متقدماً هو الرابع، وتحظى فيه بمعدل حضور مستقرّ طَوال العام، فضلاً عن كونها تحتلّ مراكز ضمن القضايا العشر الأولى على الفيس بوك، في ستة بلدان عربية. ومن الملاحظات المهمة أيضاً أن هذه القضية تبرز فيها بلدان قلّما احتلت مكانةً متقدمة في معظم القضايا مثل **موريتانيا** التي ظهرت منتدياتها باعتبارها الأكثر اهتماماً بهذه النوعية من القضايا، وتراجعت **مصر والسعودية** في هذه القضية إلى مراكز متأخرة، عكس القضايا الأخرى .

القضايا السياسية

تدفع سخونة الأحداث السياسية التي جرت في العام 2011 في **الوطن العربي** للتعرف إلى أوضاع القضايا السياسية في الفضاء الرقمي العربي التفاعلي، ولا سيّما بعد أن برز دور الإنترنت والفيس بوك في هذه الأحداث. وفي هذا السياق تشير التحليلات إلى أن القضايا السياسية العربية التي ظهرت عبر المدوّنات والمنتديات وصفحات ومجموعات الفيس بوك تضمنت خمسة عشر موضوعاً طُرحت للمناقشة والتعليق والمشاركة، وهي الاحتجاجات والمظاهرات، وإصلاح النظم السياسية، والإصلاح السياسي العام، والانتخابات التشريعية والديمقراطية، والنظام العالمي الجديد، والتعديلات الدستورية، والثورات، والحرية، وحقوق العمال، ومقاطعة المنتجات، وقضية التوريث (أنظر الشكل رقم 11).

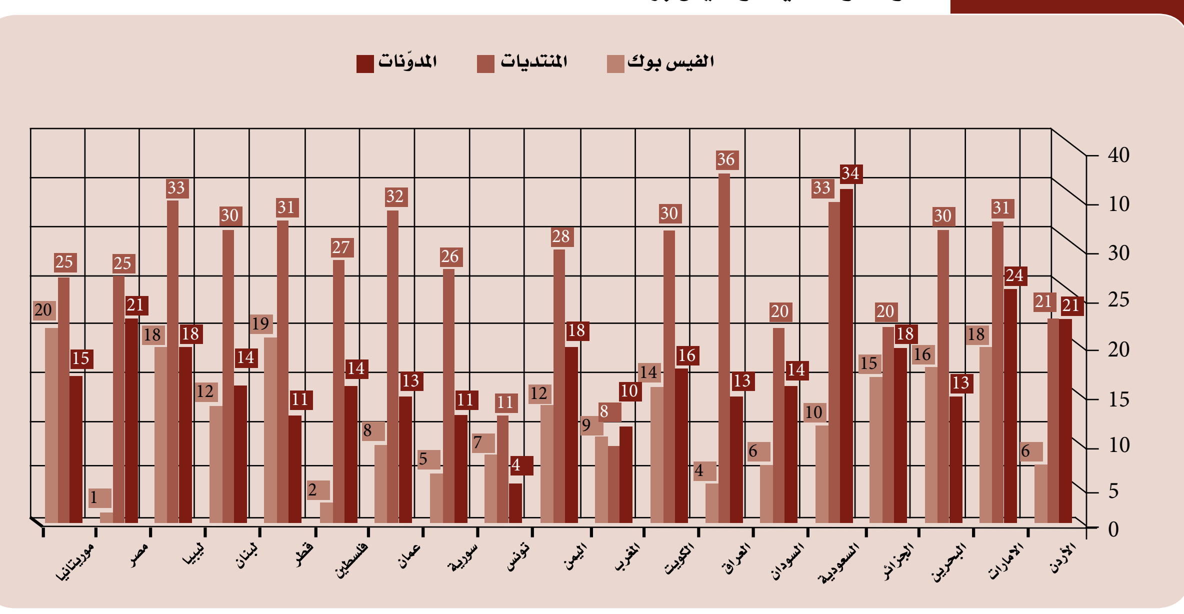
السياسة بعد المرتبة الثلاثين

وطبقاً للتحليلات فإن هذه القضايا – ذات العلاقة الواضحة بما جرى في العام 2011 – احتلّت المرتبة الثالثة والعشرين لدى المدوِّنين العرب، بعدما حصلت على 1.5 % من إجمالي



المعلوماتية

شكل بياني رقم (11): المراكز التى تحتلها القضايا السياسية بين غيرها من القضايا (داخل الدولة الواحدة) فى كل من المدوّنات والمنتديات والفيس بوك



التدوينات؛ والمرتبة الثانية والثلاثين في المنتديات، بعدما حصلت على 0.7 % من إجمالي المشاركات؛ والمرتبة الثامنة عشرة لدى صفحات الفيس بوك بعدما حصلت على 0.51 % فقط من المشاركات المنشورة عبر الفيس بوك.

أما ردُّ الفعل الجماهيري تجاهها فتضّمن حصولَ هذه القضايا على 1.5 % من إجمالي التعليقات على التدوينات في المدوّنات؛ وحوالي نصف في المائة من إجمالي التعليقات على المشاركات في المنتديات؛ و0.36 % من إجمالي التعليقات على الفيس بوك. وبلغ نصيب المشاركة الواحدة من التعليقات 1.7 مرة تعليق في المدوّنات، و30.4 مرات تعليق في المنتديات، و3.21 مرة تعليق في الفيس بوك.

وكان قبول الذكور لها في المدوّنات قليلاً حيث وضعوها في المركز العشرين، لكن في المنتديات كان في المركز الثاني عشر، وفي الفيس بوك كانت في المركز التاسع، وكان الاهتمام بها أقلّ لدى الإناث، حيث جاءت في المركز الحادي والعشرين في تفضيلاتهّن على المدوّنات، والثالث والعشرين في المنتديات، والرابع والعشرين في الفيس بوك.

وفي المدوَّنات كان الاهتمام بها مستقراً طوال العام، لكنّه شهد ارتفاعاً طفيفاً في الأشهر الثلاثة الاخيرة، حيث انتقل من المركز الثاني والعشرين إلى العشرين. وفي المنتديات ظل الاهتمام بها متوقفاً عند المركز الثاني والثلاثين، لكنه في نهاية العام تقدم إلى المركز التاسع والعشرين، وفي الفيس بوك كان الاهتمام بها أعلى طوال العام، لكنه نشط في الأشهر الثلاثة الأخيرة وانتقل من المركز الثالث والعشرين في بداية العام إلى المركز السابع عشر مع نهايته.

مدونات تونس الأكثر اهتماماً بالسياسة

من حيث التوزيع الجغرافي، تصدَّرت المدوَّنات التونسية المشهدَ باعتبارها الأكثر اهتماماً بالقضايا السياسية عن غيرها من القضايا، تليها في ذلك المدوّنات المغربية والسورية والقطرية والبحرينية. أما المدوّنات الأقلّ اهتماماً بالقضايا السياسية فكانت

المدوَّنــات الليبيــة والأردنيــة والمصريــة والإمـاراتية والسعودية. وفي المنتديات سجلت المنتديات المغربية أعلى مستوى بين المنتديات العربية، من حيث تفضـيل القضــايا السياسية علــى غيرهــا مــن القضــايا، تليهــا المنتديات التونسـية والجزائرية، ثم المنتديات السودانية والأردنيــة في مسـتوى واحـد، ثــم المنتديــات المصريـة. أمــا المنتديــات الأقــلّ اهتمامــاً بالقضايا السياسـية فكانت المدوّنات القطرية والعمانية والسـعودية والليبية والعراقية. وفي الفيس بوك تصـدَّرت الصـفحات والمجموعات المشهدَ، وكانت الأعلى في اهتمامها بالقضايا السياسية، تلتهــا الصـفحات الفلسطينية ثــم العراقية ثم السورية، ثم الأردنية والسودانية في درجة واحدة ثم التونسية، وكانت أقلّ صفحات الفيس بوك اهتمامــاً بالقضــايا السياسـية هي الصـفحات البحرينيـة والإماراتيـة والليبيـة والقطرية والموريتانية.

ثمــة ملاحظــات مهمــة يمكن الخــروج بها مــن التحليــلات الســابقة، أولهــا أن عناويــن الموضــوعات التــي اندرجــت تحــت القضــايا السياسية كانت واضحة الارتباط بما جرى في العــام 2011؛ وثانيها أن المدوّنات والمنتديات والفيس بوك شَـهدت جميعاً حالةً من الارتفاع والحَراك في تناولِ هذه القضــايا خلال الأشهر الثلاثة السـابقة على تفجر أحداث 2011، وهي شـهور أكتوبـر ونوفمبـر وديسـمبر 2010. وقد سـجلت صـفحات الفيس بوك أعلى مستوى من الحَـراك في هــذا الأمــر. ثالثــة الملاحظات هي أن **البلدان العربية** التي شـهدت أحداث 2011 كانت دائمة الحضـور في المراكز الخمسة الأول في المدوّنــات والمنتديــات والفيس بــوك، من حيث الاهتمام بهذا النوع من القضايا.

خلاصــة مــا يمكــن الخــروج بــه مــن تلــك المؤشـرات جميعــاً أن طريقــة تناول القضــايا السياسـية في الفضاء الرقمي التفاعلي العربي كانـت بصـورة أو بأخـرى جـزءاً مــن التمهيد للأحداث التي جـرت، لكن يظل النقاش مطلوباً حــول دور هذا التمهيد لما جرى فعلياً، وهذا ما سـنتناوله تفصـيلاً في القسم الخاص بـالرؤية التحليلية العامة للتقرير.

قضية فلسطين

تمثـل **القضيــة الفلسطينية** همّاً مشـتركاً للعـرب، وقلبــاً نابضــاً لألَمهـم المشـترك، والمفترض أن تنعكس هـذه الحالـة علـى ما يجـري مـن مناقشـات وأفـكار وأحاديـث في الفضاء الرقمي العربي، وقد كشف التحليل عن أن مسـتخدمي المدونـات والمنتديــات والفيس بـوك يتناولون **القضية الفلسطينية** من سـتة أوجه، هي: الانتفاضـة الفلسطينية وتفاصيلها وأحداثها، وتاريخ الشعب الفلسطيني، ومتابعة الأحداث الجارية في أرض فلسـطين وبخاصـة غزة والضـفـة، والمؤسّسات الفلسطينية والوطن الفلسـطيني بمدنـه وقراه وقطاعاتـه المختلفة (أنظر الشكل رقم 12).

فلسطين: تقدُّمٌ بالمدوّنات وتراجعٌ بالمنتديات

عَـبْرَ هـذه الوجـوه السـتة احتلّـت القضيـة الفلسـطينية المركزَ التاسـع لدى المدوِّنين العرب بعدما حصلت على 3.1 % من إجمالي التدوينات، والمركـز الثلاثـين في المنتديـات العربيـة بعـد حصـولها علـى 0.9 % من إجمالي المشـاركات، والمركــز الســادس والعشريــن في صــفحات ومجموعات الفيس بوك بعد حصولها على نصف في المائة تقريباً من إجمالي المشاركات.

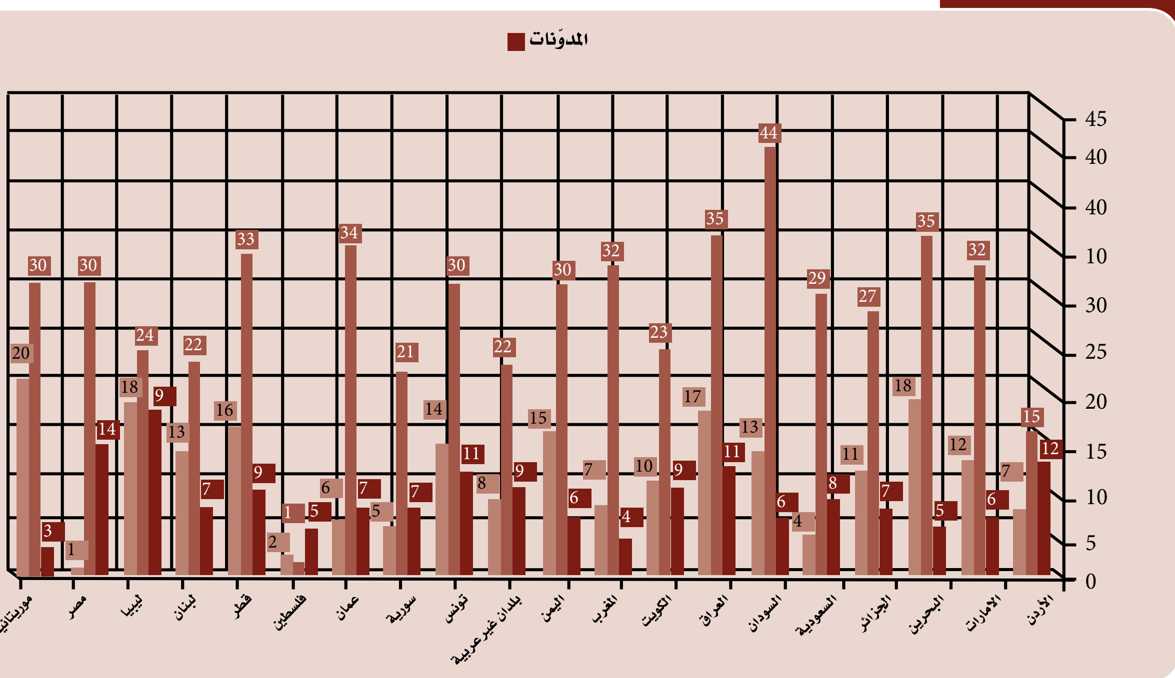
أما الجمهور فقد منحها 4.4 % من إجمالي تعليقاتـه علـى المدوّنات، وأقلّ من نصـف في المائـة من إجمــالي تعليقاته علــى المنتديات، وأقــلَّ مــن ربــع في المائة مــن تعليقاتــه على الفيس بوك. وبلغ نصيب المشاركة الواحدة من التعليقات 2.5 مرة تعليق في المدوّنات، و19.4 مرة تعليق في المنتديات، و2.92 مرة تعليق في الفيس بوك.

بـالنسـبة إلى الذكور كانت **قضية فلسطين** هــي القضيــة التاسـعة التــي يفضـلونها، على المدوّنات، والحادية والعشرين، على المنتديات، والعشريــن، علــى الفيس بــوك. وبـالنسـبة إلى الإنــاث، كانـت **قضيــة فلسطين** هي القضيـة الثامنة التي يفضِّلْنَها، على المدوّنات، والسابعة والعشرين، على المنتديات، والسادسـة عشرة، بالفيس بوك.

وقد كان اهتمام جمهور المنتديات بقضيـة **فلسطين** قويــاً في النصـف الأول مــن العــام فاحتلت المركز الثامن. ثم ازدادت قوة في بداية النصـف الثــاني، فتقدمـت القضيـة إلى المركـز الخامس، لكن في الربع الأخير من العام تراجع الاهتمام، فتقهقرت القضيـة إلى المركز العاشر، وربمّا يعود ذلك إلى حالة الغليان، التي سـادت الكثير من النخب السياسية والتجمعات الشبابية علـى الإنترنت، وجعلـت اهتمامـاتهم تتّجه نحو الأوضـاع الداخلية لبلدانهـم، كما هو الحال في **مصر وتونس**. أما في المنتديات فكانت القضية متأخرة عموماً. وكانت أشدّ فـترات التأخر مع بداية النصـف الثاني من العام، حينما تراجعت إلى المركـز الحادي والثلاثين، ثم أحرزت تقدماً طفيفــاً في نهايـة العــام وأصـبحت في المركز الرابـع والعشرين. وفي الفيس بـوك كانت أكثر ركوداً، حيث تراوح أداؤها بين المركزين الثالث والعشرين والسابع والعشرين.

أمــا الاهتمام بها عـبر **الـدول العربية**، فقد كانـت المدَّونات الموريتانية هــي الأكثر اهتماماً **بالقضية الفلسطينية**، من بين القضايا الأخرى، وتلتهــا في ذلك المدَّونــات المغربيــة والبحرينية والفلسـطينية والإماراتيـة. أمــا أقـل المدوّنــات العربيــة اهتمامــاً بها فكانـت المدوّنــات الليبية والعراقية والتونسـية والأردنيــة والمصرية. وفي المنتديات كانت المنتديات الفلسطينية هي الأكثر اهتماماً، تليها الأردنية ثم السـورية ثم منتديات العـرب خـارج **الوطـن العربـي** ثـم المنتديات اللبنانية. وأقل المنتديات اهتماماً كانت القطرية

شكل بياني رقم (12): **المراكز التي تحتلها قضية فلسطين بين غيرها من القضايا في الدول العربية المختلفة في كل من المدوَنات والمنتديات والفيس بوك**





والعمانية والبحرينية والعراقية والسودانية. وفي الفيس بوك كانت الصفحات المصرية هي الأكثر اهتماماً تليها الصفحات الفلسطينية ثم السعودية والسورية والعمانية. أما الصفحات الأقلّ اهتماماً فكانت الصفحات القطرية والعراقية والبحرينية والليبية والموريتانية.

تدل الأوضاعُ السابقة على تراجع شديد في الاهتمام **بالقضية الفلسطينية**، بين اهتمامات العرب داخل الفضاء الرقمي التفاعلي بعامة. وداخل هذه الحالة الضعيفة المتراجعة تبدو المدوّنات هي الأنشط في تناول القضية والتفاعل معها، ولذلك يمكن القول إن **القضية الفلسطينية** هي قضية "مدونات" أكثر منها قضية فيس بوك أو منتديات. ولعلَّ هذا يفسّر قلَّةَ عدد الموضوعات الفرعية التي جرى الاهتمام بها، لأن التدوين يتَّسم عادة بالتعميق وطول النص وقلَّة عدد القضايا المطروحة، خلافاً لما يحدث في الفيس بوك والمنتديات من لَمْسٍ سريع خفيفٍ لعددٍ كبير من القضايا والموضوعات.

قضايا الشأن الخاص

بالمنهجية نفسها التي تمَّت بها مناقشة قضايا الشأن العام، يعرض **الجدول** "11 ب" تفاصيلَ مماثلةً حول أوضاع قضايا الشأن الخاص العشر، الأكثر بروزاً وانتشاراً في قنوات العيِّنة. وفي ضوء البيانات الواردة في هذا الجدول، يمكن قراءةُ أوضاع القضايا العشر الأبرز بين قضايا الشأن العام علَى النحو التالي:

قضية الأسرة

في قضية الأسرة، انشغلت المدوَّنات والمنتديات وصفحاتُ الفيس بوك العربية بأثني عشر موضوعاً، هي: الخلع والخيانة الزوجية، والزواج، والزواج من أجانب، والطلاق، والعنوسة، والمهور، وتربية الأطفال، وحق الحضانة، وعقد القران، وليلة الدخلة، ومحكمة الأسرة.

وقد سجَّلت هذه الموضوعات حضوراً ضعيفاً على المدوَّنات، وكان ترتيبها الحادي والثلاثين بعدما حصلت على 1.1 % فقط من إجمالي التدوينات. أمَّا في الفيس بوك والمنتديات فكان الاهتمام بها متوسطاً إلى جيد، حيث احتلت المركز الثاني عشر في كليهما بعدما حصلت على 3.4 % من المشاركات على المدوّنات، و0.95 % من صفحات الفيس بوك.

من حيث الإقبال الجماهيري، حازت 1.3 % من إجمالي التعليقات على المدوّنات، و1.9 % من التعليقات على مشاركات المدوّنات، و0.86 % من التعليقات على المشاركات في صفحات الفيس بوك. وبلغ نصيب المشاركة الواحدة من التعليقات 2.2 مرة تعليق في المدوّنات و25 تعليقاً في المنتديات و5.87 تعليقا في الفيس بوك.

الذكور أقلّ اهتماماً بقضايا الأسرة

كان اهتمام الذكور بقضايا الأسرة أقلَّ من اهتمام الإناث بها؛ فالذكور وضعوها في المركز التاسع والعشرين في المدوّنات، والثاني والعشرين في المنتديات والحادي والأربعين في الفيس بوك. أما الإناث فوضَعْنَها في المركز التاسع عشر في المدوّنات والسادس في المنتديات والسابع عشر في الفيس بوك.

عبْرَ شهور السنة المختلفة، ظلَّت قضيةُ الأسرة تراوح مكانها في المدوّنات بين المركزين الثامن والعشرين والثلاثين. أما في المنتديات، فكان هناك استقرار ولكن في مراكز متقدمة حيث تنقَّلت القضية بين المركزين الحادي عشر والثالث عشر، وكان الاهتمام بها في صفحات الفيس بوك مقارباً للمنتديات، حيث تأرجحت بين المركزين الثاني عشر والخامس عشر.

احتفاء عماني بالأسرة

في **البلدان العربية**، كانت المدوّنات العمانية هي الأكثر اهتماماً بقضايا الأسرة،



تليها الإماراتية ثم البحرينية والفلسطينية والسورية؛ وأقلَّ المدوّنات اهتماماً بها كان **العراق واليمن والمغرب والجزائر وموريتانيا**. أما في المنتديات فتصدرت المنتديات السودانية القائمة تليها اللبنانية ثم السعودية والسورية والبحرينية، وكانت أقلَّ المنتديات، اهتماماً بالأسرة، المنتديات الأردنية والمصرية والموريتانية والفلسطينية والتونسية. وفي الفيس بوك كانت أكثر الصفحات اهتماماً هي الصفحات السودانية واليمنية والكويتية والسعودية واللبنانية، وكانت أقل الصفحات اهتماماً بها صفحات **الجزائر وتونس وقطر وموريتانيا والعراق**.

وفي ضوء الملامح السابقة يتَّضح أن قضية الأسرة من القضايا "المستقرة الأقرب إلى الراكدة"، ومتوسطة إلى ضعيفة من حيث مستوى الاهتمام، ويقع مركز ثقلها في المنتديات بالأساس، ووجودها في المدوّنات هامشيّ. ومن الأسباب القوية وراء ذلك احتياج قضايا الأسرة إلى آراء سريعة من أطراف متعددة متقاربة الميول والأفكار والثقافة لتنشىء حواراً جماعياً لحظياً أو شبه لحظي، وهو أمر يناسب طبيعة المنتديات أكثر من المدوّنات التي تناسب التفكير الفردي الذي يتلقّى تعليقات من آخر أو لا يتلقى.

قضية الأفلام والسينما والأغاني

تعتبر هذه القضية من أكبر القضايا انتشاراً وجذباً للجمهور عبر المدوّنات والمنتديات والفيس بوك، ويدور الاهتمام بها حول فكرة محورية هي البحث عن فيلم أو أغنية، والحصول عليها مجاناً عبر الإنترنت. وحول هذه الفكرة المحورية تدور موضوعات عدَّة في هذا الاتجاه أو ذاك، وهي الأفلام التسجيلية، وأفلام الجنس، والأفلام الدينية، وأفلام الرعب، والأفلام الكوميدية، والأفلام الأجنبية والأفلام العربية. وإلى جانب ذلك هناك موضوعات أخرى من قبيل الإخراج السينمائي، والإنتاج السينمائي، والإنتاج الفنّي، ودور السينما، ومشاهدة الأفلام والأغاني والمسلسلات وتحميلها.

هذه الحفنة من الموضوعات، وهي تكاد لا تتعدى ثلاثة عشر موضوعاً، استطاعت أن تحقق المركز الثالث في المدوّنات، بعدما حصلت على 7.2 % من إجمالي التدوينات؛ والمركز الأول في المنتديات بعدما حصلت على 8.8 % من إجمالي المشاركات؛ والمركز العاشر في الفيس بوك بعدما حصلت على 1.1 % من إجمالي المشاركات على الفيس بوك.

من حيث الجماهيرية حصلت على 6.3 % من التعليقات في المدوّنات، و6.8 % من إجمالي التعليقات في المنتديات، و0.69 % من إجمالي التعليقات على الفيس بوك، وكان نصيب المشاركة الواحدة من مرات التعليق 1.5 **مرة** تعليق في المدوّنات، و35 مرة تعليق في المنتديات و4.89 **مرّات** تعليق في الفيس بوك.

ذكور المدوّنات سينمائيون

وقد كان الإقبال على هذه القضية من الذكور قوياً في المدوّنات، حتى أنهم جعلوها القضية الأولى بالنسبة إليهم، لكنها كانت في المنتديات القضية التاسعة والعشرين، وفي الفيس بوك القضية التاسعة والعشرين. أما النساء فجعلنها القضية الثانية لهن، على المدوّنات، والخامسة، على المنتديات، والتاسعة عشرة، على الفيس بوك.

والملاحظ أن قوة الإقبال على القضية لم تتأثر طوال العام، فقد ظلَّت بين المركزين الأول والثاني على المدوّنات طوال العام، واحتلت المركز الأول في المنتديات طوال العام، وفي الفيس بوك احتلت المركز العاشر معظم الوقت.

أما في ما يتعلق بنمط ومستوى تفضيل الشعوب العربية للسينما والأغاني، فإن أكثر المدوّنات تفضيلاً للسينما والأغاني هي المدوّنات السعودية، تليها الجزائرية، فمدوّنات العرب المقيمين في الخارج، فالمدوّنات

المصرية والبحرينية. أما أقلّها تفضيلا فهي المدوّنات اللبنانية والقطرية والمغربية واليمنية والليبية.

أما المنتديات فكانت المنتديات السعودية والمصرية والعراقية، على المستوى نفسه من الاهتمام والتفضيل، واحتلّت رأس قائمة التفضيلات، تليها المنتديات اليمنية والليبية التي جاءت بدرجة متساوية، ثم المنتديات التونسية والسورية في مستوى واحد، ثم الموريتانية والمغربية. أما أقل المنتديات اهتماماً فكانت الأردنية والقطرية والإماراتية ومنتديات العرب المقيمين في الخارج، والكويتية.

بالنسبة إلى الفيس بوك، جاءت الصفحات والمجموعات المصرية في المرتبة الأولى، من حيث مستوى الاهتمام بقضايا السينما، تليها الصفحات السورية ثم صفحات العرب المقيمين في الخارج **فالسعودية والأردن والكويت**. أما أقل الصفحات اهتماماً، فكانت الصفحات التونسية والموريتانية والبحرينية والجزائرية والقطرية.

السينما والأغاني قضية كاسحة

تُشير جملة العناصر السابقة إلى أننا أمام قضية تمثل حالة اكتساح عريض للجماهير العربية، سواء الذين يكتبون أم الذين يقرأون ويعلّقون، لكنها حالة سطحية أشبه بسير سحابة تنشر ظلالاً على مساحة شاسعة من الأرض، لكنها تمضي سريعاً من دون أن تسقط مطراً يترك أثراً؛ والسبب في ذلك أن المشاركات والتدوينات والتعليقات عليها هي في أغلبها عمليات بحث عن أفلام، وليس نقاشات حول قضايا تستحق النقاش والمشاركة بالرأي.

قضية الإنترنت والمعلوماتية

هذه قضية تحركها الرغبة في التعلمُ والتدرّب على مهارات استخدام التكنولوجيا وأدواتها، داخل الإنترنت وخارجها، والرغبة في متابعة الجديد والمزيد من الانفتاح على هذا العالم لمن تدرّبوا وعرفوا مهارات الاستخدام. لذا فهي تكتسب كل يوم أنصاراً جدداً، سواء ممَّن يرغبون التعلم أم ممَّن يوسّعون دائرة استخدامهم للتكنولوجيا وأدواتها داخل حياتهم وبيئاتهم العملية والأسرية. وقد تجسَّدت هذه الرغبة في طبيعة الموضوعات التي يبحثون عنها، والتي تجسدت في موضوعات هي شهادة "آي سي دي إل" (ICDL). لاستخدام وقيادة الحاسب، وأدوات استخدام الإنترنت، والتليفون المحمول، وألعاب الإنترنت، والمعلوماتية، وبرامج الحاسب، ومحركات البحث، ومواقع التواصل الاجتماعي، وموقع ويكيليكس.

حب التعلّم يضع الإنترنت في المركز السادس

وبالرغبة في التعلم وتوسيع دائرة الاستخدام استطاعت هذه القضية أن تتبوَّأ المركز السادس في المدوّنات، بعدما حصلت على 4.2 % من إجمالي التدوينات، والمركز الخامس في المنتديات، بعد حصولها على 5.3 %من المشاركات على المنتديات، والمركز الثامن في الفيس بوك، بعد حصولها على 1.81 % من إجمالي المشاركات على الفيس بوك. ومن الناحية الجماهيرية اجتذبت هذه الكمية من التدوينات والمشاركات 4.2 % من إجمالي التعليقات على التدوينات، و4.21 % من إجمالي التعليقات على مشاركات المنتديات، و13.23 % من تعليقات الفيس بوك. وبلغ نصيبُ المشاركة الواحدة من مرات التعليق 1.7 مرة تعليق في المدوّنات، و35 مرة تعليق في المدوّنات، و47 مرة تعليق في الفيس بوك.

وقد دفعت الرغبة في التعلّم والاستخدام الذكور إلى جعل قضايا الإنترنت والمعلوماتية في المركز الثالث، ضمن قائمة تفضيلاتهم على المدوّنات، والسادس على المنتديات، والسادس والعشرين في الفيس بوك، في حين أن هذه الرغبة كانت ذات مسار مختلف قليلاً لدى النساء، إذ دفعتهنّ إلى وضع القضية في



المركز الحادي عشر، ضمن أولويّاتهم على المنتديات، والمركز الثاني في المنتديات، والخامس والعشرين في الفيس بوك. أي أنَّ تركيز الرجال على المدوّنات كان وسيلة للتعلم، وكان تركيز النساء على المنتديات وسيطاً للتعلم وتبادل الخبرة. أما الجمهور فكان تفضيله الأعلى لما يكتب وينشر عبر الفيس بوك، وتعامل معه كساحة أكبر للتفاعل والتواصل، ولم يفضِّل ما يُكتب على المدوّنات، وكان إقباله على ما ينشر عبر المنتديات عند درجة أكثر بكثير من المدوّنات، وأقل بقليل من الفيس بوك.

ومن الملاحظ أن الرغبة في التعلّم حافظت على مستوى مستقر من القوة طوال العام، وهو ما جعل مستوى الاهتمام بالقضية في المدوّنات يتراوح بين المركزين الرابع والسابع طوال العام، وفي المنتديات بين المركزين الرابع والسادس، وفي الفيس بوك بين المركزين السادس والثامن.

جغرافياً، كانت المدوّنات السعودية والعمانية أكثر المدوّنات العربية تفضيلاً لقضية الإنترنت وتكنولوجيا المعلومات، تليها المدوّنات العراقية والكويتية والسورية والمصرية بدرجة متساوية، ثم القطرية والفلسطينية، فالليبية والموريتانية، ثم السودانية والمغربية، والإماراتية والبحرينية والجزائرية والتونسية.

في المنتديات، كان الوضع مختلفاً، فأقوى درجة تفضيل ظهرت في المنتديات الليبية، تليها الموريتانية ثم المصرية واليمنية والبحرينية، وأقل درجة تفضيل ظهرت في المنتديات الإماراتية واللبنانية والسعودية والتونسية والفلسطينية. وفي الفيس بوك تصدَّرت الصفحات المصرية القائمة، تليها الصفحات اليمنية ثم الجزائرية فالموريتانية فالبحرينية. وأقل درجة تفضيل ظهرت في صفحات الفيس بوك التابعة لعرب مقيمين في الخارج، والصفحات الأردنية والعراقية والعمانية واللبنانية.

المعلوماتية قضية ناضجة ورشيدة

يغلب على هذه القضية نوع من النضج والرشد في الأداء، بخاصة في ما يتعلق بمنحنى الجماهيري العام، الذي يتصاعد من منتجي المحتوى إلى متابعيه وجماهيره؛ فالملاحظ أن الإقبال الجماهيري على ما يكتب يتصاعد من عدد المشاركات إلى عدد التعليقات، فإلى نصيب المشاركة الواحدة من التعليقات، وهو مسار يتَّفق ومنطق الدوائر المتتالية الذي يفترض أن تمضي فيه الرسالة أو المحتوى عبر قنوات النشر المختلفة، من دائرة أضيق إلى أوسع فأكثر اتساعاً وهكذا.

من الأمور اللافتة في التوزيع الجغرافي، أن مستويات التفضيل في البلدان موزعة على البلدان العربية، في مجموعات يضمّ كل منها **ثلاث أو أربع** دول تتساوى في درجة التفضيل، وهي ظاهرة لم يتم رصدها في أي من القضايا السابقة، بهذه الصورة، في المدوّنات أو في غيرها. ويعود ذلك إلى أن المدوّنين في هذه القضية يكونون في الغالب من التقنيين والمتخصّصين في مجال التكنولوجيا، وغالباً ما يكون بينهم قدرٌ من التواصل والتشبيك والتسجيل المتبادل للمدونات عبر شبكة مشتركة من المواقع، الأمر الذي يوزّع عملية إنتاج ومتابعة المحتوى الخاص بالقضية، بين هذه المجموعات التدوينية المتشابكة والمنتشرة عبر مجموعة من البلدان في وقت واحد، ممّا يجعل درجة الاهتمام بالقضية في هذه المجموعة من البلدان متقاربة أو متساوية.

قضية التلفزيون والفضائيات

تمثل هذه القضية الضلع الثاني للتوجّه الخاص باستثمار الإنترنت وقنوات النشر فيها، بوضعها وسيلةً مساعدة على الترفيه، وأداةً للحصول على المواد الفنية والإعلامية

المفضلة، وتقدم نوعية الموضوعات التي دارت تحت ظلال هذه القضية دليلاً على ذلك، فقد تكوّنت هذه الموضوعات من اثني عشر موضوعاً هي المسلسلات العربية، وبرامج الأطفال، والبرامج الترفيهية، والبرامج التسجيلية، والتعليمية، والحوارية، والرياضية، وقنوات التلفزيون الحكومي، والقنوات المشفرة، وبرامج الكارتون، والمعدات، والأجهزة.

وقد حققت هذه الموضوعات مجتمعة المركز الثامن عشر في المدوّنات، بعدما حصلت على 1.7 % من إجمالي التدوينات، والمركز السابع عشر في المنتديات، بعدما حصلت على 2.8 % من إجمالي المشاركات على المنتديات، والمركز الحادي عشر في الفيس بوك، بعدما حصلت على 1.04 % من إجمالي المشاركات في الفيس بوك. وفي المقابل حصلت هذه الموضوعات على إقبال جماهيري تمثل في 0.6 % من إجمالي التعليقات في المدوّنات، و2.3 % من إجمالي التعليقات في المنتديات، و5.7 من إجمالي التعليقات على الفيس بوك. ويبلغ نصيب المشاركة الواحدة من مرات التعليق 0.7 مرة تعليق في المدوّنات 37 مرة تعليق في المنتديات و36 مرة تعليق في الفيس بوك.

الفضائيات قضية مفضلة للنساء

وتكشف الأرقام عن أن الإناث هنّ أكثر إقبالاً على القضية من الذكور في الفيس بوك، فقد منحنها المركز الخامس عشر، في حين منحها الذكور المركز الثاني والعشرين، وكذلك الحال في المدوّنات حيث منحها الإناث المركز السادس والذكور المركز الحادي عشر، أما في المنتديات فقد تساوى الطرفان ومنحها كلٌ منهما المركز السابع.

وتشترك هذه القضية مع السينما والأغاني في استقرار الطلب عليها والتفاعل معها طوال العام، ففي المدوّنات، تراوحت بين المركزين السابع عشر والتاسع عشر، وفي المنتديات، تراوحت بين الخامس عشر والسابع عشر؛ وفي الفيس بوك تراوحت بين العاشر والثالث عشر. أما التوزيع الجغرافي فتوضح البيانات أن أكثر المدوّنات تفضيلاً لهذه القضية كانت المدوّنات الجزائرية والكويتية والقطرية والعمانية ومدوّنات المقيمين خارج **الوطن العربي**، والمدوّنات الأقل تفضيلاً كانت المدوّنات المغربية واللبنانية والتونسية السورية والسودانية.

ليبيا تعشق التلفزيون أكثر

في المقابل سجلت المنتديات الليبية أعلى درجة تفضيل لقضية التلفزيون والفضائيات، تليها السورية واليمنية والتونسية ومنتديات العرب المقيمين في الخارج. أما المنتديات الأقلّ تفضيلاً فكانت اللبنانية والقطرية والفلسطينية والإماراتية والعمانية. وقدّم الفيس بوك مشهداً ثالثاً تصدرته الصفحات الموريتانية باعتبارها أكثر تفضيلاً لهذه القضية، تليها الصفحات القطرية والليبية والإماراتية والسورية. أمّا أقلّ الصفحات تفضيلاً فكانت الأردنية والسعودية والمصرية والسودانية والعراقية.

ويُلاحظ في هذه القضية ارتفاع الاقبال الجماهيري على المنتديات والفيس بوك على مستوى نصيب المشاركة الواحدة من مرات التعليق، في مقابل ضعف واضح على ما يُكتب عبر المدوّنات، وهذا يتّفق وطبيعة المنتديات والفيس كمجالات أوسع وأرحب للتفاعل الجماعي اللحظي أو شبه اللحظي من المدوّنات، كما يُلاحظ أن الترتيب العام للقضية داخل قائمة الاهتمامات يُعتبر معقولاً، وربّما أقّل من الفكرة المسبقة السائدة، التي تفترض أن هناك اهتماماً ساحقاً من جانب جمهور الإنترنت العربي بالتلفزيون والفضائيات عبر الإنترنت. لكّن الأرقام تقول غير ذلك، وتثبت أن القضية برمّتها لا تأتي ضمن القضايا العشر الأول التي يهتم بها الجمهور، بل تتقهقر إلى ما بعد ذلك بكثير، كما هو الحال مع المدوّنات والمنتديات التي حققت فيهما المركزين السابع عشر والثامن عشر على التوالي.

قضية الخواطر والمشاعر

أثبتت هذه القضية أن الفضاء الرقمي التفاعلي العربي ساحةٌ رحبة للبوح والتنفيس عما يختلج بالنفس والروح لدى المستخدمين العرب من مشاعر وخواطر إنسانية في شتى الاتجاهات، ما بين الحب والكره والأمل والإحباط واليأس والرجاء، والفرح والحزن والاكتئاب والمرح، والاهتزاز والثقة بالنفس، إلى غير ذلك من شتى المشاعر الإنسانية المتنوعة التي تتمازج على مدار اللحظة مع العلاقات الإنسانية المختلفة (أنظر الشكل رقم 13).

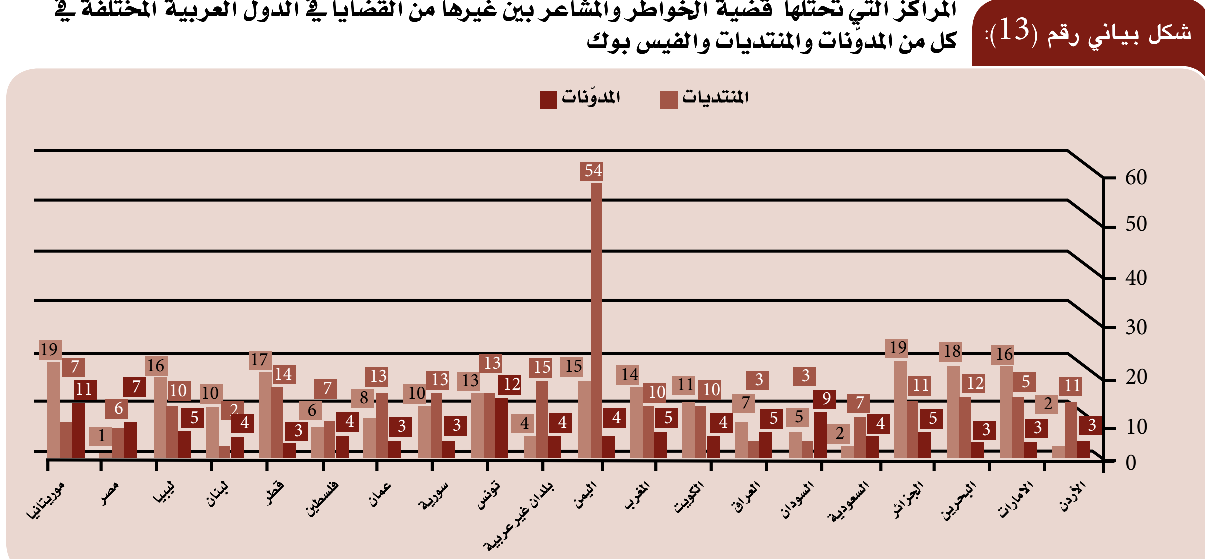
قوة وعنفوان في التعبير عن الخواطر

شكلت المشاعر والخواطر قضيةً واسعة الانتشار، فقد احتلت المركز الخامس في المدوّنات بعدما حصدت 4.7 % من إجمالي التدوينات، والسابع في المنتديات بعدما حصلت على الرقم نفسه وهو 4.7 % من إجمالي المشاركات على المنتديات، والأول بلا منازع في الفيس بوك بعدما حصدت 43.13 % من المشاركات على الفيس بوك.

وفي المقابل كانت الجماهيرية التي حصدتها هذه القضية بقوة وغزارة وعنفوان ما أنتج ونشر وكتب حولها؛ فقد حصدت الخواطر والمشاعر الإنسانية 13.8 % من التعليقات على المدوّنات و4.8 % من التعليقات على المنتديات، و16،23 % من التعليقات على مشاركات الفيس بوك، وهذه أرقام لم تتوافر للقضايا السابقة، سواء في الشأن العام أم في الشأن الخاص. أما نصيب المشاركة الواحدة من مرات التعليق فكانت أهدأ وأقلّ عنفواناً وتدفقاً، فقد بلغت 5.2 **مرات** تعليق في المدوّنات و46.5 **مرة تعليق** في المنتديات و2.44 **مرة** تعليق في الفيس بوك.

وتدلّنا هذه الأرقام على أنه كانت هناك حالة تناغم واهتمام متبادل في المشاعر الإنسانية والخواطر لدى من يكتبون ومن يتابعون، ولكن على مستوى القراءة فحسب، أي أن الانفعال والمشاركة والتفاعل كانت أقرب إلى حالة كاتب يكتب كتاباً وقارىء يقرأه وينفعل لحظة القراءة، لكن الأمر ليس بالعنفوان نفسه عند كتابة تعليق منفرد على ما يقرأ، ومن ثم نحن أمام مئات الآلاف من العرب في حالة بوح وتنفيس متبادل عن الخواطر والمشاعر ما بين من يقول ومن يسمع.

شكل بياني رقم (13): المراكز التي تحتلها قضية الخواطر والمشاعر بين غيرها من القضايا في الدول العربية المختلفة في كل من المدوّنات والمنتديات والفيس بوك





تفوّق نسائي في البوح عبر الفضاء الرقمي

تفوّقت الإناث بوضوح في مستوى استخدام الفضاء الرقمي التفاعلي كوسيلة للبوح والتعبير عن المشاعر؛ فقد أحتلّت هذه القضية لدى الإناث المركز الأول في المدوّنات، والرابع في المنتديات والثاني في الفيس بوك، بينما كانت لدى الذكور السادس في المدوّنات، والثامن في المنتديات، والثالث في الفيس بوك. تتفق هذه النتيجة وطبيعة المرأة المفعمة بالحساسية والمشاعر الزائدة عن الرجل، والتي وجدت لنفسها متنفساً سهلاً سريعاً في متناول اليد تُعبِّر فيه عن مشاعرها الفياضة وما يخالجها من أحاسيس بصورة مستمرة، تارة كأم، وطوراً كأنثى، وتارة أخرى كزوجة، أو امرأة عاملة.

الخواطر بحيرة لا ينضب معينُها

والملاحظ أن بحيرة المشاعر والخواطر الرقمية العربية التي تشكلت من تدفق هذا الفيض كانت ذات موارد لا ينضب معينُها، فطوال العام وهي على حالها من الحيوية بلا فترات جفاف أو تراجع. ففي المدوّنات ظلت طوال العام بين المركزين الرابع والخامس، وفي المنتديات ظلت بين المركزين السابع والثامن، وفي الفيس بوك ظلت في المركز الأول لم تتزحزح عنه.

إن الفيس بوك في هذه القضية يطرح نفسه كصدر حنون يتلقى زفرات وآهات وتأملات وآمال وطموحات وخلجات ومشاعر ملايين العرب الذين استخدموه كاختيار أول بلا منازع، وفضلوه على غيره كوسيلة لتبادل الخواطر والمشاعر في لقطات سريعة سهلة متبادلة ولحظية.

على المستوى الجغرافي كان المدوّنون الأردنيون والإماراتيون والبحرينيون والسوريون والعمانيون والقطريون على قدم المساواة في تفضيلهم للمدونات كفضاء للتنفيس عما لديهم من خواطر ومشاعر، وتلاهم المدوّنون السعوديون والكويتيون واليمنيون والعرب المقيمون في الخارج والفلسطينيون واللبنانيون، الذين تساووا في تفضيلهم للمدوّنات كوعاء للخواطر. وفي مجموعة ثالثة جاء المدوّنون الجزائريون والعراقيون والمغاربة والليبيون معاً على قدم المساواة، أمّا المدوّنون الأقلّ استخداماً للمدوّنات كفضاء للخواطر، فكانوا المدوِّنون المصريون والسودانيون والموريتانيون والتونسيون.

مشاركة في الهم والأمل

يعود بنا الانقسام إلى مجموعات متساوية على هذا النحو إلى ما أوردناه سلفاً في قضية الإنترنت والمعلوماتية، فإذا كان التشبيك في دنيا التقنية والمعلوماتية قائماً على الاشتراك في الحرفة والتخصص، فإن التشبيك في هذه القضية قائمٌ على المشاركة في الهم والأمل وحزمة المشاعر والخواطر التي تجيش في الصدور.

في دنيا المنتديات سجلّ اللبنانيون المركز الأوّل من حيث مستوى تفضيل المنتديات كساحة للتعبير عن المشاعر والخواطر، وتلاهم السودانيون والعراقيون بدرجة متساوية، وبعدهم الإماراتيون ثم المصريون، أما المنتديات التي سجّلت درجة أدنى، في استخدام المنتديات بهذه القضية فكانت المنتديات السورية والعمانية والقطرية ومنتديات العرب المقيمين في الخارج والمنتديات اليمنية.

وكان المصريون الأكثر تفضيلاً للفيس بوك كساحة للبوح والتنفيس عن المشاعر والخواطر، يليهم الأردنيون والسعوديون والعرب المقيمون خارج **البلدان العربية** والسودانيون. أما الأقل تفضيلاً للفيس بوك فهم الليبيون والقطريون والبحرينيون والجزائريون والموريتانيون.

قضية الرياضة

تعتبر قضية الرياضة الضلع الثالث والأخير في مثلث قضايا الترفيه التي اكتسحت

الفضاء التفاعلي الرقمي العربي، إلى جانب السينما والتلفزيون، كما تعتبر من طائفة القضايا ذات التفريعات والتفصيلات الغزيرة؛ فهي تشمل أربعةً وعشرين موضوعاً أو قضيةً فرعيةً، هي: التنس الأرضي والدوري الأسباني، والدوري الإنجليزي، والدوري الايطالي، والدوري العام، والفيفا، والمرافق الرياضية، والمسابقات الدولية، والمصارعة، والملاكمة، والنقد الرياضي، وبطل الدوري، وبطل الكأس، وتنس الطاولة، ودوري أبطال إفريقيا، والفرق الرياضية، والكاراتيه، وكأس العالم، وكرة السلة، وكرة الماء، وكرة القدم، وكرة اليد، ومشاهدة المباريات، وبثها بالإضافة إلى موضوعات عامة أخرى.

حققت هذه الموضوعات المركز الرابع للرياضة في المدوّنات، بعدما حصلت على 5.7 % من إجمالي التدوينات، والمركز الثامن في المنتديات، بنسبة 4.75 % من المشاركات في المنتديات، والسادس في الفيس بوك، بنسبة 1.96 % من إجمالي المشاركات على الفيس بوك.

ومن جانب الإقبال الجماهيري حصلت قضية الرياضة على 4.4 % من إجمالي التعليقات على المدوّنات، و6.1 % من إجمالي التعليقات على المشاركات في المنتديات، و3.6% من إجمالي التعليقات على مشاركات الفيس بوك، أما من حيث نصيب المشاركة الواحدة من مرات التعليقات فوصلت إلى 1،3 مرة تعليق في المدوّنات، و58 مرة تعليق في المنتديات، و12 مرة تعليق في الفيس بوك.

الرياضة أولوية لدى الذكور

وقد شكلت قضية الرياضة أولويةً كبرى لدى الذكور، فقد وضعوها في المركز الخامس في المدوّنات والثاني في المنتديات والعاشر في الفيس بوك. أما الإناث فكان اهتمامهنّ بها أقلّ بكثير من الذكور، بخاصة على الفيس بوك، فقد وضعنها في المركز الخامس في المدوّنات، والثامن في المنتديات، والسابع والثلاثين في الفيس بوك.

جغرافياً، تساوت المدوّنات الكويتية والمصرية في مستوى تفضيل قضية الرياضة، وأحتلّتا المركز الأول، وجاءت بعدهما المدوّنات الفلسطينية ثم اللبنانية ثم العمانية والبحرينية والقطرية والسودانية في درجة واحدة، وبعدها المدوّنات السودانية والمغربية واليمنية والليبية في درجة تالية، أما المدوّنات الأقلّ تفضيلاً للرياضة فكانت الأردنية والإماراتية والسعودية والتونسية والعراقية.

منتديات تونس أكثر عشقاً للرياضة

في عالم المنتديات تبوَّأت المنتديات التونسية والقطرية موقع الصدارة، وأحتلّتا المركز الأول كأكثر المنتديات تفضيلاً للرياضة، تلتها المنتديات الليبية والمصرية بدرجة متساوية، ثم السودانية والموريتانية بدرجة متساوية، وأقلّ المنتديات تفضيلاً للرياضة كانت المغربية والفلسطينية والعمانية واللبنانية والبحرينية. وعلى الفيس بوك كانت الصفحات الجزائرية في الصدارة باعتبارها الصفحات الأكثر تفضيلاً للرياضة، وبعدها الصفحات البحرينية، ثم التونسية والليبية بدرجة متساوية، ثم القطرية والإماراتية. أما أقلّ الصفحات تفضيلاً للرياضة على الفيس بوك فكانت الفلسطينية والأردنية والعراقية والكويتية والمصرية.

وتدلُّ الأوضاع السابقة على أن قضية الرياضة هي صاحبة أعلى مستوى للإقبال الجماهيري بين القضايا المختلفة، كما تدلّ على أنّ الجمهور في حالة عطش مستمر للتدوينات والمشاركات المتعلقة بهذه القضية وعلى استعداد مسبق للتفاعل معها بحيوية وقوة.

قضية الطب والصحة

تعتبر قضية الطب والصحة معادلاً

موضوعياً بدرجة ما، لقضية الخواطر والمشاعر؛ فمثلما اختار المستخدمون العرب الفضاء الرقمي التفاعلي كساحة للتنفيس والبوح بالخواطر النفسية، اختاروا أيضاً هذا الفضاء للبوح بالآلام والمعاناة الجسدية ممثلة في الأمراض المختلفة التي يعانون منها، وما يعزز هذه الفرضية أن قضية الطب والصحة اندرج تحتها 34 موضوعاً فرعياً، ولعلّ هذه الكثرة في التنويع والتفصيل تعود إلى أن كل مريض أو مجموعة مرضى عبَّرت عن نفسها في الفضاء الرقمي، تحت وطأة ما تعانيه من متاعب صحية تخصّها. لذا، ارتفعت درجة الخصوصية في العرض والتعبير والنشر، وارتفعت معها بالتبعية درجة التفصيل والتفريع في القضية.

وضمَّت الموضوعات الفرعية أساليب العلاج الحديث، والإدمان، والاستشفاء، والأمراض الخبيثة، والعضوية، والمعدية، والنفسية، والأوبئة، والتداوي بالأعشاب، والتدخين، والتشوه الخلقي، والتطعيم، واللقاحات، والتمريض، والحمل والولادة، والحمية وإنقاص الوزن، والزيوت العطرية، والصحة الإنجابية، والصحة العامة، والطب البديل، والطب الشرعي، والعدوى، والعلاج الكيميائي، والعناية بالشعر، والنباتات الطبية، وأمراض الشيخوخة، وإنفلونزا الخنازير، وإنفلونزا الطيور، وزراعة الأعضاء، وصحة الأسنان، وطب الأسرة، والفيتامينات، والمتلازمات، ومقياس الذكاء، والنظام الغذائي.

الصحة تأخر في المدوّنات وتقدّم في المنتديات

في الترتيب العام، جاءت هذه القضية بتفريعاتها الكثيرة في المركز العاشر في المدوّنات، بعدما حصلت على 2.9 % من إجمالي التدوينات؛ والثالث في المنتديات؛ بعدما حصلت على 2.9 % من المشاركات؛ والتاسع في الفيس بوك، بعدما حصلت على 1.47 % من إجمالي مشاركات الفيس بوك.

أما الإقبال الجماهيري فحقّق فيه هذه القضية 1.6 % من إجمالي تعليقات الجمهور في المدوّنات، و1.2 % في المنتديات و0.93 % في الفيس بوك، وبلغ نصيب المشاركة الواحدة من مرات التعليق 0.9 مرة تعليق في المدوّنات، و9.4 **مرات** تعليق في المنتديات، و4.09 مرات تعليق في الفيس بوك.

شغف أنثوي بالصحة

الملاحظ أن الإناث كنَّ أكثر اهتماماً من الذكور بشكل ملحوظ بهذه القضية، فقد وضعنها في المركز السابع في المدوّنات، والثاني عشر في المنتديات، والعاشر في الفيس بوك. أما الذكور فوضعوها في المركز العاشر في المدوّنات، والخامس عشر في المنتديات، والثامن والعشرين في الفيس بوك.

وحيث إنَّ أمور الصحة والمرض تمثل عامل ضغط مستمر على أصحابها، فقد احتفظت هذه القضية بحضور مستقرٍ طوال أشهر العام؛ فقد تأرجحت المدوّنات بين المركزين الثامن والتاسع، وفي المنتديات تراوحت بين المركزين الثالث والرابع، وفي الفيس بوك احتفظت طوال الوقت بالمركز التاسع.

جغرافياً، كانت المدوّنات الليبية هي الأكثر تفضيلاً لقضية الصحة، تليها المدوّنات الأردنية والإماراتية، ومدوّنات العرب في الخارج بدرجة متساوية، ثم المدوّنات العراقية والسورية بدرجة متساوية، ثم المدوّنات العمانية والمصرية. أمّا أقلّ المدوّنات تفضيلاً للطب والصحة فكانت المدوّنات اللبنانية والسودانية والمغربية والتونسية والبحرينية.

في المنتديات تفوّقت المنتديات السعودية باعتبارها المنتديات الأكثر اهتماماً بالطب والصحة، وتلتها الكويتية والمغربية والأردنية واللبنانية. أمّا أقلّ المدوّنات تفضيلاً للصحة فكانت المدوّنات اليمنية والبحرينية والفلسطينية والليبية والسورية. وفي عالم

الفيس بوك، تفوّقت الصفحات والمجموعات المصرية باعتبارها الأكثر تفضيلاً للطب والصحة، تلتها السعودية والأردنية والسودانية والعمانية، أما أقل صفحات الفيس بوك اهتماماً بالصحة فكانت المغربية والليبية والتونسية والموريتانية والقطرية.

خريطة صحية عربية

أهم ما في أوضاع قضية الصحة، في الفضاء الرقمي التفاعلي، أنها تكاد ترسم خريطة لتوزيعات الصحة والمرض واهتمامات الناس بها، وتوجّهاتها نحوها، في **الوطن العربي**؛ فمن خلال القضايا والموضوعات الجاري مناقشتها، تتَّضح طبيعة الأوجاع الجسدية التي تعاني منها شريحةٌ لا بأس بها من المواطنين العرب، هم مستخدمو الإنترنت، كما تكشف الردود والتعليقات الرغبة في المشاركة، والتواصل بين المرضى. ولعلّ هذه النقطة هي ما يجعل القضية تسجّل حضوراً على المنتديات أكثر من الفيس بوك والمدوّنات؛ فالنشاط الزائد حولها عبر المنتديات، يكشف عن استخدام العرب لهذه الوسيلة في تبادل الخبرات والمعارف الطبية، تحت ضغط الحاجة، وهذا يجعل من التدوينات والمشاركات والردود والتعليقات والتعقيبات في مجال الصحة مورداً معرفياً يمكن الاستفادة منه في التعرُّف إلى الخريطة الصحية الحقيقية في الكثير من مناطق **الوطن العربي**.

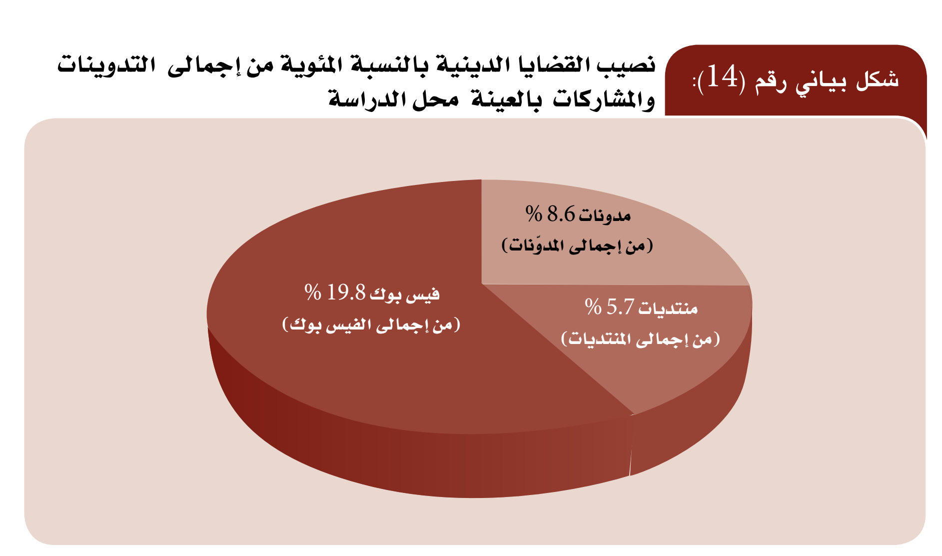
القضايا الدينية

إذا كانت قضايا السينما والأغاني والتلفزيون والفضائيات والرياضة هي المثلث الذي شكل أكبر نسبة انتشار بين مستخدمي الفضاء الرقمي التفاعلي العربي، فإن القضايا الدينية كانت هي الحصان الأسود أو فرس الرهان القوي المنافس للقضايا الثلاث معاً، على عقول المواطنين العرب وقلوبهم وعواطفهم وتصرفاتهم وردود فعلهم، سواء ممن يكتبون وينشرون أم ممن يقرأون ويتابعون.

26 قضية دينية فرعية

أولى نقاط القوة في القضايا الدينية، كان ارتفاع عدد القضايا والموضوعات الفرعية المنضوية تحتها، حيث كشف التحليل عن وجود ستة وعشرين موضوعاً دينياً اهتم بها المواطنون العرب، وهي: الأدعية، والأناشيد، والأزهر، والاقتصاد الاسلامي، والأنبياء والرسل، والتطرّف الديني، والتوحيد، والخطاب الديني، والخلافة، والربا، والرقية الشرعية، والسنة النبوية، والشريعة الاسلامية، والفتاوى الدينية، والكتب المقدسة، والمذاهب الدينية، والوحي، والأماكن المقدسة،

شكل بياني رقم (14): نصيب القضايا الدينية بالنسبة المئوية من إجمالي التدوينات والمشاركات بالعينة محل الدراسة



والمباني الدينية، وتطبيق الشريعة، وتغيير الديانة، وشخصيات دينية، وعبادات وقضايا دينية عامة، ومقارنة الأديان، ونهاية العالم في الأديان.

بهذه الموضوعات الفرعية، تبوَّأت القضايا الدينية المركز الثاني في المدوّنات، بعد حصولها على 8.7 % من إجمالي التدوينات، والمركز الرابع في المنتديات، بعد حصولها على 5.7 % من المشاركات، والمركز الثاني في الفيس بوك، بعد حصولها على 19.88 % من المشاركات على الفيس بوك.

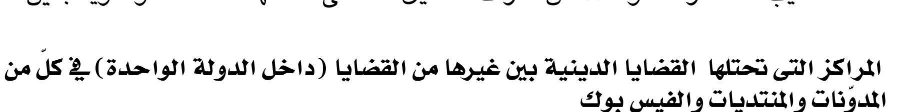
استقبال جماهيري جيد للجرعة الدينية

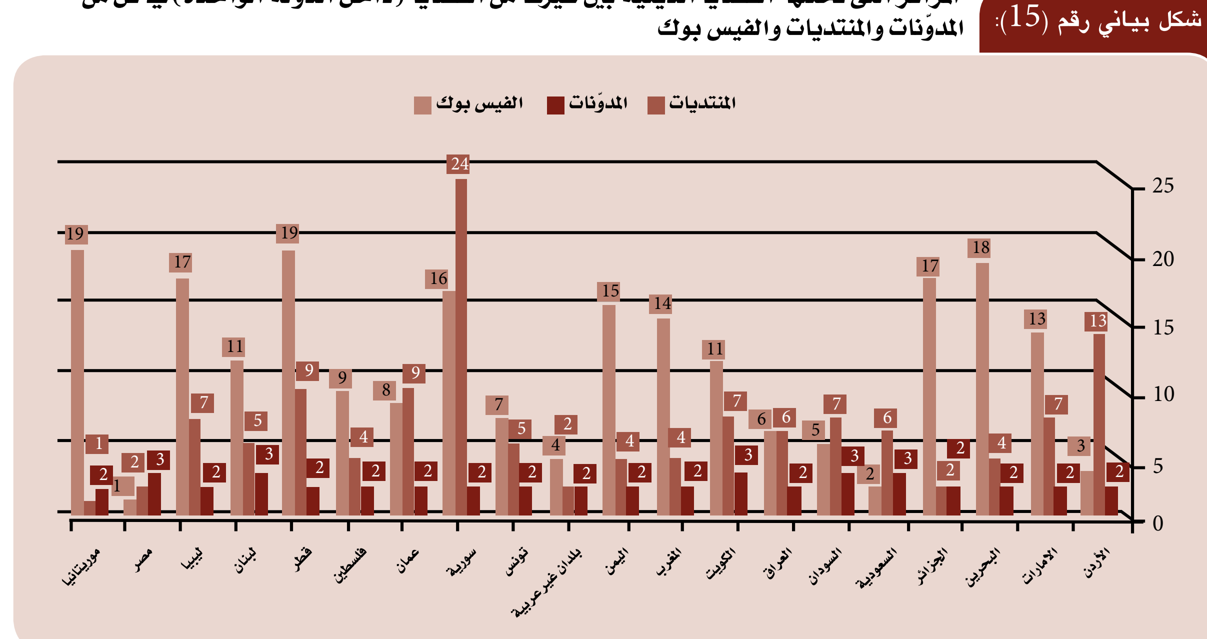
ومن جانبه، استقبل الجمهور هذا الإنتاج الوفير من المواد والتدوينات استقبالاً جيداً، فقد خصَّص 10 % من التعليقات في المدوّنات، للقضايا الدينية، كما خصص لها 14 % من التعليقات على مشاركات المنتديات، و8.07 % من التعليقات على الفيس بوك، وهي جميعاً نسبٌ مرتفعة قياساً إلى القضايا الأخرى. أما نصيب المشاركة الواحدة من مرات التعليق فبلغ **مرتين** في المدوّنات و16 مرة تعليق في المنتديات، و2.6 مرة تعليق في الفيس بوك.

وقد أبدى الذكور اهتماماً واضحاً بالقضايا الدينية في كل من المنتديات والفيس بوك ومنحوها المركزين الخامس والرابع على التوالي؛ أما في المدوّنات فلم يهتمّوا بها كثيراً؛ ولذا، تراجعت إلى المركز الحادي والأربعين. وكان الحال مختلفاً بالنسبة إلى الإناث، فقد منحن القضايا الدينية أكبر قدر من الاهتمام على الفيس بوك، ولذلك جاءت في المركز الثالث ضمن تفضيلاتهنّ بالفيس بوك، لكنهنّ وضعنها في المركز السادس عشر في المنتديات والمركز الأربعين في المدوّنات.

استقرار الطلب على المعرفة الدينية

ولم يتأثر الاهتمام بالقضايا الدينية أو يتغيرّ بصورة مفاجئة في أي وقت من العام في المدوّنات، حيث ظل الاهتمام يتراوح بين المركز الأول والثاني. وفي المنتديات ظلّت على حالتها النشطة والقوية بين المركزين


شكل بياني رقم (15): المراكز التى تحتلها القضايا الدينية بين غيرها من القضايا (داخل الدولة الواحدة) في كلّ من المدوّنات والمنتديات والفيس بوك





الرابع والسادس؛ لكنها في نهاية النصف الأول، قفزت إلى المركز الثاني، وفي الفيس بوك ظلّت قويةً وتتسم بالحيوية طوال العام، ولذلك حافظت على المركز الثاني.

أما خريطة توزيع الاهتمام بالقضايا الدينية على **البلدان العربية** فتكشف عن حالة غير معهودة مع أي قضية أخرى، وهي انقسام **الدول العربية** جميعاً إلى مجموعتين فقط من حيث مستوى تفضيل القضايا الدينية: تضم المجموعة الأولى المدوّنات التابعة لخمس دول وتضع القضايا الدينية في المركز الثالث في قائمة القضايا المفضّلة لديها، وهي **السعودية والسودان والكويت ولبنان ومصر**؛ أما المدوّنات التابعة لباقي الدول العربية الأخرى فهي جميعاً تضع القضايا الدينية في المركز الثاني على قائمة القضايا المفضَّلة لديها.

وتظهر حالة التوحُّد أو التساوي في درجة التفضيل بصورة أخف في المنتديات، إذ لدينا المنتديات الموريتانية وحدها في المركز الأول، ثم منتديات **مصر والجزائر** في المركز الثاني، ثم منتديات **البحرين والمغرب واليمن وفلسطين** في المركز الثالث أقل، ثم منتديات **تونس ولبنان** في الرابع ثم **الإمارات والسودان والكويت وليبيا** في مركز رابع.

مساواة في درجة الاهتمام بالدين

من أبرز الملامح التي تشير إليها أوضاع القضايا الدينية هو انتشار ظاهرة "التساوي" في درجة الاهتمام بهذه القضية، بين **الدول العربية** المختلفة، في كل من المدوّنات والمنتديات. وهذا الأمر يعكس حالة من التساوي أيضاً في مستوى التدين والعمق الروحي للمواطنين العرب في مختلف البلدان، ويدلُّ على أن الإيمان والتديُّن سمةٌ عامة راسخة بدرجة متساوية عند الغالبية العظمى من الشعوب العربية.

تدلُّ هذه الأوضاع أيضاً على أن الفضاء الرقمي التفاعلي يشكّل مورداً ضخماً للغذاء الروحي والإيماني، جنبا إلى جنب مع كونه مورداً ضخماً للغذاء الوجداني الترفيهي، كما هو الحال في مثلث السينما والتلفزيون والرياضة، كما تدلّ على أن الشريحة المتابعة للقضايا الدينية في هذا الفضاء تُعدُ ندّاً قوياً للشريحة الباحثة عن الترفيه، الأمر الذي يجعل من الصورة العامة لحركة العرب في الفضاء الرقمي التفاعلي قدراً لا يستهان به من التوازن أو التعارض بين التيارات المختلفة.

قضية المطربين والمطربات

يمكن اعتبار هذه القضية رافداً من روافد الترفيه عبر الفضاء الرقمي التفاعلي، ويمكن لنا أيضاً أن نعتبرها واحدة من أكبر حالات "اللغو" الجماعي العربي قليل القيمة والفائدة عبر الإنترنت، فكل ما يجري فيها من مشاركات وردود ومتابعات تتمحور حول شخوص المطربين، لا قضايا الفن والطرب. وقد أدّى ذلك إلى أن التصنيفات الفرعية المندرجة تحت هذا العنوان تصل إلى أربعة وثمانين موضوعاً، جميعها من دون استثناء، لمطربين ومطربات بشخوصهم، وليست لقضية أو موضوع؛ وبالتالي، فإن المحتوى المتعلق بهذه القضية هو في حقيقته "رغي ونميمة" ومتابعات للمطربين والمطربات، يعكس حالة من حالات الشطط في البحث عن الترفيه أو الاهتمام بما هو قليل القيمة، شأن ما يجري في كل المجتمعات لا في المجتمع العربي وحده.

اللغو الجماعي حول المطربين يشتد بالفيس بوك

وتقول الأرقام إن حالة اللغو الجماعي حول المطربين والمطربات استحوذت على المركز الرابع والعشرين في المدوّنات، بعد حصولها على 1.5 % من إجمالي التدوينات؛ والمركز الثالث عشر في المنتديات، بعد حصولها

على 3.3 % من إجمالي المشاركات؛ والمركز السابع على الفيس بوك، بعد حصولها على 1.87 % من إجمالي مشاركات الفيس بوك.

أما استجابة الجمهور لهذا الرغي الجماعي قليل القيمة، فتمثّلت في تخصيص 0.6 % من تعليقات المدوّنات لمتابعته، و1.7 % من تعليقات المنتديات، و12.7 % من تعليقات الفيس بوك. أما نصيب المشاركة الواحدة من مرات التعليق فبلغت 0.7 مرة تعليق في المدوّنات، و23 **مرة** تعليق في المنتديات، و44 مرة تعليق في الفيس بوك.

واللافت للنظر أن الذكور في المدوّنات والمنتديات يحرصون على هذا الرغي ويضعونه في المركزين الثاني والثالث على التوالي بين تفضيلاتهم. أما الذكور على الفيس بوك فلا يهتمون به بالدرجة نفسها ويضعونه في المركز الثالث والعشرين، ويضعه الإناث في المركز الثالث في المدوّنات، والخامس عشر في المنتديات والتاسع في الفيس بوك.

والملاحظ ان هذا الرغي كان قوياً ومتذبذباً طوال العام في المدوّنات، حيث تراوح بين المركزين الثامن عشر والرابع والعشرين. أما في المنتديات فكانت درجته أقوى لكنها مستقرة، حيث حافظ هذا الرغي على المركز الثالث عشر طوال العام، وفي الفيس بوك كانت مكانته أشدَّ وأقوى وتتراوح بين المركزين السادس والثامن.

جامعة عربية للغو حول المطربين

وتشير التحليلات إلى أن حالة اللغو الجماعي حول المطربين والمطربات تتوزع على بلدان **العالم العربي**، فالمدوّنات اللبنانية كانت الأولى من حيث مستوى تفضيل هذا النوع من الرغي تليها المدوّنات الأردنية والجزائرية والعراقية والمصرية، أما أقلّ المدوّنات تفضيلاً له فكانت المغربية والسورية والتونسية والليبية والقطرية.

وفي المنتديات كانت المنتديات اليمنية والإماراتية هما الأكثر اهتماماً، تليهما المنتديات العمانية والسورية والسعودية والمغربية. أما الأقلّ اهتماماً فكانت المنتديات الجزائرية والتونسية واللبنانية والسودانية والمصرية.

وفي الفيس بوك سجلت صفحات ومجموعات العرب المقيمين في الخارج أعلى مستوى من الاهتمام بهذا الرغي، تليهم الصفحات الأردنية فالإماراتية والبحرينية والجزائرية، أمّا الصفحات الأقل اهتماماً فكانت السورية والمصرية والتونسية والمصرية والعمانية والقطرية.

وتضعنا هذه الأوضاع أمام حقيقة أن هناك شريحة غير قليلة من المستخدمين العرب يغريها كثيراً التسلي بالرغي ومتابعة أخبار المطربين والمطربات، وأن هذه الشريحة تتركز بالأساس داخل الفيس بوك الذي يتركز فيه أيضاً الثوار والمهتمون بالعلوم والتديّن وقضايا التنمية وغيرها.

قضية النصائح والإرشادات

تتسم الموضوعات المندرجة تحت هذه القضية بأنها كبيرة وبالعشرات، لكنها في النهاية تسير في اتجاهين رئيسيين: الأول نحو اتجاه نصائح تتعلق بالجانب المهاري والحرفي لكل شيء في المنزل والمكتب والسيارة والعمل والحديقة والحقل والمدرسة وغيرها، والثاني نحو النصائح المتعلقة بالمطبخ والطهي والوجبات.

وقد احتلّت هذه القضية المركز العشرين في المدوّنات، بعدما حصلت على 1.6 % من إجمالي التدوينات؛ والمركز الثاني في المنتديات، بعدما حصلت على 6.4 %من إجمالي المشاركات، والمركز الثالث في الفيس بوك، بعدما حصلت على 6.5 % من مشاركات الفيس بوك.

جماهيرية عالية للنصائح

وقد تجاوب الجمهور مع ما كُتب من نصائح وإرشادات ومعلومات مفيدة عملياً، فخصِّص لها 1.5 % من إجمالي التعليقات على المدوّنات، و3.5 % من إجمالي التعليقات على المنتديات، و4.45 % من إجمالي التعليقات على الفيس بوك. أما نصيب المشاركة الواحدة من مرات التعليق فبلغ 1.6 مرة تعليق على المدوّنات، و24 مرات تعليق في المنتديات، و4.5 مرة تعليق في الفيس بوك.

واللافت أن إقبال الذكور في المدوّنات والمنتديات على هذه القضية "الحرفية" كان أقرب للمتوسط، فقد منحوها المركز السادس عشر في المدوّنات والرابع عشر في كل من المنتديات والفيس بوك، أما الإناث فكان إقبالهنّ عليها جارفاً في المنتديات، ومنحنها المركز الأول؛ ثم الفيس بوك حيث منحنها المركز السادس؛ وأخيراً المدوّنات المركز الخامس عشر. ولعلّ تقدّم المنتديات عند النساء إلى المركز الأول مرتبط بالأساس بمنتديات الطهي والطبخ.

وعلى مستوى الاهتمام، عبر شهور السنة، تراوح مكان هذه القضية بين الثامن عشر والعشرين في المدوّنات، والثاني والثالث في المنتديات، فيما حافظ على المركز الثالث طوال العام في الفيس بوك.

من حيث مستوى إقبال المواطن العربي على هذه القضية في البلدان المختلفة، أشارت التحليلات إلى أن المدوَّنات اللبنانية هي الأكثر تفضيلاً لهذه القضية، تليها المدوَّنات المصرية ثم السورية والليبية والقطرية بدرجة متساوية. أما المدوّنات الأقلّ تفضيلاً فكانت السعودية والعمانية والإماراتية والسودانية والتونسية.

البحرينيون أكثر طلباً للنصائح

في المنتديات، أظهرت المنتديات البحرينية أعلى مستوى من التفضيل لهذه القضية، تليها السعودية والقطرية بدرجة متساوية، ثم اليمنية والإماراتية والعمانية والأردنية بدرجة متساوية. أمّا المنتديات الأقلّ تفضيلاً فكانت الجزائرية واللبنانية والعراقية والسودانية. وفي الفيس بوك كانت الصفحات الجزائرية والعمانية في المركز الأول، من حيث مستوى التفضيل، تلتهما صفحات العرب المقيمين في الخارج والسعودية بدرجة متساوية ثم **المغرب والعراق**. أمّا أقلّ الصفحات تفضيلاً لهذه القضية فكانت الصفحات والمجموعات السورية والبحرينية والإماراتية والتونسية والقطرية.

وفي هذه القضية نحن أمام وظيفة خاصة ومميزة للفضاء الرقمي العربي التفاعلي، تتمثل في أن هذا الفضاء تحوّل إلى نوع من أنواع "العقل الجمعي" الذي يفكّر أفراده بعضهم لبعض، ولمصلحة المجموع، من أجل إيجاد حلول ومعارف ومعلومات توظّف على الفور في تفاصيل الحياة اليومية. بعبارة أخرى، تدلُّ هذه القضية على أن الفضاء التفاعلي أضحى أداةً من أدوات تسيير أمور الحياة، وورشةً من ورش مواجهة تعقيداتها ومشكلاتها ذات العلاقة بالمهارات والوظيفية الأدائية. ويتفوّق الفيس بوك بقوة في هذا الصدد، تليه المنتديات، أما المدوّنات فتلعب فيه دوراً ضعيفاً.

جماهيرية القضايا المثارة

إذا كان الفصل السابق قد عرض لأكثر القضايا انتشاراً واهتماماً في الفضاء الرقمي التفاعلي العربي، وعددُها عشرون قضية، فإن هذا الفصل يحاول إضاءة الصورة من زاوية أخرى، وهي محاولة التعرف إلى سلوك الجمهور تجاه ما أُثير من قضايا، انطلاقاً من أن الجمهور المتلقّي والمستهلك للمحتوى هو جزءٌ أصيلٌ وأساسيٌّ في دراسة الظاهرة، لأن من يقرأ ويتابع يكون عادةً أكثر كثيراً ممن كتب أو نشر، وبالتالي لا يكون البحث مكتملاً من دون تقديم إطلالة مستقلة على جماهيرية القضايا المثارة، فضلاً عن أن الجماهيرية والتفاعلية هي التي تفتح باب التأثير على الجمهور وتوجيهه الوجهة التي يريدها من يقوم بإثارة القضية. بعبارة أخرى، إذا كانت المشاركات على المنتديات تدل على ما يهتم به الأعضاء والمشاركون النشطون على المنتديات، فإن الردود والتعليقات تدلّ على ما يهتم به الجمهور من بين القضايا المُثارة، والجمهور يمثل النصف الآخر من المجتمع العربي الذي يحاول البحث أن يعرف القضايا التي شغلته في العام 2010.

وقد استخدم فريق البحث في هذه النقطة معيار تحليل الجماهيرية للوصول إلى الهدف. في هذا السياق قام الفريق بسحب البيانات الخاصة بالتعليقات والردود التي تمت على التدوينات والمشاركات في الفضاء الرقمي، وربطها بنوعية القضايا التي كُتبت حولها هذه الردود، وكذلك بعض المحاور الأخرى كالبلدان الصادرة عنها المشاركات والتدوينات، ونوع المعلقين ما بين الذكور والإناث، وغير ذلك.

نظراً للخصوصية التي تتّسم بها قنوات النشر الثلاث، في طريقة التفاعل مع الجمهور والتواصل معه، كان لابدّ من عرض جماهيرية القضايا في كل قناة نشر على حدة، لأنه يستحيل منهجياً وبحثياً الدمج بينها، وتقديمها في صورةٍ موحَّدة، في ظلّ هذه الخصوصية.

جماهيرية القضايا المثارة في المدوّنات

أول ما يطالعنا في هذا الصدد أن هناك 100336 تدوينة لم يكترث بها الجمهور من بين 120754 تدوينة كتبها المدوِّنون في 12934 مدوّنة، ولم يعلّق عليها بحرف. وهذه الأرقام تعني أن الجمهور العام لم يكترث بحوالى 83 % من التدوينات التي كتبت، لكنه علّق على حوالى 20 **ألفاً** و420 **تدوينة** تمثل 17 % من إجمالي التدوينات.

فشل جماهيري لأغلب التدوينات

في ضوء هذه الأرقام نجد أنفسنا أمام نتيجة واضحة للعيان وهي أن الغالبية الساحقة من التدوينات فشلت في جذب الجمهور وحثِّه على التفاعل معها عبر التعليقات، أي أن أغلب ما يدور في مجتمع التدوين العربي، هو في نظر الجمهور العام وزوّار المدوَّنات، مجرّد "رغي" بين المدوِّن ونفسه ولا يستحق الدخول فيه.

بيد أن هذه النتيجة الصادمة يخفِّف منها أن عدد التعليقات التي كُتبت على هذه النسبة القليلة، كانت معقولة، حيث وصلت إلى 212 **ألفاً** و192 **تعليقاً**، بمتوسط عام هو 1.8 **تعليقاً** للتدوينة الواحدة؛ ممّا يوحي بأن جمهور الإنترنت والمدوّنات ليس سلبياً أو عازفاً عن المشاركة، لكنه ينفعل ويشارك حينما يجد تدوينات تستحق الوقوف عندها والتعليق عليها.

وقد تمَّ تحليل نمط التعليقات على التدوينات من ثلاث زوايا: الأولى، تتناول التعليقات في ضوء ارتباطها بالقضايا المُثارة، وذلك للتعرُّف إلى مدى قدرة القضايا المثارة على جذب انتباه الجمهور وإقباله على التفاعل معها، وهذه عالجها **الجدول رقم** "12"؛ والثانية، تتناول التعليقات من حيث ارتباطها بالمكان أو الدولة التي صدرت منها، وذلك للتعرف إلى مدى قدرة مجتمع التدوين على جذب الجمهور، في كل دولة عربية على حدة، إلى القضايا التي طرحها خلال العام 2010، وهذه يعالجها **الجدول رقم** "13"؛ والثالثة تتناول التعليقات طبقاً لوظيفة التعرف إلى مستوى انجذاب واهتمام الفئات المختلفة داخل **المجتمع العربي** بقضايا التدوين. ومن خلال هذه التحليلات يمكن الخروج بما يلي:

الخواطر الشخصية في المقدمة

استطاعت التدوينات المتعلقة بالخواطر الشخصية (الحب والمشاعر والكره واليأس وغيرها) أن تحقق المركز الأول في جذب انتباه الجمهور وجعله يتفاعل معها هي أولاً، فقد استحوذت هذه القضية على 13 % من تعليقات الجمهور وهذه النتيجة تتفق وروح عالم التدوين الذي يقوم على الفردية والتعبير عن الذات "والفضفضة" الشخصية مع الآخرين. ويبدو جمهور التدوين العربي متوافقاً، في هذه النقطة، مع النزعة العامة لجمهور المدوّنات عالمياً، من حيث الاحتفاء بالمشاعر الإنسانية والتفاعل معها أكثر من غيرها.

التدوينات القصيرة أكثر جاذبية

لكن متابعة النظر في الأرقام تشير إلى أن المركز الثاني من حيث القدرة على جذب الجمهور أحتلّته التدوينات شديدة القصر والتي تحتوي على كلمات غير مفهومة، أو لا تحتوي على معانٍ قابلة للتصنيف موضوعياً، وكانت تعبّر عن حالة من عدم الاكتراث أو العبث في التدوين، أو الاختصار الشديد، في التدوين، أو استخدام كلمات غير ذات دلالة لغوية قاطعة أو متعارف عليها؛ وهذه النوعية من التدوينات تدخل في باب "التيه" التدويني أو التعامل مع التدوين كنوع من التنفيس عن أشياء مبهمة، أو التدوين في اللاشيء، تعبيراً عن حالة يأس أو إحباط أو خلافه. وقد شكلت هذه النوعية نسبة تصل إلى حوالى 11 % من إجمالي التدوينات. والمدهش أن نصيبها من التعليقات وصل إلى 12 %، أي أن من يمارسون "العبث والتيه" التدويني، كان لهم جمهور مساوٍ لهم تقريباً في الردّ على هذا التيه والعبث والكلمات اليائسة التي لا معنى لها.

بعد ذلك سارت قدرة القضايا المختلفة على جذب الجمهور في مسارٍ لا يختلف كثيراً عمّا وجدناه لدى المدوّنين أنفسهم، حيث نجد في المراكز العشرة التالية القضايا التي سبق أن رأيناها في مراكز متقدمة في التحليلات السابقة. القضايا الدينية لم تفقد قدرتها على فرض نفسها على الجمهور كما فرضت نفسها على المدوّنين من قبل، فقد اجتذبت 10 % من الجمهور، ثم تلتها بعد ذلك قضايا السينما والأدب والثقافة وقضية فلسطين والرياضة والإنترنت والمعلوماتية وإسرائيل والقضايا الاجتماعية والمؤسّسات السياسية والإعلام وحرية التعبير، والتي تراوحت قدرتها على جذب الجمهور بين 6.5 % و2.5 %.

تدوينات قضايا المثلين بلا تعليقات

في أسفل القائمة ثمة القضايا الأقل قدرة على جذب الجمهور، حيث توجد قضايا المثليين والممثلات، والإدارة، والأقليات، والمذهبية، غير قادرة على جذب أي تعليقات على الإطلاق من جانب الجمهور، وحيث يصل نصيبها من التعليقات إلى **صفر في المائة**، تأتي

بعدها مجموعة من القضايا الأخرى استطاعت ولكن بضعف شديد أن تجعل الجمهور يحسّ بوجودها، حيث وصل نصيبها من التعليقات إلى أقل من **نصف في المائة**، ومنها قضايا التنمية، والجنس، والإرهاب، والتطرف، والفنانين، والصناعة، والقوانين والتنظيمات الإسلامية، والخدمات، والتجارة، والفضائح، والأزمات العالمية، والاتفاقيات الدولية، والزراعة، والمؤسّسات الدولية، والملوك.

جماهيرية متوسطة للتعليم والأمن

وبين القمة والقاع ظهرت بعض القضايا التي حققت جاذبيةً جماهيرية متوسطة، والتي تراوح نصيبها من التعليقات بين نصف و2 %، ومنها التربية والتعليم، والأمن، والجريمة، وحقوق الإنسان، والاقتصاد، والطب والصحة، والقضايا السياسية، والصراعات، والأسرة، والطائفية، والفنون، وقضايا المرأة.

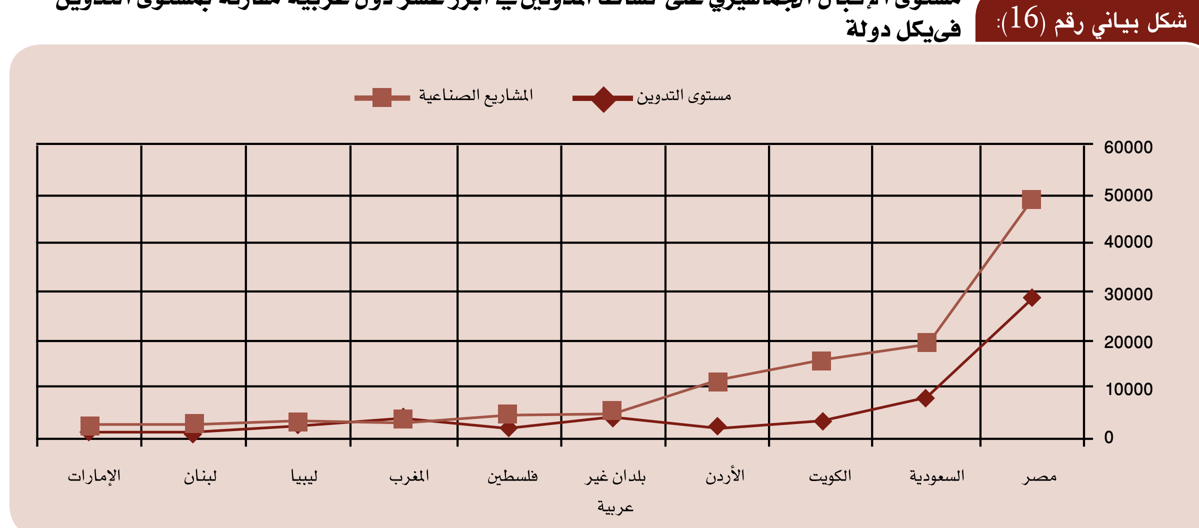
والنسبة العالية أو المنخفضة من التعليقات لا تعتبر المعيار الوحيد للحكم على مدى اهتمام الجمهور بقضية ما، فهناك أيضاً المتوسط العام لنصيب كلّ تدوينة كتبت عن القضية من التعليقات، وهو معيار يدلّ على مستوى التحام الجمهور فكرياً ومعنوياً مع القضية، وعلى مستوى العمق في الحوار بين المدوِّن والجمهور. وفي هذا السياق قد نجد قضايا نصيبها مرتفع من إجمالي التعليقات بسبب كثرة التدوينات، لكن متوسط نصيب كلّ تدوينة على حدة من التعليقات منخفض أو مرتفع، أو ان القضية تحظى بمعدل مرتفع من الناحيتين.

الخواطر الأعلى في التعليقات

وبالنظر إلى الأرقام التي كشفت عنها التحليلات نجد أن قضية الخواطر قد جمعت بين أعلى مستوى من حيث عدد التعليقات، وأعلى معدل من حيث نصيب كلّ تدوينة من التعليقات، حيث بلغ نصيب التدوينة الواحدة من التعليقات 5.2 **تعليقاً**، وهو مستوى لم تحققه أي قضية أخرى، في مشهد يؤكد أن التدوين في المشاعر الإنسانية لا يلائم المدوِّن فقط ولا يجذب الجمهور فقط، بل يُدخل كليهما في حوار وتلاحم أعمق مما يحدث مع غيره من القضايا.

هذا الوضع لم تحققه أي قضية أخرى بالدرجة نفسها، فالمركز الثاني في متوسط نصيب التدوينة من التعليقات أحتلّته قضية اتفاقيات السلام بمتوسط 4.7 **تعليقات** للتدوينة الواحدة، في حين أن هذه القضية أحتلّت **المركز** 21 من حيث نسبة العدد الإجمالي للتعليقات، ومن ثم فإن قضية اتفاقيات السلام كانت قليلة الجمهور لكنها أعلى في مستوى التلاحم بين المدوّنين والجمهور، وأعمق في الحوار الدائر بينهما بشأنها. واللافت أن المراكز التالية احتلّتها قضية **إسرائيل، وقضية فلسطين،** وحقوق الإنسان، والأدب، والثقافة وجميعها كانت في مراكز متأخرة من حيث نسبة العدد الإجمالي للتعليقات.

شكل بياني رقم (16): مستوى الإقبال الجماهيري على نشاط المدوّنين في أبرز عشر دول عربية مقارنة بمستوى التدوين في كل دولة





نصيب متواضع للتدوينات الدينية

حدث الأمر نفسه مع القضايا الدينية، التي تراجعت في نصيب التدوينة الواحدة من التعليقات إلى المركز العاشر، في حين أنها كانت في المركز الثالث من حيث العدد الإجمالي للتعليقات. وهنا يمكن لنا القول إن تفاعل الجمهور مع القضايا الدينية كان أقلّ تلاحماً وأكثر سطحيةً ما بين المدوّن والجمهور، مقارنةً بما جرى في الخواطر واتفاقيات السلام، **وفلسطين وإسرائيل**، وحقوق الإنسان، والأدب، والثقافة.

التدوينات المصرية الأكثر بريقاً لدى الجمهور

وعند النظر في الاهتمام الجماهيري بالقضايا المثارة، طبقاً للتوزيع الجغرافي للبلدان، يتبين أن النسبة الأكبر من التعليقات جاءت على تدوينات لم يذكر أصحابُها بلدانهم، وهذه تتجاوز قليلا الـ 39 %، كما هو واضح في **الجدول رقم** "13"، وتأتي بعدها التدوينات المصرية في صدارة التدوينات التي حظيت بأكبر قدر من التعليقات. وفي متابعة قائمة المراكز العشر الأوائل يتبيّن أن التدوينات السعودية تأتي في المركز الثاني، تليها الكويتية، فالأردنية فالتدوينات، التي وضعها من يقيمون في بلدان غير عربية، ثم التدوينات الفلسطينية فالمغربية فالليبية ثم اللبنانية.

وفي ذيل القائمة التدوينات التي وُضعت من قبل مدوِّنين في مجموعة الدول الأشد فقراً، وهي **الصومال جيبوتي وموريتانيا**. واللافت أن معها أيضاً **قطر والعراق** والتدوينات التي لم يكتب أصحابها أسماء دولهم بوضوح. وفي الوسط **الإمارات والجزائر وعُمان واليمن والسودان والبحرين وسورية**.

ومن الواضح ان هذا الانتشار مرتبطٌ، إلى حدّ كبير، بعاملين هما عدد السكان في كل بلد ومعدل انتشار الإنترنت بعامة في هذه البلدان؛ ففي **مصر** حيث الكثافة السكانية العالية وعدد المستخدمين أعلى، تمّ تسجيل عدد مدوِّنين وتدوينات أعلى. كذلك في **السعودية والكويت ولبنان** – على قلة عدد السكان في **دول عربية** أخرى – كان معدل التدوين والتعليقات أعلى بسبب كثافة انتشار الشبكة في هذه البلدان، وربما تكون قلّة العدد هي التي جعلت قطر تقترب في معدل التعليق على التدوينات من مستوى **الصومال وموريتانيا**، على الرغم من الفارق في كثافة انتشار الشبكة في **قطر** مقارنةً بهذين البلدين.

غير أن الأمر يختلف بصورة كبيرة في حالة نصيب كل تدوينة من التعليقات؛ ففي هذه الحالة هناك التدوينات التي لم يحدد أصحابها بلدانهم، والتي تسجل أعلى مستوى من حيث نصيب التدوينة من التعليقات، تليها الأردن بمعدل 5.5 **تعليقات** لكل تدوينة، ثم **الكويت** ثم **عُمان** ثم **لبنان**. ويعني ذلك أن مستوى التلاحم والتفاعل بين المدوِّن والجمهور يصل إلى أعمق مدى له في التدوينات المكتوبة في **الأردن والكويت ولبنان**.

أما **مصر والسعودية** اللتان تصدَّرتا القائمة، في المعيار السابق؛ فتراجعتا. أصبحت **السعودية** في المركز السادس بدلاً من الثاني، و**مصر** في المركز الثاني عشر بدلاً من الأول.

تأتي التدوينات المصرية في صدارة التدوينات التي حظيت بأكبر قدر من التعليقات، والتدوينات السعودية تأتي في المركز الثاني تليها الكويتية فالأردنية.

وفي باقي **الدول العربية** الأخرى، ظلّت الأمور بلا تغيير كبير، بالنسبة إلى مجموعة الدول، في نهاية القائمة أو في وسطها. ونخلص من هذا مباشرة إلى أن التدوين في **السعودية ومصر** يتميز باتّساع الانتشار الجماهيري عند مناقشة القضايا الـ 52 محلّ البحث، لكن التدوين في **الأردن والكويت ولبنان** في هذه القضايا يتميز بالعمق في التحاور والتلاحم بين المدوِّنين والجمهور، أما في بقية **الدول العربية** فالوضع يتّسم بشيء من الضحالة والركود، سواءً على مستوى الانتشار الجماهيري أم على مستوى العمق الحواري.

الصحافيون والكتّاب الأكثر جذباً للجمهور

كان للجمهور رأيٌ أيضاً في التدوينات الصادرة عن كل فئة أو أصحاب مهنة تقوم بالتدوين في القضايا المختلفة، وإذا ما تمّ استثناء التدوينات الصادرة عن مدوّنين لم يذكروا مهنتهم أو فئتهم، والتي تشكل 93 % من إجمالي التدوينات واستحوذت على حوالي 87 % من التعليقات، كما يوضح **الجدول** "14"، يتبيّن أن التدوينات الصادرة عن الصحافيين والكُتّاب تتصدر قائمة الفئات التي استطاعت جذب الجمهور إلى تدويناتها، تليهم الوظائف المصنّفة تحت بند "أخرى" ثم الأطباء والإداريون والمدرسون، وفي المراكز الخمس الأخيرة يأتي أصحاب المهن التشكيلية والدُّعاة ورجال الأعمال والمترجمون والباحثون. والملاحظ أن الجميع يتنافس على قدْر ضئيل جداً من التعليقات يتراوح بين 0.1 % و2 %.

حوار العاطلين عن العمل أعمق من الصحافيين

على مستوى نصيب التدوينة من التعليقات، اتّضح أن أعلى تدوينات اجتذبت الجمهور للتعليق عليها، أكثر من مرّة، كانت تدوينات العاطلين عن العمل التي وصل فيها نصيب التدوينة الواحدة من التعليقات إلى **تسعة تعليقات**، وتلتها تدوينات المهن الفنية التي وصلت إلى 6.4 تعليقات على كل تدوينة ثم الأطباء والدعاة، في حين تراجع الصحافيون والكتّاب إلى المركز الحادي عشر بعد أن كانوا في المركز الأول من حيث العدد الإجمالي للتعليقات.

وتدل هذه النتائج على أن الحوار بين العاطلين عن العمل والجمهور كان أعمق وأكثر تلاحماً من الحوار بين الصحافيين والكتّاب والجمهور بفارق كبير؛ بينما كانت تدوينات الكتاب والصحافيين أكثر انتشاراً من غيرها، وتشير التحليلات التي أُجريت خلال الدراسة إلى أن تدوينات العاطلين عن العمل كانت تعكس مرارات ومشكلات يعيشونها، ولاقت تعاطفاً وقبولاً من آخرين من الجمهور، هم في الأغلب من العاطلين عن العمل أيضاً، أو على الأقل من المتأثرين بالبطالة، فكانوا يكتبون تعليقات متعددةً على التدوينة الواحدة. وفي هذا السياق يمكن القول إن مجتمع التدوين يلعب دوراً مهماً بين أصحاب المشكلة الواحدة، فمن يكتب يجد صدىً واقتراباً ممن يشاطره المشكلة ويقرأ أو يتابع. وهذا الصدى والاقتراب لا يظهر بالقوة نفسها من الوهج والعمق في حالة الكتابة الإعلامية والصحافية العادية التي تصدر عن محترفين لا يتشاركون مع المتلقي في مشكلته.

جماهيرية القضايا المُثارة على المنتديات

كتب العرب عبر منتدياتهم في العام 2010 ما إجماليّه 661 **ألفاً** و715 **مشاركة** في 53 قضية مختلفة، ووصلت الردود على هذه المشاركات إلى 29 **مليوناً** و600 **ألف** و540 **تعليقاً**، بمتوسط 44.7 تعليقاً على المشاركة الواحدة، واستحوذت قضايا الاقتصاد على نصيب الأسد من هذه التعليقات، حيث بلغت

التدوين في السعودية ومصر يتميز باتساع الانتشار الجماهيري عند مناقشة القضايا، لكن التدوين في الأردن والكويت ولبنان في هذه القضايا يتميز بالعمق في التحاور والتلاحم بين المدوِّنين والجمهور.



حصتُها 32.7 % من إجمالي التعليقات.

قضايا المنتديات غير جاذبة جماهيريا

تضع هذه الأرقام بين أيدي القراء أول ملمح من ملامح جماهيرية القضايا المُثارة عبر المنتديات، وهو أنها كانت في مجملها قضايا غير جاذبة للجمهور، ولا تدفعه أو تحثه على التفاعل معها بالرد والتعليق، لأن العدد الإجمالي للتعليقات ضئيل جداً في مقابل العدد الإجمالي للمشاركات. ويتضح ذلك بصورة أكبر من المتوسط العام للتعليق على القضايا يكاد يناهز الـ 45 **تعليقاً** للقضية الواحدة، ويعبّر عن مستوى جماهيرية لا يتسق والحركة الهادرة للجماهير على الإنترنت، التي تدفع بالتعليقات داخل المنتديات والمدوّنات وغيرها إلى ما يتجاوز المئات من التعليقات، على الكثير من الموضوعات بسهولة.

لا بد أن نشير هنا، إلى أن ضعف جماهيرية القضايا المُثارة على المنتديات لا يعبّر بالضرورة عن تراخي أو ضآلة الاهتمام بموضوع القضايا نفسها، ولكنه يعبّر في المقام الأول عن عدم قدرة المشاركة المكتوبة حول هذه القضايا في جذب الجمهور، وإقناعه بالتفاعل مع ما يُكتب حول هذه القضية أو تلك.

وإذا ما تجاوزنا ذلك وبحثنا عن ملامح أخرى لجماهيرية القضايا المُثارة على المنتديات، سنجدُ أنه بجانب الملمح الأول الخاص بضعف الجماهيرية الذي طال جميع القضايا، هناك أيضاً تنوعٌ واختلافٌ بين قدرة كل قضية أو مجموعة قضايا على جذب الجمهور، وبين إقناع هذا الجمهور بالمشاركة فيها.. كيف؟؟؟

ثلاث معايير لتقييم الجماهيرية

يرتب **الجدول** "15" القضايا المُثارة عبر المنتديات من 1 إلى 53، في ثلاث قوائم: الأولى، بحسب عدد المشاركات التي كُتبت حول كل قضية، وهذه أقل المعايير الموجودة في الجدول من حيث القيمة الجماهيرية، والثانية بحسب عدد التعليقات التي كتبت حول القضية إجمالاً، وهذه أوسطها من حيث القيمة الجماهيرية، والثالثة بحسب نصيب كل مشاركة من التعليقات، وهذه أعلاها من حيث القيمة الجماهيرية.

استناداً إلى ذلك فإن انتقال قضية ما من مركز أدنى في القائمة الأولى إلى مركز أعلى في القائمة الثانية، ثم أكثر تقدماً في القائمة الثالثة، يعني تلقائياً أن جماهيرية القضية تتخذ مساراً تصاعدياً مع الوقت، بعد بدء إثارتها على المنتديات. أما إذا انتقلت القضية من مراكز متقدمة في القائمة الأولى إلى مراكز متأخرة في القائمة الثانية، ثم إلى مراكز أكثر تأخراً في القائمة الثالثة، فهذا يعني أن جماهيرية القضية تتخذ مساراً تنازلياً وتنكمش شعبيتها مع الوقت، بعد إثارتها على المنتديات.

وحينما ننظر إلى "مركز" أو مرتبة كل قضية في القوائم الثلاث، سنلاحظ تفاوتاً واختلافاً، وهذا معناه أن القضايا التي وضعها أعضاء المنتديات، على قائمة أولوياتهم، وكتبوا فيها وأثاروها للنقاش، لم تكن بالضرورة هي القضايا التي اختارها الجمهور ووضعها على أولوياته وهو يشارك أو يعلق. بعبارة أخرى: من كتب اختار ما شاء من القضايا، وفي المقابل فإن من قرأ وتابع وعلَّق كانت له اختياراته الأخرى المستقلة تماماً.

اختلافات بين الكُتّاب والجمهور

في هذا السياق، يمكن الخروج من **الجدول** (15) بما يلي:

هناك مجموعة قضايا أهملها من يكتبون المشاركات، ويثيرون القضايا، فجاءت في مراكز متأخرة في القائمة الأولى الخاصة بإجمالي عدد المشاركات. لكن الجمهور احتفى

كتب العرب عبر منتدياتهم في 2010 نحو 661 ألفاً و715 مشاركة في 53 قضية مختلفة، ووصلت الردود على هذه المشاركات إلى 29 مليوناً و600 ألف و540 تعليقاً، بمتوسط 44.7 تعليقاً على المشاركة الواحدة، واستحوذت قضايا الاقتصاد على نصيب الأسد من هذه التعليقات، حيث بلغت حصتها 32.7 % من إجمالي التعليقات.

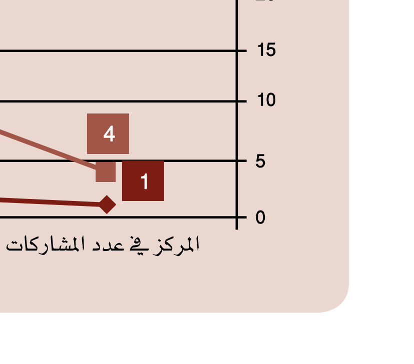
بهـا وهـو يعلّق ويتابـع ويتفاعـل، فجاءت في مراكـز أكثر تقدماً في القائمة الثانية الخاصة بـالتعليقات الإجمالية، والقائمة الثالثة الخاصة بنصيب المشاركة الواحدة من التعليقات. وهذا يعنـي أن جماهيريـة هـذه القضـايا اتَّخـذت اتجاهاً تصاعدياً بمرور الوقت.

التنمية: مشاركات قليلة وتعليقات كاسحة

علـى رأس هـذه المجموعـة من القضـايا، قضـيةُ التنمية التـي جاءت في المرتبـة الـ 37 في قائمـة من يكتبون ويضعـون المشـاركات على المنتديات. لكن الجمهور اهتمَّ بها ورفعها إلى المرتبـة الرابعـة، في قائمة عدد التعليقات، ثم قفزت لتحتل المركز الأول، من حيث نصـيب المشـاركة الواحدة، التي كُتبـت عن التنمية من التعليقـات، حيـث وصـل هـذا العـدد إلى 721 **تعليقاً**. أي أن كل مشـاركة أو وجهة نظر كُتبت عـن قضـايا التنميـة، كان يتمّ التعليـق عليها 721 مـرة، وهـذا هـو المعـدل الجيـد مـن حيث الجماهيرية على الإنترنت.

وقـد أمكـن رصـد العديـد مـن القضـايا الأخرى التي اتخذت المسـار نفسه، وتصاعدت جماهيريتُها وشـعبيتها، على الرغم من تراخي الاهتمـام بها، والكتابة حولهـا في المنتديات، ومنها قضـية الفضـائح التي قفزت من المركز 50 لـدى مـن يكتبون إلى المركـز 33 في قائمة التعليقـات، وإلى المرتبة الثالثة من حيث عدد التعليقات على المشاركة الواحدة. ومنها أيضا قضـايا الصناعة التي تصاعدت من المركز 33 إلى المركز 18 ثم قفزت إلى المركز الرابع؛ ومنها قضـية الجنس التي انتقلت مـن المركز 20 إلى المركـز 14 فإلى المركز **السادس**، ومنها أيضـاً قضـية الإعلام وحرية التعبير التي صعدت من المركـز 25 إلى المركـز 20 فـإلى المركز **الثاني عشر**، ومنها أيضاً قضية التجارة التي صعدت مـن المركـز 43 إلى المركـز 39 ثـم المركز 15، ومنها أيضاً قضية البيئة والموارد التي انتقلت من المركـز 24 إلى المركز 21 فإلى المركز 18، ثم قضـية التلفزيون والفضائيات التي انتقلت

شكل بياني رقم (17): منحنى جماهيرية القضايا الدينية والأفلام في المنتديات طبقاً للمراكز التي احتلها في المشاركات والتعليقات والنسبة المئوية من التعليقات وعدد التعليقات على المشاركة الواحدة



	المركز في عدد المشاركات	المركز في عدد التعليقات	المركز في النسبة من إجمالي عدد التعليقات	المركز في عدد التعليقات على المشاركة الواحدة
قضايا دينية	4	13	13	32
أفلام وسينما	1	2	2	11



شكل بياني رقم (18): منحنى جماهيرية قضايا الاقتصاد والتنمية في المنتديات طبقاً للمراكز التي احتلها في المشاركات والتعليقات والنسبة المئوية من التعليقات وعدد التعليقات على المشاركة الواحدة

	المركز في عدد المشاركات	المركز في عدد التعليقات	المركز في النسبة من إجمالي عدد التعليقات	المركز في عدد التعليقات على المشاركة الواحدة
تنمية	37	4	4	1
اقتصاد	11	1	1	2

مـن المركـز 17 إلى المركـز 11 فـإلى المركـز التاسع.

السينما: مشاركات كاسحة وتعليقات ضئيلة

في المقابـل، كانـت هنـاك مجموعـة مـن القضـايا اهتـم بهـا من يكتبـون المشـاركات وركزوا عليها بشـدة، فتصـدرت القائمة الأولى الخاصة بإجمالي عدد المشاركات، لكن الجمهور أهملها ولم يعْطها القدر نفسه من الاهتمام ولم يتفاعل معهـا، فتراجعت إلى مراكز متأخرة في القائمة الثانية الخـاصة بالتعليقات الإجمالية، ثـم تراجعت أكثر في القائمة الثالثة الخـاصة بنصـيب المشـاركة الواحـدة مـن التعليقـات، وهذا يعني أن جماهيرية هذه القضـايا اتَّخذت اتجاهـاً جماهيريـاً تنازليـاً انكماشـياً بمرور الوقت.

ومن القضايا التي سلكت هذا المسلك قضية السـينما والأفـلام والأغـاني، التـي هبطت من **المركز الأول** في قائمة المشـاركات إلى **المركز الثـاني** في قائمة عدد التعليقات، ثم إلى **المركز الحادي عشر** في قائمة نصـيب المشـاركة من التعليقات؛ وقضـية النصائح والإرشادات التي هبطت من **المركز الثاني** في قائمة المشـاركات إلى **المركـز السابع** في التعليقات، ثم إلى **المركز الثالث والعشرين** في قائمة نصـيب المشاركة الواحدة من التعليقات؛ وقضايا الطب والصحة التـي تراجعـت مـن **المركـز الثالث** إلى **التاسع عشر** فـإلى **الثالث والأربعين**؛ والقضايا الدينية التـي تراجعـت مـن **المراكـز الرابـع** إلى **الثالث عشـر** فـإلى **الثـاني والثلاثين**؛ وقضـايا الأدب والثقافة التي تراجعت من **السادس** إلى **التاسع** فـإلى **العشرين**؛ وقضية الأسرة من **الثاني عشر** إلى **الخامس عشر** فـإلى **الحـادي والعشرين**؛ وقضيـة العلوم التي تراجعت من **التاسع عشر** إلى **الثاني والعشرين** فـإلى **الحادي والثلاثين**.

التعليم: توازن المشاركات والتعليقات

بـين الفئتـين، كانـت هنـاك مجموعـة من

القضايا اتخذت مساراً مستقراً نسبياً، ولم تشهد جماهيريتها وانتشارها تصاعداً منتظماً أو تراجعاً منتظماً مع الوقت؛ من بينها قضايا التربية والتعليم التي وضعها من يكتبون في المرتبة التاسعة، ووضعها من يعلقون في المرتبة الثامنة من حيث عدد التعليقات الإجمالي، ونصيب المشاركة الواحدة من التعليقات. كذلك قضية الإنترنت والمعلوماتية والاتصالات التي انتقلت من المركز الخامس إلى السادس ثم إلى العاشر؛ والقضايا الاجتماعية التي استقرت في المركز العاشر في القائمتين الأولى والثانية، وتحركت إلى الثالث عشر في القائمة الثالثة؛ وقضية الصراعات التي استقرت في المركز الثالث والعشرين في القائمتين الأولى والثانية، وتحركت إلى المركز السابع والعشرين في القائمة الثالثة.

الاقتصاد: جماهيرية متذبذبة

في مجموعة رابعة من القضايا، كان هناك نوعٌ من التذبذب في الجماهيرية، بمعنى أن القضية تبدأ باهتمام واضح من قبل من يكتبون المشاركات، وتحقق جماهيرية أكبر لدى من يكتبون التعليقات، فتحقّق عدداً أكبر من التعليقات، لكنها لا تتمكن من تحقيق تقدّم مماثل على صعيد رفع نصيب المشاركة الواحدة من التعليقات، فيتراجع ترتيبها في القائمة الثالثة، وتبدو جماهيريتها مثل الخط المنكسر الذي يصعد لأعلى ثم يهبط لأسفل؛ ومنها أيضاً قضايا الاقتصاد التي انتقلت من المركز الحادي عشر من حيث عدد المشاركات إلى المركز الأول، من حيث عدد التعليقات لكنها هبطت إلى المركز الثاني، من حيث نصيب المشاركة الواحدة من التعليقات؛ وقضايا الرياضة التي صعدت من الثامن إلى الثالث ثم هبطت إلى الخامس؛ والفنون التي صعدت من المركز الخامس عشر إلى الثاني عشر ثم هبطت إلى الرابع عشر.

نخلص من هذه الأنماط المختلفة لجماهيرية القضايا المختلفة عبر المنتديات، إلى النتائج التالية: ● إن عدد المشاركات لا يحقق الجماهيرية والتفاعل، بل إن مضمونها وطبيعة القضية التي تتناولها هما من يفعل ذلك. ولذا فإن القضايا التي تصدَّرت قوائم المشاركات وامتلأت بها صفحات المنتديات لم تكن هي الأكثر قدرةً على جذب الجمهور.

● إن من كتبوا احتفوا بالسينما والأغاني والنصائح والإرشادات وغيرها من القضايا التي سبق تصنيفها على أنها من قضايا "الشأن الخاص"؛ أما من تابعوا وعلّقوا وشاركوا، فقد احتفوا بقضايا سبق تصنيفها على أنها من قضايا "الشأن العام". وكان في مقدمتها التنمية، والاقتصاد، والصناعة، والتربية والتعليم؛ وهذا معناه أن خيارات الجمهور في التعامل مع القضايا كانت أكثر نضجاً ووعياً بكثير من خيارات أعضاء المنتديات وهم يكتبون ويثيرون القضايا هنا وهناك.

ولعل ذلك يقدم مؤشراً على بدايات حدوث نوع من التعقل والنضج في تعامل الجمهور العربي العريض مع المحتوى المقدّم إليه عبر الإنترنت، فمن الإيجابي بالطبع أن تكون قضايا التنمية والاقتصاد فرسيّ الرهان اللذين يتنافسان على اهتمامات جمهور كتب 29 **مليوناً** و600 ألف تعليق خلال 2010.

التنافس على الجمهور بين الذكور والإناث

سادت حالة من التنافس الشديد بين الذكور والإناث على جذب الجماهير إلى كلّ ما يكتبه كل منهم من مشاركات وإسهامات في القضايا المختلفة. يرتب **الجدول** "16" القضايا جميعها في قائمتين، وفقاً لقدرة ما يكتبه الذكور والإناث في كل قضية على جذب الجمهور وإقناعه بالتعليق والكتابة والرد والمناقشة. وُيلاحظ أن كتابات ومشاركات الذكور حققت أعلى مستوى من الجماهيرية حينما كانت تتناول قضايا الاقتصاد التي

خيارات الجمهور في التعامل مع القضايا كانت أكثر نضجاً ووعياً بكثير من خيارات أعضاء المنتديات وهم يكتبون ويثيرون القضايا هنا وهناك، ولعلّ ذلك يقدّم مؤشراً على بدايات حدوث نوع من التعقل والنضج في تعامل الجمهور العربي العريض مع المحتوى المقدّم إليه عبر الإنترنت.

أحتلّت المركز الأول، تليها بالترتيب قضايا الرياضة، وقضايا المطربون والمطربات، والتربية والتعليم، والقضايا الدينية، والإنترنت والمعلوماتية، والتلفزيون، والخواطر، والأفلام والسينما، والتاريخ والتراث، كأول عشر قضايا نجح الذكور في جذب الجماهير إليها أكثر من الإناث.

النصائح على قمة كتابات الإناث

في المقابل يلاحظ أن كتابات الإناث ومشاركاتهنّ حققت أعلى مستوى من الجماهيرية حينما تناولت النصائح والإرشادات التي أحتلّت المركز الأول لديهنّ، تليها بالترتيب قضايا الأدب، والثقافة، والفكر، والخواطر، والأفلام والسينما، والأسرة، والتلفزيون، والرياضة، والصناعة، والتربية والتعليم، كأول عشر قضايا نجحت الإناث في جذب الجمهور إليها.

إن رصداً مقارناً للمراكز الخمسة الأول، لدى كل من الذكور والإناث، من حيث القضايا التي حقّقت نجاحاً جماهيرياً، يكشف أن الاقتصاد كان القضية، التي احتلّت المركز الأول بين الخمسة الأول في قائمة الذكور؛ لكن هذه القضية جاءت متأخرة كثيراً لدى الإناث وأحتلّت لديهنّ المركز السابع عشر؛ والرياضة كانت لدى الذكور في المركز الثاني، ولدى الإناث في المركز الثامن؛ وقضية المطربين والمطربات كانت لدى الذكور في المركز الثالث؛ ولدى الإناث في المركز الثامن عشر، والتربية والتعليم كانت لدى الذكور في المركز الرابع؛ ولدى الإناث في المركز العاشر؛ والقضايا الدينية كانت لدى الذكور في المركز الخامس؛ ولدى الإناث في المركز السادس عشر.

وفي المراكز الخمسة الأول في قائمة الإناث القضايا مختلفة تماماً، فالقضية الأولى ذات النجاح الجماهيري الأكبر هي النصائح والإرشادات التي تأتي في المركز الأول؛ لكن هذه القضية متأخرة بوضوح لدى الذكور؛ وتحتلّ لديهم المركز الرابع عشر؛ والإنترنت كانت في المركز الثاني لدى النساء، والسادس لدى الذكور؛ والثقافة والأدب والفكر كانت في الثالث لدى الإناث، والحادي عشر لدى الذكور؛ والخواطر في الرابع لدى النساء، والثامن لدى الذكور؛ والسينما والأفلام كانت الخامس لدى النساء، والتاسع لدى الذكور.

وعلى هذا النسق تتباين وتختلف قدرة ما يكتبه الذكور والإناث على جذب الجمهور، حتى آخر قائمة القضايا. ولا يحدث تقاربٌ واضح بين الفئتين إلا في تسع قضايا هي: التلفزيون والفضائيات التي أحتلّت المركز السابع لدى الفئتين؛ والإعلام وحرية التعبير الذي حققت فيه المركز 20 **للفئتين** أيضاً؛ والاستهلاك الذي حقق فيه الإناث المركز 22، والذكور المركز 23؛ والخدمات الذي حققت فيه الفئتان المركز 33؛ واتفاقيات السلام في المركز 43 للذكور والإناث؛ والمؤسّسات الدولية الذي حققت فيها الإناث المركز 49، بينما حقق الذكور المركز 50؛ والملوك والأمراء المركز 51 للفئتين؛ وأخيراً قضايا الإدارة المركز 52 للفئتين.

استقطاب نوعي يشطر الجمهور

نخلص من ذلك إلى أن التباين والتباعد بين الذكور والإناث لم يكن مقصوراً فقط على نوعية القضايا التي اختار كل نوع الكتابة فيها والاهتمام بها كما سبق القول، فقد امتدت حالة الاستقطاب والتباين الذكوري الأنثوي لتشطر الجمهور أيضاً، وتجعله يعيش هو الآخر حالةً من حالات "حوار الطرشان" كما سبق القول، بل إن الأمر يبدو وكأن الطرفين يكادان لا يلتقيان إلا قليلاً، فحيثما ارتفعت جماهيرية ما يكتبه الذكور في قضية ما، قلت جماهيرية ما تكتبه الإناث في القضية ذاتها. وأهمية هذه النتيجة أنها تعزز ما سبقت الإشارة إليه من قبل، من أن حالة الحوار والمشاركة والنقاش المشترك بين المجتمع الذكوري والأنثوي، في العالم العربي، ضامرة ومقلقة لأن كلاً منهما

يلاحظ أن كتابات ومشاركات الذكور حققت أعلى مستوى من الجماهيرية حينما كانت تتناول قضايا الاقتصاد التي أحتلّت المركز الأول، وفي المقابل يُلاحظ أن كتابات الإناث ومشاركاتهن حقّقت أعلى مستوى من الجماهيرية حينما تناولت النصائح والإرشادات التي أحتلّت المركز الأول لديهنّ.

يـكاد ينغلـق على نفسـه، ويمضـي في طريقه، غير حريص على مشـاركة الآخر في ما يفكّر أو يناقش أو يطرح من أفكار.

التعليم وتأثيره على جماهيرية القضايا

إلى أي حد نجح طلاب المدارس والجامعات، ومـن هم في التعليم ما بعد الجامعي، في تقديم كتابات وإسـهامات قادرة على جذب الجمهور وجعلـه يعلّـق ويشـارك علـى ما يكتبـون؟ من منهـم كان الأقدر على ذلك أكثر من غيره؟ وفي أي نوع من القضايا قدَّم مشاركات وإسهامات ذات صدى جماهيري؟

في **الجـدول رقـم** "17" ثـلاث قوائـم، كلُّ منهـا يرتّـب القضـايا المُثـارة طبقاً لمسـتوى الجماهيريـة التي حققتهـا مشـاركات كلٍّ فئةٍ مـن فئـات المسـتوى التعليمـي الثلاثـة، حول هذه القضـايا، وهي: التعليـم ما قبل الجامعي، والتعليـم الجامعي، والتعليم مـا بعد الجامعي، وذلـك طبقـاً للمنهجيـة المتَّبعـة في المحـاور التحليلية السابقة.

تقدم طفيف للشأن العام على الخاص

نحن أمام تغيير إيجابي طفيف في مسـتوى الاهتمام بقضـايا الشـأن العام مقابل قضـايا الشـأن الخاص. فعنـد تحليـل طبيعة القضـايا التـي أحتلّت المراكز العشرة الأول لدى الفئات الثـلاث، سـنجد أن قضـايا الشـأن العـام كان نصـيبها قضـية واحـدة فقط، من بين القضـايا العشر الأولى، التـي حقّقت جماهيريةً واسـعة لـدى طلاب المدارس. لكنَّ هذا الرقـم يرتفع إلى خمس قضـايا لدى فئة طلاب الجامعات، ثم إلى سـت قضـايا لدى من هـم في المسـتوى مـا بعد الجامعـي. ودلالـة ذلـك أن المسـتوى التعليمـي يُحـدث أثراً إيجابياً في جذب أعضـاء المنتديات والجمهور، نحو قضـايا الشـأن العام ويخرجهم شيئاً فشـيئاً من قبضة قضـايا الشأن الخاص؛ وهذا أمـرُ مطلـوب، ومرغوبٌ التوسـع فيه، لأنه يجعل المواطن أكثر مشاركة في قضايا مجتمعه ووطنـه الكبرى، بـدلاً من كونـه مواطناً سـلبياً منغلقاً على شؤونه الخاصة.

أنماط متعارضة لعلاقة التعليم بالجماهيرية

الأمـر التالي الذي يمكـن الخروج به هو أن هناك أنماطاً متعارضـة للعلاقة بين المستوى التعليمي وجماهيرية القضـايا؛ فهناك قضايا تـزداد جماهيريتهـا مـع ارتفـاع المسـتوى التعليمي لمـن يقومون بالكتابة فيها وإثارتها للنقاش، وهناك قضايا أخرى تقلُّ جماهيريتها مع ارتفاع المستوى التعليمي لمن يكتب فيها.

في ما يتعلـق بالنمط الأول، تتقدَّم قضـية الإنترنـت والمعلوماتيـة والاتصـالات، التـي تحقِّـق أعلـى مسـتوى للجماهيرية والشـعبية، حينمـا يكتب فيها طـلاب الثانوية والإعدادية؛ فـالجـدول يُشـير إلى أنهـا حينمـا كتـب فيهـا المنتمـون إلى هذه الفئة، أحتلّت المركز الثاني مـن حيـث الجماهيريـة؛ لكـن حينمـا كتـب فيهـا الجامعيـون تراجعـت جماهيريتهـا إلى المركـز الثاني عشر، وحينما كتـب فيها مـا بعد الجامعيين أصبحت في المركز الثالث عشر.

ومن القضـايا الأخرى التي تمضـي في هذا الطريق قضـية الأفلام والسـينما والأغاني التي حققـت المركـز الرابـع جماهيريـاً، مـع طـلاب المدارس، والثامـن مع طلاب الجامعات والثاني عشر مع مـا بعـد الجامعيين؛ وقضـية الخواطر والمطربين والمطربات التي تراجعت من الخامس عشر الى الخامس والعشريـن، فـإلى الحـادي والثلاثـين؛ وقضـية الصـناعة التـي تراجعـت من الحـادي والعشريـن الى الثامـن والعشرين، فالثلاثين؛ وقضـايا الاسـتهلاك التـي تراجعت مـن الثالـث والعشرين الى السـادس والعشرين، فالسـادس والثلاثـين، وعلى هذا النحو تمضـي قضـايا المناسـبات والأعياد، وقضايا الممثلين والممثـلات، والتجـارة، وإسرائيـل، واتفاقيـات السلام، والمؤسّسات الدولية، وغيرها.

وتأتـي القضـايا الاجتماعيـة في صـدارة النمط الثاني الذي تزيد فيه جماهيرية القضـية وشـعبيتها مع ازديـاد المستوى التعليمي؛ فهذه القضية حينما كتب فيها طلاب المدارس كانت شـعبيتها في المركز الثاني عشر؛ وحينما كتب فيها طلاب الجامعات ارتفعت شعبيتها وأحتلّت المركز السـادس، وحينما كتب فيها من هم بعد التعليم الجامعي احتلّت شعبيتها المركز الثاني.

ارتفاع جماهيرية الصحة مع ارتفاع التعليم

تضمّ هذه المجموعة قضايا الطب والصحة التـي تقدمت جماهيريتهـا من المركـز الثامن عشر، لدى طـلاب المدارس، إلى الخامس عشر لـدى طلاب الجامعـات، فإلى الرابـع عشر لدى من هم بعد التعليم الجامعي؛ كما تضمّ القضايا السياسـية التي تقدَّمت جماهيريتها من المركز الثامـن والعشريـن، لـدى طلاب المدارس، إلى الثامن عشر، لدى طلاب الجامعات وما بعدها. وعلـى الـدرب نفسـه سـارت قضـايا التاريخ، والتراث، والطرائف، وحقوق الإنسان، والقضايا الدوليـة، والأقليـات، والإدارة، والمذهبيـة، والنصائح، والإرشادات.

إلى جانـب هذين النمطين مـن العلاقة بين التعليـم ومسـتوى الجماهيرية، يلاحـظ أن فئة طـلاب الجامعـات تمثـل مرحلة عدم اسـتقرار، أو عـدم انتظـام، في هذه العلاقة، بالنسـبة إلى العديد من القضـايا؛ فهناك قضـايا يميل فيها منحنـى الشـعبية والجماهيريـة إلى الارتفـاع، وهـو ينطلق من فئة التعليـم الأدنى (أي طلاب المدارس) إلى فئـة التعليم الأعلى، وهي مرحلة مـا بعـد التعليم الجامعي. لكن طلاب الجامعات يعرقلـون هـذا الاتجـاه ويهملـون القضـية ولا يعطونهـا الجماهيريـة المطلوبـة. وفي حالات أخـرى يحـدث العكـس، أي يميـل منحنـى الجماهيريـة نحـو الهبوط في قضـية مـا، لكن طـلاب الجامعـات يعرقلونـه ويحتفـون بهـذه القضـية بصـورة مغايرة لطلاب المدارس وما بعد التعليم الجامعي.

الأدب والتلفزيون أقل جماهيرية لدى طلاب الجامعات

في كنـف هـذه الظاهـرة، انخفضـت جماهيريـة بعـض القضـايا بصـورة لافتـة لـدى طـلاب الجامعـات، مثـل قضـايا الأدب والثقافـة والفكـر، والتلفزيـون والفضـائيات، والأسرة، والفنون، والتربية والتعليم، والعلوم، والرؤساء، والإعلام وحرية التعبير، وفلسطين، والصراعـات، والبيئـة، والمـوارد، والفنانـون، والاتفاقيـات الدوليـة، والطائفيـة، والقضـايا الدينية.

في المقابـل، كانـت هنـاك مجموعـة مـن القضـايا ارتفعـت جماهيريتها بصـورة لافتة لـدى طلاب الجامعـات، وكان من بينها الأمن، والجريمـة، والمؤسّسـات السياسـية، والجنس، والشـؤون القانونيـة، والتنظيمات الإسـلامية، والإرهـاب والتطـرف، والأزمـات العالميـة، والزراعة.

خلاصـة القول، إن المستوى التعليمي لمن كتـب علـى المنتديـات، أو أثار قضـيةً، أو فتح نقاشاً في قضـية مـا، أثّر بصورة ملـحوظة على مسـتوى الجماهيرية والشـعبية التـي حققتها هـذه القضـية. ويختلف هذا التأثير من قضـية لأخـرى، ومـن فئـة لأخـرى، طبقاً لمـا يُحدثه التطـوّر في المسـتوى التعليمـي من نضـج في الأفكار، وتحسُّن في مهارات الكتابة والعرض، أو مـا يُحدثـه المسـتوى التعليمـي البدائـي المصـحوب بحداثة السن من جرأة في العرض، وعفويـة وتلقائية في طرح الأفكار، أو مخاطبة للعواطف والغرائز والتطلعات بلا قيود.

بصمة الزمن شديدة التعرج

وضـع التقـدم في السـنّ بصـمةً "شـديدة" التعـرج على جماهيريـة كل القضـايا المثارة عـبر المنتديـات، فليس هنـاك قضـيةٌ واحدة

تقريباً يسير منحنى جماهيريتها وشعبيتها في خطٍّ مستقيم، باتجاه الارتفاع، أو الهبوط، مع التقدّم في العمر، بل هناك دائماً قفزاتٌ إلى الأعلى أو تراجعات إلى الخلف، مع كل عشر سنوات زيادة في عمر الإنسان.

هذه هي النتيجة الإجمالية التي يمكن الخروج بها من قراءة وتحليل **الجدول** "18"، الذي يضم خمس قوائم، كل منها يرتِّب القضايا محل البحث طبقاً لجماهيرية ما كُتب حولها من قبل فئة عمرية معيّنة؛ فالقائمة الأولى ترتب القضايا طبقاً لجماهيرية ما كتبه حولها من هم بين 18 و24 سنة، والقائمة الثانية ترتِّب القضايا طبقاً لجماهيرية ما كتبه حولها من هم بين 25 و34 سنة، وهكذا حتى نهاية الفئات العمرية عند 64 سنة.

جماهيرية كاسحة لكتابات الشباب حول السينما

من الأمثلة الدّالّة على ذلك أن قضية الأفلام والسينما تحقق جماهيريةً ساحقةً حينما يكتب عنها أو يناقشها من هم بين 18 و24 سنة؛ لكنها تتراجع إلى المركز السابع عشر في الفئة العمرية من 25 إلى 34، ثم تستعيد جزءاً كبيراً من جماهيريتها مرةً أخرى مع الفئة العمرية من 35 إلى 44 سنة، وتحتلّ المركز السابع، ثم تتراجع من جديد إلى المركز السابع عشر في الفئات العمرية الباقية.

ينسحب الشيء نفسه أيضاً على قضية النصائح والإرشادات؛ فحينما يتناولها أصحاب الفئة العمرية الأولى تحقق المركز السادس من حيث الجماهيرية، وحينما تتناولها كتابات وإسهامات الفئة العمرية الثانية تتراجع إلى المركز الخامس، ثم إلى المركز الحادي والعشرين مع الفئة الثالثة (35 إلى 44)، وحينما يكتب حولها أصحاب الفئة الرابعة (أي من هم بين 45 و54 سنة) تحقق جماهيريتها وتقفز إلى المركز الثالث؛ أمَّا حينما يكتب حولها من هم فوق الـ 55 فتعود إلى الوراء إلى المركز الخامس عشر.

قبضة الزمن واضحة في المنتديات

من الأمور الملحوظة أيضاً أن قبضة الزمن الواضحة على جماهيرية ما يقدمه أعضاء المنتديات، امتدت لتظهر بدرجة الوضوح والتأثير نفسها في ما يتعلق بتقسيم الاهتمام ما بين قضايا الشأن العام وقضايا الشأن الخاص. ويمكن أن نجد دليلاً واضحاً على ذلك عند تحليل طبيعة القضايا التي احتلّت المراكز العشرة الأول لدى الفئات العمرية الخمس. والملاحظ أن القضايا التي ظهرت بهذه المراكز بلغت 21 قضية، كان من بينها 11 قضية تتعلق بالشأن الخاص الذي يهمُّ الإنسان الفرد، وهي: الأفلام والسينما، والإنترنت، والرياضة، والخواطر، والنصائح، والتلفزيون، والفنون، والأسرة، والقضايا الدينية، والتاريخ، والتراث، والمطربون؛ وعشر قضايا تتعلق بالشأن العام الذي يهم المجتمع والوطن، وهي الاقتصاد، والثقافة، والأمن، والقضايا الاجتماعية، والتربية والتعليم، والصناعة، والبيئة والموارد، وحرية التعبير، والقضايا السياسية، والطائفية.

والمهم هنا أن توزيع قضايا الشأن العام والشأن الخاص لا يسير وفق نمط منتظم صعوداً وهبوطاً، مع التقدم في العمر، بل يسير وفق اتجاه متعرّج غير منتظم لا يتقيّد بسن؛ فقضية الاقتصاد مثلاً – وهي قضية شأن عام – نجدها في المركز الخامس لدى الفئة الأولى والمركز 21 لدى الفئة الثانية، والمركز الأول لدى الفئة الخامسة؛ ونجد القضايا السياسية في المركز 33 لدى الفئة الأولى، و19 لدى الفئة الثانية، و 21 لدى الرابعة، والثاني لدى الخامسة؛ وقضية البيئة والموارد نجدها في المركز 27 لدى الفئة الأولى، **والسادس عشر** لدى الثانية، **والخامس** لدى الثالثة، **والثلاثين** لدى الرابعة، والمركز **الرابع** لدى الفئة العمرية الخامسة؛ وفي قضايا الشأن الخاص، تتأرجح الإنترنت تتأرجح بين المراكز **الثاني والتاسع عشر، والثامن والثالث**؛ وقضية الرياضة تتأرجح أيضاً بين المراكز **الثالث والثاني عشر، والسادس والتاسع عشر والسابع**. وعلى هذا المنوال تسيطر حالة عدم الانتظام على باقي القضايا سواء في الشأن العام أم في الشأن الخاص.

جماهيرية القضايا المثارة عبر الفيس بوك

سبقت الإشارة إلى أن مستخدمي الفيس بوك العرب وضعوا 155 **ألفاً** و107 مشاركات على الفيس بوك خلال العام 2010، توزعت على 53 قضية بنسب وأنماط مختلفة تمَّ تناولها تفصيلاً في المحاور التحليلية السابقة... فإلى أيِّ حدٍّ كان هذا الأداء جاذباً للجمهور ومقنعاً له بالمشاركة والتفاعل مع ما يُكتب ويُنشر؟

واقع الحال، أن قضية الجماهيرية والتفاعلية على الفيس بوك تختلف إلى حدّ كبير عنها في حالة المدوَّنات والمنتديات؛ ففي المدوّنات والمنتديات تقاس الجماهيرية والتفاعلية بعدد الزوار والأعضاء وعدد التعليقات، لكن في حالة الفيس بوك تقاس الجماهيرية بمعيار مركّب تفرضه الطبيعة الفنية للفيس بوك، كوسيط للتواصل الاجتماعي والنشر واسع النطاق [1].

وقبل تتبُّع منحنى الجماهيرية للقضايا محلّ البحث لابدَّ من الإشارة أولاً إلى أن جماهيرية القضايا، من الناحية الإجمالية، بدأت من نقطة انطلاق مكوَّنة من 155 **ألفاً** و107 مشاركات، كان عدد مرات التعرّض (أي عدد المرات التي كانت فيها عرضةً للقراءة والمطالعة) ملياراً و527 **مليوناً** و245 **ألفاً** و721 مرة، وعدد مرات الإعجاب والمتابعة التي حصلت عليها 457 ألفاً و185 مرة، وكان المتوسط العام لنصيب المشاركة الواحدة من مرات الإعجاب 2.95 مرة، وعددُ التعليقات التي كُتبت عليها مليوناً وسبعة آلاف و590 تعليقاً، وبلغ نصيب كل مشاركة من التعليقات 6.5 تعليقات.

6 قوائم لقياس جماهيرية قضايا الفيس بوك

لكي نستطيع تتبُّع منحنى الجماهيرية والتفاعلية ومستوى نجاح ما كُتب عن كل قضية في جذب الجمهور، تم إنشاء **الجدول** "19" الذي يرتب القضايا المُثارة عبر الفيس بوك في ست قوائم، الأولى ترتبها طبقاً لعدد المشاركات التي كتبت حول كل قضية، وهذه أقل المعايير الموجودة في الجدول، من حيث القيمة الجماهيرية، لكونها نقطة البدء كما سبقت الإشارة؛ والثانية ترتبها طبقاً لعدد مرات التعرض للمشاركة، وهي المستوى الجماهيري الأول؛ والقائمة الثالثة ترتبها طبقاً لعدد مرات الإعجاب والمتابعة للقضية وهي المستوى الجماهيري الثاني؛ والقائمة الرابعة ترتب القضايا بحسب نصيب كل مشاركة من مرات الإعجاب؛ والقائمة الخامسة ترتب القضايا بحسب التعليقات التي كُتبت حول القضية

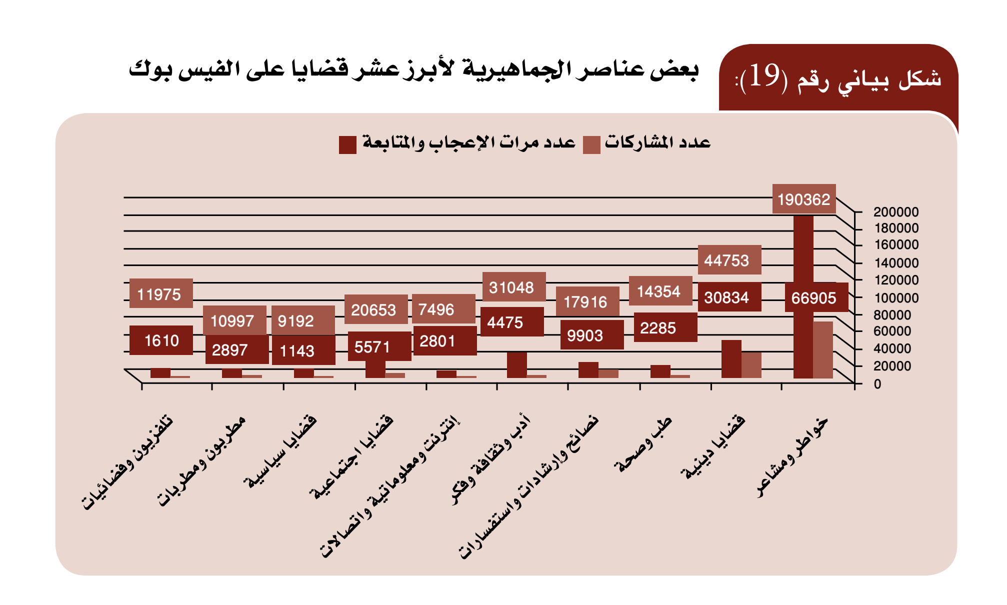
1 – يتكوَّن هذا المعيار من: 1. عدد المشاركات التي نُشِرت حول القضية، 2. عدد مرات التعرّض الخاصة بكل مشاركة، ويُقصد بعدد مرات التعرُّض عددُ المرات التي وصلت فيها المشاركة إلى مستخدمين للفيس بوك، وهو وضعٌ مشابهٌ مثلاً لعدد النُّسخ التي تصل من صحيفة واحدة إلى القراء الذين يشترون الصحيفة ويطالعونها؛ ففي هذه الحالة تكون المشاركة التي أُنتجت حول قضية ما مشابهةً للصحيفة، ويكون عددُ الأشخاص الذين يفترض أن تصل إليهم هذه المشاركة بحكم عضويتهم أو متابعتهم للصفحات والمجموعات المهتمة بهذه القضية مشابها لعدد القراء الذين يشترون نسخ الصحيفة. وكذلك، حينما توضع مشاركة على الفيس بوك، فإن نطاق انتشارها يُقاس بعدد الذين يتعرّضون لها باعتبارهم أعضاء أو متابعين لكل الصفحات والمجموعات المهتمة بالقضية. 3. عدد مرات الإعجاب بالقضية ومتابعتها، 4. نصيب المشاركة الواحدة من مرات الإعجاب، 5. عدد التعليقات على المشاركة، 6. نصيب المشاركة الواحدة من مرات التعليق.

المعلوماتية

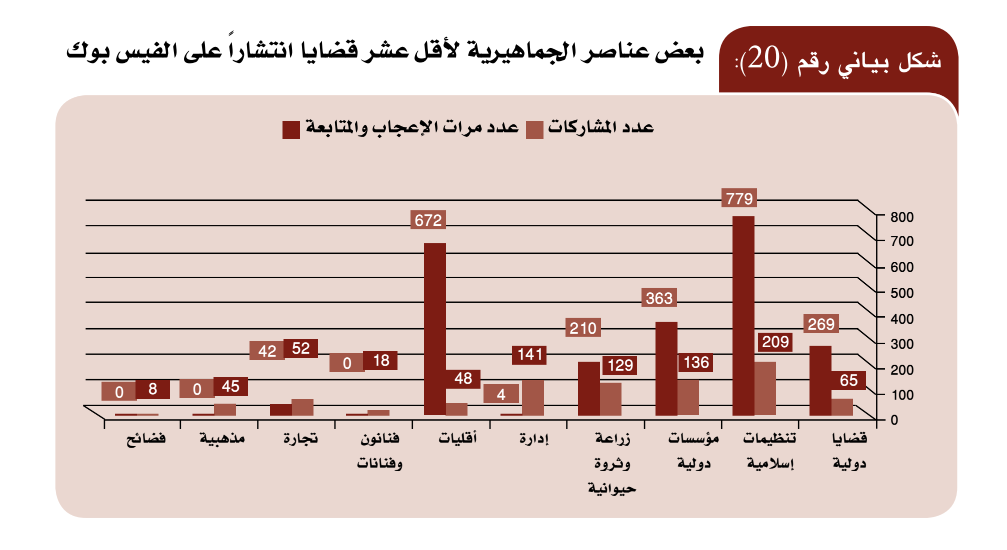
إجمـالاً؛ والقائمـة السادسـة ترتب القضـايا طبقاً لنصيب كل مشاركة من التعليقات، وهذه أعلاها من حيث القيمة الجماهيرية.

وبحسب المنهجية المتبعـة، عنـد قياس جماهيرية القضـايا في المنتديات، فإن انتقال قضـية ما من مركز أدنى في القائمة الأولى إلى مركـز أعلى في القائمة الثانية، ثـم أكثر تقدُّماً في القائمـة الثالثـة، وهكذا... يعنـي تلقائياً أن جماهيرية القضـية تتَّخذ مسـاراً تصاعدياً مع الوقـت بعد بدء إثارتها على الفيس بوك؛ أما إذا انتقلت القضـية من مراكـز متقدمة في القائمة الأولى، إلى مراكز متأخـرة في القـائمة الثـانية، ثـم إلى مراكز أكـثر تأخراً في القائمـة الثالثـة، وهكذا... فهذا يعني أن جماهيرية القضية تتخذ مسـاراً تنازليـاً وتنكمش شـعبيتها مع الوقت، بعـد إثارتهـا على الفيس بوك (أنظر الأشـكال التالية: 19 و 20).

هنـاك اختلافـات واضحـة بـين إمكانات



شكل بياني رقم (19): بعض عناصر الجماهيرية لأبرز عشر قضايا على الفيس بوك



شكل بياني رقم (20): بعض عناصر الجماهيرية لأقل عشر قضايا انتشاراً على الفيس بوك



"البصمة التقنية"

قنوات النشر و"نظرات خاصة" على القضايا المثارة

وخصـائص وقدرات كل قناة من قنوات النشر عـبر الإنترنت، وبين طريقة تشـغيلها والتعامل معها والتواصـل من خلالها؛ فالمواقع تختلف عن القوائم البريدية، وشـبكات الفيديو تختلف عن البوابـات الخدمية، والشـيء نفسـه ينطبق على القنوات الثلاث التي تشكل الفضاء الرقمي التفاعلـي (المدوّنـات المنتديـات الفيس بوك)، فـكل منهم قالـب قائم بذاتـه؛ فالمدونـة تعبِّر عن المسـتخدم الفرد، والمنتدى سـاحةٌ مفتوحةٌ لـلآلاف، والفيس بـوك وسـيط تواصـل بـلا ضفـاف، يمزج مـا بين الحضور الفرديِ والتدفق الجماعـي، وفي كل من الثلاثـة أدواتٌ لا تتوافر في غيره.

يتيـح هـذا التنـوع فرصـةً للاقـتراب مـن القضـية الواحـدة، بطرق تختلـف باختلاف ما تملكـه كل قناة نشر مـن أدوات وإمكانات، بما يُضفي على القضية "بصمةً تقنيةً".

يحـاول هذا الفصـل اسـتخدام الخصوصية المتاحـة في كل قنـاة نشر لإلقـاء مزيـد مـن الضـوء علـى مـا جـرى في الفضـاء الرقمـي التفاعلـي العربي في العام 2010، حيث سـيتم تقديم لمحة سريعة عن البناء الداخلي لكل قناة نشر وكيف نشـأت ومـا تتمتع به مـن أدوات، ثم رصـد العلاقـة التفاعلية بين هذه السـمات الخاصـة والكيفية التي تمَّت بها إثارةُ القضايا موضع التحليل.

قضايا المدوّنات.. السمات الخاصة

المدوَّنـة قناةٌ من قنوات النشر وإبداء الرأي علـى الإنترنـت، وتطلق علـى أي موقع ينشئه ويديره شـخص مسـتقلّ ليس تـابعـاً لأي جهة، ولا يكـون هدفـه عرض فكـر ورأي صـاحبه ودعـوة الآخرين للاطِّلاع عليه ومناقشـته، بل هدفـه التعليق علـى الأحـداث الجارية وعرض الأخبـار المتعلقة بها ليس من جانب صـاحب الموقـع فقط ولكن من جانب كل زائريه أيضـاً؛ فـكل زائـر يمكنـه كتابـة يومياتـه في الموقع عن الأحداث والقضـايا الجارية مناقشـتها مع الآخريـن. وبمرور الوقت يتحـول الموقع إذا ما نجح إلى مسـتودع للقصص واليوميات والآراء ووجهـات النظـر والمناقشـات والمناظـرات والأخبار الخـاصة بالقضـية أو القضـايا التي اختارهـا، كمـا يصبـح مركـزاً لعدد ضـخم من الروابط والوصـلات النَّشِطة مـع مواقع أخرى علـى الشـبكة تتناول القضـية نفسـها، ويكون عنوانه مسـجلاً لدى عدد كبير من الأشـخاص والمواقـع الأخـرى. وهكذا تحولت المدوّنـات إلى أداة بـارزة مـن أدوات التعبـير عـن الـرأي والمشاركة في المناقشة والتعليق على الأحداث الجارية.

والحقّ، إن مصطلح "مدوّنات" و"مدوّنون" لم يظهـر في اللغـة العربية بهذه الصـورة مرّة واحـدة، بـل تطور حتـى اسـتقر على صـورته الحاليـة؛ ففـي البدايـة اسـتُخدم مصطلح "سـجلات الويـب" في العربيـة للدلالـة علـى الكلمـة الإنجليزيـة "Weblog" التـي تعنـي في أحـد معانيها الدخول على موقع في شـبكة الويب، وحينما جرى اختصارها في الاستخدام اليومـي علـى الشبكة إلى "بلـوج" (Blog) وتعريـف القـائمـين عليها باسـم "bloggers" نُقلت الى العربيـة بصـورة سـماعية وجـرى الحديـث عـن "البلوجـرز"، ثم عاش المصـطلح

متأرجحاً بين تسميات عدّة، كان من بينها سجلات الويب والمعلقات والمدوّنات، ثم استقرَّ الأمرُ عند المدوّنات والمدوِّنين.

وقد ظهرت المدوَّنات والمدوِّنون خصوصاً بعد أحداث 11 سبتمبر، وكان وجودها باهتاً خلال هذه الفترة. ومع احتداد الأزمة بين **العراق وأميركا**، واندفاع الأمور نحو الحرب، تغيَّر موقف وأهمية سجلات الويب، وأصبحت أوضح ما يكون قبيل الحرب على **العراق**، لأن الكثير من النشطاء العاملين في الجماعات المعارضة للحرب والمدافعين عن حقوق الإنسان سافروا إلى **العراق**، كدروع بشرية قبيل الحرب، وتحوَّل الأجانب المقيمين في **العراق** إلى أصحاب لمواقع سجلات الويب وأنشأوا لأنفسهم مواقع تنتمي إلى هذه النوعية قبيل اندلاع الحرب، ومن هناك كانت يومياتهم وتعليقاتهم الحية على ما يجري في **العراق** تجد طريقها إلى هذه المواقع بوسيلة أو بأخرى، وراحوا يبثّون على هذه المواقع أخباراً بشكل مستقلّ عن وسائل الإعلام الأخرى، ويتلقّون فيها المناقشات والأفكار والمناظرات من بعض مستخدمي الشبكة حول العالم.

المحطة الحالية : مستودعات التدوين

عالمياً يوجد حالياً ما يُعرف بمستودعات التدوين والمدوّنات، وهي مواقع عملاقة متخصّصة في استضافة وتشغيل المدوَّنات؛ فهي تتيح لأي شخص، من أي مكان في العالم، أن يدخل على هذه المواقع ويسّجل اسمه فيها، وعبر خطوات بسيطة قد لا تتجاوز خمسَ خطوات فقط، يستطيع أن ينشيء مدوَّنته وأن يختار لها القالب الذي يُحبّ، ثم يبدأ في التدوين ونشر تدويناته على الفور، وفي تشبيك مدوّنته مع آلاف المدوّنات والمواقع الأخرى على الشبكة. وخلال السنوات الأخيرة دخل العرب – بخاصة من فئة الشباب – عالم التدوين وسجّلوا حضوراً لا بأس به على الشبكة، وأصبحوا يشكّلون شريحةً جديرةً بالملاحظة في ساحات الرأي والتعبير عبر الإنترنت.

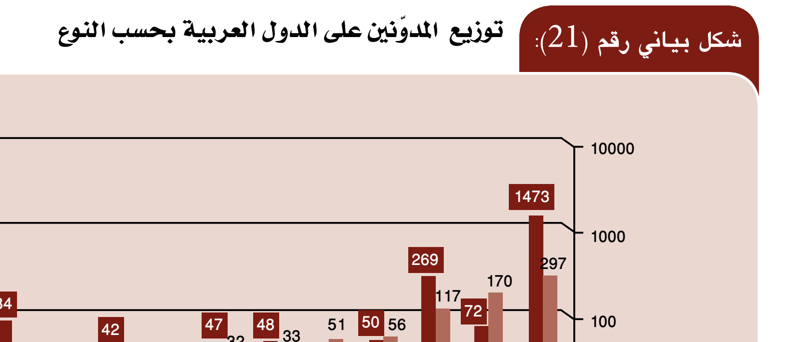
هذه الطبيعة الخاصة للمدَّونات وارتباطها بالمواطن الفرد، أدخلت إلى حلبة التحليلات نوعين من البيانات وجعلتهما من "الضروريات" اللازمة عند النظر إلى القضايا المُثارة عبر المدوّنات: الأول، هو نوع المدوِّن (ذكر أم أنثى؟)، والثاني، وظيفته أو مجال عمله؛ ثم تأتي العلاقة بين هذين الأمرين والقضايا التي أثيرت عبر المدوّنات. وهذا الأمر قد لا يكون بالأهمية نفسها في قنوات النشر الأخرى التي تقوم على المشاركة الجماعية، كما هو الحال في المنتديات والفيس بوك.

التدوين النسائي يكتسح 9 دول

عند النظر إلى عِيِّنة البحث، من حيث نوعية المدوِّنين (ذكوراً وإناثاً) كانت المفاجأة أن التدوين النسائي يكتسح تسع دول عربية، كما يوضح **الجدول** "20"؛ ففي منطقة الخليج سجَّلت المدوّنات النسائية في السعودية 70 في **المئة** مقابل 30 في المئة للمدوِّنين من الرجال؛ وفي **قطر** تقدمت الإناث المدوِّنات ليمثّلْنَ 76 في **المئة**، وفي **الإمارات** حقّقْنَ 75 في **المئة**، وفي **المغرب العربي** وصلت النسبة في **الجزائر** إلى 82 في **المئة** للنساء، وفي **تونس** 52 في **المئة**، وفي **السودان** كانت النسبة متعادلة مع الرجال، وفي **سلطنة عمان** كانت النسبة 47 في **المئة**. واللافت للنظر أن المدوَّنات التي لم يوضح أصحابُها إلى أي دولة ينتمون كان 43 في **المئة** منهم نساءً. أما التدوين الذكوري فاكتسح بلداناً أخرى، وكان مركَّزًا بصفة خاصة في كل من **سورية والعراق والمغرب والبلدان غير العربية وليبيا والأردن ومصر واليمن**، حيث تراوحت نسبة التدوين الذكوري في هذه البلدان بين 100 **في المئة** و80 **في المئة**.

تقود هذه النتيجة إلى أن إقبال المرأة العربية على المشاركة في الرأي، في القضايا المختلفة، عبر المدوَّنات، لا يقلّ عن إقبال الذكور، لا بل يتفوق عليه، في كثير من الأحيان، بخاصة في بعض المجتمعَات العربية التي تصنَّف في كثير من الاحيان كمجتمعات محافظة، فيها بعض القيود على حركة المرأة ونشاطها، وربما يدلّ ذلك على أن المدَّونات كانت متنفساً وبديلاً مريحاً بالنسبة إلى السيدات في هذه المجتمعات، للتعبير عن الرأي والمشاركة في القضايا المختلفة.

شكل بياني رقم (21): توزيع المدوّنين على الدول العربية بحسب النوع



الأفلام والسينما والأغاني للذكور والخواطر للإناث

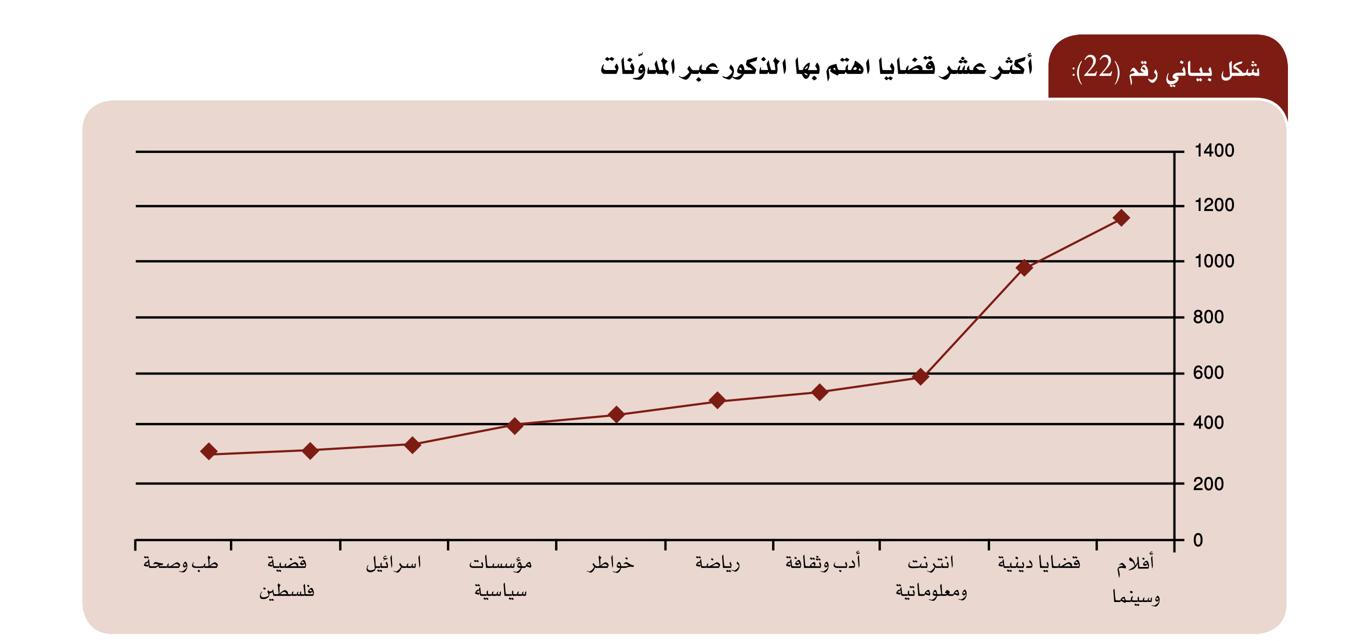
وقد أظهرت التحليلات أن التدوينات التي وضعها الذكور تعادل ثلاثة أضعاف التدوينات التي وضعتها الإناث "راجع **الجدول** 21". لكن عند البحث عن القضايا التي انشغل بها الذكور مقابل القضايا التي انشغلت بها الإناث، لا يظهر الذكور أبطالاً ومتفوقين على طول الخط، بل هناك قضايا حقَّقت فيها الإناثُ حضوراً واهتماماً وتدويناً يتفوق على ما قدَّمه الذكور، مما يعني أن للنساء خياراتهن المختلفة عن الذكور في القضايا التي ابْدَيْنَ انشغالاً واهتماماً بها.

ولو تمّ النظر إلى القضايا العشر الأول التي شغلت بال كل من الإناث والذكور أمكن رصدُ هذا الاختلاف الواضح في القضايا كل منهما؛ فقائمةُ اهتمامات الإناث تصدَّرتها في المركز الأول، وبتفوق واضح، قضايا الخواطر الشخصية التي تشمل الحبَّ والحزن والحقد والسكينة والطموح والغيرة والفشل والنجاح واليأس، وقد كانت نسبة مشاركة الإناث في هذه القضية، في كل العِيِّنة، حوالى النصف. وتلي هذه القضية الأفلام والسينما بتقسيماتها التي سبقت الإشارة إليها، ثم القضايا الدينية، ثم قضايا الأدب، والثقافة، ثم الرياضة، ثم قضايا التلفزيون، والفضائيات، ثم الطب والصحة، ثم **فلسطين**، فالاقتصاد، **فإسرائيل** في المركز العاشر.

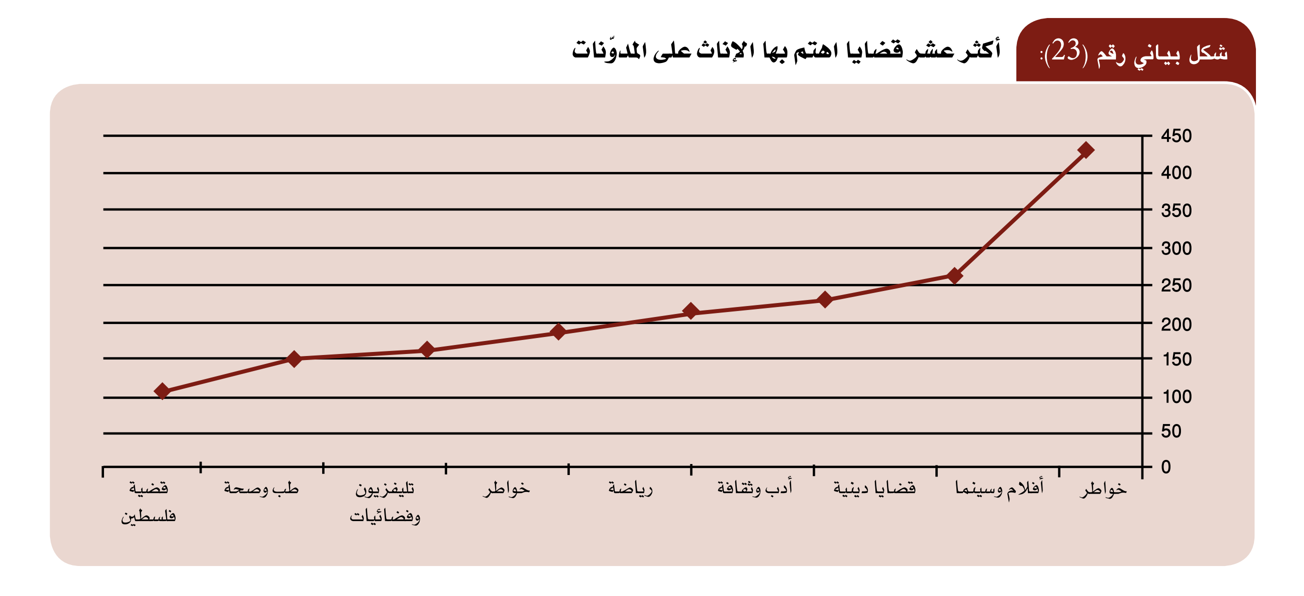
أما قائمة أولويات الذكور فأحتلّت فيها الأفلام والسينما رأس القائمة، وتراجعت فيها الخواطرُ إلى المركز السادس، وتقدَّمت فيها القضايا الدينية إلى المركز الثاني، وقفزت فيها الإنترنت والمعلوماتية الى المركز الثالث، وهي قضية لم تكن ضمن العشر الأول لدى النساء، ولكن اختلفت قضية التلفزيون والفضائيات من قائمة العشر الأول لدى الذكور ودخلت مكانها المؤسّسات السياسية، وتقدمت قضية **إسرائيل** من المركز العاشر لدى الإناث لتحتل المركز الثامن لدى الذكور، وتراجعت **فلسطين**

المفاجأة أن التدوين النسائي يكتسح تسع دول عربية، ففي منطقة الخليج سجلت المدوّنات النسائية في السعودية 70 في المائة مقابل 30 في المائة للمدونين من الرجال، وفي قطر تقدّمت الإناث المدوّنات ليمثّلن 76 % وفي الإمارات حقّقن 75%، وفي المغرب العربي وصلت النسبة في الجزائر إلى 82 % للنساء، وفي تونس 52 %. أما التدوين الذكوري فاكتسح بلداناً أخرى، وكان مركَّزًا بخاصة في كل من سورية والعراق والمغرب وليبيا والأردن ومصر واليمن، حيث تراوحت نسبة التدوين الذكوري في هذه البلدان بين 100 في المائة و80 في المائة.

شكل بياني رقم (22): أكثر عشر قضايا اهتم بها الذكور عبر المدوّنات



شكل بياني رقم (23): أكثر عشر قضايا اهتم بها الإناث على المدوّنات



من الثامن لدى الإناث لتحل في التاسع لدى الذكور، كما تراجعت قضية الطب والصحة من السابع لدى الإناث إلى العاشر لدى الذكور.

مساواة نوعية في الأدب والفكر

وكانت هناك مجموعة قضايا تساوى الاهتمام بها لدى الجنسين، وهي الأدب والثقافة في المركز الرابع، والرياضة في المركز الخامس، والصراعات الدولية في المركز 17، والمطربون في المركز 22، والأقليات في المركز 52.

الإنترنت والتلفزيون والجنس قضايا متفاوتة

وبرزت أيضاً مجموعةُ قضايا تفاوت الاهتمام بها بين الجنسين بشكل واضح، ومنها

الإنترنت والمعلوماتية، التي وضعها الذكور في المركز الثالث، وأهملتها الإناث إلى المركز الحادي عشر؛ وقضية التلفزيون والفضائيات التي وضعتها الإناث في المركز السادس وتأخرت لدى الذكور إلى المركز الحادي عشر؛ وقضية المؤسّسات السياسية التي ظهرت لدى الذكور في المركز السابع وتقهقرت لدى الإناث إلى المركز الرابع والعشرين؛ وقضية الجنس التي وضعها المدوِّنون من الذكور في المركز الثامن والعشرين، ووضعتها الإناث المدوّنات في المركز الخامس والثلاثين؛ وقضية الزراعة والثروة الحيوانية التي وضعتها الإناث في المركز الثلاثين، لكنها ظهرت لدى الذكور في المركز 47؛ وقضية الأسرة التي جاءت لدى الإناث في المركز 19 ولدى الذكور في المركز 29؛ وهكذا يستمر التنوُّع والاختلاف في قائمة القضايا الأخرى كما يوضح **الجدول** "22".

وكما هو واضح، فإن هذه النتائج تعبِّر إلى حدٍّ كبير عن طبيعة الاختلاف بين الرجل والمرأة، فالخواطر والمشاعر المختلفة جاءت في المقدمة لدى الإناث، باعتبارها قضيةً بطبيعتها أقرب إلى التدوين النسائي، باعتبار أن الطبيعة العاطفية الموجودة لدى المرأة أكبر منها لدى الرجل. وكان متوقعاً كذلك أن تتقدّم قضايا مثل الأسرة والتلفزيونات لدى المرأة مقارنةً بالرجل، لكون هذه القضايا تتَّفق وطبيعة المرأة، لكن من اللافت أن يبدو هناك اهتمام أكبر لدى الإناث المدوِّنات بالزراعة والثروة الحيوانية أكثر من الرجل، فهذه القضية تحديداً تُصنَّف تلقائياً على أنها أقرب للرجال منها للنساء؛ لكن بمزيد من المراجعة للأرقام وُجد أن نسبةً كبيرة من اهتمام الإناث بالزراعة ينصرف إلى نباتات الزينة، والنباتات المنزلية، والعناية بالحدائق وما شابه. في المقابل، تقدَّمت قضايا مثل المؤسّسات السياسية، والقضايا السياسية، والإرهاب والتطرف، والإنترنت والمعلوماتية، والجنس لدى الذكور، مقارنةً بالنساء، على اعتبار أنها قضايا تتوافق مع اهتمامات ومسؤوليات الذكور بعامة.

الصحافيون والطلاب الأكثر تدويناً

كشف تحليلُ العيِّنة أيضاً أن الغالبية الساحقة من المدوِّنين لا تميل إلى الكشف بوضوح عن المهنة التي تمتهنُها، فحوالي 85 **في المئة** لم يذكروا المهنةَ على الإطلاق (لاحظ **الجدول** 23)، فيما كتب عددٌ آخر كلمات غير مناسبة في خانة المهنة، أما البقية القليلة التي ذكَرت مهنتها بوضوح فتبيَّن أن هناك 17 مهنة تُقبل على التدوين في **الوطن العربي**، يتقدّمها الصحافيون والكُتّاب الذين يأتون في مقدمة المهن التي تقود حركة التدوين في **الوطن العربي**، يليهم الطلاب ثم المدرِّسون ورجال التعليم ثم المتخصِّصون في وظائف تكنولوجيا المعلومات، فالإداريون والمختصون في التنمية البشرية، وفي ذيل القائمة يأتي الدعاة وأصحاب المهن الدينية ورجال الأعمال.

ويبدو هذا الترتيب أو التقسيم متوقَّعاً إلى حدٍّ كبير، فالصحافيون والكُتَّاب هم الأقرب فعلياً إلى مهنة التدوين، إن جاز التعبير، بحُكم تخصُّصهم في مجال الكتابة بعامة، والطلاب هم طليعة الشريحة الشبابية التي تمثل محور الحركة على الإنترنت وليس في المدوّنات فقط، حتى أن الذين جاؤوا في ذيل القائمة، من الدعاة ورجال الأعمال، يميلون إلى استخدام قوالب أخرى غير المدوّنات في نشاطهم عبر الإنترنت.

القضايا الدينية أولوية أولى لأغلب المدوّنين

يوضح **الجدول** "24" كيف توزعت القضايا ذات الاهتمام على فئات المدوّنين العرب المختلفة، طبقاً لتقسيماتهم المهنية والوظيفية؛ وبتحليل هذا الجدول تمَّ رصدُ ما يلي:



– في المركز الأول ظهرت القضايا الدينية كأولوية أولى لدى سبع فئات من فئات المدوّنين الثمانية عشرة، وقضايا الأدب والثقافة لدى ثلاث فئات، والخواطر والرياضة لدى فئتين اثنتين، والطب والصحة والمؤسّسات السياسية، والإنترنت ومعلومات لفئة واحدة، وهنا يمكن القول إن القضايا الدينية كانت هي الأكبر في الاستحواذ على اهتمام الفئات المختلفة للمدوّنين في هذا المركز.

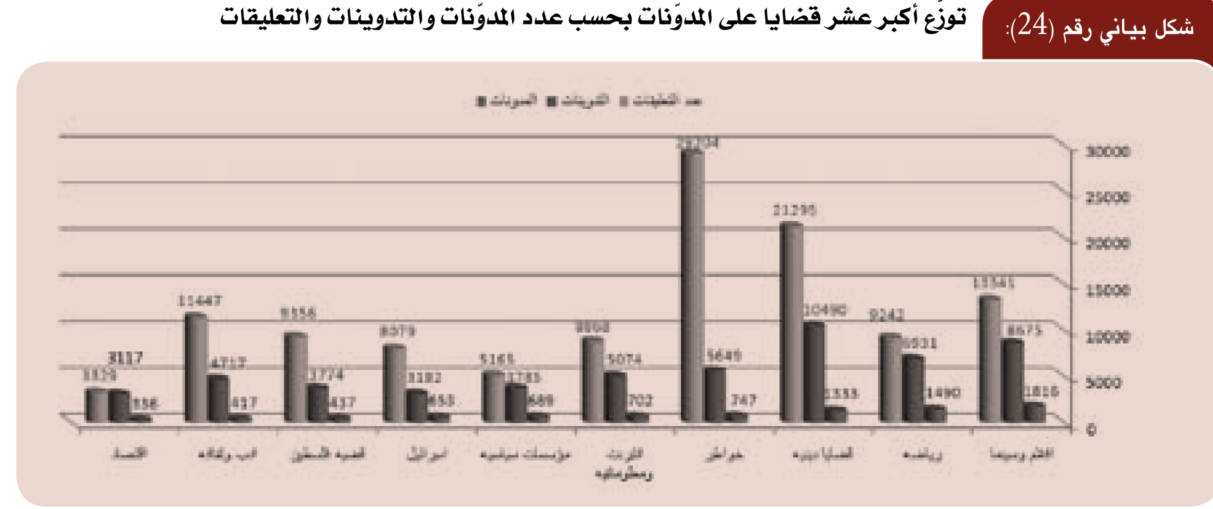
– في المركز الثاني ظهرت القضايا الدينية، وقد استحوذت على اختيار فئتين فقط، بينما تقدمت الخواطر وحازت على اختيار خمس فئات، والأدب والثقافة فئتين، وفئة واحدة لكلٍّ من قضايا الطب والصحة، والبيئة والموارد، والتلفزيون والفضائيات، والقضايا الاجتماعية، والفنون، والمؤسّسات السياسية، والنصائح والإرشادات.

– في المركز الثالث ظهرت قضايا **إسرائيل**، والأدب، والثقافة، والتلفزيون، والاقتصاد، والطائفية والقضايا الدينية، وقضية فلسطين، والعلوم، والبيئة والموارد، والإنترنت، بواقع فئة واحدة لكل منهم، والرياضة والفنون لدى فئتين، والأفلام لدى ثلاث فئات... وهكذا يمكن ملاحظة أوضاع كل مرتبة أو مركز على حدة حتى **نهاية الجدول**.

توزيع عشر قضايا على فئات المدوّنين

وفي ضوء هذا الترتيب لظهور القضايا المختلفة في المراكز المختلفة تحت فئات مهنية مختلفة، تم التعامل مع هذا الجدول من زاويتين: تركّز الأولى على نمط انتشار القضايا، بين فئات المدوّنين المختلفة، وتركّز الثانية على التفضيلات الكاملة لكل فئة من المدوّنين على حدة، في تعاملها مع كل القضايا. ونظراً لكثرة وضخامة البيانات المتولّدة عن التحليل، سيتم استعراض القضايا العشر الأولى التي حازت على أكبر قدر من التدوينات لمعرفة نمط انتشارها على فئات التدوين المختلفة، وكذلك استعراض الفئات العشر الأولى التي كانت مسؤولةً عن أكبر قدر من التدوينات، في مجتمع التدوين العربي. وجاء اختيار القضايا العشر والفئات العشر لأنهما يغطيان الغالبية العظمى من التدوينات التي كتبت في مجتمع التدوين العربي، ومن ثمّ يعكسان في داخلهما الاتجاهات العامة الرئيسية للتدوين، لأن باقي القضايا الـ 42 الأخرى، وباقي الـ 18

شكل بياني رقم (24): **توزّع أكبر عشر قضايا على المدوّنات بحسب عدد المدوّنات والتدوينات والتعليقات**





شكل بياني رقم (25): **المركز الذي حققته القضايا الدينية لدى كل فئة من فئات المدوّنين العرب المختلفة ويدل ارتفاع المنحنى على تدني المكانة والعكس**

فئة الأخرى، نصيبهما قليل وربما ضئيل من التدوينات، ولا يشكل عدم وجودهما في العيّنة تغييراً جوهرياً أو نوعياً في الملامح العامة لمجتمع التدوين. وأخيراً يُعدُّ هذا الاختيار أكثر ملاءمةً للتقرير من حيث الحجم وعدم التكرار. في ما يلي أمثلة توضح ما انتهى إليه التحليل في كل زاوية من الزاويتين:

أولاً: نمط انتشار القضايا الأكثر اهتماماً بين فئات المدوّنين

استناداً إلى المراكز أو قائمة الترتيب التي أنشأناها في الجدول 24 تتبعنا أكبر عشر قضايا من حيث عدد التدوينات التي كُتبت حولها، وذلك لتوضيح نمط انتشارها بين الفئات المهنية المختلفة للمدوّنين العرب، وكانت النتيجة كالتالي:

1. **القضايا الدينية:** تنتشر هذه القضايا بين المركزين الأول والتاسع، وتوجد كأولوية أولى لدى فئات الموظفين والأطباء والدعاة عن العمل والمدرسين والمهندسين والمهن الأخرى، وفي المركز الثاني لدى الطلاب والعاطلين والثالث لدى الصحافيين والكتّاب، والرابع لدى المهن الفنية ووظائف التكنولوجيا، والخامس لدى الباحثين والفنون التشكيلية، والسادس لدى الإداريين، ولا توجد في السابع لدى أحد، والثامن لدى المترجمين، والتاسع لدى رجال الأعمال والمحامين.
2. **أفلام وسينما:** تتوزّع هذه القضية بين المركزين الثالث والسابع والعشرين، وفي المركز الثالث توجد لدى الباحثين ورجال الأعمال ووظائف التكنولوجيا والوظائف الأخرى، وفي المركز الرابع لا توجد، وفي المركز الخامس توجد لدى المهندسين، وفي الثامن لدى الإداريين والمهن غير الواضحة والمحامين والمدرسين، وفي المركز التاسع لدى المهن الفنية، والحادي عشر لدى الأطباء والدعاة والصحافيين، والثاني عشر لدى الطلاب والعاطلين، والسابع عشر لدى الفنون التشكيلية، وفي الحادي والعشرين لدى الموظفين، والسابع والعشرين لدى المترجمين.
3. **قضايا الرياضة:** تتوزع بين المركز الأول والعشرين، وهي في المركز الأول لدى الإداريين والمهن الفنية، والثاني لدى الصحافيين والكتّاب، والثالث لدى المهن غير الواضحة والفنون التشكيلية، والرابع لدى المهن الأخرى والمحامين، والخامس لدى الموظفين والمدرسين، والسادس

لـدى الأطباء، والسـابع لـدى العاطلين عن العمل، والتاسـع لدى الطلاب والمهندسين، والعاشر لـدى رجال الأعمال، والثاني عشر لدى الدعاة، والخامس عشر لدى الباحثين، والتاسع عشر لدى المترجمين.

4. **الخواطر**: توزعت بين المركز الأول والثالث عشر، وكانت الاختيار الأول لـدى كل من الصحافيين والكتاب والعاطلين عن العمل، والثاني لدى الموظفين والوظائف الأخرى والباحثين والمهن غير الواضحة والمترجمين، والرابع لـدى المدرسين والمهندسين، والخامس لـدى الإداريين والأطباء والدعاة والمهن الفنية، والسادس لـدى الطلاب ورجال الأعمال ووظائف تكنولوجيا المعلومات، والثامن لدى الفنون التشكيلية، والثالث عشر لدى المحامين.

5. **إنترنت ومعلوماتية**: توزّعت بين المركز الأول والثاني والثلاثين، فقد كانت الاختيار الأول لوظائف تكنولوجيا المعلومات، وفي المركز الثالث للمهندسين، والرابع للمهن غير الواضحة، والسادس للمهن الأخرى، والسابع للدعاة والصحافيين والكُتّاب، والثامن للطلاب، والتاسع للموظفين والباحثين والعاطلين عن العمل والمدرسين، والعاشر للإداريين، والحادي عشر للمحامين، والخامس عشر للأطباء، والثالث والعشرين لرجال الاعمال والفنون التشكيلية، والسادس والعشرين للمهن الفنية، والحادي والثلاثين للمترجمين.

6. **أدب وثقافة**: توزعت بين المركز الأول والخامس عشر، حيث كانت في المركز الأول لدى الباحثين والمترجمين والمحامين والطلاب، وفي المركز الثاني لدى الإداريين والمدرسين والمهندسين، والثالث لدى الموظفين والرابع لدى الأطباء والخامس لدى رجال الأعمال والصحافيين والكتّاب والمهن غير الواضحة، والعاشر لدى الدعاة، والحادي عشر لدى المهن الأخرى والفنون التشكيلية، والثالث عشر لدى المهن الفنية، والرابع عشر لدى وظائف تكنولوجيا المعلومات، والخامس عشر لدى العاطلين عن العمل.

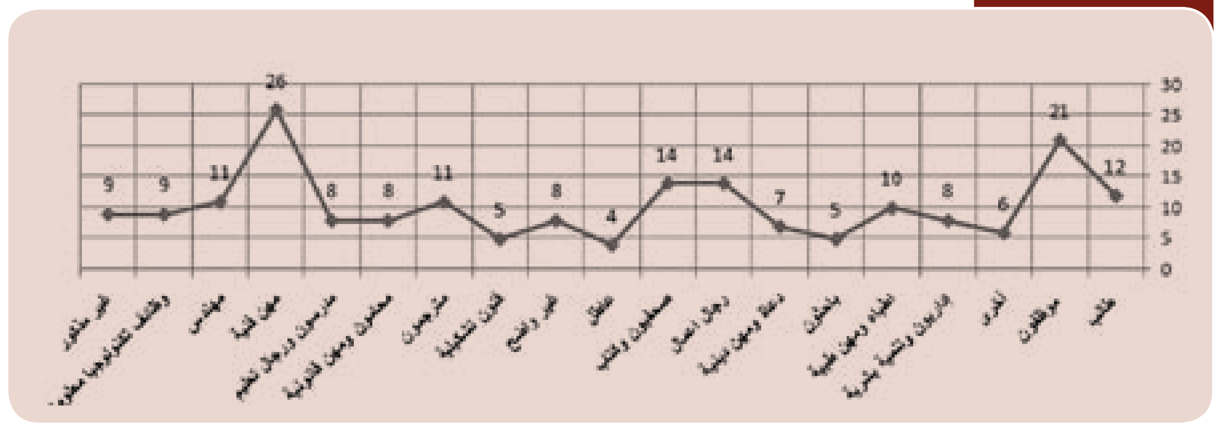
7. **مؤسسات سياسية**: تتوزع بين المركزين الأول والثاني والعشرين، فهي في المركز الأول لدى الفنون التشكيلية، والثالث لدى المهن الفنية، والرابع لدى الإداريين والدعاة والصحافيين والكتاب والمترجمين، وفي السادس لدى المحامين، والسابع لدى الأطباء، والثامن لدى العاطلين عن العمل، والتاسع لدى وظائف التكنولوجيا، والعاشر لدى الطلاب والموظفين والمدرسين، والرابع عشر لدى المهن الأخرى والمهندسين، والسادس عشر لدى الباحثين، والسابع عشر لدى المهن غير الواضحة، والثاني والعشرين لدى رجال الاعمال.

8. **قضيه فلسطين**: توزعت بين المركزين الثالث والخامس والعشرين، فهي في المركز الثالث لدى العاطلين عن العمل، والرابع لدى الباحثين والفنون التشكيلية، والخامس لدى المهن الأخرى، والسادس لدى الدعاة والمهن الدينية، والسابع لدى الإداريين والمهن غير الواضحة والمحامين والمدرسين، والثامن لدى وظائف التكنولوجيا، والتاسع لدى الأطباء، والعاشر لدى المترجمين والمهندسين، والحادي عشر لدى الطلاب، والثالث عشر لدى رجال الأعمال والصحافيين، والعشرين لدى الموظفين، والخامس والعشرين لدى المهن الفنية.

9. **طب وصحة**: تتوزع بين المركزين الأول والثامن والعشرين، فهي في المركز الأول لدى رجال الأعمال، والثاني لدى الأطباء، والسادس لدى المهن غير الواضحة، والتاسع لدى المهن الأخرى، والعاشر لدى المحامين، والحادي عشر لدى



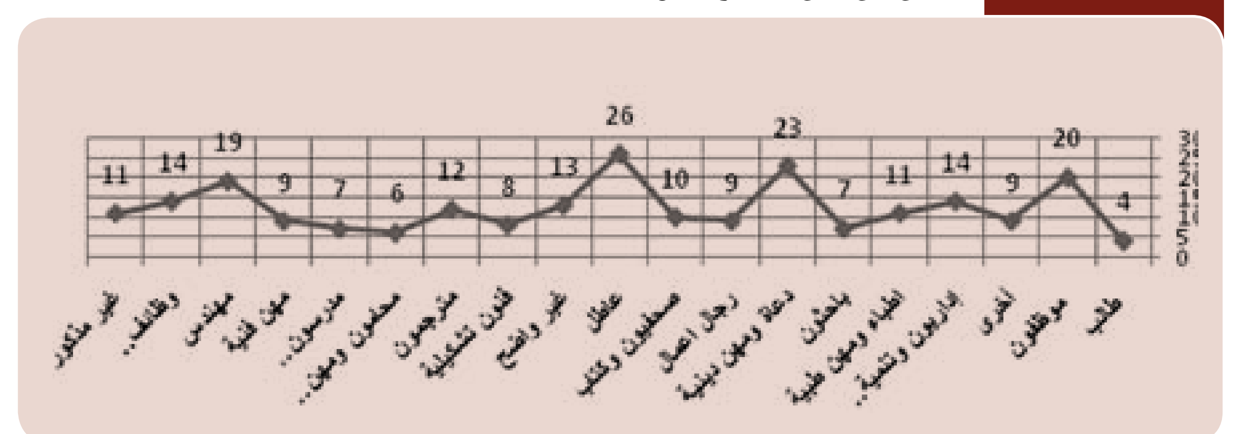
شكل رقم (26): المركز الذي حققته قضية فلسطين لدى كل فئة من فئات المدوّنين العرب المختلفة ويدل ارتفاع المنحنى على تدنى المكانة والعكس



المهن الفنية، والثاني عشر لدى المدرسين، والثالث عشر لدى الباحثين، والرابع عشر لدى الإداريين، والسادس عشر لدى الفنون التشكيلية ومهن تكنولوجيا المعلومات، والحادي والعشرين لدى العاطلين عن العمل، والثاني والعشرين لدى الصحافيين والكُتّاب، والثالث والعشرين لدى الطلاب، والرابع والعشرين لدى الموظفين، والسادس والعشرين لدى المترجمين، والثامن والعشرين لدى الدعاة والمهن الدينية.

10. **إسرائيل**: تتوزع بين المركزين الثالث والخامس والعشرين، فالطلاب يضعونها في المركز الثالث، والمحامون في المركز الخامس، والباحثون والمدرّسون في المركز السادس، والفنون التشكيلية في المركز السابع، والمهن الأخرى ورجال الأعمال والمهن الفنية في المركز الثامن، والصحافيون والكُتّاب في المركز التاسع، والأطباء في المركز العاشر، والمترجمون في الحادي عشر، والمهن غير الواضحة في الثاني عشر، والإداريون ومتخصّصو التكنولوجيا في المركز الثالث عشر،

شكل رقم (27): المركز الذي حققته قضية إسرائيل لدى كل فئة من فئات المدوّنين العرب المختلفة ويدل ارتفاع المنحنى على تدنى المكانة والعكس



والمهندسـون في المركـز الثامـن عشر، والموظفـون في المركـز التاسـع عشر، والدعـاة في المركـز الثـاني والعشريـن، والعاطلون عـن العمل في المركز الخامس والعشرين.

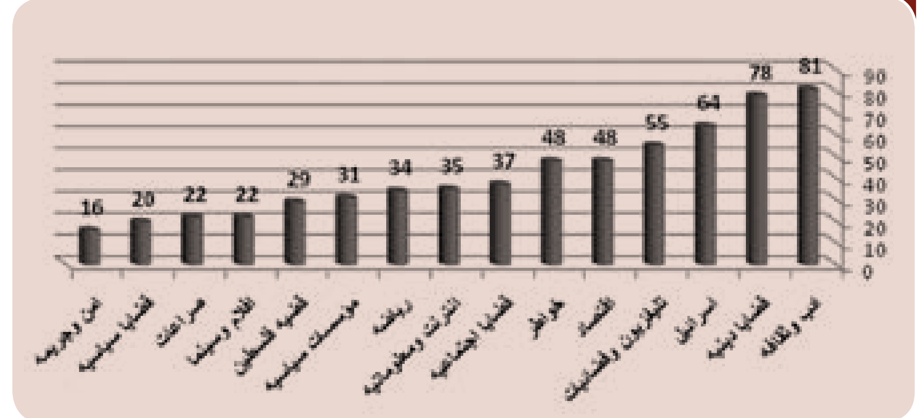
نمط التفضيلات لدى الفئات الأكثر تدوينا

لم يكن النشـاط التدويني لفئـات المدوِّنين العرب الـ 18 التي ظهرت في التحليل متسـاوياً من حيث العـدد، ولا متماثلاً مـن حيث اختيار القضـايا؛ ولذلك، فإن تحليل تفضيلات الفئات العشر الأولى مـن المدوِّنين، وطريقـة ترتيبهم للقضـايا، التـي يهتمـون بهـا، يمكـن أن تُلقي مزيـداً مـن الضـوء على السـؤال المطـروح منذ البداية، وهو: مَنْ ينشغل بماذا؟ وذلك لأن هذه الفئـات العشر تغطّـي الغالبيـة السـاحقة من أنشطة المدوِّنين.

في مـا يلـي، تجميـع وتلخيـص سريـع لتفضـيلات الفئـات العشر الأكـثر تدويناً تجاه القضـايا المختلفـة، وتُعرض فيـه القضـايا بالترتيـب استـناداً إلى عـدد التدوينـات التـي خصَّصـتها كلُّ فئة لكلِّ قضـية، بمعنى أنَّ أوَّل قضـية هي التي خصَّـص لهـا المدوِّنون داخل الفئة أكبر عدد من التدوينات، وحصلت بالتالي على المركز الأول من حيث التفضيلات، وتليها القضية الثانية، وهكذا:

1. **فئة المدوِّنين الذين لم يَذكر أصحابُها مهنتهم:** جـاءت تفضـيلات هـذه الفئـة كالتـالي: القضـايا الدينية، أفلام وسـينما، رياضه، خواطر، إنترنـت ومعلوماتية، أدب وثقافة، مؤسَّسـات سياسـية، قضـية فلسطين، طب وصحة، إسرائيل.
2. **فئـة الصحافيين والكتّاب:** جاءت تفضيلات هذه الفئة كالتالي: خواطر، رياضة، قضايا دينيـة، مؤسَّسـات سياسـية، أدب وثقافة، أمن وجريمة، إنترنت ومعلوماتية، قضـايا سياسية، إسرائيل، اقتصاد.
3. **فئـة الطـلاب:** جاءت تفضـيلات هـذه الفئة كالتـالي: أدب وثقافـة، قضـايا دينيـة، إسرائيـل، تلفزيون وفضـائيات، اقتصـاد، خواطـر، قضـايا اجتماعيـة، إنترنت ومعلوماتية، رياضة، مؤسّسات سياسية.
4. **فئة المدرسين ورجال التعليم:** جاءت تفضيلات هـذه الفئـة كالتـالي: قضـايا دينيـة، أدب وثقافـة، بيئـة ومـوارد، خواطر، رياضـة، إسرائيل، قضـية فلسـطين، أفلام وسـينما، إنترنت ومعلوماتية، مؤسسات سياسية.

شكل بياني رقم (28): توزيع عدد المدوَّنات على الطلاب بحسب نوعية القضايا "أكبر 15 قضية اهتماما من قبل الطلاب"



5. **وظائف تكنولوجيا معلومات واتصالات:** جـاءت تفضـيلات هـذه الفئـة كالتـالي: إنترنـت ومعلوماتية، نصـائح وإرشـادات، أفلام وسينما، قضايا دينية، أمن وجريمة، خواطر، رياضة، قضية فلسطين، مؤسسات سياسية، قضايا اجتماعية.
6. **فئـة الإداريـين والتنميـة البشريـة:** جـاءت تفضيلات هذه الفئة كالتالي: رياضة، أدب وثقافـة، تلفزيون وفضـائيات، مؤسّسـات سياسـية، خواطـر، قضـايا دينية، قضـية فلسـطين، أفـلام وسـينما، أمـن وجريمـة، إنترنت ومعلوماتية.
7. **فئة وظائف أخـرى:** في هـذه الفئـة ذكـر المدوِّنـون وظائـف فرعية قليلة الانتشـار ولذلـك تمَّ جمعهـا تحت مُسمّى آخـر، وقد جاءت تفضيلات هذه الفئة كالتالي: قضايا دينيـة، خواطـر، أفـلام وسـينما، رياضـة، قضـيه فلسـطين، إنترنـت ومعلوماتيـة، أمـن وجريمـة، إسرائيـل، طـب وصحـة، تربيةوتعليم.
8. **فئة الأطباء والمهن الطبية:** جاءت تفضيلات هـذه الفئـة كالتـالي: قضـايا دينيـة، طب وصحـة، اقتصـاد، أدب وثقافـة، خواطـر، رياضـة، مؤسسات سياسية، تربية وتعليم، قضية فلسطين، إسرائيل.
9. **فئـة المهن غير الواضحـة:** في هذه الفئة كتب المدوِّنـون عـن وظائفهـم أو مهنتهم كلاماً ليس له علاقة بالوظيفة، أو لا يُفصـح عن الوظيفة بشكل محدد. وقد جاءت تفضيلات هذه الفئة كالتالي: قضـايا دينية، خواطر، رياضـة، إنترنت ومعلوماتية، ادب وثقافة، طب وصحة، قضيه فلسطين، أفلام وسينما، اقتصاد، نصائح وإرشادات.
10. **فئة المهندسين:** جاءت تفضيلات هذه الفئة كالتالي: قضايا دينية، أدب وثقافة، إنترنت ومعلوماتية، خواطر، أفلام وسينما، فنون، قضـايا اجتماعيـة، إعـلام وحريـة تعبير، رياضة، قضية فلسطين.

قضايا المنتديات.. السمات الخاصة

المنتديـات علـى الإنترنت هي عبـارةٌ عن برمجيـات يتّم تركيبها على أيِّ موقع فتسـمح بتلّقـي إسـهامات وأفـكار وآراء وتعليقـات وحوارات من قبل أيِّ شـخص يسـجِّل نفسه في المنتـدى، وعرضـها على المشـاركين الآخرين في اللحظـة نفسـها، ثـم إتاحـة الفرصـة لـكل المشـتركين الآخرين لقراءة الإسهام فوراً والرد عليها في اللحظة نفسها إن أرادوا.

ويعـود تاريخ المنتديـات إلى العام 1996، ومـن ثم كان ظهورها قد تبع ظهور مجموعات الأخبـار وأنظمة لوحات النشرات، ومع الوقت تطـور المفهـوم الأساسي للمنتديـات ولم يعد مقصـوراً علـى إتاحـة الفرصـة للمشـتركين، لإرسال سلسلة من الرسائل إلى المنتدى، والرّد على رسائل الآخرين لحظياً، حيث أصبح معظم برمجيات المنتديات قادراً على إنشـاء أكثر من منتـدى داخل المنتدى الواحد. وهذه المنتديات هي عبارة عن حاويات لسلاسـل الرسائل التي يرسـلها المجتمع الافتراضـي، واعتمـادًا على الصـلاحيات الممنوحـة لأعضـاء المجتمـع، حسـبما يحددهـا مسـؤول المنتـدى، ويمكـن لهؤلاء الأعضاء أن يرسلوا ردوداً على الرسائل الموجـودة أو يبدأوا في إرسـال رسـائل جديدة حسبما يرغبون.

والقضـايا محلَّ الحوار، داخـل المنتديات، تغطـي جميـع مجالات الحيـاة تقريبـاً، ويدور عمـل المنتديـات في بعـض الأحيـان حـول موضـوع واحد، كمـا مع المنتديات الصـغيرة، كما توجد بعض المنتديات التي لا يدور عملها على موضوع محدّد، حيث يمكن لزوّار المنتدى أن يرسـلوا أي رسـائل أو موضـوعات يهتمون بهـا. ويلاحـظ بعامّـة أن المنتديـات الكبـيرة تراعي بشكل أكبر القضـايا العامة والسياسية والاجتماعية.

تنتشر المنتديـات حاليـاً في جميع الدول تقريباً، بنسب وإعداد وأنمـاط متفاوتة. وعند

قياس قوة المنتديات بالنسبة إلى عدد ما يتمّ إرساله ومناقشته من رسائل، تحتل **اليابان** المرتبة الأولى، حيث يحتوي أكبر منتدياتها ما يزيد على مليوني رسالة يتم إرسالها في اليوم الواحد، أما **الولايات المتحدة** فلا يوجد فيها منتدى هو الأكبر من نوعه بل تحتوي على مئات آلاف المنتديات الصغيرة. وتمثل دول مثل **الصين وهولندا وفرنسا** موطنًا لمئات من المنتديات المستقلة. وبعض الدول مثل **فنلندا والسويد** لا تحتوي على الكثير من ذات الانتشار الواسع، على الرغم من أن لديها انتشاراً واسعاً في الدخول على شبكة الإنترنت.

وفي المنطقة العربية سجلت المنتديات حضوراً ملحوظاً خلال السنوات الأخيرة، وتمتَّعت بكثير من الوهج والاهتمام، في مرحلة ما قبل ظهور الشبكات الاجتماعية وانتشارها، على النحو القائم حالياً، ولا يزال لها حضورٌ قويٌّ، وتجتذب أعداداً غفيرة من مستخدمي الشبكة العرب.

منهجية بخمس درجات تقييم

تمّ الاعتماد على المنهجية التي يستخدمها موقع "أليكسا" ، وتحدد هذه المنهجية خمس درجات تُمنح لجمهور المنتدى من الأعضاء والمشاركين والمعلقين[1] .

وعند تحليل خصائص جمهور أحد المنتديات، طبقاً لفئات النوع، يتمُّ منح الإناث درجةً من الدرجات السابقة، دلالةً على مستوى نشاط الإناث، كعضوات يضعْنَ المشاركات ويقُمن بالتعليق عليها، وغير ذلك من الأنشطة في المنتدى، فيوصف الحضور والنشاط النسوي بأنه أقّل من المعدل بكثير، أو أقلّ من المعدل، أو غير ذلك من الدرجات الأخرى.

وفي البحث تم رصد الدرجات التي حصلت عليها كل فئة من فئات الجمهور، داخل المنتديات، التي خضعت للتحليل طبقاً لمقياسَ أليكسا المشار إليه. وبناء على هذا الرصد، تمَّ تجميعُ درجات كل فئة من فئات الجمهور معاً، واستخدامها في التعرف إلى العلاقة التفاعلية بين القضايا المثارة وخصائص مجتمع المنتديات العربي، وبعد التحليل كانت النتائج كالتالي:

العمر: جيل العشرينيات ملك المنتديات

عند تطبيق هذا المعيار على الفئات العمرية المختلفة للجمهور، اتَّضح (راجع **الجدول** "25") أن هناك علاقةً عكسية بين جودة الدرجة التي تحصل عليها الفئة العمرية، بين 55 و64 عاماً ونسبة المواقع التي تمنحها هذه الدرجة؛ بمعنى أن النسبة الأكبر من المواقع كانت تمنحها درجةً أقلَّ من حيث حيوية وجودة المشاركة والتفاعل على المنتدى.

بتوضيح أكثر حصلت الفئة العمرية من 55 إلى 64 عاماً على درجة "أقلّ من المعدل بكثير" في 58.1 % من المنتديات التي شملتها العيِّنة، وهي الدرجة التي تدلّ على تدنّي حضور

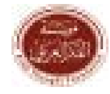
1 – هذه الدرجات هي: – أقل من المعدل بكثير، وهي أسوأ الدرجات وأدناها، وتعادل مستوى نشاط ضعيف جداً. – أقل من المعدل، وهي درجة تعادل مستوى "ضعيف"، – المعدل الطبيعي، وهي درجة تعادل مستوى "جيد"، – فوق المعدل، وهي درجة تعادل مستوى "جيد جداً"، – فوق المعدل بكثير، وهي درجة تعادل مستوى "ممتاز"

وتُمنح الدرجات السابقة طبقاً لمستوى الحضور والحيوية والمشاركة التي تحققها كلّ فئة من فئات الجمهور المختلفة داخل المنتدى، وذلك وفق المعايير التالية:

– النوع «ذكور وإناث».

– السن «فئات وشرائح عمرية مختلفة هي: – الفئة الأولى من 18 إلى 24 سنة، – الفئة الثانية من 25 إلى 34 سنة، – الفئة الثالثة من 35 إلى 44 سنة، – الفئة الرابعة من 45 إلى 54 سنة، – الفئة الخامسة من 55 إلى 64 سنة.

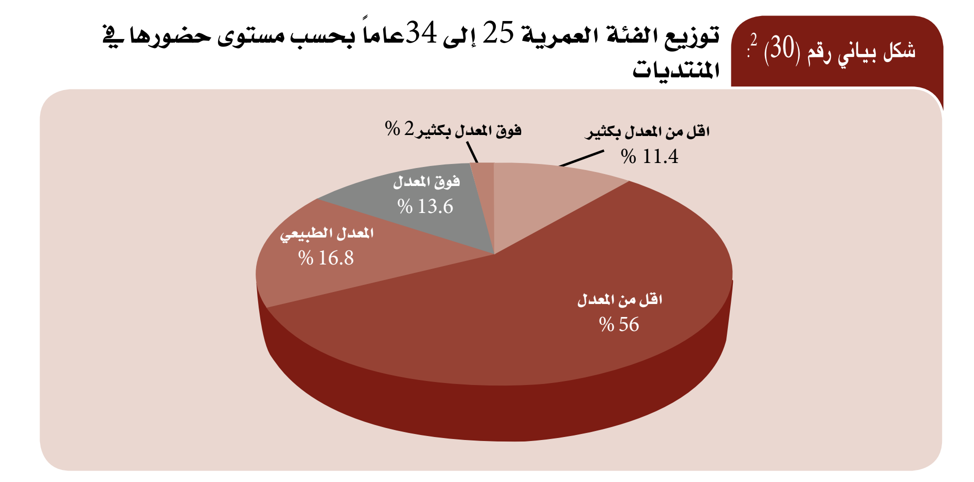
– مستوى التعليم وينقسم إلى ثلاث فئات: قبل الجامعي، الجامعي، بعد الجامعي».



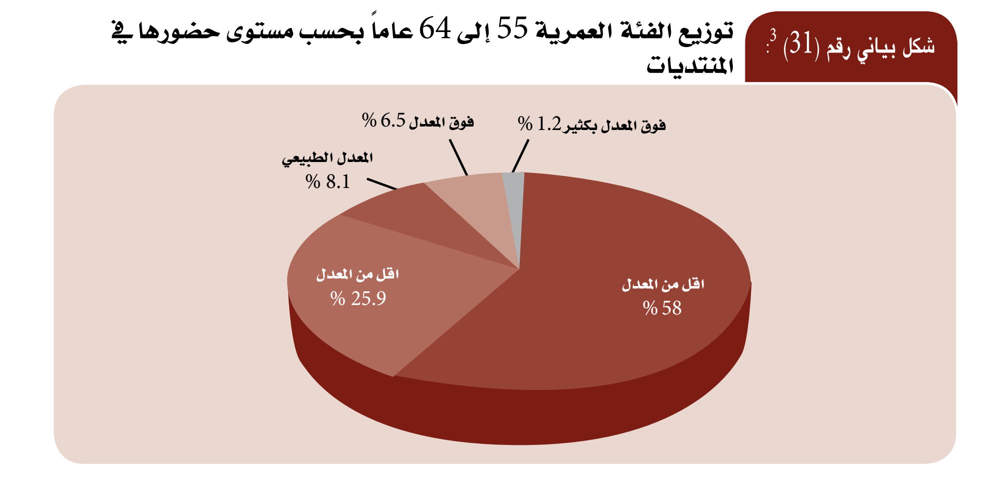
شكل بياني رقم (29)[1]: توزيع الفئة العمرية 18 إلى 24 عاماً بحسب مستوى الحضور في المنتديات

أقل من المعدل 4.4 %
أقل من المعدل بكثير 0.7 %
المعدل الطبيعي 4.2 %
فوق المعدل بكثير 52.5 %
فوق المعدل 38 %

شكل بياني رقم (30)[2]: توزيع الفئة العمرية 25 إلى 34 عاماً بحسب مستوى حضورها في المنتديات



شكل بياني رقم (31)[3]: توزيع الفئة العمرية 55 إلى 64 عاماً بحسب مستوى حضورها في المنتديات



1 – راجع ص 144 من منهجية البحث (ملحق رقم 1)
2 – راجع ص 144 من منهجية البحث (ملحق رقم 1)
3 – راجع ص 144 من منهجية البحث (ملحق رقم 1)

ومشاركة وحيوية الفئة العمرية إلى أقل مستوى ممكن، وسارت العلاقة عكسية بين النسبة والجودة حتى وصلت إلى أن 1.3 % فقط من المنتديات هي التي منحتها درجة "فوق المعدل بكثير"، وهي الدرجة التي تمثل أقصى أو أعلى مستوى ممكن من النشاط والحيوية والمشاركة يمكن أن تحققها فئة معيّنة داخل المنتدى.

كانت أوضاع الفئة العمرية من 18 إلى 24 عاماً على النقيض تماماً من ذلك، حيث كانت هناك علاقة إيجابية طردية بين النسبة التي تحصل عليها هذه الفئة، داخل المنتديات، وجودة الدرجة التي تمنحها لها المنتديات؛ بمعنى أن وجودها الكثيف كان مقترناً بحيوية وإنتاجية ومشاركة عالية داخل المنتديات، فقد حصلت هذه الفئة العمرية على درجة " فوق المعدل بكثير" في 52.5 % من المنتديات التي شملتها العيِّنة، وهي الدرجة التي تمثل أقصى أو أعلى مستوى ممكن من النشاط والحيوية والمشاركة يمكن أن تحققها فئةٌ معيّنة داخل المنتدى، ثم تدنّى حضورها في الدرجات الأقل جودة حتى وجدنا أن 0.8 % فقط من المنتديات هي التي منحتها درجة " أقل من المعدل بكثير".

أما الفئات العمرية الأخرى فكان نصيبها متدنِّياً للغاية، من درجة " فوق المعدل بكثير"، فالفئة العمرية من 25 إلى 34 عاماً حصلت عليها في 3 % فقط من المنتديات، والفئة من 35 إلى 44 عاماً حصلت عليها في 1.9 % فقط من المنتديات، ولم يختلف الحال كثيراً في باقي الفئات العمرية التي كانت نسبة المواقع التي حققتها فيها تتراوح بين 1 و2 % أيضاً.

وتظهر الأرقام الخاصة بالفئات العمرية الأخرى في **الجدول** 25، أن الاتجاه العام داخل المنتديات هو أن التقدُّم في السن يكون مصحوباً عادة بانخفاض في الحيوية والمشاركة والإنتاجية والتفاعل داخل المنتديات، وأن الفئة العمرية بين 18 و24 عاماً، والفئة العمرية بين 55 و64 عاماً، تمثلان طرفي النقيض الأكثر وضوحاً في هذه العلاقة، بحكم فارق العمر بين الفئتين، فالأولى فئة الشباب في مقتبل العمر، والثانية في سن 55 إلى 64.

فئة 18 ـ 24 عاماً الأشد تفضيلاً للسينما والأفلام

للتعرف إلى تفضيلات كل فئة عمرية ومستوى إقبالها واهتمامها بالقضايا المختلفة، تمّ إنتاج بيانات إحصائية تربط بين الفئات العمرية ـ التي يقسمها "أليكسا" إلى خمس فئات وبين الدرجات الخمس التي حصلت عليها كل فئة في تعاملها مع القضايا الثلاث والخمسين التي شملها التحليل. وقد أسفر الربط بين البيانات، على هذا النحو، عن العديد من الجداول الإحصائية المليئة بالبيانات التفصيلية، وبعد ذلك جرى دمج البيانات المنتجة مرةً أخرى، لنحصل في النهاية على جدول واحد مكوّن من خمس قوائم، كل قائمة ترتب القضايا ترتيباً تنازلياً طبقاً لتفضيلات كل فئة من الفئات العمرية الخمس، بحيث تأتي القضايا الأشدُّ تفضيلاً في المراكز الأولى، والأقل تفضيلاً في المراكز التالية، حتى النهاية، وهو ما يوضحه **الجدول** "26". الذي يمكن الخروج منه بالآتي:

1. يظهر التنوُّع والاختلاف عن الترتيب العام في هذا المحور بوضوح، كما كان في المحور السابق، والأمثلة على ذلك كثيرة منها:

أ. تظهر في المركز الأول قضية السينما والأفلام باعتبارها القضية الأشد تفضيلاً لدى فئة واحدة فقط من بين الفئات العمرية الخمس التي شملها التحليل، وهي الفئة الأولى (18 إلى 24 سنة)، بينما القضايا الأشّد تفضيلاً لدى الفئات الأخرى كانت النصائح والإرشادات في الفئة الثانية (25 إلى 34 سنة)، والثقافة والأدب والفكر في الفئات العمرية الثالثة والرابعة والخامسة من (35 إلى 64 سنة)، وهذا يذكّرنا على الفور بأن هذه القضية ظهرت لدى ثلاث **دول عربية** فقط من بين 19 **دولة** شملها التحليل. ومن ثمَّ فإن هذا الجدول يقدم دليلاً إضافياً على صحة الاستنتاج الذي فسَّرنا به التناقض بين احتلال السينما للمركز الأول، في الترتيب العام، وعدم ظهورها في المركز الأول لدى 16 **دولة** عربية شملها التحليل؛ إذ يُشير هذا الجدول إلى أن السينما والأغاني هي الأشدّ تفضيلاً لدى الفئة العمرية الأولى، التي هي في الوقت نفسه الأكثر حضوراً وكثافة في جميع المنتديات.

ب. يلاحَظ في المركز الثاني ظهورُ ثلاث قضايا كانت متأخرة بشكل واضح في الترتيب العام، وهي القضايا الدينية التي كانت تحتل المركز الرابع، في الترتيب العام، وأصبحت في المركز الثاني؛ وقضية البيئة والموارد التي كانت في المركز الرابع والعشرين، في الترتيب العام، وقفزت الى المركز الثاني مع الفئة العمرية الرابعة؛ وقضية الاستهلاك التي كانت في المركز السادس عشر وأصبحت في المركز الثاني للفئة العمرية الخامسة.

ج. وفي المركز الثالث ظهرت قضايا أخرى جديدة، وهي الرياضة التي تقدَّمت من المركز الثامن، في الترتيب العام، إلى الثالث لدى الفئة العمرية الأولى؛ وقضايا الاقتصاد التي تقدَّمت من المركز الثاني عشر لتصبح في المركز الثالث، لدى الفئة العمرية الخامسة؛ كذلك، العديد من القضايا الأخرى.

سيطرة المجال الشخصي على كل فئات العمر

2. بسطت القضايا التي تخدم المجال الشخصي الضيق للفرد سيطرتها على كل الفئات العمرية، وإن بصور مختلفة؛ ففي الفئة العمرية الأولى تبدو مسيطرة سيطرةً تامّة تكتسب شكل الاستهلاك الترفيهي.

في الفئة العمرية الثانية تتغيّر طبيعة القضايا الشخصية وتخرج من دائرة النهم الاستهلاكي الترفيهي إلى قضايا حياتية وعملية أكثر ممّا هي منها تسليه وترفيه ونهم استهلاكي، ولكنها في النهاية لا تخرج عن إطار القضايا الشخصية. وفي الفئة العمرية الثالثة تتراجع قضايا الترفيه وتتقدم قضايا الغذاء الفكري والروحي، ولكنها تدور أيضاً في إطار فرديّ وشخصي، وليس مجمتعياً أو وطنياً أو إنسانياً عامّاً.

وقد ترسخ هذا الاتجاه بقوة لدى الفئتين العمريتين الرابعة والخامسة، إذ يشتد التركيز على القضايا التي تدور في النطاق الفكري والروحي، ويقوى الاهتمام بها على حساب الاهتمام بالقضايا الموجهة للنهم الاستهلاكي الترفيهي، لكن الإطار الشخصي العام يظل مسيطراً حتى النهاية.

3. ظلَّت القضايا ذات النطاق الجماهيري العام على حالها من التراجع إلى ذيل قوائم الفئات العمرية الخمس، فلا نلحظ سوى تغييرات طفيفة. ولو عدْنا الى النماذج التي عرضناها في المحور السابق، لوجدنا أن أوضاعها لم تتغير كثيراً عند وضعها على معيار"العمر"؛ مثلاً، فقضية فلسطين كانت في الترتيب العام رقم 30، وعند التقسيم على أساس السن كانت الاختيار رقم 28 لدى الفئة الأولى والثالثة، والاختيار رقم 27 لدى الفئة الثانية، والاختيار رقم 29 لدى الفئة العمرية الرابعة، والاختيار رقم 35 لدى الفئة العمرية الخامسة.

ولم يختلف حال قضية حقوق الإنسان كثيراً، ففي الترتيب العامّ أحتلّت المركز 38. في المقابل، أحتلّت المركز 37 لدى الفئة العمرية الأولى، والمركز 41 لدى الفئة الثانية، والمركز 38 لدى الفئة

الثالثـة، والـ 36 لـدى الفئـة الرابعـة، والـ 38 لدى الفئة الخامسة. حدث الشيء نفسه لقضيـة اتفاقيـات السـلام التـي كانت في المركز 48 بالترتيب العام، وأحتلّت المراكز 48 و47 و45 و42 و44 في الفئـات العمرية من الأولى إلى الخامسة على التوالي.

النتيجـة التـي يمكـن الخروج بهـا من ذلك كله، أن القضـايا التي انشـغلت بهـا المنتديات العربيـة في العـام 2010 هـي قضـايا انشـغل بها مـن هم في العشرينيـات والثلاثينيات من العمر، **داخل البلدان العربية**، والذين يشكلّون المحور أو مركز الثقل الأساسـي من حيث السن داخـل المنتديـات العربية. أما الفئـات العمرية الأخرى فهي تدور حولهم في مدارات هـامشـية غير مؤثرة بصورة كبيرة.

النوع: المنتديات دولة النساء

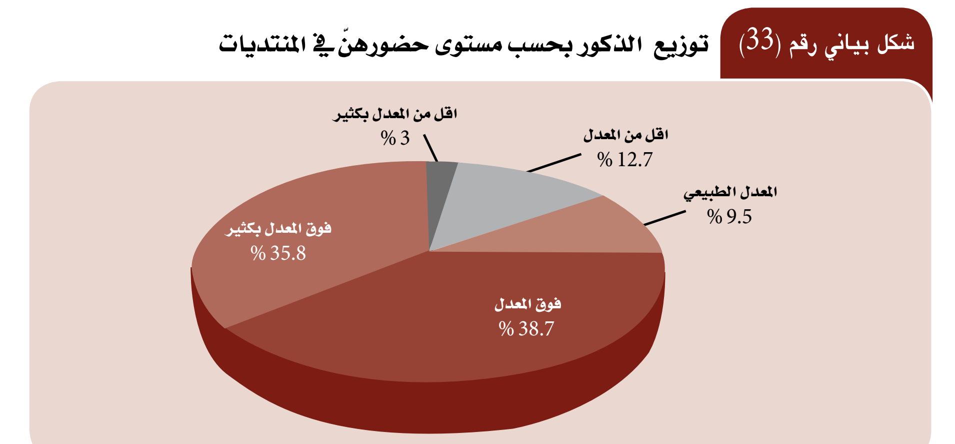
لوحظ في توزيع العيّنـة وفقاً لمعيار الفئة العمريـة أن التقـدُّم في السـن يكون مصـحـوباً عـادةً بانخفـاض في الحيويـة والمشـاركة والإنتاجية والتفاعل داخل المنتديات. وشـيء من هذا القبيل يكشـف عنـه توزيع العيّنة طبقاً لمعيار النوع " ذكور- إناث".

كان الحضـور النسـائي داخـل المنتديـات مصـحـوباً عادةً بالحيوية والنشـاط العالي في مناقشة القضايا داخل المنتديات، بينما يحدث العكس مـع الذكور الذين حينما يظهرون يكون ظهورهم مصـحـوباً بتدنٍ في الحيوية والنشاط والإنتاجية، وهذا ما تشير إليه بيانات **الجدول "27"**؛ فحضـور الإنـاث كان أقـل مـن المعدل بكثـيـر – وتلك أسـوأ درجة في **مقياس أليكسا** – في 3 % فقـط من المنتديـات، وكان أقل من المعـدل في 12.7 % مـن المنتديـات، لكنه كان فوق المعـدل في 38.8 % من المنتديات، وكان فـوق المعدل بكثير – وتلك أفضـل درجة – في 35.9 % من المنتديات. وهكذا كان هناك علاقة طردية إيجابية بين مستوى جودة الدرجة التي حصـلت عليهـا الإنـاث وبين كثافـة وجودهن داخـل المنتديات.بعبـارة أخـرى كانـت زيادة الدرجة مصاحبةً لزيادة الكثافة في الحضور.

شكل بياني رقم (32) توزيع الإناث بحسب مستوى حضورهم في المنتديات

فوق المعدل بكثير 3.5 %
فوق المعدل 13.1 %
المعدل الطبيعي 9.1 %
اقل من المعدل بكثير 37.7 %
اقل من المعدل 36.4 %

شكل بياني رقم (33) توزيع الذكور بحسب مستوى حضورهنّ في المنتديات



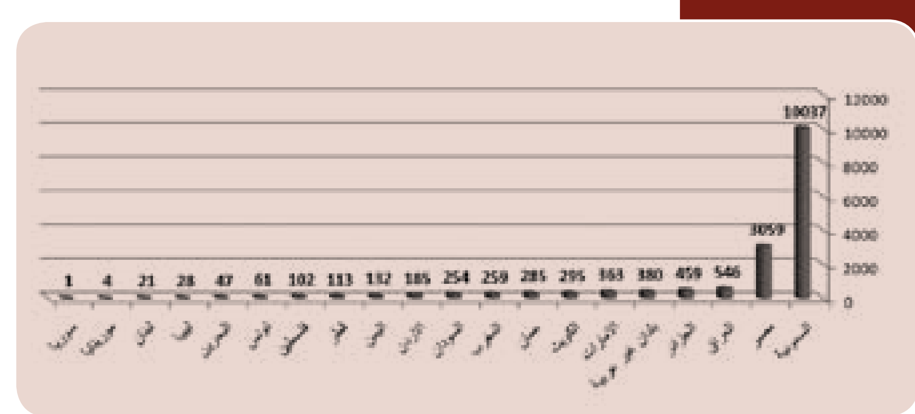
درجة سيئة للذكور في ثلث المنتديات

أمـا الذكـور فـكان يحـدث معهـم العكس تمامـاً، فقد حصـلوا على درجة "أقل من المعدل بكثـير" –وهي أسـوأ درجـة – في 37.7 % من المنتديـات، وحصـلوا عـلى درجة " فوق المعدل بكثـير" – وهي أفضـل درجة– في 3.6 % فقط من المنتديـات، أي كانت هناك علاقة عكسـية سـلبية بـين الدرجـة التـي يحصـلون عليهـا ومستوى انتشارهم، فكلما كان وجودهم كثيفاً وواسـعاً كانت درجتهم متدنِّيةً وقليلة الجودة، والعكس بـالعكس .

واذا مـا نظرنا إلى هذا الحضـور النسـائي الكثيـف ذي الحيوية والجـودة العالية، وأخذنا في الحسـبان أن حـوالى نصـف المنتديـات وجماهيرهـا في **الوطـن العربـي** يأتـي مـن **السعوديـة**، لأمكـن القـول بـأن المـرأة السـعودية لاعب محوريّ وأساسيّ في الأنشطة والمشـاركات الجارية في القضايا المثارة عبْر مجتمـع المنتديـات العربي. وبـالطبـع لا يمكن فصـل هـذه الظاهرة عـن السـياق الاجتماعي السياسـي الاقتصـادي الذي تعيش فيه المرأة السـعودية، والـذي إما أن يوفر لهـا المنتديات على الإنترنت، أو يدفعها إليها تارة لسدِّ الفراغ وتـارةً لأنهـا القنـوات الأكـثر إتاحـة للتعبير والمناقشـة وإثبـات الـذات. لكـن الـدور البارز للمرأة السـعودية لا ينفي حقيقـة أنه من حيث التصـنيف، بحسـب النـوع، تبـدو المنتديـات العربيـة علـى الإنترنت "دولة نسـاء" بصـورة واضـحـة، وتحديـداً مـن الإنـاث الشـابات في مقتبل العمر.

وبـالإضـافة إلى مـا سـبق، كان هناك تنوُّع واختـلاف واضـحين بـين مسـتوى وحيويـة وإنتاجيـة الذكـور والإنـاث علـى المنتديـات، داخـل البلـد العربـي الواحـد. ولو أخذنـا على سـبيل المثال الفروق في مسـتوى النشاط بين النوعـين درجة "أقل من المعـدل بكثير"، وهي

شكل بياني رقم (34): أعداد المنتديات بالعيّنة موزّعة بحسب البلدان العربية



أسوأ درجة، ودرجة " فوق المعدل بكثير"، وهي أفضل درجة، سنجد أنه في **الأردن** تراوحت الفروق في الدرجات التي حصل عليها الجنسان في درجة " أقل من المعدل بكثير تصل إلى 7 %، وفي السودان تصل إلى 8.7 %، وفي المغرب إلى13 %، وذلك حسبما يوضح **الجدول** "28".

ومن الأمور اللافتة للنظر في تفضيلات الذكور والإناث تجاه القضايا المختلفة على المنتديات أن أيّاً منهما لم يختر الأفلام والسينما والأغاني باعتبارها القضية الأكثر تفضيلاً بالنسبة إليه، وهذه قد تبدو مفارقةً أو تناقضاً جديداً بين الترتيب العام والترتيب داخل تفضيلات النساء والرجال، وإقبال كل منهم على القضايا المختلفة.

تناقض... لكنه ظاهري

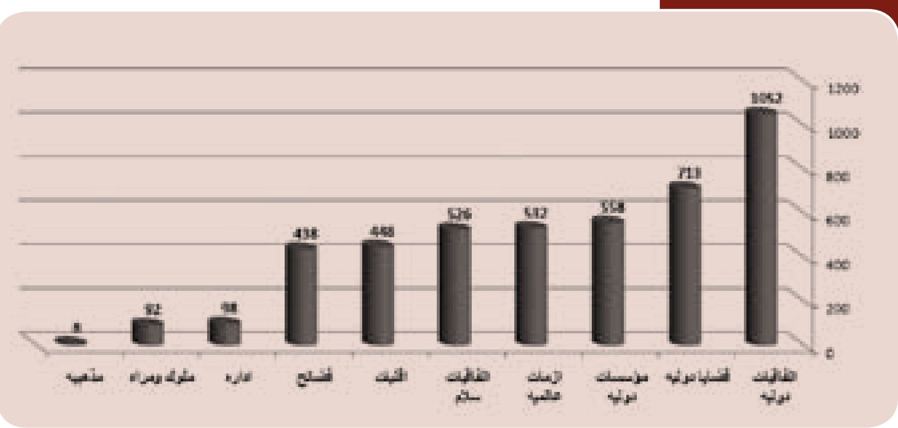
قبل التعليق على هذا "التناقض الظاهري" وتحليله نشير إلى أنه تمّ استخدام المنهجية التي اتُّبعت في المحور الثالث الخاص بتوزيع القضايا، على الفئات العمرية، حيث جرى إنتاج بيانات إحصائية تربط بين النوع "ذكور وإناث"، وبين الدرجات الخمس التي حصلت عليها كل فئة في تعاملها مع القضايا الثلاث والخمسين التي شملها التحليل، ثم إعداد جدول من قائمتين، كل قائمة ترتب القضايا ترتيباً تنازلياً طبقاً لتفضيلات الذكور والإناث، بحيث تأتي القضايا الأشدّ تفضيلاً في المراكز الأولى والأقلّ تفضيلاً في المراكز التالية حتى النهاية، وهو ما يوضحه **الجدول** "29" أيضاً.

ويكشف **الجدول** عن ان التناقض الظاهري المشار إليه سرعان ما يتبدد إذا ما أنعمنا النظر في ترتيب قضية السينما والأغاني لدى الفئتين، فهي تحتل المرتبة الخامسة لدى الذكور والثالثة لدى الإناث، أي بفارق مرتبتين فقط، وهذا الأمر لم يتكرر مع أيٍّ من القضايا الأخرى التي شملها التحليل. ومدلول ذلك أن التقارب الشديد بين المركز أو المرتبة التفضيلية لقضية السينما والأغاني لدى الفئتين، يعني أن كلاً منهما منحها درجة تفضيل متقاربة مع الآخر، وبالتالي، فإن إجمالي الاهتمام بها لدى الفئتين، كان مرتفعاً للغاية، فدفع بها إلى صدارة الترتيب العام، بعكس القضايا الأخرى التي كان ما يقدِّمه لها طرفٌ يسحبه منها الطرف الآخر، فيكون إجمالي الاهتمام بها أقلّ، فتتراجع إلى مراكز تالية.

وإذا تمّ تجاوز هذا "الخلاف الظاهري غير الحقيقي" بين الترتيب العام وقوائم التفضيلات لدى الذكور والإناث، يتبيّن أن هناك "اختلافاً وتنوعاً حقيقيَّين"، وليس ظاهرياً، بين النوعين، في القضايا التي يفضّلونها ويهتمون بها أكثر من غيرها؛ فمن الواضح أن معظم القضايا التي يهتم بها الرجال ويضعوها في مقدمة

شكل بياني رقم (35): أبرز عشر قضايا ظهوراً على المنتديات موزعة بحسب عدد المشاركات

شكل بياني رقم (36): أقل عشر قضايا انتشاراً عبر المنتديات موزعة بحسب عدد المشاركات



تفضيلاتهم، لا تهتم بها النساء، بل يدفعْنَ بها إلى الوراء، بصورة أو بأخرى، والعكس صحيح. فمثلاً.. تحتل قضية الرياضة المركز الأول لدى الذكور، لكن الإناث لم يكترثن بها بالدرجة نفسها ودفعن بها إلى المركز الثالث عشر، وفي المقابل فإن قضية الطب والصحة التي كانت الأكثر تفضيلاً على الإطلاق لدى النساء ومنحنها المركز الأول، لم تكن كذلك لدى الذكور، ولم يكترثوا بها، فدفعوا بها إلى المركز العاشر. كذلك قضية الإنترنت والمعلوماتية التي وضعها الذكور في المركز الثاني، دفعت بها النساء إلى المركز العاشر؛ والأدب والفكر التي جاءت في المركز الثالث لدى الذكور تراجعت لدى الإناث إلى المركز السادس؛ وقضية النصائح والإرشادات التي رفعتها الإناث إلى المرتبة الثانية، هبط بها الذكور إلى المرتبة السابعة؛ وقضية التلفزيون والفضائيات التي تحتل المركز الرابع لدى الذكور، قذفت بها الإناث إلى الوراء لتسكن المركز السابع عشر؛ وقضية الخواطر التي وضعتها الإناث في المركز الخامس، لم يعطها الذكور وزناً مماثلاً ودفعوا بها إلى المركز الثاني عشر.

على هذا المنوال تسير تفضيلات الفئتين في طرق متباعدة، فما تفضِّله فئةٌ تُهمله الأخرى والعكس بالعكس، الأمر الذي يعكس بوناً واضحاً بين اهتمامات الذكور واهتمامات الإناث في المجتمع العربي، ليس من السهل التغاضي عنه؛ فالاهتمامات لا تتقارب بشدة إلا في السينما والأغاني والأفلام، وبدرجة أقل في القضايا الدينية، أما في باقي القضايا فالأمر يقترب من حالة "حوار الطرشان" التي تمضي بكل طرف في سبيله، متباعداً عن الآخر، وغير حريصٍ بما يكفي لمشاركته الاهتمامات والهموم.

التقوقع بالقضايا الشخصية سمة مشتركة للجنسين

وإذا كان هناك ثمة اتفاقٌ أو تقاربٌ بين الفئتين فهو التقوقع داخل القضايا الشخصية والفردية التي تخدم النهم للترف أو الحاجة لتسيير الأمور الحياتية، والإهمال الواضح للقضايا الواقعة في نطاق الاهتمام العام مجتمعياً ووطنياً وقومياً وإنسانياً، وهي الظاهرة نفسها التي رأيناها في المعايير الأخرى، ويدلِّلُ على ذلك، التقاربُ الشديد، وربما التطابق احياناً في المراكز التي حصلت عليها القضايا التي أحتلّت ذيل القائمة لدى الفئتين، وتضمّ قضايا المذهبية، والإدارة، والأقليات، واتفاقيات السلام، والمؤسّسات الدولية، وحقوق الإنسان، والأزمات العالمية،وإسرائيل، وغيرها؛ فالملاحظ أن هذه

وضع الذكور قضية الإنترنت والمعلوماتية في المركز الثاني، أما الإناث فدفعنها إلى المركز العاشر، وجعل الذكور الأدب والفكر في المركز الثالث، بينما تراجعت لدى الإناث إلى المركز السادس. أما قضية النصائح والإرشادات فرفعتها الإناث إلى المرتبة الثانية، بينما هبط بها الذكور إلى المرتبة السابعة.

النوعية من القضايا تبدأ الظهور بعد المركز الخامس والعشرين وحتى نهاية القائمة.

التعليم: الأدنى تعليماً الأكثر نشاطا

ألقى عاملُ السن بظلال واضحة على عامل التعليم، فقد سبقت الإشارة إلى أن الكتلة الحرجة النشطة داخل المنتديات هي بالأساس من الفئات صغيرة السن، وهذا الوضع جعل تقسيم العيّنة طبقاً لمستويات التعليم يميل هو الآخر إلى الفئات المنتمية إلى مستوى التعليم قبل الجامعي ثم الجامعي، والتي هي صغيرة السن. أما الفئات المنتمية إلى التعليم، بعد الجامعي فكان حضورها قليلاً وإنتاجها ضعيفاً وحيويتها هزيلة، وهي في الوقت نفسه فئات متقدمة في السن ولو نسبياً.

التعليم ما قبل الجامعي هو الأفضل على المنتديات

وفي هذا الصدد يشير **الجدول** "30" إلى أن فئة التعليم قبل الجامعي اتخذت المسار نفسه الذي وجدناه في الفئات الأقل سناً وفي فئة الإناث؛ ألا وهو وجود علاقة طردية إيجابية بين كثافة وجودها داخل المنتديات ومستوى جودة الدرجة التي تحصل عليها من حيث الحيوية والإنتاجية في مناقشة القضايا المختلفة، فهذه الفئة حصلت على أسوأ درجة "أقل من المعدل بكثير" في 5.1 % فقط من المنتديات، وحصلت على الدرجة الأفضل على الإطلاق (فوق المعدل بكثير) في 45.5 % من المنتديات. وكان الانتقال من الدرجة الأسوأ إلى الدرجة الأفضل تصاعدياً بصورة منتظمة.

وحدث شيء قريب من هذا مع فئة التعليم الجامعي التي حققت أسوأ درجة في 11.8 % من المنتديات، وحصلت على الدرجة قبل النهائية في 58.6 % من المنتديات، لكن الدرجة النهائية حصلت عليها في 15.3 % من المنتديات.

أما فئة التعليم بعد الجامعي فكانت نموذجاً ثالثاً لظاهرة العلاقة السلبية العكسية بين جودة الدرجة ومعدل الانتشار، فأوسع انتشار لهذه الفئة كان مصحوباً بالدرجة الضعيفة، "أقل من المعدل"، حيث حصلت على هذه الدرجة في 61.6 % من المنتديات. أما الدرجة النهائية فحصلت عليها في 0.8 % من المنتديات، وهي أقل نسبة انتشار تحققها فئة من الجمهور داخل المنتديات.

الأدب والفكر ثاني اختيار لطلاب الإعدادية والثانوية

السؤال الذي تثيره هذه الإحصاءات هو: هل تأثرت القضايا المثارة على المنتديات العربية بالحالة التعليمية أو بالمستوى التعليمي لأعضاء المنتديات؟

للإجابة عن هذا السؤال، تمّ تحليلُ أوضاع القضايا المثارة على المنتديات وإعادةُ توزيعها طبقاً للمستوى التعليمي للأعضاء والمشاركين في المنتديات، حيث جرى إنتاج بيانات إحصائية تربط بين مستوى التعليم بحسب تقسيم **أليكسا** السابق، وبين الدرجات الخمس التي حصلت عليها كل فئة في تعاملها مع القضايا الثلاث والخمسين التي شملها التحليل، ثم إعداد جدول من ثلاث قوائم، كل قائمة ترتب القضايا ترتيباً تنازلياً طبقاً لتفضيلات ذوي التعليم قبل الجامعي والجامعي وفوق الجامعي، بحيث تأتي القضايا الأشد تفضيلاً في المراكز الأولى والأقل تفضيلاً في المراكز التالية حتى النهاية. وهذا ما يوضحه **الجدول** "31"، وفي النهاية يكشف هذا الترتيب داخل القوائم ما يلي:

هناك قضايا في التعليم قبل الجامعي يرتفع الاهتمام بها عن ما سواها، أي أنه يكون أكثر تفضيلاً لها،لدى طلاب المدارس الإعدادية والثانوية، ويأتي على رأسها بالطبع قضايا الأفلام والسينما والأغاني التي تحتّل المركز الأول. لكن اللافت هنا أن الطلاب،

إذا كان ثمة اتفاق أو تقارب بين فئتَيْ الذكور والإناث، فهو التقوقع داخل القضايا الشخصية والفردية التي تخدم النَّهم للترف أو الحاجة لتسيير الأمور الحياتية، والإهمال الواضح للقضايا الواقعة في نطاق الاهتمام العام مجتمعيا ووطنياً وقومياً وإنسانياً.

في هذا المستوى التعليمي، يفضّلون أيضاً قضايا الأدب والثقافة والفكر كاختيار ثان ويضعونها في مكانة متقدمة، مقارنةً بما يفعله الجامعيون الذين يضعون قضايا الفكر في المركز التاسع، وذوي التعليم فوق الجامعي الذين يضعونها في المركز الثالث.

يشتدُّ الاهتمام لدى هذه الفئة أيضاً بالنصائح والرياضة والخواطر والإنترنت والقضايا الدينية، فهذه القضايا تحتل لديهم المراكز من الثالث إلى الخامس على التوالي، تليها القضايا الدينية والطب والصحة والتربية والتعليم والأسرة، التي تغطّي المراكز من السادس إلى العاشر، لتصنع مع سابقيها خلطة من الاهتمامات الشخصية المتَّشحة بمسحة خفيفة من قضايا الشأن العام والفكر والغذاء الروحي.

القضايا الدينية والاقتصاد في الصدارة لدى طلاب الجامعات

في مرحلة التعليم الجامعي ثمة مجموعة من القضايا التي يشتدُّ الاهتمام بها أكثر من المراحل التعليمية الأخرى، ومن بينها القضايا الدينية والنصائح والإرشادات والطب والصحة والاقتصاد والتربية والتعليم والرياضة والطائفية؛ فالقضايا الدينية تحتل لديهم المركز الثاني، في حين أنها تتراجع لدى طلاب الاعدادية والثانوية إلى المركز السابع، وإلى المركز الخامس لدى مرحلة ما بعد التعليم الجامعي، وتأتي قضية الطب والصحة لديهم في المركز الرابع، لكنها تأتي في المركز الثامن لدى التعليم قبل الجامعي وبعد الجامعي. ثم تأتي قضية الطائفية لتسجِّلَ مركزاً لم تسجِّلْه لدى أيٍّ من الفئتين الأخريين، أو أي فئة أخرى في أي محور تحليلي آخر؛ فطلاب الجامعات يرفعون هذه القضية إلى المركز الثامن في قائمة اهتماماتهم، في حين أن طلاب مرحلة ما قبل الجامعي يضعونها في المركز الثامن والعشرين، وفئة التعليم بعد الجامعي تضعها في المرتبة الـ 41. وفي المقابل يُلاحظ أن فئة طلاب الجامعات يقلُّ لديها الاهتمام بقضايا الأدب والثقافة والفكر مقارنة بالفئتين الأخريين، كما يهبط لديها الاهتمام أيضاً بقضايا الرياضة والقضايا الاجتماعية والإعلام وحرية التعبير. وهنا يبدو مفاجئاً ولافتاً أن يقلَّ اهتمامُ الجامعيين بقضايا الإعلام وحرية التعبير مقارنةً بالمراحل التعليمية الأخرى، بينما يرتفع اهتمامهم بقضية الطائفية بصورة أكبر، الأمر الذي يشكل علامةً فارقة لدى هذه الفئة بالتحديد، ويجعل من الضروري النظر إلى هذا الأمر بعين الاعتبار، من قبَل المعنيين بهذه القضية، للبحث في الأسباب التي تجعل طلاب الجامعات العرب، ممَّن يشتركون في المنتديات، يهتمون بالطائفية أكثر من غيرهم بهذه الصورة اللافتة، ويفتر اهتمامُهم بقضايا الإعلام وحرية التعبير مقارنةً بغيرهم؛ فقد يكون السبب مجتمع الجامعة نفسُه، بما يحمله من تغييرات وانفتاح لا يعيشه الطالب في المرحلة السابقة؛ وربما يكون نتيجة تركيز خاص ممن يستهدفون إذكاء هذا النوع من الصراعات والتقلّبات السلوكية والفكرية داخل **الوطن العربي**.

القضايا الاجتماعية أولوية بعد التعليم الجامعي

هناك قضايا يرتفع الاهتمام بها في التعليم بعد الجامعي مقارنةً بغيره، وفي مقدمتها القضايا الاجتماعية التي تحتلُّ المركزَ الأول لدى هذه الفئة، وهي مكانة متقدمة لم تحققها هذه القضية لدى أي فئة من الفئات الأخرى في كل محاور التحليل؛ وربما يفسر ذلك أنَّ أعضاء هذه الفئة – بحكم السن – هم آباءٌ وأمهاتٌ ومسؤولون عن أسرٍ وعائلات، ومن ثمَّ فَهمُ أكثر انفتاحاً وتفاعلاً والتصاقاً مع المجتمع وقضاياه، لكنهم من ناحية أخرى يضعون قضايا الرياضة في المركز الثاني لتفضيلاتهم، وبالتالي فهي تسبق لديهم الأدب

ثمة قضايا يزداد الاهتمام بها في التعليم قبل الجامعي عن سواها من مراحل التعليم الأخرى، ويأتي على رأسها قضايا الأفلام والسينما والأغاني التي تحتل المركز الأول، لكن اللافت هنا أن طلاب الثانويات يفضلون أيضاً قضايا الأدب والثقافة والفكر كاختيار ثانٍ.

نجد في مرحلة التعليم الجامعي مجموعة من القضايا التي يشتدُّ الاهتمام بها أكثر من المراحل التعليمية الأخرى؛ ومن بينها القضايا الدينية والنصائح والإرشادات والطب والصحة والاقتصاد والتربية والتعليم والرياضة والطائفية.

والثقافة والفكر والتربية والتعليم.

ومن القضايا الأخرى التي حصلت على مكانة متقدمة لدى هذه الفئة قضيةُ العلوم التي جاءت في المركز السابع، مع أنها في الترتيب العام كانت في المركز التاسع عشر، ولدى طلاب مرحلة ما قبل التعليم الجامعي في المركز التاسع عشر، ولدى الطلاب الجامعيين في المركز الثامن عشر، والقضايا السياسية التي احتلّت لدى هذه الفئة المركز التاسع، لكنها في الترتيب العام كانت في المركز الـ 32، ولدى طلاب المدارس في المركز الـ 33، ولدى طلاب الجامعات في المركز الـ 22.

الاهتمام بقضايا الانترنت يقل مع ارتفاع مستوى التعليم

كشف التحليل عن مجموعة من القضايا يهبط الاهتمام بها كلّما ارتفع مستوى التعليم؛ فقد كان الاهتمام بها مرتفعاً لدى طلاب المدارس، ثم انخفض لدى طلاب الجامعات ثم انخفض أكثر لدى التعليم بعد الجامعي؛ ومن هذه القضايا: الإنترنت وتكنولوجيا المعلومات والاتصالات التي انخفض الاهتمام بها من المركز السادس إلى الحادي عشر، فإلى الخامس عشر، لدى الفئات الثلاث على التوالي؛ وقضية الخواطر التي انخفض الاهتمام بها من المركز الخامس إلى العاشر، فإلى الثاني عشر؛ وقضية الأسرة التي انخفض الاهتمامُ بها من المركز العاشر إلى السادس عشر، فإلى التاسع عشر؛ وقضايا الاستهلاك التي تراجع الاهتمام بها من الثاني عشر إلى الخامس عشر فإلى الثالث والثلاثين؛ وذلك في الفئات الثلاث على التوالي.

في المقابل، لوحظ أن هناك قضايا يرتفع الاهتمام بها مع الارتفاع في التعليم، أي يزداد الاهتمام بها لدى طلاب الجامعات مقارنةً بطلاب المدارس، ويزداد الاهتمام بها أكثر لدى مرحلة التعليم بعد الجامعي مقارنةً بطلاب الجامعات وخرّيجيها، ومن هذه القضايا التربية والتعليم التي تقدمت من المركز التاسع لدى طلاب المدارس إلى المركز السادس لدى طلاب الجامعات، فإلى المركز الرابع للدارسين في مرحلة ما بعد الجامعي. وكذلك القضايا السياسية التي تقدمت من المركز الـ 33 لدى طلاب المدارس إلى المركز الـ 22 لدى طلاب الجامعات إلى المركز التاسع لدى التعليم فوق الجامعي، وفي المسار نفسه سارت قضية حقوق الإنسان.

التعليم يرفع قضايا الشأن العام ويهبط بالخاص

على الرغم من التمايزات الكثيرة السابقة هناك تقارب إلى حد كبير في الاهتمامات بين فئة التعليم قبل الجامعي والجامعي. أما فئة التعليم الجامعي فتتميز بخصوصية في تفضيلاتها واختياراتها تجعلها بعيدةً عن الفئتين الأخريين. وتتجلى خصوصية التعليم بعد الجامعي بأكثر ما يكون في كونها تهتم وتحتفي بالقضايا ذات العلاقة بالشأن العام، حتى أن بعضها يقترب بشدة وربما ينافس بقوة في المساحة التي تحتلّها قضايا الشأن الخاص، كما هو الحال مع القضايا الاجتماعية التي احتلّت المركز الأول، وقضايا الاقتصاد والسياسة وحرية التعبير التي ارتفع الاهتمام بها إلى المراكز العشرة الأول في هذه الفئة، في حين أنها لدى الفئتين الأخريين –وكذلك في العديد من فئات محاور التحليل الأخرى- كانت متأخرة إلى ما بعد المركز العشرين.

يدل هذا التراجع أو الارتفاع في الاهتمام بقضايا معيّنة على حساب غيرها، على أن التعليم يلعب دوراً مؤثراً في "إنضاج" تفكير الفرد وتغيير توجُّهاته تجاه مختلف القضايا، فيدفع ببعضها إلى الخلف، في وعي الفرد وتقييمه لها، فيخفُت الاهتمام بها، ويدفع ببعضها إلى الأمام فيرتفع الاهتمام بها، وتحتلّ مساحاتٍ أوسع من إدراكه وتفاعلاته مع محيطه الشخصي أو العام.

والنتيجة أن الحوار الدائرَ، عبْر المنتديات

حصلت قضية العلوم على مكانة متقدمة لدى فئة التعليم الجامعي، فجاءت في المركز السابع، مع أنها في الترتيب العام كانت في المركز التاسع عشر، ولدى طلاب مرحلة ما قبل التعليم الجامعي جاءت في المركز التاسع عشر، ولدى الطلاب الجامعيين في المركز الثامن عشر. كما احتلّت القضايا السياسية لدى هذه الفئة المركز التاسع، لكنها في الترتيب العام كانت في المركز الـ 32.

العربية، حول القضايا المختلفة، هو حوار "المقبلين على التعليم" أو مَن هم في سن التعليم الإلزامي والجامعي، وما يمكن أن يطلق عليهم فئة الطلاب؛ أما ذوو التعليم بعد الجامعي من البالغين والشيوخ فليسوا هم مركز التحاور حول القضايا المُثارة عبر المنتديات.

قضايا الفيس بوك.. السمات الخاصة

بات معروفاً أن موقع الفيس بوك هو أكبر شبكة اجتماعية على الإنترنت، من حيث الانتشار والشعبية والتأثير، ومن أكثرها قدرةً على تسهيل التواصل بين الملايين حول العالم.

يُتيحُ الفيس بوك مجموعةً من أدوات التواصل والتفاعل اللحظي لمشتركيه، وهي:

- **أداة الجدار أو اللوحة:** وهي أداة يظهر بها كل ما يكتبه صاحب الصفحة أو العضو في المجموعة من ملاحظات أو صور أو مقاطع فيديو أو مقالات أو روابط لصفحات أو مواقع على الإنترنت، كما يظهر عليها كل ما يكتبه من تعليقات على صور الآخرين أو المجموعات التي يشترك بها أو الصفحات التي أعجب بها، وهو الجزء الأساسي للتفاعل عبر الموقع.
- **أداة تحديد المناسبات والأحداث:** وهي أداة تتيح لعضو الفيس بوك إنشاءَ دعوة لأصدقائه لمناسبة معيَّنة، أو حدث معيَّن، أو حضور اجتماع معيَّن؛ وفي هذه الدعوة يُحدَّد الزمانُ والمكان والأشخاص الذين سيحضرون. وعلى سبيل المثال، لعبت هذه الأدوات دوراً مهماً في تحديد مواعيد وأماكن المظاهرات الرئيسية التي حدثت خلال الثورة المصرية، من 25 يناير إلى 11 فبراير، ومن الثلاثاء العظيم 25 يناير إلى جمعة الغضب 28 يناير وغيرها، فضلاً عن التنويه عن فعاليات أخرى كثيرة كان يجري تنظيمها في ميدان التحرير ومناطق أخرى.
- **أداة الرسائل والملاحظات:** وظيفة هذه الأداة هي تجميع الرسائل المتبادلة بين الأصدقاء على الفيس بوك، ويُطلق عليها في بعض الترجمات "ملاحظات"، وهي في كل الأحوال مشاركات، لكنها كبيرة الحجم وتتجاوز الحجم المخصَّص للمشاركات العادية، التي توضع على اللوحة أو الجدار. وفضلا عن ذلك، فإن هذه الأداة تتيح لمدير المجموعة أو الصفحة توجيه رسائل جماعية إلى كل أعضاء المجموعة أو الصفحة أو إلى قائمة كاملة من أصدقائه.
- أداة القضايا: وهي أداة يتمّ من خلالها حشدُ أعضاء الفيس بوك وراء قضية أو رأي معيَّن، أو إجراء معيَّن. وقد استُخدمت هذه الأداة في إجراء مناقشات واسعة النطاق بين الأعضاء والمشتركين في لحظات معيَّنة.
- **أداة تحميل الفيديو:** وهي أداة يقوم من خلالها مدير الصفحة، أو أحد أعضائها، بتحميل ملفات فيديو على الصفحة، لها علاقة بقضية معيّنة، فيراها أصدقاء الصفحة أو كل مستخدمي الفيس بوك، بحسب مستوى الصلاحية المستخدَم في العرض والمشاهدة. ويمكن لباقي الاعضاء التعليق عليها، كما هو الحال مع المشاركات والملاحظات.

انطلاقاً من هذه الطبيعة الخاصة للفيس بوك، سيتم التعرف إلى الكيفية التي تعامل بها المستخدمون العرب مع هذه الأدوات وهم يثيرون القضايا ويناقشونها ويتابعونها، لأن الأمر مع الفيس بوك لا يتوقف فقط عند إثارة القضايا ومناقشتها، بل يتجاوز ذلك إلى أمور أخرى مهمة، وفي مقدمتها التعرُّف على القضايا التي تتمُّ مناقشتُها والاهتمامُ بها بصورة جماعية، وعلى تلك التي تُناقش بصورة فردية، والقضايا التي تُستخدَم فيها أدوات المناقشة القصيرة السريعة، وتلك التي دخل فيها الفيس بوك كوسيلة للحشد والتنظيم وغير ذلك.

يُشير تراجع أو تقدّم الاهتمام بقضايا معيّنة على حساب غيرها، إلى أن التعليم يلعب دوراً مؤثراً في "إنضاج" تفكير الفرد وتغيير توجهاته تجاه مختلف القضايا، فيدفع ببعضها إلى الخلف في وعي الفرد وتقييمه لها فيخفت اهتمامه بها، ويدفع ببعضها إلى الأمام فيرتفع الاهتمام بها وتحتل مساحات أوسع من إدراكه وتفاعلاته مع محيطه الشخصي أو العام.

المجموعات والصفحات الفردية

تمّ في هذا الصدد تصنيف المشاركات والمناقشات المتعلقة بالقضايا المختلفة في مجموعتين الأولى خاصة بالمشاركات والمناقشات التي تمّت على الصفحات الفردية، والثانية للمناقشات والمشاركات التي ظهرت على المجموعات أو الصفحات الجماعية. وقد اتضح من التحليل، كما يُشير **الجدول** "32" إلى أن هناك ثلاث مجموعات من القضايا:

– المجموعة الأولى تضم 15 **قضية**، وكانت أغلبية المشاركات الخاصة بها صادرةً عن المجموعات، أو عن الصفحات الجماعية التي يشترك ويعمل عليها مجموعةٌ من الأشخاص، كانت الأقلية صادرةً عن الصفحات الفردية التابعة لأشخاص.

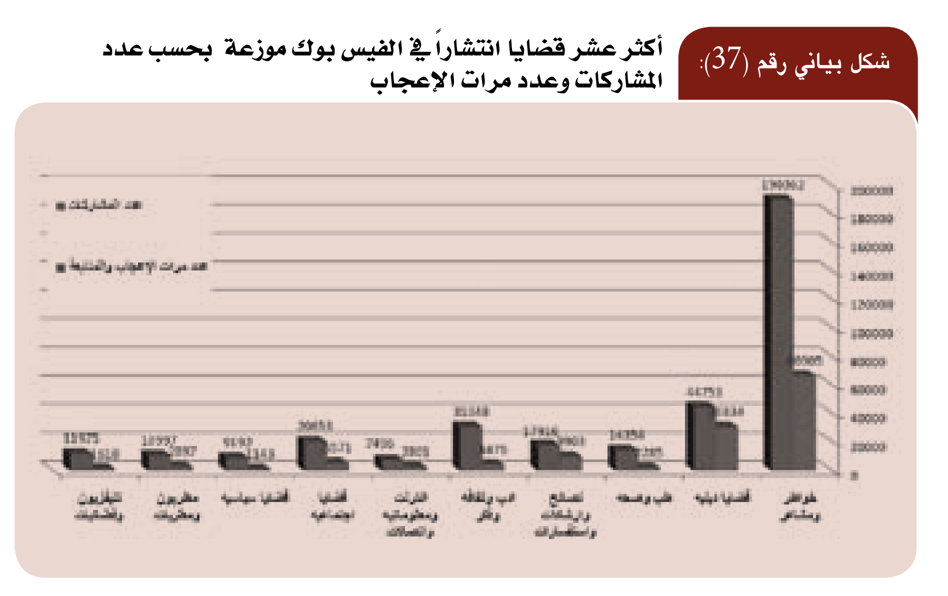
المذهبية قضية مجموعات لا صفحات

وقد تصدرت قضية المذهبية هذه المجموعة، حيث اتضح أن 95.5 % من المشاركات والمناقشات الخاصة بها تتمُّ من خلال صفحات جماعية أو مجموعات على الفيس بوك، تليها القضايا المتعلقة بالتجارة، التي تمثل فيها المجموعات مصدراً لـ 80.65 % من المناقشات الخاصة بها، ثم تتوالى بعد ذلك بقية قضايا المجموعة، لتقلَّ تدريجياً المناقشات والمشاركات الصادرة عن المجموعات، وتزداد المشاركات الصادرة عن الصفحات الفردية؛ وذلك في القضايا التالية: التنمية والزراعة، الثروة الحيوانية، الفنانون والفنانات، المناسبات والأعياد، المؤسّسات السياسية، المؤسّسات الدولية، الاتفاقيات الدولية، والفضائح، والشؤون القانونية، الجنس، الملوك، الاقتصاد، الطرائف، على التوالي، حيث تتوقف النسبة في قضية الطرائف عند 59 % للمجموعات، و41 % للصفحات الفردية.

المجموعات الخاصة بقضايا الشأن العام

لو أنعمنا النظر قليلاً في هذه المجموعة يتبيّن أن خَمساً منها تتعلق بقضايا الشأن الخاص، وهي المناسبات، والأعياد، والفنانون، والفضائح، والجنس. أما القضايا العشر الباقية فتتمحور حول قضايا الشأن العام، الأمر الذي يشيرُ إلى أن مجموعات الفيس بوك تُعدُّ الموئل الأكبر للاهتمام بقضايا الشأن العام، وأن حضورها على الفيس بوك هو حضورٌ يشكّل "عقلاً جمعياً" للقطاعات أو الفئات التي تهتم

شكل بياني رقم (37): أكثر عشر قضايا انتشاراً في الفيس بوك موزعة بحسب عدد المشاركات وعدد مرات الإعجاب



شكل بياني رقم (38): أقل عشر قضايا انتشاراً على الفيس بوك موزعة بحسب عدد المشاركات وعدد مرات الإعجاب

بها، على صعيد المناقشة والتنظيم وصياغة التوجهات، على اعتبار أنها مناقشات تحرّكها جماعات أو عقل له قدرٌ من التنظيم، وليس اجتهاداتٌ فردية شاردة أو صادرة أو واردة من شخص هنا أو هناك. وبالطبع فإن المحتوى الخاص بهذه المجموعات، وما تقوله أو تفعله أو تتفق عليه، يُعَدُّ أمراً ذا قيمة عالية لمن يتابع أو يدرس أو يكون مسؤولا، بصورة أو بأخرى، عن هذه القضايا في الدول والمجتمعات المختلفة.

قضايا مشتركة بين المجموعات والصفحات الفردية

– المجموعة الثانية تضم 24 **قضية**، تتصدرها قضايا التعليم، والصراعات، والممثلون، والبيئة، والموارد، والتنظيمات الإسلامية، وتنتهي بالقضايا الدولية، وقضايا المرأة، والأفلام، والسينما، والمطربون، والإدارة. وفي هذه المجموعة تتقارب نسبة المجموعات إلى الصفحات الفردية، لتصبح بين 59 % و40 %. والملاحَظ كذلك أن 16 قضية منها هي من قضايا الشأن العام، كالتربية والتعليم، والصراعات، والبيئة، والموارد، والتنظيمات الاسلامية، وإسرائيل، وحقوق الإنسان، والإعلام، وحرية التعبير، والإرهاب، والتطرف، والقضايا الدولية، والباقي من قضايا الشأن الخاص كتحميل الأفلام، والمطربين، والطب، والصحة، والأسرة، والممثلات، وغيرها. هذا التقسيم يجعل السمة الأساسية في هذه المجموعة " مجموعةَ القاسم المشترك"، بمعنى أن من يقفون وراءها ويدعمونها هم خليطٌ من العقل الجمعي الذي يقف وراءه قدرٌ من التنظيم، والإسهامات والمشاركات الصادرة عن المستخدم الفرد، أو من يُعجَب بآرائه ويتابعها. وعلى هذا الأساس نحن لسنا أمام قضايا تهمُّ جماعات بعَينها، داخل المجتمع، وإنما قضايا يتقاربُ فيها اهتمامُ الفرد مع الجماعة. وهي، من ناحية أخرى، قضايا يتقارب فيها الشأن العام مع الشأن الخاص، من حيث العدد ومستوى الاهتمام.

– المجموعة الثالثة هي المجموعة التي تنقلب فيها الصورة رأساً على عقب، مقارنة بالمجموعة الأولى، إذ تشكل فيها الصفحات الفرديةُ الغالبيةَ الساحقة، والصفحاتُ الجماعيةُ أقليةً ضئيلة. فالصفحات الفردية فيها تصل إلى أكثر من 95 % كما هو الحال مع قضية الأقليات، ثم تهبط النسبة لتصل إلى 60 % صفحات فردية و40 % مجموعات في قضية الصناعة.

تضم هذه المجموعة 14 **قضية**، بينها ستُّ قضايا من الشأن الخاص، هي: التلفزيون، والنصائح، والخدمات، والفنون، والقضايا الدينية، والخواطر والمشاعر، و8 قضايا من الشأن العام، هي: الصناعة، والقضايا الاجتماعية، والازمات العالمية، والقضايا السياسية، والرؤساء، واتفاقيات السلام، والأقليات. ومن الملاحظات المهمة أنه من

هناك 16 قضية هي من قضايا الشأن العام، كالتربية والتعليم، والصراعات والبيئة والموارد والتنظيمات الإسلامية وإسرائيل وحقوق الإنسان والإعلام وحرية التعبير والإرهاب والتطرف والقضايا الدولية، أما القضايا الأخرى كتحميل الأفلام والمطربين والطب والصحة والأسرة والممثلات وغيرها، فهي من قضايا الشأن الخاص. هذا التقسيم يجعل السمة الأساسية في هذه المجموعة أنها "مجموعة القاسم المشترك" بمعنى أن من يقفون وراءها ويدعمونها هم خليط من العقل الجمعي الذي يقف وراءه قدْرٌ ما من التنظيم.

بين قضايا الشأن العام، تعدُّ قضية الأقليات أكثرَ القضايا التي تُثار من خلال الصفحات الفردية على الإطلاق، وكذلك اتفاقيات السلام. ومن بين قضايا الشأن الخاص، تعتبر قضية الخواطر والمشاعر والقضايا الدينية أكثر القضايا التي تُثار في الصفحات الفردية.

لوحة فسيفساء على الفيس بوك

يضع التقسيم السابق للمجموعات الثلاث ما يشبه لوحة الفسيفساء أو "الموزاييك" المتنوّع والمختلط الألوان لحركة الأفراد والجماعات، تجاه القضايا المختلفة داخل الفيس بوك. ومن أهم ملامح هذه اللوحة أن قضايا الشأن العام كثيرةُ العدد، قليلةُ المشاركات، لكنها في الأغلب قضايا تقف وراءها جماعاتٌ تجعلُها أكثر فاعلية من حيث التوظيف العملي. وفي المقابل تجنح قضايا الشأن العام نحو الصفحات الفردية، وتستوعب قطاعاً عريضاً أكثر غزارةً في الإنتاج، وأوسع انتشاراً بين الجمهور. لكنها أشبه بحالة من اللغو الجماعي الذي يُضيع هدفه وفائدته تحت وطأة ضوضائه وعشوائيته. وللتوضيح يمكن القول، إنه ليس مصادفة أن تكون قضية المذهبية هي أكبرُ قضية يتم تداولها بين الصفحات الجماعية، وتصل فيها نسبة المشاركات الصادرة عن المجموعات إلى أكثر من 95 %، وأن تكون قضية الخواطر والمشاعر أكبر قضية يتمُّ تداولُها في الصفحات الفردية، وتصل فيها نسبة المشاركة الصادرة عن الصفحات الفردية الى أكثر من 95 %. وهذا يجعلنا نذكِر مجدداً بأن قضايا الشأن العام تحظى بقدر من "الهندسة والتنظيم" على الفيس بوك، لا تحظى به قضايا الشأن الخاص، وأن الأمر على هذا النحو يشير إلى "عقول تتحرك" أو تحرّك الأشياءَ بقدْرٍ من "النظام" في حالة الشأن العام، وتحركات عريضة "عفوية" في حالة الشأن الخاص. ومرة أخرى، فإن هذه النتيجة لابدّ أن تؤخذ في الحسبان من قبل المعنيين بهذه القضايا جميعاً، سواء من المسؤولين الرسميين وغير الرسميين أم من الباحثين في مجالات السياسة والاقتصاد والاجتماع والتعليم والأمن وغيرها من المجالات التي تلتمس بها على أيِّ مستوى من المستويات.

القضايا وأدوات فيس بوك الخمس

سبقت الإشارة إلى أن الفيس بوك يتيح لمستخدميه خمس أدوات للنشر والتواصل والتعليق، وهي: أداة تحديد المناسبات والأحداث – أداة الرسائل والملاحظات – أداة القضايا – أداة تحميل الفيديو – أداة الجدار أو اللوحة.

الملاحظات أكثر تفضيلاً لدى العرب

يفضِّل مستخدمو الفيس بوك العرب أداةَ "الملاحظات" على غيرها من الأدوات، حيث استخدموها في 39.38 % من المشاركات والمناقشات المنشورة حول مختلف القضايا، ويليها في التفضيل أداة "الجدار" أو "اللوحة" التي استُخدِمت في نشر ومناقشة 31.59 % من المشارَكات، ثم أداة "القضايا" التي حظيت بنسبة 28.15 %.

كشفت التحليلات، كما يشير **الجدول** "33"، أن مستخدمي الفيس بوك العرب يفضلون أداة الملاحظات على غيرها من الأدوات، حيث استخدمها 39.38 % من المشاركات والنقاشات المنشورة حول مختلف القضايا. يليها في التفضيل أداة الجدار أو اللوحة التي استُخدمت في نشر ومناقشة 31.59 % من المشاركات، ثم أداة القضايا التي حَظِيت بنسبة 28.15 %. بعد ذلك، تأتي أداة تنظيم الأحداث والمناسبات، ثم تحميل الفيديو بنسب تقلُّ عن نصف في المائة لكل منهما.

وفي ضوء الخصائص المميزة لكلّ أداة من هذه الأدوات والنسب التي حازت عليها، يُلاحظ أن القدْرَ الأكبر، من المحتوى الخاص بالقضايا محل النقاش، وُضِعَ في أداة الملاحظات التي يتم اللجوء إليها في حال وجود نصّ طويل لا تستوعبه أداة الجدار المعروفة بأنها الأكثر استخداماً على الفيس بوك. ولكنها تعتمد على المشاركات والتعليقات القصيرة النصّ. وقد جاءت في المرتبة الثانية، وهذا يدفع إلى القول بأن مستخدمي الفيس بوك العرب يميلون إلى التطويل واستخدام نصوص وكلمات كثيرة وهم يطرحون قضاياهم ويناقشونها، عبر

الفيس بوك؛ وهو أمرٌ يرتبط بالخلفية الثقافية والاجتماعية والعادات المتَّبعة في المناقشة بين هؤلاء المستخدمين، والتي تنبع في أحوال كثيرة من الاعتياد على الثقافة السمعية والميل إلى المناقشات الطويلة.

اهتمام قليل بأداة القضايا

من الأمور المعتادة في الفيس بوك أن يتمّ طرح القضايا من خلال أداة القضايا، واستخدامها بعد ذلك في إدارة النقاش وجذب التعليقات وحشد المتابعين لها. وهذا لم يَقُمْ به مستخدمو الفيس بوك العربي بالقدر الكافي، حيث جاء استخدام أداة القضايا في المرتبة الثالثة، وفضلوا عليه الملاحظات والمشاركات على الجدار، وهو أمرٌ يحمل قدراً من عدم الترتيب المنطقي في طرح القضايا للنقاش، وترك الأمور للعفوية والمصادفة. وآخر ما تشير إليه الأرقام السابقة هو الضآلة الشديدة في الاعتماد على أداة تنظيم الأحداث والمناسبات واللقاءات أثناء مناقشة وإثارة القضايا المختلفة، وهذا ما يعزز أيضاً مفهوم التدفق التلقائي العفوي، العشوائي أحياناً، للمشاركات المتعلقة بالقضايا المختلفة، وعدم الاستفادة من كل إمكانات الفيس بوك في تنظيم تناولها.

تنظيم وهندسة في طرح قضايا الشأن العام

ليس مصادفة أن تكون قضية المذهبية هي أكبر قضية يتم تداولها بين الصفحات الجماعية للفيس بوك وتصل فيها نسبة المشاركات الصادرة عن المجموعات إلى أكثر من 95 %، وأن تكون قضية الخواطر والمشاعر أكبر قضية يتم تداولها في الصفحات الفردية وتصل فيها نسبة المشاركة الصادرة عن الصفحات الفردية إلى أكثر من 95 %، وهذا يجعلنا نذكر مجدداً بأن قضايا الشأن العام تحظى بقدر من "الهندسة والتنظيم" على الفيس بوك لا تحظى به قضايا الشأن الخاص.

ما تمّ ذكره، أعلاه، يتعلق بالسمات العامة لنمط استخدام هذه الأدوات مع القضايا ككل. لكن عند النظر إلى كل قضية على حدة يتبيّن أيضاً بعض الظواهر ذات الدلالة؛ فقضية المذهبية مثلاً، ظهر 97.78 % من المحتوى الخاص بها على أداة "القضايا"؛ أي أنَّ من وضعها انطلق من نقطة بداية تنمُّ عن قدر من الوعي والتنظيم المسبق في التعامل مع القضية. وما ينطبق على قضية المذهبية ينطبق على قضايا أخرى، كالتجارة، والتنمية، والزراعة، والمؤسّسات الدولية، والمؤسّسات السياسية، وجميعها من قضايا "الشأن العام". وهذا غير موجود في قضية الخواطر والمشاعر، مثلاً التي استخدمت أداة طرح القضايا مع 11.89 % من المحتوى الخاص بها، فيما توزع الباقي على أداة الجدار والملاحظات. وهذا ما يوجد أيضاً في قضايا أخرى، مثل الفنون، والنصائح، والفضائيات، والمطربات. وبالتالي نحن مرة أخرى أمام السمة نفسها التي تحدثنا عنها في السابق، في أكثر من موضع، وهي أن قضايا الشأن العام تُطرَح عادة في سياق ينمُّ عن قدْرٍ من "التنظيم والهندسة" في العرض والمتابعة، بينما قضايا الشأن الخاص تتدفق في كثير من الأحيان بعفوية وعشوائية.

استخدام ضئيل لأداة الأحداث والمناسبات

حينما ننظر إلى كلّ قضية على حدة نجد أن قضية المذهبية مثلاً ظهرت في 98 % من المحتوى الخاص بها على أداة "القضايا"، أي أن من وضَعها انطلق من نقطة بداية تنم عن قدر من الوعي والتنظيم المسبق في التعامل مع القضية، وما ينطبق على قضية المذهبية ينطبق على قضايا أخرى كالتجارة والتنمية والزراعة والمؤسسات الدولية والمؤسسات السياسية، وجميعها من قضايا "الشأن العام".

وحينما ننظر إلى نمط استخدام أداة "الأحداث والمناسبات" بصورة مستقلة، نجد أن مستوى استخدامها مع المحتوى الخاص بالقضايا المختلفة منخفضٌ وضئيل جداً، ويكفي أن نعلم أن أعلى مستوى استخدام لهذه الأداة كان مع قضية المناسبات والأحداث الاجتماعية، حيث انها استُخدمت في عرض وإدارة 5.5 % فقط من المحتوى الخاص بهذه القضية. وهو أمر غير متوقع بالمرة، نظراً لاعتبارات "التوافق الوظيفي" بين طبيعة المناسبات والأعياد وطبيعة ما تقوم به هذه الأداة من فوائد عملية على صعيد الترتيب للمناسبات وتنفيذه، وكان يفترض أن يتم التوسع في استخدامها أكثر من ذلك. يُضاف إلى ذلك أن مستوى استخدام هذه الأداة في عرض المحتوى الخاص بقضايا التنمية والاتفاقيات الدولية والقضايا السياسية جاء أقلّ من مستوى استخدامها في المناسبات والأعياد الاجتماعية، لكنه أكثر من مستوى استخدامها في جميع القضايا الأخرى الذي لم يزِدْ مستوى الاستخدام فيها عن 2.5 %.

تحميل الفيديو أداة منسيّة

يبدو حال أداة تحميل الفيديو أسوأ بكثير

استخـدام أداة "الأحـداث والمناسبات" في عرض المحتوى الخاص بقضايا التنمية والاتفاقيات الدولية والقضايا السياسية جاء أدنى من مستوى استخدامها في المناسبات والأعياد الاجتماعية، لكنه أرفع من مستوى استخدامها في جميع القضايا الأخرى الذي لم يزد مستوى الاستخدام فيها عن 2.5 %.

هناك أربع دول يتسم مواطنوها بقدر من الوعي أكثر من غيرهم في استخدام أداة " القضايا" على الفيس بوك، وتنحاز غالبيتهم الساحقة إلى استخدام هذه الأداة، لما تثيره من قضايا للنقاش والتعليق والمتابعة، وهذه الدول هي: البحرين وموريتانيا ومصر واليمن.

من أداة تنظيم الأحداث والمناسبات؛ فهناك عشرون قضية لم تُستخدم معها أداة تحميل الفيديو على الإطلاق. والقضايا الباقية كان مستوى استخدام أداة الفيديو في عرض المحتوى الخاص بها أقلّ من 1 %. وهي قضايا السينما والفنون، وإسرائيل، وطرائف، والاستهلاك، والأمن، والجريمة، والتلفزيون، والممثلين، والمطربين، وأقلّ من نصف في المائة لدى 25 **قضية** من بينها التنظيمات الإسلامية والخواطر والمشاعر والأدب والفكر والقضايا الدينية والإعلام وحرية التعبير والقضايا السياسية والجنس؛ ما يبعث على القول بأن ظاهرة "الثقافة السماعية" التي اعتادها العرب تحوّلت إلى نصوص طويلة بأكثر مما تحتاجه أدوات الفيس بوك الأوسع شهرة، لكنها لم تنضج وتنتقل إلى مستوى التفعيل العملي، عبر التخطيط المسبق، أو إلى مستوى التوثيق، عبر استخدام الفيديو والوسائط المتعدّدة في العرض والمناقشة.

البحرين ومصر أكثر استخداماً لأداة القضايا

والحق، إن هذه السمات لا تنطبق على كل المستخدمين العرب بصورة متساوية، فالتحليلات ترصد تفاوتات في استخدام هذه الأدوات داخل البلدان العربية وبين بعضها بعضاً؛ فكما يظهر من **الجدول** "34"، هناك أربع دول يتسّم مواطنوها بقدْر من الوعي أكثر من غيرهم في استخدام أداة "القضايا" على الفيس بوك، وتنحاز غالبيتهم الساحقة لاستخدام هذه الأداة لما تثيره من قضايا للنقاش والتعليق والمتابعة، وهذه الدول هي: **البحرين وموريتانيا ومصر واليمن**؛ فمستوى استخدام أداة القضايا مع المحتوى المقدَّم من مواطني هذه الدول يتراوح بين 87 % و83 %، وهي نسبة جيدة للغاية تتضاءل بجانبها نِسَبُ استخدام الأدوات الأربع الأخرى مجتمعة؛ فمستوى استخدام أداة الملاحظات يتراوح بين 12 % و4 %، والجدار يتراوح بين 3 % و6 %. أما الأحداث والفيديو فيكاد لا يذكر. ينمُّ هذا التقسيم، الذي يميل بشدة إلى تفضيل استخدام أداة القضايا، عن قَدرٍ من الترتيب المنطقي في كيفية عرض القضايا لدى مستخدمي الفيس بوك في هذه الدول الأربعة، يفوقُ نظراءهم في الدول الأخرى. يلي ذلك مجموعة أخرى يتراوح فيها مستوى استخدام هذه الاداة بين 79 % و60 %، وهي تضمُّ **قطر والسعودية والمغرب والإمارات والسودان والأردن**. طبقاً لهذه الأرقام، يقترب مواطنو هذه الدول من سمات مواطني المجموعة الأولى في تفضيلاتهم، حيث إن الفارق طفيف ولا يشكل اختلافاً نوعياً كبيراً.

تبقى هناك مجموعة ثالثة من الدول يقل فيها مستوى استخدام أداة "القضايا" في عرض المحتوى عن 60 %، وهي **الكويت والجزائر وعمان وليبيا والعراق ولبنان وسورية وفلسطين وتونس**، حيث يظهر لدى مواطني هذه الدول قدرٌ من التوازن أو التوزيع المتقارب للمحتوى، على الأدوات الثلاث: القضايا، والملاحظات، واللوحة أو الجدار. يعكس هذا التوازن حالةً مزاجيةً تحاول توظيف كل الأدوات بصورة متقاربة، فهم يلجأون إلى أداة القضايا، لضمان دخول منطقيٍّ، على قدرٍ من التنظيم، إلى هذه القضايا. في الوقت نفسه، يحققون لها قدراً معقولاً من الشعبية السريعة، من خلال تقديمها على أداة اللوحة أو الجدار، ثم قدراً من " التمهل" و"الرحرحة" – إن جاز التعبير – في عرض القضايا من خلال عرض النصوص الطويلة التي تسمح بقدْر من "الرغي" في القضية عبر أداة الملاحظات، وهذا ما يجعلنا أمام جمهور أكثر عقلانيةً وعمليٍّ في تناوله للقضايا، في حين أن المجموعتين السابقتين تشكلان جمهوراً أكثر منطقية في ترتيب طرح القضايا والوصول بها إلى جمهور الفيس بوك، وإن كان يعيب الجميع إهماله الشديد وربما الكامل أحياناً لأداة الأحداث والمناسبات وأداة الفيديو.

القضايا من المحيط إلى الخليج "بصمة الجغرافيا"

يسلط هذا الجزء الضوء على واحد من ثلاثة جوانب ضرورية للتعرف إلى ما شغل العرب في فضائهم الرقمي التفاعلي، العام 2010، وهو نمط الانتشار الجغرافي لهذه القضايا عبر البلدان العربية المختلفة، أو ما يمكن أن نطلق عليه "البصمة الجغرافية" للقضايا المثارة.

لتفكيك هذه البصمة تمّت إعادةُ تصنيف البيانات كاملةً على أساس البلد الذي يصدر عنه المحتوى، واتضح من نتيجة التحليلات أن هناك 20 **دولة عربية** شاركت، بقدر أو بآخر، في إنتاج النقاش الذي دار حول القضايا الـ 53 عبر الفضاء الرقمي التفاعلي في كل من المدوّنات والمنتديات والفيس بوك.

البصمة الجغرافية للقضايا المثارة عبر المدوّنات

للتعرف إلى هذه النقطة تم إنتاج **الجدول** "35" الذي يوضح توزيع القضايا المثارة على **البلدان العربية**، عبر الربط بين متغيرين هما عدد التدوينات والبلد الذي أنتجَت منه هذه التدوينات، بما يسمح ببناء قائمة تفضيلات لكل دولة عربية على حدة، يتم فيها ترتيب القضايا طبقاً لمستوى الاهتمام والانشغال بها طوال العام. ويلاحظ أن الجدول يضمّ قوائم للدول العربية مرتبةً من المركز 1 إلى 52، بحيث تم وضعُ القضايا ذات الاهتمام الأعلى في المركز رقم واحد، ثم التالي في الأهمية في الذي يليه.

نمط الانتشار الجغرافي لأكبر 10 قضايا

في هذا السياق كان نمط انتشار أكبر **عشر قضايا** حظيت بالاهتمام، داخل مدونات الدول العربية كالتالي:

1. **القضايا الدينية:** أحتلّت المركز الأول في جميع **الدول العربية** عدا **السعودية والسودان والكويت وجيبوتي ولبنان ومصر**، التي تراجعت فيها إلى المركز الثاني.

احتلّت القضايا الدينية المركز الأول (عبر المدوّنات) في جميع **الدول العربية** عدا **السعودية والسودان والكويت وجيبوتي ولبنان ومصر**، التي تراجعت فيها إلى المركز الثاني. واحتلّت قضايا الأفلام والسينما المراكز بين الأول والرابع والعشرين: فقد استحوذت في **السعودية** على المركز الأول، وفي **الجزائر** على المركز الثاني، وفي **مصر** على المركز الثالث، وفي **جيبوتي** على المركز الخامس، وفي **البحرين والكويت** على المركز السابع، وفي **العراق وسورية** على المركز التاسع، وفي **فلسطين** علىالمركز الحادي عشر.

2. **قضايا الأفلام والسينما:** تنتشر بين المركزين الأول والرابع والعشرين، فقد استحوذت على المركز الأول في **السعودية**، والثاني في **الجزائر** ولدى المدوّنين المقيمين ببلدان غير عربية، والبلدان غير المذكورة من قبل المدوّنين، والثالث في **مصر**، والخامس في **جيبوتي**، والسابع في **البحرين والكويت**، والتاسع في **العراق وسورية**،والحادي عشر في **فلسطين**، والثالث عشر في **الأردن** والبلدان التي لم يذكر المدوّنون أسماءها بوضوح أو كتبوا في خانة الاسم غير أسماء

احتلّت القضايا الدينية المركز الأول (عبر المدوّنات) في جميع الدول العربية عدا السعودية والسودان والكويت وجيبوتي ولبنان ومصر، التي تراجعت فيها إلى المركز الثاني. واحتلّت قضايا الأفلام والسينما المراكز بين الأول والرابع والعشرين: فقد استحوذت في السعودية على المركز الأول، وفي الجزائر على المركز الثاني، وفي مصر على المركز الثالث، وفي جيبوتي على المركز الخامس، وفي البحرين والكويت على المركز السابع، وفي العراق وسورية على المركز التاسع، وفي فلسطين علىالمركز الحادي عشر.

الدول، والرابع عشر في **الإمارات والسودان وتونس وعمان ولبنان**، الخامس عشر في **الصحراء الغربية**،والسابع عشر في **المغرب** والثامن عشر في **اليمن وموريتانيا**، والعشرين في **ليبيا** والرابع والعشرين في **الصومال**.

3. **قضايا الرياضة:** تنتشر من الأول إلى الثالث عشر، فهي موجودة في المركز الأول في كل من **مصر والكويت**، والثاني في **فلسطين**، والثالث في **جيبوتي** والدول التي لم تذكر أسماؤها، والرابع في **لبنان**، والخامس في **البحرين والصومال وعمان** والدول غير الواضحة الاسم **وقطر وموريتانيا** والسادس في **السودان والمغرب واليمن وليبيا** والسابع في **الجزائر والصحراء الغربية**، والتاسع في بلدان غير عربية، والحادي عشر في **سورية**، والثاني عشر في **الأردن والإمارات والجزائر وتونس** والثالث عشر في **العراق**.
4. **الخواطر:** ظهرت بالمركز الثاني في **الأردن والإمارات والبحرين وجيبوتي وسورية وقطر**، والمركز الثالث في **السعودية والكويت واليمن** والبلدان غير العربية وغير الواضحة **وفلسطين ولبنان**، والمركز الرابع في **الجزائر والعراق والمغرب وليبيا**، والمركز الخامس في البلدان غير المذكورة، والسادس في **مصر**، والثامن في **السودان**، والتاسع في **الصحراء الغربية**، والعاشر في **موريتانيا** والحادي عشر في **تونس**، والثامن والعشرين في **الصومال**
5. **قضايا الإنترنت والمعلوماتية:** استحوذت على المركز الرابع في **السعودية وجيبوتي وعُمان** والدول غير المذكورة، والخامس في **الكويت وسورية ومصر**، والسادس في **فلسطين وقطر**، والسابع في **ليبيا وموريتانيا**، والثامن في **الأردن**، والعاشر في **اليمن**، والحادي عشر في البلدان غير العربية، والثاني عشر في **السودان والمغرب**، والثالث عشر في **الإمارات والبحرين والجزائر والصحراء الغربية وتونس**، والخامس عشر في **العراق**، والسادس عشر في **لبنان**، والحادي والعشرين في الدول غير المذكورة بوضوح والحادي والاربعين في **الصومال**.
6. **قضايا الأدب والثقافة:** أحتلّت المركز الأول في **لبنان**، والثاني في **المغرب واليمن وعُمان**، والثالث في **الإمارات والبحرين وسورية وليبيا وموريتانيا**، والرابع في **الأردن والسودان والكويت** والبلدان غير العربية **وتونس وقطر**، والخامس في **الجزائر والسعودية والصحراء الغربية والعراق**، والسادس في الدول غير المذكورة وغير الواضحة الأسماء، والسابع في **فلسطين**، والثامن في **مصر** والتاسع في **جيبوتي**، والسابع عشر في **الصومال**.
7. **قضايا المؤسسات السياسية:** أحتلّت المركز الأول في **السودان**، والثاني في **تونس**، والثالث في **الصحراء الغربية والعراق** والرابع في **اليمن ومصر**، والخامس في **الأردن ولبنان**، والسابع في **جيبوتي**، والثامن في **المغرب**، والتاسع في **الإمارات والسعودية والكويت**، والعاشر في **الجزائر** والبلدان غير العربية، والثاني عشر في **سورية وفلسطين**، والثالث عشر في **الصومال** والبلدان غير المذكورة، والرابع عشر في **البحرين**، والتاسع عشر في **قطر**، والثالث والعشرين في **ليبيا**، والتاسع والعشرين في **عُمان** والثالث والثلاثين في الدول غير الواضحة.
8. **قضية فلسطين:** تنتشر بين المركزين الثاني والرابع عشر، فهي تحتل المركز الثاني في **موريتانيا**، والثالث في **المغرب**، والرابع في **البحرين** والدول غير المذكورة بوضوح **وفلسطين** نفسها، والخامس في **الإمارات والسودان واليمن**، والسادس في **الجزائر والصحراء الغربية وسورية وعمان**

احتلّت قضايا الأدب والثقافة المركز الأول في لبنان، والثاني في المغرب واليمن وعُمان، والثالث في الإمارات والبحرين وسورية وليبيا وموريتانيا، والرابع في الأردن والسودان والكويت، وتونس وقطر، والخامس في الجزائر والسعودية والصحراء الغربية والعراق، والسابع في فلسطين، والثامن في مصر والتاسع في جيبوتي، والسابع عشر في الصومال.



ولبنان، والسابع في **السعودية** والدول غير المذكورة، والثامن في **الكويت** والبلدان غير العربية **وقطر وليبيا**، والعاشر في **العراق وتونس**، والحادي عشر في **الأردن**، والثالث عشر في **مصر**، والرابع عشر في **الصومال وجيبوتي**.

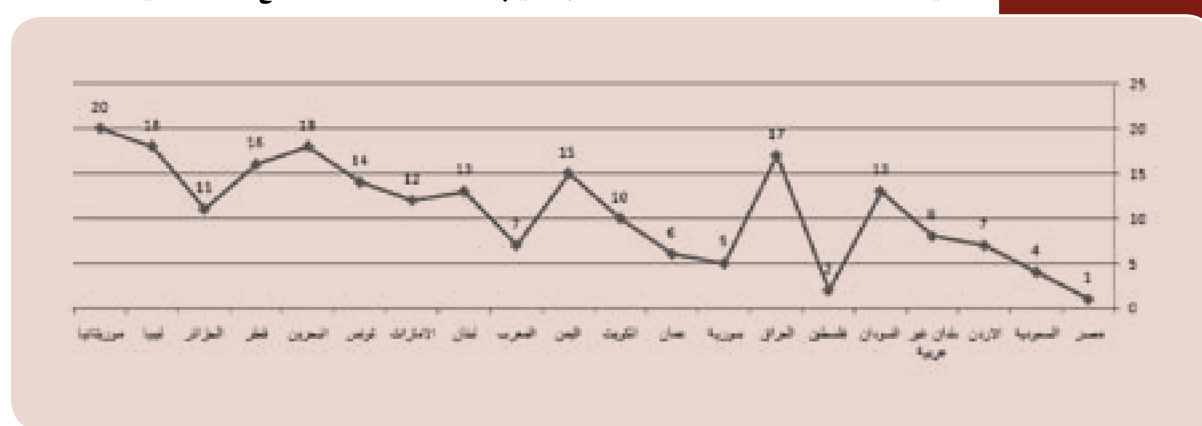
9. **قضايا الطب والصحة:** أحتلّت هذه القضايا المركز الثاني في **ليبيا**، والسادس في **الأردن والإمارات** والبلدان غير العربية، والسابع في **العراق وسورية**، والثامن في **عمان** والدول غير المذكورة، والتاسع في **مصر**، والعاشر في **فلسطين**، والحادي عشر في **الصومال**، والثاني عشر في **الجزائر وموريتانيا**، والثالث عشر في **السعودية**، والسادس عشر في **الكويت واليمن**، والثامن عشر في **قطر**، والتاسع عشر في لبنان، والحادي والعشرين في **السودان والصحراء الغربية والمغرب**، والثاني والعشرين في **تونس وجيبوتي** والدول غير المذكورة بوضوح، والسادس والعشرين في **البحرين**.
10. **قضية إسرائيل:** أحتلّت المركز الثاني في **العراق**، والثالث في **السودان**، والرابع في **الصحراء الغربية والصومال**، والخامس

احتلّت قضايا الطب والصحة المركز الثاني في ليبيا، والسادس في الأردن والإمارات، والسابع في العراق وسورية، والثامن في عُمان، والتاسع في مصر، والعاشر في فلسطين، والحادي عشر في الصومال، والثاني عشر في الجزائر وموريتانيا، والثالث عشر في السعودية، والسادس عشر في الكويت واليمن، والثامن عشر في قطر، والتاسع عشر في لبنان.

شكل بياني رقم (39): **نمط انتشار القضايا الدينية في الفيس بوك جغرافياً في البلدان العربية طبقاً للمركز الذي حصلت عليه بين قائمة القضايا محل الدراسة استنادا للمشاركات الصادرة عن كل بلد، ويعبر انخفاض المنحنى عن ارتفاع مكانة القضايا والعكس**



شكل بياني رقم (40): **نمط انتشار قضية فلسطين في الفيس بوك جغرافياً في البلدان العربية طبقاً للمركز الذي حصلت عليه بين قائمة القضايا محل الدراسة للمشاركات الصادرة عن كل بلد، ويعبر انخفاض المنحنى عن ارتفاع مكانة القضايا والعكس**



في **المغرب** والبلدان غير العربية **وفلسطين وليبيا**، والسادس في **الكويت**، والسابع في **الأردن والإمارات ومصر**، والثامن في **اليمن** وتونس، والتاسع في **عمان. وقطر**، والعاشر في **البحرين**، والحادي عشر في **الجزائر وموريتانيا**، والثاني عشر في **جيبوتي**، والسادس عشر في **سورية**، والسابع عشر في الدول غير المذكورة بوضوح، والثامن عشر في **السعودية** والدول غير المذكورة.

نمط التفضيلات لدى الدول الأكثر تدوينا

فيما يلي تجميع وتلخيص سريع لتفضيلات الدول العشر الأكثر تدويناً تجاه القضايا المختلفة، وتُعرَض فيه القضايا بالترتيب، استناداً إلى عدد التدوينات التي خصصها مدوِّنو كل دولة لكل قضية، بمعنى أن أوَّل قضية هي التي خَصَّص لها المدوّنون، داخل الدولة، أكبرَ عدد من التدوينات، وبالتالي حصلت على المركز الأول، وتليها القضية الثانية، وهكذا:

1. **مصر:** جاءت تفضيلات المدوّنين في **مصر** كالتالي: رياضة، قضايا دينية، أفلام وسينما، مؤسسات سياسية، إنترنت ومعلوماتية، خواطر، إسرائيل، أدب وثقافة، طب وصحة،اقتصاد.
2. **الكويت:** جاءت تفضيلات المدوّنين في **الكويت** كالتالي: رياضة، قضايا دينية، خواطر، أدب وثقافة، إنترنت ومعلوماتية، إسرائيل، أفلام وسينما، قضية فلسطين، مؤسسات سياسية، تلفزيون وفضائيات.
3. **بلدان غيرعربية:** جاءت تفضيلات المدوّنين الذين ينشرون بالعربية ويقيمون في بلدان غير عربية كالتالي: قضايا دينية، أفلام وسينما، خواطر، أدب وثقافة، إسرائيل، طب وصحة، رؤساء، قضية فلسطين، رياضة، مؤسسات سياسية .

يشير التوزيع الجغرافي للمنتديات إلى أن مركز ثقلها الأساسي في العالم العربي هو المملكة العربية السعودية التي تستحوذ على ما يقرب من 60 % من عدد المنتديات التي أمكن حصرها في العيّنة، تليها مصر التي يتركز فيها ربع المنتديات، وهذا هو الاختلاف الثاني بين المدوّنات والمنتديات، لأن مركز الثقل الأساسي للتدوين في العالم العربي كان في مصر والكويت.

4. **السعودية:** جاءت تفضيلات المدوّنين في **السعودية** كالتالي: أفلام وسينما، قضايا دينية، خواطر، إنترنت ومعلوماتية، ادب وثقافة، نصائح وإرشادات، قضية فلسطين، فنون، مؤسسات سياسية، إعلام وحرية تعبير.
5. **المغرب:** جاءت تفضيلات المدوّنين في **المغرب** كالتالي: قضايا دينية، أدب وثقافة، قضيه فلسطين، خواطر، إسرائيل، رياضة، تربيه وتعليم، مؤسسات سياسية، قضايا سياسية، بيئة وموارد.
6. **تونس:** جاءت تفضيلات المدوّنين في **تونس** كالتالي: قضايا دينية، مؤسسات سياسية، قضايا سياسية، أدب وثقافة، تربية وتعليم، بيئة وموارد، اقتصاد، إسرائيل، قضايا اجتماعية، قضية فلسطين.
7. **الأردن:** جاءت تفضيلات المدوّنين في **الأردن** كالتالي: (قضايا دينية - خواطر - نصائح وإرشادات - أدب وثقافة - مؤسسات سياسية - طب وصحة - إسرائيل - إنترنت ومعلوماتية - تربية وتعليم - قضايا اجتماعية)
8. **عمان:** جاءت تفضيلات المدوّنين في عمان كالتالي: قضايا دينية، أدب وثقافة، غير واضح، إنترنت ومعلوماتية، رياضة، قضية فلسطين، تربية وتعليم، طب وصحة، إسرائيل، أسرة.
9. **لبنان:** جاءت تفضيلات المدوّنين في **لبنان** كالتالي: أدب وثقافة، قضايا دينية، خواطر، رياضة، مؤسسات سياسية، قضية فلسطين، إسرائيل، قضايا اجتماعية، إعلام وحرية تعبير، صراعات .
10. **ليبيا:** جاءت تفضيلات المدوّنين في **ليبيا** كالتالي: قضايا دينية، طب وصحة، أدب وثقافة، خواطر، إسرائيل، رياضة، إنترنت ومعلوماتية، قضية فلسطين، صراعات، أمن وجريمة.



البصمة الجغرافية للقضايا المثارة عبر المنتديات

يشير التوزيع الجغرافي للمنتديات إلى أن مركز ثقلها الأساسي في **العالم العربي** هو **المملكة العربية السعودية** التي تستحوذ على ما يقرب من 60 % من عدد المنتديات التي أمكن حصرُها في العيِّنة كما هو موضحٌ في **الجدول** "36"، تليها **مصر** التي يتركّز فيها ربعُ المنتديات، وهذا هو الاختلاف الثاني بين المدوّنات والمنتديات، لأن مركز الثقل الأساسي للتدوين في **العالم العربي** كان في **مصر والكويت**، وكانت **السعودية** في المركز الرابع. أما في المنتديات **فالسعودية** هي التي تتصدر المشهد، تليها **مصر** بمسافة واضحة، وتراجعت **الكويت** إلى المركز السابع، تاركةً المكان لدول أخرى، حيث نجد **العراق** في المركز الثالث تليها **الجزائر والإمارات**، وفي المقابل نجد أن أشدَّ الدول العربية فقراً في المنتديات هي **سورية**، تليها **موريتانيا ولبنان وليبيا والبحرين**، في حين كان أشدَّها فقراً في المدوّنات **سورية والسودان وموريتانيا والعراق واليمن**.

السعودية: منتديات أكثر ونشاط أقلّ

ثمة ملاحظة أخرى هنا، وهي أن الدولة صاحبة أكبر عدد من المنتديات، وهي **السعودية**، ليست هي صاحبة أعلى مستوى من النشاط على منتدياتها، لأن مراجعة الأرقام الخاصة بمتوسط نصيب المنتدى من المشاركات يظهر أن المنتديات المصرية تسجِّل أعلى مستوى من النشاط، حيث يصل فيها متوسط نصيب المنتدى الواحد من المشاركات إلى 54 مشاركة، تليها المنتديات الجزائرية بمتوسط 39.9 مشاركة، أما المنتديات السعودية فتحتلّ المركز الخامس بمتوسط 39.3 مشاركة. أما **الإمارات** التي كانت في المركز السادس من حيث عدد المنتديات فتقهقرت إلى المركز السابع عشر من حيث مستوى النشاط. ثمة كثافةٌ سعودية في إنشاء المنتديات، وحيوية مصرية في النشاط على هذه المنتديات، وفي ما بين هذين الطرفين تتنوَّع مواقعُ الدول الأخرى.

ذاك هو توزيع المنتديات كوحدات للتحليل، أما نمط انتشار القضايا داخل البلدان العربية فيوضحه **الجدول** "37"، الذي يشير إلى أن هناك تبايناً واضحاً بين الترتيب العام للقضايا، وبين ترتيب القضايا نفسها داخل كل دولة عربية على حدة. ومن ثمَّ هناك تنوعٌ واضحٌ في خيارات كل شعب عربي واختياراته للقضايا التي يهتم بها عبر المنتديات. ويتجلّى ذلك في ما يلي:

1. لم تكن قضية الأفلام والسينما والأغاني، التي أحتلّت المرتبة الأولى في الترتيب العام للقضايا المثارة، هي الاختيار الأول لكل الشعوب العربية؛ فمن بين عشرين دولة عربية شملها التحليل كانت هذه القضية هي الاختيار الأول في ثلاث دول فقط، هي **مصر والسعودية والعراق**، علاوةً على الذين يشتركون في منتديات عربية ويقيمون خارج **الوطن العربي**. ويُشير نمط انتشار هذه القضية في **الدول العربية**، إلى أنها تنتشر ما بين المركز الأول والمركز السادس عشر. وقد ظهرت في المركز الأول لدى ثلاث دول، كما سبق القول، وظهرت في المركز الثاني لدى دولتين، وفي المركز الثالث لدى دولتين، وفي الرابع لدى دولتين، وفي السابع لدى دولة، وهكذا حتى المركز السادس عشر، أي أنها في الجملة، تتراجع وتتقدم في مساحة واسعة من ترتيب الأولويات.
2. تنوّعت القضايا التي تحتل المركز الأول في **الدول العربية** الأخرى التي لم تخْتَرْ السينما والأفلام كاختيار أول. ففي **الأردن والكويت والبحرين وسورية** كانت قضايا التربية والتعليم هي الاختيار الأول. وفي **اليمن والجزائر والسودان** كانت قضايا

لم تكن قضية الأفلام والسينما والأغاني التي احتلت المرتبة الأولى في الترتيب العام للقضايا المثارة، هي الاختيار الأول لكل الشعوب العربية، فمن بين عشرين دولة عربية كانت هذه القضية هي الاختيار الأول في ثلاث دول فقط هي مصر والسعودية والعراق.

الأدب والثقافة والفكر في المركز الأول، وفي **تونس** كانت الرياضة، وفي **الإمارات** كان الاقتصاد، وفي **فلسطين** كانت قضية **فلسطين**، وفي **لبنان** الصراعات، وفي **موريتانيا** القضايا الدينية، وفي **المغرب** النصائح والإرشادات، وفي **تونس** الرياضة، وفي **عمان** القضايا الاجتماعية، وهكذا.

واقع ينعكس على التوزيع

وكما هو واضح فإن الكثير من هذه الاختيارات ترتبط بوضوح بمجمل الظروف العامة التي يعيشها المواطن العربي، داخل دولته، سواء على الصعيد السياسي أم الاقتصادي أم الاجتماعي؛ فقد كان طبيعياً أن تكون القضية الفلسطينية هي أول ما يهم المواطنين الفلسطينيين المنخرطين في عالم المدوّنات، والصراعات السياسية هي أول ما يهمُّ اللبنانيين، والاقتصاد والخدمات أول ما يهم الإماراتيّين، والرياضة بالنسبة إلى التونسيين في ظروف القمع الشديد الذي كانت تتعرض له حركة المواطن التونسي على الإنترنت قبل الثورة **علي زين العابدين بن علي**.

وقد يبدو الأمر متناقضاً بين حقيقة أن المركز الأول في 19 **دولة عربية** تحتله قضايا غير القضية التي تحتل المركز الأول في الترتيب العام، وتفسير هذا التناقض يعود إلى ما كشفت عنه التحليلات السابقة من أن مركز الثقل للمنتديات يتركز في **السعودية ومصر**، حيث يسيطر مواطنو البلدين على حوالى 75 % من أعداد المنتديات، ويسجلان فيها مستويات حضور وحيوية عالية تحركها الإناث في مقتبل العمر. وبالتالي فإن انحياز أغلبية المشاركين في المنتديات في هذين البلدين إلى الأفلام والسينما، هو العامل الأول الذي دفع بها إلى مقدّمة الترتيب العام.

3. لا يتوقف التنوُّع والاختلاف في التفضيلات، بين جمهور بلد عربي وآخر، عند الاختيار المذكور في المركز الأول فقط، بل يمتد ليشمل "ملف تفضيلات" الدولة جملةً، ونمطَ ترتيب القضايا داخله.

تفضيلات الأردنيين مقابل الإماراتيين

في هذا الصدد، يمكن الإشارة إلى مقارنة سريعة بين ملف تفضيلات الأردنيين مقابل ملف تفضيلات الإماراتيين، كنموذج للتوضيح. فالأردنيون - على سبيل المثال تأتي لديهم قضايا التربية والتعليم في المركز الأول، يليها الاقتصاد، ثم النصائح والإرشادات، والقضايا الاجتماعية، والأدب والفكر. وفي هذا اختلافٌ طفيف عن القضايا الخمس الأولى في قائمة الترتيب العام. لكن الأكثر من ذلك، لدى الأردنيين، أنهم يضعون قضايا أخرى ضمن أول عشر أولويات لديهم، كالبيئة والموارد والعلوم والإنترنت والاتصالات؛ كما تتقدّم لديهم قضايا الإعلام وحرية التعبير والتاريخ والتراث والصناعة إلى مراكز تتجاوز مراكز هذه القضايا في الترتيب العام.

الشيء نفسه في دول أخرى، مثل **الإمارات**، التي يختلف ملف تفضيلاتها بوضوح عن **الأردن**: فالإماراتيون يضعون الاقتصاد كاختيار أول، والتربية والتعليم كاختيار ثان، وذلك على عكس تفضيلات الأردنيين. ويظهر الاختلاف بين الشعبين بوضوح في المراكز التالية حيث تتقدّم القضايا المتعلقة بالاستهلاك تتقدم لدى الإماراتيين لتحتل المركز السادس بينما هي في المركز الـ 26 لدى الأردنيين، وتتقدم قضايا الخواطر الشخصية إلى المركز الخامس لدى الإماراتيين لكنها تتقهقر لدى الأردنيين إلى المركز الحادي عشر، وفيما يضع الإماراتيون القضايا الدينية في المركز السابع يضعها الأردنيون في المركز الثالث عشر، وعلى هذا المنوال نفسه يكشف **الجدول** "38" الكثير من التنوّع والاختلاف بين تفضيلات الجمهور في **الدول العربية** المختلفة.

4. كان هناك اختلاف بين القضايا التي جاءت في ذيل قائمة الترتيب العام، والقضايا التي جاءت في ذيل قائمة الترتيب الخاصة بكل دولة. وتكمن أهمية هذه الملاحظة في أن القضايا التي احتلّت ذيل قائمة الترتيب العام هي القضايا التي ذُكر سابقاً أنها تدخل في نطاق الاهتمام العام، وتضمّ قضيةَ فلسطين، والتاريخ، والتراث، والقضايا السياسية، والصناعة، والتنظيمات الإسلامية، وحقوق الإنسان، وقضايا التنمية، والزراعة، والإرهاب، والتطرف، وإسرائيل، والاتفاقيات الدولية، والأزمات العالمية، واتفاقيات السلام، والأقليات، والإدارة، والمذهبية وغيرها.

وللتوضيح، نعرض نماذج من أنماط انتشار بعض هذه القضايا؛ فقضية فلسطين كانت في الترتيب العام تحتل المركز الثلاثين، لكنها داخل **الدول العربية** لم تكن كذلك، بل تنتشر بين المركزين الأول والرابع والأربعين؛ فهي في المركز الأول داخل **فلسطين** نفسها، وفي المركز الخامس عشر لدى الأردنيين،و21 لدى السوريين، و 22 لدى اللبنانيين و 32 لدى الجزائريين و 30 لدى المصريين، و 35 لدى العراقيين، و 44 لدى السودانيين.

أما قضية حقوق الإنسان فكانت في الترتيب العام تحتل المركز 38، لكنها داخل الدول العربية انتشرت بين المركزين 19 و 42؛ فهي في الكويت في المركز 18 وفي **البحرين** في المركز 26 وفي **فلسطين** في الـ 30، واليمن، 31 **ومصر وموريتانيا** 38، والسعودية الـ 39،وفي **عمان وسورية** هي في المركز 42. ويكشف هذا الانتشار أن قضية حقوق الإنسان تحظى بأعلى نسبة مشاركة وحضور لدى الكويتيين، وبأدنى نسبة مشاركة وحضور لدى العمانيين والسوريين. وعند إعادة النظر في توزيع نمط انتشار هذه القضية على **الدول العربية** يظهر أن الواقع السياسي يلقي بظلاله الواضحة، سواء من حيث الترتيب العام للاهتمام بالقضية الذي جعلها تأتي في المركز الثلاثين، أم من حيث الترتيبات المتنوعة، داخل كل دولة عربية على حدة، والتي تتقاطع بوضوح مع حالة الديمقراطية ومستوى النضج فيها، والإيمان بحقوق الإنسان، وحتمية الدفاع عنها، في هذا البلد أو ذاك. ولعلها ليست مصادفة أن تكون أعلى كثافة حضور لهذه القضية في **الكويت** التي ترسخت فيها ومنذ وقت مبكر قيم الديمقراطية واحترام حقوق الإنسان أكثر من دول عربية أخرى عديدة.

البصمة الجغرافية للقضايا المثارة عبر الفيس بوك

يمثل التوزيع الجغرافي محطة غموض لدى مستخدمي الفيس بوك العرب، لأن 93.26 % منهم – كما يوضح **الجدول** "23" – لا يذكرون بلدانهم صراحة وهم يسّجلون بياناتهم في الملفات التعريفية للصفحات والمجموعات التي ينشئونها على الموقع. أما النسبة الباقية التي ذكر أصحابُها أوطانَهم ودولهم فهي أقلّ بقليل من 8 %، وموزَّعة على 20 دولة عربية إضافة إلى نسب ضئيلة كَتَب أصحابها أسماءَ دولهم وأوطانهم بطريقة غير واضحة، أو بمفردات لا تعبّر عن شيء محدد، مثل "الكون كلّه" "العالم الإسلامي" "أرض الله الواسعة" وغيرها، ثم يوجد مستخدمو الفيس بوك الذين ينتجون محتوىً عربياً وهم غير مقيمين في **الدول العربية**، وسجَّلوا صفحاتهم ومجموعاتهم في البلدان التي يعيشون فيها.

على أية حال فإن المصريين كانوا أكثر من ذكروا الدولة التي ينتمون إليها، يليهم السعوديون، ثم الأردنيون ثم السودانيون، فأهلُ **فلسطين، فالعراق وعمان والكويت**، وكان أقلَّ العرب حرصاً على عدم ذكر أوطانهم صراحة هم اليمنيون يليهم الموريتانيون ثم البحرينيون والقطريون والجزائريون.

الوطن قضية غامضة

الاقتصاد هو اختيار الإماراتيين الأول، والتربية والتعليم هو اختيارهم الثاني، خلافاً لتفضيلات الأردنيين. ويظهر الاختلاف بين الشعبين بوضوح في المراكز التالية حيث نجد أن القضايا المتعلقة بالاستهلاك تتقدم لدى الإماراتيين لتحتل المركز السادس، بينما هي في المركز الـ 26 لدى الأردنيين؛ وتتقدم قضايا الخواطر الشخصية إلى المركز الخامس لدى الإماراتيين. لكنها تتقهقر لدى الأردنيين إلى المركز الحادي عشر.

تحتل قضية حقوق الإنسان في الترتيب العام المركز الـ 38، وتوزعت في الدول العربية بين المركزين الـ 19 والـ 42: فهي في الكويت في المركز 18، وفي البحرين في المركز 26، وفي فلسطين الـ 30، واليمن في المركز الـ31، ومصر وموريتانيا في المركز الـ 38، وفي السعودية في المركز الـ 39، وفي عمان وسورية في المركز 42.

ويعكس هذا الوضع الغامض ما كان يسود **العالم العربي** في العام 2010 من تضييق على الحريات، وانسداد في حرية التعبير لدى الكثير من الدول؛ فالملاحظ أن الميل للتخفي كان يشتدّ وينمو في المجتمعات أو الدول التي كانت تموج بتيارات رفض ومعارضة، ويقابلها كبت وتضييق على الحريات على الإنترنت من جانب الدولة أو السلطة. وسواء كان هذا التخفي فعّالاً أم غير فعال، في حماية صاحبه من تبعات مجتمعية أو أمنية او سياسية أو غيرها، فالشاهد هنا أنه كان في نظر مستخدم الفيس بوك العربي وسيلة دفاعية اختار بحماسة شديدة، أن يستخدمها، سواء حين كان يتفادى ذكر وطنه، أو ذكر المجال الذي تنتمي إليه الصفحة والمجموعة، أم حين كان يختار مجالاً، ثم يكتب ويتواصل في غيره.

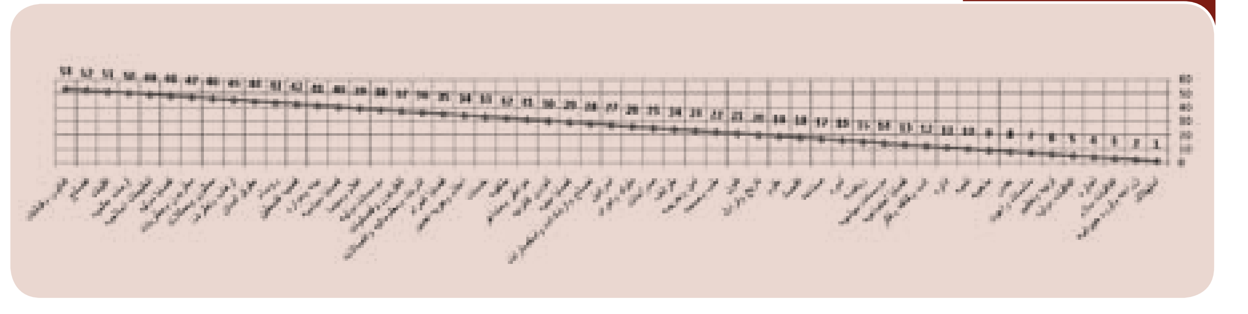
93 % من مستخدمي الفيس بوك العرب لا يذكرون بلدانهم صراحة، والمصريون أكثر من ذكروا الدولة التي ينتمون إليها، يليهم السعوديون والأردنيون. وأقلّ العرب حرصاً على عدم ذكر أماكنهم صراحة هم اليمنيون ثم الموريتانيون ثم البحرينيون.

انعكس الغموض الذي صاحب موطن أو بلد الصفحات والمجموعات ـ المشار إليه سابقاً – على المشاركات والفعاليات الأخرى على هذه الصفحات والمجموعات، كما يوضح **الجدول** "39"، فإن 82 % من المشاركات التي خضعت للتحليل لا تعرف الدولة التي صدرت منها، إما لأن أصحابها لم يكتبوا اسم الدولة أو لأنهم كتبوها وحجبوها عن العلانية فلم يتم التوصل إليها. أما النسبة الباقية والتي تشكل حوالى 18 % من المشاركات، فيشير الجدول إلى أن معظمها تركز في **مصر** التي صدر منها 8.95 من المشاركات، تليها **السعودية** بنسبة 1.73 %، ثم باقي **الدول العربية** بنسب تقلُّ جميعها عن الواحد في المائة.

وبعد استبعاد النسبة غير المعروفة المصدر، تمَّ إجراءُ سلسلة من المعالجات على البيانات الخاصة بالنسبة الباقية، لمعرفة خريطة توزيع هذه الكمية من المشاركات على القضايا المختلفة في **الدول العربية**. وفي ما يلي لمحة سريعةً حول خريطة توزيع القضايا على **الدول العربية**، في ضوء القضايا التي أحتلّت المراكز الخمسة الأول والأخيرة لدى مواطني كل دولة:

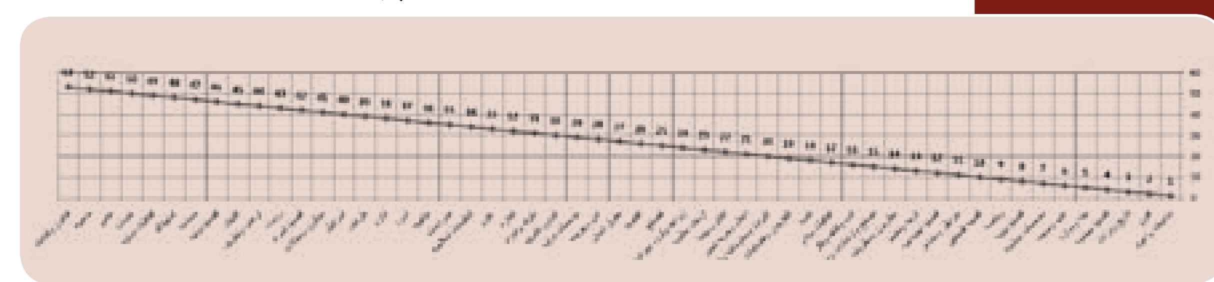
- في **الأردن** أحتلّت قضية الخواطر والمشاعر المركز الأول، تلتها اتفاقيات السلام، ثم حقوق الإنسان، والطب والصحة، والقضايا الدينية. وجاء في المراكز الخمسة الأخيرة قضايا إسرائيل وفلسطين والاقتصاد، والجنس، والاستهلاك. ويُلاحَظ هنا اختلاط قضايا الشأن العام والشأن الخاص في كل من المراكز الخمسة الأول والأخيرة.
- في **الإمارات** تصدّرت قضية التنظيمات الإسلامية القائمة وحظيت بأكبر قدر من المشاركات الصادرة عن الإماراتيين، تلاها الإرهاب والتطرف ثم المناسبات والأعياد ثم إسرائيل والاقتصاد. وفي المراكز الخمسة الأخيرة جاءت قضايا المذهبية واتفاقيات السلام والخواطر والمشاعر والإعلام وحرية التعبير والقضايا السياسية.
- في **البحرين** كانت قضية حقوق الإنسان هي الأولى، تلاها الجنس، واتفاقيات السلام، والإرهاب والتطرف، والطب الصحة. وفي المراكز الخمسة الأخيرة الخواطر والمشاعر، والمناسبات والأعياد، والطائفية، والنصائح والإرشادات، والمؤسسات السياسية.
- في **الجزائر** جاءت المناسبات والأعياد في المركز الأول، وتلتها قضية **إسرائيل وفلسطين**، والمذهبية، وحقوق الإنسان، من الثاني إلى الخامس على التوالي. أما المراكز الخمسة الأخيرة فجاءت بها قضايا الاقتصاد، والتنظيمات الإسلامية، والأقليات، والأدب، والفكر، والطائفية.
- في **السعودية**، جاءت قضايا المذهبية في المركز الأول، تلتها قضية الجنس ثم المناسبات والأعياد، ثم إسرائيل، والطب والصحة. وفي المراكز الخمسة الأخيرة جاءت قضايا الإرهاب والتطرف والأقليات والطائفية والقضايا السياسية والتنظيمات الإسلامية.
- في **السودان**، كانت قضية الأقليات في الصدارة، وبعدها النصائح والإرشادات، واتفاقيات السلام، والاقتصاد، والطب والصحة. وفي المراكز الخمسة الأخيرة جاءت التنظيمات الإسلامية والطائفية، وقضية فلسطين، والمذهبية، وحرية التعبير.
- في **العراق**، كان الاهتمام الأول بالإرهاب والتطرف، يليه **إسرائيل**، ثم القضايا السياسية، واتفاقيات السلام، والطائفية، وفي المراكز الخمسة الأخيرة جاءت قضايا الطب والصحة والمناسبات والجنس **وفلسطين** والمذهبية.
- في **الكويت** تصدَّرت القائمة قضية الاستهلاك، وتلاها الاقتصاد، ثم الأفلام والسينما، والتنظيمات الإسلامية، والمؤسسات السياسية. وفي المراكز الخمسة الأخيرة جاءت قضايا الإرهاب والتطرف، والجنس، والقضايا السياسية، وحقوق الإنسان، واتفاقيات السلام.
- في **المغرب**، كانت قضية الأقليات هي الأولى، تليها فلسطين ثم المناسبات والأعياد ثم المذهبية والقضايا السياسية، وفي المراكز الخمسة الأخيرة الإرهاب والتطرف، والجنس، والاستهلاك، والطب والصحة، وإسرائيل.
- في **اليمن**، اهتم الناس بالطب والصحة أولا ثم الإرهاب والتطرف والتنظيمات الإسلامية والنصائح والاستهلاك، وفي المراكز الخمسة الأخيرة الإعلام وحرية التعبير، وحقوق الإنسان ، والطائفية، والمناسبات والأعياد، واتفاقيات السلام.
- اختار العرب المقيمون في دول غير عربية الطبَّ والصحة، كمركز أول، يليه الأدب والثقافة، ثم الاقتصاد والسينما، والطائفية. وفي المراكز الخمسة الأخيرة جاءت قضايا

شكل بياني رقم (41): القضايا محل الدراسة مرتبة بحسب اهتمامات السعوديين على الفيس بوك استناداً الى المتوسط العام الذي حصلت عليه كل قضية من المشاركات والتعليقات ومرات الإعجاب في السعودية في 2010



في السعودية، جاءت قضايا المذهبية في المركز الأول، تلتها قضية الجنس ثم المناسبات والأعياد ثم إسرائيل والطب والصحة. وفي المراكز الخمسة الأخيرة جاءت قضايا الإرهاب والتطرف والأقليات والطائفية والقضايا السياسية والتنظيمات الإسلامية.

شكل بياني رقم (42): القضايا محل الدراسة مرتبة بحسب اهتمامات التونسيين على الفيس بوك استناداً إلى المتوسط العام الذى حصلت عليه كل قضية من المشاركات والتعليقات ومرات الإعجاب بتونس في 2010





شكل بياني رقم (43): القضايا محل الدراسة مرتبة بحسب اهتمامات السوريين على الفيس بوك استناداً الى المتوسط العام الذي حصلت عليه كل قضية من المشاركات والتعليقات ومرات الإعجاب بسورية في 2010

في لبنان، كانت اتفاقيات السلام هي الأولى، وبعدها الأدب والثقافة والفكر والإرهاب والتطرف والاستهلاك وإسرائيل، وفي المراكز الخمسة الأخيرة جاءت قضايا المذهبية وفلسطين والمناسبات والمؤسسات السياسية والنصائح. وفي فلسطين، كانت القضية الفلسطينية هي الأولى تليها القضايا السياسية ثم الإرهاب والتطرف والإعلام وحرية التعبير وإسرائيل. وفي المراكز الخمسة الأخيرة جاءت قضايا الطب والصحة واتفاقيات السلام والأفلام والسينما والأقليات وحقوق الإنسان.

الإرهاب والتطرف، والمذهبية، والقضايا السياسية، والجنس، والاستهلاك.

– في **تونس**، كانت القضايا الدينية هي الاختيار الأول، يليها القضايا السياسية، ثم الإعلام وحرية التعبير، والخواطر، والمشاعر، واتفاقيات السلام. وفي المراكز الخمسة الأخيرة التنظيمات الإسلامية، والأقليات، والجنس، وحقوق الإنسان، وإسرائيل.

– في **سورية**، تصدرت القائمة المؤسسات السياسية وبعدها الأفلام والسينما، والأقليات، وحقوق الإنسان، والتنظيمات الإسلامية. وفي المراكز الخمسة الأخيرة جاءت المناسبات والأعياد، والطب والصحة، والاستهلاك، والقضايا الدينية، وإسرائيل.

– في **عمان**، تصدرت القائمة قضية فلسطين، ثم الطب والصحة والنصائح والقضايا السياسية والمذهبية. وفي المراكز الخمسة الأخيرة جاءت قضايا الاستهلاك والاقتصاد ، والأقليات، والتنظيمات الإسلامية، وإسرائيل.

– في **فلسطين**، كانت القضية الفلسطينية هي الأولى بالطبع تليها القضايا السياسية ثم الإرهاب والتطرف والإعلام وحرية التعبير، وإسرائيل. وفي المراكز الخمسة الأخيرة جاءت قضايا الطب والصحة، واتفاقيات السلام، والأفلام والسينما، والأقليات، وحقوق الإنسان.

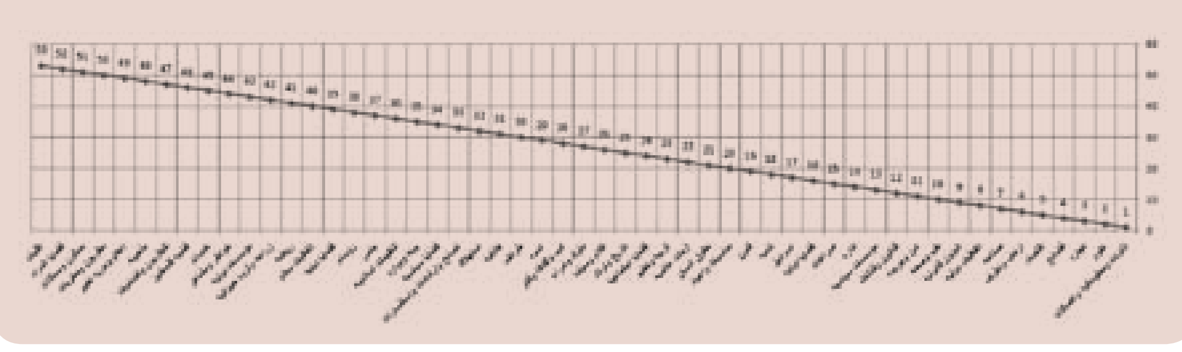
– في **قطر**، تصدرت القائمة قضية الاستهلاك تليها المذهبية، وإسرائيل، واتفاقيات السلام، وفلسطين، وفي المراكز الخمسة الأخيرة جاءت القضايا الدينية، وحقوق الإنسان، وحرية التعبير، والطب، والصحة، والأفلام، والسينما.

– في **لبنان**، كانت اتفاقيات السلام هي الأولى، وبعدها الأدب والثقافة والفكر، والإرهاب، والتطرف، والاستهلاك، وإسرائيل، وفي المراكز الخمسة الأخيرة جاءت قضايا المذهبية، وفلسطين، والمناسبات، والمؤسسات السياسية، والنصائح.

– في **ليبيا**، اختار مستخدمو الفيس بوك

شكل بياني رقم (44): القضايا محل الدراسة مرتبة بحسب اهتمامات اللبنانيين على الفيس بوك استناداً إلى المتوسط العام الذي حصلت عليه كل قضية من المشاركات والتعليقات ومرات الإعجاب بلبنان في 2010

شكل رقم (45): القضايا محل الدراسة مرتبة بحسب اهتمامات المصريين على الفيس بوك استناداً إلى المتوسط العام الذي حصلت عليه كل قضية من المشاركات والتعليقات ومرات الاعجاب في مصر في 2010



اتفاقيات السلام في المركز الأول ثم الأدب والفكر، والإرهاب، والتطرف، والاستهلاك، **وإسرائيل**. وفي المراكز الخمسة الأخيرة جاءت قضايا **فلسطين**، والمذهبية، والمناسبات، والمؤسسات السياسية، والنصائح.

– في **مصر**، كانت اتفاقيات السلام هي الاختيار الأول يليه الأدب، والثقافة، والإرهاب، والتطرف، والاستهلاك، **وإسرائيل**. وفي المراكز الخمسة الأخيرة جاءت قضايا المذهبية، والمناسبات ،والجنس، والمؤسّسات السياسية، والنصائح.

– في **موريتانيا**، جاءت القضايا السياسية ثم قضية **فلسطين**، والمذهبية، والمناسبات والأعياد، والمؤسسات السياسية. وفي المراكز الخمسة الأخيرة جاءت قضايا الاستهلاك، وإسرائيل، **والإرهاب** والتطرف، واتفاقيات السلام ،والأدب، والفكر، والثقافة.

وتشير التحليلات السابقة إلى أن خيارات المستخدمين مرتبطةٌ إلى حدّ كبير بما يعايشونه على المستوى المحلي والوطني؛ فاختيارات الفلسطينيين جاءت من رحم المعاناة التي يعيشونها، وخيارات مستخدمي الفيس بوك في **الخليج** عكست حالة الرفاهية المادية التي يعيشونها. ومن ثم جاءت أولويّاتهم إستهلاكية في أكثر من بلد. وفي بلدان مثل **مصر وتونس ولبنان والبحرين**، كانت الاختيارات مركَّزةً على قضايا الشأن العام ذات العلاقة بالأوضاع السياسية السائدة في كل بلد على حدة. وهكذا بدا واضحاً أن الأوضاع السياسية والاجتماعية تلقي بظلالها على هذا التوزيع،على الرغم من ضآلة بياناته.

في مصر، كانت اتفاقيات السلام هي الاختيار الأول يليه الأدب والثقافة والإرهاب والتطرف والاستهلاك وإسرائيل، وفي المراكز الخمسة الأخيرة جاءت قضايا المذهبية والمناسبات والجنس والمؤسسات السياسية والنصائح

خريطة "جغرافية زمنية"

كانت **مصر والمملكة العربية السعودية** أكبر بلدين عربيين إثارةً للقضايا واهتماماً بها، عبر الفيس بوك. فعند ترتيب إنتاج كل دولة عربية من المشاركات المتعلقة بالقضايا المختلفة خلال العام، اتضح أن النسبة الأكبر من المشاركات إما لم يكتب أصحابها الدولَ التابعين لها أو أنهم كتبوها وحجبوها عن الإتاحة العامة. ولذلك أحتلّت هذه النوعية من المشاركات المركز الأول طوال شهور السنة.

لكنَّ المشاركات التي أفصح فيها أصحابُها عن دولهم وأوطانهم، تكشف أن **مصر** أحتلّت المركز الأول في هذه النوعية طوال شهور السنة، فيما احتلّت **السعودية** المركز الثاني طوال السنة، باستثناء شهر يوليو/تموز الذي تفوَّق فيه الأردنيون في إنتاج المشاركات وإثارة القضايا، وتراجع فيه السعوديون إلى المركز الثالث.

في موريتانيا جاءت القضايا السياسية ثم قضية فلسطين والمذهبية والمناسبات والأعياد والمؤسسات السياسية، وفي المراكز الخمسة الأخيرة جاءت قضايا الاستهلاك وإسرائيل والإرهاب والتطرف واتفاقيات السلام والأدب والفكر والثقافة.

وإلى جانب المصرين والسعوديين، سجَّل مستخدمو الفيس بوك الأردنيون والسودانيون حضوراً ملحوظاً؛ فقد تقاسموا الفوز في المركز الرابع عبْر شهور السنة، فجاء الأردنيون في هذا المركز خلال خمسة أشهر هي فبراير ومايو وأغسطس وسبتمبر وأكتوبر، وجاء السودانيون في خمسة أشهر هي مارس وأبريل ومايو ونوفمبر وديسمبر، وحصلت الفئة، التي كتبت موطناً غير مفهوم، على المركز الرابع في شهر يناير، وصل العرب المقيمون خارج بلدان عربية على المركز الرابع في شهر يوليو.

الدول الأربع الأكثر نشاطاً في الفيس بوك

في ضوء ذلك يمكن القول بأن الدول الأربع الأكثر نشاطاً وإثارة ومتابعةً وتعليقاً على القضايا عَبْرَ الفيس بوك، هي **مصر والسعودية والأردن والسودان**. لكن كلاً منها قدَّم نمطاً مختلفاً في الاهتمام بالقضايا خلال العام؛ فالإنتاج المصري على الفيس بوك كان في أدنى حالاته خلال يناير، ثم أخذ في التصاعد حتى مايو، لكنه سجَّل قفزاتٍ واضحةً خلال شهري يونيو ويوليو التي وصل فيها إلى الذروة، ثم عاد إلى التراجع الطفيف حتى نهاية العام. هكذا، قدم الأداء المصريُّ، على الفيس بوك، نمطاً متعرجاً غير منتظم، كان الجزء الأكبر من حيويته في النصف الثاني من العام.

أما الإنتاج السعودي فكانت سمته التأرجح؛ فقد بدأ قوياً نسبياً في يناير/كانون الثاني ثم تراجع خلال شهر فبراير/شباط ، وقفز بقوة خلال مارس/آذار، ثم قفز أكثر في أبريل/نيسان، ثم عاد وهبَّ في مايو/أيار وهبط بشدة في يونيو/حزيران، وهبط بصورة أكثر حدّة في يوليو/تموز ووصل إلى أدنى مستوياته في أغسطس/آب، ثم عاد إلى التصاعد في سبتمبر/أيلول واكتوبر ونوفمبر ليصل إلى الذروة في ديسمبر/كانون الثاني.

وفي **الأردن**، كان هناك نمطٌ ثالث للاهتمام بالقضايا المُثارة على الفيس بوك؛ فقد كان في أدنى مستوياته في يناير/كانون الثاني ثم تصاعد حتى وصل الذروة في يوليو/تموز، وعاد إلى الانخفاض التدريجي حتى نوفمبر ثم سجّل ارتفاعاً طفيفاً في ديسمبر. أما السودان فقدّم نموذجاً للتصاعد المستمر المنتظم من يناير إلى ديسمبر، من دون أدنى تغيير.



دلالات التفاعل العربي عبر الانترنت

ألقت المعلومات السابقة أضواءً كاشفة من جوانب وزوايا مختلفة على ما جرى في الفضاء التفاعلي الرقمي العربي في العام 2010، وفككت العديد من بصماته الحاملة لخصائصه كمّاً ونوعاً وتوقيتاً ومكاناً وقيمةً، فماذا يُستخلص من كل عمليات الرصد والتشخيص السابقة؟

أعاد فريق البحث قراءة ما كشفت عنه الأرقام وعمليات الرصد والتصنيف والفهرسة قراءةً عامة، من منظور تحليلي يربط ما تمّ التوصل إليه بما يجري في السياق العربي العام. وقد قادت هذه القراءة إلى إحدى عشرة نقطة، تؤكّد أننا أمام ساحة رحبة للبوح، تسودها حركة ضخمة بلا قيادة، يؤثر أطرافها بعضهم ببعض، ويمتد تأثيرهم إلى المجتمع الواسع من حولهم بدرجات تختلف من قضية لأخرى، ومن مكان لآخر. كما تؤكّد أن الإنترنت بفضائه الرقمي التفاعلي في **الوطن العربي** لم يعد بالنسبة إلى المجتمع العربي الواقعي مثل قطعة القماش الحريرية التي يدفعها الهواء فيجعلها تلامس حجراً صلداً بخفة، بل تصلّد وتثاقل وازداد وزنه وأصبح أقرب إلى جسم يحتك بجسم. هذه النقاط الإحدى عشرة يمكن لأي جهة أو شخص أو طرف الاستفادة بها وهو يتعامل مع الفضاء الرقمي التفاعلي بصورته الجديدة الآخذة في التغيّر، والاشتداد في تأثيرها، وتداخلها مع مجالات العلوم والاقتصاد والخدمات والسياسة والمجتمع وكل أشكال الحياة الأخرى.

سر التباس الحركة بين الشارع والفضاء الرقمي

إن قراءة البيانات والمعلومات السابقة تؤكّد أن ثمة ما يفسّر العلاقة الملتبسة على الكثيرين، في ما يخص التأثير المتبادل بين الحركة في الفضاء الرقمي، والحركة في شوارع وميادين العديد من دول **الوطن العربي** اليوم. وهناك أيضاً ما يشير إلى أن من ينتجون ويستهلكون المحتوى ويثيرون القضايا ويناقشون الآراء يمتلكون ما يمكن أن يُطلق عليه "فقه للأولويات" (أي قضايا المؤخرة وقضايا المقدمة). وتدلّ تلك البيانات أيضاً على أن ما ينتشر ظاهرياً على الإنترنت أو يتصور الناس أنه منتشر من قضايا ليس بالضرورة منتشراً فعلياً أو يهتم به أحد.

النتيجة العامة التي يمكن الخروج بها من التحليلات السابقة هي أن الفضاء الرقمي التفاعلي العربي، بقنواته الثلاث (مدوّنات منتديات فيس بوك) هو في حقيقة الأمر مسرح كبير وعملاق تجوبه حزمة من الثنائيات التي تضفي عليه قدراً كبيراً من الحيوية، وتنبىء بأنه مرشح للتوسّع في الحجم، والتعاظم في الأهمية، والنضج في الأداء بمرور الوقت.

الحركة في الفضاء الرقمي والحركة في الشارع

من الأسئلة المطروحة حول الدور الذي لعبه أو يلعبه الإنترنت والفضاء الرقمي التخيلي، في ما يجري واقعياً على الأرض من أحداث وتغيرات.

إن أول ما نقرأه من البيانات والمعلومات السابقة عن الفضاء الرقمي التفاعلي العربي هو أن هذا الفضاء قد وفّر بيئة خصبة أمام شريحة لا يستهان بها من المواطنين العرب، من أجل إنتاج وتداول وتوزيع وتوظيف المعلومات الخاصة في أكثر من خمسين قضية،

ثمة ما يشرح العلاقة الملتبسة على الكثيرين في ما يخص التأثير المتبادل بين الحركة في الفضاء الرقمي والحركة في شوارع العديد من دول الوطن العربي حالياً، وثمة ما يشير أيضاً إلى أن من ينتجون ويستهلكون المحتوى ويثيرون القضايا ويناقشون الآراء لديهم ما يمكننا أن نطلق عليه "فقه الأولويات" أي ترتيب القضايا.

بعيداً عن مراكز اتخاذ القرار العليا للمجتمع. فقد نقل هذا الفضاء عملية إنتاج المعلومات، الخاصة بهذه القضايا، إلى الأرصفة والميادين والمقاهي والنوادي والشواطىء والأرائك في غرف الاستقبال قي المنازل. وهذا يعني أن شريحة العرب المنضوين في هذا الفضاء قد انخرطوا ضمن ما يعرف بأنشطة "الويكي"، أي الأنشطة القائمة على التعاون والعمل المشترك والبناء من أسفل، في سلسلة أفقية، كالخط المستقيم، وليس الهرم الذي يأخذ شكل المثلث ذي القاعدة العريضة والقمة المدببة التي لا تتّسع إلا لفرد واحد.

بيئة خصبة لثقافة الويكي

في تلك السلسلة يتساوى الجميع، ويتشابكون على نحو لا وجود فيه لطبقة فوق أخرى، بل ينتظمون جنباً إلى جنب في امتداد لا نهائي من الأفراد والأشياء التي تتعاون وتتناغم معاً لتصل إلى فعل مشترك، عبر الأداء السريع الذي يعمل فيه الجميع بندّية واحترام، ويتعارفون ويتشاركون ويمتلكون حرية مطلقة في التعبير، ويمتلكون وسائل سريعة لقياس الآراء وصنع القرارات بصورة تشاركية كاملة. وفي الآونة الاخيرة شكّلت الشبكات الاجتماعية والمدوّنات والقوائم البريدية والمواقع والمنتديات، التي تعمل بأدوات الجيل الثاني للويب، البنيةَ التحتيةَ لأنشطة الويكي.

يظهر من الأرقام السابقة أن العرب بدأوا يستخدمون ويوظفون هذه الأدوات كغيرهم من ملايين الناس حول العالم، فهم ينتجون موجات متلاحقة من البحث عن الترفيه والجنس والأغاني. لكن الإرث الحضاري والديني الموجود لديهم يعمل على ترشيد هذه الموجة؛ فقد بدأ يستخرج من تحت ركامها توجهات عظيمة القيمة عميقة الأثر، فتشكلت نواة للتعبير عن الرأي عبر الشبكة، عبر المدوّنات السياسية، وفي المجموعات والصفحات على الفيس بوك، والحسابات على تويتر وغيرهما. فبدأ التوظيف السياسي والاجتماعي والاقتصادي للشبكة يرتفع في مقابل موجة الترفيه.

تشير الأرقام الخاصة بنوعية القضايا المُثارة، ومستوى جماهيريتها، وخصائص القائمين على طرحها ومناقشتها ومتابعتها، من حيث السن والتعليم وغيرها من العوامل، تشير إلى نوعية من المواطنين العرب استطاعوا الاستفادة من معظم سمات ثقافة "الويكي" عبر الويب، ومنها:

– لا قيود على حرية التعبير.
– لا شروط للانضمام لأي نشاط أو مجموعة أو تنظيم أو صفحة، أو مغادرتها والانفصال عنها.
– لا قيود أو شروط على مستوى ونوعية حجم المشاركة.
– اعتماد تام على آليات التواصل اللحظي الجماعي – كاستطلاعات الرأي الإلكترونية والتصويت الفوري – لاعتماد أي قرارات أو خطوات، في أي قضية، في أي وقت، وبمنتهى السرعة وبمشاركة الجميع.
– مساواة كبيرة في الحقوق والواجبات وتوزيع الأدوار بالنسبة إلى جميع الأعضاء، بدءاً من التعبير عن الرأي وانتهاء باتخاذ المواقف والقرارات.
– اعتماد مطلق على التنظيم الشبكي الأفقي الذي يوفّر شعوراً بالندية والمساواة والاحترام بين كل الأعضاء المشاركين.
– الحرية الكاملة في كشف شخصية العضو أو المشارك، أو في إخفائها إخفاءً تاماً أو جزئياً، من دون أن يرتّب ذلك أي نوع من التأثير على احترام أو فعالية العضو. لذا، فإن الغالبية الساحقة من الأعضاء، في كل التنظيمات، لا يعرف بعضها عن بعض شيئاً من الأمور الشخصية.
– تقدير واحترام كامل لأي إسهام، أو أي جهد، مهما صغر أو كبر، متتالياً كان أم متقطعاً.
– إعلاء الفكرة والقيمة والإبداع وروح الجماعة

بدأ العرب يستخدمون أدوات الفضاء الرقمي ويوظفونها، مثل ملايين الناس حول العالم، فهم ينتجون موجات متلاحقة من البحث عن الترفيه والجنس والأغاني، لكن الإرث الحضاري والديني الموجود لديهم يعمل على ترشيد هذه الموجة، وبدأوا يستخرجون من تحت ركامه توجُهات عظيمة القيمة عميقة الأثر.

على الأشخاص، حتى وإن كانوا منشئي المجموعة أو منسّقي النشاط ومنظميه، فهم في النهاية أفرادٌ متساوون مع الآخرين.

– إذا ما تمّ وضع هذه السمات، وجهاً لوجه، مع الأرقام والتحليلات السابقة، يبدو أن الفضاء الرقمي التفاعلي العربي قدَّم لأعضائه وسائل جديدة لم تكن متاحة عبر قنوات وأدوات الإنترنت الأخرى، كما لم تكن مُتاحةً لهم – وهذا هو الأهم – في الواقع الفعلي. ومن هذه الوسائل:
– إمكانية التخطيط والتنسيق المشترك في طرح ومناقشة أو تفعيل مواقف معيّنة تجاه قضايا معيّنة.
– إمكانية التجنيد والحشد الجماهيري ضدّ قضية معيّنة، أو تأييداً لها، من خلال ما يتيحه الفضاء التفاعلي من إمكانات للتواصل اللحظي.
– إمكانية التشبيك والترابط وبناء نوع من التنظيم الأفقي الشبكي للجماهير المشاركة والفاعلة في قضية ما. وقد بدا ذلك واضحاً عند طرح بعض القضايا على المدوَّنات بصفة خاصة.
– إمكانية إدارة الفعاليات الميدانية، من خلال إنتاج محتوى مخصص لقضية بعينها أو لحدث بعينه.

حركة رقمية مرآة لحركة واقعية

استناداً إلى ذلك، يمكن القول إن من تحركوا في الفضاء الرقمي التفاعلي العربي خلال العام 2010 هم نتاج مرحلة التواصل اللحظي وأنشطة الويكي، التي تقوم – كما سبقت الإشارة – على البناء من القاعدة العريضة، والتشبيك الأفقي المكوَّن من طبقة واحدة يقف جميع أفرادها على قدم المساواة، من حيث المشاركة والفعل والتنظيم. وهذا الأمر يفسر الكثير من التحركات والتفاعلات التي تجري الآن على الأرض في **الوطن العربي**، على الصعيد الاجتماعي والاقتصادي والسياسي، والتي تبدو في ظاهرها حركات اجتماعية أو جماهيرية عريضة النطاق بلا قائد محدد، وربما تجلّت في أوضح صورها في ثورتَيّ **مصر وتونس**.

وقد تبدو هذه النتيجة متعارضة مع الكثير من الأرقام والتحليلات السابقة، حول انجراف الجزء الأعظم من الفعاليات الجارية داخل الفضاء التفاعلي العربي، نحو قضايا الشأن الخاص وليس الشأن العام. لكن حقيقة الأمر أنه لا تعارض في الأمر، فكيف؟

إن الجماهير المنشغلة بقضايا الشأن الخاص، في الفضاء التفاعلي الرقمي، والتي شكلت الغالبية الساحقة من جمهور هذا الفضاء هي تقريبا المعادل الموضوعي للجماهير الواسعة الصامتة، أو غير الراغبة في المشاركة في الشأن العام، والمنصرفة إلى شؤونها الخاصة في الواقع الفعلي. وكل ما تفعله هذه الفئة من المواطنين على الإنترنت، لا يُحدث صدىً كبيراً أو يحقق انتشاراً ورواجاً واسعاً؛ فمثلاً لا يتوقف أحد عند حقيقة أن مليوني شخص قاموا بالبحث عن أغنية، أو كتبوا تعليقات حول قصة شعر لممثلة، أو قاموا بتحميل فيلم سينمائي، تماماً كما هي الحال حينما يدخل ملايين الناس إلى دور السينما كل يوم أو يشترون شرائط أغانٍ أو يتحلّقون حول التلفاز، يتناقشون في مسلسل أو مباراة كرة قدم.

ويختلف الوضع كلية حينما يقوم صاحب صفحة على الفيس بوك بتناول قضية تتعلق بأهل الحكم والسياسة، أو يكتب عن الحريات والفساد بضعة أسطر فيتم اعتقاله أو ملاحقته بصورة أو بأخرى، تماماً كما يحدث في ما لو ألقيَ القبض على ناشط أو مجموعة نشطاء سياسيين، لا يزيد عددهم على أصابع اليد الواحدة، في أحد الشوارع، فهنا يكون الإيقاع مختلفاً والتأثير أشد والانتشار أوسع، سواء كان الحدث على الإنترنت أم في الواقع الفعلي.

لا يتوقف أحد عند حقيقة أن مليونيّ شخص قاموا بالبحث عن أغنية، أو كتبوا تعليقات حول قصّة شعر لممثلة، أو قاموا بتحميل فيلم سينمائي، لكن حينما يقوم صاحب صفحة على الفيس بوك بتناول قضية تتعلق بأهل الحكم والسياسة، أو يكتب عن الحريات والفساد بضعة أسطر يتمّ اعتقاله وملاحقته، تماماً كما تحدث حين يُلقى القبض على ناشط أو مجموعة نشطاء سياسيين.

حركة ضخمة غير محسوسة وأخرى قليلة صاخبة الصوت

هكذا تقدم حركة الملايين العاديين من مستخدمي الإنترنت من ذوي الشأن الخاص محتوى يتحرك حركة ضخمة لكنها غير محسوسة، تماماً كحركة الملايين الضخمة من الناس العاديين الذين يمارسون حياتهم في الواقع الفعلي منصرفين إلى شؤونهم الخاصة، وهي حركة في الحالتين أشبه بتيارات الماء الضخمة التي تجري في قيعان المحيطات بلا تأثير على السطح. أما حركة الأقلية النشطة التي تهتم بالشأن العام، سواء على الإنترنت أم في الواقع الفعلي، فهي أقلّ حجماً واتّساعاً لكنها أكثر عنفاً وحيويةً، ومن ثم فهي أشبه بموج السطح الذي يتحرك قبالة الشاطىء ويضربه بعنف، فيشدّ انتباه كل من على الشاطىء. في هذا السياق تقدّم حركة المعارضة السياسية والحركات الشبابية نموذجاً جيداً، على نحو ما شهده **العالم العربي** من ثورات وتحولات في العام 2011؛ فالأرقام والتحليلات السابقة تقول إن ما حدث لا يخرج عن تحركات فئة قليلة مهتمة بالشأن العام، عبر الإنترنت والفضاء التفاعلي، خلال العام 2010، قابلها نشاط فئة مماثلة في الواقع الفعلي، وحينما تلاقت حركة الفئتين لعب الفيس بوك – والإنترنت عموماً – دور القائم بالتنظيم، والحشد، والدعم اللوجستي، والبيئة الحاضنة للأفكار، والوسيط السهل السريع للتواصل وتبادل المعلومات القابلة للتوظيف اللحظي، إلى غير ذلك من الأمور الأخرى.

> تقدمّ حركة الملايين العاديين من مستخدمي الإنترنت من ذوي الشأن الخاص محتوى يتحرك حركة ضخمة لكنها غير محسوسة، أما حركة الأقلية النشطة التي تهتم بالشأن العام سواء على الإنترنت أم في الواقع الفعلي فهي أقل حجماً واتّساعاً، لكنها أكثر عنفاً وحيوية. في هذا السياق تقدم حركة المعارضة السياسية والحركات الشبابية نموذجاً ساطعاً، على نحو ما شهده العالم العربي من ثورات وتحولات في العام 2011.

فقه الأولويات في القضايا المُثارة

من أبرز ما يمكن الخروج به من الأرقام والبيانات السابقة أنه كانت هناك فروق واضحة في التعامل مع القضايا بين كل قناة نشر وأخرى، بصورة تدلّ على أن جمهور كل قناة نشر كان لديه "فقه للأولويات" الخاص به، أو طريقة ومزاج خاص في تعامله مع القضايا المثارة.

تدلّ الأرقام الخاصة بالمدوّنين على تقدم القضايا الجادة ذات العلاقة بالشأن العام واختفاء القضايا الخفيفة والخلافية عن المراكز الخمسة عشر الأول. يُعتبَر ذلك مؤشراً على وجود درجة واضحة من النضج في "فقه الأولويات"، أو ترتيب الأولويات، لدى المدوّنين ومن يعلّقون على تدويناتهم؛ فأولوياتهم تتعامل في قضايا ذات علاقة بالفكر التنموي والاهتمامات الحقيقية، وتبتعد عن تقديم أو استهلاك المحتوى الخفيف أو الغث أو ما يؤجج الخلافات والفرقة، كما يشاع دائماً عن جمهور الإنترنت العربي. والدليل على هذه الفرضية أننا لو راجعنا أرقام مجتمع المدوّنين وجماهيرهم سنجد أن جميع القضايا الخفيفة (باستثناء قضيتيّ الأفلام والسينما والرياضة) ذات العلاقة بالترفيه والرغبات الحسية والنهم الاستهلاكي، وهي قضايا الجنس والفضائح، والفضائيات، والممثلات، والممثلين، والفنانين، والفنون، والتلفزيون، والمطربين، والمطربات، وقضية الاستهلاك، التي تضم الاجهزة الإلكترونية والكهربائية والمشروبات الغازية والروحية والسيارات وخلافه، لم تظهر في المراكز الخمسة عشر الأول لدى مجتمع المدوّنين العرب وجماهيرهم.

قضايا صالونات للنخبة

يلاحظ أيضاً أنه على الرغم من احتداد بعض القضايا على أرض الواقع وجذبها لاهتمام وسائل الإعلام التقليدية خارج الإنترنت، فإنها لم تجذب مجتمع المدوّنين كما فعلت قضايا أخرى أقلّ أهمية؛ ومن هذه القضايا: المذهبية، والطائفية، والإصلاحات السياسية، والأقليات، والأزمات الدولية، والإرهاب والعنف، وغيرها من القضايا المماثلة التي جاءت في المراكز المتأخرة وربما الأخيرة. وإذا ما تمّ الأخذ في الاعتبار أن حركة التدوين العربية لا تزال حرة مقارنةً بما تتعرض له وسائل الإعلام التقليدية، خارج الإنترنت، فإن هذا الملمح يُعدّ مؤشّراً على أن هذه القضايا جميعاً غير منتشرة على أرض الواقع على نحو ما تروّج له وسائل الإعلام التقليدية، أو على الأقل لا تجذب مجتمع التدوين العربي الذي لا يخضع للرقابة، بل يعبّر في معظم الأحيان عن مواقف مستقلة وعفوية. من ناحية أخرى، يدلّ هذا الأمر على أن مجتمع التدوين العربي لديه قدْرٌ واضح من المناعة ضد التأثر بالإعلام التقليدي، على الأقل حيال هذه القضايا التي يراها الإعلام التقليدي ساخنة.

تدوين اللاشيء

لكن ذلك لا ينفي أن الأولويات لدى مجتمع التدوين العربي ليست وردية، فهناك قطاع من المدوّنين وجماهيرهم مشغول باللاشيء، أو "بالرغي" في الفراغ، في "ديالوج" عبثي لا يحمل معاني محددةً أو قضايا معيّنة. وربما كان ذلك يعبّر عن مستوى اليأس والإحباط وفقدان الاتجاه لدى شريحة تمثل 10 % على الأقل من المتعاملين مع عالم التدوين في **الوطن العربي**. وليس ذلك بالأمر اليسير، لأن هذه النسبة، عند مقارنتها بمن يهتمون وينشغلون بالقضايا الأخرى الجادّة، تضعنا أمام منعطف خطير. ذلك أن فئة "التائهين تدوينياً" تتفوق في الحجم وفي القدرة على جذب الجمهور على من يهتمون بالقضايا الدينية، وقضايا التنمية، وقضايا السياسة، والحرية، والإصلاح، والتعليم، والبحث العلمي، وحتى الجنس والترفيه.

فقه أولويات على الفيس بوك

يشير التوزيع العام للقضايا المثارة على الفيس بوك إلى أن مستخدميه لهم "فقه أولويات" قائمٌ بذاته، فهم لا يتوقفون كثيراً عند قضية السينما والأفلام والأغاني التي تتبوأ مكانة مرموقة في المنتديات والمدوَّنات، مع أنها، على الدوام، تتصدّر المشهد ضمن المراكز الخمسة الأولى؛ فهي في الفيس بوك تحتل المركز العاشر وبنصيب ضئيل جداً، مقارنةً بالقضايا التي تسبقها؛ إذ تشكّل 1.1 % فقط من إجمالي الاهتمامات والمشاركات الموجودة ضمن العيّنة التي خضعت للتحليل. وهذا اختلاف في المزاج العام لدى مستخدمي الفيس بوك عن المدوَّنات والمنتديات، باعتباره جمهور أخبار وخدمات وتفاعل قائم على المشاركة اللحظية، لا البحث عن ترفيه يتم على نطاق فردي أو جماعي محدود عبر مشاهدة فيلم أو سماع أغنية. ومن الأشياء الدالة على ذلك، أن خاصية تحميل الفيديو الموجودة في الفيس بوك نادراً ما تستخدم في تبادل ملفات فيديو تتعلق بأفلام السينما أو الأغاني وخلافه، بل تستخدم في العادة للقطات الفيديو القصيرة ذات الارتباط المباشر بالأحداث الجارية أو القضايا ذات العلاقة بالشأن الخاص.

> على الرغم من احتداد بعض القضايا في أرض الواقع وجذبها لاهتمام وسائل الإعلام التقليدية خارج الإنترنت، فإنها لم تجذب مجتمع المدوّنين، كما فعلت قضايا أخرى أقلّ أهمية. ومن هذه القضايا، المذهبية والطائفية، والإصلاحات السياسية، والأقليات، الازمات الدولية، والإرهاب والعنف، وغيرها من القضايا المماثلة التي جاءت في المراكز المتأخرة وربما الأخيرة.

وقد حدث أيضاً شيء مشابه لقضايا الطب والصحة؛ فهي على الفيس بوك تتقهقر إلى المركز التاسع، ويتدنّى نصيبها إلى معدَّلات لا تُقارن بنصيبها على المنتديات والمدوَّنات؛ فهي هنا تحصل فقط على 1.47 % من الاهتمام. ومع تراجع الطب والصحة، كقضية رئيسية إلى هذا الحد، ارتفع عدد القضايا الفرعية الطبية إلى 34 قضية، في مختلف قضايا الطب، وهو رقم يتجاوز ما سجّلته القضايا الفرعية الطبية في كل من المنتديات والمدوَّنات. وهو يشمل الأمراض العضوية والنفسية والتداوي بالأعشاب والنظم الغذائية وغيرها. وهكذا تقدِّم قضية الطب والصحة نموذجاً آخر يدلّ على أن ذائقة مستخدمي الفيس بوك أو فقه أولوياتهم مختلف؛ فهم لا يتوقفون فقط عند الرجوع بالقضية من صدارة المشهد إلى خلفيته، بل يرفعون في الوقت ذاته من درجة العمق في التعامل معها، عبر تفتيتها إلى عدد أكبر من القضايا الفرعية.



تشابه ذيل القائمة في المنتديات والفيس بوك

لكن هذا لا يحول دون التشابه بين الفيس بوك والمدوَّنات في الموقف من القضايا الخلافية المثيرة للجدل، سواء في القضايا السياسية المجتمعية، مثل الأقليات والمذهبية والطائفية والتنظيمات الإسلامية، أم في القضايا المثيرة للجدل أخلاقياً واجتماعياً كقضايا الفضائح والجنس، مثل الاغتصاب، والإغراء، والتحرش، والشذوذ الجنسي، والعلاقات الجنسية، والمشكلات الجنسية، فكلا النوعين من القضايا جاء في ذيل القائمة، من حيث النصيب العام من الاهتمام عبر الفيس بوك.

يشير التوزيع العام للقضايا المُثارة على الفيس بوك إلى أن مستخدميه لهم "فقه أولويات" قائم بذاته، أي ترتيب الأولويات. فهُم لا يتوقفون كثيراً عند قضية السينما والأفلام والأغاني التي تتبوأ مكانةً مرموقة في المنتديات والمدوَّنات التي تتصدر المشهد ضمن المراكز الخمسة الأولى، فهي في الفيس بوك تحتل المركز العاشر.

المنتديات: نمط ثالث للأولويات

في المنتديات، نمطٌ ثالث من الأولويات، يقترب مما حدث في المدوَّنات، لكنه لا يتطابق معها. ولو تمّ النظر في قائمة القضايا الخمس الأولى التي كانت على رأس اهتمامات أعضاء المنتديات العربية خلال العام 2010، لتبيّن أن ترتيب هذه القضايا الخمس جاء كالتالي:

- في **المركز الأول**، جاءت قضية الأغاني والأفلام والمسلسلات الأولى بلا منازع، من حيث حجم الانشغال أو الاهتمام، داخل المنتديات العربية في العام 2010؛ فقد كتب العرب حولها 58 ألفاً و34 مشاركة تعادل 8.8 % من إجمالي المشاركات التي احتوتها المنتديات محل البحث.
- في **المركز الثاني**، جاءت قضية النصائح والإرشادات، التي شكّلت 6.4 % من إجمالي المشاركات على المنتديات، وجاءت تحتها قضيتان فرعيتان: الأولى، هي النصائح المتنوعة، والثانية، هي النصائح الخاصة بوصفات الأكلات والحلويات. وبالطبع يتّسق هذا التصنيف الفرعي مع حقيقة أن الكتلة النشطة على المنتديات هي من الإناث صغيرات السن.
- في **المركز الثالث**، جاءت قضايا الطب والصحة التي حظيت بنسبة 5.8 % من إجمالي المشاركات.
- في **المركز الرابع**، وبفارق طفيف، جاءت القضايا الدينية لتحظى بـ 5.7 % من مشاركات أعضاء المنتديات، لكنها تفوّقت على قضايا الطب والصحة، من حيث عدد القضايا الفرعية التي احتوتها.
- في **المركز الخامس**، وبفارق طفيف أيضاً، جاءت قضايا الإنترنت والمعلوماتية والاتصالات، واستحوذت على 5.3 % من اهتمام أعضاء المنتديات.

وتسير اهتمامات أعضاء المنتديات في الاتجاه نفسه بعد ذلك، حيث يُلاحظ أن القضايا التي أحتلّت المراكز التالية، من السادس وحتى السابع والعشرين، تدور بشكل أو بآخر حول، الاهتمامات الفردية اللصيقة بدائرة الإنسان الفرد في محيطه الضيق: فمن حيث النسبة يتراوح ما حصلت عليه هذه القضايا من مشاركات أعضاء المنتديات، بين 5.3 % و1 % من إجمالي المشاركات. ومن حيث الموضوع ثمة الخواطر، والرياضة، والأسرة، والمطربون والمطربات، والفنون، والاستهلاك، والتلفزيون، والفضائيات، والجنس، والممثلون، والطرائف، والنكات.

الشأن العام في ذيل المنتديات

على الجانب المقابل، نجد أن الغالبية الساحقة من القضايا التي تدخل في نطاق الاهتمام العام موجودة في المراكز من 28 إلى 53، أي في ذيل اهتمامات أعضاء المنتديات. وتتراوح نسبة المشاركات التي حظيت بها هذه القضايا بين 1 % و0 % من إجمالي المشاركات. تضم القضايا المؤسّسات السياسية، وقضية فلسطين، والتاريخ، والتراث، والقضايا السياسية، والصناعة، والتنظيمات الإسلامية، وحقوق الإنسان، وقضايا التنمية، والزراعة، والإرهاب والتطرف، وإسرائيل، والاتفاقيات الدولية، والأزمات العالمية، واتفاقيات السلام، والأقليات، والإدارة، والمذهبية، وغيرها.

من الأمور اللافتة هنا، أن الاهتمام الذي أعطاه أعضاء المنتديات لقضية النصائح والإرشادات، التي تقتصر تقريباً على نصائح الطبخ وإعداد الحلوى وبعض المجالات الحياتية الأخرى، كان يفوق الاهتمام الذي أعطوه لقضايا الإعلام، وحرية التعبير، وقضية فلسطين، والقضايا السياسية، والتنظيمات السياسية، والتنظيمات الإسلامية، وقضايا التنمية، والإرهاب، والتطرّف، والاتفاقيات الدولية، والقضايا الدولية، واتفاقيات السلام، والأقليات. فهذه القضايا، مجتمعةً، حظيت بـ 4.5 من المشاركات، في حين أن إرشادات الطبخ والحلوى حظيت وحدها بنسبة 6.4 % من المشاركات، بل إن نصيب هذه القضايا من الاهتمام هو أدنى من نصف نصيب قضية الأغاني والأفلام والمسلسلات، التي تحتل المركز الأول بنسبة 8.8 %.

الانتشار الظاهري والانتشار الفعلي

"ليس كل ما يلمع ذهباً"، هذه المقولة تنطبق على الكثير من القضايا التي تبدو للوهلة الأولى لامعة متلألئة عبر الإنترنت ويتجمع حولها الملايين من المستخدمين، لكنها في حقيقة الأمر ليست بهذا التأثير الطاغي، وليس لها ذلك الفعل السحري، بل تبدو كنمور من ورق عند الاقتراب منها وتفحّص قيمتها وتأثيرها الحقيقي.

تكشف الأرقام والبيانات التي تمَّ التوصل إليها أن القضايا التي شهدها الفضاء الرقمي التفاعلي العربي تعيش، في حقيقة الأمر، بين حالتين من الانتشار: الأولى، هي حالة الانتشار الظاهري، التي تظهر من خلال الأرقام الأولية حول عدد التدوينات أو قنوات النشر المهتمة بها؛ والثانية، هي حالة الانتشار الفعلي، التي تُقاس بمدى قدرتها على جذب الجمهور، وإقناعه بمتابعة ما يُكتب أو يُنشر حولها، والمشاركة في التعليق عليه، والإضافة إليه، وإعادة نشره في دوائر أوسع.

ويمكن رصد هذا الملمح أو النتيجة في الكثير من المواضع والنقاط؛ ففي المدوَّنات، يحظى بعض القضايا بمراكز متقدمة من حيث عدد المدوَّنات التي اهتمت بها، لكنها في الوقت نفسه لم تحْظَ بعدد تدوينات يجعلها تتفوق على غيرها من القضايا الأخرى، من حيث عدد التدوينات، وقضايا غيرها نوقشت في عدد أقلَّ من المدوَّنات، لكنها حظيت بعدد أكبر من التدوينات؛ وهذا ما يجعلها حية في مجتمع المدوَّنات لفترات أطول، ومنتشرة على نطاق أوسع.

وكذلك الأمر في ما يتعلق بمدى اهتمام الجمهور المتابع للمدوَّنات في ما يُكتب على المدوَّنات؛ فليس شرطاً أن يكون التوسّع قضيةٍ ما، عندما تُثار في عدد كبير من المدوَّنات، ويُكتب حولها الكثير من التدوينات، تستطيع أن تجتذب – في الوقت نفسه – الجمهور العام ليكتب تعليقات حولها ويتفاعل معها.

السينما بين وهم الانتشار الظاهري وحقيقة الانكماش الفعلي

تنطبق مقولة "ليس كل ما يلمع ذهباً" على الكثير من القضايا التي تبدو للوهلة الأولى لامعة متلألئة عبر الإنترنت، ويتجمَّع حولها الملايين من المستخدمين. لكنها في حقيقة الأمر ليست بهذا التأثير الطاغي، ولا الفعل السحري، بل تبدو كنمور من ورق عند قياس قيمتها وتأثيرها الحقيقي.

لوحظ مثلاً، أن أفلام السينما كانت في المركز الأول من حيث عدد المدوَّنات التي اهتمت بها، لكن القضايا الدينية تقدَّمت لتحتلَّ المركز الأول من حيث عدد التدوينات التي كُتبت حولها. وتراجعت الأفلام إلى المركز الثاني، والرياضة إلى المركز الثالث، وهكذا مع العديد من القضايا الأخرى، في ما ثبتت القضايا المتعلقة بالخواطر والإنترنت وتكنولوجيا المعلومات في مراكزها كما هي.

للمزيد من التحليل في هذه النقطة، تمَّ تطبيق معامل "المدوَّنات إلى التدوينات"، والمقصود به حساب نسبة المدوَّنات من إجمالي التدوينات، من خلال قسمة عدد المدوَّنات التي تهتم بقضية ما على عدد التدوينات التي

كتبت حول ذات القضية". وكلّما كانت قيمة المعامل منخفضة دلَّ ذلك على تفاعلية أعلى من جانب المدوِّن مع القضية؛ بمعنى أنه أثار القضية واستمر يكتب ويدوّن حولها لعدّة مرات ولفترات أطول. وإذا ارتفعت النسبة، فهذا معناه أن المدوّن يثير العديد من القضايا ويكتب حولها تدوينات أقل.

حينما تمَّ تطبيق هذا المعامل على القضايا التي شغلت مجتمع التدوين العربي في العام 2010 انقلبت الصورة رأساً على عقب؛ فقضيَّتا أفلام السينما والرياضة اللتان جاءتا في المركزين الأول والثاني من حيث عدد المدوَّنات، هبطتا إلى المركزين الأخيرين (53 و54) عند تطبيق معامل المدوَّنات إلى التدوينات. أما القضايا الدينية التي احتلَّت المركز الثالث فتراجعت إلى المركز 42؛ الأمر الذي يدل على أن المدوّنين في الرياضة والأفلام ليسوا من النوعية التي تتابع وتحرص على متابعة قضاياها، والكتابة فيها. كما يمكن القول أيضاً إن المدوِّنين يكتبون في القضايا الدينية بطريقة الدعاة، أي يعرضون ما لديهم باعتباره نوعاً من التبليغ عن الفكرة أو القضية إلى الآخرين بأكثر مما يحصرونه في المناقشة والتطوير.

الأقليات: من الخلف إلى الامام

وفي المقابل كشف التحليل وجود قضايا لم تحظَ باهتمام على مستوى المدوَّنات أو أنها حظيت باهتمام عدد ضئيل من المدوَّنات، لكنها حقَّقت مستوى تدوين عالياً، كما هي الحال مع قضية الأقليات التي لم تكن هناك مدوَّنات مخصَّصة لها، ومع ذلك كانت هناك 113 **تدوينة** كُتبت حولها في مدوَّنات متفرقة. وقضية الفضائح التي ظهرت لها ثلاث مدوَّنات فقط، ومع ذلك وصل معدَّل التدوين عليها إلى 301 **تدوينة**. وإذا ما ترجم ذلك إلى موضوعات أمكن القول إن ثلاث مدوَّنات فقط قدَّمت لمجتمع التدوين العربي 301 فضيحة خلال العام 2010، ولو نزل التحليل إلى المستوى الثاني من التصنيف لتبيّن أن هذه الفضائح موزَّعة على ثلاث فئات، هي: فضائح رجال الأعمال وفضائح السياسيين وفضائح الفنانين.

الحرية: مدوَّنات أقل وإنتاج أكثر

احتلّت القضايا المتعلقة بالإعلام وحرية التعبير المركز الثالث عند تطبيق معامل المدوَّنات إلى التدوينات، حيث كانت هناك 35 مدوَّنة مخصَّصة لإثارة هذه النوعية من القضايا لكنها أنتجت 2786 **تدوينة** على مدار العام. وهذا معناه من الناحية العملية أن القضايا الإعلامية وقضايا حرية التعبير كانت محل متابعة ومناقشة من جانب المدوّنين أكثر من أفلام السينما والرياضة، على الرغم من الانتشار الظاهري لمدوَّنات السينما والرياضة. وذلك لأن عدد التدوينات يعكس تفاعلية أعلى من جانب المدوِّن مع القضية التي يهتم بها، في حين أن عدد المدوَّنات قد يُعطي دلالة فقط على مجرد إثارة القضية، وليس التفاعل معها، أو التعايش معها لفترة أطول والكتابة فيها أكثر من مرّة، من خلال أكثر من تدوينة.

في المنتديات، كانت هناك مجموعة من القضايا اهتمَّ بها مَن يكتبون المشاركات، وركَّزوا عليها بشدة، فتصدَّرت القائمة الأولى الخاصة بإجمالي عدد المشاركات. لكن الجمهور أهملها ولم يُعطها القدْرَ نفسه من الاهتمام ولم يتفاعل معها؛ فتراجعت إلى مراكز متأخرة في القائمة الثانية الخاصة بالتعليقات الإجمالية، ثم تراجعت أكثر في القائمة الثالثة الخاصة بنصيب المشاركة الواحدة من التعليقات. ويعني ذلك أن جماهيرية هذه القضايا اتَّخذت اتجاهاً جماهيرياً تنازلياً انكماشياً بمرور الوقت.

من بين القضايا التي سلكت هذا المسلك، قضية السينما والأفلام والأغاني، التي هبطت من المركز الأول، في قائمة المشاركات، إلى

كانت أفلام السينما في المركز الأول من حيث عدد المدوّنات التي اهتمت بها، لكن القضايا الدينية تقدمت لتحتل المركز الأول على الإطلاق من حيث عدد التدوينات التي كتبت حولها، وتراجعت الأفلام إلى المركز الثاني، والرياضة إلى المركز الثالث.. وهكذا مع العديد من القضايا الأخرى، فيما ثبتت القضايا المتعلقة بالخواطر والإنترنت وتكنولوجيا المعلومات في مراكزها.

في المنتديات مجموعة من القضايا اهتمَّ بها الذين يكتبون المشاركات وركزوا عليها بشدَّة، فتصدرت القائمة الأولى الخاصة بإجمالي عدد المشاركات، لكن الجمهور أهملها ولم يُعطها القدْرَ نفسَه من الاهتمام ولم يتفاعل معها، فتراجعت إلى مراكز متأخرة في القائمة الثانية الخاصة بالتعليقات.

المركز الثاني، في قائمة عدد التعليقات، ثم إلى المركز الحادي عشر في قائمة نصيب المشاركة من التعليقات. من بينها أيضاً قضية النصائح والإرشادات التي هبطت من المركز الثاني في قائمة المشاركات، إلى المركز السابع في التعليقات، ثم إلى المركز الثالث والعشرين في قائمة نصيب المشاركة الواحدة من التعليقات. ثم قضايا الطب والصحة التي تراجعت من المركز الثالث إلى التاسع عشر، فإلى الثالث والأربعين؛ والقضايا الدينية التي تراجعت من المركز الرابع إلى الثالث عشر، فإلى الثاني والثلاثين؛ وقضايا الأدب والثقافة التي تراجعت من السادس إلى التاسع فإلى العشرين؛ والأسرة من الثاني عشر إلى الخامس فإلى الحادي والعشرين؛ والعلوم التي تراجعت من التاسع عشر إلى الثاني والعشرين فإلى الحادي والثلاثين.

الإرهاب: كتابة أقل وجماهيرية أوسع

وجدنا في الفيس بوك قضايا تؤكِّد فرضية انتشار ظاهري مخالف للانتشار الفعلي، ومنها على سبيل المثال قضية الإرهاب والتطرف؛ ففي هذه القضية نحن أمام نقطة انطلاق متأخرة جداً، هي المركز الرابع والأربعين، ثم يوجد تصاعد تدريجيّ في جماهيرية ما يكتب حولها، حيث يتَّسع نطاق الجمهور الذي يتلقى ما يُكتب حولها ليضعها في المركز الثالث والأربعين، ثم يتَّسع الأمر أكثر لتصبح في المركز التاسع والثلاثين، من حيث مستوى الإعجاب بها ومتابعتها، ومن حيث نصيب كل مشاركة من مرات الإعجاب، ثم تقفز إلى المركز الثامن عشر من حيث العدد الإجمالي للتعليقات التي تكتب حولها، وتهبط إلى المركز السابع والعشرين في نصيب المشاركة الواحدة من عدد التعليقات. ثمّة إذاً منحنى جماهيري تصاعدي يحمل بعض الدلالات الواضحة، من بينها أن هذه القضية تمر عبْرَ الجماهير كالوتد الذي يتجه من السطح إلى العمق بصورة رأسية لا أفقية، أي أن من يتلقّى ما يُكتب عن القضية ينفعل بها ويُعجب بها، ثم لا يتوقف عند ذلك الحدّ، بل يواصل التفاعل معها فيكتب تعليقات حولها، ثم ينشط في هذه التعليقات ليرفع نصيب المشاركة الواحدة من التعليقات عن قضايا عديدة غيرها.

أما أداء قضية الإعلام وحرية التعبير على الفيس بوك فيقدّم نموذجاً يجمع بين مستوى جماهيرية جيد، ومنحنى تصاعدي يتّسم بالاستقرار والخلوّ من القفزات الخاطفة المفاجئة وسريعة الاندثار. والدليل على ذلك أنها تنطلق من نقطة بدء في مركز متقدم نسبياً، هو المركز السادس عشر، ثم تثبت في المركز الخامس عشر، على مستوى نطاق الجمهور، الذي يصله ما يكتب عنها من مشاركات، ومستوى الإعجاب بها ومتابعتها، ثم تتقهقر بصورة طفيفة إلى المركز السابع عشر في نصيب المشاركة الواحدة من الإعجاب، لكنها تعود للتقدم مجدداً في عدد التعليقات الإجمالي، ثم تترسخ جماهيريتها وتشتد مع نصيب المشاركة الواحدة من مرات التعليق، حيث تحتل المركز السابع في هذا المعيار. يكشف هذا المنحنى "طول نفس" واضح لما يُكتب عن قضايا الإعلام وحرية التعبير بين جمهور مستخدمي الفيس بوك العرب؛ فهم يتلقّونه ويعيشون معه، ويتعمَّق تفاعلهم معه بمرور الوقت، إلى أن يبلغ ذروته بالكتابة والتعليق عليه بعدد مرات يجعلها قضيةً ضمن أهم عشر قضايا تحظى بتعليقات وفيرة في مجتمع الفيس بوك العربي.

الخواطر: نجاح ظاهري وسقوط مدو فعلي

تُقدِّم قضية الخواطر والمشاعر عبر الفيس بوك نموذجاً ثالثاً دالاً على النجاح الظاهري والسقوط المدوي الفعلي؛ فلأول وهلة تبدو هذه القضية كمغناطيس قوي يجذب جماهير

في الفيس بوك قضايا تؤكِّد فرضية وجود انتشار ظاهري مخالف للانتشار الفعلي؛ ومنها على سبيل المثال قضية الإرهاب والتطرف. فهذه القضية تنطلق من نقطة متأخرة للغاية، هي المركز الرابع والأربعين، ثم تتصاعد تدريجياً في جماهيرية ما يكتب حولها، حيث يتسع نطاق الجمهور الذي يتعرض لما يُكتَب حولها ليضعها في المركز الثالث والأربعين.

> يقدِّم أداءُ قضية الإعلام وحرية التعبير على الفيس بوك نموذجاً يجمع بين مستوى جماهيرية جيد، وبين منحنى تصاعدي يتسم بالاستقرار والخلو من القفزات المفاجئة سريعة الاندثار. والدليل على ذلك أنها تنطلق من نقطة بدء في مركز متقدم نسبياً هو المركز السادس عشر، ثم تثبت في المركز الخامس عشر على مستوى نطاق الجمهور الذي يصله ما يكتب عنها من مشاركات.

> تقدِّم القضايا الدينية نموذجاً مشابهاً لما قدمته قضية الخواطر والمشاعر الإنسانية عبر الفيس بوك، فجماهيريتها تصنع منحنىً أشبه بالخط المستقيم الذي ينكسر انكسارين كبيرين للأسفل في كل من نصيب المشاركة الواحدة من عدد مرات الإعجاب وعدد مرات التعليق. والاختلاف الأبرز بينهما أن الخواطر تحتل المراكز الأولى وتتهاوى إلى المركزين الحادي والثلاثين والثاني والأربعين، اما القضايا الدينية فتحتل المراكز الثانية وتتهاوى إلى المركزين الرابع والأربعين والسابع والثلاثين.

الفيس بوك العرب إليها، ويجعلها هدفهم الأول من بين جميع القضايا الأخرى. فالمنحنى الجماهيري لما يُكتب حول هذه القضية ينطلق من نقطة البدء الأولى، ثم يسجِّل أكبر مساحة للتعرض والانتشار، ويسجِّل المركز الأول، ثم يحوز على أعلى نسبة من الإعجاب والمتابعة، ويحتل المركز الأول، لكنه يسقط سقوطاً مفاجئاً وضخماً في نصيب المشاركة الواحدة من عدد مرات الإعجاب، ويتراجع إلى المركز الحادي والثلاثين، ثم يقفز إلى المركز الأول مرة أخرى في ما يخص عدد التعليقات، لكنه يهوي إلى المركز الثاني والأربعين من حيث نصيب المشاركة الواحدة من مرات التعليق. وهكذا يبدو المنحنى الجماهيري لهذه القضية المتوَّجة كرقم واحد، وكأنه خط مستقيم ينكسر بشدة مرتين إلى الأسفل. والمهم هنا، أن منطقتيّ الانكسار في المنحنى تمثلان المعيارين الدالَّين على التفاعلية والجماهيرية الأكثر عمقاً؛ فالأولى تعني أن غالبية من شاهدوا ما كتب ونشر حول القضية لم يقتنعوا أو لم ينجذبوا، فلم يكلِّفوا أنفسهم عناء اختيار علامة الإعجاب به. كما تعني منطقة الانكسار الثانية أن من شاهد وتابع لم تدفعه مشاهدته لأن يشمِّر عن ساعديه ويجلس ليكتب تعليقاً على ما شاهد من مشاركات وكلمات أو نصوص أو خاطر من الخواطر؛ فالجلبة التي يُحدثها هذا النوع من المشاركات والمواد المنشورة عبر الفيس بوك لا أساس لها راسخاً، ويتعامل معها الجمهور بسطحية وبصورة عابرة لا أثر فيها للولاء والمثابرة، وكأنما تتلقفها أعين وعقول الجمهور كما لو أنها قطعة قماش هفهافة تلامس حجراً صلداً فلا تترك فيه أثراً، ولا تحتفظ منه بعلامة. وبوسعنا القول إنها زفرات في الفراغ، أو في الفضاء الرقمي، يمضي معظمها بلا أثر، وكأنه من باب "اللغو" الذي لا طائل من ورائه، من جانب من يكتبون، ومن جانب من يتابعون؛ فمن يكتبون يُصرّون على اللغو ومن يتابعون يستمرون في المشاهدة التي لا تكلِّفهم شيئاً.

تقدّم القضايا الدينية نموذجاً مشابهاً لما قدمته قضية الخواطر والمشاعر الإنسانية عبر الفيس بوك؛ فجماهيريتها تصنع منحنًى أشبه بالخط المستقيم الذي ينكسر انكسارين كبيرين للأسفل في كل من نصيب المشاركة الواحدة من عدد مرات الإعجاب وعدد مرات التعليق. والاختلاف الأبرز بينهما أن الخواطر تحتلّ المراكز الأولى وتتهاوى إلى المركزين الحادي والثلاثين والثاني والأربعين. أما القضايا الدينية فتحتل المراكز الثانية وتتهاوى إلى المركزين الرابع والأربعين والسابع والثلاثين. وبذلك يتّصف ما يُكتب حول القضايا الدينية في الفيس بوك بما تتَّصف به الكتابات حول الخواطر، لأنها تُحدث جلبةً بلا أساس راسخ، فالجمهور يتعامل معها بسطحية وبصورة عابرة لا تنمّ عن تأثير، ويستمر النمط السابق في قضية النصائح والإرشادات والاستفسارات وإن كان بصورة أخف، لأن المنحنى الجماهيري لهذه القضية لا يسير في خط مستقيم معظم الأحوال.

سباق الشأن العام والشأن الخاص

كان الفضاء الرقمي التفاعلي العربي في العام 2010 ساحةً يتبارى ويتصارع فيها الشأن العام والشأن الخاص على اهتمامات الفرد والجماعة معاً. وتنبئنا الأرقام السابقة أن هذا الصراع بلغ مستوى من الحيوية والعنفوان قد تفوق ما كان يجري في الواقع الفعلي؛ فالإنسان العربي في فضائه الرقمي التفاعلي لم يكن مسحوباً إلى دائرة اهتماماته الضيقة الخاصة ومنكفئاً عليها، بل بات يتلفت حوله ليسمع ويرى ويشارك في ما ينقله، بمحض المصادفة أو عن وعي، إلى دائرة الاهتمامات العامة. وذلك بفعل تعرُّضه لتيارات من البيانات والمعلومات المتلاطمة في جهات ومسارات شتى، ما يجعل من الفضاء الرقمي التفاعلي حاضنة بذور جديدة تُعيد توجيه اهتمامات شريحة كبيرة من المواطنين العرب



المعلوماتية

إلى الشأن العام ليقوى ويشتد في مواجهة الاهتمام بالشأن الخاص.

فسيفساء ثلاثية الأجزاء بين العام والخاص

في هذه النقطة، يكاد لا يكون هناك اختلاف بين ما يجري في المنتديات وما يجري في الفيس بوك. ولو أخذنا ما يجري على الفيس بوك كمثال توضيحي لهذا التحوُّل، وما يكتنفه من صراعات، سنجد أمامنا ما يشبه لوحة الفسيفساء أو "الموزاييك"، المكوَّنة من ثلاثة أجزاء أو مناطق مختلطة الألوان لحركة الأفراد والجماعات تجاه قضايا الشأن العام والخاص. نجد في المنطقة الأولى قضايا الشأن الخاص، وقد سيطرت سيطرة شبه مطلقة على اهتمامات الجماهير التي تنشىء الصفحات والمجموعات أو تتابع أو تعجب أو تعلق على ما يثار فيها من قضايا؛ فالمشهد تتصدَّره قضية المشاركات والنقاشات والتعليقات المعبرة عن الخواطر والمشاعر الإنسانية والعلاقات الإنسانية والخواطر المتنوعة على اختلاف صورها. فهذه القضية تستحوذ على المركز الأول بنصيب يصل إلى 43.13 % من إجمالي المشاركات والتعليقات، أي أن الفيس بوك، في المقام الأول، بالنسبة إلى العرب، هو فضاء للتنفيس عن مكنونات المستخدم وخواطره، أي إنه محتوى ملايين العرب عبر الفضاء الرقمي، تجسّد آمالهم وإحباطاتهم وأحلامهم ونجاحاتهم وفشلهم في الحياة والعلاقات الاجتماعية والإنسانية. يعزِّز هذه الفرضية أن القضايا التالية بعد الخواطر هي القضايا الدينية التي تستحوذ على حوالى خمس المشاركات والتعليقات والمتابعات (19.88 %)، وكأنه انتقال سريع من البحث عن فضاء للتنفيس عن الخواطر والمشاعر إلى البحث عن غذاء الروح والعقيدة. إن المستخدمين العرب يتناقشون ويهتمون بطائفة متنوعة من القضايا الدينية الفرعية، تمتد من الأناشيد والأدعية الدينية وتنتهي بمناقشة قضايا التوحيد والفتاوى والعالم الآخر. وتزداد الحلقة إحكاماً حول الشأن الخاص، بالانتقال إلى القضايا المتعلقة بالنصائح والإرشادات والاستفسارات والتي يتركّز معظمها في الوصفات والأكلات وشؤون المطبخ، إلى جانب مجالات حياتية أخرى متنوّعة تستحوذ على 6.38 % من إجمالي المشاركات والمناقشات المثارة. وهكذا تستوعب دائرة "الشأن الخاص" أكثر من ثلثيّ اهتمامات المستخدمين العرب على الفيس بوك. إذ إن حوالى 70 % من المستخدمين يدورون في فلك الخواطر والمشاعر وغذاء الروح الديني وغذاء البطن والجسد.

أما المنطقة الثانية فتشكّل ما يناهز ثلث اهتمامات المستخدمين (30 %) وينحشر بداخلها خمسون قضية، يختلط فيها الشأن العام مع الشأن الخاص، وإن كانت الغلبة فيها أيضاً لقضايا الشأن الخاص التي تتبوأ الكثير من المراكز المتقدمة في قائمة أكثر القضايا انتشاراً واهتماماً على الفيس بوك؛ فهناك قضايا الرياضة في المركز السادس، والمطربون والمطربات في المركز السابع، والطب والصحة في المركز التاسع، والأفلام والسينما في المركز العاشر، والتلفزيون في المركز الحادي عشر.

تظهر في المنطقة الثالثة قضايا الشأن العام، ومنها القضايا الاجتماعية وقضايا الثقافة والفكر في المركزين الرابع والخامس على التوالي، وبعد ذلك لا تظهر قضايا الشأن العام إلا متأخرةً، وبنسب تقلّ جميعها عن 1 %. كقضايا الأسرة، والإعلام، وحرية التعبير، والتربية والتعليم، والعلوم، والمؤسّسات السياسية، وقضية فلسطين، وحقوق الإنسان، واتفاقيات السلام، والبيئة، والموارد، وغيرها.

ولأننا نتحدث عن "لوحة فسيفساء" متداخلة ومتغيِّرة الألوان، فإن مشهد التقسيمات الثلاثة السابقة لا يبدو ثابتاً وجامداً، بل يحمل في طياته أبعاداً أخرى، من

> المستخدمون العرب للفيس بوك يتناقشون ويهتمون بطائفة متنوِّعة من القضايا الدينية الفرعية، تمتد من الأناشيد والأدعية الدينية وتنتهي بمناقشة قضايا التوحيد والفتاوى والعالم الآخر، وتزداد الحلقة إحكاماً حول الشأن الخاص بالانتقال إلى القضايا المتعلقة بالنصائح والإرشادات والاستفسارات والتي يتركز معظمها في الوصفات والأكلات وشؤون المطبخ، فتستوعب دائرة "الشأن الخاص" أكثر من ثلثي اهتماماتهم.

أهمها أن قضايا الشأن العام كثيرة العدد قليلة المشاركات وقليلة الانتشار، لكنها في الأغلب قضايا تقف وراءها جماعات تجعلها أكثر فاعلية، من حيث التوظيف العملي، بينما تجنح قضايا الشأن الخاص نحو الصفحات الفردية وتستوعب منها قطاعاً عريضاً أكثر غزارة في الإنتاج وأوسع انتشاراً بين الجمهور، لكنه أشبه بحالة من الرغي الجماعي الذي يضيع هدفه وفائدته تحت وطأة ضوضائه وعشوائيته.

ليس مصادفة إذاً أن تكون قضية المذهبية هي أكبر قضية يتم تداولها بين الصفحات الجماعية، حيث تصل فيها نسبة المشاركات الصادرة عن المجموعات إلى أكثر من 95 %، وأن تكون قضية الخواطر والمشاعر أكبر قضية يتم تداولها في الصفحات الفردية، حيث تصل فيها نسبة المشاركة الصادرة عن الصفحات الفردية إلى أكثر من 95 %.

الشأن العام حدائق منظمة والشأن الخاص مزارع بلا هندسة

يمكن الخلوص إلى أن قضايا الشأن العام، بجماهيرها ومتابعيها والمنخرطين فيها عبر الفيس بوك، تبدو كحدائق صغيرة منظمة متنوعة الأشجار والنباتات، بينما قضايا الشأن العام بجماهيرها ومتابعيها والمنخرطين فيها كمزارع شاسعة ينمو فيها محصول واحد بلا تنوّع أو هندسة أو تنظيم كاف، إن التنافس والصراع بين العام والخاص جعل قضايا الشأن العام تتسلح بقدر من "الهندسة والتنظيم" على الفيس بوك لتعوض الجماهيرية الكاسحة التي تحظى بها قضايا الشأن الخاص. ويشير ذلك إلى "عقول تتحرك" أو تحرك الأشياء بقدر من "النظام" في حالة الشأن العام، بينما هناك تحركات عريضة "عفوية" في حالة الشأن الخاص. وهذه النتيجة لابد أن تؤخذ في الاعتبار من قبَل المعنيين بهذه القضايا جميعاً، سواء كانوا من المسؤولين الرسميين وغير الرسميين، أم من قبَل الباحثين في مجالات السياسة والاقتصاد والاجتماع والتعليم والأمن وغيرها من المجالات التي تتماسّ معها على أي مستوى من المستويات.

التنافس بين العام والخاص جعل قضايا الشأن العام تتسلح بقدر من "الهندسة والتنظيم" على الفيس بوك، من أجل تعويض الجماهيرية الكاسحة التي تحظى بها قضايا الشأن الخاص، ويشير ذلك إلى أن ثمة "عقولاً تتحرك" أو تحرِّك الأشياء بقدر من "النظام" في حالة الشأن العام، بينما هناك تحركات "عفوية" واسعة في حالة الشأن الخاص.

السطحي والعميق.. والأفقي والرأسي

لم يتوقف اختلاف المواقف والتوجّهات نحو القضايا عند تقسيمها إلى قضايا الشأن العام والشأن الخاص، أو عند الانتشار الظاهري والانتشار الفعلي، بل تعداها إلى الاختلاف عمق التعامل مع هذه القضايا؛ فالأرقام تكشف أنه كان هناك ميل من الجمهور نحو التعامل مع الكثير من القضايا تعاملاً سطحياً، والتعامل مع الكثير من الأخرى تعاملاً عميقاً، الأمر الذي جعل حركة قضايا التعامل السطحي في الفضاء الرقمي تبدو كحركة أفقية خفيفة سريعة، وحركة قضايا التعامل العميق تبدو كحركة رأسية متثاقلة بطيئة. والمعيار الحاسم في هذا التمايز هو مستوى "تفريع" القضايا وتفتيتها إلى قضايا فرعية والولوج إلى تفاصيلها وفروعها من قبَل من يكتبون أو يعلقون ويتابعون، وليس فقط الوقوف عند صورتها الإجمالية.

تفاوت "تدويني" بين الأصل والفروع

في هذا السياق تشير الأرقام في مجال المدوَّنات مثلاً إلى وجود تفاوت واضح في مستوى اهتمام المدوّنين والجمهور لجهة البحث عن فروع بعض القضايا الرئيسية، فقد وصل الأمر في بعض القضايا إلى البحث عن أسماء بعينها، بحيث أصبح اسم شخص ما مثل " لاعب كرة، ممثلة، رئيس، ملك، مرض، عملة، أديب، كاتب.. إلخ" في حد ذاته قضية يتم الاهتمام بها والتدوين حولها بتدوينات مختلفة، والرد عليها بتعليقات أكثر تنوعاً.

وعند ترتيب القضايا الـ 54 الرئيسية طبقاً



لعدد تصنيفاتها الفرعية التي كُتب فيها أو علِّق عليها المدوّنون والجمهور، اتَّضح أن المطربين يحتلون مركز الصدارة من حيث حرص المدوّنين والجمهور على تتبّع القضايا الفرعية المتعلقة بهم، يليهم في المركز الثاني قضايا الطب والصحة، ثم القضايا الاقتصادية، ثم الممثلين والممثلات، والبيئة والموارد، والأدب والثقافة، والتربية والتعليم، وقضايا الصراع العالمي، والقضايا الدينية، ثم العلوم في المركز العاشر.

أما القضايا التي حظيت بأدنى اهتمام من حيث الرغبة في الغوص داخل تفريعاتها وتفاصيلها، فهي بحسب الترتيب التنازلي: إدارة، مذهبية، اتفاقيات سلام، إرهاب وتطرف، فضائح، أزمات عالمية، اتفاقيات دولية، أقليات، نصائح وإرشادات، خدمات.

وعند النظر إلى أعداد التدوينات والتعليقات على مستوى القضايا الفرعية، تبدو الصورة متقاربة، إلى حدّ ما، مع ما هو قائم على مستوى القضايا الرئيسية؛ فقضية تحميل ومشاهدة الأفلام والأغاني تأتي في المركز الأول من حيث عدد المدوَّنات التي تهتم بها، وتتصدر جميع القضايا الفرعية التي وصل عددها إلى 694 **قضية**، وهي قضية مصنفة تحت قضية رئيسية هي "أفلام وسينما" التي تضم تحتها 18 **قضية** فرعية، نجد في الوقت نفسه أن الأفلام والسينما – كقضية رئيسية – كانت في المركز الأول أيضاً من حيث عدد المدوَّنات.

على المنوال نفسه سارت القضايا التي أحتلّت باقي المراكز العشرة الأول في قائمة القضايا الفرعية التي اهتمت بها المدوَّنات، فمثلاً، في المركز الثاني جاءت قضية الأنبياء والرسل، والمصنفة مع 24 **قضية** أخرى تحت قضية رئيسية هي "القضايا الدينية" التي سبق أن احتلّت المركز الثالث بعد الأفلام والرياضة في قائمة القضايا الرئيسية. وبعد ذلك نجد قضايا فرعية أخرى مثل الفرق الرياضية والحب والإبداع الفنّي والأدبي والإنترنت والصحف اليومية، وجميعها تحتل المراكز نفسها تقريباً التي أحتلّتها القضايا الرئيسية. (راجع قائمة القضايا الفرعية العشرة الأكثر اهتماماً من قبل المدوَّنات في **جدول** "8").

عدم اهتمام بتفاصيل نصف قضايا المنتديات

وفي المنتديات وُجد أن هناك مجموعة مكوّنة من 26 قضية، أي ما يقارب نصف عدد القضايا التي أثيرت داخل المنتديات (وعددها 53 **قضية**)، وصل فيها عدد القضايا الفرعية التابعة إلى 141 **قضية** فرعية، فقط أي حوالى ربع إجمالي القضايا الفرعية التي أثيرت عبر المنتديات (وعددها 482 **قضية**) وهذا دليل آخر على أن أعضاء وجماهير هذه المنتديات كانوا غير مكترثين بهذه القضايا وغير مهتمين بالخوض في تفاصيلها.

أما الفيس بوك فكان أقرب إلى مسرح واسع للتقسيمات الفرعية؛ فالعدد الإجمالي للقضايا الفرعية يصل إلى 761 **قضية**، وهو رقم يزيد كثيراً عن التقسيمات الفرعية في كل من المنتديات والمدوَّنات، ويجسد ميلاً واضحاً لدى مستخدم الفيس بوك إلى التنويع والتقسيم، وربما إلى التفتيت الشديد للقضايا الرئيسة. لكن ظاهرة الميل للتفتيت والتخصيص في المناقشة لا تسري بوتيرة واحدة على كل من قضايا الشأن العام والشأن الخاص على الفيس بوك، بل تتخذ منحىً مميزاً لدى كل منهما؛ فقضايا الشأن العام يندرج تحتها المزيد من القضايا الفرعية، خلافاً لما هو شائع في قضايا الشأن الخاص؛ فقضية المؤسّسات السياسية يندرج تحتها 21 تقسيماً فرعياً، على الرغم من أنها تحظى بـ 0.6 % من إجمالي المشاركات والمتابعات على الفيس بوك، في حين أن قضية الخواطر والمشاعر تضم تصنيفين فرعيين على الرغم من كونها تحظى بنصيب الأسد من

القضايا التي حظيت بأدنى اهتمام، من حيث الرغبة في الغوص داخل تفريعاتها وتفاصيلها، هي بالترتيب التنازلي: قضايا الإدارة، المذهبية، اتفاقيات السلام، الإرهاب والتطرف، الفضائح، الأزمات العالمية، الاتفاقيات الدولية، الأقليات، نصائح وإرشادات، خدمات، إلخ...

في المنتديات ثمة مجموعة مكوَّنة من 26 قضية أساسية أي نصف عدد القضايا التي أثيرت داخل المنتديات، وصل فيها عدد القضايا الفرعية التابعة لها إلى 141 قضية فرعية فقط، أي حوالى ربع عدد القضايا الفرعية التي أثيرت عبْرَ المنتديات، وعددها 482 قضية، وهذا دليل آخر على أن أعضاء هذه المنتديات وجماهيرها كانوا غير مكترثين بهذه القضايا.

> استخدم الجمهور العربي ثلاثة أنواع من التفاعل في الفضاء الرقمي التفاعلي: الأول التفاعل الملاحي الذي يتمّ من خلال التجوال أو الملاحة في صفحات المواقع ومحتوياتها المختلفة، باستخدام أزرار الصفحة التالية والعودة إلى البداية أو تصفح من خلال القوائم والروابط النشطة، ولعل أبرز دليل على ذلك هو أن القضايا الثلاث والخمسين التي تم رصدها ظهرت في قنوات النشر الثلاث ما بين المدوَّنات والمنتديات والفيس بوك بنسب ليس بينها تفاوت كبير.

المشاركات أي (43.13 %).

حققت قضايا الاقتصاد سمة أخرى، وهي أنها تمثل مساراً رأسياً في الانتشار والجماهيرية على الإنترنت. يتضح ذلك من أن ما ينتج أو ينشر حولها من محتوى، هو من الثراء بحيث أفرز أو استوعب 29 موضوعاً فرعياً، وفي ذلك دلالة على أن الجمهور القليل نسبياً الذي يتناول قضايا الاقتصاد يغوص فيها رأسياً ويقسمها إلى ما هو أصغر.

الندية والتبعية بين من يكتبون ويقرأون

بناء على الأرقام الخاصة بالتعليقات والردود والمتابعات الصادرة على ما كتب من تدوينات ومشاركات، يمكن القول إن الفضاء التفاعلي الرقمي قد منح الجمهور العربي قدراً كبيراً من "التمكين" والسيطرة على تحركاته وخياراته، وإن الجمهور تجاوب مع هذه الميزة النسبية وقام باستغلالها وتوظيفها بوضوح.

ففي وسائل التواصل التقليدية – كالصحافة المطبوعة مثلاً – كانت مساحة الحركة والتفاعل الوحيدة بين القارىء والجريدة هو النظر إلى المادة التي تستهويه ثم القراءة، وتقليب الصفحات للأمام والخلف، وفي التلفزيون كان يجلس ويتلقّى بسلبية كل ما يُذاع، وإن كانت هناك محاولات لنشر ما يُعرف بالتلفزيون التفاعلي، لكن في الفضاء التفاعلي الرقمي يبدو واضحاً أننا أمام مستوى غير مسبوق من التفاعل، يبدأ بمجرد البحث في مجموعة من النصوص والاختيار من بينها، وينتهي بإمكان توجيه الأسئلة المباشرة والفورية للطرف الآخر أو مصدر المعلومة نفسه، أو التدخل للمشاركة في صناعة محتوى أو معلومة جديدة، تتعلق بقضية ما، أثناء القراءة والتصفح، من خلال إبداء الملاحظات أو المشاركة في استطلاعات الرأي والحوارات مع الآخرين حول ما يقرأ.

ثلاث أدوات للتفاعل الجماهيري

عملياً تدلُّ الأرقام السابقة على أن الجمهور العربي استخدم ثلاثة أنواع من التفاعل في الفضاء الرقمي التفاعلي: الأول، هو التفاعل الملاحي، الذي يتم من خلال التجوال أو الملاحة في صفحات المواقع ومحتوياته المختلفة باستخدام أزرار الصفحة التالية والعودة إلى البداية أو تصفح من خلال القوائم والروابط النشطة، ولعل أبرز دليل على ذلك هو أن القضايا الثلاث والخمسين التي تم رصدها ظهرت في قنوات النشر الثلاث (المدوَّنات والمنتديات والفيس بوك) بنسبٍ ليس بينها تفاوت كبير.

التفاعل الثاني هو التفاعل الإجرائي عبر التواصل مع القائم بنشر المقترح أو القضية، بواسطة الدردشة الفورية أو الإحالة للوصلات النشطة أو قوائم الحوار والنقاش، ثم التفاعل التكيفي، من خلال تكييف المادة المقدمة عبر الموقع طبقاً للاحتياجات الشخصية للجمهور والتفضيلات الخاصة به. وفي هذا النوع تكون المشاركة أعلى، وتكون سلطة الجمهور على ما يصله من معلومات أقوى. وقد قادت هذه الأنوع المختلفة من التفاعلات إلى حيازة الجمهور قدر لا يستهان به من "التمكين"، أو القدرة على بسط نفوذه على المادة المقدمة، من خلال الاختيار ما بين الصوت والصورة والنص الموجود مع المحتوى الخاص بالقضية. والنتيجة النهائية لذلك أن الجمهور برز كندٍّ قويٍّ ومستقل الحركة عمَّن يقومون بإنتاج المحتوى وطرح القضايا للنقاش. وقد لوحظ أن حركة الجمهور كانت في بعض الأحيان متعارضة مع توجهات من يطرح القضية. وفي أحيان أخرى كان للجمهور وجهة نظر وتحركات أكثر نضجاً من الذين قاموا بطرح القضية وإنتاج تدوينات أو مشاركات حولها.

والشواهد على ذلك كثيرة، منها أن جمهور المدوَّنات الذي كتب تعليقات على التدوينات قدم نمطاً مختلفاً من القضايا التي انشغل

بها. وقد غير هذا النمط ترتيب القضايا وقدَّم شيئاً مختلفاً عمّا أظهرته التحليلات في ترتيب القضايا في كلٍّ من المدوَّنات والتدوينات، ففي صدارة قائمة القضايا التي تستحوذ على أكثر قدْرٍ من التعليقات من جانب الجمهور، جاءت قضية الخواطر الشخصية والفردية. وذلك على الرغم من أنها كانت في المركز الرابع من حيث عدد المدوَّنات التي اهتمت بها، وفي المركز الخامس من حيث عدد التدوينات التي كتبت حولها. تكمن أهمية هذا الترتيب في أنها تقدِّم مؤشراً قوياً على مدى جماهيرية ما يكتبه المدوِّن ومستوى اهتمام الجمهور العام وانشغاله بالقضية محل التدوين، أو إهماله لها.

الرأي والتعليق بعيد عن الفضائح والممثلين

ما أمكن ملاحظته في هذا السياق هو أن الجمهور العام المهتم بإبداء الرأي والتعليق على القضايا المُثارة على المدوَّنات هو جمهور قليل الاهتمام بالفضائح والممثلين والممثلات، مقارنة باهتمامة بالخواطر، والقضايا الدينية، والأدب والثقافة، وقضية فلسطين وإسرائيل، والمؤسَّسات السياسية في **الوطن العربي**، ولعلَّ هذه النتيجة تبعث برسالة تؤكد أن جمهور مجتمع التدوين العربي يتمتع بقدر جيد من النضج في اختيار القضايا التي تشغله ويسعى إلى التعليق عليها ومتابعتها، كما تؤكِّد أنه مختلف وربما متميِّز عن الصورة النمطية السائدة عن جمهور الإنترنت العربي، والتي عادة ما تصوِّر جمهور الإنترنت العربي – جملةً وتفصيلاً – بأنه يميل إلى القضايا الهامشية والترفيهية. ويمكن القول إن خيارات جمهور المدوَّنات حيال القضايا التي تشغله ربما كانت أكثر نضجاً من المدوِّنين ومن يكتبون التدوينات أنفسهم في بعض الأحيان كما تُظهر نتائج التحليل.

وقد أظهرت البيانات الواردة في بعض الجداول السابقة أنه قد يكون للمدوِّن رأيٌ أو اهتمامٌ بقضية ما فيضعها على المدوّنة، لكنه سرعان ما لا يجد في نفسه الدافع أو الحماس لاستمرار التدوين حولها. ويحدث الشيءُ نفسه لدى الجمهور الذي قد يرى ما لا يراه المدوِّن من اهتمام، فتزيد تعليقاته على تدوينه أو على قضية قد لا يعطيها المدوِّن الاهتمام نفسه. وهذا معناه أن المدوِّنين والجمهور لا يسيرون على هوى بعضهم البعض في ما يتعلق بالقضايا التي تشغل البال، بل يسود بينهم تنوُّعٌ واضح سواء في اختيار القضية أم في فترة الاهتمام بها.

جمهور المتلقين أكثر نضجاً من الذين يكتبون

في المنتديات، تشير الأرقام إلى أن من قاموا بكتابة المشاركات وطرح القضايا وانتجوا المحتوى اهتموا وركزوا على السينما والأغاني والنصائح والإرشادات وغيرها من القضايا التي سبق تصنيفها على أنها من قضايا "الشأن الخاص". أما الجمهور الذي تابع وعلق وشارك فقد اهتم بقضايا سبق تصنيفها بين قضايا "الشأن العام"، وكان في مقدمتها التنمية والاقتصاد والصناعة والتربية والتعليم. وهذا معناه أن خيارات الجمهور في التعامل مع القضايا كانت أكثر نضجاً ووعياً بكثير من خيارات أعضاء المنتديات وهم يكتبون ويثيرون القضايا هنا وهناك. ولعلَّ من الإيجابي أن تكون قضايا التنمية والاقتصاد فرسيّ الرهان اللذين يتنافسان على اهتمامات جمهور كتب 29 **مليوناً** و600 **ألف** تعليق خلال العام 2010، وهذا يقدّم مؤشراً على بدايات حدوث نوع من التعقل والنضج في تعامل الجمهور العربي العريض مع المحتوى المقدَّم إليه عبر الإنترنت، وأن الجمهور قد بدأ يمتلك صفة "التمكين" والتحرّك المستقل.

> الجمهور العام المهتم بإبداء الرأي والتعليق على القضايا المُثارة على المدوَّنات هو جمهور قليل الاهتمام بالفضائح والممثلين والممثلات، مقارنةً باهتمامة بالخواطر والقضايا الدينية والأدب والثقافة وقضية فلسطين وإسرائيل والمؤسَّسات السياسية في الوطن العربي.

> أظهرت البيانات الواردة في بعض الجداول أنه قد يكون للمدوِّن رأيٌ أو اهتمام بقضية ما، فيضعها على المدوّنة، لكنه سرعان ما لا يجد في نفسه الدافع أو الحماس لاستمرار التدوين حولها. نجد الشيءَ نفسه لدى الجمهور الذي قد يرى ما لا يراه المدوِّن من اهتمام، فتزيد تعليقاته على تدوينة أو على قضية قد لا يعطيها المدوِّن الاهتمام نفسه.

وجوه متعددة لجمهور واحد

على الرغم من أن جمهور الفضاء الرقمي التفاعلي يتسم بقدر كبير من التشابك ويشترك في الكثير من الصفات والاهتمامات، إلا أنه ظهر بوجوه عدّة تختلف باختلاف القضية التي يختارها، أو بطبيعة سلوكه على قناة النشر التي ينشط ويتفاعل داخلها.

وفي هذا السياق تقدمّ المدوّنات الكثير من الدلائل على حالة الظهور بأكثر من وجه، أو بأوجه غير متوقعة من جانب الجمهور، فقد لوحظ مثلاً أن نمط توزيع القضايا يتغير من مركز لآخر ومن فئة لأخرى بصورة لافتة؛ فالقضايا الدينية ظهرت كأكبر قضية كُتبت حولها تدوينات وخصّصت لها مدوّنات، لكنها ليست كذلك بالنسبة إلى كل فئات المدوّنين؛ فقد ظهرت كأولوية أولى لدى سبع فئات فقط من بين 18 **فئة**، وظهرت كأولوية ثانية لدى **فئتين** فقط، ثم أخذت تضمحل بعد ذلك لتتقدم عليها قضايا أخرى لدى فئات أخرى. ومعنى ذلك أن المدوّنين الذين يهتمون بالقضايا الدينية يتّسمون بغزارة الإنتاج والتركز داخل فئات أقلّ من المدوّنين، فيما المدوّنون الذين يهتمون بالقضايا الأخرى موزعون على عدد كبير من الفئات، وتدويناتهم أقلّ عدداً وحرصاً على مواصلة التدوين، وهو أمر ربما يعكس قدْراً أكبر من التنظيم والمثابرة، لدى من يهتمون بالقضايا الدينية، مقارنة بنظرائهم الذين يهتمون بالقضايا الأخرى.

> قضايا الخواطر والعواطف الإنسانية داخل المدوّنات هي الرابعة من حيث عدد التدوينات؛ ومع ذلك، فقد سجّلت حضوراً لا بأس به في المركز الأول والثاني لدى عدد من فئات المدوّنين يعادل أو يتفوّق على الفئات المهتمة بالقضايا الدينية. وما ينطبق على الخواطر والقضايا الدينية نجده بصورة أوضح في قضايا أخرى مثل فلسطين التي تعتبر في المركز الثامن من حيث عدد التدوينات.

وتقدّم قضايا الخواطر والعواطف الإنسانية داخل المدوّنات مثالاً آخر، فهي الرابعة من حيث عدد التدوينات التي حصلت عليها. ومع ذلك، فإنها سجّلت حضوراً لا بأس به في المركز الأول والثاني لدى عدد من فئات المدوّنين يتساوى أو يتفوّق على الفئات المهتمة بالقضايا الدينية. وما ينطبق على الخواطر والقضايا الدينية موجود بصورة أوضح في قضايا أخرى مثل **فلسطين** التي تعتبر في المركز الثامن من حيث عدد التدوينات. لكنها ظهرت في المركز الثالث لدى بعض الفئات.

ملفات تفضيلات خاصة بالعاطلين عن العمل ورجال الأعمال

تكشف التحليلات وجودَ حالة من الظواهر غير المتوقعة من جانب فئات المدوّنين في الاهتمام بالقضايا المشتعلة في مجتمع التدوين العربي؛ فملف تفضيلات فئة رجال الأعمال مثلاً يتضمّن في بنوده العشرة الأول قضايا الصحة، والتلفزيون، والفضائيات، والأفلام، والمطربين، والخواطر، والممثلين والممثلات، والرياضة، فيما يتقهقر اهتمامهم بقضايا الاقتصاد، والبيئة، والموارد، والإنترنت والمعلوماتية، والتنمية، والتعليم، والصناعة، والقوانين، والتجارة، والزراعة، والثروة الحيوانية، إلى ذيل الاهتمامات التي تحتل المراكز ما بين السابع عشر والثاني والخمسين. يشير هذا الملف إلى أن فئة رجال الأعمال ترى في التدوين وسيلة من وسائل الترفيه والراحة وتمضية الوقت، فتركز على ما يغذّي احتياجاتها الاستهلاكية والمزاجية، ولا تتعامل بالجد الكافي مع ما يتصل بأعمالها وأدوارها من قضايا.

هناك أيضاً العاطلون عن العمل الذين يضعون **قضية فلسطين** كأولوية أولى ضمن تفضيلاتهم، فيما كان من المنطقي أن يكون تدوينهم له علاقة بالاقتصاد والإنتاج والتوظيف وغيرها من المجالات ذات الصلة بأزمتهم في البحث عن عمل، كذلك يظهر عند الإداريين والمهتمين بالتنمية البشرية ما هو غير متوقع، على شاكلة ما تبيّن لدى رجال الأعمال: فالرياضة هي اهتمامهم الأول، ثم يأتي الأدب والثقافة، ثم التلفزيون والفضائيات. لكن القضايا التي كان يتوقع أن تستأثر باهتمامهم جاءت في مراكز متأخرة، مثل قضية التنمية التي جاءت في المركز السابع عشر من قائمة اهتمامهم، وقضية التربية والتعليم في المركز العشرين.

فئات مختلفة بأكثر من وجه

تنسحب حالة الظهور بأكثر من وجه على الباحثين والمتخصّصين في البحث العلمي الذين كانت أولويتهم الأولى التدوين في الأدب والثقافة بدلاً من العلوم؛ وعلى التشكيليين الذين بدلاً من أن يركزوا تدويناتهم في الفنون، أعطوا الأولوية الأولى للتدوين في المؤسّسات السياسية؛ وعلى المحامين الذين تراجع لديهم الاهتمام بالتدوين في القوانين الى المركز الخامس والعشرين، وأعطوا المراكز الأولى للأدب، والفنون، والرياضة، وإسرائيل، وعلى المدرِّسين وموظّفي التعليم، الذين تراجع لديهم الاهتمام بقضايا التعليم إلى المركز الثالث عشر، وقدّموا عليه القضايا الدينية، والرياضة، والخواطر، والأدب والثقافة.

وإذا ما نظرنا إلى قنوات النشر الأخرى، عبْرَ مقارنة المدوّنات بالمنتديات في هذه النقطة، يبدو أن مجالات المجتمع والسينما والأفلام والأغاني تحظى بأكبر عدد من المنتديات، في حين أن العدد الأكبر من المدوّنات كان يتركّز في مجال الإنترنت والمعلوماتية والتعليم ثم الاتصالات والإعلام ثم الهندسة. ممّا يكشف عن اختلاف بين اختيارات الإنسان الفرد في العالم العربي، حينما يتحدث أو يُفصح عن رأيه، من خلال قناة نشر تخصّه وحده هي المدوّنة، وبين اختيارات العقل الجمعي، الذي ينشأ في ظل قناة مغايرة تعتمد على المشاركة الجماعية هي المنتديات، وفيها يتّجه الاهتمام إلى مجالات ذات علاقة بالشأن المجتمعي المشترك أو الترفيه، كقاسم مشترك يمكن أن يجتمع حوله "العقل الجمعي" لمجموعة المشاركين في المنتدى. يشير هذا الاختلاف إلى تفضيل "النزعة التخصصية" لدى مجتمع التدوين، وتفضيل "النزعة الاجتماعية الترفيهية العامة" لدى مجتمع المنتديات. وما يؤكد ذلك أن المجالات الخمسة الأقلّ انتشاراً، والتي جاءت في المراكز الأخيرة، هي: منتديات الطرائف، والصناعة، والقانون، والزراعة، والثروة الحيوانية، والإدارة.

مساحة للآفاق بين الفيس بوك والمنتديات والمدوّنات

مستخدمو الفيس بوك يتّفقون مع مستخدمي المنتديات والمدوّنات في العديد من القضايا، سواء من حيث محتوى الاهتمام أم من حيث مستوى التقسيم الفرعي. في هذا الصدد، تطرح القضايا السياسية نفسها كنموذج "للاتفاق"، حيث تحتل هذه القضية لدى مستخدمي الفيس بوك مركزاً متواضعاً، نسبياً، وتحظى باهتمام شريحة ضئيلة من المستخدمين تقدَّر بـ 0.74 % من إجمالي العيِّنة، لكنها في الوقت نفسه تبدو غزيرة من حيث التصنيفات الفرعية كما كانت الحال في المدوّنات والمنتديات، حيث تتضمن الاحتجاجات، والمظاهرات، وإصلاح النظام، والإصلاح السياسي، والانتخابات التشريعية والديمقراطية، والتعديلات الدستورية، والثورات، والحرية، وحقوق العمال، وملف التوريث، وغيرها.

> يضع العاطلون عن العمل قضية فلسطين كأولوية أولى ضمن تفضيلاتهم، فيما كان من المنطقي أن يكون تدوينهم له علاقة بالاقتصاد والإنتاج والتوظيف وغيرها من المجالات ذات الصلة بأزمتهم في البحث عن عمل. كذلك نجد عند الإداريين والمهتمين بالتنمية البشرية ما هو غير متوقع؛ فالرياضة هي اهتمامهم الأول، ثم يأتي الأدب والثقافة، ثم التلفزيون والفضائيات.

وجه مميز لكل قضية

أما الأخذ بأوضاع كل قضية على حِدَة، في قنوات النشر الثلاث، فيُظهر أن الجمهور يمنح كل قضية وجهاً مميزاً، لتتعدد أوجه القضايا وتتغير ملامحها، فتظهر إحداها كقضية مدوّنات، وتظهر ثانية كقضية منتديات، وتظهر ثالثة باعتبارها نجماً على الفيس بوك.

وهناك العديد من الأمثلة الدالّة على ذلك؛ منها، مثلاً، أن قضية الثقافة والفكر والأدب ظهرت كقضية مدوّنات بالدرجة الأولى، وهي نتيجة أقرب إلى المنطق والتوقع، لأن القضايا الفكرية والثقافية تحتاج بطبيعتها إلى تمهُّل ورويَّة وقدْر من الصبر لمتابعتها وفهمها والمشاركة في النقاش الدائر حولها. وهذا يناسب المدوّنات كقالب نشر طويل النفس، أكثر ممّا يناسب المنتديات ذات "السرعة"

> تطرح القضايا السياسية نفسها كنموذج "للاتفاق"، حيث تحتل هذه القضية لدى مستخدمي الفيس بوك مركزاً متواضعاً، نسبياً، وتحظى باهتمام شريحة ضئيلة من المستخدمين، لكنها في الوقت نفسه تبدو غزيرة من حيث التصنيفات الفرعية كما كانت الحال في المدوّنات والمنتديات، حيث تتضمن الاحتجاجات، والمظاهرات، والإصلاح والديمقراطية، وحقوق العمال، وملف التوريث، وغيرها.

> تشابهت قضية إسرائيل مع قضية الثقافة والأدب، في كونها قضية مدوَّنات، وليست قضية منتديات أو فيس بوك، سواء من زاوية مستوى إنتاج المشاركات، أم من زاوية المحتوى المتعلق بالقضية، أم من زاوية مستوى القبول الجماهيري والانجذاب إلى ما كتب ونشر، أم من زاوية الاهتمام بها عبر شهور السنة المختلفة.

> برزت قضايا الاقتصاد كقضية "منتديات" أكثر منها قضية مدوَّنات أو صفحات فيس بوك، فعلى الرغم من ضآلة عدد المشاركات التي كُتبت حولها، فإن الإقبال الجماهيري عليها قدم مستوىً أكثر من جيّد، أو رفيع، سواء من حيث نصيبها من إجمالي التعليقات، أم من حيث نصيب المشاركة الواحدة من مرات التعليق.

"المتوسطة" في الأخذ والرد والكتابة والتعليق، وأكثر ممّا يناسب الفيس بوك ذا "السرعة الأعلى" في العرض والتناول والمناقشة.

تشابهت **قضية إسرائيل** مع قضية الثقافة والأدب في كونها قضية مدوَّنات، وليست قضية منتديات أو فيس بوك، سواء من زاوية مستوى إنتاج المشاركات أم من زاوية المحتوى المتعلق بالقضية أم من زاوية مستوى القبول الجماهيري والانجذاب إلى ما كتب ونشر، أم من زاوية الاهتمام بها عبر شهور السنة المختلفة. ففي كل هذه الزوايا ظل مجتمع المدوَّنات هو الأعلى إنتاجاً والأكثر جذباً للجماهير طوال العام. أما المنتديات والفيس بوك فقد سلكت سلوكا معاكساً مفادُه عدم الاهتمام بالقضية طوال العام.

أما **قضية حرية التعبير** فتوزَّعَ نشاطُها المتوسط أو الضعيف على الفيس بوك والمنتديات، ولم يتركّز في المدوَّنات. ولعل ذلك يعود إلى أن الأجيال المستخدمة للمنتديات والفيس بوك التي تتركز في معظم الأحوال في الفئات العمرية الأقل سناً وتعليماً، تجذبها هذه القضية وتجعلها تشارك في مناقشاتها وتعلّق على مجرياتها بأكثر ممّا يحدث في قضايا الفكر والثقافة.

أما **قضايا الاقتصاد** فقد برزت كقضية "منتديات" أكثر منها قضية مدوَّنات أو صفحات فيس بوك، فعلى الرغم من ضآلة عدد المشاركات التي كتبت حولها، فإن الإقبال الجماهيري عليها قدم مستوىً أكثر من جيّد، أو رفيع، سواء من حيث نصيبها من إجمالي التعليقات، أم من حيث نصيب المشاركة الواحدة من مرات التعليق. كانت المشاركة الواحدة تجذب أكثر من 400 تعليق في المتوسط، وهو ما يدل على أن قضايا الاقتصاد مقبولة وجاذبة إلى حدّ كبير على المنتديات، وأن الجمهور على استعداد للتفاعل والتواصل مع ما يُكتب. أما على المدوَّنات والفيس بوك، فأداؤها يبدو نمطياً شبيهاً بما رأيناه في قضايا حرية التعبير وإسرائيل.

شريحة صغيرة ونشطة في قضية التعليم

من الملاحظ أن قضية التعليم قضية ضعيفة أو ضئيلة الاهتمام. لكن اللافت للنظر أن الشريحة الصغيرة المهتمة بها تبدو نشطةً وحيَّةً على المنتديات بالذات. يتَّضح ذلك من التفريعات الكثيرة التي تمضي فيها مسارات المناقشة في القضية، والتي وصلت إلى 21 مساراً. وكذلك مستوى الجماهيرية الذي وصل إلى المرتبة الأولى والثانية في ستة بلدان. أما في المدوَّنات والفيس بوك فأوضاعها صعبة، كما أنها من القضايا الموسمية التي يتفاوت الاهتمام بها عبر شهور السنة المختلفة، وتزداد درجة الإلحاح عليها والانجذاب إليها، مع موسم العودة إلى المدارس، الأمر الذي يدفع إلى القول بأن اهتمامات الفضاء الرقمي العربي بهذه القضية لا يتناسب مع أهميتها البالغة لحاضر ومستقبل التنمية الإنسانية والبشرية في الوطن العربي.

ظهرت القضايا الاجتماعية باعتبارها قضية "فيس بوك" بالأساس، حيث تحتل فيه مركزاً متقدماً هو المركز الرابع، وتحظى فيه بمعدل حضور مستقر طوال العام، فضلاً عن كونها تحتل مراكز بين القضايا العشر الأولى على الفيس بوك، في ستة بلدان عربية. ومن الملاحظات المهمة أيضاً أن هذه القضية تبرز فيها بلدان قلَّما أحتلّت مكانةً متقدمة، في معظم القضايا، مثل **موريتانيا** التي ظهرت منتدياتها باعتبارها الأكثر اهتماماً بهذا النوع من القضايا، وتراجعت **مصر والسعودية** في هذه القضية إلى مراكز متأخرة.

العلانية والتخفّي في تناول القضايا

تلعب ثقافة المعلومات وكيفية التعامل معها عبر الإنترنت دوراً مهمّاً في مستوى جودة البيانات المتاحة عن المحتوى المنشور على الشبكة. كما تلعب الدور الحاسم في تحديد مناطق "الغموض والفراغ المعلوماتي"، التي عادة ما تواجه فرق البحث، التي تدرس وتحلّل المحتوى الرقمي على الشبكة.

> ثقافة المعلومات هي مزيج من الأفكار والتصورات والسلوكيات والتوجهات العامة، التي تتحرك فوق خلفية معرفية تجعل كل فرد أو طرف على وعي بكيفية التعامل مع المعلومات، ومتى يتم إعطاء المعلومة، ومتى يتعيَّن حجبُها، ولمَن تُمنح المعلومة، وعمَّن تُمنَع، وكيف تُنتَج المعلومة، وكيف تُعرف جودتُها.

يمكن تعريف ثقافة المعلومات بأنها مزيج من الأفكار والتصورات والسلوكيات والتوجهات العامة، التي تتحرك فوق خلفية معرفية تجعل كل فرد أو طرف على وعي بكيفية التعامل مع المعلومات، ومتى يتم إعطاء المعلومة، ومتى يتعيَّن حجبُها، ولمَن تُمنح المعلومة، وعمَّن تُمنَع، وكيف تُنتَج المعلومة، وكيف تُعرف جودتها، من حيث الحداثة، والتكامل، والدقة، والقابلية للاستخدام. يستوي في ذلك جميع أفراد المجتمع ومؤسساته.

مساحات للغموض والفراغ

في الكثير من خطوات البحث ومراحله، واجه الباحثون مساحات تعاني من الغموض أو الفراغ في البيانات والمعلومات المتعلقة بالقضايا المثارة ومن يثيرونها ويتابعونها ويشتركون في مناقشتها؛ فمثلاً، عند ذكر البيانات الدالَّة على البلد الذي تنتمي له وحدة التحليل، وجد أن من بين حوالي 12 ألف مدوَّنة، كان هناك أكثر من خمسة آلاف مدوَّنة لم يَذكُر أصحابُها البلد الذي ينتمون إليه. وفي الفيس بوك، كان هناك 72 ألف صفحة ومجموعة غير معروف انتمائها القُطري. كذلك، كان هناك دول اختار جميع مستخدمي الفيس بوك فيها عدمَ الإشارة إلى نوعهم (أو جنسهم)، ذكوراً كانوا أم إناثاً. في مقدمة هذه الدول **الإمارات والسعودية ولبنان وموريتانيا**. كما أن هناك مَن كتبوا عناوين غير واضحة. هؤلاء جميعاً جعلوا المعلومة الخاصة بنوعهم غير متاحة. وهناك دول اختار الغالبية الساحقة من مواطنيها عدم ذكر نوعهم، وهي مصر و**فلسطين والمغرب والأردن وتونس والكويت والبحرين والسودان واليمن والعراق**، حيث تراوحت نسبة من آثروا عدم ذكر نوعهم بين 99 % و91 %. وهناك مجموعة من الدول ظهرت فيها نسبة طفيفة من المواطنين توافقَ على ذكر نوعها صراحة وتتيحه للكافة من مستخدمي الفيس بوك، ومنها **سورية والجزائر** وقطر **وليبيا وعمان** والمقيمين في بلدان غير عربية، حيث تراوحت أرقام من صرحوا بهذه المعلومة بين 12 % و33 %.

مأزق في ثقافة المعلومات في الوطن العربي

مثل هذه الحالات وغيرها تشير إلى واقع غير صحي، يتعلق بثقافة المعلومات السائدة عبر الفضاء الرقمي التفاعلي العربي، وتدفع إلى القول بأنها ثقافة قائمة إما على الخوف الذي يقود إلى الحجب، أو على الجهل وعدم الوعي الذي يقود إلى التجاهل وتدني مهارة التعامل مع أدوات هذا الفضاء كما ينبغي، أو على الأقلّ كما هو سائد لدى العديد من المجتمعات الأخرى.

تنشأ ثقافة الخوف عن ضغوط ذات علاقة بالسياسة والأمن وغير ذلك من العوامل التي تدفع الكثير من النشطاء والمستخدمين إلى التخفّي خوفاً من الملاحقة. وقد تنشأ ثقافة الخوف عن ضغوط لها علاقة بالظروف الاجتماعية والدينية والعادات والتقاليد السائدة والتي تلعب دوراً كبيراً في منع المستخدمين من التخلي عن حالة الغموض التي يختارونها طواعية لأنفسهم. ولا يمكن نفي أن هناك شريحةً من المستخدمين تعي جيداً قضية إتاحة البيانات على الإنترنت وتَبِعاتها على حماية الحق في الخصوصية. وتمارس تلك الشريحة هذا النوع من التخفّي بناءً على ما وعته من مخاطر وتهديدات تمسُّ الخصوصية وأمن البيانات على الإنترنت.

الميل إلى التخفي اتجاه راسخ

إن الميل إلى التخفي وعدم إظهار المعلومات الدالة على الشخصية أو الهوية هو اتجاه راسخ

ثمة واقع غير صحي يتعلق بثقافة المعلومات السائدة عبر الفضاء الرقمي التفاعلي العربي يدفعنا إلى القول بأنها ثقافة قائمة إما على الخوف الذي يقود إلى الحجب، أو على الجهل وعدم الوعي الذي يقود إلى التجاهل وتدنّي مهارة التعامل مع أدوات هذا الفضاء كما ينبغي، أو على الأقلّ كما هو سائد لدى العديد من المجتمعات الأخرى.

لدى هؤلاء، ويتجسد في صور كثيرة، من بينها، على سبيل المثال، أن الصفحة تحدد لنفسها عنواناً أو تختار لنفسها مجالاً في ملف معلوماتها الأساسي على الفيس بوك، ثم تكتب وتناقش في قضايا أخرى مختلفة عن العنوان والمجال المختار، وربما مقطوعة الصلة به.

معظم الذين صرَّحوا بهذه المعلومة كانوا في الأصل ممّن حجبوا أو لم يذكروا المعلومة الخاصة بموطنهم أو دولهم، وهذا يدل على أنه كلما ارتفعت نسبة التصريح باسم الدولة التي ينتمي إليها المستخدم ارتفع معدل حجب المعلومة الخاصة بالنوع (ذكر/ أنثى)، والعكس صحيح. وهذا يعني أن يد المجتمع أكثر ثقلاً وتأثيراً وبطشاً، في قضية التصريح بالنوع، من تأثير وثقل وبطش السلطة أو الدولة على التصريح بمعلومة الوطن أو الدولة.

بيد أن اليد البطّاشة القوية للمجتمع في قضية التصريح بالنوع تخفي تحتها تنويعات واختلافات طفيفة لا بد من الإشارة إليها؛ فنحن حينما ننظر إلى ترتيب **الدول العربية** المختلفة من حيث الإفصاح عن نوع من يثيرون القضايا ويناقشونها على الفيس بوك، سنجد أن الليبيّات جِئْنَ في المرتبة الأولى في الإفصاح عن أنفسهن وهنَّ يناقشْنَ القضايا، تليهنَّ العُمانِيّات ثم الجزائريات ثم القطريات فالسوريةت، فالنساء العربيات، خارج **الوطن العربي**. وفي ذيل القائمة تأتي الموريتانيات واللبنانيات والتونسيات والسعوديات، فهؤلاء كتبْنَ عناوين غير واضحة.

تنشأ ثقافة الخوف عن ضغوط ذات علاقة بالسياسة والأمن وغير ذلك من العوامل التي تدفع الكثير من النشطاء والمستخدمين إلى التخفّي خوفاً من الملاحقة. وقد تنشأ ثقافة الخوف عن ضغوط ذات علاقة بالظروف الاجتماعية والدينية والعادات والتقاليد التي تلعب دوراً كبيراً في منع المستخدمين من التخلي عن حالة الغموض التي يختارونها طواعية لأنفسهم.

التوزيع الجغرافي محطة فراغ معلوماتي

ويمثل التوزيع الجغرافي محطة فراغ معلوماتي مهمة لدى مستخدمي الفيس بوك العرب، لأن 93.26 % منهم لا يذكرون بلدانهم صراحة وهم يسجلون بياناتهم في الملفات التعريفية للصفحات والمجموعات التي يُنشئونها على الموقع. أما النسبة الباقية التي ذكر أصحابُها أوطانَهم ودولهم، فهي أقلّ قليلاً من 8 %، وموزعة على 20 دولة عربية. وهناك نسبةٌ ضئيلة كتب أصحابُها أسماء دولهم وأوطانهم بطريقة غير واضحة أو بمفردات لا تعبّر عن شيء محدد مثل "الكون كله" "العالم الإسلامي" "أرض الله الواسعة" وغيرها، ثم مستخدمو الفيس بوك الذين ينتجون محتوى عربياً وهم غير مقيمين في **الدول العربية**، وسجلوا صفحاتهم ومجموعاتهم في البلدان التي يعيشون فيها.

على أي حال، كان المصريّون أكثر من ذكروا الدولة التي ينتمون إليها، يليهم السعوديون، ثم الأردنيون ثم السودانيون فأهل **فلسطين فالعراق وعمان والكويت**، وكان أقل العرب حرصاً على عدم ذكر أوطانهم صراحة هم اليمنيون يليهم الموريتانيون ثم البحرانيون والقطريون والجزائريون.

وبصورة عامة يمكن القول إن هذا الوضع الغامض يعكس، بدرجة أو بأخرى، ما كان يسود العالم العربي في العام 2010 من تضييق على الحريات، وبخاصة حرية التعبير، في الكثير من الدول. فالميل إلى التخفّي كان يشتد وينمو في المجتمعات أو الدول التي كانت تموج بتيارات رفض ومعارضة، يقابلها كبت وتضييق على الحريات وعلى الإنترنت من جانب الدولة أو السلطة. وسواء كان هذا التخفي فاعلاً أم غير فاعل في حماية صاحبه من تبعات مجتمعية أو أمنية أو سياسية أو غيرها، فالشاهد هنا أنه كان في نظر مستخدم الفيس بوك العربي وسيلة دفاعية أراد استخدامها، سواء حين يتفادى ذكر وطنه وذكر المجال الذي تنتمي إليه الصفحة والمجموعة، أم حين كان يختار مجالاً، ثم يكتب ويتواصل في غيره.

التوافق والخلل الجغرافي في محتوى القضايا

من الملامح الجديرة بالرصد داخل الفضاء الرقمي التفاعلي العربي الملمح الخاص بوجود



قدر من "التوافق الجغرافي" تجاه العديد من القضايا. بعبارة أخرى هناك مجموعة من القضايا التي تمثل قواسم مشتركة بين مختلف المجتمعات العربية، بغَضِّ النظر عن موقعها الجغرافي، في **الخليج** أم على **المحيط**، في **الشمال** أم **الجنوب**. ويؤكد ذلك أن الفضاء الرقمي يتمتع بدرجة عالية من الجدارة في تقديم صورة **للوطن العربي** واقعية، أو أقرب إلى الواقعية.

الاختيار الأول شبه موحد

وقد بدا ذلك واضحاً في الاختيار الأول الذي كان موحَّداً تقريباً في معظم بلدان **العالم العربي**، داخل المدوَّنات، تحت راية القضايا الدينية. فمن لم يختَرْه في المركز الأول وضعه في المركز الثاني بفوارق بسيطة. وفي الفيس بوك برزت ظاهرة "التساوي" في درجة الاهتمام بهذه القضية بين **الدول العربية** المختلفة. يعكس هذا الأمر حالةً من التساوي أيضاً في مستوى التديُّن والعمق الروحي للمواطنين العرب في مختلف البلدان، ويُثبِت أن الإيمان والتدين سمة عامة راسخة عند الغالبية العظمى من الشعوب العربية.

وقد رأينا ظاهرة التساوي واضحة للعيان أيضاً في بعض قضايا الترفيه والشأن الخاص ذات الجماهيرية الكبرى، مما يدل على أن الفضاء الرقمي التفاعلي يشكل مورداً ضخماً للغذاء الروحي والإيماني، جنباً إلى جنب مع كونه مورداً ضخماً للغذاء الوجداني الترفيهي، كما هي الحال في مثلث السينما والتلفزيون والرياضة. كما يدلّ على أن الشريحة المتابعة للقضايا الدينية في هذا الفضاء تعد نداً قوياً للشريحة الباحثة عن الترفيه؛ الأمر الذي يجعل في الصورة العامة لحركة العرب في الفضاء الرقمي التفاعلي على قدرٍ لا يستهان به من التوازن والتوافق في "التوزيع الجغرافي" لهذه القضايا.

وفي مقابل إعلاء القضايا الدينية تراجع العديد من القضايا المقابلة، كالجنس والفضائح واللهاث وراء المطربين والممثلات والفنانات وما إلى ذلك، وهو ما يعزز حالة الاتساق والقواسم المشتركة في مجتمع التدوين العربي بعامّة، ويجعله حاضناً للشيء وضدِّه في آن معاً، أو ما بين قُطر عربي وآخر، وهذه ظواهر معتادة في أشكال أخرى من المحتوى العربي على الإنترنت.

خلل جغرافي مقابل الاتساق الجغرافي

لكن ظاهرة الاتساق الجغرافي ليست وحدها على الساحة، بل هناك ظاهرة معاكسة هي "الخلل الجغرافي" التي تتسبب في تركيز شديد لفئة أو مورد ما أو قناة نشرٍ في بعض الأماكن. فيما يبدو أن الكثير من الأماكن الأخرى تفتقر إليها بشدة أو تعاني من غيابها كلية. وتتجسد هذه الظاهرة في نمط التوزيع الجغرافي للمدوَّنات؛ فهي إما في **مصر**، أو خارج **الوطن العربي**، بينما نصيب باقي **الدول العربية** الباقية مجتمعة يقل عن 25 في المائة منها. ولا يمكن إرجاع هذا الخلل إلى مجرَّد الكثافة السكانية العالية في **مصر**، مقارنة بالدول الأخرى، بدليل أن المدوَّنات الكويتية - وهي في بلدٍ قليل السكان - تتجاوز من حيث العدد مدوَّناتٍ بلدان يفوق العدد الإجمالي لسكانها عدد سكان **الكويت** بعدة أضعاف. وما يمكن الخروج به من هذا التوزيع هو أن مجتمعات التدوين العربية خارج **مصر والكويت والسعودية**، تعاني ضعفاً شديداً من حيث العدد، على الأقل فئة المدوَّنات التي ذكر أصحابها اسم البلد الذي ينتمون إليه.

وتُعَدُّ جماهيرية القضايا أو قدرتها على جذب الجمهور من أهم المجالات التي شهدت "الخلل الجغرافي"، فبحسب التحليلات، كانت هناك مجموعة من **الدول العربية**، في مجال المنتديات، تسلك فيها جماهيرية القضايا المُثارة مسلكاً تنازلياً منتظماً، أي أن تهبط

جماهيريتها مع مرور الوقت. وتتصدر **السعودية** هذا المسار، وتليها في هذا الاتجاه **العراق** ثم **المغرب** ثم **الإمارات**.

في المقابل، هناك مجموعة من **الدول العربية** تتَّخذ فيها جماهيرية القضايا منحنىً تصاعدياً منتظماً، وتتصدرها **مصر** ثم **السودان** ثم **الكويت فالأردن وقطر وفلسطين والبحرين**. وهناك مجموعة ثالثة من الدول شهدت استقراراً في جماهيرية القضايا بعامة، وهي **الجزائر وعمان واليمن وتونس وليبيا ولبنان وموريتانيا**.

ثنائي سعودي مصري يتصدر المشهد

نخرج من التقسيم السابق لاتجاهات جماهيرية القضايا في **الوطن العربي** بأن السعوديين والمصريين يقدمون ثنائياً متمايزاً يتصدَّر مشهد جماهيرية القضايا المُثارة، وبخاصة على المنتديات العربية؛ فالسعوديون هم أكثر من يكتب في القضايا المختلفة على المنتديات، وأكثر من يثير النقاش ويفتح الحوار. وهُم يحتلون في ذلك المركزَ الأول، وهُم ثاني من يجمع التعليقات حول ما يُكتب. لكن ما يكتبونه لا يحظى بأكبر قدر من الجماهيرية على مستوى المشاركة الواحدة. أما المصريون فيحتلون مركز الصدارة من حيث الجماهيرية على نحو أكثر توازناً من السعوديين؛ فما يكتبونه يحتلّ المركز الثاني، من حيث الكم بعد السعوديين. لكن ما يكتبونه يحتلّ المركز الأول، من حيث القدرة على جذب التعليقات في صورتها الإجمالية، كما يحتل المركز الأول في القدرة على جذب التعليقات لكل مشاركة على حدة.

يقدّم العراقيون والسودانيون والكويتيون تنويعاتٍ جماهيريةً متمايزة؛ فالسودانيون هُم سادس من يكتب ويثير القضايا لكنهم في المركز الثالث، من حيث حيازة التعليقات، والمركز الثاني، من حيث عدد التعليقات على المشاركة الواحدة. والكويتيون هم ثامن من يكتب، لكنهم خامس من يحظى بتعليقات، وثالث من تحوز مشاركاته قدراً كبيراً من التعليقات. والعراقيون هم ثالث من يكتب ويفتح النقاش، لكنهم يتراجعون للمركز الثامن عشر، من حيث القدرة على جذب الجماهيرية لما يكتبون. ويقترب منهم المغاربة في هذه الصفة، فهم خامس من يكتب، لكنهم في المرتبة الخامسة عشرة، من حيث القدرة على جذب الجماهير للتعليق على ما يكتبون.

خلاصة التحليل في هذا المحور، أن قضايا المنتديات هي صناعة سعودية في الأساس، والتعليقات استحقاق مصري واضح، لكن ملعب الجماهيرية يظهر فيه **السودان والكويت والأردن** كلاعبين أساسين في حصد الجمهور.

الكرُّ والفرُّ بين المرأة والرجل

عند مراجعة البيانات والمعلومات السابقة، من منظور أداء الذكور والإناث، أو المرأة والرجل، في الفضاء الرقمي التفاعلي العربي، نجدُ حالةً هي أقرب إلى الكر والفر بين الجنسين، في ما يتعلق باختيار القضايا محل الاهتمام، وبمستوى الحضور داخل قنوات النشر، ومستوى الإقبال على التعليقات والمشاركات والمناقشات.

ولو أُخذت نماذج مما يجري على الفيس بوك، لوجدَ أن هناك قضايا يتّسع فيها الفارقُ في الاهتمام، لمصلحة الرجال، استناداً إلى نسَبِ المشاركة، ومنها قضايا الصناعة واتفاقيات السلام والأزمات العالمية والرياضة والقضايا السياسية، وذلك في المراكز الخمسة الأولى؛ ففي هذه القضايا يتراوح الفارق لمصلحة الرجال بين 25.4 % و17.32 % في نسبة الاهتمام. أما القضايا التي تفوّقت فيها النساء على الرجال - ومنها الفضائح، والاتفاقيات الدولية، والزراعة، والثروة الحيوانية، والأسرة - فقد تراوحت نسَبُها بين 12.5 % و0.07 %، بينما كانت الفروق بين الفئتين ضئيلةً جداً في قضايا **إسرائيل**، والطب،

السعوديون هم أكثر من يكتب في القضايا المختلفة على المنتديات ويحتلون في ذلك المركزَ الأول، وهُم ثاني من يجمع التعليقات حول ما يُكتب. أما المصريون فيحتلون مركز الصدارة من حيث الجماهيرية على نحو أكثر توازناً من السعوديين؛ فما يكتبونه يحتلّ المركز الثاني، من حيث الكمّ بعد السعوديين، لكن ما يكتبونه يحتلّ المركزَ الأول، من حيث القدرة على جذب التعليقات في صورتها الإجمالية، كما يحتل المركز الأول في القدرة على جذب التعليقات لكل مشاركة على حدة.

والصحة، والمذهبية، والتنمية، والمطربين، والمناسبات، حيث تراوحت الفروق بين **نصف في المائة** و4.16 %. أما باقي القضايا فيمكن القول إن الفروق بينهما كانت متوسطة.

لوحظ أيضاً أن قضية الرياضة تحتل المركز الأول لدى الذكور. لكن الإناث لم يكترثن بها بالمقدار نفسه، ودفعن بها إلى الوراء، إلى المركز الثالث عشر. في المقابل، فإن قضية الطب والصحة التي كانت الأكثر تفضيلاً على الإطلاق لدى النساء، فمنحنها المركز الأول، لم تكن كذلك لدى الذكور، ولم يكترثوا بها بالمقدار نفسه، ودفعوا بها إلى المركز العاشر.

وقضية الإنترنت والمعلوماتية التي وضعها الذكور في المركز الثاني دفعت بها النساء إلى المركز العاشر. كذلك، فإن قضية الأدب والفكر التي جاءت في المركز الثالث لدى الذكور، تراجعت لدى الإناث إلى المركز السادس، وقضية النصائح والإرشادات التي رفعتها الإناث إلى المرتبة الثانية، هبط بها الذكور إلى المرتبة السابعة؛ وقضية التلفزيون والفضائيات التي تحتل المركز الرابع لدى الذكور، قذفت بها الإناث إلى الوراء لتسكن المركز السابع عشر، وقضية الخواطر التي وضعتها الإناث في المركز الخامس، لم يُعطها الذكور وزناً مماثلاً، ودفعوا بها إلى المركز الثاني عشر.

من الكر والفر إلى الفروق الطفيفة

لا تشمل حالة الكر والفر كل القضايا، بل هناك قضايا كانت الفروق فيها طفيفة بين الرجال والنساء، فعند استعراض المراكز الخمسة الأول لجدول اهتمامات الذكور في الفيس بوك، اتضح أن الفارق ضئيل بينهم وبين الإناث في اختيار القضايا في القائمة؛ فهناك أربع قضايا ظهرت ضمن المراكز الستة الأول لدى الفئتين؛ فالأقليات كانت الأولى لدى الإناث، وهي الثانية لدى الذكور؛ واتفاقيات السلام كانت الرابعة لدى الإناث وهي الأولى لدى الذكور، والخواطر والمشاعر والقضايا الدينية تبادلتا المواقع بين الثاني والثالث، أما المراكز الخمسة الأخيرة لدى الذكور فشملت المناسبات والأعياد والتنمية والاتفاقيات الدولية والزراعة والثروة الحيوانية والمذهبية. وهذه أيضاً بينها وبين الإناث قضيتان مشتركتان، هما: التنمية والمذهبية.

نستخلص من ذلك أن هناك اشتراكاً في القمة والقاعدة بين النوعين، وتفاوتاً لمصلحة كل منهما في بعض القضايا القليلة. لكن النسبة الأكبر من القضايا تحمل فارقاً ضئيلاً أو متوسطاً. دلالةُ ذلك أن الإناث العربيات المستخدمات للفيس بوك لسن مختلفات عن الذكور كثيراً، أو لهنّ عالمهنَّ الخاص المغلق عليهنّ، والمحصور في قضايا بعينها، بحسب الصورة الذهنية النمطية السائدة عن المرأة العربية، وأن المرأة العربية، حينما يتاح أمامها فضاء مفتوح وحر، تشارك بجدية وتصبح نداً للرجل.

أما المنتديات فتمثل علامةً فارقة في الكر من جانب النساء والفر من جانب الرجال؛ فالحضور النسائي داخل المنتديات كان مصحوباً عادة بالحيوية والنشاط العالي داخل المنتديات، بينما يحدث العكس مع الذكور، الذين حينما يظهرون، يكون ظهورهم مصحوباً بتدنٍّ في الحيوية والنشاط والإنتاجية.

المرأة السعودية لاعب محوري في المنتديات

إذا ما تمّ النظر إلى هذا الحضور النسائي الكثيف ذي الحيوية والجودة العالية، مع الأخذ في الاعتبار أن حوالى نصف المنتديات وجماهيرها في **الوطن العربي** يأتي من **السعودية**، أمكن لنا القول بأن المرأة السعودية لاعب محوري وأساسي في الأنشطة والمشاركات الجارية في مجتمع المنتديات العربي. ولا يمكن فصل هذه الظاهرة عن

يهتم الرجال بقضايا الصناعة واتفاقيات السلام والأزمات العالمية والرياضة والقضايا السياسية، فجاءت في المراكز الخمسة الأولى، بالنسبة إلى الرجال؛ أما القضايا التي انشغلت بها النساء، فهي الفضائح، والاتفاقيات الدولية، والزراعة، والثروة الحيوانية، والأسرة؛ بينما كانت الفروق بين الفئتين ضئيلةً جداً في قضايا إسرائيل، والطب، والصحة، والمذهبية، والتنمية، والمطربين، والمناسبات.

السياق الاجتماعي السياسي الاقتصادي الذي تعيش فيه المرأة السعودية، والذي يوفر لها أو يدفعها إلى المنتديات على الإنترنت، تارةً لسدِّ الفراغ، وتارة لأنها القنوات الأكثر إتاحة للتعبير والمناقشة وإثبات الذات. لكن الدور البارز للمرأة السعودية لا ينفي حقيقة أنه من حيث التصنيف، بحسب النوع (ذكر/ أنثى)، تبدو المنتديات العربية على الإنترنت "دولة نساء"، وبخاصة الإناث الشابات اللواتي في مقتبل العمر.

الفضاء الرقمي العربي بحيرة هادئة طوال العام

النقطة الأخيرة التي لابدّ من الإشارة إليها هي أن الفضاء الرقمي التفاعلي العربي أقرب إلى البحيرة الكبيرة الهادئة الخالية من موجات المد والجزر، طوال العام؛ فمعدل إمداد هذه البحيرة بالمحتوى يكاد يكون متوازناً طَوال العام، وما يشهده من ارتفاعات وانخفاضات أقرب إلى ما تثيره الرياح الناعمة في صفحة الماء من موجات تكاد لا تلحظها العين المجرَّدة، فإن لاحظتها ففي الحدود الآمنة التي لا تلفت الانتباه، ولا تسترعي النظر؛ فمثلاً، لو نظرنا إلى القضايا الخمس الأولى على المنتديات، سنجد أن قضية السينما والأفلام والأغاني ظلت في المركز الأول طوال العام بلا منازع وبلا تغيير، كما ظلت قضيَّتا النصائح والإرشادات والطب والصحة في مركزيهما الثاني والثالث طوال العام، في ما عدا الربع الثالث الذي تراجعت فيه النصائح والإرشادات للمركز الثالث والطب والصحة للمركز الرابع، وقفزت فيه القضايا الدينية للمركز الثاني.

أما القضايا الدينية وقضايا الإنترنت والمعلوماتية اللتان أحتلّتا المركزين الرابع والخامس في الترتيب العام، فقد شهدتا حَراكاً طفيفاً؛ ففي الربع الأول تراجعت القضايا الدينية من المركز الرابع إلى المركز السادس، ثم عادت إلى مكانها في المركز الرابع ثم قفزت إلى المركز الثاني في الربع الثالث من العام، ثم تراجعت إلى المركز الخامس في الشهور الأخيرة من العام، أما قضايا الإنترنت فقد قفزت إلى المركز الرابع، في الربع الأول والربع الأخير من العام. لكن في الربع الثاني والثالث تراجعت إلى المركز السادس، وحلّت محلّها قضايا الأدب والثقافة والفكر. ولم يختلف الحال في الفيس بوك حيث شهد معدل الإنتاج والتعليق على مختلف القضايا توازناً طوال العام.

اختلف الأمر قليلاً في المدوَّنات، فقد ظهرت تفاوتات واضحة في معدل إنتاجية المدوِّنين، سواء على المستوى اليومي أم الشهري. وهي تفاوتات دلَّت على أن التدوين العربي يمر بفترات فوران ومد، وفترات جزر أخرى يخمد فيها نسبياً وينكمش. والعامل الذي يفسِّر حالة التذبذب في التدوين والاستقرار، في حيوية المنتديات، هو طبيعة النشاطَيْن؛ فالتدوين قرارٌ فردي يرتبط بحالة المدوِّن وارتباطاته التي تؤثر عليه خمولاً أو نشاطاً وتظهر نتائجها بصورة واضحة سريعة على إنتاجيته ومستوى نشاط مدونته.

الفضاء الرقمي التفاعلي العربي أقرب إلى البحيرة الكبيرة الهادئة الخالية من موجات المد والجزر، طوال العام؛ فمعدل إمداد هذه البحيرة بالمحتوى يكاد يكون متوازناً طَوال العام، وما يشهده من ارتفاعات وانخفاضات أقرب إلى ما تثيره الرياح الناعمة في صفحة الماء من موجات تكاد لا تلحظها العين المجرَّدة.



الملحق رقم 1

المنهجية التي اتبعت لإعداد هذه الدراسة

كان هناك عاملان فاعلان في عملية الحصول على عيِّنة البحث،: العامل الأول هو أن يكون حجم العيِّنة كبيراً، لضمان الوصول إلى نتائج تغطي أكبر عدد ممكن من القضايا والموضوعات، التي اهتمَّ بها المستخدم العربي، وأثارها على صفحات المدوَّنات والمنتديات والفيس بوك، والعامل الثاني هو ضمان أعلى مستوى من الدقة في الأجزاء التي أُنجزت بطريقة آلية.

فَي ما يخصُّ الحجم، تمّ سحْبُ المحتوى العربي آلياً من الصفحات العربية المفهرسة في ثلاثة محركات بحث أساسية هي: **جوجل، ياهو، وبنج**. وقد روعي في عملية السحب أن تكون كل البلدان العربية ممثلة في المحتوى الذي قام المستخدم العربي بإنتاجه واستهلاكه على شبكة الإنترنت على مدار العام 2010، وأن يكون كل يوم من أيام هذا العام ممثَّلاً في العيِّنة بحيث يمكن الوصول إلى "أرشفة يومية" للقضايا التي أثيرت في هذا العام. وقد روعِيَ في سحب محتوى المدوَّنات أن تضم العيِّنة مدوَّنات عربية من أكبر مستودعات التدوين على شبكة الإنترنت وهي: **بلوجسبوت، مكتوب بلوج، ووردبرس، بلوجسبيريت، مدوَّنات جيران وإيلاف بلوج.**

وقد تمت عملية السحب بصورة آلية، من دون تدخل بشري، باستثناء الجزء الخاص بتحديد قائمة مستودعات التدوين، حيث قام الباحثون بتجهيز قائمة بهذه المستودعات يدوياً. ولم تظهر أيَّةُ صعوبات أو تحديات في هذه المرحلة من بناء العيِّنة.

بعد الانتهاء من سحب المحتوى العربي من قنوات النشر محل الدراسة، قام الباحثون بإعداد هذا المحتوى لمرحلتيَ التصنيف والتحليل. وقد تمت عملية الإعداد على مستويين: المستوى الأول هو إعداد المحتوى نفسه، ممثَّلاً في التدوينات على المدوَّنات والمشاركات على المنتديات وصفحات الفيس بوك، والمستوى الثاني هو إعداد البيانات الخاصة بمصدر المحتوى، ممثلاً في الموقع الذي نشر عليه المحتوى، والمستخدم العربي الذي قام بإنتاج هذا المحتوى أو استهلاكه.

وقد تضمنت عملية إعداد المحتوى:

1. تحديد العنوان الإلكتروني المميز لكل تدوينة ومشاركة.
2. تحديد عنوان المشاركة.
3. نص المشاركة.
4. تاريخ المشاركة.
5. عدد ونصوص تعليقات مستخدمي الإنترنت على المشاركة.

أما البيانات الخاصة بالموقع (مدوَّنة، أو منتدى، أو صفحة فيس بوك) ومستخدموه (مشاركون وجمهور) فقد تضمَّنَت بيانات اختلفت طرق الحصول عليها وتفاصيلها باختلاف قناة النشر.

ففي المدوَّنات اعتمد الباحثون على الـ "بروفايل" الذي تتيحه بعض مستودعات التدوين للمدوِّن لتسجيل معلومات عن نفسه مثل البلد والنوع (ذكر/ أنثى) والوظيفة، بالإضافة إلى تصنيفات يضعها المدوِّن ليصف بها الموضوعات التي يتناولها في مدوّنته. وقد كان التعامل مع هذا الـ "بروفايل" لاستخراج المعلومات ذات الصلة أولى التحديات والصعوبات التي واجهت الباحثين في تجهيز هذا النوع من المعلومات. فهناك من المدوِّنين

مَن لا يستخدم الـ "بروفايل" الخاص به لتوفير معلومات عن نفسه. وهناك بعض مستودعات التدوين التي لا توفر هذه الخدمة للمدوِّنين. علاوةً على ذلك، هناك مدوِّنون لا يلتزمون بوضع المعلومات في المكان المخصَّص لها، كأن يكتب معلومات عن البلد في المكان المخصص للوظيفة أو العكس. وقد قام الباحثون بتجميع هذه الحالات وتصحيحها يدوياً.

كان الوضع أفضل حالاً – كماً وكيفاً – في المنتديات عنه في المدوَّنات، نظراً لتوافر المعلومات الخاصة بالمنتدى وبمستخدميه – إنتاجاً واستهلاكاً– بطريقة منظمة في **موقع "أليكسا"**. فقد وفر هذا الموقع معلومات عن البلد الذي ينتمي إليه المنتدى، بالإضافة إلى معلومات عن النوع (ذكر/ أنثى) ومستوى التعليم، والفئة العمرية للمشاركين في المنتدى، وجمهوره، مما وفَّر سياقاً ثريّاً لتحليل القضايا المثارة في المنتديات.

أما في حالة صفحات الفيس بوك، فقد واجه الباحثون نوعين من التحديات والصعوبات في إعداد المحتوى للتصنيف والتحليل. النوع الأول نتج عن استخدام إدارة الموقع لأكثر من طريقة في العنونة الإلكترونية للصفحات؛ فمَرَّة تستخدم اسم الصفحة، وأخرى تستخدم رقم الـ "بروفايل"، للتمييز بين الصفحات. وقد قام الباحثون بصياغة خوارزمية (أيْ طريقة آلية) لتوحيد العنوان المميَّز لكل صفحة باستخدام رقم الـ "بروفايل" الخاص بها، حتى يتسنى تجميع المشاركات المختلفة في الصفحة نفسِها، تحت الرقم المميز نفسِه، لأهمية ذلك في مرحلة التحليل.

والنوع الآخر من التحديات والصعوبات نتج عن سلوك صاحب الصفحة في التعامل مع الـ "بروفايل" الذي يتيحه له موقع الفيس بوك لكتابة معلومات عن نفسه مثل البلد والنوع والاهتمامات وطبيعة محتوى الصفحة، وكانت أولى هذه الصعوبات خلو "بروفايلات" عدد كبير من الصفحات المتضمنة في العيّنة من أيِّ معلومات عن أصحاب الصفحات، أو عن قصد، أو عن عدم دراية بوجود هذه الـ "بروفايلات"، أما الصعوبة الثانية فقد تمثلت في تعامل بعض أصحاب الصفحات بنوع من "اللامبالاة" مع الـ "بروفايلات" الخاصة بهم، فقاموا "بحشوها" بكتابة أي شيء في أي مكان في الـ "بروفايل"، فالبعض رسم قلوباً في خانة الدولة، وحروفاً لا معنى لها في خانة النوع – وذلك على سبيل المثال لا الحصر.

وقد قام الباحثون باستبعاد هذه "المعلومات" في مرحلة إعداد العيِّنة. أما الصعوبة الثالثة فقد تمثلت في استخدام بعض أصحاب الصفحات أكثر من طريقة ولغة في الإشارة إلى دولهم، كأن يستخدم البعض "المملكة العربية السعودية" أو "السعودية" أو الترجمة الإنكليزية لاسم الدولة للإشارة إلى الدولة نفسها. وقد تغلب الباحثون على هذه الصعوبة عن طريق حصر هذه الحالات وتصميم خوارزمية لتوحيد مسميات الدول. أما الصعوبة الرابعة والأخيرة فهي استخدام بعض أصحاب الصفحات لمسميات "غير معيارية"، في خانة الدولة، كأن يكتب بعضهم "بلاد المسلمين" أو "بلاد الله"... إلخ. وعلى الرغم من أن هذه التصرفات من جانب بعض أصحاب الصفحات أفقد العينة بعداً ثرياً في متغيراتها، فإنه يعكس جوانب مهمة من سلوك المستخدمين العرب لموقع الفيس بوك.

وبعد الانتهاء من عملية إعداد المحتوى قام الباحثون بتصنيف هذا المحتوى كما يلي:

– إعداد قائمة بالكلمات والعبارات المتكرِّرة في المحتوى، ثم "فلترتها" (تنقيتها) وإعداد قائمة أخرى بالموضوعات والقضايا التي تمَّت مناقشتها في قنوات النشر محل البحث.
– تجميع الموضوعات والقضايا المتشابهة تحت تصنيف أكثر عمومية مثل:"قضايا سياسية"، "قضايا دينية"... إلخ.



– إعداد نموذج رياضي/ إحصائي لكل تصنيف واستخدامه في تصنيف المشاركات والتدوينات... إلخ.
– تحليل عيِّنات عشوائية من مخرجات نموذج التصنيف يدوياً للتأكد من دقة التصنيف وتحديث النموذج للتعامل مع المشارَكات التي لم تُصَنَّف، أو التي صُنِّفت بطريقة غير دقيقة. وقد تكررت عملية تحليل العيّنات وتحديث النموذج حتى تأكد الباحثون من تصنيف كل وحدات العيِّنة وبصورة دقيقة.

واجَهَ الباحثون تحدِّيَيْن أساسيين في عملية التصنيف: الأول هو استعمال بعض مستخدمي هذه القنوات اللهجات الإقليمية في كتابة مشاركاتهم، والثاني هو قيام بعض المستخدمين بـ"نحت" كلمات جديدة في اللغة العربية للتعبير عن مشاعر الغضب، مثل "مصرائيل" و"القزائر"، وهي كلمات ظهرت بصورة متكررة في هذه القنوات أثناء الأزمة الكروية بين **مصر والجزائر**. وقد تغلب الباحثون على هذين التحدِّيَيْن بتحديث القاعدة اللغوية لنموذج التصنيف، وإضافة قائمة بالتعبيرات والكلمات المستخدمة، في المشارَكات، والتي تنتمي إلى لهجات إقليمية، وقائمة أخرى بالكلمات الجديدة.

وفي مرحلة التحليل استخدم الباحثون حزمة من معايير التحليل تنوَّعت بحسب خصوصية كل قناة من قنوات النشر (المدوَّنات، المنتديات،الفيس بوك)، وبحسب كل مرحلة من مراحل التحليل. ونظراً لكثرة هذه المعايير وتنوّعها سنذكر المجموعة الرئيسية، ومنها، على سبيل المثال لا الحصر:

– معيار قام بتحليل القضايا المثارة في صورتها العامة، أي تناول هذه القضايا من واقع الإحصاءات الكمية المتعلقة بعدد المشاركات، التي حظيت بها كل قضية رئيسية، وعدد التصنيفات أو القضايا الفرعية، التي اندرجت في التصنيف الرئيسي.
– معيار يحلل مستوى جماهيرية القضايا، وإقبال الجماهير على التفاعل معها، بالتعليق والمشاركة والمتابعة والإعجاب.
– معيار يحلل القضايا المُثارة وفقاً لنمط انتشارها، ومستوى الاهتمام بها، داخل كل دولة عربية على حِدَة، استناداً إلى تحليل إحصائي للمشاركات الخاصة بكل قضية، داخل كل دولة. وذلك للتعرُّف إلى طبيعة القضايا المثارة من قبل جماهير كل دولة، والكشف عمّا إذا كان هناك اختلاف في اهتمامات الجماهير العربية المختلفة على المنتديات أم لا.
– معيار يحلل القضايا المثارة استناداً إلى معيار السن، بهدف الكشف عن القضايا ذات الاهتمام والتفضيل لدى كل فئة عمرية من المواطنين العرب المشاركين في المنتديات.
– معيار يحلل القضايا طبقاً للنوع، للوقوف على تفضيلات كل من الذكور والإناث في اختيار القضايا التي يهتمون وينشغلون بها.
– معايير خاصة بكل قناة نشر على حِدَة، كالتحليل وفقاً للأدوات المتاحة على الفيس بوك، أو لوظيفة المدوِّن في حالة المدوَّنات إلخ.

ملاحظة خاصة بالجداول

كان من نتيجة التحديات السابقة جميعاً أن استخدم فريق البحث بعض الكلمات داخل الجداول البيانية، لكل منها مدلولٌ معيَّن يجب الانتباه إليه، عند قراءة جداول الأرقام والبيانات، وذلك على النحو التالي:

"غير متاح"

يقصد بها أن المستخدمين وضعوا بيانات معيّنة عن أنفسهم أو عن المحتوى الذي يضعونه لكنهم حجبوها، فبات متعذِّراً سحبُها وإدخالها في التحليل.

"بلدان غير عربية"

يقصد بها المحتوى العربي الذي أنتجه عرب أو غير عرب قالوا صراحة إنهم يقيمون خارج البلدان العربية.

غير مذكور

وتعني بيانات كان يفترض أن يعرضها المستخدم، أو مَن يُنتِج المحتوى، عن نفسه أو بلده لكنه لم يذكرها وترَكَ مكانها فارغاً في ملف التعريف الخاص به.

غير واضح

يقصد بها كلمات غامضة أو خارجة أو بلا معنى أو أحرف أو أشكال وضعها المستخدمون في خانات خاصة ببيانات تتعلق بهم وبنشاطهم في إنتاج المحتوى.

بذل الباحثون كل جهد ممكن لجعْلِ عيِّنة البحثِ كبيرةً ومتنوعة بصورة تضمن درجة عالية من الدقة والشمولية في تناول القضايا التي شغلت بال المستخدم العربي في المدوَّنات والمنتديات والفيس بوك وتحليلها، ولجعْل العيّنة ممثلة لمجموع القنوات العربية الداخلة في الدراسة.

بنية التقرير

كما أوضحنا سابقاً، يتكوَّن أيّ محتوى على الإنترنت من نواة محورية هي مادة المحتوى ذاتها. لكن هذه النواة الصلبة، أو المحتوى نفسه، لا تتضح ملامحه ويتمّ التعرف إلى كامل هويته إلا من خلال أربع بصمات: الأولى هي البصمة الجماهيرية، أي معرفة قدرته على جذب الجمهور؛ والثانية البصمة الجغرافية، أي خريطة انتشاره جغرافياً في البلدان المختلفة؛ والثالثة البصمة التقنية أي علاقته بالخصوصية التقنية والإمكانات الفنية لقنوات النشر التي يُقدَّم من خلالها، خلافاً لبصمات أو أبعاد أخرى كثيرة أقلّ أهمية؛ والرابعة بصمة الزمن، أي تتبُّع حالة المحتوى عبر الزمن، وملاحظة ما يطرأ عليه من تطورات في المراحل المختلفة لفترة البحث.

اعتمد فريق البحث تلك الأبعاد في بنية التقرير، فجاءت بنية التقرير أشبه بالمربَّع الذي تتوسطه دائرة، والدائرة الموجودة في المنتصف هي قلب التقرير أو محوره الأساسي، ويمثلها الفصل الخاص باستعراض أبرز القضايا التي أثيرت في الفضاء الرقمي التفاعلي العربي (مدوَّنات، منتديات، صفحات، ومجموعات فيس بوك)، وهو يشكل إطلالة عن قرب على طبيعة المحتوى الذي أنتجه من قاموا بطرح وإثارة هذه القضايا للنقاش.

في زوايا المربع أو أركانه أربعةُ فصول أخرى، يقدِّمُ كلٌّ منها تفصيلاً وشرحاً "لبصمة" من البصمات الأربع للنواة المحورية. يشرح الفصل الأول "البصمة الجماهيرية" ويسلِّط الضوءَ على جماهيرية القضايا المُثارة، أو مدى تقبُّل الجمهور لها وتفاعله معها. ويُلقي الفصل الثاني الضوءَ على "البصمة الجغرافية" للقضايا المثارة، أو خريطة توزيعها عبر **العالم العربي**، التي توضح التنويعات القطرية والوطنية في التفاعل مع القضايا المثارة إنتاجاً واستهلاكاً. ويوضِح الفصل الثالث "البصمةَ التقنية" للقضايا المثارة، أو السمات الخاصة، التي أضفتها كل قناة من قنوات النشر (الفيس بوك، والمدوَّنات، والمنتديات) على القضايا المُثارة كماً ونوعاً وجمهوراً، لأن لكل قناة خصوصية "تقنية" ووظيفية مختلفة عن الأخرى. ويتناول الفصل الرابع تطوُّرَ هذا المحتوى وما فيه من قضايا صعوداً وهبوطاً، عبْرَ شهور العام من يناير/ كانون الثاني إلى ديسمبر/ كانون الأول.

تحت هذا المربع قاعدةٌ عريضة تمثل التحليلات العرضية المستخلصة من قلبه وبصماته الأربع، التي يعالجها فصلٌ خاصٌّ يقدِّم نظرةً تحليلية لهذا البناء ومحتوياته المتنوعة. يُضاف إلى هذا الجسم الأساسي في التقرير، أجزاءٌ أخرى مكمِّلة، هي التمهيد العام والملخَّص التنفيذي، ومنهجية جلب البيانات وتحليلها.

في ضوء هذه البنية أو الهيكلية العامة، تمّ ترتيب فصول التقرير كالتالي:

– المقدمة.

– ملخص تنفيذي يقدم خلاصة موجزة لما تمّ التوصل إليه.

– منهجية جلب البيانات وتحليلها.

– ملامح عيِّنة المحتوى التي تمّ سحبها من الفضاء الرقمي التفاعلي العربي.

– أوضاع القضايا المُثارة الأكثر بروزاً، والتي شغلت بال الشباب العرب في فضائهم الرقمي التفاعلي.

– جماهيرية هذه القضايا وكيف تفاعل معها الجمهور.

– خريطة انتشار هذه القضايا جغرافياً من المحيط إلى الخليج.

– تأثير السمات الخاصة لقنوات النشر على طبيعة القضايا المثارة.

– مستوى الاهتمام بالقضايا عبر شهور العام

– نظرة تحليلية لما شهده الفضاء الرقمي التفاعلي العربي من اتجاهات وتفاعلات.

عيِّنة البحث وخصائصها

استخدم فريق البحث مستويين في بناء العيِّنة: المستوى الأول هو وحدات التحليل، وهي المدوَّنات والمنتديات وصفحات ومجموعات الفيس بوك. والمستوى الثاني هو المواد الموجودة داخل وحدات التحليل، أيْ التدوينات داخل المدوَّنات، والمشاركات داخل المنتديات، والمشاركات داخل الصفحات والمجموعات في الفيس بوك.

تشكلت عيِّنة البحث ممّا إجماليه 107 **آلاف** و659 **وحدة تحليل، موزعة على** 16 **ألفاً** و631 **منتدى**، و12 **ألفاً** و934 **مدوَّنة**، و78 **ألفاً** و94 **صفحة ومجموعة على الفيس بوك**. أما مواد التحليل فبلغت 661 **ألفاً** و715 **مادة تحليل في المنتديات**، و120 **ألفاً** و757 **مادة في المدوَّنات**، و155 **ألفاً** و107 **مواد في الفيس بوك، بإجمالي** 937 **ألفاً** و579 **مادة** (**أنظر الجدول** 1).

يوضح جدول "2" توزيع العيِّنة طبقاً لقنوات النشر وأعدادها على **البلدان العربية**. يُشار إلى أن النسبة الأكبر منها ينتمي إلى **السعودية ومصر**، وأن من ضمنها عدداً كبيراً لم تُحدَّد تبعيته الجغرافية، وهي إما غير مُتاحة، أو غير واضحة.

ونظراً لتنوُّعِ العيِّنة وتعدّد قنوات النشر، كانت هناك خصائص وملامح للعيّنة في كل قناة نشر على حدة، وذلك على النحو التالي:

أولاً: المدوَّنات

بعد تحديد عيِّنة البحث، جرى مسْحُ قائمة تمثل أكبر مستودعات التدوين في العالم، بحثاً عن المدوَّنات والمدوّنين العرب. فأسفر البحث عن أن الغالبية الساحقة من المدوَّنات العربية التي سجَّلت نشاطاً يستحق الرصد والتحليل، خلال العام 2010، تتركز في ستة مستودعات رئيسية هي: **بلوج سبوت، مكتوب، وورد برس، إيلاف، جيران، بلوج سبيرت**. ويوضح **الجدول** "3" تقسيم التدوينات والمدوَّنات على مستودعات التدوين التي سُحبَت العيِّنةُ منها.

جرى سحْبُ العيّنة وفقَ مصفوفة تحليل شملت عشرة عناصر للتنصيف والتحليل، هي: إسم المدوَّنة، وظيفة المدوّن، مجال المدوَّنة، بلد المدوَّنة، نوع المدوّن، عنوان التدوينة، تاريخ التدوينة، عدد التعليقات، القضية التي تتناولها التدوينة، والتصنيف الفرعي للقضية التي تناولتها التدوينة. هذه العناصر العشرة كافيةٌ للتمييز بين المدوَّنات، لنواحي وصفها وتحديد هويتها وموضوعها.

اتَّضح بعد التحليل أن مجالات هذه المدوَّنات تتوزع طبقاً للتصنيفات التي أوردها المدوّنون أنفسهم ـ على 24 **مجالاً** كما يوضح **الجدول** "4". وبالنظر للبيانات

الواردة في الجدول، يتَّضح أن المجالات الخمسة الأوسع انتشاراً بين المدوِّنين، الذين ذكروا مجالات مدوَّناتهم، من حيث العدد، هي مدوَّنات الإنترنت والتكنولوجيا، تليها مدوَّنات الطلاب، فالتعليم، ثم الاتصالات والإعلام، ثم الهندسة. أما المجالات الخمسة الأقل انتشاراً، والتي جاءت في المراكز الأخيرة فهي مدوَّنات الاستشارات، والمواد الكيميائية، والدين، والإعلانات، والتصنيع.

ثانياً: المنتديات

بعد تحديد عيِّنة البحث، جرت عملية مسْح واسعة النطاق لفضاء الإنترنت، بحثاً عنَ المواقع التي تعمل كمنتديات عربية، سواء تلك التي كانت تعرِّف نفسها كمنتديات في عنوانها كما هي الحال مثلاً مع منتدى "النهار الجديد" لجلجزائري (http://www.forum.ennah – ronline.com) أو مع تلك التي لا تعرِّف نفسَها في عنوانها وتعمل كمنتدى. واستُخدم في عملية البحث والرصد والتمييز بين المنتديات وغيرها من المواقع العادية، **محركُ بحث "بوردريدر"**، وهو محركُ بحثٍ خاصٌّ بالمنتديات. بالإضافة إلى استخدام خاصية البحث في المنتديات الموجودة في **محرك بحث جوجل ومحرك بحث بينج** التابع لمايكروسوفت.

جرى سحْب عيِّنة المنتديات وفقَ مصفوفة تحليلٍ شملت عشرةَ عناصرَ للتصنيف والتحليل هي: عنوان المنتدي، البلد، الفئة العمرية لجمهور المنتدى (وهذه الفئة مقسمة إلى الفئات التالية: 18ـ 24 **عاماً**، 25 ـ 34 **عاماً**، 35 ـ 44 **عاماً**، 45 ـ 54 **عاماً**، و 55 ـ 64 **عاماً**)، النوع (**ذكور/ إناث**)، المستوى التعليمي (**دون الجامعي، جامعي، فوق الجامعي**)، مكان الدخول إلى المنتدى (**المنزل، مكان العمل، مكان الدراسة**)، عدد الردود على المشاركة، تاريخ المشاركة، موضوع المشاركة وفقاً للتصنيف العام والتصنيف الفرعي.

توزعت مجالات اهتمام المنتديات على 22 **مجالاً**. وبالنظر للبيانات الواردة في **الجدول** "5" يتَّضح أن المجالات الخمسة الأوسع انتشاراً بين المنتديات، من حيث العدد، هي منتديات المجتمع ثم الأفلام والأغاني والمسلسلات، تليها المنتديات الدينية، فالسياسية، فمنتديات الأدب والثقافة والفكر.

ثالثاً: الفيس بوك

تم إعداد عيِّنة الفيس بوك من خلال مسح للمحتوى النصِّي المكتوب باللغة العربية على الفيس بوك، خلال العام 2010. وسُحِبَ هذا المحتوى مصحوباً بالبيانات الدالة على توزيعاته وتصنيفاته داخل مكوِّنات الفيس بوك وأدواته المختلفة، من حيث طبيعة قناة النشر المستخدمة (هل هي صفحة فردية أو مجموعة؟ وما هو عدد الأصدقاء والأعضاء في كل صفحة أو مجموعة؟) ومن حيث ارتباطه بالأدوات الأخرى، أي تصنيفه من حيث ارتباطه بحدث تمَّ تنظيمه عبر الفيس بوك ويتعلق بقضية ما، أو قضية جرت إثارتها ومناقشتها بصورة مباشرة، أو مشاركة كُتبت في قضية ما، وتمَّ الإعجاب بها، أو التعليق عليها، إلى غير ذلك.

استناداً لذلك، تكوَّنت عيِّنة البحث – كما هو موضح في **الجدول** "6" – من 78 **ألفاً** و94 **قناة نشر وتواصُل على الفيس بوك**. 75 **ألفاً** و412 **منها كان في صورة صفحات فردية**، و2682 **منها كان في صورة مجموعات**، وقد ظهر في هذه العيِّنة 155 **ألفاً** و107 **مشاركات** بمختلف صور وأدوات المشاركات التي سبقت الإشارة إليها، بواقع 111 **ألفاً** و660 **مشاركة** في الصفحات الفردية و39 **ألفاً** و224 **مشاركة** في المجموعات.

من حيث عدد الأعضاء والأصدقاء الإجمالي، الذي ظهر في هذه المجموعات، هناك 521 مليوناً و914 ألفاً و5 أشخاص يتعاملون مع هذه الصفحات والمجموعات، إما كمُنشئين ومديرين، أو كأعضاء وأصدقاء، أو كمعجبين ومعلِّقين؛ منهم 521 **مليوناً** و905 **آلاف** و150 **شخصاً** يتعاملون مع الصفحات الفردية، و8 آلاف و855 يتعاملون مع المجموعات.

لا بدَّ هنا من التنويه إلى أن تلك الأرقام الخاصة بالمتعاملين مع الصفحات والمجموعات ليست أرقاماً فردية خالصة، وإنما هي أرقام تجميعية يُعاد فيها احتساب الشخص الواحد مرات عدة، بحسب عدد الصفحات أو المجموعات التي يُسجِّل فيها نفسَه عضواً أو مُعجَباً أو متابِعاً. لذا، عند فهرسة هذه العلاقات المتشابكة، وإزالة التكرار منها، والحصول على المستخدم المنفرد، سينخفض الرقم كثيراً. ولا تملك إمكانات القيام بعملية الفهرسة وإزالة التكرارات إلا إدارة الفيس بوك وحدها؛ فتلك العملية تتطلَّبُ جهداً يفوق طاقة الفريق البحثي وإمكاناته بمئات الأضعاف، لذا، إذا افترضنا أن متوسط عدد الصفحات التي يتعامل معها الشخص الواحد عبر الفيس بوك هو 10 **صفحات**، فإن الرقم الإجمالي المذكور سينخفض من 521 **مليوناً** و914 **ألفاً** و5 أشخاص، ليصبح 52 **مليوناً** و191 **ألفاً** و400 **شخص**، وهي أرقام تقترب كثيراً من خريطة توزيع مستخدمي الإنترنت العرب، المقيمين داخل **الدول العربية** وخارجها (راجع قسم المعلوماتية **في التقرير العربي للتنمية الثقافية للعامين** 2008 و2009).

وعلى الرغم من أن الفيس بوك يوفر خاصية تحديد مجال الاهتمام الذي يفضِّلُه مُنشئ الصفحة أو المجموعة، فإن 89.93 % من الصفحات والمجموعات التي خضعت للتحليل لم يسجل أصحابُها تصنيفاً محدداً لها، ولم يستخدموا هذه الخاصية، أو استخدموها وحجبوها عن زوارهم والمتعاملين مع صفحاتهم ومجموعاتهم. أما البقية الباقية، وهي حوالى 10 % أو أكثر بقليل، فقد توزعت على 21 **مجالاً**، كان أوسعَها انتشاراً الصفحات والمجموعات المسجلة في مجال المجتمع والمنظمات المجتمعية، ثم الصفحات والمجموعات التي تنتمي لمجال النشر والإعلام والثقافة والكتب، يليها الفنون والترفيه ثم الشخصيات العامة ورجال الأعمال والمنتجون، ثم المنظمات الأهلية غير الهادفة للربح، وتكنولوجيا الإنترنت والاتصالات، والمدارس والجامعات والتعليم، والمطبخ والشؤون المنزلية، إلى آخر المجالات التي يوضحها **الجدول** "7".

جدول (1) قنوات العينة المشمولة في التقرير

قناة النشر والتفاعل	عدد وحدات التحليل « مدونة ـ منتدى ـ صفحة أو مجموعة في الفيس بوك»	عدد مواد التحليل بالوحدات «تدوينات ـ مشاركات»
المنتديات	16631	661715
المدونات	12934	120757
الفيس بوك	78094	155107
إجمالي	107659	937579

جدول (3) عدد المدونات والتدوينات الداخلة في العينة موزعة بحسب مستودعات التدوين

المستودع	المدونات	النسبة المئوية	التدوينات	النسبة المئوية
بلوج سبوت	5807.0	44.9	61123.0	50.6
مكتوب	4225.0	32.7	34297.0	28.4
وورد برس	2331.0	18.0	22623.0	18.7
ايلاف	294.0	2.3	835.0	0.7
جيران	266.0	2.1	1787.0	1.5
بلوج سبيرت	11.0	0.1	92.0	0.1
اجمالى	12934.0	100.0	120757.0	100.0

جدول (2) توزيع وحدات التحليل على البلدان العربية

م	البلد	المدونات	المنتديات	صفحات ومجموعات فيس بوك	إجمالى وحدات التحليل للدولة
1	غير متاح	5510	0	72830	78340
2	السعودية	262	10037	529	10828
3	مصر	5253	3059	1765	10077
4	بلدان غير عربية	452	380	330	1162
5	الكويت	523	295	139	957
6	العراق	24	546	190	760
7	غير واضح	23	0	690	713
8	الأردن	102	185	318	605
9	الجزائر	62	459	30	551
10	سلطنة عمان	101	285	156	542
11	السودان	6	254	242	502
12	الإمارات	32	363	58	453
13	المغرب	122	259	70	451
14	فلسطين	69	102	211	382
15	تونس	111	61	101	273
16	لبنان	95	21	129	245
17	اليمن	25	132	52	209
18	ليبيا	79	28	83	190
19	قطر	30	113	25	168
20	سورية	4	1	114	119
21	البحرين	40	47	24	111
22	موريتانيا	9	4	8	21
23	إجمالي	12934	16631	78094	107659

جدول (4) توزيع المدونات بالعينة طبقاً للمجال الذى ذكره المدونون

م	المجال	عدد المدونات	النسبة
1	غير مذكور	7256	56.1
2	إنترنت وتكنولوجيا	3543	62.4
3	طالب	412	7.3
4	التعليم	394	6.9
5	اتصالات وإعلام	370	6.5
6	هندسة	206	3.6
7	فنون	193	3.4
8	علوم وبيئة	71	1.3
9	تسويق	69	1.2
10	حكومة	55	1.0
11	النشر	48	0.8
12	محاسبة	40	0.7
13	قانون	38	0.7
14	أخرى	34	0.6
15	سياحة	33	0.6
16	موارد بشرية	29	0.5
17	زراعة	27	0.5
18	أعمال وخدمات مصرفية	22	0.4
19	نشاط غير ربحي	20	0.4
20	إستشارات	19	0.3
21	مواد كيميائية	19	0.3
22	الدين	14	0.2
23	إعلانات	14	0.2
24	التصنيع	8	0.1
25	إجمالي	12934	100.0

جدول (5) توزيع المنتديات بالعينة طبقاً لمجال الاهتمام

المركز	الفئة	عدد المنتديات	النسبة من إجمالي
1	مجتمع	2674	16.08
2	أفلام وأغاني ومسلسلات	1480	8.90
3	دين	1225	7.37
4	سياسه	1171	7.04
5	أدب وثقافه وفكر	1106	6.65
6	خدمات	1093	6.57
7	طب وصحة	979	5.89
8	انترنت ومعلوماتية واتصالات	931	5.60
9	رياضة	814	4.89
10	تعليم	778	4.68
11	إعلام وحرية تعبير	756	4.55
12	اقتصاد	713	4.29
13	فنون	604	3.63
14	أمن وجريمة	533	3.20
15	علوم	508	3.05
16	بيئة	367	2.21
17	تاريخ وتراث	303	1.82
18	طرائف	234	1.41
19	صناعة	168	1.01
20	قانون	115	0.69
21	زراعه وثروة حيوانية	74	0.44
22	إدارة	5	0.03
إجمالي		16631	100

جدول (6) اجمالى عدد الصفحات والمجموعات على الفيس بوك وعدد المشاركات بها وعدد أعضائها واصدقائها

النوع	العدد	عدد المشاركات	عدد الاعضاء والاصدقاء
مجموعات	2682	39224	8855
صفحات فردية	75412	111660	521905150
إجمالي	78094	155107	521914005

جدول (7) صفحات ومجموعات الفيس بوك طبقاً للمجال الذى حدده اصحابها

م	المجال	النسبة من الإجمالى
1	مجتمع ومنظمات مجتمعية	1.90
2	نشر وإعلام وثقافة وكتب	1.53
3	فنون وترفيه	1.47
4	شخصيات عامة	1.32
5	رجال أعمال ومنتجين	1.32
6	منظمات ومنظمات اهلية وغير هادفة للربح	0.45
7	تكنولوجيا وانترنت واتصالات	0.43
8	مدارس وجامعات وتعليم	0.28
9	مطبخ وشئون منزلية وعائلية	0.28
10	صحة واطباء	0.19
11	سياسيون ومؤسسات سياسية	0.18
12	رياضة	0.24
13	حكومة ومنظمات حكومية ومسئولين	0.09
14	متفرقات	0.09
15	سلع وبضائع وتسوق	0.09
16	الكنيسة	0.06
17	مطاعم	0.05
18	سياحة وسفر ومزارات	0.05
19	محليات	0.02
20	سيارات	0.01
21	غير متاح	89.93
22	إجمالي	100



جدول (8) ترتيب القضايا المثارة عبر الفضاء ألرقمي ألتفاعلي ألعربي فى 2010 "مدونات. منتديات. فيس بوك"

المركز طبقاً لمستوى الاهتمام	قضايا المدونات	قضايا المنتديات	قضايا الفيس بوك
1	غير واضح	أفلام وسينما وأغانى	خواطر ومشاعر
2	قضايا دينية	نصائح وإرشادات	قضايا دينية
3	أفلام وسينما وأغانى	طب وصحة	نصائح وإرشادات
4	رياضة	قضايا دينية	قضايا اجتماعية
5	خواطر ومشاعر	انترنت ومعلوماتية واتصالات	أدب وثقافه وفكر
6	انترنت ومعلوماتية واتصالات	أدب وثقافه وفكر	رياضة
7	أدب وثقافه وفكر	خواطر ومشاعر	مطربون ومطربات
8	مؤسسات سياسية	رياضة	انترنت ومعلوماتية واتصالات
9	قضية فلسطين	تربيه وتعليم	طب وصحة
10	طب وصحة	قضايا اجتماعية	أفلام وسينما وأغانى
11	اسرائيل	اقتصاد	تلفزيون وفضائيات
12	اقتصاد	اسره	اسره
13	تربيه وتعليم	مطربون ومطربات	تربيه وتعليم
14	قضايا اجتماعية	قضايا المرأه	اقتصاد
15	إعلام وحرية تعبير	فنون	فنون
16	أمن وجريمة	استهلاك	إعلام وحرية تعبير
17	فنون	تلفزيون وفضائيات	علوم
18	تلفزيون وفضائيات	أمن وجريمة	قضايا سياسية
19	صراعات	غير واضح	أمن وجريمة
20	نصائح وإرشادات	جنس	تنمية
21	طائفية	طائفية	مؤسسات سياسية
22	بيئة وموارد	ممثلون وممثلات	ممثلون وممثلات
23	قضايا سياسية	صراعات	صراعات
24	مطربون ومطربات	بيئة وموارد	طائفية
25	رؤساء	إعلام وحرية تعبير	حقوق إنسان
26	استهلاك	رؤساء	قضية فلسطين
27	مناسبات وأعياد	علوم	قضايا المرأه
28	حقوق إنسان	مؤسسات سياسية	مناسبات وأعياد
29	قضايا المرأه	مناسبات وأعياد	طرائف
30	علوم	قضية فلسطين	تاريخ وتراث
31	اسره	تاريخ وتراث	بيئة وموارد
32	جنس	قضايا سياسية	شؤون قانونية
33	تنظيمات إسلامية	صناعة	اتفاقيات سلام
34	تنمية	تنظيمات إسلامية	ملوك وأمراء
35	إرهاب وتطرف	شؤون قانونية	استهلاك
36	تاريخ وتراث	خدمات	جنس
37	صناعة	تنمية	رؤساء
38	تجارة	حقوق إنسان	تنظيمات إسلامية
39	ممثلون وممثلات	زراعه وثروة حيوانية	اتفاقيات دولية
40	شؤون قانونية	إرهاب وتطرف	خدمات
41	زراعه وثروة حيوانية	فنانون وفنانات	إدارة
42	خدمات	اسرائيل	مؤسسات دولية
43	مؤسسات دولية	تجارة	زراعه وثروة حيوانية
44	اتفاقيات سلام	اتفاقيات دولية	إرهاب وتطرف
45	فنانون وفنانات	قضايا دولية	اسرائيل
46	قضايا دولية	مؤسسات دولية	صناعة
47	فضائح	أزمات عالمية	قضايا دولية
48	اتفاقيات دولية	اتفاقيات سلام	أزمات عالمية
49	ملوك وأمراء	أقليات	تجارة
50	أزمات عالمية	فضائح	أقليات
51	إدارة	إدارة	مذهبية
52	أقليات	ملوك وأمراء	فنانون وفنانات
53	مذهبية	مذهبية	فضائح



جدول (9) أوضاع قضايا الشأن العام والشأن الخاص في المدونات

قضايا الشأن العام			
القضية	الترتيب بين الشأن العام	الترتيب العام في المدونات	عدد المشاركات
غير واضح	1	1	14111
أدب وثقافه	2	7	4717
مؤسسات سياسية	3	8	3785
قضية فلسطين	4	9	3774
اسرائيل	5	11	3182
اقتصاد	6	12	3117
تربيه وتعليم	7	13	2960
قضايا اجتماعية	8	14	2920
إعلام وحرية تعبير	9	15	2786
أمن وجريمة	10	16	2507
صراعات	11	19	1984
طائفية	12	21	1953
بيئة وموارد	13	22	1912
قضايا سياسية	14	23	1859
رؤساء	15	25	1559
حقوق إنسان	16	28	1391
علوم	17	30	1295
تنظيمات إسلامية	18	33	985
تنمية	19	34	932
إرهاب وتطرف	20	35	750
تاريخ وتراث	21	36	693
صناعة	22	37	691
تجارة	23	38	595
شؤون قانونية	24	40	555
زراعه وثروة حيوانية	25	41	489
مؤسسات دولية	26	43	460
اتفاقيات سلام	27	44	423
قضايا دولية	28	46	333
اتفاقيات دولية	29	48	235
أزمات عالمية	30	50	207
إدارة	31	51	203
أقليات	32	52	113
مذهبية	33	53	85
قضايا الشأن الخاص			
القضية	الترتيب بين الشأن الخاص	الترتيب العام في المدونات	عدد المشاركات
قضايا دينية	2	2	10490
أفلام وسينما وأغانى	1	3	8675
رياضة	2	4	6931
خواطر ومشاعر	3	5	5649
انترنت ومعلوماتية واتصالات	4	6	5074
طب وصحة	5	10	3531
فنون	6	17	2148
تلفزيون وفضائيات	7	18	2097
نصائح وإرشادات	8	20	1969
مطربون ومطربات	9	24	1798
استهلاك	10	26	1523
مناسبات وأعياد	11	27	1483
قضايا المرأه	12	29	1321
اسره	13	31	1289
جنس	14	32	1285
ممثلون وممثلات	15	39	574
خدمات	16	42	471
فنانون وفنانات	17	45	361
فضائح	18	47	301

جدول (10) أوضاع قضايا الشأن العام والشأن الخاص في المنتديات

قضايا الشأن العام			
القضية	الترتيب بين الشأن العام	الترتيب العام في المنتديات	عدد المشاركات
أدب وثقافه وفكر	1	6	34962
تربيه وتعليم	2	9	25890
قضايا اجتماعية	3	10	23461
اقتصاد	4	11	23321
أمن وجريمة	5	18	16612
غير واضح	6	19	14363
طائفية	7	21	9343
صراعات	8	23	8782
بيئة وموارد	9	24	8717
إعلام وحرية تعبير	10	25	8461
رؤساء	11	26	7218
علوم	12	27	6504
مؤسسات سياسية	13	28	6084
قضية فلسطين	14	30	5897
تاريخ وتراث	15	31	5088
قضايا سياسية	16	32	4938
صناعة	17	33	3452
تنظيمات إسلامية	18	34	3116
شؤون قانونية	19	35	2797
تنمية	20	37	2419
حقوق إنسان	21	38	2097
زراعه وثروة حيوانية	22	39	1744
إرهاب وتطرف	23	40	1714
اسرائيل	24	42	1495
تجارة	25	43	1116
اتفاقيات دولية	26	44	1052
قضايا دولية	27	45	713
مؤسسات دولية	28	46	558
أزمات عالمية	29	47	532
اتفاقيات سلام	30	48	526
أقليات	31	49	448
إدارة	32	51	98
مذهبية	33	53	8
قضايا الشأن الخاص			
القضية	الترتيب بين الشأن الخاص	الترتيب العام في المنتديات	عدد المشاركات
أفلام وسينما وأغانى	1	1	58034
نصائح وإرشادات	2	2	42498
طب وصحة	3	3	38148
قضايا دينية	4	4	37881
انترنت ومعلوماتية واتصالات	5	5	35278
خواطر ومشاعر	6	7	31167
رياضة	7	8	31044
اسره	8	12	22533
مطربون ومطربات	9	13	22107
قضايا المرأه	10	14	20577
فنون	11	15	19889
استهلاك	12	16	19102
تلفزيون وفضائيات	13	17	18689
جنس	14	20	11664
ممثلون وممثلات	15	22	8878
مناسبات وأعياد	16	29	5983
خدمات	17	36	2545
فنانون وفنانات	18	41	1642
فضائح	19	50	438



جدول (11) أوضاع قضايا الشأن العام والشأن الخاص في الفيس بوك

قضايا الشأن العام			
القضية	الترتيب بين الشأن العام	الترتيب العام في الفيس بوك	عدد المشاركات
قضايا اجتماعية	1	4	5571
أدب وثقافه وفكر	2	5	4475
تربيه وتعليم	3	13	1450
اقتصاد	4	14	1422
إعلام وحرية تعبير	5	16	1264
علوم	6	17	1157
قضايا سياسية	7	18	1143
أمن وجريمة	8	19	1065
تنمية	9	20	1057
مؤسسات سياسية	10	21	926
صراعات	11	23	915
طائفية	12	24	828
حقوق إنسان	13	25	822
قضية فلسطين	14	26	793
طرائف	15	29	645
تاريخ وتراث	16	30	454
بيئة وموارد	17	31	453
شؤون قانونية	18	32	398
اتفاقيات سلام	19	33	345
رؤساء	20	37	232
تنظيمات إسلامية	21	38	209
اتفاقيات دولية	22	39	148
إدارة	23	41	141
مؤسسات دولية	24	42	136
زراعه وثروة حيوانية	25	43	129
إرهاب وتطرف	26	44	127
اسرائيل	27	45	127
صناعة	28	46	126
قضايا دولية	29	47	65
أزمات عالمية	30	48	62
تجارة	31	49	62
أقليات	32	50	48
مذهبية	33	51	45
قضايا الشأن الخاص			
القضية	الترتيب بين الشأن الخاص	الترتيب العام في الفيس بوك	عدد المشاركات
خواطر ومشاعر	1	1	66905
قضايا دينية	2	2	30834
نصائح وإرشادات واستفسارات	3	3	9903
رياضة	4	6	3046
مطربون ومطربات	5	7	2897
انترنت ومعلوماتية واتصالات	6	8	2801
طب وصحة	7	9	2285
أفلام وسينما	8	10	1713
تلفزيون وفضائيات	9	11	1610
اسره	10	12	1469
فنون	11	15	
ممثلون وممثلات	12	22	921
قضايا المرأه	13	27	789
مناسبات وأعياد	14	28	649
*طرائف	15	29	645
ملوك وامراء	16	34	338
استهلاك	17	35	325
جنس	18	36	312
خدمات	19	40	146
فنانون وفنانات	20	52	18

* ظهرت قضية الطرائف على الفيس بوك فقط ولم تظهر في المنتديات والمدونات، ولذلك ظهرت بهذا الجدول ولم تظهر بالجدولين 9 و10

جدول (12) توزع التعليقات على القضايا المثارة في المدونات المدروسة

م	القضية	التدوينات	عدد التعليقات	متوسط نصيب التدوينات من التعليقات	النسبة من إجمالى التعليقات
1	اتفاقيات دولية	235.0	198.0	0.8	0.1
2	اتفاقيات سلام	423.0	1999.0	4.7	0.9
3	إدارة	203.0	26.0	0.1	0.0
4	أدب وثقافه	4717.0	11447.0	2.4	5.4
5	إرهاب وتطرف	750.0	844.0	1.1	0.4
6	أزمات عالمية	207.0	204.0	1.0	0.1
7	استهلاك	1523.0	1074.0	0.7	0.5
8	اسرائيل	3182.0	8079.0	2.5	3.8
9	اسره	1289.0	2831.0	2.2	1.3
10	إعلام وحرية تعبير	2786.0	5042.0	1.8	2.4
11	أفلام وسينما	8675.0	13341.0	1.5	6.3
12	اقتصاد	3117.0	3329.0	1.1	1.6
13	أقليات	113.0	99.0	0.9	0.0
14	أمن وجريمة	2507.0	3565.0	1.4	1.7
15	انترنت ومعلوماتية	5074.0	8868.0	1.7	4.2
16	بيئة وموارد	1912.0	2057.0	1.1	1.0
17	تاريخ وتراث	693.0	1119.0	1.6	0.5
18	تجارة	595.0	369.0	0.6	0.2
19	تربيه وتعليم	2960.0	3962.0	1.3	1.9
20	تلفزيون وفضائيات	2097.0	1373.0	0.7	0.6
21	تنظيمات إسلامية	985.0	559.0	0.6	0.3
22	تنمية	932.0	934.0	1.0	0.4
23	جنس	1285.0	852.0	0.7	0.4
24	حقوق إنسان	1391.0	3400.0	2.4	1.6
25	خدمات	471.0	457.0	1.0	0.2
26	خواطر	5649.0	29204.0	5.2	13.8
27	رؤساء	1559.0	1773.0	1.1	0.8
28	رياضة	6931.0	9242.0	1.3	4.4
29	زراعه وثروة حيوانية	489.0	191.0	0.4	0.1
30	صراعات	1984.0	3059.0	1.5	1.4
31	صناعة	691.0	620.0	0.9	0.3
32	طائفية	1953.0	2745.0	1.4	1.3
33	طب وصحة	3531.0	3327.0	0.9	1.6
34	علوم	1295.0	1356.0	1.0	0.6
35	غير واضح	14111.0	27068.0	1.9	12.8
36	فضائح	301.0	207.0	0.7	0.1
37	فنانون وفنانات	361.0	835.0	2.3	0.4
38	فنون	2148.0	2520.0	1.2	1.2
39	قضايا اجتماعية	2920.0	5988.0	2.1	2.8
40	قضايا المرأه	1321.0	2159.0	1.6	1.0
41	قضايا دولية	333.0	147.0	0.4	0.1
42	قضايا دينية	10490.0	21295.0	2.0	10.0
43	قضايا سياسية	1859.0	3132.0	1.7	1.5
44	قضية فلسطين	3774.0	9356.0	2.5	4.4
45	قوانين	555.0	620.0	1.1	0.3
46	مذهبية	85.0	21.0	0.2	0.0
47	مطربون	1798.0	1314.0	0.7	0.6
48	ملوك	225.0	120.0	0.5	0.1
49	ممثلون وممثلات	574.0	189.0	0.3	0.1
50	مناسبات وأعياد	1483.0	1340.0	0.9	0.6
51	مؤسسات دولية	460.0	163.0	0.4	0.1
52	مؤسسات سياسية	3785.0	5165.0	1.4	2.4
53	نصائح وإرشادات	1969.0	3095.0	1.6	1.5
54	إجمالي	120756.0	212279.0	1.8	100.0



جدول (13) نمط التعليقات على التدوينات وعددها موزعة بحسب البلدان

م	البلد	عدد التدوينات	عدد التعليقات	متوسط نصيب التدوينة من التعليقات	النسبة من إجمالى التعليقات
1	الأردن	2073.0	11463.0	5.5	5.4
2	الإمارات العربية المتحدة	994.0	2210.0	2.2	1.0
3	البحرين	579.0	1283.0	2.2	0.6
4	الجزائر	1804.0	2109.0	1.2	1.0
5	السعودية	7615.0	19011.0	2.5	9.0
6	السودان	754.0	1483.0	2.0	0.7
7	العراق	1191.0	923.0	0.8	0.4
8	الكويت	3202.0	15677.0	4.9	7.4
9	المغرب	3972.0	3520.0	0.9	1.7
10	اليمن	1000.0	2018.0	2.0	1.0
11	بلدان غير عربية	4096.0	4862.0	1.2	2.3
12	تونس	1259.0	1230.0	1.0	0.6
13	جيبوتي	6.0	2.0	0.3	0.0
14	سورية	935.0	1244.0	1.3	0.6
15	عمان	459.0	2056.0	4.5	1.0
16	فلسطين	2196.0	4485.0	2.0	2.1
17	قطر	222.0	104.0	0.5	0.0
18	لبنان	936.0	2469.0	2.6	1.2
19	ليبيا	2482.0	3073.0	1.2	1.4
20	مصر	28550.0	49089.0	1.7	23.1
21	موريتانيا	148.0	153.0	1.0	0.1
	إجمالي	120756.0	212279.0		100.0

جدول (14) نمط التعليقات على التدوينات وعددها موزعة بحسب وظيفة المدون

نوع الوظيفة	عدد التدوينات	عدد التعليقات	متوسط نصيب التدوينة من التعليقات	النسبة المئوية من إجمالي التعليقات
اخرى	615.0	3445	5.6	1.6
اداريون وتنمية بشرية	711.0	2629	3.7	1.2
اطباء ومهن طبية	642.0	3287	5.1	1.5
باحثون	69.0	38	0.6	0.0
دعاة ومهن دينية	68.0	322	4.7	0.2
رجال أعمال	86.0	127	1.5	0.1
صحفيون وكتاب	1144.0	3795	3.3	1.8
طالب	930.0	2277	2.4	1.1
عاطل	90.0	807	9.0	0.4
غير مذكور	113187.0	185988	1.6	87.6
غير واضح	542.0	2760	5.1	1.3
فنون تشكيلية	141.0	366	2.6	0.2
مترجمون	59.0	78	1.3	0.0
محامون ومهن قانونية	251.0	1041	4.1	0.5
مدرسون ورجال تعليم	1074.0	2366	2.2	1.1
مهن فنية	73.0	465	6.4	0.2
مهندس	338.0	1188	3.5	0.6
موظفون	86.0	380	4.4	0.2
وظائف تكنولوجيا معلومات واتصالات	650.0	920	1.4	0.4
اجمالى	120756	212279	1.8	100.0

المعلوماتية

جدول (11أ) أوضاع أبرز 10 قضايا فى الشأن العام فى قنوات العينة المدروسة

القضية	الترتيب العام			النسبة من إجمالي			النسبة من إجمالى التعليقات			عدد التعليقات على المشاركة الواحدة			الجماهيرية لدى الذكور			الجماهيرية لدى الإناث		
	مدونات	منتديات	فيس بوك	مدونات	منتديات	فيس بوك	مدونات	منتديات	فيس بوك	مدونات	منتديات	فيس بوك	مدونات	منتديات	فيس بوك	مدونات	منتديات	فيس بوك
أدب وثقافه وفكر	7	6	5	3.9	5.3	2.89	5.4	3.234	2.54	2.4	27.4	5.72	4	11	36	4	3	29
اسرائيل	11	42	45	2.6	0.2	0.08	3.8	0.055	0.02	2.5	11.0	1.49	8	48	47	10	41	28
إعلام وحرية تعبير	15	25	16	2.3	1.3	0.81	2.4	0.971	1.62	1.8	34.0	12.89	24	20	17	25	20	20
اقتصاد	12	11	14	2.6	3.5	0.92	1.6	32.758	0.69	1.1	415.8	4.89	14	1	44	9	17	46
تربيه وتعليم	13	9	13	2.5	3.9	0.93	1.9	3.508	0.76	1.3	40.1	5.28	19	4	39	18	10	35
حقوق إنسان	28	38	25	1.2	0.3	0.53	1.6	0.104	0.30	2.4	14.7	3.67	23	19	24	26	37	14
طائفية	21	21	24	1.6	1.4	0.53	1.3	0.405	0.21	1.4	12.8	2.55	15	32	18	38	34	12
قضايا اجتماعية	14	10	4	2.4	3.5	3.59	2.8	2.676	2.24	2.1	33.8	4.05	13	13	11	12	14	11
قضايا سياسية	23	32	18	1.5	0.7	0.74	1.5	0.508	0.36	1.7	30.4	3.21	20	12	9	21	23	24
قضية فلسطين	9	30	26	3.1	0.9	0.51	4.4	0.387	0.23	2.5	19.4	2.92	9	21	20	8	27	16

معدل الاهتمام طوال العام

القضية	مدونات				منتديات				فيس بوك			
	الربع الاول	الربع الثاني	الربع الثالث	الربع الرابع	الربع الاول	الربع الثاني	الربع الثالث	الربع الرابع	الربع الاول	الربع الثاني	الربع الثالث	الربع الرابع
أدب وثقافه وفكر	6	6	6	6	5	5	5	6	4	4	5	5
اسرائيل	10	12	10	12	40	41	41	40	38	39	48	45
إعلام وحرية تعبير	14	13	13	14	25	22	24	25	19	15	15	16
اقتصاد	11	11	12	9	10	10	12	11	18	12	12	14
تربيه وتعليم	12	14	11	17	9	9	9	9	12	14	11	15
حقوق إنسان	27	28	27	5	38	38	38	37	29	25	23	21
طائفية	20	25	16	24	22	24	21	21	21	28	21	25
قضايا اجتماعية	13	10	14	13	11	11	10	10	5	5	4	4
قضايا سياسية	22	19	22	20	32	32	32	29	23	16	17	17
قضية فلسطين	8	8	5	10	28	28	30	31	24	23	27	27



المعلوماتية

جدول (11ب) أوضاع أبرز 10 قضايا في الشأن الخاص في قنوات العينة المدروسة

القضية	الترتيب العام			النسبة من إجمالي			النسبة من إجمالي التعليقات			عدد التعليقات على المشاركة الواحدة			الجماهيرية لدى الذكور			الجماهيرية لدى الإناث		
	مدونات	منتديات	فيس بوك	مدونات	منتديات	فيس بوك	مدونات	منتديات	فيس بوك	مدونات	منتديات	فيس بوك	مدونات	منتديات	فيس بوك	مدونات	منتديات	فيس بوك
اسره	31	12	12	1.1	3.4	0.95	1.3	1.906	0.86	2.2	25.0	5.87	29	22	41	19	6	17
أفلام وسينما	3	1	10	7.2	8.8	1.10	6.3	6.874	0.69	1.5	35.1	4.89	1	9	29	2	5	19
انترنت ومعلوماتية	6	5	8	4.2	5.3	1.81	4.2	4.212	13.23	1.7	35.3	47.59	3	6	26	11	2	25
تلفزيون وفضائيات	18	17	11	1.7	2.8	1.04	0.6	2.371	5.76	0.7	37.6	36.05	11	7	22	6	7	15
خواطر	5	7	1	4.7	4.7	43.13	13.8	4.893	16.23	5.2	46.5	2.44	6	8	3	1	4	2
رياضة	4	8	6	5.7	4.7	1.96	4.4	6.120	3.62	1.3	58.4	11.97	5	2	10	5	8	37
طب وصحة	10	3	9	2.9	5.8	1.47	1.6	1.205	0.93	0.9	9.4	4.09	10	15	28	7	12	10
قضايا دينية	2	4	2	8.7	5.7	19.88	10.0	2.141	8.07	2.0	16.7	2.64	41	5	4	40	16	3
مطربون	24	13	7	1.5	3.3	1.87	0.6	1.716	12.73	0.7	23.0	44.29	2	3	23	3	15	9
نصائح وإرشادات	20	2	3	1.6	6.4	6.38	1.5	3.529	4.45	1.6	24.581	4.53	16	14	14	15	1	6

معدل الاهتمام طوال العام

القضية	مدونات				منتديات				فيس بوك			
	الربع الاول	الربع الثاني	الربع الثالث	الربع الرابع	الربع الاول	الربع الثاني	الربع الثالث	الربع الرابع	الربع الاول	الربع الثاني	الربع الثالث	الربع الرابع
اسره	30	30	28	29	12	12	11	13	15	13	14	12
أفلام وسينما	2	1	2	2	1	1	1	1	11	10	10	10
انترنت ومعلوماتية	5	4	7	4	4	6	6	4	8	7	6	8
تلفزيون وفضائيات	17	17	19	17	17	17	15	16	10	11	13	11
خواطر	4	5	4	5	7	8	8	8	1	1	1	1
رياضة	3	3	3	3	8	7	7	7	7	6	7	6
طب وصحة	9	9	8	8	3	3	4	3	9	9	9	9
قضايا دينية	1	2	1	1	6	4	2	5	2	2	2	2
مطربون	23	24	23	18	13	13	13	12	6	8	8	7
نصائح وإرشادات	19	20	18	19	2	2	3	2	3	3	3	3



جدول (15) جماهيرية القضايا على المنتديات طبقاً لعدد التعليقات على المشاركة الواحدة فى كل قضية

الترتيب	عدد المشاركات	عدد التعليقات	نصيب القضية من إجمالى عدد التعليقات	عدد التعليقات على المشاركة الواحدة
1	أفلام وسينما	اقتصاد	اقتصاد	تنمية
2	نصائح وإرشادات	أفلام وسينما	أفلام وسينما	اقتصاد
3	طب وصحة	رياضة	رياضة	فضائح
4	قضايا دينية	تنمية	تنمية	صناعة
5	انترنت ومعلوماتية واتصالات	خواطر	خواطر	رياضة
6	أدب وثقافه وفكر	انترنت ومعلوماتية واتصالات	انترنت ومعلوماتية واتصالات	جنس
7	خواطر	نصائح وإرشادات	نصائح وإرشادات	خواطر
8	رياضة	تربيه وتعليم	تربيه وتعليم	تربيه وتعليم
9	تربيه وتعليم	أدب وثقافه وفكر	أدب وثقافه وفكر	تلفزيون وفضائيات
10	قضايا اجتماعية	قضايا اجتماعية	قضايا اجتماعية	انترنت ومعلوماتية واتصالات
11	اقتصاد	تلفزيون وفضائيات	تلفزيون وفضائيات	أفلام وسينما
12	اسره	فنون	فنون	إعلام وحرية تعبير
13	مطربون ومطربات	قضايا دينية	قضايا دينية	قضايا اجتماعية
14	قضايا المرأه	جنس	جنس	فنون
15	فنون	اسره	اسره	تجارة
16	استهلاك	مطربون ومطربات	مطربون ومطربات	شؤون قانونية
17	تلفزيون وفضائيات	أمن وجريمة	أمن وجريمة	بيئة وموارد
18	أمن وجريمة	صناعة	صناعة	قضايا سياسية
19	علوم	طب وصحة	طب وصحة	أمن وجريمة
20	جنس	إعلام وحرية تعبير	إعلام وحرية تعبير	أدب وثقافه وفكر
21	طائفية	بيئة وموارد	بيئة وموارد	اسره
22	ممثلون وممثلات	علوم	علوم	نصائح وإرشادات
23	صراعات	صراعات	صراعات	مؤسسات سياسية
24	بيئة وموارد	قضايا المرأه	قضايا المرأه	مطربون ومطربات
25	إعلام وحرية تعبير	ممثلون وممثلات	ممثلون وممثلات	رؤساء
26	رؤساء	رؤساء	رؤساء	صراعات
27	طرائف	قضايا سياسية	قضايا سياسية	إرهاب وتطرف
28	مؤسسات سياسية	مؤسسات سياسية	مؤسسات سياسية	ممثلون وممثلات
29	مناسبات وأعياد	استهلاك	استهلاك	قضية فلسطين
30	قضية فلسطين	طائفية	طائفية	فنانون وفنانات
31	تاريخ وتراث	قضية فلسطين	قضية فلسطين	علوم
32	قضايا سياسية	مناسبات وأعياد	مناسبات وأعياد	قضايا دينية
33	صناعة	فضائح	فضائح	مناسبات وأعياد
34	تنظيمات إسلامية	شؤون قانونية	شؤون قانونية	اتفاقيات سلام
35	شؤون قانونية	تاريخ وتراث	تاريخ وتراث	حقوق إنسان
36	خدمات	طرائف	طرائف	خدمات
37	تنمية	تنظيمات إسلامية	تنظيمات إسلامية	تاريخ وتراث
38	حقوق إنسان	خدمات	خدمات	طائفية
39	زراعه وثروة حيوانية	تجارة	تجارة	تنظيمات إسلامية
40	إرهاب وتطرف	إرهاب وتطرف	إرهاب وتطرف	اتفاقيات دولية
41	فنانون وفنانات	حقوق إنسان	حقوق إنسان	اسرائيل
42	اسرائيل	فنانون وفنانات	فنانون وفنانات	أقليات
43	تجارة	اسرائيل	اسرائيل	طب وصحة
44	اتفاقيات دولية	اتفاقيات دولية	اتفاقيات دولية	قضايا المرأه
45	قضايا دولية	زراعه وثروة حيوانية	زراعه وثروة حيوانية	طرائف
46	مؤسسات دولية	اتفاقيات سلام	اتفاقيات سلام	أزمات عالمية
47	أزمات عالمية	أقليات	أقليات	استهلاك
48	اتفاقيات سلام	أزمات عالمية	أزمات عالمية	زراعه وثروة حيوانية
49	أقليات	قضايا دولية	قضايا دولية	ملوك وامراء
50	فضائح	مؤسسات دولية	مؤسسات دولية	قضايا دولية
51	إدارة	ملوك وامراء	ملوك وامراء	مؤسسات دولية
52	ملوك وامراء	إدارة	إدارة	إدارة
53	مذهبية	مذهبية	مذهبية	مذهبية

القضية	المركز فى عدد المشاركات	المركز فى عدد التعليقات	المركز فى النسبة من إجمالى عدد التعليقات	المركز فعدد التعليقات على المشاركة الواحدة
أفلام وسينما	1	2	2	11
قضايا دينية	4	13	13	32
اقتصاد	11	1	1	2
تنمية	37	4	4	1

جدول (16) جماهيرية القضايا المثارة عبر المنتديات موزعة بحسب النوع

المركز	جماهيرية مشاركات الذكور	جماهيرية مشاركات الإناث
1	اقتصاد	نصائح وإرشادات
2	رياضة	انترنت ومعلوماتية واتصالات
3	مطربون ومطربات	أدب وثقافه وفكر
4	تربيه وتعليم	خواطر
5	قضايا دينية	أفلام وسينما
6	انترنت ومعلوماتية واتصالات	اسره
7	تلفزيون وفضائيات	تلفزيون وفضائيات
8	خواطر	رياضة
9	أفلام وسينما	صناعة
10	تاريخ وتراث	تربيه وتعليم
11	أدب وثقافه وفكر	أمن وجريمة
12	قضايا سياسية	طب وصحة
13	قضايا اجتماعية	فنون
14	نصائح وإرشادات	قضايا اجتماعية
15	طب وصحة	مطربون ومطربات
16	أمن وجريمة	قضايا دينية
17	فنون	اقتصاد
18	علوم	قضايا المرأه
19	حقوق إنسان	جنس
20	إعلام وحرية تعبير	إعلام وحرية تعبير
21	قضية فلسطين	علوم
22	اسره	استهلاك
23	استهلاك	قضايا سياسية
24	رؤساء	بيئة وموارد
25	صراعات	مناسبات وأعياد
26	تنظيمات إسلامية	تاريخ وتراث
27	اتفاقيات دولية	قضية فلسطين
28	مؤسسات سياسية	ممثلون وممثلات
29	تنمية	صراعات
30	قضايا المرأه	مؤسسات سياسية
31	بيئة وموارد	تنمية
32	طائفية	طرائف
33	خدمات	خدمات
34	طرائف	طائفية
35	شؤون قانونية	رؤساء
36	زراعه وثروة حيوانية	فنانون وفنانات
37	صناعة	حقوق إنسان
38	مناسبات وأعياد	اتفاقيات دولية
39	ممثلون وممثلات	تنظيمات إسلامية
40	أزمات عالمية	شؤون قانونية
41	قضايا دولية	اسرائيل
42	جنس	إرهاب وتطرف
43	اتفاقيات سلام	اتفاقيات سلام
44	تجارة	فضائح
45	أقليات	زراعه وثروة حيوانية
46	فضائح	أزمات عالمية
47	إرهاب وتطرف	تجارة
48	اسرائيل	قضايا دولية
49	فنانون وفنانات	مؤسسات دولية
50	مؤسسات دولية	أقليات
51	ملوك وامراء	ملوك وامراء
52	إدارة	إدارة
53	مذهبية	مذهبية

جدول (17) جماهيرية القضايا المثارة في المنتديات بحسب المستوى التعليمي

المركز	جماهيرية مشاركات قبل الجامعى	جماهيرية مشاركات جامعى	جماهيرية مشاركات بعد الجامعى
1	رياضة	اقتصاد	تربيه وتعليم
2	انترنت ومعلوماتية واتصالات	تنمية	قضايا اجتماعية
3	نصائح وإرشادات	رياضة	رياضة
4	أفلام وسينما	خواطر	إعلام وحرية تعبير
5	خواطر	أمن وجريمة	تاريخ وتراث
6	أدب وثقافه وفكر	قضايا اجتماعية	اقتصاد
7	تلفزيون وفضائيات	مؤسسات سياسية	أمن وجريمة
8	اقتصاد	أفلام وسينما	تلفزيون وفضائيات
9	اسره	قضايا دينية	أدب وثقافه وفكر
10	فنون	أدب وثقافه وفكر	نصائح وإرشادات
11	تربيه وتعليم	نصائح وإرشادات	علوم
12	قضايا اجتماعية	انترنت ومعلوماتية واتصالات	أفلام وسينما
13	أمن وجريمة	صراعات	انترنت ومعلوماتية واتصالات
14	قضايا دينية	تربيه وتعليم	طب وصحة
15	مطربون ومطربات	طب وصحة	قضايا دينية
16	علوم	شؤون قانونية	خواطر
17	رؤساء	طائفية	فنون
18	طب وصحة	قضايا سياسية	قضايا سياسية
19	إعلام وحرية تعبير	تلفزيون وفضائيات	قضية فلسطين
20	قضايا المرأه	جنس	مؤسسات سياسية
21	صناعة	إرهاب وتطرف	اسره
22	جنس	اسره	اتفاقيات دولية
23	استهلاك	فنون	بيئة وموارد
24	مناسبات وأعياد	إعلام وحرية تعبير	طرائف
25	قضية فلسطين	مطربون ومطربات	حقوق إنسان
26	صراعات	استهلاك	تنمية
27	بيئة وموارد	علوم	صراعات
28	قضايا سياسية	صناعة	شؤون قانونية
29	تاريخ وتراث	تاريخ وتراث	رؤساء
30	مؤسسات سياسية	قضايا المرأه	صناعة
31	طائفية	رؤساء	مطربون ومطربات
32	خدمات	حقوق إنسان	قضايا المرأه
33	شؤون قانونية	بيئة وموارد	طائفية
34	ممثلون وممثلات	ممثلون وممثلات	فنانون وفنانات
35	طرائف	طرائف	مناسبات وأعياد
36	تنمية	مناسبات وأعياد	استهلاك
37	حقوق إنسان	تنظيمات إسلامية	خدمات
38	تنظيمات إسلامية	زراعه وثروة حيوانية	إرهاب وتطرف
39	فنانون وفنانات	قضية فلسطين	جنس
40	اتفاقيات دولية	خدمات	أقليات
41	تجارة	اتفاقيات دولية	قضايا دولية
42	فضائح	اتفاقيات سلام	فضائح
43	اسرائيل	فنانون وفنانات	زراعه وثروة حيوانية
44	إرهاب وتطرف	تجارة	إدارة
45	اتفاقيات سلام	قضايا دولية	ممثلون وممثلات
46	زراعه وثروة حيوانية	اسرائيل	أزمات عالمية
47	أزمات عالمية	أقليات	تنظيمات إسلامية
48	مؤسسات دولية	أزمات عالمية	اسرائيل
49	قضايا دولية	ملوك وامراء	تجارة
50	أقليات	فضائح	اتفاقيات سلام
51	ملوك وامراء	مؤسسات دولية	مذهبية
52	إدارة	إدارة	مؤسسات دولية
53	مذهبية	مذهبية	ملوك وامراء

جدول (18) جماهيرية القضايا المثارة في المنتديات بحسب العمر (السن)

المركز	جماهيرية مشاركات 18 الى 24	جماهيرية مشاركات 25 الى 34	جماهيرية مشاركات 35الى 44	جماهيرية مشاركات 45الى 54	جماهيرية مشاركات 55الى 64
1	أفلام وسينما	خواطر	اقتصاد	إعلام وحرية تعبير	اقتصاد
2	انترنت ومعلوماتية واتصالات	أدب وثقافه وفكر	صناعة	أدب وثقافه وفكر	قضايا سياسية
3	رياضة	انترنت ومعلوماتية واتصالات	قضايا دينية	نصائح وإرشادات	تربيه وتعليم
4	خواطر	أمن وجريمة	خواطر	مطربون ومطربات	بيئة وموارد
5	اقتصاد	نصائح وإرشادات	بيئة وموارد	تربيه وتعليم	صناعة
6	نصائح وإرشادات	قضايا دينية	رياضة	اقتصاد	مطربون ومطربات
7	أدب وثقافه وفكر	تاريخ وتراث	أفلام وسينما	رياضة	طائفية
8	تلفزيون وفضائيات	قضايا اجتماعية	قضايا اجتماعية	خواطر	انترنت ومعلوماتية واتصالات
9	فنون	اسره	أدب وثقافه وفكر	قضايا دينية	قضايا دينية
10	اسره	تربيه وتعليم	تربيه وتعليم	قضايا اجتماعية	خواطر
11	مطربون ومطربات	طب وصحة	تلفزيون وفضائيات	طائفية	أدب وثقافه وفكر
12	تربيه وتعليم	رياضة	اتفاقيات سلام	اسره	تجارة
13	قضايا اجتماعية	مطربون ومطربات	علوم	أمن وجريمة	رؤساء
14	جنس	قضية فلسطين	مطربون ومطربات	رؤساء	طب وصحة
15	أمن وجريمة	طائفية	رؤساء	تاريخ وتراث	نصائح وإرشادات
16	قضايا دينية	بيئة وموارد	إعلام وحرية تعبير	مناسبات وأعياد	مؤسسات سياسية
17	طب وصحة	أفلام وسينما	مؤسسات سياسية	أفلام وسينما	أفلام وسينما
18	علوم	قضايا المرأه	صراعات	فنون	أمن وجريمة
19	قضايا المرأه	قضايا سياسية	انترنت ومعلوماتية واتصالات	علوم	رياضة
20	ممثلون وممثلات	فنون	قضية فلسطين	انترنت ومعلوماتية واتصالات	تاريخ وتراث
21	إعلام وحرية تعبير	اقتصاد	نصائح وإرشادات	قضايا سياسية	تلفزيون وفضائيات
22	فضائح	علوم	اسره	طب وصحة	قضايا اجتماعية
23	مناسبات وأعياد	استهلاك	تاريخ وتراث	صراعات	علوم
24	استهلاك	صراعات	طب وصحة	صناعة	اسره
25	صراعات	تلفزيون وفضائيات	قضايا سياسية	اتفاقيات دولية	خدمات
26	صناعة	جنس	فنون	جنس	مناسبات وأعياد
27	بيئة وموارد	مؤسسات سياسية	جنس	تلفزيون وفضائيات	صراعات
28	قضية فلسطين	إعلام وحرية تعبير	مناسبات وأعياد	قضية فلسطين	قضايا المرأه
29	شؤون قانونية	طرائف	أمن وجريمة	مؤسسات سياسية	فنون
30	طرائف	رؤساء	تنمية	بيئة وموارد	زراعه وثروة حيوانية
31	مؤسسات سياسية	مناسبات وأعياد	تنظيمات إسلامية	زراعه وثروة حيوانية	جنس
32	تنمية	صناعة	شؤون قانونية	قضايا المرأه	استهلاك
33	قضايا سياسية	تجارة	حقوق إنسان	طرائف	حقوق إنسان
34	تاريخ وتراث	إرهاب وتطرف	طرائف	استهلاك	إعلام وحرية تعبير
35	رؤساء	حقوق إنسان	استهلاك	تنظيمات إسلامية	قضية فلسطين
36	حقوق إنسان	خدمات	طائفية	حقوق إنسان	تنظيمات إسلامية
37	طائفية	شؤون قانونية	قضايا المرأه	تنمية	تنمية
38	فنانون وفنانات	اتفاقيات دولية	قضايا دولية	شؤون قانونية	ممثلون وممثلات
39	خدمات	تنمية	خدمات	خدمات	طرائف
40	تنظيمات إسلامية	ممثلون وممثلات	اسرائيل	أزمات عالمية	شؤون قانونية
41	اتفاقيات دولية	اسرائيل	ممثلون وممثلات	إرهاب وتطرف	اسرائيل
42	اسرائيل	أزمات عالمية	زراعه وثروة حيوانية	اسرائيل	إرهاب وتطرف
43	إرهاب وتطرف	تنظيمات إسلامية	أزمات عالمية	قضايا دولية	أزمات عالمية
44	اتفاقيات سلام	زراعه وثروة حيوانية	مؤسسات دولية	أقليات	مؤسسات دولية
45	تجارة	أقليات	إرهاب وتطرف	اتفاقيات سلام	اتفاقيات دولية
46	زراعه وثروة حيوانية	اتفاقيات سلام	إدارة	ممثلون وممثلات	اتفاقيات سلام
47	قضايا دولية	قضايا دولية	تجارة	فضائح	أقليات
48	أزمات عالمية	مؤسسات دولية	فضائح	تجارة	قضايا دولية
49	مؤسسات دولية	إدارة	مذهبية	ملوك وامراء	إدارة
50	أقليات	فضائح	اتفاقيات دولية	فنانون وفنانات	فضائح
51	ملوك وامراء	فنانون وفنانات	فنانون وفنانات	إدارة	فنانون وفنانات
52	إدارة	مذهبية	أقليات	مؤسسات دولية	مذهبية
53	مذهبية	ملوك وامراء	ملوك وامراء	مذهبية	ملوك وامراء

جدول (19) ترتيب القضايا عبر الفيس بوك طبقاً لجماهيريتها "عدد المشاركات مقابل عدد التعليقات وعدد مرات الإعجاب"

القضية	عدد المشاركات	عدد مرات التعرض	عدد مرات الإعجاب والمتابعة	نصيب المشاركة الواحدة من مرات الإعجاب	عدد التعليقات	نصيب المشاركة الواحدة من التعليقات
1	خواطر ومشاعر	خواطر ومشاعر	خواطر ومشاعر	أقليات	خواطر ومشاعر	ممثلون وممثلات
2	قضايا دينية	قضايا دينية	قضايا دينية	قضايا سياسية	ممثلون وممثلات	انترنت ومعلوماتية واتصالات
3	نصائح وإرشادات واستفسارات	طب وصحة	أدب وثقافه وفكر	تلفزيون وفضائيات	انترنت ومعلوماتية واتصالات	مطربون ومطربات
4	قضايا اجتماعية	نصائح وإرشادات واستفسارات	قضايا اجتماعية	أدب وثقافه وفكر	مطربون ومطربات	تلفزيون وفضائيات
5	أدب وثقافه وفكر	أدب وثقافه وفكر	نصائح وإرشادات واستفسارات	مناسبات وأعياد	قضايا دينية	قضايا المرأه
6	رياضة	انترنت ومعلوماتية واتصالات	رياضة	طائفية	تلفزيون وفضائيات	أفلام وسينما
7	مطربون ومطربات	قضايا اجتماعية	طب وصحة	طب وصحة	نصائح وإرشادات واستفسارات	إعلام وحرية تعبير
8	انترنت ومعلوماتية واتصالات	قضايا سياسية	تلفزيون وفضائيات	استهلاك	رياضة	رياضة
9	طب وصحة	مطربون ومطربات	مطربون ومطربات	فنون	أدب وثقافه وفكر	علوم
10	أفلام وسينما	تلفزيون وفضائيات	قضايا سياسية	رياضة	أفلام وسينما	طرائف
11	تلفزيون وفضائيات	رياضة	أفلام وسينما	أزمات عالمية	قضايا المرأه	تجارة
12	اسره	أفلام وسينما	فنون	ممثلون وممثلات	قضايا اجتماعية	اسره
13	تربيه وتعليم	فنون	انترنت ومعلوماتية واتصالات	أفلام وسينما	إعلام وحرية تعبير	أدب وثقافه وفكر
14	اقتصاد	اسره	طائفية	تاريخ وتراث	علوم	تربيه وتعليم
15	فنون	إعلام وحرية تعبير	إعلام وحرية تعبير	قضايا دولية	طب وصحة	فنون
16	إعلام وحرية تعبير	طائفية	ممثلون وممثلات	قضايا المرأه	اسره	تنمية
17	علوم	أمن وجريمة	مناسبات وأعياد	إعلام وحرية تعبير	تربيه وتعليم	بيئة وموارد
18	قضايا سياسية	تنمية	تربيه وتعليم	إرهاب وتطرف	اقتصاد	أمن وجريمة
19	أمن وجريمة	علوم	اقتصاد	بيئة وموارد	فنون	اقتصاد
20	تنمية	حقوق إنسان	تنمية	مطربون ومطربات	تنمية	خدمات
21	مؤسسات سياسية	قضايا المرأه	أمن وجريمة	صناعة	أمن وجريمة	نصائح وإرشادات واستفسارات
22	ممثلون وممثلات	اقتصاد	قضايا المرأه	تنظيمات إسلامية	طرائف	اتفاقيات دولية
23	صراعات	ممثلون وممثلات	اسره	قضايا اجتماعية	قضايا سياسية	طب وصحة
24	طائفية	تربيه وتعليم	علوم	تنمية	مؤسسات سياسية	ملوك وامراء
25	حقوق إنسان	قضية فلسطين	قضية فلسطين	قضية فلسطين	حقوق إنسان	قضايا اجتماعية
26	قضية فلسطين	صراعات	حقوق إنسان	أمن وجريمة	صراعات	تنظيمات إسلامية
27	قضايا المرأه	طرائف	استهلاك	رؤساء	قضية فلسطين	إرهاب وتطرف
28	مناسبات وأعياد	مناسبات وأعياد	تاريخ وتراث	شؤون قانونية	بيئة وموارد	حقوق إنسان
29	طرائف	جنس	بيئة وموارد	تربيه وتعليم	طائفية	جنس
30	تاريخ وتراث	مؤسسات سياسية	صراعات	اقتصاد	مناسبات وأعياد	مؤسسات سياسية
31	بيئة وموارد	اتفاقيات سلام	مؤسسات سياسية	خواطر ومشاعر	تاريخ وتراث	شؤون قانونية
32	شؤون قانونية	اتفاقيات دولية	شؤون قانونية	انترنت ومعلوماتية واتصالات	ملوك وامراء	تاريخ وتراث
33	اتفاقيات سلام	خدمات	طرائف	مؤسسات دولية	شؤون قانونية	قضايا سياسية
34	ملوك وامراء	ملوك وامراء	اتفاقيات سلام	اتفاقيات سلام	جنس	قضية فلسطين
35	استهلاك	تاريخ وتراث	تنظيمات إسلامية	علوم	تنظيمات إسلامية	صراعات
36	جنس	شؤون قانونية	رؤساء	حقوق إنسان	استهلاك	فنانون وفنانات
37	رؤساء	بيئة وموارد	أقليات	اتفاقيات دولية	خدمات	قضايا دينية
38	تنظيمات إسلامية	اسرائيل	ملوك وامراء	اسره	اتفاقيات دولية	أزمات عالمية
39	اتفاقيات دولية	صناعة	إرهاب وتطرف	نصائح وإرشادات واستفسارات	إرهاب وتطرف	طائفية
40	خدمات	استهلاك	صناعة	طرائف	اتفاقيات سلام	مناسبات وأعياد
41	إدارة	رؤساء	جنس	صراعات	تجارة	مذهبية
42	مؤسسات دولية	أزمات عالمية	مؤسسات دولية	زراعه وثروة حيوانية	رؤساء	خواطر ومشاعر
43	زراعه وثروة حيوانية	إرهاب وتطرف	اتفاقيات دولية	ملوك وامراء	زراعه وثروة حيوانية	استهلاك
44	إرهاب وتطرف	قضايا دولية	أزمات عالمية	قضايا دينية	مؤسسات دولية	زراعه وثروة حيوانية
45	اسرائيل	تنظيمات إسلامية	قضايا دولية	جنس	صناعة	فضائح
46	صناعة	مؤسسات دولية	زراعه وثروة حيوانية	مؤسسات سياسية	إدارة	صناعة
47	قضايا دولية	زراعه وثروة حيوانية	خدمات	خدمات	اسرائيل	مؤسسات دولية
48	أزمات عالمية	إدارة	اسرائيل	اسرائيل	أزمات عالمية	إدارة
49	تجارة	أقليات	تجارة	تجارة	مذهبية	رؤساء
50	أقليات	فنانون وفنانات	إدارة	إدارة	قضايا دولية	اسرائيل
51	مذهبية	تجارة	فنانون وفنانات	مذهبية	فنانون وفنانات	اتفاقيات سلام
52	فنانون وفنانات	مذهبية	مذهبية	فنانون وفنانات	فضائح	قضايا دولية
53	فضائح	فضائح	فضائح	فضائح	أقليات	أقليات



جدول (20) توزيع المدونين طبقاً للنوع على البلدان المذكورة بمدوناتهم

م	البلد	انثى	ذكر	غير مذكور	إجمالي	نسبة الذكور	نسبة الإناث	نسبة البلد
13	سورية		4		4	100.0	0.0	0.0
7	العراق	1	22	1	24	95.7	4.3	0.2
9	المغرب	9	67	46	122	88.2	11.8	0.9
11	بلدان غير عربية	47	313	92	452	86.9	13.1	3.5
20	ليبيا	10	63	6	79	86.3	13.7	0.6
1	الأردن	15	84	3	102	84.8	15.2	0.8
21	مصر	297	1473	3483	5253	83.2	16.8	40.6
10	اليمن	5	20		25	80.0	20.0	0.2
15	غير مذكور	71	276	5163	5510	79.5	20.5	42.6
23	إجمالي	1007	2893	9034	12934	74.2	25.8	100.0
17	فلسطين	18	42	9	69	70.0	30.0	0.5
8	الكويت	117	269	137	523	69.7	30.3	4.0
19	لبنان	32	47	16	95	59.5	40.5	0.7
16	غير واضح	7	9	7	23	56.3	43.8	0.2
14	عمان	43	48	10	101	52.7	47.3	0.8
6	السودان	3	3		6	50.0	50.0	0.0
12	تونس	56	50	5	111	47.2	52.8	0.9
5	السعودية	170	72	20	262	29.8	70.2	2.0
3	البحرين	24	10	6	40	29.4	70.6	0.3
2	الامارات	15	5	12	32	25.0	75.0	0.2
18	قطر	16	5	9	30	23.8	76.2	0.2
4	الجزائر	51	11		62	17.7	82.3	0.5
22	موريتانيا			9	9			0.1

جدول (22) ترتيب القضايا ذات الاهتمام داخل المنتديات طبقاً لاولويات الإناث والذكور

المركز	النساء	الرجال
1	خواطر	أفلام وسينما
2	أفلام وسينما	قضايا دينية
3	قضايا دينية	انترنت ومعلوماتية
4	أدب وثقافه	أدب وثقافه
5	رياضة	رياضة
6	تلفزيون وفضائيات	خواطر
7	طب وصحة	مؤسسات سياسية
8	قضية فلسطين	اسرائيل
9	اقتصاد	قضية فلسطين
10	اسرائيل	طب وصحة
11	انترنت ومعلوماتية	تلفزيون وفضائيات
12	قضايا اجتماعية	أمن وجريمة
13	فنون	قضايا اجتماعية
14	قضايا المرأه	اقتصاد
15	نصائح وإرشادات	طائفية
16	أمن وجريمة	نصائح وإرشادات
17	صراعات	صراعات
18	تربيه وتعليم	فنون
19	اسره	تربيه وتعليم
20	بيئة وموارد	قضايا سياسية
21	قضايا سياسية	بيئة وموارد
22	مطربون	مطربون
23	استهلاك	حقوق إنسان
24	مؤسسات سياسية	إعلام وحرية تعبير
25	إعلام وحرية تعبير	مناسبات وأعياد
26	حقوق إنسان	رؤساء

تابع جدول (22)

المركز	النساء	الرجال
27	مناسبات وأعياد	تنظيمات إسلامية
28	اتفاقيات سلام	جنس
29	علوم	اسره
30	زراعه وثروة حيوانية	إرهاب وتطرف
31	تنمية	ممثلون وممثلات
32	رؤساء	علوم
33	تاريخ وتراث	صناعة
34	إدارة	تنمية
35	جنس	قضايا المرأه
36	ممثلون وممثلات	استهلاك
37	تجارة	قوانين
38	طائفية	خدمات
39	إرهاب وتطرف	تاريخ وتراث
40	فنانون وفنانات	اتفاقيات سلام
41	خدمات	فنانون وفنانات
42	تنظيمات إسلامية	تجارة
43	صناعة	قضايا دولية
44	قوانين	مؤسسات دولية
45	قضايا دولية	ملوك
46	مؤسسات دولية	أزمات عالمية
47	أزمات عالمية	زراعه وثروة حيوانية
48	فضائح	اتفاقيات دولية
49	ملوك	فضائح
50	اتفاقيات دولية	مذهبية
51	مذهبية	إدارة
52	أقليات	أقليات

جدول (21) توزيع القضايا داخل المدونات بحسب نوع المدون

القضية	اناث	ذكور	غير مذكور	اجمالى	نسبة الذكور فى القضية	نسبة الإناث فى القضية
اتفاقيات دولية	2	20	213	235	90.9	9.1
اتفاقيات سلام	30	44	349	423	59.5	40.5
إدارة	20	7	176	203	25.9	74.1
أدب وثقافه	220	519	3978	4717	70.2	29.8
إرهاب وتطرف	15	85	650	750	85.0	15.0
أزمات عالمية	4	24	179	207	85.7	14.3
استهلاك	47	62	1414	1523	56.9	43.1
اسرائيل	112	339	2731	3182	75.2	24.8
اسره	54	105	1130	1289	66.0	34.0
إعلام وحرية تعبير	45	138	2603	2786	75.4	24.6
أفلام وسينما	268	1159	7248	8675	81.2	18.8
اقتصاد	116	247	2754	3117	68.0	32.0
أقليات	1	7	105	113	87.5	12.5
أمن وجريمة	62	259	2186	2507	80.7	19.3
انترنت ومعلوماتية	108	596	4370	5074	84.7	15.3
بيئة وموارد	52	164	1696	1912	75.9	24.1
تاريخ وتراث	23	49	621	693	68.1	31.9
تجارة	17	40	538	595	70.2	29.8
تربيه وتعليم	56	192	2712	2960	77.4	22.6
تلفزيون وفضائيات	171	293	1633	2097	63.1	36.9
تنظيمات إسلامية	10	108	867	985	91.5	8.5
تنمية	25	73	834	932	74.5	25.5
جنس	19	106	1160	1285	84.8	15.2
حقوق إنسان	41	153	1197	1391	78.9	21.1
خدمات	12	55	404	471	82.1	17.9
خواطر	427	441	4781	5649	50.8	49.2
رؤساء	23	131	1405	1559	85.1	14.9
رياضة	194	502	6235	6931	72.1	27.9
زراعه وثروة حيوانية	28	22	439	489	44.0	56.0
صراعات	56	202	1726	1984	78.3	21.7
صناعة	9	76	606	691	89.4	10.6
طائفية	16	244	1693	1953	93.8	6.2
طب وصحة	159	307	3065	3531	65.9	34.1
علوم	29	79	1187	1295	73.1	26.9
فضائح	3	12	286	301	80.0	20.0
فنانون وفنانات	15	44	302	361	74.6	25.4
فنون	80	194	1874	2148	70.8	29.2
قضايا اجتماعية	98	251	2571	2920	71.9	28.1
قضايا المرأه	74	63	1184	1321	46.0	54.0
قضايا دولية	5	36	292	333	87.8	12.2
قضايا دينية	237	988	9265	10490	80.7	19.3
قضايا سياسية	49	183	1627	1859	78.9	21.1
قضية فلسطين	116	316	3342	3774	73.1	26.9
قوانين	7	56	492	555	88.9	11.1
مذهبية	1	8	76	85	88.9	11.1
مطربون	48	154	1596	1798	76.2	23.8
ملوك	2	29	194	225	93.5	6.5
ممثلون وممثلات	19	80	475	574	80.8	19.2
مناسبات وأعياد	41	132	1310	1483	76.3	23.7
مؤسسات دولية	4	29	427	460	87.9	12.1
مؤسسات سياسية	46	403	3336	3785	89.8	10.2
نصائح وإرشادات	73	222	1674	1969	75.3	24.7
غير واضح	459	1454	12198	14111	76.0	24.0
اجمالى	3848	11502	105406	120756	74.9	25.1

جدول (24) توزيع القضايا المثارة في المدونات طبقاً لوظائف المدونين

المراكز	طالب	موظفون	أخرى	إداريون وتنمية بشرية	اطباء ومهن طبية	باحثون	دعاة ومهن دينية	رجال أعمال	صحفيون وكتاب	عاطل	غير واضح	فنون تشكيلية	مترجمون	محامون ومهن قانونية	مدرسون ورجال تعليم	مهن فنية	مهندس	وظائف تكنولوجيا معلومات واتصالات	غير مذكور
1	أدب وثقافه	قضايا دينية	قضايا دينية	رياضة	قضايا دينية	أدب وثقافه	قضايا دينية	طب وصحة	خواطر	خواطر	قضايا دينية	مؤسسات سياسية	أدب وثقافه	أدب وثقافه	قضايا دينية	رياضة	قضايا دينية	انترنت ومعلوماتية	قضايا دينية
2	قضايا دينية	خواطر	خواطر	أدب وثقافه	طب وصحة	خواطر	بيئة وموارد	تلفزيون وفضائيات	رياضة	قضايا دينية	خواطر	فنون	خواطر	قضايا اجتماعية	أدب وثقافه	مؤسسات سياسية	أدب وثقافه	نصائح وإرشادات	أفلام وسينما
3	اسرائيل	أدب وثقافه	أفلام وسينما	تلفزيون وفضائيات	اقتصاد	أفلام وسينما	طائفية	أفلام وسينما	قضايا دينية	قضية فلسطين	رياضة	رياضة	علوم	فنون	بيئة وموارد	فنون	انترنت ومعلوماتية	أفلام وسينما	رياضة
4	تلفزيون وفضائيات	قضايا اجتماعية	رياضة	مؤسسات سياسية	أدب وثقافه	قضية فلسطين	مؤسسات سياسية	مطربون	مؤسسات سياسية	أمن وجريمة	انترنت ومعلوماتية	قضية فلسطين	مؤسسات سياسية	رياضة	خواطر	قضايا دينية	خواطر	قضايا دينية	خواطر
5	اقتصاد	رياضة	قضية فلسطين	خواطر	خواطر	قضايا دينية	خواطر	أدب وثقافه	أدب وثقافه	قضايا اجتماعية	أدب وثقافه	قضايا دينية	فنون	اسرائيل	رياضة	خواطر	أفلام وسينما	أمن وجريمة	انترنت ومعلوماتية
6	خواطر	بيئة وموارد	انترنت ومعلوماتية	قضايا دينية	رياضة	اسرائيل	قضية فلسطين	خواطر	أمن وجريمة	فنون	طب وصحة	أمن وجريمة	قوانين	مؤسسات سياسية	اسرائيل	قضايا اجتماعية	فنون	خواطر	أدب وثقافه
7	قضايا اجتماعية	تلفزيون وفضائيات	أمن وجريمة	قضية فلسطين	مؤسسات سياسية	جنس	انترنت ومعلوماتية	ممثلون وممثلات	انترنت ومعلوماتية	رياضة	قضية فلسطين	اسرائيل	نصائح وإرشادات	قضية فلسطين	قضية فلسطين	أمن وجريمة	قضايا اجتماعية	رياضة	مؤسسات سياسية
8	انترنت ومعلوماتية	اقتصاد	اسرائيل	أفلام وسينما	تربيه وتعليم	تربيه وتعليم	قضايا سياسية	اسرائيل	قضايا سياسية	مؤسسات سياسية	أفلام وسينما	خواطر	قضايا دينية	أفلام وسينما	أفلام وسينما	اسرائيل	إعلام وحرية تعبير	قضية فلسطين	قضية فلسطين
9	رياضة	انترنت ومعلوماتية	طب وصحة	أمن وجريمة	قضية فلسطين	انترنت ومعلوماتية	تنظيمات إسلامية	قضايا دينية	اسرائيل	انترنت ومعلوماتية	اقتصاد	إعلام وحرية تعبير	إعلام وحرية تعبير	قضايا دينية	انترنت ومعلوماتية	أفلام وسينما	رياضة	مؤسسات سياسية	طب وصحة
10	مؤسسات سياسية	مؤسسات سياسية	تربيه وتعليم	انترنت ومعلوماتية	اسرائيل	قضايا المرأه	أدب وثقافه	رياضة	اقتصاد	قضايا سياسية	نصائح وإرشادات	تنمية	قضية فلسطين	طب وصحة	مؤسسات سياسية	اقتصاد	قضية فلسطين	قضايا اجتماعية	اسرائيل
11	قضية فلسطين	قضايا سياسية	أدب وثقافه	قضايا اجتماعية	أفلام وسينما	صناعة	أفلام وسينما	نصائح وإرشادات	أفلام وسينما	اقتصاد	بيئة وموارد	أدب وثقافه	اسرائيل	انترنت ومعلوماتية	اقتصاد	طب وصحة	بيئة وموارد	تنمية	اقتصاد
12	أفلام وسينما	أمن وجريمة	قضايا المرأه	فنون	أمن وجريمة	تاريخ وتراث	رياضة	استهلاك	قضايا اجتماعية	أفلام وسينما	اسرائيل	اقتصاد	قضايا اجتماعية	تلفزيون وفضائيات	طب وصحة	قضايا سياسية	تربيه وتعليم	تربيه وتعليم	تربيه وتعليم
13	صراعات	تنظيمات إسلامية	مناسبات وأعياد	اسرائيل	قضايا اجتماعية	طب وصحة	صراعات	قضية فلسطين	قضية فلسطين	صراعات	إعلام وحرية تعبير	بيئة وموارد	حقوق إنسان	خواطر	تربيه وتعليم	أدب وثقافه	تنظيمات إسلامية	اسرائيل	قضايا اجتماعية
14	قضايا سياسية	رؤساء	مؤسسات سياسية	طب وصحة	صراعات	اقتصاد	تلفزيون وفضائيات	تنظيمات إسلامية	صراعات	حقوق إنسان	ممثلون وممثلات	صراعات	إرهاب وتطرف	نصائح وإرشادات	قضايا اجتماعية	بيئة وموارد	مؤسسات سياسية	أدب وثقافه	إعلام وحرية تعبير
15	أمن وجريمة	تجارة	قضايا سياسية	صراعات	انترنت ومعلوماتية	رياضة	فنون	قضايا المرأه	رؤساء	أدب وثقافه	فنون	تربيه وتعليم	مناسبات وأعياد	تربيه وتعليم	صراعات	تربيه وتعليم	أمن وجريمة	اقتصاد	أمن وجريمة
16	إعلام وحرية تعبير	مناسبات وأعياد	إعلام وحرية تعبير	نصائح وإرشادات	حقوق إنسان	مؤسسات سياسية	تنمية	اقتصاد	إعلام وحرية تعبير	رؤساء	صراعات	طب وصحة	خدمات	اسره	نصائح وإرشادات	رؤساء	اقتصاد	طب وصحة	فنون
17	بيئة وموارد	قضايا المرأه	اسره	تنمية	قضايا سياسية	أمن وجريمة	نصائح وإرشادات	أمن وجريمة	حقوق إنسان	إعلام وحرية تعبير	مؤسسات سياسية	أفلام وسينما	مؤسسات دولية	أمن وجريمة	رؤساء	إعلام وحرية تعبير	قضايا المرأه	رؤساء	تلفزيون وفضائيات
18	نصائح وإرشادات	إدارة	بيئة وموارد	اقتصاد	جنس	صراعات	مطربون	مناسبات وأعياد	مناسبات وأعياد	مناسبات وأعياد	تربيه وتعليم	قضايا اجتماعية	إدارة	بيئة وموارد	فنون	تلفزيون وفضائيات	اسرائيل	حقوق إنسان	طائفية
19	تربيه وتعليم	اسرائيل	حقوق إنسان	مطربون	تلفزيون وفضائيات	قضايا سياسية	إرهاب وتطرف	فضائح	تنظيمات إسلامية	تنظيمات إسلامية	اسره	قضايا سياسية	رياضة	اقتصاد	أمن وجريمة	قضايا المرأه	صراعات	فنون	صراعات
20	تنظيمات إسلامية	قضية فلسطين	قضايا اجتماعية	تربيه وتعليم	فنون	تلفزيون وفضائيات	رؤساء	بيئة وموارد	فنون	تربيه وتعليم	قضايا اجتماعية	حقوق إنسان	أمن وجريمة	تاريخ وتراث	إعلام وحرية تعبير	تنظيمات إسلامية	حقوق إنسان	قضايا سياسية	بيئة وموارد
21	حقوق إنسان	أفلام وسينما	اقتصاد	إعلام وحرية تعبير	تنمية	فنون	استهلاك	طائفية	تربيه وتعليم	طب وصحة	قضايا سياسية	رؤساء	تنمية	استهلاك	علوم	مناسبات وأعياد	علوم	زراعه وثروة حيوانية	نصائح وإرشادات
22	رؤساء	إعلام وحرية تعبير	رؤساء	قضايا سياسية	طائفية	تنمية	اسرائيل	مؤسسات سياسية	طب وصحة	تلفزيون وفضائيات	مناسبات وأعياد	جنس	اقتصاد	قضايا دولية	قضايا سياسية	صناعة	طب وصحة	مناسبات وأعياد	مطربون
23	طب وصحة	نصائح وإرشادات	ممثلون وممثلات	رؤساء	نصائح وإرشادات	مناسبات وأعياد	جنس	انترنت ومعلوماتية	أزمات عالمية	نصائح وإرشادات	علوم	انترنت ومعلوماتية	بيئة وموارد	اتفاقيات دولية	جنس	ممثلون وممثلات	قضايا سياسية	اسره	قضايا سياسية
24	تجارة	طب وصحة	تلفزيون وفضائيات	قوانين	مطربون	إعلام وحرية تعبير	تربيه وتعليم	قضايا سياسية	تلفزيون وفضائيات	قضايا دولية	حقوق إنسان	اسره	صراعات	قوانين	تلفزيون وفضائيات	اتفاقيات سلام	تلفزيون وفضائيات	بيئة وموارد	استهلاك
25	فنون	مطربون	تجارة	بيئة وموارد	بيئة وموارد	علوم	قضايا المرأه	صراعات	اسره	اسرائيل	تلفزيون وفضائيات	علوم	تربيه وتعليم	إعلام وحرية تعبير	قضايا المرأه	قضية فلسطين	مناسبات وأعياد	مطربون	رؤساء



تابع جدول (24)

26	علوم	اسره	نصائح وإرشادات	حقوق إنسان	مناسبات وأعياد	اسره	صناعة	فنون	مطربون	أزمات عالمية	مطربون	تلفزيون وفضائيات	طب وصحة	حقوق إنسان	قوانين	انترنت ومعلوماتية	اتفاقيات سلام	إعلام وحرية تعبير	مناسبات وأعياد
27	مناسبات وأعياد	قضايا دولية	اتفاقيات سلام	علوم	إعلام وحرية تعبير	تنظيمات إسلامية	تاريخ وتراث	تنمية	طائفية	اسره	قضايا المرأه	مطربون	أفلام وسينما	إرهاب وتطرف	تنظيمات إسلامية	صراعات	نصائح وإرشادات	قضايا المرأه	حقوق إنسان
28	مطربون	استهلاك	مطربون	اسره	قوانين	اتفاقيات دولية	طب وصحة	إرهاب وتطرف	إرهاب وتطرف	مطربون	اتفاقيات سلام	قضايا المرأه	قضايا سياسية	مناسبات وأعياد	حقوق إنسان	نصائح وإرشادات	خدمات	علوم	قضايا المرأه
29	اسره	فنانون وفنانات	استهلاك	طائفية	علوم	ممثلون وممثلات	اقتصاد	رؤساء	قضايا المرأه	طائفية	أمن وجريمة	قوانين	رؤساء	خدمات	تنمية	علوم	رؤساء	تلفزيون وفضائيات	جنس
30	خدمات	مؤسسات دولية	صراعات	قضايا المرأه	قضايا المرأه	قضايا اجتماعية	أمن وجريمة	جنس	نصائح وإرشادات	إرهاب وتطرف	قوانين	طائفية	جنس	تنمية	اسره	جنس	صناعة	اتفاقيات سلام	علوم
31	قضايا دولية	اتفاقيات سلام	قوانين	مناسبات وأعياد	اسره	حقوق إنسان	مناسبات وأعياد	تربيه وتعليم	تاريخ وتراث	قضايا المرأه	طائفية	فنانون وفنانات	انترنت ومعلوماتية	صراعات	استهلاك	قوانين	جنس	تجارة	اسره
32	استهلاك	قوانين	طائفية	تاريخ وتراث	إرهاب وتطرف	طائفية	إعلام وحرية تعبير	صناعة	قوانين	تاريخ وتراث	تاريخ وتراث	تنظيمات إسلامية	اسره	رؤساء	مناسبات وأعياد	حقوق إنسان	تجارة	ممثلون وممثلات	تنظيمات إسلامية
33	تنمية	زراعه وثروة حيوانية	صناعة	خدمات	تجارة	نصائح وإرشادات	علوم	تاريخ وتراث	قضايا دولية	قوانين	تنمية	إرهاب وتطرف	تلفزيون وفضائيات	مطربون	إرهاب وتطرف	تنمية	ممثلون وممثلات	استهلاك	تنمية
34	طائفية	صراعات	تاريخ وتراث	قضايا دولية	تنظيمات إسلامية	مطربون	اسره	إعلام وحرية تعبير	بيئة وموارد	بيئة وموارد	فنانون وفنانات	صناعة	مطربون	طائفية	طائفية	اسره	قوانين	تاريخ وتراث	إرهاب وتطرف
35	فنانون وفنانات	تربيه وتعليم	جنس	استهلاك	مؤسسات دولية	بيئة وموارد	اتفاقيات دولية	علوم	خدمات	خدمات	تنظيمات إسلامية	فضائح	قضايا المرأه	تنظيمات إسلامية	فنانون وفنانات	استهلاك	طائفية	تنظيمات إسلامية	صناعة
36	مؤسسات دولية	حقوق إنسان	إرهاب وتطرف	جنس	رؤساء	قوانين	ممثلون وممثلات	اسره	ملوك	ملوك	خدمات	نصائح وإرشادات	طائفية	تجارة	تاريخ وتراث	إرهاب وتطرف	تنمية	صراعات	تاريخ وتراث
37	تاريخ وتراث	فنون	ملوك	إرهاب وتطرف	قضايا دولية	إرهاب وتطرف	قضايا اجتماعية	اتفاقيات دولية	تنمية	تنمية	ملوك	ممثلون وممثلات	فنانون وفنانات	مذهبية	خدمات	طائفية	اسره	خدمات	تجارة
38	جنس	علوم	تنظيمات إسلامية	اتفاقيات دولية	فنانون وفنانات	تجارة	حقوق إنسان	قضايا اجتماعية	جنس	جنس	استهلاك	مناسبات وأعياد	تنظيمات إسلامية	علوم	تجارة	فنانون وفنانات	استهلاك	صناعة	ممثلون وممثلات
39	فضائح	خدمات	فنون	فنانون وفنانات	اتفاقيات سلام	مؤسسات دولية	قوانين	حقوق إنسان	صناعة	صناعة	مؤسسات دولية	اتفاقيات سلام	صناعة	مؤسسات دولية	اتفاقيات دولية	تاريخ وتراث	إرهاب وتطرف	جنس	قوانين
40	قضايا المرأه	تنمية	علوم	تجارة	صناعة	رؤساء	تجارة	قوانين	فنانون وفنانات	فنانون وفنانات	رؤساء	تاريخ وتراث	فضائح	إدارة	مؤسسات دولية	خدمات	فنانون وفنانات	قوانين	زراعه وثروة حيوانية
41	اتفاقيات سلام	طائفية	خدمات	اتفاقيات سلام	أقليات	قضايا دولية	مؤسسات دولية	تجارة	علوم	علوم	قضايا دولية	خدمات	ممثلون وممثلات	قضايا سياسية	صناعة	تجارة	تاريخ وتراث	طائفية	مؤسسات دولية
42	صناعة	تاريخ وتراث	تنمية	صناعة	تاريخ وتراث	فنانون وفنانات	قضايا دولية	مؤسسات دولية	ممثلون وممثلات	ممثلون وممثلات	إرهاب وتطرف	ملوك	اتفاقيات سلام	جنس	ممثلون وممثلات	اتفاقيات دولية	اتفاقيات دولية	إرهاب وتطرف	خدمات
43	قوانين	جنس	اتفاقيات دولية	تنظيمات إسلامية	خدمات	اتفاقيات سلام	فنانون وفنانات	قضايا دولية	استهلاك	استهلاك	جنس	استهلاك	تاريخ وتراث	قضايا المرأه	مطربون	مؤسسات دولية	مطربون	فنانون وفنانات	اتفاقيات سلام
44	ممثلون وممثلات	فضائح	فنانون وفنانات	مؤسسات دولية	استهلاك	أقليات	اتفاقيات سلام	فنانون وفنانات	تجارة	تجارة	صناعة	مؤسسات دولية	ملوك	فنانون وفنانات	اتفاقيات سلام	مطربون	زراعه وثروة حيوانية	أزمات عالمية	فنانون وفنانات
45	إرهاب وتطرف	صناعة	زراعه وثروة حيوانية	ممثلون وممثلات	ملوك	خدمات	أقليات	اتفاقيات سلام	فضائح	فضائح	اتفاقيات دولية	قضايا دولية	استهلاك	صناعة	زراعه وثروة حيوانية	زراعه وثروة حيوانية	أزمات عالمية	مؤسسات دولية	قضايا دولية
46	زراعه وثروة حيوانية	ممثلون وممثلات	فضائح	ملوك	اتفاقيات دولية	استهلاك	خدمات	أقليات	اتفاقيات دولية	اتفاقيات دولية	زراعه وثروة حيوانية	اتفاقيات دولية	قضايا دولية	فضائح	أزمات عالمية	أزمات عالمية	فضائح	ملوك	فضائح
47	ملوك	إرهاب وتطرف	إدارة	زراعه وثروة حيوانية	ممثلون وممثلات	ملوك	ملوك	خدمات	مؤسسات دولية	مؤسسات دولية	أزمات عالمية	زراعه وثروة حيوانية	اتفاقيات دولية	ممثلون وممثلات	قضايا دولية	قضايا دولية	مؤسسات دولية	اتفاقيات دولية	اتفاقيات دولية
48	اتفاقيات دولية	ملوك	قضايا دولية	فضائح	زراعه وثروة حيوانية	زراعه وثروة حيوانية	زراعه وثروة حيوانية	ملوك	اتفاقيات سلام	اتفاقيات سلام	تجارة	أزمات عالمية	زراعه وثروة حيوانية	اتفاقيات سلام	فضائح	فضائح	قضايا دولية	فضائح	ملوك
49	إدارة	اتفاقيات دولية	مؤسسات دولية	إدارة	فضائح	فضائح	فضائح	زراعه وثروة حيوانية	أقليات	أقليات	فضائح	تجارة	أزمات عالمية	ملوك	أقليات	أقليات	أقليات	قضايا دولية	إدارة
50	أزمات عالمية	أزمات عالمية	أزمات عالمية	أزمات عالمية	إدارة	إدارة	إدارة	إدارة	زراعه وثروة حيوانية	زراعه وثروة حيوانية	أقليات	أقليات	تجارة	زراعه وثروة حيوانية	مذهبية	مذهبية	مذهبية	أقليات	أزمات عالمية
51	أقليات	أقليات	أقليات	أقليات	أزمات عالمية	أزمات عالمية	أزمات عالمية	أزمات عالمية	إدارة	إدارة	إدارة	إدارة	أقليات	أزمات عالمية	إدارة	إدارة	إدارة	مذهبية	أقليات
52	مذهبية	مذهبية	مذهبية	مذهبية	مذهبية	مذهبية	مذهبية	مذهبية	مذهبية	مذهبية	مذهبية	مذهبية	مذهبية	أقليات	ملوك	ملوك	ملوك	إدارة	مذهبية



جدول (23) توزيع المدونون طبقاً لوظائفهم المذكورة في المدونات

الوظيفة	عدد المدونين المنتمين للوظيفة	النسبة من الإجمالي	عدد التدوينات	النسبة من الإجمالي
اجمالي	12934	100	120756.0	100.0
طالب	270	2.09	930	0.8
موظفون	29	0.22	86	0.1
أخرى	177	1.37	615	0.5
إداريون وتنمية بشرية	187	1.45	711	0.6
أطباء ومهن طبية	166	1.28	642	0.5
باحثون	20	0.15	69	0.1
دعاة ومهن دينية	10	0.08	68	0.1
رجال أعمال	5	0.04	86	0.1
صحفيون وكتاب	304	2.35	1144	0.9
عاطل	27	0.21	90	0.1
غير واضح	150	0.21	542	0.4
فنون تشكيلية	36	1.16	141	0.1
مترجمون	17	0.28	59	0.0
محامون ومهن قانونية	30	0.13	251	0.2
مدرسون ورجال تعليم	240	0.23	1074	0.9
مهن فنية	13	1.86	73	0.1
مهندس	75	0.10	338	0.3
وظائف تكنولوجيا معلومات واتصالات	233	0.58	650	0.5
غير مذكور	10945	1.80	113187	93.7

جدول (25) توزيع مستوى حضور جمهور المنتديات طبقاً للفئة العمرية الارقام بالنسبة المئوية

م	البلد	من18 الى24عاما	من25الى 34 عاما	من35الى44عاما	من45الى54عاما	من55الى 64عاما	المتوسط العام لكل مستوى
1	أقل من المعدل بكثير	0.8	11.5	24.2	47.2	58.1	28.3
2	أقل من المعدل	4.4	56.1	51.0	36.9	26.0	34.9
3	المعدل الطبيعي	4.2	16.8	11.4	6.4	8.2	9.4
4	فوق المعدل	38.1	13.7	11.6	7.6	6.5	15.5
5	فوق المعدل بكثير	52.5	2.0	1.9	2.0	1.3	11.9
	إجمالي	100.0	100.0	100.0	100.0	100.0	100.0

جدول (27) مستوى حضور الذكور والإناث في المنتديات

مستوى الحضور	الذكور	الإناث	متوسط المستوى لدى النوعين
أقل من المعدل بكثير	37.7	3.0	20.4
أقل من المعدل	36.5	12.7	24.6
المعدل الطبيعي	9.1	9.6	9.4
فوق المعدل	13.1	38.8	25.9
فوق المعدل بكثير	3.6	35.9	19.7
إجمالي	100.0	100.0	100.0



جدول (26) القضايا الأكثر تفضيلاً في المنتديات لدى الفئات العمرية المختلفة

المركز	الترتيب العام	الاكثر تفضيلاً لدى 18 الى 24	25الاكثر تفضيلاً لدى الى 34	الاكثر تفضيلاً لدى 35الى 44	الاكثر تفضيلاً لدى 45الى 54	الاكثر تفضيلاً لدى 55الى 64
1	أفلام وسينما وأغانى	فلام وسينما	نصائح وإرشادات	أدب وثقافه وفكر	أدب وثقافه وفكر	أدب وثقافه وفكر
2	نصائح وإرشادات	انترنت ومعلوماتية واتصالات	انترنت ومعلوماتية واتصالات	قضايا دينية	قضايا اجتماعية	ستهلاك
3	طب وصحة	رياضة	طب وصحة	قضايا اجتماعية	قضايا دينية	قتصاد
4	قضايا دينية	نصائح وإرشادات	أدب وثقافه وفكر	انترنت ومعلوماتية واتصالات	قتصاد	تربيه وتعليم
5	الانترنت ومعلوماتية واتصالات	خواطر	قضايا دينية	تربيه وتعليم	نصائح وإرشادات	نصائح وإرشادات
6	أدب وثقافه وفكر	أدب وثقافه وفكر	قتصاد	رياضة	تربيه وتعليم	بيئة وموارد
7	خواطر	مطربون ومطربات	قضايا اجتماعية	نصائح وإرشادات	خواطر	قضايا دينية
8	رياضة	طب وصحة	رياضة	خواطر	رياضة	طائفية
9	تربيه وتعليم	قضايا دينية	اسرة	رؤساء	طب وصحة	فلام وسينما
10	قضايا اجتماعية	تربيه وتعليم	تربيه وتعليم	اسرة	انترنت ومعلوماتية واتصالات	علوم
11	اقتصاد	فنون	أمن وجريمة	بيئة وموارد	طائفية	قضايا اجتماعية
12	أسرة	تلفزيون وفضائيات	خواطر	طب وصحة	علوم	طب وصحة
13	مطربون ومطربات	قضايا المرأه	فلام وسينما	إعلام وحرية تعبير	اسرة	انترنت ومعلوماتية واتصالات
14	قضايا المرأه	اسرة	تلفزيون وفضائيات	علوم	رؤساء	خواطر
15	فنون	قضايا اجتماعية	ستهلاك	أمن وجريمة	قضايا سياسية	رياضة
16	استهلاك	ستهلاك	علوم	قتصاد	أمن وجريمة	اسرة
17	تلفزيون وفضائيات	أمن وجريمة	بيئة وموارد	فنون	مطربون ومطربات	أمن وجريمة
18	أمن وجريمة	قتصاد	صراعات	فلام وسينما	فنون	فنون
19	علوم	علوم	فنون	تلفزيون وفضائيات	إعلام وحرية تعبير	مطربون ومطربات
20	جنس	ممثلون وممثلات	قضايا المرأه	مؤسسات سياسية	فلام وسينما	تلفزيون وفضائيات
21	طائفية	جنس	إعلام وحرية تعبير	صناعة	بيئة وموارد	مؤسسات سياسية
22	ممثلون وممثلات	طرائف	مؤسسات سياسية	مطربون ومطربات	تلفزيون وفضائيات	صناعة
23	صراعات	إعلام وحرية تعبير	مطربون ومطربات	صراعات	مؤسسات سياسية	تنمية
24	بيئة وموارد	بيئة وموارد	تاريخ وتراث	تنظيمات إسلامية	زراعه وثروة حيوانية	رؤساء
25	إعلام وحرية تعبير	مناسبات وأعياد	رؤساء	جنس	تاريخ وتراث	تاريخ وتراث
26	رؤساء	صراعات	جنس	ستهلاك	صراعات	زراعه وثروة حيوانية
27	طرائف ونكت	رؤساء	قضية فلسطين	قضايا سياسية	جنس	قضايا المرأه
28	مؤسسات سياسية	قضية فلسطين	طائفية	قضية فلسطين	مناسبات وأعياد	قضايا سياسية
29	مناسبات وأعياد	تاريخ وتراث	صناعة	شؤون قانونية	تنمية	إعلام وحرية تعبير
30	قضية فلسطين	مؤسسات سياسية	خدمات	تاريخ وتراث	قضية فلسطين	صراعات
31	تاريخ وتراث	طائفية	مناسبات وأعياد	مناسبات وأعياد	شؤون قانونية	مناسبات وأعياد
32	قضايا سياسية	قضايا سياسية	طرائف	طائفية	طرائف	تنظيمات إسلامية
33	صناعة	فنانون وفنانات	قضايا سياسية	طرائف	قضايا المرأه	جنس
34	تنظيمات إسلامية	خدمات	تنظيمات إسلامية	تنمية	تنظيمات إسلامية	خدمات
35	شؤون قانونية	صناعة	شؤون قانونية	قضايا المرأه	ستهلاك	قضية فلسطين
36	خدمات	تنمية	تجارة	سرائيل	حقوق إنسان	ممثلون وممثلات
37	تنمية	حقوق إنسان	ممثلون وممثلات	حقوق إنسان	صناعة	حقوق إنسان
38	حقوق إنسان	شؤون قانونية	رهاب وتطرف	قضايا دولية	تفاقيات دولية	طرائف
39	زراعه وثروة حيوانية	تنظيمات إسلامية	تنمية	ممثلون وممثلات	قضايا دولية	سرائيل
40	إرهاب وتطرف	رهاب وتطرف	تفاقيات دولية	خدمات	رهاب وتطرف	تجارة
41	فنانون وفنانات	سرائيل	حقوق إنسان	زراعه وثروة حيوانية	قليات	شؤون قانونية
42	اسرائيل	زراعه وثروة حيوانية	زمات عالمية	اتفاقيات سلام	ممثلون وممثلات	زمات عالمية
43	تجارة	تفاقيات دولية	قضايا دولية	زمات عالمية	تجارة	رهاب وتطرف
44	اتفاقيات دولية	قضايا دولية	زراعه وثروة حيوانية	مؤسسات دولية	اتفاقيات سلام	قضايا دولية
45	قضايا دولية	تجارة	اتفاقيات سلام	تفاقيات دولية	زمات عالمية	تفاقيات دولية
46	مؤسسات دولية	فضائح	سرائيل	داره	سرائيل	مؤسسات دولية
47	أزمات عالمية	اتفاقيات سلام	قليات	رهاب وتطرف	خدمات	اتفاقيات سلام
48	اتفاقيات سلام	مؤسسات دولية	مؤسسات دولية	تجارة	ملوك وامراء	قليات
49	أقليات	زمات عالمية	داره	فضائح	داره	داره
50	فضائح	قليات	فضائح	فنانون وفنانات	مؤسسات دولية	فضائح
51	إدارة	ملوك وامراء	فنانون وفنانات	مذهبية	فضائح	فنانون وفنانات
52	ملوك وأمراء	داره	مذهبية	قليات	فنانون وفنانات	مذهبية
53	مذهبية	مذهبية	ملوك وامراء	ملوك وامراء	مذهبية	ملوك وامراء

جدول (28) الفروق فى مستوى النشاط بين الإناث والذكور على المنتديات العربية موزعة على البلدان

الدولة	أقل من المعدل بكثير	أقل من المعدل	المعدل الطبيعى	فوق المعدل	فوق المعدل بكثير	البلد	أقل من المعدل بكثير			فوق المعدل بكثير		
الاردن	7.0	20.0	3.2	-25.4	-4.9		ذكور	إناث	الفارق	ذكور	إناث	الفارق
الامارات	57.9	15.2	1.9	-20.1	-54.8	الاردن	10.8	3.8	7.0	5.9	10.8	-4.9
البحرين	38.3	12.8	0.0	-17.0	-34.0	الامارات	60.3	2.5	57.9	5.0	59.8	-54.8
الجزائر	5.0	7.2	-1.7	-9.8	-0.7	البحرين	40.4	2.1	38.3	8.5	42.6	-34.0
السعودية	43.1	24.2	-0.5	-26.3	-40.6	الجزائر	14.8	9.8	5.0	10.0	10.7	-0.7
السودان	8.7	15.7	-0.8	-16.1	-7.5	السعودية	45.1	2.0	43.1	2.5	43.1	-40.6
العراق	23.8	33.0	-1.1	-35.0	-20.7	السودان	13.4	4.7	8.7	7.5	15.0	-7.5
الكويت	36.3	30.5	1.0	-34.6	-33.2	العراق	26.6	2.7	23.8	4.9	25.6	-20.7
المغرب	13.5	0.4	-2.3	3.9	-15.4	الكويت	39.3	3.1	36.3	4.1	37.3	-33.2
اليمن	6.8	15.2	0.0	-16.7	-5.3	المغرب	22.0	8.5	13.5	9.3	24.7	-15.4
بلدان غير عربية	7.4	3.2	0.8	1.3	-12.6	اليمن	15.2	8.3	6.8	9.8	15.2	-5.3
تونس	-6.6	4.9	1.6	-9.8	9.8	بلدان غير عربية	20.8	13.4	7.4	7.1	19.7	-12.6
سورية	0.0	100.0	0.0	-100.0	0.0	تونس	6.6	13.1	-6.6	18.0	8.2	9.8
عمان	29.8	32.6	-1.1	-31.6	-29.8	سورية	0.0	0.0	0.0	0.0	0.0	0.0
فلسطين	8.8	37.3	-1.0	-41.2	-3.9	عمان	31.6	1.8	29.8	2.8	32.6	-29.8
قطر	46.9	24.8	4.4	-31.0	-45.1	فلسطين	11.8	2.9	8.8	4.9	8.8	-3.9
لبنان	19.0	19.0	0.0	-28.6	-9.5	قطر	47.8	0.9	46.9	1.8	46.9	-45.1
ليبيا	39.3	39.3	0.0	-39.3	-39.3	لبنان	28.6	9.5	19.0	9.5	19.0	-9.5
مصر	22.5	28.4	-0.7	-30.3	-19.8	ليبيا	39.3	0.0	39.3	0.0	39.3	-39.3
موريتانيا	0.0	-25.0	0.0	0.0	25.0	مصر	25.9	3.4	22.5	3.4	23.3	-19.8
						موريتانيا	0.0	0.0	0.0	50.0	25.0	25.0

جدول (30) توزيع مستوى حضور جمهور المنتديات طبقاً لمستويات التعليم بالنسبة المئوية

م	مستوى الحضور	التعليم دون الجامعى	تعليم جامعى	تعليم فوق جامعى	المتوسط العام لكل مستوى
1	أقل من المعدل بكثير	5.1	11.8	31.7	16.2
2	أقل من المعدل	0.7	2.2	61.6	21.5
3	المعدل الطبيعي	4.5	12.1	2.7	6.4
4	فوق المعدل	44.1	58.6	3.3	35.3
5	فوق المعدل بكثير	45.5	15.3	0.8	20.6
6	إجمالي	100	100	100	100



جدول (31) القضايا الاكثر تفضيلاً في المنتديات لدى فئات التعليم المختلفة

المركز	الترتيب العام	الاكثر تفضيلاً لدى التعليم قبل الجامعى	الاكثر تفضيلاً لدى التعليم الجامعى	الاكثر تفضيلاً لدى التعليم بعد الجامعى
1	أفلام وسينما وأغانى وأغانى	أفلام وسينما وأغانى	أفلام وسينما وأغانى	قضايا اجتماعية
2	نصائح وإرشادات	أدب وثقافه وفكر	قضايا دينية	رياضة
3	طب وصحة	نصائح وإرشادات	نصائح وإرشادات	أدب وثقافه وفكر
4	قضايا دينية	رياضة	طب وصحة	تربيه وتعليم
5	انترنت ومعلوماتية واتصالات	خواطر	اقتصاد	قضايا دينية
6	أدب وثقافه وفكر	انترنت ومعلوماتية واتصالات	تربيه وتعليم	نصائح وإرشادات
7	خواطر	قضايا دينية	رياضة	علوم
8	رياضة	طب وصحة	طائفية	طب وصحة
9	تربيه وتعليم	تربيه وتعليم	أدب وثقافه وفكر	قضايا سياسية
10	قضايا اجتماعية	اسره	خواطر	اقتصاد
11	اقتصاد	قضايا اجتماعية	انترنت ومعلوماتية واتصالات	إعلام وحرية تعبير
12	اسره	استهلاك	قضايا اجتماعية	خواطر
13	مطربون ومطربات	اقتصاد	مطربون ومطربات	فنون
14	قضايا المرأه	مطربون ومطربات	أمن وجريمة	تلفزيون وفضائيات
15	فنون	قضايا المرأه	استهلاك	انترنت ومعلوماتية واتصالات
16	استهلاك	فنون	اسره	صراعات
17	تلفزيون وفضائيات	أمن وجريمة	فنون	أفلام وسينما وأغانى
18	أمن وجريمة	تلفزيون وفضائيات	علوم	أمن وجريمة
19	علوم	علوم	تلفزيون وفضائيات	اسره
20	جنس	جنس	ممثلون وممثلات	مؤسسات سياسية
21	طائفية	إعلام وحرية تعبير	قضايا المرأه	بيئة وموارد
22	ممثلون وممثلات	بيئة وموارد	قضايا سياسية	تنمية
23	صراعات	صراعات	إعلام وحرية تعبير	جنس
24	بيئة وموارد	رؤساء	مؤسسات سياسية	تاريخ وتراث
25	إعلام وحرية تعبير	ممثلون وممثلات	رؤساء	حقوق إنسان
26	رؤساء	مناسبات وأعياد	صراعات	قضية فلسطين
27	طرائف ونكت	طرائف	جنس	صناعة
28	مؤسسات سياسية	طائفية	بيئة وموارد	مناسبات وأعياد
29	مناسبات وأعياد	تاريخ وتراث	تاريخ وتراث	طرائف
30	قضية فلسطين	مؤسسات سياسية	شؤون قانونية	قضايا دولية
31	تاريخ وتراث	قضية فلسطين	مناسبات وأعياد	رؤساء
32	قضايا سياسية	صناعة	صناعة	مطربون ومطربات
33	صناعة	قضايا سياسية	طرائف	استهلاك
34	تنظيمات إسلامية	خدمات	تنظيمات إسلامية	شؤون قانونية
35	شؤون قانونية	تنظيمات إسلامية	زراعه وثروة حيوانية	قضايا المرأه
36	خدمات	تنمية	خدمات	اتفاقيات دولية
37	تنمية	حقوق إنسان	قضية فلسطين	إدارة
38	حقوق إنسان	شؤون قانونية	تنمية	خدمات
39	زراعه وثروة حيوانية	فنانون وفنانات	حقوق إنسان	إرهاب وتطرف
40	إرهاب وتطرف	إرهاب وتطرف	إرهاب وتطرف	أقليات
41	فنانون وفنانات	زراعه وثروة حيوانية	تجارة	طائفية
42	اسرائيل	اسرائيل	اسرائيل	زراعه وثروة حيوانية
43	تجارة	اتفاقيات دولية	اتفاقيات دولية	تنظيمات إسلامية
44	اتفاقيات دولية	تجارة	فنانون وفنانات	فنانون وفنانات
45	قضايا دولية	قضايا دولية	أزمات عالمية	ممثلون وممثلات
46	مؤسسات دولية	مؤسسات دولية	قضايا دولية	أزمات عالمية
47	أزمات عالمية	اتفاقيات سلام	مؤسسات دولية	اسرائيل
48	اتفاقيات سلام	أزمات عالمية	اتفاقيات سلام	تجارة
49	أقليات	فضائح	فضائح	فضائح
50	فضائح	أقليات	أقليات	اتفاقيات سلام
51	إدارة	ملوك وامراء	إدارة	مذهبية
52	ملوك وأمراء	إدارة	ملوك وامراء	مؤسسات دولية
53	مذهبية	مذهبية	مذهبية	ملوك وامراء

جدول (32) توزيع القضايا على الصفحات الفردية ومجموعات الفيس بوك "الارقام بالنسبة المئوية"

القضية	المجموعات	الصفحات الفردية	إجمالي
مذهبية	95.56	4.44	100
تجارة	80.65	19.35	100
تنمية	74.74	25.26	100
زراعه وثروة حيوانية	74.42	25.58	100
فنانون وفنانات	72.22	27.78	100
مناسبات وأعياد	68.10	31.90	100
مؤسسات سياسية	67.28	32.72	100
مؤسسات دولية	65.44	34.56	100
اتفاقيات دولية	63.51	36.49	100
فضائح	62.50	37.50	100
شؤون قانونية	62.06	37.94	100
جنس	61.54	38.46	100
ملوك وامراء	60.95	39.05	100
اقتصاد	60.13	39.87	100
طرائف	59.07	40.93	100
تربيه وتعليم	58.76	41.24	100
صراعات	58.69	41.31	100
ممثلون وممثلات	56.57	43.43	100
بيئة وموارد	56.07	43.93	100
تنظيمات إسلامية	55.50	44.50	100
تاريخ وتراث	55.07	44.93	100
استهلاك	54.15	45.85	100
علوم	53.59	46.41	100
اسرائيل	53.54	46.46	100
اسره	50.03	49.97	100
أدب وثقافه وفكر	49.30	50.70	100
حقوق إنسان	47.81	52.19	100
انترنت ومعلوماتية واتصالات	47.48	52.52	100
قضية فلسطين	44.77	55.23	100
رياضة	44.75	55.25	100
طب وصحة	44.20	55.80	100
إعلام وحرية تعبير	43.04	56.96	100
أمن وجريمة	42.54	57.46	100
إرهاب وتطرف	42.52	57.48	100
قضايا دولية	41.54	58.46	100
قضايا المرأه	41.06	58.94	100
أفلام وسينما	40.69	59.31	100
مطربون ومطربات	40.56	59.44	100
إدارة	40.43	59.57	100
صناعة	39.68	60.32	100
قضايا اجتماعية	39.29	60.71	100
تلفزيون وفضائيات	38.57	61.43	100
أزمات عالمية	37.10	62.90	100
طائفية	36.71	63.29	100
قضايا سياسية	35.96	64.04	100
نصائح وإرشادات واستفسارات	35.54	64.46	100
رؤساء	34.48	65.52	100
خدمات	32.19	67.81	100
فنون	20.88	79.12	100
قضايا دينية	20.65	79.35	100
اتفاقيات سلام	11.30	88.70	100
خواطر ومشاعر	10.69	89.31	100
أقليات	4.17	95.83	100
إجمالي	25.35	73.14	100

جدول (29) القضايا المثارة في المنتديات طبقاً للنوع

المركز	الأكثر تفضيلاً لدى الذكور	الاكثر تفضيلاً لدى الإناث
1	رياضة	طب وصحة
2	انترنت ومعلوماتية واتصالات	نصائح وإرشادات
3	أدب وثقافه وفكر	أفلام وسينما
4	تلفزيون وفضائيات	قضايا المرأه
5	أفلام وسينما	خواطر
6	قضايا اجتماعية	أدب وثقافه وفكر
7	نصائح وإرشادات	قضايا دينية
8	قضايا دينية	اسره
9	اقتصاد	تربيه وتعليم
10	طب وصحة	انترنت ومعلوماتية واتصالات
11	تربيه وتعليم	مطربون ومطربات
12	خواطر	قضايا اجتماعية
13	مطربون ومطربات	رياضة
14	فنون	اقتصاد
15	أمن وجريمة	فنون
16	علوم	استهلاك
17	اسره	تلفزيون وفضائيات
18	استهلاك	أمن وجريمة
19	رؤساء	علوم
20	قضايا سياسية	جنس
21	صراعات	ممثلون وممثلات
22	إعلام وحرية تعبير	إعلام وحرية تعبير
23	تاريخ وتراث	طرائف
24	بيئة وموارد	بيئة وموارد
25	تنظيمات إسلامية	مناسبات وأعياد
26	قضية فلسطين	رؤساء
27	مؤسسات سياسية	صراعات
28	قضايا المرأه	مؤسسات سياسية
29	تنمية	تاريخ وتراث
30	صناعة	قضية فلسطين
31	طرائف	طائفية
32	شؤون قانونية	صناعة
33	ممثلون وممثلات	قضايا سياسية
34	مناسبات وأعياد	تنمية
35	جنس	خدمات
36	أقليات	فنانون وفنانات
37	طائفية	شؤون قانونية
38	أزمات عالمية	حقوق إنسان
39	خدمات	زراعه وثروة حيوانية
40	قضايا دولية	تنظيمات إسلامية
41	زراعه وثروة حيوانية	إرهاب وتطرف
42	اتفاقيات دولية	تجارة
43	تجارة	اتفاقيات دولية
44	إرهاب وتطرف	اسرائيل
45	حقوق إنسان	أزمات عالمية
46	اتفاقيات سلام	قضايا دولية
47	اسرائيل	مؤسسات دولية
48	فضائح	اتفاقيات سلام
49	مؤسسات دولية	فضائح
50	فنانون وفنانات	أقليات
51	ملوك وامراء	ملوك وامراء
52	إدارة	إدارة
53	مذهبية	مذهبية

جدول (33) توزيع القضايا على أدوات الفيس بوك "الأرقام بالنسبة المئوية"

القضية	القضايا	الرسائل والملاحظات	الجدار أو اللوحة	المناسبات والاحداث	تحميل الفيديو	إجمالي
اتفاقيات دولية	68.24	11.49	16.89	3.38	0.00	100
اتفاقيات سلام	12.75	42.61	44.06	0.58	0.00	100
إدارة	43.97	41.13	13.48	1.42	0.00	100
أدب وثقافه وفكر	56.13	27.40	14.12	1.92	0.42	100
إرهاب وتطرف	46.46	31.50	22.05	0.00	0.00	100
أزمات عالمية	38.71	30.65	29.03	1.61	0.00	100
استهلاك	58.77	15.38	23.69	1.54	0.62	100
اسرائيل	62.99	22.83	13.39	0.00	0.79	100
اسره	58.95	24.37	15.93	0.68	0.07	100
إعلام وحرية تعبير	46.52	25.24	26.74	1.11	0.40	100
أفلام وسينما	50.73	19.15	27.20	1.98	0.93	100
اقتصاد	65.54	20.18	12.17	1.90	0.21	100
أقليات	4.17	54.17	39.58	2.08	0.00	100
أمن وجريمة	46.01	25.92	26.57	0.94	0.56	100
انترنت ومعلوماتية واتصالات	53.84	29.45	15.32	1.14	0.25	100
بيئة وموارد	58.28	24.72	15.89	1.10	0.00	100
تاريخ وتراث	57.71	25.77	15.42	0.88	0.22	100
تجارة	79.03	14.52	6.45	0.00	0.00	100
تربيه وتعليم	62.76	17.52	18.62	1.03	0.07	100
تلفزيون وفضائيات	42.30	20.68	34.60	1.86	0.56	100
تنظيمات إسلامية	59.81	22.01	17.70	0.00	0.48	100
تنمية	79.00	10.60	6.81	3.50	0.09	100
جنس	68.27	17.95	13.46	0.00	0.32	100
حقوق إنسان	49.88	28.35	20.19	1.46	0.12	100
خدمات	51.37	32.19	16.44	0.00	0.00	100
خواطر ومشاعر	11.89	46.02	41.58	0.08	0.43	100
رؤساء	42.67	30.17	26.29	0.86	0.00	100
رياضة	46.59	25.87	25.71	1.74	0.10	100
زراعه وثروة حيوانية	76.74	11.63	10.08	1.55	0.00	100
شؤون قانونية	64.57	18.84	15.33	1.26	0.00	100
صراعات	62.95	18.69	17.16	0.98	0.22	100
صناعة	40.48	24.60	34.92	0.00	0.00	100
طائفية	43.96	30.19	24.88	0.97	0.00	100
طب وصحة	47.05	38.64	13.65	0.61	0.04	100
طرائف	62.64	18.14	18.60	0.00	0.62	100
علوم	59.98	21.00	17.80	1.04	0.17	100
فضائح	62.50	12.50	25.00	0.00	0.00	100
فنانون وفنانات	77.78	5.56	16.67	0.00	0.00	100
فنون	29.74	32.74	34.36	2.31	0.85	100
قضايا اجتماعية	42.31	29.65	26.40	1.49	0.14	100
قضايا المرأه	43.35	26.24	29.28	0.89	0.25	100
قضايا دولية	47.69	35.38	16.92	0.00	0.00	100
قضايا دينية	23.49	47.81	28.10	0.20	0.40	100
قضايا سياسية	40.77	31.93	24.32	2.62	0.35	100
قضية فلسطين	47.04	28.37	23.83	0.50	0.25	100
مذهبية	97.78	0.00	2.22	0.00	0.00	100
مطربون ومطربات	43.39	24.27	31.31	0.55	0.48	100
ملوك وامراء	64.50	21.89	13.61	0.00	0.00	100
ممثلون وممثلات	59.83	22.04	16.83	0.76	0.54	100
مناسبات وأعياد	73.96	10.32	10.17	5.55	0.00	100
مؤسسات دولية	69.12	16.18	13.97	0.74	0.00	100
مؤسسات سياسية	68.90	18.36	11.77	0.76	0.22	100
نصائح وإرشادات واستفسارات	40.55	34.81	24.12	0.23	0.28	100

جدول (34) توزيع القضايا المثارة عبر الفيس بوك على أنماط وادوات التعبيرعنها عبرالبلدان العربية " الارقام بالنسبة المئوية"

البلد	البورد	ملاحظات	الجدار	حدث	فيديو	إجمالي
البحرين	87.06	4.98	6.97	1.00	0.00	100
موريتانيا	84.78	10.87	4.35	0.00	0.00	100
مصر	84.67	9.63	4.49	1.13	0.08	100
اليمن	83.74	12.46	3.11	0.69	0.00	100
قطر	79.39	6.87	12.21	1.53	0.00	100
السعودية	71.23	18.74	6.65	3.16	0.22	100
المغرب	71.22	15.50	11.07	1.11	1.11	100
الامارات	68.66	12.69	17.91	0.75	0.00	100
السودان	67.19	20.45	11.38	0.99	0.00	100
الاردن	60.19	13.76	23.18	0.94	1.94	100
الكويت	59.63	24.39	12.09	3.07	0.82	100
الجزائر	58.70	22.83	18.48	0.00	0.00	100
عمان	58.56	19.26	20.43	1.75	0.00	100
بلدان غير عربية	57.26	7.52	27.09	8.13	0.00	100
ليبيا	57.09	20.57	22.34	0.00	0.00	100
العراق	52.33	20.70	25.22	1.60	0.15	100
لبنان	50.20	12.70	35.71	1.39	0.00	100
سورية	49.91	13.64	24.86	11.21	0.37	100
فلسطين	48.64	25.20	25.34	0.54	0.27	100
تونس	31.73	36.55	27.71	3.21	0.80	100
إجمالي	28.15	39.38	31.59	0.51	0.37	100.00
غير واضح	21.04	51.73	24.08	2.93	0.21	100
غير متاح	18.90	44.55	35.96	0.19	0.40	100

جدول (36) توزيع المنتديات على البلدان العربية وعدد المشاركات بهذه المنتديات

البلد	عدد المنتديات	النسبة من إجمالي	عدد المشاركات في المنتديات	النسبة من إجمالي	متوسط نصيب المنتدى من المشاركات
إجمالي او المتوسط العام	16631	100	661715	100.0	39.8
السعودية	10037	60.4	393959	59.5	39.3
مصر	3059	18.4	165102	25.0	54.0
العراق	546	3.3	21714	3.3	39.8
الجزائر	459	2.8	18295	2.8	39.9
بلدان غير عربية	380	2.3	6399	1.0	16.8
الامارات	363	2.2	7507	1.1	20.7
الكويت	295	1.8	8223	1.2	27.9
عمان	285	1.7	5959	0.9	20.9
المغرب	259	1.6	8409	1.3	32.5
السودان	254	1.5	8261	1.2	32.5
الاردن	185	1.1	4888	0.7	26.4
اليمن	132	0.8	3276	0.5	24.8
قطر	113	0.7	3179	0.5	28.1
فلسطين	102	0.6	1442	0.2	14.1
تونس	61	0.4	1997	0.3	32.7
البحرين	47	0.3	1313	0.2	27.9
ليبيا	28	0.2	998	0.2	35.6
لبنان	21	0.1	727	0.1	34.6
موريتانيا	4	0.0	5	0.0	1.3
سورية	1	0.0	62	0.0	62.0

جدول (38) توزيع صفحات ومجموعات الفيس بوك بحسب البلدان

م	البلد	عدد الصفحات والمجموعات	النسبة من الإجمالى
1	غير متاح	72830	93.26
2	مصر	1765	2.26
3	غير واضح	690	0.88
4	السعودية	529	0.68
5	بلدان غير عربية	330	0.42
6	الاردن	318	0.41
7	السودان	242	0.31
8	فلسطين	211	0.27
9	العراق	190	0.24
10	سلطنة عمان	156	0.20
11	الكويت	139	0.18
12	لبنان	129	0.17
13	سورية	114	0.15
14	تونس	101	0.13
15	ليبيا	83	0.11
16	المغرب	70	0.09
17	الامارات	58	0.07
18	اليمن	52	0.07
19	الجزائر	30	0.04
20	قطر	25	0.03
21	البحرين	24	0.03
22	موريتانيا	8	0.01
24	إجمالي	78094	100

جدول (39) توزيع المشاركات والقضايا عبر الفيس بوك على البلدان العربية "الأرقام بالنسبة المئوية"

البلد	عدد المشاركات	النسبة
غير متاح	127324	82.09
مصر	13883	8.95
السعودية	2690	1.73
غير واضح	1877	1.21
الاردن	1497	0.97
بلدان غير عربية	1329	0.86
السودان	1213	0.78
فلسطين	738	0.48
العراق	686	0.44
سورية	535	0.34
عمان	514	0.33
لبنان	504	0.32
الكويت	488	0.31
اليمن	289	0.19
ليبيا	282	0.18
المغرب	271	0.17
الامارات	268	0.17
تونس	249	0.16
البحرين	201	0.13
قطر	131	0.08
الجزائر	92	0.06
موريتانيا	46	0.03
إجمالي	155107	100

جدول (40) معدل التدوين اليومى فى المدونات العربة المشاركة بالعينة " كل ثلاثة أيام متماثلة من ثلاثة أشهر مندمجة معا"

أيام الشهر	الربع ألأول	الربع الثاني	الربع الثالث	الربع الرابع
اجمالى	31534	29302	30609	29311
1	6099	6709	7128	9175
3	1341	792	884	687
2	1302	968	913	771
4	1239	767	758	755
21	986	921	1159	841
24	958	844	748	846
28	934	728	768	717
23	927	801	823	771
8	918	715	754	602
11	913	850	883	731
22	906	795	813	608
27	891	828	817	744
7	887	804	785	736
26	880	848	904	726
25	854	777	792	752
5	829	699	808	725
17	819	730	944	649
18	812	815	880	702
12	811	757	774	686
14	805	763	738	668
19	778	818	774	614
16	777	735	750	685
6	772	724	722	798
13	754	812	684	717
15	753	747	739	647
9	735	620	613	527
20	714	663	780	549
10	601	634	591	490
31	562	246	559	415
30	492	672	560	330
29	485	720	764	647

جدول (42) توزيع عدد المشاركات المسجلة شهريا بكل المنتديات

الشهر	عدد المشاركات على المنتديات	النسبة من الإجمالى
اجمالى	0.0	100.0
ديسمبر	58415.0	8.8
يناير	58012.0	8.8
اغسطس	56892.0	8.6
يوليو	56697.0	8.6
مارس	55617.0	8.4
اكتوبر	55291.0	8.4
المتوسط العام شهريا	47605.5	8.3
نوفمبر	54460.0	8.2
سبتمبر	53848.0	8.1
ابريل	53833.0	8.1
مايو	53759.0	8.1
يونيو	52529.0	7.9
فبراير	52362.0	7.9



جدول (35) خريطة انتشار القضايا المثارة عبر المنتديات على الدول العربية

المراكز	الأردن	الامارات	البحرين	الجزائر	السعودية	السودان	العراق	الكويت	المغرب	اليمن	بلدان غير عربية	تونس	جيبوتي	سورية	سلطنة عمان	فلسطين	قطر	لبنان	ليبيا	مصر	موريتانيا
1	قضايا دينية	قضايا دينية	قضايا دينية	قضايا دينية	أفلام وسينما	مؤسسات سياسية	قضايا دينية	رياضة	قضايا دينية	قضايا دينية	قضايا دينية	قضايا دينية	بيئة وموارد	قضايا دينية	قضايا دينية	قضايا دينية	قضايا دينية	أدب وثقافه	قضايا دينية	رياضة	قضايا دينية
2	خواطر	خواطر	خواطر	أفلام وسينما	قضايا دينية	قضايا دينية	اسرائيل	قضايا دينية	أدب وثقافه	أدب وثقافه	أفلام وسينما	مؤسسات سياسية	خواطر	خواطر	أدب وثقافه	رياضة	خواطر	قضايا دينية	طب وصحة	قضايا دينية	قضية فلسطين
3	نصائح وإرشادات	أدب وثقافه	أدب وثقافه	تلفزيون وفضائيات	خواطر	اسرائيل	مؤسسات سياسية	خواطر	قضية فلسطين	خواطر	خواطر	قضايا سياسية	رياضة	أدب وثقافه	غير واضح	خواطر	تربيه وتعليم	خواطر	أدب وثقافه	أفلام وسينما	أدب وثقافه
4	أدب وثقافه	بيئة وموارد	قضية فلسطين	خواطر	انترنت ومعلوماتية	أدب وثقافه	خواطر	أدب وثقافه	خواطر	مؤسسات سياسية	أدب وثقافه	أدب وثقافه	انترنت ومعلوماتية	إعلام وحرية تعبير	انترنت ومعلوماتية	قضية فلسطين	أدب وثقافه	رياضة	خواطر	مؤسسات سياسية	قضايا اجتماعية
5	مؤسسات سياسية	قضية فلسطين	رياضة	أدب وثقافه	أدب وثقافه	قضية فلسطين	أدب وثقافه	انترنت ومعلوماتية	اسرائيل	قضية فلسطين	اسرائيل	تربيه وتعليم	أفلام وسينما	انترنت ومعلوماتية	رياضة	اسرائيل	رياضة	مؤسسات سياسية	اسرائيل	انترنت ومعلوماتية	رياضة
6	طب وصحة	طب وصحة	مناسبات وأعياد	قضية فلسطين	نصائح وإرشادات	رياضة	إرهاب وتطرف	اسرائيل	رياضة	رياضة	طب وصحة	بيئة وموارد	غير واضح	قضية فلسطين	قضية فلسطين	انترنت ومعلوماتية	انترنت ومعلوماتية	قضية فلسطين	رياضة	خواطر	تنمية
7	اسرائيل	اسرائيل	أفلام وسينما	رياضة	قضية فلسطين	اقتصاد	طب وصحة	أفلام وسينما	تربيه وتعليم	اقتصاد	رؤساء	اقتصاد	مؤسسات سياسية	طب وصحة	تربيه وتعليم	أدب وثقافه	حقوق إنسان	اسرائيل	انترنت ومعلوماتية	اسرائيل	انترنت ومعلوماتية
8	انترنت ومعلوماتية	علوم	قضايا اجتماعية	قضايا اجتماعية	فنون	خواطر	طائفية	قضية فلسطين	مؤسسات سياسية	اسرائيل	قضية فلسطين	اسرائيل	قضايا سياسية	حقوق إنسان	طب وصحة	إعلام وحرية تعبير	قضية فلسطين	قضايا اجتماعية	قضية فلسطين	أدب وثقافه	تربيه وتعليم
9	تربيه وتعليم	مؤسسات سياسية	تربيه وتعليم	اقتصاد	مؤسسات سياسية	إعلام وحرية تعبير	أفلام وسينما	مؤسسات سياسية	قضايا سياسية	تربيه وتعليم	رياضة	قضايا اجتماعية	أدب وثقافه	أفلام وسينما	اسرائيل	قضايا اجتماعية	اسرائيل	إعلام وحرية تعبير	صراعات	طب وصحة	مؤسسات سياسية
10	قضايا اجتماعية	قضايا اجتماعية	اسرائيل	مؤسسات سياسية	إعلام وحرية تعبير	صراعات	قضية فلسطين	تلفزيون وفضائيات	بيئة وموارد	انترنت ومعلوماتية	مؤسسات سياسية	قضية فلسطين	تربيه وتعليم	قضايا سياسية	اسره	طب وصحة	قضايا سياسية	صراعات	أمن وجريمة	اقتصاد	خواطر
11	قضية فلسطين	اقتصاد	حقوق إنسان	اسرائيل	قضايا اجتماعية	رؤساء	قضايا اجتماعية	قضايا اجتماعية	حقوق إنسان	صراعات	انترنت ومعلوماتية	خواطر	اقتصاد	رياضة	بيئة وموارد	أفلام وسينما	اقتصاد	أمن وجريمة	بيئة وموارد	أمن وجريمة	اسرائيل
12	رياضة	رياضة	قضايا سياسية	طب وصحة	رياضة	انترنت ومعلوماتية	قضايا سياسية	اقتصاد	انترنت ومعلوماتية	إعلام وحرية تعبير	أمن وجريمة	رياضة	اسرائيل	مؤسسات سياسية	قضايا سياسية	مؤسسات سياسية	تلفزيون وفضائيات	اقتصاد	قضايا اجتماعية	إعلام وحرية تعبير	طب وصحة
13	أفلام وسينما	انترنت ومعلوماتية	انترنت ومعلوماتية	انترنت ومعلوماتية	طب وصحة	قضايا سياسية	رياضة	أمن وجريمة	قضايا اجتماعية	رؤساء	اقتصاد	انترنت ومعلوماتية	قضايا اجتماعية	أمن وجريمة	صراعات	قضايا سياسية	قضايا اجتماعية	قضايا سياسية	فنون	قضية فلسطين	إعلام وحرية تعبير
14	اقتصاد	أفلام وسينما	مؤسسات سياسية	تربيه وتعليم	اقتصاد	أفلام وسينما	رؤساء	إعلام وحرية تعبير	اقتصاد	أمن وجريمة	فنون	أفلام وسينما	قضية فلسطين	مناسبات وأعياد	أفلام وسينما	اقتصاد	صراعات	أفلام وسينما	رؤساء	قضايا اجتماعية	قضايا سياسية
15	صراعات	زراعه وثروة حيوانية	بيئة وموارد	تنمية	قضايا المرأه	تربيه وتعليم	انترنت ومعلوماتية	قضايا سياسية	أمن وجريمة	قضايا اجتماعية	قضايا اجتماعية	فنون	فنون	فنانون وفنانات	مناسبات وأعياد	صراعات	أفلام وسينما	تربيه وتعليم	نصائح وإرشادات	تربيه وتعليم	نصائح وإرشادات
16	قضايا المرأه	اسره	اسره	فنون	تربيه وتعليم	أمن وجريمة	صراعات	طب وصحة	مناسبات وأعياد	طب وصحة	صراعات	صراعات	صراعات	اسرائيل	قضايا اجتماعية	اسره	جنس	انترنت ومعلوماتية	إعلام وحرية تعبير	مطربون	قضايا المرأه
17	بيئة وموارد	حقوق إنسان	طائفية	قضايا سياسية	تنظيمات إسلامية	بيئة وموارد	مناسبات وأعياد	صراعات	أفلام وسينما	قضايا سياسية	قضايا سياسية	أمن وجريمة	أمن وجريمة	صراعات	تلفزيون وفضائيات	أمن وجريمة	تنمية	حقوق إنسان	قضايا سياسية	صراعات	اتفاقيات سلام
18	مطربون	نصائح وإرشادات	اقتصاد	صراعات	اسرائيل	قضايا اجتماعية	أمن وجريمة	طائفية	صراعات	أفلام وسينما	حقوق إنسان	إعلام وحرية تعبير	إعلام وحرية تعبير	قضايا اجتماعية	حقوق إنسان	فنون	طب وصحة	بيئة وموارد	مناسبات وأعياد	مناسبات وأعياد	أفلام وسينما
19	مناسبات وأعياد	أمن وجريمة	نصائح وإرشادات	مناسبات وأعياد	تاريخ وتراث	نصائح وإرشادات	بيئة وموارد	بيئة وموارد	تنمية	استهلاك	بيئة وموارد	رؤساء	رؤساء	إرهاب وتطرف	فنون	تربيه وتعليم	مؤسسات سياسية	طب وصحة	تربيه وتعليم	طائفية	اقتصاد
20	قضايا سياسية	رؤساء	صراعات	رؤساء	حقوق إنسان	حقوق إنسان	حقوق إنسان	تربيه وتعليم	إعلام وحرية تعبير	طائفية	إعلام وحرية تعبير	حقوق إنسان	حقوق إنسان	اسره	قضايا المرأه	طائفية	علوم	نصائح وإرشادات	أفلام وسينما	قضايا سياسية	طائفية
21	أمن وجريمة	تربيه وتعليم	تنمية	علوم	أمن وجريمة	طب وصحة	تربيه وتعليم	فنون	طب وصحة	بيئة وموارد	تلفزيون وفضائيات	نصائح وإرشادات	نصائح وإرشادات	نصائح وإرشادات	اقتصاد	نصائح وإرشادات	إعلام وحرية تعبير	تاريخ وتراث	اقتصاد	حقوق إنسان	حقوق إنسان
22	اسره	صراعات	إرهاب وتطرف	نصائح وإرشادات	تلفزيون وفضائيات	اتفاقيات سلام	جنس	حقوق إنسان	فنون	مناسبات وأعياد	تربيه وتعليم	طب وصحة	طب وصحة	تنظيمات إسلامية	إعلام وحرية تعبير	حقوق إنسان	نصائح وإرشادات	قضايا المرأه	حقوق إنسان	تلفزيون وفضائيات	بيئة وموارد
23	حقوق إنسان	قضايا سياسية	أمن وجريمة	مطربون	مطربون	اسره	تلفزيون وفضائيات	رؤساء	نصائح وإرشادات	حقوق إنسان	مناسبات وأعياد	تنظيمات إسلامية	تنظيمات إسلامية	طائفية	اتفاقيات سلام	بيئة وموارد	مناسبات وأعياد	فنون	مؤسسات سياسية	فنون	تجارة
24	تلفزيون وفضائيات	تلفزيون وفضائيات	إعلام وحرية تعبير	صناعة	بيئة وموارد	تنمية	إعلام وحرية تعبير	نصائح وإرشادات	جنس	فنون	تنظيمات إسلامية	اسره	اسره	بيئة وموارد	نصائح وإرشادات	مناسبات وأعياد	اسره	رؤساء	قضايا المرأه	رؤساء	خدمات
25	علوم	إعلام وحرية تعبير	قضايا المرأه	بيئة وموارد	طائفية	فنون	نصائح وإرشادات	مناسبات وأعياد	علوم	علوم	طائفية	علوم	علوم	تربيه وتعليم	رؤساء	علوم	أمن وجريمة	علوم	اسره	اسره	مؤسسات دولية



المعلوماتية

تابع جدول (35)

26	إعلام وحرية تعبير	جنس	طب وصحة	قوانين	صراعات	علوم	تنظيمات إسلامية	تنمية	ملوك	نصائح وإرشادات	اسره	إرهاب وتطرف	إرهاب وتطرف	رؤساء	أمن وجريمة	قضايا المرأه	فنون	قوانين	علوم	بيئة وموارد	أمن وجريمة
27	جنس	فنون	تلفزيون وفضائيات	إعلام وحرية تعبير	استهلاك	تاريخ وتراث	اقتصاد	اسره	رؤساء	جنس	علوم	تاريخ وتراث	تاريخ وتراث	جنس	علوم	جنس	قضايا دولية	اسره	استهلاك	جنس	مطربون
28	فنون	طائفية	اتفاقيات دولية	طائفية	اسره	خدمات	اسره	قضايا المرأه	استهلاك	اسره	نصائح وإرشادات	مناسبات وأعياد	مناسبات وأعياد	علوم	تنمية	رؤساء	قوانين	إرهاب وتطرف	زراعه وثروة حيوانية	نصائح وإرشادات	صراعات
29	استهلاك	تنظيمات إسلامية	أقليات	تنظيمات إسلامية	علوم	صناعة	تجارة	إرهاب وتطرف	اسره	إرهاب وتطرف	إرهاب وتطرف	تنمية	تنمية	فنون	مؤسسات سياسية	خدمات	بيئة وموارد	مؤسسات دولية	تلفزيون وفضائيات	صناعة	مناسبات وأعياد
30	طائفية	تنمية	رؤساء	فضائح	جنس	قضايا المرأه	قضايا المرأه	استهلاك	تاريخ وتراث	تلفزيون وفضائيات	تاريخ وتراث	قضايا دولية	قضايا دولية	استهلاك	طائفية	تلفزيون وفضائيات	استهلاك	مناسبات وأعياد	جنس	قضايا المرأه	تلفزيون وفضائيات
31	تنظيمات إسلامية	صناعة	جنس	أمن وجريمة	مناسبات وأعياد	مناسبات وأعياد	تاريخ وتراث	مطربون	تلفزيون وفضائيات	تجارة	مطربون	مطربون	مطربون	قوانين	قضايا دولية	مطربون	تاريخ وتراث	تنمية	تاريخ وتراث	تنمية	رؤساء
32	تنمية	قضايا المرأه	فنون	قضايا دولية	رؤساء	إرهاب وتطرف	اتفاقيات سلام	قوانين	قضايا المرأه	قضايا المرأه	جنس	قضايا المرأه	قضايا المرأه	صناعة	زراعه وثروة حيوانية	استهلاك	اتفاقيات سلام	استهلاك	تنمية	علوم	جنس
33	رؤساء	إرهاب وتطرف	استهلاك	تجارة	قضايا سياسية	زراعه وثروة حيوانية	فنون	خدمات	طائفية	أزمات عالمية	ممثلون وممثلات	استهلاك	استهلاك	تنمية	تاريخ وتراث	زراعه وثروة حيوانية	إرهاب وتطرف	اتفاقيات دولية	إرهاب وتطرف	استهلاك	تنظيمات إسلامية
34	مؤسسات دولية	استهلاك	اتفاقيات سلام	تاريخ وتراث	تنمية	مؤسسات دولية	علوم	اتفاقيات سلام	إرهاب وتطرف	تنمية	تنمية	صناعة	صناعة	قضايا دولية	تجارة	تجارة	فنانون وفنانات	تلفزيون وفضائيات	تنظيمات إسلامية	تنظيمات إسلامية	قوانين
35	اتفاقيات سلام	تجارة	إدارة	حقوق إنسان	اتفاقيات سلام	تنظيمات إسلامية	زراعه وثروة حيوانية	مؤسسات دولية	قوانين	تاريخ وتراث	قضايا المرأه	إدارة	إدارة	قضايا المرأه	إرهاب وتطرف	تنظيمات إسلامية	أزمات عالمية	طائفية	صناعة	ممثلون وممثلات	إرهاب وتطرف
36	تجارة	مطربون	فنانون وفنانات	اسره	إرهاب وتطرف	استهلاك	قوانين	تجارة	مؤسسات دولية	تنظيمات إسلامية	اتفاقيات سلام	تلفزيون وفضائيات	تلفزيون وفضائيات	تلفزيون وفضائيات	استهلاك	تاريخ وتراث	طائفية	خدمات	مؤسسات دولية	قوانين	زراعه وثروة حيوانية
37	فنانون وفنانات	مناسبات وأعياد	قضايا دولية	إرهاب وتطرف	ممثلون وممثلات	جنس	مؤسسات دولية	علوم	تنظيمات إسلامية	زراعه وثروة حيوانية	قوانين	فنانون وفنانات	فنانون وفنانات	زراعه وثروة حيوانية	خدمات	اتفاقيات سلام	قضايا المرأه	مطربون	خدمات	تجارة	فنانون وفنانات
38	خدمات	مؤسسات دولية	علوم	جنس	فنانون وفنانات	تلفزيون وفضائيات	تنمية	جنس	خدمات	قضايا دولية	استهلاك	قوانين	قوانين	اقتصاد	فنانون وفنانات	قضايا دولية	رؤساء	تنظيمات إسلامية	طائفية	إرهاب وتطرف	قضايا دولية
39	زراعه وثروة حيوانية	اتفاقيات سلام	مطربون	مؤسسات دولية	زراعه وثروة حيوانية	قوانين	فنانون وفنانات	تاريخ وتراث	صناعة	مؤسسات دولية	فنانون وفنانات	اتفاقيات دولية	اتفاقيات دولية	تاريخ وتراث	تنظيمات إسلامية	إرهاب وتطرف	خدمات	صناعة	اتفاقيات دولية	خدمات	فنون
40	صناعة	قوانين	تاريخ وتراث	ممثلون وممثلات	مؤسسات دولية	اتفاقيات دولية	اتفاقيات دولية	تنظيمات إسلامية	اتفاقيات سلام	خدمات	تجارة	جنس	جنس	اتفاقيات دولية	جنس	قوانين	مطربون	قضايا دولية	تجارة	زراعه وثروة حيوانية	اسره
41	فضائح	إدارة	تنظيمات إسلامية	قضايا المرأه	قضايا دولية	طائفية	مطربون	فنانون وفنانات	تجارة	صناعة	زراعه وثروة حيوانية	طائفية	طائفية	ممثلون وممثلات	قوانين	مؤسسات دولية	زراعه وثروة حيوانية	اتفاقيات سلام	مطربون	مؤسسات دولية	صناعة
42	قوانين	أزمات عالمية	تجارة	أقليات	تجارة	أقليات	استهلاك	قضايا دولية	قضايا دولية	اتفاقيات سلام	خدمات	خدمات	خدمات	أزمات عالمية	اتفاقيات دولية	فضائح	تجارة	ملوك	قضايا دولية	اتفاقيات سلام	علوم
43	إرهاب وتطرف	فنانون وفنانات	قوانين	إدارة	ملوك	مطربون	أقليات	أقليات	اتفاقيات دولية	مطربون	أزمات عالمية	اتفاقيات سلام	اتفاقيات سلام	إدارة	أزمات عالمية	فنانون وفنانات	تنظيمات إسلامية	جنس	أقليات	تاريخ وتراث	استهلاك
44	تاريخ وتراث	تاريخ وتراث	أزمات عالمية	فنانون وفنانات	خدمات	ممثلون وممثلات	قضايا دولية	ممثلون وممثلات	مطربون	فنانون وفنانات	مؤسسات دولية	تجارة	تجارة	خدمات	إدارة	اتفاقيات دولية	مؤسسات دولية	فنانون وفنانات	اتفاقيات سلام	فنانون وفنانات	ممثلون وممثلات
45	ملوك	ممثلون وممثلات	ممثلون وممثلات	اتفاقيات دولية	صناعة	قضايا دولية	أزمات عالمية	صناعة	فنانون وفنانات	قوانين	ملوك	زراعه وثروة حيوانية	زراعه وثروة حيوانية	مؤسسات دولية	مطربون	تنمية	فضائح	زراعه وثروة حيوانية	أزمات عالمية	اتفاقيات دولية	تاريخ وتراث
46	ممثلون وممثلات	اتفاقيات دولية	خدمات	استهلاك	قوانين	مذهبية	ملوك	اتفاقيات دولية	زراعه وثروة حيوانية	أقليات	قضايا دولية	مؤسسات دولية	مؤسسات دولية	ملوك	صناعة	صناعة	اتفاقيات دولية	تجارة	قوانين	أزمات عالمية	اتفاقيات دولية
47	اتفاقيات دولية	خدمات	زراعه وثروة حيوانية	اتفاقيات سلام	إدارة	أزمات عالمية	خدمات	زراعه وثروة حيوانية	أزمات عالمية	إدارة	صناعة	مذهبية	مذهبية	مطربون	ممثلون وممثلات	ملوك	صناعة	فضائح	فنانون وفنانات	فضائح	أزمات عالمية
48	إدارة	ملوك	صناعة	خدمات	اتفاقيات دولية	فنانون وفنانات	ممثلون وممثلات	أزمات عالمية	أقليات	ملوك	أقليات	ممثلون وممثلات	ممثلون وممثلات	اتفاقيات سلام	مؤسسات دولية	أزمات عالمية	ملوك	ممثلون وممثلات	إدارة	قضايا دولية	فضائح
49	أزمات عالمية	قضايا دولية	مؤسسات دولية	زراعه وثروة حيوانية	فضائح	تجارة	صناعة	ملوك	ممثلون وممثلات	اتفاقيات دولية	إدارة	أزمات عالمية	أزمات عالمية	تجارة	ملوك	أقليات	أقليات	أزمات عالمية	ملوك	أقليات	أقليات
50	قضايا دولية	أقليات	ملوك	ملوك	أقليات	ملوك	مذهبية	إدارة	فضائح	ممثلون وممثلات	اتفاقيات دولية	ملوك	ملوك	مذهبية	مذهبية	ممثلون وممثلات	ممثلون وممثلات	أقليات	ممثلون وممثلات	إدارة	إدارة
51	أقليات	مذهبية	مذهبية	أزمات عالمية	مذهبية	إدارة	إدارة	فضائح	مذهبية	فضائح	مذهبية	أقليات	أقليات	أقليات	أقليات	إدارة	إدارة	إدارة	مذهبية	ملوك	ملوك
52	مذهبية	فضائح	فضائح	مذهبية	أزمات عالمية	فضائح	فضائح	مذهبية	إدارة	مذهبية	فضائح	فضائح	فضائح	فضائح	فضائح	مذهبية	مذهبية	مذهبية	فضائح	مذهبية	مذهبية
	الأردن				السعودية			الكويت	المغرب		بلدان غير عربية	تونس			عمان			لبنان		مصر	



جدول (37) توزيع القضايا المثارة في المنتديات على البلدان العربية بحسب مستوى الاهتمام بكل قضية داخل الدولة

المراكز	الأردن	الامارات	البحرين	الجزائر	السعودية	السودان	العراق	الكويت	المغرب	اليمن	بلدان غير عربية	تونس	سورية	عمان	فلسطين	قطر	لبنان	ليبيا	مصر	موريتانيا
1	تربيه وتعليم	اقتصاد	تربيه وتعليم	أدب وثقافه وفكر	أفلام وسينما وأغانى	أدب وثقافه وفكر	أفلام وسينما وأغانى	تربيه وتعليم	نصائح وإرشادات	أدب وثقافه وفكر	أفلام وسينما وأغانى	رياضة	تربيه وتعليم	قضايا اجتماعية	قضية فلسطين	رياضة	صراعات	انترنت ومعلوماتية واتصالات	أفلام وسينما وأغانى	قضايا دينية
2	اقتصاد	تربيه وتعليم	قضايا اجتماعية	قضايا دينية	نصائح وإرشادات	رؤساء	مطربون ومطربات	نصائح وإرشادات	قضايا اجتماعية	أفلام وسينما وأغانى	قضايا دينية	أدب وثقافه وفكر	مطربون ومطربات	تربيه وتعليم	تربيه وتعليم	اقتصاد	خواطر	أفلام وسينما وأغانى	قضايا دينية	انترنت ومعلوماتية واتصالات
3	نصائح وإرشادات	نصائح وإرشادات	نصائح وإرشادات	قضايا اجتماعية	طب وصحة	خواطر	خواطر	أدب وثقافه وفكر	أدب وثقافه وفكر	انترنت ومعلوماتية واتصالات	أدب وثقافه وفكر	أفلام وسينما وأغانى	أفلام وسينما وأغانى	بيئة وموارد	أمن وجريمة	استهلاك	مطربون ومطربات	تلفزيون وفضائيات	انترنت ومعلوماتية واتصالات	أدب وثقافه وفكر
4	قضايا اجتماعية	أدب وثقافه وفكر	قضايا دينية	تربيه وتعليم	أدب وثقافه وفكر	قضايا اجتماعية	فنون	طب وصحة	قضايا دينية	قضايا دينية	خواطر	قضايا اجتماعية	علوم	أدب وثقافه وفكر	قضايا دينية	نصائح وإرشادات	فنون	رياضة	رياضة	أفلام وسينما وأغانى
5	أدب وثقافه وفكر	خواطر	انترنت ومعلوماتية واتصالات	اقتصاد	انترنت ومعلوماتية واتصالات	رياضة	أدب وثقافه وفكر	قضايا المرأه	طب وصحة	خواطر	انترنت ومعلوماتية واتصالات	قضايا دينية	تلفزيون وفضائيات	نصائح وإرشادات	قضايا اجتماعية	أدب وثقافه وفكر	قضايا دينية	نصائح وإرشادات	نصائح وإرشادات	رياضة
6	طب وصحة	استهلاك	اقتصاد	نصائح وإرشادات	قضايا دينية	اسره	قضايا دينية	قضايا اجتماعية	تربيه وتعليم	رياضة	نصائح وإرشادات	علوم	انترنت ومعلوماتية واتصالات	أمن وجريمة	أدب وثقافه وفكر	انترنت ومعلوماتية واتصالات	أدب وثقافه وفكر	أدب وثقافه وفكر	خواطر	نصائح وإرشادات
7	انترنت ومعلوماتية واتصالات	قضايا دينية	قضايا المرأه	علوم	خواطر	قضايا دينية	رياضة	قضايا دينية	أفلام وسينما وأغانى	قضايا اجتماعية	رياضة	نصائح وإرشادات	قضايا اجتماعية	فنون	خواطر	تربيه وتعليم	طب وصحة	قضايا دينية	مطربون ومطربات	خواطر
8	رياضة	طب وصحة	أمن وجريمة	أفلام وسينما وأغانى	رياضة	نصائح وإرشادات	انترنت ومعلوماتية واتصالات	انترنت ومعلوماتية واتصالات	قضايا سياسية	نصائح وإرشادات	طب وصحة	تربيه وتعليم	جنس	طب وصحة	علوم	طب وصحة	أفلام وسينما وأغانى	تربيه وتعليم	أدب وثقافه وفكر	مطربون ومطربات
9	بيئة وموارد	رياضة	أفلام وسينما وأغانى	انترنت ومعلوماتية واتصالات	قضايا المرأه	اقتصاد	نصائح وإرشادات	علوم	علوم	اقتصاد	مطربون ومطربات	فنون	تاريخ وتراث	قضايا دينية	صراعات	قضايا دينية	اسره	جنس	طب وصحة	طب وصحة
10	علوم	قضايا اجتماعية	استهلاك	رياضة	اسره	أفلام وسينما وأغانى	ممثلون وممثلات	خواطر	خواطر	تلفزيون وفضائيات	قضايا اجتماعية	طب وصحة	اسره	انترنت ومعلوماتية واتصالات	أفلام وسينما وأغانى	قضايا اجتماعية	أمن وجريمة	خواطر	اقتصاد	اقتصاد
11	خواطر	بيئة وموارد	اسره	خواطر	تربيه وتعليم	مطربون ومطربات	قضايا اجتماعية	اقتصاد	انترنت ومعلوماتية واتصالات	أمن وجريمة	فنون	قضايا سياسية	رياضة	أفلام وسينما وأغانى	نصائح وإرشادات	قضايا المرأه	مؤسسات سياسية	قضايا اجتماعية	تربيه وتعليم	تربيه وتعليم
12	أفلام وسينما وأغانى	انترنت ومعلوماتية واتصالات	خواطر	طب وصحة	اقتصاد	طب وصحة	طب وصحة	رياضة	رياضة	طب وصحة	تربيه وتعليم	تلفزيون وفضائيات	فنون	علوم	اقتصاد	أفلام وسينما وأغانى	نصائح وإرشادات	مطربون ومطربات	طائفية	طائفية
13	قضايا دينية	أفلام وسينما وأغانى	طب وصحة	أمن وجريمة	قضايا اجتماعية	فنون	تربيه وتعليم	اسره	اسره	تربيه وتعليم	اسره	إعلام وحرية تعبير	خواطر	خواطر	طب وصحة	اسره	انترنت ومعلوماتية واتصالات	فنون	فنون	فنون
14	أمن وجريمة	اسره	أدب وثقافه وفكر	اسره	استهلاك	انترنت ومعلوماتية واتصالات	اسره	استهلاك	فنون	اسره	تلفزيون وفضائيات	انترنت ومعلوماتية واتصالات	قضايا دولية	اسره	رياضة	خواطر	قضايا اجتماعية	طب وصحة	أمن وجريمة	أمن وجريمة
15	قضية فلسطين	قضايا المرأه	طائفية	تلفزيون وفضائيات	مطربون ومطربات	تربيه وتعليم	تلفزيون وفضائيات	فنون	اقتصاد	فنون	علوم	خواطر	فنانون وفنانات	رياضة	انترنت ومعلوماتية واتصالات	مطربون ومطربات	قضايا المرأه	رؤساء	تلفزيون وفضائيات	تلفزيون وفضائيات
16	شؤون قانونية	أمن وجريمة	علوم	تنظيمات إسلامية	تلفزيون وفضائيات	أمن وجريمة	علوم	أفلام وسينما وأغانى	مؤسسات سياسية	علوم	أمن وجريمة	أمن وجريمة	أدب وثقافه وفكر	شؤون قانونية	بيئة وموارد	أمن وجريمة	رياضة	علوم	قضايا اجتماعية	قضايا اجتماعية
17	تلفزيون وفضائيات	علوم	صراعات	بيئة وموارد	فنون	جنس	أمن وجريمة	مطربون ومطربات	بيئة وموارد	صراعات	صراعات	مؤسسات سياسية	طب وصحة	اقتصاد	إعلام وحرية تعبير	علوم	ممثلون وممثلات	اسره	استهلاك	استهلاك
18	صراعات	فنون	فنون	إعلام وحرية تعبير	أمن وجريمة	إعلام وحرية تعبير	قضايا المرأه	حقوق إنسان	أمن وجريمة	استهلاك	اقتصاد	اقتصاد	صراعات	قضايا المرأه	مطربون ومطربات	فنون	علوم	استهلاك	ممثلون وممثلات	ممثلون وممثلات
19	اسره	تاريخ وتراث	مطربون ومطربات	صراعات	جنس	تلفزيون وفضائيات	استهلاك	أمن وجريمة	تلفزيون وفضائيات	تاريخ وتراث	جنس	صراعات	رؤساء	استهلاك	رؤساء	رؤساء	طائفية	طرائف	اسره	اسره
20	مؤسسات سياسية	رؤساء	تلفزيون وفضائيات	قضايا سياسية	علوم	قضايا سياسية	طائفية	صناعة	قضايا المرأه	جنس	استهلاك	مطربون ومطربات	بيئة وموارد	تاريخ وتراث	اسره	صراعات	مناسبات وأعياد	قضايا المرأه	علوم	علوم

تابع جدول (37)

21	قضايا سياسية	صراعات	رياضة	تاريخ وتراث	إعلام وحرية تعبير	علوم	صراعات	تلفزيون وفضائيات	استهلاك	قضايا المرأه	بيئة وموارد	رؤساء	قضية فلسطين	طائفية	مناسبات وأعياد	إعلام وحرية تعبير	تلفزيون وفضائيات	اقتصاد	جنس	جنس
22	مطربون ومطربات	مطربون ومطربات	إعلام وحرية تعبير	شؤون قانونية	صراعات	بيئة وموارد	رؤساء	جنس	مطربون ومطربات	إعلام وحرية تعبير	قضية فلسطين	جنس	خدمات	إعلام وحرية تعبير	تلفزيون وفضائيات	بيئة وموارد	قضية فلسطين	صراعات	قضايا المرأه	قضايا المرأه
23	فنون	جنس	مؤسسات سياسية	فنون	بيئة وموارد	مؤسسات سياسية	جنس	قضية فلسطين	صراعات	مطربون ومطربات	طائفية	تاريخ وتراث	طائفية	مطربون ومطربات	فنون	صناعة	اسرائيل	ممثلون وممثلات	صراعات	صراعات
24	إعلام وحرية تعبير	مناسبات وأعياد	بيئة وموارد	رؤساء	طرائف	صراعات	طرائف	طائفية	تاريخ وتراث	بيئة وموارد	قضايا المرأه	اسره	قضايا دينية	مناسبات وأعياد	تاريخ وتراث	تلفزيون وفضائيات	تربيه وتعليم	قضية فلسطين	إعلام وحرية تعبير	إعلام وحرية تعبير
25	طرائف	تلفزيون وفضائيات	تنظيمات إسلامية	قضايا المرأه	ممثلون وممثلات	تاريخ وتراث	اقتصاد	بيئة وموارد	تنظيمات إسلامية	طرائف	تاريخ وتراث	بيئة وموارد	نصائح وإرشادات	تنمية	اسرائيل	تاريخ وتراث	بيئة وموارد	إعلام وحرية تعبير	قضايا سياسية	قضايا سياسية
26	استهلاك	شؤون قانونية	حقوق إنسان	مؤسسات سياسية	رؤساء	صناعة	بيئة وموارد	صراعات	إعلام وحرية تعبير	رؤساء	إعلام وحرية تعبير	قضايا المرأه	قضايا سياسية	تلفزيون وفضائيات	مؤسسات سياسية	شؤون قانونية	تاريخ وتراث	أمن وجريمة	مناسبات وأعياد	مناسبات وأعياد
27	رؤساء	صناعة	إرهاب وتطرف	قضية فلسطين	مناسبات وأعياد	قضايا المرأه	مؤسسات سياسية	إعلام وحرية تعبير	رؤساء	مؤسسات سياسية	ممثلون وممثلات	استهلاك	إعلام وحرية تعبير	صراعات	قضايا سياسية	مؤسسات سياسية	اقتصاد	تاريخ وتراث	بيئة وموارد	بيئة وموارد
28	صناعة	إعلام وحرية تعبير	رؤساء	مطربون ومطربات	مؤسسات سياسية	طرائف	تاريخ وتراث	مؤسسات سياسية	تنمية	قضايا سياسية	مؤسسات سياسية	ممثلون وممثلات	أمن وجريمة	مؤسسات سياسية	تنظيمات إسلامية	جنس	إعلام وحرية تعبير	مناسبات وأعياد	رؤساء	رؤساء
29	تاريخ وتراث	مؤسسات سياسية	جنس	طرائف	قضية فلسطين	تنمية	إرهاب وتطرف	رؤساء	جنس	مناسبات وأعياد	رؤساء	اتفاقيات دولية	مؤسسات سياسية	رؤساء	جنس	تنمية	إرهاب وتطرف	خدمات	مؤسسات سياسية	مؤسسات سياسية
30	قضايا المرأه	طرائف	قضايا سياسية	استهلاك	طائفية	شؤون قانونية	إعلام وحرية تعبير	قضايا سياسية	طرائف	قضية فلسطين	قضايا سياسية	قضية فلسطين	اقتصاد	جنس	حقوق إنسان	مناسبات وأعياد	قضايا سياسية	مؤسسات سياسية	قضية فلسطين	قضية فلسطين
31	جنس	قضايا سياسية	تاريخ وتراث	تنمية	تاريخ وتراث	استهلاك	فنانون وفنانات	تاريخ وتراث	مناسبات وأعياد	حقوق إنسان	طرائف	تنظيمات إسلامية	قضايا المرأه	طرائف	استهلاك	قضايا سياسية	رؤساء	طائفية	طرائف	طرائف
32	ممثلون وممثلات	قضية فلسطين	طرائف	طائفية	صناعة	ممثلون وممثلات	مناسبات وأعياد	مناسبات وأعياد	قضية فلسطين	صناعة	تنظيمات إسلامية	مناسبات وأعياد	استهلاك	قضايا سياسية	طرائف	طائفية	جنس	بيئة وموارد	تنظيمات إسلامية	تنظيمات إسلامية
33	تنظيمات إسلامية	ممثلون وممثلات	ممثلون وممثلات	صناعة	قضايا سياسية	مناسبات وأعياد	صناعة	ممثلون وممثلات	أقليات	طائفية	اسرائيل	تنمية	ممثلون وممثلات	صناعة	ممثلون وممثلات	قضية فلسطين	طرائف	قضايا سياسية	تاريخ وتراث	تاريخ وتراث
34	خدمات	حقوق إنسان	مناسبات وأعياد	قضايا دولية	خدمات	تنظيمات إسلامية	تنظيمات إسلامية	طرائف	شؤون قانونية	إرهاب وتطرف	شؤون قانونية	خدمات	اتفاقيات دولية	قضية فلسطين	قضايا المرأه	تنظيمات إسلامية	استهلاك	تنظيمات إسلامية	شؤون قانونية	شؤون قانونية
35	طائفية	تنمية	قضية فلسطين	مناسبات وأعياد	تنمية	طائفية	قضية فلسطين	شؤون قانونية	حقوق إنسان	ممثلون وممثلات	مناسبات وأعياد	طائفية	تنظيمات إسلامية	تنظيمات إسلامية	تنمية	خدمات	فنانون وفنانات	اسرائيل	صناعة	صناعة
36	مناسبات وأعياد	خدمات	اتفاقيات دولية	جنس	تنظيمات إسلامية	اتفاقيات سلام	قضايا سياسية	خدمات	قضايا دولية	تنظيمات إسلامية	حقوق إنسان	صناعة	مناسبات وأعياد	خدمات	اتفاقيات دولية	ممثلون وممثلات	تنظيمات إسلامية	إرهاب وتطرف	زراعه وثروة حيوانية	زراعه وثروة حيوانية
37	تنمية	طائفية	شؤون قانونية	اتفاقيات دولية	شؤون قانونية	حقوق إنسان	حقوق إنسان	تنمية	طائفية	اتفاقيات دولية	إرهاب وتطرف	إرهاب وتطرف	تنمية	إرهاب وتطرف	طائفية	تجارة	تجارة	تجارة	خدمات	خدمات
38	حقوق إنسان	زراعه وثروة حيوانية	صناعة	إرهاب وتطرف	فنانون وفنانات	زراعه وثروة حيوانية	أقليات	إرهاب وتطرف	اتفاقيات دولية	اسرائيل	صناعة	اسرائيل	صناعة	أقليات	مؤسسات دولية	حقوق إنسان	حقوق إنسان	أقليات	حقوق إنسان	حقوق إنسان
39	إرهاب وتطرف	مؤسسات دولية	تنمية	اسرائيل	حقوق إنسان	خدمات	شؤون قانونية	تنظيمات إسلامية	صناعة	شؤون قانونية	قضايا دولية	شؤون قانونية	إرهاب وتطرف	قضايا دولية	شؤون قانونية	طرائف	أقليات	قضايا دولية	تنمية	تنمية
40	أزمات عالمية	إرهاب وتطرف	اسرائيل	حقوق إنسان	إرهاب وتطرف	اسرائيل	خدمات	زراعه وثروة حيوانية	خدمات	قضايا دولية	تنمية	حقوق إنسان	اسرائيل	ممثلون وممثلات	صناعة	زراعه وثروة حيوانية	شؤون قانونية	فضائح	إرهاب وتطرف	إرهاب وتطرف
41	تجارة	تنظيمات إسلامية	فنانون وفنانات	أقليات	اسرائيل	أزمات عالمية	اتفاقيات دولية	فنانون وفنانات	زراعه وثروة حيوانية	خدمات	أقليات	قضايا دولية	شؤون قانونية	اتفاقيات دولية	إرهاب وتطرف	قضايا دولية	خدمات	حقوق إنسان	اسرائيل	اسرائيل
42	مؤسسات دولية	أزمات عالمية	تجارة	مؤسسات دولية	تجارة	تجارة	فضائح	اتفاقيات دولية	اسرائيل	تنمية	اتفاقيات دولية	فنانون وفنانات	حقوق إنسان	حقوق إنسان	قضايا دولية	اسرائيل	قضايا دولية	شؤون قانونية	فنانون وفنانات	فنانون وفنانات
43	اتفاقيات دولية	تجارة	قضايا دولية	زراعه وثروة حيوانية	زراعه وثروة حيوانية	اتفاقيات دولية	اسرائيل	تجارة	إرهاب وتطرف	فنانون وفنانات	فنانون وفنانات	طرائف	طرائف	مؤسسات دولية	فضائح	إرهاب وتطرف	مؤسسات دولية	اتفاقيات سلام	اتفاقيات دولية	اتفاقيات دولية
44	اسرائيل	اسرائيل	مؤسسات دولية	ممثلون وممثلات	اتفاقيات دولية	قضية فلسطين	اتفاقيات سلام	قضايا دولية	فنانون وفنانات	اتفاقيات سلام	خدمات	زراعه وثروة حيوانية	زراعه وثروة حيوانية	فنانون وفنانات	فنانون وفنانات	اتفاقيات دولية	اتفاقيات سلام	اتفاقيات دولية	تجارة	تجارة
45	قضايا دولية	اتفاقيات دولية	أقليات	تجارة	قضايا دولية	قضايا دولية	زراعه وثروة حيوانية	اسرائيل	تجارة	أقليات	زراعه وثروة حيوانية	فضائح	فضائح	تجارة	زراعه وثروة حيوانية	فنانون وفنانات	فضائح	فنانون وفنانات	فضائح	فضائح
46	اتفاقيات سلام	قضايا دولية	اتفاقيات سلام	خدمات	اتفاقيات سلام	إرهاب وتطرف	تنمية	اتفاقيات سلام	إدارة	أزمات عالمية	اتفاقيات سلام	مؤسسات دولية	مؤسسات دولية	اتفاقيات سلام	خدمات	مؤسسات دولية	صناعة	مؤسسات دولية	مؤسسات دولية	مؤسسات دولية



تابع جدول (37)

47	أقليات	أقليات	خدمات	أزمات عالمية	أزمات عالمية	مؤسسات دولية	مؤسسات دولية	مؤسسات دولية	ممثلون وممثلات	زراعه وثروة حيوانية	فضائح	أقليات	أقليات	أزمات عالمية	أقليات	اتفاقيات سلام	تنمية	صناعة	أزمات عالمية	أزمات عالمية
48	زراعه وثروة حيوانية	تاريخ وترات	زراعه وثروة حيوانية	فنانون وفنانات	مؤسسات دولية	فنانون وفنانات	قضايا دولية	أزمات عالمية	أزمات عالمية	مؤسسات دولية	تجارة	تجارة	تجارة	اسرائيل	تجارة	أزمات عالمية	زراعه وثروة حيوانية	تنمية	قضايا دولية	قضايا دولية
49	إدارة	اتفاقيات سلام	أزمات عالمية	إدارة	فضائح	فضائح	تجارة	إدارة	اتفاقيات سلام	فضائح	مؤسسات دولية	إدارة	إدارة	زراعه وثروة حيوانية	اتفاقيات سلام	أقليات	اتفاقيات دولية	زراعه وثروة حيوانية	زراعه وثوره حيوانية	زراعه وثوره حيوانية
50	فنانون وفنانات	فنانون وفنانات	تاريخ وترات	تاريخ وترات	زراعه وثوره حيوانية	إدارة	أزمات عالمية	امراء واميرات	مؤسسات دولية	امراء واميرات	إدارة	زراعه وثوره حيوانية	زراعه وثوره حيوانية	فضائح	أزمات عالمية	زراعه وثوره حيوانية	أزمات عالمية	أزمات عالمية	اتفاقيات سلام	اتفاقيات سلام
51	ملوك وملكات	فضائح	فضائح	اتفاقيات سلام	أقليات	تاريخ وترات	زراعه وثوره حيوانية	تاريخ وترات	فضائح	تجارة	زراعه وثوره حيوانية	أزمات عالمية	أزمات عالمية	إدارة	إدارة	امراء واميرات	زراعه وثوره حيوانية	زراعه وثوره حيوانية	أقليات	أقليات
52	امراء واميرات	زراعه وثوره حيوانية	زراعه وثوره حيوانية	امراء واميرات	إدارة	أقليات	إدارة	أقليات	زراعه وثوره حيوانية	إدارة	تاريخ وترات	اتفاقيات سلام	اتفاقيات سلام	زراعه وثوره حيوانية	زراعه وثوره حيوانية	فضائح	امراء واميرات	امراء واميرات	تاريخ وترات	تاريخ وترات
53	تاريخ وترات	ملوك وملكات	ملوك وملكات	فضائح	تاريخ وترات	زراعه وثوره حيوانية	امراء واميرات	فضائح	امراء واميرات	زراعه وثوره حيوانية	أزمات عالمية	تاريخ وترات	تاريخ وترات	تاريخ وترات	تاريخ وترات	إدارة	إدارة	إدارة	إدارة	إدارة
54	زراعه وثوره حيوانية	امراء واميرات	امراء واميرات	مذهبية	امراء واميرات	امراء واميرات	مذهبية	زراعه وثوره حيوانية	تاريخ وترات	تاريخ وترات	امراء واميرات	امراء واميرات	امراء واميرات	امراء واميرات	امراء واميرات	تاريخ وترات	تاريخ وترات	تاريخ وترات	امراء واميرات	امراء واميرات
55	فضائح	إدارة	إدارة	زراعه وثوره حيوانية	ملوك وملكات	ملوك وملكات	تاريخ وترات	مذهبية	مذهبية	مذهبية	مذهبية	مذهبية	مذهبية	مذهبية	مذهبية	مذهبية	مذهبية	مذهبية	ملوك وملكات	ملوك وملكات
56	مذهبية	مذهبية	مذهبية	ملوك وملكات	مذهبية	مذهبية	ملوك وملكات	ملوك وملكات	ملوك وملكات	ملوك وملكات	ملوك وملكات	ملوك وملكات	ملوك وملكات	ملوك وملكات	ملوك وملكات	ملوك وملكات	ملوك وملكات	ملوك وملكات	مذهبية	مذهبية

ترتيب توزيع القضايا على البلدان العربية تنازليا فى كل بلد بحسب مستوى الاهتمام بكل قضية داخل الدولة



جدول (41) توزيع القضايا في المدونات بحسب معدل الاهتمام بها طوال شهور السنة

مستوى اهتمام مجتمع المدونين وجماهيره بالقضايا الرئيسية طوال عام 2010				
المركز	الربع الأول : يناير مارس	الربع الثاني " ابريل يونيه	الربع الثالث:يوليو سبتمبر	الربع الرابع: اكتوبر ديسمبر
1	قضايا دينية	أفلام وسينما	قضايا دينية	قضايا دينية
2	أفلام وسينما	قضايا دينية	أفلام وسينما	أفلام وسينما
3	رياضة	رياضة	رياضة	رياضة
4	خواطر	انترنت ومعلوماتية	خواطر	انترنت ومعلوماتية
5	انترنت ومعلوماتية	خواطر	قضية فلسطين	خواطر
6	أدب وثقافه	أدب وثقافه	أدب وثقافه	أدب وثقافه
7	مؤسسات سياسية	مؤسسات سياسية	انترنت ومعلوماتية	مؤسسات سياسية
8	قضية فلسطين	قضية فلسطين	طب وصحة	طب وصحة
9	طب وصحة	طب وصحة	مؤسسات سياسية	اقتصاد
10	اسرائيل	قضايا اجتماعية	اسرائيل	قضية فلسطين
11	اقتصاد	اقتصاد	تربيه وتعليم	تربيه وتعليم
12	تربيه وتعليم	اسرائيل	اقتصاد	اسرائيل
13	قضايا اجتماعية	إعلام وحرية تعبير	إعلام وحرية تعبير	قضايا اجتماعية
14	إعلام وحرية تعبير	تربيه وتعليم	قضايا اجتماعية	إعلام وحرية تعبير
15	أمن وجريمة	أمن وجريمة	أمن وجريمة	أمن وجريمة
16	فنون	فنون	طائفية	فنون
17	تلفزيون وفضائيات	تلفزيون وفضائيات	صراعات	تلفزيون وفضائيات
18	صراعات	مناسبات وأعياد	نصائح وإرشادات	مطربون
19	نصائح وإرشادات	قضايا سياسية	تلفزيون وفضائيات	نصائح وإرشادات
20	طائفية	نصائح وإرشادات	بيئة وموارد	قضايا سياسية
21	بيئة وموارد	بيئة وموارد	فنون	صراعات
22	قضايا سياسية	صراعات	قضايا سياسية	استهلاك
23	مطربون	استهلاك	مطربون	بيئة وموارد
24	رؤساء	مطربون	رؤساء	طائفية
25	استهلاك	طائفية	جنس	رؤساء
26	مناسبات وأعياد	قضايا المرأه	علوم	مناسبات وأعياد
27	حقوق إنسان	رؤساء	حقوق إنسان	حقوق إنسان
28	قضايا المرأه	حقوق إنسان	اسره	جنس
29	علوم	علوم	استهلاك	اسره
30	اسره	اسره	تنظيمات إسلامية	قضايا المرأه
31	جنس	جنس	مناسبات وأعياد	علوم
32	تنظيمات إسلامية	تنمية	قضايا المرأه	تنظيمات إسلامية
33	تنمية	تنظيمات إسلامية	تنمية	تنمية
34	إرهاب وتطرف	إرهاب وتطرف	صناعة	تاريخ وتراث
35	صناعة	تاريخ وتراث	إرهاب وتطرف	إرهاب وتطرف
36	تاريخ وتراث	صناعة	قوانين	ممثلون وممثلات
37	تجارة	ممثلون وممثلات	تجارة	صناعة
38	ممثلون وممثلات	زراعه وثروة حيوانية	تاريخ وتراث	تجارة
39	قوانين	تجارة	خدمات	قوانين
40	زراعه وثروة حيوانية	خدمات	اتفاقيات سلام	مؤسسات دولية
41	خدمات	مؤسسات دولية	ممثلون وممثلات	زراعه وثروة حيوانية



تابع جدول (41)

42	مؤسسات دولية	قوانين	مؤسسات دولية	اتفاقيات سلام
43	اتفاقيات سلام	اتفاقيات سلام	زراعه وثروة حيوانية	فضائح
44	فنانون وفنانات	فضائح	قضايا دولية	خدمات
45	قضايا دولية	قضايا دولية	فنانون وفنانات	فنانون وفنانات
46	فضائح	فنانون وفنانات	أزمات عالمية	قضايا دولية
47	اتفاقيات دولية	ملوك	اتفاقيات دولية	أزمات عالمية
48	ملوك	اتفاقيات دولية	إدارة	ملوك
49	إدارة	أزمات عالمية	فضائح	إدارة
50	أزمات عالمية	إدارة	ملوك	اتفاقيات دولية
51	أقليات	أقليات	أقليات	أقليات
52	مذهبية	مذهبية	مذهبية	مذهبية

جدول (43) توزيع القضايا في الفيس بوك بحسب مستوى الاهتمام بها عبر شهور السنة

الشهر	يناير	فبراير	مارس	ابريل	مايو	يونيه	يوليو	اغسطس	سبتمبر	اكتوبر	نوفمبر	ديسمبر	إجمالي
خواطر ومشاعر	2686	3132	3409	4274	4661	4384	5000	4726	5663	7827	9574	11569	66905
قضايا دينية	1547	1571	1792	2003	2291	2278	2720	2657	2636	3134	3970	4235	30834
نصائح وإرشادات واستفسارات	402	458	545	660	742	757	866	876	837	1098	1177	1485	9903
قضايا اجتماعية	289	247	268	290	380	358	477	508	648	572	707	827	5571
أدب وثقافه وفكر	267	312	390	356	396	320	422	347	323	502	383	457	4475
رياضة	147	172	124	186	214	249	215	180	331	332	343	553	3046
مطربون ومطربات	135	191	137	215	203	201	255	159	265	355	348	433	2897
انترنت ومعلوماتية واتصالات	127	116	192	181	237	229	251	244	322	292	257	353	2801
طب وصحة	121	109	104	159	183	187	247	190	193	312	248	232	2285
أفلام وسينما	62	78	148	95	163	104	141	148	182	168	178	246	1713
تلفزيون وفضائيات	82	89	124	113	129	114	88	146	152	165	155	253	1610
اسره	70	85	59	117	121	78	130	127	128	168	188	198	1469
تربيه وتعليم	77	63	119	93	100	110	132	112	166	180	122	176	1450
اقتصاد	71	59	62	90	116	131	144	113	135	156	183	162	1422
فنون	53	63	129	76	85	93	93	88	116	188	129	185	1298
إعلام وحرية تعبير	78	49	57	89	126	88	100	106	135	112	135	189	1264
علوم	82	57	65	73	106	101	88	78	101	148	118	140	1157
قضايا سياسية	27	53	78	100	72	117	89	90	88	126	157	146	1143
أمن وجريمة	44	70	60	64	99	65	84	66	106	102	141	164	1065
تنمية	60	69	68	73	76	57	87	71	101	166	85	144	1057
مؤسسات سياسية	38	51	73	61	80	100	69	71	85	95	93	110	926
ممثلون وممثلات	54	90	79	119	72	76	45	60	70	92	77	87	921
صراعات	52	40	48	74	81	109	58	90	69	105	77	112	915
طائفية	62	49	52	46	47	47	87	74	91	87	89	97	828
حقوق إنسان	44	22	40	45	68	58	100	56	70	88	122	109	822
قضية فلسطين	49	53	56	64	64	95	77	50	60	56	62	107	793

تابع جدول (43) توزيع وحدات التحليل على البلدان العربية

قضايا المرأه	44	47	40	62	49	44	69	58	73	98	88	117	789
مناسبات وأعياد	34	59	51	41	20	27	64	113	51	51	72	66	649
طرائف	31	37	48	60	53	56	69	40	46	61	63	81	645
تاريخ وتراث	21	32	29	37	35	40	54	42	29	51	40	44	454
بيئة وموارد	17	42	31	29	32	34	40	25	42	62	51	48	453
شؤون قانونية	22	60	21	38	26	33	24	34	38	22	40	40	398
اتفاقيات سلام	20	20	20	19	41	24	11	26	19	48	32	65	345
ملوك وامراء	25	15	11	13	25	22	18	26	51	26	56	50	338
استهلاك	12	22	18	20	24	24	32	21	39	41	26	46	325
جنس	19	20	19	23	35	17	20	20	21	23	51	44	312
رؤساء	12	6	9	27	13	19	15	24	23	31	17	36	232
تنظيمات إسلامية	16	6	9	10	29	5	17	18	13	28	20	38	209
اتفاقيات دولية	16	5	13	19	7	12	9	15	13	7	17	15	148
خدمات	7	6	5	12	11	13	21	8	13	13	15	22	146
إدارة	2	5	7	8	10	13	17	9	13	27	17	13	141
مؤسسات دولية	3	6	8	9	6	36	11	5	10	18	7	17	136
زراعه وثروة حيوانية	8	2	3	14	9	17	35	17	7	4	9	4	129
اسرائيل	15	7	11	14	10	21	8	5	2	6	7	21	127
إرهاب وتطرف	17	13	1	7	5	7	6	11	15	9	23	13	127
صناعة	5	4	4	4	13	7	11	11	8	9	17	33	126
قضايا دولية	3	0	3	9	1	5	4	7	9	5	9	10	65
أزمات عالمية	5	3	9	3	6	5	3	3	8	6	5	6	62
تجارة	4	0	3	0	7	6	5	11	10	7	3	6	62
أقليات	3	2	4	7	2	4	4	2	2	6	10	2	48
مذهبية	0	1	2	2	1	6	7	3	2	4	4	13	45
فنانون وفنانات	0	1	1	0	1	0	0	5	1	2	4	3	18
فضائح	0	1	0	2	1	0	0	0	1	0	2	1	8
إجمالي	7087	7770	8658	10205	11384	11003	12639	11992	13632	17291	19823	23623	155107

تابع جدول (44)

أزمات عالمية	اسرائيل	اتفاقيات سلام	مؤسسات دولية	جنس
حقوق إنسان	تنظيمات إسلامية	قضايا دولية	خواطر ومشاعر	رؤساء
صناعة	إرهاب وتطرف	اسرائيل	خدمات	اتفاقيات سلام
أقليات	أزمات عالمية	تنظيمات إسلامية	قضية فلسطين	زراعه وثروة حيوانية
فنانون وفنانات	أقليات	إرهاب وتطرف	تلفزيون وفضائيات	مؤسسات دولية
ملوك وامراء	فنانون وفنانات	أزمات عالمية	مذهبية	خدمات
خدمات	ملوك وامراء	أقليات	إعلام وحرية تعبير	قضية فلسطين
إدارة	خدمات	فنانون وفنانات	مطربون ومطربات	مذهبية
زراعه وثروة حيوانية	زراعه وثروة حيوانية	زراعه وثروة حيوانية	ممثلون وممثلات	إعلام وحرية تعبير
فضائح	فضائح	فضائح	قضايا المرأه	ممثلون وممثلات
تجارة	تجارة	تجارة	أقليات	قضايا المرأة



جدول (44) توزيعات جماهيرية القضايا عبر الفيس بوك بالمعامل المجمع على البلدان العربية

قطر	لبنان	ليبيا	مصر	موريتانيا
مناسبات وأعياد	مؤسسات دولية	اقتصاد	انترنت ومعلوماتية واتصالات	صراعات
شؤون قانونية	اتفاقيات دولية	تربيه وتعليم	علوم	اسرائيل
مذهبية	جنس	خواطر ومشاعر	تجارة	أقليات
تنمية	أمن وجريمة	أفلام وسينما	فضائح	تنظيمات إسلامية
قضايا دولية	صناعة	رؤساء	اقتصاد	مناسبات وأعياد
استهلاك	صراعات	خدمات	إرهاب وتطرف	مؤسسات سياسية
رؤساء	شؤون قانونية	طرائف	صناعة	خواطر ومشاعر
اتفاقيات دولية	حقوق إنسان	قضايا دينية	اتفاقيات دولية	حقوق إنسان
أدب وثقافه وفكر	مناسبات وأعياد	رياضة	شؤون قانونية	تربيه وتعليم
رياضة	طائفية	نصائح وإرشادات واستفسارات	طب وصحة	قضايا اجتماعية
اتفاقيات سلام	مؤسسات سياسية	طب وصحة	أمن وجريمة	طائفية
علوم	طرائف	قضايا اجتماعية	فنانون وفنانات	تلفزيون وفضائيات
صراعات	مذهبية	إعلام وحرية تعبير	مؤسسات سياسية	أفلام وسينما
تلفزيون وفضائيات	قضايا اجتماعية	تلفزيون وفضائيات	إدارة	رياضة
مؤسسات سياسية	فنون	علوم	صراعات	انترنت ومعلوماتية واتصالات
قضية فلسطين	اسره	ممثلون وممثلات	قضايا دولية	مطربون ومطربات
طرائف	إعلام وحرية تعبير	ملوك وامراء	اسرائيل	قضايا دينية
تربيه وتعليم	مطربون ومطربات	مؤسسات سياسية	تنمية	علوم
نصائح وإرشادات واستفسارات	أفلام وسينما	شؤون قانونية	فنون	تجارة
اقتصاد	خواطر ومشاعر	اسره	مناسبات وأعياد	فضائح
خواطر ومشاعر	بيئة وموارد	تنمية	حقوق إنسان	اقتصاد
قضايا اجتماعية	قضايا دينية	طائفية	أزمات عالمية	إرهاب وتطرف
أفلام وسينما	علوم	أدب وثقافه وفكر	تربيه وتعليم	صناعة
قضايا المرأه	نصائح وإرشادات واستفسارات	بيئة وموارد	قضايا اجتماعية	اتفاقيات دولية
قضايا دينية	رياضة	أمن وجريمة	تاريخ وتراث	شؤون قانونية
انترنت ومعلوماتية واتصالات	طب وصحة	فنون	أفلام وسينما	طب وصحة
ممثلون وممثلات	قضايا سياسية	قضايا سياسية	ملوك وامراء	أمن وجريمة
اسرائيل	قضايا المرأه	انترنت ومعلوماتية واتصالات	أدب وثقافه وفكر	فنانون وفنانات
تنظيمات إسلامية	تلفزيون وفضائيات	مطربون ومطربات	اسره	إدارة
بيئة وموارد	أدب وثقافه وفكر	مؤسسات دولية	طرائف	قضايا دولية
مؤسسات دولية	قضية فلسطين	اتفاقيات دولية	طائفية	تنمية
إعلام وحرية تعبير	تاريخ وتراث	جنس	استهلاك	فنون
تاريخ وتراث	إدارة	صناعة	نصائح وإرشادات واستفسارات	أزمات عالمية
أمن وجريمة	استهلاك	صراعات	قضايا سياسية	تاريخ وتراث
فنون	تنمية	حقوق إنسان	بيئة وموارد	ملوك وامراء
طائفية	اتفاقيات سلام	مناسبات وأعياد	تنظيمات إسلامية	أدب وثقافه وفكر
اسره	تربيه وتعليم	مذهبية	جنس	اسره
قضايا سياسية	اقتصاد	قضايا المرأه	رؤساء	طرائف
إرهاب وتطرف	انترنت ومعلوماتية واتصالات	قضية فلسطين	قضايا دينية	استهلاك
جنس	ممثلون وممثلات	تاريخ وتراث	اتفاقيات سلام	نصائح وإرشادات واستفسارات
مطربون ومطربات	قضايا دولية	إدارة	رياضة	قضايا سياسية
طب وصحة	رؤساء	استهلاك	زراعه وثروة حيوانية	بيئة وموارد

ملـف

التعليم الجامعي وسوق العمل

اختلالات على الجانبين

التعليم



المقدمة

من الواضح أنَّ قضايا التعليم ستبقى على رأس قائمة التحديّات التي يواجهها العالم العربي لفترة طويلة مقبلة. تتعدّد هذه القضايا وتبلغ حدّ التعقيد على مستويات عدّة. لكن تظلّ قضية صلة التعليم العالي بسوق العمل إحدى القضايا التي تكشف بشدّة عن عمق الأزمة في دول الوطن العربي.

فالحاصل اليوم أن هناك ما يشبه الانفصام بين السياسات المطبقة في التعليم الجامعي متطلّبات سوق العمل. فالجامعات العربية تضخ أعداداً كبيرة من الطلاب في تخصّصات معيّنة بأكثر ممّا يحتاجه سوق العمل، الأمر الذي أفضى إلى ارتفاع نسبة البطالة لدى خريجي الجامعات في العالم على نحو صارخ. ولم يكن انتحار الشاب التونسي "بوعزيزي" العاطل عن العمل، على الرغم من شهادته الجامعية وآخرين غيره في دول عربيّة أخرى، سوى الدليل على غياب سياسة واضحة تربط التعليم الجامعي بسوق العمل. وفي المقابل، فإن الجامعات العربيّة مازالت بسبب تدنّي معايير الجودة تضَن على سوق العمل بما يحتاجه من تخصّصات ومهارات معيّنة. وهكذا تبدو المفارقة باختصار: "فائض" جامعي بأكثر من اللازم في تخصّصات لا يحتاجها سوق العمل، و"شحّ" جامعي في تلبية تخصّصات أخرى يحتاجها سوق العمل.

يتضمّن هذا الملفّ دراسةً "ترصد" واقع التعليم الجامعي من حيث أعداد الطلاب، وسياسات القبول في الجامعات، وتوزيع الاختصاصات العلميّة، والخلل الناشئ عن هذه الجوانب في علاقتها بسوق العمل.



التعليم

مصر

الأوضاع الراهنة للتعليم العالي في مصر وعلاقتها بسوق العمل

تعدّ **مصر** أولى **الدول العربيّة** التي بدأ **التعليم العالي** فيها مبكراً. وعموماً أصبح **التعليم العالي** في كثير من المجتمعات في العالم يشكّل ركيزة أساسيّة للتنمية ولنهضة المجتمع. وعلى الرغم من الريادة التي حَظيَت بها **مصر** على مستوى الوطن العربي، إلا أنها أصبحت الآن تواجه ككثير من الدول العربيّة تحدّيات متعدّدة في ما يتعلّق بقطاع التعليم عموماً والتعليم العالي خصوصاً. ولعلّ أهم القضايا إثارةً للجدل في هذا الخصوص هي علاقة التعليم العالي **بسوق العمل**، وإلى أيّ مدى تعدّ بعض خصائص هذا النظام ذات أثر سلبي على **سوق العمل**، وبالذات في ما يتعلّق بالعلاقة بين مخرجات التعليم واحتياجات سوق العمل.

لئن كان من الثابت، ويمكن دعمه بالأدلة الموضوعية، أن للتعليم العالي انعكاسات مهمة على **سوق العمل** والتنمية عموماً، فإن **نظام التعليم** يعدّ أيضاً نتاجاً للإطار التنموي السائد في المجتمع ويتأثّر بدوره بالاختلالات القائمة في سوق العمل وبالتجزئة التي تسوده. كما أن ضعف استراتيجيّة التنمية أو قوتها يلقيان بظلالهما على التعليم ويصيبانه بجوانب القصور أو التميّز. ولهذا فإن التقويم الموضوعي للتعليم العالي، سواء في **مصر** أم في أيّ من الدول العربيّة ينبغي أن يتمّ من المنظور الشامل الذي يأخذ في الاعتبار كلا الجانبين: التعليم (الذي يحدّد جانب العرض) **وسوق العمل** (الذي يحدّد جانب الطلب) والعلاقة المتبادلة بينهما. وبناءً على ذلك، سوف يتمّ التركيز في هذه الدراسة على جانب نظام التعليم أولاً، وذلك بإبراز خصائص هذا النظام وطبيعة المشكلات والتحدّيات ذات التأثير في **سوق العمل**. وثانياً يتمّ تناول جانب **سوق العمل**، ودراسة طبيعة الاختلالات بين المعروض من مخرجات نظام **التعليم العالي** والطلب عليها.

تبدأ الدراسة بنبذة تاريخيّة سريعة عن نظام **التعليم العالي** في **مصر**، والتعرف إلى الهيكل الحالي لهذا النظام وأهمّ التطورات التي طرأت عليه. أمّا الجزء الثاني فيتناول أحد الجوانب المهمّة للقضية موضع الدراسة من خلال تحليل عددٍ من أهمّ خصائص نظام **التعليم العالي** ذاتِ التأثير في حجم مخرجات التعليم ونوعيتها، وبالتالي المعروض من المهارات في **سوق العمل**. و تتمثّل هذه الخصائص في: الحوكمة وأسلوب إدارة مؤسّسات التعليم العالي والجامعات خصوصاً، وسياسات القبول التي تتولّد عنها معدلات القيد بالتعليم العالي، والجودة ومستوى تنافسية مخرجات نظام التعليم العالي. أمّا الجزء الثالث فيركّز على انعكاسات الخصائص السابقة على **سوق العمل** مع اهتمام خاص بمشكلة البطالة التي تعدّ أهم أشكال الاختلالات ذات الصلة بنظام التعليم. وتُختتم الدراسة بالتعليق على إشكالية العلاقة، وإلى أيّ مدى تعدّ الاختلالات، والبطالة بالذات، مسؤولية مشتركة بين نظام التعليم **وسوق العمل**.

1 - هيكل التعليم العالي وتطوّره

1-1 نبذة تاريخية:

يمكن اعتبار **جامعة الأزهر** كجامعة تقوم على تدريس العلوم الإسلامية من أقدم الجامعات في **مصر والعالم العربي**. وقد أقيم **جامع الأزهر**، الذي يعدّ النواة التي قامت عليها الجامعة في العام 361 **هجرية**، وأصبح أقدم مسجد لتعليم العلوم الدينيّة. وفي العام 1872 صدر أول قانون نظامي يحدّد كيفية

الحصول على شهادة العالمية (الدكتوراه). ثم صدر العام 1930 قانون ينظّم الدراسة في الأزهر ومعاهده وكلّياته، وشمل التعليم العالي وقتها كلّية أصول الدين وكلية الشريعة واللّغة العربية. أمّا آخر القوانين التي غيّرت من طبيعة الدراسة في جامعة الأزهر وأهمّها فهو **القانون رقم** (103) لسنة 1961 وبمقتضاه أصبح التدريس في **جامعة الأزهر** يضمّ علاوة على العلوم الإسلامية عدداً من التخصّصات الأكاديميّة الحديثة مثل التجارة والطبّ والعلوم والهندسة، وأنشئَت أيضاً كلّية للبنات تضمّ تخصّصات مشابهة.(1)

أمّا عن الجامعات الأخرى التي أنشئت وفقاً للنمط الغربي الحديث، فقد تأسّست **الجامعة الأهلية** منذ أكثر من قرن من الزمن في العام 1908، وكان نطاقها في ذلك الوقت محدوداً للغاية. ثم بدأت في التوسع في أعقاب تحويلها إلى جامعة حكومية باسم "**الجامعة المصرية**" (**جامعة القاهرة** حالياً) في العام 1925، الذي أصبح عاماً مهمّاً في تاريخ الجامعات المصريّة.(2)

يلي ذلك إنشاء **جامعة فاروق الأول** (**الإسكندرية** حالياً) **العام** 1942، **وجامعة إبراهيم باشا** "**عين شمس** حالياً" العام 1950، وكان ما يسمّى "**المجلس الاستشاري للجامعات**" الذي أنشئ العام 1950 يتولّى مسؤولية التنسيق بين هذه الجامعات. وفي العام 1957 بدأت الدراسة في جامعة أسيوط كأول جامعة تنشأ في صعيد مصر، الإقليم الأشدّ تعرضاً للمعاناة الاقتصادية على مستوى الجمهورية. وكان هذا إيذاناً بتزايد الاهتمام بالبعد الإقليمي للتنمية وامتداد مؤسّسات التعليم العالي جغرافياً. ففي العام 1963 أنشئ فرع لكلية الطب **جامعة القاهرة في المنصورة**، وفرع آخر لكلية **طبّ جامعة الإسكندرية في طنطا**. ويلي ذلك إنشاء فرع **لجامعة القاهرة في المنصورة**، وفرع **لجامعة الإسكندرية في طنطا**، وثالث **لجامعة عين شمس في الزقازيق**.(3)

هذا ويعدّ العام 1961 أيضاً عاماً مميّزاً في تاريخ **الجامعة المصرية** حيث شهد بدء مرحلة جديدة للتعليم الجامعي بإقرار مجانيّة التعليم في هذه المرحلة لأول مرّة وسمح ذلك بفتح أبواب هذا التعليم أمام شرائح اجتماعية عريضة لم تكن تحلم بإلحاق أبنائها بالجامعات.(4) وفي العام نفسه أنشئت وزارة التعليم العالي وأصبحت كلّ الكليات والمعاهد التي لم تلتحق بجامعات معيّنة تحت إشرافها.

يعدّ العام 1961 عاماً مميّزاً في تاريخ الجامعة المصرية، إذ شهد إقرار مجانيّة التعليم الجامعي وسمح لأول مرّة بفتح أبواب هذا التعليم أمام شرائح اجتماعيّة عريضة لم تكن تحلم بإلحاق أبنائها بالجامعات.

وخلال عقد السبعينيّات وبالتحديد الفترة من 1972 – 1976 تحقّق توسّع كبير في إنشاء الجامعات الحكوميّة في أقاليم مختلفة خارج **القاهرة الكبرى**. فشهدت هذه الفترة القصيرة إنشاء سبع جامعات حكوميّة. وقد تمّ هذا التوسع على عجل ومن دون استيفاء المتطلّبات المادية والبشرية الضرورية ولا البنية الأساسية في حدودها الدنيا.(5)

أمّا عقد التسعينيّات وحتى الوقت الراهن فقد شهد تغييرات جذرية في ملامح وخصائص نظام التعليم العالي في **مصر**. ونتجت هذه التحوّلات في إطار نمط التنمية الذي تبنّى منهج اقتصاد السوق، كما تأثرت بتيارات العولمة **واتفاقية الجاتس** GATS. وأقيمت خلال هذه المرحلة الجامعات الخاصة وأخرى ذات هوية أجنبية. وتمّ تشجيع القطاع الخاص لتنمية التعليم العالي غير الجامعي من معاهد متوسطة وعالية، كذلك توقف تقريباً إنشاء جامعات حكومية جديدة، واقتصر الأمر في ما بعد على تحويل فروع الجامعات القديمة إلى مؤسّسات جامعيّة مستقلة. وأصبح هيكل التعليم العالي في **مصر** عموماً أكثر تشعّباً وتعقيداً.

2-1 نظام التعليم في مصر

يوضح **الشكل رقم** (1) أن التعليم يبدأ منذ الطفولة المبكرة بالتعليم ما قبل الابتدائي.



وعلى الرغم من أهمية هذه المرحلة، إلا أنها لا تعدّ رسمياً ضمن نظام التعليم الرسمي في **مصر**، وتتواجد غالباً في حالة المدارس الخاصة والمدارس الحكومية غير المجانية. لذا تعدّ نسبة المقيّدين في هذه المرحلة ضئيلة.

مرحلة التعليم الأساسي: أولى مراحل التعليم الرسمي وتشمل التعليم الابتدائي (6 **سنوات**) والتعليم الإعدادي (3 **سنوات**). والتعليم في هذه المرحلة يعدّ حقّاً لجميع التلاميذ كما أنه التزام ينبغي على الدولة توفيره للمستحقين كافة. وبعد إتمام مرحلة التعليم الأساسي بنجاح (9 **سنوات**) يتّجه الخريجون في مسارين إلى مرحلة التعليم الإعدادي (3 **سنوات**): الأول التعليم الإعدادي العام ويشكّل الغالبية العظمى، والثاني تعليم إعدادي مهني تلتحق به نسبة ضئيلة من الطلاب (4.3 % **العام** 2005 / 2006). ووجود المسار المهني في هذه المرحلة المبكرة للتعليم يعني وفقاً للخطة الاستراتيجية **لوزارة التربية والتعليم** أن هؤلاء الطلاب يواجهون في المرحلة الابتدائية صعوبات في التعلّم لا تعالج في حينها. لذلك تعتبره الاستراتيجية ثنائية غير متكافئة وغير مبرّرة تربويّاً واجتماعيّاً. ويتمّ توجيه هؤلاء الطلاب إلى التعليم المهني من دون إرادتهم في الغالب، ليخرجوا منه إلى سوق العمل مباشرةً أو إلى التعليم الثانوي الفنّي والمهنّي.(6)

التعليم الثانوي العام: ومدّته 3 **سنوات** يبدأ من السنة **العاشرة** حتى **الثانية عشرة**. ويهدف أساساً إلى إعداد الطلبة لدخول مرحلة التعليم العالي (أو ممارسة البعض الحياة العمليّة). ويتمّ التحاق الخريجين **بالتعليم العالي** من خلال النجاح في امتحان شهادة الثانوية العامة، بحيث يتنافس الطلبة تنافساً شديداً من أجل الالتحاق بالجامعات أو مؤسّسات التعليم العالي ذات السمعة الجيّدة.

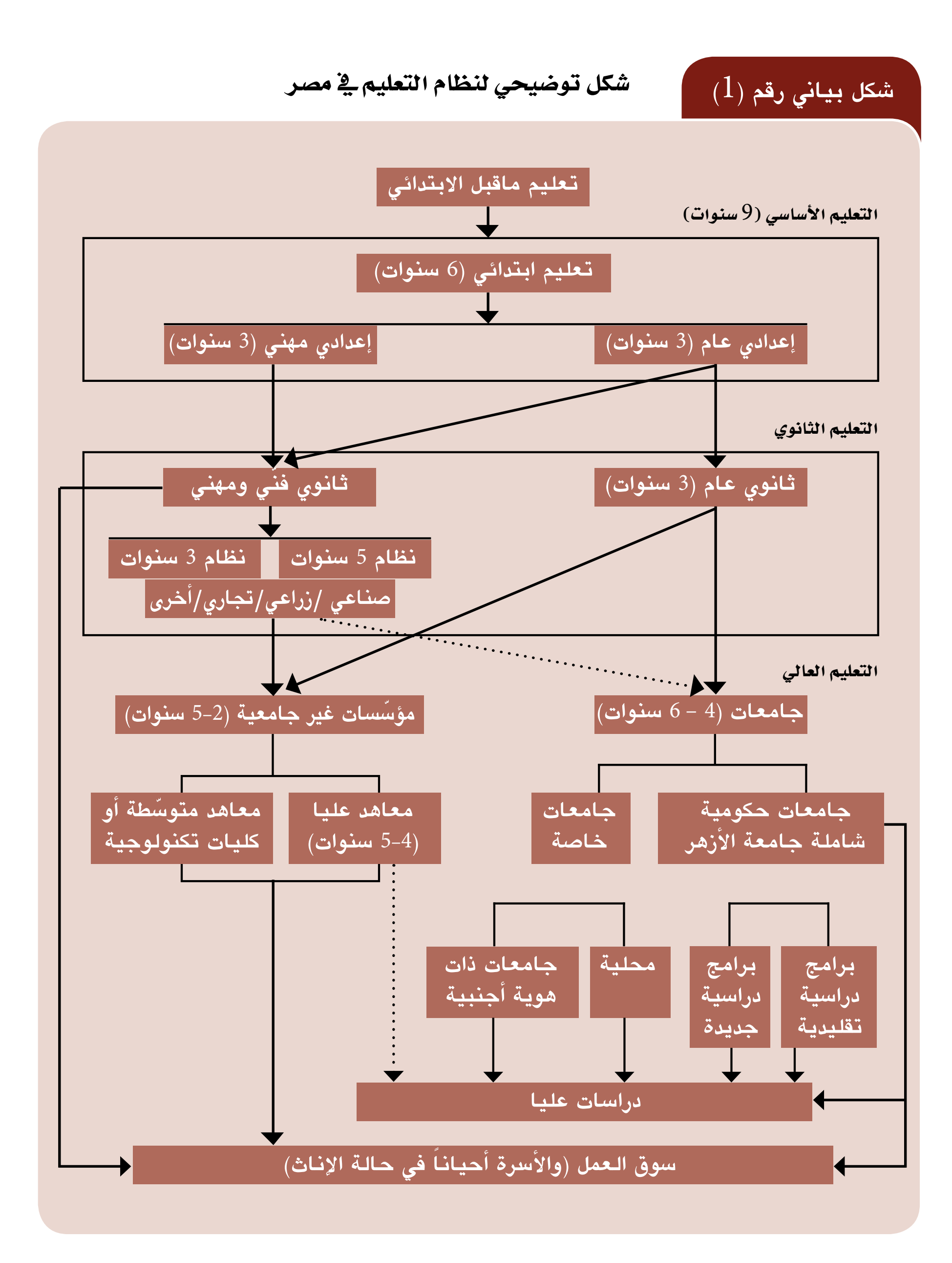
التعليم الثانوي الفنّي: وينطوي على مستويين: الأول عبارة عن ثلاث سنوات دراسية لإعداد فنّيين يتجهون إلى سوق العمل بعد التخرّج. والثاني عبارة عن نظام أكثر تقدماً للتعليم الفنّي ويستمر البرنامج الدراسي لمدّة خمس سنوات، ويفترض إعداد الخريج لكي يكون عاملاً فنّياً ماهراً. ويمكن لخرّيجي كلا المستويين الالتحاق بالتعليم العالي بناءً على مستوى نجاحهم في نهاية المرحلة. ويشمل التعليم الفنّي عدداً من التخصّصات هي: تعليم صناعي، تعليم تجاري، تعليم زراعي، وتخصّصات أخرى. هذا مع ملاحظة أن توزيع خرّيجي المرحلة الأساسية على مساريّ التعليم الثانوي العام والفنّي يتمّ في الغالب وفقاً لمجموع درجات الطالب في الشهادة الإعدادية. فالدرجات الأقلّ توجه إلى التعليم الفنّي والأعلى إلى التعليم العام.(7)

التعليم العالي: ويتمّ في الجامعات أو في معاهد وكليات غير جامعية. و يبدأ البرنامج الدراسي من سنتين في حالة المعاهد الفنّية المتوسطة (**سنتان بعد الثانوي العام**)(*)، إلى 4 – 6 **سنوات** في حالة الجامعات والمعاهد العليا. والجامعات تنقسم إلى جامعات حكوميّة وهي عالية الاستيعاب للطلبة، وجامعات خاصة ذات استيعاب محدود. أمّا المعاهد العليا فهي النمط الأكثر شيوعاً للتعليم العالي الخاص في مصر.

التعليم الأزهري: ويشمل تعليماً أساسيّاً وثانويّاً عاماً وجامعيّاً. ويختلف عن نظام التعليم العام المبيّن سابقاً في إضافة عدد من المقرّرات الدراسية الدينيّة في جميع سنوات الدراسة ومراحلها. ومع تزايد عدد الطلبة والطالبات في التعليم الأزهري الثانوي توقّف قبول خرّيجي الثانوية العامة في **جامعة الأزهر** كما صدرت مؤخراً، مع استمرار هذه الزيادة عبر السنوات الماضية، قرارات بإنشاء معاهد أزهرية من أجل تخفيف الضغط على الجامعة. ويظهر الشكل رقم (1) هيكل نظام

(*) أصبح يطلق على المعاهد الفنّية المتوسّطة التابعة للحكومة مسمى "الكليات التكنولوجية".

شكل بياني رقم (1) شكل توضيحي لنظام التعليم في مصر



التعليم في مصر.

3-1 التطوّرات في هيكل التعليم العالي

شهد هيكل التعليم العالي تطوّرات مستمرة على مدى العقدين الماضيين وحتى الوقت الراهن تتمثّل في: الحدّ من نموّ الجامعات الحكومية والتوسّع في الجامعات الخاصة، إدخال أنماط جديدة للبرامج الدراسية في الجامعات الحكومية، التوسّع في التعليم غير الجامعي، وخصوصاً المعاهد العليا التي أصبح القطاع الخاص يتولّى مسؤوليتها كاملة حالياً.

1-3-1 الحدّ من نموّ الجامعات الحكومية

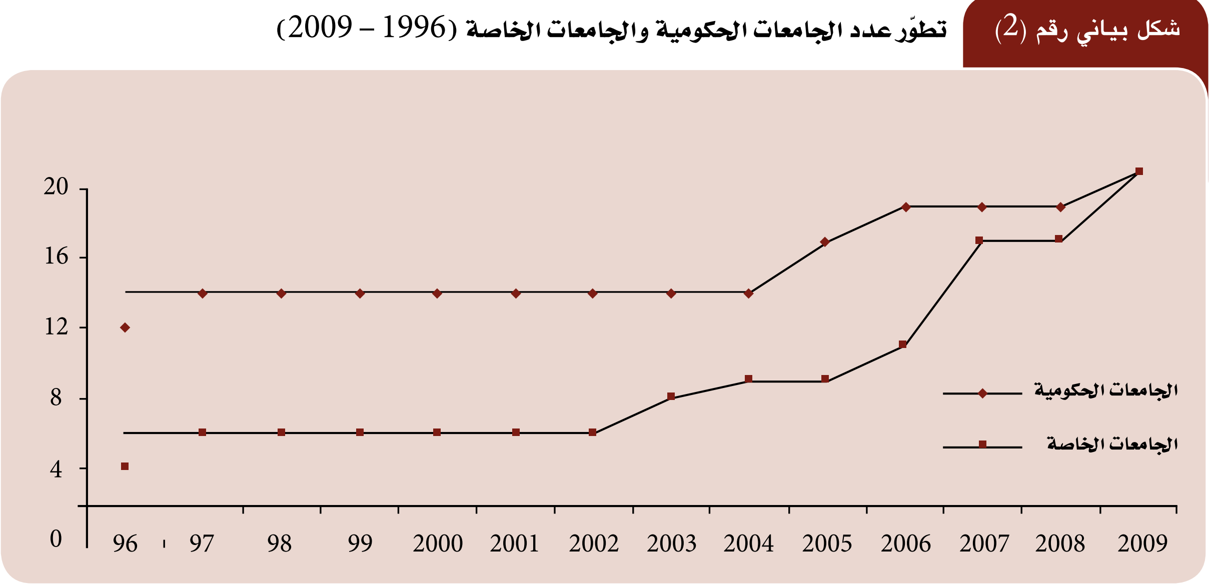
كانت الجامعات الحكومية منذ عقود عدّة هي النمط السائد للتعليم العالي في **مصر**. ولكن خلال عقديّ التسعينيّات من القرن الماضي، والعقد الأول من القرن الحادي والعشرين توقّف تقريباً إنشاء جامعات عامة جديدة. ففي العام 1995 كان عدد الجامعات 12 جامعة، ولم تطرأ عليه أيّ زيادة حتى العام 2005. ثم تزايد العدد ليبلغ 17 جامعة العام 2006 من دون أن يشهد زيادة حتى العام 2009. هذا مع العلم أن التوسّع في عدد المؤسّسات الجامعية في المرحلة الأخيرة (2005 – 2009) اعتمد على تحويل فروع الجامعات الكبرى، بعد الذي أصابها من تضخّم هي الأخرى، إلى جامعات مستقلة. وقد يكون من المناسب الإشارة أيضاً إلى أنه داخل نظام الجامعات الحكومية، يوجد العديد من المعاهد والمراكز العلميّة والبحثيّة المتخصّصة مثل معهد التمريض، وبحوث السرطان، وأمراض الكبد، ودراسات البيئة والتخطيط الحضري. كذلك تضمّ الجامعات المصرية مراكز ووحدات يتركّز نشاطها في مجال البحث العلمي.

> شهد هيكل التعليم العالي تطوّرات مستمرة على مدى العقدين الماضيين تمثّل في تراجع نموّ الجامعات الحكوميّة وتوسّع الجامعات الخاصة، وإدخال أنماط جديدة للبرامج الدراسية في الجامعات الحكوميّة، والتوسّع في التعليم غير الجامعي، وخصوصاً المعاهد العليا التي أصبح القطاع الخاص يتولّى مسؤوليتها كاملة.

2-3-1 التوسّع في الجامعات الخاصة

ظلت الجامعات الحكومية في **مصر** حتى منتصف التسعينات من القرن الماضي جامعات عامة تملكها الدولة، وذلك باستثناء **الجامعة الأمريكية بالقاهرة** التي أنشئت وفقاً لاتفاقية خاصة بين الحكومتين المصرية والأمريكية في العام 1919. وفي العام 1992 صدر لأول مرة قانون يبيح إنشاء الجامعات الخاصة. وبدأت الصورة تتغير تماماً بعد عدة سنوات، حيث صدر في العام 1996 أربعة قرارات جمهورية بإنشاء أربع جامعات خاصة مصرية، بدأت الدراسة في بعضها في نفس العام. ثم بدأ نظام التعليم العالي يدخل مرحلة الجامعات ذات الهوية الأجنبية عام 2002 بصدور قرارين جمهوريين بإنشاء الجامعة الفرنسية والألمانية. واستمر التوسع في إنشاء الجامعات الخاصة ذات الهوية المصرية والأجنبية كما يتضح من جدول رقم (1). والجامعات الخاصة في **مصر** لا تحصل على أي تمويل حكومي جاري لكنها قد تحصل على تسهيلات استثمارية مثلا في حالة الأراضي المقامة عليها، كذلك ظلت معفاة من الضرائب حتى وقت قريب. وتعتمد هذه الجامعات على مواردها الذاتية لتمويل أنشطتها التعليمية،

شكل بياني رقم (2) تطوّر عدد الجامعات الحكومية والجامعات الخاصة (1996 – 2009)



المصدر: مركز المعلومات ودعم اتّخاذ القرار، مجلس الوزراء، جمهورية مصر العربيّة.



الجدول (1) الجامعات الخاصة في مصر وتطوّرها*

التاريخ 1997/1996	2004 / 2003	2006/ 2005	2007 / 2006	2008
الجامعة:				
جامعة 6 أكتوبر	الجامعة الفرنسية	الجامعة البريطانية	جامعة سيناء	الجامعة الإلكترونية
جامعة أكتوبر للعلوم	الجامعة الألمانية	جامعة الأهرام الكندية	جامعة فاروس	جامعة الدلتا
الحديثة والآداب		الجامعة الحديثة للعلوم	جامعة المستقبل	جامعة العاشر من رمضان
جامعة مصر للعلوم والتكنولوجيا		والتكنولوجيا	الجامعة المصرية الروسية	فرع الجامعة العربية المفتوحة في مصر
جامعة مصر الدولية			جامعة النيل	
			جامعة النهضة	

ويتـم ذلك بفرض رسـوم دراسـية مرتفعة على الطلبة الملتحقين بهـا. والهدف الأسـاسـي لهذه الجامعات هو تحقيق الربـح. ويتحقق لها ذلك بالفعل والدليل هو تزايدها المستمر وبمعدلات عالية علاوة على وجود طلبات لإنشاء جامعات جديدة لم يستجب لها حتى الآن.

ويتّضـح مـن **الشـكل رقـم** (2) أن تزايـد الجامعـات الخاصـة منذ العـام 1996 تمّ بشكل أسرع بكثير من الجامعات الحكومية، بحيث أصبح عـدد الجامعـات الحكومية والخاصـة متسـاوياً في السـنوات الأخـيرة. ومـع ذلك تتبايـن القدرة الاسـتيعابية للطلبـة تبايناًهـائـلاً؛ فاسـتوعبت الجامعات الحكوميّة في العام 2010/2009 نحو 95 % مـن طلبة الجامعات في مصر، بينما بلغت النسبة المقابلة للجامعات الخاصة (5 %).

1-3-3 البرامج الدراسية المستحدثة في الجامعات الحكومية

أدّى ضـعف المـوارد الماليّـة المخصّصـة للتعليم العالي مقارنةً باحتياجات هذا القطاع، والذي تزامن مع تزايد الطلب على هذه المرحلة التعليميّة إلى اسـتحداث برامج دراسـية جديدة داخـل الجامعـات الحكومية تقوم أساسـاً على مبـدأ اسـترداد التكلفة أو تحمّـل الطلبة لجانب كبير مـن تكلفة الخدمـة التعليميـة. والأنماط الثلاثـة للبرامج الدراسـية التي اسـتحدثت في الجامعـات الحكوميّة منذ السـنوات الأولى من عقد التسعينيّات، هـي:

- الانتساب الموجّه
- التعليم المفتوح
- البرامج الدراسيّة المخصوصة أو المتميّزة.

(*) بعض الجامعات الخاصة التي أنشئت بين العامين (2006 و 2008) سمّيت بالجامعات الأهلية، أي أنها غير هادفة للربح مثل جامعة النيل والجامعة الإلكترونية. ولكن نظراً لعدم الشفافية الكاملة بشأن هذه الجامعات لا يمكن الجزم بأنها جامعات أهلية بالمعنى الصحيح للكلمة، لا سيّما أن ما يطلق عليه جامعات أهلية ظهر بعد الانتقادات الحادّة التي وجهت إلى الجامعات الخاصة.

المصدر:

(1) وزارة التعليم العالي، جمهورية مصر العربيّة.

(2) وحدة المعلومات، مكتب وزير التعليم العالي، النشرة الدوريّة للعام2011.

كان برنامـج **التعليم المفتـوح**، وحتّى وقت قريب، يشترط على مَن يتقدّم إليه مضيّ خمس سـنوات على إتمام المرحلـة الثانوية، ما يعني أن البرنامج يخدم أساسـاً هـؤلاء الذين لم تتح لهم فرصـة الحصـول علـى التعليـم العالي بعد تخرجهـم مباشـرة، وليكـون بذلـك شـكلاً من أشـكال التعليم المسـتمرّ لمن يرغب في دراسـة تخصّـص جديـد أو لمـن يجمـع بـين الوظيفة والدراسـة. ولكـن تمّ مؤخراً تعديـل هذا الشرط وسُـمح لخرّيجي الثانوي حديثاً (العام والفنّي) بالالتحـاق **بالتعليـم المفتـوح** بعـد تخرجهـم مباشرةً، مع اسـتمرار قبول الطلاب بعد مضـيّ خمس سـنوات. كمـا تمّ إلغاء نظام الانتسـاب الموجّـه الـذي كان يجـذب أعـداداً كبـيرة مـن الطلبـة والطالبات الذين لم يحققوا الحدّ الأدنى لدرجـات القبـول كطلبة منتظمـين في الكليات النظريـة، وأدمـج في النظـام الجديـد الأكـثر اتسـاعاً **للتعليم المفتوح**. ويعتمـد **نظام التعليم المفتوح** على تحميل الطالب تكلفة تعليمه.

أمّـا البرامج الدراسـيّة باللّغـات الأجنبيّة، فقد بـدأ تطبيقها في التخصّصـات النظرية في السـنوات الأولى مـن التسـعينيّات في بعض الجامعـات (بـدأ بجامعـة واحدة) ثـم انتشرت هـذه البرامـج في معظـم الجامعـات المصرية، بـل أخذت بها أيضـاً منذ سـنوات قليلة **جامعة الأزهـر**. وفي العـام 2006/2005 تمّ إدخـال مـا يطلق عليـه برامـج مخصوصـة أو متميّزة في مجـال التخصّصـات العمليّة مقابل رسـوم دراسية شـديدة الارتفاع، ولكن أدنى بكثير من تلك المحـدّدة في الجامعات الخاصـة. وتتمتع هـذه البرامـج الدراسـية بتسـهيلات تعليميّـة متميّـزة مقارنةً بالبرامـج المعتادة، وبمعدلات جيّـدة لعـدد الطلبـة نسـبةً إلى كل عضـو هيئة تدريس، كمـا أن التدريس يتـمّ بلغـة أجنبية. ويحظـى الطلبـة في برامـج اللّغـات النظريـة والعمليـة عمومـاً بمزايـا كبـيرة، فيسـمح لهم بتقويم أعضـاء هيئة التدريس واختيار جدول الامتحانـات، كمـا يتـمّ التدريس أحيانـاً في حجـرات مكيّفة ومؤثّثة بشكل جيد، وتسـتورد الكتـب والمراجع من الخـارج. وقد أسـهم ذلك في وجـود ازدواجية واضـحة في التعليم داخل الجامعات الحكومية.

1-3-4 التوسع في التعليم العالي غير الجامعي

يبـدأ التعليـم المهنـي الذي يتّجـه خرّيجوه مباشـرةً إلى **التعليم العـالي** أو إلى **سوق العمل** منذ مرحلة التعليم الإعدادي. وتزداد أهمية هذا التعليم بشـكل كبير في مرحلة التعليم الثانوي. وتعدّ **مصر** من أوائل **الدول العربية** التي اهتمت بإقامة معاهد متوسّـطة وعليا منذ فترة زمنيّة طويلة. ففي **العام** 1963 أنشئ عدد من المعاهد الصـناعية والزراعية والتجارية بقرار من وزير التعليـم العـالي وقتئـذ. بـل كان مخطّطـاً عند إنشـاء **جامعة حلوان** في العام 1985 أن تكون جامعـة تطبيقيّة تضـمّ هذه المعاهـد والكليات ذات الطبيعـة التطبيقيـة، لتكـون برامجهـا الدراسـية ذات صلة مباشرة **بسوق العمل**. لكن ذلـك لم يتحقّق، وصـارت هذه الجامعة شـبيهة بغيرها مـن الجامعات الحكوميّـة. إلا أن تزايد إسهام القطاع الخاص في النشاط الاقتصادي، والرغبة في تخفيض الطلب على الجامعات وفي توفير فرص تعليم متنوّعة للطلبة ذوي القدرات المتباينـة، فضـلاً عـن الرغبـة في توفـير قوى عاملة ماهرة تدعم النشـاط الاقتصـادي، بدأت المعاهد المتوسطة والعالية في التوسّع. وانتهى الأمـر بتخلّـي الحكومـة عـن دورهـا في إقامة المعاهـد العاليـة وتركت هذه المهمـة بالكامل للقطاع الخاص، الذي بدأ نشـاطه يتصـاعد في مجال الاسـتثمار في التعليم العالي بعامّة وفي المعاهد العالية بخاصّة.

أمّـا المعاهـد المتوسـطة فقـد تراجـع دور القطـاع الخاص في إقامتها لعدم إقبال الطلبة على الالتحـاق بها وتفضـيلهم المعاهد العالية التي تمنح درجة البكالوريوس وتضـفي مكانة اجتماعية واقتصـادية أفضل. كما اتّجه الكثير

أدّى ضـعف المـوارد الماليّـة المخصّصة للتعليم العالي وتزايد الطلب عليه إلى استحداث برامج دراسيّة جديدة داخل الجامعات الحكوميّة، منذ السـنوات الأولى مـن عقـد التسـعينيّات. وتقـوم هذه البرامج علـى تحمّل الطلبة لجانـب كبير مـن تكلفة الخدمة التعليميّـة. والأنمـاط الثلاثـة للبرامج هي:الانتسـاب الموجّه، التعليـم المفتـوح، البرامـج الدراسيّة المتميّزة.

من المعاهد المتوسطة الخاصة إلى إضافة سنتين دراسيّتين لتصبح مدّة الدراسة أربع سنوات تؤهل الطالب للحصول على درجة البكالوريوس. فيما حافظت الحكومة في السنوات الأخيرة على مؤسّسات التعليم الفنّي المتوسط التابعة لها على الرغم من تراجع الطلب أيضاً على هذه النوعية من المؤسّسات. وفي محاولة لإصلاح مستوى التعليم الفنّي المتوسط الذي تديره الحكومة صدر قرار وزاري في العام 2003 بإنشاء 8 **كليات تكنولوجية**، بحيث يتمّ دمج جميع المعاهد الفنّية المتوسّطة (**عددها 45 معهداً**) في هذه الكلّيات الثماني وفقاً لتوزيعها الجغرافي. واتخذ بعض الإجراءات لتطوير احتياجات الورش والمعامل لتدريب المعلمين. وقد تمّ التركيز في هذا الشأن على عدد من الكليات التكنولوجية كنماذج يمكن تعميمها في ما بعد.(8)

ويلخص **الجدول رقم** (2) تطوّر عدد مؤسّسات التعليم العالي المختلفة خلال فترة 10 سنوات بين العامين 1999 و2010. ويتّضح أن أعلى معدل للزيادة تحقّق في حالة الجامعات الخاصة (375 %)، بينما تحقّق أقل معدل في حالة المعاهد الفنّية المتوسطة الخاصة. ويظهر الجدول أيضاً أن عدد المعاهد العالية الخاصة تزايد إلى أكثر من الضعف ونصف على مدى الفترة، وأن عدد الجامعات الحكومية تزايد بمعدل 58 % فقط.

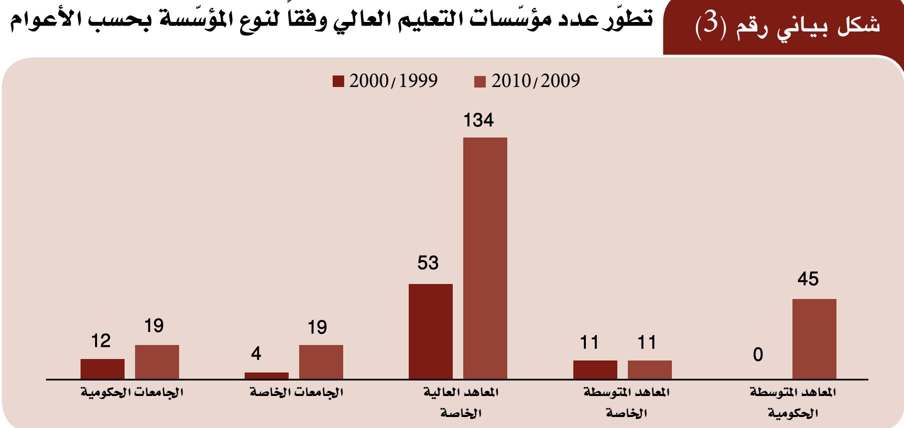
إلا أن الصورة تختلف تماماً بالنظر إلى الأهمية النسبية لعدد الطلاب المقيّدين في كلّ من هذه المؤسّسات. فحتى العام 2010/2009 استوعبت الجامعات الحكومية (شاملةً **جامعة الأزهر**) 76 % من إجمالي الطلاب المقيدين في **التعليم العالي**، بينما بلغ نصيب الجامعات الخاصة من الطلاب 3.2 % فقط. أما المعاهد العليا الخاصة فيمكن اعتبارها المؤسّسة التعليميّة العالية الخاصة الأولى التي نجحت في استيعاب نسبة مرتفعة إلى حدّ ما من الطلبة المقيّدين في التعليم العالي (16.4 %). وتزايد عدد الطلاب المقيّدين في هذه المعاهد من190 ألف طالب العام 2000/1999 إلى حوالى 364 ألف العام 2010/2009 (**جدول رقم** 3).

جدول (2) **تطور عدد مؤسّسات التعليم العالي وفقاً لنوع المؤسّسة**

	2000/ 1999	2010 / 2009	معدل التغير
عدد الجامعات الحكومية	12	19	% 58
عدد الجامعات الخاصة	4	19	% 375
عدد المعاهد العالية الخاصة	53	134	% 153
عدد المعاهد المتوسطة الخاصة	11	11	صفر
عدد المعاهد المتوسطة الحكومية	-	45 (ضمت في 8 كليات تكنولوجية)	-

المصدر: وزارة التعليم العالي، جمهورية مصر العربيّة.

شكل بياني رقم (3) **تطوّر عدد مؤسّسات التعليم العالي وفقاً لنوع المؤسّسة بحسب الأعوام**





وفيما شهدت المعاهد الفنّية المتوسطة ثباتاً في عدد مؤسّساتها خلال الفترة المذكورة، أظهر عدد الطلاب المقيّدين انخفاضاً حاداً (أكثر من النصف) على مدى الفترة نفسها. وعلى الرغم من الاهتمام الذي حظيت به الكليات التكنولوجيّة الحكومية في سياسات التعليم الجديدة، إلا أن بيانات وزارة التعليم العالي أظهرت أيضاً انخفاضاً حاداً في عدد المقيّدين فيها من 131 **ألف طالب** العام 2000/1999 إلى 77 **ألف في العام** 2007/2006. واستمر الانخفاض بعد ذلك وإن كان بمعدلات أقلّ، ليصل في العام 2010/2009 إلى 74 ألف طالب. ويظهر التطوّر في عدد الطلاب المقيّدين في المعاهد العليا والمتوسطة الخاصة والحكومية (كليات تكنولوجية) من خلال **الجدول رقم** (3).

2 - خصائص التعليم العالي ذات الصلة بسوق العمل

يتناول هذا الجزء عدداً من خصائص نظام التعليم العالي في مصر التي يمكنها أن توجد اختلالات مختلفة في العلاقة بين مخرجات التعليم واحتياجات سوق العمل. وسوف يتمّ التركيز على موضوع الحوكمة، ثم على سياسات القبول في التعليم العالي، وتطوّر الطلب على هذا التعليم، فضلاً عن نوعيّته ومستوى جودته، وذلك في سياق التمييز بين التعليم الجامعي وغير الجامعي.

(1.2) الحوكمة في الجامعات المصرية

تشير الحوكمة إلى الطريقة والوسائل التي تقوم من خلالها الجامعات بإدارة نشاطها وتنظيمه على نحو يحقّق الغرض والرسالة التي تستهدفها. والحوكمة في المجال الجامعي تتعلق بكيفية ممارسة السلطة واتخاذ القرار والجهة المسؤولة عن اتّخاذه. كذلك طبيعة العلاقة مع الأطراف المعنيّة داخل المؤسّسة من أعضاء هيئة تدريس وطلبة، والعلاقة مع الأطراف خارج المؤسّسة مثل المجتمع المحلي، والحكومة وقطاع الأعمال والعالم الخارجي.

يمكن القول عموماً إن نظام الحوكمة في الجامعات المصريّة شديد المركزية. فالجامعات تخضع للتحكّم والرقابة عبر مستويات عدّة، بدءاً من **المجلس الأعلى للجامعات** ومروراً

يظهر تطوّر عدد مؤسّسات التعليم العالي المختلفة خلال 10 سنوات من1999 إلى 2010 أن أعلى معدل للزيادة تحقّق في حالة الجامعات الخاصة (375 %)، وأقلّه في حالة المعاهد الفنّية المتوسطة الخاصة. كما تزايد عدد المعاهد العالية الخاصة (أكثر من الضعف ونصف)، واقتصرت زيادة عدد الجامعات الحكومية على 58 % فقط.

جدول (3) **تطوّر عدد الطلاب المقيّدين في المعاهد العالية والمتوسطة والكليات التكنولوجية (سنوات مختارة)**

السنة / المؤسّسة	2000 / 1999	2007 / 2006	2010 / 2009
المعاهد العالية الخاصة	190071	380940	364493
المعاهد المتوسطة الخاصة	49524	29657	21429
الكليات التكنولوجية	131210	77079	74221

المصدر: وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، جمهورية مصر العربيّة.

استوعبت الجامعات الحكومية (شاملةً جامعة الأزهر) حتى العام 2010/2009 نحو 76 % من إجمالي الطلاب المقيّدين في التعليم العالي، بينما بلغ نصيب الجامعات الخاصة من الطلاب 3.2 % فقط. ونجحت المعاهد العليا الخاصة في استيعاب نسبة مرتفعة إلى حدّ ما من الطلبة المقيّدين في التعليم العالي (16.4 %).

بوزارة التعليم العالي (الوزير أساساً)، وانتهاءً برئيس الجمهورية، هذا علاوة على عدد آخر من الوزارات التي تقوم بمهام ذات تأثير مباشر أو غير مباشر على الجامعات.

المجلس الأعلى للجامعات هو الجهة المسؤولة مباشرةً عن الجامعات الحكومية (باستثناء **جامعة الأزهر** حيث يناظره **المجلس الأعلى للأزهر**).(*) وتتشكّل عضوية المجلس من رؤساء الجامعات وخمسة أعضاء على الأكثر من ذوي الخبرة في شؤون التعليم الجامعي والشؤون العامة، وتشمل أيضاً أمين المجلس الأعلى للجامعات. والمجلس مسؤول مباشرة عن رسم السياسة العامة للتعليم الجامعي والبحث العلمي في الجامعات، وعن التنسيق بين أنظمة التعليم في الجامعات والامتحانات والشهادات الأكاديمية. يتولّى المجلس أيضاً مسؤولية سياسات القبول، والسياسة العامة للكتب الجامعيّة، ووضع أنظمة تقويم وتطوير الأداء الجامعي. كلّ ذلك تحت إشراف وتوجيه **وزير التعليم العالي** الذي يعدّ المسؤول الأول عن سياسات التعليم العالي في كلّ المستويات، وإقامة الكليات والمعاهد العليا ومراكز التدريب الحكومية. ويتولى الوزير أيضاً مسؤولية متابعة خطط الجامعات ومشروعاتها وإدارة المشكلات المتعلقة بالعلاقات الثقافية، والطلبة الأجانب والبعثات الدراسيّة إلى الخارج.

يرأس وزير التعليم العالي **المجلس الأعلى للجامعات**، ويعيّن الأعضاء الخمسة ذوي الخبرة في المجلس بعد استشارة المجلس، كما يعيّن أمينه العام. ويقترح الوزير مرشّحين لمنصب رؤساء الجامعات، ولكن لا يتمّ تعيين أيّ منهما إلا بعد اختيار رئيس الجمهورية أحد المرشحين وصدور قرار رئاسي بذلك. أمّا الوزارات الأخرى ذات السلطة على الجامعات المصريّة فهي وزارة المالية التي تضع القواعد المحدّدة للإنفاق الجاري من الموازنة المخصّصة للجامعات، وتتمّ مراقبة الإنفاق من خلال عضو معيّن في المؤسّسة الجامعية من قبل وزارة المالية. هذا علاوة على وزارة التخطيط التي توجّه الميزانية الاستثمارية للجامعات، و وزارة التنمية الإدارية التي تتحكّم في قواعد التوظيف الإداري.

وفقاً لما سبق، لا تتمتّع الجامعات المصرية إذن، بأيّ درجة معقولة من الاستقلال والقدرة على الإدارة الذاتية من أجل تحقيق رسالتها. إذ تعتبر الجامعات مجموعة من الكلّيات والوحدات يربطها رأسياً نظام التحكّم المركزي، ما يقلص كثيراً من دورها الفعّال والمؤثر في المجتمع وقدرتها على الإدارة السليمة والتغيير والتطوير المستمر (**شكل رقم** 3). وتؤكّد طبيعة السلطة العليا المخول لها الإشراف على الجامعات أن هذه الجامعات لا تدار بشكل مستقل عن الحكومة. **فالمجلس الأعلى للجامعات** يرأسه **وزير التعليم العالي**، وأعضاؤه من رؤساء الجامعات، وهؤلاء يتمّ تعيينهم بواسطة أعلى سلطة سياسية. كما أن **مجلس الجامعة** يتشكّل أعضاؤه من عمداء الكليات الذين يختارهم رئيس الجامعة ويعيّنهم. وبناء على ذلك، قد يفتقد الأداء الجامعي الرأي الحرّ والمستقل المنزّه عن الاعتبارات الشخصية.

أمّا التمويل العام وما يصاحبه من إجراءات وقواعد صارمة فيحدّ كثيراً من حرية الجامعات في التصرّف بميزانيتها بما يتلاءم مع احتياجات العملية التعليميّة وماتراه الأقسام العلمية مناسباً لحسن إدارة شؤونها. فميزانية الجامعات على الرغم من قلتها ترتبط ببنود معيّنة للإنفاق (بنود المدخلات) تحدّدها وزارة المالية ولا يمكن للجامعة إعادة تخصيص الموارد المدرجة في الموازنة من بند لآخر، ما يعني وجود أسلوب عقيم لإنفاق المال العام على بنود قد لا تكون الجامعة أو

(*) وفي حالة الجامعات الخاصة الجهة المسؤولة هي المجلس الأعلى للجامعات الخاصة.



الكلية بحاجة حقيقية لها (مثل الأثاث)، بينما تحرم بنود أخرى أكثر جدوى بالنسبة إلى العملية التعليمية من هذا الإنفاق (مثل الكتب والتجهيزات).(9)

إن سيطرة نمط الإدارة الحكومي البحت على الجامعات وخضوعها **لوزارة التنمية الإدارية** بهذا الشأن تمخّضت أيضاً عن أوضاع إدارية يشوبها الخلل وجهاز بيروقراطي ضخم يتزايد نفوذه على حساب ضعف نفوذ الهيئة العلميّة. ويتحكّم الجهاز الإداري في أحيان غير قليلة في أمور ذات علاقة مباشرة أو غير مباشرة بالنشاط الأكاديمي بالجامعة، كما قد يستنزف جزءاً كبيراً من ميزانية الجامعات المحدودة أصلاً. وقد كشف تقرير عن **المؤتمر القومي**

شكل بياني رقم (4) **سلسلة اتّخاذ القرارات المتعلقة بالحوكمة وسياسات التعليم الجامعي في مصر**

رئيس الجمهورية : تعيين رؤساء الجامعات

وزارة التعليم العالي ممثلة بوزير التعليم العالي*:
- سلطة توجيه المجلس الأعلى للجامعات
- اقتراح السياسات المحورية كافة مثل : سياسات القبول، إنشاء أو إلغاء وحدة تعليمية أو برنامج دراسي وغيرها.

وزير التخطيط ← سلطة متعلقة بالموارد الاستثمارية

وزير المالية ← سلطة متعلقة بالتصرف في ميزانية الجامعات

وزير التنمية الإدارية ← سلطة متعلقة بالنظام الإدارى وتعيين الإداريين

المجلس الأعلى للجامعات برئاسة وزير التعليم العالي

الأعضاء: رؤساء الجامعات | 5 أعضاء معيّنون | أمين المجلس الأعلى للجامعات

مجالس الجامعات برئاسة رؤساء الجامعات وعضوية عمداء الكليات الذين يتمّ تعيينهم بواسطة رئيس الجامعة

مجالس الكليات برئاسة عمداء الكليات الذين يتمّ تعيينهم بواسطة رئيس الجامعة

مجالس الأقسام
يتمّ تعيين رئيس القسم بناء على اقتراح عميد الكلية الكلية وموافقة رئيس الجامعة غالبية أعضاء هيئة

(*) يلتحق بوزارة التعليم العالي أيضاً: المجلس الأعلى للمعاهد الخاصة، والمجلس الأعلى للكليات التنكولوجية، والمجلس الأعلى للجامعات الخاصة. ويرأس الوزير أو من ينوب عنه هذه المجالس.

لا تتمتّع الجامعات المصريّة بأيّ درجة معقولة من الاستقلال والقدرة على الإدارة الذاتية، فهي مرتبطة رأسياً بنظام التحكّم المركزي، كما يحدّ التمويل العام وما يصاحبه من إجراءات وقواعد صارمة من حريتها في التصرّف بميزانيتها بما يتلاءم مع احتياجات العملية التعليميّة وماتراه الأقسام العلمية مناسباً لحسن إدارة شؤونها.

بحسب أرقـام المؤتمر القومي للتعليم العـالي (2000)، بلغت رواتـب ومكافآت أعضـاء هيئة التدريس 39 % من جملة الرواتب والأجور في الجامعات المصريّة، فيما تجـاوزت أجور الجهـاز الإداري ورواتبه نسـبة 43 %، والخدمـات المعاونـة 18 %.

للتعليم العالي الذي عقد العـام 2000 مثلاً، أن مرتبات ومكافـآت أعضـاء هيئة التدريس لا تمثّل سـوى 39 % من جملة المرتبات والأجور في الجامعـات، بينما تجـاوزت أجور ومرتبات الجهـاز الإداري نسـبة 43 %. والخدمـات المعاونة 18 %.(10)

ولكي تكون الصـورة أكثر وضـوحاً، يمكن المقارنـة بـين حالـة مصـر وعـدد مـن الدول الأخرى باسـتخدام عدد من المعايير الأساسية التي تكشـف عن الحوكمـة اللائقة والقدرة على اتخـاذ القـرار. وبالنظـر إلى **الجـدول رقم** (4) يمكن لحـظ كيف يتـمّ التمييز بـين مجموعتين من المعايير: الأولى تتعلق بـالشـقّ الموضـوعي أو الأكاديمي وتشير إلى سـلطة المؤسّسات في تحديد السياسـة الأكاديمية والبحثية، والثانية تشير إلى قـدرة المؤسّسـة علـى إدارة أمورهـا الإداريـة والتصـرف في مواردهـا الماليـة مـن أجـل تفعيـل أولوياتهـا، كما تتعلـق هذه المعايـير بـالشـقّ الإجرائي مثـل إدارة الإنفاق وتعيين العاملين الإداريّين والقرارات الخاصـة بالمشـتريات. ويتضـح أن الجامعات المصرية تعاني من ضـعف مستوى اسـتقلالها وقدرتها علـى الإدارة الذاتيـة واتخاذ القرار سـواء على المستوى الأكاديمي أم الإجرائي مقارنةً بالدول الأخـرى المبيّنة في الجدول أدناه(جدول4). ما يعنـي أن العملية التعليميـة ونوعية مخرجات التعليـم في الجامعات المصريـة لا بدّ أن تتأثر سلباً بهذه الأوضـاع.

جدول (4) **مقارنة بين درجة استقلال الجامعات في مصر وعدد من الدول**

المؤسّسات لها حرية : الدولة	(1) وضع الهيكل الأكاديمي/ محتوى المقرر	(2) تعيين الأكاديميّين أو الاستغناء عنهم	(3) تحديد عدد الطلبة المقيّدين	(4) الإنفاق من الميزانية لتحقيق أهدافهم	(5) تحديد المرتبات
هولندا	◉	•	•	•	•
بولندا	◉	•	•	•	◉
أستراليا	•	•	◉	•	•
المملكة المتّحدة	•	•	◉	•	•
اليابان	◉	•	◉	•	•
الدانمرك	◉	•	•	•	◉
السويد	•	•	◉	•	◉
فنلندا	◉	•	◉	•	•
كوريا	◉	◉	X	X	X
مصر	X	X	X	X	X

(•) تتمتع باستقلال (◉) تتمتع باستقلال في بعض الجوانب

(X) لا تتمتّع بالاستقلال، أي توضع على المؤسّسات قيود شديدة من خلال سلطة خارجية.

المصدر: OECD & The World Bank. Higher Education in Egypt. Review of National Policies for Education. 2010.

2-2 سياسات القبول في التعليم العالي

حتـى **العـام** 1954 كان التحـاق الطـلاب بالجامعـات يتـمّ مباشـرةً بواسـطة الطالـب نفسـه، حيث يتقدّم بأوراقه التي تثبت حصوله علـى شـهادة الثانويـة العامـة إلى الكلية التي يرغب في الالتحـاق بهـا. وفي **العـام** 1955 أنشـئ مكتـب تنسـيق القبـول في الجامعـات، لكي تصبح عملية القبول مركزيّة وليتمّ أيضاً تنسيق القبول على مستوى جميع كليات مصر وجامعاتها ومعاهدها. وأصبح هذا النظام منذ ذلـك التاريخ وحتى الوقت الراهن حجر الزاوية الذي تعتمـد عليه **وزارة التعليم العالي** لقبول الطلاب.(11)

ويتقـدّم الطلبة والطالبـات الناجحون في امتحـان الشـهادة الثانويـة بطلـب إلى مكتب التنسـيق يتضـمّن الكلية أو المعهد أو الجامعة التي يرغبـون في الإلتحـاق بهـا. وتتمّ أعمال مكتب التنسيق على ثلاث مراحل: الأولى تشمل الطلبة الحاصلين على مجموع درجات مرتفع بحـدّ أدنى معـيّن. والثانية تتطلّب حـدّاً أدنى أقـلّ لمجمـوع الدرجـات، والثالثـة، حيث يتمّ في الغالـب قبـول طلبـات الطلبـة والطالبـات الناجحين كافة في الشـهادة الثانوية العامة. ويتـمّ توزيـع الطلبـة علـى مختلـف الكليـات والجامعات والمعاهد العليا والمتوسـطة وفقاً لثلاثة معايير أساسية:

- تفصـيلات الطلاب أنفسـهم المقدمة إلى مكتب التنسيق.
- مجمـوع درجـات الطالـب في الشـهادة الثانوية.
- موقـع الإقامـة للمتقـدّم حيـث يتّخذ محـل إقامـة الطالـب في الاعتبـار عنـد التوزيع جغرافياً على مؤسّسـات التعليم العالي.

2-2-1 سياسات قبول خرّيجي الثانوي العام

تعـدّ المرحلة الانتقالية من التعليم الثانوي إلى التعليـم الجامعـي والعـالي مرحلـة حرجة وحاسـمة في تحديد مسـتقبل الطالب المصري. ويرجـع ذلك من ناحية إلى أن مسـتوى التعليم الثانـوي لا يـزوّد الطالـب عـادةً بالمهـارات اللازمـة لسـوق العمـل، مـا يعنـي أن الطـلاب الذين لا يسـتطيعون الالتحـاق بالتعليم العالي يواجهون صـعوبات عامة في كسـب معاشـهم. ومـن ناحية أخرى، فإن حاملـي مؤهل التعليم العالي والجامعي بالتحديد، يكسبون عادةً دخلاً أعلى مـن غيرهم من ذوي المؤهـلات الأدنى، كمـا أنهم يتمتعون بمكانـة اجتماعية عالية لا يصل إليها من دونهم في المؤهل التعليمي.

لذلك تشـتدّ المنافسـة وتتصاعد إلى حدّ كبير في امتحـان نهايـة المرحلـة الثانويـة العامـة. ويلجأ القادرون وغير القادرين مادياً من الطلبة، وبحسب قدرة كلّ منهم وبحسب نوعية المدرّسين الذين تتمّ الاستعانة بهم، إلى الدروس الخصوصية بدرجـات متفاوتـة. كمـا يتفـاوت ما يتقاضـاه المدرّسون الخصوصيّون من مقابل مادي بحسب قدراتهم. ولا تشـتدّ المنافسة من أجل النجاح في الامتحـان فحسـب، بل أيضـاً من أجل الحصـول على مكـان في الجامعـات التي تحظى بأولوية ومكانة أعلى لدى المصريّين. وتحتدم المنافسـة أيضـاً ليس مـن أجل القبـول في الجامعات فقط، ولكن مـن أجـل الالتحاق بكليـة جامعية أيضـاً تحظى بمكانة متميّزة من الناحيتين الاجتماعية والمنافسة في سوق العمل.

لذلـك أصـبح يطلق علـى عدد مـن الكليات الجامعيـة مسـمى "كليـات القمـة" مثـل كلّية الطب والعلوم الطبّيـة والهندسـة في حالـة التخصّصات العملية، وكلية الاقتصاد والعلوم السياسـية، والإعلام، والألسن في التخصّصات النظرية.

ومثل هذه المنافسـة الشرسـة يترتّب عنها رهبة وقلق شديدان يطغيان على الطلبة والأهالي خلال فترة الدراسة والإعداد للامتحان، إلى حد صـار فيـه امتحـان **الثانويـة العامـة** بمثابـة كابوس يطبق علـى الأسـرة المصرية ويفرض

تشـتدّ المنافسـة وتتصـاعد إلى حدّ كبير في امتحـان نهايـة المرحلة الثانوية العامة. ويلجأ القادرون وغير القادرين مادياً مـن الطلبـة، وبحسـب قـدرة كلّ منهم وبحسب نوعية المدرّسين الذيـن تتمّ الاسـتعانة بهـم، إلى الدروس الخصوصيـة بدرجات متفاوتة.

تعدّ المرحلة الانتقالية من التعليم الثانوي إلى التعليم الجامعي والعالي مرحلة حاسمة في تحديد مستقبل الطالب المصري. لذا تشتدّ المنافسة إلى حدّ كبير في امتحان نهاية المرحلة الثانوية العامة ليس من أجل القبول في الجامعات فقط، ولكن من أجل الالتحاق بكلية جامعية أيضاً تحظى بمكانة متميّزة من الناحيتين الاجتماعية والمنافسة في سوق العمل. إذ يطلق على عدد من الكليات الجامعية مسمى "كليات القمة" مثل كليّة الطب والعلوم الطبّية والهندسة في حالة التخصّصات العملية، وكلية الاقتصاد والعلوم السياسية، والإعلام، والألسن في التخصّصات النظرية.

حالة الطوارئ في داخلها. كما أصبح كلّ ما يتعلق بامتحان **الثانوية العامة** يحظى بالإثارة وبتغطية إعلامية واسعة النطاق. وامتحان الثانوية العامة الذي كان لسنوات طويلة يعقد في العام الأخير من المرحلة الثانوية (**السنة الثالثة**) تمّ تعديله ليمتدّ على مدى سنتين: الثانية وتسمّى المرحلة الأولى، والثالثة وتسمّى المرحلة الثانية. هذا النظام هو الساري حتى الآن. وقد هدف إلى التخفيف من القلق المصاحب لتركّز الامتحان في سنة واحدة من ناحية، وإلى الحدّ من الدروس الخصوصية من ناحية ثانية. ومع ذلك لم يتحقّق أيّ من الهدفين، بل يرى البعض أن التوتّر أصبح يمتدّ لسنتين بدلاً من سنة واحدة. ولا يزال البحث جارياً عن آلياتٍ للخروج من هذا المأزق.

2-2-2 سياسات قبول خرّيجي الثانوي الفنّي

في حين يعتبر الثانوي العام نظاماً للتعليم الأكاديمي يقود أساساً إلى التعليم الجامعي والعالي، يعتمد الثانوي الفنّي على التدريب العملي ويؤهّل الطلاب عملياً وحرفياً أساساً من أجل الالتحاق بسوق العمل. ووفقاً لقرارات المجلس الأعلى للجامعات يتمّ تقييد القبول في الجامعات الحكومية والمعاهد التابعة لها في حالة حملة الشهادة الثانوية الفنّية. فقد تقرّر أن قبول الطلاب الحاصلين على الشهادات الثانوية الفنّية (**نظام 3 سنوات، 5 سنوات، والمعاهد الفنّية نظام السنتين**) في الجامعات والمعاهد الحكومية، يتمّ بنسبة لا تزيد على 10 % من إجمالي أعداد الطلاب المقبولين من حملة الثانوية العامة.(12)

ويقتصر القبول في هذا النظام أيضاً على الكليات الجامعية التي تسمح بقبول حَمَلَة الشهادات الفنّية للالتحاق بها.

ولكي يتّضح التباين الحاد في القدرة على الالتحاق بالتعليم الجامعي والعالي، في حالة حملة الشهادة الثانوية العامة والشهادة الثانوية الفنّية، يمكن النظر في المعلومات المدرجة في **الجدول رقم** (5).

جدول (5) **نسبة الملتحقين بالتعليم العالي من خرّيجي الثانوي العام والفنّي**

	الثانوي العام %	الشهادات الفنّية %
الجامعات الحكومية	73.6	2.6
جامعة الأزهر	0.1	-
الجامعات الخاصة	0.6	-
المعاهد العليا الخاصة	20.2	5.5
الكليات الفنّية	7.1	5.2
المعاهد المتوسطة الخاصة	1.5	0.3
الإجمالي	% 103.1	% 13.5

المصدر: وزارة التعليم العالي، التعليم العالي في مصر، التقرير الوطني (ملخص)، وحدة التخطيط الاستراتيجي.

يوضح الجدول النتائج التالية:

الأولى: حوالى 81 % من حملة شهادة الثانوية العامة يلتحقون بالتعليم العالي في مقابل نسبة لا تتجاوز نحو 9 % لحملة الشهادة الثانوية الفنّية.

الثانية: أكثر من نصف (58.5 %) حملة **شهادة الثانوية العامة** يلتحقون بالجامعات الحكومية، وتصل النسبة إلى 59 % بإضافة **جامعة الأزهر والجامعات الخاصة**. هذا في مقابل ما لا يزيد على 2 % فقط من حملة الثانوية الفنّية يلتحقون بالجامعات.

الثالثة: حتى في حالة الالتحاق بالمعاهد العليا، حيث من المتوقّع أن يحظى حملة **الشهادات الفنّية** بنسبة قبول عالية، فإن العكس هو الصحيح. فبينما يلتحق حوالى 14 % من حملة **شهادة الثانوية العامة** بالمعاهد العليا، تكون نسبة الالتحاق، في حالة الشهادات الفنّية، حوالى 3 % فقط. وفي حالة **المعاهد الفنّية المتوسّطة** العامة والخاصة معاً (سنتان بعد الثانوية العامة) يبلغ معدل التحاق حملة الثانوية العامة 7.8 % مقابل 4.3 % فقط لحملة الشهادات الفنّية.



تراجع نصيب الجامعات الحكومية في استيعاب خرّيجي المرحلة الثانوية العامة إلى 58.5 % فقط. هذا في حين أن القدرة الاستيعابيّة للجامعات الخاصة، وعلى الرغم من النموّ السريع في أعدادها، لا تزال هامشية. ويعبّر الفصل بين الجامعات الحكوميّة والخاصة في إجراءات القبول في الجامعات عن كون الجامعات الخاصة تُطبق عليها معايير قبول أدنى بكثير من الجامعات الحكومية، فلا يوجد بالتالي مجال يذكر للمنافسة بين نوعَيْ التعليم الجامعي العام والخاص.

الرابعة: أن الجامعات الحكومية التي كانت المؤسّسات الأساسية في استيعاب خرّيجي المرحلة الثانوية العامة تراجع نصيبها إلى 58.5 % فقط، ويرجع ذلك إلى سياسة الحدّ من نموّ الجامعات الحكومية التي تمتّ الإشارة إليها آنفاً. هذا في حين أن القدرة الاستيعابيّة للجامعات الخاصة، على الرغم ممّا لوحظ من نموّ سريع في أعدادها، لا تزال هامشية.

أمّا في ما يتعلق بسياسات القبول في الجامعات الخاصة، فقد أقيم مكتب لتنسيق القبول فيها على غرار مكتب تنسيق القبول للجامعات الحكومية. ويعبّر الفصل بين الجامعات الحكوميّة والخاصة في إجراءات القبول في الجامعات عن كون الجامعات الخاصة تُطبق عليها معايير قبول أدنى بكثير من الجامعات الحكومية، وأنه لا يوجد بالتالي مجال يذكر للمنافسة بين نوعيْ التعليم الجامعي العام والخاص.. فالطلبة والطالبات من أصحاب المجاميع المرتفعة يقبلون عادةً على الالتحاق بالجامعات الحكومية أولاً. ثم إنه يمكن لمَن لم يتمكّن من الالتحاق بالكلية التي يتطلّع إليها، والذي تكون لديه القدرة على تحمّل الرسوم الباهظة للجامعات الخاصة، الالتحاق بهذه الجامعات حيث قيود مجموع الدرجات أدنى بكثير. ويُظهر **الجدول رقم** (6) التباين الصريح في الحدّ الأدنى لدرجات القبول في عدد من الكليات الجامعية في الجامعات الحكومية والخاصة.

وللجامعات الخاصة أيضاً حرية إقامة امتحان لقبول الطلبة بحسب كلّ تخصّص، في إطار الحدّ الأدنى الذي يتحدّد بواسطة مجالس الجامعات الخاصة، وإن كان من المستبعد أن توجد امتحانات قبول تنصبّ على القدرات الأكاديمية للطلبة. إذ إنها تركّز في الغالب على امتحان للّغة الأجنبية التي يتمّ التدريس بها في الجامعة. وإذا فشل الطالب في امتحان اللغة يلتحق ببرنامج دراسي تمهيدي في الجامعة نفسها ليتمكّن من اللغة المطلوبة.

ثمة سؤال يطرح نفسه الآن: هل يمكن القول إن نظام الالتحاق بالتعليم العالي في مصر يعدّ مفتوحاً أمام خرّيجي المرحلة الثانوية؟

تتطلّب الإجابة عن هذا السؤال في الواقع ضرورة التمييز بين الالتحاق بالتعليم العالي لحملة **شهادة الثانوية العامة** ولحملة شهادة الثانوية الفنّية. وتكمن أهم جوانب الاختلاف بين نوعيّ **التعليم الثانوي** في الآتي:

وعليه، يمكن القول إن سياسات القبول في التعليم العالي في **مصر**، وعلى الرغم من أنها مفتوحة أمام **حملة الشهادة الثانوية** العامة، فإنها ليست بالسياسات المفتوحة فعلياً، كما قد يتصوّر البعض. ذلك أن النسبة الأكبر من

جدول (6) **الحد الأدنى لمجموع درجات القبول في عدد من "كليات القمة" في الجامعات الحكومية والخاصة** (2006/ 2007)

الكلية	طب الفم والأسنان	الصيدلة	الهندسة	الحاسبات والمعلومات	الاقتصاد والعلوم السياسية
جامعات حكومية	99.8	99.8	97.4	94.6	99
جامعات خاصة	80	80	75	70	60

(1) قاعدة معلومات وزارة التعليم العالي، مكتب تنسيق القبول.
(2) ملحق الأهرام التعليمي.

يلتحق حوالى 81 % من حملة شهادة الثانوية العامة بالتعليم العالي في مقابل نسبة لا تتجاوز 9 % لحملة الشهادة الثانوية الفنّية. وتصل نسبة حملة شهادة الثانوية العامة الذين يلتحقون بالجامعات الحكومية إلى أكثر من النصف (58.5 %)، وتصل النسبة إلى 59 % بإضافة جامعة الأزهر والجامعات الخاصة. في حالة الالتحاق بالمعاهد العليا، حيث من المتوقّع أن يحظى حملة الشهادات الفنّية بنسبة قبول عالية، فإن العكس هو الصحيح.

التعليم الثانوي العام

- الالتحاق بالتعليم العالي عموماً يعدّ مفتوحاً أمام خريجي هذا التعليم.
- الالتحاق بالجامعات الحكومية يعدّ مقيّداً نسبياً، نتيجةً لعدد الأماكن المحدودة في الكليات المختلفة.
- الالتحاق بالكليات العملية في الجامعات أكثر صعوبة بسبب قلّة الأماكن المتاحة وارتفاع تكلفة التعليم في هذه الكليات التي تتحملها ميزانية الدولة أساساً.
- الالتحاق بالبرامج المخصوصة أصبح متاحاً في الكليات العملية في الجامعات الحكومية، ولكن مع تحمّل الطالب الرسوم الدراسية المرتفعة.
- الالتحاق بالكليات النظرية أكثر يسراً، بحيث تتمّ عادة زيادة عدد الطلبة المقيدين من دون زيادة ملموسة في الإنفاق العام.
- نظام التعليم المفتوح أصبح مجالاً متسعاً للقبول متحرراً من كثير من القيود: فهو يطبق في معظم الجامعات الحكومية. ومع ذلك يحدّ من فاعليته:
  - أنه مفتوح للتخصّصات النظرية أساساً.
  - يتحمّل الطالب رسوم الدراسة.
  - لا يحظى بمكانة اجتماعية ولا بمكانة في سوق العمل وفي الوظائف العامة بالذات.
- الالتحاق بالمعاهد العالية الخاصة يتّسم بالمرونة لجهة شروط القبول والرسوم الدراسية غير المرتفعة، ولهذا يلقى إقبالاً من الطلبة الذين لم يتمكنوا من الحصول على مكان في الجامعات الحكومية.
- على الرغم من أن شروط القبول في الجامعات الخاصة أكثر يسراً من الجامعات الحكومية، فإن رسومها الباهظة تشكّل قيداً على الالتحاق بها.

التعليم الثانوي الفنّي

- الالتحاق بالتعليم العالي يعدّ مقيّداً إلى حدّ كبير أمام خرّيجيه، لا سيَّما أن غالبيتهم ينتمون إلى أدنى الفئات في سلم توزيع الدخل.
- الالتحاق بالجامعات الحكومية يعدّ أمراً غير محتمل للغالبية الساحقة من الخرّيجين بسبب القيود على الأماكن المتاحة لخريجي هذا التعليم، وضعف قدرات الطلبة في ظلّ تعليم ثانوي فنّي متواضع المستوى.
- على الرغم من إتاحة الالتحاق بالتعليم المفتوح، أمام هؤلاء الطلبة، ومرونته التي تتيح الجمع بين التعليم والدراسة، فإنه يخضع للتحفظات المذكورة نفسها في حالة التعليم الثانوي العام.
- الالتحاق بالجامعات والمعاهد العالية الخاصة يكون أكثر يسراً من الجامعات والمعاهد الحكومية، ولكن القيد الأساسي يتمثل في ارتفاع رسوم الدراسة قياساً إلى دخل الأسرة، لا سيما في حالة الجامعات الخاصة.
- الالتحاق بالمعاهد الفنّية المتوسطة الخاصة أو الكليات التكنولوجية الحكومية (سنتان بعد الثانوية) مفتوحٌ تماماً أمام خرّيجي الثانوي الفنّي، إلا أن الطلب على هذه المؤسّسات يتراجع لأن الدراسة تستنزف سنتين من عمر الطالب، ولا تؤدّي إلى الارتقاء بوضعه التنافسي في سوق العمل. كما أن عدم الحصول على درجة البكالوريوس يقترن بنظرة اجتماعية دونية لخريج هذه المؤسّسات.

التعليم

عدد الطلبة المقيدين في مرحلة التعليم الثانوي تتّجه إلى التعليم الثانوي الفنّي (**جدول رقم 7**) الذي تنخفض كثيراً احتمالات التحاق خرّيجيه بالتعليم العالي، وذلك مقابل 33 % فقط للذين يلتحقون بالثانوي العام. كما توجد نسبة كبيرة (22 %) من السكان في سنّ التعليم الثانوي (14 – 16 **سنة**)، لا يلتحق أفرادها بأيّ نوع من أنواع التعليم الثانوي لأسباب مختلفة.(13) علاوة على ذلك، فإن نسبة من تلاميذ المرحلة الإعدادية (قد تكون قليلة ولكنها مؤثرة)، يلتحق أفرادها بالتعليم الإعدادي المهني الذي يقود إلى سوق العمل مباشرة أو إلى مدارس التعليم الثانوي المهني الذي يؤدي بدوره إلى سوق العمل، وذلك من دون الوصول إلى التعليم العالي.

3-2-2 بعض الملاحظات بشأن سياسات القبول في التعليم العالي

تعني النتيجة السابقة أمرين:

الأول: أن المعروض من خريجي التعليم العالي في سوق العمل كان يمكن أن يكون أكبر بكثير ممّا هو متحقق بالفعل، وذلك في حال كان الالتحاق بالتعليم العالي مفتوحاً أمام جميع خريجي التعليم الثانوي والفنّي.

والثاني: نظراً لتدفق الغالبية العظمى من خرّيجي التعليم الثانوي الفنّي إلى سوق العمل مباشرة، يغدو من المتوقّع أن يشكّلوا معروضاً كبيراً من العمالة متوسطة التعليم في سوق العمل.

لا بدّ أيضاً من الإشارة إلى أن القبول في التعليم العالي، الذي يعتمد على آلية مركزية، من خلال مكتب تنسيق القبول في الجامعات، يلقى قبولاً واسع النطاق من جانب الطلبة وأسرهم، ومن جانب المجتمع المصري عموماً. ويرجع ذلك إلى أن هذا النظام يتمتّع بصفتين أساسيّتين هما العدالة والشفافية، ومن ثم يثق الجميع بأن كلّ طالب سيحصل على مكان في كليات أو معاهد التعليم العالي المختلفة وفقاً لمجموع درجاته في الشهادة الثانوية، من دون أيّ تفرقة على أساس الجنس أو الدين أو الفئة الاجتماعية.

ومع ذلك لا يمكن تجاهل أن سياسات القبول التي تعتمد على معيار واحد، هو مجموع درجات الطالب في الشهادة الثانوية، ليست كافية لتقييم مستوى الطالب وقدراته وتوجّهاته الذاتية، لا سيّما أن هناك عوامل متعدّدة، غير القدرات الذاتية في حالة **مصر**، تلعب دوراً مهمّاً في التأثير على ما يحصل عليه الطالب من مجموع درجات في الثانوية العامة، مثل الدروس الخصوصية، ونوعية المدرسة الثانوية التي يلتحق بها الطالب والتي تتفاوت كثيراً وفقاً للمستوى الاجتماعي للأسرة. وهذه الأمور لا تضع الطالب في المكان الملائم وهي تتجاهل قدراته الكامنة وغير الظاهرة في مجموع الدرجات. وقد اتّضح من إحدى الدراسات التي تواصلت مع أعضاء هيئة التدريس في الجامعات، أنهم يرون عدم وجود ارتباط قوي بين درجات الامتحان **لمرحلة التعليم الثانوي**

على الرغم من أن سياسات القبول في التعليم العالي في مصر، مفتوحة أمام حملة الشهادة الثانوية العامة فإنها ليست سياسات مفتوحة حقاً، كما قد يتصوّر البعض. ذلك أن النسبة الأكبر من عدد الطلبة المقيدين في مرحلة التعليم الثانوي تتّجه إلى التعليم الثانوي الفنّي الذي تنخفض فيه احتمالات التحاق خرّيجيه بالتعليم العالي، وذلك مقابل 33 % فقط للذين يلتحقون بالثانوي العام.

جدول (7) **توزيع الطلاب على أنواع التعليم الثانوي (2005 / 2006)**

نوع التعليم	ثانوي عام حكومي	ثانوي عام خاص	ثانوي فنّي	ثانوي أزهري	الإجمالي
عدد الطلاب	1145174	94015	1961162	279963	3480314
النسبة المئوية	32.9	2.7	56.4	8	100%

المصدر: وزارة التربية والتعليم، الخطة الإستراتيجية القومية لإصلاح التعليم قبل الجامعي في مصر (2007 / 2008 – 2011 / 2012).

وأداء الطالب في الجامعة لاحقاً.(14)

وتؤكد ذلك أيضاً نتائج مسح أجريَ على طلاب الجامعات حول مشكلات التعليم الجامعي، فنسبة عالية من الطلاب (59 %) ذكروا أن إحدى مشكلاتهم عند الالتحاق بالجامعة هي أن مجموع درجاتهم في الشهادة الثانوية لم يسمح لهم بالالتحاق بالكلية أو القسم الذي يرغبون فيه (**شكل رقم** 5).

2-3 الجودة ومستوى تنافسية مخرجات التعليم العالي في سوق العمل

يعدّ تدنّي جودة التعليم أحد أشكال الخلل الرئيس المؤثر في علاقة التعليم بسوق العمل في **مصر**. فمخرجات نظام التعليم ماهي إلا أحد المكوّنات المهمّة لتيار العمالة الذي يتدفق سنوياً إلى سوق العمل. وما يتمتّع به الخريجون من جودة في التعليم يلعب دوراً في تحقيق التنافسية في سوق العمل وفي إمكانية الحصول على وظائف لائقة. علاوة على أن الجودة لا تنصبّ على المستوى الأكاديمي فقط الذي توفّره مؤسّسات التعليم العالي، بل ينصبُّ أيضاً على مدى إعداد هذه المؤسّسات للطلاب وتأهيلهم بالمتطلّبات التي تتيح لهم إمكانات أكبر للتوظيف. ومن هذا المنظور فإن جودة التعليم العالي في مصر ترتبط باعتبارات عدّة منها:

- التطوّر في عدد المقيّدين في التعليم العالي وعلاقته بالإمكانات والموارد المتاحة لهذا التعليم.
- الأسلوب الذي اتبع في استيعاب الزيادة المطّردة في عدد الطلبة والطالبات.
- مدى الاهتمام بإعداد الخريجين للتوظّف والمشاركة الإيجابية في سوق العمل.

2-3-1 التطوّر في عدد الطلبة والطالبات وعلاقته بالإمكانات والموارد

تعدّ **مصر** أكثر **الدول العربية** على الإطلاق اكتظاظاً بالسكان. ويمثّل عدد سكانها ما يقرب من 1/ 4 سكّان **الوطن العربي**.(15) وتشترك مصر مع غيرها من **الدول العربيّة** في وجود فئة عريضة من الأطفال والشباب في سنّ التعليم. فنسبة السكان في الفئة العمرية 5 – 24 **سنة** بلغت 44 % من إجمالي السكان في **العام** 2010.(16) ويشكّل هؤلاء طلباً كبيراً على التعليم بجميع مراحله. كما يشكّل عدد طلبة التعليم العالي في مصر بناءً على بيانات **معهد اليونسكو للاحصاء** نسبة مرتفعة من إجمالي عدد طلاب التعليم العالي في **الوطن العربي**. وهذه النسبة المرتفعة تعود إلى ضخامة عدد السكان من ناحية وإلى تاريخ **مصر** الطويل في مجال تقديم خدمة التعليم العالي.

وعلى الرغم من أن نظام القبول في التعليم العالي، وكما تبيّن سابقاً، ليس مفتوحاً تماماً أمام جميع خرّيجي المرحلة الثانوية، إلا أن النموّ السكاني وتزايد معدلات القيد في المرحلة الثانوية أسهم في تحقيق زيادة مطّردة في عدد الطلبة والطالبات المقيّدين في مؤسّسات التعليم العالي المختلفة(**راجع الشكل** 6 و7). بحيث يظهر **الشكل رقم** (6) بلوغ عدد الطلبة في العام 2010 حوالى 2.5 **مليون** طالب بزيادة قدرها 777 **ألف** طالب مقارنةً بالعدد نفسه في **العام** 2000، ما يعني أن عدد الطلبة ازداد في **العام** 2010 بمعدل مرّة ونصف المرّة على مثيله في العام 2000. في حين يظهر **الشكل رقم** (7) التطوّر في معدّل القيد الإجمالي في التعليم العالي، وهو المؤشّر الذي يأخذ في اعتباره عدد السكان في الشريحة العمرية المقابلة للتعليم العالي (18 – 23 سنة). ويعني تزايد هذا المعدل بشكل مستمرّ على مدى الفترة (2001 – 2009) أن تزايد عدد طلاب التعليم العالي فاق في نموّه الزيادة في عدد السكان. ويعدّ معدل القيد الذي بلغ 32 % في العام 2009 مرتفعاً سواء تمّت مقارنته بالمعدل المقابل **للدول النامية** أم **للدول العربيّة**.

إلا أن التأثير السلبي على جودة التعليم لا يتأتّى نتيجة زيادة معدلات الالتحاق بهذه المرحلة التعليميّة في حدّ ذاته، ولكنه يحدث نتيجة عدم

> أسهم النموّ السكاني وتزايد معدلات القيد في المرحلة الثانوية في تحقيق زيادة مطّردة في عدد الطلاب المقيّدين في مؤسّسات التعليم العالي المختلفة في مصر. فبلغ عدد الطلاب في العام 2010 حوالى 2.5 مليون طالب، بزيادة قدرها 777 ألف طالب عن العام 2000. كما ارتفع معدّل القيد الإجمالي في التعليم العالي خلال الفترة بين (2001–2009) حتّى فاق عدد طلاب التعليم العالي في نموّه الزيادة في عدد السكان.

شكل بياني رقم (5) المشكلات التي واجهت الطلاب عند الالتحاق بالجامعة*

المشكلة	%
المجموع لم يسمح بدخول الكلية أو القسم المرغوب فيه	59
بعد الكلية أو الجامعة عن مكان الإقامة	27
ارتفاع مصاريف الكلية	14
أخرى	5

* نسبة الطلاب الذين واجهوا مشكلات عند الالتحاق بالجامعة (43 %) من إجمالي العيّنة.

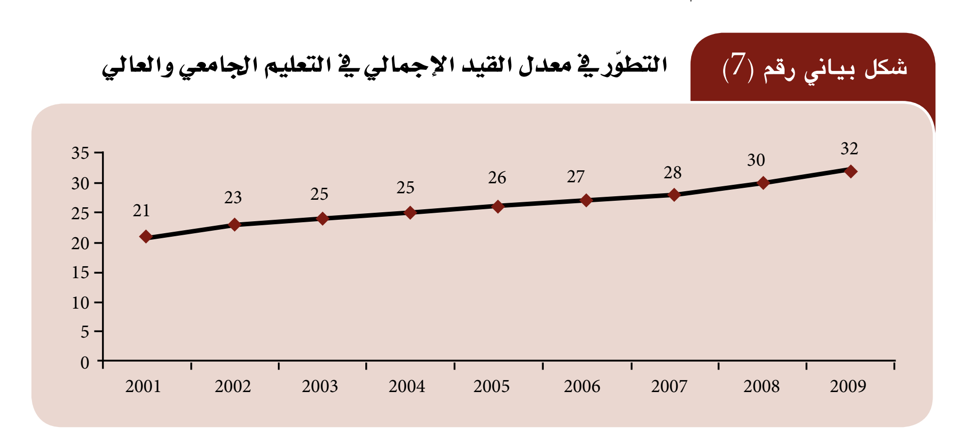
المصدر: مركز المعلومات ودعم اتّخاذ القرار في مجلس الوزراء، استطلاع رأي طلاب الجامعات حول مشكلات التعليم الجامعي، مراجعة: سحر إسماعيل الطويلة، فبراير 2007.

شكل بياني رقم (6) التطوّر في عدد الطلاب المقيدين في جميع مؤسّسات التعليم الجامعي والعالي في مصر (2000 – 2010)

السنة	عدد الطلاب
2000	1722724
2001	1801054
2002	1971515
2003	2108013
2004	2224910
2005	2346521
2006	2406108
2007	2434488
2008	2384304
2009	2358097
2010	2500000

المصدر: مركز المعلومات ودعم إتخاذ القرار بمجلس الوزراء، المؤشرات الإحصائية.

شكل بياني رقم (7) التطوّر في معدل القيد الإجمالي في التعليم الجامعي والعالي



المصدر: مركز المعلومات ودعم إتخاذ القرار بمجلس الوزراء، المؤشرات الإحصائية.

التناسب بين هذه الزيادة و الموارد والإمكانات المادية والبشرية المتاحة للتعليم العالي.

وعلى الرغم من أن سياسة الحكومة كانت تميل دوماً إلى التوسّع لجهة عدد طلاب التعليم العالي، ربما سعياً إلى تحقيق مكاسب سياسية في ظلّ القبول الشعبي لمثل هذا التوجه، إلا أن هاجس محدودية الموارد المالية والرغبة في الحدّ من الإنفاق العام والتوسّع في مشاركة الطلبة في تحمّل تكلفة تعليمهم، شكّلت أيضاً عناصر أساسيّة في توجيه سياسات التعليم في **مصر** خلال السنوات الماضية. وفيما زادت أعداد الطلبة الملتحقين بالتعليم العالي ومعدلات القيد، بدأت الميزانية المخصّصة للتعليم العالي في الوقت نفسه تتجه إلى الانخفاض، وذلك في حال تمّ قياس ذلك كنسبة من الناتج المحلي الإجمالي أو كنسبة من الإنفاق العام. ويظهر الشكل رقم (8 – أ، **ب**) التطوّر في الإنفاق على التعليم ككلّ وعلى التعليم العالي منفرداً كنسبة من الناتج المحلي وكنسبة من الإنفاق العام خلال السنوات الثلاث من 2006 / 2007 – 2008 / 2009.

لا يتأتّى التأثير السلبي على جودة التعليم نتيجة زيادة معدلات الالتحاق بمرحلة التعليم العالي في حدّ ذاته، ولكنه يحدث نتيجة عدم التناسب بين هذه الزيادة والموارد والإمكانات المادية والبشرية المتاحة لهذا التعليم.

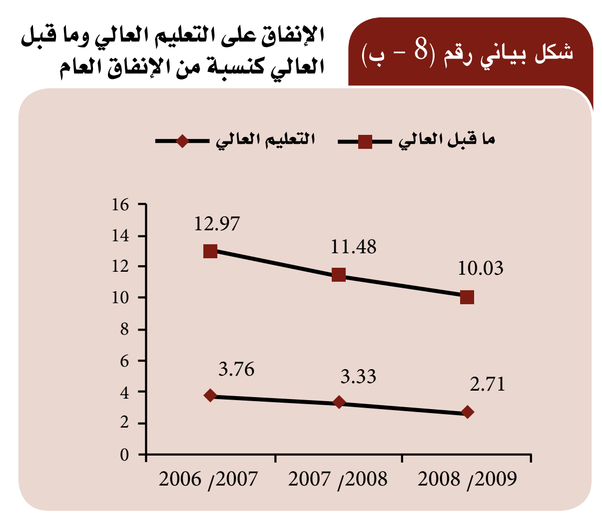
يتّضح إذن، أنه على مدى السنوات الثلاث المبيّنة، اتّجه الإنفاق العام على التعليم عموماً نحو الانخفاض الملحوظ كنسبة من الناتج المحلي ومن الإنفاق العام. وأن الانخفاض أيضاً أصاب ميزانية التعليم العالي التي انكمشت في الحالتين. وفي ظلّ هذا الخلل الشديد بين تزايد أعداد الطلاب وتقلّص الميزانيات، أصبحت الجامعات الحكومية تعاني من محدودية الميزانية المخصّصة للإنفاق وعدم كفايتها لمواجهة أهم الأساسيات التي لا غنى عنها لعملية التعليم.

هذا علاوة على القيود الإدارية والبيروقراطية التي تحول دون مرونة التصرف من جانب إدارة الجامعة وكلياتها في بنود الموازنة. وتتلخص النتيجة إذن في تدهور شديد في أوضاع المكتبات والمعامل وغياب المستلزمات اللازمة لتشغيل الأجهزة والمعدّات، وضعف ميزانيات الصيانة على نحو قد يبقي الأجهزة معطلة لفترات طويلة. هذا علاوة على تدني مرتبات أعضاء هيئة التدريس خصوصاً، إذا ما قيست بالقيمة الحقيقية. وأصبح المرتب لا يكفي احتياجات المعيشة لعضو هيئة التدريس وأسرته، ناهيك باحتياجات المهنة من كتب ومجلات علميّة وأشرطة الحاسبات ومستلزماتها، واحتياجات الاحتكاك العلمي من مؤتمرات وتواصل مع المجتمع المحلي والأقليمي والدولي.(17) وبناءً عليه، أصبح غالبية أعضاء هيئة التدريس إمّا معارين في جامعات خارج **مصر**، وإما

شكل بياني رقم (8 – أ) جملة الإنفاق على التعليم وعلى التعليم العالي كنسبة من الناتج المحلي الإجمالي

	2006 /2007	2007 /2008	2008 /2009
التعليم ككل	4.05	3.79	3.81
التعليم العالي	1.17	1.1	1.03

شكل بياني رقم (8 – ب) الإنفاق على التعليم العالي وما قبل العالي كنسبة من الإنفاق العام



المصدر: وزارة التعليم العالي، التعليم العالي في مصر: حقائق وأرقام، وحدة التخطيط الاستراتيجي، أكتوبر 2009.

التعليم

متواجدين في جامعاتهم داخل مصر ولكن غير متفرغين بالكامل لمهامهم التدريسيّة والبحثيّة. وبات عدم الانتظام والغياب بمثابة ظاهرة تتزايد حدّتها وتتفاقم انعكاساتها السلبيّة على نوعية تعليم الخريجين.

وبالإشارة إلى استطلاع رأي طلاب الجامعات حول مشكلات التعليم الجامعي، والذي تمّت الاستعانة بنتائجه من قبل، يتّضح من **الشكل رقم** (9) أن أهم المشكلات التي تواجه الطلاب مع أعضاء هيئة التدريس هي عدم التزام بعضهم بمواعيد المحاضرات (50 %)، وعدم كفاءة البعض الآخر في عملية التدريس(37 %).

2-3-2 كيفية استيعاب الزيادة في عدد الطلاب

نظراً إلى تطلّع المسؤولين عن التعليم العالي نحو تحقيق مشاركة الطلبة في تحمّل تكلفة تعليمهم، فإن سياسة استيعاب الأعداد المتزايدة من الطلاب وضعت نصب أعينها ضرورة الحدّ قدر الإمكان من تزايد الأعباء التي تتحمّلها ميزانية الدولة. وبناءً على ذلك، تمّ استيعاب معظم الزيادة في أعداد الطلاب من خلال ثلاث قنوات رئيسة:

- زيادة أعداد الطلاب المقيدين في الجامعات الحكومية عموماً وفي التخصّصات النظرية خصوصاً، اعتقاداً بأنه يمكن من خلال هذه التخصّصات زيادة الأعداد من دون زيادة تذكر في الميزانية (مثلاً: قد لا يتغيّر عدد أعضاء هيئة التدريس، أو أماكن الدراسة وفصولها، أو محتويات المكتبات أو التجهيزات...إلخ). لكن من الضروري الملاحظة أيضاً أن تجاوز درجة التشبّع الكامل في الكليات النظرية وما صاحب ذلك من تدهور شديد في نوعية التعليم، أدّى، في السنوات القليلة الماضية، إلى الاتجاه نحو تقييد القبول في الجامعات الحكومية عموماً، وتعويض ذلك بالتوسع في البرامج الدراسية المستحدثة وعلى رأسها التعليم المفتوح.
- زيادة ضخمة في استيعاب الطلاب في برامج التعليم المفتوح التابعة للجامعات، مع العلم أن هذه البرامج تنصبّ أساساً على التخصّصات النظريّة. وقد تمّ منذ فترة قصيرة إلغاء شرط مضيّ خمس سنوات على النجاح في الشهادة الثانوية قبل الالتحاق. وتمّ كذلك تشجيع كلّ الكليات داخل الجامعات الحكومية المختلفة من خلال إقامة هذه البرامج في

يظهر استطلاع رأي طلاب الجامعات حول مشكلات التعليم الجامعي، أن أهم المشكلات التي تواجه الطلاب مع أعضاء هيئة التدريس هي عدم التزام بعضهم بمواعيد المحاضرات (50 %)، وعدم كفاءة البعض الآخر في عملية التدريس(37 %).

شكل بياني رقم (9) المشكلات التي تواجه الطلاب مع أعضاء هيئة التدريس*

المشكلة	النسبة
عدم الإلتزام بمواعيد المحاضرة	%50
عدم كفاءة الأستاذ في الشرح	% 37
سوء معاملة الأستاذ للطلبة	% 36
إهدار وقت المحاضرة	% 6
أخرى	%4

* النسبة من المبحوثين اللذين يواجهون مشكلات (35 %)

المصدر: مركز المعلومات ودعم اتّخاذ القرار في مجلس الوزراء، استطلاع رأي طلاب الجامعات حول مشكلات التعليم الجامعي، مراجعة: سحر إسماعيل الطويلة، فبراير 2007.

التخصّصات النظرية. علماً بأن هذه البرامج كانت تعاني في السابق من ضعف مستوى التعليم فيها ومن محدودية استخدام الوسائل التكنولوجية الحديثة التي يتطلّبها هذا النوع من التعليم. ولاشك أن هذه التطوّرات ستشكّل عقبة أكبر مع التوسّع الضخم في عدد المقبولين في هذا النظام. وتكفي الإشارة إلى أن ما تطلق عليه وزارة التعليم العالي الأنماط الجديدة للتعليم– ومعظمها ينتمي إلى التعليم المفتوح– أصبحت في العام 2009 / 2010 تستوعب نصف مليون طالب يشكلون مايقرب من نصف عدد طلاب البرامج المعتادة في الجامعات الحكومية، ويمثلون 20 % من إجمالي طلاب التعليم العالي(شكل رقم 10).

• زيادة المعاهد العالية والمتوسطة الخاصة والكليات التكنولوجية، والتي تزايد معها معدل استيعاب الطلبة زيادة كبيرة خلال العقد الأخير، ولاسيما منها المعاهد العالية الخاصة بالذات.

هذا مع ملاحظة أن الطلاب يتحملون تكلفة تعليمهم في ظل برامج **التعليم المفتوح**، وبطبيعة الحال أيضاً في المعاهد الخاصة. وقد اعتبرت برامج **التعليم المفتوح** في الواقع بمثابة مصدر تمويل ذاتي في الجامعات الحكومية.

2-3-3 بعض الاختلالات المصاحبة للتطوّرات

تترتّب عن التطورات السابقة نتائج تمثّل خللاً واضحاً ومؤثراً بشكل مباشر أو غير مباشر في جودة التعليم وخصائص مخرجاته في سوق العمل، منها ما يلي:

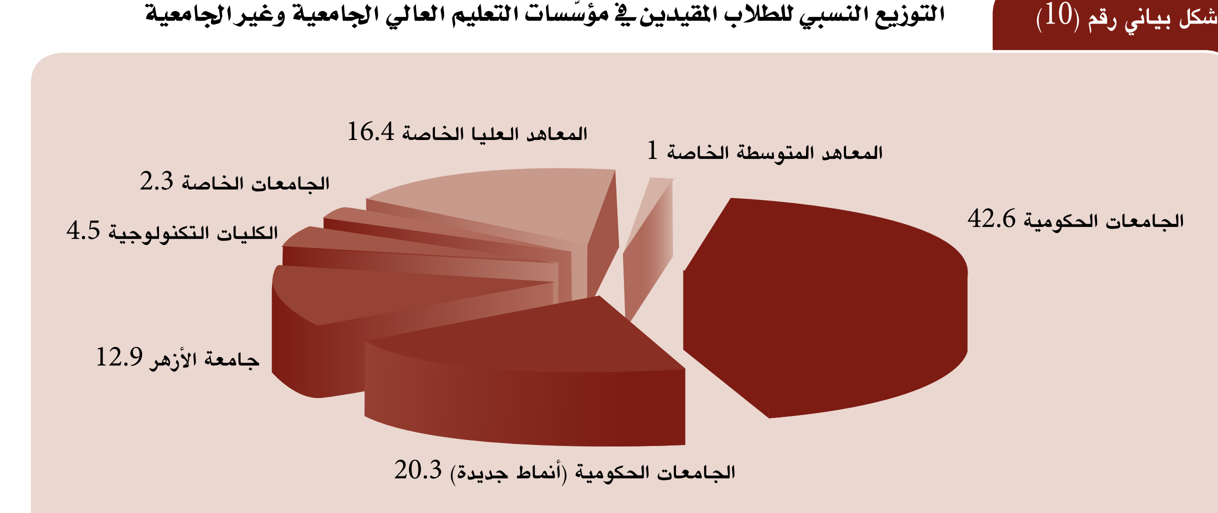
أولاً: تضخم أحجام الجامعات الحكومية

لم يتمّ النموّ في عدد الطلاب الملتحقين في الجامعات الحكومية على مدى سنوات طويلة من خلال إنشاء جامعات جديدة، ولكنه تمّ باطّراد في الجامعات القائمة نفسها وفروعها، مع التركيز على الكليات ذات التخصّصات النظرية مثل: التجارة والحقوق والآداب. وقد أدّى ذلك إلى تضخّم أحجام هذه الجامعات كما يظهر **الجدول رقم** (8).

هذا، وثمة علاقة وثيقة بين حجم الجامعة، ممثلاً بعدد الطلبة فيها، ومستوى كفاءة إدارتها وجودة مخرجاتها. فضخامة الجامعة، بما يتجاوز حجماً معيّناً، ينطوي عادةً على الإخلال بمجموعة من المعايير التي تكفل نوعية مرضية من التعليم الجامعي، مثل معيار نسبة الطلبة لكلّ عضو هيئة تدريس، ومعيار توفّر المرافق الجامعيّة، والتجهيزات العلميّة، والمكتبات وأجهزة الحاسب وغيرها. وثمة اعتقاد أيضاً أنه، وبصرف النظر عن الإمكانات المتاحة للجامعة، من الضروري تحديد حدّ أقصى معيّن لعدد الطلبة (في حدود 35 **ألف طالب**) حتى تتمّ إدارة الجامعة على نحو يتّسم بالكفاءة. ولكن في حالة **مصر**، يصل متوسّط نصيب الجامعة من الطلبة إلى 88 **ألف طالب**، ويصل العدد في كثير من الجامعات إلى أكثر من 100 **ألف طالب**. وتظهر نتائج استطلاع رأي طلاب الجامعات حول مشكلات التعليم الجامعي السابق ذكره، أن 42 % من المبحوثين يواجهون مشكلات متعلقة بقاعات الدرس والمعمل. كما أن 63 % من هؤلاء يرجعون هذه المشكلات إلى عدم ملاءمة قاعات التدريس أو المعامل لعدد الطلبة.(18)

وتؤكّد المقارنة بين أحجام الجامعات في **مصر** من خلال عدد الطلبة، والأحجام المقابلة في عدد من الجامعات ذات المكانة العالمية في دول مختلفة (**جدول رقم** 9)، أن أحجام

شكل بياني رقم (10) التوزيع النسبي للطلاب المقيدين في مؤسّسات التعليم العالي الجامعية وغير الجامعية



المصدر: وزارة التعليم العالي: حقائق وأرقام، وحدة التخطيط الاستراتيجي، أكتوبر2009.

جدول (8) متوسط عدد الطلاب في الجامعات الحكومية*

عدد الجامعات	عدد طلاب المرحلة الجامعية الأولى	عدد طلاب الدراسات العليا	إجمالي عدد الطلاب	متوسط عدد الطلاب للجامعة
18	1366490	220827	1587317	88184

* باستثناء جامعة الأزهر

المصدر: محسوبة من بيانات وزارة التعليم العالي، جمهورية مصر العربية.

جدول (9) مقارنة بين أحجام عدد من الجامعات العالميّة وبعض الجامعات المصرية

الجامعات المصرية	عدد الطلبة المقيدين	الجامعات العالمية	عدد الطلبة المقيدين
جامعة القاهرة	186710	جامعة هارفارد	29900
جامعة عين شمس	175592	معهد ماساتشوسيتس للتكنولوجيا	10200
جامعة الإسكندرية	140262	جامعة أكسفورد	23600
جامعة المنصورة	120673	جامعة أستراليا الوطنية	15900
جامعة الزقازيق	102793	جامعة طوكيو	29300
جامعة حلوان	91898	جامعة بكين	32000

المصدر: (1) وزارة التعليم العالي جمهورية مصر العربيّة.
(2) البنك الدولي، وزارة الاستثمار (مصر)، جودة التعليم البوابة إلى فرص عمل أفضل، اجتماع المائدة المستديرة رفيع المستوى، الأقصر، مصر، 19 – 20 مارس 2010.

ثمة علاقة وثيقة بين حجم الجامعة، ممثلا بعدد الطلبة فيها، ومستوى كفاءة إدارتها وجودة مخرجاتها. حيث من الضروري تحديد حدّ أقصى معيّن لعدد الطلبة (في حدود 35 ألف طالب) حتى تتمّ إدارة الجامعة بكفاءة. ولكن في حالة مصر، يصل متوسّط نصيب الجامعة من الطلبة إلى 88 ألف طالب، وقد يصل العدد في كثير من الجامعات إلى أكثر من 100 ألف طالب.

تؤكّد المقارنة بين أحجام الجامعات في مصر من خلال عدد الطلبة، والأحجام المقابلة في عدد من الجامعات ذات المكانة العالميّة في دول مختلفة، أن أحجام الجامعات في مصر تبعد كثيراً عن الوضع الأمثل الذي يتيح كفاءةً في الإدارة وجودةً في التعليم.

الجامعات في **مصر** تبعد كثيراً عن الوضع الأمثل الذي يتيح كفاءة في الإدارة وجودة في التعليم.

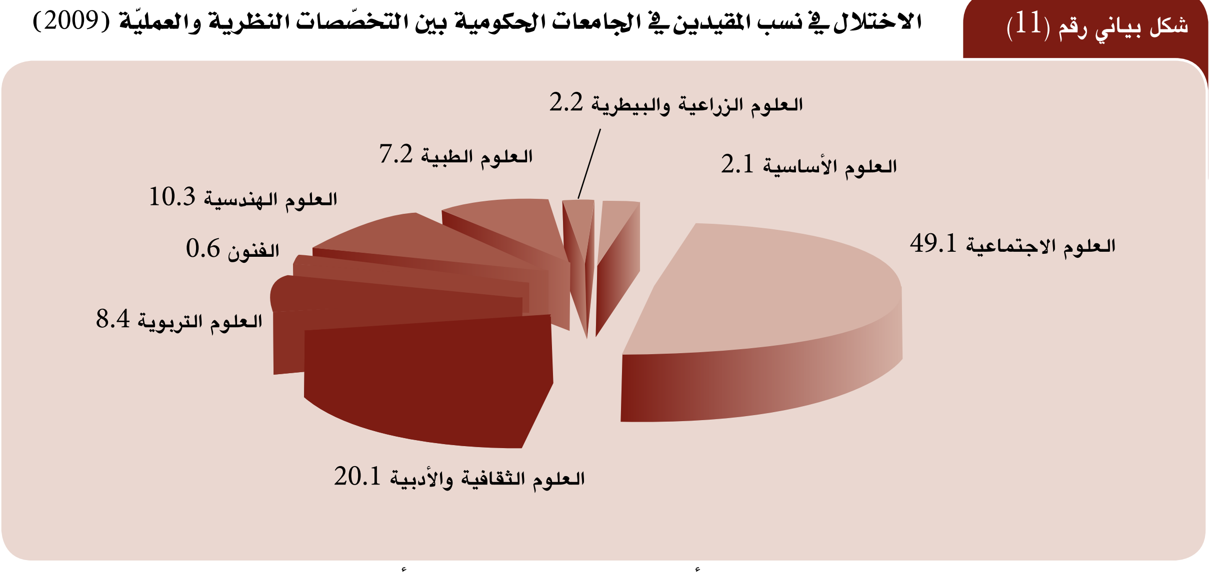
ثانياً: الاختلال في مجالات التخصّص

أسهمت زيادة عدد الطلاب الملتحقين بالجامعات الحكومية وتركّز الزيادة في التخصّصات النظرية في وجود شكل آخر من أشكال الخلل يعبّر عنه التوزيع غير المتوازن للطلاب بين التخصّصات المختلفة. ويظهر **الشكل رقم** (11) أن العلوم الاجتماعية وحدها تستوعب حوالى نصف عدد الطلاب المقيّدين في الجامعات. وإذا ما أضيفت التخصّصات النظرية الأخرى، تصل نسبتها الإجماليّة إلى 78.2 %، وذلك في مقابل 21.8 % فقط للتخصّصات العمليّة (علوم أساسيّة وطبّية وهندسية وزراعية وبيطرية). ولا شك أن لهذا الخلل تأثيراً سلبيّاً واضحاً في ظلّ تدفّق مخرجات هذه الجامعات إلى سوق العمل. ويبدأ الخلل في الواقع قبل مرحلة التعليم العالي، حيث تصل نسبة الطلبة والطالبات في المرحلة الثانوية في المجال الأدبي إلى 70 % (19).

ثالثاً: الاختلال في معدلات الطلبة لكلّ عضو هيئة تدريس

يعدّ ارتفاع مؤشّر عدد الطلبة لكلّ عضو هيئة تدريس في الجامعات الحكومية نتيجةً طبيعيّةً لتضخّم أعداد الطلبة في الجامعات. إلا أن هذا المؤشّر يتفاوت تفاوتاً حاداً بين التخصّصات النظريّة والعمليّة بسبب نظام القبول الأكثر تقييداً في التخصّصات الأخيرة. وإذا كان المتوسط المقبول عالمياً هو(1: 25)، فإن المعدل المقابل في التخصّصات النظرية في الجامعات الحكومية، بما في ذلك **جامعة الأزهر**، يبدو شديد الارتفاع (**أنظر الجدول رقم** 10). هذا مع الإشارة إلى أن عدد طلبة **التعليم المفتوح** وطالباته لا يدخل في حساب هذه المعدّلات. ويعبّر ذلك عن سياسة القبول المفتوحة إلى حدّ كبير في الكليات النظرية حتى بات يطلق عليها لقب **كليات الأعداد الكبيرة**. وعلى صعيد آخر يقلّ المعدل في بعض الكليات العمليّة كثيراً عن المعدل العالمي من دون مبرّر منطقي، ومن دون التأكد من أن هذا الانخفاض في قيمة المؤشر يعني نوعية متميّزة من التعليم. وبالنسبة إلى

شكل بياني رقم (11) **الاختلال في نسب المقيدين في الجامعات الحكومية بين التخصّصات النظرية والعمليّة (2009)**



المصدر: وزارة التعليم العالي، التعليم العالي في مصر: حقائق وأرقام، وحدة التخطيط الاستراتيجي، أكتوبر 2009.



جدول (10) **معدلات الطلبة لكل عضو هيئة تدريس وفقاً لنوع مؤسّسة التعليم العالي والتخصّص** (2006 / 2007)

	الجامعات الحكومية	الجامعات الخاصة	المعاهد العليا	جامعة الأزهر
التربية	1: 44	1: 7	-	1: 127
العلوم الأساسية	1: 9	1: 9	-	1: 13
الطب والعلوم الطبية	1: 8	1: 16	1: 348	1: 4
الهندسة	1: 31	1: 18	1: 146	1: 21
الثقافة والأدب	1: 57	1: 16	1: 246	1: 95
الفنون	1: 20	1: 8	1: 8	-
الزراعة والطب البيطري	1: 9	-	1: 8	1: 14
العلوم الاجتماعية	1: 158	1: 10	1: 429	1: 133
الإجمالي	1: 29	1: 13	1: 273	1: 55

المصدر: وزارة التعليم العالي، التعليم العالي في مصر، التقرير الوطني (ملخص) وحدة التخطيط الاستراتيجي.

العلوم الطبّية مثلاً، يصل المعدل في الجامعات الحكومية وفي **جامعة الأزهر** إلى (1: 8)، (1: 4) على الترتيب، ويصل في العلوم الأساسية في المجموعتين من الجامعات إلى (1: 9)، (1: 13) على التوالي.

أمّا الجامعات الخاصة، فإن مؤشّر عدد الطلبة لكلّ عضو هيئة تدريس فيها يبدو منخفضاً حتى مقارنةً بالمتوسّط العالمي، وفي التخصّصات كافة. ويعود ذلك من ناحية إلى محدودية القدرة الاستيعابية لهذه الجامعات وضعف الالتحاق بها نظراً لارتفاع رسوم الدراسة فيها بما لا تتحمله الغالبية العظمى من الأسر المصرية. وقد يعود ذلك من ناحية ثانية إلى حرص هذه الجامعات على أن تتمّ العمليّة التعليميّة في فصول صغيرة الحجم لتحقيق استفادة أكبر للطلبة. هذا مع العلم أن غالبيّة أعضاء هيئة التدريس في الجامعات الخاصة منتدبون من الجامعات الحكوميّة.

ويُلاحظ أخيراً (**راجع الجدول رقم** 10) أن معدل الطلبة لكلّ عضو هيئة تدريس في **المعاهد العليا الخاصة** شديد الارتفاع في التخصّصات كافة (ماعدا الفنون، لقلّة الطلب على هذا التخصّص). ويكفي القول إن المعدل في تخصّص الزراعة والطبّ البيطري في هذه المعاهد يصل إلى (1: 811). ويعكس ذلك سياسة الالتحاق المفتوح في هذه المعاهد، والرغبة المسيطرة عليها في تحقيق عائد ماديّ كبير بصرف النظر عن تأثير ذلك على نوعية المخرجات.

2-3-4 انعكاسات المناهج وأسلوب التدريس على سوق العمل

لا يزال أسلوب التدريس المتبع في معظم الجامعات **ومؤسّسات التعليم العالي في مصر** يعتمد على قدرة الطالب على الحفظ على حساب تنمية مهارات التفكير النقدي وبناء المهارات التحليليّة. بحيث يقوم أستاذ المادة بالتدريس

أفقد ضعف تجهيز الجامعات ومؤسّسات التعليم العالي بتقنيات المعلومات والاتصال، وضعف تدريب الطلبة وأحياناً أعضاء هيئة التدريس على استخداماتها المختلفة، أفقد الجامعات المصرية جزءاً مهمّاً من مقوّماتها كجامعات حديثة، كما أفقدها الكثير من قدراتها على المشاركة في التطوّرات العلمية والفكرية في العالم. فيما أفقد هذا الخلل الطلبة والطالبات أحد أهم المقوّمات التي تمكّنهم من التنافس في سوق العمل.

من خلال التلقين المباشر ويظلّ دور الطالب دور المتلقّي السلبي للمعلومات. كما يركّز التدريس على الجانب النظري، ومن دون إيلاء اهتمام يذكر للجوانب العمليّة في المنهج أو الاستعانة بأدوات التوضيح المناسبة، والتي تطوّرت كثيراً في ظلّ التقدّم التكنولوجي السريع. ويتمّ تلقين المعلومات للطالب من خلال المحاضرات التي تكون في بعض الكليات شديدة الازدحام ممّا يعوق متابعة الطالب واستفادته. ولا يبدي هذا الأسلوب أيضاً اهتماماً بمهارات التعبير المكتوب والبحث والاستقصاء، على الرغم من أن الطلبة يتعلمون على نحو أكثر فعاليّة عندما يتدربون على هذه المهارات وعندما يقومون بأنفسهم بالبحث في موضوعات تتعلق بمجال دراستهم، والتعبير عنها كتابةً، وبإثارة الجدل حولها مع المعلم ومع بعضهم البعض.(20)

وعلى الرغم من إدخال بعض التقنيات الحديثة في **مؤسّسات التعليم العالي في مصر**، خصوصاً الحاسبات، فإن مدى انتشارها يختلف من جامعة إلى أخرى ومن قسم أو كلية داخل الجامعة نفسها. ولا يوجد تناسب عادةً بين كمّ هذه التجهيزات وعدد الطلاب الراغبين في استخدامها. وإذا كان الهدف الرئيس من إدخال هذه التقنيات في أنظمة التعليم الحديثة لا يقتصر على تدريب الطالب على كيفية التعامل معها بل تدريبه على استخدامها كجزء مكمّل لبرنامجه الدراسي، فإن الأمر هذا لم يتحقّق حتى الآن في معظم **مؤسّسات التعليم العالي في مصر**. ونتيجةً لضعف تجهيز الجامعات ومؤسّسات التعليم العالي بتقنيات المعلومات والاتصال، وضعف تدريب الطلبة وأحياناً أعضاء هيئة التدريس على استخداماتها المختلفة، تفقد الجامعات المصرية جزءاً مهمّاً من مقوّماتها كجامعات حديثة وتفقد كثيراً من قدراتها على المشاركة في التطوّرات العلمية والفكرية في العالم. أمّا على مستوى الطلبة والطالبات فيفتقدون أحد أهم المقوّمات الأساسية التي تمكّنهم من التنافس في سوق العمل.

ويقوم **التعليم العالي** على أساس مناهج ضيّقة وجامدة، ولا يتمّ تحديثها عادةً على فترات معيّنة معقولة. كما يرتبط المنهج بتوجّهات المحاضر الذي يعدّ المرجع الأساسي في المقرّر. في حين أشار **التقرير الوطني حول التعليم العالي** الذي أصدرته **وزارة التعليم العالي في مصر** مؤخراً، إلى أن معظم **مؤسّسات التعليم العالي** لا تدرج المهارات الأساسيّة التي يطلبها أصحاب العمل في البرامج الأكاديمية. ويعزي التقرير ذلك إلى غياب التنسيق بين مؤسّسات الأعمال ومؤسّسات التعليم العالي. بعض المؤسّسات يشجّع الطلاب على تلقي تدريبات في الإجازة الصيفيّة، إلا أن معظم هذه التدريبات تتمّ من خلال التواصل الشخصي بين الطلاب وأصحاب العمل، ومن دون أن يتوفّر إطار واضح ومؤسّسي للتنسيق والتعاون في هذا الصدد. ومن خصائص **التعليم العالي** أيضاً وفقاً للتقرير المذكور، أنه يخضع لتشريع محدّد يمنع مؤسّسات التعليم العالي من تقديم برامج تعمل على المزج بين التعليم النظري والتدريب العملي. لذا لا يكون غالبيّة الطلبة مؤهلين للعمل بعد تخرّجهم (21).

التعليم الفنّي وعلاقته بسوق العمل

من الناحية النظرية على الأقل، مثّل تخريج العمالة الفنّية الماهرة، التي تفي باحتياجات قطاعات الإنتاج الحديثة، الهدف الأساسي من إقامة المعاهد الفنّية وما يطلق عليه حالياً الكلّيات التكنولوجيّة. ولطالما نودي في **مصر** بأهمية هذا النوع من التعليم من أجل سدّ الفجوات القائمة في الطلب على العمّال المهرة. إلا أن التعليم الفنّي يعاني أوضاعاً أشد سوءاً من تلك التي يعاني منها التعليم العالي عموماً. فقد أصبحت المعاهد الفنّية ملاذاً للطلاب الذين فشلوا في إثبات جدارتهم في الشهادتين الإعدادية والثانوية، ولم يتلقوا المساعدة والمساندة للارتقاء بمستواهم الدراسي.

والالتحاق بالتعليم الثانوي الفنّي في الأساس يتمّ من دون إرادة الطلبة أنفسهم، بل يمكن اعتباره كشكل من أشكال العقاب على الفشل في تحقيق نتائج جيّدة في امتحان الشهادة الإعدادية. ومن ثم يدخل الطلاب المعاهد الفنّية والتكنولوجيّة محبطين وفاقدين الحماس أو الرغبة في بذل الجهد والوقت اللازمين في العملية التعليميّة. ولأن الفئات الاجتماعية القادرة مادياً نادراً ما تلحق أبناءها بالتعليم الثانوي الفنّي أوالمعاهد المتوسّطة، فقد أصبح هذا التعليم من نصيب الفقراء أساساً. ووفقاً لنتائج **مسح الشباب المصري** التي وردت في **تقرير التنمية البشرية لمصر**، فإن الشباب الذي ينتمون إلى أفقر الأسر في مصر يتوزّعون بين 3 مجموعات: 29 % منهم لم يلتحقوا بالتعليم على الإطلاق، 24 % تسرّبوا من التعليم قبل انتهاء مرحلة التعليم الأساسي، 29 % أكملوا التعليم الثانوي الفنّي، ما يعني أن الفرص الوحيدة لاستكمال التعليم الثانوي لدى الغالبية العظمى من أبناء الأسر الفقيرة تكون من خلال الالتحاق بالتعليم الفنّي الذي لا يقود في الغالب الأعم إلى التعليم العالي. ويظهر التقرير أيضاً أن 0.5 % من الطلاب فقط الذين ينتمون إلى الأسر الفقيرة ينهون بنجاح مرحلة الثانوية العامة.(22)

وعلاوة على قبول الطلاب ذوي التحصيل العلمي الشديد التواضع وذوي القدرات المادية التي تتيح لهم تعويض هذا القصور، تواجه مؤسّسات التعليم الفنّي مشكلات إضافية تتمثّل في العملية التعليميّة ذاتها التي يغلب فيها الجانب النظري على حساب الخبرة العمليّة والتطبيقيّة، وذلك بسبب ضعف الإمكانات المتاحة للتدريب، وتردّد كلّ من الحكومة والمشروعات الخاصة في تخصيص موارد للتدريب. كما تعاني هذه المؤسّسات من تدنّي مستوى الكفاءة العلميّة والمهنيّة للمعلمين ومن نقص في أعدادهم في آن. فالمعلمون هم عادةً من خرّيجي الثانوي الفنّي الذين لم يكتسبوا خبرة عمليّة كافية تمكّنهم من القيام بمهام التدريس في هذه المؤسّسات. وحتى مَن يقوم بالتدريس من ذوي الخبرة السابقة، لا يتمّ إعدادهم عادةً من خلال التدريب الرسمي، أي على نحو يؤهلهم لكي يكونوا مدرّبين معتمدين.(23)

وتجدر الإشارة إلى أن الكثير من هذه المعاهد الفنّية المتوسطة ذات ملكيّة خاصة، ما يعني سيطرة الأهداف المالية والتجارية على حساب أهداف الارتقاء بنوعيّة الخريجين.

يشكّل الالتحاق بالتعليم الفنّي الفرصة الوحيدة لاستكمال التعليم الثانوي لدى الغالبية العظمى من أبناء الأسر الفقيرة في مصر. ولا يقود هذا التعليم في الغالب الأعم إلى التعليم العالي، ولاسيّما أن 0.5 % من الطلاب فقط ممّن ينتمون إلى الأسر الفقيرة ينهون بنجاح مرحلة الثانوية العامة.

إطار رقم (1) التعليم المهني المتقدّم في السويد

يقوم التعليم المهني المتقدّم في السويد على شكل تعليم متوسّط (بعد الثانوي). وهو يتمّ من خلال التعاون الوثيق بين المشروعات والمؤسّسات التي يتمّ فيها هذا التعليم. ويتمثّل الهدف الرئيس منه في إعداد الدارسين وتأهيلهم في مجالات يتطلّبها سوق العمل.

تقدّم البرامج الدراسيّة مناهج نظرية وعملية تمكّن الدارس من المعرفة والمهارات اللازمة للعمل سواء بشكل مستقلّ(لحسابه) أم بالتعاون مع آخرين في مواقع العمل الحديثة.

يُنفّذ ثلث البرنامج الدراسي في مكان العمل، ويلتحق به خرّيجو المرحلة الثانوية، والأفراد العاملون الذين يرغبون في تطوير مهاراتهم في مجالات محدّدة. وتتراوح مدّة الدراسة بين سنة واحدة إلى ثلاث سنوات.

يمنح البرنامج، ومدّته 40 أسبوعاً أو أكثر، شهادة تعليم مهنّي متقدّمة.

المصدر: المنظمة السويديّة للتعليم المهني المتقدّم.

OECD/WB, Higher Education in Egypt, Reviews of National Policies for Education, 2010.

إطار رقم (2) جوانب الضعف في خصائص خرّيجي التعليم العالي ذات العلاقة بسوق العمل

- محدودية حرية اختيار مجال الدراسة المناسب للمهنة التي يفضّلها طالب التعليم العالي.
- ضعف كفاية الإعداد للتوظف في سوق العمل بسبب التركيز المغالى فيه على المحتوى النظري في المناهج الدراسية، وضعف العلاقة بين مؤسّسات التعليم العالي وقطاعات الإنتاج.
- ضعف خصائص الخريجين في المهارات اللّينة (Soft skills) التي لا توجّه لها مؤسّسات التعليم أهمية تذكر، مثل مهارات الاتصال، العمل الجماعي، حلّ المشكلات، التكيّف مع المستجدات، الجدّية في السلوك والأداء. كما أن عدم اتباع أساليب التدريس التفاعليّة أو تمرّس الأساتذة والمعلمين عليها يسهم في تفاقم جوانب الضعف هذه.
- على الرغم من أن بعض البرامج الدراسيّة المستحدثة (ذات الأعداد القليلة للغاية) تستخدم لغةً أجنبية كلغة أساسيّة للتدريس، إلا أن القاعدة العريضة من الطلبة والطالبات في معظم مؤسّسات التعليم العالي لا يكتسبون إجادة لغة أجنبية أثناء دراستهم ولا تتضمّن مناهجهم هذا الجانب. وهذه الخاصية المهمة تُفقِد خريجي هذه المرحلة التعليميّة ميزة تنافسية في سوق العمل المصري.

المصدر: تمّ تجميع هذه الخصائص من واقع مسوح وزيارات وردت نتائجها في أماكن متفرقة من المرجع التالي:
.OECD & the World Bank. Higher Education in Egypt. Review of National Policies for Education. 2010

ويتجلّى التدنّي الشديد في مستوى تعليم خرّيجي هذه المؤسّسات في ارتفاع معدلات التسرّب فيها، وعدم الاعتراف بالشهادات التي يمنحها عدد كبير منها، فضلاً عن ضعف قدرة خرّيجيها على الحصول على وظائف في عالم العمل (24). ولعلّ ما تمّت الإشارة إليه حول تراجع معدلات التحاق الطلبة بالمعاهد الفنّية المتوسطة الخاصة والكلّيات التكنولوجيّة الحكومية منذ بداية العقد الماضي، يعود في الغالب إلى كلّ هذه المشكلات.

لعلّه من الضرورة بمكان توجيه جهد فائق للارتقاء بمستوى التعليم والتدريب في معاهد التعليم الفنّية والتكنولوجيّة في مصر، خصوصاً إذا ما تمّ الاطّلاع على نماذج متميّزة من هذا التعليم في بعض الدول التي حققت نجاحاً فيه(**الإطار رقم 1**).

2-3-5 مستوى خرّيجي التعليم العالي في مصر

بالاستناد إلى نتائج زيارات ومسوح ميدانية أجريت على طلبة وخريجين في **مؤسّسات التعليم العالي** المختلفة (جامعية وغير جامعية)، يلخّص **الإطار رقم** 2 أهمّ خصائص خرّيجي **التعليم العالي** التي يمكن أن تشكّل خللاً في العلاقة مع احتياجات **سوق العمل**.

2-3-6 تنافسية نظام التعليم العالي في مصر على المستوى العالمي

يعدّ التعليم العالي أحد أهمّ المعايير الرئيسة التي يستخدمها **تقرير التنافسيّة الدولية** لقياس مستوى التنافسيّة لعدد كبير من دول العالم. وبحسب **تقرير التنافسية الدولية للعام** 2009/ 2010 تُصنَّف مخرجات التعليم في منطقة "الشرق الأوسط وشمال أفريقيا" في مرتبة متأخرة عن دول أخرى وبالذات تلك التي لديها أداء جيّد في مجال الصادرات. أمّا في حالة **مصر** فالتناقض الحادّ بين الزيادة المطّردة في أعداد الطلبة مقابل التدهور الملحوظ في النوعية تؤكّده مؤشرات تقرير التنافسية. وكما يظهر **الجدول رقم** 11(الذي يتضمّن تفاصيل المؤشرات الخاصة بالتعليم العالي لمصر)، يبدو ترتيب **مصر** متقدمّاً نسبياً إذا ما قيس بمؤشّر معدّل القيد في **التعليم العالي** (78 **من بين 139 دولة**)، إلا أن ترتيبها يتدنّى قياساً بمؤشّر **نوعية نظام التعليم** إلى **المرتبة** 131.



3 -العلاقة بين مخرجات التعليم وسوق العمل: التشغيل والبطالة

يتبلور الاختلال المصاحب لانتقال المتعلمين من نظام التعليم إلى سوق العمل في أشكال مختلفة وعلى رأسها واحدة من أهمّ المشكلات الاقتصادية والاجتماعية التي تواجه المجتمع المصري وهي مشكلة البطالة عموماً وبطالة الشباب المتعلّم خصوصاً.

3-1 قوة العمل والإسهام في النشاط الاقتصادي

بلغ حجم قوة العمل في مصر العام 2010 حوالي 62.2 مليون فرد. وتراوح معدل النموّ السنوي خلال الفترة 2007 – 2010 بين 2.8 % ، 3.3 %. ويعرض **الجدول رقم** (12) صورة مختصرة عن السكان وقوّة العمل وتطوّرها ومعدل الإسهام في النشاط الاقتصادي (نسبة قوة العمل إلى إجمالي السكان)، مع التمييز في كلّ حالة بين الذكور والإناث.

يظهر الجدول الانخفاض الشديد لنصيب الإناث في قوة العمل في **مصر**. وحتى العام 2010، فإن النسبة للإناث تقلّ عن 1/4 **قوة العمل**، بينما يتسيّد الذكور بمعدل 77 %. وينعكس ذلك أيضاً في معدل إسهام الإناث في النشاط الاقتصادي، حيث لا تتعدّى هذه النسبة 15.7 %، بينما ترتفع لدى الذكور إلى 50 % في العام 2010.

وبسبب انخفاض معدل الإسهام في النشاط الاقتصادي لقوة العمل وارتفاع نسبة البطالة، بلغت نسبة المشتغلين إلى إجمالي السكان 24.3 % فقط في العام 2010، وانخفضت في حالة الإناث إلى 12.2 %. ويتضح أكثر مدى التدنّي الكبير في الإسهام بالنشاط الاقتصادي

جدول (11) مكانة التعليم العالي والتدريب في مصر وفقاً لتقرير التنافسيّة الدولية

المؤشرات	الترتيب من بين 139 دولة
معدل القيد في التعليم الثانوي	90
معدل القيد في التعليم العالي	78
نوعية نظام التعليم العالي	131
نوعية تعليم العلوم والرياضيات	125
نوعية مدارس الإدارة	122
توفّر شبكة المعلومات في المدارس	96
توفّر تسهيلات خدمات البحث والتدريب محلياً	64
درجة تدريب المعلمين	112

المصدر:
World Economic Forum. The Global Competitiveness Report. 2009-2010. Geneva. Switzerland 2009.

عموماً(عدد المشتغلين/إجمالي قوة العمل) في مصر، وللنساء على وجه الخصوص من خلال المقارنة بين معدلات الإسهام في مصر في المتوسط العالمي والمعدل في بعض أقاليم العالم (**جدول رقم** 13). بحيث تظهر البيانات أن معدل الإسهام في النشاط الاقتصادي لمصر شديد الانخفاض (33.8 %) وأقل بكثير من الأقاليم كافة المبيّنة في الجدول، كما يكاد يصل المعدل إلى نصف المعدل العالمي (65.3 %). ومن اللافت حقاً أن إسهام الإناث في النشاط الاقتصادي في **مصر** بالغ الانخفاض إذا ما قورن بأيّ إقليم آخر في العالم.(*) كما يمثّل المعدل للإناث في مصر نحو 30 % فقط من المعدل العالمي!!

ويوضح **الشكل رقم** (12) قطاعات التوظيف المستوعبة لجملة المشتغلين في مصر. ويلاحظ أن القطاع الخاص خارج المنشآت

* على الرغم من أن إقليم الشرق الأوسط وشمال إفريقيا الذي يضمّ معظم الدول العربية ينخفض فيه معدل الإسهام في النشاط الاقتصادي مقارنةً بأقاليم العالم الأخرى ، إلا أن معدلات مصر تقلّ أيضاً عن المعدلات المناظرة في هذا الإقليم العربي.

جدول (12) السكان وقوة العمل في مصر

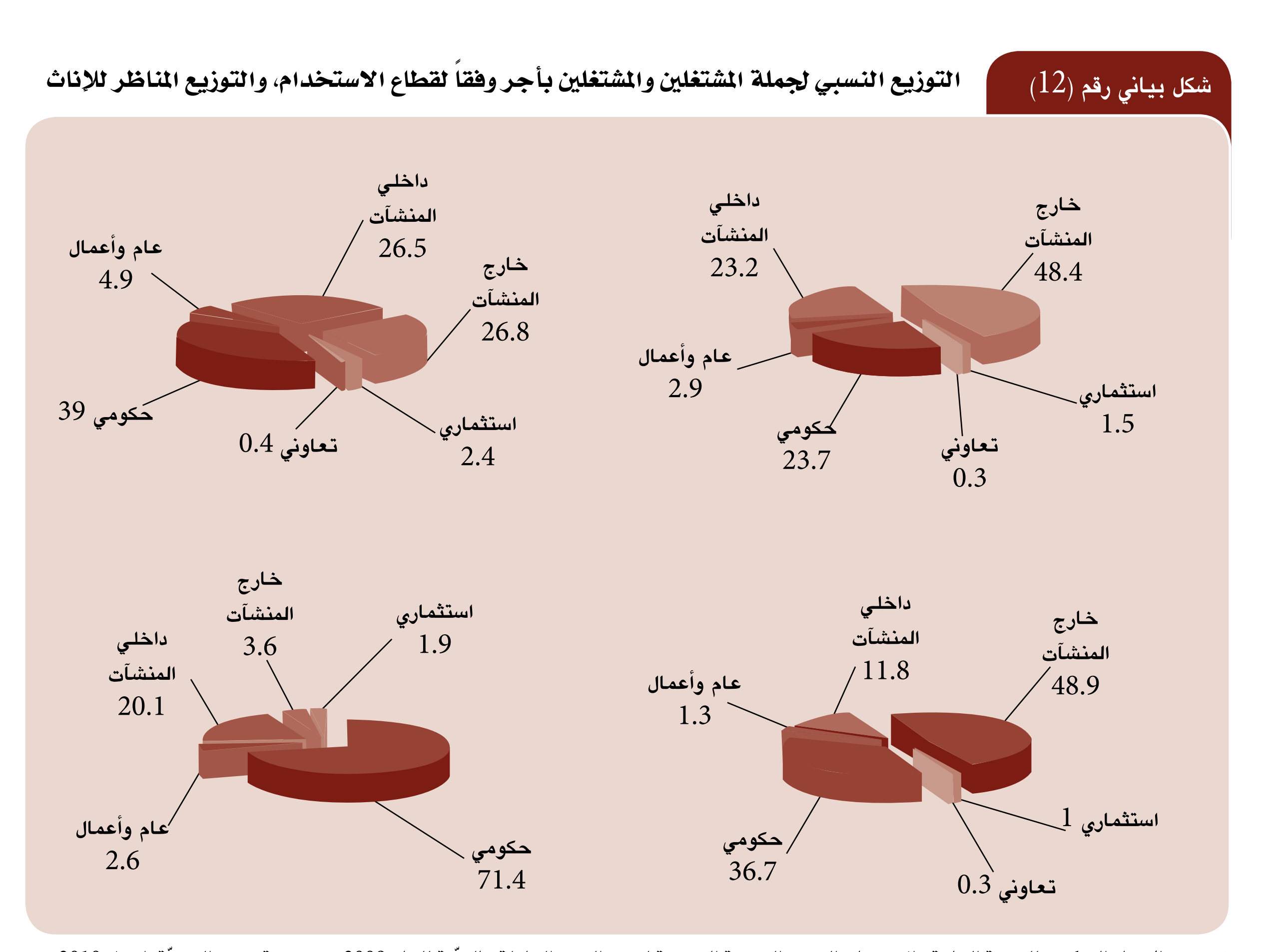
	2007	2008	2009	2010
عدد السكان بالألف				
(ذ)	37643	38413	39277	40250
(أ)	36000	36780	37546	38478
(ج)	73643	75194	76823	78728
قوة العمل بالألف				
(ذ)	18167	19120	19410	20140
(أ)	5692	5531	5943	6040
(ج)	23859	24651	25353	26180
معدل الإسهام في النشاط الاقتصادي				
(ذ)	48.3	49.8	49.4	50
(أ)	15.8	15	15.8	15.7
(ج)	32.4	32.8	32.8	33.8
عدد المشتغلين بالألف				
(ذ)	17090	18041	18397	19153
(أ)	4634	4465	4578	4676
(ج)	21724	22506	22975	23829
عدد المشتغلين / السكان				
(ذ)	45.4	47	46.8	47.6
(أ)	12.9	11.6	12.2	12.2
ج	23.2	24	23.9	24.3

المصدر: الجهاز المركزي للتعبئة العامة والإحصاء، مصر في أرقام، 2011.

يستوعب ما يقرب من نصف المشتغلين في سوق العمل المصري (48.4 %). وهذا القطاع يضمّ المشتغلين بالنشاط الزراعي والأنشطة غير الرسمية خارج المنشآت. وبالنسبة إلى الإناث يعدّ العمل خارج المنشآت أيضاً المصدر الأساسي للتوظيف(*). ولكن نسبة الإناث المشتغلات في القطاع الحكومي إلى إجمالي المشتغلات (36.7 %) أعلى بكثير من

* ارتفاع نسبة النساء المشتغلات في هذه الفئة يرجع إلى أن بحث العمالة بالعيّنة يأخذ في اعتباره نشاط المرأة الزراعي غير المرئي الذي لم يكن يحسب من قبل ضمن الإحصاءات الرسمية.

شكل بياني رقم (12) التوزيع النسبي لجملة المشتغلين والمشتغلين بأجر وفقاً لقطاع الاستخدام، والتوزيع المناظر للإناث



المصدر: الجهاز المركزي للتعبئة العامة والإحصاء، النشرة السنوية المجمعة لبحث القوى العاملة بالعيّنة للعام 2009، جمهورية مصر العربيّة، إبريل 2010.

النسبة المناظرة للذكور(23.7 %). ويلاحظ، إذا ما تمّ الأخذ في الاعتبار المشتغلين مقابل أجر وليس جملة المشتغلين (**شكل رقم** 15) أن غالبية النساء المشتغلات مقابل أجر (71 %) يعملن في القطاع الحكومي. هذا في حين تبلغ نسبة الذكور المشتغلين بأجر في القطاع الحكومي 39 % فقط. كما يعدّ القطاع الحكومي المستخدم الرئيسي للعمالة التي تعمل بأجر سواء من الإناث أم الذكور. أمّا القطاعات الحديثة في الاقتصاد فهي لا تخلق إلا قدراً محدوداً من فرص العمل سواء لجملة المشتغلين (1.5 %) أم للمشتغلين مقابل أجر (2.4 %). وكذلك القطاع العام، الذي تراجع إسهامه في خلق فرص العمل إلى حدّ كبير وأصبح في العام 2009 لا يستوعب سوى 2.9 % من جملة المشتغلين، و4.9 % من المشتغلين بأجر.

2-3 مستوى تعليم السكان وقوّة العمل في مصر

من المتوقّع أن تنعكس الزيادة المطّردة في **التعليم الثانوي والعالي** التي تحقّقت على مدى العقود الماضية على مستوى تعليم السكان وقوّة العمل في **مصر**، وذلك على الرغم من أن 62 % من السكان في مصر يقلّ مستوى تعليمهم عن المتوسط، وأن حوالى 42 % هم أميّون أو شبه أميّين (يقرأ ويكتب ربما وفقاً لمعايير غير دقيقة)، وذلك مبيّن في **الجدول**

بلغت نسبة المشتغلين في مصر إلى إجمالي السكان 24.3 % فقط في العام 2010، وانخفضت في حالة الإناث إلى 12.2 %. ويمثل معدل إسهام الإناث في النشاط الاقتصادي في مصر نحو 30 % فقط من المعدل العالمي!!

رقم (14). في المقابل فإن أصحاب التعليم العالي لا تتعدّى نسبتهم 9.6 % من السكان (10 **سنوات فأكثر**). وترتفع النسبة لدى أصحاب التعليم المتوسّط ودون الجامعي لتصل إلى أكثر من 4/1 السكان (28 %). فيما معدلات التعليم للإناث أدنى من تلك العائدة للذكور في المستويات كافة، وباستثناء الأميّين الذين تفوق نسبة الإناث بينهم بكثير (37 %) تلك العائدة للذكور (22 %).

أمّا في ما يتعلق بمستوى تعليم قوّة العمل والذي يعبّر عن مدى تمتّع قوة العمل المصرية بمستوى عالٍ من المعرفة والمهارات الموظّفة لمصلحة النشاط الاقتصادي، فيوضحه أيضاً **الجدول رقم** (14). بحيث يلاحظ ارتفاع مستوى تعليم قوة العمل مقارنةً بالسكان (10 **سنوات فأكثر**)، وهو أمر منطقي، إذ يفترض أن يكون التعليم عاملاً محفزاً على الإسهام في النشاط الاقتصادي. وعلى الرغم من ذلك، فإن المتعلمين تعليماً عالياً لا يمثلون سوى 18 % من إجمالي قوة العمل، في حين لا تزال السيطرة على قوة العمل للأميين وشبه الأميّين معاً (45 %)، وترتفع النسبة إلى 55 % إذا ما انضمّ إلى هذه الفئة ذوو التعليم الأقل من المتوسّط. أما المتعلّمون تعليماً متوسطاً فلا تزال أهميتهم النسبيّة في قوّة العمل أهمّ بكثير من تلك العائدة لذوي التعليم العالي، حيث يبلغ إسهامهم في قوّة العمل ضعف إسهام خرّيجي التعليم العالي. ويظهر **الجدول رقم** (14) ارتفاع نسبة الأميّين وشبة الأميّين في حالة المشتغلين، مقابل انخفاض نسبة المتعلمين من كلّ الفئات؛ وهو الأمر الذي قد يفسّر بنمط البطالة السائد، وبقضية البطالة في مصر بوصفها أحد الاختلالات الأساسية بين مخرجات التعليم وسوق العمل.

في مقارنة معدلات الإسهام في النشاط الاقتصادي لمصر والمعدل في بعض أقاليم العالم، يبدو معدل مصر شديد الانخفاض (33.8 %) ويكاد يصل إلى نصف المعدل العالمي (65.3 %).

جدول (14) **توزيع السكان وقوة العمل والمشتغلين في مصر وفقاً لمستوى التعليم والنوع البشري** (2009)

	أمي	يقرأ ويكتب	أقلّ من المتوسط	متوسط وأقلّ من الجامعي	جامعي فأعلي
السكان*: ذ	22.3	14.6	20.8	31	11.1
أ	37.3	11.2	18	25.5	7.9
ج	29.6	12.90	19.40	28.3	9.6
قوّة العمل: ذ	24.8	11.4	11.3	36.7	15.8
أ	31.2	3.4	3.8	35.9	25.6
ج	26.3	9.5	9.5	36.5	18.1
المشتغلون: ذ	26	12	11.7	35.7	14.6
أ	39.3	4.1	3.7	29.7	23.1
ج	28.7	10.4	10.1	34.5	16.3

* السكان 10 سنوات فأكثر.

المصدر: الجهاز المركزي للتعبئة العامة والإحصاء، النشرة السنويّة المجمعة لبحث القوى العاملة بالعيّنة للعام 2009، جمهورية مصر العربيّة، إبريل 2010.

3-3 نمط البطالة في مصر

يتفاوت نمط البطالة في مصر كثيراً من حيث العلاقة بفئات العمر والجندر (ذكور/إناث). ووفقاً للتقديرات الرسمية، فإن إجمالي عدد المتعطلين عن العمل بلغ في **مصر** العام 2009 نحو 2.4 **مليون** فرد، ومعدل البطالة 9.4 %. وتتفاوت الأهمية النسبية لعدد المتعطّلين تفاوتاً كبيراً وفقاً لفئات العمر. إذ تستوعب مرحلة الشباب من **سنّ** 15 **إلى** 29 **سنة** 84 % من جملة المتعطّلين. بينما لا يتجاوز عدد المتعطّلين للفئات الأكبر سناً (30 **سنة فأكبر**) 16 % من إجمالي المتعطّلين. هذا مع ملاحظة أن الفئة الأولى (الشباب) تمثّل 36.9 % فقط من قوة العمل، بينما تمثّل الفئة الثانية (الكبار) 63.1 % من قوّة العمل. ويتّضح هذا التضاد بقوّة في **الشكل رقم** (13).

ويلاحظ من **الجدول رقم** (15) تركّز النسبة الأعلى للمتعطلين في فئة العمر (20 **إلى أقلّ من 25 سنة**). وتستوعب هذه الفئة بمفردها 46.7 % من إجمالي المتعطّلين.

ويتفاوت نمط البطالة في مصر أيضاً



شكل بياني رقم (13) **التوزيع النسبي للمتعطّلين ولقوّة العمل وفقاً لفئة الشباب والكبار** (2009)

	النسبة للمتعطّلين	النسبة لقوّة العمل
الشباب 15 – 19	84	36.9
الكبار 30 – 65 +	16	63.1

المصدر: الجهاز المركزي للتعبئة العامة والإحصاء، مصدر سابق، جدول رقم (17).

تفاوتاً شديداً بين الذكور والإناث، ولكنهما يشتركان إلى حدّ كبير في تركّز العدد الأكبر من المتعطلين في فئة الشباب. وعلى الرغم من الانخفاض الشديد في نصيب الإناث في قوّة العمل (أقلّ من 4/1 **قوة العمل**)، إلا أنهنّ يشكّلن أكثر من نصف عدد المتعطّلين (57.4 %). في حين يبلغ نصيب الذكور في قوّة العمل أكثر من 3 / 4، إلا أنهم يشكّلون 42.6 % من المتعطّلين. وفي حين يتركّز المتعطلون من الذكور والإناث في فئة الشباب (15 – 29 **سنة**)، تتركز بطالة حوالي 92 % من الذكور في سنّ الشباب في هذه الفئة، مقابل نسبة 78 % فقط للإناث. ويعني ذلك أن مشكلة البطالة في حالة الرجال تنتهي تقريباً بعد انتهاء مرحلة الشباب، إلا أنها في حالة النساء تظلّ على الرغم من انخفاضها ذات أهمية بعد مرحلة الشباب، بحيث تستمرّ نسبة لا بأس بها منهنّ (21.8 %) في البحث عن عمل حتى بعد انقضاء مرحلة الشباب.(25)

تميّز الإحصاءات الرسميّة عن **سوق العمل في مصر** بين نوعين من المتعطّلين: متعطّلون سبق لهم العمل، ومتعطّلون لم يسبق لهم العمل أو أنهم ملتحقون جدد بسوق العمل. والنتيجة في هذه الحالة لا تختلف كثيراً عنها في حالة المتعطّلين من الشباب ومن الكبار. ذلك لأن المتعطّلين الجدد في سوق العمل يكونون عادةً من المتخرجين الشباب الباحثين لأول مرّة عن فرصة عمل. وفي حالة النساء تتألف غالبية المتعطّلات من نساء لم يسبق لهنّ العمل، إلا أن نسبة لا بأس بها منهنّ هي من فئة متعطّل سبق له العمل (21.6 %). وهذه النسبة تبلغ ضعف نسبة الذكور تقريباً (10.8 %). ويفسّر ارتفاع هذه النسبة أيضاً بوجود عدد غير ضئيل من النساء المتعطّلات بعد تجاوزهنّ

يرتفع مستوى تعليم قوة العمل مقارنةً بالسكان (10 سنوات فأكثر)؛ وعلى الرغم من ذلك، فإن المتعلمين تعليماً عالياً لا يمثلون سوى 18 % من إجمالي قوة العمل، في حين لا تزال السيطرة على قوة العمل للأميّين وأشباه الأميّين معاً (45 %)، وترتفع النسبة إلى 55 % إذا ما انضمّ إلى هذه الفئة ذوو التعليم ما دون المتوسّط. أما المتعلّمون تعليماً متوسطاً فلا تزال أهميتهم النسبيّة في قوّة العمل أهمّ بكثير من تلك العائدة لذوي التعليم العالي.

جدول (15) **التوزيع النسبي للمتعطّلين ولقوة العمل وفقاً لفئات العمر**

	15 -	20 -	25 -	30 -	40 -	50 -	60 -	65 +
% المتعطلون	16.3	46.7	21	7.7	4.3	4	0	0
% قوّة العمل	6.9	16.2	13.8	21.6	21.9	15.3	2.7	1.6

مرحلة الشباب. إذ إن النساء غالباً ما ينسحبن من سوق العمل للزواج ولتكوين أسرة، إلا أنه من المحتمل كذلك عودة بعضهنّ مرّة أخرى إلى سوق العمل بعد انتهاء مسؤوليات الزواج والأمومة.

يتفاوت نمط البطالة في مصر تفاوتا شديداً بين الذكور والإناث، ولكنهما يشتركان إلى حدّ كبير في تركّز العدد الأكبر من المتعطلين في فئة الشباب. وتتركز بطالة حوالي 92 % من الذكور في سن الشباب، مقابل نسبة 78 % فقط للإناث. وفي حين يتركّز المتعطّلون الجدد في سوق العمل لدى المتخرجين الشباب الباحثين لأول مرّة عن فرصة عمل، تتألف غالبية المتعطّلات في حالة النساء من نساء لم يسبق لهنّ العمل.

والسؤال الآن: هل يعدّ هذا النمط من البطالة في مصر شائعاً في أقاليم العالم المختلفة؛ أم أن لمصر خصوصية معيّنة في هذا الشأن؟

يقدّم الجدول رقم (16) جواباً عن هذا السؤال، حيث تتمّ المقارنة بين معدلات البطالة للذكور والإناث وللشباب والكبار في **مصر** وفي مناطق مختلفة من العالم. والارتفاع الحاد في معدلات بطالة الإناث في مصر مقارنةً بالذكور لاتضاهيه أيّ منطقة أخرى في العالم، أو في مجموعة الدول المتقدّمة. أمّا معدلات البطالة المرتفعة للشباب في **مصر** فهي أيضاً غير قابلة للمقارنة بالمناطق الأخرى أو بالمتوسط العالمي، وذلك على الرغم من ارتفاع المعدل للشباب مقارنةً بالمعدل للكبار في جميع المناطق. غير أن الفارق بين المعدلين في حالة مصر يبلغ ضعف الفارق تقريباً لأكثر الأقاليم تفاوتاً.

4-3 العلاقة بين البطالة ومستوى التعليم في مصر والعالم

يفترض أن يؤدّي ارتفاع مستوى التعليم إلى معدلات أعلى للتوظيف ومعدلات بطالة أقلّ. من ناحية لأن ارتفاع مستوى التعليم يعكس درجة أعلى من المهارة واكتساب المعرفة ويعزّز من ثمّة تنافسية الفرد في سوق العمل. ومن ناحية أخرى لأن من حصلوا على تعليم عالٍ وقضوا سنوات من عمرهم يستثمرون في رأسمالهم البشري يصبحون أكثر حرصاً على تحقيق عائد معنويّ وماديّ من هذا الاستثمار. والأدلّة تشير إلى أن هذه العلاقة تكون متحققة في حالة الدول المتقدّمة. ففي دول **منظمة التعاون الاقتصادي والتنمية** (OECD) يؤثّر التعليم تأثيراً كبيراً على احتمالات التوظيف. فالأفراد الذين يحملون شهادة التعليم العالي لديهم فرص أكبر للعمل مقارنةً بالآخرين الذين لم يحصلوا على هذا المستوى التعليمي.

جدول (16) **معدلات البطالة في مصر ومناطق مختلفة من العالم وفقاً للنوع البشري والشباب والكبار** (2009)

	دول متقدمة	شرق آسيا	أميركا اللاتينية	أفريقيا جنوب الصحراء	العالم	مصر
ذكور	8.8	5	6.5	7.6	6.2	5.2
إناث	7.9	3.7	9.5	8.3	6.5	23
الزيادة: إناث على الذكور	-0.9 %	-1.3 %	+3 %	+0.7	+0.3	+17.8
شباب	17.4	8.9	15.7	12.1	12.8	25.6*
كبار	7.1	3.5	5.7	6.3	4.8	4.5*
الزيادة: الشاب على الكبار	+10.3	+5.4	+10	+5.8	+8	+21.1

* تمّ تعديل فئة السنّ للشباب لتصبح (15 – 24) ولكي تتّسق مع بيانات منظمة العمل الدولية للمناطق المختلفة في العالم

المصدر: 1 . الجهاز المركزي للتعبئة العامة والإحصاء، مرجع سابق.
2. ILO. Global Employment Trends. 2011.



شكل بياني رقم (14) **العلاقة بين معدل البطالة ومستوى التعليم في مصر ودول منظمة التعاون والتنمية** (OECD) (2009)

مستوى التعليم
جامعي وأعلى: مصر 18.4، OECD 3.2
متوسط وأقل من جامعي: مصر 14.3، OECD 4.9
أقل من متوسط: مصر 1.8، OECD 8.7
0 5 10 15 20
مصر
OECD

المصدر: 1. الجهاز المركزي للتعبئة العامة والإحصاء، النشرة السنوية المجمعة لبحث القوى العاملة بالعيّنة، جمهورية مصر العربيّة، إبريل 2010.
2. OECD. Education at a glance. OECD Indicators. 2010.

وفي المتوسط فإن 85 % من السكان ذوي التعليم العالي يشتغلون، وترتفع النسبة إلى أكثر من 90 % في كلّ من **النرويج وسويسرا**. كذلك في جميع **دول المنظمة**، فإن الأفراد الذين يحملون مؤهل تعليم ثانوي وأعلى من الثانوي ودون الجامعي، تكون احتمالات توظيفهم أعلى بكثير من الحاصلين على درجة تعليميّة أدنى. علاوة على ذلك، فإن الفجوة في معدلات التوظيف بين الذكور والإناث تتضاءل كثيراً لدى الحاصلين على مستوى تعليم عالٍ. ففي المتوسط **لمجموعة دول** OECD، يكون معدل التوظف للإناث ذوات التعليم ما دون الثانوي، أقلّ بعدد 23 **نقطة مئوية** عن المعدل المناظر للذكور. بينما تنخفض هذه الفجوة في مستوى التعليم العالي **لتصبح** 10 **نقاط مئوية** فقط. أمّا بالنسبة إلى البطالة فالعكس هو الصحيح في ما يتعلّق بهذه الدول، حيث ينخفض معدّل البطالة مع ارتفاع مستوى التعليم(26).

أمّا في مصر فيظهر **جدول رقم** (17) العلاقة بين معدل البطالة ومستوى التعليم، حيث يلاحظ وجود علاقة طردية شديدة الوضوح بينهما. فيرتفع المعدل من 1.2 % للأميّين إلى أعلى مستوى له(18.4 %)للمتعلمين تعليماً

جدول (17) **معدلات البطالة في مصر وفقاً لمستوى التعليم** 2009 **(العدد بالمئات)**

	أمي	يقرأ ويكتب	أقل من المتوسط	متوسط عام	متوسط فني	فوق المتوسط وأقل من الجامعي	جامعي فاعلي	جملة
عدد المتعطلين	771	352	960	380	11112	1762	8444	23781
قوة العمل	66678	24211	24127	4037	77166	11364	45950	253533
معدل البطالة	1.2	1.5	4	9.4	14.4	15.5	18.4	9.4

المصدر: الجهاز المركزي للتعبئة العامة والإحصاء، النشرة السنوية المجمعة لبحث القوى العاملة بالعيّنة للعام 2009، جمهورية مصر العربيّة، إبريل 2010.

التعليم

عالياً. ويكشف **الشكل رقم** (13) عن هذا التضاد بين طبيعة العلاقة الطردية بين مستوى التعليم ومعدل البطالة في مصر، والعلاقة العكسية في حالة دول منظمة التعاون الاقتصادي والتنمية.

4 ملاحظات ختامية حول العلاقة بين التعليم العالي وسوق العمل

بطالة الشباب ذات المعدلات المرتفعة، ولو مقارنة بمعظم أقاليم العالم وبالمتوسط العالمي، هي في الأساس بطالة بين خرّيجي نظام التعليم المتوسط والعالي. فهؤلاء، وفقاً لإحصاءات **الجهاز المركزي للتعبئة العامة والإحصاء**، يشكّلون 91.4 % من جملة المتعطّلين في **العام** 2009. كما أن معدلات البطالة ترتفع لديهم كثيراً عن المعدلات المسجلة لغير المتعلمين. وقد دعا هذا الارتباط الطردي بين مستوى التعليم ومعدل البطالة الكثيرين للاعتقاد بأن وجود البطالة يرجع إلى نظام التعليم أساساً وإلى كثرة خريجي هذا النظام وجوانب القصور المختلفة فيه. وعلى الرغم من أن هذا الاستنتاج يعبّر عن جزء من الحقيقة، إلا أنه يتجاهل جانباً ربما أكثر أهمية من الظاهرة يتعلق بجوانب القصور في سوق العمل وفي الاقتصاد المصري ذاته.

يرتفع معدل البطالة في مصر من 1.2 % للأميّين إلى 18.4 % للمتعلمين تعليما عالياً. ما يعني وجود تضاد بين مستوى التعليم ومعدل البطالة في مصر، فيما العلاقة عكسية في دول منظمة التعاون الاقتصادي والتنمية.

4-1 جانب التعليم العالي

بالنسبة إلى جانب التعليم العالي فقد رُصدت جوانب قصور مختلفة في **نظام التعليم العالي** في **مصر** والتي يمكن أن تؤثّر سلباً على أوضاع الخريجين في **سوق العمل**. فاطراد الزيادة في عدد الطلاب المقيّدين في **التعليم العالي** وخرّيجي هذا التعليم يعني بالتأكيد تزايد المعروض في **سوق العمل** من حملة المؤهلات العليا الباحثين عن عمل، ومن ثم التأثير الموجب على معدل البطالة لديهم. وبسبب هذه الأعداد الكبيرة الباحثة عن عمل فقد أظهرت نتائج مسوح مختلفة أن أصحاب العمل لا يواجهون أيّ مشكلة في تعيين احتياجاتهم من المشتغلين في التخصّصات المختلفة. بحيث تقدّر نتائج مسح أجرته منظمة العمل الدوليّة حول سوق العمل في مصر(2007) أن 81 % من المستخدمين لا يواجهون أيّ مشكلة في الحصول على احتياجاتهم من العمالة.(27) وتكشف نتيجة مسح آخر حديث(2009) أن حوالى91 % من أصحاب العمل في عيّنة البحث لم يواجهوا أيّ مشكلة خلال السنوات الخمس الماضية في الحصول على مشتغلين يحملون التخصّص المطلوب.(28) والنتيجة إذاً، أن سوق العمل في **مصر** أصبح سوق مشترين يسيطر عليه جانب الطلب، ويستفيد أصحاب العمل من وجود هذا الفائض في المعروض بتحديد أقلّ أجور للعمالة المعيّنة حديثاً.

وتزايد أعداد الملتحقين في **التعليم العالي** في **مصر**، وتطلّع الشباب المصري للاستمرار في التعليم حتى مراحله العليا هو اتجاه إيجابي من دون شك، في عصر أصبح التعليم العالي فيه مكوّناً أساسياً للنهضة والتقدّم العلمي والتكنولوجي. ولكن المشكلة ليست في تزايد أعداد الطلبة المقيّدين في حدّ ذاته، ولكن في ما يصاحب ذلك من تراجع في ميزانية التعليم العالي ومن غياب الملاءمة بين تزايد الأعداد والإمكانات البشريّة والماديّة المتاحة لمؤسّسات التعليم. ما يعني أن ما يصل سوق العمل من خرّيجين يمثّل تدفقاً كبيراً من الأعداد ومستوى متواضع الجودة من التعليم.

ووفقاً للخطة الاستراتيجيّة لوزارة التعليم العالي، من المتوقع زيادة معدل القيد الإجمالي من 27.7 % في العام 2006/ 2007 إلى 35 % – 40 % في 2021/ 2022. وأخذاً في الاعتبار، معدلات النموّ السكاني في **مصر**، يعني ذلك زيادة في أعداد الطلبة من 2.6 **مليون** إلى 3.4 وحتى 3.9 **مليون**. ما سوف يؤدّي إلى مزيد من التدهور في مستوى التعليم وعدم ملاءمته لمتطلبات سوق العمل الحديث، نظراً لتواضع



الميزانيات المخصّصة للمؤسّسات الحكومية، وغلبة الدافع التجاري في المؤسّسات الخاصة التي من المتوقع في مثل هذه الظروف تكاثرها بمعدلات عالية.

علاوة على ذلك، فإن الزيادة في أعداد المقيّدين في **التعليم العالي** وبالتالي في المعروض من مخرجات التعليم في **سوق العمل**، ليست زيادة متوازنة. إذ تركّزت خلال العقد الأخير على التعليم الخاص في مقابل التعليم الحكومي، وعلى التعليم غير الجامعي مقابل التعليم الجامعي. وداخل التعليم الجامعي الحكومي الذي لازال يستوعب الجانب الأكبر من طلاب التعليم العالي، انصبّ التركيز على التخصّصات النظرية في مقابل التخصّصات العملية، وعلى نوعيات أدنى من التعليم الجامعي مثل **التعليم المفتوح** في مقابل **التعليم النظامي**. وربما يفسر ذلك تغيّر نمط البطالة خلال السنوات القليلة الماضية كما لوحظ سابقاً، بعدما أصبح المعدل أعلى في حالة حاملي شهادة **التعليم العالي**، وأقلّ (على الرغم من ارتفاعه أيضاً) للعمالة ذات التعليم المتوسط. ويمكن تفسير هذا التغيّر بالتوسع السريع الذي رصد من قبل في عدد المعاهد العليا الخاصة والنموّ المرتفع في عدد الطلاب المقيّدين فيها. هذا مع العلم أن القلة من هذه المؤسّسات فقط تتمتّع بنوعية جيدة من التعليم.

يعتقد كثر أن البطالة في مصر تعود إلى نظام التعليم أساساً وإلى كثرة خريجي هذا النظام وجوانب القصور المختلفة فيه. إلا أن هذا الاعتقاد يعبّر عن جزء من الحقيقة فقط، لكونه يتجاهل جوانب القصور في سوق العمل وفي الاقتصاد المصري نفسه.

إلى جانب ضعف نظام التعليم العالي في علاقته **بسوق العمل**، ثمة تركيز هذا النظام بشكل مبالغ فيه على التخصّصات النظرية في مقابل التخصّصات العملية داخل الجامعات الحكوميّة. وقد انصبّ الاهتمام مؤخراً على التعليم المفتوح المعروف عنه أنه لا زال يفتقد إلى الكثير من المقدمات المعروفة **للتعليم المفتوح** جيد المستوى. لذا تتوارى مكانة خرّيجيه في **سوق العمل** إلى حدّ كبير مقارنةً بخرّيجي التعليم الجامعي النظامي. فقد اتّضح مثلاً من **مسح مركز المعلومات ودعم اتّخاذ القرار**، أن خرّيجي الجامعات والمعاهد العالية الذين ينتظرون فترات طويلة قبل الالتحاق بوظيفة في **سوق العمل**، ترتفع نسبتهم كثيراً في حالة خريجي الكليات النظرية مثل الحقوق (60 %) ودار العلوم (57 %). كما بلغت نسبة الخريجين الذين لم يساعدهم تخصّصهم في الحصول على فرصة عمل مرضية حوالى 40 % من إجمالي الخريجين المشتغلين. ولكن هذه النسبة تمّ تجاوزها أكثر لدى خرّيجي الكليات النظرية، مثل كليات ومعاهد الإعلام والحقوق ودار العلوم والتجارة.(29)

بناءً على ما سبق، وبالنظر إلى مختلف جوانب القصور التي تمّ تناولها في الجزء الثاني من الدراسة، يصبح من الضروري من أجل الارتقاء بمستوى **التعليم العالي في مصر** ومن أجل تحقيق قدر أكبر من الملاءمة مع احتياجات **سوق العمل** الحديث والتنمية عموماً، مراعاة ثبوت عدم جدوى سياسة معادلة أولوية **التعليم العالي** بالتوسّع الكمّي فقط وبصرف النظر عن مضمون هذا التوسع وانعكاساته على مستوى التعليم. لذلك، وفي ضوء معدّل النموّ السكّاني المتوقّع **لمصر** (والذي لا يزال مرتفعاً إلى حدّ ما)، وتطلّع المجتمع المصري عموماً والشباب خصوصاً للحصول على مستويات تعليميّة عالية، يمكن اقتراح المحافظة على معدّل القيد الحالي في **التعليم العالي** مستقبلاً، والذي تقدّره البيانات الرسمية في حدود 30 %، وعدم الانسياق وراء الخطط التي كانت موضوعة من قبل للارتفاع بمعدل القيد إلى 35 – 40 %. هذا مع الالتزام في الوقت عينه بعدد من المتطلّبات الأساسيّة، منها على سبيل المثال وليس الحصر:

بيّنت البحوث أن 91 % من أصحاب العمل لم يواجهوا أيّ مشكلة خلال السنوات الخمس الماضية في الحصول على مشتغلين يحملون التخصّص المطلوب. فقد أصبح سوق العمل في مصر سوق مشترين يسيطر عليه جانب الطلب، بحيث يستفيد أصحاب العمل من وجود هذا الفائض في المعروض بتحديد أقلّ أجور للعمالة المعيّنة حديثاً.

- التوقف عن اعتبار الاستثمار في التعليم العالي والبحث العلمي عبئاً على ميزانية الدولة، بل استثماراً مستقبليّاً يسهم في تحقيق النهضة التنمويّة **لمصر**، خصوصاً في ظلّ ظروف جديدة مؤاتية لتحقيق هذه النهضة بعد ثورة 25 **يناير**.
- إعطاء دفعة كبيرة لمقوّمات الجودة

والتطوير في التعليم الجامعي والعالي، والحدّ من تكدس الطلاب في الجامعات الحكومية بإقامة جامعات جديدة تتوفّر فيها مقوّمات التعليم الجامعي الحديث، وتسهم في الوقت نفسه في تطوير التعليم في الجامعات القديمة.

- التأكيد على أن تحظى مؤسّسات التعليم العالي العامة والخاصة بالاستقلال في مواجهة كلّ من الدولة ورأس المال الخاص، على أن يتمّ ذلك في إطارٍ من المسؤولية والمحاسبة المجتمعية. وبذلك تتمتّع هذه المؤسّسات بحريات أكبر في التصرف في ميزانياتها، وتوجيه مستويات القبول ونوعيّة الطلاب، واتخاذ القرارات المناسبة لتغيير المناهج وأسلوب التدريس، ومرونة البرامج الدراسية وتفاعلها مع عالم العمل؛ ويستدعي ذلك ابتكار نظم لحثّ أعضاء هيئة التدريس على البحث العلمي وتجديد المناهج وأساليب التعليم والمحاسبة الذاتية في حالة التقصير. مع العلم أنه تمّ مؤخراً، وبعد **ثورة** 25 **يناير**، اتّخاذ خطوة مهمّة نحو استقلال الجامعات، بإدخال تغييرات في أسلوب اختيار القيادات الجامعيّة من رؤساء أقسام إلى عمداء كليات وحتى رؤساء الجامعات. وأصبح الاختيار من خلال نظام الانتخاب وليس بالتعيين المباشر من الوزير أو رئيس الجمهورية. كما سيتمّ في المرحلة القادمة إعادة النظر وتطوير قوانين تنظيم العمل في الجامعات المصرية **وجامعة الأزهر** لتلائم الأوضاع الجديدة التي يتمّ التطلع إليها للارتقاء بالتعليم الجامعي في **مصر**.
- النهوض بالتعليم الفنّي والمهني المتوسط والعالي واعتباره أحد أعمدة التنمية الاقتصادية والنهضة الصناعية والتكنولوجية، ووضع الضوابط لمؤسّسات التعليم الفنّي والمهني الخاصة حتى لا تتمادى في نزعاتها التجارية على حساب مستوى التعليم وبطالة الخرّيجين. فالإرتقاء بجودة هذا التعليم ومكانة خرّيجيه في سوق العمل وفتح المجال أمامهم للالتحاق بمراحل تعليميّة أعلى، كفيل بجذب الطلاب من أصحاب المواهب الذين يقبلون على هذا النوع من التعليم ليس اضطراراً، وإنما بدافع رغبة حقيقية وحماس للدراسة في مجالات فنّية مختلفة.
- الكفّ عن اعتبار **التعليم المفتوح** مجرد نافذة تقلّل الضغط على التعليم النظامي في الجامعات وتتيح فرصة مشاركة الطلاب في تحمّل تكلفة تعليمهم، وضخ أموال إضافية في موازنة الجامعات. والتأكيد في الوقت نفسه على اعتباره نمطاً مرناً للتعليم العالي يتيح فرص التعليم المستمرّ والمرونة في الاستجابة لاحتياجات سوق العمل. ويتطلّب ذلك إعادة النظر في أساليب التعليم ومكوّنات المناهج وفي جوانب القصور المهمّة لهذا التعليم بسبب العجز في التجهيزات الحديثة لتكنولوجيا المعلومات والاتصال.

يقتضي الارتقاء بمستوى التعليم العالي في مصر من جملة ما يقتضيه ذلك، المحافظة على معدّل القيد الحالي في التعليم العالي المقدّر بحدود 30 %، وعدم الانسياق وراء الخطط التي كانت موضوعة للارتفاع به إلى 35 – 40 %.

4-2 - جانب سوق العمل

العلاقة العكسية التي لوحظت سابقاً بين معدل البطالة ومستوى التعليم لقوة العمل لا تخفي مسؤولية **سوق العمل** أو بالأحرى الاقتصاد بأكمله فقط (مسؤولية جزئية على الأقل) عن إرتفاع معدل البطالة بين خريجي **نظام التعليم العالي**، ولكنها تخفي أيضاً عدم الملاءمة بين مخرجات هذا النظام ومتطلّبات سوق العمل. وعلى الرغم من ضرورة إضفاء تغييرات جذرية على **نظام التعليم العالي** في **مصر**، إلا أن هذه التغييرات لا يمكن بمفردها أن تحقّق الاتساق الشامل والمطلوب. فكما لوحظ مثلاً، ربما أسهم التوسّع في **التعليم العالي** غير الجامعي علاوة على **التعليم المفتوح** في الجامعات الحكومية، في تخفيض معدل البطالة بين خرّيجي التعليم المتوسّط. ولكن، ولأن فرص العمل المتاحة للخرّيجين لم تتغيّر كثيراً، انتقلت البطالة المرتفعة من مستوى التعليم المتوسّط إلى مستوى **التعليم العالي**. لذا يركّز الجزء الأخير من هذه الدراسة على تبيان أشكال الخلل والتجزئة في سوق العمل المصري، والتي تسهم أيضاً في ارتفاع معدلات البطالة، خصوصاً أن الحاجة أضحت ملحّة لإجراء تعديلات في استراتيجيّة التنمية من شأنها تحقيق قدر أكبر من الاتساق بين نظام التعليم العالي وسوق العمل.

بالنسبة إلى الانخفاض الشديد لمعدل البطالة بين الأميّين وغير المتعلمين تعليماً متوسطاً وعالياً، يلاحظ انتماء هؤلاء غالباً إلى فئات اجتماعية ذات مستوى دخل منخفض لا يمكّنهم من تحمّل عبء البطالة. وفي غياب أنظمة تعويضات البطالة، تصبح ممارسة أيّ وظيفة، ومهما كان عائدها، أفضل من التعطّل الكامل. لذلك لا تظهر البطالة لدى هذه الفئة في شكلها الصريح، بل تنعكس في انخفاض الانتاجية وممارسة الأعمال الهامشية أو العمل بشكل متقطّع. كما تتّخذ شكل عمالة زائدة في المشروعات العائلية، وبخاصة في أسر المزارعين في الريف. بمعنى آخر، تظهر البطالة بوضوح في الإحصاءات الرسميّة بالنسبة إلى المتعلمين لأنها بطالة صريحة، أمّا بالنسبة إلى غير المتعلمين فالبطالة تكون مقنّعة عادةً وغير مرئية من وجهة نظر التعريفات الرسمية للبطالة.(30)

من ناحية أخرى قد يكون من المفيد التعرف إلى قدرة الاقتصاد المصري على خلق فرص عمل وعلى نوعيّة هذه الفرص ومدى ملاءمتها لمستوى **التعليم العالي**. فقدرة الاقتصاد المصري على خلق فرص عمل جديدة تقلصت عموماً إذا قورنت بالتزايد المستمر في قوة العمل والنموّ في معدلات القيد في التعليم العالي. فقد تراجعت استثمارات قطاع المشروعات العامة تراجعاً كبيراً في إطار التحوّل إلى اقتصاد السوق والسياسات الاقتصادية المصاحبة له، مثل الخصخصة. إذ كان هذا القطاع مستخدماً مهمّاً للعمالة المؤهّلة تأهيلاً عالياً وللعمالة الفنّية الماهرة والإناث منهم على وجه الخصوص. بحيث أسفر هذا التطوّر عن تأثير سلبيّ في الطلب على خرّيجي التعليم العالي والفنّي. وأصاب الضرر الأكبر الإناث بالذات من ذوي التعليم الفنّي، لأن المشروعات العامة لم تكن تمارس سياسة التمييز بين الذكور والإناث.

أسهم التحوّل إلى اقتصاد السوق والسياسات الاقتصادية المصاحبة له، مثل الخصخصة، فضلاً عن تراجع استثمارات قطاع المشروعات العامة، والذي كان مستخدماً مهمّاً للعمالة المؤهّلة تأهيلاً عالياً وللعمالة الفنّية الماهرة والإناث منهم علىٍ وجه الخصوص، في التأثير سلباً لجهة الطلب على خرّيجي التعليم العالي والفنّي. وأصاب الضرر الأكبر الإناث بالذات من ذوي التعليم الفنّي، لأن المشروعات العامة لم تكن تمارس سياسة التمييز بين الذكور والإناث.

وقد أدت التحوّلات نفسها في الاقتصاد المصري إلى التخلّي عن سياسة ضمان تعيّين خريجي التعليم العالي والمتوسط في الوظائف العامة، وإلى تراجع كبير في معدلات التعيين في القطاع الحكومي. فانكمشت بذلك قدرة القطاع الحكومي على خلق فرص عمل جديدة، ولكنه ظلّ على الرغم من ذلك القطاع الأهمّ في تشغيل ذوي المؤهلات العليا، من معلّمين وأطباء وأساتذة جامعيّين وغيرهم من المهنيّين القائمين بالعمل في مؤسّسات الدولة المختلفة. واقتصر التعيين الجديد في معظم الأحوال على الإحلال مكان من أحيلوا إلى التقاعد. أمّا القطاع الخاص الرسمي فقد حقق معدلات نموّ منخفضة في فرص العمل التي يوفّرها، ولم يعوّض نموّه تراجع التعيين في الحكومة والقطاع العام. ويتّسم نشاط هذا القطاع بارتفاع الكثافة الرأسمالية لأنشطته المختلفة وانخفاض كثافة استخدام العمالة. ما يعني أنه حتى مع تحقيق معدلات غير مرتفعة، تكون فرص العمل الناتجة عن هذا النموّ محدودة. هذا مع التذكير بما ورد في الجزء السابق من الدراسة في أن نسبة المشتغلين في القطاع الخاص الحديث في الاقتصاد المصري لا تتعدّى (1.5 %) من إجمالي المشتغلين، أو (2.4 %) من المشتغلين مقابل أجر.

تظهر البطالة بوضوح في الإحصاءات الرسميّة بالنسبة إلى المتعلمين لأنها بطالة صريحة، أمّا بالنسبة إلى غير المتعلمين فالبطالة تكون مقنّعة عادةً وغير مرئية من وجهة نظر التعريفات الرسمية للبطالة.

أمّا من حيث نوعية فرص العمل فقد كشف عدد من الدراسات تواضع نوعية فرص العمل في الاقتصاد المصري. وأظهرت



إحدى الدراسات حول الطلب على العمالة لمستويات مختلفة من التعليم خلال الفترة (2001 – 2005)، أن ثلثي الطلب على العمالة في الاقتصاد المصري يتركّز في العمالة ذات التعليم الأقل من المتوسط (66 % **من إجمالي الطلب**). في حين لا يتجاوز الطلب على حملة مؤهّل التعليم العالي (17.5 %). مع العلم أن الجانب الأكبر من هذا الطلب يرجع إلى احتياجات التشغيل في الوظائف الحكومية. كما أظهرت الدراسة نفسها أن الطلب على وظائف ما يعرف بالاقتصاد الجديد يكون محدوداً للغاية.(30)

في المقابل، قامت إحدى الدراسات التي أجراها **المجلس الدولي للسكان** بتقدير نوعية الوظائف في **سوق العمل** في **مصر**، وذلك بتضمين جوانب مختلفة مرتبطة بنوعيّة الوظيفة والخروج بمؤشّر موحّد للنوعية. وهذه الجوانب تشمل: مستوى رسمية الوظيفة، العائد أو الكسب، نوعيّة مكان العمل، التشغيل الزائد، نقص التشغيل. وقد خرجت الدراسة بنتيجة مهمّة مفادها أن نوعية الوظائف في الاقتصاد المصري لم تتغيّر كثيراً على مدار الزمن، إلا أنها لا تتناسب مع تزايد مستوى مهارة قوّة العمل. وبناء على ذلك فقد تحقّق تدهور ملموس في نوعية الوظائف التي يوفّرها سوق العمل المصري إذا ما أخذ التطوّر المقابل في مستوى التعليم لقوة العمل في الاعتبار. وبناءً على هذه النتيجة يمكن القول إن تقدماً ملموساً قد تحقّق من الناحية الكمّية في نظام التعليم العالي، لكن من دون أن يواكبه تقدّم مماثل في سوق العمل وقدرة قطاعات الإنتاج المختلفة على خلق معدلات عالية من فرص عمل ملائمة.

مع تراجع معدلات التوظيف في القطاع الحكومي والمشروعات العامة، فضلاً عن محدودية فرص العمل التي يخلقها القطاع الخاص والرسمي، بات القطاع غير الرسمي الملجأ الأخير للحصول على فرصة عمل للكثيرين من الشباب، على الرغم من انخفاض عائداته وتدنّي إنتاجيّته، وعدم انتظامه في أحيان كثيرة.

ونظراً لتراجع معدلات التوظيف في القطاع الحكومي وفي المشروعات العامة، ونتيجة محدودية فرص العمل التي يخلقها القطاع الخاص والرسمي أيضاً، ضعفت القدرة على توظيف التدفق السنوي من المتعلمين تعليماً عالياً في وظائف ملائمة، وأصبح القطاع غير الرسمي الملجأ الأخير للحصول على فرصة عمل للكثيرين من الشباب. أمّا في حالة النساء، فثمة خيار ثانٍ لديهم يتمثل في الانسحاب تماماً من قوّة العمل. هذا مع العلم أن معظم الوظائف التي يوفّرها القطاع غير الرسمي منخفضة العائد، متدنية الإنتاجية، وقد تكون في أحيان كثيرة غير منتظمة. ولا يتمتّع غالبية المشتغلين في القطاع غير الرسمي بحماية اجتماعيّة أو صحيّة. كما أن احتمال انتقالهم إلى وظيفة جيّدة في القطاع الرسمي في مرحلة لاحقة قد يكون ضعيفاً، وهو أمر يسبّب إحباطاً لكثير من الشباب المتعلمين، وقد يدفعهم إلى ممارسة أنشطة غير مشروعة، أو محاولة اقتناص فرصة للعمل خارج مصر سواء في شكل هجرة مشروعة أم غير مشروعة.

وبناءً على ما سبق يمكن القول إن هناك حاجة لإحداث تغييرات في استراتيجية التنمية في مصر، خصوصاً أنّنا على أعتاب مرحلة جديدة تستدعي إعادة النظر في مختلف جوانب الحياة الاقتصادية والسياسية والاجتماعية. بحيث يكفل هذا التغيير التوجّه نحو بناء اقتصاد جديد يقوم على كثافة المعرفة والقدرة التنافسية العالية. فمثل هذا الاقتصاد هو القادر على إحداث تأثيرات إيجابية على كلّ من نظام التعليم وعالم العمل. إذ إنه من ناحية يخلق هيكلاً وظيفيّاً تغلب عليه الوظائف الجيّدة ذات الإنتاجية والعائد المرتفعين، كما يفرض هذا الهيكل من ناحية أخرى توفير عمالة ومهارات ذات مستويات تعليميّة عالية لا تتوفر إلا من خلال نظام جيّد ومتطوّر **للتعليم العالي**.



المراجع

(1) وزارة التعليم العالي، مركز المعلومات والتوثيق، جمهورية مصر العربيّة.

(2) وزارة التعليم العالي، المرجع السابق.

(3) وزارة التعليم العالي، كلّيات ومعاهد التعليم العالي، جمهورية مصر العربيّة.

(4) محيا زيتون، مستوى التعليم العالي في مصر، منشور في:
M. Bashshur, Y. Courbage et B. Labaki (editors), L'enseignement supérieur dans le monde arabe: une question de niveau? Institut Français Du Proche-orient, Beyrouth, Liban 2006.

(5) محيا زيتون، رؤية حول التعليم العالي في مصر من منظور الجودة والعدالة منشور في: علا الخواجة (محرر) قضية التعليم في مصر: العائد الاقتصادي والاجتماعي، شركاء في التنمية للبحوث والإستشارات والتدريب، 2008.

(6) وزارة التربية والتعليم، الخطة الاستراتيجية لإصلاح التعليم ما قبل الجامعي في مصر، (2007 /2008 – 2011/ 2012).

(7) المرجع السابق.

(8) OECD, WB, Higher Education in Egypt; Reviews of National Polices for Education, 2010.

(9) محيا زيتون (2006)، مرجع سابق.

(10) وزارة التعليم العالي، تقارير اللّجان الفرعية الست المنبثقة عن اللّجنة القومية لتطوير التعليم الجامعي والعالي، المؤتمر القومي للتعليم العالي، القاهرة 13 – 14 فبراير 2000.

(11) Ministry of Higher Education, Guide to Higher Education in Egypt, Arab Republic of Egypt, 2007.

(12) المجلس الأعلى للجامعات www.scu.eg

(13) وزارة التربية والتعليم، الخطة الاستراتيجية القومية لإصلاح التعليم ما قبل الجامعي في مصر، مرجع سابق.

(14) OECD, WB (2010) مرجع سابق.

(15) صندوق النقد العربي، التقرير الاقتصادي العربي الموحّد، 2010.

(16) الجهاز المركزي للتعبئة العامة والإحصاء، مصر في أرقام، القاهرة 2011.

(17) محيا زيتون (2006) / مرجع سابق.

(18) مركز المعلومات ودعم إتخاذ القرار، مجلس الوزراء (مصر)، استطلاع رأي طلاب الجامعات حول مشاكل التعليم الجامعي، مراجعة سحر إسماعيل الطويلة، فبراير 2007.

(19) Ministry of Higher Education (Egypt), Higher Education in Egypt, Country Background Report, Strategic Planning Unit.

(20) محيا زيتون (2006)، مرجع سابق.

(21) وزارة التعليم العالي، التعليم العالي في مصر: التقرير الوطني (ملخص).

(22) Egypt Human Development Report, Youth in Egypt: Building our future, UNDP and the Institute of National Planning (Egypt), 2010.

(23) OECD & WB (2010) مرجع سابق

(24) المرجع السابق

(25) الجهاز المركزي للتعبئة العامة والإحصاء، النشرة السنوية المجمعة لبحث القوى العاملة بالعيّنة للعام 2009، جمهورية مصر العربيّة، إبريل 2010.

(26) OECD, Education at a glance, OECD Indic – tors, 2010.

(27) ILO, School-to-work transition. Evidence from Egypt, Employment Policy Papers, 2007.

(28) مركز المعلومات ودعم اتّخاذ القرار، مجلس الوزراء "الخريجون والبحث عن فرصة عمل"، يونيو 2011.

(29) المرجع السابق.

(30) Mohaya Zaytoun, Enseignement Supérieur et Marché du travail, coordonnépar B. Labaki, Ensei-gnement supérieur et Marché du Travail, dans le Monde Arabe, Presses de L'ifpo, Institut Français du Proche-Orient, Beyrouth, Liban, 2009.

السعودية
التعليم العالي في المملكة

تناط مسؤولية **التعليم العالي** في المملكة **بوزارة التعليم العالي** التي تمّ إنشاؤها في العام 1975. وتقع على عاتق الوزارة مهام الإشراف والتخطيط والتنسيق لاحتياجات **المملكة** من الكفايات البشريّة المتخصّصة في المجالات العلميّة والإداريّة القادرة على تحقيق الأهداف التنمويّة الوطنيّة، وتوفير متطلّبات سوق العمل من الموارد البشريّة المتعلّمة والمؤهّلة.

تتولّى **وزارة التعليم العالي** حالياً الإشراف على أربع وعشرين جامعة حكوميّة وثماني جامعات أهليّة. أي بإجمالي يصل إلى (1،18) جامعة لكلّ مليون نسمة من سكان **المملكة**.

كما تشرف الوزارة أيضاً على كليات تدعى كليات المجتمع وعددها (28) كلية للبنين، و(19) كلية للبنات.

تعدّ كليات المجتمع مؤسّسات تعليميّة تنفّذ برامج وتخصّصات مدّتها سنتين دراسيّتين لمرحلة تقع ما بين الثانويّة والجامعيّة وتمنح درجة تسمّى "درجة المشارك". هذه الدرجة تعادل في **المملكة** دبلوم الكليات المتوسطة.

مؤسّسات التعليم العالي التابعة لوزارة التعليم العالي

الجامعات الحكوميّة

يبين الجدول (1) الجامعات الحكوميّة في **المملكة العربيّة السعوديّة** وتاريخ إنشائها.

جامعة الملك سعود – الرياض

تضمّ **جامعة الملك سعود** إحدى وعشرين كلّية للبنين والبنات وهي كالتالي:

جدول (1)

اسم الجامعة	تاريخ إنشائها
جامعة أم القرى	1401هـ/1980م
الجامعة الإسلامية	1381هـ/1961م
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية	1394هـ/1974م
جامعة الملك سعود	1377هـ/1957م
جامعة الملك عبدالعزيز	1387هـ/1967م
جامعة الملك فهد للبترول والمعادن	1383هـ/1963م
جامعة الملك فيصل	1395هـ/1975م
جامعة الملك خالد	1419هـ/1998م
جامعة القصيم	1423هـ/2002م

تابع جدول (1)

اسم الجامعة	تاريخ إنشائها
جامعة طيبة	1424هـ/2003م
جامعة الطائف	1424هـ/2003م
جامعة حائل	1426هـ/2005م
جامعة جازان	1426هـ/2005م
جامعة الجوف	1426هـ/2005م
جامعة الباحة	1427هـ/2006م
جامعة تبوك	1427هـ/2006م
جامعة نجران	1427هـ/2006م
جامعة الحدود الشمالية	1428هـ/2007م
جامعة الأميرة نورة بنت عبدالرحمن	1425هـ/2004م
جامعة الملك سعود بن عبدالعزيز للعلوم الصحّية	1426هـ/2005هـ
جامعة الأمير سلمان بن عبدالعزيز	1430هـ/2009م
جامعة شقراء	1430هـ/2009م
جامعة المجمعة	1430هـ/2009م

المصدر: إحصاءات وزارة التعليم العالي، البوابة الإلكترونية للجامعة (2011).

- **كليات إنسانية**: الآداب، التربية، الحقوق والعلوم السياسية، اللّغات والترجمة، السياحة والآثار، اللّغة العربية، كلّية المعلمين، التربية البدنيّة والرياضة.
- **كليات علميّة**: الهندسة، العلوم، علوم الأغذية والزراعة، علوم الحاسب والمعلومات، العمارة و**التخطيط**، **إدارة الأعمال**.
- **كليات صحيّة**: الطب، الصيدلة، طبّ الأسنان، العلوم الطبية التطبيقية، التمريض، العلوم الصحّية، كلية الأمير سلطان للخدمات الطبية الطارئة.

وبالنسبة إلى البنات: تضمّ الجامعة أقسام العلوم والدراسات الطبّية ومركز الدراسات الجامعيّة للبنات، ويضمّ هذا المركز الكليات التالية: إنسانيّة، صحّية، علميّة، كلية الأمير سلطان للخدمات الطبية الطارئة.

تتبع جامعة الملك سعود أيضاً كليات مجتمع لن يتمّ التعرض إليها في هذا السياق. وتعتبر **جامعة الملك سعود** أحد أعمدة **التعليم العالي** في **المملكة**، نظراً لموقعها وعراقتها وإمكاناتها الكبيرة. وتضمّ الجامعة أيضاً مراكز متعدّدة للتميّز ومعاهد ملحقة للدراسات والأبحاث ومنشآت أخرى لايتيح المجال استعراضها.

جامعة الملك فهد للبترول والمعادن – الظهران

يرجع تاريخ الجامعة عند تأسيسها إلى كلّية البترول والمعادن ثم تحوّلت إلى **جامعة الملك**

شارك مجموع خرّيجي جامعة الملك فهد للبترول والمعادن منذ إنشائها في العام1963على 18،5 ألف خرّيج من حملة الدرجات الجامعيّة العليا الثلاث: بكالوريوس وماجستير ودكتوراه. فيما وصل عدد طلاب جامعة الملك عبدالعزيز (جدّة) حالياً إلى82152 طالباً وطالبة.

فهد للبترول والمعادن. وقد شهدت الجامعة تطوّراً كبيراً منذ إنشائها إلى الوقت الراهن. تضمّ الجامعة سبع كليات هي: العلوم الهندسية، الهندسة التطبيقيّة، العلوم، الإدارة الصناعيّة، تصاميم البيئة، علوم وهندسة الحاسب وأخيراً عمادة الدراسات العليا.

ويشار إلى أن مجموع خريجيها منذ إنشائها شارف على 18،5 ألف خريج من حملة الدرجات الجامعية العليا الثلاث: بكالوريوس وماجستير ودكتوراه.

جامعة الملك عبدالعزيز – جدّة

تعود بدايات الجامعة إلى العام 1967 بصفتها جامعة أهليّة للمنطقة الغربيّة في المملكة. وكانت أولى كليات هذه الجامعة قبل أن تصبح جامعة حكوميّة هي **كلية الاقتصاد والإدارة**. ومنذ تحوّلها لرعاية الحكومة إلى الوقت الراهن شهدت الجامعة تطوّراً كبيراً حتى وصل عدد طلابها حالياً إلى (82152) طالباً وطالبة. وتنفرد هذه الجامعة عن بقية جامعات المملكة ببعض التخصّصات إضافة إلى التخصّصات العلميّة والإنسانيّة المعروفة، إذ توفّر الجامعة التخصّصات التالية: علوم البحار، الأرصاد، علوم الأرض الهندسة النوويّة، الطيران، التعدين، الهندسة الطبّية. وتتيح الجامعة أيضاً منهجاً للتعليم عن طريق الانتساب والتعليم عن بُعد إضافة إلى الدراسة التقليديّة بالانتظام.

جامعة الملك فيصل – الهفوف والدمام

اشتمل قرار إنشاء **جامعة الملك فيصل** على كلّيتين في الهفوف، ثم توالى إنشاء بقية الكليات وهي حالياً: العلوم الزراعية والأغذية، الطبّ البيطري والثروة الحيوانية، التربية، إدارة الأعمال، الطبّ، علوم الحاسب وتقنيّة المعلومات، العلوم، الصيدلة الإكلينيكيّة، الهندسة، الآداب، وأخيراً كلّية الحقوق التي صدر قرار إنشائها العام 2011. وتضمّ الجامعة مراكز عدّة ذات خصوصيّة بالنسبة إلى بيئة المنطقة الشرقية ونشاطها وهي: مركز أبحاث الجمال ومركز أبحاث النخيل والتمور ومحطة للتدريب والأبحاث الزراعيّة والبيطريّة، إضافة إلى مراكز أخرى متعدّدة.

الجامعات الأهليّة

يبيّن الجدول (2) الجامعات الأهليّة وتاريخ إنشائها.

جدول (2)

اسم الجامعة	الجنس	تاريخ إنشائها	الموقع
جامعة الملك عبدالله للعلوم والتقنيّة - دكتوراه – ماجستير	بنين – بنات	2009م	جدة
جامعة الأميرسلطان - بكالوريوس – ماجستير	بنين – بنات	1999م	الرياض
الجامعة العربية المفتوحة	بنين – بنات	2002م	الرياض
جامعة الفيصل - بكالوريوس – ماجستير	بنين – بنات	2007م	الرياض
جامعة الأميرمحمد بن فهد - بكالوريوس – ماجستير	بنين – بنات	2006م	الخبر
جامعة عفت الأهليّة بكالوريوس - ماجستير	بنات	1999م	جدة
جامعة اليمامة الأهليّة	بنين – بنات	2003م	الرياض
جامعة دار العلوم بكالوريوس – ماجستير	بنين – بنات	2008م	الرياض

جامعة الملك عبدالله للعلوم والتقنيّة

ولدت فكرة إنشاء جامعة الملك عبدالله للعلوم والتقنيّة من فكر **خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز** لتكون جامعة ترتقي إلى مستوى أرفع الجامعات في العالم، مستوحياً تصورها من بيت الحكمة الذي مثّل أحد أهم المنارات المعرفيّة العلميّة في التاريخ الإسلامي، عندما كانت بغداد منارة العلم والإشعاع الحضاري الإنساني. وقد تضمّنت رسالة الملك المؤسّس للجامعة ما نصّه الحرفي:

"بيتاً جديداً للحكمة، منارة للسلام والأمل والوفاق وستعمل لخدمة أبناء **المملكة** ولنفع جميع شعوب العالم".

تضيف الرسالة ما يلي: "أرغب أن تصبح هذه الجامعة الجديدة واحدة من مؤسّسات العالم الكبرى للبحوث وأن تعلّم أجيال المستقبل من العلماء والمهندسين والتقنيّين وتدرّبهم".

تقدّم **جامعة الملك عبدالله** (11) مجالاً علمياً للدراسة فيها، واللّغة الإنجليزية هي اللّغة التي سوف تدرس بها المقررات كافة، وهي:

- الرياضيات التطبيقية والعلوم الحاسوبية.
- العلوم البيولوجية.
- الهندسة الكيميائية والبيولوجية.
- العلوم الكيميائية.
- علوم الحاسب.
- هندسة وعلوم الأرض.
- الهندسة الكهربائية.
- العلوم والهندسة البيئية.
- العلوم البحرية.
- هندسة وعلوم المواد.
- الهندسة الميكانيكية.

تمنح **جامعة الملك عبدالله** درجتي الماجستير والدكتوراه وتحافظ على المرونة في مجالات الدراسة ووضع المقرّرات الدراسيّة فيها، وذلك بهدف اجتذاب الطلاب المؤهلين تأهيلاً عالياً ممّن لهم خطط وأهداف وخلفيات متنوّعة.

وقد ساعدت هذه المرونة **جامعة الملك عبدالله** على أن تظلّ متمتّعة بقدرة تنافسيّة على الصعيد الدولي وضمان قبول برامجها واعتمادها والمساواة مع برامج الدرجات العلميّة في الجامعات الأخرى حول العالم[1].

ولدت فكرة إنشاء جامعة الملك عبدالله للعلوم والتقنيّة من فكر خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبد العزيز لتكون جامعة ترتقي إلى مستوى أرفع الجامعات في العالم، مستوحياً تصوّرها من بيت الحكمة الذي مثّل أحد أهم المنارات المعرفيّة العلميّة في التاريخ الإسلامي، عندما كانت بغداد منارة العلم والإشعاع الحضاري الإنساني.

جامعة الفيصل – الرياض

جامعة الفيصل جامعة خاصة غير ربحية تسعى إلى تحقيق مستوى عالمي كجامعة بحثيّة تلتزم بابتكار المعرفة ونشرها وتطبيقها في مجالات الإدارة والهندسة وعلوم الحياة والطبّ.

وقد قام على تأسيس الجامعة مؤسّسة الملك فيصل الخيريّة، وأسهمت معها مجموعة من كبريات الشركات الصناعيّة العالميّة والسعوديّة وهي **بوينغ**، **برتيش إيروسبيس** البريطانيّة، **تاليس** الفرنسيّة، **بن لادن** السعوديّة، **سعودي أوجيه**، **دلة البركة** السعوديّة، **شركة الجميح القابضة**، **اتّحاد التكنولوجيات الأميركية**، **مستشفى الملك فيصل** التخصّصي **ومركز الأبحاث**.

تضمّ الجامعة الكليات التالية: الطبّ، الهندسة، الأعمال، العلوم والدراسات العامة.

جامعة عفّت الأهليّة – جدّة

تأسست **جامعة عفّت** العام 1999 وهي جامعة تفرد كلّياتها للبنات فقط. وتشير رؤية الجامعة إلى طموحاتها في أن تكون رائدة في السعي لإثراء المعرفة والممارسة المهنيّة. أما رسالة الجامعة فتتمثّل في إعداد الكفاءات النسائيّة القياديّة والمنافسة عالميّاً في خدمة المجتمع والتعليم مدى الحياة[2].

وتضمّ **جامعة عفّت** الأهليّة كلّيتين فقط تمنحان درجة البكالوريوس هما: كلية الهندسة وتشمل: علوم الحاسب الآلي، نظم المعلومات، العمارة، الكهربائية، هندسة الحاسب، وكلية

1 – المصدر: البوابة الإلكترونية للجامعة.

2 – بوابة الجامعة الإلكترونية.

الأعمال وتشمل: إدارة الأعمال، العلوم الإنسانيّة الاجتماعيّة، دراسات الطفولة المبكرة، اللّغة الإنجليزية والترجمة، علم النفس.

كما تمنح الجامعة درجة الماجستير في الإدارة. وقد أقامت الجامعة شراكات محلّية وعالميّة. ومن شراكاتها العالمية جامعات عريقة في كلٍّ من **الولايات المتّحدة** (ثمان جامعات وكليات): على سبيل المثال فقط **جامعة ميامي، جامعة ديوك، جامعة جورج تاون**، وفي بريطانيا **مدرسة الأمير تشارليز للفنون التقليديّة**، وفي **فرنسا جامعة السوربون وباريس مالاكي**، و **الجامعة الأميركيّة في القاهرة** وجامعات أخرى.

منذ بداية القرن الحادي والعشرين للميلاد، ازداد عدد الجامعات الحكوميّة من "9" إلى "25"، وازداد عدد مؤسّسات التعليم العالي والجامعات الخاصة من "2" إلى "18"؛ كما تجاوز عدد المُبتَعثين إلى الخارج "المائة ألف مُبتعث" يدرسون في جامعات "21 دولة" في جميع أنحاء العالم.

كليات المجتمع

تتميّز كليات المجتمع بأنها قادرة على تهيئة خريجين مؤهلين مباشرة **لسوق العمل**، إضافة إلى إتاحة الفرصة للمتفوّقين منهم لاستكمال دراستهم الجامعية. يبلغ عدد كليات المجتمع في **المملكة** حتى العام 2011 (28) كلية للبنين، و(19) كلّية للبنات.

وتتمتّع هذه الكليات باستقلال نسبي على الرغم من تبعيتها للجامعات الموجودة في مناطقها. وقد أتاح وجود كليات المجتمع تنوّعاً تكميليّاً لمؤسّسات للتعليم العالي الجامعية التقليديّة، إضافة إلى إسهامها في توسيع انتشاره الجغرافي لاستيعاب خرّيجي الثانويات العامة في المناطق ذات الكثافة السكانيّة العالية.

تشترك كليات المجتمع بأهداف عامة هي:

– توفير برامج متنوّعة تأهل للحصول على مهنة محدّدة.
– تحقيق سياسة الانفتاح للتعليم والدراسة من دون عوائق القبول.
– خدمة المجتمع وتوجيه البرامج لمتطلّباته ومشكلاته.

ولا يتسع المجال لاستعراض كليات المجتمع للبنين والبنات فهي منتشرة في مناطق المملكة كافة وتتنوّع برامجها بحسب متطلّبات هذه المناطق والإسهام في تعزيز ميزاتها النسبيّة.

سياسات القبول في مؤسّسات التعليم العالي

شهد التعليم العالي في **المملكة العربيّة السعوديّة**، خلال العقد الماضي، توسعاً كبيراً في القبول تمثّل في بُعدين اثنين: بُعد إنشاء مؤسّسات جديدة للتعليم العالي، حكوميّة وخاصة، تتوزّع على مختلف مناطق المملكة؛ ثمّ بُعد الابتعاث الخارجي من خلال **برنامج الملك عبد الله للابتعاث الخارجي والدراسة في الجامعات الأجنبيّة** في مُختلف أنحاء العالم. فمنذ بداية القرن الحادي والعشرين للميلاد، ازداد عدد الجامعات الحكوميّة من "9" إلى "25"، وازداد عدد مؤسّسات التعليم العالي والجامعات الخاصة من اثنتين "2" إلى "18"؛ كما تجاوز عدد المُبتعثين إلى الخارج "المائة ألف مُبتعث" يدرسون في جامعات "21 دولة" في جميع أنحاء العالم.

تُعتبر الثانوية العامة المُتطلب الرئيس للقبول في مُختلف مؤسّسات التعليم العالي. لكن الجامعات السعودية أضافت إلى هذا المُتطلب مُتطلباً آخر يتمثّل في خضوع المتقدمين للقبول إلى اختبارات يجريها **المركز الوطني للقياس والتقويم** الذي أُنشئ، كهيئة مستقلة، العام 2000. ولم يكتفِ بعض الجامعات السعوديّة بذلك، بل وضعت هذه الجامعات في برامجها سنةً تحضيريّة تُعزّز إمكانات الطلاب المقبولين في الجامعة، وتُمهّد لتوجيههم إلى مساراتهم التخصّصية في الكليات المُختلفة، إضافة إلى تأهيلهم بمهارات أساسيّة تتوافق مع مُتطلبات **سوق العمل**. وسوف نُلقي الضوء في ما يلي على كلٍ من هذه المُتطلبات: "الثانوية العامة، واختبارات مركز القياس، إضافة إلى السنة التحضيريّة"، مع بعض المُلاحظات العامة والمرئيات حول آفاق المُستقبل.

الإطار (1) التعليم العام في المملكة العربيّة السعوديّة

تمثّل ظهور أول نظام للتعليم في المملكة بإنشاء مديريّة المعارف العام 1344هـ (الموافق للعام 1924م). وفي العام 1371هـ (الموافق للعام 1951م) تمّ إنشاء وزارة المعارف لتحلّ محلّ المديرية وتكون مسؤولة عن التعليم العام للبنين في مُختلف أرجاء المملكة. ثمّ تمّ إنشاء الرئاسة العامة لتعليم البنات لتكون مسؤولة عن التعليم العام للبنات سنة 1380هـ (الموافق للسنة 1960م). وضُمّت الرئاسة إلى الوزارة العام 1423هـ (الموافق للعام 2002م)؛ وحملت الوزارة اسم "وزارة التربية والتعليم" بعد ذلك بعام واحد. ولنظام التعليم العام في المملكة ثلاث مراحل رئيسة هي: المرحلة الابتدائية (ست سنوات دراسيّة)، والمرحلة المتوسطة (ثلاث سنوات دراسيّة)، والمرحلة الثانوية (ثلاث سنوات دراسيّة). ويُماثل هذا النظام، نظام التعليم العام المُتبع دولياً والمعروف "بالرمز K–12". وتُعتبر شهادة الدراسة الثانوية في المملكة المُتطلب الرئيس للقبول ليس فقط في مؤسّسات التعليم العالي في المملكة، بل في مؤسّسات التعليم العالي الأخرى حول العالم أيضاً.

للمزيد من المعلومات: أنظر موقع وزارة التربية والتعليم www.moe.gov.sa

الثانوية العامة

يحصل على الثانوية العامة في **المملكة** من أتمّ جميع مراحل التعليم العام. ويستند هذا التعليم إلى نظام **التعليم العام العالمي** المعروف "بالرمز K–12". وقد بدأ التعليم العام في **المملكة** قبل حوالي "تسعة عقود"، كما هو موضح في الإطار (1). وتشهد **المملكة** حالياً تنفيذ مشروع لتطوير هذا التعليم، كما هو مُبين في الإطار (2). ولأن الحصول على الثانوية العامة هو المُتطلب الرئيس للتعليم العالي، فإن هذا التطوير يُسهم في تطوير التعليم العالي أيضاً، من خلال تعزيز إمكانات مُدخلاته.

تستغرق مرحلة التعليم الثانوي في المملكة مدّة "ثلاث سنوات" دراسيّة، تأتي بعد إتمام، الطالب أو الطالبة، "تسع سنوات دراسية أخرى" هي مُتطلبات المرحلتين الابتدائيّة والمتوسطة. وطبقاً لنظام التطوير الجديد، تُعطى شهادة الدراسة الثانويّة على أساس مُجمل نتائج سنوات المرحلة الثانوية الثلاث. ولهذه المرحلة مساران يشتركان في حوالي "65 %" من المُقرّرات، بما في ذلك مقرّرات تقنيّة المعلومات واللّغة الإنجليزية، لكنهما يختلفان في مقرّرات أخرى. وهذان المساران هما:

- مسار العلوم الإنسانية ويُركّز على موضوعات: العلوم الشرعية، واللغة العربيّة، والاجتماعيات، والعلوم الإداريّة.
- ومسار العلوم الطبيعيّة ويهتم بموضوعات: الرياضيات، والكيمياء، والفيزياء، والأحياء.

ويُعطي الإطار (2) تفاصيل أكثر حول هذين المسارين. ويحتاج القبول في كلّ من الكليات العلميّة والكليات الطبّية إلى إتمام مرحلة الدراسة الثانوية في مسار العلوم الطبيعية.

اختبارات المركز الوطني للقياس والتقويم

لم تكتفِ **المملكة العربيّة السعوديّة** بشهادة "إتمام مرحلة الدراسة الثانوية" كمُتطلب

الإطار (2) مشروع تطوير التعليم الثانوي

سيشهد العام الدراسي الحالي 1433–1432هـ (2012–2011م) بداية تطبيق مشروع تطوير التعليم الثانوي. ويسعى المشروع إلى تنمية شخصية المُتعلم من النواحي "المعرفية، والجسدية، والنفسية، إضافة إلى المهارات"؛ ويعتمد في تحقيق ذلك على "نظام المقررات" الذي يتضمّن ثلاث مجموعات من المقررات، تتوزع على فصول سنوات الدراسة الثانوية الثلاث. وتشمل هذه المجموعات: مجموعة المقررات الدراسية المُشتركة (130 ساعة أو وحدة دراسية)؛ ومجموعة المُقررات الدراسية التخصّصية الإجبارية وتشمل مسارين رئيسين هما: مسار العلوم الإنسانية، ومسار العلوم الطبيعية (60 ساعة أو وحدة دراسية لكلّ مسار)؛ ثمّ مجموعة المقررات الاختياريّة في إطار هذين المسارين أيضاً (10 ساعات إلى 25 ساعة أو وحدة دراسية يُمكن اختيارها من أيّ من المسارين). ويُركّز مسار العلوم الإنسانيّة على العلوم الشرعيّة، واللّغة العربيّة، والاجتماعيات، والعلوم الإداريّة، إضافة إلى تقنيّة المعلومات واللّغة الإنجليزية؛ بينما يهتمّ مسار العلوم الطبيعيّة بالرياضيات، والكيمياء، والفيزياء، والأحياء، بالإضافة إلى تقنيّة المعلومات واللّغة الإنجليزية.

للمزيد من المعلومات: أنظر موقع مشروع تطوير التعليم الثانوي www.hs.gov.sa

للقبـول في الجامعـات، بـل أضـافت إليهـا اختبارات أخرى، على مستوى **المملكة**، يُجريها **"المركـز الوطنـي للقيـاس والتقـويم"** لجميـع الراغبـين في التقـدّم إلى الجامعـات. والمركـز هو هيئة سـعوديّة مُسـتقلة، تم إنشـاؤها العام 1421هـ الموافق للعام 2000م، كما هو موضح في الإطـار (3). وفي ما يلـي أهداف اختبارات المركـز، فضـلاً عن معلومـات حـول اختباريَ المركـز الرئيسـين المؤثّريـن في القبـول في مؤسّسات التعليم العالي، وهما: اختبار القدرات العامة المطلوب للتقدّم إلى كلٍّ من التخصّصات النظريـة والتخصّصـات العلميّـة؛ والاختبـار التحصـيلي المطلـوب للتقدّم إلى التخصّصـات العلميّة والطبية.

الالتحـاق يمـرّ بالجامعـات السـعوديّة عـبر ثلاثـة متطلبـات: 1. شـهادة إتمـام الدراسـة الثانويّـة، 2. اجتياز الاختبـارات التـي يجريهـا المركـز الوطـني للقيـاس والتقـويم، 3. اجتيـاز السـنة التحضـيريّة في الجامعـات لاكتسـاب مجموعـة مهـارات أساسية.

أهداف الاختبارات

تُركّز اختبارات المركز على الأهليّة العلميّة، وتسعى إلى تحقيق الأهداف التالية:

- المُفاضـلة بـين المُتقدمـين للالتحـاق بمؤسّسـات التعلـيم العـالي، مـن حيـث أهليتهم العلميّة.
- الحدّ من نسب التسرُّب في التعليم العالي، الناتجة عن ضـعف الأهليّة العلميّة لبعض المُلتحقين به.
- الحـدّ مـن نسـب الرسـوب في المقـرّرات الدراسـية، وتأخّـر التخـرّج، وتجنّـب حجز مقاعد يُمكن أن تُتاح لمُتقدمين جدد.
- الحـدّ مـن التحويل بـين التخصّصـات، والتحويـل بين مؤسّسـات التعليـم، الناتج عن تعثّر الطلاب غير المؤهلين.
- الرفـع مـن مسـتوى كفـاءة مؤسّسـات التعليـم العـالي، وتوفـير الكثير مـن الجهد والوقت لمعالجة الطلاب المُتعثرين.

اختبار القدرات العامة

يهتـم اختبار القدرات العامة بقدرة الطالب التحليليّـة والاسـتدلاليّة، ويسـعى إلى تقييـم قابليّـة الطالـب للتعلّـم، بصـرف النظـر عـن إمكاناته في موضـوع معـيّن. ويعمل الاختبار على تقييم قدرة الطالب في القضايا التالية:

- فهم المقروء.
- إدراك العلاقات المنطقيّة.
- حـلّ المسـائل المبنيّـة علـى مفاهيـم رياضيّة أساسيّة.
- الاستنتاج.
- القياس.

يتكـوّن الاختبار من جزأين رئيسـين: جزء لفظـي وآخـر كمّي. ويُركّـز الجـزء اللّفظي على اسـتيعاب المقـروء، وإكمـال الجمـل، والتناظر اللفظـي بـين الكلمـات، إضـافة إلى معـاني المُفـردات. أما الجـزء الكمّي، فيهتمّ بالمسـائل الرياضـيّة وقضـايا القياس والاستنتاج وحلّ المسـائل. ويسـتغرق الاختبار ساعتين ونصف السـاعة. ويحظـى الجزء اللفظـي باهتمام أكبر بالنسبة إلى الراغبين بالتقدّم إلى التخصّصات النظريّـة، وفي المقابـل، يحظـى الجـزء الكمّـي باهتمام أكبر بالنسـبة إلى الراغبين في التقدّم إلى التخصّصات العلميّة.

الاختبار التحصيلي

يُغطّي الاختبار التحصيلي المفاهيم العامة للموضـوعات التاليـة: الأحيـاء، والكيميـاء، والفيزيـاء، والرياضـيات، واللّغـة الإنجليزية.

الإطار (3) المركز الوطني للقياس والتقويم في التعليم العالي

National Center for Assessment in Higher Education: NCAHE

تأسّس هذا المركز في السعوديّة العام 1421هـ (الموافق للعام 2000م)، كهيئة مُستقلّة إدارياً ومالياً، وبدأ نشاطاته بعد حوالى العام من ذلك التاريخ. وتشمل مهام المركز المطروحة في "رسالته": إعداد وإجراء اختبارات القبول في مُختلف مؤسّسات التعليم العالي؛ وتطوير وسائل القياس التربوي في مستويات هذا التعليم كافة ؛ وقياس المؤشرات التربوية والتحصيليّة لدعم كفاءة أداء هذه المؤسّسات؛ واستقطاب الخبرات في مُختلف مجالات اهتمام المركز؛ وتقديم الخدمات الاستشارية لمراكز القياس في مُختلف المؤسّسات التعليميّة؛ وإجراء الدراسات والبحوث المتخصّصة في مجال القياس التربوي؛ إضافة إلى نشر ثقافة "القياس والتقويم" وتعميقها على المُستويين التعليمي والاجتماعي.

للمزيد من المعلومات: أنظر موقع المركز www.qeyas.com

وترتبـط أسـئلته بمقـرّرات الصـفوف الثانويّة الثلاثة التي تشمل كلاً من المستويات: العاشر، والحادي عشر، والثاني عشر. ويسـعى الاختبار إلى تقييـم ثـلاث نـواحٍ رئيسـة هـي: الفهـم، والتطبيق، والاستنتاج. ويستغرق ثلاث ساعات ونصـف السـاعة، ويرتبط بالراغبين في التقدّم إلى التخصّصات العلميّة.

السنة التحضيريّة

بـرزت السـنة التحضـيريّة في الجامعـات السعوديّة كوسيلة مهمّة لتحقيق التالي:

- تطوير إمكانات الطالب الجامعي، وتعزيز روح المسؤولية والمُبادرة في شخصيته.
- تزويده بالمهارات الأساسيّة المفيدة التي تستجيب للمُتطلبات العامة لسوق العمل.
- المُفاضـلة بـين الطلبة بشـأن القبول في كليات الجامعة المُختلفة.

وتُمثل السـنة التحضـيريّة في **جامعة الملك سعـود** المرجعية الرئيسـة للسنوات التحضيريّة في الجامعات السـعوديّة الأخرى. وتتطلّع رؤية برنامـج هذه السـنة نحو جعله برنامجـاً رائداً في تعليم السنة التحضيريّة في المنطقة بحلول العـام 2012، كما هو مُبين في الإطار (4) الذي يُقدّم تعريفاً بها.

تأتي السنة التحضـيريّة بعد قبول الطالب في الجامعـة. وفي جامعـة الملك سـعود، يُقبل الطـلاب (والطالبـات) في السـنة التحضـيريّة ضـمن ثلاثة مسارات رئيسـة. وبعد إتمام هذه السـنة بنجـاح يُـوزّع الطلبـة تبعـاً لرغباتهـم وتوفر الأماكن المُناسـبة، من خلال المُفاضلة، على كليات المسـار الذي ينتمون إليه. وتشـمل مسارات السنة التحضيريّة التالي:

- مسـار الكليـات الإنسـانية، ويشـمل كليات: الآداب، والتربية، والأنظمة والعلوم السياسـيّة، والسـياحة والآثـار، واللّغـات والترجمة، والمُعلمين.
- مسـار الكليـات العلميّة، ويضـم كليات: الهندسـة، وعلـوم الحاسـب والمعلومـات، والعمـارة والتخطيـط، وإدارة الأعمـال، والعلوم، وعلوم الأغذية والزراعة.
- ثُم مسار الكليات الطبّية، ويشمل كليات: الطبّ، وطبّ الأسـنان، والصـيدلة، والعلوم الطبّيـة التطبيقيّـة، والتمريض، وطـبّ الطوارئ.

الإطار (4) السنة التحضيريّة في الجامعات السعوديّة :

مثال السنة التحضيريّة في جامعة الملك سعود

Preparatory Year، King Saud University

تأسّست السنة التحضيريّة، وبدأت أعمالها، في جامعة الملك سعود العام 1429هـ (الموافق للعام 2008م). وتتطلّع رؤية برنامج هذه السنة إلى جعله برنامجاً رائداً في تعليم السنة التحضيريّة في المنطقة بحلول العام 2012. وللبرنامج أهداف رئيسة عدّة تشمل: ترسيخ مبادئ الانضباط والالتزام والشعور بالمسؤولية؛ وتعزيز المهارات القيادية والثقة بالنفس وغرس روح المُبادرة؛ وتطوير مهارات الطلاب (والطالبات) في: اللّغة الإنجليزية، وتقنيّة المعلومات، والرياضيات، ومهارات الاتصال والتعلّم والتفكير والبحث؛ وتشجيع الابتكار والإبداع وتطوير الذات؛ وإعداد الطلاب (والطالبات) لتحصيل دراسي مُتميّز واستثمار الحياة الجامعية بشكل أفضل؛ وتحسين مُخرجات التعليم للتنافس على الوظائف النوعيّة؛ وتعويد الطلاب والطالبات) على البيئة المعرفية والتعلّم الإلكتروني؛ وتحسين الوعي الصحّي واللّياقة البدنيّة للطلاب (والطالبات).

للمزيد من المعلومات: أنظر موقع السنة التحضيريّة
www.ksu.edu.sa/sites/py/ar/Pages/pyintro.aspx

وموقع طلاب السنة التحضيريّة
www.facebook.com/group.php?gid:166082534696

وتشترك مسارات السنة التحضيريّة الثلاثة في معظـم المُقرّرات، ويشـمل ذلك مقرّرات المهـارة في "اللّغـة الإنجليزيـة، وتقنيات المعلومات، وتطوير الذات، والرياضـيّات"، وجميعهـا مهـارات تفيـد الطالـب في سـنوات الدراسـة الجامعيّـة التالية للسـنة التحضـيريّة، كمـا تسـتجيب للمُتطلّبـات الأساسيّة لسوق العمل. وتختلف المسارات، تبعـاً للتخصّـص، في بعـض المُقـررات المرتبطة بتخصّص المسار.

ملاحظات ومرئيّات

من الواضـح أن المملكة العربيّة السـعوديّة تشـهد توسـعاً كبـيراً في اسـتيعاب الطـلاب

(والطالبات) في **التعليم العالي**، من خلال زيادة عدد الجامعات ومؤسّسات التعليم العالي الحكوميّة والخاصة. ويُلاحظ أن هذا التوسّع لا يقتصر على منطقة دون أخرى، بل يشمل مناطق المملكة كافة. ويحرص هذا التوسّع في تخصّصاته على الاستجابة إلى مُتطلبات سوق العمل. فالجامعات الحكوميّة الجديدة تُركّز على التخصّصات العلميّة، كما أن مؤسّسات التعليم العالي الخاصة لا تنجح في استقطاب الطلاب إن لم تتبنَ التخصّصات الواعدة المرغوبة في سوق العمل.

يتواكب التوسّع في التعليم العالي مع الحرص على جودة مُدخلاته. فلم تعد الثانوية العامة، حتى مع ما تشهده من تطوير، كافية لدخول الجامعات، بل بات هناك اختبارات أخرى تهتمّ باستيعاب الطالب للمعرفة وقدرته على التعامل معها والاستفادة منها. ويُضاف إلى ذلك أن الجامعات نفسها طوَّرت القبول في كلياتها المختلفة ليشمل الاعتماد على سنة تحضيريّة تهتمّ بمهارات يستفيد منها الطالب في دراسته الجامعيّة من جهة، وتستجيب لمتطلّبات سوق العمل من جهة أخرى. ولاشك أن الجمع بين كلٍ من التوسع والحرص على الجودة يزيد رصيد المملكة من القوى البشريّة المؤهّلة والقادرة على العطاء في شتّى المجالات.

وبالطبع، فإن المأمول في المستقبل هو الاستفادة من مخرجات التعليم العالي على أفضل وجه ممكن، بما يُعزّز التنمية ويضمن استدامتها، ويرفع من مستوى حياة الإنسان. ويحتاج هذا الأمر إلى الاهتمام بالتوسع في **سوق العمل** وفي مستوى الأعمال المُتاحة، ومواكبة ذلك للتوسّع في **التعليم العالي** وجودة مُخرجاته. كما يحتاج هذا الأمر إلى تنبّه رجال الأعمال لفوائد مُخرجات التعليم العالي، من جهة، وإلى تحفيز الطلاب على ريادة الأعمال بعد التخرّج لفتح آفاق جديدة **لسوق العمل**، من جهة أخرى.

الإطار (5) الهيئة الوطنيّة (السعوديّة) للتقويم والاعتماد الأكاديمي

The National Commission for Academic Accreditation & Asses – ment: NCAAA

تأسّست هذه الهيئة في المملكة العربيّة السعوديّةالعام 1424هـ (الموافق للعام 2003م). وتتمتع الهيئة بالشخصية المعنويّة والاستقلال الإداري والمالي تحت إشراف مجلس التعليم العالي. وهي السلطة المسؤولة عن شؤون الاعتماد الأكاديمي في مؤسّسات التعليم العالي لتحقيق الارتقاء بجودة التعليم العالي الحكومي والخاص، وضمان الوضوح والشفافية، وتوفير معايير مُقننة للأداء الأكاديمي. وتُحدد "رسالة Mission" الهيئة الجوانب الرئيسة التي تهتم بها، وتسعى إلى توفير أعلى المعايير العالمية لجودتها. وبين هذه الجوانب: جودة حصيلة تعلّم الطلبة؛ وجودة الإدارة والخدمات المُساندة المتوفّرة داخل مؤسّسات التعليم العالي؛ إضافة إلى إسهامات هذه المؤسّسات في البحث العلمي، وما تُقدّمه للمُجتمع الذي تعمل فيه.

للمزيد من المعلومات: أنظر موقع الهيئة www.ncaaa.org.sa

جودة التعليم العالي في المملكة

كما أسلفنا، لا يقتصر اهتمام الجامعات ومؤسّسات التعليم العالي الأخرى في المملكة، الحكوميّة منها والخاصة، على الكمّ والتوزّع الجغرافي والتركيز على التخصّصات التي تستجيب لسوق العمل، بل يشمل قضايا الجودة أيضاً. وتبذل هذه المؤسّسات حالياً جهوداً حثيثة تسعى إلى بناء الجودة في برامجها وفي عملها الإداري، مُستندةً في ذلك إلى أسس علميّة ومعايير عالمية.

وتتمثل جهود هذه المؤسّسات في بُعدين رئيسين.

– بعدٌ يشمل جميع مؤسّسات التعليم العالي السعوديّة، من جامعات وكليات جامعية حكوميّة وخاصة، بما في ذلك جميع أقسام هذه المؤسّسات وبرامجها.

– بعدٌ آخر يتضمّن أقساماً وبرامج بعينها تسعى إلى الحصول على اعتماد أكاديمي من مؤسّسات دولية معروفة ترتبط بتخصّصاتها.

الجودة على مستوى جميع مؤسّسات التعليم العالي

يستند البعد الأول، الخاص بجميع مؤسّسات التعليم العالي، إلى مُتطلبات "**الهيئة الوطنيّة (السعوديّة) للتقويم والاعتماد الأكاديمي**". The National Commission for Academic Accreditation & Assessment: "NCAAA". وقد تمّ تأسيس هذه الهيئة العام 2003 بهدف الارتقاء بجودة التعليم العالي، الحكومي والخاص، في **المملكة**، كما هو موضح في الإطار (5):

الجودة في إطار السياق المُؤسّسي

يتضمّن محور العمل على تحقيق الجودة في إطار السياق المؤسّسي ثلاثة معايير رئيسة:

- معيار جودة الرسالة والأهداف، ويقضي هذا المعيار بقيام كُلّ مؤسّسة من مؤسّسات التعليم العالي بتحديد رسالة مُناسبة لها، تتضمّن الغايات التي تسعى إلى الوصول إليها، والأولويات التي ينبغي التركيز عليها. ويُؤكد هذا المعيار على أن تُمثل هذه الرسالة مُنطلقاً إرشادياً لخطط المؤسّسة ونشاطاتها.
- معيار جودة الحوكمة والإدارة، ويشمل الاهتمام بهيكلية الحوكمة، والإجراءات المطلوبة للتخطيط والتنفيذ والمُتابعة، إضافة إلى البنية التنظيمية، والعلاقات الداخلية والخارجية، وبيئة العمل وأخلاقياته.
- معيار إدارة ضمان الجودة والتطوير، ويسعى إلى بناء الالتزام المُؤسّسي بتطوير الجودة، ويُبيّن مُتطلبات ضمان الجودة، وتقويمها، وإدارة شؤونها.

الجودة على مستوى الكليات والأقسام

تسعى بعض الكليات والأقسام في الجامعات السعوديّة إلى الحصول على اعتمادٍ لبرامجها الأكاديميّة من هيئات دوليّة مُتخصّصة. ومن دلائل ذلك حصول برامج أقسام كليات الهندسة في الجامعات الرئيسة "**الملك سعود، والملك عبد العزيز، والملك فهد**" على اعتماد "**هيئة اعتماد الهندسة والتقنيّة: أبِت** Accreditation Board for Engineering & Technology: ABET"؛ إضافة إلى سعي الكليات والأقسام الأخرى في الجامعات المُختلفة إلى مثل ذلك. ويعود تاريخ تأسيس هذه الهيئة في **الولايات المتّحدة الأميركية** إلى العام 1932؛ وقد بدأت العام 1936 بتقييم البرامج الأكاديمية الهندسية في الجامعات والكليات الأميركية واعتمادها. لكنّها وسّعت نشاطاتها بعد ذلك لتشمل المستوى الدولي العام 1979، ولتتضمّن ليس فقط البرامج الأكاديمية "الهندسية – Engineering"، بل برامج "الحوسبة Computing"، وبرامج "العلوم التطبيقية Applied Science" أيضاً، كما هو موضح في الإطار (6). وفي سبيل الحصول على اعتماد هذه الهيئة، تسعى الكليات والأقسام، ذات العلاقة، في الجامعات والكليات الجامعيّة السعوديّة إلى التزام برامجها الأكاديمية بالشروط اللازمة لذلك.

مُلاحظات ومرئيات

تبذل مؤسّسات التعليم العالي السعودية جهوداً حثيثة في مجال الجودة. فهي تعمل على بنائها في أنظمتها، بما يُحقق لها تطويراً

الإطار (6) هيئة اعتماد الهندسة والتقنيّة: أبِت

Accreditation Board for Engineering & Technology: ABET

تأسّست هذه الهيئة في الولايات المتّحدة الأميركيّة العام 1932، وكانت تُدعى "مجلس المهندسين للتطوير المهني Engineers' Council for Professional Development"، وشاركت في هذا التأسيس سبع جمعيات مهنيّة أميركية تنتمي إلى مُختلف المهن الهندسية. وأنيطت بهذه الهيئة مهمة اعتماد التعليم الهندسي والتطوير المهني للمهندسين. وقد بدأت الهيئة بتقييم برامج الدرجات الجامعية الهندسية في الولايات المتّحدة العام 1936، وتوسّعت باتجاه التقييم على المستوى الدولي العام 1979، كما أخذت اسمها الجديد التي هي عليه اليوم العام 1980. وتقوم الهيئة في الوقت الحاضر بتقييم برامج جامعيّة في المجالات الهندسية والحوسبة والعلوم التطبيقية واعتمادها. ويبلغ عدد البرامج الحاصلة على اعتماد "أبِت ABET" في العالم اليوم حوالى "3100 برنامج"، ترتبط بحوالى "600 جامعة وكلية جامعية".

للمزيد من المعلومات: أنظر موقع الهيئة www.abet.org



مُستمراً يُواكب تغيّرات العصر ومُتطلّباته. ولعلّه من المُفيد لهذه المؤسّسات أن تُركّز بشكل خاص علـى دورٍ مُتكامل لجميع أصحـاب العلاقة في تعزيز مسيرة الجودة التي تقوم على رعايتها حالياً. ويشمل هؤلاء: أعضـاء هيئـة التدريس؛ الإداريون؛ الطلاب؛ الخريجون؛ أصحاب العمل؛ القائمون على تقييم الأداء؛ وغيرهم. فهؤلاء معـاً هم أصحاب المصلحة والخبرة والقدرة على بنـاء الجودة المنشودة وتطويرها بشكل مُتواصل.

يتلخّص الدور المُتكامل المطلوب لأصحاب العلاقة في إتاحة شراكة معرفيّة لهم جميعاً في قضايا الجودة، وحثّهم على الإسهام الفاعل في تعزيزها، ودعم الاستفادة منها. ويأتي ذلك من خلال إطلاق مُبادرات لقاء وحوار وتقديم مُقترحات، وربما إنشاء جمعيات للجودة يُشارك فيه الجميع، إضافة إلى المُشاركة في المجالس المسؤولة عن إصدار القرارات. ولاشكّ أن تقنيات المعلومات والإنترنت تستطيع دعم ذلك من خلال توفير المُشاركة عبر الفضاء الافتراضي؛ لكن من دون الاستغناء عن اللّقاءات والشراكة المُباشرة.

يُؤمل في المستقبل العمل على إجراء دراسات حول مدى تطبيق مُعطيات الجودة المطروحة هنا في مُختلف مؤسّسات التعليم العالي السعوديّة، وحول الفوائد الناتجة عن هذا التطبيق على مستوى المُجتمع وسوق العمل. ويُضاف إلى ذلك أخذ مسألة شراكة جميع أصحاب العلاقة في الاعتبار.

تطوُّر التعليم العالي وسوق العمل

أقرّ مجلس الوزراء السعودي في العام 1423هـ وثيقة السياسة الوطنيّة للعلوم والتقنيّة التي أعدّها كلّ من مدينة **الملك عبدالعزيز للعلوم والتقنيّة** ووزارة الاقتصاد والتخطيط. وتشتمل هذه السياسة على عشرة أسس استراتيجية ترسم الخطوط العريضة للتوجهات المستقبلية العامة لمنظومة العلوم والتقنيّة والابتكار في **السعوديّة**، لترسي بذلك إطاراً إرشاديّاً متكاملاً يكون أساساً مرجعياً يكفل العمل به بلوغ الغايات والتطلّعات التي تستهدفها **المملكة** على المدى البعيد وفي مقدّمتها خدمة التنمية الشاملة المتوازنة والمستدامة.

نصّ الأساس الاستراتيجي الثاني في الوثيقة على تفعيل دور التعليم والتدريب، ورفع كفاءتهما اتساعاً وتنوّعاً بما يتفق واحتياجات التقدّم العلمي والتقني المنشود، والتأكيد على استمرار مواكبتهما للتطورات العلميّة والمستجدات التقنيّة العالية وتحدياتها من خلال اثنتي عشرة سياسة تطال بمجملها تطوير قطاع التعليم العالي بصورة غير مسبوقة على الصعيدين الكمّي والنوعي وإيصاله إلى جميع مناطق **المملكة العربيّة السعوديّة**، والارتقاء بنوعيّة التعليم والبحث العلمي لتصبح الجامعات السعوديّة مراكز بحثيّة لإنتاج المعرفة المُؤهِلَة لمرتاديها للدخول إلى سوق العمل في المملكة بكفاية واقتدار[1].

من هذا المنطلق، شهد التعليم العالي تطوّراً إيجابياً كبيراً وقفزة نوعيّة قد تكون أبرز ما يلحظه المراقب لنهضة المملكة منذ مطلع الألفية الثانية وبخاصة في السنوات الخمس الماضية.

نظراً إلى أن التطوّر في توظيف الكفاءات الوطنيّة والاستثمار في **سوق العمل** مرهون بتطوير قطاع التدريب التقني والمهني، فقد ركّزت خطة التنمية الثامنة على مواصلة تنمية القوى البشريّة، ورفع كفاءتها، وصقل مهاراتها لتلبية احتياجات التنمية الاقتصادية والاجتماعية، ولزيادة إسهام القوى العاملة الوطنيّة في **سوق العمل**.

1 – السياسة الوطنيّة للعلوم والتقنيّة في المملكة العربيّة السعوديّة: 1424هـ مدينة الملك عبدالعزيز للعلوم والتقنيّة ووزارة الاقتصاد والتخطيط

الإطار (7) الأساس الاستراتيجي الثاني من السياسة الوطنيّة للعلوم والتقنيّة في المملكة العربيّة السعوديّة

تفعيل دور التعليم والتدريب ورفع كفاءتهما اتساعاً وتنوّعاً بما يتفق واحتياجات التقدّم العلمي والتقني المنشود، والتأكيد على استمرار مواكبتهما للتطوّرات العلميّة والمستجدات التقنيّة العالمية وتحدّياتها.. وذلك من خلال السياسات الآتية:

1 – ربط مخرجات مؤسّسات التعليم والتدريب بالاحتياجات الفعليّة للمنظومة، وإيجاد الآليات الفعالة لتحقيق ذلك.
2 – تفعيل الجوانب التطبيقيّة في جميع مراحل التعليم والتدريب لتعميق الإدراك والتفكير العلمي والتقني للمستفيدين، وتنمية حبّ ممارسة البحث العلمي والالتزام بمنهجيته لدى الطلاب بعامة وطلاب التعليم العالي بخاصة.
3 – التقييم الدوري لبرامج تعليم العلوم والتقنيّة في جميع أنواع التعليم والتدريب ومراحلهما، وتطويرها لتصبح مواكبة وقادرة على الاستجابة للاحتياجات المستجدة للمنظومة.
4 – العمل على مشاركة القطاعات المستفيدة من مخرجات التعليم في تقييم برامج تعليم العلوم والتقنيّة وتطويرها.
5 – توسيع الطاقة الاستيعابيّة للمؤسّسات التعليميّة في المجالات العلميّة والتقنيّة، وزيادة نسبة قبول الطلاب فيها مقارنةً بالتخصّصات الأخرى.
6 – تطوير برامج الدراسات العليا تنوّعاً ومستوىً واستيعاباً وتوزّعاً على مناطق المملكة، مع توجيه اهتمام خاص بالدراسات العليا في المجالات العلميّة التطبيقيّة والتقنيّة المناسبة للمملكة.
7 – إيجاد معاهد عليا متميّزة في مجالات علميّة تطبيقيّة وتقنيّة على المستويين الجامعي وما فوق الجامعي لتكوين نخبة رائدة من العلماء والمهندسين والفنيّين التقنيّين، تكون قادرة على إنجاح تأصيل البحث العلمي التطبيقي وتوطين التقنيّة وتطويرها.
8 – التوسّع في التعليم الفنّي والتقني والتدريب المهني كمّاً ونوعاً لتلبية احتياجات المنظومة وتحقيق الاكتفاء الذاتي في مختلف المهارات والتخصّصات الفنّية والمهنيّة.
9 – تشجيع إنشاء مؤسّسات ومراكز تدريب متخصّصة وتطويرها في المجالات التقنيّة الرائدة والمؤثرة في الاقتصاد الوطني وتفعيل دور القطاع الخاص في هذا المجال.
10 – تفعيل وتطوير دور مؤسّسات التعليم العالي والبحث العلمي في التدريب المهني.
11 – العناية بالتعليم التعاوني في مؤسّسات التعليم كافة وبخاصة مؤسّسات التعليم الفنّي والتدريب المهني.
12 – تطوير مناهج العلوم الاجتماعية والإنسانية نحو مزيدٍ من فهم واقع المملكة، بما يفضي إلى تطوير المناهج الوطنيّة.

ولتحقيق ذلك، تبنّت خطة التنمية الثامنة العديد من السياسات الخاصة بتطوير مؤسّسات التدريب التقني والمهني[2].

منظومة التعليم العالي والتدريب التقني والمهني في المملكة

تتضمّن منظومة التعليم العالي والتدريب التقني والمهني في **المملكة** ما يلي:

مؤسّسات التعليم العالي

تشمل هذه المؤسسات:

الجامعات الحكوميّة والخاصة.

استهدفت خطة التنمية الثامنة في المملكة العربيّة السعوديّة (1430–1425هـ / 2005 – 2009م) في مجال التعليم العالي توسعاً أفقيّاً لإيصاله إلى جميع مناطق **المملكة**، وعمودياً للارتقاء بنوعيّته لتلبية متطلبات التنمية الاقتصادية والاجتماعية. وأوردت الخطة أن تحقيق ذلك يتمّ من خلال تبنّي السياسات التالية[1].

- زيادة الطاقة الاستيعابيّة لمؤسّسات التعليم العالي، بما يتماشى ومتطلّبات التنمية الاقتصادية والاجتماعية، وحاجات مناطق المملكة المختلفة.
- تطوير نظم مؤسّسات التعليم العالي ومناهجها وبرامجها، بما يتفق ومتطلّبات سوق العمل واحتياجاته والتوجهات الجديدة لاقتصادٍ حديث مبنيّ على

1 – المسيرة التنمويّة : مقتطفات (2009م) وزارة الاقتصاد والتخطيط، المملكة العربيّة السعوديّة.(

جدول (3) تطوّر عدد الجامعات الحكوميّة والخاصة

المؤشر	2006م/1427هـ			2010م/1431هـ			نسبة النمو %		
	حكوميّة	خاصة	إجمالي	حكوميّة	خاصة	إجمالي	حكوميّة	خاصة	إجمالي
عدد الجامعات	11	4	15	24	8	32	% 118	% 100	% 113
عدد الجامعات لكلّ مليون نسمة	0.46	0.17	0.63	0.89	0.30	1.18	% 93	% 76	% 87

المصدر: وزارة التعليم العالي 1432هـ2011م.

جدول (4) توزيع الجامعات بحسب المناطق الإداريّة في المملكة

المؤشر	عدد الجامعات			عدد السكان	عدد الجامعات لكل مليون من السكان
	حكوميّة	أهليّة	إجمالي		
الرياض	7	5	12	6.777.146	1.77
مكّة المكرمة	3	2	5	6.915.006	0.72
المدينة المنوّرة	2	-	2	1.777.933	1.12
المنطقة الشرقية	3	1	4	4.105.780	0.97
عسير	1	-	1	1.913.392	0.52
جازان	1	-	1	1.365.110	0.73
القصيم	1	-	1	1.215.858	0.82
نجران	1	-	1	505.652	1.98
الباحة	1	-	1	411.888	2.43
تبوك	1	-	1	791.535	1.26
حائل	1	-	1	597.144	1.67
الحدود الشمالية	1	-	1	320.524	3.12
الجوف	1	-	1	440.009	2.27
المجموع	24	8	32	27.136.977	1.18

المصدر: حالة التعليم العالي، وزارة التعليم العالي – المملكة العربيّة السعوديّة2011.

المعرفة.

- تحسين الكفاءة الداخلية والخارجية لنظام التعليم العالي.
- زيادة إسهام القطاع الخاص في تحقيق الأهداف الوطنيّة لقطاع التعليم العالي.
- التوسّع في برامج خدمة المجتمع التي تقدّمها مؤسّسات التعليم العالي.
- زيادة الاهتمام بالبحث العلمي والتطوير في مؤسّسات التعليم العالي.
- تكثيف برامج الابتعاث إلى الجامعات الأجنبية المرموقة.
- تطبيق نظام الاعتماد الأكاديمي لجميع برامج مؤسّسات التعليم العالي.
- تطوير أطر التعاون والتفاعل بين مؤسّسات التعليم العالي والقطاع الأهلي.

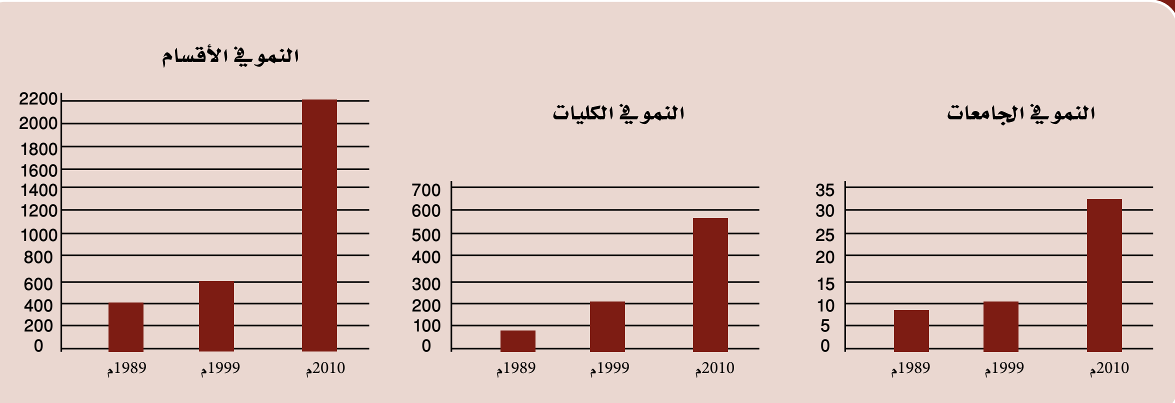
التوسُّع الأفقي:

خطت **المملكة** في سبيل تحقيق التوسّع الأفقي خطوات كبيرة لا نظير لها إذا إذا أخذ بالاعتبار الزمن الذي استغرقه إنجاز هذا التوسع كما هو موضح في الجدول (3) التالي، والشكل (1):

وقد جاء هذا التوسّع بإنشاء الجامعات الحكوميّة في ثلاث عشرة منطقة من مناطق **المملكة** الإداريّة في حين اقتصرت الجامعات الأهليّة على ثلاث مناطق فقط (جدول 4).

انعكس هذا التوسّع على القدرات الاستيعابيّة للطلاب، حيث بلغ مجموع عدد الطلاب والطالبات في جامعات **المملكة** حتى نهاية العام الدراسي للعام 2010: (297632) طالباً وطالبة بزيادة قدرها 173 % مقارنةً بعدد الطلاب والطالبات قبل عشر سنوات كما يتّضح من الجدول(5) التالي:

شكل بياني رقم (1) التوسع الأفقي في الجامعات والكلّيات والأقسام



جدول (5) المستجدّون حتى العام 2010

العام	ذكور	إناث	إجمالي
2000	46.742	62.307	109.049
2004	216.95	105.317	200.533
2009	142.444	130.410	272.854
2010	164.787	132.845	297.632

بلغ عدد المقيّدين في العام 2010 من الجنسين أيضاً في الجامعات السعوديّة (903567) مقارنةً بـ(404094) العام 1999 بزيادة بنسبة 424 % في المدّة نفسها كما يبيّن الجدول(6) التالي:

جدول (6) الطلاب المقيّدون حتى العام 2010

العام	ذكور	إناث	إجمالي
2000م	099.178	995.225	094.404
2004م	551.253	216.350	767.603
2009م	377.343	433.414	770.757
2010م	842.429	725.473	567.903

تعدّ **المملكة** في موقع متقدّم بالنسبة إلى أعداد الطلاب المقيّدين في الفئة العمرية ما بين 19 – 23 سنة حيث بلغت نسبتهم 37.8 % مقارنةً بكثير من دول العالم. فعلى سبيل المثال بلغت هذه النّسبة 23 % في الصين الشعبية، و14 % في الهند.

ينسحب هذا التوسّع على مخرجات التعليم العالي من حيث عدد الخريجين الذي بلغ (120797) طالباً وطالبة العام 2010 مقارنةً بـ 56753 العام 1999، أي بزيادة قدرها 113 % كما هو مبيّن في الجدول (7):

تبيِّن المؤشرات سابقة الذكر أن الجامعات السعوديّة قد توسّعت أفقياً بصورة جلية لاستيعاب مخرجات التعليم الثانوي المتنامية بصورة كبيرة أيضاً، نظراً إلى ارتفاع أعداد الفئة العمرية للشريحة السكانية ما بين 18–

جدول (7): الخريجون حتى العام 2010

العام	ذكور	إناث	إجمالي
1999 - 2000	24 ،142	32 ،611	56 ،753
2004 - 2005	78 ،748	44 ،255	83 ،003
2009 - 2010	54 ،549	66 ،248	120 ،797

تعدّ المملكة في موقع متقدّم بالنسبة إلى أعداد الطلاب المقيّدين في الفئة العمرية ما بين 19–23 سنة حيث بلغت نسبتهم 37.8 % مقارنةً بكثير من دول العالم. فعلى سبيل المثال بلغت هذه النسبة 23% في الصين الشعبية، و14 % في الهند.

وينسحب هذا التوسّع على مخرجات التعليم العالي من حيث عدد الخريجين الذي بلغ (120797) طالبا وطالبة العام 2010 مقارنة بـ 56753 العام 1999، أي بزيادة قدرها 113 %.

24 سنة، حيث تبلغ نسبة هذه الشريحة 8 % فقط من مجموع السكّان (بلغ العدد الإجمالي للسكان في العام 2010 نحو 27136977 ، وبلغ عدد السكان من الفئة العمرية 18–24 عاماً نحو 2387842).

تراوحت فإن نسبة خريجي الثانوية العامة المسجَّلين في التعليم العالي ما بين 49 % و 61 %حتى العام 2006، ممّا أدّى إلى زيادة التوسّع الأفقي في التعليم الجامعي وما نجم عنه من إنشاء جامعات وكليات بنسبة زيادة قدّرت ما بين العامين 2006 و2010 بنسبة 113 %. ونسبة نموّ عدد الجامعات لكلّ مليون نسمة بمقدار87 %. وبهذا فقد ارتفعت نسبة استيعاب التعليم العالي الجامعي لخريجي المرحلة الثانوية في العام 2010 إلى 91 % (280 ألف طالب وطالبة في 20 جامعة حكوميّة فقط، من دون احتساب مسارات التعليم فوق الجامعي الأخرى في الكليات التقنيّة التابعة للمؤسّسة العامة للتدريب التقني والمهني ومعهد الإدارة العامة والكليات الجامعية في **الجبيل وينبع** والجامعات والكلّيات الأهليّة).

استجابةً لاتّساع الطلب على التعليم العالي، تمّت مواكبة ذلك بتوفير وظائف جديدة لأعضاء هيئة التدريس في الجامعات السعوديّة، وبلغت نسبة زيادة أعضاء هيئة التدريس 19 % في العام 2010 مقارنةً بأعدادهم العام 2009 كما يتّضح من جدول (8) التالي:

إضافة إلى التوسّع اللافت للتعليم العالي في جامعات **المملكة**، فإن مسيرة ابتعاث الطلاب في التعليم العالي لخارج المملكة قد شهدت بدورها نمواً كبيراً بعد أن اعتمدت المملكة برنامج خادم الحرمين الشريفين للابتعاث الخارجي العام 2005.

حقّق هذا البرنامج نجاحاً كبيراً، إذ بلغ مجموع المبتعثين فيه العام 2010 (82،269) طالباً بالإضافة إلى (24953) طالبة، والمرافقين (12370) الذين يدرسون اللّغة، أي ما مجموعه الإجمالي(119592) في جميع مراحل التعليم العالي.

في سياق التوسّع الأفقي للتعليم العالي من حيث عدد الجامعات والكليات وازدياد أعداد المبتعثين للخارج، لا بدّ من الإشارة إلى تنوّع أساليب تقديم التعليم العالي في **المملكة** وتعدّده. توفّر مؤسّسات التعليم العالي أنواعاً متباينة من أساليب التعليم لتلبية الشرائح كافة ولتأخذ بالاعتبار الظروف الاجتماعية والجغرافية وتحقّق طموحات الأفراد لإشباع رغباتهم في تنمية معارفهم وإثرائها.

وتتوفّر أساليب التعليم العالي التالية في المملكة:

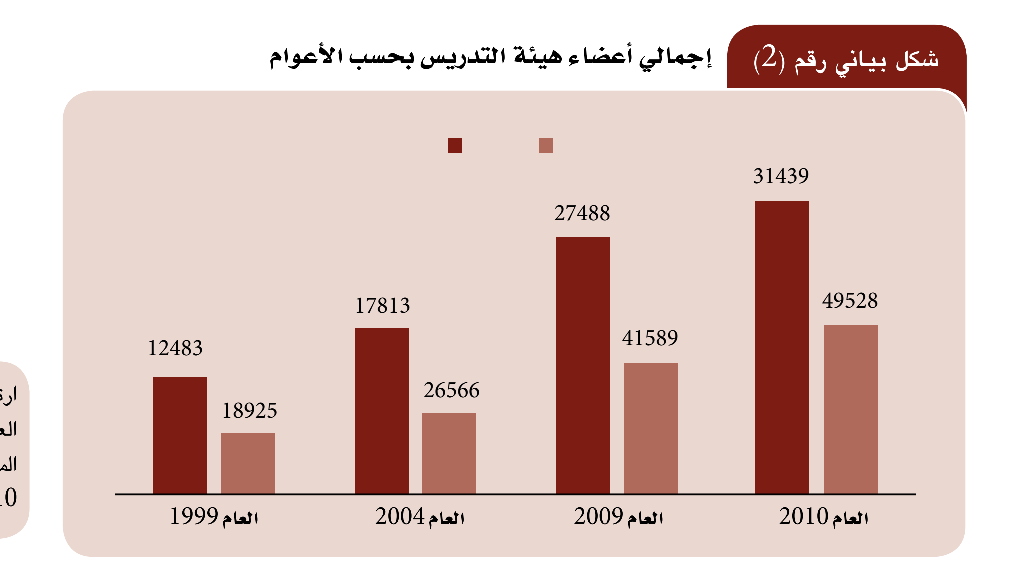
- **الانتظام**: ويعني التفرّغ الكلي للدراسة بحيث لا يقلّ حضور الطالب الدائم عن 75 % لكلّ مقرّر.
- **الانتساب**: ويهدف إلى إتاحة الفرصة لمن هم على رأس العمل ولا تسمح ظروفهم بالانتظام الجامعي. وتبلغ نسبة الطلاب في هذا النوع 15 %من مجموع الطلاب، ويسمح به لبعض التخصّصات المحدّدة.
- **التعليم عن بُعد**: ويتمّ من خلال الفصول التفاعلية التي تسمح للمحاضر أن يلقي بدروسه عبر قنوات عديدة أتاحتها التقنيات المعاصرة. ويقدّم هذا النوع من التعليم جامعتان في المملكة.
- **التعليم الإلكتروني**: يتحقّق عن طريق أدوات إيصال المعلومات في مدد وجيزة وجهد بسيط، عبر بوابات متعدّدة مثل شبكات الحاسب والإنترنت والمكتبات الإلكترونية.

جدول (8): أعضاء هيئة التدريس حتى العام 2010

العام	ذكور	إناث	إجمالي
1999م	12 ،483	6 ،442	18 ،925
2004م	17 ،813	8 ،753	26 ،566
2009م	27 ،488	14 ،101	41 ،589
2010	31 ،439	18 ،089	49 ،528

المصدر: حالة التعليم العالي في السعوديّة 2010.

شكل بياني رقم (2) إجمالي أعضاء هيئة التدريس بحسب الأعوام



ارتفعت نسبة استيعاب التعليم العالي الجامعي لخريجي المرحلة الثانوية في العام 2010 إلى 91 %.

شكل بياني رقم (3) نسبة زيادة أعضاء هيئة التدريس بحسب الأعوام

العام 1999
العام 2004
العام 2009
العام 2010
14%
20%
30%
36%

بلغ عدد المبتعثين السعوديين إلى الخارج العام 2010 (82،269) طالبا، بالإضافة إلى (24953) طالبة، والمرافقين (12370) الذين يدرسون اللّغة، أي ما مجموعه الإجمالي (119592) في جميع مراحل التعليم العالي.

والتعليم الإلكتروني هو أحدث أساليب التعليم المعاصر، فقد تبنّته في المملكة مؤخراً جامعتان سعوديّتان بعد أن أوصت بهذا النوع من التعليم الخطة الوطنيّة لتقنيّة المعلومات التي أعدّت في **المملكة** بتوجيه من **خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن** عبدالعزيز.

رافق التوسّع الأفقي للتعليم العالي في المملكة (المتمثّل بتنوّع أساليبه وتعدّدها التي تشمل الانتظام، والانتساب، والتعليم عن بُعد، والتعليم الإلكتروني، والتعليم الموازي) التوسّع العمودي، المتمثّل بالارتقاء بنوعيّة التعليم العالي لزيادة فاعليّته، وتوجيهه إلى تحقيق أهداف السياسة الوطنيّة للعلوم والتقنيّة والابتكار.

- **التعليم الموازي:** يقدّم التعليم الموازي ثلاثة أنماط من التعليم هي: البكالوريوس والماجستير والدكتوراه. وقد بدأ تطبيقه العام 2003. ويتيح هذا الأسلوب من التعليم الالتحاق بإحدى الكليات التي لم يقبل بها الطالب، مقابل رسوم مالية يحدّدها نوع الدراسة أو التخصّص.

التوسّع العمودي: الارتقاء بنوعيّة التعليم العالي

رافق التوسّع الأفقي في الجامعات الحكومية والخاصة، التركيز على الارتقاء بنوعيّة التعليم لزيادة فاعليّته، وتوجيهه إلى تحقيق أهداف السياسة الوطنية للعلوم والتقنيّة والابتكار، وأسسه الاستراتيجية الرامية إلى خدمة التنمية الشاملة المتوازنة والمستدامة. فقد نصّ الأساس الاستراتيجي الثاني في وثيقة السياسة الوطنية التي أقرّها مجلس الوزراء على تفعيل دور التعليم والتدريب ورفع كفاءتهما اتساعاً وتنوّعاً بما يلبّي التقدّم المنشود.

وفي هذا الإطار، تبنّت وزارة التعليم العالي مشروعاً لخطة مستقبلية للارتقاء بكفاءة نظام التعليم العالي (الكفاءة الداخلية والمواءمة الخارجية) في **المملكة** أُطلق عليه " آفاق ".

يتضمّن المشروع إعداد خطة طموحة طويلة المدى لمدة (25) سنة تتضمّن تفعيل الغايات والأهداف والاستراتيجيات والبرامج بحيث تحقّق الاستثمار الأمثل والأكفأ للموارد المتاحة في مؤسّسات التعليم العالي.

ويتمثل الارتقاء بنوعية التعليم العالي من خلال أوجه عديدة لا يتسع المجال لاستعراضها كاملة إلا أن ما أتسم به التعليم العالي في المملكة من ظواهرها ما يلي:

• الانفتاح على العالم:

يعتبر التوجّه نحو الانفتاح الثقافي والمعرفي العالمي أحد أهمّ السمات البارزة في ظاهرة العولمة وواقعها الذي نعيش. ومن هذا المنطلق، توسّعت برامج واتفاقيات التعاون التعليمي والبحثي الدولي بشكل لافت في السنوات الأخيرة.

ولعلّ أبرز أوجه هذا الانفتاح هو الحراك الطلابي من الدول كافة عبر الحدود إلى دول أخرى. فبحسب تقرير **اليونسكو للعام** 2010[1] بلغ عدد طلاب التعليم العالي خارج حدود أوطانهم في العام 2008 ما يقارب 3 ملايين طالب، بنسبة نموّ بحدود 58 % منذ العام 1999.

وقد تصدّرت **الصين والهند** قائمة دول العالم المصدّرة لطلاب التعليم العالي الدارسين في الخارج، تليهما **كوريا الجنوبية وألمانيا**. وتأتي **المملكة العربيّة السعوديّة** في المرتبة الخامسة بعد أن تضاعفت أعداد طلابها في الخارج خلال السنوات العشر الماضية بما يزيد على ستة أضعاف لتصل إلى ما نسبته 4،3 % من نسبة الطلاب الدوليّين، متقدّمة بذلك على اليابان وفرنسا.

وقد تحقّق هذا النموّ في أعداد الطلاب السعوديّين الدارسين في الخارج بفضل برنامج **خادم الحرمين الشريفين** للابتعاث الخارجي الذي يهدف إلى التبادل والتفاعل البناء مع خبرات الدول والحضارات الأخرى. وقد أسفر هذا البرنامج للانفتاح العلمي حول العالم

الإطار (8) أهداف مشروع الخطة المستقبليّة للتعليم الجامعي في المملكة العربيّة السعوديّة (آفاق)

يتمثّل الهدف العام لمشروع آفاق في الارتقاء بكفاءة نظام التعليم العالي (الكفاءة الداخلية والمواءمة الخارجية) في المملكة، وذلك من خلال إعداد خطة مستقبليّة عمليّة طويلة المدى (لمدّة 25 سنة) ذات رؤيا مستقبلية طموحة ورسالة واضحة، ومجموعة من القيم المؤثرة، ومعايير لتقويم الإنجاز تحدّد احتياجات نظام التعليم العالي، وأنماطه، ونوعيّة مخرجاته، وأساليب تمويله، مع تحديد آليات تنفيذ الدراسات التي سيتضمّنها مشروع إعداد الخطة؛ على أن تتضمّن الخطة تفصيل الغايات والأهداف والاستراتيجيات والبرامج وآليات التنفيذ المناسبة لها والمطلوبة لصياغة مستقبل هذا القطاع التنموي الهام، إضافة إلى وضع آلية تسمح بأن تتبنى مؤسّسات التعليم العالي أسلوب التخطيط الاستراتيجي لمساندة عملية تطبيق الخطة المستقبلية، وتحقيق الاستغلال الأمثل والأكفأ للموارد المالية والبشرية في مؤسّسات التعليم العالي، وتشجيع البحث العلمي وتوثيق العلاقات التبادلية مع مؤسّسات القطاعين الحكومي والأهلي لرفع مستوى المساندة المالية للإنفاق على أنشطة البحوث التطبيقيّة والتطوير التقني وتوثيق العلاقة التبادلية مع القطاع الخاص الذي يضطلع بدور مهم في عملية التنمية الشاملة في المملكة.

المصدر: المسيرة التنموية؛ (2009) وزارة الاقتصاد والتخطيط، المملكة العربيّة السعوديّة

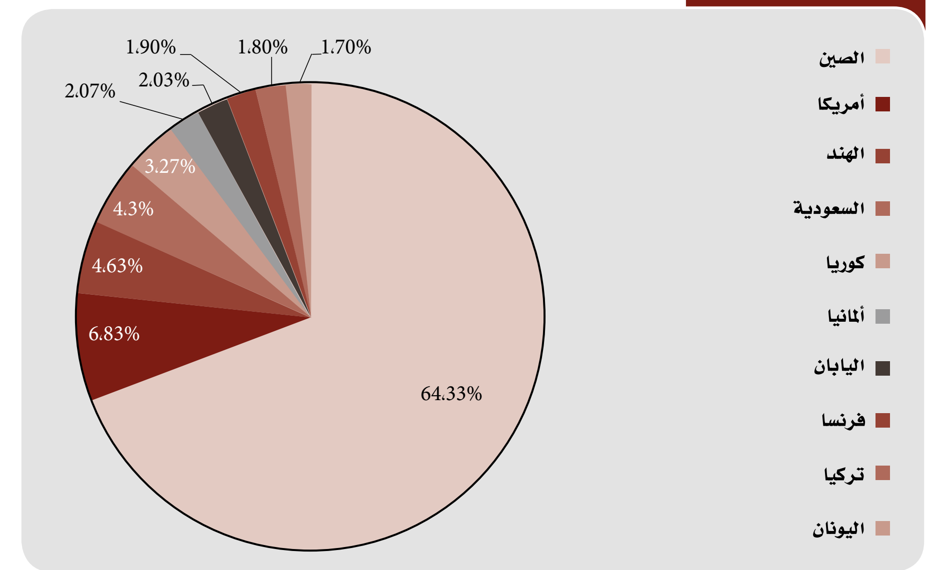


الجدول (9): نسبة الدارسين في الخارج لبعض دول العالم مقارنةً بإجمالي عدد الدارسين في العالم

م	الدولة	عدد الدارسين بالخارج للعام 2009	نسبة الدارسين في الخارج مقارنة بعددهم حول العالم
1	الصين	1.930.000	64.33%
2	الولايات المتّحدة الأميركية	205.000	6.83%
3	الهند	139.000	4.63%
4	السعودية	119.592	4.3%
5	جمهورية كوريا	98.000	3.27%
6	ألمانيا	62.000	2.07%
7	اليابان	61.000	2.03%
8	فرنسا	57.000	1.90%
9	تركيا	54.000	1.80%
10	اليونان	51.000	1.70%

المصدر: حالة التعليم العالي في المملكة العربيّة السعوديّة2010.

شكل بياني رقم (4) نسبة الدارسين في الخارج مقارنة بإجمالي عدد الدارسين في العالم



الهدف العام لمشروع آفاق، هو الارتقاء بكفاءة نظام التعليم العالي (الكفاءة الداخلية والمواءمة الخارجية) في المملكة، من خلال خطّة عمليّة طويلة المدى (25 سنة) ذات رؤية مستقبلية طموحة ورسالة واضحة.

1 - تقرير اليونسكو على موقعها في الإنترنت

الجدول(10) : أعداد الطلاب الدارسين في الخارج خلال الثلاث السنوات الماضية

العام	المرحلة	ذكور	إناث	المجموع	الإجمالي
2007	دبلوم	7.694	3.651	11.345	80.929
	بكالوريوس	34.128	5.967	40.095	
	دراسات عليا	17.515	6.966	24.481	
	دارسو لغة			5.008	
2008	بكالوريوس	37.221	6.413	43.634	95.691
	دراسات عليا	19.885	8.936	28.821	
	أخرى	9.560	4.106	13.666	
	دارسو لغة			9.570	
2009	بكالوريوس	40.070	7.327	47.397	105.290
	دراسات عليا	19.886	9.345	29.231	
	أخرى	12.927	5.360	18.287	
	دارسو لغة			10375	
2010	بكالوريوس	40.872	7.836	48.708	119.592
	دراسات عليا	19.303	9.797	29.100	
	أخرى	22.094	7.320	29.414	
	دارسو لغة			12.370	

المصدر: حالة التعليم العالي في المملكة العربيّة السعوديّة2010.

تحتلّ المملكة العربيّة السعوديّة المرتبة الثانية عالميّاً في نسبة الدارسين في الخارج مقارنةً بعدد السكان.

عن بلوغ عدد المبتعثين العام 2010 قرابة (120.000) مبتعثٍ في 60 دولة من دول العالم، يدرسون في ألمعٍ الجامعات العالمية وأعرقها، والمشهود لها بالتميّز العلمي.

يتّضح من **الجدول**(11) أن **المملكة العربيّة السعوديّة** أحتلّت المرتبة الثانية عالميّاً في نسبة الدارسين في الخارج مقارنةً بعدد السكان.

كما تتجلّى صور الانفتاح نحو العالم أيضاً من خلال شراكات جامعات المملكة الدوليّة والاتفاقيات المبرمة من قبل وزارة التعليم العالي. فقد أبرمت وزارة التعليم العالي (16) اتفاقية دولية، وأبرمت الجامعات السعودية حوالى (247) اتفاقية لتعزيز التبادل المعرفي والارتقاء بنوعيّة التدريب واستقطاب الخبرات الهادفة إلى نقلة نوعية في التعليم الجامعي، وذلك في التخصّصات الطبّية والهندسيّة والتقنيّة.

وقد بلغ عدد الدول التي عقدت معها اتفاقيات تعاون وتبادل علميّة أكثر من (30) دولة. ولا يُخفى الأثر المباشر الذي سيضيفه هذا الانفتاح على نوعية التعليم العالي في **المملكة العربيّة السعوديّة**.

ومن المظاهر الإيجابية أيضاً لانفتاح التعليم العالي في **المملكة** مشروع ترجمة الكتب والمراجع العلميّة المتميّزة إلى اللّغة العربيّة ونشرها، حيث تُرجم ونشر أكثر من (70) **كتاباً** من الكتب العلميّة الجامعيّة الدراسيّة باللّغة العربيّة في **العام** 2010.

جدول (11): نسبة الدارسين في الخارج لبعض دول العالم مقارنةً بعدد السكان

م	الدولة	عدد الدارسين بالخارج للعام 2009	عدد السكان	نسبة الدارسين في الخارج مقارنة بعدد السكان
1	اليونان	51.000	11.000.000	% 0.46
2	السعودية	119.592	26.000.000	% 0.45
3	جمهورية كوريا	98.000	48.000.000	% 0.20
4	الصين	1.930.000	1.321.000.000	% 0.15
5	فرنسا	57.000	65.000.000	% 0.09
6	ألمانيا	62.000	82.000.000	% 0.08
7	تركيا	54.000	72.000.000	% 0.08
8	الولايات المتّحدة الأميركية	205.000	308.000.000	% 0.07
9	اليابان	61.000	127.000.000	% 0.05
10	الهند	139.000	1.147.000.000	% 0.01
11	العالم	3.000.000	6.500.000.000	% 0.05

المصدر: حالة التعليم العالي في المملكة العربيّة السعوديّة2010.

• تعدّد أنماط التعليم العالي:

- الدبلوم: مرحلة تعليميّة تبدأ بعد المرحلة الثانوية. مدّة الدراسة فيها 2–3 سنوات. تمتاز الدراسة في الدبلوم بالمرونة لملاءمة حاجات الأفراد، ومتطلّبات خطط التنمية من الموارد البشرية. وتتضمّن الدبلومات ما يناهز 400 برنامج تقدّمها الكلّيات التقنيّة وكلّيات المجتمع، ويقضي الطالب فيها ما يقارب 50 % من وقته في ورشات العمل والتدريب.

يبلغ عدد الكلّيات التقنيّة التي تمنح درجة الدبلوم 40 كلية منتشرة في **مناطق المملكة** المختلفة. كما يبلغ عدد المعاهد العليا التقنيّة للبنات 26 معهداً تُمنح المتخرجات منها دبلوماً في أحد التخصّصات التالية: المحاسبة، والحاسب الآلي، والدعم الفنّي، والتجميل، وإنتاج وتصميم الملابس.

كما توجد في المملكة أيضاً كليتان صناعيّتان في الجبيل وينبع تمنحان بدورهما الدبلوم.

- البكالوريوس: تمنح البكالوريوس الجامعيّة بعد أن يمضي الطالب في إحدى الكليات ثمانية فصول دراسيّة أو خمس سنوات بحسب التخصّص. ويبلغ عدد برامج البكالوريوس في كليات **المملكة** وجامعاتها (1953) برنامجاً.

- الدبلوم العالي: تمنح درجة الدبلوم

من المظاهر الإيجابية لانفتاح التعليم العالي في المملكة، مشروع ترجمة الكتب والمراجع العلميّة المتميّزة إلى اللغة العربية ونشرها، حيث تمّت في العام 2010 ترجمة ونشر أكثر من 70 كتاباً من الكتب العلميّة الجامعيّة.

التعليم

أتى العام 2010 في السينما اللبنانية غنيًا بالوعود والإنجاز، لكنه أتى أيضًا جرس إنذار حقيقيًا ليثبت أن السينما، وحين تعبِّر عن نفسها بصدق، تبدو الفنَّ الأكثر حساسيَّة.

العالي بعد أن يقضي الطالب الحاصل على درجة البكالوريوس من سنة إلى سنتين دراسيَّتين مع إجراء بحث علميّ في التخصّص كمشروع للتخرج. وتقدّم الجامعات الحكوميّة في المملكة 29 برنامجاً لمنح درجة الدبلوم العالي.

- **الماجستير:** تمنح الجامعات والكليات في المملكة شهادة الماجستير بعد أن يخضع الطالب للمقرّرات الدراسيّة، على ألا تقل وحداتها عن 24 وحدة، بالإضافة إلى رسالة التخرّج.

بعض التخصّصات المهنيّة للحصول على شهادة الماجستير 42 وحدة دراسيّة، من بينها مشروع بحثي يُحسب بثلاث وحدات على الأقل. وتقدّم جامعات المملكة وكلّياتها الحكومية والخاصة ما مجموعه 639 برنامجاً يؤهل للحصول على درجة الماجستير.

- **الدكتوراه:** ينال طالب الدكتوراه هذه الدرجة بنجاحه في (30) وحدة دراسيّة، بالإضافة إلى رسالة الدكتوراه. وهناك أنواع أخرى يحصل بها الطالب على هذه الدرجة بعد نجاحه في 12 وحدة دراسيّة مع تقديمه رسالة التخرّج.

جدول (12): **أنماط التعليم العالي في الجامعات الحكومية والأهلية وأعدادها (2009).**

البرنامج	حكومي	أهلي	المجموع
دبلوم متوسط	291	10	301
بكالوريوس	1.747	206	1.953
دبلوم عال	29	-	29
ماجستير	616	23	639
دكتوراه	221	-	221
الزمالة	33	-	33
المجموع	2.937	239	3.176

المصدر: حالة التعليم العالي في المملكة العربيّة السعوديّة، 2010

ويبلغ عدد البرامج التي تمنح على إثرها شهادة الدكتوراه في جامعات المملكة 221 برنامجاً.

- **الزمالة:** شهادة تُمنح للحاصلين على بكالوريوس الطبّ. وتؤهل الزمالة الأطباء المتخرجين للحصول على درجة استشاري بعد أن يمضي من 4 **إلى** 6 سنوات دراسيّة نظريّة وتطبيقيّة يلازمها تقويم مستمرّ. وعادةً ما تمنح الزمالة في تخصّص طبّي معيّن مثل طبّ العيون، والمخ والأعصاب وطبّ المجتمع.

ويبلغ عدد البرامج الجامعيّة التي تمنح الزمالة في **المملكة العربيّة السعوديّة** ثلاثة وثلاثين(33) برنامجاً علميّاً.

هذا الطيف الواسع من الدرجات الجامعيّة والبرامج الواسعة التي يبلغ عددها الإجمالي (3176) برنامجاً (بما فيها الدبلوم المتوسط) يثري بشكل كبير نوعيّة التعليم في **المملكة** ويسهم إلى حدّ كبير في الارتقاء به، ما دام هناك سعي متواصل يتطلّع إلى جودة التعليم العالي لتلبية متطلّبات **سوق العمل** وسياسة **المملكة** الرامية إلى الاكتفاء الذاتي من احتياجاتها للموارد البشرية القادرة على تحقيق خطط التنمية الاقتصادية والاجتماعية.

يلخص **الجدول** (12) أنماط التعليم العالي وأعداد البرامج الحكومية والأهلية المقدّمة في **العام** 2009.

•الريادة العالمية في الجامعات:

سعياً وراء الارتقاء بنوعية **التعليم العالي**، أطلقت **وزارة التعليم العالي** في **المملكة** برنامجاً لتطوير الجودة والنوعيّة في مؤسّساتها تحت عنوان "الريادة العالمية في الجامعات". فمن خلال هذا البرنامج، تتطلّع الوزارة إلى تحقيق نقلة نوعيّة، حيث سيسهم هذا البرنامج في دعم الجامعات وإنجاح برامجها وبخاصة ما يتعلّق منها بالتعزيز الكمّي والنوعي للنشر العلمي في أوعية النشر المتميّزة، وتحقيق الشراكات

العلميّة العالمية مع الجامعات والمراكز البحثية المرموقة، وتبادل أعضاء هيئة التدريس، وغير ذلك من أوجه التعاون المتعدّدة.

كما تسعى الجامعات السعوديّة إلى تعزيز مبادراتها في عقد الشراكات المجتمعيّة التي تطال قطاعات عديدة في المجتمع، وتوسيعها لتنفيذ برامج التنمية الاقتصادية والاجتماعية، وبخاصة القطاعات الإنتاجية. ففي هذا الإطار وعلى سبيل المثال، تمثلّت الشراكة مع سابك إحدى كُبرى شركات البتروكيميائيات في العالم في الحصول على دعم مادي كبير من الشركة إلى 7 جامعات سعوديّة، إضافة إلى إنشاء مراكز بحثيّة مثل مركز تطوير التطبيقات البلاستيكيّة، الذي شيّدته سابك في وادي الرياض للتقنيّة بمبلغ (375) مليون ريال [1].

كما صدرت قرارات تنفيذيّة لتحفيز المبتكرين والمخترعين في مجالات العلوم والتقنيّة وتقديم الدعم الحكومي في تسجيل براءات الاختراع ومكافأة أصحابها. وقد نجم عن تحفيز المبتكرين أن ارتفعت النسبة المئوية لبراءات الاختراع التي منحت للمملكة بـ 16،5% في المدّة ما بين 2003 حتى 2008 (60 براءة). كما احتلّت **المملكة** المرتبة الأولى عربيّاً في عدد براءات الاختراع للعام 2010 حيث سجلت (287) براءة [2].

• الإنفاق على التعليم العالي

تضمّن الأساس الاستراتيجي الثاني من السياسة الوطنية للعلوم والتقنيّة في المملكة العربيّة السعوديّة التي أقرّها مجلس الوزراء، والخطط الوطنيّة المنفّذة لها، والتي ألحقت بخطة التنمية الثامنة والتاسعة، تعزيز القدرات الوطنيّة من خلال تفعيل التعليم والتدريب ورفع كفاءتهما اتساعاً وتنوّعاً وربط مخرجاتهما بالاحتياجات الفعليّة للتنمية(أنظر إطار الأساس الاستراتيجي الثاني/ تطوّر **التعليم العالي وسوق العمل**). وتحقيقاً لذلك فقد بلغت ميزانية تنمية الموارد البشرية **للعام** 2010 في **المملكة** 137440 مليون ريال من الميزانيّة الكلية البالغ قيمتها 000 540 **مليون ريال**، أي ما يقارب 25،5 % من الميزانية العامة[3]. وبمقارنة بين ميزانية تنمية الموارد البشرية **للعام** 2010 وتلك الخاصة **بالعام** 2005، والبالغة 69899 مليون ريال، يتّضح أن الميزانيّة قاربت على المضاعفة خلال خمس سنوات.

تُشير إحصائيّات الإنفاق على الطالب في التعليم العالي من نصيب الفرد من الناتج المحلّي الإجمالي في **المملكة** إلى أن النسبة بلغت 42،1 %، في حين أنها في **فرنسا** 33،8 % وفي **الولايات المتّحدة** 25،4 %، **واليابان**19،1 %، وفي **إيران** 27،7%، وفي **لبنان** 14،8 % [4].

كما تبيّن مؤشرات الإنفاق على التعليم العالي **للعام** (2010) في المملكة أن نسبة الإنفاق الحكومي على التعليم العالي بلغت 38 % من مجمل الإنفاق الحكومي، 18،3 % من الإنفاق العام على التعليم. وقد بلغ نصيب الطالب من الإنفاق العام على التعليم العالي 23619 ريالاً سنوياً وبنموّ سنويّ يصل إلى 6،2 % **للسنوات من** 2006 **إلى** 2010 [5].

هذا الارتفاع في نسب الإنفاق على التعليم العالي، انعكس إيجابياً على مناح كثيرة أتاحت سبل التوسّع الكمّي والنّوعي الذي شهده قطاع التعليم العالي في **المملكة** في السنوات الأخيرة.

كلّيات المجتمع

تعدّ كلّيات المجتمع مؤسّسات تعليميّة

نجم عن تحفيز المبتكرين أن ارتفعت النسبة المئوية لبراءات الاختراع التي منحت في المملكة بنسبة 16.5 % بين 2003 و2008. كما احتلّت المملكة المرتبة الأولى عربيّاً في عدد براءات الاختراع العام 2010، حيث سُجّلت 287 براءة.

1 – حالة التعليم العالي في المملكة العربيّة السعوديّة2010
2 – Thomson & Reuters – July 2011
3 – المصدر : مؤسّسة النقد السعودي – التقرير السنوي 46، ص 112 .
4 – حالة التعليم العالي في المملكة (2011) .
5 – مؤشرات التعليم العالي في المملكة العربيّة السعوديّة(2011).

تبيّن مؤشرات الإنفاق على التعليم العالي للعام (2010) في المملكة أن نسبة الإنفاق الحكومي على التعليم العالي بلغت 3.8% من مجمل الإنفاق الحكومي وبنسبة 18.3 % من نسبة الإنفاق العام على التعليم. وبلغ نصيب الطالب من الإنفاق العام على التعليم العالي 23619 ريالاً سنوياً.

تقدّم عدداً من البرامج والتخصّصات الدراسية لمدّة سنتين دراسيّتين بين المرحلة الثانوية والمرحلة الجامعية. وقد استحدث هذا النوع من الكليات للمواءمة ما بين حاجات الأفراد والمجتمع واحتياجات خطط التنمية من الموارد البشرية. وتتّسم برامج هذه الكليات بالمرونة والشمول.

تمنح كليات المجتمع شهادات تسمّى "درجة المشارك" وهي دون درجة البكالوريوس الجامعيّة. وتعدّ في **المملكة العربيّة السعوديّة** معادلة لدبلوم الكلّيات المتوسطة، غير أنها تتيح للمتفوقين من طلابها، ولمن لديهم الرغبة في مواصلة دراستهم، فرصة الالتحاق بالجامعة.

ويرجع تاريخ إنشاء كليات المجتمع بهذا المسمى إلى قرار مجلس الوزراء الصادر العام 1418هـ (1997م) المتضمّن إنشاء ثلاث كلّيات للمجتمع تتبع لثلاث جامعات سعوديّة. غير أن افتتاحها قد تمّ العام 1420هـ (1999م) توالى إنشاء هذه الكليات حتى وصل عددها في العام 2010 إلى (47) كلية للبنين والبنات موزّعة على جميع مناطق المملكة، وتابعة لمعظم الجامعات القائمة فيها.

وتحقيقاً لأهداف خطّة التنمية الثامنة التي بدأت العام 1425هـ، بلغ معدل نموّ كليات المجتمع خلال هذه المدّة أكثر من 390% ، حيث ارتفع من (12) كلّية ليصل إلى (47) كلية العام 2010.

وتؤهّل كلّيات المجتمع، كما يتضح في أهدافها، ممارسة مهن محدّدة من خلال مجموعة البرامج التي تقدمها في المجالات التالية:

- تقنيات العلوم الوطنيّة.
- تقنيات العلوم الهندسيّة.
- تقنيات العلوم الأساسيّة.
- العلوم الإداريّة.
- العلوم الإنسانيّة.

إضافة إلى مقررات اللّغة الإنجليزية والحاسب الآلي.

تنفرد كلّ كلية من كلّيات المجتمع بأحد المجالات السابقة ثم تختار التخصّصات الفرعية داخلها. وتُمنح شهادة التخرّج منها بعد دراسة لا تقلّ عن 64 وحدة دراسية مُجَدْوَلة ما بين (5 و4) فصول دراسيّة.

ومع تطوّر أعداد كلّيات المجتمع وقدرات استيعابها، زادت أعداد الطلاب المنتظمين فيها لتصل إلى 28080 طالباً وطالبة في العام 2009 (الجدول 14)

يتّضح أيضاً من **الجدول** (14) أن إقبالاً ملحوظاً قد برز على **كلّيات المجتمع** في السنوات الخمس الأخيرة، حيث بلغ متوسط أعداد المنتظمين **الذكور** 18 % في حين لم يتجاوز المتوسط **للاناث** 4 %.

وفي المقابل، بلغ عدد الخريجين للعام الدراسي 2007/2008 نحو 6695 طالباً وطالبة(2960 طالباً/ 3735 طالبة).

جدول (13): **تطوّر أعداد كليات المجتمع للبنين والبنات منذ تأسيسها**

السنة	عدد كلّيات المجتمع		
	ذكور	إناث	إجمالي
2000	2	0	2
2001	3	0	3
2002	3	1	4
2003	11	1	12
2004	11	1	12
2005	16	16	32
2006	17	16	33
2007	17	16	33
2008	21	16	37
2009	24	16	40
2010	28	19	47

المصدر: إحصاءات وزارة التعليم العالي عن كلّيات المجتمع.



جدول (14): **تطوّر أعداد الطلاب المنتظمين في كلّيات المجتمع خلال خمس سنوات**

الجنس	السنة 2004	السنة 2005	السنة 2006	السنة 2007	السنة 2008	متوسط نسبة النموّ السنوي
ذكر	9148	11369	14218	16860	17961	%18
أنثى	8516	8844	7140	9859	10119	%4
جملة	17664	20213	21358	26719	28080	%12

المصدر: إحصائيات وزارة التعليم العالي – المملكة العربيّة السعوديّة

استُحدثت كلّيات المجتمع في المملكة للمواءمة بين حاجات الأفراد والمجتمع واحتياجات خطط التنمية من الموارد البشرية. وهي تمنح شهادات تسمّى "درجة المشارك" تعادل دبلوم الكلّيات المتوسطة، وتتيح للمتفوّقين من طلابها، ولمن لديهم الرغبة في مواصلة دراستهم، فرصة الالتحاق بالجامعة.

وتشير إحصائيات كلّيات المجتمع إلى أن أعداد المقبولين في السنوات من 2004–2009 تجاوز 60 **ألف طالب** وطالبة في الوقت الذي لم يتعدّ الخريجون 22000 متخرج ومتخرجة.

البرامج التدريبيّة العامة

تلبّي هذه البرامج الاحتياجات التدريبية لموظّفي المستويات التدريبيّة الوسطى، وتهدف إلى رفع كفاءة الخاضعين لها من خلال صقل مهاراتهم، وتنمية معارفهم وتعزيز الاتجاهات الإيجابية لسلوكهم الإداري. وينفّذ المعهد سنوياً أكثر من 290 برنامجاً تدريبيّاً عاماً في المجالات الإدارية والماليّة والاقتصاديّة والحاسب الآلي، وإدارة المواد، والإدارة الهندسيّة، والمشروعات الصحّية، والمكتبات والمعلومات.

يبيّن الجدول (15) توزيع أعداد المتدربين في البرامج التدريبيّة العامة بحسب قطاعات التدريب.

البرامج الإعدادية العامة

تهدف هذه البرامج إلى تأهيل الخريجين الجدد من مراحل التعليم الثانوية والجامعية للقيام بأعباء وظيفية معيّنة في القطاعين الحكومي والأهلي.

يلخّص **الجدول** (16) أنواع هذه البرامج وأعداد الخريجين والخريجات في **العام** 2010 في فروع المعهد كافة في المملكة.

جدول(15): **أعداد المتدربين في البرامج التدريبيّة العامة بحسب قطاعات التدريب**

م	القطاع	عدد المتدربين والمتدربات
1	الإدارة العامة	5634
2	المحاسبة	2993
3	الموارد البشريّة	2942
4	إدارة المواد	2145
5	الاقتصاد والميزانيّة	842
6	الإدارة الهندسيّة والمشروعات	1657
7	المكتبات والمعلومات	1887
8	العلاقات العامة والإعلام	1423
9	الإحصاء	1857
10	القانون	2424
11	الإدارة الصحّية	1000
12	السلوك التنظيمي	4071
13	الإدارة المكتبيّة	10792
14	الحاسب الآلي	3223
	المجموع	42890

المصدر: التقرير السنوي لإنجازات معهد الإدارة العامة، العام التدريبي 1431/1430هـ (2010م)

البرامج الخاصة

تلبّي البرامج الخاصة الاحتياجات التدريبيّة ذات الطبيعة الخاصة للأجهزة الحكومية، ولا تكون هذه البرامج مشمولة ضمن البرامج العامة، نظراً إلى طبيعتها المختلفة عن البرامج العامة. ويتمّ تصميم هذه البرامج والحلقات التطبيقيّة والبرامج الإعدادية بشكل خاص بناءً على طلب محدّد من جهة معيّنة، نظراً إلى حاجة تتلمّسها هذه الجهة لهذا النوع من التدريب.

البرامج التدريبيّة الخاصة

تنفذ البرامج التدريبية الخاصة بعد قيام معهد الإدارة بدراسة الاحتياجات التدريبيّة لجهة حكوميّة، وتصميم المعهد لهذه الجهة بالبرامج التي تناسبها.

وقد أتمّ المعهد خلال العام 2010 تدريب (2009) متدربين في فروع المعهد كافة في المملكة.

البرامج الإعدادية الخاصة

تهدف هذه البرامج إلى تلبية الاحتياجات التدريبيّة المستجدّة أو المطوّرة للأجهزة الحكوميّة، وتختلف عن البرامج التدريبيّة الأخرى بأن مدّة التدريب طويلة قد تصل إلى عامين تدريبيّين.

والجدول (17) يلخّص إنجازات التدريب في المعهد خلال العام 2010.

يلخّص الجدول (18) أعداد المتقدمين والمقبولين والخريجين من مختلف الوحدات التدريبيّة الخاصة بالمؤسّسة العامة للتدريب التقني والمهني، من حكومية وأهلية ومعاهد الشراكات الاستراتيجية من الذكور والإناث للعام 2010.

ونظراً إلى أن مجال هذه الدراسة ينحصر في **التعليم العالي وسوق العمل**، فسنقتصر على ما يتقاطع من أوجه نشاط المؤسّسة العامة للتدريب التقني والمهني مع **التعليم العالي**، أي لحاملي الشهادة الثانوية العامة مع استبعاد البرامج المخصّصة لذوي المرحلة التعليميّة المتوسطة والابتدائية، أي المستوى المهني.

سيتمّ استعراض أوجه نشاط المؤسّسة من خلال قطاعاتها المختلفة، وهي: الكليات التقنيّة، المعاهد المهنيّة الصناعية، المعاهد العليا التقنيّة للبنات.

الكليات التقنيّة:

توفّر الكليات التقنيّة عدداً من التخصّصات التي يُمنح المتخرجون منها درجة الدبلوم (الشهادة الجامعية المتوسطة). وبعد أن يمضوا مدّة ثلاث سنوات دراسيّة، يصبح الخريج بمرتبة مساعد مهندس. كما أضيف برنامج البكالوريوس في الكلية التقنيّة في الرياض

جدول (16): أنواع البرامج الإعداديّة العامة وأعداد خريجيها

م	البرنامج	أعداد الخريجين والخريجات
1	دراسات الأنظمة (فوق الجامعي)	16
2	الرقابة الماليّة (فوق الجامعي)	29
3	إدارة المواد	33
4	إدارة المستشفيات	120
5	السكرتير التنفيذي	255
6	برمجة الحاسب	105
7	تقنيّة شبكات الحاسب وأنظمة التشغيل	28
8	إدارة المعلومات	18
9	المحاسبة التجاريّة	250
10	المبيعات	144
11	عمليات التأمين	34
12	الأعمال البنكيّة	129
13	إدارة التسويق (فوق الجامعي)	14
14	إدارة التمويل والاستثمار (فوق الجامعي)	16
	المجموع الكلي	1191

المصدر: التقرير السنوي لإنجازات معهد الإدارة العامة: العام التدريبي 1431/1430هـ (2010م)



جدول (17): ملخص إنجازات التدريب في مراكز معهد الإدارة اللعامة 2010

البرنامج	عدد المتدرّبين	عدد المتدرّبين المنتظمين	عدد المتدرّبين الناجحين
أ. البرامج التدريبيّة			
البرامج التدريبيّة العامة	49882	42915	42890
البرامج التدريبيّة الخاصة	2165	2009	2009
مجموع المتدرّبين	52047	44899	44899
ب- البرامج الإعدادية	عدد الدارسين المنتظمين		عدد الخريجين
البرامج الإعداديّة العامة	1658		1191
البرامج الإعداديّة الخاصة	99		96
مجموع الدارسين	1757		1287
يشمل عدد الدارسين المقبولين لهذا العام والمستمرين من الأعوام السابقة			
ج- برامج تنمية القيادات الإدارية العليا	عدد الحلقات		عدد المشاركين
الحلقات التطبيقيّة	80		1705

المصدر: التقرير السنوي لإنجازات معهد الإدارة العامة: العام التدريبي 1431/1430هـ

شكل بياني رقم (5) المستويات التعليميّة للمؤسّسة ووحدات التنفيذ وشهاداتها.

المستويات التعليميّة للدخول	الوحدة التدريبية	تركيز المواد التدريبية المهارة المعرفة	شهادة التخرج	المستوى المهني
الثانوية العامعامة	الكلية التقنيّة المعهد العالي التقني للبنات		دبلوم الكلية التقنيّة أو المعهد التقني للبنات	المستوى الرابع (تقني)
المستويات التعليميّة للدخول	المعهد المهني الصناعي		دبلوم المعهد المهني الصناعي دبلوم معاهد عمارة وتشييد	المستوى الثالث (مهني)
المستويات التعليميّة للدخول	المعهد المهني الصناعي		شهادة المعهد المهني الصناعي	المستوى الثاني (مهني)

المصدر: المؤسّسة العامة للتدريب التقني والمهني – تقرير الإنجازات السنوي للعام 2010م (1432-1431هـ)

جدول(18): أعداد المتقدمين والمقبولين والخريجين من الوحدات التدريبيّة كافة العام (2010)

	الوحدات	عدد الوحدات التدريبيّة	المتقدمون	المقبولون	نسبة المقبولين من المتقدمين	إجمالي المتدربين	الخريجون
البرامج الحكومية	الكليات التقنيّة	36	128344	39328	%31	78076	18788
	المعاهد المهنية الصناعية	63	8124	8124	%100	14958	7993
	المعاهد العليا لتقنية البنات	14	20325	1269	%6	6661	1627
	التنظيم الوطني للتدريب المشترك	22	0	1697		1697	831
	معاهد التدريب المهني في السجون	36	1304	1304	%100	1304	394
	معاهد التدريب العسكري المهني	3	660	66	%100	660	579
	التدريب على رأس العمل	-	-	352	-	-	212
	معاهد الشراكات الاستراتيجيّة	10	1481	1481	%100	2955	838
	خدمة المجتمع والتدريب المستمر	-	44181	44181	%100	44181	44181
	مجموع البرامج الحكومية		204419	98396	-	150492	75443
البرامج الأهلية	معاهد ومراكز التدريب الأهلية (بنين)	605	50149	50149	%100	69155	51269
	معاهد ومراكز التدريب الأهلية (بنات)	263	31318	34318	%100	47574	33755
	مجموع البرامج الأهلية	39328	84467	84467	%100	116729	85024
	الإجمالي		288886	182863	-	267221	160467

المصدر: المؤسّسة العامة للتدريب التقني والمهني – تقرير الإنجازات السنوي للعام 2010م (1432-1431هـ)

مُنذ العام 1992م (1413هـ). وقد ارتفع الإقبال في السنوات الخمس الماضية على هذه الكلّيات فبلغ عدد الطلاب المتقدمين في العام 2010 نحو 128344 طالباً استوعبت الكليات منهم 39328، أي ما نسبته 31 % من المتقدّمين. وتخرّج في العام نفسه 18788 **متخرجاً**.

وتمنح الكليات التقنيّة درجة الدبلوم للناجحين في برامجها التي تقدمها في التخصّصات التقنيّة العشرة التالية:

الكهربائيّة – الميكانيكيّة – الكيميائيّة – الإلكترونيّة – الاتصالات – التصنيع الغذائي – البيئيّة – الحاسب – الإداريّة – الفندقة والسياحة.

يندرج تحت كلّ من التقنيّات تخصّص فرعيّ يؤهّل المتخرج منه شهادة دبلوم مساعد مهندس.

ويوضح الشكل(6) تطوّر أعداد المتدربين في الكلّيات العشر التقنيّة في **المملكة** منذ **العام** 2001 وحتى **العام** 2008.

المعاهد المهنيّة الصناعيّة

تقدّم المعاهد المهنيّة الصناعيّة برامج تدريبيّة تتوافق مع مسؤوليات التدريب والتأهيل وفقاً لنظام المؤهلات المهنيّة السعوديّة. وقد طوّرت المؤسّسة العامة للتدريب التقني والمهني برامجها التدريبيّة بناءً على



طبيعة حاجة سوق العمل المستجدّة، بحيث تحدّد مدّة التدريب في كلّ مهنة تبعاً لاحتياجها الحقيقي من واقع تحليل السوق.

في العام 2010 بلغ عدد المعاهد 63 **معهداً**. وهي تقدّم ما يزيد على 61 **برنامجاً** تدريبيّاً، تخرّج منها في **العام** 2010 (7992) **متدرّباً** من أصل (8124) مقبولاً في المعاهد المهنيّة الصناعيّة كافة.

المعاهد العليا التقنيّة للبنات

تمّ إنشاء المعاهد التقنيّة العليا للبنات خريجات الثانوية العامة في **المؤسّسة العامة للتدريب التقني والمهني** بقرار من مجلس الوزراء العام 2005 وقد بلغ عدد هذه المعاهد 14معهداً موزّعة في مختلف مناطق **المملكة**. ويجري حالياً تنفيذ 39 **معهداً** إضافياً وكلّيتين لإعداد المدرّبات في المناطق الأخرى. وتتوزّع أقسام المعاهد إلى ثمانية أقسام تقنيّة تضمّ **ثلاثة وعشرين** تخصّصاً فرعيّاً. والتخصّصات التقنيّة هي: الحاسب الآلي، التقنيّة الإدارية، تقنيّة التزيين النسائي، الخياطة وتقنيّة الذهب والمجوهرات، التقنيّة الغذائية، التقنيّة الإلكترونية وتقنيّة التصوير.

لاقت هذه المعاهد قبولاً واسعاً يفوق طاقتها الاستيعابية الحالية، غير أن خطة التنمية التاسعة التي بدأت العام 2010– 2015 تضمّنت هدف **المملكة** ببلوغ الطاقة الاستيعابيّة للمعاهد العليا التقنيّة للبنات إلى 100 ألف متدربة في نهاية الخطة.

المعاهد التابعة للهيئة الملكية للجبيل وينبع

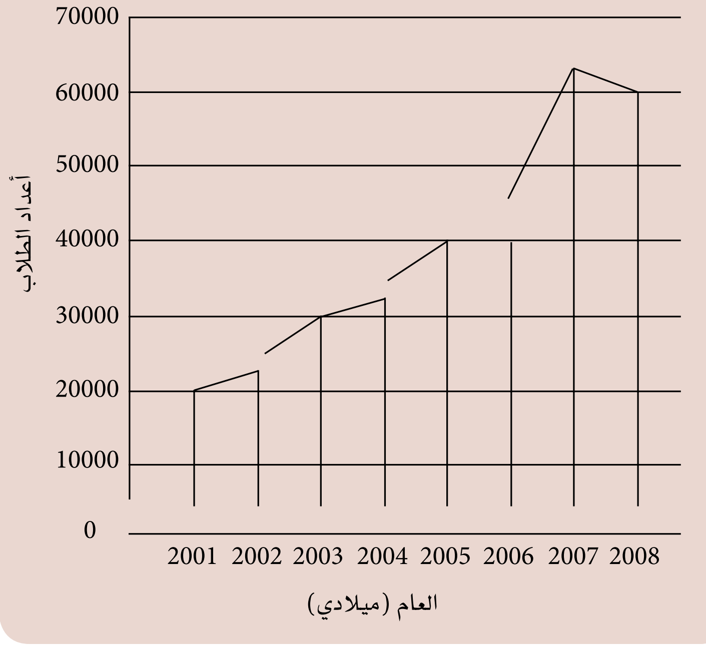
كلية الجبيل الصناعية

تعدّ **كلية الجبيل** الصناعيّة أكبر معهد تقني متطوّر في **المملكة**. وتعود بداياته إلى العام 1978 حين تأسّس كمركز لتدريب الأيدي العاملة ثم تطوّر إلى **معهد الهيئة الملكيّة** **لتطوير الموارد البشرية.**

في العام 1989 استقرّ وضعه فأصبح كلّية متكاملة للهندسة وإدارة الأعمال، تحت مسماها الأخير كلية الجبيل الصناعية.

تمنح الكلية درجة البكالوريوس في تقنيات الهندسات التالية: الميكانيكية – الكيميائية

شكل بياني رقم (6) تطوّر أعداد المتدرّبين في الكلّيات التقنيّة



جدول (19): تطوّر الإقبال على المعاهد العليا التقنيّة للبنات في السنوات من (2007 - 2009)

العليا	المتقدمات	المقبولات	نسبة المقبولات/ المتقدمات
2007	22354	1886	%8
2008	35205	2417	%7
2009	48062	2927	%6

التعليم

– الكهربائيــة – الآلات الدقيقة والتحكّم. كما تمنــح الدرجــة الجامعيــة المتوسطــة (دبلــوم) في التقنيــات الهندسـية التاليـــة: التصـنيع – الصـيانة الميكانيكية – الكهربائية – هندسـة الآلات الدقيقة والتحكّم – الكيمياء الصـناعية – البوليمرات – المحاسبة – التسويق – إدارة المكاتب – دعم نظم تقنيّة المعلومات.

تقيـم **كليـة الجبيـل** الصـناعية شراكات استراتيجية مع القطاعات الصناعية، وبخاصة **أرامكـو السعوديـة والشركـة السعوديـة للصناعـات الأساسيّـة** بهـدف توجيـه جميـع البرامــج الدراسـية وتحديثهـا لتزويـد قطـاع الصـناعات بالموارد البشرية المؤهلة ومواكبة الكلّيـة للمسـتجدات التقنيّـة. ومن ثمـرات هذه الشراكات الوثيقة مـع الكلّيـة، تدريب الطلاب في مواقــع العمل في هـذه الشركات في آخـر فصـول دراستهم. فقد تخرّج في الشهر السادس من العام 2011 على سـبيل المثـال 13 متدرّباً يمثلون الدفعة الثالثة عشرة من المتدربين لدى **شركة أرامكو** بعد أن أمضوا 39 أسبوعاً دراسيّاً. وتوجّهوا إلى مواقع أعمالهم لدى الشركة [1].

كمـا تخرّجت الدفعـة الثالثة من المتدربين لدى الشركة السـعودية للصـناعات الأساسـية وبلـغ عددهـم 218 متدربـاً بعدما أمضـوا 54 أسبوعاً دراسيّاً لدى الشركة [2].

هـذه الشراكـة الاسـتراتيجيّة بـين الكلّيـة والشركـات الكـبرى، تحقّـق دون شـك خطـوة رائـدة ونموذجيّـة في تلبيـة احتياجـات **سوق العمـل**، والتي لا بدّ أن تسـير على نمطها معظم المعاهد والمراكز التدريبيّة المهنيّة والتقنيّة في المملكة.

معهد الجبيل التقني

تأسـس المعهد العام 2004 من قبل **الهيئة الملكية للجبيل وينبع**، ويعدّ المعهد من المعاهد التقنيّـة المتميـزة في **المملكـة**. حيـث يتـولّى تخريج فنّيين مهرة من حملـة الثانوية العامة أثبتـوا كفـاءات ومهـارات في مواقـع العمـل، ممـا حـدا بالشركات الصـناعية الراميـة إلى سَـعْوَدة الموارد البشرية الفنّية إلى أن تتسـابق لاستقطابهم لديها.

تسـتغرق مـدّة التدريب في المعهد سـنتين ونصف السنة موزّعةً على مجموعة من المهارات التخصّصيـة وفي نهايتهـا، يقضـي المتـدرّب دورةً على رأس العمل الذي سيمارسه.

يمنح خريج المعهد شهادة الدبلوم في إحدى المهارات الفنّية التي يوفّرها المعهد وهي: خراطة وتشكيل المعادن – صيانة الآلات الصناعية – الرسـم والتصميم بالحاسب الآلي – الكهربـاء الصـناعيّة – الآلات والتحكّـم – اللّحام الصـناعي – صـيانة السيارات – إدارة الشـبكات – مهارات دعم الحاسـب والشـبكات الحاسوبيّة.

المعاهـد الصحّيـة الفنّيـة التقنيّة الحكوميّة والخاصة

التعليم الصحّي الحكومي

ترجـع بدايـات التعليم الصـحّي الحكومي إلى افتتـاح أوّل مدرسـة للتمريض في **المملكة** العــام 1345هـ، وذلك قبل أن تكون في المملكة وزارة للصـحة، وإنمـا كانـت تابعـة لمديريـة الصـحة والإسـعاف. ومنـذ ذلـك التاريـخ لم تتوقف مسيرة تطوير التعليم الصحّي الحكومي إلى هـذا الوقت. وبعد أن أنشئت **وزارة الصحة**، تمّ التوسـع في المعاهـد الصـحّية وتوزّعت في مختلف مناطـق **المملكـة**. ومع التطويـر الكبير في الخدمـات الصـحّية والتعليم بصـفة عامة، باشرت وزارة الصـحة العـام 2006 (ضـمن خطة التنمية الثامنة **للمملكة**) بإنشـاء كليات صحة لخرّيجي الثانوية العامة وتحويل معاهد الصـحّة الثانوية إلى كلّيات صحـة متوسطـة،

1 – المصدر : موقع الكلية على بوابة الشبكة

2 – المصدر السابق .

أو معاهد صـحّية مطوّرة. وفي العام 2007 تمّ نقـل مرجعية كلّيات الصـحة إلى وزارة التعليم العـالي وربـط كليـات كلّ منطقـة بالجامعـة القريبة منها. وعلى أثـر ذلك أعادت الجامعات هيكلـة كليـات الصـحة التابعـة لهـا فادمجت إمـا بكلّيات أخرى قائمـة، أو بتحويل برامجها إلى برامـج جامعية تمنح درجـة البكالوريوس. وقـد بلغ عدد الخريجين من تلـك الكليات العام 2008 نحــو 13631 **خريجـاً** بالإضـافة إلى 3640**خريجة**.

كما أنشئت مدارس وبرامج تدريبيّة ملحقة بمستشفيات القوّات المسلّحة والحرس الوطني **والهلال الأحمر** تقدّم برامج تدريبيّة قصيرة. غـير أن هذه البرامج والمدارس ليست ثابتة أو مستقرة وقد ألغي الكثير منها.

التعليم الصحّي الأهلي

يرجـع تاريخ التعليـم الصـحّي الأهلي إلى العام 1998 حيث كانت **مؤسّسة التعليم الفنّي والتدريـب المهني** هي التي تتولّى ترخيصـه. ثم انتقلت صـلاحية ذلك إلى **وزارة الصحة وهيئة التخصّصات الصحّية**.

يبلـغ عـدد المعاهـد الصـحّية حاليـاً (122) **معهـداً** سـبعون منهـا للبنين واثنـان وخمسـون للبنـات. ويلخص الجـدول (20) أعداد وتخصّصـات الملتحقين بالمعاهد الفنّية الصحّية الأهلية **للعام** 2010.

المعاهد المشتركة

تضـمّنت خطّـة التنميـة الثامنـة توجّهـاً اسـتراتيجيّاً يهـدف إلى منح القطـاع الخاص دوراً كبـيراً في المشـاريع التنمويّـة الراميـة إلى تطويـر التدريب التقنـي والارتقاء بجودته لاسـتيعاب فرص أكبر لعمـل الخريجين. ومن هذا المنطلق، عقـدت **المؤسّسة العامة للتدريب التقنـي والمهنـي** شراكات اسـتراتيجيّة مـع مؤسّسـات وقطاعـات أعمال كبيرة للإسـهام في تأهيـل المـوارد البشريـة وتدريبهـا. وقـد أسـفرت هذه الشراكات مع المؤسّسة إلى إنشاء أحـد عشر معهداً حتـى نهايـة **العـام** 2010. بلغت قدراتها على اسـتيعاب (8050) **متدرّباً** يلخّصها الجدول(21)

كما تمّ الاتفاق على إنشاء معاهد أخرى لا تزال في طور التشـييد وسـتفتح تباعاً فور إنجازها

جدول (20): أعداد وتخصّصات الملتحقين بالمعاهد الفنية الأهلية للعام 2010 (هيئة التخصّصات الصحّية 2011)

البرامج	عدد الطلاب	عدد الطالبات	المجموع
تمريض	2585	7714	10299
سجلات	917	173	1090
أشعة	680	196	876
صيدلة	1700	1201	2901
مختبرات	1060	1272	2332
مساعد طبيب أسنان	226	1096	1322
مساعد صحّي	463	280	743
أجهزة طبّية	399	0	399
علاج طبيعي	122	101	223
تخدير	765	25	790
تأمين صحّي	1565	100	1665
تقنيّة أسنان	285	13	298
عمليات	794	199	993
طب طوارئ	3478	0	3478
إدارة صحّية	211	0	211
بصريّات	460	0	460
صحة مهنيّة	45	0	45
معلومات صحّية	175	99	276
المجموع	15930	12469	28399

المصدر: هيئة التخصّصات الصحّية 2011

جدول (21): المعاهد المشتركة التي تم إنشاؤها حتى العام 2010

اسم المعهد	المدينة	الجهة المشاركة	القدرة الاستيعابيّة	الملتحقون حاليا	عدد الخريجين
المعهد العالي السعودي الياباني للسيارات	جدة	اتّحاد السيارات اليابانية	400	560	924
المعهد العالي للصناعات البلاستيكيّة	الرياض	شركة شرق	700	466	1527
معهد سعودي أوجيه للتدريب	الرياض	سعودي أوجيه	2000	423	2226
المعهد الوطني للتقنيّة	رابغ / جدة	بن لادن		257	1050
المعهد السعودي للتقنيات الألمانيّة	جدة	شركة الجفالي	800	630	421
المعهد التقني السعودي لخدمات البترول	الدمام	وزارة البترول وشركة شفرون	800	350	166
معهد الإلكترونيات والأجهزة المنزلية	الدرعية	شركات الأجهزة المنزلية	800	210	90
برنامج جنرال موتورز	الرياض	جنرال موتورز ووكلاؤها	150	381	244
برنامج جنرال موتورز	جدة	جنرال موتورز ووكلاؤها	150	300	150
برنامج جنرال موتورز	الدمام	جنرال موتورز ووكلاؤها	150	300	150
المجموع			6350	3877	6948

المصدر: تقرير إنجازات المؤسّسة العامة للتعليم التقني والتدريب المهني 2011

جدول (22): المعاهد المشتركة في طور التشييد

المعهد	المدينة	المعهد	المدينة
المعهد الوطني للتدريب الصناعي	الأحساء	المعهد الوطني للتدريب الصناعي	الأحساء
المعهد التقني للتعدين	عرعر	المعهد التقني للتعدين	عرعر
المعهد التقني للتعدين	راس الزور	المعهد التقني للتعدين	راس الزور
المعهد العالي للصناعات الحديثة	الدمام	المعهد العالي للصناعات الحديثة	الدمام
المعهد العالي للصناعات الغذائيّة وتربية الدواجن	القصيم	المعهد العالي للصناعات الغذائيّة وتربية الدواجن	القصيم
المعهد التقني العالي لتقنيات المياه والكهرباء	رابغ	المعهد التقني العالي لتقنيات المياه والكهرباء	رابغ
المعهد العالي للصناعات المطاطيّة	ينبع	المعهد العالي للصناعات المطاطيّة	ينبع
معهد الرياض للتقنيّة	الرياض	معهد الرياض للتقنيّة	الرياض
المعهد السعودي للفندقة والسياحة	جازان	المعهد السعودي للفندقة والسياحة	جازان
أكاديمية الطيران المدني	جدة	أكاديمية الطيران المدني	جدة

المصدر: تقرير المؤسّسة العامة للتعليم التقني والتدريب المهني 2011



التعليم

ويوضح الجدول(22) بياناً بالمعاهد والجهات المشاركة في إنشائها وقدراتها الاستيعابيّة.

معاهد التدريب الأهليّة

تعدّ **المؤسّسة العامة للتدريب التقني والمهني** المسؤولة عن التدريب الأهلي في مؤسّسات القطاع الخاص ومنح تراخيص ممارسته، والإشراف على أدائه وجودته. وفي هذا الإطار فقد بلغ عدد منشآت التدريب الأهلية **العام** 2010 (1045) منشأة موزّعة في أرجاء المملكة. منها (669) **للبنين** و(376) **للبنات**.

ويتوزّع نشاط هذه المعاهد في التخصّصات التالية: **فنّي صناعي – فنّي زراعي – فنّي تجاري**، وتتولّى هذه التخصّصات: معاهد عالية – معاهد تدريب – مراكز تدريب. ومن ميزات معاهد ومراكز التدريب الأهلي سهولة القبول فيها نظراً لمتطلّبات دفع الرسوم للانخراط في برامجها، والتي قد تتحمّلها جهات المتقدمين أو جهات مانحة لفرص التدريب.

يلخّص **الجدول** (23) تطوّر التدريب في المعاهد الأهلية منذ العام 2004 وحتى 2010.

واقع سوق العمل وتطوّره في المملكة العربيّة السعوديّة

القوى العاملة في المملكة:

تُشير آخر المعلومات (العام 2009) إلى أن إجمالي القوى العاملة في **المملكة** (سعودية غير سعودية)، يُقدر بـ (8،61) مليون فرد، منهم (7،33) ذكور، أي بما يعادل 85،1 % من إجمالي القوى العاملة.

كما بلغ عدد العاملين (8،15) ملايين منهم 7،07 ملايين من الذكور (نسبتهم 82،1 %). وأظهرت التقديرات أن القوى العاملة من السعوديين بلغت (4،29) ملايين فرد منهم (3،58) ملايين فرد من الذكور، أي ما نسبته 41،6 % من إجمالي القوى العاملة. في حين بلغ عدد العاملين من السعوديّين (3،84) ملايين فرد، منهم (3،33) ملايين ذكر، أي ما نسبته 38،7 % من إجمالي القوى العاملة.

أما القوى العاملة غير السعودية، فقد وصلت إلى (4،32) ملايين فرد منهم (3،75) مليون ذكر، أي ما نسبته 43،5 % من إجمالي القوى العاملة. وبلغ عدد العاملين من غير السعوديين (4،31) ملايين فرد منهم (3،74) مليون ذكر، أي ما نسبته 43،4 % من مجمل القوى العاملة[1].

يلخص الجدول (23) حالة القوى العاملة للعام (2009) بحسب الفئات العمرية والحالة التعليميّة:

العاملون في القطاع الحكومي

بلغ عدد العاملين في القطاع الحكومي في نهاية العام 2008 (سعودي وغير سعودي) (899،7) ألف عامل، منهم 92 % من السعوديّين (أي 827،8 ألف عامل مقابل 71،8 ألف عامل

إجمالي القوى العاملة (سعودية وغير سعودية) يقدَّر بـ8.61 ملايين فرد. أمّا القوى العاملة من السعوديّين فبلغت (4،29)، أي ما نسبته 41.6 % من إجمالي القوى العاملة. أما القوى العاملة غير السعودية، فقد وصلت إلى (4.32) ملايين فرد، منهم (3.75) مليون ذكر، أي ما نسبته 43.5% من إجمالي القوى العاملة.

جدول(23): تطوّر التدريب في المعاهد الأهلية من العام 2004 حتى العام 2010

السنة	المستجدّون	إجمالي المتدربين	الخريجون
2005/2004	21271	38844	13559
2006/2005	24685	45078	16194
2007/2006	57026	69305	57405
2008/2007	77476	94158	55756
2009/2008	68472	83745	53120
2010/2009	88004	114018	75577

المصدر: المؤسّسة العامة للتدريب التقني والمهني2011.

1 – المصدر : مؤسّسة النقد العربي السعودي – التقرير السنوي– 46 ص 208.

جدول (24) القوى العاملة في المملكة بحسب الفئات العمريّة والحالة التعليميّة للعام 2009

الفئات العمرية	القوى العاملة	النسبة للإجمالي	العاملون	النسبة للقوى العاملة	من دون عمل	النسبة للقوى العاملة
15 إلى 19	47983	0.6	35552	74.1	12431	25.9
20 إلى 24	656096	7.6	457656	69.8	198440	30.2
25 إلى 29	1423298	16.5	1240965	87.2	182333	12.8
30 إلى 34	1810404	21.0	1757387	97.1	53017	2.9
35 إلى 39	1623936	18.9	1613172	99.3	10764	0.7
40 إلى 44	1229181	14.3	1225592	99.7	3589	0.3
45 إلى 49	836168	9.7	833733	99.7	2435	0.3
50 إلى 54	504483	5.9	504483	100.0	0	0.0
55 إلى 59	276809	3.2	276809	100.0	0	0.0
60 إلى 64	105671	1.2	105671	100.0	0	0.0
65 فأكثر	96972	1.1	96972	100.0	0	0.0
الحالة الاجتماعية						
أمي	477964	5.6	476566	99.7	1398	0.3
يقرأ ويكتب	913386	10.6	909110	99.5	4276	0.5
ابتدائي	1258386	14.6	1227974	97.6	30412	2.4
متوسط	1732492	20.1	1685680	79.3	46812	2.7
ثانوي أو ما يعادلها	1866232	21.7	1744859	93.5	121373	6.5
دبلوم دون الجامعة	582055	6.8	525203	90.2	56852	9.8
بكالوريوس أو الليسانس	1656912	19.2	1455829	87.9	201083	12.1
دبلوم عال/ماجستير	92041	1.1	91238	99.1	803	0.9
دكتوراه	31533	0.4	31533	100.0	0	0.0
الإجمالي	8611001	10.0	8147992	94.6	463009	5.4

المصدر: مؤسّسة النقد العربي السعودي – التقرير السنوي 46 – مستقى من مصلحة الإحصاءات العامة والمعلومات – وزارة الاقتصاد والتخطيط.

غير سعودي). ويتوزّع السعوديّون العاملون لدى القطاع الحكومي إلى (552،7) ألف عامل، مقابل (275،1) عاملة.

بمقارنة هذه البيانات مع بيانات العام 2007، يتّضح أن نسبة زيادة نموّ العاملين خلال عام قد بلغت 8،8 % للذكور والإناث، في حين انخفضت نسبة العاملين من غير السعوديّين خلال المدّة نفسها بما يقارب2،8 %. وبالعكس فقد زادت نسبة العاملات من غير السعوديّين خلال العام 2008 إلى 12،2 %.

جدول (25) العاملون في الدولة بحسب الجنس والجنسية في السنوات من 2004-2008

السنة	عدد موظفي القطاع الحكومي				إجمالي
	سعودي		غير سعودي		
	ذكور	إناث	ذكور	إناث	
2004	463487	231007	41342	27429	763265
2005	472727	240108	41436	29005	783276
2006	490109	243757	39779	30018	803663
2007	508006	252989	36851	32139	829985
2008	552718	275128	35807	36058	899711

بلغ عدد العاملين في القطاع الحكومي في نهاية العام 2008 (سعودي وغير سعودي) 899.7 ألف عامل، منهم 92 % من السعوديّين (أي 827.8 ألف عامل) مقابل 71.8 ألف عامل غير سعودي. ويتوزّع السعوديّون العاملون لدى القطاع الحكومي على 552.7 ألف عامل مقابل 275.1 عاملة

غير أن هذه النسبة، وعلى الرغم من ارتفاعها، تعادل أقلّ من (4) آلاف عاملة غير سعودية دخلت القطاع الحكومي مقارنةً بالعام الذي سبقه. ويلخّص الجدول (25) إحصائيّة عن العاملين في القطاع الحكومي في السنوات الخمس من 2004 إلى 2008 بحسب الجنس والجنسية.

يبيّن الجدول (26) توزيع العاملين في القطاع الحكومي من السعوديّين بحسب القطاع الوظيفي في أجهزة الدولة.

يتّضح من الجدول (24) أن القطاع الحكومي لايزال يحتفظ بما نسبته 8،5 % تقريباً من مجموع العاملين لديه من غير السعوديّين.

وتتوجّه غالبية العمالة من غير السعوديّين في القطاع الحكومي إلى الوظائف الصحّية التي تصل نسبة العمالة من غير السعوديّين فيها إلى 43 % من مجموع العاملين في هذا القطاع، وبنسبة 71 % من مجموع عمالة غير السعوديّين في جميع القطاعات (53153 من إجمالي 75126 غير سعودي).

كما يشغل أعضاء هيئة التدريس في الجامعات المركز الثاني في نسبة العمالة غير

جدول (26) العاملون في الدولة بحسب الجنسية والقطاع الوظيفي الحكومي 2010

البيان / الجنسية	وظائف الموظفين								
	شاغلو الوظائف العامة	شاغلو الوظائف التعليميّة	الوظائف الصحّية	أعضاء هيئة التدريس في الجامعات	وظائف القضاة	أعضاء هيئة التحقيق والادعاء العام	الإجمالي	المستخدمون	الإجمالي العام
سعودي	281779	432051	70728	21404	1461	1709	809132	57642	866774
غير سعودي	5677	6651	53153	9403	0	0	74884	242	75126
الإجمالي	287456	438702	123881	30807	1461	1709	884016	57884	941900

المصدر: وزارة الخدمة المدنية - السعوديّون وغير السعوديّين (رجالاً ونساء) العاملون على وظائف ثابتة ومعتمدة في الميزانية العامة للدولة.

تبلغ نسبة غير السعوديّين بين مجموع أعضاء هيئة التدريس في الجامعات قرابة 30.5 %

السعوديّة لدى القطاع الحكومي، حيث تبلغ نسبة غير السعوديّين بين مجموع أعضاء هيئة التدريس في الجامعات قرابة 30،5 %، ونسبتهم إلى مجموع العمالة غير السعوديّة 12،5 % (9403 من إجمالي 75126 غير سعودي).

وتتوزّع نسبة 16،5 % من مجموع العمالة غير السعوديّة في القطاعات الأخرى وهي الوظائف العامة والتعليميّة وعدد ضئيل من المستخدمين.

في ما يتعلق بالوظائف الصحّية، من المتوقّع أن تستوعب المرافق الصحّية في **المملكة** خلال السنوات الخمس المقبلة أعداداً كبيرة من العاملين السعوديّين للاعتبارات التالية:

• تبلغ نسبة الطلاب السعوديّين الدارسين في مجال العلوم الصحّية والرعاية الاجتماعية في المملكة، من إجمالي المجالات الأخرى في العام 2011، نحو12.5 % وهي مرتفعة نسبيًا، مقارنةً بالمؤشرات العربيّة والعالميّة.

• التحق بالتعليم الصحّي الأهلي وفق إحصاءات هيئة التخصّصات الصحّية العام 2011 ضمن جميع برامج المعاهد الصحّية الفنّية ما مجموعه (28399) طالباً وطالبة (**الجدول** 20). وإذا أُخذ بالاعتبار أن هذه المعاهد تتطلّب رسوماً عالية للالتحاق ببرامجها، فإن هؤلاء الملتحقين عازمون على العمل بتخصّصاتهم.

جدول (27) أعداد المبتعثين السعوديّين من حملة شهادة البكالوريوس في الخارج للحصول على الدرجات العليا التخصّصية

الدرجة	العام 2010 ذكور	إناث	الإجمالي
زمالة	1409	426	1835
الماجستير	14867	7503	22370
الدكتوراه	3610	1416	5026
الإجمالي العام			39231

• إذا أُخذ بالاعتبار إجمالي المبتعثين لدرجة الزمالة (وهي درجة طبّية تُمنح في الاختصاصات الطبّية) وعددهم العام 2010(1835) **مبتعثاً** ومبتعثة (1409**مبتعثاً** + 426 **مبتعثة**) (**جدول** 28)، فسيشغل هؤلاء أيضاً مراكز في المجالات الصحّية ليحلّوا في مراكز غير السعوديّين.

• تبلغ نسبة الطلاب السعوديّين الدارسين في مجال العلوم الصحّية والرعاية الاجتماعية في **المملكة** من إجمالي المجالات الأخرى العام 2011 نحو 12،5 % وهي مرتفعة نسبيّاً[1] مقارنةً بالمؤشرات العربيّة والعالميّة.

بما أن مجموع الطلاب المقيّدين في الجامعات السعودية يبلغ عددهم (903567) طالباً وطالبة (الجدول6)، فإن أعداد الطلاب والطالبات الذين سيلحقون بسوق العمل في المجالات الصحّية والاجتماعية بعد تخرجهم يبلغ (79000) من البنين والبنات، مع الأخذ بالاعتبار احتساب الفاقد التعليمي في الجامعات (التسرّب في التعليم العالي) والبالغ 30 %[2] [يتراوح ما بين 27،6 % – 32 % كحدّ أقصى.

يتّضح ممّا سبق، ومع النموّ المتوقّع في الخدمات الصحّية، أن مستقبل القوّة العاملة المتخصّصة من السعوديّين والسعوديات في المجال الصحّي، ستلبّي غالبية احتياجات سوق العمل خلال السنوات المقبلة باستثناء الأطباء الاستشاريّين في بعض التخصّصات النادرة، وأطباء الأسنان أيضاً من هذه الشريحة.

وفي ما يتعلق بوظائف أعضاء هيئة التدريس في الجامعات، وبعد الأخذ بالاعتبار

1 – المصدر : مؤشرات التعليم العالي في المملكة العربيّة السعوديّة(2011) يشير المصدر إلى أن النسبة العالمية هي 11،79% ومتوسط النسبة للبلاد العربية 7،76% .

2 – دراسة الاستثمار في رأس المال البشري واقتصاد المعرفة، منتدى الرياض الاقتصادي، الدورة الرابعة (2009) ص 66.



شكل بياني رقم (7)

إجمالي أعداد المبتعثين السعوديّين من حملة شهادة البكالوريوس في الخارج للحصول على الدرجات العليا التخصّصية

ذكور
إناث
22370
1835
5026
الدكتوراه
الماجستير
زمالة

أعداد الخريجين خلال السنوات الخمس المقبلة ستكون كافية لاستبدال معظم، إن لم يكن كلّ، المراكز التدريسيّة في الجامعات الحكوميّة في المملكة العربيّة السعوديّة في أغلب التقديرات.

جدول (28) العاملون في القطاع الخاص بحسب الجنس والجنسيّة

	2008 أعداد العمالة	2008 التوزيع النسبي	2009 أعداد العمالة	2009 التوزيع النسبي	معدل النموّ السنوي
إجمالي العمالة	6221947	100.0	6895548	100.0	10.8
ذكور	6078896	97.7	6758103	98.0	11.2
إناث	143051	2.3	137445	2.0	-3.9
سعوديّون	829057	13.3	681481	9.9	-17.8
ذكور	777606	12.5	633075	9.2	-18.6
إناث	51451	0.8	48406	0.7	-5.9
غير سعوديّين	5392890	86.7	6214067	90.1	15.2
ذكور	5301290	85.2	6125028	88.8	15.5
إناث	91600	1.5	89039	1.3	-2.8

المصدر: وزارة العمل.

بلغ عدد العاملين في القطاع الخاص في نهاية العام 2009 نحو 6.9 ملايين عامل، بزيادة قدرها 10.8 % عن العام 2008. ويستحوذ غير السعوديّين على ما نسبته 90.1 % من قوّة العمل لدى القطاع الخاص.

الأعداد الكبيرة من المبتعثين حالياً للحصول على درجات الزمالة ودرجتَي الماجستير والدكتوراه في الجامعات الغربيّة، (كما يوضحه الجدول (27) **للعام** 2010، إضافةً إلى الأعداد المستقبليّة من حملة هذه الشهادات من الجامعات الحكومية والأهلية (كما أوضحت البيانات والإحصاءات السابقة، فإن أعداد الخريجين خلال السنوات الخمس المقبلة ستكون كافية لاستبدال معظم، إن لم يكن كلّ، المراكز التدريسية في الجامعات الحكومية في **المملكة العربيّة السعوديّة** في أغلب التقديرات.

أما الوظائف الأخرى التي يشغلها غير السعوديّين في قطاعيّ الوظائف العامة والتعليميّة، ومجموعها الإجمالي 12328 مركزاً، فهي في غالبيتها قابلة للسَعْوَدة بعد بضع سنوات، اعتماداً على أحدث أرقام المخرجات التي تنتجها منظومة التعليم العالي والتدريب التقني والمهني في المملكة.

العاملون في القطاع الخاص [1]

جدول (29) توزيع العمالة في القطاع الخاص بحسب المهن والجنس والجنسيّة

المهن الرئيسية		2008 ذكور	2008 إناث	2008 إجمالي	2009 ذكور	2009 إناث	2009 إجمالي	النسبة المئوية
المديرون ومديرو الأعمال	سعوديّون	63743	2121	65864	51397	2116	53513	0.8
	غير سعوديّين	6894	47	6941	6907	40	6947	0.1
	الإجمالي	70637	2168	72805	58304	2156	60460	0.9
الاختصاصيّون في المواضيع العلميّة والفنيّة والإنسانيّة	سعوديون	66041	7531	73572	55932	7003	62935	0.9
	غير سعوديين	313056	10683	323739	347261	10463	357724	5.2
	الإجمالي	379097	18214	397311	403193	17466	420659	6.1
الفنيّون في المواضيع العلميّة والفنيّة والإنسانية	سعوديون	58807	12806	71613	50959	11916	62875	0.9
	غير سعوديين	281588	40938	322526	319108	38935	358043	5.2
	الإجمالي	340395	53744	394139	370067	50851	420918	6.1
مهن العمليات الصناعية والكيميائية والصناعات الغذائية	سعوديون	19984	1112	21096	16390	1084	17474	0.3
	غير سعوديين	211843	8641	220484	246041	9243	255284	3.7
	الإجمالي	231728	9753	241580	262431	10327	272758	4.0
المهن الهندسية الأساسية المساعدة	سعوديون	93601	794	94395	68379	829	68908	1.0
	غير سعوديّين	1958757	753	1959511	2388840	633	2389473	34.7
	الإجمالي	2052359	1547	2053906	2457219	1162	2458381	35.7

المصدر: وزارة الخدمة المدنية - السعوديّون وغير السعوديّين (رجالاً ونساء) العاملون على وظائف ثابتة ومعتمدة في الميزانية العامة للدولة.

1 – المصدر السابق



جدول (30) توزيع العمالة في القطاع الخاص بحسب المستوى التعليمي والجنس والجنسيّة

المستوى التعليمي		2008 ذكور	2008 إناث	2008 إجمالي	2009 ذكور	2009 إناث	2009 إجمالي	النسبة المئوية
ثانوي	سعوديون	288113	16734	304847	240994	16274	257268	3.7
	غير سعوديين	291578	4859	296437	339335	4721	344056	5.0
	الإجمالي	579691	21593	601284	850329	20995	601324	8.7
دبلوم	سعوديون	54039	3885	57924	47795	3789	51584	0.7
	غير سعوديين	165805	26257	192062	180287	24063	204350	3.0
	الإجمالي	219844	30142	249986	228082	27852	255934	3.7
بكالوريوس	سعوديون	69312	19181	88493	58389	18133	76522	1.1
	غير سعوديين	255429	16399	271828	277099	16433	293532	4.3
	الإجمالي	324741	35580	360321	335488	34566	370054	5.4
ماجستير	سعوديون	3536	226	3762	2930	227	3157	0.0
	غير سعوديين	10928	1343	12271	11272	1300	12572	0.2
	الإجمالي	14464	1569	16033	14202	1527	15729	0.2
دكتوراه	سعوديون	814	78	892	309	7	316	0.0
	غير سعوديين	5249	1025	6274	1248	97	1345	0.0
	الإجمالي	6063	1103	7166	1557	104	1661	0.0
دبلوم عالي	سعوديون	1295	23	1318	34	6	40	0.0
	غير سعوديين	1004	247	1251	340	34	374	0.0
	الإجمالي	2299	270	2569	374	40	414	0.0
زمالة	سعوديون	101	7	108	679	63	742	0.0
	غير سعوديين	346	34	380	5599	1081	6680	0.1
	الإجمالي	447	41	488	6278	1144	7422	0.1
المجموع	سعوديون	777606	51451	829057	633075	48406	681481	9.9
	غير سعوديين	5301290	91600	5392890	6125028	89039	6214067	90.1

المصدر: وزارة العمل

جدول (31) أنواع المصانع القائمة في المملكة وتطوّر أعدادها خلال عشر سنوات

السنة	الصناعات المعدنية الأساسية والمنتجات المعدنية	البترولية المكررة والكيماوية والبتروكيماوية	الغذائية والمشروبات	مجموع مصانع المملكة في كل الصناعات	نسبة 3.2.1
2001	1140	815	594	3753	68%
2005	1208	893	635	3997	68.5%
2009	1374	1044	720	4513	70%

ثمة انخفاض للعمالة الوطنيّة في القطاع الخاص في السعوديّة من 13.3% من مجموع القوة العاملة إلى 9.9 % العام 2009، أي بنسبة 4.4 % من إجمالي القوة العامة في القطاع الخاص. بحيث لم يسهم هذا القطاع كثيرا في تقليص نسبة السّعْوَدة.

يبلغ عدد العاملين الإجمالي في القطاع الخاص بحسب إحصاءات وزارة العمل في نهاية العام 2009، نحو (6،9) ملايين عامل، بزيادة قدرها 10،8 % عن العام 2008، ويستحوذ غير السعوديّين ما نسبته 90،1 % من قوة العمل لدى القطاع الخاص.

يعاكس اتجاه السَّعْوَدة في القطاع الحكومي نظيره في القطاع الخاص، حيث تشير بيانات وزارة العمل إلى أن نسبة العاملين من السعوديّين في نهاية العام 2009 انخفضت بمقدار 17،8 % عن العام 2008. إذ بلغ عدد السعوديّين في القطاع الخاص 0،68 مليون مقابل 6،2 ملايين عامل غير سعودي بزيادة قدرها 15،2 % عن العام الذي سبقه.

أما الإناث العاملات في القطاع الخاص من السعوديّات في العام 2009 فقد بلغ عددهنّ 0،05 مليون عاملة مقابل 0،09 مليون عاملة غير سعودية، بنسبة انخفاض قدرها 2،8 % عن العام الذي سبقه [1].

ويلخص الجدول (28) العاملين في القطاع الخاص وتوزّعهم بالنسبة إلى الجنس والجنسيّة. كما يلخّص الجدول (29) توزيع العاملين في القطاع الخاص بحسب المجالات والجنس والجنسية من فئة منظومة التعليم العالي والتدريب التقني والمهني.

لا يزال تكافؤ الجنسين يعاني من خلل كبير ومتزايد، فنسبة الإناث العاملات في القطاع الخاص لا تتجاوز 2 % من القوّة العاملة، على الرغم من نموّ عدد الخريجات لكلّ 100 ألف من السكان بنسبة قدرها 33.2 % عن العام 2006.

أما خريطة توزيع العمالة لدى القطاع الخاص في **المملكة العربيّة السعوديّة** وفقاً للمستوى التعليمي والجنس والجنسية فيلخصها **الجدول** (30).

ومن تحليل بيانات العمالة في القطاع الخاص وفق المهن والجنسيّة والجنس أيضاً، ومقارنة بيانات العام 2009، مع بيانات العام 2008 للوقوف على اتجاه نموّ العمالة الوطنيّة في القطاع الخاص أو تراجعها، تبرز المؤشرات التالية:

- انخفاض نسبة العمالة الوطنيّة من 13،3% من مجموع القوة العاملة إلى 9،9 % العام 2009، أي بنسبة 4،4 % من إجمالي القوة العامة في القطاع الخاص.
- بلغ عدد الذكور والإناث المتخرجين من مؤسّسات التعليم العالي العام 2010 (120797)، منهم حملة الدبلوم المتوسط (3058)، والبكالوريوس (100447)،،والدبلوم العالي (3065) والماجستير (3105) والدكتوراه (621)، أي ما يعادل 203 خريجين لكلّ 100 ألف من السكان[2].

وإذا ما أُضيف إلى هذه الأعداد بقية خريجي مؤسّسات التدريب التقني والمهني والذين تجاوزت أعدادهم في العام 2010 من معاهد ومراكز التدريب الأهلية (51269) وأكثر من هذا العدد من كليات ومعاهد المؤسّسة

1 – المصدر : وزارة العمل في المملكة العربيّة السعوديّة
2 – المصدر : مؤشرات التعليم العالي في المملكة العربيّة السعوديّة.
3 – تقرير الإنجازات السنوي للعام المالي 2010م– المؤسّسة العامة للتدريب التقني والمهني .



شكل بياني رقم (8)

إجمالي التوزيع النسبي للطلاب المقيّدين بحسب مجالات الدراسة في التصنيف الدولي المعياري للتعليم

السعودية | الدول العربية | العالم

التربية والتعليم: 14.7 – 7.56 – 11.28
العلوم الانسانية والفنون: 29.3 – 17.48 – 11.27
العلوم الاجتماعية والاقتصادية والقانون: 19.8 – 41.59 – 36.48
العلوم الطبيعية: 14.7 – 13.22 – 9.19
العلوم الهندسية: 3.9 – 9.8 – 1.89
العلوم الزراعية: 0.5 – 1.59 – 2.16
العلوم الصحية والرعاية الاجتماعية: 12.5 – 7.76 – 11.79
مجال الخدمات: 4.4 – 0.9 – 3.94

جدول (32) التوزيع النسبي للطلاب المقيّدين بحسب مجالات الدراسة في التصنيف الدولي المعياري للتعليم (ISCED)

المجال الدراسي	السعودية			الدول العربية			العالم		
	النسبة الإجمالية	نسبة الذكور	نسبة الذكور	النسبة الإجمالية	نسبة الذكور	نسبة الإناث	النسبة الإجمالية	نسبة الذكور	نسبة الإناث
التربية والتعليم	%14.70	%29	%70.30	%7.56	%28	%72	%11.28	%30	%71
العلوم الإنسانية والفنون	%29.30	%39	%50.10	%17.48	%31	%69	%11.27	%50	%61
العلوم الاجتماعية والاقتصادية والقانون	%19.80	%47	%50.80	%41.59	%47	%53	%36.48	%49	%53
العلوم الطبيعية	%14.70	%60	%59.50	%13.22	%49	%51	%9.19	%41	%40
العلوم الهندسية	%3.90	%76	%7.50	%9.99	%71	%29	%1.89	%93	%24
العلوم الزراعية	%0.50	%57	%15.30	%1.59	%51	%49	%2.19	%85	%43
العلوم الصحّية والرعاية الاجتماعية	%12.50	%28	%52.20	%7.76	%41	%59	%11.79	%48	%72
مجال الخدمات	%4.40	%48	%37.50	%0.90	%61	%39	%3.94	%63	%52

المصدر: وزارة التعليم العالي – 2011م

العامة للتدريب التقني والمهني[3] فإنه يتبيّن أن القطاع الخاص لم يستوعب كثيراً من هؤلاء الخريجين، بما يسهم في تقليص نسبة السَعْوَدة كما يوضح الجدولان (28 و29)، ممّا يؤكد أن الخلل ليس في نقص في العمالة السعوديّة أو ندرتها، بل لأسباب أخرى سيرد ذكرها لاحقاً.

أما في ما يتعلق بالقوّة العاملة من الإناث، فلا يزال تكافؤ الجنس (نسبة العاملات من الإناث إلى الذكور) يعاني من خلل كبير ومتزايد، حيث لا تتجاوز نسبة الإناث العاملات في القطاع الخاص 2 % من القوة العاملة (انظر جدول 28)، علماً بأن عدد الخريجات منهنّ العام 2010 من حملة الدبلوم المتوسط (7176) والبكالوريوس (73803)، والدبلوم العالي (581)، والماجستير (1026) والدكتوراه (621)[1]. كما بلغ عدد الخريجات لكلّ 100 ألف من السكان (305) خريجة بنسبة نموّ قدرها 33،2 % عن العام 2006 البالغ (229) خريجة [2].

– تبيّن مصادر وزارة التجارة والصناعة المتعلقة بأنواع المصانع القائمة في المملكة وتطوّرها خلال عشر سنوات (جدول 31) أن الصناعات المعدنيّة الأساسية ومنتجاتها، والصناعات البتروليّة المكرّرة والكيميائية والبتروكيميائية، والصناعات الغذائية والمشروبات قد تراوحت نسبها ما بين 68 – 70 في المائة من جميع المصانع القائمة حالياً في المملكة، والبالغ عددها حتى العام 2009 (4513) مصنعاً[3].

هذه المصانع تتطلّب عمالة هندسية وتقنيّة وفنّية، وبخاصة في المجالات الكيميائية والبتروكيميائية والغذائية.

وإذا استعرضنا التوزيع النسبي للطلاب المقيدين في الجامعات السعوديّة وفق مجالات الدراسة لتبيّن أن هناك نقصاً حاداً في مجال الدراسات الهندسية والعلوم الزراعية التي تحتاجها الصناعات التي وردت في الجدول (32)، في حين يوضح الجدول (32) أن مخرجات الجامعات في المجالات التربويّة والعلوم الإنسانيّة والاجتماعيّة تصل نسبتها إلى ما يقارب 64 % من التخصّصات الجامعيّة كافة، بما يفاقم من دون شك مشكلة استيعاب السعوديّين في سوق العمل.

جدول (33): المتوسّط الشهري لأجور العاملين في القطاع الخاص

السنة	ذكور	إناث	الجملة (ريال سعودي)
2008	1340.9	1880.6	1353.3
2009	977.2	1656.5	990.5
معدل نمو متوسط الأجور			
2009	27.1	11.9	26.8

إجراءات المملكة لتحفيز التوظيف في القطاع الخاص

تعزو الدراسات التي تناولت سوق العمل في المملكة سبب عزوف المواطنين السعوديّين من حملة شهادة الدبلوم أو البكالوريوس (جدول 31) عن العمل لدى القطاع الخاص إلى انخفاض الأجور التي يقدمها القطاع الخاص للمواطن السعودي، وإلى العروض الكبيرة المتوفرة من العمالة غير السعودية بأجور متدنّية [4].

فوفقاً لبيانات وزارة العمل لأجور العاملين في القطاع الخاص، بلغ متوسط الأجور الشهريّة في العام 2009 نحو (991) ريالاً مقارنة بـ (1353) ريالاً خلال العام 2008[1]. وسجّل متوسط الأجور الشهريّة للإناث (1657) ريالا بمعدل انخفاض بلغ 11،9 % مقارنة بالعام 2008 (جدول 33).

وقد اتّخذت الحكومة في المملكة إجراءات تحفيزيّة عدّة لاستيعاب القوى العاملة الوطنيّة من الخريجين السعوديين وإعادة التوازن في سوق العمل بين أعداد العمالة السعودية المتدنية، ونظيرتها غير السعودية المرتفعة بنحو (9) أضعاف، وبخاصة في القطاعات ذات الكثافة في العمالة الأجنبية؛ ومن أبرز الجهود المتّخذة في هذا الاتجاه تأهيل من يحتاج منهم إلى تأهيل من خلال برامج تدريبيّة في المهن التي يتطلّبها سوق العمل وتغطية تكاليف هذا التأهيل من صندوق أنشئ العام 2001م بمسمى صندوق تنمية الموارد البشرية وخصّص له ميزانية تقارب مليار ريال سنوي [2].

إضافة إلى إجراءات تقنين استخدام العمالة الأجنبية في حدود الحاجة الفعلية والتخصّصات غير المتوفرة بين السعوديّين بأعداد كافية. كما وضعت وزارة العمل بالتعاون مع القطاع الخاص والأجهزة الحكوميّة المعنيّة الأخرى استراتيجية طويلة المدى تغطّي مدّة خمس وعشرين سنة تدعى "استراتيجيّة التوظيف السعودية" وأقرّها مجلس الوزراء العام 2009.

تسعى استراتيجية التوظيف السعوديّة إلى تحقيق ثلاثة أهداف عامة هي:

- التوظيف الكامل لقوة العمل.
- زيادة مستديمة لإسهام الموارد البشرية المواطنية.
- الارتقاء بإنتاجية العمالة المحليّة لتضاهي نظيرتها في الاقتصاديات المتقدّمة.

وسعياً لتحقيق هذه الأهداف العامة فقد جزئت إلى أهداف مرحليّة، حدّد لكلّ منها مدّة زمنية كما يلي:

- الهدف المرحلي قصير المدى لسنتين: إيقاف تصاعد معدل البطالة.
- الهدف المرحلي متوسط المدى لثلاث سنوات: تقليص معدل البطالة.
- الهدف المرحلي طويل المدى لعشرين عاماً: توظيف العمالة الوطنيّة لتحقيق ميزة تنافسية للاقتصاد السعودي.

وقد وضعت مجموعة كبيرة من السياسات لتحقيق الأهداف المرحليّة، وحدّدت آليات تنفيذية لكلّ من هذه السياسات. كما استهدفت كلّ سياسة غايات محدّدة قابلة للقياس من خلال مؤشرات الأداء الكمّية.

جدول(34): تطوّر التعليم العالي بحسب نوع الدراسة

(أ) الطلبة المقيّدون

نوع الدراسة	2001	2002	2003	2004	2005
دراسات إسلامية	% 17	% 19	% 15	% 14	% 16
دراسات تربوية وأدبية	% 37	% 35	% 33	% 33	% 35
دراسات اجتماعية واقتصادية	% 16	% 15	% 16	% 16	% 16
دراسات مواد علوم (طب – صيدلية – هندسة)	% 28	% 31	% 36	% 37	% 34

1 – مؤشرات التعليم العالي في المملكة العربيّة السعوديّةالعام 2011م
2 – المصدر السابق .
3 – المصدر : مؤسّسة النقد العربي السعودي – التقرير السنوي 46، ص 378–377 (2011م) .
4 – المصدر : أ– السَعْوَدة بين القطاعين العام والخاص – المعوقات والحلول، مركز فقيه للأبحاث والتطوير1997 .
ب– دراسة رؤية لتنمية الموارد البشرية، الدورة الثالثة (1428هـ) منتدى الرياض الاقتصادي .
ج– دراسة سوق العمل السعودي، منتدى الرياض الاقتصادي (1428هـ) .

1 – المصدر : مؤسّسة النقد العربي السعودي – التقرير السنوي 46 ، ص 216، نقلاً عن وزارة العمل .
2 – المصدر : الاستثمار في رأس المال البشري واقتصاد المعرفة . الدورة الرابعة لمنتدى الرياض الاقتصادي – ديسمبر 2009م



ومـن جانب آخر يتّصـل بمواءمة مخرجات التعليم العـالي **بسوق العمل** وبخاصـة لطلاب الابتعـاث ضـمن برنامـج خـادم **الحرمين الشريفـين**، والـذي يعـوّل عليـه الكثـير لتلبية حاجـات سـوق العمل وخطـط التنميـة، نوعية محـدّدة مـن الخريجـين المؤهلين لبيئـة العمل الحكومـي والقطـاع الخاص. فقـد أعلـن وزير التعليم العـالي في 2011/9/21 أنـه تمّ إعداد خطـة من قبـل وزارات: **التعليـم العالي، والاقتصـاد والتخطيـط، والماليـة، والخدمـة المدنيّة**، تتضمّـن تحديد الاحتياجات المطلوبة لسـوق العمل ليتمّ توجيه الابتعاث لتغطية هذه الاحتياجات[1] مثل:

– التخصّصـات الطبّيـة (لسـدّ الفجوة في النقص لدى القطاع الحكومي).

– الهندسـيّة (لتلبيـة احتياجـات القطـاع الصناعي).

– الحاسـب والمعلومـات (لتلبية الطلبات المتزايدة لهـذا التخصّـص في القطاعـات كافة).

– الاقتصـاد والإدارة (لتلبية الاحتياجات المتنامية في القطاع المالي والمصرفي).

كما عمـدت وزارة التعليم العالي إلى زيادة نسـب قبول الطلاب في المجـالات العلميّة التي يسـتوعبها **سوق العمل**، وتقليص أعداد الطلاب المقيّدين في التخصّصـات التي تسـبّب تصاعد مؤشـرات البطالـة في الدراسـات الإسـلامية والتربوية والاجتماعية.

في هذا السـياق، ارتفعت نسـبة المقيّدين في المجالات العلميّة(**طـبّ – صيدلة – هندسة**) مـن 28 % العام 2001، إلى نسـبة 34 % العام 2005. ونتيجة لهذه الإجراءات أيضـاً، ارتفعت نسـبة الخرّيجين مـن حملة الشـهادات العلمية بنسبة 8 % الجدول (34).

تعزيـزاً لهذا التوجّه أيضـاً، شـجّعت وزارة التعليـم العـالي القطاع الخاص على الإسـهام في **التعليم العالي** الذي يلبّي احتياجات قطاع الأعمـال. وتجلّـى هـذا التوجّه في تخصّصـات الجامعات الأهلية المنشـأة حديثاً، والتي تضمّ كليـات للطـبّ، والصـيدلة والتمريـض وطـبّ الأسـنان، والعلوم والهندسـة والحاسب (**انظر جدول** 2، 2–1–2 **الجامعات الأهلية**).

ومن المنتظر أن تكون مخرجات الجامعات الأهلية موائمة لمتطلّبات سوق العمل وتطوّره، لكي تنمو هذه المؤسّسـات وتجتـذب أعداداً من الطـلاب الطامحـين إلى إيجاد فرص عمل لهم في القطاع الخاص بإمكاناته الواسعة.

تجربة القطاع المصرفي في السَعْوَدة

تعتـبر تجربـة القطـاع المصـرفي في **السَعْـوَدة** من التجارب الناجحة التي يستحسن الاقتـداء بها وتكرارها في قطاعات أخرى نظراً لعلاقاتهـا المباشـرة بمنظومـة التعليم العالي والتدريب التقني والمهني.

يعّد القطاع المصـرفي في **المملكة العربية السعودية**، أحد أهم القطاعات الواسـعة بسبب القوة الاقتصادية والمالية للمملكة.

بلـغ عـدد المصـارف حتـى نهايـة الربـع الأول مـن العـام 2010 في **المملكـة** عشريـن مصرفـاً. ثمانيـة مـن هـذه المصـارف حديثة نسـبياً ولم يمض على وجودهـا في **المملكة** إلا بضع سنين. ولهذا فلا يتجاوز عدد فروع بعض هذه المصـارف حديثـة العهد أكـثر من فرعين وغالبيتها لا يزال له فرع واحد فقط. ولهذا فمن المؤمل أيضـاً أن تتوسّـع أوجه نشـاط وحركة المصـارف الحديثـة وتسـتوعب عمالـة وطنيّة بالقدر الذي استوعبته المصارف القديمة.

وقـد أدّت الحركـة المصرفيـة النشـطة في المملكـة إلى أن ينتشر فيها حتـى نهاية الربع الأول مـن **العـام** 2010 مـا يزيد علـى(1540) **فرعـاً** اسـتوعبت هذه الفـروع (31539) **عاملاً** سـعودياً مقابـل (5116) **غـيرسعـودي**. أي ما مجموعه (36655) **عاملاً**(**جدول** 35).

ويعـزى نجـاح سَـعْوَدَة القطـاع المصرفي السعودي إلى مواءمة مخرجات منظومة التعليم العالي والتدريب التقني والمهني لمتطلّبات هذا القطاع من جهة، إضـافة إلى توفير هذا القطاع البيئة المرضيـة لطالبي العمل من جهة ثانية. إضـافة إلى جهـود صـندوق التنميـة البشرية البارز في هذا القطاع.

فقـد أوضـحت برامـج التدريـب والتوظيف للمؤهّلـين التـي قدّمهـا الصـندوق بحسـب القطاعـات، أن حصّـة القطـاع التجـاري (ويتصـدّرها القطـاع المصـرفي) قد اسـتأثرت بـــ 32،3 % مـن فـرص التدريـب والتوظيـف

جدول (35) تطوّر أعداد موظّفي القطاع المصرفي في السنوات 2005 إلى 2009

السنة	سعوديون	غيرسعوديون	إجمالي
2005	25000	4685	29685
2006	29125	4746	33871
2007	31092	4871	35963
2008	32045	5046	37091
2009	31539	5116	36655

1 – المصدر : صحيفة الاقتصادية، العدد 6555 – تاريخ 22/9/2011م، المملكة العربية السعودية .



شكل بياني رقم (9)

نسبة تطوّر أعداد موظّفي القطاع المصرفي بين 2005 و 2009

السنة	سعوديون	غير سعوديين
2005	25000	4685
2006	29125	4746
2007	31092	4871
2008	32045	5046
2009	31539	5116

يعـزى نجـاح سَعْوَدة القطاع المصرفي السعودي إلى مواءمة مخـرجـات منظـومة التعـليم العالي والتدريب التقني والمهني لمتطلبات هذا القطاع، إضافة إلى توفير هذا القطاع البيئة المرضية لطالبي العمل.

جدول (36) إجمالي عدد العاطلين عن العمل بحسب الجنس

	سعوديّون		
السنة	**ذكور**	**إناث**	**الجملة**
2004	248031	138542	386573
2005	270468	157327	427795
2006	292906	176112	469018
2007	280411	164787	445198
2008	239176	177174	416350
2009	248162	200385	448547
النموّ السنوي للعام			
2009	3.8	13.1	7.7

جدول (37) معدلات البطالة بحسب الجنس (نسبة مئوية)

السنة	سعوديّون		
	ذكور	إناث	الجملة
2002	7.57	21.70	9.66
2003	8.00	23.18	10.35
2004	8.39	24.40	10.97
2005	8.74	25.41	11.52
2006	9.07	26.27	12.02
2007	8.30	24.70	11.05
2008	6.90	24.90	9.80
2009	6.90	28.40	10.50

التي قدّمها صندوق تنمية الموارد البشرية للقطاعات كافة، والبالغة (94459) فرصة في الفترة الممتدة من العام 2001 إلى العام 2007.

الشريحة الاجتماعية الأكثر تأثراً بالبطالة هي من حملة شهادة البكالوريوس والليسانس. وإذا ما أخذنا بالاعتبار القيمة الحاليّة لتكلفة الطالب خلال مدّة الدراسة، والتي تقدّر بـ 586،3 ألف ريال، لأدركنا جسامة الفاقد الاقتصادي الناجم عن بطالة هذه الشريحة فقط. فعدد العاطلين عن العمل من حملة البكالوريوس فقط هو 149070، أي أن الفاقد الاقتصادي يصل إلى قرابة 87،4 مليار ريال.

القوى العاطلة عن العمل في المملكة.

تشير آخر بيانات الإحصاءات العامة المعلنة بتاريخ 2011/9/6 إلى أن البطالة في **المملكة العربيّة السعوديّة** (ذكور وإناث) بلغت (1،5) مليون عاطل عن العمل. ويضيف البيان أن بدايات البطالة لاحت في الأفق منذ تسعينيّات القرن الماضي، إلا أنها تفاقمت مع ازدياد عدد سكان المملكة والذي بلغ (18،707،576) في العام 2011[1] . جدول (36)، (37).

وتدلّ إحصاءات العام 2009 على أن معدل البطالة للقوى العاملة الوطنيّة قد تجاوز 10،5 % للذكور و28،4 % للإناث[2]. كما تشير بيانات القوى العاملة إلى عدم قدرة سوق العمل على الاستيعاب الكامل للزيادات السنويّة المتتالية في طالبي العمل من الأفراد السعوديّين، الأمر الذي أدّى إلى زيادة معدلات البطالة سنويًا.

توزع البطالة والمستوى التعليمي

تتباين معدلات البطالة في **المملكة** تبعاً للمستوى التعليمي للأفراد. ونظراً إلى أن نطاق الدراسة ينحصر في التعليم العالي وسوق العمل، ستقتصر مقاربة الدراسة على الثانوية العامة وما فوقها، نظراً لأنها الحدّ الفاصل بين المستويين، ما قد يعطي دلالات مفيدة، إضافة إلى أن ما قد يعادل الثانوية العامة من دبلومات أخرى متوسطة قد تؤخذ بالاعتبار في بيانات وزارة العمل.

يشير **الجدول** (38) إلى المستويات التعليميّة ونسب بطالتها وأعدادها في سوق العمل العام 2008.

يتبيّن من **الجدول** (38) أن الشريحة الاجتماعية الأكثر تأثراً بالبطالة هي من حملة شهادة البكالوريوس والليسانس. وإذا ما أخذنا بالاعتبار القيمة الحاليّة لتكلفة الطالب خلال مدّة الدراسة، والتي تقدر بـ 586،3 **ألف ريال**، لأدركنا جسامة الفاقد الاقتصادي الناجم عن بطالة هذه الشريحة فقط. وتقدّر وزارة الاقتصاد والتخطيط (**العام** 2008) أن عدد العاطلين عن العمل من حملة البكالوريوس فقط يبلغ 149070 ، أي أن الفاقد الاقتصادي يصل إلى قرابة 87،4 مليار ريال.

إذا ما أضيف إلى الفاقد الاقتصادي السابق مكافآت الطلاب التي لم تتضمنها تكاليف الدراسة والتي قدّرت للعام 2007م بـ 7،5 مليارات، فإن مبلغ الهدر سيصل إلى 95 مليار ريال.

هذه التقديرات تقتصر على شريحة البكالوريوس من دون احتساب الهدر المتسبّب لبقية الشرائح والمساوي أيضاً لهذه الشريحة[3].

1 – مصلحة الإحصاءات العامة : واحد ونصف مليون عاطل سعودي عم 2011م .
2 – مصلحة الإحصاءات العامة : الكتاب الإحصائي السنوي للعام (2009م) www.cdsi.gov.sa
3 – الاستثمار في رأس المالي البشري واقتصاد المعرفة، منتدى الرياض الاقتصادي 2009–م .

وإذا أخذ في الاعتبار المتعطّلات عن العمل الحاصلات على درجة البكالوريوس واللّواتي تصل نسبتهنّ إلى 76 % من جملة المتعطّلات، ومعدل البطالة لدى الإناث الذي يصل إلى 25 %، وتكاليف دراستهنّ التي تعادل تكاليف أقرانهنّ من الذكور، لتجلّى بوضوح حجم الأضرار اللاحقة بالاقتصاد الوطني من مخرجات التعليم العالي [1].

تعكس هذه المؤشرات بوضوح الاختلال الكبير الذي يعاني منه **سوق العمل** في **السعوديّة** ويتمثّل بقصور كبير للطاقة الاستيعابيّة لمخرجات العمليّة التعليميّة. وللتصدّي لهذه الظاهرة السلبيّة، لا بدّ من اتّخاذ إجراءات عميقة تطال عناصر منظومة العمل، ومنظومة التعليم العالي لمواءمة العرض والطلب مع تفعيل التوجّهات الدراسية الجامعية للمجالات العلميّة والصحيّة والتقنيّة المطلوبة، وبخاصة للذكور، وزيادة التركيز على التعليم والتدريب التقني والمهني لإحلال العمالة الوطنيّة بدل العمالة الأجنبية.

إن إعادة تصحيح مسار **سوق العمل** لاستيعاب العمالة الوطنيّة تقتضي متابعة تنفيذ استراتيجيّة التوظيف **السعوديّة** مع تنفيذ الدراسة القائمة حالياً بين وزارات التعليم العالي والاقتصاد والتخطيط، والمالية، والخدمة المدنيّة لتحديد توجّهات الابتعاث الخارجي لتلبية احتياجات **سوق العمل** الفعليّة من العمالة الوطنية [2].

ملاحظات واستنتاجات وخلاصات

تطوّر التعليم العالي وسوق العمل في المملكة العربيّة السعوديّة

التوسّع الأفقي: امتدّ في اتّجاهات عدّة.

– إنشاء جامعات وكليات حكومية في المناطق كافة في المملكة مع زيادة القدرات الاستيعابيّة لها.

جدول (38) معدلات البطالة بحسب الجنس (نسبة مئوية)

المستوى التعليمي	البطالة ٪	النسبة المئوية	قوة العمل بالآلاف	النسبة %
الثانوية وما يعادلها	11.93	29.8	1106.6	27.1
دبلوم دون الجامعي	4.16	10.4	364.2	8.9
بكالوريوس / ليسانس	14.91	37.3	1050.5	25.8
دبلوم عال/ماجستير	0.06	0.1	57.4	1.4
دكتوراه	-	-	31.1	0.8
الاجمالي	31.06	77.6		64

المصدر: إحصاءات التعليم العالي، العام الدراسي 2006/2005، العدد 29.

المتعطلات عن العمل الحاصلات على درجة البكالوريوس تصل نسبتهنّ إلى 76 % من جملة المتعطّلات، ومعدل البطالة لدى الإناث يبلغ 25 %.

– برنامج ابتعاث خارجي لا نظير له في معظم دول العالم، نقل **المملكة** إلى المرتبة الثانية عالمياً(بعد **اليونان**) في نسبة عدد الطلاب المبتعثين إلى الخارج مقارنةً بعدد السكان، وللمرتبة الرابعة بين دول العالم في عدد طلابها الدارسين في الخارج بعد **الصين والولايات المتحدة والهند.**

– لم تتضمّن سياسة الابتعاث في **المملكة** خطة لتحديد الاحتياجات المطلوبة لسوق العمل، ومن ثم لتوجيه هذه الخطة لتغطية هذه الاحتياجات وذلك قبل العام 2011. ثم أعدّت خطة لذلك من قبل الوزارات المعنيّة [3].

التوسع العمودي: الارتقاء بنوعية التعليم

– الحرص على جودة مدخلات التعليم للحدّ من ظاهرة التسرب والفاقد الاقتصادي، وذلك بإنشاء المركز الوطني للقياس

1 – المصدر السابق .
2 – المصدر : صحيفة الاقتصادية، العدد 6555 – تاريخ 2011/9/22، المملكة العربية السعودية .
3 – تصريح وزير التعليم العالي، صحيفة الاقتصادية – العدد 6555 تاريخ 2011/9/22، المملكة العربيّة السعوديّة

والتقـويم في التعليـم العـالي والاختبارات القائمـة لقبـول الطـلاب وهـي: اختبـار القدرات العامة، والاختبار التحصيلي.

– اعتماد سنة تحضيرية اعتباراً من 2012 لإكسـاب الطلاب مهارات تسـتجيب لسوق العمل.

وسـتكون السـنة التحضـيريّة في **جامعـة الملك سعود** بمثابة سـنة مرجعيّة تعتمدها الجامعات الحكوميّة الأخرى في **المملكة**.

– تعزيز توجيه المجالات الدراسيّة للطلاب للكليّات العلميّة، وتقليص أعداد الطلاب في الكليّات الإنسانية والاجتماعية والتربوية.

– إنشـاء الهيئة الوطنيّة السعوديّة للتقويم والاعتمـاد الأكاديمـي للارتقـاء بجـودة التعليم الحكومي والخاص في المملكة.

– دعم البنية التحتيّة للجامعات السعوديّة وتعزيـز قـدرات البحـث العلمـي وتحفيـز الابتكار لدى أعضاء هيئة التدريس.

التوسّع وسوق العمل

– لم يتم التوسّع " بشقيه الأفقي والعمودي في " التعليم العالي بناء على اسـتراتيجيّة معلنة مبنيّة على سوق العمل.

– تمّ إقرار اسـتراتيجيّة التوظيف السعودية العـام 2009. ومـن غير الواضـح الارتباط العضوي بين هذه الاستراتيجيّة وسياسات القبـول في الجامعـات والكليـات المرتبطة بالتعليـم العـالي، فهـذه الاسـتراتيجيّة وُضعت بالتعاون بين وزارة العمل والقطاع الخـاص والأجهـزة الحكوميـة المعنيّة من دون تحديد.

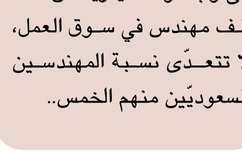
– يعـزى ارتفـاع معـدلات البطالـة لحملة شهادة البكالوريوس "للذكور والإناث" إلى تركيـز التعليم العالي على اسـتيعاب حملة شـهادة الثانويـة العامة قبـل العام 2010 مـن دون سياسـة قائمـة علـى احتياجات سـوق العمـل ومتطلباتـه وارتفـاع أعـداد طـلاب الدراسـات الاجتماعيّة والإنسـانيّة والتربويّة.

– يرجع ارتفاع نسـبة البطالة لدى الإناث (28،40 %) افي لعـام 2009 إلى مجموعـة مـن الأسـباب أهمّهـا محدوديّـة مجـالات عمـل المرأة في القطاع الخاص، باسـتثناء القطاع المصرفي.

– مـن أسـباب ارتفـاع نسـبة البطالة لدى الإنـاث أيضـاً، عدم شـيوع عمل المـرأة من المنـزل "Work From Home" في المملكة كما هو الحال في الغرب. حيث تشير إحصـاءات **الولايـات المتّحـدة الأميركيـة** إلى أن نسـبة العامـلات مـن البيـت مـن النسـاء تصـل إلى 15،4 % مـن إجمالي قوّة العمل، وذلك لاسـتخدامهنّ الحاسب بصورة رئيسـة[1]. وإذا علمنا أن انتشـار عمل المرأة مـن المنـزل يناسـب كثـيراً بيئـة **المملكـة العربيّـة السعوديّـة** وتقاليدهـا، فـإن هذا النـوع من العمل يمكـن أن يسـتوعب أعداداً كثيرة من اليد العاملة السعوديّة.

– تضـمّنت الخطـة الوطنيّـة للاتصـالات وتقنيـة المعلومـات (الرؤيـة لبناء مجتمع المعلومات) التي أعدّتها وزارة الاتصـالات وتقنيـة المعلومـات في المملكـة العـام 2005م (ذو القعدة 1426هـ)، والتي أقرّهـا مجلس الـوزراء، الاهتمام بعمـل المرأة من بُعد (العمل من البيت)وتولي وضع ضوابط خاصة، وإنشاء البيئة المناسبة والضروريّة لأداء العمـل عـن بُعد. وقد تضـمّنت الخطة مشروعـين همـا: مشروع بعنـوان: تحديث أنظمـة العمل لتتناسـب مع مفهـوم العمل عـن بُعد. ومشروع إنشـاء مراكز للعمل عن بُعـد. ويقوم المشروع الأخير على أسـاس توفـير البيئة المناسـبة لتمكـين العاملات عن بُعد لأداء أعمالهنّ بشكل ميسّر وفعّال،

يرجـع ارتفـاع نسـبة البطالة لـدى الإنـاث (28،40 %) في العـام 2009 إلى مجموعة من الأسـباب، أهمّهـا محدوديّـة مجالات عمل المرأة في القطاع الخاص، باسـتثناء القطـاع المصرفي، وعدم شـيوع عمل المـرأة مـن المنـزل "Work From Home" في المملكة كما هو الحال في الغرب.


تشير الإحصـاءات عـن أعداد المهندسـين فـي السـعوديّة إلى وجـود ما يـزيد عن 150 ألـف مهندس في سوق العمل، لا تتعـدّى نسـبة المهندسين السعوديّين منهم الخمس..

1 – Work at Home Summary ، Economic New Release ، office of Labor Statistics ، USA ، 22 Sep. 2005

وبـالتالي توظيف الكـوادر النسـائيّة الراغبة في العمل عن بُعد. وقد جاء في آليات تنفيذ المشروع إنشـاء ثلاثة مراكز نسائيّة للعمل عـن بُعد كمرحلـة أولية. ويطمـح المشروع إلى أن تصـل نسـبة العامـلات عـن بُعـد إلى 1 % مـن إجمـالي العامليـن في نهاية الخطة الخمسـيّة الأولى للاتصالات وتقنية المعلومـات[1].

إلا أنه لم يتمّ تفعيل هذه المبادرة وتوظيفها في تخفيـض معـدّل البطالـة لـدى الإناث. ويُقـترح تنفيـذ المشروعـين لأهميتهـا الكبـيرة لاسـتثمار المـرأة في التنمية وبما يتلاءم مع طبيعتهـا وبيئة **المملكة** وقيمها وتقاليدهـا.

– لا تتضـمّن إحصـاءات وزارة العمـل أيّ بيانات عن عمل المرأة من البيت.

– لكي يتمّ اسـتثمار منتجـات التعليم العالي والبحـث العلمـي في التنميـة الاقتصـادية، ويـزداد الطلب في سـوق العمل علـى خرّيجي التعليـم العـالي، لا بـدّ مـن تبنّـي الابتـكار والإبـداع ورعايـة المواهب واحتضـانها من خلال آليات أثبتت فعاليتها ومنها: حاضنات التقنيّـة – مراكـز الابتـكار التقنـي – مراكز التميّـز العلمـي – واحـات العلـوم، وغيرهـا من الأدوات التي تسـهم في تأسـيس شركات وليدة قائمة على الابتكار التقني والمعرفي. هذه الشركات ستستوعب أعداداً من مخرجات التعليم العالي، وبخاصـة من حملة شـهادات البكالوريوس في الهندسة والعلوم.

فمن المعلـوم أن هذه الآليات لم يتمّ تبنيها في **المملكـة** إلا منذ **العـام** 2005 ، وذلك من ضـمن **الخطة الوطنيّـة للعلـوم والتقنية والابتـكار**، والتـي شـكلت جـزءاً مـن خطة التنمية الثامنة ثم **خطة التنمية التاسعة في المملكة العربيّة السعوديّة**.

– تشـير الإحصـاءات عن أعداد المهندسين في **السعوديّـة** إلى وجـود ما يزيد عن 150 **ألف** مهندس في سوق العمل، لا تتعدى نسبة المهندسين السعوديّين منهم الخمس[2].

هـذا الواقـع عـن تـدني نسـبة المهندسـين السعوديّين في سوق العمل يستوجب إجراء دراسـة تحليليّـة لـه، ثـم اتخـاذ إجـراءات كفيلة باستيعاب نسب أكبر من الطلاب في الكليات الهندسية في المملكة.

مؤسّسـات التدريب التقنـي والمهني وسوق العمل

مؤسسات التدريب التقني والمهني

– شـهد التدريـب التقنـي والمهني توسّـعاً ملحوظاً منذ العام 2005 كما جاء في خطة التنمية الثامنة. إلا أن القدرات الاستيعابيّة في بعـض مراكـز ومعاهـد التدريب لاتزال غير قادرة على قبول المتقدمين كافة إليها، وبخاصـة المراكـز والمعاهـد المخصّصـة للإنـاث، في حـين تعـاني مراكـز ومعاهـد وكليات أخرى من نقـص المتقدّمين إليها، ممّا يتطلّب استعادة قدرات هذه المؤسّسات علـى موازنـة نسـب التقـدّم مـع القبـول، لتحقيق الاستثمار الأمثل لهذه المنشآت.

– وعلـى الرغـم مـن هـذا التوسّـع، لاتزال الموازنـة بين الملتحقين بـالتعليم الجامعي مـن جهـة، والتدريـب والتعليـم التقنـي والمهنـي مـن جهة أخرى، غـير متكافئة. فـأعـداد الطـلاب المقيّديـن في التعليـم الجامعـي لعام 2010 وصـل إلى 903567 **طالبـاً** (**جـدول** 6)، وأعـداد المقيّديـن في مرافـق التعليـم التقني والمهنـي 267221 (**جدول** 18).

أي أن نسـبة المقيّديـن في التدريب التقني والمهنـي لاتتجـاوز 29،50 % مـن نسـبة الملتحقـين في التعليم الجامعي، وهذه النسبة

نسـبة المقـيّديـن فـي التدريـب التقـنـي والمهـني لاتتجـاوز 29.50% مـن نسـبة الملتحقين في التعـليم الجامعــي، وهـذه النسـبة بعيدة جداً عمّـا هو موجـود في الـدول المتطـوّرة، نظـراً لأن الحـاجة إلى الفنّيـين والتقنيّين تتجـاوز على الأقل ضعف الحـاجة إلى خرّيجي الجـامعات. وهذا ما قد يفسّر ارتفاع مسـتوى البطالة لدى حملة شهادة البكالوريوس.

لا يــزال الإنفـــاق الحكـومي على التعليـم التقـني والمهني لايتجــاوز 3% من الإنفاق العـــام علــى مختلف أنــواع التعليم (3735 مليون ريـال مقــابــل 75858 مليـــون ريـال العـــام 2009)، ممّـا يستوجب إعادة النظر في نسب الإنفاق على أنواع التعليم في ضوء الاحتياجات الفعليّة لكلّ نــوع وتحديد أعداد المقبولين تبعاً للعرض والطلب في سوق العمل.

التعليم

1 – الخطة الوطنية للاتصالات وتقنية المعلومات، وزارة الاتصالات وتقنية المعلومات في المملكة العربية السعودية 2005م .

2 – الهيئة السعودية للمهندسين، اتصال شخصي مع الدكتور / صالح محمد المقرن – مدير عام الشؤون المهنية في الهيئة .



بعيدة جداً عن عمّا موجود في الدول المتطوّرة، نظراً لأن الحاجة إلى الفنّيين والتقنيّين تتجاوز على الأقل ضعف الحاجة إلى خرّيجي الجامعات. وهذا ما قد يفسّر ارتفاع مستوى البطالة لدى حملة شهادة البكالوريوس.

فقد بيّنت دراسات سابقة لمكوّنات عناصر الهرم البشري العلمي والتقني للقدرات العاملة في مجالات التقنية في الدول المتطوّرة أن مهندساً واحداً يجب أن يقابله اثنان من مساعدي المهندس، واثنا عشر فنّياً متوسطاً، وأربع وعشرون عاملاً ماهراً مدرّباً [1].

هذه المكوّنات تبدو بعيدة عن واقع البيانات في التعليم الجامعي والتدريب التقني والمهني في المملكة.

– لا يزال الإنفاق الحكومي على التعليم التقني والمهني لايتجاوز 3 % من الإنفاق العام على مختلف أنواع التعليم (3735 مليون ريال مقابل 75858 مليون ريال العام 2009)[2]، ممّا يستوجب إعادة النظر في نسب الإنفاق على أنواع التعليم في ضوء الاحتياجات الفعلية لكلّ نوع وتحديد أعداد المقبولين تبعاً للعرض والطلب في **سوق العمل**.

– مواءمة مجالات التدريب التقني والمهني مع الاحتياجات التي تتطلّبها السياسة الوطنيّة للعلوم والتقنيّة والابتكار وخططها التنفيذيّة من جهة، واحتياجات **سوق العمل** من جهة أخرى، وبخاصة في الاختصاصات التي تشهد كثافة في العمالة الوافدة على حساب العمالة الوطنيّة.

أظهرت الدراسة أن القطاعات الصناعيّة الثلاثة الأكثر وجوداً في المملكة هي:

o الصناعة المعدنيّة والمنتجات المعدنية الإنشائية.

o الصناعة الكيميائية والبتروكيميائية والمنتجات البترولية المكرّرة.

o الصناعات الغذائيّة والمشروبات.

وبما أن هذه القطاعات الصناعية تمثل 67،5 % من مجموع الصناعات القائمة في المملكة، فإن دراسة معمّقة لاحتياجاتها من قبل مؤسّسات التدريب التقني والمهني، وبالتعاون والمشاركة مع القطاع الخاص سيكون من مخرجاتها المستقبليّة إحلال العمالة الوطنيّة بدلاً من العمالة الوافدة التي تشغر قرابة 90 % من مجمل العمالة.

بما أن القطاعات الصناعية تمثّل 67.5 % من مجموع الصناعات القائمة في المملكة، فإن دراسة معمّقة لاحتياجاتها سيكون من مخرجاتها المستقبلية إحلال العمالة الوطنيّة بدلاً من العمالة الوافدة التي تشغر قرابة 90 % من مجمل العمالة.

– ضرورة المراجعة الدورية للبرامج والمناهج التي تقدّمها مؤسّسات التدريب التقني والمهني وملاءمتها لمتطلبات سوق العمل واحتياجاته.

– تشجيع الالتحاق بمؤسّسات التدريب التقني والمهني من خلال حوافز ماديّة ومعنويّة، وتحقيق التوازن المطلوب ما بين التعليم الجامعي من جهة والتعليم والتدريب التقني والمهني من جهة أخرى، بحيث لا ترقى الأعداد الملتحقة بهذه المؤسّسات لغاية الآن إلى هو مطلوب في **سوق العمل**.

سوق العمل

– تفاقمت البطالة في **المملكة العربيّة السعوديّة** في السنوات الماضية لتصل إلى 1،5 مليون نسمة.

– لاتزال العمالة الوافدة تحتلّ النصيب الأكبر من **سوق العمل** السعودي الخاص، بعكس القطاع المصرفي الذي شهد نجاحاً بارزاً في إحلال العمالة الوطنيّة بدلاً من العمالة الوافدة.

– اقتصرت نسبة العمالة في القطاع الحكومي على 8،5 %.

– تتمركز غالبية العمالة الوافدة في القطاع الحكومي حول قطاعَي الصحة وهيئة التدريس في الجامعات.

1 – د. صالح العذل : متى يصبح العالم العربي منتجاً للتقنية، محاضرة قُدمت لمؤسّسة الفكر العربي في مؤتمر – القاهرة (2001) .

2 – الميزانية العامة للمملكة العربية السعودية في العام 2009 .



التعليم

– تبلغ نسبة العمالة الوافدة في القطاع الصحي 43 % من مجموع عمالته.

– تبلغ نسبة العاملين من غير السعوديّين ضمن هيئة التدريس في الجامعات 12،5% من مجموع عمالته.

– من المفترض والمتوقّع أن يؤدّي برنامج الابتعاث للخارج، والتوسع الموجّه للتخصّصات العلمية في الجامعات الحكومية والأهلية وازدياد أعداد طلاب الماجستير والدكتوراه في الابتعاث وفي الجامعات الحكومية والأهلية، إلى تقليص عدد غير السعوديّين في هيئة التدريس في الجامعات، وإحلال السعوديّين بدلاً من معظمهم.

– تتصدّر بطالة حملة شهادة البكالوريوس قائمة العاطلين عن العمل لدى الذكور والإناث، وتعزى إلى الخلل في التوجّهات الدراسيّة وارتفاع نسب الخريجين من الدراسات الاجتماعية والتربوية والإنسانية على حساب الدراسات الهندسية والعلمية والطبّية.

– يُتوقّع أن يحقق تنفيذ استراتيجية التوظيف السعودية، والإجراءات التحفيزية الأخرى المتعلقة بقيود استخدام العمالة الأجنبية، وتعزيز فعالية صندوق تنمية الموارد البشرية وموارده ، إلى التصدّي لظاهرة البطالة وتحجيمها.

– تضمّنت استراتيجية التوظيف التي أعدّتها وزارة العمل مقارنةً بين إنتاجية العمال في 26 دولة من دول منظمة التعاون الاقتصادي للتنمية. وقد بيّنت المقارنة أن إنتاجية العامل السعودي تقع في نهاية قائمة الدول المذكورة. يعود ذلك إلى أسباب تعليمية وسلوكية وبيئية. وقد يرجع تدنّي استيعاب القطاع الخاص للعمالة الوطنية إلى هذه الظاهرة إضافةً إلى عوامل أخرى.

– حقّق صندوق الموارد البشرية نجاحاً نسبياً مقارنةً بموارده المحدودة (مليار ريال سنوياً). ولتفعيل نسبة استيعاب خرّيجي منظومة التعليم العالي والتدريب التقني والمهني، لا بدّ من دعم الصندوق بمضاعفة موارده ليساعد على تقليص البطالة لدى خرّيجي المنظومة وعلى استمراريته في تأدية الدور المنوط به في المواءمة بين العمالة المعروضة والعمالة المطلوبة.

– يفضّل القطاع الخاص العمالة الوافدة على العمالة الوطنيّة لأسباب منها تدنّي أجورها من جهة، واستقرار العمالة الوافدة وانضباطها مقارنةً بالعمالة الوطنيّة غير المستقرة في مواقع العمل لمدد طويلة.

– يُسهم توسيع دائرة المشاركات بين مؤسّسات التدريب التقني والمهني والقطاع الخاص لتوفير فرص تدريبيّة للملتحقين وملاءمة قدراتهم مع طبيعة أعمال القطاع الخاص، يسهم في توفير فرص عمل مستقبليّة لديهم.

– لا بدّ من إجراء مراجعات للأنظمة والتشريعات والقوانين المنظّمة للعمل بصورة دوريّة تأخذ في الاعتبار الواقع التحليلي **لسوق العمل**.

سورية

واقع التعليم العالي في سورية

تظهر المؤشرات التي توصّل إليها بعض الدراسات التي تناولت تطوير قطاع التعليم العالي في سورية وجود فجوة بين ما ينتجه التعليم العالي من مخرجات تعليميّة وما يتلقّاه عالم الأعمال من خرّيجين، وأن سوق العمل يتأثر بعدد من العوامل الداخلية التي من أبرزها عدم ملاءمة مستوى ونوعية الطلبة الخرّيجين لمتطلبات العمل واحتياجاته.

يعدّ التعليم العالي في **سورية** نظاماً حديث النشأة إذا ما قورن بنظرائه في دول متقدّمة، فقد أحدثت وزارة التعليم العالي بالمرسوم **رقم** 143 لعام 1966 ولمؤسّساته أشكال متعدّدة هي: الجامعات والمعاهد العليا والمعاهد المتوسّطة والمجالس العلميّة ومجمع اللّغة العربية والمشافي التعليميّة.

جاء في قانون تنظيم الجامعات السورية **لعام** 2006 أن التعليم الجامعي حقّ لكلّ مواطن مؤهّل له، وتُراعى في قبول الطلاب القواعد التي يضعها **مجلس التعليم العالي** مع الأخذ بالاعتبار رغبات الطلاب واستعداداتهم في ضوء خطط التنمية الاقتصادية والاجتماعية والثقافية في مختلف المحافظات. (وزارة التعليم العالي في الجمهورية العربية السورية، قانون تنظيم الجامعات، 2006، 4).

الجامعات الحكومية

يضمّ التعليم العالي في **سورية** (5) جامعات حكومية، ويبيّن الجدول رقم (1) عددها وموقعها وعدد الطلاب فيها بحسب إحصائيّات **وزارة التعليم العالي** للعام 2010:

يوضح الشكل البياني رقم (1) نسبة طلاب الدراسات العليا إلى طلاب المرحلة الجامعيّة الأولى في الجامعات الحكوميّة :

جدول (1) **عدد الجامعات الحكوميّة وموقعها وعدد الطلاب فيها**

اسم الجامعة	موقعها	عدد طلاب المرحلة الجامعية الأولى	عدد طلاب الدراسات العليا	نسبة طلاب الدراسات العليا إلى طلاب المرحلة الجامعية الأولى
جامعة دمشق	مدينة دمشق	108217	7291	%6.7
جامعة حلب	مدينة حلب	92121	3763	%4.1
جامعة تشرين	مدينة اللاذقية	55298	2404	%4.3
جامعة البعث	مدينة حمص	42582	2626	%6.1
جامعة الفرات	مدينة دير الزور	25985	244	%0.9
المجموع		324203	16328	%5

إحصائيّات وزارة التعليم العالي 2010.

شكل بياني رقم (1) **نسبة طلاب الدراسات العليا إلى طلاب المرحلة الجامعيّة الأولى في الجامعات الحكوميّة**

يتبيّن أن نسبة طلاب الدراسات العليا إلى طلاب المرحلة الجامعيّة في جامعة دمشق أعلى ممّا هي عليه في الجامعات الأخرى بسبب أسبقيّة هذه الجامعة في افتتاح مرحلة الدراسات العاليا، والتي تعود بداياتها إلى **العام** 1962.

يبلغ عدد الكليات التابعة للجامعات الحكومية 124 **كلّية**، وتشمل كلّ جامعة معظم التخصّصات العلمية والنظرية، ويراعى عند إحداث كلية ما، التوزّع الجغرافي وإمكانية توفير المستلزمات البشرية والمادية اللازمة للتعليم الجامعي، إلى جانب مدى الحاجة إليه في المحافظة التي تتبع لها الجامعة، فإحداث **كليتيّ الهندسة البترولية** مثلاً في **جامعتيّ البعث والفرات**، يعود إلى مكان استخراج النفط وتكريره.وإحداث كلّية **الطبّ البيطري** في هاتين الجامعتين أيضاً يعود إلى القدر الكبير من تربية المواشي فيها، والتي تتطلّب الرعاية البيطريّة اللازمة، وعدم وجود كلّية الطب البشري في **جامعة الفرات** يعود إلى أن الجامعة حديثة العهد ولمّا تتمكّن بعد من توفير المستلزمات لهذه الكلّية.

بهذا، فإن الكلّيات موزّعة في **محافظات سورية** جميعها تقريباً، حيث أقرّ إحداث عدد من الكلّيات الجديدة ويتمّ افتتاحها بحسب توفّر الإمكانات، والجدول **رقم** (2) يبيّن عدد الكلّيات المفتتَحة في كلّ محافظة والجامعة التي تتبع لها هذه الكلّيات وتوزّعها **للعام** 2010 :

جدول (2) **عدد الكلّيات في كلّ جامعة ومناطق توزعها للعام** 2010

الجامعة	المحافظة	أعداد الكليات المفتتحة	أعداد الكليات المقرر افتتاحها ولم تفتتح بعد	إجمالي عدد الكليات
	دمشق	18	-	18



تابع جدول (2)

اسم الجامعة	موقعها	عدد طلاب المرحلة الجامعية الأولى	عدد طلاب الدراسات العليا	نسبة طلاب الدراسات العليا إلى طلاب المرحلة الجامعية الأولى
دمشق	درعا	4	1	5
	السويداء	4	-	4
	القنيطرة	2	1	3
	المجموع	28	3	30
حلب	حلب	18	-	18
	إدلب	7	-	7
	المجموع	25	-	25
تشرين	اللاذقية	15	-	15
	طرطوس	7	-	7
	المجموع	22	-	22
البعث	حمص	15	1	15
	حماة	7	-	7
	تدمر	2	-	2
	المجموع	24	1	25
الفرات	دير الزور	11	-	11
	الحسكة	7	-	7
	الرقة	4	-	4
	المجموع	22	-	22
إجمالي عدد الكليات		121	3	124

إحصائيات وزارة التعليم العالي 2011.

أدّت سياسة التوسّع الأفقي إلى استحداث وزارة التعليم العالي في العام 2001 نظام التعليم المفتوح ، والذي يقوم على فلسفة جديدة للتعليم تجمع بين الفكرة القائمة على ذاتية التعلّم والتطبيق العملي لها، بهدف زيادة الفرص أمام جميع الطلاب الحاصلين على الشهادة الثانوية، من دون النظر إلى تاريخ الحصول عليها، في متابعة دراستهم الجامعية في اختصاصات تحدّدها الوزارة.

منذ العام 2002/2003 اعتمدت الوزارة، إلى جانب المفاضلة العامة التي يتابع الطالب المقبول وفقها دراسته مجاناً، **قبول** 20 % من الطلاب وفق نظام التعليم الموازي.

نصّت **المادة** 115 من اللائحة التنفيذيّة **لقانون تنظيم الجامعات في سورية للعام** 2006، أسس القبول في **التعليم الموازي** وفق مفاضلة خاصة به. فتكون درجات المقبولين وفق هذا النظام أدنى بقليل من درجات المقبولين في المفاضلة العامة، وعلى الطالب المقبول وفق هذا النظام دفع الرسوم المترتّبة عليه، إلاّ أنه يخضع إلى الشروط نفسها التي يخضع لها الطالب المسجّل في التعليم العام من حيث الدراسة والقوانين الجامعيّة.

ونتيجة تزايد الإقبال على التعليم العالي وما تطلّبه من اعتماد سياسة التوسّع الأفقي، وذلك بإتاحة الفرصة لتلبية رغبات الطلاب في متابعة تحصيلهم الجامعي ممّن لم يتسنّ لهم الدراسة الجامعية من قبل، فقد أحدثت **وزارة التعليم العالي** نظام **التعليم المفتوح** بموجب المرسوم التشريعي **رقم** 383 **لعام** 2001، الذي يقوم على فلسفة جديدة للتعليم تجمع بين الفكرة القائمة على ذاتية التعلّم والتطبيق العملي لها، وذلك من خلال اللّقاءات الدوريّة الجماعيّة والفرديّة بين الطلاب الدارسين وأعضاء الهيئة التعليميّة، والذي يهدف إلى زيادة الفرص المتاحة لجميع الطلاب الحاصلين على الشهادة الثانوية، من دون النظر إلى تاريخ الحصول عليها، في متابعة دراستهم الجامعية في اختصاصات تحدّدها **وزارة التعليم العالي**.

يوضح الجدول **رقم** (3) مجموع طلاب التعليم المفتوح وخريجيه بحسب الجامعة والكلية للعام 2009.

جدول (3) **مجموع طلاب التعليم المفتوح وخريجيه بحسب الجامعة والكلية للعام** 2009

الاختصاص	الطلاب						الخريجون					
	دمشق	حلب	تشرين	البعث	الفرات	المجموع	دمشق	حلب	تشرين	البعث	الفرات	المجموع
ترجمة	14050	104	2852	9752	0	26758	480	0	30	534	0	1044
إعلام	8336	-	0	0	0	8336	356	0	0	0	0	356
دراسات قانونية	16224	25340	543	2018	2052	46177	342	129	0	0	0	471
رياض أطفال	11423	0	0	0	0	11423	1326	0	0	0	0	1326
رياض أطفال	13653	0	0	0	0	13653	356	0	0	0	0	356
العلوم السياسية	362	0	0	0	0	362	0	0	0	0	0	0
الحاسوب	-	9828	0	0	0	9828	0	122	0	0	0	122
إدارة مشاريع	0	7617	0	0	0	7617	0	0	0	0	0	0
استصلاح أراضي	0	0	0	5673	0	5673	0	0	0	251	0	251
إدارة أعمال	0	0	6716	0	0	6716	0	0	469	0	0	469
تأمين ومصارف	0	0	1522	0	0	1522	0	0	66	0	0	66
معلم صف	2388	2601	1010	0	3153	9152	894	586	594	0	1176	3250
معلوماتية	0	0	142	0	0	142	0	0	0	0	0	0
تعميق التأهيل التربوي	0	0	0	1005	0	1005	0	0	0	409	0	409
تجارة وتسويق إلكتروني	0	0	0	1542	0	1542	0	0	0	0	0	0
المجموع	66436	45490	12785	19990	5205	149906	3754	837	1159	1194	1176	8120

إحصائيات وزارة التعليم العالي2009.

ترتبط الجامعة الافتراضيّة السورية بشراكات تعاون أكاديمي مع 16 جامعة عالميّة.

كما أحدثت **وزارة التعليم العالي** بموجب **المرسوم التشريعي رقم** (25) للعام 2002 الجامعة الافتراضية السورية، التي تستخدم فيها الوسائل التقنيّة الحديثة، من حيث القبول، والتدريس، والمناهج، والخدمات الطلابية، والتقويم. وقد أتاحت هذه الجامعة المجال لمتابعة التحصيل الجامعي للطلاب السوريّين وغيرهم، عبر التعلم عن بعد لمن لا يتمكّن من الحضور إلى الجامعة.

ترتبط **الجامعة الافتراضيّة السورية** بشراكات تعاون أكاديمي مع 16 جامعة عالمية تمّ توقيع اتفاقيات شراكة معها لتقديم خدمات التعليم عن بعد. وهي جامعات معترف بها دولياً (**موقع الجامعة الافتراضية السوريّة** www.svuonline.com).

يوضح الجدول رقم (4) الاختصاصات المتوفّرة في الجامعة الافتراضية، ومدّة الدراسة فيها، ومجموع عدد الطلاب في كلّ اختصاص **للعام** 2010.

الجامعات الخاصة

تمّ افتتاح عدد من الجامعات الخاصة والتي أحدثت في **المرسوم التشريعي رقم** 36 **للعام** 2001 وبموجبه صدر **قرار مجلس التعليم العالي رقم** 126 **تاريخ** 2007/3/11، الذي حدّد قواعد قبول الطلبة والحدّ الأدنى للمعدلات من حملة الشهادة الثانوية أو ما يعادلها، كما حدّدت الوزارة مؤخراً المناطق الجغرافية ذات الأولويّة في الترخيص لإحداث جامعات خاصة، مع التركيز على المناطق غير المخدَمة تعليمياً وبخاصة الريفية منها، ومراعاة البعد عن مراكز الجامعات الحكوميّة والمؤسّسات التعليميّة بينها. وفي العام 2010 أصبح عدد الجامعات الخاصة (17) جامعة خاصة. ويبيّن الجدول رقم (5) اسم كلّ جامعة وموقعها ومجموع عدد الطلاب فيها:

جدول (4) **اختصاصات الجامعة الافتراضية، ومدّة الدراسة فيها، ومجموع عدد الطلاب في كلّ اختصاص للعام** 2010

الدرجة الجامعية	الاختصاصات	مدّة الدراسة	عدد الطلاب
معهد متوسط	الدبلوم الوطني العالي للتطبيقات الإدارية والمعلوماتية HND	سنتان بعد الثانوية	691
إجازة جامعيّة	الإجازة في تكنولوجيا المعلومات BIT	أربع سنوات بعد الثانوية	1756
	هندسة في نظم المعلومات ISE	خمس سنوات بعد الثانوية	620
	الإجازة في الاقتصاد BSCE	أربع سنوات بعد الثانوية	703
	الإجازة في الحقوق BLS	أربع سنوات بعد الثانوية	1166
دبلوم تأهيل	دبلوم التأهيل التربوي EDU	سنة واحدة بعد الإجازة الجامعيّة	547
ماجستير	ماجستير إدارة الأعمال MBAP	سنتان بعد الإجازة الجامعية	697
	ماجستير تقانات الويب MWT	سنتان بعد الإجازة الجامعية	94
	ماجستير علوم الويب MWS	سنتان بعد الإجازة الجامعية	205
	ماجستير إدارة التقانة MTM	سنتان بعد الإجازة الجامعية	203
	ماجستير إدارة الجودة MQM	سنتان بعد الإجازة الجامعية	363

إحصائيات الجامعة الافتراضية للعام 2010



التعليم

جدول (5) **عدد الجامعات الخاصة وموقعها وعدد الطلاب فيها بحسب إحصاء وزارة التعليم العالي للعام** 2010

اسم الجامعة	موقعها	إجمالي عدد الطلاب
جامعة القلمون الخاصة	محافظة ريف دمشق ، دير عطية	4740
جامعة المأمون الخاصة للعلوم والتكنولوجيا	محافظة الحسكة،القامشلي و لها فرع في ريف محافظة حلب.	1267
جامعة الاتّحاد الخاصة	محافظة الرقة، منبج	663
الجامعة الخاصة للعلوم والفنون	محافظة حلب، المدينة	278
الجامعة العربيّة الدولية الخاصة	محافظة درعا ، غباغب	4851
الجامعة الدوليّة الخاصة للعلوم والتكنولوجيا	محافظة درعا ، غباغب	3874
جامعة الوادي الدوليّة الخاصة	محافظة حمص، وادي النضارة	744
جامعة الأندلس الخاصة للعلوم الطبية	محافظة طرطوس ، القدموس	429
جامعة الجزيرة الخاصة	محافظة دير الزور، البادية	504
جامعة الحواش الخاصة للصيدلة والتجميل	محافظة حمص، الحواش	431
الجامعة السوريّة الدوليّة الخاصة للعلوم والتكنولوجيا	محافظة ريف دمشق	4530
جامعة الخليج الخاصة	محافظة حلب، جبل سمعان	210
جامعة اليرموك الخاصة	محافظة درعا،جباب	889
الجامعة العربيّة الخاصة للعلوم والتكنولوجيا	محافظة حماة - تلّ قرطل	54
الأكاديميّة العربية للعلوم والتكنولوجيا والنقل البحري	محافظة اللاذقية، المدينة	850
جامعة إيبلا الخاصة	محافظة إدلب، سراقب	1292
الجامعة الوطنيّة الخاصة	محافظة حماه، غور العاصي	210
المجموع		25813

إحصائيات وزارة التعليم العالي للعام الدراسي2011.

يتبيّن أن عدد كلّيات الجامعات الخاصة (59) كلّية، يتمّ التركيز فيها على الاختصاصات العلميّة والتطبيقيّة، التي تلبّي رغبات الطلاب وحاجات سوق العمل. وهناك كليات لاتتبع أقسام لها.

بالمقارنة بين واقع الجامعات الحكومية والجامعات الخاصة من حيث الاختصاصات يتبيّن أن عدد التخصّصات الرئيسة في الجامعات الحكومية بلغ (27) جامعة، يقابلها في الجامعات الخاصة (19) تخصّصاً. ومع أن الجامعات الخاصة خفّفت بعض العبء عن الجامعات الحكوميّة، إلا أنه مازال معظم الطلاب يتابعون دراستهم في الجامعات الحكوميّة، لأنها الأعرق، والتعلّم فيها شبه مجّاني، الأمر الذي مكّن الطبقة ذات الدخل المحدود من دخول الجامعة ومتابعة تعليمها.

بلغ عدد الطلاب في الجامعات الحكومية

تبلغ نسبة الطلاب السوريّين في الجامعات الحكومية 93 % من إجمالي عدد الطلاب الجامعيّين مقابل 7 % في الجامعات الخاصة.

لا يوجد في سورية جامعات أجنبيّة قائمة بحدّ ذاتها، إلا أن هناك تعاوناً بين الجامعات الحكوميّة والجامعات الخاصة مع بعض الجامعات الأجنبيّة في بعض التخصّصات، شأن التعاون بين الجامعات الفرنسية وجامعة دمشق، وبين جامعة شيكاغو وقسم التاريخ في كلية الآداب، أو بين جامعة "الوادي الخاصة" وجامعة ماغديبورغ الألمانية.

والخاصة (350016) **طالباً** وطالبة، منهم (324203) **طلاب وطالبات** في الجامعات الحكومية بنسبة (93 %) من المجموع الكلّي للطلبة، و(25813) في الجامعات الخاصة بنسبة (7 %) من المجموع الكلّي للطلبة.

ولا يوجد في سورية جامعات أجنبيّة قائمة بحدّ ذاتها، إلا أن هناك تعاوناً بين الجامعات الحكومية والجامعات الخاصة مع بعض الجامعات الأجنبيّة في بعض التخصّصات، وعلى سبيل المثال هناك تعاون بين الجامعات الفرنسية و**جامعة دمشق** في مجال الدراسات العليا في اختصاصيّ البيئة والعمارة، وتعاون بين **جامعة شيكاغو وقسم التاريخ في كلية الآداب**. وهناك تعاون بين جامعة "**الوادي الخاصة**" **وجامعة ماغديبورغ الألمانية**، والتي تمنح خريجيها شهادات معترف بها من قبل الجامعات الألمانية والسورية على حدّ سواء، ويتمّ كلّ ذلك وفق اتفاقيات التعاون المعتمدة أصولاً من **وزارة التعليم العالي**.

جدول (6) **أعداد الطلاب والمتخرجين للعام 2009 من المعاهد المتوسّطة بحسب التخصّصات**

التخصّص	الطلاب	الخريجون
التقني الصناعي	21874	4925
القطاع الطبي	8340	1789
الزراعي	4825	1150
الهندسي	8837	1086
المحاسبة وإدارة الأعمال	29373	5265
التربوي	14938	4797
خدمي اجتماعي	188	108
فنون	266	46
اتصالات	363	142
فندقية	1244	441
إحصاء	573	139

المجموعة الإحصائية للعام 2009.

أولاً: المعاهد العليا

بهدف تطوير البحث العلمي وتلبية الحاجة التنمويّة لبعض التخصّصات، استحدثت في مؤسّسات التعليم العالي معاهد عليا متنوعة، منها ما يتبع إلى **وزارة التعليم العالي** مباشرة، ومنها ما يتبع إلى **الجامعات الحكومية**.

ثانياً: المعاهد المتوسّطة

هناك عدد من المعاهد المتوسّطة التابعة **لوزارة التعليم العالي**، وأخرى تابعة للجامعات الحكوميّة، إلا أنها جميعها تعمل بإشراف المجلس الأعلى للمعاهد المتوسّطة، وقد حدّدت مدّة الدراسة فيها بما لا يقل عن سنتين دراسيّتين.

وهناك عدد من المعاهد التابعة إلى **وزارات الدولة** الأخرى وتشرف **وزارة التعليم العالي** على مناهجها، **والجدول رقم** (6) يوضح أسماء **المعاهد المتوسّطة** الموجودة في **الجمهورية العربيّة السوريّة** والتابعة لوزارات الدولة المختلفة والجهة التي تتبع لها ومجموع عدد الطلاب في كلّ منها، فضلاً عن الخريجين **للعام** 2009.

سياسات القبول في مؤسّسات التعليم العالي

تعدّ سياسة القبول من المؤشرات التي تتّخذ لقياس نوعية التعليم العالي، وتتمثّل في نسبة المقبولين إلى مجموع المتقدّمين للمفاضلة العامة، ونسبة الطلبة المقبولين في كلّ كلية إلى مجموع المتقدمين لها.

وقد شهد قطاع التعليم العالي في سورية توسّعاً كمّياً كبيراً وحقّق إنجازات ملموسة في هذا المجال، تمثّلت في تحسين معدلات الاستيعاب للأعداد المتزايدة من الطلاب المتقدّمين لهذه المرحلة التعليميّة، وتخريج القدرات والمهارات العالية في مختلف الاختصاصات لتلبية متطلّبات التنمية وسوق العمل.

تحرص اللّجنة العليا للاستيعاب على رسم سياسة القبول الجامعي وفق التخصّصات المتوفّرة في المؤسّسات الجامعية، بما يساعد على تأمين متطلّبات خطط التنمية من القوى البشرية والعمالة الماهرة والأطر المؤهّلة.

حدّدت اللائحة التنفيذيّة **لقانون تنظيم الجامعات** الصادرة بالمرسوم 250 **تاريخ** 10/7/2006 الأحكام والقواعد العامة للقبول والتسجيل والنقل والتحويل في درجة الإجازة.

ويتمّ تسجيل الطلاب الجدد عن طريق المفاضلة بواسطة الحاسب وفق ما ينتقيه الطلاب في بطاقات مفاضلاتهم من رغبات، وبحسب مجموع الدرجات المحدّدة لكل اختصاص، وتقبل أعلى المعدلات في الجامعات، وضمن الجامعة، يطبّق الانتقاء الأكثر تشدّداً في الكلّيات الطبّية والهندسية، وتنتشر مراكز التسجيل الجامعي في جميع المحافظات السورية بغية تيسير عملية تسجيل الطلاب في أماكن إقامتهم.

وفي دراسة ميدانيّة جرت **العام** 2000 بهدف الوقوف على آراء الطلاب في سياسة القبول الجامعي، رأى 47 % منهم أن أسلوب القبول الحالي لا يلبّي رغباتهم وقدراتهم، وتبيّن أن الطلاب يعطون الأفضلية لدخول الجامعات إلا أنهم يقبلون على المعاهد المتوسّطة التي يحتاجها سوق العمل، كالمعهد المتوسّط للتعويضات السنّية، ويقبل الذكور على الكلّيات التطبيقيّة والهندسيّة بنسبة أكبر، فيما تقبل الإناث على كلّيات العلوم الإنسانيّة وبعض الكلّيات التطبيقيّة كالصيدلة والمعلوماتيّة.

ويفيد **تقرير هيئة التخطيط والتعاون الدولي للعام** 2005 أن نسبة الالتحاق بالتعليم الجامعي بمختلف أشكاله بلغت 17.4 % من مجموع الفئة العمرية المقابلة للسكان للعام 2003، ونسبة الالتحاق **للذكور** 17.8 % **وللإناث** 17 %. وعلى الرغم من الارتفاع الذي طرأ على هذه النسبة، إلا أنها ما زالت متدنيّة عن مثيلاتها في الدول المتقدّمة، والتي بلغت نسبتها الوسطية 40 % للعام نفسه. وجاء تحسّن هذه المعدلات في السنوات الأخيرة نتيجة دخول الجامعات والمعاهد الخاصة كشريك أساسي في عملية الاستيعاب، بحيث سجلت أعداد الطلاب في الجامعات السوريّة نسبة نموّ بلغت 9 % مابين عامي 2005/2006 (**الحسن**، 2010، 71).

وتشير إحصائيّات وزارة التعليم العالي للعام 2010 إلى نموّ متزايد للطلبة الملتحقين بالجامعات بسبب ارتفاع معدلات الخصوبة البشرية، إلى جانب تزايد أعداد الطالبات. و يبيّن كلّ من الجدول رقم (7) والجدول رقم (8) عدد الطلاب في الجامعات السوريّة بحسب الكلّية والجنس والمرحلة التعليميّة.

يتّضح من الجدول رقم (7) أن عدد الإناث في الجامعات السورية يزيد على عدد الذكور بـ 11955 طالبة.

الجدول رقم (8) :عدد طلاب الدبلوم

بلغت نسبة الالتحاق بالتعليم الجامعي بمختلف أشكاله في سورية 17.4 %. وعلى الرغم من تسجيل أعداد الطلاب في الجامعات السوريّة بنسبة نموّ بلغت 9 % ما بين العامين 2005 و2006، إلا فإن النسبة ما زالت متدنيّة عن مثيلاتها في الدول المتقدّمة، حيث تبلغ وسطياً 40 %.

جدول (7) **عدد الطلاب في الجامعات السورية للعام** 2010 **بحسب الكلية والجنس**

الاختصاص	ذكر	أنثى	المجموع
التربية والتعليم	56801	111056	167857
العلوم الإنسانية والفنون	835	1062	1897
العلوم الاجتماعية والاقتصادية والقانون	37107	15338	52445
العلوم الطبيعية	14139	14478	28617
العلوم الهندسية	29845	12723	42568
العلوم الزراعية	4702	3728	8430
العلوم الصحية والرعاية الاجتماعية	12413	9426	21839
مجال الخدمات	282	268	550
المجموع	156124	168079	324203

شكل بياني رقم (2) نسبة طلاب الدراسات العليا إلى طلاب المرحلة الجامعيّة الأولى في الجامعات الحكوميّة

عدد الطلاب في كليات الجامعات السورية بحسب الجندر

إناث ذكور

111056
56801
1062
835
15338
37107
14478
14139
12723
29845
3728
4702
9426
12413
268 282

التربية والتعليم
العلوم الإنسانية والفنون
العلوم الاجتماعية والاقتصادية والقانون
العلوم الطبيعية
العلوم الهندسية
العلوم الزراعية
العلوم الصحية والرعاية الاجتماعية
مجال الخدمات

تابع جدول (8) عدد طلاب الدبلوم والماجستير والدكتوراه في الجامعات الحكوميّة بحسب الجنس للعام 2010

البيان	ذكور	أنثى	المجموع
طلاب الدبلوم	1256	1200	2456
طلاب الماجستير	7516	5624	13140
طلاب الدكتوراه	996	654	1650
مجموع طلاب الدراسات	9768	7478	17246

إحصائيات وزارة التعليم العالي 2010.

والماجستير والدكتوراه في الجامعات الحكوميّة بحسب الجنس للعام 2010

يوضح الشكل البياني رقم (3) نسب طلاب الدبلوم والماجستير والدكتوراه في الجامعات الحكومية للعام 2010 بحسب الجنس .

شكل بياني رقم (3) عدد طلاب الدبلوم والماجستير والدكتوراه في الجامعات للعام 2010 بحسب الجنس

10000
9000
8000
7000
6000
5000
4000
3000
2000
1000
0

ذكور
إناث

طلاب الدبلوم
طلاب الماجستير
طلاب الدكتوراه
مجموع طلاب الدراسات

التعليم

المناهج الجامعيّة

تعدّ المناهج والبرامج التي تقدّمها الجامعة من العوامل الرئيسة في تحقيق المواءمة بين التعليم العالي وسوق العمل، وقد تبيّن أن المناهج الجامعيّة تعجز في كثير من الحالات عن تلبية متطلّبات سوق العمل، وما زالت الفجوة بين النظرية والتطبيق واسعة، والدليل على ذلك ما نراه ونلمسه من ترديد عبارات لدى الكثير من خرّيجي الجامعات بعد انخراطهم في العمل مثل: (ما درسناه شيء وما هو مطلوب في العمل شيء مختلف).

على الرغم من حرص أعضاء الهيئة التدريسيّة على أن تكون المناهج مواكبة للتطوّر العلمي، وأن تراعي التخصّص وتسعى نحو الالتزام بالمعايير الأكاديميّة المعتمدة في الجامعات العالميّة، فإنها ما زالت عاجزة عن تلبية حاجة السوق، وأن تكون على المستوى المطلوب...

يبقى التحدّي الكبير في عدم كفاية الجهد الذي يكرّس لتطوير المناهج والبرامج الجامعيّة من قبل الإدارة الجامعيّة، وعدم قيامها بمراجعة دورية لمحتوى المقرّرات الدراسية في ضوء المستجدات العلمية ومتطلبات سوق العمل، لأن عملية تطوير المناهج الجامعية سلسلة متفاعلة، ولأن كلّ تحسين في جزء يسهم في تحسين الأجزاء الأخرى. وهناك جملة معوقات تؤثر في عملية تطوير المناهج الجامعية في سورية، من ذلك:

– قلة الحوافز لتطوير المناهج
– كثرة الإجراءات وطول المراحل التي يتطلّبها التطوير
– عدم التخطيط الدوري للتطوير
– عدم قدرة الخرّيجين الجدد على إنجاز العمل
– ضعف تعاون المشرفين في القطاعات الإنتاجية في مجال تطوير المناهج
– ضعف النظرة الاستشرافية لما سيكون عليه الوضع الاقتصادي وما يتطلّبه سوق العمل من أطر مؤهّلة وقادرة على التنافس لتحقيق الجودة. إذ إن البيئة الحاليّة للعمل تشهد جواً مشحوناً بروح المنافسة القويّة، لأن العمل يتطلّب الإنجاز بشكل جيد وبإنتاجية كبيرة وتكاليف معقولة وثمن مناسب. الأمر الذي يحتاج إلى خريجين جامعيّين قادرين على إنجاز العمل بالشكل الأمثل.
– قلّة قنوات التواصل بين التعليم العالي وسوق العمل للتعرف إلى احتياجاته المتجدّدة باستمرار وتوجيه البرامج الجامعية لتتوافق مع هذه الاحتياجات.

في الوقت الذي تسعى الجامعات للأخذ بأساليب التكنولوجيا المختلفة، تؤكّد السياسة التربوية في الجامعات السورية على ضرورة التمسّك باللّغة العربية بوصفها عنوان هوية الإنسان العربي.

قد بيّنت نتائج استطلاع رأي لبعض القيادات في قطاع الأعمال والمؤسّسات الحكومية، والمعدّ من قبل **مؤسسة الفكر العربي** بشأن العلاقة مع مؤسّسات التعليم العالي أن نسبة من يشاركون في أنشطة أكاديمية (مثل: الإسهام في التدريس/ في إعداد المناهج في تدريب الطلبة داخل الجامعة) بلغت 17 %، وهي نسبة متدنّية جداً، تقابلها نسبة الذين لا يشاركون في الأنشطة الأكاديمية 83 %.

كما بلغت نسبة المشاركة في مجالس أو لجان جامعية (مثل: مجالس الأقسام / الكليات / مجالس الجامعة أو غيرها من لجان متخصّصة) 12 %، تقابلها نسبة الذين لا يشاركون في مجالس أو لجان جامعية 88 %.

يتطلّب تحقيق جودة المناهج في العملية التعليميّة دراسته كمفهوم نظمي له مدخلاته وعملياته ومخرجاته. ويأتي في مقدمة المدخلات الأهداف والخطط الدراسية، لما لها من أثرٍ في رسم نوعية مخرجات التعليم العالي

بيّن استطلاع رأي أعدّته "مؤسّسة الفكر العربي" بشأن علاقة القيادات في قطاع الأعمال والمؤسّسات الحكومية بمؤسّسات التعليم العالي، أن نسبة من يشاركون في أنشطة أكاديمية، مثل الإسهام في التدريس وفي إعداد المناهج وفي تدريب الطلبة داخل الجامعة، بلغت 17 % فقط، فيما لم تتعدَّ نسبة المشاركة في مجالس أو لجان جامعية، مثل مجالس الأقسام والكليات ومجالس الجامعة أو غيرها 12 %.

ومدى تلبيتها لسوق العمل.

ولتحقيق مزيد من المواءمة بين المناهج الجامعية وحاجات التنمية وسوق العمل، عقدت **وزارة التعليم العالي** ورشة العمل التحضيرية الأولى في **جامعة حلب** بتاريخ 7/3/2007 لتطوير مناهج التعليم العالي والاختصاصات الجامعية انسجاماً مع متطلّبات التنمية الوطنيّة وسوق العمل واحتياجاتهما. وأكّدت الورشة على ضرورة تطوير المناهج القائمة وإحداث تخصّصات جديدة لجَسر الفجوة بين البرامج الحالية وحاجات التنمية وسوق العمل، وقد تمّ البدء بتنفيذ هذه السياسة من خلال الأعمال الآتية:

– متابعة لجان تخصّصية مؤلفة من عمداء الكليات دراسة آفاق هذا التطوير لمواءمة المناهج مع حاجات التنمية وسوق العمل باستمرار.

– حرص الوزارة على متابعة العمل، وعقدها **ندوة وطنية في أيلول/سبتمبر** 2007 لمناقشة ما توصلت إليه اللّجان التخصّصية حول تطوير المناهج والاختصاصات.

– التعاون مع برنامج الأمم المتّحدة الإنمائي UNDP (بعدما كان التعاون مع الاتحاد الأوروبي بشكل رئيسي) والاتّحاد الأوربي لتطوير البرامج الجامعيّة وتحسين أداء الموارد البشرية بالتوافق مع المتطلّبات الوطنية والمساعدة في عملية إصلاح قطاع التعليم العالي لتمكينه من الاستجابة الفعّالة للحاجات الاجتماعية والاقتصادية (**سياسات التعليم العالي في** سورية، 6 – 7 –2007).

على الرغم من هذه السياسة، لا تزال مناهج التعليم العالي دون المستوى المطلوب في ارتباطها بحاجات المتعلمين المهنيّة، وبحاجات المجتمع التنمويّة، وبتطلعات المجتمع المستقبلية. فما زالت مناهج التعليم العالي الحكومي والخاص دون المستوى المطلوب لتلبية متطلبات الوظائف في سوق العمل.

طرائق التدريس

تعدّ الجامعات مصانع العقول المفكّرة ومحاضن الكفاءات البشرية المنتجة، ويشكّل أعضاء الهيئة التدريسيّة أهم ركيزة من ركائزها، فهم يتحملون مسؤوليات كبرى في ربط التعليم العالي بسوق العمل، إلاّ أن الواقع يشير إلى أنهم غالباً ما يقتصرون على التدريس وبأسلوب تقليدي، بعيداً عن التجديد سواء في الأساليب أم في التقنيات. ويعمد بعض أعضاء الهيئة التدريسيّة إلى رفض فكرة التغيير في طرائق تدريسهم.

لا يزال معظم أعضاء الهيئة التدريسيّة عاجزين عن ترجمة الأهداف التربوية إلى واقع فعلي في تدريسهم، ويعمد بعضهم إلى التركيز على الحفظ والاستظهار أكثر من الفهم والربط والاستنتاج، فضلاً عن الإسراف في الجوانب النظرية وتجاهل الجوانب التطبيقيّة. فالطرائق المتبعة في التدريس من أهم العوامل التي يمكن أن تؤثّر على موضوع المواءمة بين مخرجات التعليم العالي ومتطلّبات سوق العمل. وغالباً ما يقدّم المدرّسون هؤلاء الحقائق والمعارف على نحو يفتقر إلى الترابط، مع ميل إلى عدم الاهتمام بالمبادئ العامة والنظرة الشمولية، ناهيك بعدم تمكّنهم من مراعاة الفروق الفردية بين الطلبة بسبب كثرة أعدادهم، وبعدم اهتمامهم أيضاً بتنمية مهارات التفكير والبحث والاستقصاء لدى طلبتهم.

لعل السبب في ذلك يعود إلى ضعف الإعداد التربوي لبعض أعضاء الهيئة التدريسيّة، وقد خصّتهم الوزارة بدورات تدريبيّة، وتحديداً الجدد بغية تزويدهم بالخبرات اللازمة لهم في التدريس والتعامل مع الطلبة.

في مجال تدريب الطلبة على المهارات المطلوبة لسوق العمل، فقد اعتمدت وزارة **التعليم العالي** سياسة جديدة بهدف تدريب الطلبة على المهارات المطلوبة لسوق العمل



جدول (9) **عدد الطلاب لكلّ عضو هيئة تعليميّة في كلّ كلية.**

الكلية	عدد الطلاب	عدد أعضاء الهيئة التعليمية	عدد الطلاب لكلّ عضو هيئة تعليمية
الطب البشري	11041	996	11
طب الأسنان	4044	335	12
الصيدلة	5092	261	20
الهندسة المدنية	10872	876	12
الهندسة المعمارية	4235	256	17
هندسة الكهرباء والميكانيك	20255	1418	14
الهندسة المعلوماتية	3354	265	13
الهندسة البترولية	2532	266	10
الهندسة التقنية	3013	101	30
هندسة تكنولوجيا الاتصالات	202	17	12
الهندسة الزراعية	8663	1075	8
الطب البيطري	1628	138	12
العلوم	29806	1265	24
الاقتصاد	21938	516	43
التربية	32962	516	64
الحقوق	31433	188	167
الشريعة	10706	69	155
العلوم السياسية	942	47	20
الفنون الجميلة	1754	178	10
التمريض	1301	71	18
التربية الموسيقية	218	35	6
التربية الرياضية	1153	84	14
العلوم الصحية	899	8	112
السياحة	577	21	27
المجموع	338667	10202	33

إحصائيّات وزارة التعليم العالي 2010.

> تعـاني مؤسّـسات التعليم العـالي مـن قلّـة عـدد أعضـاء الهيئـة التدريسـيّة في بعض التخصّصـات، بحيث بلغت نسبة عـدد الطـلاب لـكلّ عضـو هيئة تدريسيّة في جامعة دمشق 33 طالباً العام 2009.

إلى اسـتحداث برامج تدريبيـة تحث الطلبة على تأسـيس أعمال جديدة ومبتكرة، و–العمل على إقامة روابـط مع عالم الأعمـال ورواد الأعمال الناجحـين. وإيجـاد حاضنـات للتكنولوجيـا والأعمال داخل الحرم الجامعي. كما اسـتحدثت وزارة التعليم العالي في سـوريا مراكز جامعيّة لإدارة ومتابعـة المسـتقبل المهنـي للخريجين (**سياسات التعليم العالي في سورية**، 2007، 8).

في المقابل، تعاني **مؤسّسات التعليم العالي** من قلّة عدد أعضاء الهيئة التدريسيّة في بعض التخصّصـات، حيث بلـغ عددهـم في **جامعة دمشق العام** 2009 (10202) عضـواً، وبلغ عدد الطلبـة للعام نفسـه (338667) **طالباً** وطالبة، وبذلك تكون نسبة عدد الطلاب لكلّ عضو هيئة تدريسية (33) طالباً (**إحصائيات وزارة التعليم العالي للعـام** 2010). **ويشـير الجـدول رقم** (9) إلى عـدد الطلاب لكلّ عضـو هيئـة تعليميّة في كلّ كلية في جامعة دمشق.

يوضـح الشـكل البياني رقـم (4) تطوّر عدد أعضـاء الهيئة التدريسـيّة من **العـام** 2002 إلى **العام** 2010.

علـى الرغـم من تطـوّر عدد أعضـاء الهيئة التدريسـيّة سـنوياً، تبقـى هذه المعـدلات دون النسبة المطلوبة وبخاصة في الكليات النظرية، حيث يزيد عدد الطلاب لكلّ عضو هيئة تعليمية عن النسبة المقبولة، فثمة عضو هيئة تدريسيّة لـكل 167 **طالباً** في كلّية الحقـوق ، ولكلّ 155 **طالبـاً** في كلّيـة الشريعـة، ولـكلّ 64 **طالباً** في التربيـة، ولكلّ 122 **طالباً** في العلوم الصـحيّة، وهذا ينعكس على نوعية مخرجات التعليم.

تدرّس الجامعـات الحكوميـة المقـرّرات جميعهـا باللّغـة العربيّـة، أمـا الجامعـة الافتراضيـة فتدرّس بعض برامجها باللّغة الإنكليزيـة، فيمـا تدرّس برامـج الإجـازة في الاقتصـاد BSCE والإجـازة في الحقوق BLS ودبلـوم التأهيـل التربـوي EDU ومـاجستير إدارة الأعمـال MBAP باللّغة العربية. والأمر عينه ينسـحب على الجامعات الخاصة. فبعض مقرّراتهـا يدرس باللّغة العربيـة والكثير منها يدرّس باللّغة الإنكليزية.

شكل بياني رقم (4) تطوّر عدد أعضاء الهيئة التدريسيّة من العام 2002 إلى العام 2010

100% 90% 80% 70% 60% 50% 40% 30% 20% 10% 0%

الطب البشري، طب الأسنان، الصيدلة، الهندسة المدنية، الهندسة المعمارية، الهندسة الكهربائية والميكانيكية، الهندسة المعلوماتية، الهندسة البترولية، الهندسة التقنية، هندسة تكنولوجيا الاتصالات، الهندسة الزراعية، الطب البيطري، العلوم، الاقتصاد، الأدب، التربية، الحقوق، الشريعة، العلوم السياسية، الفنون الجميلة، التمريض، التربية الموسيقية، التربية الرياضية، العلوم الصحية، السياحة

إحصائيات وزارة التعليم العالي للعام 2010.



تعتمد الجامعات الحكوميّة نظام الدراسة الفصلي، والمكوّن من فصلين دراسيّين للإجازة الجامعية، بالإضـافة إلى دورة تكميلية لطلاب السـنة الأخيرة مـن الإجازة الجامعيـة، ونظام دراسة سنوي للدراسات العليا، وقد تمّ التعديل، وذلـك بالأخذ بنظام السـاعات المعتمدة للعام القادم في بعض الكّليات.

التقويم والامتحانات

يأخذ التقويم في مؤسّسـات التعليم العالي أشكالاً عديدة، والشـائع بكثرة هو الاختبارات، والتي غالبـاً مـا تكون تحصيلية، وأحياناً أدائية وبحسـب طبيعـة المقرّر. وقد تُجـرى المقابلات التـي تعقـد مـع أصحـاب القـرار والمخطّطـين والمنفذيـن والخريجـين والجهـات المسـتفيدة منهم للاطلاع على الواقع وبحث سبل التطوير. وقليلاً ما تطبق الاسـتبانات، أو أساليب أخرى كتحليـل محتـوى البرامـج والوثائـق واللّوائح الخاصـة بالبرامـج والتقارير الذاتية ودراسـة الحالة...

هنـاك أساليب عدّة للتعرف إلى مستوى أداء الخريجين لأعمالهم المنوطة بهم منها:

- تقويم الجهات المستفيدة من الخريجين
- تقويم الخريج لنفسه ذاتياً
- تقويم أعضاء الهيئة التدريسيّة المشرفين على الخريج أثناء دراسته الجامعية

وتعـدّ هـذه الأسـاليب التقويميـة بمثابـة تغذية راجعة تزوّد أصحـاب القـرار في التعليم العـالي بمـا يحتاجونـه لتطويـر البرامـج بمـا يلبـي احتياجـات المجتمـع التنمويـة حاضراً ومستقبلاً.

إلا أن العملية التقويمية قلما يسـتفاد منها لقياس تكلفة الطالب بالنسبة إلى مردوده على المجتمع، ذلك أن العامل الاقتصادي يلعب دوراً رئيسـاً في الحكم على مسـتوى نجاح البرنامج الأكاديمي في تحقيق أهدافه. وقد كشفت نتائج تطبيق استطلاع رأي بعض القيادات الجامعية حول مـدى متابعـة الجامعـة لمسـار خريجيها بعـد إنهاء دراسـتهم أنها لاتقوم بهـذا الإجراء بنسـبة 100 % وأن تقييمهم لمسـتوى خريجي التعليم الجامعي كانت على النحو التالي:

تتقارب هـذه النتيجة مع ما أسـفر عنه

ضعيف	معقول	جيد	ممتاز
%0	%37	%57	%5

اسـتطلاع رأي بعـض القيـادات فـي قطـاع الأعمال والمؤسّسـات الحكوميـة حيث كانت النسب على النحو التالي:

حـول التعـاون بـين الجامعـات وقطـاع

ضعيف	معقول	جيد	ممتاز
%9	%55	%36	%0

الأعمـال في مجـال البحـث العلمي تشـير نتائج اسـتطلاع رأي بعض القيادات في قطاع الأعمال والمؤسّسـات الحكومية إلى ضـعف التعاون بين مؤسّسـات التعليـم الجامعي ومؤسّسـات وقطاع الأعمـال في الأنشـطة البحثية(مثـل، الإشراف علـى رسـائل علمية / مناقشـة رسـائل/ توفير معلومـات وبيانات للدراسـات والأبحـاث). فقد بلغـت نسـبة مـن يـرون أن هنـاك تعاونـاً في الأنشـطة البحثيّـة 30 % من مديري المؤسّسـات والقطاعـات الإنتاجية، فيمـا بلغـت نسـبة من يـرون أنه لا يوجد تعاون بين مؤسّسـات التعليم الجامعي ومؤسّسات وقطاع الأعمال في الأنشطة البحثية70 %.

أهمّ مشكلات التعليم العالي في سوريا

1 - التركيز على التخصّصات النظرية التي لا تتواءم واحتياجات سوق العمل:

يتـوزّع طـلاب مرحلـة الإجـازة الجامعيـة

جدول (10) طلاب الجامعات السورية بحسب الجامعة والكلية للعام 2010

الاختصاص	جامعة دمشق	جامعة حلب	جامعة تشرين	جامعة البعث	جامعة الفرات	المجموع
التربية والتعليم	58939	43383	30473	20668	14394	167857
العلوم الإنسانية والفنون	1069	612	0	216	0	1897
العلوم الاجتماعية والاقتصادية والقانون	21128	17743	7292	2034	4248	52445
العلوم الطبيعية	7709	8108	4509	5274	3017	28617
العلوم الهندسية	10362	14422	8233	7860	1691	42568
العلوم الزراعية	2387	2224	1349	891	1579	8430
العلوم الصحّية والرعاية الاجتماعية	6529	5629	3442	5183	1056	21839
مجال الخدمات	94	0	0	456	0	550
المجموع	108217	92121	55298	42582	25985	324203

(البكالوريوس) في **الجامعات السورية** على التخصّصات الآتية: العلوم الطبّية، العلوم الهندسية، العلوم الزراعية، العلوم الطبيعية، الاقتصاد والإدارة، الإنسانيات والاجتماعيات. يوضح الجدول رقم (10) عدد طلاب الجامعات السوريّة موزّعين بحسب الجامعة والكلية للعام 2010.

يتّضح من الجدول رقم (11) أن توزيع التخصّصات المختلفة يسير باتجاه مخالف لما تتطلّبه التنمية المنشودة، ولا تعود النسبة المرتفعة لطلاب الدراسات الإنسانية

شكل بياني رقم (5) عدد طلاب الجامعات السوريّة بحسب الجامعة والاختصاص

جامعة دمشق | جامعة حلب | جامعة تشرين | جامعة البعث | جامعة الفرات

التربية والتعليم | العلوم الانسانية والفنون | العلوم الاجتماعية والاقتصادية والقانون | العلوم الطبيعية | العلوم الهندسية | العلوم الزراعية | العلوم الصحية والرعاية الاجتماعية | مجال الخدمات

إحصائيات وزارة التعليم العالي 2010.

والاجتماعية إلى حاجات التنمية إلى هذه التخصّصات، بل إلى الطلب الاجتماعي على التعليم العالي ورغبة الشباب في الحصول على شهادة جامعيّة.

والحقّ، إن خطورة هذه المشكلة تكمن في أن كثيراً ممّن يحملون الشهادات لا يتمتعون بالمهارات التي يتطلبها المجتمع الإنتاجي. ومع تشبّع أجهزة الدولة بهذه الاختصاصات تبرز مشكلات أهمها:

– مشكلة البطالة بين حملة هذه الشهادات وما يترتب عنها من مشكلات اجتماعية وأمنية
– مشكلة ضعف فعاليّة الأجهزة الإدارية في الدولة بسبب كثرة غير المؤهلين
– عدم التناغم بين متطلّبات المجتمع الحاضر والمستقبل

2 - تعدّد الجهات المشرفة على التعليم العالي (المعاهد المتوسطة)

إن تعدّد الجهات المشرفة على التعليم العالي على الرغم من ايجابياته، والتي من بينها التزام بعض الجهات بتعيين حاجتها من خرّيجي المعاهد التابعة لها، إلاّ أنه يؤدي إلى مشكلة البطالة فيبقى الكثير من خريجي المعاهد المتوسطة وبخاصة غير الملتزمة من دون عمل.

3 – عدم كفاية التمويل

على الرغم من ارتفاع ميزانية التعليم العالي – كما تمّ ذكره سابقاً إلى– (31،323.853،000) **ل.س في العام** 2009 بعد أن كانت في العام 2000 (7،310،910،000) ل.س، فإن تكلفة تعليم الطالب لا تزال مرتفعة، فبلغ عدد الطلاب في العام 2009 (318581)، وبذلك تكون تكلفة الطالب الجامعي للعام نفسه (98323) **ل.س**، أي ما يعادل 1970 دولاراً أميركياً مع العلم أن الميزانية المخصّصة للتعليم العالي لا تذهب لتطوير نوعية الطلاب واستحداث برامج جامعية فقط، وإنما تذهب أيضاً نحو تحسين المرافق التعليميّة وغيرها من أعمال الصيانة في الأبنية الجامعية (**إحصائيات وزارة التعليم العالي**، 2009). الأمر الذي يفترض وجود ميزانيّة مرنة وقائمة على أسس علميّة.

التضخّم السريع لقطاع التعليم العالي والبطالة

تعمل **الجمهوريّة العربيّة السوريّة** على استيعاب الحاصلين على الشهادة الثانوية والراغبين في متابعة دراستهم الجامعية في العام نفسه، فتتيح لهم فرصة القبول في إحدى الكليات أو المعاهد المتوسّطة أو المعاهد العليا التي تمنح الدرجة الجامعية الأولى.

أدّت سياسة القبول المتساهلة في بعض الجامعات الخاصة إلى مدخلات ضعيفة المستوى في بعض التخصّصات الجامعيّة، الأمر الذي انعكس سلباً على نوعية المخرجات. لذلك لا بدّ من تحديد أعداد المقبولين في كلّ كلية على أساس الاحتياجات الفعلية لسوق العمل المحلّي من خريجيها، فالشركات وقطاعات الأعمال لا تكتفي اليوم بالشهادة الجامعيّة كمعيار للتوظيف، بل يهمّها أكثر الخبرات والمهارات التي يتقنها طالب الوظيفة، ولا يمكن أن توظف من الخريجين لديها إلاّ ما يحقق لها الفائدة والجدوى الاقتصادية ويتلاءم مع معاييرها، وهذا ما يتطلّبه العمل في القطاع الخاص. كما يتجه القطاع العام حتى اليوم إلى البحث عن الكفاءات والمهارات في اختيار الموظفين الجدد.

تسعى **سورية** إلى إيجاد قيمة مضافة.. حيث تمرّ في مرحلة انتقالية إلى اقتصاد السوق الاجتماعي. ففي السنوات القليلة الماضية تمّ افتتاح مشاريع ووُظّفت استثمارات، وتمّ كذلك تطوير البيئة المصرفيّة والتأمينيّة.. وهذا كلّه جعل سوق العمل أكثر انتقائية لاحتياجاته وأكثر تخصّصاً. فما هي ملامح سوق العمل

في **الجمهوريّة العربيّة السورية**؟. وما العوامل التي تؤثّر فيه؟.

تبيّن **المجموعة الإحصائية لعام** 2010 أن عدد سكان **الجمهوريّة العربيّة السوريّة** ازداد حتى **العام** 2010 على 23 **مليون نسمة** موزعين بحسب المحافظات والجنس وفق سجلات الأحوال المدنية في 1 /1 /2010 **كما يظهر الجدول رقم** (11).

أما عدد السكان القادرين على العمل والذين يمثلون قوة العمل للعام 2010 فقد بلغ بحسب نتائج مسح قوة العمل في جميع المحافظات **للعام** 2010، والذي أجراه **المكتب المركزي للإحصاء**، حوالي 5054458 مشتغلاً في جميع المحافظات أي بنسبة 91.6 %، من إجمالي قوة العمل الموجودة (5580301)، وذلك مبيّن في الجدول رقم (12)، الذي يوضح توزع المشتغلين (بعمر 15 سنة فأكثر) بحسب أقسام النشاط الاقتصادي والقطاع.

أما المتعطلون عن العمل فبلغ عددهم حوالي 476343 متعطلاً، أي بنسبة 8.4 % .

يبيّن الجدول رقم (13) عدد السكان الناشطين اقتصادياً (بعمر 15 سنة فأكثر) بحسب العلاقة

جدول (11) توزّع عدد السكان في سورية بحسب المحافظات والجنس (الأرقام بالألوف)

المحافظة	ذكور	إناث	المجموع
دمشق	875	874	1749
ريف دمشق	925	895	1820
حلب	2851	2829	5680
حمص	1056	1031	2087
حماه	1039	1013	2052
اللاذقية	603	604	1207
دير الزور	805	818	1623
إدلب	1010	987	1997
الحسكة	765	775	1540
الرقة	475	491	966
السويداء	238	238	476
درعا	550	535	1085
طرطوس	472	466	938
القنيطرة	239	236	475
المجموع	11903	11792	23695

المجموعة الإحصائية السورية 2010 .

جدول (12) توزّع المشتغلين بحسب أقسام النشاط الاقتصادي والقطاع

النشاط الاقتصادي	حكومي	خاص منظم	خاص غير منظم	مشترك / تعاوني / أهلي / عائلي	المجموع
زراعة وحراجة	15719	359712	348083	498	724013
صناعة	161026	638775	29129	1567	830496
بناء وتشييد	38644	103720	677667	167	820198
تجارة الفنادق والمطاعم	18241	776115	105240	2820	902417
نقل وتخزين واتصالات	80003	43072	269030	1351	393456
مال وتأمين وعقارات	24329	96064	11527	957	132876
خدمات	1022061	163803	60528	4609	1251001
المجموع	1360023	2181261	1501205	11968	5054458

المجموعة الإحصائية السورية 2010 .

جدول (13) عدد السكان الناشطين اقتصادياً (15 سنة فأكثر) بحسب العلاقة بقوة العمل وفئات العمر للعام 2010

فئات السن	مشتغل	متعطل سبق له العمل	متعطل لم يسبق له العمل	المجموع
19 - 15	379227	15945	77289	472460
24 - 20	588579	29165	125263	743007
29 - 25	719442	31604	79607	830653
34 - 30	730729	22540	30762	784030
39 - 35	661248	15699	13267	690214
44 - 40	637263	10656	5345	653264
49 - 45	496319	6409	1099	503828
54 - 50	380343	6337	615	387295
59 - 55	233110	2187	175	235472
64 - 60	113724	1659	-	115383
+ 65	114475	720	-	115195
المجموع	5054458	142921	333422	5530801

المجموعة الإحصائية السورية 2010



بقوّة العمل وفئات العمر **للعام** 2010.

يعدّ سوق العمل السوري من الأسواق الفتيّة في المنطقة العربية، ويتميّز بوجود بنية تحتيّة معدّة للاستثمار، وبخاصة من ناحية وجود العنصر البشري الذي يمكن الارتقاء به إلى مستويات عالية تلبّي الطموح.

أما العوامل المؤثرة في سوق العمل السوري، والتي تحدّ من جعله سوقاً مميزاً تنافسياً لا يتطلّب عمالة من الخارج على حساب عمالته، ولا يؤدي إلى هجرة العقول وتسربها إلى الخارج فهي:

– عدم كفاية المشاريع الاقتصادية، والخطط التنمويّة القادرة على توفير فرص عمل واستيعاب الأعداد المتزايدة من العمالة، وبخاصة للفئات الأكثر ضعفاً؛ فضلاً عن عدم التوازن بين أنواع الأنشطة الاقتصادية، فقد لوحظ انخفاض في نسبة العاملين في النشاط الزراعي بلغت 6،5 % حتى العام 2007، مقابل ارتفاع نسبة العاملين في القطاع الخدمي الذي وصل إلى 25 % في العام نفسه.

– قلّة المنح والقروض التي تمكّن الراغبين من البدء بمشروعاتهم الخاصة.

– المنافسة الخارجية الأرخص.

– التغيّرات في بيئة العمل الداخلية، كالتغيّرات في عمليات الإنتاج والتكنولوجيا الحديثة .

– القوانين والتشريعات الناظمة للعمل التي تلبّي متطلّبات الواقع الراهن وتستشرف المستقبل. فعلى الرغم من الإصلاحات التي أجريت على القوانين والتشريعات والمراسيم المحدثة، فضلاً عن المؤتمرات التي عقدت والتي أسهمت جميعها في عودة جزء من أموال الاغتراب للاستثمار في سورية، فإن تقرير أكسفورد **للأعمال للعام** 2008 أورد أن حجم الاستثمار الأجنبي المباشر في سورية بلغ حوالى 1200 **مليون دولار**.

– عدم تبنّي سياسات واستراتيجيات واضحة في ما يتعلق بالعمالة وبخاصة تشغيل خريجي الجامعات كجزء من خطّة شاملة للسياسات الاقتصادية والاجتماعية تستهدف التنمية المستدامة للمجتمع، وتحقّق العدالة والمساواة للجميع.

– نقص أنظمة المعلومات وتقنياتها، وضعف البرامج المساعدة في البحث عن الوظائف ومجالات العمل المتوفّرة.

– محدودية النظام التعليمي والصحّي والسكاني في إعداد القوى العاملة.

– عدم كفاية التدريب لتنمية الكفايات والمهارات التي يجب أن يمتلكها العمال لمساعدتهم على التكيّف مع ظروف العمل ومستجداته.

بذلك، يتبيّن ضرورة وضع برامج لسوق العمل تتناسب مع الواقع الاقتصادي والاجتماعي والثقافي في سورية، ومع ما يتّسم به من خصائص تميّزه عن غيره، وهو الأمر الذي يسهم في الحدّ من البطالة. إذ تعرّف منظمة العمل الدولية العاطلين عن العمل بأنهم " أفراد قوة العمل الراغبين في العمل وفق الأجور السائدة، والذين يبحثون عنه، والذين لا يجدونه" (**المصبح**، 3،2008). وتعرّف أيضاً بأنها مؤشّر يقيس عدد القادرين على العمل إلى عدد السكان.

وقد أورد تقرير **التنمية البشرية لعام** 2009 معدل البطالة في بعض **الدول العربية** لعام 2008 وفق الجدول رقم (14).

في ما يلي معدل البطالة في بعض الدول الأوروبيّة بحسب إحصاءات **مكتب الإحصاءات الأوروبي** (**يوروستات**)، الذي أشار إلى أن البطالة زادت في شباط/فبراير2009 أكثر من المتوقّع في الدول الأوروبية الآتية (في منطقة اليورو): **إسبانيا** 15،5، **إيرلندا** 10،0، **سلوفاكيا**9،8، **فرنسا** 8،6، **البرتغال** 8،3، **اليونان** 7،8، **ألمانيا**7،4، بلجيكا 7،1، **إيطاليا** 6،9، **فنلندا** 6،8، **لوكسمبورغ** 5،9، **سلوفينيا** 4،6، **النمسا** 4،5، **هولندا** 2،7

تعود أسباب البطالة في سورية إلى عوامل عدّة، أبرزها العوامل الاقتصادية. إذ إيتميّز الاقتصاد في سورية ببنية تقليديّة لا تحتاج إلى قدر كبير من العمالة المؤهلة، فضلاً عن أن 40 % من مجمل العمالة تعمل في القطاع غير الرسمي الذي لا يخضع للخطط التنمويّة. ما أدّى إلى تركّز الطلب على العمالة ذات المستوى التعليمي المنخفض وإلى تفشّي البطالة بين الخريجين الجامعيّين الذين هم في ازدياد مضطرد، من دون تخطيط لاحتياجات السوق. وغني عن البيان ما تخلفه البطالة من هدر للطاقات الاقتصادية، وتفريط في قدرة الإنسان الذي هو عنصر العمل، وخصوصاً الجامعيين منهم، وما ينتج عن ذلك من انخفاض في الناتج الوطني، إلى جانب الآثار الاجتماعية، شأن التفكّك الأسري، والاضطرابات النفسية، والتخلف الاجتماعي. لذلك أكّدت **منظمة العمل العربية** على ضرورة تقديم إعانات للعاطلين عن العمل ريثما تتوفّر لهم فرص عمل، وكذلك ضرورة التأمين الاجتماعي للعاملين من قبل أصحاب العمل.

جدول(14) **معدل البطالة في بعض الدول العربية**

البلد	معدل البطالة
جمهورية السودان	% 16.9
الجمهورية العربية السوريّة	% 10.9
قطر	% 10.7
الجمهورية اليمنيّة	% 9.1
الجمهورية اللبنانيّة	% 8.5
جمهورية مصر العربيّة	% 8.3
المملكة الأردنية الهاشميّة	% 7.9

تقرير التنمية البشرية لعام 2009.

استراتيجيّات تشغيل خريجي الجامعات السورية

أظهر مسح سوق العمل في الجمهورية العربيّة السوريّة، بحسب ما ورد في المجموعة الإحصائية للعام 2010، توزع عدد المشتغلين بحسب الأنشطة الاقتصادية والقطاعات التي تتبع لها، وفق المخطّط الآتي شكل بياني رقم (6).

كما يبيّن الجدول رقم (15) توزّع المشتغلين من خريجي التعليم العالي بحسب أقسام النشاط الاقتصادي للعام 2010.

شكل بياني رقم (6) **توزّع المشتغلين بحسب أقسام النشاط الاقتصادي والقطاع للعام** 2010

المجموعة الإحصائية السورية 2010

التعليم

جدول (15) مدى معرفة الشباب واطلاعهم على نتائج الأدباء العرب: "معرفة واسعة"

الحالة التعليمية	زراعة وحراجة	صناعة	بناء وتشييد	تجارة الفنادق والمطاعم	نقل وتخزين واتصالات	مال وتأمين وعقارات	خدمات	المجموع
معاهد متوسّطة	10188	43086	18147	36568	16843	12364	301387	438583
جامعيّة فأكثر	4939	28785	6531	39111	11424	56292	277994	425076

المجموعة الإحصائية السورية 2010

من ملامح سوق العمل السوري زيادة عدد العاملين في المجال الاقتصادي من 4.3 مليون العام 2004 إلى 4.9 مليون عامل العام 2008 وبمعدل نموّ سنوي بلغ 3.7 %، أي بنسبة تفوق نسبة زيادة معدل نموّ السكان في الفترة نفسها، والبالغة2.4 %.

يمثّل الشكل البياني رقم (7) نسب توزّع المشتغلين من خريجي التعليم العالي بحسب أقسام النشاط الاقتصادي، كما هو مبيّن في الجدول رقم (16).

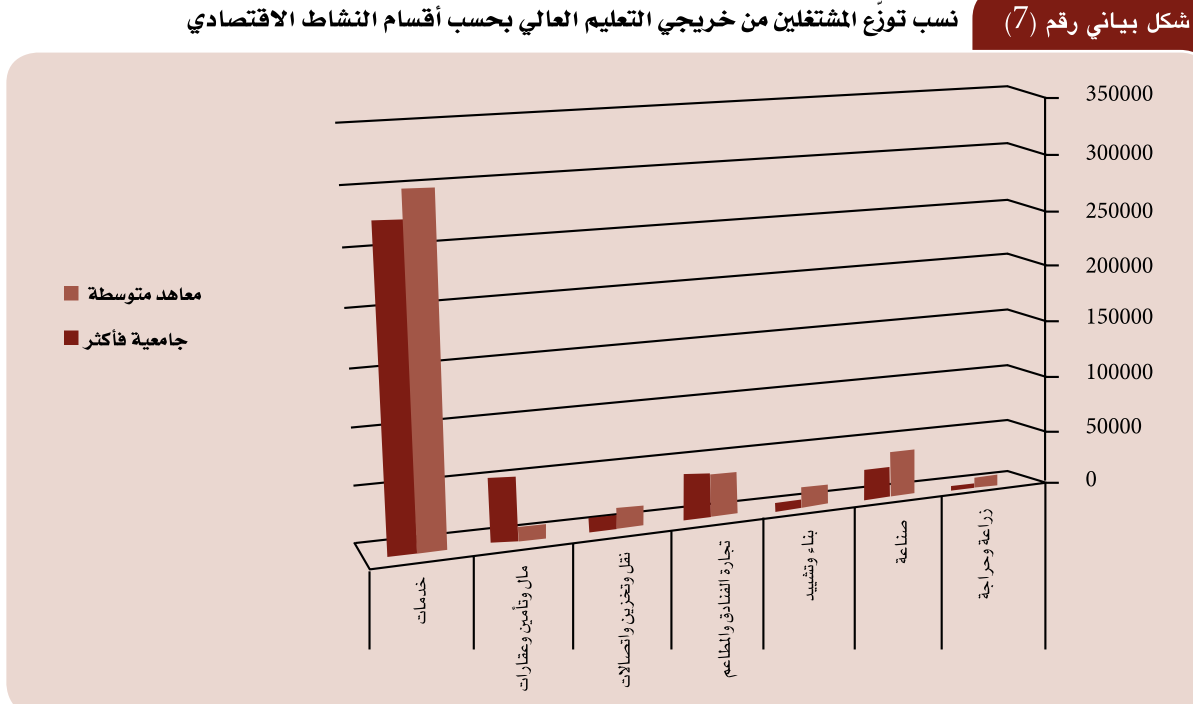
ملامح سوق العمل السوري في السنوات العشر الأخيرة

– زيادة عدد العاملين في المجال الاقتصادي من 3.4 **مليون العام** 2004 إلى 4.9 **مليون** عامل **العام** 2008 وبمعدل نموّ سنوي بلغ 3.7 %، وهي نسبة تفوق نسبة زيادة معدل نموّ السكان في الفترة نفسها والتي بلغت 2.4 %.

– زيادة إسهام المشاريع السياحيّة خلال الفترة 2004 – 2007 في تأمين فرص العمل، مقارنةً بالمشاريع الصناعية، بحسب إحصائيات وزارتَي الصناعة والسياحة للعام 2007، والموضّحة في الشكل البياني رقم (8).

– استقطاب قطاع الخدمات العدد الأكبر من العاملين خلال الفترة 2004 وحتى 2007، فقد بلغت 25 %، ويلاحظ ارتفاع عدد العاملين في قطاع البناء والتشييد في ذلك العام إلى 700 **ألف** عامل.

شكل بياني رقم (7) نسب توزّع المشتغلين من خريجي التعليم العالي بحسب أقسام النشاط الاقتصادي





– زيادة نسبة العاملين في قطاعَي الصناعة والزراعة، حيث بلغت في العام 2007 نحو 40 % في الصناعة و20 % في الزراعة.

– زيادة نسبة العاملين في قطاع المال والتأمين والعقارات إلى حوالي 15% بسبب التشريعات المحفزة لذلك.

– زيادة عدد العاملين لحسابهم الخاص من 20 % من إجمالي العاملين العام 2004 إلى 28،6 % العام2007.

– انخفاض نسبة العاملين من حملة الشهادة الابتدائية من 64 % في العام 2004 إلى 59،6 % العام 2007. وانعكس ذلك على جودة الإنتاج، وأدّى إلى بذل جهود أكبر للاهتمام بالتعليم الكمّي والنوعي، وبالتدريب المستمر (**الحسن**، 2010، 9 – 12).

تشير الإحصائيات الصادرة عن المكتب المركزي للإحصاء للعام 2010 إلى انخفاض معدل البطالة وفقاً لمعايير منظمة العمل الدولية من 12،3 % للعام 2004 إلى حوالي 8.4 % للعام 2010، كما تفيد بيانات المجموعة الإحصائية للعام 2010 أن معظم البطالة بين الجامعيّين في العام 2010 تتركّز لدى الذين لم يعملوا من قبل، حيث بلغ عدد الحاصلين على شهادة جامعيّة فأكثر (35993000)، وبلغ عدد المتعطلين الذين سبق لهم العمل (10550000)، والجدول رقم (16) يوضح توزيع الجامعيّين العاطلين عن العمل بحسب الجنس للعام 2010.

من ملامح سوق العمل في السنوات الأخيرة أيضاً :

– نموّ الوعي لدى خرّيجي الجامعات بالعمل الذاتي وتأسيس المنشآت الصغيرة. وقد أسهم في تشكيل هذا الوعي **برنامج تعليم مهارات ريادة الأعمال** – Entr preneurship المطبّق منذ سنوات في الجامعات السورية بالتعاون مع مشروع شباب، والذي كان له أكبر الأثر في تنمية الوعي بالعمل الذاتي لدى الطلاب.

– زيادة نسبة العاملين في القطاع غير المنظم والتي بلغت 40 % العام 2007 من إجمالي العاملين في سوق العمل في سورية، وهذه الزيادة قد تؤدّي إلى إنتاجية

من الدلالات المهمّة على ضعف مواءمة التعليم الجامعي لسوق العمل في سورية، تفوّق عدد الجامعيّين المتعطّلين الذين لم يعملوا سابقاً على عدد الجامعيّين الذين سبق لهم العمل بحوالي ثلاثة أضعاف.

شكل بياني رقم (8) تطوّر فرص العمل في المشاريع السياحية والصناعية المنفذة للفترة (2004 – 2006)

المشاريع السياحية
المشاريع الصناعية
16000 14000 12000 10000 8000 6000 4000 2000 0
2007 2006 2005 2004

التعليم

منخفضة، ومنافسة غير شريفة، وسوء توزيع الموارد، وهذا يتطلّب إجراء تغييرات جذريّة في النظام الضريبي والإداري.

آليات وأساليب تحقيق المواءمة بين مخرجات التعليم العالي وسوق العمل

تتطلّب المواءمة المطلوبة بين مخرجات التعليم وسوق العمل الارتقاء بمؤسّسة التعليم العالي بأبعادها الأربعة (البعد العلمي والتقني، البعد الإداري والتنظيمي، البعد الاقتصادي، البعد الإنساني والاجتماعي) للتمكّن من توظيف المهارات ذات الكفاءة، والمتمثلة بخريجي التعليم العالي. فالجودة في التعليم والتدريب والبحوث والخدمات أضحت مسألة بارزة في تقييم السياسات العامة للتعليم العالي. إذ تعني "المواءمة"، الاستثمار الأمثل للموارد المتاحة بدرجة أكثر نمواً وفاعلية، كما تعني تدريب العناصر البشرية وتنميتها لتحسين الإنتاج والإبداع فيه.

المواءمة تلبّي متطلبات التحول إلى اقتصاد معرفي وتحقق الجودة وذلك بتوفير المناخ الملائم للتكيف والتغيير والتطوير.

ومن الأساليب التي اعتمدتها أنظمة التعليم العالي في بعض دول العالم للمواءمة بين أدوارها وسوق العمل، تخصيص سنة تمهيدية يمارس الطالب فيها المهنة تليها سنتان أكاديميّتان يتعلّم الطالب خلالهما المقرّرات الأساسيّة، تليها سنتان يقضيها في دراسة مقرّرات تخصّصية، فضلاً عن الأمور التالية:

-دعم إنشاء مشروعات صغيرة ومتوسطة ذات الأثر في التنمية الاقتصادية.

-إجراء مسح شامل لحاجات السوق ووضع معايير موحّدة للمستويات المختلفة لبرامج التعليم والتدريب. وضع التشريعات الناظمة لمشاركة القطاعين العام والخاص في إعداد القوى العاملة تعليماً وتدريباً، وفي المراجعة المستمرة للمناهج والبرامج لتكون أكثر تلبيةً للاحتياجات الفعليّة لسوق العمل.

-توجيه سياسات القبول في التعليم العالي كمّاً ونوعاً نحو التخصّصات العملية المطلوبة في سوق العمل إلى جانب التخصّصات النظرية.

-التنسيق بين الجامعات والقطاعات الإنتاجية في مجال الخطط الدراسية والتخصّصات والبرامج الجامعية، بحيث تعدّ هذه القطاعات الموظِف الرئيس لمخرجات الجامعة.

-تطوير أساليب التدريس وتبنّي أنماطٍ

جدول (16) توزيع الجامعيّين العاطلين عن العمل بحسب الجنس للعام 2010 (بالآلاف)

جامعي كان قد عمل سابقاً			جامعي لم يعمل سابقاً			المجموع		
ذكر	أنثى	المجموع	ذكر	أنثى	المجموع	ذكر	أنثى	المجموع
5709	4840	10550	14248	21745	35993	19958	26585	46543

إحصائيات وزارة التعليم العالي 2010.

يلاحظ من الجدول السابق أن عدد الجامعيّين المتعطلين الذين لم يعملوا سابقاً يفوق عدد الجامعيّين الذين كانوا قد عملوا سابقاً بحوالي ثلاثة أضعاف، وهذا يدل على ضعف مواءمة التعليم الجامعي لسوق العمل.

حديثة تقوم على التفاعل وتحرص على تنمية شخصية الطالب وتمكينه من اللّغات الأجنبية واستخدام الحاسب.

-إجراء تقييمات مستمرة والوقوف على آراء أعضاء الهيئة التدريسية والطلبة المستجدين منهم والخريجين، وتفعيل نظام التوجيه والإرشاد الأكاديمي.

-التوسّع في تمويل التعليم العالي.

معوقات تحقيق المواءمة بين التعليم العالي وسوق العمل

– عدم وضوح الرؤية وغياب سياسات واضحة تحكم العملية التعليميّة وضعف التقويم الذاتي المؤسّساتي (طايع، 2006، 2).

– عدم تلبية حاجة السوق من الاختصاصات الجامعيّة، فمعدلات الالتحاق بالمرحلة الجامعية منخفضة، بحيث تشير الإحصائيات إلى أن معدلات التسرّب تتزايد عاماً بعد عام. إذ إن 37.2 % من مجمل طلاب المرحلة الثانوية في الجامعات، و42.5 % منهم في المعاهد المتوسّطة التابعة لوزارات الدولة المختلفة أما نسبة الـ 37 % المتوجهة للدراسة الجامعية فلم يحالف الحظ 20 إلى 40 % منهم في الدراسة في كليات علمية وتطبيقية، أي أن ما لا يتجاوز نسبة 12 % من الناجحين سيتوجهون إلى اختصاصات تطبيقية علمية بينما يتجه البقية إلى دراسات نظرية يمكن تفعيلها في البنية التحتية للمؤسسات التعليمية (**الحسن**، 2010، 131). فالتأهيل الجامعي يتسم بأنه مدفوع من جانب العرض بدلاً من الطلب، وأن هناك تركيزاً على جانب الكمّ بدلاً من النوعية (**الحسن**، 2010، 46).

– نقص الإمكانات المادية، وعدم وضع برامج تمويليّة تتناسب مع حجم الإنفاق، بحيث تنفق الدول العربية 2% من ناتجها القومي على التعليم والبحث العلمي، وما زال الإنفاق العمومي على التعليم للطالب الواحد يعادل 120 **دولاراً في الدول العربية** مقابل 750 دولاراً **للدول المتقدمة** (**الحسن**، 2010، 64). وقد ارتفعت ميزانية التعليم العالي إلى 31،323،853،000 ل. س في العام 2009، بنسبة 4.6 % من الموازنة العامة بعدما كانت في العام 2000 نحو (7،310،910،000) ل.س، وبلغ عدد الطلاب في العام نفسه (318581 **طالباً**)، وبذلك بلغت تكلفة الطالب الجامعي للعام نفسه (98323) ل. س. ما يعادل 1970 دولاراً أميركياً وهذا مع ضرورة الإشارة إلى أن الجزء المخصّص من الميزانية للتعليم العالي لا يستثمر في تطوير نوعية الطلاب واستحداث برامج جامعية وتحسين المرافق التعليمية بقدر ما يجري إنفاقه على التسيير الإداري والأغراض الإدارية العادية (**إحصائيات وزارة التعليم العالي** 2009).

تعود أسباب ضعف الكفاءة الداخلية لمنظومة التعليم العالي إلى :

– عدم التوازن بين النموّ الكمّي والكيفي

– ضعف الصلة بين برامج التعليم الثانوي وبرامج التعليم العالي

– تداخل مقررات(مساقات) بعض خطط الأقسام الأكاديمية

– عدم تنويع أساليب التدريس، والتركيز على المحاضرات

هذا يعني ذلك أن التعليم العالي لم يحقق أهدافه على الوجه المطلوب، ولاسيما مع وجود هدر ناجم عن الرسوب والتسرب وضعف الكفاءات وقصور المناهج. فثمّة فجوة بين المناهج والخطط الدراسية في نظام التعليم واحتياجات سوق العمل ومواكبة التطوّر التكنولوجي، إلى جانب القصور في التجهيزات والمعدّات والمخابر في العديد من

> لا يستثمر الجزء المخصّص من ميزانية التعليم العالي في سورية لتطوير نوعيّة الطلاب واستحداث برامج جامعية وتحسين المرافق التعليمية بقدر ما يجري إنفاقه على التسيير الإداري والأغراض الإدارية العادية.

مؤسّسات التعليم العالي، بما يؤثّر سلباً على مستوى الخريجين (**الشافعي**،2005، و **الحسن**، 2010، 50). ومن الضروري التقويم المستمر للمناهج والبرامج من قبل أعضاء الهيئة التدريسيّة المنفذين للبرنامج والطلبة، وإعادة صوغها بما يربطها بشدّة بمتغيّرات الميدان واحتياجات سوق العمل للخريج. ويعمد بعض الأنظمة التربوية إلى تقييم البرامج من قبل فريق خبراء متخصّص من خارج الكلية ومن القطاعات المستفيدة من مخرجات البرنامج.

– التركيز على نوعيّة الطلبة الدارسين في مؤسّسات التعليم العالي، إذ ينبغي على الجامعة أن تحسن اختيار الطالب الذي تقبله، فيما ينبغي على والطالب المقبول في الجامعة أن يحسن اختيار التخصّص الذي يلتحق به. لذا لا بدّ من اعتماد معايير صحيحة في القبول لضمان اختيار أفضل الكفاءات، وتحسين مستوى مدخلات التعليم العالي وعدم الاقتصار على درجات الطالب في الثانوية العامة. الأمر الذي يؤدّي إلى التخفيف من الهدر، سواء في الرسوب أم التسرب. بحيث بلغ عدد الطلبة المستجدين في **جامعة دمشق** العام 2010 نحو (71717 **طالباً**) وعدد الخريجين في العام نفسه (38599 **خريجاً**)، أي ما يقارب النصف (**إحصائيات وزارة التعليم العالي** 2010). وبالتالي، لا بدّ من العمل بمعايير جديدة في قبول الطلاب الذين أتمّوا مرحلة التعليم الثانوي، ومن ذلك:

– المعدل التراكمي العام للطلبة في السنتين الأخيرتين من التعليم الثانوي.

– وضع اختبارات قبول خاصة بكلّ كلية أو قسم أكاديمي.

– تبنّي مبدأ القبول المشروط.

كما لا بدّ من معايير خاصة لقبول طلبة الدراسات العليا تتيح المجال للطلبة المتميّزين لإكمال دراستهم وخدمة مجتمعهم من خلال:

– اختبارات تحريرية

– مقابلات شخصية

– تحليل للوثائق والشهادات العلميّة الرسمية

– حساب الخبرات العلمية والدورات التدريبيّة

– اعتماد التوصيات السرية

– عدم ربط سياسات القبول الجامعي بمتطلّبات سوق العمل والذي نتج عنه عدم تلبية برامج التعليم والتدريب لمتطلبات السوق، ولا بدّ أن تكون أعداد المقبولين في الجامعات ملبية لرغبات الطلبة ولقطاعات الاقتصاد الوطني وسوق العمل، وللقدرة الاستيعابية للتعليم العالي بالشكل الذي يحمي الخريجين في مجالات الوفرة من أن يصطدموا بواقع عدم إمكانية تشغيلهم. ولأجل ذلك لا بدّ أن تراعى الدقة في اختبارات القبول من المتقدمين لضمان أهليتهم للالتحاق بالتخصّصات المناسبة لقدراتهم وميولهم واستعداداتهم. ولاستشعار مدى تلبية التعليم العالي لاحتياجات التنمية، لا بدّ من معرفة نوعيّة التخصّصات العلمية داخل الشريحة من الطلبة التي سلكت المجال العلمي، والتخصّصات الإنسانية داخل الشريحة التي سلكت المجال الأدبي.

تشير المجموعة الإحصائية للعام 2009 إلى أن عدد الخريجين الجامعيّين بلغ (34978) موزعين على التخصّصات العلمية (11141) طالباً، وعلى التخصّصات الإنسانية (23837) طالباً.

بالعودة إلى حالة التشغيل في مكاتب التشغيل يلاحظ أن إجمالي المسجلين فيها من حملة الإجازة الجامعية والدراسات العليا بلغ (99037) مسجلاً، ويبيّن الجدول رقم (17) إجمالي المسجلين والقيود المحدثة، والمعيّنين استثناءً والمعيّنين ترشيحاً.

توضح المجموعة الإحصائية لعام 2007 أن فئة الحاصلين على الشهادة الابتدائية فما دون شكّلت ما يقارب 60 % من قوة

العمل العام 2006، ما يعني تراجع حصتها بما يقارب (8) نقاط خلال السنوات 1993 – 2006، فيما تحسنت حصص الفئات التعليمية الأخرى ولكن بنسب متفاوتة، فأصبحت حصّة حملة الثانوية بفروعها 9.7 % العام 2006 عوضاً عن 7.6 % العام1993 ، أما بالنسبة إلى الجامعيّين، فإن التحسّن في حصتهم لم يتجاوز 0.7 % طوال تلك الفترة (**الخوري**،**استراتيجيات التشغيل وتنمية الموارد البشرية في سورية**، 2007)، وهذا التحسّن لا يتيح الفرصة للخريجين الجامعيين جميعهم إيجاد العمل المناسب لاختصاصهم، وبما يلبي حاجة سوق العمل. وإذا ما تمّت المقارنة بين أعداد الخريجين في التخصّصات العلمية (11141) والتخصّصات الإنسانية (23837) يتّضح أن خرّيجي التخصّصات الإنسانية يمثلون أكثر من ضعف خريجيّ التخصّصات العلمية، وقد لا تستطيع خطط الدولة إيجاد فرص عمل لهم أو استيعابهم في سوق العمل. وما ينطبق على العام 2009 ينطبق على الأعوام التي تلته مع تزايد عدد الخريجين الجامعيّين.

بالعودة إلى **الخطة الخمسية العاشرة** يبدو أن أحد أهدافها ينصّ على ضرورة استحداث (1.250) مليون فرصة عمل خلال سنواتها الخمسة، ومن ثمّ خفض معدل البطالة من (12.3 %) إلى نحو (8 %)، وهذا معناه أن الاقتصاد السوري ملزم سنوياً بتحقيق 250 **ألف** فرصة عمل لإنجاز الهدف الكمي السابق للخطة. إلا أن مسوحات قوّة العمل السنوية التي يجريها **المكتب المركزي للإحصاء** كشفت أنه في العام 2006 لم يتمّ خلق سوى 180 **ألف فرصة** عمل فقط، أي 72 % من المتوسّط السنوي المرغوب في الخطة، في حين لم يشغل الاقتصاد السوري العام 2007 إلا حوالي 98 **ألف مشتغل** (أي 38 % من المتوسط السنوي). ما يعني أن الاقتصاد السوري شغّل خلال العامين الأولين من الخطة 278 **ألف شخص**، وبقي عليه أن يشغّل خلال السنوات الثلاث الأخيرة من الخطة

جدول (17) **حالة التشغيل في مكاتب التشغيل**

	إجمالي المسجلين	القيود المحدثة	المعيّنون استثناءً	المعيّنون ترشيحا
الدراسات العليا والجامعيون	99037	52129	25818	2373

(**الخوري، التشغيل وتنمية الموارد البشرية في سورية**، 2007).

972 **ألف شخص**، أي بمعدل 324 **ألف شخص** في السنة؛ وتحقيق هذا العدد من فرص العمل سنوياً لم يحدث في الاقتصاد على التأكيد منذ العام 2000 (**الخطة الخمسية العاشرة**).

– ضعف نظام التوجيه والإرشاد لطلبة التعليم العالي، والذي يؤدّي إلى عدم إحساس الطالب بالانتماء إلى مؤسّسات التعليم العالي، وعدم تكيّفه مع المناخ النفسي والاجتماعي العام، الذي يؤدي إلى الرسوب أو الانقطاع أو الفشل الكلّي في مواصلة تعليمه العالي. وفي العام 2010 تمّ إنشاء مركز إرشاد أكاديمي في **جامعة دمشق** لتعريف الطلاب بالدراسات الموجودة في الكليات ومدى ملاءمتها للطالب ولكنه لم يفتتح بعد في الجامعات الأخرى .

– عدم تبنّي الأقسام الأكاديمية استراتيجية مستقبلية واضحة لتطوير خطّطها، وبخاصة في مجال البحث العلمي وربطها بقضايا المجتمع.

– ضعف الإدارة الجامعية وعدم قدرتها على تفعيل الأداء الأكاديمي المتميّز، وذلك بتوفير البيئة التعليمية المناسبة للطلبة والتفاعل المتواصل معهم وتحقيق الجودة الشاملة في التعليم، وعدم التخطيط لتعزيز العمل التشاركي بين أعضاء هيئة التدريس وأصحاب العمل، وبخاصة عند إضافة تخصّصات جديدة.

– ضعف الكفاءة الخارجية لمنظومة التعليم العالي في تلبيتها لحاجات سوق

العمل السوري، ومطالب التنمية الشاملة، وتتمثل في ضعف توافق المؤهلات والخبرات المكتسبة من قبل الخريجين، وتلك التي يحتاج إليها سوق العمل.

– عدم تحمّل قطاعات العمل مسؤوليتها في توفير فرص عمل كبيرة الحجم والعدد لخرّيجي التعليم العالي.

تمويل مؤسّسات التعليم العالي

تكتسب مسالة الإنفاق على التعليم الجامعي أهمية بالغة في تحديد مخرجات هذا النوع من التعليم من كفاءات راقية تسهم بفعالية في البحث والتطوير والتنمية المجتمعية.

ويشكّل الإنفاق على التعليم في معظم البلدان أحد أكبر الضغوط على ميزانياتها، وبخاصة تلك التي تتبع ديمقراطية التعليم وتعميمه ومجانيته كما في سورية، حيث تتحمّل الدولة الكثير من الأعباء المالية لاستيعاب الأعداد المتزايدة من الطلاب في مختلف المراحل التعليميّة مع ارتفاع معدل النمو السكاني.

جدول (18): موازنة التعليم العالي ونسبتها من الموازنة العامة للدولة (بآلاف اللّيرات السورية) للأعوام 2000 - 2009

السنة	الموازنة العامة للدولة	موازنة التعليم العالي	نسبة موازنة التعليم العالي من الميزانية العامة للدولة
2000	275400000	7310910	% 3.9
2001	322000000	8792999	% 2.7
2002	356389000	11244650	% 3.1
2003	420000000	15528050	% 3.7
2004	449500000	16891309	% 3.7
2005	460000000	15925470	% 3.4
2006	495000000	18087615	% 3.6
2007	588000000	20974375	% 3.6
2008	600000000	28060970	% 4.6
2009	685000000	31323853	% 4.6

المجموعة الإحصائية السورية 2009 .

تمويل الجامعات الحكومية

ازدادت موازنة التعليم العالي من حوالى (7310) مليون العام 2000 إلى (15925) مليون ل.س العام2005، وإلى حوالى (31323) مليون ل. س في العام 2009. لقد تضاعفت ميزانية التعليم العالي حوالى أربع مرّات بين عاميّ 2000 و2009، فبلغت نسبة ميزانية التعليم العالي من ميزانية الدولة العام 2009 (4.57%) من الميزانية العامة للدولة بعدما كانت نسبتها في العام 2005 (3.4 %) و(3.9 %) العام 2000 كما هو مبيّن في الجدول رقم (18) يوضح موازنة التعليم العالي ونسبتها من الموازنة العامة للدولة بين 2000 – 2009.

لكلّ جامعة حكومية موازنة خاصة بها، فقد نصّت المادة 191 على تخويل الجامعات الحكومية إدارة أموالها بنفسها. وتغذّى موازنة الجامعات الحكومية من رسوم التسجيل في التعليم النظامي، التعليم الموازي، التعليم المفتوح والتعليم الافتراضي، وكذلك من بيع منشوراتها، أو واردات أملاكها، كما أنها تقبل التبرعات والهبات، عملاً بالمادة 190 من اللائحة التنفيذية **لقانون تنظيم الجامعات** الصادر بالمرسوم 250 تاريخ 2006/7/10.

نفقات الجامعات الحكومية

يتكوّن الجزء الأكبر من نفقات موازنة الجامعات الحكومية السورية من نفقات جارية (الرواتب والأجور) ونشر الأبحاث العلمية والمجلات الدورية، ونفقات الصيانة والتجهيزات والأبنية والمكافآت، والأجهزة والأدوات التعليمية (وسائل العرض، حواسيب ... إلخ).

نصت **المادة** 192 من اللائحة التنفيذية **لقانون تنظيم الجامعات** على أن مجلس الجامعة يقرّر في حدود الموازنة النفقات اللازمة لأعمال الطبع والنشر والتمثيل في المؤتمرات والرحلات، والبحوث العلمية والإعانات ومكافآت المحاضرات العامة والمعسكرات الإنتاجية والأساتذة الزائرين والمندوبين والمتعاقد معهم والممتحنين وما شابه ذلك من نفقات ومكافآت (**اللائحة التنفيذيّة لقانون تنظيم الجامعات**، 2006، 51).

وقد أوصت الندوة التي عقدتها وزارة التعليم العالي لتطوير سياسة القبول الجامعي للعام 2007 بضرورة إعادة النظر في موضوع التمويل للجامعات بما يمكنها من التوسع في سياسات القبول عبر توسيع كلياتها المحدثة وإحداث كليات أخرى تتماشى مع حاجة المجتمع.

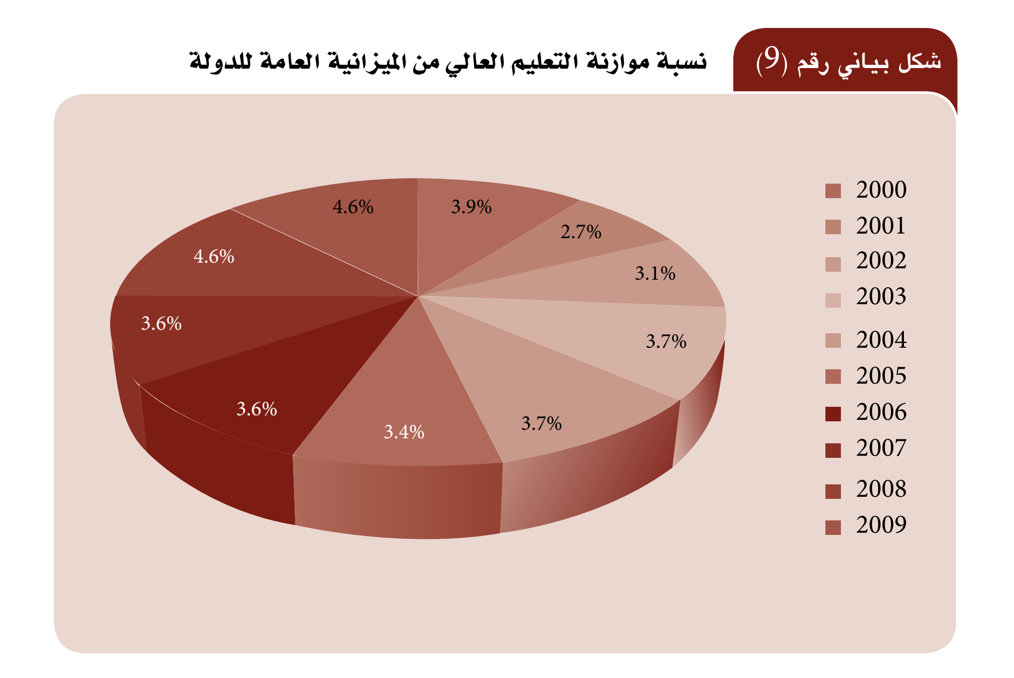
التمويل في الجامعات الخاصة

لا يعطي المرسوم رقم /36/ **للعام** 2001 الناظم لعمل المؤسّسات التعليمية الخاصة أو لائحته التنفيذية لوزارة التعليم العالي حقَّ التدخل في موضوع الرسوم والأقساط المفروضة من قبل الجامعات الخاصة، لذلك فهي تختلف من جامعة إلى أخرى ومن اختصاص لآخر. وقد صدر قرار **مجلس التعليم العالي** رقم /84/ تاريخ 2009/2/7 المتضمّن: ترك موضوع تحديد الرسوم الدراسية لكلّ جامعة بما تراه مناسباً، شريطة عدم تجاوز الأقساط للحدود المفروضة من قبل الجامعة عند التسجيل، لذلك تحدّد كل جامعة الرسوم الجامعية الخاصة بها والتي تختلف في بعض جوانبها عن رسوم الجامعات الخاصة الأخرى.

نظرة الأكاديميّين ومسؤولي التوظيف إلى التعليم وسوق العمل

تستند هذه النظرة إلى نتائج دراسة ميدانية في سورية تمّ بموجبها توزيع (125) استبانة على عيّنة البحث المؤلفة من مسؤولي التوظيف في أكبر الشركات السورية. وقد توزّعت هذه الشركات في عيّنة البحث بين عدد من الأنشطة المختلفة في مجال الخدمات، الصناعات المعدنية ، خدمات الاتصالات، إنتاج الغزول القطنية، الغزول الممزوجة، الأقمشة القطنية، السجاد، الأقمشة الممزوجة،

شكل بياني رقم (9) نسبة موازنة التعليم العالي من الميزانية العامة للدولة



الألبسة الداخلية والخارجية جوارب، زيوت، ألبان، كونسروة، مياه، مشروبات كحولية، معكرونة، بسكويت، صناعة برادات، أفران غاز، أدوات منزلية، إنتاج مقاطع ألمنيوم، شفرات أبجور، منجور ألمنيوم، سحب ألمنيوم.
كما تمّ توزيع (150) استبانة على القادة الأكاديميّين (عمداء ونواب عمداء ورؤساء أقسام) في جامعة دمشق.وخلصت الدراسة إلى النتائج الآتية:

1 – درجة توافق مخرجات التعليم مع متطلبات سوق العمل

أوضحت الدراسة الميدانية أن درجة التوافق بين التعليم العالي وبين ما تتطلبه سوق العمل في معظم التخصّصات غير متجانسة. إذ ثمة توافق في التخصّصات التي تلقى استجابةً كبيرة من خرّيجي نظام التعليم الجامعي، ولا تجد المؤسّسات الإنتاجية أيّ صعوبة في عملها لديهم وهي: هندسة الكمبيوتر، حقوق، اقتصاد (إدارة ومحاسبة)، لغات (وبخاصة اللّغة الإنكليزية) معاهد متوسّطة للأعمال الإدارية.

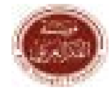
كما تبيّن وجود توافق في التخصّصات الجامعيةالتي يوجد صعوبة في تشغيل المتخرجين منها وهي: الطب، الصيدلة، هندسة العمارة، تكييف وتبريد، الفنون الجميلة، الهندسة الزراعية، الآداب بجميع فروعها ما عدا اللّغات، علوم بجميع فروعها، تربية، علم نفس، لغة عربية، رياضيات، شريعة.

كما تبيّن في المقابل عدم توافق في التخصّصات التي تلقى استجابة كبيرة من خريجي نظام التعليم الجامعي ولا تجد المؤسسات الإنتاجية أيّ صعوبة في عملها لديهم وهي: الهندسات (وذلك بحسب ما يتطلبه نشاط المؤسّسة الإنتاجية من اختصاص هندسي)، كيمياء، مخابر، المعاهد الصناعية، الاختصاصات الغذائية. فيما لم يتبيّن عدم وجود توافق في التخصصات الجامعية التي يجدون صعوبة في تشغيلها لديهم بل جميعهم كانوا متفقين على ما تمّ ذكره سابقاً.

الجامعة	الترتيب		
	1	2	3
جامعة حكومية	%71	%22	%7
جامعة خاصة	%3	%54	%43
جامعة أجنبية	%26	%25	%49

وهذا ما أكّدته نتائج آرائهم بمستوى خرّيجي التعليم الجامعي، إذ كانت النسبة الأعلى في مستوى معقول ومستوى جيّد:

ضعيف	معقول	جيد	ممتاز
%9	%55	%36	%0



وبالنسبة إلى القادة الأكاديميّين حول آرائهم بمستوى خرّيجي التعليم الجامعي، جاءت النسبة الأعلى في مستوى معقول ومستوى جيد:

ضعيف	معقول	جيد	ممتاز
%0	%37	%57	%5

بيّنت النتائج أن مؤسّسات وقطاعات الأعمال تفضّل تعيين خريجي الجامعات السورية الحكومية بنسبة أكبر من الجامعات الخاصة والجامعات الأجنبية، والجدول التالي يوضح ترتيبها بحسب الأهمية (1، 2، 3) مع النسب:

يدلّ ذلك على ثقة مؤسّسات وقطاعات الأعمال بمستوى خرّيجي الجامعات السورية الحكومية منها والخاصة، وثقتهم بأن الخريجين قادرون على العمل في مؤسّساتهم أو منشآتهم وتطوير إنتاجهم، على الرغم من عدم التنسيق بين مؤسّسات التعليم العالي مع أجهزة التوظيف في تلك المؤسّسات والقطاعات، وعدم التوازن بين العرض والطلب.

وأشارت النتائج إلى أن أفراد العيّنة أعطوا

جدول (19): **استجابات أفراد العيّنة لأهمية توفّر بعض العوامل التي تؤثّر في الاختيار بين المرشحين للوظائف**

الفقرة	مهم لمعظم الوظائف	مهم لبعض الوظائف	متوسط الأهمية	غير مهم
مستوى الجامعة التي تخرج منها	%38	%32	%13	%17
مجموع درجات التخرج/التقدير العام	%25	%17	%30	%28
تعزيز المرشح للوظيفة من أحد العاملين أو المعارف	%19	%29	%19	%33
إجادة لغة أجنبية أو أكثر	%35	%46	%13	%6
إجادة كتابة التقارير والمذكرات عن العمل	%41	%41	%6	%13
إجادة استخدام الكمبيوتر ووسائل الاتصال الحديثة	%55	%39	%4	%1
القدرة على التواصل مع الآخرين	%67	%19	%9	%6
القدرة على التفكير الخلاق والتعامل مع المستجدات	%61	%25	%9	%6
الدراية الجيدة بالمعلومات العامة	%38	%38	%14	%10
المستوى الاجتماعي اللائق	%29	%39	%19	%13
حسن المظهر	%36	%30	%19	%14
صغر السن	%25	%36	%25	%14
حداثة التخرج	%16	%26	%32	%26

تقييماتهم لكلٍ من العوامل الآتية عند الاختيار بين المرشحين للوظائف من حملة المؤهلات العليا (الخريجون الجدد) كما هو مبيّن في الجدول التالي:

يتبيّن من الجدول رقم (19) أن القدرة على التواصل مع الآخرين جاءت في المرتبة الأولى وبنسبة 67 %، ويليها القدرة على التفكير الخلاق والتعامل مع المستجدات بنسبة 61 %، ثم إجادة استخدام الكمبيوتر ووسائل الاتصال الحديثة بنسبة 55 %، فإجادة كتابة التقارير والمذكرات عن العمل بنسبة 41 %. فيما جاء كلٌ من مستوى الجامعة التي تمّ التخرّج منها والدراية الجيدة بالمعلومات العامة بنسبة 38% لكلٍ منهما. وجاء مجموع درجات التخرّج/ التقدير العام بنسبة 25 %، ما يؤكّد ضرورة توافر هذه المهارات لدى خرّيجي الجامعة، وضرورة تضمينها في المناهج الجامعيّة والتدريب عليها للعمل على اكتسابها من خلال التعاون والتنسيق بين مؤسّسات وقطاعات الدولة ومؤسّسات التعليم العالي.

وقد أشارت نتائج البحث إلى أن التعاون في مهام التدريب بين مؤسّسات وقطاعات الأعمال وبين مؤسّسات التعليم الجامعي متوسّط، بحيث بلغت نسبة من يرون أن هناك تعاوناً على هذا الصعيد 48 %، بينما بلغت نسبة من يرون أنه لا يوجد تعاون 52 %.

كما بيّنت النتائج ضعف التعاون بين مؤسّسات التعليم الجامعي ومؤسّسات وقطاعات الأعمال لتدريب الطلبة لديهم أثناء الدراسة، إذ بلغت نسبة من يرون أن هناك اتفاقاً بينهم 58 %. وعلى الرغم من أن النسبة تجاوزت النصف، إلا أنها تبقى دون المستوى المأمول.

ويرى القادة الأكاديميّون (عمداء ونواب عمداء ورؤساء أقسام)، وبنسبة 27 %، أن هناك علاقة جيدة بين مؤسّسات التعليم الجامعي ومؤسّسات وقطاعات الأعمال لتدريب الطلبة لديهم أثناء الدراسة، مع وجود نسبة 20 % لمن يرى أن العلاقة متوسّطة، ونسبة 27 % للعلاقة الضعيفة، ونسبة 26 % لمن يرى أنه لا توجد علاقة بينهم. ويعود اختلاف آراء أفراد العيّنة إلى نوعية التدريب اللازم في مؤسّسات وقطاعات الأعمال.

بلغت نسبة الاتفاق بين أفراد عيّنة مسؤولي التوظيف على تدريب الطلبة بعد التخرج نحو 22 %. وتعود هذه النسبة إلى خرّيجي المعاهد المتوسّطة والملتزمة بتوظيف خريجيها مثل معهد الاتصالات السلكية واللاسلكية الذي يتبع لوزارة الاتصالات. أما القادة الأكاديميّون فثمّة 9 % يرون أن هناك علاقة جيدة بين مؤسّسات التعليم الجامعي ومؤسّسات وقطاعات الأعمال لتدريب الطلبة لديهم بعد التخرج، بينما ترى نسبة 11 % أن العلاقة متوسّطة، و25 % أن العلاقة ضعيفة، و55 % أنه لا توجد علاقة بينهم.

إذاً النسبة العالية التي تجاوزت النصف هي نسبة عدم وجود علاقة بينهم، ويمكن تفسير بغلبة الاختصاصات النظرية على العلمية والتطبيقية، والتي لا تحتاج إلى تدريب، بالإضافة إلى اهتمام مؤسّسات التعليم العالي باستيعاب الطلبة وتوفير فرصة التعليم لهم فقط، وهذا ما أكّده جميع أفراد العيّنة، أي بنسبة 100 %، والمتمثّل في أن الجامعة لا تجري دراسات لمتابعة مسار خريجيها بعد

جدول (20): نسب استعانة المؤسّسات وقطاعات الأعمال بخبرات من الجامعة

الفقرة	نعم	لا
البحث العلمي	%20	%80
الاستشارات والتعامل مع المشكلات الفنّية	%39	%61
تدريب الموظفين	%16	%84
ندب بعض أعضاء الهيئة التدريسية للمشاركة في بعض مجالات عمل المنشأة	%10	%90

إنهاء دراستهم في الجامعة. ما يعني عدم اهتمام مؤسّسات التعليم العالي بحاجة سوق العمل.

أوضحت النتائج ضعف استعانة المؤسّسة خلال السنوات الخمس الماضية بخبرات من الجامعة في مجالات البحث العلمي والاستشارات والتعامل مع المشكلات الفنّية، وتدريب الموظفين، وندب بعض أعضاء الهيئة التدريسية للمشاركة في العمل في مؤسّسات وقطاعات الأعمال والنسب الآتية توضح ذلك:

يتبين ممّا سبق أن الاستشارات والتعامل مع المشكلات الفنّية كانت أعلى نسبة – على الرغم من تدنّيه– ويعود ذلك إلى تعاون بعض المنشآت وبخاصة الكليات الهندسية مثل كلية الهندسة المدنية والاتصالات والإلكترونيات.

وبالنسبة إلى القادة الأكاديميّين، فقد أوضحت النتائج ضعف العلاقة بينهم وبين المؤسّسات وقطاعات الأعمال والنسب الآتية توضح ذلك:

نعم	لا	أحياناً
%22	%13	%65

مؤسّسات التعليم العالي ومؤسّسات وقطاعات الأعمال، هذا فضلاً عمّا أشارت إليه النتائج من ضعف التنسيق بين مؤسّسات وقطاعات الأعمال وأيّ من مؤسّسات التعليم الجامعي لتوظيف الطلبة، فقد بلغت نسبة من يرون أن هناك تنسيقاً بينهم 19 %، وتعود هذه النسبة كما ذكر سابقاً إلى المعاهد المتوسطة الملتزمة، وكليات التربية، كمعلم الصف مثلاً، وبلغت نسبة من يرون أنه لا يوجد اتفاق بينهم 81 %، وهذا ما أكّدته أيضاً عيّنة القادة الأكاديميّين الذين رأوا، وبنسبة 63 %، أنه لا توجدعلاقة بينهم، ونسبة 30 %علاقة ضعيفة، ونسبة 23 % علاقة متوسطة، و7 % علاقة جيدة. ما يظهر ضعف اهتمام مؤسّسات التعليم العالي بما يتطلّبه سوق العمل من كفاءات، واهتمامها بتطبيق سياسة

جدول (21): علاقة التعاون بين القادة الأكاديميّين ومسؤولي المؤسّسات وقطاعات الأعمال من وجهة نظر الأكاديميّين

الفقرة	علاقة جيدة	علاقة متوسطة	علاقة ضعيفة	لا توجد علاقة	لا أعلم
إجراء بحوث مشتركة	%0	%18	%43	%37	%2
المشاركة في الإشراف على الرسائل العلمية	%8	%30	%30	%30	%2
تقديم استشارات علمية أو فنّية لمنشآت الأعمال	%18	%32	%27	%21	%2
تقديم استشارات علمية أو فنّية لجهات حكومية	%23	%27	%32	%16	%2
تدريب موظفي المؤسّسات في الجامعة	%7	%23	%30	%38	%2
مشاركة في نشاط التدريس من جانب خبراء في قطاع الأعمال	%2	%7	%30	%59	%2
مشاركة ممثلين عن قيادات قطاع الأعمال أو أصحاب الخبرة في مجالس الأقسام أو الكليات أو الجامعة	%2	%2	%7	%87	%2

الاستيعاب فقط، من دون الأخذ بالحسبان حاجة سوق العمل من الاختصاصات.

ولذلك يلاحظ إقبال بعض خرّيجي الجامعة من تخصّص معيّن على وظيفة خارج مجال تخصصهم والنسب الآتية توضح ذلك:

نعم	لا	أحياناً
%22	%13	%65

كما يقبل بعض خريجي الجامعة من ذوي المؤهل العالي التعيّن بوظيفة ذات متطلبات تعليمية أدنى من مؤهلاتهم والنسب الآتية توضح ذلك:

التخصّصات التي لا يمانع أصحابها شغل وظيفة أدنى من مؤهلاتهم هي تخصّصات العلوم النظرية، والتي تأتي في المرتبة الأولى حيث بلغت النسبة 61 %، بينما كانت نسبة

جدول (22): نسبة تخصّصات العلوم النظرية والعلوم الأساسية والعلوم التطبيقية التي لا يمانع أصحابها شغل وظيفة أدنى من مؤهلاتهم

الفقرة	نعم	لا
تخصصات العلوم النظرية	%61	%39
تخصصات العلوم الأساسية	%26	%74
تخصصات العلوم التطبيقية	%25	%75
لا يمكن تحديد التخصّص	%36	%64

شاغلي الوظيفة الأدنى من ذوي تخصّصات العلوم الأساسية ونسبة تخصصات العلوم التطبيقية متقاربة جداً. فهي على التوالي 26 % و25 % كما هو واضح في الجدول رقم 28 .

ولا شكّ أن السبب مرتبط بالأعداد الكبيرة من خريجي تخصّصات العلوم النظرية وبخاصة الدراسات الأدبية مقارنةً بالتخصّصات

نعم	لا	إلى حد ما	لا أعلم
%25	%23	%25	%27

الأخرى. وهذا ما أكّده عيّنة القادة الأكاديميّين حول تركّز الزيادة في أعداد الطلبة في الكليات النظرية كما تبيّن النسب التالية:

أشارت النتائج أيضاً، إلى أن ذلك يحدث أكثر بين طالبي الوظيفة من الإناث أكثر من طالبي الوظيفة من الذكور، حيث بلغت النسبة 36 % للإناث، و13 % للذكور. أما الذين يرون أنه لا يوجد فرق بينهم فكانت نسبتهم 51 %.

وأشارت النتائج إلى أن المنشاة لا تواجه حركة تنقلات ملحوظة منها وإليها من بين المشتغلين ذوي المؤهلات العليا؛ حيث كانت النسبة 61 %، بينما نسبة من يرون أن المنشأة تواجه حركة تنقلات منها وإليها 39 %.

ويمكن ردّ الأمر إلى حصول شاغل هذا العمل على وظيفة أفضل أو تناسب اختصاصه أكثر، ما يدفعه إلى الانتقال من المنشأة.

أشارت النتائج أيضاً إلى أن مؤسّسات

نعم	لا
%75	%25

وقطاعات الأعمال تفضل عموماً الذكور على الإناث عند التعيين في الوظائف المتاحة لديهم

نعم	لا
%91	%9



والنسب الآتية توضح ذلك:

كما أنهم يحرصون على تعيين الذكور في وظائف معيّنة والنسب الآتية توضح ذلك:

هي على سبيل المثال: الوظائف الفنّية (لحام كابلات، التركيبات، الحراسة)، الصيانة، مشاريع تنفيذية، أعمال بناء، الأعمال التي تحتاج إلى مجهود عضلي، خطوط الإنتاج بمراحلها كافة، أعمال إنتاجية (حدادة، لحام، دهان) تحميل، صيانة الآلات والمعدات، الأعمال الميدانية، الإشراف على الشركات التابعة خارج المحافظة.

نعم	لا
%72	%28

ويفضلون أيضاً تعيين الإناث في وظائف معيّنة والنسب الآتية توضح ذلك:

وهي على سبيل المثال: وظائف إدارية ومالية وقانونية، دراسات، تخطيط، مخابر، استقبال، علاقات عامة، مربيات في الرياض التابعة لهم.

كما أشارت النتائج إلى أن **مسؤولي التوظيف في مؤسّسات وقطاعات الأعمال** أعطوا نسباً متفاوتة الأهمية عند **تقييمهم للعامل لديهم (والمعايير الآتية مرتَّبة تنازلياً)**:

بالعودة إلى النسب السابقة يلاحظ أنه تمّ التقييم وبدرجة عالية جداً لارتفاع مستوى الإنتاجية، والاستقرار في العمل والولاء له، والتعاون مع الزملاء، والسلوك الملتزم في العمل، والقدرة على الابتكار، والتعامل مع المشكلات؛ أما تكريس الذات للعمل فكان تقييمه بدرجة عالية، بينما انخفض معيار إطاعة الرؤساء إلى درجة مقبولة، وكان الانخفاض النسبي في مستوى الأجر أدنى تقييم، وذلك يعود لسببين: في القطاعات الحكومية الأجر

المعيار	%
ارتفاع مستوى الإنتاجية	%96
الاستقرار في العمل والولاء له	%95
التعاون مع الزملاء	%88
السلوك الملتزم في العمل	%87
القدرة على الابتكار والتعامل مع المشكلات	%88
تكريس الذات للعمل	%75
إطاعة الرؤساء	%62
الانخفاض النسبي في مستوى الأجر	%20

محدّد لكلّ فئة من فئات العاملين، أما بالنسبة إلى القطاع الخاص والمشترك فالأمر يختلف لأن الأجور فيه أعلى من تلك العائدة إلى القطاع الحكومي.

في نهاية الاستطلاع رتّب القادة الأكاديميّون ومسؤولو التوظيف في مؤسّسات وقطاعات الأعمال أسباب مشكلة البطالة بين المتعلمين كالآتي:

ثمّة اختلاف في ترتيب أسباب مشكلة البطالة: فالقادة الأكاديميّون أعطوا المرتبة الأولى للزيادة في السكان، بينما جاءت لدى

الفقرة	القادة الأكاديميّون	مسؤولو التوظيف
الزيادة في السكان	1	3
الإفراط في التعليم العالي	3	5
محدودية الوظائف المتاحة	2	1
التركيز على تخصّصات غير ملائمة	6	6
ضعف نوعية التعليم	7	7
ضعف الاستثمارات الأجنبية	8	4
سياسات التعليم غير الجيدة	5	5
ضعف مستوى التنمية عموماً	4	2

مسؤولي التوظيف في المرتبة الثالثة، وأعطوا المرتبة الثانية لمحدودية الوظائف المتاحة، بينما جاءت لدى مسؤولي التوظيف في المرتبة الأولى، وجاء الإفراط في التعليم العالي في المرتبة الثالثة لدى القادة الاكاديميّين، بينما جاء في المرتبة الثانية لدى مسؤولي التوظيف ضعف مستوى التنمية عموماً. ويمكن أن يعزى ذلك إلى طبيعة عمل كلّ واحد منهما. فالزيادة في أعداد الطلبة الملتحقين في الجامعات سببها الزيادة في عدد السكان، والتوسع في الاختصاصات الجامعية وتعدّدها وتنوّعها في الجامعات الحكومية والخاصة، دون دراسة حاجة سوق العمل لها تأثيرها الكبير من وجهة نظر القادة الأكاديميّين، وقلة الوظائف المتاحة للخريجين يعود إلى أن إسهامات القطاع الخاص والأهلي لا تزال قليلة جداً، ما ألقى بتأثيراته على توفير فرص عمل للخريجين.

استطلاع آراء المسؤولين حول علاقة برامج القبول والتسجيل في الجامعات السورية في سوق العمل

يرجى وضع إشارة في الحقل المناسب:

وصف الجامعة	جامعة حكومية	جامعة خاصة	فرع لجامعة أجنبية
	√ جامعة دمشق		

ماذا تمنح الجامعة	دبلومات (معاهد) متوسطة	إجازة جامعية (بكالوريوس)	دراسات عليا
	√	√	√

نوع التخصّصات	شاملة لكلّ التخصّصات	علوم إنسانية	علوم تطبيقية
	√		

محاور الاستبيان:

رقم الفقرة	فقرات الاستبيان	أوافق %	إلى حد ما %	لا أوافق %
1	تقرر الجامعة سياسة القبول قبل وقت كاف من بدء فترة القبول والتسجيل.	%88	%12	-
2	ترتبط سياسة القبول في الجامعة بتعليمات التخطيط الصادرة عن وزارة التعليم العالي.	%65	%35	-
3	يتمّ اعتماد سياسة القبول من مجلس الجامعة وحدها.	%29	%12	%59
4	يتمّ تحديد عدد الطلبة الممكن قبولهم في كل تخصّص بناء على بيانات حقيقية عن فرص العمل المتوفرة في السوق.	%24	%41	%35
5	يتمّ تحديد عدد الطلبة الممكن قبولهم في كلّ تخصّص بناءً على الطاقة الاستيعابية والإمكانات المتوفّرة لكلّ كلية أو قسم.	%59	%35	%6
6	يتمّ تحديد عدد الطلبة الممكن قبولهم في كل تخصّص بناءً على البيانات الصادرة عن المجلس الأعلى للتخطيط.	%35	%47	%18
7	يتمّ تحديد عدد الطلبة الممكن قبولهم في كل تخصّص بناء على رغبات الطلاب وميولهم.	%18	%65	%18
8	تسعى الجامعة في خططها التطويرية لزيادة عدد الطلاب في التخصّصات التي يتطلّبها سوق العمل المحلي.	%29	%47	%29
9	تسعى الجامعة في خططها التطويرية لزيادة عدد الطلاب في التخصّصات التي يتطلبها سوق العمل العربي والدولي.	%24	%71	%6
10	تواجه الجامعة مشكلة في تحديد احتياجات سوق العمل المحلي.	%41	%29	%29
11	يوجد تعاون إيجابي بين الجامعة والمؤسّسات العامة وشركات القطاع الخاص في ما يتعلق بإعداد سياسة القبول.	%18	%18	%65
12	يوجد لدى الجامعة قاعدة بيانات محدثة عن احتياجات سوق العمل من التخصصات.	%12	%35	%53
13	يوجد لدى الجامعة قاعدة بيانات محدثة عن مواقع خريجيها في سوق العمل.	%12	%24	%65
14	تعاني الجامعة من صعوبة في إضافة تخصّصات جديدة يحتاجها سوق العمل المحلي.	%41	%35	%24
15	تعاني الجامعة من صعوبة في إلغاء تخصّصات موجودة في الجامعة ولا يحتاج إليها سوق العمل المحلي حالياً.	%53	%41	%6
16	تعقد الجامعة لقاءات مع مسؤولي المؤسّسات العامة والشركات الخاصة لمعرفة احتياجاتهم من التخصّصات.	%24	%59	%18
17	تعقد الجامعة لقاءات مع مسؤلي المؤسّسات العامة والشركات الخاصة لمعرفة آرائهم في خريجي الجامعة.	%18	%41	%41
18	توجد فجوة بين تخصّصات الجامعة واحتياجات سوق العمل المحلي بشكل عام.	%41	%41	%18
19	توجد فجوة بين خريجي الجامعات السورية واحتياجات الاقتصاد الوطني بشكل عام.	%35	%47	%18

المراجع

– إحصائيات التعليم المفتوح لعام 2011.
– إحصائيات الجامعة الافتراضية 2010 .
– جواد، محمد عواد (2007): رؤية أساتذة الجامعات السورية وطلابها في المناهج التعليمية وأنظمة التدريس والامتحانات، حلب.
–الحسن ، حسام محسن (2010): دراسة مدى مواءمة مخرجات التعليم العالي مع احتياجات سوق العمل في الجمهورية العربية السورية، جامعة دمشق، كلية الاقتصاد، رسالة دكتوراه غير منشورة.
–حنا، فاضل (2010): مستوى تطبيق أساليب جودة القبول الجامعي في جامعة حلب من وجهة نظر طلبتها، بحث قبل للنشر في مجلة جامعة دمشق للعلوم التربوية والنفسية، 23/ 12/ 2010.
– الخوري،هاني شحادة (2007) استراتيجيات التشغيل وتنمية الموارد البشرية في سوريا((1 /2011/9)
aleppo-culture.org/home3/modules.php
– دليل الطالب للقبول الجامعي في برامج الجامعة الافتراضية 2011.
– سنقر، صالحة (2000): تطوير التعليم في سورية وتوجهاته المستقبلية من عام 1970 وحتى عام 2000 .
– الشافعي، محمد صبي (2005): واقع وآفاق التعليم الفني واحتياجات سوق العمل – المواءمة بين سياسات التعليم والتدريب المهني والتقني ومتطلّبات سوق العمل العربية، القاهرة.
– طايع، أنيس أحمد (2006): التطوير النوعي للتعليم الجامعي(1 /9 /2011).
www.mpic-yemen.org/2006/nhdr/arabic/nhdr_rp/paper_re/gender.doc
– العاني، طارق علي، وآخرون(2003): الشراكة بين مؤسّسات التعليم والتدريب المهني وسوق العمل،المركز العربي لتنمية الموارد البشرية، بنغازي.
– المصبح، عماد الدين(2008): العوامل المؤثرة في البطالة في الجمهورية العربية السورية " دراسة تطبيقية باستخدام منهجية التكامل المشترك، دراسة مقدمة للمؤتمر الدولي حول " أزمة البطالة في الدول العربية، المنعقد في 17–18 مارس 2008، القاهرة.
– المكتب المركزي للإحصاء، المجموعة الإحصائية لأعوام متعدّدة
ww.cbssyr.org
– موقع وزارة التعليم العالي، إحصائيات وزارة التعليم العالي لأعوام متعددة
www.mhe.gov.sy
– الندوة الوطنية لتطوير سياسات القبول الجامعي التي عقدتها وزارة التعليم العالي السورية عام (2007) .
– هيئة تخطيط الدولة، الخطة الخمسية العاشرة
www.planning. gov.sy
– وزارة التعليم العالي، مديرية التخطيط ودعم القرار، إستراتيجية التعليم العالي .. زيادة فرص الالتحاق الجامعي والتوسع الأفقي للجامعات، الجمهورية العربية السورية (1/9/2011)
www.alforaat.com/t14678-topic
– وزارة التعليم العالي في الجمهورية العربية السورية اللائحة التنفيذية لقانون تنظيم الجامعات لعام 2006.
– وزارة التعليم العالي في الجمهورية العربية السورية، سياسات التعليم العالي في سورية، 2007.



الأردن

تطوّر مسيرة التعليم العالي في الأردن

بدأ **الأردن** يشهد إنشاء مؤسّسات للتعليم العالي في العام 1951، حيث افتتح صفٌ لتأهيل المعلّمين في **كلّية الحسين في عمّان**، وفي السنة ذاتها أنشأت وزارة التربية والتعليم داراً للمعلّمات في **رام الله**، ثمّ تزايد عدد معاهد المعلّمين والمعلّمات تدريجيّاً حتى بلغ مع حلول العام 1962 أحد عشر معهداً، ثلاثة منها للإناث وثمانية للذكور.

كان الأردنيّون يرسلون أبناءهم قبل العام 1951 إلى الخارج لمتابعة دراستهم بعد الثانوية العامّة، وبخاصّة إلى **لبنان وسوريا ومصر**.

كانت سنة 1962 تاريخاً مفصليّاً في مسيرة التعليم العالي في **الأردن**، حيث أنشئت الجامعة الأردنية، وكان الهدف من إنشائها، كما نصّ قانون **الجامعة الأردنية قانون رقم** (34) لعام 1962: "إتاحة فرص الدراسة الجامعية، وتشجيع البحث العلمي، والعمل على رقي الآداب والفنون، وتقدّم العلوم وخدمة المجتمع، وتزويد البلاد بالمتخصّصين في الفروع المختلفة، والاهتمام بالحضارة العربية والإسلامية ونشر تراثها، والمشاركة الإيجابية في الفكر العالمي، وتوثيق الروابط الثقافية والعلمية مع الجامعات والهيئات العلمية العربيّة والأجنبية".

وقد بدأت الجامعة بكلّية واحدة هي كلّية الآداب، وبمائة وسبعة وستين طالباً وطالبة، وثمانية أعضاء هيئة تدريس، ثلاثة منهم أردنيون، وثلاثة سوريون، وأجنبيّان.

وبمرور الزمن توسّعت الجامعة وأنشئت فيها كلّيات جديدة، وفتحت برامج كثيرة (بكالوريوس ودبلوم وماجستير ودكتوراه) فازداد عدد الطلبة وعدد أعضاء الهيئة التدريسية. ففي العام الجامعي 1999/2000 بلغ عدد الطلبة المسجلين (22356) طالباً وطالبة موزّعين على النحو التالي:

البكالوريوس	19068
الدبلوم	366
الدبلوم العالي	-
الماجستير	2630
الدكتوراه	292
المجموع	22356

أمّا أعضاء الهيئة التدريسيّة فبلغ في العام الجامعي 1999/2000 (807) أعضاء موزعين على النحو التالي بحسب الرتبة الأكاديمية:

أستاذ	279
أستاذ مشارك	212
أستاذ مساعد	274
مدرّس	42
المجموع	807

بلغ عدد الإناث من أعضاء الهيئة التدريسية في العام نفسه (97) عضواً منهنّ (7) في رتبة أستاذ، و (24) في رتبة أستاذ مشارك، و (37) في رتبة أستاذ مساعد، و (29) في رتبة مدرّس.

(كتاب **الجامعة الأردنية** 413، 422، 424).

كانت سنة 1962 تاريخاً مفصليّاً في مسيرة التعليم العالي في الأردن، حيث أنشئت الجامعة الأردنية، وكان من بين أهداف إنشائها، كما نصّ قانون الجامعة الأردنية، قانون رقم (34) للعام 1962 على "إتاحة فرص الدراسة الجامعية، وتشجيع البحث العلمي، والعمل على رقي الآداب والفنون، وتقدّم العلوم وخدمة المجتمع.."

جدول (1): الجامعات الرسميّة وتاريخ إنشائها

الرقم	الجامعة	تاريخ إنشائها
.1	الجامعة الأردنيّة	1962
.2	جامعة اليرموك	1976
.3	جامعة مؤتة	1981
.4	جامعة العلوم والتكنولوجيا الأردنيّة	1986
.5	الجامعة الهاشميّة	1995
.6	جامعة آل البيت	1992
.7	جامعة البلقاء التطبيقيّة	1997
.8	جامعة الحسين بن طلال	1999
.9	جامعة الطفيلة التقنيّة	2005
.10	الجامعة الألمانيّة الأردنيّة	2005
.11	الجامعة الأردنيّة - العقبة	2009

جدول (2): الجامعات الخاصّة وتاريخ إنشائها

الرقم	الجامعة	تاريخ إنشائها
.1	جامعة عمّان الأهليّة الخاصّة	1990
.2	جامعة العلوم التطبيقيّة الخاصّة	1991
.3	جامعة فيلادلفيا الخاصّة	1991
.4	جامعة البترا الخاصّة	
.5	جامعة الإسراء	
.6	جامعة الزيتونة الأردنيّة الخاصّة	1993
.7	جامعة الأميرة سميّة للتكنولوجيا	1991
.8	جامعة الزرقاء الأهليّة	1994
.9	جامعة إربد الأهليّة الخاصّة	1994
.10	الأكاديمية الأردنيّة للموسيقى	1989
.11	جامعة جرش	

وفي الوقت الذي كانت **الجامعة الأردنيّة** تشهد فيه تطوّراً متسارعاً ومطّرداً، أنشىء عددٌ آخر من الجامعات الرسميّة والخاصّة، كما أنشئت في الوقت نفسه وابتداءً من العام 1990 نحو (20) جامعة خاصّة.

كما شهدت معاهد المعلّمين منذ العام 1980 تطوّراً جديداً حيث حوّلت جميعها إلى كلّيات مجتمع لإعداد الفنّيين اللازمين لقطاعات العمل المختلفة: الهندسيّة والطبيّة والمهنيّة وسواها، من خلال برامج دراسية لمدّة سنتين بعد شهادة الدراسة الثانوية العامّة. وقد بلغ عدد هذه الكلّيات في العام 1985 (52) كلّية ما بين رسميّة وخاصّة. وبلغ عدد كلّيات المجتمع الخاصّة حتى العام 1990 (22) كلّية. وعندما أنشئت **جامعة البلقاء التطبيقية** سنة 1997 تولّت إعادة تنظيم كلّيات المجتمع، حيث تمّ تحويل عدد من هذه الكلّيات إلى كلّيات جامعية، مدّة الدراسة فيها أربع سنوات وتمنح درجة البكالوريوس.

وقد تزامن ذلك مع صدور قانون للتعليم العالي سنة 1980، وأنشىء بعد ذلك مجلس للتعليم العالي العام 1982، وفي العام 1985 أنشئت **وزارة التعليم العالي** وصدر قانون التعليم العالي رقم 28 لسنة 1985. وفي سنة 1998 صدر **قانون التعليم العالي** رقم (6) لسنة 1998 الذي ألغيت بموجبه **وزارة التعليم العالي** وأعيد إنشاء **مجلس التعليم العالي**، إلاّ أنّه في سنة 2001 أعيدت وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، وصدرت ثلاثة قوانين لتنظيم سير عملها هي **قانون التعليم العالي والبحث العلمي المؤقت رقم** (41) لسنة 2001 وتعديلاته، و**قانون الجامعات الأردنيّة الرسميّة المؤقت رقم** (42) لسنة 2001 وتعديلاته، و**قانون الجامعات الأردنيّة الخاصّة المؤقت رقم** (43) لسنة 2001 وتعديلاته.

وقد واكب هذا التوسّع في التعليم العالي وإنشاء الجامعات الرسميّة والخاصّة زيادةٌ في عدد سكّان المملكة، حيث بلغ عددهم في العام 2010 ستة ملايين ومائة وثلاثة عشر ألفاً.

أنظمة التعليم العالي وسوق العمل

بتاريخ 2011/6/30 اتّخذ **مجلس التعليم العالي** في المملكة قراره رقم (286) المتضمّن ما يلي:

أ. "الموافقة على إيقاف استحداث برامج جديدة لمستوى البكالوريوس والدراسات العليا للسنوات الثلاث القادمة في التخصّصات التالية، وذلك بسبب عدم توفر أعضاء هيئة تدريس لهذه التخصّصات، وتكرارها في العديد من الجامعات، وعدم توفر فرص عمل لخرّيجي هذه التخصّصات، ويستثنى من ذلك الجامعات المنشأة حديثاً، وذلك اعتباراً من العام الجامعي القادم 2012/2011، مع التأكيد على دعم تخصّصات تتلاءم مع متطلّبات سوق العمل:

علوم مالية ومصرفية، علوم سياسية، اقتصاد، إدارة أعمال، إدارة عامّة، نظم معلومات إدارية".

ب. "الموافقة على توجيه الطلبة للقبول في تخصّصات بعينها لمستوى البكالوريوس، كون الطلب في سوق العمل يكون بناءً على جنس المتقدّم وبحسب النسب التالية، وذلك اعتباراً من العام الجامعي 2013/2012، على أن يتمّ التنسيق مع الجامعات لاتّخاذ الإجراءات اللازمة لتنفيذ ذلك.

التخصّص	الإناث	الذكور
التمريض	80 %	20 %
الرياضيات	50 %	50 %
تاريخ	50 %	50 %
جغرافيا	50 %	50 %
لغة عربية	50 %	50 %

إنّ هذا القرار يعدّ مثالاً واضحاً على توجّه سياسات **التعليم العالي في الأردن** لتطبيق الرؤية التي تقضي من بين أهدافها مراعاة حاجات المجتمع من الكفايات والمؤهلات، ومراعاة حاجات **سوق العمل**.

وقد كان الحرص على ملاءمة **التعليم العالي** لحاجات المجتمع **وسوق العمل** أكثر وضوحاً منذ بدايات مسيرة **التعليم العالي في الأردن**، ففي **القانون المؤقت للجامعة الأردنيّة رقم** (34) لسنة 1962، نصّ القانون في المادة الثالثة أنّ من غايات **الجامعة الأردنيّة**: "تزويد البلاد بالمتخصّصين في الفروع المختلفة". كما نصّت المادة السابعة (أ/3) ضمن الحديث عن اختصاصات **مجلس الأمناء** على: "الاشتراك مع **مجلس الجامعة** في تنسيب افتتاح كلّيات ومعاهد عليا لفروع من التخصّص تتبع الجامعة مباشرةً أو إحدى كلّياتها والموافقة

تابع جدول (2): الجامعات الخاصّة وتاريخ إنشائها

الرقم	الجامعة	تاريخ إنشائها
.12	كلّية العلوم التربوية والآداب - الأنروا	
.13	جامعة العلوم المالية و المصرفية	1988
.14	جامعة عمّان العربية للدراسات العليا	
.15	جامعة الشرق الأوسط للدراسات العليا	2005
.16	جامعة إربد	2006
.17	جامعة عجلون الوطنية الخاصّة	2008
.18	جامعة العلوم الإسلامية العالمية	2008
.19	الجامعة الأمريكية في مادبا	
.20	الجامعة العربية المفتوحة	
.21	جامعة نيويورك للعلوم والتكنولوجيا	
.22	أكاديمية الأمير حسين بن عبدالله الثاني للحماية المدنيّة	2008

تضمّن القرار رقم 286 الصادر بتاريخ 2011/06/30 من قبَل مجلس التعليم العالي في الأردن دعم تخصّصات تتلاءم مع متطلّبات سوق العمل (علوم مالية ومصرفية، علوم سياسية، اقتصاد، إدارة أعمال، إدارة عامّة، نظم معلومات إدارية)، وتوجيه الطلبة للقبول في تخصّصات بعينها لمستوى البكالوريوس، اعتباراً من العام الجامعي 2013/2012، وذلك حرصاً على ملاءمة التعليم العالي لحاجات المجتمع وسوق العمل، وهو اتّجاه كان متّبعاً منذ صدور القانون المؤقت للجامعة الأردنيّة، رقم (34) لسنة 1962.

في الوقت الذي كانت فيه الجامعة الأردنيّة تشهد تطوّراً متسارعاً ومطّرداً، أنشىء عددٌ آخر من الجامعات الرسميّة والخاصّة، كما أنشئت في الوقت نفسه وابتداءً من العام 1990 نحو 20 جامعة خاصّة. كما شهدت معاهد المعلّمين منذ العام 1980 تطوّراً جديداً حيث حوّلت جميعها إلى كليات مجتمع لإعداد الفنّيين اللازمين لقطاعات العمل المختلفة. فبلغ عدد هذه الكليّات في العام 1985 (52) كليّة ما بين رسميّة وخاصّة. وبلغ عدد كليات المجتمع الخاصّة حتى العام 1990 (22) كليّة. واكب هذا التوسّع في التعليم العالي وإنشاء الجامعات الرسميّة والخاصّة الزيادة في عدد سكّان المملكة، حيث بلغ عددهم في العام 2010 ستة ملايين ومائة وثلاثة عشر ألفاً.

علـى افتتاح أقسـام تتبع كلّيـات قائمة، وذلك وفقاً لحاجات البلادِ وإمكاناتها".

يفهم من هذه النصـوص وبشكل واضح أن أخذ حاجة السوق والمجتمع بعين الاعتبار عند إنشـاء الجامعات أو الكلّيات والأقسـام لم تكن غائبـة عن رؤيـة المشرّع وصـاحب القرار منذ بداية مسيرة التعليم العالي في المملكة.

وقـد احتفـظ **قانـون الجامعـات الأردنيّـة، قانـون رقم** (29) للعـام 1987 في **المادة 4/و** بهـدف مـن أهـداف الجامعـات، وهـو: "خدمة المجتمـع الأردني وتلبية حاجاته والإسـهام في خدمة المجتمع العربي".

إلاّ أنّ هذا الهـدف اختفى لاحقاً من قوانين الجامعات الأردنيّة ليحـلّ محلّه هدف "تحقيق أهداف التعليم العالي والبحث العلمي". (**قانون الجامعـات الأردنيـة، قانـون رقـم** (20) **للعام** 2009، **المادة** (6/i)).

نصّـت قوانين التعليم العالي التي صـدرت منذ إنشاء وزارة للتعليم العالي سنة 1985 على أهداف التعليم وجعلت في مقدّمة هذه الأهداف: "إعـداد كـوادر بشريّة مؤهّلة ومتخصّصـة في حقول المعرفة المختلفة تلبّي حاجات المجتمع" (**قانـون التعليم العالي والبحث العلمي، قانون رقم** (23) **لسنة** 2009، **المادة** (3/أ)).

في إطار تناولها لموضوع "ارتباط الأهداف الاسـتراتيجيّة بالأهـداف الوطنيّـة وأهـداف قطـاع التعليـم العالي" نصّـت **وثيقـة الخطّة الاستراتيجيـة للأعـوام 2011-2013، التي أعدّتها وزارة التعليم العالي في شباط 2011**، على الأهداف الوطنيّة التالية:

1. الوصـول إلى تعليـم عـالٍ يتّسـم بجـودة عاليـة تمكّنه من إعداد كـوادر بشرية تلبّي احتياجات المجتمع الحاليّة والمسـتقبليّة، وتتمتّع بتنافسـية على المسـتويين العربي والدولي.
2. تشجيع البحث العلمي ودعمه ورفع مستواه وربطه بأهـداف التنمية الشـاملة (**وثيقة الخطـة الاستراتيجيـة للأعـوام** 2013- 2011، ص 15).

وتحدّثـت هـذه الاسـتراتيجية في محـور البحث العلمي والتطوير والدراسـات العليا (ص22) عن هـدف: مراعـاة ربـط البحث العلمي والتطوير بأهداف التنمية الشاملة، وحـدّدت الإجـراءات التنفيذيّـة التاليـة لتحقيق هذا الهدف:

1. تحديد الأولويـات الوطنيّة في مجال البحث والتطوير بما ينسـجم مع الاسـتراتيجيّات العامّة **للأردن** في مجالات التنميّة الشاملة المستدامة.
2. عقد ورش عمل للكوادر البحثيّة والتدريسيّة، بهـدف شـرح الأولويـات الوطنيّـة للبحث والتطوير، تمهيداً لتحديـد البرامج البحثيّة المناسبة والمشروعات المتعلقة بها.
3. إعطاء الأولوية لدعم المشروعات المنسجمة مـع الأولويـات الوطنيّة في مجـال البحث العلمي والتطوير.

إنّ مـا يلفت النظر في هذه الموادّ القانونية وسـواها، أنّ احتفاءهـا بالجانـب النظري أكبر بكثـير من الجانـب العملي، أي آليـات التطبيق وإجـراءات التنفيذ التفصـيليّة ووسـائل قياس النتائج، وهي لا تعـدو أن تكون تكراراً لما ورد في قانون التعليم العالي الصـادر سنة 1985.

وممّا يؤخـذ على تشريعـات التعليم العالي والبحـث العلمـي في إطار علاقتهـا بمخرجات التعليـم **وسـوق العمـل**، أنّه لم يُنصّ على هذه العلاقـة إلاّ في القوانـين والاسـتراتيجيات العريضـة، أمّـا مـا ينبثق عـن ذلك مـن أنظمة وتعليمـات **لمؤسّسـات التعليـم العـالي** فإنها قد أغفلته إغفالاً تامّاً، ولذلك ظلت هذه المسألة في إطارها النظري ولم تخرج إلى مجالها التطبيقي العملي من خلال الأنظمة والتعليمات والأسس.

وكان ينبغـي لتشريعـات **التعليـم العـالي** بقوانينهـا وأنظمتهـا وتعليماتهـا أن تُعنـى بشكل واضـح بمتابعـة العلاقـة بـين **التعليم العـالي وسوق العمـل**، وأن تركـز على ضرورة إيجـاد مرجعيـات لتحديد التخصّصـات المطلوبة وأعداد الطلبة المقترح التحاقهم بهذه التخصّصـات، وقياس أداء الخرّيجـين. وكان ينبغـي أيضـاً لـوزارة التعليم العـالي والبحث العملـي التنسـيق الدائـم مـع ديـوان الخدمة المدنية وسائر الجهات التي يلتحق بها خرّيجو مؤسّسات **التعليم العالي**.

كان ينبغي لتشريعات التعليم العالي بقوانينها وأنظمتها وتعليماتها أن تُعنى بشكل واضح بمتابعة العلاقة بين التعليم العالي وسوق العمل، وأن تركز على ضرورة إيجاد مرجعيات لتحديد التخصّصات المطلوبة وأعداد الطلبة المقترح التحاقهم بهذه التخصّصات، وقياس أداء الخرّيجين.



هيكليّة التعليم العالي في الأردن

تنقسـم مؤسّسـات **التعليـم العـالي** في **المملكـة الأردنيّة الهاشميّـة** إلى تعليم جامعي وتعليم غير جامعي، وتنقسـم مؤسّسات التعليم الجامعـي إلى جامعـات رسـميّة وجامعـات خاصّـة (أهلية).

أمّا التعليـم غير الجامعي فتقـوم به كلّيات المجتمع المتوسّطة التي تكون مدّة الدراسة فيها سنتين إلى ثلاث سـنوات يتخرّج بعدها الطالب بدرجة الدبلوم بعد أن يجتاز الامتحان الشامل.

وكان يطلق على هذه الكلّيات سـابقاً اسـم **دور المعلمين** ثم أطلق عليها اسم **معاهد المعلمين**، لأنها كانت تهـدف إلى إعداد المعلمين لمدارس **وزارة التربيـة والتعليم**، ثـمّ أطلق عليها اسـم **كلّيـات المجتمع المتوسّطة**، وأخـيراً أطلق عليها اسم **الكلّيات الجامعية المتوسّطة**.

وقـد بلغ عـدد كلّيات المجتمـع في **المملكة** (52) كلّيـة، منهـا (22) كلّيـة خاصّـة، ويتبـع بعضـها **جامعـة البلقـاء التطبيقيـة** فنيّـاً، وبعضها يتبع لها إدارياً ومالياً، وبعضها يتبع لمؤسّسات رسميّة أخرى.

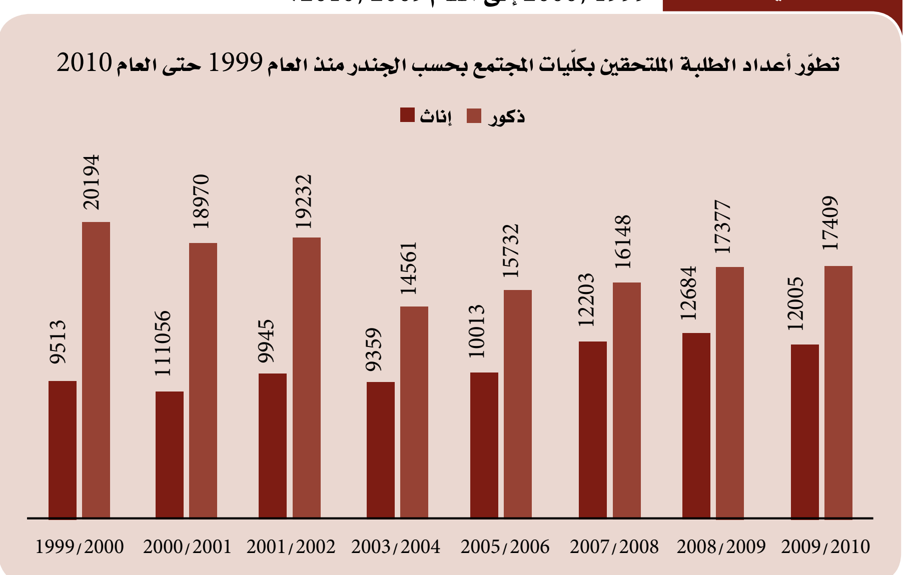
وقـد كان الهـدف من إنشـاء هـذه الكلّيات تعليم الطلبـة وتدريبهـم فنّيـاً لتوفـير حاجة المجتمـع المحلّي مـن الخـبرات ذات المهارات الفنّيـة، وبخاصّـة مـا تتطلّبـه الصـناعة الوطنيّة(**الاستراتيجيّـة الوطنيّـة للتعليـم العـالي والبحث العلمـي** 2007-2012، ص9).

وقـد تمّ تحويل عدد من هذه الكلّيات إلى **كلّيات جامعية** تمنح درجة البكالوريوس.

وقـد اشـتملت **الاستراتيجيّـة الوطنيّـة للتعليـم العالي والبحث العلمـي** 2007-2012 في محورهـا الخامس على إعـادة النظر في البرامج والتخصّصـات والخطـط الدراسـية في **الكلّيـات الجامعية المتوسطة** لتوجيهها نحو التعليم الفنّي، وذلك من خلال تحديث البرامج الفنّية القائمة حاليا

اشتملت الاستراتيجيّة الوطنيّة للتعليم العالي والبحث العلمي 2007-2012 في محورها الخامس على إعادة النظر في البرامج والتخصّصات والخطط الدراسية في الكلّيات الجامعية المتوسّطة لتوجيهها نحو التعليم الفنّي، وذلك من خلال تحديث البرامج الفنّية القائمة حاليا في هذه الكلّيات، ورفد خططها الدراسيّة بالمكوّن العملي والتدريبي مع تقديم برامج فنية جديدة تلبي متطلبات سوق العمل.

شكل بياني رقم (1) **تطوّر أعداد الطلبة الملتحقين بكلّيات المجتمع منذ العام 1999/2000 إلى العام 2009/2010:**



في هذه الكلّيات، ورفد خططها الدراسيّة بالمكوّن العملي والتدريبي مع تقديم برامج فنّية جديدة تلبي متطلّبات **سوق العمل (الاستراتيجيّة الوطنيّة، ص25).**

يتّضح من هذا الشكل أن أعداد الملتحقين ظلّت متقاربة طوال هذه السنوات إلاّ أنّها انخفضت في العامين 2006/2005 و2007/2006 بسبب إنشاء جامعات جديدة، ويلاحظ أيضاً أن نسبة الإناث من الملتحقين

أمّا الجامعات الرسميّة فقد بلغ عددها في **المملكة** عشر جامعات. وعندما صدر **قانون الجامعات الأردنية رقم** (20) **لسنة** 2009 أصبحت بموجبه الجامعات الأردنيّة تتمتّع بمزيد من الاستقلالية في الشؤون الإدارية والمالية.

وبموجب هذا القانون فإنّ الجامعة مؤسّسة أكاديميّة مستقلّة تعمل على تحقيق أهداف **التعليم العالي والبحث العلمي**(المادة 6/أ).

شكل بياني رقم (2) **عدد الطلبة الملتحقين بكلّيات المجتمع في سنة** 2010/2009 (29414) **بحسب البرنامج العلمي**

البرنامج	إناث	ذكور
برنامج علوم الشريعة والحضارة الإسلامية	212	30
برنامج الفنون التطبيقية	1861	1984
برنامج الفندقة	112	506
برنامج إدارة المعلومات والمكتبات	700	453
برنامج الأعمال الإدارية والمالية	6456	3613
برنامج المهن الطبية المساعدة	3866	1544
البرنامج الزراعي	48	134
البرنامج الهندسي	456	3537
البرنامج التربوي	3014	220
برنامج اللغات	594	74

ظلّت متفوقة على نسبة الذكور. وبلغ عدد الطلبة الملتحقين **بكلّيات المجتمع** في سنة 2010/2009 (29414) طالباً وطالبة موزعين حسب البرنامج العلمي كما يلي:.

يظهر هذا الشكل أن إقبال الطلبة على الأعمال الإدارية والمالية هو الأعلى، يليه برنامج المهن الطبّية المساعدة، وفي هذين البرنامجين يزيد عدد الإناث عن عدد الذكور، أما في البرنامج الهندسي والبرنامج الزراعي وبرنامج الفندقة، فإن نسبة الإناث تنخفض كثيراً، لأنّ هذه البرامج أكثر مناسبة للذكور منها للإناث.

وبموجب المادة (8) منه: "يكون لكلّ جامعة مجلس يسمّى **(مجلس الأمناء)** يتألّف من رئيس واثني عشر عضواً للجامعات الرسمية، ورئيس وأربعة عشر عضواً للجامعات الخاصّة، ممّن يحملون الدرجة الجامعية الأولى كحدّ أدنى".

أمّا الجامعات الخاصّة فقد بلغ عددها نحو عشرين جامعة. وقد نصّ **قانون الجامعات الأردنيّة رقم** (20) **للعام** 2009 **في المادة** (4/أ): "تنشأ الجامعة الخاصّة بناءً على طلب مقدّم من المالك، بقرار من المجلس **(مجلس التعليم العالي)** ووفق الشروط والضمانات

التعليم

التي يقرّرها نظام يصدر لهذه الغاية..."

وفي المادة (4/ب): "تتمتّع الجامعة الخاصّة بشخصية اعتبارية ذات استقلال مالي وإداري، ولها بهذه الصفة إجراء جميع التصرفات القانونيّة بما في ذلك إبرام العقود وقبول المساعدات والتبرعات والهبات والمنح والوصايا وحقّ التقاضي".

ويتألف **مجلس أمناء الجامعة الخاصّة**، وفق **المادة** (8/أ)، من رئيس وأربعة عشر عضواً. أمّا الرئيس فيُعيّن **وفق المادة** (12/ج): " بقرار من المجلس **(مجلس التعليم العالي)** بناءً على تنسيب مجلس الأمناء، على أن لا يكون شريكاً أو مساهماً أو عضواً في الهيئة (مجلس إدارة الشركة أو هيئة مديريها)...".

أمّا ما يتصل بتمويل الجامعات الرسميّة، فقد كان سابقاً يعتمد في جزء منه على الدعم الحكومي، أمّا بعد صدور القوانين الجديدة في العام 2009 أصبح الدعم الحكومي يتقلّص تدريجياً، فقد نصّ **قانون الجامعات الأردنيّة رقم** (29) **لسنة** 1987 **في المادة** (18) على أن من بين موارد الجامعة: "منحة سنوية تخصّص للجامعة في الموازنة العامة للدولة، وحصّة الجامعة من الرسوم الجمركية والرسوم الإضافيّة".

بينما ورد في **المادة** (25) **من قانون الجامعات الأردنيّة رقم** (20) **للعام** 2009 ما يلي:

أ–تتألف الموارد المالية للجامعة ممّا يلي:

1. الرسوم الدراسية.
2. ريع أموالها المنقولة وغير المنقولة.
3. ما يتأتّى من أنشطة تدريسيّة واستشاريّة وبحثيّة للكلّيات والمعاهد والمراكز. وما يتأتّى من المشاريع الإنتاجيّة والمرافق الجامعيّة.
4. الهبات والمنح والوصايا وغيرها، على أن تؤخذ موافقة مجلس الوزراء إذا كانت من مصدر غير أردني.
5. أيّ إيرادات أخرى.

ب– يضاف للموارد المالية للجامعة الرسميّة ما يخصّص لها من مبالغ في الموازنة العامّة للدولة.."

ويفهم من هذا النصّ ما يلي:

1. أن الجامعات الخاصّة مستثناة من الدعم الحكومي.
2. أنّه لم تعد هناك منحة سنويّة تقدّمها الحكومة للجامعات الرسميّة في الموازنة العامة للدولة، وأن الأمر مقتصر على ما يخصّص لها في الموازنة العامّة للدولة، وقد لا يخصّص لها شيء.
3. أنّه لم يذكر في القانون الجديد حصّة الجامعة من الرسوم الجمركية والرسوم الإضافية بشكل صريح.

ولعلّ هذا الشكل من رفع الدعم الحكومي عن الجامعات يأتي انسجاماً مع منح الجامعات المزيد من الاستقلال المالي والإداري.

4. أنّ ما ينطبق على الجامعات الرسميّة ينطبق على الكلّيات الجامعية والكلّيات الجامعيّة المتوسطة الرسميّة التي تشرف عليها **جامعة البلقاء التطبيقية**.

بينما نصّت المادة (6/أ/4) من **قانون التعليم العالي والبحث العلمي رقم** (23) **لسنة** 2009، على أنّ من مهامّ **مجلس التعليم العالي** وصلاحياته: "توزيع الدعم الحكومي والرسوم الإضافية على الجامعات الرسميّة وفق أسس يعتمدها المجلس لهذه الغاية".

ويكشف ذلك عن شيء من التناقض بين قانون الجامعات وقانون التعليم العالي.

ونتيجة لذلك، بلغ الدعم الحكومي للجامعات نحو 14.5 % العام 2008، إلاّ أنّه اضمحلّ ليصل إلى الصفر لأربع جامعات العام 2009.

وبينما تزداد تكلفة تعليم الطالب في الجامعات الأردنيّة بشكل مستمرّ نجد الرسوم الجامعيّة التي تمثّل المصدر الرئيسي لتمويل الجامعات في حالة ثبات، حيث تمثل بين

بلغ الدعم الحكومي للجامعات نحو 14.5 % العام 2008 ، إلاّ أنّه اضمحلّ ليصل إلى الصفر لأربع جامعات العام 2009.

الرسوم الجامعيّة التي تمثّل المصدر الرئيسي لتمويل الجامعات لا تغطي أكثر من 60 – 70 %من التكلفة الحقيقيّة للطالب. ولذلك تلجأ الجامعات الرسميّة إلى فتح الباب للدراسة الموازية لتغطية العجز المالي وسداد المديونيّة. ويؤثّر ذلك سلباً على جودة مخرجات التعليم العالي ونوعيّتها.

65–70 % من مصادر التمويل، ولا تغطي هذه الرسوم أكثر من 60–70 % من التكلفة الحقيقيّة للطالب. ولذلك تلجأ الجامعات الرسميّة إلى فتح الباب للدراسة الموازية لتغطية العجز المالي وسداد المديونيّة. ويؤثّر ذلك سلباً على الجودة والنوعيّة في مخرجات **التعليم العالي**، لأنّه يعيق في بعض الأحيان توفير البنى التحتيّة

جدول (3) أعداد الطلبة الملتحقين بالجامعات الأردنية العام 2010/2009 بحسب التخصّصات

الاختصاص	المجموع	الإناث	الذكور
علوم التربية وإعداد المعلمين	20154	16976	3178
العلوم الإنسانية والدينية	28753	20371	8382
الفنون الجميلة والتطبيقية	4757	2072	2682
مهن الخدمات	1037	532	505
الحقوق	6164	1604	4560
التجارة وإدارة الأعمال	51726	18718	33008
العلوم الاجتماعية والسلوكية	6419	3869	2550
الاتصال الجماهيري والتوثيق	2642	1649	993
التربية الرياضية	3140	1419	1721
العلوم الطبيعية	10771	7000	3771
الرياضيات وعلوم الحاسوب	21429	10425	11004
الطب	5283	1984	3299
طب الأسنان	1953	1159	794
الصيدلة	7426	4751	2675
العلوم الطبية المساعدة	13048	7761	5287
الهندسة	33076	10686	22390
الهندسة المعمارية وتخطيط المدن	3266	2065	1201
الزراعة	3258	1971	1287
الطب البيطري	207	94	113
المجموع	224509	115106	109400

المصدر: التقرير الإحصائي السنوي عن التعليم العالي في الأردن.

والتجهيزات اللازمة والاشتراك في قواعد البيانات وغيرها من شروط ضمان الجودة.

يتزامن هذا التراجع في الدعم الحكومي للجامعات وثبات الرسوم، مع الإقبال المتزايد للطلبة على الدراسة الجامعية و**التعليم العالي** بشكل عام، إذ يلتحق بالجامعات سنويّاً ما يقرب من 85 % من الطلبة الناجحين في الثانوية العامّة.

بلغت أعداد الطلبة الملتحقين في الجامعات الأردنيّة في مختلف البرامج للعام الدراسي 2010/2009 (224509) طلّاب، منهم (115106) طالبات، ومنهم أيضاً (28) ألف طالب وطالبة غير أردنيين موزعين بحسب التخصّصات كما يلي:

يلاحظ من الجدول السابق أنّ تخصّص التجارة وإدارة الأعمال قد استقطب العدد الأكبر من الطلبة (51726) طالباً وطالبة، منهم (18718) طالبة، أي ما يقرب من الثلث فقط، يلي ذلك تخصّص الهندسة (33076) طالباً وطالبة، منهم (10686) طالبة، وهو ما يقرب من الثلث أيضاً.

بينما نجد تفوّق نسبة الإناث في علوم التربية وإعداد المعلّمين حيث بلغ عددهنّ (16967) طالبة من مجموع (20154) طالباً وطالبة، أي ما يزيد على 80 % من عدد الملتحقين، وتخصّص العلوم الإنسانية والدينيّة، حيث بلغ عددهنّ (20371) طالبة من مجموع (28753) طالباً وطالبة، أي ما يقرب من 65 % من عدد الملتحقين.

بينما يكاد يتساوى عدد الإناث والذكور في تخصّصات: الفنون الجميلة والتطبيقيّة، ومهن الخدمات، والعلوم الاجتماعية والسلوكية، والرياضيات وعلم الحاسوب، والعلوم الطبّية المساعدة.

أمّا تفوّق نسبة الإناث على نسبة الذكور في تخصّصات علوم التربية وإعداد المعلّمين، وتخصّص العلوم الإنسانية والدينيّة، فيعزى

شكل بياني رقم (3) الطلبة الملتحقين بتخصصات الجامعة الأردنية العام 2010/2009 بحسب الجندر

ذكور ■ إناث ■

العلوم الهندسية: 13283 – 24096
الفنون: 2072 – 2682
العلوم الطبية: 15749 – 12168
العلوم الإنسانية: 45888 – 21384
الرياضيات وعلوم الحاسوب: 29143 – 44012
العلوم الطبيعية: 7000 – 3771

إلى ميل المرأة الأردنيّة للعمل في مجال التعليم.

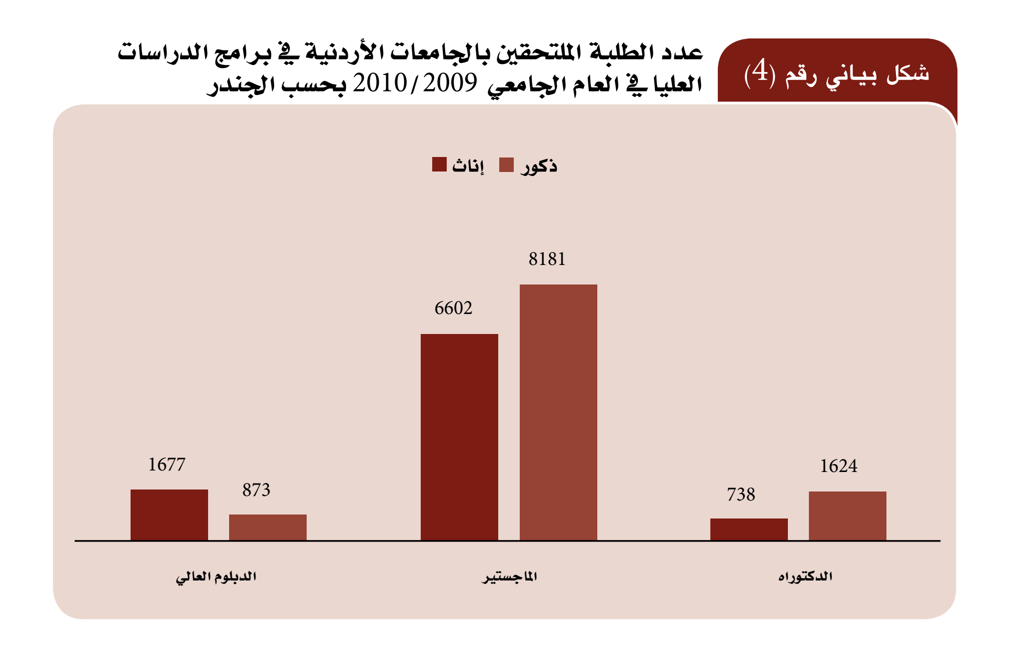
كما بلغ عدد الطلبة الملتحقين في الجامعات الأردنيّة في برامج الدراسات العليا في العام الجامعي 2010/2009 (19695) طالباً منهم (9017) طالبة، كما هو مبيّن في الشكل البياني التالي:

وبلغ عدد أعضاء الهيئة التدريسيّة في الجامعات الأردنيّة (8038) عضواً منهم (1740) امرأة و(1253) برتبة أستاذ.

سياسات القبول

يمكن وصف سياسات القبول **للتعليم العالي في المملكة الأردنيّة الهاشميّة** بأنّها سياسات مرنة إلى حدٍّ ما، لأنّها تتيح لما يقرب من 85 % من الناجحين

شكل بياني رقم (4) عدد الطلبة الملتحقين بالجامعات الأردنية في برامج الدراسات العليا في العام الجامعي 2010/2009 بحسب الجندر



شكل بياني رقم (5) تطوّر عدد أعضاء الجهاز الأكاديمي في الجامعات الأردنيّة

أعضاء الجهاز الأكاديمي في الجامعات الأردنية

السنة	العدد
1999/2000	4506
2000/2001	4560
2001/2002	5402
2003/2004	5696
2004/2005	5942
2005/2006	6542
2006/2007	6831
2007/2008	7283
2008/2009	7613
2009/2010	8038

تشترط سياسة القبول في التعليم العالي في الأردن حصول الطالب كحدّ أدنى على شهادة الثانويّة العامة، فضلاً عن بعض الشروط الإضافيّة التي يتطلّبها القبول في تخصّصات معيّنة، وهذه يحدّدها مجلس العمداء في كلّ جامعة.

في الثانوية العامّة الالتحاق بالجامعات، كما أنها توفّر عدداً كبيراً من التخصّصات الدراسية التي يستطيع الطالب أن يسجّل في واحد منها عندما لا يتطابق معدّله مع المعدّل المطلوب للتخصّص الذي يرغبه، فضلاً عن أنّ التنافس بين الجامعات الخاصّة يتيح للطالب فرصة اختيار التخصّص الذي يريد وفي الجامعة التي يريد عندما يتعذّر عليه الحصول على مقعد دراسي في إحدى الجامعات الرسميّة أو الحصول على التخصّص الذي يريد في الجامعات الرسميّة.

كما أنّ هذه السياسات تتيح لمختلف فئات الطلبة فرصة الالتحاق بالجامعات الأردنيّة، ويشمل ذلك المغتربين، وأصحاب الإعاقات، وخرّيجي المدارس الخاصّة والأجنبية وسواهم.

ويصدر **مجلس التعليم العالي** سنوياً أسساً لقبول الطلبة في الجامعات الأردنيّة الرسميّة، مع أعداد الطلبة التي يسمح لكلّ جامعة بقبولهم في كلّ تخصّص من التخصّصات.

وتشترط هذه الأسس أن يكون الحدّ الأدنى لمعدّلات القبول في الجامعات الأردنيّة على النحو التالي:

ويُقبل الطلبة في الكلّيات/ التخصّصات المختلفة في كلّ جامعة وفق خياراتهم، وبحسب تسلسل معدّلاتهم في شهادة الثانوية العامّة أو ما يعادلها، ويحقّ لكلّ طالب أن يحدّد ثلاثين خياراً للقبول يرتّبها بحسب أولويّاته.

يحدّد مجلس العمداء في كلّ جامعة الشروط الأخرى الإضافية لقبول الطلبة في بعض التخصّصات التي تقتضيها طبيعة الالتحاق بتلك التخصّصات. تتيح سياسات القبول لرؤساء الجامعات قبول أعدادٍ إضافية من الطلبة على البرنامج الموازي.

الكلية / التخصص	الحد الأدنى
كلّيات الطبّ وطبّ الأسنان	85 %
كلّيات الهندسة والصيدلة	80 %
كلّيات العلوم الطبّية المساندة وعلوم التأهيل والطبّ البيطري	75 %
كلّيات الشريعة والتمريض والحقوق والقانون والزراعة والصحافة والإعلام	70 %
تخصّصات كلّيات علم الحاسوب وتكنولوجيا المعلومات كافة (باستثناء هندسة الحاسوب)	65 %
بقيّة التخصّصات	65 %

جدول (4) أعداد الطلبة الأردنيّين الدارسين في الخارج بحسب البلد والدرجة العلميّة للعام الجامعي 2009/2010

البلد	المجموع الكلي	دبلوم متوسط أو شهادة جامعية	دراسات عليا (دبلوم عالٍ + ماجستير + دكتوراه)	اختصاص طبّ
الإمارات	1837	1586	251	0
البحرين	173	163	10	0
السعودية	470	433	37	0
السودان	240	146	94	0
الكويت	1385	1380	5	0
اليمن	768	767	1	0
سوريا	1219	1152	61	6
عُمان	97	79	18	0
قطر	461	416	45	0
لبنان	599	485	114	0
مصر	3560	3291	258	11
الباكستان	287	278	9	0
ألمانيا	1036	829	207	0
الولايات المتحدة	1922	967	955	0
إيران	9	8	1	0
اليونان	279	241	28	10
أوكرانيا	2920	2281	436	203
تركيا	146	120	26	0
روسيا	1379	1181	152	46
فرنسا	212	79	125	8
كندا	452	336	103	0
المجموع الكلي	19451	16218	2936	284

المصدر: التقرير الإحصائي السنوي عن التعليم العالي في الأردن 2009/2010.

جدول (5): **أعداد الطلبة الدارسين في الخارج بحسب البرنامج والدرجة العلمية**

التخصّصات	المجموع الكلي	دبلوم متوسط أو شهادة جامعية	دراسات عليا (دبلوم عالٍ + ماجستير + دكتوراه)	اختصاص طبّ
العلوم الإنسانية والدينيّة	768	651	126	0
التربية وإعداد المعلمين	259	197	62	0
الفنون الجميلة والتطبيقيّة	125	105	20	0
القانون	375	243	132	0
العلوم الاجتماعية والسلوكية	660	575	85	0
التجارة وإدارة الأعمال	798	666	132	0
الاتصال الجماهيري والتوثيق	99	85	14	0
مهن الخدمات	24	22	2	0
العلوم الطبيعية	284	255	29	0
الرياضيات وعلم الحاسوب	237	204	33	0
الطب وطب الأسنان والصيدلة	5267	4974	293	0
العلوم الطبية و الصحية	266	247	19	0
الهندسة والعمارة وتخطيط المدن	2173	1982	191	0
الزراعة والغابات ومصائد الأسماك	109	70	39	0
اختصاص الطب	284	0	0	284
برامج أخرى	7723	5942	1781	0
المجموع الكلي	19451	16218	2958	284

المصدر: التقرير الإحصائي السنوي عن التعليم العالي في الأردن 2009/2010، **ص** 23.

تشتمل أسس القبول للجامعات الرسميّة على مجموعة من التخصيصات، منها 5 % من المقاعد للطلبة الأردنيّين المغتربين، و5 % لحملة شهادة الدراسة الثانوية في السنوات السابقة، إلى غير ذلك من الاستثناءات.

تقترب نسبة التخصيصات من 50 % من عدد المقاعد المقرّرة لكلّ جامعة، ويتنافس الطلبة على النسبة المتبقيّة من المقاعد.

وفي تحديده لأعداد المقبولين في الجامعات يستند **مجلس التعليم العالي** إلى توصيات هيئة اعتماد مؤسّسات التعليم العالي التي تستند بدورها إلى مدى توافر أعضاء الهيئات التدريسيّة والتجهيزات والبنى التحتيّة اللازمة لكلّ تخصّص من التخصّصات. ولا يوجد ما يشير إلى أن تحديد الأعداد يأخذ بعين الاعتبار أوضاع سوق العمل واحتياجاته.

وتختلف معايير القبول بين الجامعات الرسميّة والخاصّة اختلافاً محدوداً، حيث إنّ

الذي يحدّد أعداد الطلبة المقبولين سنوياً في البرامج والتخصّصات المختلفة للجامعة في ضوء الطاقة الاستيعابيّة المقرّرة لكلّ تخصّص هو مجلس أمناء الجامعة (**قانون الجامعات الأردنية الخاصّة رقم** (26) **لسنة** 2007، **المادة** 9/و).

كما أنّ معايير القبول تسمح للجامعات الخاصّة بقبول الطلبة الذين تصل معدّلاتهم في الثانوية العامّة إلى 60 %.

ويصدر **مجلس التعليم العالي** سنويّاً أسس التجسير بين الكلّيات الجامعية المتوسطة والجامعات الأردنيّة، التي تسمح لخرّيجي الكلّيات الجامعية المتوسطة متابعة دراستهم في الجامعات الأردنيّة والحصول على درجة البكالوريوس وفق شروط وضوابط ونسب تحدّدها تلك الأسس.

جودة التعليم والمنافسة في سوق العمل

لا شكّ أنّه كلّما ازدادت جودة المخرجات التعليميّة ازدادت القدرة على المنافسة في **سوق العمل** سواءً الداخلية أم الخارجية.

وقد عنيت مؤسّسات التعليم العالي الأردنيّة عنايةً واضحة في مراعاة معايير الجودة الدولية والارتقاء بمستوى خرّيجي هذه المؤسّسات إلى أقصى قدر ممكن، بحسب إمكانياتها الماديّة، ممّا أدّى إلى أن يكون خرّيجو الجامعات والكلّيات الجامعية الأردنيّة لهم الأولوية في الاختيار في الدول العربيّة والإسلامية الشقيقة التي تعمل على استقطاب الكفاءات واستيعابها في مؤسّساتها وشركاتها ومصانعها الحكومية والخاصّة، وهذا ما يفسّر وجود ما يقدّر بثلاثمائة ألف من الأيدي العاملة الأردنيّة في الخارج، ولا سيّما في دول الخليج العربي، وهو ما يشكل 5 % من عدد سكّان المملكة الأردنية الهاشميّة.

(البيئة الاقتصادية في الأردن وموقع الاقتصاد من عناصر القوة والأمن الوطني، أ.د. بشير الزعبي و د.عبدالباسط عثامنة، الجامعة الأردنيّة).

وبيّنت الإحصائيات أنّ 30 ألف مهندس ومهندسة أردنيّين يعملون في الخارج منهم (25) ألفاً يعملون في **دول الخليج** (Jordan Events).

يرى **بشير الزعبي وعبدالباسط عثامنة** أن سوق العمل في الأردن شهدت تطوّراً نوعياً مهمّاً في المستوى التعليمي للقوى العاملة، وذلك بسبب تركيز الأردن على الاستثمار برأس المال البشري من أجل مقابلة الاحتياجات التنمويّة المتزايدة في المملكة على الصُعُد الاقتصادية والاجتماعية كافة. وقد تمخّض عن ذلك إنشاء الجامعات والمعاهد الفنّية والتقنيّة والمدارس من أجل رفد سوق العمل بالكوادر المؤهّلة لسدّ احتياجاتها من العمالة، ونتيجة لذلك فقد ازداد عرض القوى العاملة التي تحمل مؤهلات علمية مرتفعة نظراً لتسارع وتيرة التعليم التي نجمت عن ترابط الأجور بالمستوى التعليمي؛ فقد ارتفعت نسبة العمالة الأردنيّة التي تحمل مؤهل البكالوريوس فأعلى من 6.6"% في العام 1973 إلى 12.2 % في العام 1990، ثمّ إلى 23.8 % في العام 2008. في المقابل انخفضت نسبة مَن يحملون مؤهلات دون الثانوية من 89.0 % في العام 1973 إلى 75.9 % في العام 1990 ثمّ إلى 64.3 % في العام 2008. كما ازدادت نسبة العمالة الأردنيّة المتخصّصة من 8.4 % في العام 1973 إلى 19.3 % في العام 1990، ثمّ إلى حوالى 30 % في العام 2008.

ونظراً للحرص على جودة مخرجات التعليم العالي، فقد أنشئت في المملكة هيئة تسمّى "هيئة اعتماد مؤسّسات التعليم العالي" (**قانون هيئة اعتماد مؤسّسات التعليم العالي، رقم** (20) **لسنة** 2007، **المادة** 7).

نصّت **المادة** (14) من **قانون هيئة الاعتماد** على أنّ لمجلس الهيئة أن يوقع عقوبات على مؤسّسات التعليم العالي التي تخالف أحكام القانون تبدأ بالإنذار وقد تصل إلى إغلاق

لخرّيجي الجامعات والكلّيات الجامعية الأردنيّة الأولوية في الاختيار في الدول العربيّة والإسلامية التي تعمل على استقطاب الكفاءات واستيعابها في مؤسّساتها، وهذا ما يفسّر وجود ما يقدّر بنحو 300 ألف عامل أردني في الخارج، ولا سيّما في دول الخليج العربي، ما يشكّل 5 % من عدد سكّان الأردن.

بيّنت الإحصائيات أنّ 30 ألف مهندس ومهندسة أردنيّين يعملون في الخارج، من بينهم 25 ألفاً يعملون في دول الخليج.

المؤسّسة. وبموجب هذا القانون أصدرت الهيئة معايير وتعليمات للاعتماد الخاصّ لتخصّصات البرامج المختلفة، وتعليمات الاعتماد العام للجامعات العاملة في المملكة. وتولي هذه المعايير والأسس والتعليمات

جدول (6) تطوّر أعداد المتقدمين بطلبات توظيف خلال الفترة 1990-2009

العام	إجمالي المتقدمين	إجمالي المعينين	نسبة غير المعينين من إجمالي طالبي التوظيف
1990	41627	2065	% 95
1991	58072	3899	% 93
1992	77625	7267	% 91
1993	84093	7467	% 91
1994	95407	7351	% 92
1995	106661	5126	% 95
1996	117675	5393	% 95
1997	118307	2596	% 98
1999	68794	5356	% 92
2000	100341	7578	% 92
2001	117866	6793	% 94
2002	135339	6200	% 95
2003	159298	7558	% 95
2004	127473	8986	% 93
2005	150272	12188	% 92
2006	170387	11341	% 93
2007	178059	11105	% 94
2008	191475	10024	% 95
2009	203476	10666	% 95
المجموع		138959	

المصدر: ديوان الخدمة المدنيّة.

اهتماماً واضحاً للخطط الدراسية وأساليب التدريس والبحث العلمي وتخصيص الوقت الكافي للتدريب، كما تولي اهتماماً لقضايا الطاقة الاستيعابية والخدمات وسائر عناصر البيئة الجامعيّة التي تساعد على تحقيق مخرجات تعليميّة نوعيّة.

إنّ المتابعة الحثيثة والمركّزة من أجهزة **هيئة الاعتماد ومجلس التعليم العالي** لأداء الجامعات الرسميّة والخاصّة وكلّيات المجتمع المتوسّطة قد ساعدت كثيراً على الحدّ من المشكلات التي تتّصل بجودة التعليم، إلاّ أن هناك بعض المشكلات التي تفرض نفسها على واقع التعليم العالي وتؤثّر على جودة التعليم بصورة أو بأخرى.

من هذه المشكلات صعوبة المواءمة بين تزاحم الناجحين في الثانوية العامّة، وخصوصاً الحاصلين منهم على معدّلات مرتفعة، والقدرة الاستيعابيّة للجامعات، في ضوء محدوديّة الأعداد المسموح بقبولها ومحدوديّة الإمكانيات الماليّة للجامعات الرسميّة وعدم السماح برفع الرسوم الجامعيّة.

إنّ هذه المشكلة قد تؤدّي إلى أن تقوم الجامعات بتقليص إنفاقها على متطلّبات تحسين الجودة مثل المختبرات وقواعد البيانات والهيئات التدريسيّة المتميّزة والبحث العلمي وحضور المؤتمرات وعقد الدورات التدريبيّة والتأهيلية وسواها.

أمّا فرص العمل للخرّيجين من حملة الشهادات الجامعية وحملة الدبلوم، فيوضّحها الجدول التالي الذي يبيّن تطوّر أعداد المتقدمين بطلبات توظيف خلال الفترة 1990–2009 ونسبة المعيّنين منهم.

يتّضح من هذا الجدول أنّ هناك زيادة مطّردة سنوياً في أعداد المتقدّمين للحصول على وظائف من حملة المؤهلات الجامعيّة ودرجة الدبلوم، إلاّ أن نسبة من عُيّن منهم لم تصل إلى10 % في أيّ حال، وهي نسبة متواضعة قياساً إلى الأعداد المتزايدة سنوياً

من خرّيجي الجامعات وكلّيات المجتمع المتوسطة.ويبيّن الجدول (7) عدد المشتغلين الأردنيّين خلال السنوات 2000–2010 بحسب المؤهل العلمي.

كما يبيّن الجدول (8) نسب المشتغلين الأردنيّين خلال السنوات 2000–2009 بحسب المؤهل العلمي.

أمّا المشتغلون الأردنيّون للعام 2010 بحسب المؤهل العلمي فكانت أعدادهم على النحو المبين في الجدول (9)

ومع أنّ عدد الخرّيجات الإناث أكثر من عدد الخرّيجين الذكور، إلاّ أن نسبة تشغيل الذكور تزيد كثيراً على نسبة تشغيل الإناث. ويوضح الجدول (10) عدد المشتغلين الذكور بحسب المؤهل العلمي.

ويبيّن الجدول التالي (11) أيضاً عدد المشتغلات الأردنيّات بحسب المؤهل العلمي.

أمّا المتعطّلون عن العمل من حملة الشهادات الجامعيّة وحملة الدبلوم، فتظهر الرسوم البيانيّة نسبهم بحسب المؤهل العلمي، والجنس(ذكور/إناث).

وقد بيّنت تقارير دائرة الإحصاءات العامّة حول معدّلات البطالة للربع الأول من العام 2010، أنّ معدّل البطالة كان مرتفعاً بين حملة الشهادات الجامعيّة، وأن حوالي 52 % من المتعطّلين كانوا من حملة الشهادة الثانوية فأعلى.

أمّا المشتغلون في هذه الفترة فكان 36% منهم من حملة الشهادات الجامعيّة وحملة دبلوم كلّيات المجتمع.

ويعزى ارتفاع نسبة البطالة بين الإناث من حملة المؤهلات العلميّة إلى التوسّع غير المدروس في التحاق الإناث في الحقول الدراسيّة وتركيزها على التخصّصات المشبعة نسبياً.

الخلاصة

بلغ عدد خرّيجي الجامعات الأردنيّة الرسميّة والخاصّة في العام 2010 نحو (51164) خريجاً

ارتفعت نسبة العمالة الأردنيّة التي تحمل مؤهل البكالوريوس فأعلى من 12.2 % في العام 1990 إلى 23.8 % في العام 2008. كما انخفضت نسبة مَن يحملون مؤهلات دون الثانوية من 75.9 % في العام 1990 إلى 64.3 % في العام 2008. وازدادت نسبة العمالة الأردنيّة المتخصّصة من 19.3 % في العام 1990، إلى حوالي 30 % في العام 2008.

جدول (7): عدد المشتغلين الأردنيّين بحسب المؤهل العلمي

المؤهل	أمّي	تلمذة مهنية	أقل من ثانوية	ثانوي	دبلوم متوسط	بكالوريوس	أعلى من بكالوريوس	غير مبين	المجموع	الإناث
2000	70289	18639	409577	128267	121772	134455	25307	9	908314	129348
2001	69724	20526	422723	125145	114505	144723	22697	0	920042	128508
2002	70546	17110	420927	139795	122326	154830	26077	0	951612	139757
2003	58740	19658	444245	138097	123283	158560	26588	0	969171	133276
2004	66395	15034	477425	139778	118039	168165	27898	0	1012734	132521
2005	54129	13849	468741	157838	125741	175742	27639	0	1023681	134765
2006	57697	15443	484981	151832	120754	192446	32694	0	1055847	143782
2007	48173	12002	508511	161764	133351	239222	37423	0	1140446	179387
2008	45396	8811	542620	158064	138560	240443	38806	0	1172701	180711
2009	50640	11064	571218	160811	138142	248641	40005	0	1220521	195991
2010	47759	12126	572117	158533	133618	270010	41785	0	1235948	202933

المصدر: دائرة الإحصاءات العامة والمركز الوطني لتنمية الموارد البشرية.

جدول (8): نسبة المشتغلين الأردنيّين بحسب المؤهل العلمي

المؤهل العلمي	أمّي / ملّم	تلمذة مهنية	أقل من ثانوي	ثانوي	دبلوم متوسط	بكالوريوس	أعلى من بكالوريوس
2000	% 7.7	% 2.1	% 45.1	% 14.1	% 13.4	% 14.8	% 2.8
2001	% 7.6	% 2.2	% 45.9	% 13.6	% 12.4	% 15.7	% 2.5
2002	% 7.4	% 1.8	% 44.2	% 14.7	% 12.9	% 16.3	% 2.7
2003	% 6.1	% 2.0	% 45.8	% 14.2	% 12.7	% 16.4	% 2.7
2004	% 6.6	% 1.5	% 47.1	% 13.8	% 11.7	% 16.6	% 2.8
2005	% 5.3	% 1.4	% 45.8	% 15.4	% 12.3	% 17.2	% 2.7
2006	% 5.5	% 1.5	% 45.9	% 14.4	% 11.4	% 18.2	% 3.1
2007	% 4.2	% 1.1	% 44.6	% 14.2	% 11.7	% 21.0	% 3.3
2008	% 3.9	% 0.8	% 46.3	% 13.5	% 11.8	% 20.5	% 3.3
2009	% 4.1	% 0.9	% 46.8	% 13.2	% 11.3	% 20.4	% 3.3

المصدر" دائرة الإحصاءات العامّة والمركز الوطني لتنمية الموارد البشرية ، عدد المشتغلين الأردنيّين لعام 2010.

ثمّة بعض المشكلات التي تفرض نفسها على واقع التعليم العالي والتي قد تؤثّر على جودة التعليم في الأردن، ومنها صعوبة المواءمة بين التدافع الشديد على الالتحاق بالجامعات للناجحين في الثانوية العامّة، وبخاصة الحاصلون على معدّلات مرتفعة، والقدرة الاستيعابيّة للجامعات، في ضوء محدوديّة الأعداد المسموح بقبولها ومحدوديّة الإمكانيات الماليّة للجامعات الرسميّة وعدم السماح برفع الرسوم الجامعيّة.

جدول (9): المشتغلون الأردنيّون للعام 2010 بحسب المؤهل العلمي

المؤهل العلمي	عدد المشتغلين
أمّي / ملم	47759
تلمذة مهنية	12126
أقل من ثانوي	572117
ثانوي	158533
دبلوم متوسط	133618
بكالوريوس	270010
أعلى من بكالوريوس	41785
المجموع	1235948

المصدر: دائرة الإحصاءات العامّة والمركز الوطني لتنمية الموارد البشرية، نظام معلومات الموارد البشرية ، عدد المشتغلين الأردنيين للعام 2010.

جدول (10): عدد المشتغلين الأردنيّين الذكور بحسب المؤهل العلمي

المؤهل العلمي	عدد المشتغلين
أمّي / ملم	43111
تلمذة مهنية	11987
أقل من ثانوي	542618
ثانوي	139393
دبلوم متوسط	88350
بكالوريوس	175624
أعلى من بكالوريوس	31931
المجموع	1033015

المصدر: دائرة الإحصاءات العامّة والمركز الوطني لتنمية الموارد البشرية، عدد المشتغلين الأردنيين لعام 2010

جدول (11): عدد المشتغلات الأردنيّات بحسب المؤهل العلمي

المؤهل العلمي	عدد المشتغلات
أمّي / ملم	4648
تلمذة مهنية	139
أقل من ثانوي	29499
ثانوي	19140
دبلوم متوسط	45268
بكالوريوس	94386
أعلى من بكالوريوس	9854
المجموع	202933

المصدر: دائرة الإحصاءات العامّة والمركز الوطني لتنمية الموارد البشرية، عدد المشتغلين الأردنيين لعام 2010، ص9.

وخريجة، وعدد خرّيجي كلّيات المجتمع (17300) خريج وخريجة. ويضاف إلى ذلك أعداد الخرّيجين من الطلبة الأردنيّين الدارسين في الخارج الذين قد تصل نسبتهم إلى ما يقرب من 10 % من مجموع الخرّيجين من الجامعات وكلّيات المجتمع الأردنيّة.

وعليه فإنّ مجموع الخرّيجين سنة 2010 بلغ نحو (75.000) خريج وخرّيجة.

وبالنظر إلى النسبةً المخصّصة لحملة المؤهلات العلميّة (دبلوم وبكالوريوس فأعلى) من الوظائف المستحدثة لسنة 2010 والبالغة (66.000) وظيفة، منها (18) ألف فرصة في القطاع العام و(47) ألف للقطاع الخاص في الأردن، فإنّ المخصّص منها لحملة البكالوريوس فأعلى هو حوالى 39 %، وحوالي

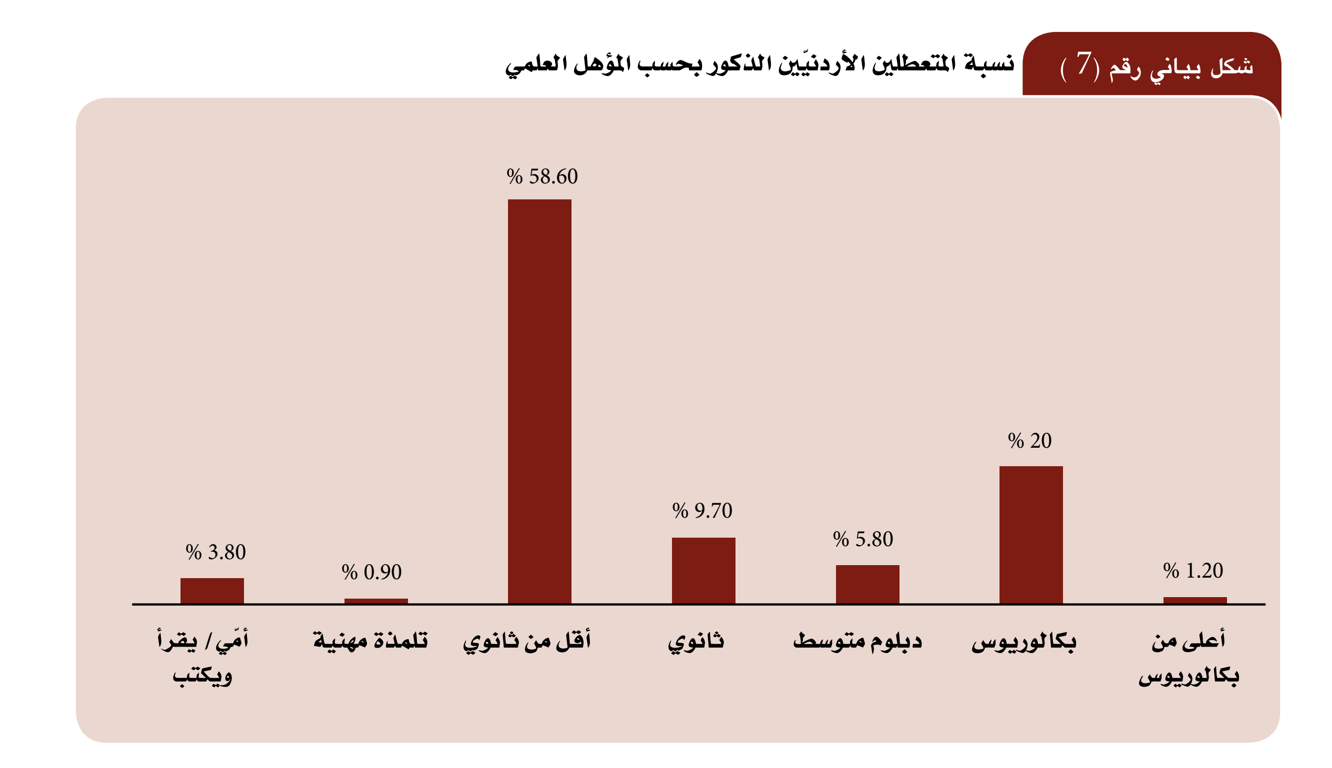
للدلالة على الخلل الحاصل بين التعليم الجامعي وسوق العمل، فإن نسبة البطالة لدى الحاصلين على درجة البكالوريوس تبلغ 32.3 % من إجمالي العاطلين عن العمل في الأردن.

شكل بياني رقم (6) نسبة المتعطلين الأردنيّين بحسب المؤهل العلمي

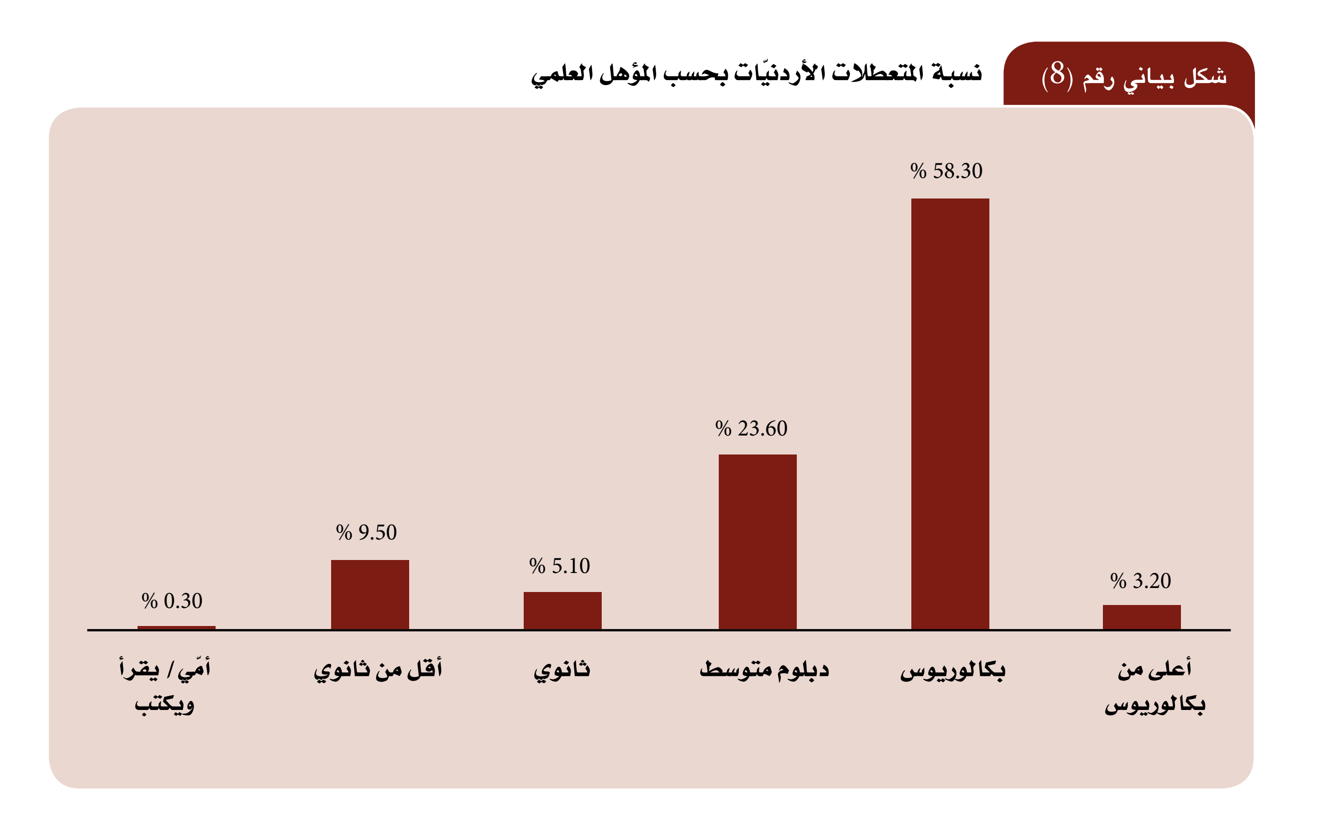
المؤهل العلمي	النسبة
أمّي / يقرأ ويكتب	% 2.70
تلمذة مهنية	% 0.60
أقل من ثانوي	% 42.90
ثانوي	% 8.20
دبلوم متوسط	% 11.50
بكالوريوس	% 32.30
أعلى من بكالوريوس	% 1.80



شكل بياني رقم (7) نسبة المتعطلين الأردنيّين الذكور بحسب المؤهل العلمي



شكل بياني رقم (8) نسبة المتعطلات الأردنيّات بحسب المؤهل العلمي

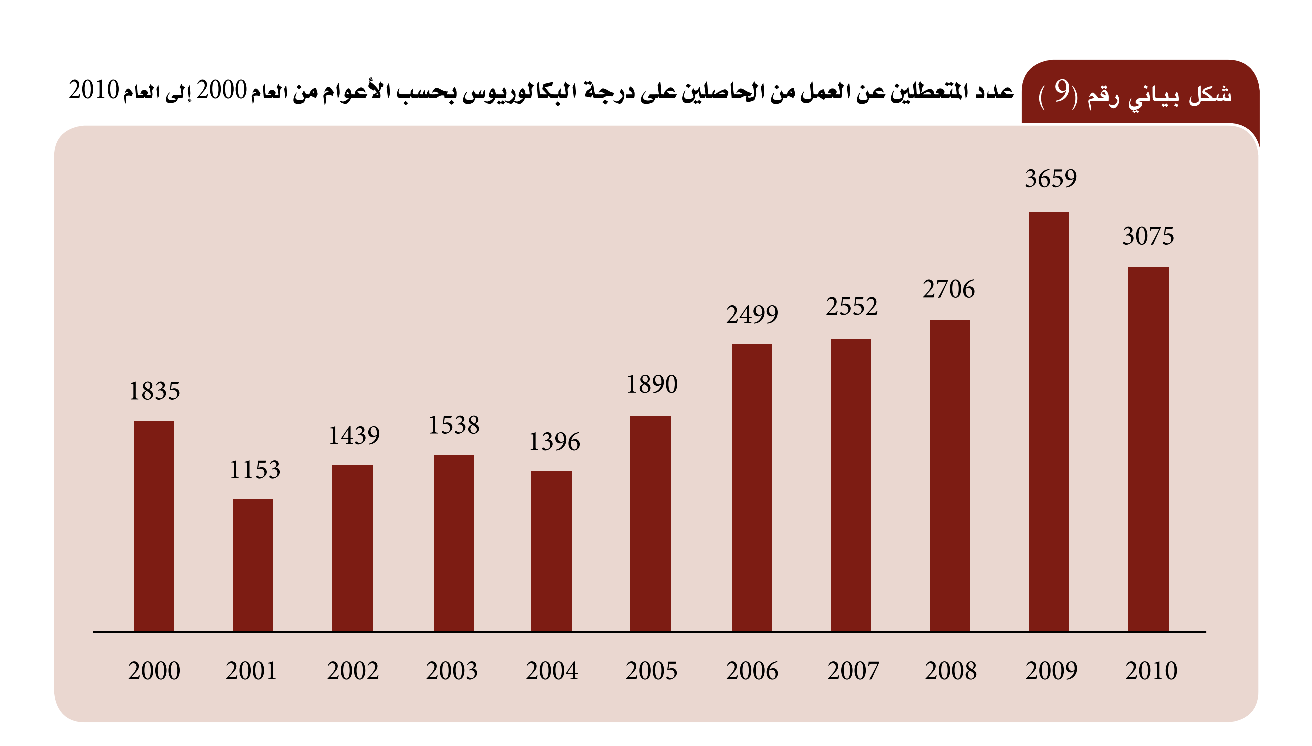


جدول (12): عدد المتعطلين عن العمل بحسب المؤهل العلمي

المؤهل العلمي	أمّي / ملمّ	تلمذة مهنية	أقل من ثانوية	ثانوي	دبلوم متوسط	بكالوريوس	أعلى من بكالوريوس	المجموع	مجموع الإناث
2000	8543	4464	71793	17953	19598	19546	1835	143730	34316
2001	8746	4347	83713	20081	18394	22132	1153	158566	33232
2002	9169	4342	88117	21839	20315	26209	1439	171430	39205
2003	6898	5310	82611	18944	18705	30425	1538	164431	35091
2004	5710	2906	78808	14422	15905	25089	1396	144236	26128
2005	6273	2113	84376	19803	21154	41751	1890	177359	47079
2006	6272	1678	78941	20011	19491	41898	2499	171390	47911
2007	4928	1459	73339	20115	21742	48067	2552	172203	61790
2008	4534	1169	75685	17432	19928	48660	2706	170114	58198
2009	5648	1435	77921	17520	21847	52255	3659	180284	62163
2010	4769	1069	75613	14482	20218	56860	3175	176186	56348

المصدر: دائرة الإحصاءات العامّة والمركز الوطني لتنمية الموارد البشرية.

شكل بياني رقم (9) عدد المتعطلين عن العمل من الحاصلين على درجة البكالوريوس بحسب الأعوام من العام 2000 إلى العام 2010



جدول (13) نسب المتعطلين عن العمل حسب المؤهل العلمي

المؤهل العلمي	أمّي / ملمّ	تلمذة مهنية	أقل من ثانوي	ثانوي	دبلوم متوسط	بكالوريوس	أعلى من بكالوريوس
2000	% 5.9	% 3.1	% 49.9	% 12.5	% 13.6	% 13.6	% 1.3
2001	% 5.5	% 2.7	% 52.8	% 12.7	% 11.6	% 14.0	% 0.7
2002	% 5.3	% 2.5	% 51.4	% 12.7	% 11.9	% 15.3	% 0.8
2003	% 4.2	% 3.2	% 50.2	% 11.5	% 11.4	% 18.5	% 0.9
2004	% 4	% 2.0	% 54.6	% 10.0	% 11.0	% 17.4	% 1.0
2005	% 3.5	% 1.2	% 47.6	% 11.2	% 11.9	% 23.5	% 1.1
2006	% 4.0	% 1.0	% 46.1	% 11.7	% 11.4	% 24.4	% 1.5
2007	% 2.9	% 0.8	% 42.6	% 11.7	% 12.6	% 27.9	% 1.5
2008	% 2.7	% 0.7	% 44.5	% 10.2	% 11.7	% 28.6	% 1.6
2009	% 3.1	% 0.8	% 43.2	% 9.7	% 12.1	% 29.0	% 2.0
2010	% 2.7	% 0.6	% 42.9	% 8.2	% 11.5	% 32.3	% 1.8

المصدر: دائرة الإحصاءات العامّة والمركز الوطني لتنمية الموارد البشرية.

9 % لحملة الدبلوم المتوسط، وعليه فإنّ عدد الذين خصّصت لهم وظائف من حملة الدبلوم والبكالوريوس فأعلى هو في حدود (30) ألف خرّيج، يشكّلون 40 % من عدد الخرّيجين، بينما ينضمّ الباقون (45) ألف خرّيج وخرّيجة إلى طوابير المنتظرين للعمل أو الباحثين عن عمل في الخارج، أو الباحثين عن تحصيل علمي أعلى لزيادة فرص إيجاد وظيفة، أو الانضمام إلى المتعطّلين عن العمل.

كما بلغ معدّل البطالة في العام 2010 نحو (12.4 %)، وبيّنت نتائج المسح أنّ معدّل البطالة كان مرتفعاً بين حملة الشهادات الجامعية، حيث بلغ 15.7 %. وأشارت النتائج إلى أنّ 52 % من المتعطّلين هم من حملة الشهادة الثانوية فأعلى.

وبيّنت نتائج التقرير التحليلي لمسح فرص العمل المستحدثة لسنة 2010 الصادر عن **دائرة الإحصاءات العامّة**، أنّ من أكثر التخصّصات العلميّة الحاصلة على صافي فرص العمل المستحدثة للأفراد ممّن يحملون الدبلوم المتوسط فأعلى، كان تخصّص الصحّة والخدمات الاجتماعيّة وتخصّص العلوم والرياضيات والحوسبة (حوالى ستة آلاف وظيفة لكلّ منهما).

(مسح فرص العمل المستحدثة، التقرير التحليلي السنوي 2010، **دائرة الإحصاءات العامّة، مديرية الأساليب والمنهجيات الإحصائية**، آب 2010، ص 11).

خصائص سوق العمل لدى خرّيجي الجامعات والشهادات المتوسّطة

كشفت الدراسة التي أعدّها **ديوان الخدمة المدنيّة** في **الأردن** بعنوان "واقع عملية العرض والطلب على حملة الشهادات الجامعية والدبلوم المتوسّط في الخدمة المدنية"(**ديوان الخدمة المدنية، المملكة الأردنية الهاشمية**، 2009) عن مجموعة من الخصائص العامّة لسوق العمل الأردني ص ص (66–69)، يتصل بعضها بالتعليم العالي، ومنها:

1. تعتبر سوق العمل الأردنية مرسلة ومستقبلة للعمالة في الوقت نفسه، فهي تصدّر قوى عاملة ذات تعليم وتأهيل مرتفعين، وتستورد عمالة من ذوي المهارات المتواضعة للعمل في القطاعات التي لا يُقبل الأردنيون على العمل بها.
2. الاختلال في توزيع القوى العاملة قطاعياً وتعليميّاً ومهنيّاً من أبرز المشكلات التي تعاني منها سوق العمل الأردني.
3. كبر حجم مخرجات النظام التعليمي والتدريبي وضعف مواءمته لاحتياجات سوق العمل الفعليّة، ممّا ينعكس على الإنتاجية وكفاءة العاملين، وعلى تزايد معدّلات البطالة.
4. بلغ معدّل البطالة 14 % لسنة 2009 (10.7 % للذكور مقابل 28.1 % للإناث)، وكان لأثر التوسّع في التعليم العالي ارتفاع معدّل البطالة بين المؤهّلين علميّاً، خصوصاً في درجة البكالوريوس، حيث يشير التقرير السنوي لمسح العمالة والبطالة لسنة 2009 إلى أنّ معدّل البطالة في درجة البكالوريوس قد بلغ 53.8 %.
5. توجد تخصّصات أو برامج يمكن أن يطلق عليها البرامج الذكورية أو البرامج الأنثوية، وهي البرامج التي تزيد فيها نسبة الملتحقين على 80 % وهي:
أ– البرامج الذكورية: البرنامج الهندسي في الدبلوم، والحقوق للمرحلة الجامعيّة.
ب– البرامج الأنثوية: حقول العلوم الإنسانية وعلوم التربية وإعداد المعلمين (للمرحلة الجامعيّة) وبرنامج علوم الشريعة وبرنامج اللّغات والبرنامج التربوي (لمرحلة الدبلوم المتوسّط).
6. ضعف اهتمام النظام التعليمي بجغرافية القبول بالتخصّصات، ممّا نتج عنه تكدّس أعداد هائلة في بعض التخصّصات ضمن مناطق جغرافية، على حساب افتقار تلك المناطق لتخصّصات أخرى.
7. ضعف اهتمام النظام التعليمي بالخصائص الديموغرافية، وخصوصاً الجنس، في سياسة القبول للالتحاق بالبرامج التعليميّة وتخصّصاتها، ممّا نتج عنه تكدّس أعداد هائلة، وبخاصّة من الإناث، في بعض التخصّصات، على حساب افتقار تلك التخصّصات لجنس الذكور.
8. زيادة أعداد الملتحقين عبر السنوات الدراسية، وازدياد أعداد الخرّيجين. ويشكل الملتحقون في درجة البكالوريوس النسبة الكبرى حيث تزيد على 80 % من إجمالي الملتحقين، وتزداد نسبة الإناث عن نسبة الذكور في الدرجة الجامعيّة الأولى (البكالوريوس)، وفي مؤهلات دبلوم كلّية المجتمع، وتقلّ عن الذكور في الدراسات العليا. وتزداد هذه النسبة بشكل ملحوظ في حقول العلوم الإنسانية والدينيّة، وعلوم التربية وإعداد المعلمين، حيث تقل هذه النسبة إلى حوالى 65 % من الملتحقين في التخصّصات. والحقل الوحيد الذي تزيد فيه نسبة الذكور من الملتحقين بشكل ملحوظ هو حقل التجارة وإدارة الأعمال.
9. إنّ الخلل المتحصّل في مخزون **ديوان الخدمة المدنيّة** من تراكم للطلبات ما هو إلاّ امتداد للخلل المتحصّل في مخرجات النظام التعليمي الأردني.
10. عدم التوافق النسبي بين الأعداد التراكمية السنوية للمتقدمين بطلبات توظيف إلى **ديوان الخدمة المدنية**، وبين مخرجات النظام التعليمي الأردني (الخرّيجين)، حيث إنّ 50 % من الخرّيجين فقط يتقدمون بطلبات توظيف إلى الديوان.

يبلغ عدد الذين خصّصت لهم وظائف من حملة الدبلوم والبكالوريوس فأعلى نحو 30 ألف خرّيج، يشكّلون 40 % من عدد الخرّيجين، بينما ينضمّ الباقون(45) ألف خرّيج وخرّيجة إلى طوابير المنتظرين للعمل أو الباحثين عن عمل في الخارج، أو الباحثين عن تحصيل علمي أعلى لزيادة فرص إيجاد وظيفة، أو إلى المتعطّلين عن العمل.

11. تدنّي مستوى تلبية مخرجات النظام التعليمي لمتطلبات ومهارات إشغال الوظائف العامّة في الخدمة المدنيّة من حيث الكفاءات والكفايات، وينسحب ذلك على الفرص المتاحة في القطاع الخاصّ.

12. هناك فجوة بين العرض والطلب في سوق العمل، حيث إن فرص العمل التي يتمّ عرضها لا تتناسب مع المؤهلات الموجودة.

محاولة تفسير الخلل بين التعليم الجامعي وسوق العمل

- قلة احتفاء نظام التعليم العالي الأردني بالتعليم التقني، وهو التعليم الذي يمكن أن يلبّي قدراً كبيراً من متطلّبات التنمية، وأن يوفّر فرص عمل جديدة وكثيرة ويساعد على تقليص معدّلات البطالة. ويظهر ذلك في تردّد سياسات التعليم العالي في إنشاء كلّيات للتعليم التقني تعمل على تلبية حاجات سوق العمل ومتطلّباته في التخصّصات التطبيقية والتقنية والمهنية والفنية. كما يظهر عدم الاحتفاء هذا من خلال تحويل كثير من كلّيات المجتمع المتوسطة إلى كلّيات جامعية تعنى بالتعليم الأكاديمي، فضلاً عن سياسة التجسير التي تسمح لطلبة كلّيات المجتمع أن يتابعوا دراساتهم الأكاديمية في الجامعات.

ومع أنّ إيجاد فرص عمل لخرّيجي التعليم المهني والتقني أيسر بكثير من إيجاد فرص عمل لخرّيجي البكالوريوس، إلاّ أن ثقافة المجتمع السائدة تجعل الطالب يؤثر الحصول على درجة البكالوريوس دون الحصول على وظيفة، ويفضل ذلك على الحصول على دبلوم تعليم مهني أو تقني مع إيجاد فرصة عمل بعد التخرج.

- إنّ أنظمة التعليم العالي، وإن كانت قد نصّت على تلبية حاجات المجتمع من ضمن أهدافها الرئيسية إلاّ أنّها لم تحدّد آليات لتحقيق هذا الهدف.

- اهتمّت مؤسّسات التعليم العالي بموضوع جودة التعليم لضمان مخرجات تعليميّة نوعيّة، لكنها لم تولِ اهتماماً كبيراً لموضوع المواءمة بين أعداد الطلبة الملتحقين بالتخصّصات والبرامج الدراسية، وأعداد المؤهّلين التي يحتاجها سوق العمل من خرّيجي هذه التخصّصات، ولذلك نجد تضخماً في خرّيجي بعض التخصّصات، وتقلّصاً في أعداد خرّيجي تخصّصات أخرى، من دون مراعاة للتخصّصات المطلوبة أو غير المطلوبة في **سوق العمل**.

- تعود كثرة إقبال الإناث على التخصّصات الإنسانية والتربوية والشرعية والاجتماعية، إلى رغبة الخرّيجات قبل الالتحاق بالدراسة في العمل كمدرّسات سواءً في مدارس وزارة التربية أو مدارس القطاع الخاصّ، لأنّ هذه الوظيفة تمكّنهنّ من المواءمة بين عمل يوفّر لهنّ دخلاً وحياة أسرية تستطيع أن يقمن فيها بواجباتهنّ الأسريّة، من تربية أبناء وأعمال منزلية وغير ذلك.

- تحرص مؤسّسات التعليم العالي فقط، وفي إطار المواءمة بين مخرجات التعليم العالي وسوق العمل، على تزويد المجتمع باحتياجاته من الكفايات العلميّة، ولا تلتفت كثيراً إلى خطورة زيادة أعداد الخرّيجين في هذا التخصّص أو ذاك. في هذا السياق تحتاج المؤسّسات إلى التنسيق مع **ديوان الخدمة المدنية** ومؤسّسات القطاع الخاصّ.

وعلى الرغم من وجود دراسات ومؤشرات كثيرة تنبّه الطلبة وذويهم إلى وجود فائض من الخرّيجين في تخصّصات بعينها، إلاّ أنّ الطلبة وذويهم يصّمون آذانهم عن هذه الدراسات، وربما تكون رغباتهم في هذه

نتج عن ضعف اهتمام النظام التعليمي الأردني بجغرافية قبول التخصّصات تكدّس أعداد هائلة في بعض التخصّصات ضمن مناطق جغرافية معيّنة على حساب افتقار تلك المناطق لتخصّصات أخرى. كما نتج عن ضعف اهتمام النظام التعليمي بالخصائص الديموغرافية، وخصوصاً الجنس، تكدّس أعداد هائلة، وبخاصّة من الإناث، في بعض التخصّصات، على حساب افتقار تلك التخصّصات لجنس الذكور.



التخصّصات قد تشكّلت منذ سنوات التعليم الأساسي.

- ما يمكن أن يحدّد للجامعات عدد الطلبة الذين يمكن قبولهم في كلّ تخصّص من التخصّصات هو القدرة الاستيعابية للجامعة ومعايير الجودة وليس حاجة **سوق العمل** أو عدم حاجتها، كما أنّ معايير الجودة وهيئة اعتماد مؤسّسات التعليم العالي لا تأخذ بالاعتبار مدى ملاءمة هذه التخصّصات لحاجة السوق أو كثرتها أو قلّتها.

- عدم استقرار القوانين والتشريعات وهيكلة مؤسّسات التعليم العالي ممّا يشيع الخلل والاضطراب في العملية التعليميّة.

- تزايد أعداد الخرّيجين في الدراسات العليا، وفي تخصّصات غير مطلوبة، ما أدّى إلى البطالة لدى خرّيجي الدراسات العليا، ولاسيّما في مجال العلوم الإنسانية.

إشكاليّات واقع التعليم العالي في الأردن

يبرز عدد من المشكلات يعاني منها واقع التعليم العالي في **المملكة الأردنيّة الهاشمية**، منها:

1. سياسات التعليم العالي، التي تسهّل الانتقال من التعليم المهني والفنّي إلى التعليم الأكاديمي، من خلال تحويل عدد من كلّيات المجتمع إلى كلّيات جامعية تمنح درجة البكالوريوس، ومن خلال فتح باب التجسير بين كلّيات المجتمع والجامعات منذ سنة 1997، ممّا يضرّ كثيراً باحتياجات سوق العمل ويزيد من معدّلات البطالة.

2. التأخر في التوظيف بعد التخرّج، والذي يؤدّي إلى:

أ- البحث عن فرص عمل خارج المملكة، وتسرّب الكفاءات.

ب- تراجع الرصيد المعرفي للخرّيج خلال مدّة انتظاره.

3. معاناة عدد من الجامعات الرسميّة من أزمات مالية تؤثّر على جودة التعليم وتؤدّي إلى تسرّب الأساتذة الأكفياء واستقطاب بدائل ذات مستويات أقلّ كفاية.

4. الاستثناءات في القبول القائمة على نطاق واسع في الجامعات، وما تؤدّي إليه من اختلال في المستويات العلميّة الطلبة، ومن ضعف في المخرجات.

5. وجود هوّة كبيرة بين البحث العلمي في الجامعات وبين متطلّبات المجتمع **وسوق العمل**، فمعظم الأبحاث العلميّة المنشورة في المجلات يُركَن في رفوف المكتبات ولا تستفيد منه مؤسّسات القطاع العام أو الخاصّ، ولاسيّما أن كثيراً من هذه الأبحاث ينشر بالإنجليزية. كما أنّ آلاف الرسائل الجامعية التي تجيزها الجامعات الأردنيّة الرسميّة والخاصّة، لا تستفيد منها المؤسّسات الرسمية أو الخاصّة، ولا يطّلع أيٌّ من راسمي السياسات الاقتصادية والاجتماعية والتعليمية على خلاصاتها ونتائجها. وقد شجّع ذلك مؤسّسات التعليم العالي على إعفاء الطلبة في مرحلة الماجستير _بحسب اختيارهم_ من أطروحة الماجستير، وتقديم امتحان شامل بدلاً منها، ممّا زاد الطين بلّة، وأضرّ بالدراسات العليا إضراراً جوهريّاً.

رؤى لإصلاح الخلل بين التعليم العالي وسوق العمل

ثمّة رؤى وبدائل يمكن الانطلاق منها لمعالجة المشكلات الناشئة عن الخلل الحاصل بين **التعليم العالي وسوق العمل** منها:

1. إجراء تصنيف للطلبة قبل الوصول إلى المرحلة الجامعيّة وتوجيههم نحو التخصّصات المهنيّة والتقنيّة، مع إنشاء معاهد للتعليم التقني والفنّي، وتقديم حوافز وإغراءات للطلبة الذين يُقبلون على

التعليم

هذه التخصّصات، كأن تقام لهم مشاريع صغيرة ومتوسطة يعملون فيها مباشرة بعد تخرّجهم.

2. توجيه الخرّيجين الذين لا يجدون عملاً يتناسب مع مؤهّلاتهم العلمية إلى العمل في أيّ مجال من مجالات العمل الأخرى المتاحة لهم؛ وتوفير امتيازات للعاملين في القطاع الخاصّ شبيهة بتلك الموجودة في وظائف القطاع العامّ، مثل التأمين الصحّي والضمان الاجتماعي ومكافأة نهاية الخدمة وغير ذلك، بحيث تلغى الفوارق على صعيد هذه الامتيازات بين القطاع العام والقطاع الخاصّ، ويقبل الخرّيجون الذين يبحثون عن عمل في مؤسّسات القطاع الخاص.

3. مضاعفة التنسيق بين مؤسّسات **التعليم العالي** وسائر مؤسّسات التشغيل التي تستوعب الخرّيجين، من أجل تحديد التخصّصات العلمية الراكدة والتخصّصات المشبعة والفائضة، وتحديد أعداد الطلبة في مختلف التخصّصات والبرامج التعليميّة في الجامعات وكلّيات المجتمع. وينصح في هذا السياق بإجراء الدراسات عن واقع التعليم العالي وعلاقته **بسوق العمل**، على أن تعمّم نتائج هذه الدراسات على إدارات التعليم العالي للاستفادة منها، وأخذها بالاعتبار عند التخطيط لمؤسّساتهم.

4. تشجيع الطلبة على الإقبال على تخصّصات يمكن إنشاء مشاريع استثمارية عن طريقها أو في مجالها وتطوير هذه المشاريع، وأن تعمل مؤسّسات التعليم العالي على تقليص القبول في التخصّصات التي تجعل من الخرّيجين عبئاً على القطاعين العامّ والخاصّ وتزيد من حجم البطالة.

5. ومن التوصيات التي وردت في دراسة "واقع عملية العرض والطلب على حملة الشهادة الجامعية والدبلوم المتوسط في الخدمة المدنية" التي أعدّها **ديوان الخدمة المدنيّة**: ص (70-72).

1. وضع برنامج مشترك لإحراز التقدّم الحقيقي في عملية تخطيط التعليم ومخرجاته كمهمة وطنيّة ذات أولوية نتحدث عنها دائماً فلا بدّ من العمل على الأخذ بجملة من التوصيات التي تسهم في تحسين واقع إدارة الموارد البشرية على المستوى الوطني يمكن إبرازها بما يلي:

أ- ضرورة إعادة النظر في واقع المساقات التعليميّة للعديد من التخصّصات بما يضمن إكساب الطالب المهارات الحديثة ومهارات اللّغات والتفكير المبادر والإبداعي لتتمكّن مخرجات هذا التعليم من تلبية متطلّبات سوق العمل وتطوّراته.

ب- أهمية تخطيط عملية التعليم ببعديها العمودي والأفقي، بحيث يتمّ النظر إلى واقع التعليم ومخرجاته في المحافظات وإلى تناسبها مع الواقع الاقتصادي والاجتماعي وتطوّره وفرص العمل المتاحة وتوقعات التنمية فيها.

ج- وجود حاجة أكيدة لإعادة النظر في عملية تعريف فرص العمل ووضع الوصف الوظيفي لها ومواصفات إشغالها وأخذ هذه العملية بعين الاعتبار من قبل الجامعات والمؤسّسات الأكاديمية في عملية تحديد المناهج ومؤهلات ومهارات التعليم ومخرجاته.

د- ضرورة بذل جهود مشتركة لإحداث تغييرات عميقة في الثقافة الاجتماعيّة لتغيير ثقافة المجتمع الوظيفي وتنمية القناعات بالتوجه نحو فرص العمل في مختلف القطاعات الاقتصادية، الزراعية والصناعية والسياحية والخدمية.....إلخ.

هـ- تمثّل أحد أهم الشروط لتحقيق التقدّم في المهمة (د) في أن تترافق تلك الجهود مع مجموعة من الإجراءات والتشريعات والمشاريع والبنية التحتية التي تمكّن من

ثمّة هوّة كبيرة بين البحث العلمي في الجامعات ومتطلّبات المجتمع وسوق العمل في الأردن، فمعظم الأبحاث العلميّة المنشورة في المجلات يُركَن في رفوف المكتبات ولا تستفيد منه مؤسّسات القطاع العام أو الخاصّ، ولاسيّما أن كثيراً من هذه الأبحاث ينشر بالإنجليزية. كما أنّ آلاف الرسائل الجامعية التي تجيزها الجامعات الأردنيّة الرسميّة والخاصّة، لا تستفيد منها المؤسّسات الرسمية أو الخاصّة، ولا يطّلع أيٌّ من راسمي السياسات الاقتصادية والاجتماعية والتعليمية على خلاصاتها ونتائجها.

خلق مناخ مناسب وبيئة عمليّة لنجاح النشاط الاقتصادي الفردي والتعاوني والجماعي في مختلف المحافظات، بحيث يشعر الفرد الأردني بتوفر مصلحة أكيدة من توجهه نحو هذا النشاط.

و- نجاح مثل هذه التوجهات يحتاج بالتأكيد إلى مؤسّسية تشاركيّة دائمة وقادرة على وضع المؤشرات الخاصة بمخرجات التعليم وفرص العمل على المستوى الوطني وتحديد مهمات البرامج واتجاهاتها للنهوض بهذا الواقع.

2. ضرورة الإسراع في مأسسة الربط بين مخرجات التعليم وربطها بفرص العمل من خلال تشكيل فريق عمل وطني من الجهات ذات العلاقة، يتكوّن من مندوبين من ضمن مستويات متقدّمة من الجهات المعنيّة مثل وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، وزارة التربية والتعليم، مؤسّسة التدريب المهني، **ديوان الخدمة المدنية، وزارة تطوير القطاع العام، وزارة العمل، وزارة التخطيط والتعاون الدولي، هيئة اعتماد الجامعات الأردنية، الجامعة الأردنية، جامعة البلقاء التطبيقية، جامعة اليرموك، جامعة العلوم والتكنولوجيا**، تسند إليها المهام التالية:

أ- البحث في إلغاء التخصّصات الراكدة، وتحديد أعداد القبول في التخصّصات المشبعة.

ب- دراسة إعادة سياسة القبول في الجامعات بحيث تكون في ظلّ مخرجات الدراسات الخاصّة في العرض والطلب واستناداً إلى التوزيع الجغرافي، والجنس وليس على أساس القبول المطلق بحسب المعدلات.

ج- توحيد مسميات التخصّصات وإعادة هيكلتها من خلال دمج التخصّصات الفرعية القريبة مع بعضها البعض.

د- البحث في إعادة هيكلة التعليم على مستوى دبلوم كلّيات المجتمع والتخصّصات التي يتضمّنها، وتوجيهها نحو التعليم المهني والحرفي.

هـ- إعادة هيكلة النظم التعليميّة والمساقات التعليميّة بما يتوافق مع احتياجات سوق العمل الأردني، ومتطلّبات الوظائف فيه بهدف تحقيق الكفاءة والفعالية في الأداء.

و- إعادة النظر في معايير القبول في الجامعات والحدّ من إقبال الملتحقين بالبرامج التعليميّة بحيث يكون من ضمن الاحتياجات الفعلية لسوق العمل الأردني.

ز- تكثيف دور المؤسّسات الوطنية ذات العلاقة في مجال المسؤولية الاجتماعية في توفير فرص العمل للشباب الأردني، وتسويقه للعمل داخلياً وخارجياً.

ح- إعادة دراسة التخصّصات التي ينتجها التعليم العالي الأردني وتوحيدها وتحديدها بشكل أكثر دقة، مع ضرورة إيجاد تصنيف موحد لمجموعات التخصّصات التي ينتجها النظام التعليمي مبنيّ على أسس واضحة.

3. زيادة حجم الاستثمارات في المناطق البعيدة عن المركز بهدف الحدّ من ظاهرة الاعتماد على التوظيف في القطاع العام في المحافظات.

4. ضرورة إعادة النظر في سياسات القبول في الجامعات الحكومية والخاصّة.

المصادر

1. **اتجاهات الطلب في سوق العمل في النصف الأول من العام 2010**، نشرة دورية يصدرها مشروع المنار، العدد الثالث، تموز 2010.
2. **إحصائيات الطلبة الأردنيين الدارسين في مؤسسات التعليم العالي خارج الأردن** 2010/2009، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، آذار 2011.
3. **إحصاءات العمل في الأردن 2005-2009**، دائرة الإحصاءات العامّة، تشرين الثاني 2010.
4. **الأردن بالأرقام**، دائرة الإحصاءات العامة 2010، العدد 13، أيار 2011.
5. **الاستراتيجيّة الوطنيّة للتعليم العالي والبحث العلمي 2007-2012**، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي.
6. **أسس التجسير بين الكلّيات الجامعية المتوسّطة والجامعات الأردنيّة للعام الجامعي** 2012/2011، صادرة بموجب قرار مجلس التعليم العالي رقم (184) تاريخ 2011/5/26.
7. **أسس القبول للطلبة في الجامعات الأردنيّة** الرسميّة للعام الجامعي 2012/2011 صادر بالاستناد للمادّة (6/أ/5) من قانون رقم (23) لسنة 2009 قانون التعليم العالي والبحث العلمي وتعديلاته، وبموجب قرار مجلس التعليم العالي رقم (141) تاريخ 2011/5/8.
8. **التعليم العالي**: واقع وطموح، د. غالب الفريجات، دار أزمنة للنشر والتوزيع، عمّان، 2009.
9. **التقرير الإحصائي السنوي عن التعليم العالي في الأردن** 2010/2009، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، آذار 2011.
10. **التقرير التحليلي لمسح فرص العمل المستحدثة السنوي 2009**، دائرة الإحصاءات العامّة، تموز 2010.
11. **التقرير التحليلي للنتائج السنوية لمسح فرص العمل المستحدثة 2007**، دائرة الإحصاءات العامّة، أيلول 2008.
12. **دراسة تحليلية لواقع برامج البكالوريوس وبرامج الدراسات العليا في الجامعات الرسميّة** بناء على أعداد الطلبة المتوفرة فيها وأعداد الطلبة المقترح قبولهم للعام الجامعي 2010/2009 من قبل الجامعات وهيئة اعتماد مؤسّسات التعليم العالي، هيئة اعتماد مؤسّسات التعليم العالي، 2009.
13. **دراسة تحليلية لواقع سوق العمل في الأردن**، وحدة السياسات والتخطيط الاستراتيجي، وزارة العمل، 2010.
14. **دليل مؤشرات سوق العمل**، إعداد د. نادر مريان، ممدوح السلامات، خميس ردّاد، المركز الوطني لتنمية الموارد البشرية، عمّان، 2006.
15. **سوق العمل الأردني بالأرقام 2009**، وحدة السياسات والتخطيط الاستراتيجي، وزارة العمل.
16. **قانون التعليم العالي والبحث العلمي**، قانون رقم (23) لسنة 2009.
17. **قانون الجامعات الأردنية**، قانون رقم (20) لعام 2009.
18. **قانون الجامعات الأردنية الخاصّة**، قانون رقم (26) لسنة 2007.
19. **قانون هيئة اعتماد مؤسّسات التعليم العالي**، قانون رقم (20) لسنة 2007.
20. **قراءة تحليلية لأبرز نتائج مسح فرص العمل المستحدثة لعام 2008**، دائرة الإحصاءات العامة، حزيران 2009.
21. **كلّيات المجتمع في الأردن (الواقع والتحدّيات)**، إعداد د.ناصر مريان، طاهر جرادات، ممدوح السلامات، مشروع المنار/ المركز الوطني لتنمية الموارد البشرية، 2010.
22. **مسح فرص العمل المستحدثة / التقرير التحليلي السنوي 2010**، دائرة الإحصاءات العامّة، آب 2011.
23. **نسبة المتعطلين الأردنيّين لعام 2010**، دائرة الإحصاءات العامّة والمركز الوطني لتنمية الموارد البشرية (نظام معلومات الموارد البشرية/ مشروع المنار).
24. **نظام صندوق دعم البحث العلمي رقم (42) لسنة 2010** صادر بمقتضى الفقرة (هـ) من المادة (9) من قانون التعليم العالي والبحث العلمي رقم (23) لسنة 2009.
25. **نظام صندوق دعم الطالب في الجامعات الأردنيّة الرسميّة** رقم (45) لسنة 2010، صادر بمقتضى المادة (114) من الدستور والفقرة (ل) من المادة (4) من قانون التعليم العالي والبحث العلمي رقم (23) لسنة 2009.
26. **واقع عملية العرض والطلب على حملة الشهادات الجامعيّة والدبلوم المتوسط في الخدمة المدنيّة**، ديوان الخدمة المدنيّة، 2009.
27. **وثيقة الخطّة الإستراتيجية للأعوام 2011-2013**، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، شباط 2011.
28. **الجامعة الأردنيّة**، نشأتها وتطوّرها، إعداد حامد الزغول، عمّان 2000.
29. **إحصائيات عن واقع عملية العرض والطلب على التخصّصات العلميّة (2000-2009)**، وإحصائيات التوظيف (2009-2011)، البيانات والدراسات، ديوان الخدمة المدنية، 2011.

تونس

حين تكون البطالة أحد أسباب الثورة

احتفلت **الجامعة التونسيّة** سنة 2009 بذكرى خمسينيتها. ففي سنة 1959 تمّ بعث أول نواة **للجامعة التونسيّة** الحديثة. وبقطع النظر عن الجدل الذي أثير آنذاك حول إمكانية اعتبار التعليم الذي كان يقدّمه **جامع الزيتونة** في مراحل عليا تعليماً جامعيّاً بالمعنى الحديث، فإن الاحتفال قد جرى في مناخ من التشاؤم والحذر. فعلى الرغم من الحصاد الوفير الذي لا يمكن نكرانه، فإن معضلتين رئيستين قد أفسدتا نشوة تلك المناسبة: بطالة خريجي التعليم العالي والجودة المتدنيّة التي بدأت منذ عقدين من الزمن تصيب التعليم العالي منهجاً وموارد وتصرفاً. ولم يكن من الصدفة أن تكون هذه العوامل بالذات هي من أهمّ أسباب ثورة الشباب والكرامة في **تونس**.

ثمة معضلتان رئيستان أفسدتا نشوة احتفال الجامعة التونسيّة بذكرى خمسينيّتها العام 2009: بطالة خرّيجي التعليم العالي والجودة المتدنيّة التي بدأت منذ عقدين من الزمن تصيب التعليم العالي منهجاً وموارد وتصرفاً.

من هنا ضرورة وصف السيرورات التي أدت إلى تلك النتائج المخيّبة وتحليلها، بالاعتماد على منهج كمّي يستند بدوره إلى المعطيات الإحصائية كتقنية مفضلة، من دون إغفال أهمية التحليل والتأويل عند الاقتضاء. لقد كان اندلاع **الثورة التونسيّة** خلال **ديسمبر** 2010 دليلاً على أن بطالة أصحاب الشهادات الجامعية كانت أحد أهمّ عوامل الانفجار الاجتماعي الذي أمدّ الثورة بتلك القوّة الاحتجاجية العارمة.

التعليم العالي ومساراته

إصلاحات تعليميّة متعاقبة

كان أول إصلاح للتعليم شهدته **تونس** في العام 1958 على يد وزير التربية آنذاك الأديب التونسي **محمود المسعدي** ليضع حدّاً لتعدّد النظم التعليميّة في البلاد ويوحّدها في تعليم عمومي إلزامي. تمّ الحرص على أن يكون هذا التعليم منفتحاً على المعارف الكونيّة من تقنيات وعلوم وآداب، وذلك في تخلّص تدريجي من المعارف الشرعيّة والقديمة التي كانت السمة البارزة لأنظمة التعليم قبل الاستقلال. وبقطع النظر عن المحتوى الضمني للإصلاح واستراتيجيّاته الثقافية التي كان لها تبعات خطيرة في ما بعد على قيم أجيال كاملة وتصوّراتها، فإن أهمّ ما يكمن الإشارة إليه حول هذا الإصلاح، هو ما سنّ من مبادئ لا زالت تحكم التعليم والتربية على الرغم من مضيّ أكثر من نصف قرن، ولعل أهمها ما يلي:

– التعليم إلزامي وبخاصة بالنسبة إلى البنات والبنين الذين بلغوا من العمر 6 سنوات. بحيث تعهّدت الدولة بتوفير الاعتمادات الماليّة والفنّية والبشريّة، لذلك احتكرت الدولة الشأن التربوي والتعليم ولم تترك إلا هامشاً ضئيلاً للقطاع الخاص.

تعتمد هذه الدراسة بشكل رئيس على إحصائيّات وزارة التعليم العالي، وبخاصة على وثيقة: مؤشرات التعليم العالي التي تصدر سنوياً، والتي كان آخرها العام 2009 . أما الإحصائيّات المتعلقة ببطالة أصحاب الشهادات الجامعية العليا، فقد استقيناها من وزارة التشغيل والتكوين المهني (بالتعاون مع البنك الدولي)، بعد إنجازهما بحثين خلال العام 2004 على عيّنة ممثلة من خرّيجي الجامعة التونسيّة دفعة 2004 لمعرفة مدى اندماجهم في سوق الشغل. وهذان بحثان وحيدان تمّ إنجازهما حتى العام 2007 وتمّ نشرهما تباعاً في العامين 2008 و 2009 . وقد قمنا بمقارنة تلك المعطيات مع إحصائيّات المعهد الوطني للإحصاء.



– التعليم العالي مجانيّ لحاملي شهادة الباكالوريا (ختم الدروس الثانويّة) ولقد دعمت الدولة الطلبة، خصوصاً في أول عشريّتين تلتا الاستقلال (1956)، وذلك من خلال تقديم المنح الجامعية وخدمات السكن والأكل للجامعيّين، وخصوصاً للمنحدرين من فئات اجتماعية هشّة أو متوسّطة.

مكّن هذا الإصلاح الافتتاحي من نشر المدرسة في المناطق الداخلية للبلاد، ممّا أتاح في ما بعد تحقيق حراك اجتماعي صاعد تمكّنت بفضله الطبقات الدنيا من الصعود في السلّم الاجتماعي وتولّي وظائف ومكانات اجتماعية ظلّت لقرون حكراً على أبناء فئات نبلاء المدن والعائلات المدنيّة العريقة كما أسهم خرّيجو الجامعة القلائل آنذاك[1] في بناء أجهزة الدولة الوطنيّة ومؤسّساتها وتسييرها.

أما الإصلاح الثاني وهو الأهمّ فقد حدث سنة 1991 بموجب قانون نعت بقانون **محمد الشرفي** نسبةً إلى وزير التربية آنذاك، وقد اعتمد هذا الإصلاح بعيد التغيير السياسي الذي عرفته البلاد سنة 1987. ولقد شمل الإصلاح مراحل التعليم الابتدائي والإعدادي والثانوي حاملاً توجّهات فكرية ورؤى تدور حول قيم المواطن والمواطنة، ولكنّه حدث مناخ عرفت البلاد فيه مواجهة دمويّة شديدة بين النظام والتيار الإسلامي. إذ سعى النظام إلى توظيف المدرسة والتعليم عموماً لتعزيز موارد صدامه مع خصومه. ودُعمت ركائز هذا الإصلاح مع صدور القانون الثاني المتعلق بالتربية بعد عقد من الزمن[2].

وبعيداً عن تقييم الإصلاحات التربوية في **تونس**، لا أحد ينكر ما كان لها من تداعيات مهمّة على التعليم العالي، وخصوصاً أنه هو الذي قام على جملة من الثوابت الوطنيّة حدّدت كالآتي:

– المدرسة الأساسيّة (وقد عوّضت المدرسة الابتدائية، وتدوم تسع سنوات) إلزامية ويمنع مغادرة الطفل مقاعد الدراسة حتى يتملّك شروط المواطنة: القراءة والكتابة والحساب والاستكشاف.

– مراجعة المقرّرات والمناهج الدراسيّة بما يرسّخ لدى الناشئة قيم التسامح، والفكر النقدي، وحقوق الإنسان.

– تعزيز التعلم التقني والعلمي ودعم التحكّم في المعارف التقنية إلى جانب الإعلام وتقنيات التواصل.

– الانفتاح على المعارف الدوليّة في ما يتعلّق بمعايير الجودة.

أول إصلاح للتعليم شهدته تونس كان في العام 1958 على يد وزير التربية آنذاك الأديب التونسي محمود المسعدي، الذي وضع حدّاً لتعدّد النظم التعليميّة في البلاد ووحّدها في تعليم عمومي إلزامي.

إصلاح التعليم العالي

خضع التعليم العالي في تونس لعدد من الإصلاحات المتتالية[3] استهدفت ما يلي:

– إحداث جامعات في المناطق الداخلية للبلاد من أجل إحداث أقطاب جامعية متعدّدة تكون محركّاً للتنمية الاقتصادية في تلك المناطق.

– إعادة تنظيم قطاع البحث العلمي للإسهام في الاقتصاد وتكوين كفاءات علمية عالية للرفع من نسبة الكوادر في المؤسّسات الاقتصاديّة.

– جدوى مؤسّسات التعليم العالي وفاعليته تتحدّدان بالانفتاح على المؤسّسات الاقتصاديّة والتشغيليّة.

1 – قانون عدد 65 لسنة 1991 المؤرخ في 22 /7/1991 المتعلق بالنظام التربوي.

2 – القانون التوجيهي عدد 80 لسنة 2002 المؤرخ في 23 /7/2002المتعلق بالتربية والتعليم المدرسي.

3 – قانون عدد 67 لسنة 2000مؤرخ في 17 / 7/ 2000 يتعلق بتنقيح وتنظيم وإتمام القانون عدد 70 لسنة 1989المؤرخ في 7/28/ 1989والمتعلق بالتعليم العالي والبحث العلمي والقانون عدد 19 لسنة 2008 المؤرخ في 22 /9/ 2008 المتعلق بالتعليم العالي.

– بعث مسالك قصيرة للتعليم العالي (ثلاث سنوات) تشجيعاً لتشغيليّة الخريجين.

أما على المستوى التربوي، فإن أبرز الإصلاحات كانت تبنّي **الجامعة التونسيّة** نظاماً جديداً هو نظام أمد (إجازة، ماجستير، دكتوراه)[1] واقتضى ذلك التخلّي التدريجي عن الأنظمة السابقة وأهمها نظام الأستاذية، الدراسات المعمّقة والدكتوراه (بما فيها دكتوراه الدولة). وبعد ما يقارب من خمس سنوات، تمّ تجاوز الفترة الانتقالية لتنضمّ جلّ المؤسّسات الجامعية إلى هذا النظام مع بعض الاستثناءات المتعلقة بكلّيات الطبّ والصيدلة وبعض المدارس الوطنيّة للهندسة.

واستناداً إلى الأمر المتعلق بنظام أمد وأدبيات وزارة التعليم العالي، فإنه نظام يحرص على إدراك الأهداف التالية:

– تحقيق درجة عليا من الوضوح في مستويات التخرّج بالنسبة إلى جميع الأطراف المعنيّة بالتعليم العالي والمحافظة على الطابع الوطني للشهادات.

– إرساء نظام تكوين مرن قابل للمقارنة مع الأنظمة المتداولة دولياً.

– مراجعة البرامج وتنويع المسالك، خصوصاً في المجالات الواعدة

– إرساء مسالك تكوينيّة ناجعة ذات صبغة أكاديميّة وتطبيقيّة توفّر للطالب إمكانية الاندماج في سوق العمل.

يبدو أن الهاجس الرئيسي لمنظومة **أمد** كان إتاحة فرص مرنة لتكوينٍ يضمن أقصى حظوظ الاندماج في سوق وطني للعمل ينفتح بدوره على اقتصاد معولم.

أدّت سياسة التوسّع الأفقي إلى استحداث وزارة التعليم العالي في العام 2001 نظام التعليم المفتوح، والذي يقوم على فلسفة جديدة للتعليم تجمع بين الفكرة القائمة على ذاتية التعلّم والتطبيق العملي لها، بهدف زيادة الفرص أمام جميع الطلاب الحاصلين على الشهادة الثانوية، من دون النظر إلى تاريخ الحصول عليها، في متابعة دراستهم الجامعية في اختصاصات تحدّدها الوزارة.

1 - أنواع المؤسّسات الجامعيّة في تونس

يمكن أن نميّز أنواع المؤسّسات الجامعيّة بحسب طبيعة المهام والوظائف المسندة قانوناً إليها:

- **كليات:** وهي مؤسّسات للتعليم العالي تتميّز بتقديم تعليم عام متعدّد الاختصاصات وتتميّز بمرونة في المواظبة ويغلب عليها نوع من التكوين النظري الأساسي.
- **مدارس عليا للهندسة:** وهي مدارس تتميّز بالصرامة في الالتحاق بها والانضباط في نظم المواظبة.
- **معاهد عليا:** وهي نمط من مؤسّسات التعليم العالي تتميّز بتعدّد الاختصاصات ويلتحق بها الطلبة المتميّزون، وعادةً ما كانت تهيىء الخريجين للتدريس في المعاهد الثانوية، ولكن تمّ التحرر من هذا الالتزام.
- **مدارس تحضيرية للدراسات الهندسية:** وهي مؤسّسات تعليم عالٍ يكون الالتحاق بها قصد إعداد الطلبة للالتحاق بمدار الهندسة حيث يواصلون مراحل متقدّمة من الدراسات الهندسية. أما إذا ما اكتفى الطالب بتلك المدّة التحضيرية التي تستغرق قرابة ثلاث سنوات، فإن الطالب يتخرج بديبلوم تقنيّ سام أو ما يعادله.
- **معاهد عليا للدراساتً التكنولوجية** technologique **(فهي ليست تقنية** technique**) وقد وردت التسمية في القانون المنظم للتعليم العالي:** وهي مؤسّسات يعهد إليها إعداد كوادر تقنيّة وسطى متعدّدة الاختصاصات، ويندر أن تكون لهم إمكانية مواصلة مراحل متقدمة من التعليم العليا كالماجستير أو الدكتوراه.

1 – انظر بخاصة الأمر عدد 3123 لسنة 2008 مؤرخ في 9/22/ 2008 المتعلق بضبط الإطار العام لنظام الدراسة و شروط التحصيل على الشهادة الوطنية للإجازة في مختلف مجالات التكوين و المواد و المسالك والتخصّصات في نظام امد.

- **معاهد ومراكز بحث:** على غرار مركز الدراسات والبحوث الاقتصادية والاجتماعية، معهد بحوث الأراضي القاحلة، مركز دراسات والتوثيق والبحوث حول المرأة. وهي مؤسّسات لا يرتادها الطلبة، إنما بعثت لتولّي مهمة إنجاز بحوث علمية متخصّصة يقوم بها باحثون متفرغون أو متعاقدون في نطاق مشاريع بحث أو وحدات بحث والتي سنأتي على تحليلها في ما بعد.

2 - الالتحاق بالتعليم العالي:

منذ الاستقلال تمّ توحيد معايير القبول في التعليم العالي وحصره تقريباً في معبر واحد وهو الحصول على شهادة البكالوريا التي يختتم بها التلميذ مرحلةً من التعليم تدوم في حالة النجاح المسترسل 7 سنوات من دون اعتبار السنوات الست من التعليم الابتدائي (أساسي بمقتضى الإصلاح الأخير). فباستثناء المرحلة الانتقالية التي أعقبت استقلال البلاد، وما اقتضته طبيعة تلك المرحلة من التعامل مع حالات متعدّدة، فإنه تمّ تدريجياً حصر المسالك وتوحيدها وحتى أن بعض المسالك الأخرى التي ظلت مستمرة اختفت تدرجياً ومنها شهادة ختم الدراسات الترشيحية بالنسبة إلى التلاميذ المتميزين وشهادة التقنية بالنسبة إلى التلاميذ المتميّزين أيضاً (سبع سنوات تلي التعليم الابتدائي). ويتوّج كلّ منهما سبع سنوات من التعليم تلي التعليم الابتدائي). يعدّ الحصول على شهادة البكالوريا جواز السفر الوحيد الذي يؤهّل حتماً إلى دخول الجامعة ومتابعة التعليم العالي. وحتى يلتحق الطالب بالتعليم العالي، عليه أن يقضي 13 سنة من التعليم مقسمة كالآتي:

– 9 سنوات تعليم أساسي (6 سنوات تعليم ابتدائي و3 سنوات تعليم أساسي).

– 4 سنوات من التعليم الثانوي. سنتان تعليم عام وسنتان تعليم متخصّص؛ وتتوّج هذه السنوات باجتياز امتحانات شهادة البكالوريا وهي شهادة معادلة تقريباً لشهادة ختم الدراسات الثانوية.

(**أنظر الشكل البياني رقم 1**):

فالالتحاق بالتعليم العالي متاح من حيث المبدأ لكلّ من اجتاز ذلك الاختبار بنجاح. أما

تتميّز أنواع المؤسّسات الجامعيّة في تونس بحسب طبيعة المهام والوظائف المسندة إليها قانوناً. فثمة كليات تقدّم تعليماً عاماً متعدّد الاختصاصات، والمدارس العليا للهندسة، والمعاهد العليا، والمدارس التحضيريّة للدراسات الهندسية، والمعاهد العليا للدراسات التكنولوجيّة التي يعهد إليها إعداد كوادر تقنيّة وسطى متعدّدة الاختصاصات، بعثت لتولّي مهمة إنجاز بحوث علميّة متخصّصة.

شكل بياني رقم 1 **مختلف مراحل التعليم في تونس**

التعليم ابتدائي
المدّة: 6 سنوات

التعليم إعدادي
المدّة: 3 سنوات

التعليم ثانوي
المدّة: 4 سنوات

التعليم العالي
الإجازة
المدة: 3 سنوات
الماجستير
المدة: سنتان
الدكتوراه
المدة: 3 سنوات

مناظرة السيزيام
(ختم المرحلة الأولى من التعليم الابتدائي)

مناظرة ختم
التعليم الأساسي
"اختيارية"

مناظرة البكالوريا
(ختم الدراسات الثانوية) "إجبارية"

على الرغم ممّا يحسب لنظام التوجيه الجامعي التونسي من شفافية وحياد، ولا سيّما بعدما أصبحت عملية التوجيه برمتها تسيّرها أنظمة معلوماتيّة لا تسمح بأيّ تدخّل بشري، إلا أن هذا النظام خلق تراتباً في الشعب والمؤسّسات الجامعية فأصبح الطلاب والأولياء يصنّفون الشُّعب إلى شُعب رفيعة وأخرى وضيعة، فتحتل كليات الطبّ وكليات الصيدلة، على سبيل المثال، صدارة الترتيب، في حين تقبع كليات الآداب والإنسانيات والاجتماعيات في قاع السلم. حتى باتت تنعت بأنها مستودع الكسالى، وفي ذلك حطّ من قيمة البحث في هذه المجالات.

إذا رغب في الالتحاق بالاختصاص الذي يرغب فيه فإنه يخضع وجوباً إلى مسابقة للتوجيه يوضع فيها الحائزون على البكالوريا أمام منافسة تحدّدها المعدلات التي حازوا عليها والرصيد الممنوح للشعب، أي الاختصاصات المتوفّرة. وتخاض مناظرة التوجيه الجامعي التي يحدّدها تقريباً ترتيب الطالب في تلك المجموعة وطاقة استيعاب الاختصاص والمؤسّسة التي يرغب الطالب في الالتحاق بها. وعلى هذا النحو يفوز الطلبة صاحب المعدلات المرتفعة عادةً بالشعب ذات الرصيد العالي ولا تبقى للطلبة متوسطي المعدلات إلا الشعب ذات الأرصدة الضعيفة. ولكي تضفي الوزارة على هذه العملية شفافية، تقوم سنوياً بإصدار دليل للتوجيه الجامعي حتى يكون الطلبة على علم بما يقتضيه التوجيه إلى الاختصاصات الجامعيّة المتوفّرة. تعزّز هذه الترتيبات عقلانية التوجيه الجامعي، ولكنها قد لا تأخذ بعين الاعتبار الميولات الذاتية ورغباته ودوافعه. وهي كما نعلم أبعاد ذاتية لا يمكن أن نغفلها في مسار الأفراد وطموحاتهم المعرفية.

ومع ما يحسب لنظام التوجيه الجامعي من شفافية وحياد، وخصوصاً أن عملية التوجيه برمتها أصبحت تسيّرها أنظمة معلوماتيّة لا تسمح بأيّ تدخّل بشري إلا في بعض الحالات الإنسانية المعلّلة، فإن هذا النظام قد خلق تراتباً في الشعب والمؤسّسات الجامعية فأصبح الطلاب والأولياء يصنّفون الشعب إلى شعب رفيعة وأخرى وضيعة، وتتصدر على سبيل المثال كليات الطبّ وكليات الصيدلة صدارة الترتيب، في حين تقبع كليات الآداب والإنسانيات والاجتماعيات قاع السلم. حتى باتت تنعت بأنها مستودع الكسالى، وفي ذلك حطّ من قيمة البحث في هذه المجالات.

وعلى الرغم من حرص **وزارة التعليم العالي** على توفير خيارات متعدّدة من الشعب فلقد حازت بعض الشعب على سمعة وجاذبية ثابتتين، ممّا حال دون تلبية رغبات العديد من الطلاب حتى من كان حائزاً على معدلات عالية، وذلك لمحدودية طاقة الاستيعاب فيها.

3 - التعليم العالي وضغط التحوّلات الديموغرافية:

تشهد البلاد حالياً انتقالاً ديموغرافياً

شكل بياني رقم 2 العدد الإجمالي للطلبة 2002-2010

السنة	عدد الطلّاب	عدد الطالبات
2010-2009	357442	214664
2009-2008	350882	214331
2008-2007	335649	206354
2007-2006	326185	192574
2006-2005	321838	187137
2005-2004	326734	178312
2004-2003	302313	164896
2003-2002	272316	144674

المصدر: وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، بالأرقام - السنة الجامعية، 2009-2010 تونس

عميقاً يتميّز بتراجع الشريحة العمرية الواقعة في ما تحت 15 سنَة أي الأطفال، ولكن تشهد الشريحة العمرية الواقعة ما بين 15 و30 **سنة** مقابل ذلك توسعاً واضحاً. وينعكس هذا التطوّر حالياً على النظام التربوي، إذ أغلق بعض المدارس الابتدائية أو الفصول بسبب تقلص عدد الأطفال، في حين يشهد التعليم العالي إقبالاً مكثفاً كما يبيّن **الشكل البياني رقم** 2، حيث بلغ عدد الطلبة المسجلين 357442 طالباً خلال السنة الجامعية 2009-2010. كما ينعكس هذا التحوّل أيضاً على سوق العمل من خلال نموّ الطلب الإضافي عليه.

في السنة الجامعية 2009 - 2010 بلغ عدد الطلبة كما ذكر أعلاه 357472 طالباً، من بينهم 214664 طالبة، أي بنسبة 60 %. وقد ارتفعت نسبة الفتيات من 58.1 % سنة 2005-2006 إلى نسبة 59 % سنة 2006-2007 كما ارتفعت أيضاً سنة 2007-2008 إلى 59.1 % وواصلت الارتفاع لتصل إلى 5،59 %. ويعود هذا التأنيث اللافت للانتباه إلى عاملين أساسيّين:

– ارتفاع نسب التمدرس العام، وبخاصة لدى الفتيات، إذ بلغت أحياناً في مستوى السنة الأولى من التعليم الابتدائي نسبة 100 %، في حين أنها لم تكن تبلغ خلال الثمانينيّات سوى 70 % بالنسبة إلى الفتيات، وحتى أقل من ذلك في المناطق الريفيّة.

– ارتفاع نسب الانقطاع المدرسي لدى الذكور خلال كامل مراحل التمدرس لأسباب تعود إلى صعوبات التنشئة العائلية للأولاد مقارنةً بالفتيات، بحيث لعبت الثقافة المحافظة دوراً لصالح تعلّم الفتيات. (**أنظر الجدول رقم**1 **والشكل البياني رقم** 3).

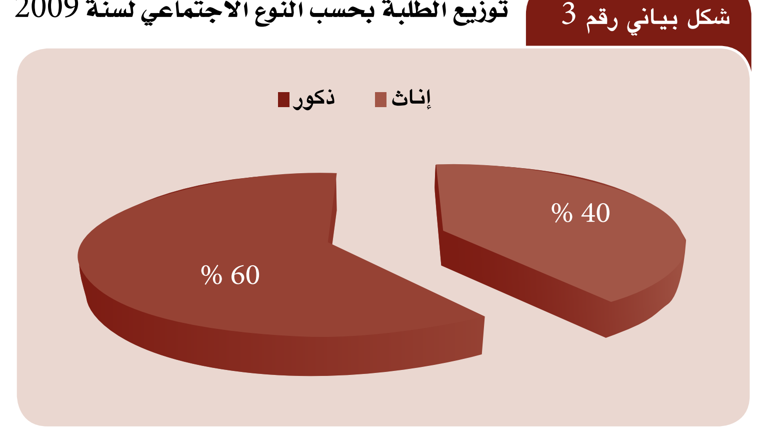
أما الطلبة الذين تقع أعمارهم ما بين19 و24 سنة فقد بلغت نسبتهم 49 % سنة 2009 (أنظر الشكل البياني رقم 4)، وذلك ناجم عن

جدول (1): **توزيع الطلبة بحسب النوع الاجتماعي لسنة 2009:**

النوع الاجتماعي	العدد	النسبة %
ذكور	142802	40
إناث	214664	60
المجموع	357472	100

المصدر: وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، بالأرقام السنة الجامعية،2009-2010. تونس.

شكل بياني رقم 3 **توزيع الطلبة بحسب النوع الاجتماعي لسنة 2009**



المصدر: وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، بالأرقام السنة الجامعية، 2009-2010. تونس.

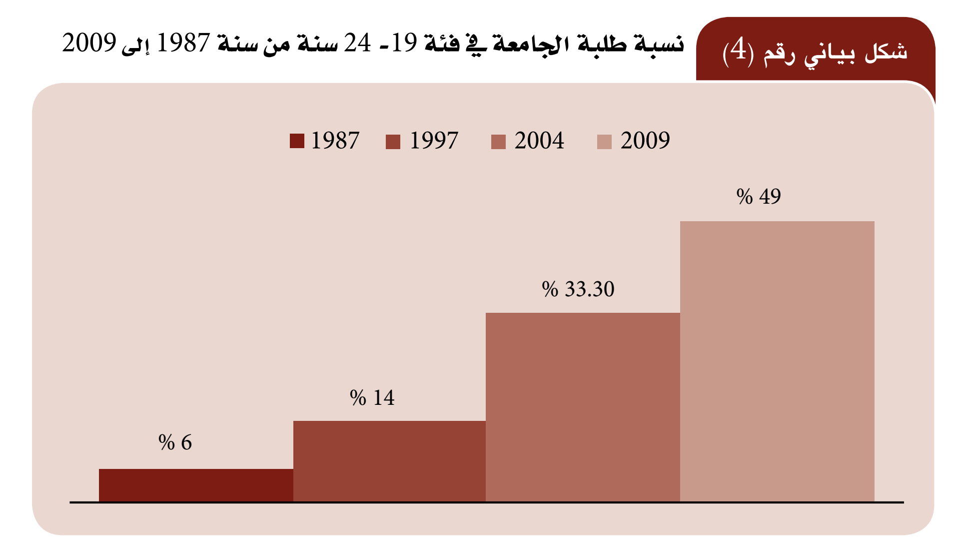
ارتفاع نسب النجاح في جميع مراحل التعليم ونسب النجاح المرتفعة حتى في الجامعة بعد أن ظل "غربال" الانتقاء يحجز التلاميذ والطلاب لسنوات عديدة. فالارتقاء أصبح القاعدة، بينما الرسوب استثناءً، وقد بلغت نسبة النجاح خلال السنة الجامعية 2008-2009 ما يقارب 73.5 %.

وبعد ما يقارب العقدين من إصلاحات التعليم الأساسي والثانوي، غدا الطلبة الملتحقون بالتعليم العالي يقدمون على اختصاصات جامعيّة أكثر تنوّعاً، و خصوصاً أن التعليم الثانوي لم يكن يقترح على التلاميذ إلى حدود أواخر الثمانينيّات سوى تكوينين

ارتفعت نسبة التحاق الفتيات بالمدرسة في تونس (التمدرس) إلى 100 % بعد أن كانت 70 % خلال حقبة الثمانينيّات.

خلال 22 عاماً فقط ارتفعت نسبة الالتحاق بالتعليم الجامعي في تونس (في سن 19-24 سنة) من 6 % إلى 49 %.

شكل بياني رقم (4) نسبة طلبة الجامعة في فئة 19- 24 سنة من سنة 1987 إلى 2009



المصدر: وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، بالأرقام - السنة الجامعية 2009-2010. تونس.

جدول (2): توزيع الناجحين في البكالوريا بحسب الولاية ونوع البكالوريا (2009)

الإقليم	البكالوريا / الولاية	آداب	رياضيات	علوم تجريبية	تقنية	اقتصاد	إعلامية	رياضة	المجموع
إقليم تونس	تونس	1271	1443	1635	752	1774	650	55	7580
	أريانة	669	698	711	246	668	355		3347
	بن عروس	972	666	946	341	803	408		4136
	منوبة	508	320	515	265	482	220		2310
الشمال الشرقي	نابل	1039	703	984	568	956	429	39	4718
	زغوان	307	85	142	152	182	94		962
	بنزرت	954	532	740	345	835	275		3681
الشمال الغربي	باجة	562	223	383	205	320	173		1866
	جندوبة	1298	231	586	280	352	251		2998
	الكاف	894	210	434	196	198	156		2088
	سليانة	693	140	315	185	223	157		1713
الوسط الشرقي	سوسة	1091	623	1105	542	658	303	57	4379
	المنستير	855	590	954	589	530	320		3828
	المهدية	924	232	532	268	259	258	17	2490



تابع جدول (2): توزيع الناجحين في البكالوريا بحسب الولاية ونوع البكالوريا (2009)

الإقليم	البكالوريا / الولاية	آداب	رياضيات	علوم تجريبية	تقنية	اقتصاد	إعلامية	رياضة	المجموع
الوسط الشرقي	صفاقس	1567	1092	1499	749	1129	608	58	6702
الوسط الغربي	القيروان	1353	435	610	294	339	221	44	3296
	القصرين	1042	333	496	240	219	182		2512
	سيدي بوزيد	1542	251	454	322	192	247	27	3035
الجنوب الشرقي	قابس	1169	391	561	316	381	252	11	3081
	مدنين	1265	365	765	374	307	231		3307
	تطاوين	554	143	221	111	115	100		1244
الجنوب الغربي	قفصة	1412	434	599	262	160	252		3119
	توزر	356	90	199	103	110	62		920
	قبلي	671	86	324	164	206	96		1547
المجموع		22968	10316	15710	7869	11398	6300	308	74869

المصدر: وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، بالأرقام، السنة الجامعية 2009-2010. تونس.

اثنين: أحدهما علمي وثانيهما أدبي. إلا أن الاختصاصات المتاحة في الثانوي حالياً تنوّعت كما يشهد على ذلك **الجدول رقم 2**.

أتاح تعدّد الاختصاصات المبكر في مراحل التعليم الثانوي لطلبة الجامعة مسالك وشعباً أكثر تنوّعاً، ودليل ذلك أن عدد الاختصاصات في السنة الجامعية 2010 – 2011 قد ناهز 300 اختصاص كما يبيّن **الجدول رقم 3**.

بحسب ما أشير سابقاً، فإن هذا النموّ المرتفع في عدد الطلبة في جميع المراحل ناجم في اعتقادنا عن جملة من العوامل لعلّ أهمها:

– التحوّل الديموغرافي الذي تشهده البلاد وتحسّن ظروف العيش.

– إسهام تنفيذ إلزامية التعليم في ارتفاع نسب

شكل بياني رقم (5) إجمالي الناجحين في البكالوريا بحسب نوعها

نوع البكالوريا

أدب	رياضيات	علوم تجريبية	تقنية	اقتصاد	إعلامية	رياضة
22968	10316	15710	7869	11398	6300	308

التعليم

جدول (3) الطلبة بحسب مجال الدراسة (التصنيف الدولي):

مجال الدراسة	2005-2006	2006-2007	2007-2008	2008-2009	2009-2010
التربية والتعليم	59476	59588	58892	61777	59708
العلوم الإنسانية والفنون	52462	58945	65769	72799	77384
العلوم الاجتماعية والاقتصادية والقانون	108757	104458	103982	97453	89916
العلوم الطبيعية	40238	38851	40201	37759	35869
العلوم الهندسية	40944	42511	45206	51715	55647
العلوم الزراعية	6822	7013	6422	6652	6839
العلوم الصحية والرعاية الاجتماعية	16847	17629	18642	20217	20733
مجال الخدمات	10330	10205	11714	11800	11376
المجموع	335876	339200	350828	360172	357472

المصدر: وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، بالأرقام، السنة الجامعية،2009-2010. تونس.

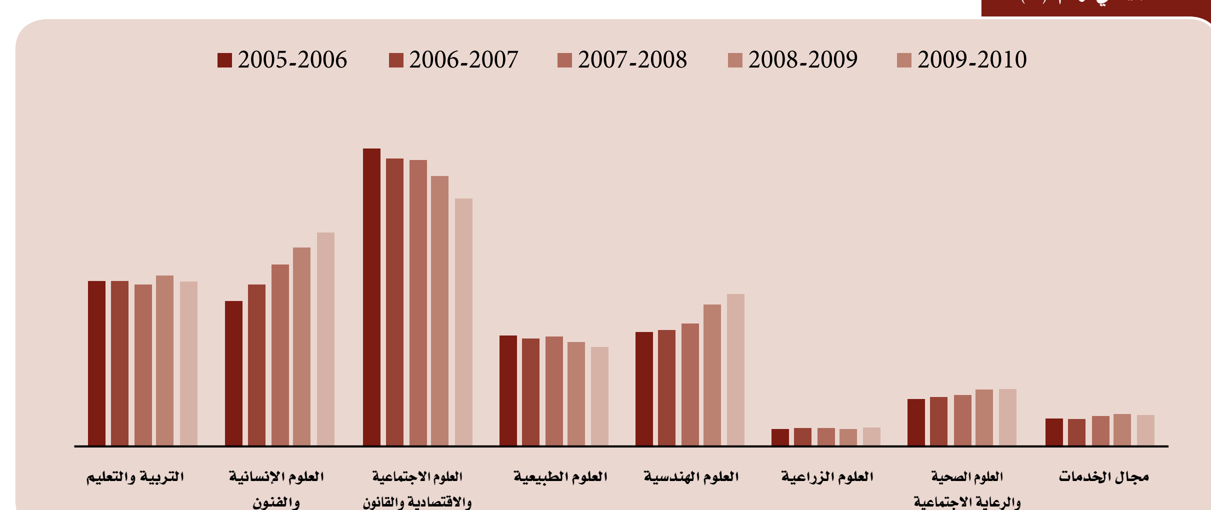
التمدرس عموماً.

– المرونة التي أقرّتها الإصلاحات المتعاقبة من خلال التخلّي عن إجبارية المناظرات وجعلها اختيارية إلى جانب إضافة 25 % من المعدّل السنوي في امتحان البكالوريا، وهو ما جعل البعض يتّهم النظام التعليمي بتبنّي مرونة مخلّة بمعايير الجودة العلمية أحياناً.

4 - هياكل الإشراف والتسيير:

تتوزع مؤسّسات التعليم العالي المختلفة على جامعات عادةً ما تراعي عاملي تكامل الاختصاصات والتوازن الجغرافي بين المناطق. وكان الإصلاح الذي تبنته الوزارة قد أقرّ بضرورة بعث هياكل وسطى في تجنّب للخلل الذي ميّز إدارة التعليم العالي في **تونس**؛ إذ كانت الوزارة في ما سبق تشرف مباشرةً على الجامعات (كان هذا اللّفظ يطلق على الكلّيات)، ولمّا انتشرت مؤسّسات التعليم العالي خارج العاصمة والمركبات الجامعية التقليدية (**تونس وسوسة والمنستيروصفاقس**) خلال التسعينيّات، وعرف عدد الطلبة ارتفاعاً ملحوظاً، تبيّن ضرورة خلق هياكل وسطى سمّيت بالجامعات التي تشرف مباشرة على المؤسّسات الجامعية الراجعة إليها، كما استحدثت إدارة مركزية عامة تشرف على المعاهد العليا للدراسات التقنيّة المنتشرة في جميع محافظات البلاد دعماً للمركزية والعدالة بين المناطق.

شكل بياني رقم (6) توزيع الطلاب بحسب مجال الدراسة في الأعوام 2005 - 2010



غير أنه ومنذ نشأة التعليم العالي في **تونس** خضع بعض المؤسّسات الجامعيّة إلى إشراف مزدوج بين **وزارة التعليم العالي والبحث العلمي** ووزارة أخرى على غرار **وزارة الصحة ووزارة الفلاحة ووزارة الشؤون الاجتماعية.**

ولتخفيف الإشراف المركزي المفرط في البيروقراطية الإدارية والمالية، عمدت الوزارة إلى إحداث جامعات تشرف على المؤسّسات الجامعية من أجل مرونة التصرف الإداري والمالي ولتقريب الخدمات الجامعية للطلاب والإطار المدرّس وجملة المتعاونين الآخرين. فبعثت جامعات عدّة غطّت تقريباً جميع التراب الوطني على أساس تنظيم المؤسّسات الجامعية وتوزيعها إلى أقاليم حتى بلغت 12 **جامعة سنة** 2009 **إلى جانب الإدارة العامة للدراسات التكنولوجية والجامعة الافتراضية.**

لقد بلغت المعاهد العليا للدراسات التكنولوجية 23 **معهداً** فغطت تقريباً كامل محافظات البلاد، وهي تقوم على منح الطالب تكويناً علميّاً وتقنياً متعدّد الاختصاصات بما يتيح له كفاءات ومهارات متنوّعة تهيئه للتأقلم مع مقتضيات سوق العمل. وتهدف هذه المعاهد في الأصل إلى إعداد كوادر وسطى وذلك لتجاوز الخطأ الذي وقعت فيه **الجامعة التونسيّة** منذ عقود، وهو تخريج كفاءات عالية مقابل انعدام الكفاءات الوسطى. ولكن ما لبثت هذه الوصفة أن بيّنت محدوديتها وعدم جدواها، إذ سرعان ما سجّل سوق العمل عدم حاجاته إلى هذا الاختصاص وهذا التكوين، وتحوّل خرّيجو هذه المعاهد إلى "عبء" على الدولة والمجتمع.

يتوزّع الطلبة حينئذ على مؤسّسات جامعيّة مختلفة إما أن تكون تحت إشراف **وزارة التعليم العالي والبحث العلمي** أو تحت

جدول (4): المؤسّسات الجامعيّة وسلطة الإشراف وعدد طلبتها

أ- مؤسّسات تحت إشراف وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

الجامعة والمؤسّسة	عدد الطلبة	منهم الطالبات
جامعة الزيتونة	1573	826
جامعة منوبة	24801	15702
جامعة تونس	29465	18000
جامعة تونس المنار	40754	24400
جامعة 7 نوفمبر في قرطاج	40170	23243
جامعة جندوبة	12226	8506
جامعة سوسة	32597	20407
جامعة المنستير	27455	16587
جامعة القيروان	14584	9195
جامعة قابس	22449	14988
جامعة صفاقس	41136	24333
جامعة قفصة	14889	9031
الإدارة العامة للدراسات التكنولوجية	29387	13350
مجموع المؤسّسات تحت إشراف وزارة التعليم والبحث العلمي	331486	

تقرير التنمية البشرية للعام 2009.

تابع جدول (4): المؤسّسات الجامعيّة وسلطة الإشراف وعدد طلبتها

ب- مؤسسات تحت الإشراف المزدوج:

الجامعة والمؤسّسة	عدد الطلبة	منهم الطالبات
جامعة 7 نوفمبر بقرطاج	8984	6048
جامعة تونس المنار	3424	2660
جامعة سوسة	2425	1679
جامعة المنستير	1564	1314
جامعة منوبة	2482	968
جامعة صفاقس	2848	1539
جامعة جندوبة	2910	1247
جامعة قفصة	474	202
الإدارة العامة للدراسات التكنولوجية	653	308
المؤسّسات ذات الإشراف المزدوج	25986	16096
المجموع العام	357472	214664

المصدر: وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، بالأرقام، السنة الجامعية 2009-2010. تونس.

إشراف مزدوج بين هذه الوزارة أو وزارات أخرى سبقت الإشارة إليها.

وتتوزّع المؤسّسات الجامعية، سواء تلك التي تشرف عليها **وزارة التعليم العالي والبحث العلمي**، أو تلك التي تخضع لإشراف مزدوج بين هذه الوزارة ووزارات أخرى على نحو ما يبيّنه **الجدول رقم** 4:

تستأثر **وزارة التعليم العالي** بالنصيب الأكبر في الإشراف على طلبة المرحلة الأولى والثانية. فعدد الطلبة الذين تشرف عليهم هذه الوزارة في السنوات الأولى الثلاث من التعليم العالي ناهز 100 **ألف** في السنة الأولى، في حين أن عدد الطلبة الذين تشرف عليهم بشكل مزدوج مع وزارات أخرى الوزارات بلغ 7571 طالباً **(أنظر الشكل البياني رقم** 7).

ولم يتغيّر الأمر كثيراً في مراحل ما بعد الإجازة، حيث ظلت وزارة التعليم العالي على جلّ أعمال البحث: ماجستير، دكتوراه، كما يبيّن **الشكل البياني رقم** 8:

إن تعدّد الاختصاصات ومجانيّة التعليم العالي (باستثناء بعض معاليم التسجيل) قد عسّرت مهمة القطاع الخاص، على الرغم من جهده في استحداث اختصاصات لا توفّرها **الجامعة التونسيّة** أصلاً أو توفّرها بطاقة استيعاب محدودة.

تتصدّر **وزارة التعليم العالي والبحث العلمي**، كما تبيّن، قائمة الوزارات التي

شكل بياني رقم (7): طلبة التعليم العالي والبحث العلمي (السنوات الثلاث الأول) بحسب وزارة الإشراف 2008-2009.

	سنة أولى	سنة ثانية	سنة ثالثة
	98480	63450	41323
	7571	5854	1932

المصدر: وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، بالأرقام، السنة الجامعية 2009-2010. تونس.



شكل بياني رقم (8): توزيع طلبة المرحلة الثالثة بحسب وزارة الإشراف سنة 2009 - 2010

	ماجستير مهني	ماجستير بحث	دكتوراه
	12353	20211	8528
	258	1229	652

المصدر: وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، بالأرقام، السنة الجامعية 2009-2010. تونس.

تشرف على طلبة التعليم العالي في جميع مراحله واختصاصاته، فبلغ عدد الطلبة 331486 طالباً، تليها **وزارة الصحّة** التي تتولّى الإشراف على المؤسّسات الجامعية الطبّية أو شبه الطبّية، في حين تحتلّ **وزارة الشباب والرياضة والتربية البدنية** المرتبة الثالثة بإشرافها على طلبة المعاهد الرياضيّة ومؤسّسات التنشيط الثقافي والشبابي كما هو مبيّن في **الجدول** رقم 6:

5 - تطوّر إطار التدريس بحسب الرتبة:

تطوّر عدد إطار التدريس القار حتى بلغ سنة 2009 قرابة 10500.

ولئن سجلت أعلى نسبة في رتبة الأساتذة المساعدين، فإن عدد الإطار المنتمي إلى صنف (أ)، أي عدد الأساتذة المحاضرين والأساتذة، يبدو العدد غير كاف لتأطير طلاب المرحلة الثالثة، أي الماجستير والدكتوراه. وهم وحدهم المخوّل لهم قانوناً

جدول (5): توزيع الطلبة بحسب مجال الدراسة (التصنيف الدولي) والمرحلة: 2009-2010

الشهادة / مجال الدراسة	الإجازة الأساسية	الإجازة التطبيقية	الإجازة التطبيقية بناء مشترك	مرحلة ثالثة: ماجستير بحث	مرحلة ثالثة: ماجستير مهني	مرحلة قصيرة (نظام قديم)	أستاذية	ماجستير مهني	ماجستير بحث	دكتوراه	شهادات أخرى	المجموع
تكوين المكونين وعلوم التربية		1243				53	82	25	209	46		1658
فنون	3303	10521	22	56	149	1731		192	1118	503	2311	19906
آداب	23853	17455	306	239	511	9012		421	4656	1102	495	58050
علوم اجتماعية وسلوكيات	57	6450		55	55		2373	493	1635	846	79	17765

المصدر: وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، بالأرقام، السنة الجامعية 2009-2010. تونس.

جدول (6) توزيع الطلبة بحسب وزارة الإشراف (2009-2010):

الوزارة	عدد الطلبة	منهم طالبات
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي	331486	198568
وزارة الصحة العمومية	8009	6107
وزارة الشباب والرياضة والتربية البدنية	5160	1840
وزارة تكنولوجيات الاتصال	1526	657
وزارة الفلاحية والموارد المائية والصيد البحري	6582	4144
وزارة الشؤون الاجتماعية والتضامن والتونسيين بالخارج	2718	2086
وزارة شؤون المرأة والأسرة والطفولة والمسنين	1122	976
وزارة السياحة	869	286
مجموع الإشراف المزدوج	25986	16096
المجموع العام	357472	214664

المصدر: وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، بـالأرقام، السنة الجامعية،2009-2010. تونس.

تحوّلت الدراسة في المرحلة الثالثة أو حتى في الدكتوراه، بسبب أزمة البطالة الحادة التي عصفت بخرّيجي الجامعات التونسيّة، لم تعد الدراسة تعبّر عن رغبة في مواصلة البحث العلمي، بل باتت من باب التحايل على البطالة وظروف المعاش القاسية. إنها استراتيجيات التأقلم التي تلوذ بمقاعد الدراسة من دون أن يتمّ ذلك عن انخراط في مشروع بحثي. كما تضخّم عدد الطلبة في الدراسات العليا، أي ما بعد الإجازة وما بعد الأستاذية (نظام قديم)، وانعكس ذلك على جودة التحصيل.

القيام بذلك. كما أن "تونسة" الإطار الجامعي الذي تبنّته **الدولة التونسيّة** منذ أواخر الثمانينيّات وبصفة متدرّجة قد حدّت من الالتجاء لهم وانحصر الأمر في اختصاصات اللّغات أو ما شابهها. وإذا تمّت المقارنة ما بين عدد المدرسين سنة 1989 و2009 لتبيّن التطوّر السريع الذي شهدته الرتب الدنيا من المدرّسين، في حين ظلّت الرتب العليا شبه ثابتة، وذلك ما يعكس اختلافاً في المصالح والاستراتيجيات بين مختلف الفاعلين في الحقل الأكاديمي.

ونظراً لأزمة البطالة الحادة التي عصفت بخرّيجي الجامعات التونسيّة، فقد تحوّلت الدراسة في المرحلة الثالثة أو حتى في الدكتوراه، وأصبحت لا تتمّ نتيجة رغبة في مواصلة البحث العلمي، بل بن باب التحايل على البطالة وظروف المعاش القاسية. إنها استراتيجيات التأقلم التي تلوذ بمقاعد الدراسة من دون أن يتمّ ذلك عن الانخراط في مشروع بحثي. لقد تضخّم عدد الطلبة في الدراسات العليا، أي ما بعد الإجازة وما بعد الأستاذية (نظام قديم) وانعكس ذلك على جودة التحصيل، بحيث لم تستطع الجامعة التونسيّة أن توفّر كفاءة إطار تدريس الطلبة والإشراف على بحوثهم كما يبّين **الشكل البياني رقم 9**؛

بلغت نسبة المدرّسين غير القارين نصف الإطار المدرّس المنتدب بصفة رسمية من قبل لجان الانتداب (التوظيف) الوطنية التي لازالت مركزية، ويتمّ انتخابها لمدّة سنتين. كما أدّى ذلك إلى استحداث سلك جديد من المدرّسين هو سلك التكنولوجيّين ومختلف درجاته المهنية. بحيث ناهز عددهم 2000 (**أنظر الجدول رقم 7**).

في المقابل، ثمة صعوبات واجهتها الحكومة تتعلّق بالعبء المالي بخاصة، وصعوبة تلبية رغبات الطلاب في التوجّه إلى

شكل بياني رقم (9) حول مختلف أنماط المدرّسين الجامعيّين ورتبهم

	1987-1986	2003-2002	2010-2009
أستاذ تعليم عالي وأستاذ محاضر	488	1016	1731
أستاذ مساعد ومساعد	1700	6399	11461
اطار طبي جامعي	546	1500	1812
رتب أخرى	647	3738	5918
أجانب	269	284	288

المصدر: وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، بـالأرقام، السنة الجامعية، 2009-2010 - تونس.

الشعب التي يرغبون فيها، وذلك في ظلّ مناخ من الليبيرالية الاقتصادية سمح بالاستثمار الخاص في التعليم العالي، ولو بصفة خجولة منذ سنة 2000، على أثر صدور القانون المنظّم للتعليم العالي الخاص لأول مرّة في البلاد التونسيّة، والذي استُحدثت بمقتضاه أولى مؤسّسات التعليم العالي الخاصة. فبعد عقد من صدور القانون بلغ عدد المؤسّسات 34 **مؤسّسة** يؤمها ما يقارب 12500 **طالب**.

6 - التعليم العالي الخاص:

على الرغم من توفّر التعليم العالي العمومي

جدول (7) المصدر: وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، التعليم العالي والبحث العلمي بالأرقام، السنة الجامعية 2009-2010. تونس.

الرتبة / نوع الانتداب	أستاذ وأستاذ محاضر	مساعد وأستاذ مساعد	محاضر تكنولوجيين	تكنولوجي	مساعد تكنولوجي	إطار الطب الجامعي	رتب أخرى	أجانب	المجموع	منهم مدرسات
مدرسون قارون	1731	7914	42	1213		1811	3153		15864	6599
متعاقدون		3547			744	1	766	288	5346	3796
المجموع	1731	11461	42	1213	744	1812	3919	288	21210	10395

المصدر: وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، بالأرقام، السنة الجامعية،2009-2010. تونس.

وبكلفة زهيدة نسبياً، فإن التعليم العالي الخاص استطاع في ظرف وجيز أن يجد لنفسه مكانة، وذلك راجع إلى بعض العوامل المتعلقة عموماً برغبات الطلاب التي لم يحقّقها التعليم العالي العمومي من خلال منظومة التوجيه الجامعي الإعلامية التي لم تترك مجالاً للرغبات والميولات الذاتية للطلاب بحسب ما تمّت الإشارة إلى ذلك سابقاً. وقد بلغ عدد هؤلاء للسنة الجامعية 2009–2010 نحو 12586 طالباً كما هو مبّين بدقة في الجدول التالي (**جدول رقم** 8). وتجدر الإشارة إلى أن **تونس** تحوّلت إلى فضاء يقصده الطلبة الأفارقة لمواصلة دراستهم الجامعية في هذه المؤسّسات على الرغم من حداثة التجربة.

7 - الخريجون: كثافة لا يحتملها سوق العمل

ارتفعت نسب النجاح في السنوات الأخيرة ضمن ما بات يعرف بسياسة ببيداغوجيا النجاح تجاوزاً لما عرفته **الجامعة التونسيّة** خلال عشريّتي السبعينيّات والثمانينيّات من ارتفاع غير مسبوق لنسب الإخفاق الجامعي، وقد كانت القوانين قبل أن تنقح لاحقاً لا تسمح بالتثليث، أي إعادة السنة الجامعية لثلاث سنوات، ما أسهم في ارتفاع نسب الانقطاع عن التعليم العالي.

جدول (8):

الإقليم	المؤسّسة	عدد الطلبة 2010-2009
تونس	الجامعة الخاصة بتونس	1466
	الجامعة المركزية الخاصة	1506
	المدرسة العليا الخاصة للهندسة والتكنولوجيا	1686
	الجامعة الخاصة لتكنولوجيا المعلوماتية والتصرف في المؤسّسات	887
	الجامعة الخاصة ابن خلدون	807
	الجامعة الخاصة للطيران والتكنولوجيا	589
	المعهد الخاص للدراسات العليا بتونس	511
	الجامعة الخاصة بمنبليزير	347
	الجامعة الخاصة للعلوم والفنون والتقنيات بتونس	253
	الجامعة العربية الخاصة للعلوم	511
	الجامعة الدولية الخاصة بتونس	267
	الجامعية المتوسطية الخاصة بتونس	242
	الجامعة الخاصة للتعليم العالي "أمل"	396
	الجامعة الخاصة للفنون والتصميم بتونس	146
	المعهد العالي الخاص بعلوم التمريض محمود الماطري	192
	الجامعة الخاصة لجنوب المتوسط	128

تابع جدول (8):

الإقليم	المؤسّسة	عدد الطلبة 2009-2010
تونس	المدرسة العليا الخاصة للإدارة والتصرف في الأعمال	81
	معهد تونس دوفين	12
	الجامعة الدولية الخاصة للصحة بتونس	38
	مجموع ولاية تونس	10080
أريانة	جامعة تونس قرطاج الخاصة	248
	مجموع ولاية أريانة	248
نابل	الجامعة المتوسطية الخاصة بنابل	96
	مجموع ولاية نابل	96
القيروان	المعهد العالي الخاص لعلوم التمريض بالقيروان	272
	مجموع ولاية القيروان	272
سوسة	الجامعة الخاصة للعلوم والفنون والتقنيات بسوسة	260
	المعهد العالي الخاص لعلوم التمريض "الأمد"	354
	المعهد العالي الخاص لعلوم التمريض بسوسة	271
	المعهد العالي الخاص لعلوم التمريض نجمة التكوين بسوسة	146
	المعهد الخاص للدراسات العليا بسوسة	107
	المدرسة الخاصة للتقنيات بسوسة	123
	الجامعة الخاصة بسوسة	46
	مجموع ولاية سوسة	1307
صفاقس	الجامعة الخاصة بالجنوب	355
	الجامعة الخاصة للعلوم والفنون والتقنيات بصفاقس	96
	الجامعة الدولية الخاصة للتصرف في الأعمال بصفاقس	62
	مجموع ولاية صفاقس	513
قابس	الجامعة التكنولوجية الخاصة بقابس	70
	مجموع ولاية قابس	70
	المجموع العام للطلبة	12586
	عدد المؤسّسات	34

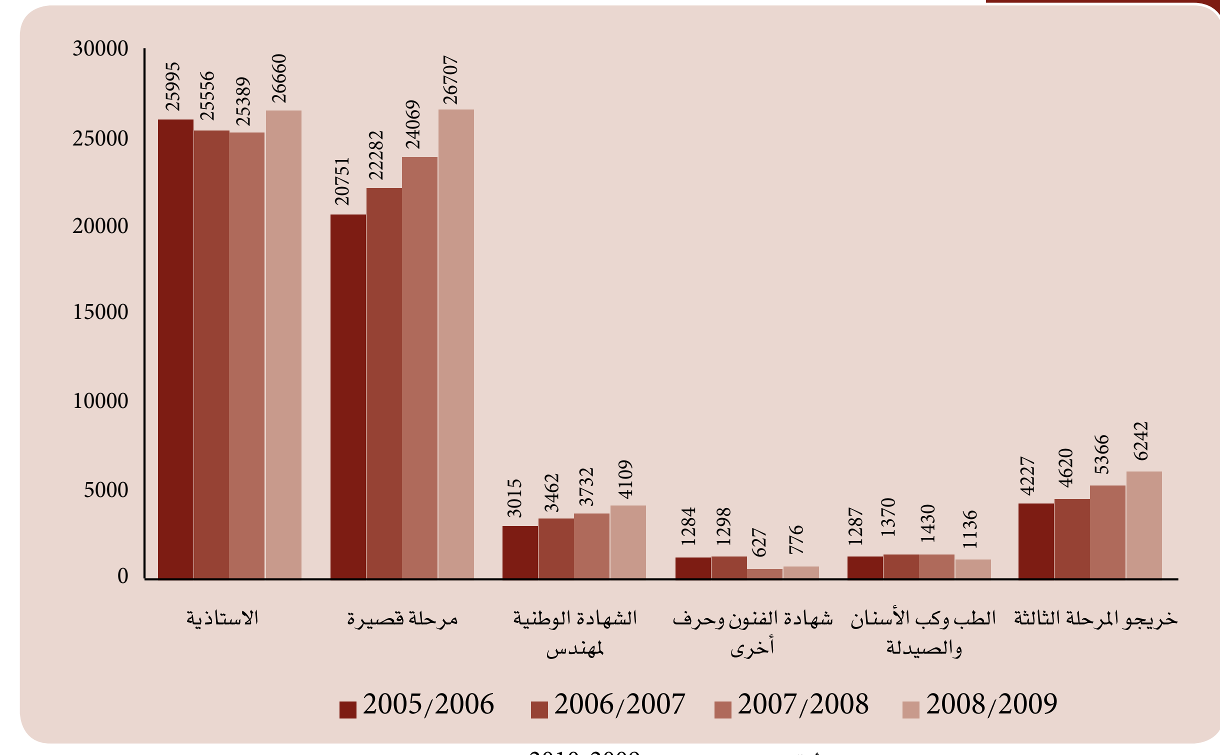
المصدر: وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، بالأرقام، السنة الجامعية:2009-2010. تونس.

بلغ عدد مؤسّسات التعليم الخاص في تونس 34 مؤسّسة يؤمها ما يقارب 12500 طالب، وذلك بعد عقد من صدور القانون المنظّم للتعليم العالي الخاص لأول مرّة في البلاد التونسيّة والاستثمار الخاص في التعليم العالي، الذي بدأ بصورة خجولة منذ سنة 2000. كما استطاع التعليم العالي الخاص في ظرف وجيز أن يجد لنفسه مكانة، فبلغ عدد الطلاب للسنة الجامعية 2009 – 2010 نحو 12586 طالباً، وتحوّلت تونس إلى فضاء يقصده الطلبة الأفارقة لمواصلة دراستهم الجامعية في هذه المؤسّسات على الرغم من حداثة التجربة.

وكان لارتفاع هذه النسب الأثر الكبير في ارتفاع نسب الخريجين وإقبالهم على سوق العمل بشكل منقطع النظير، وذلك في طفرة ديموغرافية استثنائية، سبقت الإشارة إليها، والتي من المتوقّع أن تتجاوزها البلاد بدءاً من العام 2013. وإذا كانت هذه الانعكاسات تطال سوق العمل، فإن التساؤل عن جدوى مستوى الطلاب والقيمة العلمية للشهادات الجامعية يثير لدى الجامعيّين وبعض المنظمات الدولية ذات الصلة الكثير من التحفظات؛ إذ لوحظ تراجع في التحصيل اللّغوي لدى جلّ الطلاب، ناهيك بمعارفهم التي تصبّ في صلب تكوينهم. وظلت المرحلة الأولى من التعليم العالي أو الثانية (نظام أربع سنوات ونظام ثلاث سنوات) تشهد نموّاً عارماً في صفوف الطلبة، إذ سجلت الأستاذية والديبلوم التقني السامي أكثر الاختصاصات تخريجاً للطلبة، وهي في الوقت ذاته أكثر الاختصاصات عرضةً للبطالة (**أنظر الشكل البياني رقم** 10).

وإذ ارتفع عدد الطلاب في مراحل متقدّمة من التعليم العالي (الماجستير والدكتوراه)، وهي التي كانت إلى سنوات قليلة حكراً على النخب المتميّزة، فإن **الجامعة التونسيّة** واجهت بدءاً من منتصف العشرية الماضية معضلات في توفير الموارد البشرية ذات الكفاءة للتدريس والإشراف على البحوث، ما انعكس سلباً على جودة التعليم. كما أن الموارد المادية المحدودة واللّيبيرالية الاقتصادية التي اتبعتها الدولة التونسيّة، خصوصاً في ما يتعلّق بمرونة أشكال التشغيل، قد أوجدت أنماطاً من المدرّسين المتعاقدين الذين يتقاضون أجوراً عادةً ما تكون دون مستوى أجور القارين؛ ذلك أن اغلبهم يشتغل بعقد جزئي (نصف ساعات / نصف أجور)، فضلاً عن الطابع المؤقت للعقد المبرم

شكل بياني رقم (10) تطوّر عدد خريجي التعليم العالي بحسب مستوى الشهادة



المصدر: وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، بالأرقام، السنة الجامعية 2009-2010. تونس.



جدول (9) توزيع الخريجين ونسب التخرّج بحسب وزارة الإشراف والنوع الاجتماعي (من دون احتساب المرحلة الثالثة وشهادات أخرى):

وزارة الإشراف	المترشحون		عدد الناجحين		نسبة النجاح العامة(%)	نسبة النجاح لدى الطالبات (%)
	العدد	منهم طالبات	العدد	منهم طالبات		
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي	60818	38456	53891	34035	88.6	88.5
إشراف مزدوج	5587	3415	5417	3329	97.0	97.5
المجموع	66405	41871	59308	37364	89.3	89.2

المصدر: وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، التعليم العالي والبحث العلمي بالأرقام، السنة الجامعية، 2010-2009. تونس

بينهم وبين وزارة الإشراف، والذي لا يمكن تجديده إلا لأربع مرّات في أقصى الحالات.

وعلى الرغم مّما تتيحه منظومة التعليم العالي العام أو الخاص من خيارات واسعة على مستوى التخصّصات، فإن **الحكومة التونسيّة** قد خصّت الطلبة المتميّزين بمنح تتولّى بمقتضاها الدولة مصاريف دراستهم. كما يبادر الأشخاص من الطبقات المرفهة إلى إرسال أبنائهم إلى الدراسة في دول أجنبية عادةً ما ترتبط تونس معها باتفاقات تعاون علمي، حتى تتيسّر عند التخرّج مسألة معادلة شهاداتهم العلمية. وقد بلغ عدد الشهادات الممنوحة ما يناهز 2250 **شهادة** كما هو مبيّن في **الجدول** رقم 10.

التكوين المستمرّ:

استناداً إلى القانون **عدد**67 **لسنة** 2000، تمّت إضافة مهمة جديدة إلى مؤسّسات التعليم العالي، وهي التكوين المستمرّ، أي أن تحتضن المؤسّسات الجامعيّة تدريب الموارد البشرية للمؤسّسات العمومية والخاصة، وذلك في نطاق شراكة بين المؤسّستين. إلا أنه على الرغم من **رفض**

مع ارتفاع عدد الطلاب في مراحل متقدّمة من التعليم العالي (الماجستير والدكتوراه)، كانت إلى سنوات قريبة حكراً على النخب المتميّزة، واجهت الجامعة التونسيّة بدءاً من منتصف العشرية الماضية معضلات في توفير الموارد البشرية ذات الكفاءة للتدريس والإشراف على البحوث، ما انعكس سلباً على جودة التعليم العالي.

جدول (10) المعادلات الممنوحة للشهادات الأجنبية خلال سنة 2009

ميدان الدراسة / الشهادة	تقني سامي	إجازة أساسية وتطبيقية	أستاذية	مهن طبية	شهادة مهندس	مرحلة ثالثة	المجموع
علوم اقتصادية	17	39	241			272	569
علوم قانونية		7	66			136	209
آداب وعلوم إنسانية		67	105		397	126	298
علوم أساسية وهندسة	14	50	33			297	791
اختصاصات أخرى			3			17	20
علوم طبية	169			195	397	2	366
المجموع	200	163	448	195		850	2253

المصدر: وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، بالأرقام، السنة الجامعية 2009-2010. تونس.

التعليم

الجامعـة العامة للتعليم العالي والبحث العلمـي، بوصـفها الهيـكل النقابي الذي يمثل الجامعيّين، تمّ إنجاز هذه المهمّة.

8 - ميزانية وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

تتولّى الدولة تمويل التعليم العالي كلياً من خلال ما يرصد **لوزارة التعليم العالي والبحث العلمي** أو وزارات **الإشـراف** الأخـرى علـى غـرار **وزارة الصحة ووزارة الفلاحة** وغيرها من الوزارات المشـار إليهـا سـابقاً. لكـن منذ بدايـة العشرية السابقة، بدأت الدولة تتخلّى تدريجياً عن بعض الخدمـات الجامعيـة ذات الصـبغة الاجتماعية التي كانـت تقدّمها للطلبة، ومـن أبرزها خدمة السـكن الجامعي التي أوكلت في قسط منها إلى اسـتثمار القطـاع الخاص. الأمر الـذي ولّد أزمة حـادة في قطـاع السـكن الجامعـي واسـتفحال ظاهرتَـيْ الاسـتغلال الفاحش للطلبـة وارتفاع نسـبة التغيّـب لـدى الطـلاب محـدودي الدخل. وتعدّ النسـبة المخصّصة لميزانية التعليم العالي والبحث العلمي نسبةً محترمة مقارنةً بالمعايير الدوليـة، ولكـنّ قواعد الحوكمـة والعقلانية هي التـي أخلّت بالتصرف السـليم في هذه الميزانية **(راجع جدول رقم** 12).

جدول (11) **توزيع الطلبة بحسب الجامعة ونوع التكوين ومرحلة الدراسة** (2009-2010)

الجامعة	مرحلة الدراسة نوع التكوين	مرحلة أولى	مرحلة ثانية	مرحلة قصيرة	مهندس	مرحلة ثالثة	المجموع
تونس	تكوين مستمر			992		64	1056
	تكوين عن بعد						
	المجموع			992		64	1056
تونس المنار	تكوين مستمر				69		69
	تكوين عن بعد				85		85
	المجموع				154		154
جامعة تونس الافتراضية	تكوين مستمر						
	تكوين عن بعد	1125	1040	102			2267
	المجموع	1125	1040	102			2267
7 نوفمبر بقرطاج	تكوين مستمر						
	تكوين عن بعد						
	المجموع						
منوبة	تكوين مستمر						
	تكوين عن بعد	189					189
	المجموع	189					189
جندوبة	تكوين مستمر						
	تكوين عن بعد	176					176
	المجموع	176					176
صفاقس	تكوين مستمر		138	80	209	94	521



تابع جدول (11) **توزيع الطلبة بحسب الجامعة ونوع التكوين ومرحلة الدراسة** (2009/2010)

الجامعة	مرحلة الدراسة نوع التكوين	مرحلة أولى	مرحلة ثانية	مرحلة قصيرة	مهندس	مرحلة ثالثة	المجموع
	تكوين عن بعد					134	134
	المجموع		138	80	209	228	655
قفصة	تكوين مستمر	187	114	4			305
	المجموع	187	114				305
قابس	تكوين مستمر						
	تكوين عن بعد						
	المجموع						
المعاهد العليا للدراسات	تكوين مستمر			663			663
التكنولوجية	تكوين عن بعد			76			76
	المجموع			739			739
		376	252	1739	278	158	2803
		1301	1040	178	85	134	2738
		1677	1292	1917	363	292	5541

المصدر: وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، بالأرقام، السنة الجامعية،2009-2010. **تونس.**

سوق العمل واندماج خرّيجي التعليم العالي فيه ومعضلة البطالة

1 - سوق العمل: الملامح العامة والخصائص

يقـود التحليـل المتـأنّي لسـوق العمـل في تونس، وخصوصاً في ما يتعلّق بمنزلة حاملي الشـهادات الجامعيـة العليـا فيـه، إلى نتيجـة مهمّـة تفيد بأن هـذه الفئة تمثـل قرابة 16 % من 3,7 مليون ناشـط. هذه النسـبة تضـاعفت في أقلّ من عشر سـنوات، وهـو ما يبرهن على الضـغط المتزايد الـذي مثله الخريجـون هؤلاء علـى سـوق العمل. لقد تضـاعفت نسـبة بطالة أصحاب الشهادات الجامعية خلال تلك الفترة، فارتفعـت مـن 8 % سـنة 1999 إلى 22 % سـنة 2008، وتشـير تقديرات إلى أرقـام أعلى، خصوصـاً لدى خريجي الاختصاصات الأدبية والإنسانية والاجتماعية.

لم يحقّـق التعليـم العـالي لخرّيجيه حراكاً اجتماعيـاً صـاعداً، بـل حدث عكس ذلك حين

جدول 12 ميزانية وزارة التعليم العالي والبحث العلمي لسنة2009

العنوان	ميزانية الدولة	قطاع التعليم العالي	قطاع البحث العلمي	المجموع	نسبة ميزانية التعليم العالي والبحث العلمي من ميزانية الدولة (بحساب المليون دينار تونسي)
العنوان الأول	12845.5	818.596	30.513	849.109	% 6.61
العنوان الثاني	4402.0	190.310	71.718	262.028	% 5.95
موارد الحسابات الخاصة في الخزينة	987.5				
المجموع	18235.000	1008.906	102.231	1111.137	% 6.1

المصدر: وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، بالأرقام، السنة الجامعية،2009-2010. تونس.
(ملاحظة: الدينار التونسي = 0.70 دولار)

بدأت الدولة التونسيّة منذ بداية العشرية السابقة، تتخلى تدريجيا عن بعض الخدمات الجامعية ذات الصبغة الاجتماعية التي كانت تقدّمها للطلبة، ومن أبرزها خدمة السكن الجامعي التي أوكلت في قسط منها إلى استثمار القطاع الخاص. الأمر الذي ولد أزمة حادة في قطاع السكن الجامعي واستفحال ظاهرتَيْ الاستغلال الفاحش للطلبة وارتفاع نسبة التغيّب لدى الطلاب محدودي الدخل.

حوّلهم إلى أول ضحايا البطالة. فمن بين ما يقارب 600 ألف خريج جامعيّ يوجد أكثر من 128000 عاطل عن العمل. أي أن حوالى ربع العاطلين عن العمل هم من خريجي الجامعات. أما بالنسبة للبقية الأخرى من أصناف العاطلين فإنها ظلت شبه ثابتة بل منخفضة أحياناً، فتراجعت بالنسبة إلى حاملي الشهادات الثانويّة من 18 % إلى 12 %، وظلّت هذه النسبة شبه ثابتة بالنسبة إلى أصحاب مستويات التعليم الابتدائي، أي في حدود 15 %. تثبت كلّ هذه الأرقام أن أزمة البطالة العميقة تكاد تخصّ أصحاب الشهادات الجامعيّة العليا. وعلى الرغم من التحفيزات والإجراءات التي اتّخذتها الدولة في هذا المجال فقد ظلّ الحصاد هزيلاً. فما يجعلنا نستنتج مبدئيا عجز هذه السوق عن امتصاص واستيعاب هذا الطلب وإشباع حاجة هؤلاء إلى الشغل. ويتواصل الضغط حتى بعد الثورة.

على خلاف ما كانت تصرّح به المصادر الحكومية قبل الثورة من أن نسبة البطالة تتراوح ما بين 13 أو 14 %، عمدت الحكومة الانتقالية إلى تصحيح هذا الرقم وقدّمت أرقاماً مغايرة تصل فيها نسبة البطالة إلى 30 % سنة 2009، وقد تكون بلغت قبل الثورة 45 % بالنسبة إلى حاملي الشهادات العليا[1]. وهذه التقديرات لا تبتعد كثيراً عن الأرقام التي قدّمها البنك الدولي بالتعاون مع وزارة التشغيل التونسيّة، حيث بلغت نسبة العاطلين عن العمل من حاملي شهادة تقني سامي 50 %.

فالباحثة الفرنسية التي تناولت الاقتصاد التونسي في أكثر من مؤلف بياتريس هيبو Beatrice Hibou تقدر عدد الوافدين إلى سوق العمل سنوياً بـ 140000 وافد، في حين لا تستطيع الدولة عرض سوى 80 ألف موطن عمل. ومن بين 140000 طالب عمل، ثمة 70000 يحملون ديبلوماً جامعيّاً و40000 خريج مدارس تدريب مهنّي ومراكز تأهيل و30000 من دون أيّ معرفة أو تكوين.

لقد فقدت تونس بعد الثورة نتيجة الفلتان الأمني وحركة الاحتجاجات والإضرابات العشوائية ما بين 150000 و200000 إضافة إلى ما يقارب 100 ألف شخص عادوا مرحلين من **ليبيا** إثر الحرب التي اندلعت فيها.

1-Hibou Beatrice، La Tunisie d'après le 14 janvier et son économie politique et sociale. Les enjeux d'une reconfiguration de la politique européenne. Réseau Euro-méditerranéenne des droits de l'Homme. Copenhague.2011.



2 - قاعدة البيانات والتحليل الوصفي

تعود جميع الدراسات الوطنية أو حتى الدولية التي تتناول معضلة بطالة أصحاب الشهادات الجامعية، وبلا استثناء، إلى البحثين المنجزين خلال سنتي 2004 و2007 من قبل **وزارة التشغيل والبنك الدولي** على عيّنة ممثلة من خريجي **الجامعة التونسيّة** دفعة 2004 لمعرفة اندماجهم في سوق العمل[1]. وبحسب الأرقام التي وردت، فإن البطالة لم تستثنِ أيّ صنف من أصناف حاملي الشهادات الجامعية العليا كما عصفت تحديداً بحاملي الشهادات العليا، ولاسيما التقنيّين الساميّين (نظام قديم)؛ حيث بلغت نسبة البطالة لدى هذه الفئة ما يقارب 50 %. وعلى خلاف ما كان مأمولاً من إصلاحات 1993، حين تمّ إحداث **معاهد العليا للدراسات التكنولوجية** (تعليم عالٍ يدوم ثلاث سنوات)، فإن خريجي هذه الاختصاصات التقنيّة هم من أكثر الناس عرضةً للبطالة. أما الاختصاصات الموجّهة إلى القطاع الثالث كالتصرف والمحاسبة والمالية والحقوق، فإن نسبة البطالة بلغت 68 %.

أما الاختصاصات التقنية، فقد تميّزت مجموع الاختصاصات المرتبطة بالفلاحة والصناعات الغذائيّة ببطالة متباينة في حدود 70 % لدى التقنيّين الساميّين و30 % لدى المهندسين.

وعلى الرغم من هذا المشهد القاتم، فإن القطاع العمومي مازال يشكّل المشغل الأول لأصحاب الشهادات العليا. إذ إن 71 % من الشباب الحاصلين على تلك المؤهلات يشتغلون في القطاع العمومي. فقطاع التربية، كما تبيّن سابقاً، يشغل ما يناهز 66 % من هؤلاء، في حين يشغل قطاع الصحة 18 %. فيما لا يزال القطاع الخاص يشغل 48 % في أحسن الحالات.

3 - بطالة متفاوتة

لئن شملت البطالة جميع الشُعَب ومن دون استثناء، فإنها ظلّت متفاوتة نسبياً من اختصاص إلى آخر، بسبب ثلاثة عوامل هي: نوعية الاختصاص، حاجة سوق العمل إلى الاختصاص، نوعية الاختصاص، وقدرة الأفراد على بناء مساراتهم الفرديّة في الاندماج في سوق العمل كالبحث عن مصادر المعلومة والتسجيل في مكاتب التشغيل والمتابعة..إلخ. والملاحظ أن حاملي شهادة تقني سام هم أكثر الخريجين عرضةً للبطالة، وخصوصاً أن تكوين هؤلاء الخريجين كان على أساس مدّ مؤسّسات النسيج الصناعي الخاص بمؤهّلات ترفع من نسب الكفاءلت لديهم. وعلى الرغم من ذلك، فإن هذا القطاع ظلّ متحفّظاً من هذه المهنة مفضلاً في كثير من الأحيان خريجي مراكز التدريب المهني بدعوى أنهم أكثر حرفية ومهنية ناهيك

على ما يقارب 600 ألف خريج جامعة يوجد أكثر من 128000 عاطل عن العمل. أي أن حوالى ربع العاطلين عن العمل هم من خريجي الجامعات. أما بالنسبة إلى البقية الأخرى من أصناف العاطلين فإنها ظلت شبه ثابتة بل منخفضة أحياناً، إذ تراجعت بالنسبة إلى حاملي الشهادات الثانويّة من 18 % إلى12 % ، وظلّت هذه النسبة شبه ثابتة بالنسبة إلى أصحاب مستويات التعليم الابتدائي، أي في حدود 15 %. كل هذه الأرقام تثبت أن أزمة البطالة العميقة تكاد تخصّ أصحاب الشهادات الجامعية العليا.

خلافاً لِما كانت تصرّح به المصادر الحكومية قبل الثورة بأن نسبة البطالة تتراوح ما بين 13 أو 14 %، عمدت الحكومة الانتقالية إلى تصحيح هذا الرقم وقدّمت أرقاماً مغايرة تصل فيها نسبة البطالة إلى 30 % سنة 2009، وقد تكون بلغت قبل الثورة 45% بالنسبة إلى حاملي الشهادات العليا.

1 – نشرت نتائج البحثيين في مجلدين الأول سنة 2008 و هو الآتي:
Ministère de l'emploi et de l'insertion professionnelle des jeunes et la Banque Mondiale، Dynamique de l'emploi et adéquation de la formation parmi les diplômés universitaires، volume I. Tunis2008.

أما المجلد الثاني فتن نشره سنة 2009 وهو:
Ministère de l'emploi et de l'insertion professionnelle des jeunes et la Banque Mondiale، Dynamique de l'emploi et adéquation de la formation parmi les diplômés universitaires، Insertion des jeunes diplômés universitaires .Promotion 2004. Analyse comparative des résultats de deux enquêtes (2005-2007).Document Conjoint du Ministère de l'emploi et l'insertion professionnelle des jeunes et de la Banque Mondiale. Tunis. Juillet 2009.

بأجورهم الأقل تكلفة.

كما يلعب القطاع العمومي الذي يظلّ أكبر المشغلين دوراً مهمّاً في انتداب حاملي الأستاذية وتوظيفهم. فقطاع التربية والتعليم ينتدب سنوياً ما يعادل 4000 إطار تدريس. ويبدو أن الخريجين لا يتساوون أمام البطالة، وأن هذه اللامساواة لا تنجم عن اختلاف الرأسمال الاجتماعي المعبأ في البحث عن شغل (علاقات العائلة، النفوذ الجهوي الذي ينتمي إليه الفرد، حظّ المنطقة من التنمية....)، بل إن طبيعة الاختصاص تلعب في كلّ ذلك الدور الأهم. على هذا النحو فإن ديبلوم الهندسة وديبلوم الهندسة المعمارية وغيرها تمنح فرصاً عالية من الاندماج في سوق الشغل كما يبيّن الجدول التالي (**جدول رقم** 13). ولذلك بذلت الدولة جهداً استثنائياً واتخذت إجراءات استثنائية عدّة لدعم تشغيل حاملي الأستاذية والتقنيّين الساميّين، وهو ما سينعكس على تطوّر نسبة التشغيل الجيدة المسجلة في هذين الصنفين. وعلى الرغم من ذلك، تظلّ نسبة البطالة تفتك بأكثر من 40 % من أصحاب شهادات التقنيّين الساميّين .

لقد بدأت البطالة بالإتيان على إعداد غفيرة من خرّيجي الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية منذ بداية التسعينيّات كخريجي الجغرافيا والتاريخ وعلم الاجتماع وعلم النفس، ثم امتدّت لتشمل الاقتصاد والحقوق وظلّت خلال تلك العشرية اختصاصات الهندسة والطب والصيدلة بمنأى من تلك الظاهرة. ولعلّ الإجراءات التي أقدمت عليها وزارتا التربية والتعليم العالي في الحدّ من توجيه تلاميذ الثانوي وطلاب الجامعات إلى تلك الشعب قد أنتجت هجرة مكثفة نحو الشعب التقنية والعلمية كما يوضح الشكلين البيانيّين رقم12 و13. ولكن ما لبثت البطالة أن شملت هذه الشعب هي أيضاً، حتّى أن اختصاصات نبيلة مثل الصيدلية والطب تتخبّط حالياً في هذه الأزمة الحادة، كما سيتبيّن في الفصل القادم.

جدول (13) **توزيع نسب الاشتغال بعد مدد متفاوتة :**

نوع الديبلوم	نسبة من اشتغل بعد 18 شهراً من الحصول على الديبلوم	نسبة من اشتغل بعد 3سنوات من الحصول على الديبلوم	تطوّر نسب التشغيل
تقني سام	43.1	59.7	16.6
الأستاذية	3 .38	60.4	22.1
ديبلوم الهندسة	63.5	81.5	18.0
ديبلوم الهندسة المعمارية	6. 82	92.9	10.3
دكتوراه الطب	69.8	78.7	8.9
الأستاذية في الفنون الجميلة	45.9	62.4	16.5
ديبلوم معلم ابتدائي	100	100	100
المجموع	43.1	62.3	19.2

Ministère de l'emploi et de l'insertion professionnelle des jeunes et la Banque Mondiale. Dynamique de l'emploi et adéquation de la formation parmi les diplômés universitaires. Insertion des jeunes diplômés universitaires .Promotion 2004. Analyse comparative des résultats de deux enquêtes (2005-2007).Document Conjoint du Ministère de l'emploi .et l'insertion professionnelle des jeunes et de la Banque Mondiale. Tunis. Juillet 2009



شكل بياني رقم (11) **نسبة البطالة لخريجي 2004 حسب الاختصاص**

الاختصاص	18 شهر بعد الحصول على الشهادة	3 سنوات ونصف بعد الحصول على الشهادة
استاذية	49	32
تقني سامي	50	36
إجازة في الفنون الجميلة	31	27
طبيب	20	18
مهندس معماري	9	4
مهندس	18	10

Ministère de l'emploi et de l'insertion professionnelle des jeunes et la Banque Mondiale. Dynamique de l'emploi et adéquation de la formation parmi les diplômés universitaires. volume .I. Tunis 2008

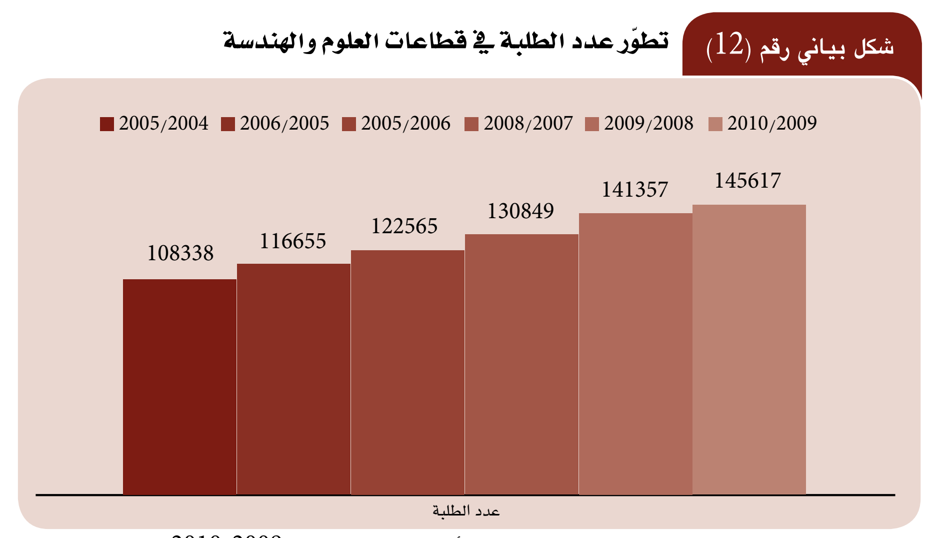
أما وقد شملت البطالة شعب الهندسة تلك فقد هجرها الطلبة نحو شعبتيّ الإعلام والملتيميديا والاتصالات.

سجّل في **تونس** ارتفاع في نسب التشغيل العام من 43 % سنة 2005 إلى 63 % سنة 2007. حيث اشتغلت بعد ثلاث من حاملي الشهادات العليا من جملة خمس بعد ثلاث سنوات ونصف من تخرجهم من الجامعة. هذا التحسن الطفيف شمل الشبان والشابات ولكنه كان أكثر بروزاً عند الرجال ذلك أنه بعد ثلاث سنوات من الحصول على الديبلوم بلغت نسبة النساء االبطالة 38 % في حين كانت النسبة عند الرجال 25 %.

الخاتمة : الإحباط التناسبي

لم يعد الحصول على ديبلوم ضمانة للعمل

شكل بياني رقم (12) **تطوّر عدد الطلبة في قطاعات العلوم والهندسة**

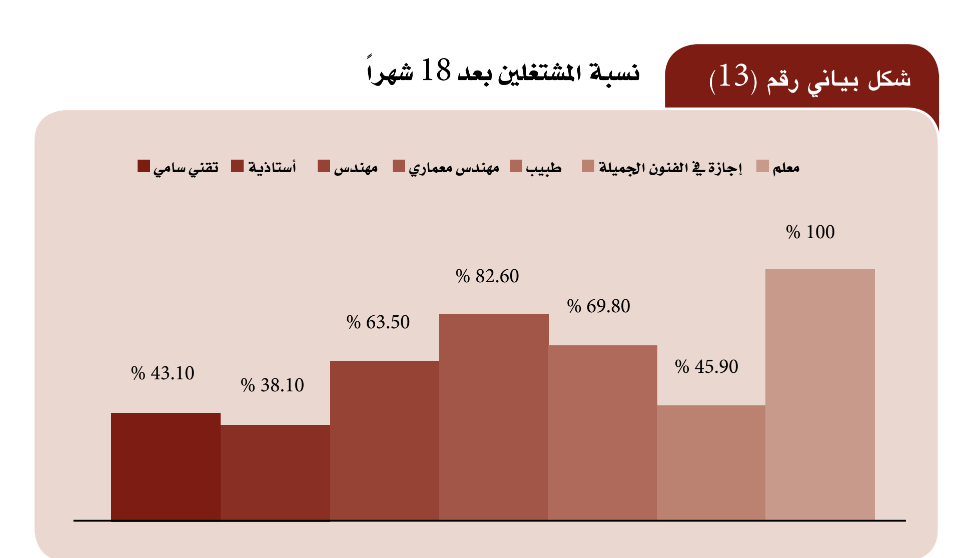


المصدر: وزار المصدر: وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، بالأرقام، السنة الجامعية، 2009-2010. تونس.

كمــا كان عليه الحــال خلال العقــود الثلاثة التي تلت الاســتقلال. ففــي أوســاط الشــباب المتخرّج حديثــاً من التعليــم العالي والباحــث أول مرّة عن عمــل، تتضــاعف نسـبة بطالة خرّيجــي الجامعة 19 مرّة مقارنةً بنسـبة البطالة لدى الشـباب غير المتعلم أو ممّن له مستوى تعليم لا يتجاوز التعليم الابتدائــي. ولقد ارتفعت سـبة العاطلين عن العمل مــن بين حاملي الشــهائد العليا ثــلاث مرات بين سنة 1999 و2009، أي من 8،6 % إلى 23،3 %.

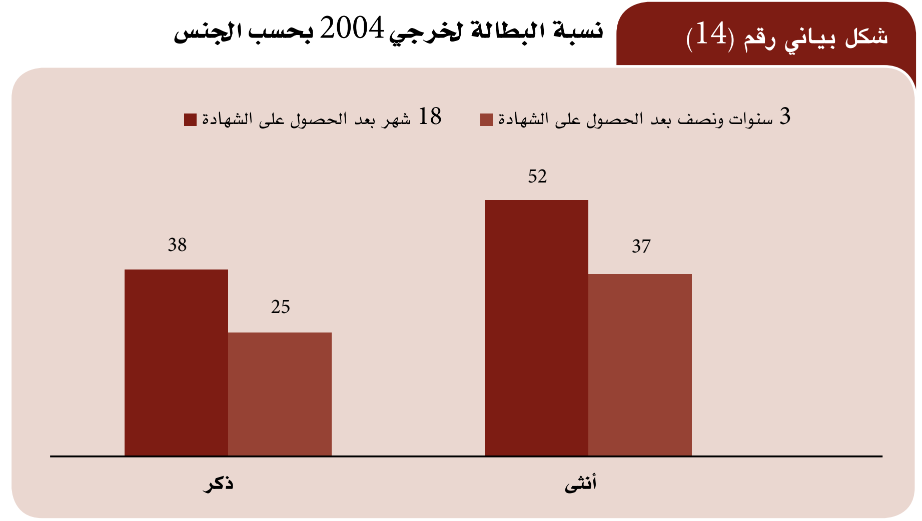
لقد عمدت الحكومــة المؤقّتة بعد **ثورة 14 كانــون الثاني/ينايــر** إلى القيــام بجملــة من الإجراءات الاستثنائية من أجل الحدّ من أزمة بطالة أصــحاب الشــهادات العليا، خصوصــاً بعد قيام هؤلاء بحركات احتجاجيّة متواصلة

شكل بياني رقم (13) **نسبة المشتغلين بعد 18 شهراً**



Ministère de l'emploi et de l'insertion professionnelle des jeunes et la Banque Mondiale. Dynamique de l'emploi et adéquation de la formation parmi les diplômés universitaires. volume I. Tunis 2008.

شكل بياني رقم (14) **نسبة البطالة لخرجي 2004 بحسب الجنس**



Ministère de l'emploi et de l'insertion professionnelle des jeunes et la Banque Mondiale. Dynamique de l'emploi et adéquation de la formation parmi les diplômés universitaires. volume I. Tunis 2008.



مــن ضــمن منظمــات وجمعيــات نشــأت بعد الثورة مســتفيدةً من مَنــاخ الحريّات. فأقبلت، وبصفة إرادية قد لا تأخذ بعين الاعتبار قدرة الاقتصــاد التونســي، على توظيــف ما يقارب 35 ألفاً من حاملي الشهادات الجامعية وكان التعليــم والإدارة العمومية من أبرز القطاعات اســتيعاباً لهــؤلاء. كما عمّمــت الحكومة، وفي ســابقة هــي الأولى، منحــة بطالــة علــى مــن بقــي مــن دون عمــل شريطــة أن تتوفّــر فيــه جملــة شروط؛ وهذا، إلى جانــب القيام بجملة مــن التحفيــزات لحــثّ القطــاع الخاص على توظيفــه. وعلى الرغم مــن كلّ الجهد المبذول، فإن الغالبية العظمى من العاطلين لم تشملهم تلــك الإجــراءات. فــإذا بلغ عــدد العاطلين عن العمــل، أي ممّــن تقدمــوا بمطالــب إلى هياكل وزارات التشــغيل 508 ألــف عاطــل عن العمل ســنة 2007، فــإن عــدد هــؤلاء بلــغ 740 ألفاً **في شهر أيار/مايو** 2011، أي بعد 5 أشــهر من انــدلاع الثــورة. وقد ســجلت مناطــق الجنوب الغربي والشــمال الغربي للبلاد نسبة قياسية في البطالة بلغت 28 %.

بلغ عدد العاطلين من حاملي تلك الشهادات مــا ينــاهز 200 ألف عاطل عــن العمل من جملة 740 ألــف عاطل، ما يجعل المنــاخ الاجتماعي قابــلاً للانفجــار ثانيــة. وقــد يكون هــذا الأمر عائقــاً دون إنجــاز التحــوّل الديموقراطي الذي تشهده البلاد.

وستمثل بطالة حاملي الشهادات الجامعية العليــا معضــلة لتونس خلال العشريــة القادمة ولربمــا في مــا بعد، وذلــك للنموّ السريــع لقوة العمل من جهة ولكثافة المتخرجين من الجامعة من جهة ثانية. فخلال العشرية الحالية سترتفع نسبة قوة العمل بنسبة 1.8 % سنوياً، بما يحتّم إســتحداث 87000 موطــن عمــل للإبقــاء علــى عــدد العاطلين ثابتــاً علــى الأقل. كما أن نســبة مهمّة مــن هؤلاء هم من خرّيجــي الجامعات، و يتوقّع أن يرتفع عدد الحاصلين على شــهادات جامعية مــن 70 ألفاً تقريبــاً في 2006–2007 إلى حــدود 80 ألفــاً في 2011. ففي حين تمكّنت **وزارة التكويــن المهنــي والتشغيل** مــن إدمــاج 30256 عاملاً في العام 2009، فإنها لم تتمكن مــن إدماج ســوى 22435 في العــام 2010، أي بتراجع تقدر نسبته بنحو 25.8 % [1].

بيّنــت تلك المعضلــة أن الدولة لم تقدر على صياغة استراتيجية طويلة المدى للتصرف في التوجيه الجامعي واســتحداث الاختصاصــات بمــا يتوافــق مــع حاجــات الاقتصــاد، وظلّــت تتصــرف حالــة بحالــة، وتوّجــل الأمــر حينــاً وتتجنّــب الأســوأ حينــاً آخــر. وقــد منحهــا كلّ ذلــك قدرة هائلة على التأجيل أدّت إلى إشــعال الثــورة العارمــة التــي كــانت بطالة أصــحاب الشــهادات الجامعية والتهميش أبرز أســبابها. وإذ اســتطاعت الحكومة المؤقّتة أن تشــغل منذ اندلاع الثورة أكثر من 35000 عاطل عن العمل جلّهــم في القطاع الخاص، فــإن عدد العاطلين عن العمل من أصــحاب الشــهادات الذي بلغ ما يزيــد على 200 ألف صــاحب شــهادة، ســيظل العــبء الثقيــل علــى أيّ حكومــة قادمــة في ظــلّ انكماش النمــوّ إلى درجة الصــفر وتراجع الاستثمار الداخلي والخارجي الذي يقترض أن يكون قاطرة التشــغيل. وستكون منحة البطالة التي أقرّتها الدولة لفائدة هؤلاء مســكّناً موّقتاً لا يؤخّر الوجع إلا إلى حين.

وحين تتعطّل المدرســة كمصــعد اجتماعي ينتظــر منهــا أن تحقّــق للفئــات الاجتماعيــة الفقيرة والمهمشــة نقلــة في معاشــها، وحــين تصبح الشــهادات العلمية وبالاً على صاحبها، يكــون ذلك مــن أســباب الخيبــة النســبية التي تناولتهــا العلــوم الاجتماعيــة في الســنوات الأخــيرة متأثــرة بأعمــال عــالم الاجتمــاع الأميركي ألفن توفلــر **Alvin Toffler**، والتي منها استوحينا العنوان.

بلغ عدد العاطلــين عن العمل، أي ممّن تقدموا بمطالــب إلى هياكل وزارات التشــغيل 508 ألــف عاطــل ســنة 2007، ثم بلــغ عدد هــؤلاء 740 ألفاً في شــهر أيار/مايــو 2011، أي بعد 5 أشهر من اندلاع الثورة. وســجلت مناطــق الجنــوب الغربــي والشــمال الغربي للبلاد نسبة بطالة قياسية في ذلك حين بلغت 28 %.

1–Ministère de la formation professionnelle et de l'emploi. Tableau de bord de l'Emploi 2010. Tunis.2010.

البيبليوغرافيا

- **Banque africaine de développement**, Révolution Tunisienne: enjeux et perspectives économiques, Afdb, Notes économiques, 11 Mars 2011.
- **Ben Halima Mohamed Ali, Yusuf Kocoglu, Bassem Ben Halima**, Insertion des diplômés universitaires en Tunisie. Comparaison Public- Privé. Centre d'Etudes de l'Emploi(CEE). Paris. Juin 2010.
- **Lakhoua fayçal**, l'insertion des jeunes diplômés et le rendement des investissements dans l'enseignement supérieur. Cas du Maroc et de la Tunisie. Research FEM 33-24. IACE. Femise research programme 2008- 2010.Tunisia, October 2010.
- **Ministère de l'Enseignement Supérieur**, Les indicateurs l'enseignement supérieur.(2004- 2010).Tunisie.
- **Ministère de l'emploi** et La Banque Mondiale, Dynamique de l'emploi et adéquation de la formation parmi les diplômés universitaires. Volume I:Rapportsur l'insertion des diplômés de l'année 2004. Document conjoint du ministère de l'emploi et de la banque mondiale. Tunis. Juillet 2009.
- **Touhami Habib**, L'enseignement supérieur en Tunisie. Evaluation de la qualité. Région MEDA.Projet Tempus 300092. 2002.



التعليم

لبنان

خريطة التعليم العالي في لبنان

يوجد في **لبنان** 44 مؤسّسة للتعليم العالي، واحدة منها رسمية. وقد جرى الترخيص للكثير منها (35 مؤسّسة) وبدأت عملها خلال السنوات العشر الماضية. فيما هناك 8 جامعات تاريخيّة، مضى على تأسيسها أكثر من 50 سنة. في المقابل ثمة 4 مؤسّسات جامعيّة مُرخَّص لها رسمياً لكنها لم تُمنح الإذن لإعطاء شهادات جامعيّة، و3 معاهد جامعيّة للدراسات الدينيّة[1].

بأثر من الشلل الذي أحاط بأداء الدولة في الآونة الأخيرة، لم تجرِ إعادة نظرٍ في كثير من رُخَص هذه المؤسّسات الخاصة للتعليم العالي (وقد صدرت على مراحل آخرها في العام2009)، على الرغم من أنها استنفدت قانونياً مهلة الحصول على ترخيص بالتحوّل إلى معاهد جامعيّة، التي تنتهي في العام2011. إذاً، مجموع مؤسّسات التعليم العالي الخاصة هو 44 مؤسّسة، تضمّ ما يزيد على 110 آلاف طالب.

إضافة الى ذلك، يقدّر إحصاء رسمي صدر عن وزارة التربية اللّبنانية بعنوان "إنجازات 2010" وجود 351 معهداً فنّياً، لكنّه لا يوضح

يوجد في لبنان 44 مؤسّسة للتعليم العالي، واحدة منها رسميّة، وقد جرى الترخيص للكثير منها (35 مؤسّسة) وبدأ العمل فيها خلال السنوات العشر الماضية. وهناك 8 جامعات تاريخيّة، مضى على تأسيسها أكثر من 50 سنة. هذا فضلاً عن 4 مؤسّسات جامعيّة مُرخّص لها رسميا لم تُمنح الإذن لإعطاء شهادات جامعيّة، و3 معاهد جامعيّة للدراسات الدينيّة..

جدول (1) (أ) **توزّع طلاب مؤسّسات التعليم العالي بحسب الجنس والجنسية للعام** 2010-2009

الجامعة	ذكر	انثى	المجموع	لبناني	غير لبناني	المجموع
الجامعة اللبنانية	25279	47534	72813	65381	7432	72813
جامعة بيروت العربية	9928	6196	16124	7431	8693	16124
جامعة القديس يوسف	3492	5839	9331	8971	360	9331
الجامعة الاميركية	3770	3753	7523	5953	1570	7523
جامعة الروح القدس الكسليك	3090	3715	6805	6684	121	6805
الجامعة اللبنانية الاميركية	2840	2610	5450	4430	1020	5450
جامعة الإمام الأوزاعي	2088	2277	4365	632	3733	4365
الجامعة الإسلامية في لبنان	3225	2311	5546	3534	2012	5546
الجامعة العربية المفتوحة	2411	1664	4075	3892	183	4075
الجامعة اللّبنانية الدولية	7655	6051	13706	12814	892	13706

1 – عن مؤسّسة "الدولية للمعلومات" و موقع دائرة التعليم العالي
http://www.higher-edu.gov.lb/arabic/privuniv/personal_univ.html

جدول (1) (ب) توزّع طلاب مؤسّسات التعليم العالي بحسب الجنس والجنسية للعام 2009-2010

الجامعة	ذكر	انثى	المجموع	لبناني	غير لبناني	المجموع
المجموع العام للطلاب في لبنان	84648	96202	180850	151489	29361	180850

ما إذا كانت تندرج كلّها ضمن **التعليم المهني العالي**، كما يتجنّب إعطاء تقدير لعدد الطلبة فيها !

للتذكير، يوجد في لبنان جامعة رسمية واحدة، تتوزّع كلّياتها وفروعها على مدن عدّة. تضمّ هذه الجامعة 17 كلّية، ويبلغ مجموع فروع كلّياتها 50 فرعاً.

وفي المجموع، هناك قرابة 180 ألف طالب جامعي، تقدّر نسبتهم إلى عدد السُكّان بنحو 4 %.

يلاحظ في الجدول أعلاه، أن الجامعة اللّبنانية الرسمية تضمّ قرابة 40 % من مجموع طلبة **التعليم العالي**، ما يؤكّد أهمية **التعلم الرسمي العالي**، بمعنى أن مشكلاته تنعكس على التعليم العالي (وتالياً على **سوق العمل**) أكثر من أيّ مؤسّسة خاصة. من ناحية ثانية، فإن وجود نحو 60 % من المنخرطين في التعليم العالي في مؤسّسات خاصة، يشير إلى قوة هذا القطاع، ولاسيّما أن **سوق العمل** محكوم أيضاً بالقطاع الخاص (بشكل أساسيّ).

وبذلك ترتسم صورة توحي بشبكة متداخلة من العلاقات المتّصلة بالنشاط الفردي الخاص (العائلة، المرتبة الاجتماعية، الدين...)، تصل ما بين التعليم العالي وسوق العمل.

يلاحظ أيضاً أن الإناث يحقّقن زيادة طفيفة على الذكور، إذ يمثّلن قرابة 53،2 % من مجموع المنخرطين في **التعليم العالي**. في المقابل، ثمة زيادة كبرى في عدد الإناث في الجامعة الرسميّة، إذ تفوق أعدادهنّ الذكور بنحو 1.8 أضعاف، وهي أعلى كثيراً من نسبتهنّ في مجمل **التعليم العالي**. ويعني ذلك أن المجتمع يتيح للإناث تعليماً عالياً، لكنه ينفق أكثر على **التعليم العالي للذكور**. وينسجم ذلك مع تسيّد الثقافة الذكورية ومرادفاتها في السياسة والاقتصاد والاجتماع، في الدول العربيّة.

للبنان جامعة رسمية واحدة، تضمّ 17 كلية، ويبلغ مجموع فروع كلّياتها 50 فرعاً، تتوزّع على مدن عدّة. وثمة قرابة 180 ألف طالب جامعي، تقدّر نسبتهم إلى عدد السُكّان بنحو 4 %.

شكل بياني رقم (1) المجموع العام لطلاب الجامعات اللبنانية بحسب الجندر

47%
53%
إناث
ذكور



ويُشكل الطلبة الأجانب نسبة تقارب 16.24 % من هذا المجموع، مع التنبيه إلى أن هذه النسبة تقارب 11.4 % في الجامعة الرسميّة. ويعني ذلك وجود ميل لدى الطلبة الأجانب نحو مؤسّسات القطاع الخاص. وقد أدّت الأحداث الأخيرة في سورية إلى زيادة معدل الطلبة السوريّين في هذه المؤسّسات، خصوصاً أن المعاهدات الموقّعة بين البلدين (**سورية ولبنان**) في إطار علاقاتهما المميّزة (وهو ما أقرّته اتفاقية الطائف في 1989)، تُسهل دخول الطلبة السوريّين إلى هذه المؤسّسات، خصوصاً الرسميّة منها. ولا تتوافر حاضراً أرقامٌ دقيقة عن هذه الظاهرة، وهي تحتاج إلى مزيد من التدقيق، سواء لدراسة ملامحها بحدّ ذاتها، أم لرسم علاقاتها مع سوق العمل. ويؤدي هذا إلى ملامسة أحد جوانب خصوصية التواجد الفلسطيني في لبنان، الذي يقدّر بقرابة 332 ألف شخص، ما يشكل 8.33 % من إجمالي السكان.

على الرغم من وجود بعض الفوارق الطفيفة، إلا أن صورة التعليم العالي تظهر الملامح نفسها بالنسبة لخرّيجي هذا القطاع، كما يتبيّن عند مطالعة الجدول التالي عن خريجي **التعليم العالي** وتوزيعهم بين الجنسين في العام الدراسي 2008 – 2009:

ثمة تقارب في نِسب الخريجين بين

ثمة زيادة كبرى في عدد الإناث في الجامعة الرسميّة، إذ تفوق أعدادهنّ الذكور بنحو 1.8 أضعاف، وهي أعلى كثيراً من نسبتهنّ في مجمل التعليم العالي. ويعني ذلك أن المجتمع يتيح لهنّ تعليماً عالياً، لكنه ينفق أكثر على التعليم العالي للذكور.

جدول (2) أعداد خريجي التعليم العالي في لبنان

الجامعة	ذكر	انثى	المجموع
الجامعة اللّبنانية	2885	7613	10498
جامعة بيروت العربية	2214	1456	3670
جامعة القديس يوسف	721	1300	2021
الجامعة الأميركية	803	953	1756
جامعة الروح القدس الكسليك	470	680	1150
الجامعة اللّبنانية الأميركية	751	652	1403
جامعة سيدة اللويزة	522	389	911
جامعة الإمام الأوزاعي	180	174	354
الجامعة الإسلامية في لبنان	289	231	520
الجامعة العربية المفتوحة	219	145	364

الجامعة	ذكر	انثى	المجموع
المجموع العام	13152	16595	29747

شكل بياني رقم (2) أعداد خريجي التعليم العالي في لبنان بحسب الجندر

القطاعين الرسمي والخاص، وكذلك الحال في ما يخصّ النسبة بين الذكور والإناث. فتصل نسبة الخريجين في الجامعة اللبنانية إلى 14.42 %. وتحقّق الخريجات نسبة 16 %، وهي تزيد قليلاً عن نظيرتها لدى الذكور التي تبلغ 11.41%. وفي المجموع العام، تصل نسبة الخريجين إلى 16.4 %، وهي أعلى قليلاً أيضاً بين الإناث، حيث تصل إلى 17.2 %، وهي عند الذكور تقارب 15.5 %.

والحال أن وثائق كثيرة (أنظر مثلاً وثيقة تعليم المرأة في العالم العربي في موقع "**مكتبة الإسكندرية**" على الإنترنت bibalex.org)، تؤكّد أن المرأة العربية تحقّق تقدّماً عالياً على الذكور في المراحل الأولى من التعليم، لكن النسبة تتراجع تدريجياً في التعليم الثانوي والعالي، ثم تنقلب لمصلحة الذكور في المراحل الأكاديمية العليا من **التعليم العالي**. ويُفسّر ذلك أحياناً بأن أعباء الزواج والعائلة تلقى تقليدياً على المرأة.

في المقابل تتساوى نسبة الذكور والإناث في الهيئات الإدارية للتعليم العالي، لكن الذكور يتفوّقون بوضوح في الكادر التعليمي بنسبة تقارب 1.7 أضعاف، ما يعكس هيمنة ذكورية قوية على المسار الأكاديمي في مرحلة **التعليم العالي**.

جدول (3) توزّع طلاب مؤسّسات التعليم العالي بحسب الجنس والجنسية للعام 2009-2010

الجامعة	ذكر في الهيئة الإدارية	أنثى في الهيئة الإدارية	مجموع أفراد الإدارة	ذكر في الهيئة التعليمية	أنثى في الهيئة التعليمية	مجموع أفراد هيئة التدريس
المجموع العام	2917	2909	5826	10317	6070	16387

تابع جدول (3) توزّع طلاب مؤسّسات التعليم العالي بحسب الجنس والجنسية للعام 2009-2010

الجامعة	الذكور في الهيئة الإدارية	الإناث في الهيئة الإدارية	مجموع أفراد الإدارة	الذكور في الهيئة التعليمية	الإناث في الهيئة التعليمية	مجموع الأفراد هيئة التدريس
الجامعة اللبنانية	834	1059	1893	3400	1826	5226
جامعة بيروت العربية	418	125	543	364	302	666
جامعة القديس يوسف	197	319	516	1077	824	1901
الجامعة الاميركية	162	250	412	656	393	1049
جامعة الروح القدس الكسليك	29	63	92	598	356	954
الجامعة اللبنانية الاميركية	228	236	464	126	84	210
جامعة سيدة اللويزة	11	25	36	363	233	596
جامعة الامام الاوزاعي	26	12	38	61	5	66
الجامعة الاسلامية في لبنان	29	13		337		
الجامعة العربية المفتوحة	27	23	50	170	80	250
الجامعة اللبنانية الدولية	342	197	539	623	350	973

المصدر: مؤسّسة "الدولية للمعلومات"، عن أفراد الهيئات الإدارية والتعليمية في مؤسسات التعليم العالي في العام 2009-2010، مع توزيعهم بحسب الجنس أيضاً.

شكل بياني رقم (3) إجمالي الهيئة الإدارية بحسب الجندر



تتساوى نسبة الذكور والإناث في الهيئات الإدارية للتعليم العالي اللبناني، لكن الذكور يتفوّقون بوضوح في الكادر التعليمي بنسبة تقارب 1.7 أضعاف، ما يعكس هيمنة ذكورية قوية على المسار الأكاديمي في مرحلة التعليم العالي.

شكل بياني رقم (4) إجمالي الهيئة التعليمية بحسب الجندر

صورة مُدهشة: جامعة رسميّة مقابل عشرات الجامعات الخاصة والمعاهد والكلّيات الجامعية. من النظرة الأولى، يُطلّ المشروع الفردي اللّبناني، وتعبيره في السوق هو القطاع الخاص، بوصفه مهيمناً على **التعليم العالي** في **لبنان**. هل إنه انطباع متسرّع وخادع؟ ربما، لكن باتجاه القول بأن التأمل في هذا المشهد يقود إلى تأكيد هيمنة المشروع الفردي وثقافته وسوقه واقتصاده على المشهد التعليمي بأكمله في لبنان. واستباقاً،

يقود تأمل المشهد التعليمي إلى تأكيد هيمنة المشروع الفردي وثقافته وسوقه واقتصاده على هذا المشهد بأكمله في لبنان.

جدول (4) توزيع طلاب المؤسّسات الخاصة للتعليم العالي على الاختصاصات في العام 2009-2010، مع ملاحظة التوزيع بحسب الجنس أيضاً

الاختصاص	ذكر	انثى	المجموع
التربية والتعليم	6336	17268	23604
العلوم الإنسانية والفنون	504	1739	2243
العلوم الاجتماعية والاقتصادية والقانون	7634	14002	21636
العلوم الطبيعية	4118	8471	12589
العلوم الهندسية	5626	2985	8611
العلوم الزراعية	59	188	247
العلوم الصحّية والرعاية الاجتماعية	863	2328	3191
مجال الخدمات	159	553	712
المجموع	25299	47534	72833

المصدر: مؤسسة الدولية للمعلومات



جدول (5) توزيع طلاب المؤسّسات الخاصة للتعليم العالي على الاختصاصات في العام 2009-2010، مع ملاحظة التوزيع بحسب الجنس أيضاً

الاختصاص	ذكر	انثى	المجموع
التربية والتعليم	5693	8477	14170
العلوم الإنسانية والفنون	2129	3222	5351
العلوم الاجتماعية والاقتصادية والقانون	27118	19468	46586
العلوم الطبيعية	1648	2663	4311
العلوم الهندسية	17374	6095	23469
العلوم الزراعية	36	107	143
العلوم الصحّية والرعاية الاجتماعية	3790	7304	11094
مجال الخدمات	1728	1333	3061
المجموع	59516	48669	108185

فمنذ المراحل الأولى، هناك مسلّمة مُضمَرَة في النظام التعليمي بأن الفرد هو مَن يختار مساره في النظام التعليمي بدءاً بالحضانة، مروراً باختيار الدبلوم (والمستوى الجامعي) الذي يرى أنه مناسب لعمله، ووصولاً إلى الهجرة نحو المراكز الغربيّة لدوافع وأهداف شتّى، إلا أنها تتمحور دوماً حول الفرد وخياراته.

في أمثلة لا تخلو من دلالة، يلاحظ أن مجموع دارسي الهندسة الميكانيكيّة في الجامعة الرسمية اللّبنانية هو 603 **طلاب**، ترتفع نسبة الذكور بينهم بقوّة فتفوق الإناث بقرابة 6.3 **أضعاف**. في المقابل، يصل المجموع في الجامعات الخاصة إلى 1963 **طالباً** (أكثر من القطاع الرسمي بقرابة 3.3 **أضعاف**)، ما يعني أن المجتمع يرى مصلحة أكبر في توظيف جهوده واستثمارها في الجامعات الخاصة في هذا النوع من التخصّصات العلميّة المتطوّرة، مفضلاً بذلك الذكور على الإناث. ويتكرّر الأمر نفسه في الهندسة الكهربائيّة التي يصل مجموع دارسيها في الجامعة الرسمية إلى 135 **طالباً**، مع نسبةٍ للذكور تفوق الإناث بقرابة 15.9 **أضعاف**! ويصل إجمالي دارسي هذا الفرع في المؤسّسات الخاصة إلى 1373 **طالباً** (بنسبة تفوق نظيرتها في التعليم الرسمي بضعف يبلغ 10.2، ومع تفوّق الذكور بنسبة 5.27 **ضعفاً**) مقارنةً بالإناث. ويلاحظ أن هذه النسبة أقلّ من نظيرتها في القطاع الرسمي، ما يتفق مع الميل العام لإنفاق المصادر الاجتماعية على المؤسّسات التعليمية الخاصة، في التخصّصات التي تحظى بمكانة أعلى في تفكير المجتمع. وفي الهندسة الإلكترونيّة، يصل إجمالي الدارسين فيه ضمن الفرع في الجامعة الرسميّة إلى 591 **دارساً**، مع نسبة تفوّق للذكور بقرابة 15.9 **أضعاف**. والمفارقة أن إجمالي أعداد دارسي هذا الفرع في مؤسّسات التعليم الخاصة هي 122 **دارساً**، (هم أقل من نظرائهم في التعليم الرسمي بمقدار 4.8 **أضعاف**)، فيما يتفوّق الذكور على الإناث بمقدار 19.3 **أضعاف**!

يفوق عدد الطلاب الذكور في فروع الهندسة الميكانيكيّة والهندسة الكهربائية والإلكترونيّة في الجامعة الرسميّة اللّبنانية أو الجامعة الخاصة عدد الإناث، من ذلك تفوّق عدد الذكور على عدد الإناث بنسبة 15.9 أضعاف في الهندسة الكهربائيّة في الجامعة الرسميّة وبنسبة 5.27 ضعفا للخاصة، وبنسبة 15.9 أضعاف للهندسة الإلكترونيّة في الرسمية و19.3 أضعاف في الخاصة . فيما تنقلب هذه الصورة في التخصّصات الأكثر "لُطفاً" وربما الأقل مكانة في تفكير المجتمع أو أقل ربحيّة، مثل الإعلان واللّغة الإنكليزية.

تنقلب هذه الصورة في التخصّصات الأكثر "لُطفاً" وربما الأقل مكانة في تفكير المجتمع أو أقل ربحيّة. فيصل مثلاً، مجمل دارسي الإعلان إلى 318 **طالباً**، معظمهم من الإناث بنسبة 2.42 **ضعفاً**. ويصل دارسو الاختصاص نفسه في مؤسّسات التعليم الخاص إلى 554 دارساً (يفوق التعليم الرسمي بـ 1.74 **ضعفاً**)، كما تتفوّق الإناث فيه بمقدار الضعفين تقريباً. وكذلك الحال بالنسبة لمن يدرس تعليم اللّغة الإنكليزية، الذين يصل عددهم في الجامعة الرسمية إلى 215 **دارساً**، مع تفوّق الإناث بمقدار ساحق هو 106.5 **أضعاف**! ويصل العدد في مؤسّسات التعليم الخاص إلى 241 **دارساً**، ما يساوي نظيره في الجامعة الرسمية، وتحتفظ فيه الإناث بتفوّق مقداره 17.5 **أضعاف**.

عن "شهادة الثانوية العامة" والتباساتها

ربما يفيد إلقاء نظرة سريعة على التعليم ما قبل الجامعي، كي تتوضّح صورة التعليم العالي في لبنان. واستباقاً أيضاً، يلاحظ من الأرقام التي ترد أدناه، وجود كثير ممّا يسمى بـ"نقاط الدخول والخروج" في هذا النظام، والذي تديره عملياً فكرة الفرد بمعطاها اللّبناني. ويعطي هذا الأمر سيولة ومرونة كبيرة للفرد، لكنه يطرح إشكاليات بالنسبة إلى عدالته والقدرة على تطويره والإشراف عليه والتثبّت من مستواه، وكذا الحال بالنسبة إلى تنسيق جهوده مع التنمية العامة للمجتمع، إذا وُجدت؛ في ظلّ نظام اقتصادي لا يستسيغها فعلياً.

فبحسب إحصائيات "المركز التربوي للبحوث والإنماء" للعام 2010، يضمّ لبنان 1365 **مدرسة وثانوية رسميّة**، وما يزيد على 1400 **مدرسة وثانوية خاصة**، ما يصل في المجموع إلى ما يربو على 2765 **مدرسة وثانوية**. يعمل في هذه المؤسّسات قرابة 90 **ألف معلم**، ويفوق عدد المتعلمين فيها النصف مليون تلميذ. يضاف الى هذا، 105 **مدارس** ومعاهد تقنيّة رسميّة، فيها ما يربو على 12500 **مدرس** وقرابة 38 **ألف تلميذ**؛ مع وجود 351 **مدرسة** ومعهداً تقنيّاً من القطاع الخاص، يعمل فيها قرابة 7000 أستاذ وإداري.

في المقابل، لا يذكر التقرير رقماً دقيقاً عن الدارسين في المعاهد الخاصة، وكذلك الحال بالنسبة إلى عدد التلامذة في المدارس والثانويات الخاصة، ما يعني أن الوزارة لديها فكرة تقريبيّة غائمة عن عدد التلامذة في هذه المرحلة!

ويصبح الأمر شائكاً مع تذكّر إلزامية التعليم في مرحلتيه الابتدائية والمتوسطة التي يفترض أن تستمر 9 **سنوات** وأن تنتهي بنيل "الشهادة الرسمية المتوسّطة".

السؤال هو: كيف يجري تتبّع مسألة الإلزامية؟ هل هناك أرقام حقيقيّة حولها؟ تجد هذه الأسئلة شيئاً من مبرراتها من أرقام "**مؤشرات التنمية البشرية في 2008 برنامج الأمم المتّحدة للتنمية**" التي تضع **لبنان** في المرتبة 88 من بين 177 دولة يشملها البرنامج، مع الإشارة إلى أن تقرير "**إنجازات** 2010" الذي يقدّر إجمالي عدد المتعلمين في **لبنان** بنحو مليون ومائتي ألف شخص.

ترتفع حدّة الأسئلة عند النظر في مسألة "شهادة الثانوية العامة"، التي يشار إليها أيضاً باسم "البكالوريا القسم الثاني". وحاضراً، تشمل المرحلة الثانوية 3 سنوات دراسية، تبدأ بالصفّ الأول الثانوي ("سيكوند" في تسمية ذات اشتقاق فرنسي)، ثم ينتقل الطالب إلى الصفّ الثاني الثانوي (مازال يحمل اسم "بكالوريا أولى" لأن النظام سابقاً كان يعطي شهادة خاصة عن هذه المرحلة)، الذي يتفرّع إلى اختصاصين هما الإنسانيات والعلوم. ثم تتفرّع نهاية المرحلة الثانوية إلى 4 تخصّصات هي الآداب والألسنيات، والاقتصاد والاجتماع، والعلوم العامة وعلوم الحياة. وكنموذج على ذلك، يمكن التوصّل إلى مجموعة من الخلاصات بمطالعة أعداد الطلاب في نهاية المرحلة الثانوية، مع ملاحظة توزيعهم جندرياً[1].

وفي قراءة سريعة، تطلّ الوقائع التالية:

– يظهر تقارب نسبيّ بين عدد الإناث والذكور عند نهاية المرحلة الثانوية التي يزيد عدد طالباتها على 21 **ألفاً**، مع رجحان نسبيّ للإناث لكونهنّ يشكّلن 55.51% من الإجمالي.

– ثمة غلبة بسيطة في عدد الإناث في المرحلة الثانوية، مع تركّزهنّ في فرع الفنون والإنسانيات بالمقارنة مع الذكور (بمعنى أن معظم الطلاب في هذا القسم إناث) بنسبة 5.03 طالبات لكلّ طالب، على الرغم من أن نسبتهنّ من بين مجموع الإناث عند نهاية مرحلة الثانوية العامة هي أقلّ من 12 %.

– يحقّق الذكور غلبة راجحة في قسم العلوم العامة، إذ يوجد 3.2 **طالب** لكلّ طالبة.

وتتقارب معدلات الإناث والذكور في قسم العلوم العامة، وكذلك الحال تقريباً بالنسبة إلى فرع الاجتماع والاقتصاد الذي يتفوّق على الفروع جميعها في عدد طالباته (46.56 % من إجمالي إناث نهاية المرحلة الثانوية) وطُلابه (41.21 % من إجمالي ذكور نهاية المرحلة الثانوية). ولا تخفى العلاقة بين تفوّق الذكور في الفروع العلميّة لمرحلة التعليم الثانوي، مع تكرّر الأمر نفسه في التخصّصات العلمية في التعليم العالي. كما تتأكّد المعطيات عينها عند النظر في أعداد الفائزين بشهادة نهاية المرحلة الثانوية، وتطوّرها في السنوات الأخيرة.

لا تخفى العلاقة بين تفوّق الذكور في الفروع العلميّة لمرحلة التعليم الثانوي في لبنان، مع تكرّر الأمر نفسه في التخصّصات العلمية في التعليم العالي. كما تتأكّد المعطيات عينها عند النظر في أعداد الفائزين بشهادة نهاية المرحلة الثانوية، وتطوّرها في السنوات الأخيرة.

في هذا السياق، ربما كان من المهمّ التذكير بأن الأصل في الأشياء أن الاختيار ينبع من الطالب وقدراته، إضافة الى ما يحرزه من علامات في المواد المتّصلة بالفروع المختلفة. وهناك مساحات مفتوحة كبيرة. إذ يتصل الأمر أيضاً بتوجّه المدرسة وأساتذتها ومديريها، وبالعلاقات معهم أيضاً! ولكن، مع وجود مدارس ثانوية خاصة، إضافة الى طلبة التعليم المهني، ومع التشابك بين العلاقات الاجتماعية بمعطياتها من جهة، ومؤسّسات التعليم من جهة ثانية؛ لا يعدم الطالب فرصة لتحقيق رغبته في الذهاب إلى القسم الذي يريده، لكنه يزن الأمور بميزان قدراته الذاتية أيضاً! لا يعدم الدلالة وجود أرقام تشير إلى أن مجموع الفائزين

جدول (6) **التوزيع الجندري للطلاب (إناث وذكور) في نهاية المرحلة الثانوية في العام** 2008

الفروع الثانوية	إناث			ذكور		
	العدد	نسبتهنّ من إجمالي الإناث	نسبتهنّ من إجمالي عدد الطلاب	العدد	نسبتهم من إجمالي الذكور	نسبتهم من إجمالي عدد الطلاب
فنون وإنسانيات	2538	11.74	83.40	505	2.91	16.6
اجتماع واقتصاد	10069	46.56	58.50	7142	41.21	41.50
علوم عامة	1428	6.60	28.00	3672	21.19	72
علوم الحياة	7590	35.1	55.80	6011	34.69	44.20
المجموع	21625	100	55.51	17330	100	44.49

1 – المصدر: مديرية الإحصاء المركزي التابع لمجلس الوزراء اللّبناني.



جدول (7) تطوّر أعداد المرشحين الفائزين بشهادة الثانوية العامة

السنة	مرشحون	فائزون	النسبة	اقتصاد واجتماع (مرشح/فائز)	العلوم العامة (مرشح/فائز)	الآداب والإنسانيات (مرشح/فائز)	علوم الحياة (مرشح/ فائز)
2005-2004	41425	30088	% 72،6	18380/11964	4961/4151	3006/4751	13333/10967
2006-2005	40141	31039	% 80،7	18553/13814	4811/3915	3116/4211	12566/10194
2008-2007	43844	31327	% 71،4	20763/13835	5234/4057	2410/3409	14438/11025
2009-2008	43693	31529	% 72،1	20488/14115	5480/4412	2238/3012	14713/10764
2010-2009	44086	32000	% 72،6	21021/13269	5282/4456	1943/2751	15032/12332

سنوياً في الشهادات الرسمية لنهاية التعليم الثانوي يقارب 32 **ألفاً**، يتوزّعون بالتساوي تقريباً بين الذكور والإناث. وإذا افترضنا أن مرحلة التعليم العالي تُنجز عبر أربع سنوات تقريباً، يكون المجموع التراكمي هو 128 **ألفاً**، وهذا حدّ أقصى، مع افتراض عدم سفر أيّ طالب إلى الخارج، أو خروجه إلى سوق العمل. (الأرقام أدناه تشير الى وجود نسبة كبيرة من العاطلين عن العمل من أصحاب التعليم الثانوي، ما يعني تواجد هؤلاء في **سوق العمل** أيضاً). وبمعرفة أن عدد المنخرطين في **التعليم العالي** يقارب 181 **ألفاً**، نصل إلى نتيجة تقول بأن 53 **ألفاً** على الأقل يصلون الى **التعليم العالي** من خارج الثانوية العامة. وبديهي أن الرقم فعلياً أعلى من هذا بكثير.

حاضر التعليم وارتباطه بالتاريخ

في أوقات سابقة، خاضت الحركة الطلابية في لبنان نضالاً واسعاً، وصل الى حدّ سقوط شهداء، لتطوير التعليم عموماً، خصوصاً في مراحل ما قبل الجامعة. فسعت هذه الحركة مثلاً، لإلغاء ما كان يُسمّى بـ"العلامة اللاغية"، التي فرضت ألا ينجح الطالب في البكالوريا الأولى، حتى لو جمع علامات كافية، ما لم ينل درجات معيّنة في اللّغة الأجنبية. والحال أن التوسّع في التعليم ما قبل الجامعي في خمسينيّات القرن العشرين وستينيّاته، أدّى الى دخول شرائح واسعة إلى هذا التعليم. وبدت اللّغة عائقاً اجتماعياً وتعليمياً، في وضع يتيح فيه التمكّن من اللّغة الأجنبية (فرنسية أو إنكليزية) للشرائح الاجتماعية، التي تستطيع إرسال أبنائها إلى مدارس عالية المستوى، إمكانية تدريس إحدى اللّغات الأجنبية. يصعب عدم القول إن المدارس الخاصة ذات الجذور التبشيرية أو المتّصلة مباشرة بنُظُم التعليم الغربي (خصوصاً فرنسا، مثل مدارس "**الليسية فرنسيه**"، أو أميركا، مثل "**المدارس الإنجيلية**" و"**الإنترناشيونال**")، كانت أكثر براعة في مجال اللّغات الأجنبية، من المدارس الخاصة الأخرى والمدارس الرسميّة.

أكثر من ذلك، كان من الممكن ملاحظة تفاوتات في مستويات المدارس والثانويات عبر التوزيع الجغرافي المناطقي، الذي يستبطن أيضاً التوزيع الطوائفي والمذهبي. ومن يعرف التاريخ اللّبناني المعاصر، يعلم جيداً ارتباط ظهور النظام التعليمي الراهن بمسألة



الامتيازات الأجنبية التي أُدخلت في أواخر العهد العثماني، فأعطت كلّ دولة أجنبيّة كبرى امتيازات لطائفة اتفّقت مع **الإمبراطوريّة العثمانية** المتهاوية على رعايتها. ومثال ذلك، أن مدّت فرنسا نفوذها وامتيازاتها للمسيحيّين من الموارنة والكاثوليك، ما جعل نُخب هاتين الطائفتين أقرب الى ثقافة فرنسا ونظم التعليم فيها. ولعلّ هذا بُعدٌ آخر يجدر التفكير فيه عند تأمل مسألة الفرد في لبنان.

وبالعودة إلى المتغيّرات التي حدثت في خمسينيّات القرن الماضي وستينيّاته، يمكن القول إن توسّع التعليم الأساسي وصولاً إلى الثانوي (مع صعود **الجامعة اللّبنانية**)، أسهم في تغيير هذه الصورة كلياً. إضافة إلى ذلك، حدث في مرحلة ثانية تغيّر في النخب اللّبنانية نفسها، بحيث طغى الميل الى المركز الأميركي على معظمها،على حساب الميل إلى فرنسا وبريطانيا وإيطاليا وألمانيا وغيرها من البلدان. واستطراداً، يحمل التعليم الجامعي سمات متصلة بهذا التشابك. وتعطي "الجامعة الأميركية" نموذجاً عن هذا الأمر. إذ نشأت على يد التبشير البروتستانتي الأميركي، ثم صارت معقلاً للثقافة الأنكلوفونيّة الأميركية، بما في ذلك الانفتاح على الطوائف الإسلامية، منذ منتصف القرن الماضي. وبالترافق مع صعود الناصرية سياسياً، التي لاقت تأييداً إسلامياً سنّياً كبيراً، جرى تأسيس "الجامعة العربية" التي تُنسّق مع جامعة الإسكندرية. وترافق ذلك مع السعي لإنشاء جامعات خاصة، مثل "**آل إيه يو**" LAU (اختصاراً لاسم "**الجامعة اللّبنانية الأميركية**" Lebanese American University، تحمل سمات التثاقف مع الغرب الأميركي، والتفاعل الإسلامي مع **الجامعة الأميركية**. في المقابل، ظلّت الجامعة اليسوعية مرتبطةً بالثقافة الفرنسيّة وبتشابكها مع الطائفة المسيحيّة، مع ملاحظة أن ثمّة ارتفاعاً متزايداً في أعداد الطلاب المسلمين الذين يدرسون في هذه الجامعة. فيما حرصت **جامعة البلمند** على البقاء حصناً للروم الأرثوذكس والتشابكات المرتبطة بهذه الطائفة في السياسة والثقافة، مع تزايد علاقاتها أخيراً مع الثقافة الأميركية. وترافق صعود الشيعيّة السياسية مع إنشاء معاهد دينيّة عليا وتأسيس "**الجامعة الإسلامية**".

تعطي هذه الأمثلة فكرةً عن ظلالٍ غالباً ما يجري تجاهلها عند الحديث عن التعليم، خصوصاً الجامعي. إذ ترفد الجامعات بنية اقتصادية لبنانية تقف في قلبها محاصصةٌ طوائفيّة ومذهبيّة. وترتكز هذه البنية الاقتصادية على نسقها الخاص المتمثّل بنظام اقتصاديّ حرّ وبحرية المبادرة الفردية فيه، إضافة إلى أنها تعتمد على التجارة والخدمات بأنواعها كافة، وتلاقي دعماً من اللّبنانيّين في المهاجر الممتدّة بين أوروبا والأميركيّتين، وأولئك الذين يعملون في الدول العربية، وقد زادت أهميتهم منذ فورة النفط التي أعقبت حرب تشرين الأول/أكتوبر 1973.

عند تأمل مسألة الفرد في لبنان، لا بدّ من العودة إلى التاريخ، حيث ارتبط النظام التعليمي الراهن بمسألة الامتيازات الأجنبيّة التي أُدخلت في أواخر العهد العثماني، فمنحت كلّ دولة أجنبيّة كبرى امتيازات لطائفة اتفّقت مع الإمبراطوريّة العثمانية المتهاوية على رعايتها. ومثال ذلك، أن مدّت فرنسا نفوذها وامتيازاتها للمسيحيّين من الموارنة والكاثوليك، ما جعل نُخب هاتين الطائفتين أقرب الى ثقافة فرنسا ونظم التعليم فيها.

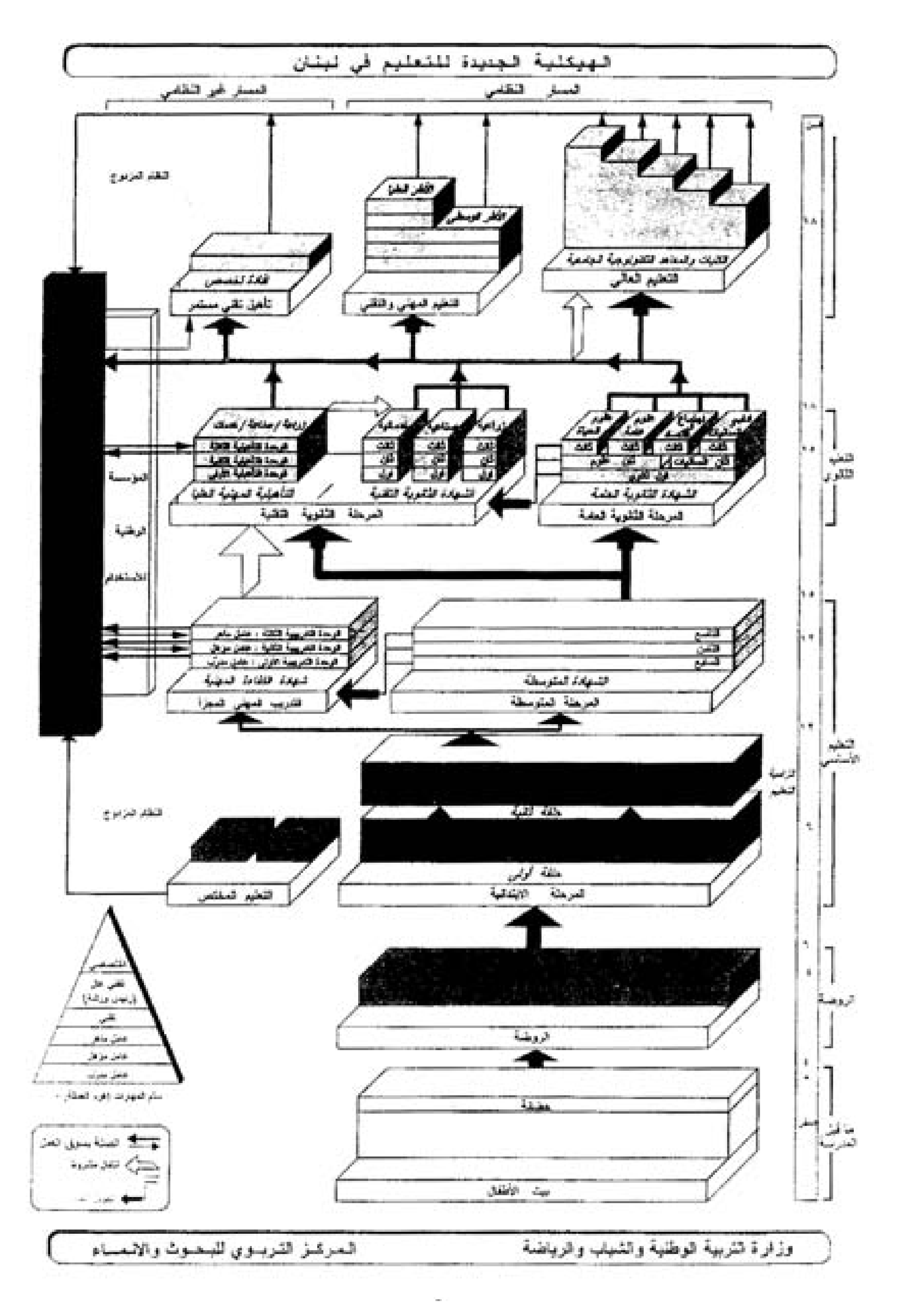
ترفد الجامعات بنيةٌ اقتصاديّة لبنانيّة تقف في قلبها محاصصةٌ طوائفيّة ومذهبيّة، وترتكز على نسقها الخاص المتمثّل بنظام اقتصاديّ حرّ وحرية المبادرة الفردية، إضافة إلى أنها تعتمد على التجارة والخدمات بأنواعها كافة، وتلاقي دعماً من اللّبنانيّين في المهاجر الممتدّة بين أوروبا والأميركيّتين، وأولئك الذين يعملون في الدول العربية، وقد زادت أهميتهم منذ فورة النفط التي أعقبت حرب أكتوبر 1973.

الهيكليّة الجديدة للتعليم في لبنان

يستطيع أيّ طالب في لبنان أن يختار الدراسة الجامعيّة التي يريدها، بحسب ما يرتأي، شرط أن ينال هذه الشهادة! لا يتأخر الموقع الإلكتروني لـ"**مديرية التعليم العالي**" عن تبيان هذا الأمر بوضوح تام. ويُظهر الثانوية العامة كنقطة انطلاق لدخول الكلّيات التطبيقيّة (= العلميّة) والنظريّة، من دون أيّ شرط آخر[1].

كما تُظهر المطالعة المُدقّقة في بيانات الكلّيات الرسميّة، وجود شروط أخرى في عدد منها، مثل مباراة الدخول والتمكّن من اللّغة الأجنبية، إضافة إلى أن السنة الأولى وعلامات الطالب فيها، تلعب دوراً في غربلة الطلاب،

1 – الخروج من الثانوية والدخول في الجامعة (عن موقع "دائرة التعليم العالي").



هيكلية النظام التعليمي الجامعي في لبنان

وكذلك في تنقّلاتهم بين كلّية وأخرى.

ولا يخفى أن نظاماً فيه هذا العدد الكبير من نقاط الدخول والخروج، يتيح مجالاً لنفوذ قوى الطوائف والعائلات والمذاهب والانتماءات الحزبية والمراتب الاجتماعية. ويعني الأمر نفسه وجود الكثير من "العوائق المخفيّة" Hidden Hurdles، بحسب التعبير الذي يستخدم في الثقافة الغربية لوصف تمييز مُمارَس لكن غير مُعلن.

وربما تبدو بعض سمات نظام التعليم الجامعي في لبنان مغرية بالمقارنة مع دول عربية تعتمد عنصراً وحيداً وضيّقاً في توزيع الطلبة الثانويّين على الجامعات هو علامات الثانوية العامة. يصح القول إن العنصر الوحيد، بإغفاله المعطيات الاجتماعية والشخصية، يصبح قالباً متخشّباً وقاتلاً للطلبة، على الرغم من سعيه للعدالة. لكن القوالب الجامدة لا تصنع عدالة. وهناك مناداة عربيّة بتعديل النُظُم الجامعية، لكي تصبح أكثر مرونة وأكثر تجاوباً مع "معطيات السوق"، وهي نغمة باتت شائعة. فيما صعد شأن الجامعات الخاصة عربيّاً، خصوصاً الجامعات الأميركية.

إن نظرةً سريعة إلى حديّ المشهد، بمعنى النظام التعليمي ذي المعطيات المتشابكة في لبنان، والنظام التعليمي المأزوم بأكثر من معنى عربياً، خصوصاً في المرحلة الجامعيّة؛ يمكن نقد الدعوات المطالبة بإصلاح النظام التعليمي في لبنان والدول العربية معاً، استناداً إلى رؤى مؤسّسات مثل "**صندوق النقد الدولي**" و"**البنك الدولي**" وبرامج المساعدات في **الأمم المتّحدة وأميركا** وغيرها.

في **لبنان والدول العربيّة**، يروّج البعض ببساطة، لمقولة من نوع "ربح الأدمغة وليس نزيفها" Brain Gain & not Brain Drain،

لا يخفى العدد الكبير من نقاط الدخول والخروج في النظام التعليمي اللبناني. الأمر الذي يسمح بسيطرة نفوذ قوى الطوائف والعائلات والمذاهب والانتماءات الحزبية والمراتب الاجتماعيّة. أي ثمّة الكثير من "العوائق المخفيّة" Hidden Hurdles، بحسب التعبير الذي يستخدم في الثقافة الغربيّة لوصف تمييز مُمارَس لكنْ غير مُعلن.

للقول بأن من يهاجر من الأدمغة لا يشكّل خسارة، بل أنه يعود بالنفع والعلم على بلده الأم. أين هو الدليل على هذا الترنيم الوردي، الذي يتردّد منذ عقدين على الأقل؟ هل عاد علماء **لبنان** في وكالة "**ناسا**" إلى بلدهم؟ هل ارتفع مستوى تدريس الفيزياء والرياضيات والفلك، بأثر من العقول اللّبنانية المنتشرة في الدول المتقدمة علمياً؟ ثمة رطانة أشدّ، جاءت مع الإنترنت. وراجت بسرعة تسمية الشبكات التي تربط بين العقول المهاجرة والوطن الأم. أين هو الأثر الفعلي لهذه الشبكات.

في لبنان والدول العربيّة، يروّج البعض لمقولةٍ من نوع "ربح الأدمغة وليس نزيفها" Brain Gain & not Brain Drain، للقول إن مَن يهاجر من الأدمغة لا يشكّل خسارة، بل إنه يعود بالنفع والعلم على بلده الأم. أين هو الدليل على هذا الترنيم الوردي، الذي يتردّد منذ عقدين على الأقل؟

قبل سنتين، ادّت محاضرة للبروفسور **تشارلز عشّي**، وهو لبناني – أميركي يدير "مختبر الدفع النفّاث" التابع لـ"وكالة الفضاء والطيران الأميركيّة" ("**ناسا**") في "**باسادينا**" في ولاية كاليفورنيا، إلى تجمّع عدد من الطلبة الجامعيّين من حوله في "**الجامعة اللّبنانية الأميركية**" كي يسألوه عن "الواسطة"(أي الوساطة). ضحك عشّي. وأعلن بصراحة أن "الواسطة" (وهي شكل فاضح من العوائق المضمرة) هي التي هجّرته من **لبنان** إلى **أميركا**. أوضح أنه حتى لو حاول، فإن النظام المعمول به في الجامعات الأميركية المرموقة ووكالة "**ناسا**" لن يسمح له بهذا.

تبقى مرارة أن يطلب شباب جامعي في القرن 21، الـ"واسطة" التي دأب شباب **لبنان** على التشكّي منها منذ عقود طويلة .

قد يبلغ عدد الطلاب اللّبنانيّين الذين يغادرون سنوياً إلى الخارج لمتابعة دراستهم، بحسب تقديرات مؤسّسة "الدولية للمعلومات"، حوالى 7000 طالب، يحوز نحو 20 % منهم شهادة المرحلة الثانوية و80 % إجازات جامعيّة متنوّعة. ويتصدّر كلّ من فرنسا وبريطانيا والولايات المتّحدة وكندا قائمة الدول التي يقصدها هؤلاء، ثم إيطاليا وألمانيا وسورية وإيران وأوكرانيا وروسيا والمغرب ومصر.

وثمة صعوبة ظاهرة في الحصول على أرقام بشأن سفر الطلبة في المرحلة الثانوية إلى الخارج، لأن معظم هؤلاء (بالأحرى كلّهم)، إنما يفعلون ذلك بدعم من مؤسّسات اجتماعية ليس للدولة يد فيها، بما فيها العائلة والمؤسّسات الدينيّة والحزبيّة والسياسيّة. فقد درجت الأحزاب في **لبنان** مثلاً، على إرسال طلبة إلى جامعات خارجية، تتلون بحسب انتماء الحزب. وفي مرحلة ما قبل سقوط **الاتّحاد السوفياتي**، كان مألوفاً أن ترسل الأحزاب التي عرفت باسم "الحركة الوطنية اللّبنانيّة" شباباً إلى جامعات في **الاتّحاد السوفياتي** ودول **أوروبا الشرقية**. في المقابل، يُلاحظ في السنوات الأخيرة ميل خرّيجي التعليم العالي للسفر إلى الخارج، بهدف التخصّص.

وبحسب تقديرات مؤسّسة "**الدولية للمعلومات**"، قد يبلغ عدد الطلاب اللّبنانيّين الذين يغادرون سنوياً إلى الخارج لمتابعة دراستهم حوالى 7000 **طالب**، يحوز نحو 20% منهم شهادة المرحلة الثانوية ويحوز 80% إجازات جامعيّة متنوّعة.

وتفيد المؤسّسة نفسها، بأن قائمة الدول التي يقصدها هؤلاء تتصدّرها **فرنسا وبريطانيا والولايات المتّحدة وكندا**، ويليها (وإن بدرجات أقلّ كثيراً)، **إيطاليا وألمانيا وسورية وإيران وأوكرانيا وروسيا والمغرب ومصر**.

كيف يمكن إذن، التسليم بهذه الخطابات الوردية للمؤسّسات الدولية في ظلّ تدني مستوى الجامعات العربيّة الرسميّة والخاصة على حدّ سواء؟ كيف يمكن الكلام على نجاح "**التجربة اللّبنانية**" في الجامعات الخاصة المنفتحة على الغرب، فيما هي لا تظهر في تصنيف الجامعات عالمياً؟ أين هو فائض البحوث الأصيلة لهذه الجامعات؟

للتوضيح، ثمة قلّة مجتهدة في جامعات لبنان، تنجز بحوثاً أصيلة فعلياً، على الرغم من هزالة ما تحوزه من إمكانات. من ذلك مثلاً، بحوث البروفسور **نايف سعادة** في "**الجامعة الأميركية**" عن الجهاز العصبي للإنسان.

سوق العمل و"يد" الخيار الفردي المركب

تتردّد الآن مقولة "اليد الخفيّة للسوق"، كمقولة أثيرة لدى **ملتون فريدمان** ومجمل دعاة اللّيبرالية الاقتصاديّة. غير أن آثار الأزمة الاقتصادية العالميّة المتدحرجة منذ 2008، أطاحت بمسلمات كثيرة منها قدرة "اليد الخفية" للسوق على تنظيمه. لقد تراجعت



نسبيّاً فكرة أن السوق يُنظّم نفسه بنفسه إلى حدّ فقدان الإيمان بالاقتصاد الموجّه أيضاً. ولعلّ الحركة الاحتجاجيّة المتصاعدة في **الولايات المتّحدة**، هي من الأشكال الصريحة المعبّرة عن اهتزاز الإيمان بمقولات فرضت نفسها بقوّة منذ انطلاقة الموجة الراهنة من العولمة، في عهد الرئيس **رونالد ريغان** الذي امتلأت إدارته برموز اللّيبراليّين الجدد، إضافة إلى بعض أقطاب المحافظين الجدد الذين صاروا لاحقاً، المُكوّن الأساسي لإدارة الرئيس **جورج دبليو بوش**. وقد انتهت السياسة اللّيبرالية المتطرّفة للمحافظين الجدد باندلاع الأزمة الاقتصادية العالمية في الهزيع الأخير من ولاية بوش. وثمة مؤشّرات كثيرة على حراك واسع في الغرب صوب تجديد النقد لمقولات الحرية المنفلتة للاقتصاد المعولم، يمتدّ من التظاهرات المتوالية في شوارع مدن أوروبا المأزومة اقتصادياً وسياسياً، وصولاً إلى التناحر السياسي المعلن بين إدارة **أوباما** (واستطراداً مروحة واسعة من دعاة تجديد العدالة في المشروع الديمقراطي العالمي، والمحتجّين في **ساحة التايمز** تحت شعار "لنحتلّ **وول ستريت**") من جهة، وطيف واسع من المحافظين الجدد واللّيبراليين الجدد من جهة ثانية، يجد في "**حزب الشاي**" أقوى تعبيراته.

في لبنان، ما زال **سوق العمل** يسير وفق نظريات "اليد الخفية" للسوق و"اقتصاد السنونو"، بمعنى أنه يشبه طيوراً متوتّرة قد ترحل لدى إحساسها بأدنى تدخّل من الدولة في سير الاقتصاد.

لذا، لا تتدخل الدولة مثلاً، في العلاقة بين خرّيجي الجامعات والمعاهد العليا من جهة، وسوق العمل من جهة ثانية. مع الإشارة إلى أن اليد العاملة ذات التعليم العالي، لا تذهب إلى السوق عبر ممرّ رسمي إطلاقاً. بل تأتي هذه اليد من أربعة مصادر هي الجامعة الرسمية بمتفرّعاتها (ومن ضمنها التعليم المهني العالي، على الرغم من اقتصاره على جامعة وحيدة كما ورد آنفاً)، والجامعات الخاصة، والكلّيات والمعاهد العليا، وأخيراً من الطلبة المتخرجين من جامعات خارج **لبنان**، سواء في الدول العربية أم الغربية. استطراداً، يتكوّن **سوق العمل** في **لبنان** من المُكوّن الداخلي من جهة، والأسواق الخارجية في البلدان العربية والإفريقية والغربية من جهة ثانية، والتي يضعها اللّبناني دوماً في حساباته كإمكان للعمل.

من بديهيات الاقتصاد اللّبناني القول بأن تحويلات المغتربين تُشكّل جزءاً مهماً منه، وأن جزءاً كبيراً من هؤلاء اللّبنانيّين هم أيدٍ عالية التأهيل تعليميّاً. بديهي أن تغيب الإحصاءات الدقيقة عن هذه المناحي، في بلد يصعب وصف الدولة فيه على أنها، على غرار الدولة الغربية، مصنع لإنتاج الأرقام. لا بدّ من الاستطراد للقول إن بعض الأرقام البديهية، ليست كذلك في **لبنان**. مثال: يغيب الإجماع حول عدد السكان في **لبنان**، بفعل الخلاف سياسياً على المغتربين والتصوّرات عن علاقتهم بـ"**لبنان**". ويظهر هذا الخلاف إلى العلن في مناسبات حسّاسة، مثل الانتخابات التشريعيّة.

تفيد أرقامٌ بأن عدد الشباب اللّبناني المهاجر بين عاميّ 1975 و2000، وهي فترة شهدت حروباً متوالية، بلغ قرابة 900 ألف شاب مهاجر. وتقدّر أرقام أخرى العدد الإجمالي للكفاءات اللّبنانية العلميّة المهاجرة حتى العام 2000 بنحو401388 شخصاً.

في مثال شديد الدلالة، لا تتوفّر أرقامٌ موثوقة عن هجرة الأدمغة من **لبنان**، على الرغم من شيوع القول بوجودها. وتعزّ الأرقام عن هجرة الشباب اللّبناني. وبالكاد يمكن العثور على دراستين علميّتين وازنتين، واحدة للدكتور **أنيس أبي فرح** من **الجامعة اللّبنانية** (نُشِرت في جريدة "النهار" العام 2001) والثانية للباحثة **شوهيغ كسبريان من جامعة القديس يوسف**، نُشرت في "**النهار**" أيضاً العام 2003. وتقول الدراستان إن عدد الشباب اللّبناني المهاجر بين عاميّ 1975 و2000، وهي فترة شهدت حروباً متوالية، بلغ قرابة 900 **ألف** شاب مهاجر. ويعطي الموقع الإلكتروني لـ"**منظمة التعاون والتنمية الاقتصادية**"OECD، أرقاماً مهمّة عن هجرة الكفاءات العلمية من **لبنان**، بحسب دراسة أجراها البروفسور **فريديريك دوكييه**

إلى أميركا وكندا والمكسيك			إلى دول أوروبا			إلى دول آسيا وأوقيانيا		
كفاءة عالية	كفاءة متوسطة	كفاءة منخفضة	كفاءة عالية	كفاءة متوسطة	كفاءة منخفضة	كفاءة عالية	كفاءة متوسطة	كفاءة منخفضة
85946	35836	29260	67300	41524	77664	17703	20075	26080
المجموع في العام 2000: 401388 شخصاً								

من **جامعة لوفان** الكاثوليكية في **بروكسيل– بلجيكا**، نُشرت في العام 2005، على الرغم من أنها تعطي أرقاماً عن العام 2000. بحيث تقدّر الدراسة العدد الإجمالي للكفاءات اللّبنانية العلمية المهاجرة بـ 401388 شخصاً[1].

سوق العمل والبطالة في لبنان

استناداً إلى نتائج "الدراسة الوطنيّة للأحوال المعيشيّة للأسر اللّبنانية للعام 2007"، والتي أنجزتها إدارة الإحصاء المركزي، بلغ حجم القوى العاملة في **لبنان** 1.288 مليون شخص، من بينهم 1.118 مليون عامل و110 آلاف غير عاملة (عاطلون عن العمل)، ثلثهم من الذكور، ما يشكل نسبة 9.83 % من حجم القوى العاملة. وثمة من يشكّك في صحة هذا الرقم، على الرغم من صدوره من "إدارة الإحصاء المركزي"، مُقدّراً نسبة البطالة بنحو 15 %.

تشكّل القوى العاملة نسبة 33.2 % من مجموع اللّبنانيّين المقيمين في **لبنان**، الذين يقدّر عددهم (على الرغم من عدم الإجماع عليه) بنحو 4.7 **ملايين**، يقيم منهم في لبنان نحو 3.7 **ملايين** شخص. ويحتفظ قرابة مليون مهاجر لبنانيّ بهويتهم اللّبنانية. وهناك خلاف ضخم حول عدد اللّبنانيّين، منبته سياسيّ محض. ثمة من يرى أن لبنانيّ المهاجر (خصوصاً في الأميركيّتين وأفريقيا) يجب أن يُدرجوا من ضمن عدد اللّبنانيّين، حتى بالنسبة إلى مَن لم يحتفظ منهم بجنسيّته اللّبنانية، بل ثمة مُطالبة متكرّرة بأن تعمل الدولة على منحهم هذه الجنسية، بالاتفاق مع حكومات البلدان التي يعيشون فيها. ولا يتردّد البعض من القول بأن من شأن الخطوة الأخيرة أن تصل بعدد اللّبنانيّين إلى ما يفوق عشرة ملايين نسمة!

بالعودة الى الأرقام الصادرة عن "إدارة

جدول (8)

الفئة العمرية	إناث (نسبة مئوية)	ذكور (نسبة مئوية)	معدل الإناث والذكور معاً (نسبة مئوية)
19-15	2.2	4.4	3.9
24-20	15.5	10.6	11.8
29-25	21.3	13.8	15.6
34-30	17.3	13.8	14.7
39-35	11.7	12.1	12
44-40	10.1	10.7	10.5
49-45	8.6	10.2	9.8
54-50	6	7.7	7.3
59-55	3.4	6.2	5.5
64-60	3	4.8	4.4
69-65	0.7	3	2.4
70 سنة وما فوق	0.3	2.7	2.1

1 – عن الموقع الإلكتروني لـ"منظمة التنمية والتعاون الاقتصادي" – www.oecd.org



الإحصاء المركزي"، يلاحظ أن العاملين في لبنان يتوزعون إلى 75.3 % ذكور، و24.7 % إناث، بما يشير إلى غلبة كاسحة للذكور، بمعنى أنهم لا يزالون مصدرَ دخل في الأسرة. ويبيّن الجدول التالي توزيعهم على الفئات العمرية المتنوّعة[1].

يتبيّن أن نسبة العاطلين عن العمل تبلغ ذروتها في الفئة العمرية 25–29 سنة (17160 **عاطلاً عن العمل**)، وأن الأعمار الشابة والمنتجة بين 20 و50 سنة، تحوز الشطر الأكبر من مجموع العاطلين عن العمل بنسبة تصل إلى 64.4 %. وتصل نسبة الذكور في هذه الفئة العمريّة المهمّة (بين 20 و50 **سنة**) إلى 71.2 % من إجمالي الذكور العاطلين عن العمل. وتصل النسبة نفسها بين الإناث إلى 84.5 %. وفي ما يخصّ البطالة في سنّ الشباب والإنتاج بعامة، تفوق نسبة الإناث الذكور في الشرائح العمرية كافة، إلا أن الصورة تنقلب في الأعمار التي تفوق الخمسين سنة. وتشي هذه الأرقام بذكورية سوق العمل، من خلال تهميش النساء والسعي لإخراجهنّ منها.

ويوضح الجدول التالي توزيع العاطلين عن العمل بالنسبة إلى المستوى التعليمي، مع الاستمرار في ملاحظة التوزيع على الجنسين.

التعليم وسوق العمل

يلاحظ أن نسبة البطالة لدى الذكور تكون في ذروتها بين الذين يملكون تعليماً ابتدائياً، وأن هذه النسبة تبدأ بالانخفاض تدريجياً كلما زاد مستوى التعليم، مع وجود تقارب لافت في النسب لدى أصحاب التعليم الثانوي والعالي. فيما يسير الأمر بطريقة معكوسة لدى الإناث، إذ تصل البطالة بينهنّ إلى أقصاها لدى صاحبات التعليم العالي، لتقلّ تدريجياً في المستويات التعليميّة الأدنى. وتعني هذه الأرقام أن **لبنان** يعاني من بطالة

جدول (9)

المستوى التعليمي	إناث (%)	ذكور (%)	معدّل الإناث والذكور معاً (%)
أميّ	3.1	4.4	4.1
ملم بالقراءة والكتابة	1.7	5.3	4.4
ابتدائي	11.2	28.4	24.1
متوسط	12.1	26.1	22.6
ثانوي	20.1	17.3	18
جامعي	39.9	18.3	23.6
غير محدد	0.1	0.2	0.2
لاينطبق (الخدم في المنازل)	11.8	0	2.9

جدول (10)

الفئة العمرية	إناث	ذكور	إناث وذكور معاً
19-15	37.2	24	26.1
24-20	18.7	21.6	20.7
29-25	12.5	11.9	12.1
34-30	7.8	6.2	6.7
39-35	4	3.5	3.6
44-40	5.6	2.8	3.5
49-45	4.4	2.4	2.8
54-50	0	7.5	6.1
59-55	11.3	4.5	5.6
64-50	0	2.3	1.9
69-65	0	5.3	4.9
70 او اكثر	0	5.2	5

1 – المصدر: "الدراسة الوطنية للأحوال المعيشية للأسر للعام 2007". أُجريت من قبل "إدارة الإحصاء المركزي".

يعاني أصحاب التعليم العالي في لبنان من البطالة بنسبة 23.6%، أي ما يساوي نحو 25960 عاطلاً عن العمل في هذه الفئة. ويعاني نحو 26 ألف شخص من البطالة على الرغم من مستوياتهم التعليميّة العالية. فيما تعاني أنثتان من البطالة مقابل ذكر واحد. يضاف إلى هؤلاء جميعهم نحو 20 ألفاً ممّن لديهم تعليماً ثانوياً.

أصحاب التعليم العالي بنسبة 23.6%، أي ما يساوي نحو 25960 عاطلاً عن العمل في هذه الفئة. وأن هناك نحو 26 **ألف شخص** يعانون من البطالة على الرغم من مستوياتهم التعليميّة العالية. فيما تعاني أنثتان من هذه البطالة مقابل ذكر واحد. يضاف إلى هؤلاء العاطلين عن العمل جميعهم نحو عشرين ألفاً ممّن لديهم تعليماً ثانوياً. ويشير ارتفاع نسبة بطالة الذكور من ذوي التعليم الابتدائي إلى ظاهرة تسرّب مدرسي ضخمة، كما يجعل مسألة تنفيذ إلزامية التعليم على محكّ صعب.

وتكاد الصورة عينها تتكرّر لدى قراءة توزيع العاطلين عن العمل بحسب الفئة العمريّة والجنس[1].

في المقابل، يوضح الجدول التالي توزيع العاطلين على العمل بالنسبة إلى المنطقة الجغرافية[2]، مع الاستمرار في ملاحظة التوزيع بين الجنسين.

الحق أن هذه الأرقام تنسجم أيضاً مع تمركز اقتصاد لبنان في **بيروت الكبرى**، أي **بيروت والضاحية الجنوبية** وجزء كبير من **جبل لبنان**.

لكن، ماذا عن قوى العمل التي تبلغ 1.2 **مليوناً**؟ ثمة ذكورية واضحة في هذا الأمر. إذ إن نحو 39.8 % من الذكور يديرون أعمالاً خاصة بشكل مستقلّ أو بمعونة شخص آخر، فيما تنخفض هذه النسبة بين الإناث إلى 11.7 %.

ويبلغ مجموع من هم في هذه الوضعية من العمل نحو 297.6 **ألفاً**، وهم قرابة ربع القوى العاملة (24.8 %). وثمة فيض من المياومين أو ما يشبههم بين الذكور.

ويفوق عدد الإناث اللّواتي يتقاضين أجراً شهرياً الذكور بقرابة 1.7 **ضعفاً**، ما يوضح ميل أكبر للاستقلالية في عمالة الذكور. وهناك 3.5 ذكور يعملون كمدراء أو ككادر عالٍ مقابل أنثى واحدة للمناصب عينها. وتبلغ هذه النسبة 2.8 **ذكور** لكلّ أنثى في الاختصاصات. وتنقلب هذه المعدلات بشدّة في العمالة غير الماهرة، حيث هناك 2.2 **أنثى** لكلّ ذكر (ما ينسجم مع الهيمنة الذكورية ككلّ)، و2.7 **أنثى** لكلّ ذكر في الوظائف. ويكاد أن يحتكر الذكور قطاع سائقي السيارات والقوى العسكريّة والأمنيّة.

في السياق عينه، يلاحظ كثافة الذكور في اليدّ العاملة في الزراعة، بحيث تلامس نسبة الضعفين مقارنةً بالإناث. ويكاد يحتكر الذكور قطاع الإنشاءات، فيما يختلف الأمر في قطاع الخدمات، حيث الإناث في هذا القطاع يشكّلن ضعفي الذكور.

جدول (11)

المناطق	إناث (%)	ذكور (%)	إناث وذكور معاً (%)
محافظة بيروت	17.4	9.8	11.7
محافظة جبل لبنان	42.4	29.5	32.7
الضاحية الجنوبية	7.7	12.1	11
محافظة الشمال	11.9	20	18
محافظة البقاع	7.2	12.1	10.9
محافظتا الجنوب والنبطية	13.3	16.4	15.7

جدول (12)

الوضع في العمل	إناث	ذكور	إناث وذكور معاً (%)
ربّ عمل لديه عمّال	1.7	12.1	9.5
عاملون لحسابهم بمفردهم أو بمساعدة أحد أفراد الأسرة	10	27.7	23.3
مستخدمون براتب شهري	74.8	44.2	51.8
أجراء براتب أسبوعي أو مياومون على أساس الإنتاج	6.7	11.5	10.3
عاملون لدى الأسر أو الأقارب	5.9	4	4.4
متدرّبون ومتمرّنون	0.8	0.5	0.6

1 – معدل البطالة بحسب الفئة العمرية والتوزيع بين الجنسين. المصدر السابق.

2 – المصدر: "الدراسة الوطنية للأحوال المعيشية للأسر للعام 2007". أُجريت من قِبل "إدارة الإحصاء المركزي".

وبحسب الدراسة نفسها، يعمل 83.3 % من اليد العاملة (999.6 **ألفاً**) في القطاع الخاص، فيما يعمل 15.7% في مؤسّسات حكومية. ويشكّل الذكور 16.1% في القطاع الحكومي من إجمالي العاملين الذكور، بينما تشكّل النساء 14.7% من إجمالي النساء العاملات. ويعمل نحو 1% من الأيدي العاملة (ذكوراً وإناثاً) في القطاع المختلط أو المنظمات الدولية أو المنظمات الأهلية.

نقابات في الزاوية

تلعب النقابات، خصوصاً الإلزامية منها، دوراً مهمّاً في العلاقة بين ما يخرجه التعليم بتشعّباته، ومتطلّبات السوق المحلّي. ويصعب القول إن دورها حاسم، لأن لا نقابة تستطيع أن تقول للجامعات الرسمية إنها تحتاج إلى عدد معيّن من الخريجين في فرع معيّن، بل إن الصورة معكوسة تماماً. فالحق أنّ مؤسّسات التعليم العالي، الرسميّة منها والخاصة، هي التي تتدخل في العلاقة بين الخريجين وسوق العمل، واضعةً بعين الاعتبار معطيات السوق اللّبناني وخصوصياته، بسبب تقلّص الزراعة والصناعة وسيطرة قطاع الخدمات، فضلاً عن المراهنة على اليد الماهرة التي تعمل في المهاجر المختلفة.

ففي سياق أعمال "**المؤتمر التربوي الثاني للمركز الإسلامي للتوجيه والتعليم العالي**"(2010)، اعتبر وزير الاتصالات شربل نحّاس في مداخلة حملت عنوان "موقع التعليم العالي في إطار الاستراتيجية التنمويّة الشاملة"، أنّ التعليم الجامعي غير محدّد بمعرفة، بل هو عبارة عن اكتساب مهارات متخصّصة، وأنه يؤدّي مباشرة إلى تحقيق دخل فردي. واستنتج أنّ المساحة التي تعود إلى المنفعة العامة وتبرّر استخدام المال العام في دعم التعليم العالي "ليست واضحة"، مُشيراً إلى دلالات اجتماعية واقتصادية وسياسية للتعليم العالي في لبنان.

كما أشار نحّاس إلى أن الإنفاق الرسمي على التعليم هو بحدود 3 %. يضاف إليه ما تنفقه

جدول (13)

المهنة	إناث	ذكور	إناث وذكور معاً
كوادر عليا ومدراء	4.1	14.4	11.9
الاختصاصيّون	7.1	20	10.3
المهن الوسطى	19.1	6.6	9.7
الموظفون الاداريون	14.4	5.3	7.5
العاملون في قطاع الخدمات والبائعون	14.1	11	11.8
الصيد والزراعة	2.8	5.3	4.7
العمّال المهرة	5.2	20.6	16.8
سائقو السيارات والآليات	0.9	10.8	8.4
العمّال غير المهرة	19.3	8.7	11.3
القوى العسكرية والأمنية والعاملون في الشركات الأمنية الخاصة	0.1	10	7.5

جدول (14)

قطاع النشاط الاقتصادي	إناث (%)	ذكور (%)	إناث وذكور معاً (%)
الزراعة	4.6	8.1	7.2
الصناعة التحويليّة	10.1	15	13.8
الإنشاءات	0	7.4	5.6
التجارة	15.6	25	22.7
النقل والاتصالات	2.6	8.5	7
الخدمات	64	34.2	41.6
التأمين والوساطة المالية	3	1.8	2.1
غير محدّد	0.2	0.1	0.1

المصدر: توزّع العاملين تبعاً للنشاط الاقتصادي للمؤسّسة التي يعملون فيها والجنس- المصدر السابق.

الإقبال على التعليم العالي يتّجه في لبنان إلى تصدير الطاقات. إذ تُظهر الإحصاءات الرسمية أن ما يزيد على 50 % من خرّيجي الجامعات في لبنان يغادرونه بعد 5 سنوات من تخرّجهم بغية العمل في الخارج.

العائلات اللّبنانية على التعليم، والمقدّر بنحو 9 % من دخلها. الأمر الذي يرفع مجموع الإنفاق على التعليم إلى 12 % من الدخل القومي، وهي "نسبة لا مثيل لها في العالم". وأفاد الوزير عينه بوجود "دلائل واضحة" تؤكّد أن الغاية الأهم من هذا التعليم هي "شراء موقع اجتماعي يعزّزه هذا التمسّك المستميت بتحصيل الشهادة من جامعات "عريقة". فالإقبال على التعليم العالي يتّجه في لبنان إلى تصدير الطاقات. إذ تُظهر الإحصاءات الرسمية أن ما يزيد على 50 % من خرّيجي الجامعات في لبنان يغادرونه بعد 5 سنوات من تخرّجهم للعمل في الخارج".

ولئن قدّر عدد النقابات عموماً في لبنان بنحو 600 نقابة، يتبع معظمها "**الاتّحاد العمالي العام**"، فإن المعطيات السياسيّة عملت على تضخّم الجسم النقابي، وأدّت إلى ترهّله، خصوصاً الفترة التي تلت تنفيذ "**اتفاقية الطائف**". وطاول هذا الأمر النقابات الإلزامية. إذ يوجد 5 نقابات مثلاً تتصل بالشأن الصحّي، وهي كلّها ذات طابع إلزامي، وتضمّ قائمتها "**نقابات المستشفيات في لبنان**" و"**نقابة أطباء الأسنان**" و"**نقابة الأطباء**" **ونقابة الصيادلة**" و"**نقابة المرضات والممرضين في لبنان**"، بحسب ما يرد في "**البوابة الإلكترونية للمعلومات والمعاملات**" التابعة للحكومة اللّبنانية. وتضمّ نقابة المهندسين 5 نقابات فرعيّة، لكنها تلزم المهندسين بالانتساب إلى أحد فرعيها في **بيروت** أو **طرابلس** حصرياً. وتضمّ نقابة المحامين 3 نقابات فرعية، مع وجود 8 مكاتب فرعية للمحامين. وتشير الإحصائيات إلى وجود 12106 محامين في **لبنان**، يتوزّعون بين **بيروت** (11 **ألفاً**) **وطرابلس** (1106).

غير أن **التعليم العالي** في **لبنان** يشهد أزمة بنيويّة، تفوق كثيراً مسألة التوازن بين العرض والطلب، وذلك بسبب عدم وجود أفق للحلول في ظلّ شلل النقابات والحكومة معاً. فقد عاش **لبنان** منذ استقلاله مراحل من التوافق الطائفي، ميّزتها المحاصصة. وكانت توازنات الطوائف هذه دقيقة وتتبدّل أحياناً بفعل ضغوط خارجية واستجابات داخلية؛ لذا استطاع كلّ من الدولة والنقابات أن يفرض وجوده على المعادلة بين التعليم والأسواق، على الرغم من عدم توفّر العدالة بصورة دائمة. لكن مع انهيار التوافق الطوائفي في منتصف السبعينيّات من القرن الماضي، حلّت لغة الحروب، وظهر "اقتصاد حرب" مناطقيّ ما برح يرخي بظلاله على التعليم العالي (تفكيك الجامعة الرسميّة، تفتيت قوة مؤسّسات التعليم العالي الخاص، عدم وجود ضابط مركزيّ للتعليم العالي والنقابات...). وقد استمرّ ذلك حتّى تسعينيّات القرن الماضي، عندما أُنهيت الحرب عبر "**اتفاقية الطائف**".

ففي 31 **آب/أغسطس** 2010، نُشرت "**مسودة مشروع قانون تنظيم التعليم العالي**"، والتي لم يرد فيها أيّ إشارة إلى دور المجتمع والنقابات، بل جُعلت المسألة تقنيّة صرفة، حتى في الباب الثالث الذي يتناول الهيئة الناظمة للتعليم العالي الخاص.

وفي خريف العام 2010، انعقدت حلقة دراسيّة عن قانون لإنشاء هيئة وطنية لضمان جودة التعليم العالي. دعت "**الهيئة الوطنية للعلوم التربويّة**" إلى هذه الحلقة، التي جاءت ضمن مشروع تموّله "**الوكالة الأميركية للتنمية الدولية – برنامج المساءلة**"، ويديره الفرع اللّبناني لمؤسّسة "**أمديست**" الأميركيّة. وتذكيراً، فإن "الهيئات الوطنية لضمان جودة التعليم العالي" باتت موجودة في 22 **بلداً عربياً**!

ومن البديهي بالنسبة إلى عقلية التكنوقراط، أن تدور الأمور حول مسائل تقنيّة صرفة، وأن يثير ذلك ردود أفعال رافضة، خصوصاً في أوساط نقابات المهن الحرّة؛ لعلّ أقربها الى التداول إعلامياً هو المؤتمر الذي عقده نقباء المهن الحرّة في **لبنان**، وهم المعنيّون بأوضاع المهن التي تملك نقابات إلزاميّة، في مطلع العام 2011. بحيث طالبوا بالحدّ من منح



يرى البعض أن البحث العلمي ومتطلّباته ربما يشكّل الأفق لحلّ مشكلة التعليم العالي بعيداً عن السياسة، بمعنى إعادة توجيه هذا التعليم ومؤسّساته كافة، في إطار من التوازن الذي ربما كان مستحيلاً، بين التعليم العالي والأسواق.

الرُخص لـ"الكلّيات المتّصلة بالمهن الحُرّة في جامعات لبنان، لأن أعداد الخريجين أصبحت كبيرة، ما أسهم في تدنّي المستوى، مع العلم أن لا عمل لهم في الوطن".

وكذلك طالبوا بـ"أن يكون من حقّ نقابات المهن الحُرّة تحديد عدد الخرّيجين، عبر اعتماد مسابقة وطنية، لأن هذه النقابات تعي العدد المطلوب فعلياً"(**صحيفة النهار** 20 **شباط/فبراير** 2011). وما زالت مسألة حسم النقابات لمسألة العدد اللازم من الخريجين محض مُطالبة، غير متحقّقة فعليّاً.

نقابات وخريجون

باتت كلّيات الطبّ الخمس، إضافة الى كلّيات طبّ الأسنان الثلاث العاملة على الأراضي اللّبنانية، باتت تخرّج سنوياً عدداً كبيراً من الأطباء وأطباء الأسنان والصيادلة، على الرغم من التحذيرات من المخاطر التي أطلقها ويطلقها المسؤولون عن هذه القطاعات.

وتكراراً، لم تستطع النقابات الإلزامية أن تلعب دورها كصمّام أمان فعّال بين **التعليم العالي وسوق العمل** في لبنان، كما يبدو بديهياً القول إن "العوائق المخفيّة" تلعب دوراً هائلاً في تحديد العلاقة بين الطبيب الخريج وسوق العمل ومؤسّساته. فليست حظوظ الطبيب خريج الجامعات الخاصة المرموقة، مثل الجامعتين الأميركيّة واليسوعيّة التي يملك كلّ منها مستشفيات ضخمة متطوّرة، مثل حظوظ خريجي الجامعة الرسميّة أو المتخرّجين من الدول التي كانت منضوية ضمن الكتلة الاشتراكية سابقاً. وبذلك تظهر أهمية "العوائق المُضمرة"، المعبّرة عن تمايزات في القوى الاجتماعية وتراتبيّاتها وثقافاتها، في هذه المهنة بقوّة.

أما **نقابة المهندسين**، التي تأسّست العام 1951، والتي تُعتبر الأضخم بين مثيلاتها في لبنان، فبلغ عدد المهندسين المسجلين فيها العام 2010 نحو 32728 مهندساً في نقابة المهندسين في **بيروت** و4975 مهندساً في نقابة المهندسين في **طرابلس**. أما الزيادة في أعداد المهندسين سنوياً، فقد تطوّرت على النحو التالي[1] :

جدول (15)

السنة	نقابة بيروت	منهم الطالبات
2004-2005	1071	186
2005-2006	1052	189
2006-2007	1107	236
2007-2008	1190	363

بدورها، وعلى الرغم من قوّتها النسبيّة، لا تبدو نقابة المحامين أكثر قدرة على ضبط أوضاع المهنة حاضراً. حيث أُشير إلى وجود قرابة 6700 **عضو منتسب** إلى نقابة المحامين، و1160 محامياً متدرّجاً، مع العلم أن عدد المحامين في **لبنان** يقارب 12 **ألفاً**، ما يعني أن نصفهم ليسوا منتسبين إلى النقابة. وتعاني مكاتب المحامين من انخفاض لم يكن متوقّعاً في مداخيلها، بسبب هجرة الوكالات الأجنبية إلى الخليج، خصوصاً دبي.

أما بالنسبة إلى **مهنة الطبّ**، فثمّة نحو 10 **آلاف** طبيب في **لبنان** (بينهم 9867 **طبيباً** منضوياً في **نقابة أطباء بيروت**)، بحسب إحصاء نقابة الأطباء في **لبنان**. بحيث يصل معدل ممارسي هذه المهنة إلى 3.25 أطباء لكلّ 1000 **مواطن**، فيما يبلغ هذا المعدل عالمياً، بحسب **منظمة الصحة العالمية**، 1.7 طبيب لكلّ 1000 مواطن. أما في **كندا** فهو 2.2 طبيب لكلّ

1 – المصدر: الموقعين الإلكترونيين لنقابتي المهندسين في بيروت وطرابلس.
www.mouhandess.org و www.oea.org.lb

1000مواطن بحسب إحصاءات **منظمة التعاون الاقتصادي والتنمية** OECD. وتجدر الإشارة الى أن هـذه المنظمـة تجعـل نسـبة الأطباء في الدول الصـناعيّة الثماني الكـبرى، 3 أطباء لكلّ 1000 مواطن.

المشكلات نفسها تتكرّر في مهن أخرى مثل التمريض والصيدلة وغيرها، وهي مشكلات تشير إلى أن المجتمع اللّبناني ونوابضه وثقافاته وصراعاته و"أفراده"، هو المتحكّم في العلاقـة بين **التعليم العالي والسوق**، وليس النقابة ولا الدولة ولا حتى "اليد الخفية" للسوق نفسها.

في هـذ المعنـى، تتبـدّى أزمـة العلاقة بين **التعليـم العـالي وأسـواق العمـل**، باعتبارهـا مسـألة سياسـية بامتياز، علـى الرغم من عدم اقتصارها على الجانب السياسي. ولعلّ العلاقة الواضـحة بين الحـراك الاجتماعي الواسـع في إطـار "الربيـع العربـي"، وبطالـة الخريجـين في مظاهرهـا المختلفـة، هـي مـن الأدلة على البعـد السياسـي المتقدّم لأزمـة التعليم العالي. والصـحيح أيضـاً أن السياسـة ليسـت مشكلته الوحيـدة. هنـاك التخلّف أيضـاً، وتلـك الفجوة المعرفيّـة الهائلـة بـين العلـم وبنـى التعليـم والبحث في العالم العربي. هناك مشكلة البحث العلمـي عربيّـاً، التـي يـرى البعضـ أنها ربما كانـت الأفق لحلّ مشكلة التعليم العـالي بعيداً عن السياسـة، بمعنى إعـادة توجيه هذا التعليم ومؤسّسـاته كافـة، تحت مؤشّر البحث العلمي ومتطلّباته، كبديل لإعادة توجيهه في إطار من التوازن الذي ربما كان مسـتحيلاً، بين **التعليم العالي والأسواق**.



ملف

كتابات الشباب العرب ..
محاولة للرصد

حركة التأليف والنشر

المقدمة

لئـن كانت أحداث ما سمّـي بـالربيع العربي قد وقعت في العام 2011 والشهر الأخير من العام 2010 في الحالة التونسيّة، فإنّ ذلك لا يمكن فصله عمّا سبقه من سنوات. والسؤال المهمّ الذي يفرض نفسه هو: هل كان نزول الشباب العربي إلى الميادين والطرقات في تونس ومصر وليبيا واليمن وسورية أمراً مفاجئاً أو أنّ له مقدمات وإرهاصات على مدى الأعوام الخمسة الأخيرة؟ ولئن اعتبرنا أنّ الكتّاب الشباب من روائيّين وشعراء وباحثين هم شريحة نخبويّة، فالمؤكّد أن كتابات هؤلاء يمكن اعتبارها "ترمومتراً" لقياس درجة حرارة الجسد العربي في توتّره وإرهاقه.

هكذا يمكننا أن نرى قضية كتابات الشباب العربي في العام 2010. يجب ملاحظة أن هذا العام الماضي كان عام "صدور" هذه الكتابات بمعنى طباعتها وتوزيعها. لكن المؤكّد أن كتابتها قد استغرقت فترة زمنيّة، ربما امتدّت لسنوات سابقة. هنا يكمن صلب السؤال: هل كان في كتابات الشباب العرب ما يوحي بحدوث هذا الذي حدث في العام 2011؟ هل كانت روايات الشباب وقصصهم وأشعارهم ودراساتهم إيذاناً بهذه الثورات والانتفاضات التي اندلعت في أكثر من مكان عربي؟ أو أن هذه الكتابات كانت في حقيقتها خلواً من روح التمرّد والثورة وكان انشغالها منصباً على قضايا أخرى؟

هنا نلاحظ تفاوتاً بين كتابات الشباب العربي من دولة لأخرى. ففي دولة مثل مصر بدت كتابات الشباب في السنوات الأخيرة تحمل نذر الثورة جهراً وصراحةً. ربما لاتّساع مساحة حريات الرأي والتعبير التي شهدها المجتمع المصري في السنوات السابقة. وجاء الكثير من الكتابات الصادرة في العام 2010 ليؤكّد ذلك سواء في مضامين هذه الكتب أم حتى في عناوينها. لكن الأمر بدا – في المقابل – خافتاً خجولاً في بلدان عربية أخرى، ربما أيضاً، وبالمنطق ذاته لضيق مساحة حرية الرأي والتعبير والقيود المفروضة عليهما.

في سياق هذه الأحداث يأتي إذن الهدف من رصد كتابات الشباب العربي، لكن الهدف يتمثّل أيضاً في محاولة التعرّف إلى الاهتمامات والقضايا الأكثر بروزاً في كتابات الشباب بصفة عامة، سواء ما تعلق بالانتفاضات والثورات العربية أم بغير ذلك من قضايا وظواهر اجتماعية وثقافية.

وكالعادة في "التقرير العربي السنوي للتنمية الثقافية" فإن المنهجية المتبعة في القضايا والموضوعات مازالت تركّز وبصفة أساسية على مستوى الرصد والتشخيص، من دون الانشغال بمستويات النقد والتأصيل. ولهذا فإن منهجية تناول هذا الملف لم تتعرض للدراسة النقدية والسوسيولوجية لكتابات الشباب العربي، بل اقتصرت على الرصد الكمّي فقط لهذه الكتابات والمقارنة بإجماليّ الكتابات العربية، ومحاولة تصنيفها وفقاً للحقول المعرفية التي تنتمي إليها، وبحسب الجندر، ومن خلال استخلاص السمات العامة لهذه الكتابات من دون التطرّق بعمق إلى مضامينها.

إن هذه المحاولة "لرصد" كتابات الشباب العربي التي تمّ فيها اختيار بعض الدول العربيّة كنماذج للدراسة، وهي مصر والسودان والسعودية ودول الخليج العربي ولبنان وسورية وتونس لا تدّعي الوصول إلى خلاصات نقدية أو إلى رسم ملامح سوسيولوجية لكتابات الشباب، فقد تكون لمثل هذا العمل مناسبة أخرى. لكن ما تتضمّنه هذه الدراسة يظلّ مطلوباً على صعيد الانطلاق لهكذا دراسات مستقبلاً.

لبنان وسورية

يشكّل الشباب العربي الذين تتراوح أعمارهم ما بين 15 و35 **عاماً نسبة** 66% من إجمالي سكان **العالم العربي**، أي ما يعادل ثلثي السكان. والملاحظة الأولى في شأن كتابات الشباب في **لبنان وسورية** أن هناك تفاوتاً في مقدار كتب الشباب المنشورة بين دار نشر وأخرى، وذلك يعود إلى عوامل أهمها القدرة المالية لهذه الدار أو تلك في تحمّل نفقات إنتاج الكتب، وفقاً لما صرّح به بعض مسؤولي دور النشر؛ فهناك عدد من دور النشر توقفت عن طباعة الكتب لأسباب مالية ناجمة عن عجزها في تحمل التكلفة، كما أنّ دورًا أخرى باتت تطلب من الكاتب أن يتحمَّل تكلفة الطباعة.

تتنوّع كتب الشباب المنشورة في العام 2010 بين التأليف والترجمة، فتتضمّن أيضاً كتباً موضوعة للأطفال.

يتضمَّن **الجدول الرقم** (1) لوحة شاملة لما نشرته دور النشر الرئيسة في لبنان - وهي دور النشر الأبرز، وعددها **خمسة عشر دار نشر** - من كتب لكتّاب من مختلف أنحاء العالم العربي. ويتضمن أيضاً عدد الكتّاب الشباب اللبنانيين والسوريين تحديدًا.

ويتضمّن **الجدول الرقم** (2) اسم الكاتب وعنوان في كتابه المنشور العام 2010 ونوع هذا الكتاب.

عدد الكتب الصادرة العام 2010 بلغ 949 كتاباً من مختلف الأنواع، وعدد كتّابها الشباب 37 **كاتباً**، وقد يكون عدد هذه الكتب أكثر من ذلك، لأنه تعذر الحصول على معلومات على نطاق أوسع. ومع ذلك، فإن الأرقام الواردة تدلّ على المفارقة بين عدد الكتب المنشورة، وبين ما يحتله الشباب من موقع في النشر.

يقدّم **الجدول الرقم** (2) صورة واضحة عن طبيعة التوجهات الكتابية لدى الشباب:

ـ احتلت الرواية الموقع الأول في كتابات الشباب اللبنانيين والسوريين، على السواء، وهو اتجاه غالب اليوم في عالم الكتابة في المنطقة العربية.

جدول (1) إجمالي عدد الكتب الصادرة العام 2010 وعدد الكتب التي مؤلفوها من الشباب

اسم دار النشر	عدد الكتب المنشورة	الكتّاب الشباب
مركز دراسات الوحدة العربية	43	0
دار الطليعة	11	0
دار الآداب	41	5
دار النهار	28	3
دار بيسان	54	5
منشورات الجمل	81	1
المركز الثقافي العربي	52	1
دار العلم للملايين	33	2
دار رياض الريّس	30	1
الدار العربية للعلوم	316	7
دار الفارابي	33	5
دار الساقي	20	2
دار الانتشار العربي	96	0
دار النهضة العربية	68	1
شركة المطبوعات	43	4
المجموع	949 كتابا	37 كاتباً شاباً

جدول (2) اسم الكاتب وعنوان كتابه واسم دار النشر

الكاتب	اسم الكتاب	نوع العمل	الناشر
فاتن المر	الخطايا الشائعة	رواية	دار النهار
رشا الأطرش	صابون	رواية	دار الساقي
ندى عبد الصمد	وادي أبو جميل	قصص	دار النهار
هلال شومان	نابوليتانا	رواية	دار الآداب
محمد بركات	شهوة جدتي	رواية	دار الآداب
سحر مندور	32	رواية	دار الآداب
لؤي زيتوني	نور تحت سيف العتم	رواية	دار بيسان
وضحاء فخري	الورقاء	شعر	دار بيسان
موسى رحوم عباس	الأفلون	شعر	دار بيسان
(سوري)	تشكل الـ"أنا" الشعري	دراسة أدبية نقدية	دار بيسان
رزق الله قسطنطين	قتلت حبيبتي وأنتظر	شعر	دار بيسان
علي بدران	الكاميرا لا تلتقط العصافير	شعر	منشورات الجمل
مازن معروف	العنف في الإسلام المعاصر	فكر ودين	المركز الثقافي العربي
ريتا فرج	صعوبة القراءة	تربية خاصة	دار العلم للملايين
لى بلطجي	غريب	قصص أطفال	دار العلم للملايين
مارلين السبع	منزل الأخت الصغرى	شعر	دار الريّس للنشر
ناظم السيد	يوم أشرقت الشمس	رواية	دار الساقي
نديم نجدي	جندي عائد من البكالوريا	شعر	دار الساقي
زكي بيضون	اشتقت إلى الخطيئة	شعر	دار الفارابي
رلى الحلو	امرأة تحمل البحر جنينا	شعر	دار الفارابي
لمى سشعبان	ذاكرة الأوراق الآثمة	رواية	دار الفارابي
سامر منصور	رحلة الإبداع	شعر	دار الفارابي
دانا تقي	سيليكون	قصص	دار الفارابي
إنجاد قصيباتي (سوري)	الصرصار	رواية	شركة المطبوعات
راوي حاج	بوح أنثوي	شعر	شركة المطبوعات
منى الدايخ	المبسط في الدستور اللبناني	قانون دستوري	شركة المطبوعات
وسام اللحام	وصية شاعرة	شعر	شركة المطبوعات

يعود التفاوت في مقدار كتب الشباب المنشورة بين دار نشر وأخرى، إلى عوامل أهمها القدرة المالية لهذه الدار أو تلك في تحمّل نفقات إنتاج الكتب، فهناك دور نشر توقفت عن طباعة الكتب لأسباب مالية ناجمة عن عجزها في تحمل التكلفة، وهناك دور أخرى باتت تطلب من الكاتب أن يتحمَّل تكلفة الطباعة.

معظم الكُتّاب الشباب اللبنانيين ولدوا بعد اندلاع الحرب الأهلية (1975) وترعرعوا في ظل أوضاع سياسية وأمنية مضطربة غير مستقرّة تسودها الصراعات السياسية والمذهبية والطائفية، وكلها عوامل لا تزال تجرجر نفسها في صيغة حرب أهلية باردة.

تابع الجدول (1) اسم الكاتب وعنوان كتابه واسم دار النشر

الكاتب	اسم الكتاب	نوع العمل	الناشر
ناهد عيد	الغريب	رواية	الدار العربية للعلوم
وليد عودة	قراءة الناس	علم نفس	الدار العربية للعلوم
محيي الدين الصبان	حكايات للحروف	قصص أطفال	الدار العربية للعلوم
منى شبقلو	مشروع لبنان الاقتصادي	اقتصاد	الدار العربية للعلوم
مازن سويد	أغنية لمارغريت	رواية	الدار العربية للعلوم
لنا عبد الرحمن	العشق الدمشقي	رواية	الدار العربية للعلوم
دياب عيد (سوري)	سرمدة	رواية	الدار العربية للعلوم
فادي عزام (سوري)	هذه القصة تجري	رسومات متحركة	دار الآداب
مازن كرباج	كرسي	رواية	دار الآداب
ديمة ونوس (سورية)	في علوم اللغة العربية	لغة وأدب	دار النهضة العربية

ـ أتى الشعر في موقع موازٍ تقريباً للرواية (أكثر من ثلث الأعمال المنشورة).

ـ الكتب المنشورة تحت عناوين: دراسات نقدية وقانون وعلم نفس وتربية وفكر وتاريخ، هي في معظمها رسائل جامعية (أطروحات دكتوراه أو ماجستير)، عمد أصحابها إلى نشرها كتباً.

ـ الاتجاه الغالب على معظم كتابات الشباب في **لبنان وسورية** هو الرواية والشعر.

كتابات الشباب وسماتُها العامة

تتصل السمات العامة لكتابات الشباب بجملة عناصر، منها الموضوعي العام، كالمحيط والبيئة، فلكلّ بلد خصائصه التي تؤثر على نتاج الشباب؛ ومنها الذاتي الخاص بالشباب نفسه، من دون أن ينفي ذلك وجود قواسم مشتركة بين الجميع.

كتابات الشباب المتصلة بطبيعة المرحلة

شهدت المنطقة العربية، في العقود التي سبقت الربيع العربي، مرحلة اضطراب سياسي واجتماعي للخروج من إسار التخلف والفقر وتحسين مستوى العيش، في ظل استعصاء الوصول إلى حلول لقضايا قومية ووطنية، فكان من أبرز نتائج ذلك تهميش القسم الأوسع من الشعوب العربية، وبخاصة، أجيال الشباب، التي وجدت نفسها في حال انفصام بين عالم تعيشه مفتوح على الفضاء العالمي الأوسع، وبين قوقعة ضيقة تعمل السلطات على حجزها داخل جدرانها. وذلك في وقت يعيش فيه العالم ثورة علمية حوّلته، مع تطوّر تكنولوجيا الاتصالات، إلى "قرية صغيرة".

بصفة عامة، تبدو كتابات الشباب في العام 2010 محكومة بالتعبير عن هذه الهامشية التي تسحقه، وعن الانفصام الكبير بين طموحه والواقع العربي. على أن حدَّة التعبير عن هذا الواقع تتفاوت بين بلد عربي وآخر.. فما هي الخصوصية التي تطبع كتابات الشباب في **لبنان وسورية**؟

عندما نتحدث عن كتابات الشباب في **لبنان**، نجد أن معظم الكُتاب الشباب ولدوا وترعرعوا في ظل أوضاع سياسية وأمنية سمتها الاضطراب وعدم الاستقرار والصراعات السياسية والمذهبية والطائفية (معظم هؤلاء الكتّاب ولدوا بعد العام 1975 الذي هو رسمياً تاريخ اندلاع الحرب الأهلية)، وكلها عوامل متصلة بالحرب الأهلية التي اندلعت منتصف السبعينيات، ولا تزال عواملها تجرجر نفسها في صيغة حرب أهلية باردة، وفي خطاب سياسي طائفي يشحن النفوس، ليشكّل هذا الواقع في تأثيراته السلبية أحد عناصر الإحباط واليأس التي تصيب غالبية اللبنانيين، لكنها تترك أثرها الأكبر على أجيال الشباب، فتعكس نفسها هروباً من هذا الواقع، ورفضاً للسياسة والسياسيين. هذا الهروب من الحرب ورفضها عملياً من خلال تجاهلها أو التلميح الى بعض مظاهرها نجده مثلاً في كتابات **مازن كرباج** الحادة في نقدها للواقع الراهن، وفي روايات **سحر مندور وهلال شومان ومحمد بركات**.

تعبّر كتابات الشباب السوري المحكومة بحدود الحريات عن تقييد هذه الحريات وتئن كتابات الشباب في **سورية** تحت القيود المفروضة، مضافاً إليها آثار الوضع السياسي المأزوم التي تجعل من القضية الوطنية غير بعيدة عن التناول بشكل أو بآخر. يتجلى ذلك بوضوح في رواية **ديما ونوس** (كرسي)، في ما يخص الزمن الراهن، كما تعبّر عنه رواية **فادي عزام** (سرمدة) الذي يعود إلى زمن حكم المخابرات أيام الوحدة مع **مصر**، واستمراره اللاحق فيما بعد.

في مرحلة سابقة، مرحلة الصعود القومي والتحولات الاجتماعية، وسيادة أفكار التغيير الجذري، كانت كتابات الشباب في جيل الستينيات ثم في جيل السبعينيات، تعبّر عن الانخراط في العمل السياسي وحمل مشاريع التغيير السياسي والاجتماعي، وعن قضايا الشعب وهموم الأمة. ويمكن أن تُنسَب رواية سرمدة لـ**فادي عزام** إلى ذلك النمط من الروايات السابقة لجيل الستينيات والسبعينيات.

بيد أن سلسلة الهزائم المتعاقبة، منذ عقود، على المنطقة العربية، انعكست في كتابات الشباب، في صيغة الهروب من السياسة أو التعبير الرافض أو الساخر، وصولاً إلى العبثية، في الكتابة والممارسة. نلمس ذلك في كتابات **مندور وشومان**، ورواية صابون لـ **رشا الأطرش**.

انعكست سلسلة الهزائم المتعاقبة، منذ عقود، على المنطقة العربية، في كتابات الشباب، في صيغة هروب من السياسة او تعبير رافض أو ساخر، وصولاً إلى العبثية، كتابة وممارسة. ويرى ذلك بوضوح في كتابات مندور وشومان، وفي رواية "صابون" لرشا الأطرش.

هموم الشباب في كتاباتهم

يصعب تقديم لوحة شاملة عن هموم الشباب واهتماماتهم في كل من **لبنان وسورية** من خلال عدد محدود من النتاج الأدبي. لكنَّ ذلك لا يعني عدم إمكان رصد بعض تلك الهموم.

يحتلّ الإنترنت ومواقع التواصل الاجتماعي حيزًا كبيرًا من اهتمامات الشباب؛ فالتعارف والتحاور لم يكونا معروفَيْن، إلى زمن قصير، فبات الفيسبوك والتويتر وغيرهما من المواقع تستحوذ على أوقات الشباب، وتحوّل الإنترنت إلى الوسيلة الرئيسية في التواصل بين الشباب وتبادل الهموم الشخصية. وإذا كانت الروايات التي جرى الاستشهاد بها من كتّاب لبنانيين تؤكد على هذا الحكم، فما ذلك إلاّ بسبب اقتحام العالم الافتراضي للمجتمع اللبناني بقوة، بحيث لا يقتصر الأمر على الشباب بل يكاد يطال جميع الفئات العمرية. يختلف الأمر في كتابات الشباب السوري، حيث يحتل هذا الموضوع موقعاً هامشياً، قد يعود السبب فيه إلى حجم انتشار تقنية الاتصالات والإنترنت ومواقع التواصل الاجتماعي التي تظل ضعيفة قياساً إلى **لبنان**.

تحتل مسألة التحرر من الثقافة السائدة تجاه العلاقة بين الفتاة والشاب حجماً طاغياً في معظم كتابات الشباب. تتصل هذه النقطة بقضية حق الفتاة أو الشاب في عيش حياة متحررة، يجري التعبير عنها بهاجس الاستقلالية. تفتح هذه الاستقلالية والحرية في

العيش على قضية العلاقات الجنسية بين الشاب والفتـاة. تخترق هذه القضـية جميـع الروايات تقريباً، وتحتل حيزًا غير قليل في التعبير عنها، حيث تجد تعبيرهـا في روايات الشباب اللبنانيين (**مندور وشومان**) وفي الرواية السورية (**ونوس وعزام**). نعثر في الكتابات على معاني مختلفة للحب عما ألفناه في كتابات الأجيال السـابقة، واتصـاله بالحرمـان والرومانسـية واللوعـة. لكـنّ الأدب الشـبابي يحمـل في الوقـت نفسـه صورًا عن الثقافة والتقاليد المحافظة في شأن العلاقـات بـين الشـاب والفتـاة (روايـة **هلال شومان**:نـابوليتـانـا)، ويتجلـى ذلـك في مجرى الروايات، أو في السجال مع شباب وفتيات من دعاة التمادي في التحرر.

نمط عيش الحياة اليومية هو جوهر كتابات الشباب، فذلك النمط يعكس أكثر التناقضاتِ والهواجس والمعضلات، إذ يحتل السهر واللهو والرقص والذهابِ إلى النوادي الليلية حيزًا مهمّاً من حياتهم.

تنجدل في روايات الشباب اللبنانيين جملة اختلافـات وتناقضـات في مـا خص المسـألة الجنسـية، مـن دعـوة إلى التحـرّر قبـل الزواج، وبخاصـة بين أجيال الشباب، مقابل تحفظات عـن السـير في هـذا المنحـى، وانتظـار الزواج لإقامة مثل هـذه العلاقات (رواية **سحر مندور وهـلال شومـان**)، فيمـا تبتعد الرواية السـورية إلى حـد بعيـد عن الدخول في هذا الموضـوع أو الدعوة إليه.

تـأخـذ العلاقة بين الشـاب والفتـاة والمآل الـذي يجـب أن تصـل إليـه حيزًا غـير قليل في معظم الكتابات. فقضية الزواج أو عدمه تحضر بقـوة، حيث نجـد أنّ الفتـاة التـي لا تمانـع في عيش حيـاة متحررة قبل الزواج، تظل محكومة بهاجس أن تنتهي هذه العلاقة بالزواج (رواية 32 لـ**سحر مندور**)، فيمـا يبدو التفلّت والرغبة بالهـروب مـن الالتـزام هـاجس الشـاب (رواية **هـلال شومـان** "نابوليتـانـا"). تعكـس كتابـات عديـدة هـذا التناقـض في النظـرة إلى العلاقة والخلافـات الناشـئة عـن هـذا الابتعـاد في وجهات النظر. تحفل بعض الكتابـات بنقاش حـول مؤسسـة الـزواج ومـدى الحاجـة إليهـا (روايـة **منـدور**)، والتشبّه ببعض المجتمعات الأوروبيـة التي لم تعد هذه المؤسسـة ضرورية للعلاقـة الزوجية أو لحقوق الولد والزوجين في حال التوصل إلى الطلاق.

تعكس الكتابات معضـلات الحياة اليومية والخاصـة للشـباب، من خلال قضـايا الطلاق المتزايد في أوسـاط الأجيال الشابة، والمتصلة بـالنظـرة إلى الحياة والعـادات والتقاليد ونمط الممارسـة الزوجية. كما تتصل قضايا الطلاق بصـعوبات الحياة الاقتصادية والاستقلال في المنـزل في ظـل صـعوبات تـأمين سـكن لائق، واضـطرار الزوجـين إلى العيش مـع الأهل وما يرتبه ذلك من معضـلات وخلافات بين الأسرة الجديدة والقديمة. وفي السياق نفسه تَردُ مسألة الـزواج المختلـط مـن طوائـف مختلفـة، حيث تتدخـل أحيانـاً كثـيرة التناقضـات الطائفية ونمـط الثقافـة المختلفة التي تضـرب العلاقة الزوجية أو تحولها إلى حياة صـعبة، قد تنتهي بـالطـلاق، (نلمس ذلـك في روايـات **بـركات ومنـدور وشومـان**، فيمـا تغيـب عـن روايـات الكتاب السوريين الواردة في هذا النص).

استكمالاً لقضـايا العلاقات بين الجنسين، تحتـل قضـية الخيانـة حجماً غير قليـل، وهي خيانة قد تقوم قبل الزواج، بحيث يدخل الشاب أو الفتـاة في علاقـات أخـرى في الوقت الذي لم يقطع فيه العلاقة الأصلية. أما الخيانة الزوجية فهـي حاضـرة، ولا تقتصـر علـى طـرف دون الآخـر، لكـنّ الكتابات تشـير إلى حجم الخيانة الزوجية الممارسـة من قبل الرجل بما لا يقاس بـالنسـبة إلى المـرأة، (روايـة "شـهوة جدتـي" لـ **محمد بـركات**، وكذلـك روايـة "نابوليتانـا" لـ**هلال شومان** . كما يحتل هذا الموضـوع حيزًا واضـحاً في الرواية السـورية، سـواء في رواية **ديما ونوس** ("كرسي") أو في رواية **فادي عزام** ("سرمدة").

يمثـل نمـط عيش الحيـاة اليوميـة صـلب كتابـات الشـباب، حيث تعكس هـذه النقطة أكثر التناقضـات والهواجس والمعضـلات: فـالسـهر واللهـو والرقص والذهـاب إلى النـوادي الليلية، يحتـلّ حيـزًا مهمّـاً مـن حياتهم. وهو موضـوع

تشترك فيه الفتاة مع الشاب، ويرتبط بكل النظرة التحررية التي يسعى الشباب الوصول إليها. وفي سـياق هـذه الحياة، يتكشـف حجـم الانحرافات لدى الشـباب من الجنسين، ولاسـيّما في تعاطي المخدرات والسـكر حتى الثمالـة، وما يرافق ذلك مـن تصرفات غـير أخلاقية. تبدو هـذه المظاهر أكـثر حـدَّة في الحيـاة اليومية للشـباب اللبناني عنـه لـدى الشـباب السـوري، وهو أمر يعـود إلى بعض التفاوت في طبيعة المجتمع وسلطة القيود التقليدية المحافظة التي هي أقل تشددًا في **لبنان** عنها في **سورية**، (تخرج عن هذا التحفظ مجموعة قصـص الكاتب السـوري **أنجـاد قصيباتي** التي تشبه روايات الكتاب اللبنانيين).

تحضر هموم المسـتقبل لدى الشباب وتجد تعبيرهـا في كتاباتهم لجهة صـعوبة الحصـول علـى وظيفة متناسـبة مـع تحصـيلهم العلمي (روايـة "سـيليكون" **لأنجاد قصيباتي**)، والقلق مـن البطالـة، والاضـطرار إلى السـفر بحثاً عن عمل، وتبدو معاناة الفتاة أكثر حدَّةً من معاناة الفتى، حيث يظل هـاجس الأهل وقلقهم يرافق أي خيار ستتخذه (روايات **مندور وشومان**). يجري التعبير عن هذه المسألة بنقد صارخ للأوضـاع السياسية ولرجال السياسة الذين يدمرون البلد وليـس لديهم أي اهتمام بـالأجيال التي تتخرج سـنوياً. يطبع النظرة السـلبية كتابات الشباب تجاه السياسة في **لبنان**، ويطال الغضب طبيعة النظام السياسي الطائفي والمحاصصة وسلطة رؤساء الطوائف ورجال الدين الذين يتواطؤون مع رجـال السياسـة. لا تختلف النظـرة في بلد مثـل **سوريـة** عـن حجـم التذمـر الشـبابي من النظام السـائد وآثاره السلبية على مستقبل هذا الشباب (رواية **ديما ونوس**).

تنعكـس الحيـاة السياسـية في كتابـات الشـباب بشـكل مختلف بين الكتاب اللبنانيين والكتـاب السـوريين. في **لبنـان** تحضـر الحرب الأهليـة سـلباً من خلال المـرور على المآسـي التي خلفتها، وأعاقت تطور البلد وعطّلت نموّه، بما خلق حالات من الإحباط واليأس لدى جيل الشباب من السياسـة والسياسيين. لكن الحرب تظـل حاضـرة في الخـوف مـن الانفجـارات والاضـطرابات الأمنية والاغتيالات السياسية التـي لم تتوقف في **لبنان** (رواية **سحر مندور**). أمـا في كتابات الشـباب السـوريين، فلا يغيب النظام السياسـي بتهميشـه للشباب، والحد من حرية الـرأي والتعبير، والاعتقالات السياسـية واختفـاء المعتقلـين وعـدم معرفة مصـيرهم، وقضـايا الهزيمـة والاحتـلال (روايـة **فـادي عـزام** "سرمـدة"). كمـا تحضـر نتائـج هـذا الوضـع في البيروقراطيـة والانتهازية والولاء للحـزب مـن دون قناعـة مـن أجـل الحصـول علـى وظيفـة، والأوضـاع الاجتماعية السـيئة والفقر والبطالة. وتحضر أيضـاً سلطة العادات والتقـاليد والصراع الخفـي بين الطوائف ودور الحـزب الحاكـم في تدهور وضـع البلـد (رواية **ديما ونوس** "كرسي").

في كثير من الكتابات، لا تبدو الجامعة مكاناً لتحصيل المعرفة والإفادة من الخبرات الأكاديمية، بمقدار ما تشكّل المكان الأمثل للاستقلالية الفردية والتعارف الحر بين الفتاة والشاب بعيدًا عن رقابة الأهل أو المجتمع.

في كثـير مـن الكتابـات، لا تبـدو الجامعة مكاناً لتحصـيل المعرفة والإفادة من الخبرات الأكاديميـة، بمقـدار مـا تشكّل المـكان الأمثل للاستقلالية الفردية والتعارف الحر بين الفتاة والشـاب بعيـدًا عـن رقابـة الأهـل أو المجتمع. ينعكـس ذلـك علـى حجـم التحصـيل العلمـي المحـدود في كثـير مـن الكليات، وعلـى تخرج أجيـال تقع مسـافة بعيدة بينها وبـين أجيال سابقة لجهة النتيجة العلمية أو المعرفية، فنحن هنـا أمام ضـحالة واسـعة، وعجز عن اكتسـاب المعرفة التي تقدمها الحيـاة الأكاديمية، وهي أمور تتصـل وثيقـاً بـالحياة الحـرة والمفتوحة أمام جيل الشباب وتفضـيله سهولة الاكتساب على جهد التحصـيل المطلوب. ويتجلى ذلك في كتابـات تعكـس الحيـاة العبثية التي يعيشـها شباب الجامعات من الجنسين.

الهموم الغائبة عن كتابات الشباب

مـن ملامـح اتجاهـات الشـباب الكتابيـة، نشـير إلى ملمح لا يتصـل بهموم الشباب اليوم. لكن تحديد هـذا الملمَح يظل نسـبياً، بـالنظر إلى



صعوبة الوصول إلى حكم جازم من خلال الاقتصار على بعض الكتابات الشبابية. فالجيل الحالي من الشباب يتخفف من الأعباء التي حملها الجيل السابق على أكثر من صعيد، وبخاصة القضايا الاجتماعية والسياسية والاقتصادية. لم يعش هذا الجيل خيبات الجيل السابق وسقوط أوهام طالما كرّس لها كتاباته، وهو ما نجده لدى الكتّاب المخضرمين. لا يعني ذلك أنّ شباب اليوم يعيش في ظل أجواء أفضل؛ فالأوضاع الاقتصادية والاجتماعية تبدو في حال مزرية في المجتمعات العربية بعامة. أما إذا ما نظرنا إليها من منظار الفقر والأمية والبطالة والجريمة والمخدرات.. حيث تقدم التقارير الرسمية وتقارير **الأمم المتحدة** والمؤسسات البحثية والإحصائية العربية صورة مرعبة عن هذا الواقع.

تبتعد كتابات الشباب الحالي عن النفس النضالي والحماسة الثورية التي طبعت كتابات الجيل السابق، ولاسيّما أنّ هذا الجيل بعيد عن الانتماء الحزبي المباشر أو غير المباشر. على أنه يمكن استثناء كتابات شباب ملتزمين حزبياً أو عقائدياً أو أيديولجياً. لكن نتاج هؤلاء الشباب قد يكون أقرب إلى منشور حزبي من كونه نتاجاً شعرياً أو أدبياً. مع الملاحظة أنه في بلد مثل **لبنان** يتحوّل الشباب إلى وقود للصراع الطائفي والمذهبي. تبدو المفارقة كبيرة بين صورة الشباب اللبناني المتحرر من القيود التقليدية والطائفية في حياته اليومية، وصورة الشاب المنضوي في منظومة حزبية أو طائفية عندما يستدعي الأمر النزول إلى الشارع أو المشاركة في مناسبة سياسية، وهو أمر يعكس حال التناقض والانفصام التي تصيب معظم الشباب اللبناني.

تبتعد كتابات الشباب الحالي عن النفس النضالي والحماسة الثورية التي طبعت كتابات الجيل السابق، على أنه يمكن استثناء كتابات شباب ملتزمين حزبياً أو عقائدياً أو إيديولوجياً. تبدو المفارقة كبيرة بين صورة الشباب اللبناني المتحرر من القيود التقليدية والطائفية في حياته اليومية، وصورة الشاب المنضوي في منظومة حزبية أو طائفية، وهو أمر يعكس حال التناقض والانفصام التي تصيب معظم الشباب اللبناني .

تغيب القضايا السياسية المباشرة المتصلة بالصراعات الاجتماعية والإضرابات والاعتصامات والتظاهرات، وما يتصل بها من أدب سياسي وشعبي عرفته الحياة السياسية والثقافية في مرحلة سابقة. ونادراً ما تُطرَح قضايا وطنية كالصراع العربي الإسرائيلي وطبيعة الأنظمة السياسية. وعندما تُطرَح هذه القضايا فإنها تَرِدُ مفعَمَةً بنظرة سلبية تجاهها، أو بيأس عربي من إمكان الخروج من مستنقع الهزائم. وذلك خلافاً لبعض كتابات الشباب السوري، حيث تظل قضية الصراع العربي الإسرائيلي حاضرة أكثر منها لدى الكتّاب الشباب اللبنانيين، كما في رواية "سرمدة" لـ**فادي عزام**، ورواية "كرسي" لـ**ديما ونوس**.

لا تقدّم كتابات الشباب رؤاها في القضايا الوجودية المتصلة بالحياة والموت والقلق الشخصي، وهي أمور صبغت الكثير من روايات الجيل السابق وأعطتها أبعادًا عالمية، ولا تزال تحتفظ بموقعها الفكري والثقافي حتى اليوم. يستثنى من هذا الحكم رواية الكاتب السوري **فادي عزام** "سرمدة" التي غاصت بعيدًا في الماورائيات والأساطير الموروثة .

على الرغم من أنّ المنطقة تشهد حراكاً سياسياً وثقافياً في شأن صعود الحركات الإسلامية والسلفية، والتي تحمل مشروعاً للسلطة، ويعتمد معها العنف وسيلة لتحقيقه، إلاّ أنّ الكتابات الشبابية الحالية تبدو بعيدة عن الخوض في هذه القضايا ولو بشكل غير مباشر. ويمكن سحب الموضوع نفسه على مدى الاهتمام بالتطورات الثقافية في العالم وحدود التفاعل مع هذه التطورات، وهو أمر قد يكون مرتبطاً بالحدود التي يسعى فيها الشباب إلى التواصل مع الأدب العالمي.

محاولة لتقويم الكتابات الشبابية

يرتبط تقويم الكتابات الشبابية، بإيجابياتها وسلبياتها، بجملة عوامل أهمها حداثة التجربة والتحصيل الثقافي والتقنية اللازمة في الكتابة. في هذا المجال يمكن تعيين بعض الملاحظات، التي تبقى جزئية، قياساً للكتابات المتعددة في أكثر من بلد عربي.

ينطلق التقويم الإيجابي من مجرد انخراط الشباب في تجربة الكتابة، فهذا يعني الجهد في البحث والتدقيق في المضمون والموضوعات والتقنية، بصرف النظر عن النظرة التقويمية لهذا النتاج. دخول الشباب في تجربة الكتابة، الروائية أو الشعرية، يضعهم على طريق الخلق الإبداعي، ويرتّب عليهم القراءة والبحث والسؤال والسجال والتواضع في تقديم الذات والموضوع. وهذه كلها أمور معروفة لأي كاتب جاد انخرط في ميدان البحث والكتابة والإبداع.

انطلاقاً من هذا المقياس، لا نظلم الكتابات الشبابية، في معظمها، إذا ما وصفناها بأنها تفتقد "الروح" والعمق، بما يجعلها لا تترك أثرًا في نفس القارئ بعد الانتهاء منها (نستثني من ذلك روايتي فادي عزام وديما ونوس وغيرهما). ليست المقارنة بين الكتابات الشبابية السابقة لعهود خلت، في الشعر والنثر دون معنى، حيث كان النتاج السابق، الى حد بعيد، يعطي اهتماما كبيرًا للنص، شكلاً ومضموناً ولغة وأفكارًا، بما يجعل النص تعبيرًا عن قلق وجودي وكياني، ولا ينتهي أثره بمجرد انتهاء القراءة منه.

تطرح الملاحظة السابقة إشكالات واعتراضات من الكتاب الشباب، تحت حجة أنّ الكتابة السابقة تقليدية، فيما يعتمد الشباب التقنية الحديثة في التعبير في الشكل والمضمون. فليس مهمة النص حسب وجهة نظرهم أن يتصل بالنظرية السياسية أو مشاكل المجتمع أو هموم الناس، فالنص الناجح لدى الشباب هو الذي يعبّر عن الحياة اليومية ويعكس هموم الشباب الحياتية، بصرف النظر عن قضايا الوجود والتغيير والنضال. وهي وجهة نظر لايمكن تسفيهها بالمطلق، لكن يمكن مقاربتها من زاوية المضمون الذي يجري التعبير من خلاله، الذي هو عبارة عن سرد ليوميات بشكل عام. مما يمكن القول أنّ هناك حداثة في الشكل مقترنة بتخلّف نسبي في المضمون.

من الملاحظ أنّ نتاج الشباب، في نصوصه الروائية والشعرية غزير، ويعود ذلك إلى استسهال النشر، وادعاء دور النشر أنها تشجع كتابات الشباب. ومع أهمية أن يطل الشاب في نتاجه، وهو ما يعطيه دفعاً معنوياً للعمل على تحسين كتاباته، إلاّ أنّ هذا النشر السهل لكتب يصعب تصنيفها في خانة "الكتاب" بمعناه الفعلي، سواء أكان رواية أم شعراً، لا يفيد كثيرًا الشباب، حيث يمكن لنرجسيته أن تدفعه إلى تصنيف نفسه في خانة الشعراء أو الروائيين "الكبار". تنبع هذه الملاحظة خصوصاً من بعض كتب الشعر المصنّف غير تقليدي، حيث يضمّ بعض الصفحات "قصائد" عبارة عن سطرين أو ثلاثة أسطر من الحجم الصغير، ويجري تقديمها على أنها قصيدة، وفي التدقيق تبدو معانيها سطحية (وهو أمر يمكن ملاحظته في مجموعتيّ الشعر لـ **لوركا سبيتي وناظم السيد**).

لا تقدّم كتابات الشباب رؤاها في القضايا الوجودية المتصلة بالحياة والموت والقلق الشخصي، وهي أمور صبغت الكثير من روايات الجيل السابق وأعطتها أبعادًا عالمية، ولا تزال تحتفظ بموقعها الفكري والثقافي حتى اليوم.

على الرغم من الملاحظات السلبية هذه على مضمون الكتابات الشبابية، إلاّ أنه يجب الاعتراف بتطور التقنية في كتابة النص، خصوصاً الروائي منه. يعود الأمر إلى وجود كتاب وروائيين، في **لبنان** خصوصاً، أخذوا على عاتقهم إقامة دورات في تعليم كتابة الرواية لدى الشباب. هذه التجربة هامة في تطوير الكتابة الإبداعية، تحتاجها كل الأقطار العربية، وتقع المسؤولية على الكتّاب والروائيين في تقديم المساعدة لهذه الأجيال الشابة على الكتابة، شكلاً ومضموناً. كما أنّ معظم الكتّاب الشباب يعملون في ميدان الصحافة، وهو ميدان يتدخل في تدريب الكاتب على تقنية الكتابة الصحيحة (**مندور**، **شومان**، **ونوس**..)

لا نظلم الكتابات الشبابية، في معظمها، إذا ما وصفناها بأنها تفتقد "الروح" والعمق، بما يجعلها لا تترك أثرًا في نفس القارئ بعد الانتهاء منها؛ باستثناء روايتيّ فادي عزام وديما ونوس وغيرهما.

كتابات الشباب في سنّ تتراوح بين 15 و 24 سنة

يستند هذا القسم إلى دراسات ميدانية ونظرية قام بها "**تجمّع الباحثات اللبنانيات**"، وطالت عيّنة واسعة من الشباب، إناثاً وذكورًا،



في أكثر من قطر عربي. صدرت الدراسات المذكورة في كتاب بعنوان "الممارسات الثقافية للشباب العربي" (الكتاب الرابع عشر 2009 – 2010).

ممارسات الشباب الثقافية (بين سن الخامسة عشرة والرابعة والعشرين)

بعض المؤسسات والجمعيات العاملة في ميدان الثقافة، تولي جيل الشباب بين العمر 15 – 24 عاماً اهتماماً خاصاً، فترصد همومه واندفاعه نحو الاستقلال، والتساؤل، والبحث عن الذات. وتسعى هذه المؤسسات إلى رصد مدى انخراط هذه الفئة من الشباب في ممارسات ثقافية، فتشجعها على الكتابة في ميادين متعددة، كالقصة والشعر وسائر الفنون الأدبية الأخرى. وهي ترمي من وراء هذا التشجيع إلى الإسهام في بلورة هوية الشباب الخاصة، وتدريبه على مواجهة السلطات الثقافية والتقليدية السائدة التي تشكل عقبة تحدّ من اندفاعه، بل تعيق تطوره.

علاقة الشباب بالقراءة

تكاد الأبحاث والدراسات تُجمِع على تراجع مكانة القراءة بوصفها ممارسة ثقافية، ولا تقتصر هذه المعضلة على جيل الشباب، بل تكاد تشمل مثقفين وأساتذة جامعات وعاملين في ميدان التعليم، بعدما كانت القراءة مادة تكوينهم الثقافي والفكري والسياسي. تتفاقم الصورة لدى جيل الشباب، بسبب انصراف هذا الجيل إلى مصادر "ثقافية" أخرى لتكوّن شخصيتهم الثقافية من خلال الوسائل التقنية المتعلقة بالتلفزيون ووسائل الإتصال الحديثة (إنترنت، وغيره، إلخ..) تترك هذه التحولات آثارًا سلبية على هذا التكوين الثقافي، نلمسه في الكثير من كتابات الشباب، التي تفتقر إلى العمق التحليلي والغوص في قراءة النفس البشرية وتفكيك الواقع، خلافاً لما نلمسه في كتابات السابقين والمخضرمين. وتشير دراسة تناولت سلوك القراءة لدى الشابات الجامعيات في **لبنان** إلى أنّ "هذه الفئة لا تزال تقرأ، ونسبتهنّ تفوق نسبة الشبّان. لكن نسبة اللواتي يقرأن أكثر من خمسة كتب في السنة متدنية".

تكاد الأبحاث والدراسات تُجمِع على تراجع مكانة القراءة بوصفها ممارسة ثقافية، ولا تقتصر هذه المعضلة على جيل الشباب، بل تكاد تشمل مثقفين وأساتذة جامعات وعاملين في ميدان التعليم، بعدما كانت القراءة مادة تكوينهم الثقافي والفكري والسياسي.

السياسات الثقافية بوصفها مصادر ترفيه وتسلية

باستثناء القراءة، بوصفها مصدراً مهماً من مصادر التكوين الثقافي للشباب، نجد أنّ المصادر الأخرى، كالمسرح والسينما المحلية وبرامج التلفزيون المتنوعة، تركّز على الترفيه والتسلية. نادرة هي البرامج التثقيقية الجادة التي يمكن لها أن تلعب دورًا ثقافياً. في الأبحاث التي تنشر تباعاً حول ضمور هذه السياسة في تشجيع الثقافة وبرامجها، ترد إجابات صريحة من قِبَل المسؤولين عن وسائل الإعلام بأنّ مثل هذه البرامج لا تستقطب جمهورًا، ما يعني أنّ شركات الإعلان لا تشجعها ولا تُنفِق على نشر دعايات تُرفَق بها. وتقول شريحة واسعة من الشباب إنّ مثل هذه البرامج مملة وتفتقد التشويق.

ملامح ومواصفات أدب الشابات

تتناول بعض الشابات في رواياتهنّ وكتاباتهنّ الأدبية قضايا مجتمعاتهن، كنمط حياة الفتيات، الذي يبدو أنه يفتقد إلى الشعور بالأمان السياسي والاجتماعي والثقافي، وهو يؤدي إلى نتائج أبرزها ذلك التخبط والقلق النفسي الذي تعيشه الفتاة في مجتمعها. وتشير الباحثة اللبنانية **نهى بيومي** (في كتابها: أدب الشابات غير بريء، ص 185) إلى علاقة بين شاب وفتاة في مجتمع مديني يعكس تفكير كل واحد منهما بموضوع الحب والزواج، حيث تريد الفتاة إنهاء علاقتهما الجميلة بالزواج، فيما يصر صديقها على عدم الارتباط، وهو ما يضع الفريقين في حال من القلق والتردد ينتهي بخيارات واحتمالات متناقضة ليس أقلها إنهاء العلاقة.

لا يغيب عن أدب الشابات تأثير الثقافة التقليدية الداعية إلى الانضباط في السلوك الفردي، بحيث تبرز في صيغة تناقض أو تصطدم أحياناً مع هذه القواعد، في سعيها إلى الانفلات والتحرر الفردي. تقول الباحثة **بيومي** في وصفها لهذا التناقض :"هكذا نتعرف إلى بعض أوجه العالم النقيض المكبوت خلف الوجوه والمرئي والمتداول الذي تضعه الأنظمة الثقافية، فنرى في الوقت عينه النموذج الثقافي المسيطر والنشاز الذي يخلقه، إذ يستحيل التطابق معه والتحول عن نطاقه كلية. يتجسد هذا المنحى في محورين أساسيين: الحب والجسد".

في أدب الشابات يتقدم الحب، ليس كما في أدب جيل الستينيات حيث كان نموذج الحب الرومانسي هو السائد والهادف إلى الذوبان في الحبيب والموصل، إلى النهاية السعيدة في الزواج، بل يبدو "الحب المعاصر" مصاباً بقلق واضطراب، يتجلى في صعوبة وصوله إلى الزواج، وإدراك استحالة ديمومته وثباته لفترة طويلة. لذا " يبدو السرد مهووساً باللذة الجسدية خارج حدود العلاقات المشروعة اجتماعياً. ومشاعر الحب تملّكية وتسلّطية واستحواذية، ونادرًا ما كانت ذوباناً في الآخر، بل صراعاً بين أجساد لاتعرف منتهاها" (**نهى بيومي**، ص185). هكذا يصبح الجسد في روايات الشابات حقل اختبار للحب ومدى الانسجام، وتحوّله إلى مادة معرفية يرغبان من خلاله اكتشاف عوالم متعددة.

تعكس كتابات الشابات المفارقة بين تطلعات الفتاة ورغباتها وبين ما يحمل الشاب من مفاهيم و"قيم" يرغب عيشها. فالشباب يريد البقاء حرًا وطليقاً، لا تقيّده العلاقة مع الفتاة بالتزامات يسعى كل جهده للتفلت منها، من دون أن يتنكّر لحبه أو إخلاصه لحبيبته، فينجم عن ذلك اتهام الفتاة للرجل بأنه بلا عواطف وكاذب ومخادع. لكنّ الفتاة، كما تظهر في أدب الكاتبات، كثيرًا ما يظهر التناقض بين أفكارها وبين رغباتها وسلوكها وفهمها للحب والزواج. فالرغبة في الزواج تظل دفينة وعميقة خلافاً لما تكشف عنها في مجرى العلاقة، وهو أمر يرى الباحثون في علم النفس أنه "يعبّر عن فطرة حسية أنثوية تميل إلى الارتباط والحميمية والاستقرار".

يحتل الجسد موقعاً مركزياً في كتابات الشباب. ومن خلال الحديث عنه وإدخاله في التجربة تنكشف جملة عوامل مادية ونفسية وثقافية تعكس طبيعة التصورات والأفكار والوعي الكياني والوجودي، "لذا تحضر الأجساد لتقول المضمر والمستبطن، ولتظهر التقلبات والتنافر بين العطاء والتلقي، بلغة أقرب إلى العامية تمثل تقرّباً من التجربة، وبعدًا عن تمثيلاتها، وانخراطاً أوسع في المحيط الثقافي في تجلياته الإعلامية والمرآوية" (**بيومي**، ص 202).

في أدب الشابات يتقدم الحب، ليس كما في أدب جيل الستينيات حيث كان نموذج الحب الرومانسي الهادف إلى الذوبان في الحبيب والموصل إلى النهاية السعيدة في الزواج، بل يبدو "الحب المعاصر" مصاباً بالقلق والاضطراب، ويصعب وصوله إلى الزواج، مع استحالة ديمومته وثباته لفترة طويلة.

التعاون الثقافي بين الشباب

كان من نتائج الحرب الأهلية اللبنانية على الصعيدين الثقافي والفني، قيامُ جمعيات تعاونية ثقافية لشباب المسرح والسينما في أكثر من منطقة في **لبنان**، إضافة إلى النوادي الثقافية المهتمة بالنشاطات الأدبية من رواية وشعر.

سعت تلك المشاريع الجمعية إلى محاولة إخراج الشباب من نفق الحرب الأهلية عبر توجيه اهتماماتهم إلى الجوانب الثقافية والفنية. كما سعت إلى استعادة ذاكرة المدينة (**بيروت**) بكل ما كانت تمثلها من تجربة، وترمز إليه في جوانبها العمرانية أو السكنية، فدخلت في نقاش مع الهيئات الساعية إلى إعمار مدينة **بيروت** من خلال المشاريع التي تقوم بها هذه الهيئات وتتسبب إلى حد كبير في تغيير معالم المدينة العمرانية والثقافية في آن. خرجت إلى النور شعارات أطلق عليها اسم "الفضاءات الثقافية البديلة" التي ازدهرت بفعل اطّراد العمل الثقافي

كان من نتائج الحرب الأهلية اللبنانية على الصعيدين الثقافي والفني، قيامُ جمعيات تعاونية ثقافية لشباب المسرح والسينما في أكثر من منطقة في لبنان، إضافة إلى النوادي الثقافية المهتمة بالنشاطات الأدبية من رواية وشعر.

الجمعوي. تقول المثلة اللبنانية حنان الحاج علي :"العمل الجمعوي الأهلي عنوان أساسي للممارسة الثقافية الشبابية في لبنان اليوم سواء اتخذت المجموعة العاملة ضمن مشروع ورؤيا اسم جمعية، أم مؤسسة أم تعاونية أم منظمة، أم تجمع أم ناد... وحسبنا أن نذكر أنّ عدد الجمعيات الثقافية غير الربحية قفز من العشرات إلى المئات. لقد تعددت الممارسة الثقافية الشبابية مفهوم العمل الثقافي بهدف الإنتاج المحض، إلى قنوات متعددة من الفعل الثقافي بدءًا من أطر وآليات التنظيم القانونية، إلى السياسة الثقافية، وفلسفة التوجه وأهداف العمل، وصولاً إلى الفئات المستهدفة" (**حنان الحاج علي**: الجمعية التعاونية الثقافية لشباب المسرح والسينما "شمس". راجع: **بيومي**)

منذ سنوات عدّة ، نشأ في **بيروت** ما يعرف بالفضاءات الثقافية من قبيل: فنون، مهرجان أيلول، مسرح المدينة، مسرح مونو، إسباس إس دي، زيكو هاوس، أشكال ألوان، تميزت هذه الفضاءات بغلبة العنصر الشبابي على عضويتها، وإعطاء الأولوية للممارسات الفنية الثقافية للشباب في التوجهات العامة لهذه الجمعيات، والسعي إلى التفاعل مع مختلف الأجيال من جميع الفئات في العاصمة والمحيط. كما ركّزت على تجميع الهواة والمحترفين في مختلف النشاطات الثقافية والفنّية، خصوصاً من خريجي الجامعات أو من الطلاب الذين ما يزالون على مقاعد الدراسة.

تشير بعض الدراسات التي صدرت عن بعض هذه الجمعيات وعلى الأخص منها "شمس"، إلى الأسباب التي حفزت على نشوئها وانتشارها، فتعيدها إلى عوامل متعددة:

تسرّب المبدعين الشباب، حيث إنّ معظم خريجي معاهد الفنون وبعض الكليات الأخرى، يضطرون إلى العمل في الدوبلاج أو في الدعايات التجارية، وفي مجالات لاتتصل مطلقاً بتخصّصهم الفنّي والثقافي، في ظل إهمال شبه كامل لمؤسسات الدولة، من وزارة ثقافة أو إعلام، لحال الخريجين.

تعود أسباب تراجع العلاقة بين الجمهور والفنون والثقافة، وبخاصة المسرح، إلى عدم وجود مؤسسات حاضنة لهذه الفئة الشبابية، فيما تشكّل الحرب الأهلية والإحباط الذي سببته لجيل الشباب سبباً إضافياً.

تراجع العلاقة بين الجمهور والفنون والثقافة، خصوصاً منها المسرح. يرتبط ذلك بعدم وجود مؤسسات حاضنة لهذه الفئة الشبابية، وهذا من العوامل الذاتية، فيما تشكّل الحرب الأهلية والإحباط الذي سببته لجيل الشباب العامل الموضوعي. فقد هذا الجيل الأمل بالإصلاح وتطوير البلد في ظل الصراعات الطائفية والسياسية الجارية.

كان من اللافت أنّ دائرة الفعل الثقافي تنحصر في العاصمة **بيروت**، أو بالأحرى في بعض الأحياء وليس كلها، وهو ما دفع بهذه الجمعيات إلى توسيع دائرة نفوذها، إمّا عبر فتح مراكز في محيط العاصمة، أو من خلال إقامة النشاطات الثقافية والفنية في معظم أرجاء العاصمة، بما يؤمّن التواصل مع جمهور أوسع من أبناء المدينة. وفي مرحلة لاحقة أمكن لهذه الجمعيات أن تنقل قسماً من نشاطاتها إلى سائر المناطق اللبنانية.

كان لا بدّ من التعاون بين الجمعيات، واللجوء إلى وزارة الثقافة ووضعها أمام مسؤولياتها في مساعدة هذه الجمعيات خصوصاً في التمويل، والأهم في تجميع ذاكرة الحياة المسرحية والثقافية في البلد وحفظها، بعد أن أتت الحرب الأهلية على أقسام واسعة من هذا التراث، تدميرًا وحرقاً ونهباً. هذا مع الإشارة إلى أنّ تجربة السنوات الماضية لم تكن مشجعة لجهة دخول مؤسسات الدولة طرفاً فاعلاً ومساعدًا في إنجاز هذه المهمة، ما رتّب على هذه الجمعيات إعباء إدارية صعبة، كان يعوّض عنها استعداد الجميع لبذل الجهد من أجل المحافظة على ما تبقى من تراث ثقافي وفنّي.

طرحت تجارب هذه الجمعيات الثقافية– الفنية على نفسها أسئلة حول نشاطها وما أمكن النجاح في تحقيق الأهداف، لم تكن معظم الأجوبة تتسم بالإيجاب، لا بل إنّ بعضها كان مصاباً باليأس. لم يمنع عدم النجاح وفق



التوقعات من أن تظلّ معظم هذه الجمعيات تمارس نشاطها، وبعضها مدرك العوامل الموضوعية المتصلة بالإحباط السياسي والاجتماعي والانهيار البنيوي الذي أصاب بلداً مثل **لبنان**، وما تركه هذا الانهيار من تداعيات كان من الطبيعي أن تصيب شظاياه المجال الثقافي والفنّي.

نختم هذا القسم بشهادة الممثلة والكاتبة المسرحية **حنان الحاج علي** التي تقول: "هل ثمة من مجال بعد لطرح دور إصلاحي رسالي من خلال الفن؟ كثير من الفنانين يتحدثون عن فشل الفن في تغيير العالم، ويشيرون بالأحرى إلى دور الفن في فهم العالم. لايأبه العديد من الفنانين الشباب اليوم لا لتغيير العالم ولا لفهمه ولايهتمون لأمر الجمهور، أيّ جمهور، أي متلقّ حتى ولو كان فردًا، ينطلقون من ذواتهم إلى ذواتهم. (**حنان الحاج علي**، المصدر نفسه، ص367 – 368).

ممارسات الشباب السوري في المسرح

تقدّم الدراسة التي أدلت بها الكاتبة السورية **ميسون علي**، أستاذة في **المعهد العالي للفنون المسرحية**، عن ممارسات الشباب السوري المسرحية على صعيديّ العرض والكتابة، لوحة واقعية عن الفارق بين الجيل الجديد مقارنةً مع الجيل القديم، مشدّدة على اهتمامات الجيل الشبابي. يمكن تعيين بعض هذه الاتجاهات الشبابية وفق العناصر الآتية:

ركّز جيل الآباء من الكتّاب المسرحيين على تعيين هوية المسرح التي تنسجم مع اهتماماته والتزاماته الفكرية، من قبيل الهوية القومية العربية، أو الصراع ضد العدو القومي أو التطلعات الاجتماعية في السعي إلى حياة أفضل، وهي شعارات كانت تتصل وثيقاً بالصعود القومي والوطني في مرحلة هذا الجيل. فيما يغيب البحث عن الهوية في مسرح الشباب، حتى "صار المسرح نفسه وسيلة إبداعية فنيّة لطرح الأسئلة عن الهوية، هوية الكتّاب انفسهم، هوية الشباب، أي الجيل الحالي" (ممارسات الشباب السوري المسرحية، على صعيدي الكتابة والعرض، ص 373).

يشكّل الجنس أحد المواضيع المركزية في نصوص الكتّاب الشباب، من دون أن يعني ذلك الخوض في عمق هذه القضية وعواملها والارتباطات الاجتماعية المتصلة بها، أو دراسة أسباب الكبت الجنسي وصلتها بدرجة التخلّف أو الانفتاح. يتصل بهذا الموضوع كل مايقدمه الواقع من مسألة العلاقات الجنسية قبل الزواج والسجال في شأنها، أو ما يتعلق بالخيانة الزوجية، وصولاً إلى أسئلة تتناول قضية مؤسسة الزواج، في إيجابياتها أو سلبياتها ضمن مجتمع عربي له خصوصيته وتقاليده الموروثة.

تخترق بعض كتابات الشباب قضايا الدين في علاقته بالسياسة ودور رجال الدين في فرض سلطتهم على الشباب انطلاقاً من الموروث الفقهي، والإدعاء بمحاربة الثقافة الغربية التي يذهب بعض رجال الدين أو السياسيين إلى تشبيهها بالاستعمار الثقافي الذي يشكّل معبرًا لعودة الاستعمار العسكري والاقتصادي.

أمّا على مستوى الشكل أو بنية الكتابة، فترى الباحثة **ميسون علي** أنّ "النصوص هي متوسطة الحجم، وتتضمن التقطيع إلى مشاهد وليس إلى فصول. والتقطيع يرتبط أساساً بالنقلات الزمانية– المكانية، المرتبطة بالضرورات الدرامية" (**ميسون علي**: ممارسات الشباب السوري المسرحية، ص 377). في المقابل، لا تستند نصوص الشباب إلى شكل محدد أو إلى صيغة معيّنة في الشكل المسرحي. يبدو واضحاً مدى التأثر من جانب الشباب بتقنيات حديثة اكتسبوها من التطور التقني الحديث وقدرتهم على التفاعل معه، وهو ما افتقده الجيل السابق من الكتّاب المسرحيين، الذين كانت نصوصهم تنتمي إلى قوالب نموذجية أو تقليدية.

من حيث بنـاء الشخصـيات، لا تغيب عن مسرح الشباب الموضوعات الواقعيـة، حيث "تنبنـي فيهـا الشخصـيات بإعطائها سـمات خارجية محددة، وعمقاً نفسـياً، وبعدًا إنسانياً، مـع تطلعـات ووعـي فكـري للمحيـط". لكـن الشخصـيات في الكثير من مسرحيات الشباب تركّز عل مسـار الأحداث التي تجري في فضـاء الداخل من قبيل غرفة المكتب، غرفة المعيشـة، صـالون، مخفر. وهي أمكنة مغلقـة تلعب دورًا في ازديـاد حـدة توتـر الشخصـية، وإظهـار عزلتها وعدم تواصـلها مع المحيط. "كما يكثر اسـتخدام لحظات الصمت ضـمن الحوار والتي تشـكل فراغاً زمنياً في الفعل المسرحي، ليتبيّن أنّ الشخصـيات تغوص في عالمهـا الداخلي، وتوحي بعدم التواصـل في مـا بينها، كما تدل لحظات الصـمت علـى الملل وعـدم القدرة على التعبير والإحساس بعدم جدوى التعبير باللغة، وغربـة الشخصـيات عـن واقعهـا المعيوش" (**ميسون علي**، ص378).

تعـاني النصـوص المسرحيـة للشـباب مـن معضلـة النشر والرعايـة، في ظـل غياب المؤسسات الوطنية الحكومية، أو الخاصة. تبدأ المشكلة من نشر النص المسرحي، فالمسرح أو التلفزيون أو الإذاعة تخضع إلى هيمنة مزدوجة: البيروقراطيـة والمحابـاة مـن جهـة، وهيمنة القدامى من الكتّاب الذين ينظرون باستخفاف إلى نصـوص الشـباب، ويشـككون بها، وبمدى صـلتها بالنصّ المسرحـي أو جدارتها للنشر. تقول الباحثة :"مديرية المسـارح والموسـيقى المؤسسـة الرسـمية التي تدعـم وتنتج المسرح في **سورية**، ترى أنّ هناك استسـهالاً في إطلاق صـفة كاتب مسرحي على الشـباب أو بعضهم، وتقيس صـفة كاتب بكمّ النتاج وعدده، مع أنّ هـؤلاء الكتّـاب هـم في معظمهـم مـن خريجي **المعهـد العالي للفنـون المسرحيـة**، وتابعوا في مقررات الكتابة المسرحية التمرينات وتقنيات الكتابـة علـى يد أسـاتذة كبار" (**ميسـون علي**، ص 381).

أمـا علـى صـعيد العرض المسرحـي، فإنّ الشـباب يواجهون صعوبات في إيجاد التمويل الـلازم لعملهـم. بـرزت بدائـل في هـذا المجال اضـطر الشـباب اللجـوء إليهـا، وهـي المراكـز الثقافيـة الأجنبية وبعض المعاهد المسرحية الأوروبية، من قبيل **المعهد السويدي** الذي لعب دورًا هاماً في التنسيق والإشراف على مشروع المسرح الشاب الذي يهدف إلى تطوير التجارب المسرحيـة في **سوريـة** وتشـجيع الطاقـات الإبداعيـة فيهـا، من خلال الإسـهام في تمويل مشاريع المسرحيين الشباب.

شهادة : غلس شرارة

غلـس شـرارة طالبـة لبنانيـة في قسـم الدراسات السمعية البصرية في جامعة القديس يوسف في **بيروت**. تقدم شهادتها عن عملها:

"يرجع المثال على الدوام في عدد لايحصى مـن الروايـات والشرائـط المصـورة والأشرطة المتحركـة علـى صـورة اللازمـة : يتمتّـع كل واحد بموهبة تخصّـه هو وحـده ولايتمتع بها أحد غيره. كنت أسبح في هذه الفكرة، وأنا ولد، وأرى الموهبة نجمة مطبوعة على الجبين.

وعندمـا كـبرت بعـض الشـيء، ازددت يقينـاً واقتناعـاً. وحسـبت أنّ العمـل الـذي قـد يختـاره الشـاب أو الشـابة، وتختـاره لـه موهبتـه، لايهب صـاحبه أو صـاحبته، قدرات خارقة فحسـب، بـل هو نهاية مطافه الطبيعيـة، ومسـتقره الـذي يقر عليـه أخيرًا بعـد أن يكون وجده. وظننـت، في أول الأمر، أنّ "موهبتـي" المقسـومة لي، وملاذي، هي الكتابـة. وكنت أبحث، في الأثناء، عن صـور عبّـارة أكـثر تنوعـاً وغنـىً. وخيّـل لي أنها الموسـيقى، ثم التصوير الفوتوغرافي، إلى أن رسـوت على المسموع والمرئي. وخلصت من توليف الصور إلى المركبات الصوتية.

واظن أنّ أداة الاتصال الخالصة والصريحة هذه قادرة على مخاطبة الآخر المقيم في مدينة مثقلة بصورة واقع غريب.



دعـاني هـذا إلى ابتداء دراسـتي في **جامعة القديـس يوسـف**، معهـد الدراسـات المسرحية والمسموعة المرئية والسينمائية. ورغبت في أن أحـاط بـأمثالي من المتطلعـين إلى لغة ناجزة، وفي مشاطرتهم الدراسة.

ولم يلبث حلمي أن بـدا حلماً بغاية لاتبلغ. فأنـا بعيـدة مـن التوثـب الـذي تنعقـد علـى أغصـانه ثمرات مخيلتي. ولسـت سـوى شاهدة على محاضرات مدرسـية مكـررة تلوك "الفينغ شـوي". ولكننـي أتعلـم كلّ يوم ما تجـود عليّ به القـراءة والأفلام والمعارض والمسرحيات والحفـلات الموسـيقية، ويحفـز سـعيي وحجّي إلى عبارة تتولى ترجمة ما أنا عليه، أي حضور العـالم علـى نحـو فريـد، نحـو واحدنـا، واحدًا واحـدًا، وواحدة واحدة"(**غلس شرارة**: شـهادة، المرجع السابق، ص513).

قراءة في نتاج عدد من الكتّاب في كل من لبنان وسورية

"32"

سحر مندور

سحر مندور كاتبة لبنانية من مواليد العام 1977، درسـت مـادة علـم النفس في **الجامعة اليسوعيـة** في **بيروت**، وتعمل في الصحافةمنذ العام 1998. صـدرت الرواية عن "**دار الآداب**" في **بيروت**، عدد صفحـاتها : 176 صفحـة.

تمر الكاتبة في روايتها على قضايا متعددة وتتطرق إلى مواقـف لاتخلو من بعد اجتماعي، تسـلط الضـوء علـى الشـارع البيروتـي وعلـى مشـكلات الخدمـات من مـاء وكهربـاء وزحمة سـير، وتمر على قضـية الخادمـات الأجنبيات اللواتي بتن يشـكلن جزءًا من النسـيج اللبناني، وتتعرض إلى موضـوع الزواج وما يشـوبه من تعـثر بعـد مرور زمن عليـه، وتشـير إلى أحداث سياسـية من نوع الاغتيالات والتفجيرات التي سـبق للبلـد أن عاشـها في ظل الحـرب الاهلية القائمة.

عندمـا تتنـاول الكاتبـة قضـية الـزواج، تنتصـب في وجههـا قضـايا الطـلاق المتزايد والمشـكلات التـي يثيرهـا، ما يصـل بهـا إلى القول أنّ الكثير من جيل الشـباب اليوم يفضّـل عـدم الـزواج، خصوصـاً أنّ أجـواء الحريـة النسـبية المتوفـرة في المدينة تتيـح لهم حياة شـبه زوجية من دون مشكلات الارتباط. تقدم صـورة عن حياة إحدى صديقـاتها في علاقتها بزوجها ونوع المسـائل التي تواجههم وتصـل بهم إلى حدّ الانفصـال. لكـنّ الكاتبة تذهب في تحليلها لمشـكلة صـديقتها أبعد من إزعـاجات السـيجار مثلاً، لتطرح معضـلة الزواج نفسـه، حيـث تقـول: "المشـكلة تكمـن في التعايش بينهمـا. وكأنّ كلاً منهمـا يكـره الآخر، وبـاتت حياتهمـا آلية انتقامية. كأنها باتت ملكه، فما عـاد يحرص علـى اقتنائهـا. وكأنهـا افتقدت نفسـها، فما عـادت تطيق وجـوده بينها وبين نفسها" (ص31).

في إشـارتها إلى جانـب آخـر مـن الحيـاة اللبنانيـة، أي تلك المتصلـة بالخـوف والرعب مـن السـلاح والانفجـارات، لايقتصـر الخوف مـن السـيارات المفخخـة وإطـلاق الرصـاص العشـوائي، بل هناك البرامـج التلفزيونية التي تستضـيف رجـال السياسة ومن باتوا يصنّفون أنفسـهم محللين سياسـيين، وهـي برامج تبثّ الذعر في النفوس بالنظر إلى الحجم الهائل من الكلام الذي يؤجج الكراهية بين النـاس ويشحن النفوس بالحقد المتبادل الذي لا ينقصـه سوى إطلاق الرصاصة.

يمتـزج الحديـث لـدى الكاتبـة عـن مباهـج الحيـاة في **بـيروت** بهاجس الموت الـذي يقفز لـدى حـادث انفجار أو انتحار صـديق، يسـود حوار بين الأصدقاء عن هذه القضية الوجودية فتقول."ليس الانتحار هو المسألة، وإنما الموت. كل حياة تقود إلى الموت. وأقسـى ما في الموت هـو تخيّـل وقوعـه. كل النـاس يموتون..علـيّ التفكـير بعلاقتي مـع الموت، بدلاً مـن التفكير بالموت" (ص128).

"كرسي"

ديما ونوس

ديمة ونوس ابنة الكاتب الراحل **سعد الله ونوس**، من مواليد دمشق 1982، درست الأدب الفرنسي في **جامعة دمشق**، وتكتب في المجالين الثقافي والسياسي. صدرت روايتها "كرسي" عن "**دار الآداب** في **بيروت**. عدد صفحات الكتاب : 166 صفحة.

تدور الرواية حول موظف اسمه درغام، قروي أتى من ريف منطقة طرطوس، واستطاع النجاح في علومه، وتمكّن من تولّي مناصب عديدة في مجال الصحافة، وهو يدير القسم السياسي في الهيئة الإستشارية التابعة لوزارة تطوير الإعلام. على الرغم من خدمته الطويلة في الإعلام، وموقعه الرفيع في المسؤولية، إلاّ انه يشعر دوماً بالتهميش، وأنّ موظفين أدنى منه رتبة ويعملون تحت سلطته يمارسون موقعاً وسلطة أكثر بكثير ممّا يتولاه، بشكل جعله يهاب منهم.

تدور أحداث الرواية عشية عشاء يجمع موظّفي الوزارة مع الوزير المختص، فتصوّر الكاتبة حال درغام والتهيؤات التي تواكب تفكيره في ما يجب أن يقدمه للوزير، وكيف يجب أن يعرّفه بنفسه، ويذكره بماضيه وبمؤهلاته، تمهيدًا لإمكان الحصول على ترقية أو موقع أعلى في سلم الوظيفة. على امتداد ساعات، يسرد درغام بطل الرواية مسلسلاً من أعماله وسلوكه مع الموظفين والأصدقاء، فترتسم صورة الموظف الانتهازي الذي لايتورّع عن تنفيذ أوامر مسؤول المخابرات في كتابة التقارير عن زملائه في الوظيفة، ماذا يتحدثون، وكيف يفكرون، وصولاً إلى الوشاية بأحد اصدقائه الذي كان يعيش وإياه في غرفة واحدة، بما أودى بصاحبه إلى السجن. ناهيك بتدبيج المقالات في الدفاع عن سياسة الدولة وحنكة المسؤولين في إدارة شؤون البلاد، وهي مقالات مغرقة في التملّق إلى حدود الابتذال وفقدان الكرامة الشخصية. في طموحه الهادف إلى ارتقاء السلم الوظيفي، لايتورّع درغام عن استخدام كل الأساليب الانتهازية والوصولية لتحقيق هدفه، مستلهماً النظرية السياسية للكاتب الإيطالي **مكيافيللي** "الغاية تبرّر الوسيلة".

تكمن مأساة درغام، في حديثه مع نفسه، بأنه وعلى الرغم من كل التقديمات التي أعطاها لمسؤوليه، والخدمات السيئة التي وهبها في الوشاية والتحريض على زملائه، كل هذه الخدمات بدت مجانية، ولم ينل مقابلها ما يستحق، ما أدى به إلى حال من الإحباط واليأس، لكن من دون أن يرافق ذلك شعور بالندم أو المراجعة النقدية للذات. تقدّم الكاتبة وصفاً لحال درغام فتقول :"فهو عاصر التجربة الإعلامية منذ السبعينيات وكان أهلاً لثقة الجميع. لايرفض طلباً ولايتردد في تلبية الأوامر والتوجيهات. مرن ومطواع. يكره اليوم ويحب غدًا. يهاجم اليوم ويدافع في اليوم التالي. يتهكم ويمتدح بعد أسبوع. ولم يكن في يوم من الأيام مجرد صحافي. كان واحدًا من الفلاحين والعمال والتجار وأصحاب شركات النسيج والجرارات الزراعية وعضوًا فعالاً في الحزب. كان الثابت والمتحوّل. الموالي والمعارض. الأبيض والأسود وكل التناقضات التي يمكن تصورها" (**ديما ونّوس**، كرسي، دار الآداب، بيروت، 2009، ص133).

لايقتصر الخوف من السيارات المفخّخة وإطلاق الرصاص العشوائي، بل هناك البرامج التلفزيونية التي تستضيف رجال السياسة ومن باتوا يصنّفون أنفسهم محللين سياسيين، وهي برامج تبث الذعر في النفوس بالنظر إلى الحجم الهائل من الكلام الذي يؤجج الكراهية بين الناس ويشحن النفوس بالحقد المتبادل.

"سيليكون" وقصص أخرى

أنجاد قصيباتي

إنجاد مازن قصيباتي كاتب من مواليد **دمشق** العام 1985، يحمل بكالوريوس اقتصاد وماجستير إدارة أعمال. كتابه "سيليكون" هو مجموعة قصص صغيرة مستوحاة من الحياة اليومية والواقعية في **سورية**. يضم الكتاب خمسين قصة، إحداها "سيليكون" التي أعطاها عنواناً لكتابه. صدر الكتاب عن "دارالفارابي" في **بيروت**. عدد صفحات الكتاب: 159 صفحة.

في قصة "الجوع إلى الحنان"، يتحدث عن شاب في أواخر العشرينيات من عمره، هرب من ملجأ للّقطاء وهو لم يزل طفلاً قاصرًا، ذاق في حياته أصنافاً شتى من العذاب والشقاء، تعرض خلالها إلى الإذلال النفسي والجسدي، وانتهى الأمر به عاملاً في مخبز. أكثر ما افتقده كان حنان الأم وعطفها.

أما القصة بعنوان "شهادة جامعية"، فهي تعبير عن حالات عديدة متشابهة تواجه المجتمعات العربية من دون استثناء، وتتعلق بشباب حصّلوا علوماً وشهادات جامعية، لكنهم عجزوا عن تأمين وظيفة أو عمل لائق. تراكمت الديون على الشاب، ووجد نفسه في حال من القلق والاضطراب والإحباط واليأس، فلم يجد وسيلة سوى الانتقام من شهادته الجامعية فمزقها ورماها في القمامة. القصة الخامسة بعنوان "حلم شاب عربي"، أمضى كل سنوات عمره في الدراسة، وحصل من الشهادات الجامعية ما سمح له بالهجرة إلى الخارج والعمل لتأمين مبلغ من المال يمكن له بواسطته اقتناء منزل وتأمين مترتبات الزواج. تكمن مأساته في رؤية مدخرات عيشه تتبخر على مطالب العروس وأهلها، والاضطرار إلى تلبية كل الرغبات كشرط للقبول به زوجاً.

في قصة "سيليكون" التي اختارها الكاتب عنواناً لكتابه، يتحدث عن امرأة في الخامسة والأربعين، فنانة مشهورة كرست حياتها للفن، فلم تتزوج ولم تنجب أطفالاً. تخاف على جمالها الذي بدأ يتضاءل آخذا بالأفول، فتذهب إلى جراح التجميل لينقذ لها ما "أتى عليه الدهر"، فيخضعها إلى عمليات تجميل من حقن وشفط وتكبير وتصغير. يصف حالها بعد زمن على هذه العمليات فيقول: "أصبحت السباقة دائماً إلى تجربة كل تقنية جديدة أو اكتشاف طبي حديث. كانت تفاجئ الجمهور كل فترة بشكل مختلف يتناسب مع أحدث صرعات العصر. أثار شبابها الدائم غيرة وحسد بقية الممثلات. في الستين أعلنت اعتزالها بعد أن أصبح من المستحيل طبياً خضوعها إلى عمليات أخرى. لزمت منزلها وانقطعت أخبارها عن الناس. توفيت في السبعين على سريرها من دون أن يشعر بها أحد. بعد ثلاثة أسابيع من وفاتها، اشتم جيرانها رائحة كريهة جدًا صادرة عن منزلها. كسروا باب الشقة ودخلوا عليها وهم يلبسون الكمامات. أذهلهم المنظر. كان كل ما تبقى منها، هو كتلة هائلة من السيليكون" (**أنجاد قصيباتي**، سيليكون، دار الفارابي، بيروت، 2010، ص45–46).

"سرمدة"

فادي عزام

فادي عزام كاتب من **سورية**، روايته "سرمدة" تقع أحداثها في منطقة جبل الدروز في **سورية**. أبطالها الرئيسيون ثلاث نساء، يروي الكاتب عبرهن قصة القرية والأحداث التي عرفتها، خصوصاً في مرحلة الستينيات وصولاً إلى هزيمة حزيران/يونيو 1967. صدرت الرواية عن دار "ثقافة" للتوزيع والنشر وكذلك عن الدار العربية للعلوم الملتزمة توزيعها.

في وصفه لعلاقته ببلدته "سرمدة" يصف الكاتب مشاعره، وهو الآتي إلى القرية من **باريس** فيقول :"لم تكن سرمدة بالنسبة لي سوى مكان أجوف مررت به. عشت فيه مرارة أيامي، بالألم والخوف والخفوت. احتجت لسنوات لأخرج منه وأخرجه مني" (**فادي عزام**، سرمدة، دار ثقافة (**دمشق**)، والدار العربية للعلوم (**بيروت**)، 2010 ، ص10). هزت البلدة الكاتب، وأدخلته في عالم الميثولوجيا الدينية الخاصة بإحدى الطوائف الإسلامية، أي الدروز ومعها الأساطير السائدة والتقاليد الموروثة، وعادات أهل الجبل بطوائفهم الإسلامية والمسيحية. ولا تغيب هزيمة حزيران/يونيو 1967 والإحباط الذي سببته وما كشفته من عورات النظام السياسي، وكيف تحطمت الآمال – الأوهام على صخرتها.

كان لقاء الكاتب بأستاذة الفيزياء في جامعة باريس "عزة توفيق" هي المدخل للرواية وذهابه إلى قريته "سرمدة" . أخبرته

تتميز رواية "سرمدة" عن غيرها من روايات الشباب، بقدرة على وصف الواقع والدخول بعمق إلى الشخصية البشرية، بكل تعقيداتها، من خلال أبناء قرية في الجبل. فتترك هذه الرواية أثرًا عميقاً في نفس قارئها.

عزة أنها من سرمدة، وأنها قد قتلت أول كانون الأول / ديسمبر العام 1968، على يد إخوتها لأنها هربت مع أحد البائعين المغاربة وتزوجته، وهو أمر مناف للتقاليد الدرزية التي تحرّم زواج درزية من غير درزي، وأنّ اسمها الأصلي كان "هلا منصور"، ووالدها من أبطال الثورة الكبرى ضد الفرنسين. أعطت عزة الكاتب مجموعة إشارات تدل على أنها فعلاً هلا منصور المغدورة، من نوع أسماء وأماكن في القرية، وما خبأته تحت شجرة.. كما روت له قصتها كاملة عن حياتها السابقة في القرية، وعن أهلها وإخوتها الذين ذبحوها، لتصل من ذلك إلى أنّ عزة توفيق التي تتحدث معه قد تقمصت شخصية هلا منصور المقتولة من إخوتها.

أما المرأة الثانية "بثينة"، فيقدم الكاتب عبر الحديث عنها مشاهد عن الصراع بين البعثيين والشيوعيين في **سورية**، وعن دور أهل سرمدة في حرب تشرين/أكتوبر 1973، وعن تعقيدات الديانة الدرزية في تطبيقها على أرض الواقع، كما تعرّج الرواية على زمن الوحدة مع مصر نهاية الخمسينيات ودور المخابرات المصرية والسورية في قمع الحريات واضطهاد السوريين.

تتميز رواية سرمدة عن غيرها من روايات الشباب، بقدرة على وصف الواقع والدخول بعمق إلى الشخصية البشرية، بكل تعقيداتها، من خلال أبناء قرية في الجبل. هي رواية تترك أثرًا عميقاً في نفس قارئها.

"هذه القصة تجري"
مازن كرباج

مازن كرباج رسام وموسيقي لبناني من مواليد العام 1976، يعمل في بعض الصحف، كتابه "هذه القصة تجري" عبارة عن رسوم كاريكاتورية نشرها في إحدى الصحف البيروتية، ثم جمعها في كتاب، صدرت عن **دار الآداب** في **بيروت**.

اختار **مازن كرباج** رسوماته من الواقع اللبناني، بل من الإطار القريب لسكنه وعمله والمقاهي التي يرتادها في بيروت تحديدًا. يبتكر قصصه ويتخيل فصولها مسدلاً عليها ستائر من السخرية السوداء التي لا توفّر أحدًا، سواء أكان من رجال السياسة أم من المواطنين العاديين. يقول عن نفسه وعن العين التي ينظر بها إلى الآخر: "هذه العين لا تخضع إلى قوالب مسبقة، بل قابلة للتفاعل مع أكثر الأعمال جنوناً".

يختار مازن كرباج رسوماته من الواقع اللبناني، من الإطار القريب لسكنه وعمله والمقاهي التي يرتادها في بيروت. وهو يبتكر قصصه ويتخيل فصولها مسدلاً عليها ستائر من السخرية السوداء التي لا توفّر أحدًا، سواء من رجال السياسة أم من المواطنين العاديين.

تجربة "هذه القصة تجري" لـ**مازن كرباج**، تبدو للناظر إليها والمتابع تعليقاتها، كأنها مفتوحة على تأويلات متعددة، أهم ما فيها كسر صاحبها لحجم كبير من التابوهات والمحرمات المعروفة في مجتمعنا اللبناني. في أعمال من هذا النوع المستندة إلى الكاريكاتور، تبدو النكتة وقدرة مطلقها شرطاً أساسياً في نجاح العمل، وهو ما استطاع **كرباج** أن يبرع فيه، من تصويره لعبثية الحياة بعد حادثة وفاة لأحد المشاهير، إلى النقد السياسي اللاذع لرجال السياسة، إنما من دون تعيين أي واحد منهم بالاسم، إلى استعارة للخلافات العربية مع الفينيقيين قبل أربعة آلاف سنة، إلى التطرق لقضية الرشاوى التي تصاحب الانتخابات النيابية في **لبنان**.

في رسوماته الكاريكاتورية يبدو **مازن كرباج** وكأنه ينتمي إلى جيل آخر لا يرى من العالم سوى الخراب، خصوصاً أنه ولد وعاش في أتون الحرب الأهلية، بشقيها الساخن والبارد، فانعكست الحرب عليه حالاً من الرفض الممزوج بالنقد والسخرية، فأتت رسوماته بمثابة حرب على كل ما هو سائد، واعتمد تشويه الوجوه وسائر الأعضاء البشرية في الجسم والوجه على الأخص. في تقديمه للكتاب يقول **بيار أبي صعب** عن رسومات **كرباج**: "نقلّب النظر اليوم في خانات "القصة" بحثاً عن لحظات ثمينة من حياتنا الهاربة وسط صخب لايصدَّق. هاجس **مازن** كان الإفلات من "راهنية" الأحداث وهو يرسم، ولعلها المسألة الوحيدة التي فشل – لحسن الحظ – في تحقيقها. الأحداث كلّها هنا، تقاوم الوقت، تخاطب الذين عايشوها والذين يكتشفونها للمرة الأولى، على حدّ سواء. أليست هذه طبيعة الفن في النهاية؟ لقد أرّخت المشاهد المتسلسلة في القصة التي لم تبدأ ولن تنتهي، لأحداث مفصلية مؤلمة، تراجيديا غالباً.. لكنّ الفنان العبثي، عفوًا الكلاسيكي – المعاصر، عرف كيف يجعلنا نبتسم كلّ مرة، ونضحك من أنفسنا قبل الآخرين" (**مازن كرباج**، هذه القصة تجري، دار الآداب، بيروت، 2010، ص9).

حركة التأليف والنشر

في رسوماته المتنوعة، ينطلق من ".. في دماغ فنان كلاسيكي – معاصر.."، ليتحدث عبر الرسوم الكاريكاتورية عن الانفجارات والقصف الإسرائيلي وأصوات المدافع الرشاشة، ليطلب بعدها كأساً في مقهى، ويعرّج على السخرية من رئيس تحرير الجريدة التي يعمل بها. يسخر من شعار منع التدخين، ومن الشعارات المرفوعة هناك وهناك الرافضة للفتنة المذهبية وللنزاع الطائفي، وصولاً إلى الكذب الدائم على شاشات التلفزيون.

تشكل الـ"أنا" الشعري في "شيخ الغيم وعكازة الريح" لجوزف حرب
رزق الله إلياس قسطنطين

رزق الله إلياس قسطنطين كاتب لبناني من مواليد 1981، حامل دبلوم في مادة اللغة العربية وآدابها. كتابه "تشكل الـ"أنا" الشعري في "شيخ الغيم وعكازة الريح" للشاعر **جوزف حرب**، هو رسالته لنيل دبلوم الدراسات العليا في اللغة العربية وآدابها من **جامعة الروح القدس – الكسليك**. عدد صفحات الكتاب: 208 صفحات.

يسعى الباحث في كتابه إلى تقصي عالم الشاعر الواقعي، وعالمه المبدع، فيظهر له مدى تمثل "أنا" الشاعر، في علاقته بأسرته وبيئته. فكتاب **جوزف حرب** "شيخ الغيم وعكازة الريح" مزيج من سيرة ذاتية و"أنا" إبداعية. يضمّ الكتاب ثلاثة فصول، فيعالج الفصل الأول التجربة الحسية لدى **جوزف حرب**، منطلقاً من تفتح الوعي عند الشاعر/الطفل، حيث يقول الشاعر ".. ومعي أمي التي قد سجلتني منذ ما صرت بطوب القمح في مدرسة الأرض.." (**رزق الله إلياس قسطنطين**، تشكل ال"أنا" الشعري في "شيخ الغيم وعكازة الريح" للشاعر **جوزف حرب**، دار بيسان، بيروت، 2010، صـ20) ليعلن بعدها أنّ احتكاكه البدئي بالعالم ظهر عبر لحظة تعرفه إلى الطبيعة التي كان لها الدور الأكبر في تكوّن شخصيته الشاعرية. يشدِّد **حرب** في قصائده على عالم الطبيعة التي تعطيه قوة الانطلاق نحو تحقق السعادة، فيقول: "وطارت وهي تحمل فيهما ولدًا مريضاً ليس يشفي روحه إلاّ السواقي والحجر" (صـ48). ولأنّ الطبيعة تحتل لدى الشاعر هذا الموقع المميز، تبدو الفصول الأربعة متساوية في الأهمية لديه، فالصيف يمثل له الحرية في كنف الطبيعة الأم، والشتاء فصل الخير بأمطاره، والخريف يمثل له رائحة فراق الصيف وفراق من يحب من أهل وبيئة، أما الربيع فله المكانة الخاصة لديه حيث يصفه بالقول: "ومن بعيد يلوح طيف قادم، بعباءة منسوجة بأكف بستان، وفضة جدول، هتفوا: لقد رجع الربيع، كل رائحة الربيع توزعت فيها، من الششمير حتى زهرة الطيّون" (ص47).

يتناول الفصل الثاني من الدراسة موضوعات ديوان "شيخ الغيم وعكازة الريح"، فهناك أولاً الطبيعة التي هي مركز الجمال وعالم الحرية، وهناك المدرسة التي تحاكي الطبيعة، وهناك البحر الذي يقوم بوظيفة إرواء اليابسة وكائناتها، وصولاً إلى وظيفته الروحية. يقول الباحث **قسطنطين**: "يشابه البحر الشاعر، فالأول مقيد بالمد والجزر، مطيّة العواصف وسائر العناصر، قابع في مدى مرسوم له، يحاول عبثاً الخروج منه كأنه محكوم بأقداره. وكلاهما جبار أسير، وكلاهما لا يملك أمر نفسه. البحر

يتناول الفصل الثاني من الدراسة موضوعات ديوان "شيخ الغيم وعكازة الريح": الطبيعة التي هي مركز الجمال وعالم الحرية، والمدرسة التي تحاكي الطبيعة، والبحر الذي يقوم بوظيفة إرواء اليابسة وكائناتها، وصولاً إلى وظيفته الروحية.

إذا كان انهيار مشروع التحديث شكّل العنصر الداخلي في ظهور الإسلام السياسي المعاصر، فإنّ المشروع الإستعماري بشقه المباشر، ومعه المشروع الصهيوني الذي احتل فلسطين وقسماً من أراضي الدول العربية، شكل العنصر الخارجي المكمّل للعوامل البنيوية الداخلية.

يحتوي الماء والرمل والأصداف، والإنسان ينطوي على جوهر وقشور. همـا يلتقيان في أساس الانبثاق وفي الكيانية، على تفاوت وغموض في الأدوار. وإذا ميّز الإنسان نفسه من البحر في كون الأول عاقلاً وذا ظل، فيما الثاني لا عاقل ولا ظلّ له، فهو تمييز لا يستمر، بل يضمحل أمام صورة الإندماج والتوافق الكليين بينهما" (ص97). وتتضمن مواضيع الكتاب رؤية الشاعر للمدرسة التي يراها أقرب إلى السجن، وإلى المدينة التي لم يألفها الشاعر، حيث ظلت القرية الأقرب إلى قلبه، وإلى الفقر الذي لم ينس طعمه في كبره، خصوصاً أنه عاشه وذاق آلامه في طفولته. أما الموت فيرى فيه الشاعر "هروباً من طفولته إلى قرية أخرى من قرى الموتى حيث ينام معهم إلى الأبد نوماً هنيئاً صافياً" (ص107).

يتطرق الباحث في الفصل الثالث إلى تشكّل الـ"أنا" الإبداعية والحلمية لدى الشاعر، حيث يشير **قسطنطين** إلى أنّ الحقل (الطبيعة) هو الكتاب الذي يقرأ الشاعر صفحاته، فتقف الصورة الشخصية للشاعر الإنسان عند حدود الواقع. "فالحقل كتاب. والمحبرة نبع. والأقلام قصب. هذا هو "أنا" المبدع الذي يأبى أن يقيّد نفسه ضمن دائرة الصفحة البيضاء، وحبر أقلام الكتابة، فهو يكتب للعالم ولا يكتب لفئة خاصة فقط، يكتب للتاريخ الذي صنع الطبيعة مدرسة له، ولا يكتب لطبيعة المثقفين" (ص128).

العنف في الإسلام المعاصر، معطى بنيوي أم نتاج تاريخي؟
ريتا فرج

الكتاب هو أطروحة دكتوراه قدمتها **ريتا فرج** في "**معهد الدراسات الإسلامية**" التابع لـ**جمعية المقاصد**. صدرت الدراسة عن "**المركز الثقافي العربي في بيروت**". والكاتبة تعمل في مجال الصحافة والإعلام. عدد صفحات الكتاب: 319 صفحة.

تقدّم الكاتبة جردة واسعة تاريخية تظهر فيها العناصر التي أسهمت في تأجيج الشعوب العربية والإسلامية، وأنتجت حركات اعتمدت الإرهاب وسيلة لتنفيذ أهدافها. وإذا كان الكتاب يتمحور حول الحركات الإسلامية المعاصرة، إلاّ أنها تعيد إلى الأذهان أنّ العنف انفجر في التاريخ الإسلامي في عصوره الأولى خصوصاً بعد وفاة الرسول واندلاع الصراع على السلطة بين القبائل الرئيسة، والتي وصلت ذروتها في ما يعرف بـ"الفتنة الكبرى" التي كرست الانقسام بين المسلمين وأفرزتهم طوائف ومذاهب بين "سنة" و"شيعة" و"خوارج". وهو صراع لاتزال نيرانه ساخنة ومشتعلة على الرغم من مرور أكثر من أربعة عشر قرناً، بل تظهر الأحداث الراهنة على مدى "حيويته وتجدده" وقدرته الفائقة في الحضور اليومي في الخطاب والممارسة لدى كلّ الطوائف.

تشدد **ريتا فرج**، وبحق، على أهم الأسباب التي أسهمت في نشوء الحركات الأصولية في **العالم العربي**، والمتصلة بانهيار مشروع التحديث الذي قالت به الأنظمة السياسية عشية نيل الاستقلال، والتي تمحورت حول تحسين مستويات المعيشة والتطور الاقتصادي والديمقراطية والحريات السياسية والفكرية، إضافة إلى الوعود بالتحرر القومي والوطني واستعادة الأرض المغتصبة في **فلسطين**. لكنّ هذا المشروع، وعلى الرغم من إنجازات حققها في أكثر من ميدان، واجه تعثرات وصلت إلى الانهيار بعد هزيمة حزيران/يونيو 1967. وسط هذا الفراغ والعجز والفشل في تحقيق الوعود، تقدّمت الحركات الإسلامية الأصولية بشعاراتها الخلاصية وبكون "الإسلام هو الحل" وفق طروحات حركة الإخوان المسلمين. اعتبرت هذه الحركات أنها الجواب عن الفشل وأنها وحدها القادرة على إعادة موقع المسلمين في العالم، وأنّ برنامجها للسلطة وحده القادر على تحقيق "عزة وكرامة المسلمين".

إذا كان انهيار مشروع التحديث شكّل العنصر الداخلي في ظهور الإسلام السياسي المعاصر، إلاّ أنّ المشروع الاستعماري بشقه المباشر، ومعه المشروع الصهيوني الذي احتل **فلسطين** وقسماً من أراضي **الدول العربية**، شكل العنصر الخارجي المكمّل للعوامل البنيوية الداخلية. لم يقتصر الاستعمار والمشروع الصهيوني على الهيمنة على الأراضي والموارد، بل كان يحمل في جوفه، وفق منطق الحركات الأصولية، مشروعاً لتدمير الإسلام والهوية الثقافية الإسلامية ومنع تقدّم المسلمين، واضطهاد الشعوب العربية، عبر العنف المسلح ونهب الموارد واحتلال الأراضي. لم يكن ذلك مفصولاً عن عاملين، الأول يتصل بالصراع بين الإسلام من جهة والمسيحية واليهودية من جهة أخرى (**ريتا فرج**، العنف في الإسلام المعاصر: معطى بنيوي أم نتاج تاريخي، المركز الثقافي العربي، بيروت، 2010، ص 179)، وهو صراع يجد تعبيره في النصوص الدينية، فيما يتصل العامل الثاني بتاريخ الغزوات الغربية للعالمين العربي والإسلامي، خصوصاً منها الحروب الصليبية والآثار السلبية التي ماتزال تتركها في الذاكرة العربية والإسلامية حتى اليوم. هذه العناصر مقترنة بفشل الأنظمة السياسية في تحقيق التحرر الوطني والقومي، وفي تكبدها الهزائم المتتالية أمام المشروعين الصهيوني والاستعماري، قدمت مادة لبروز فكر أصولي يرى أنّ العودة إلى الجهاد هو الطريق الوحيد لمواجهة المشاريع الغربية والدفاع عن حقوق المسلمين، وأنّ العنف المسلّح هو اللغة الوحيدة التي تفهمها الدول الاستعمارية.

وتضيف **ريتا فرج** أنه إلى جانب عناصر الصراع هذه، ساعدت النظريات الاستشراقية الغربية (ص127)، خصوصاً منها التي كانت تنظّر لغزو البلدان العربية والإسلامية، تحت نظرية انتشالها من التخلف ووضعها في ركاب التقدم والحضارة، مقرونة بنظرية صدام الحضارات التي ازدهرت خصوصاً في العقدين الأخيرين، والتي حددت أنّ الصراع المقبل هو بين الإسلام والمسيحية المتمثلة بالغرب، هذه الأيديولوجيا أججت الفكر الإسلامي المتوجس أصلاً من أيديولجيا الغرب ومخاطرها على الهوية الثقافية الإسلامية، ما أدى إلى تكوّن إطار سياسي–اقتصادي–ثقافي–أيديولوجي–عسكري لمنطق صراع مستديم تجد الحركات الأصولية نفسها في مقاربته ومواجهته.

تصل **ريتا فرج** من مجمل عرضها إلى الخلاصة التي تمحورت حولها مجمل طروحات الكتاب، حيث تقول: "إنّ الحديث عن نمط من العنف الإسلامي لا يصمد أمام التحليل الموضوعي والعلمي، فالإسلام لا يحضّ على العنف إلا في الحالة الدفاعية، وبالتالي العنف الذي تشهده الدول العربية والإسلامية عبارة عن ردّة فعل على الأزمات السياسية والاقتصادية التي تعاني منها، لذلك يتمّ توظيف الدين لصالح الأهداف السياسية" (ص303).

تقدّم ريتا فرج، على امتداد فصول كتابها، لوحة غنية عن الفكر الذي قاد ويقود الحركات الاسلامية المعاصرة في النظرية والممارسة. ويقوم القاسم المشترك والمركزي لدى جميع الحركات على دمج السياسي والديني، وتوظيف كل واحد في خدمة الآخر، وتصرّ على أنّ الإسلام دين ودولة.

خاتمة ـ الشباب والمستقبل

في كلّ مرحلة تاريخية من مراحل التطور العربي، كانت كتابات الشباب تعكس طبيعة المرحلة وتعبّر عن الواقع السياسي والاجتماعي والفكري. كان الاختلاط بين التعبيرات عن الذات والتعبير عن الواقع الموضوعي يتلاقيان وأحياناً يمتزجان، في مجمل الكتابات الأدبية أو السياسية والاجتماعية، من دون أن يفقد كل نص خصوصيته. في مرحلة الخمسينيات والستينيات مع صعود المشروع القومي العربي، خرجت كتابات شبابية تعبّر عن هذا المشروع في ميدان التحرر القومي والاستقلال والدعوة إلى تحرير الأرض المحتلة. وبعد الهزيمة في حزيران/**يونيو** 1967، صعدت كتابات مندمجة بالدعوة إلى استكمال النضال من أجل التحرير والإشادة بالمقاومة، كما بدأت كتابات تنكفئ على الذات، منها ما يمارس نقدًا للحال العربية

وللأنظمة المسؤولة عن الهزائم، ومنها ما رأى يأساً من واقع عربي يسير إلى الخلف في جميع الميادين ويعجز عن اللحاق بالعصر والتقدم، فتوجهت معظم الكتابات إلى التعبير عن الذات في ميادين الرواية والشعر بشكل خاص. تسم هذه الصفة معظم كتابات الشباب العرب في العقدين الأخيرين، وخصوصاً في السنوات الأخيرة. قد تشكل المرحلة الجديدة من "الربيع العربي" ميداناً لكتابات تعكس هذا المسار، وإن كان من المبكر الجزم بنضوج هذا المخاض، لكن من المؤكد أنّ السنوات المقبلة ستشهد تحولات في كتابات الشباب، ولاسيما أنهم القوى الاجتماعية الأساسية اليوم التي تقع عليها مهمات ضخمة في التغيير.

ليس من قبيل المبالغة القول إنّ العام 2010 يختم مرحلة من التاريخ العربي ويفتح مرحلة جديدة في تطوره، كان أحد عناوينها اندلاع الانتفاضات في أكثر من قطر عربي، تحت عنوان التغيير السياسي في مرحلة أولى. اصطبغت كتابات الشباب العربي في المرحلة السابقة بطبيعة المرحلة من جميع النواحي، كما بدأت المرحلة الجديدة تترك آثارها على الأجيال الجديدة بدرجات مختلفة.

ليس من قبيل المبالغة القول إنّ العام 2010 يختم مرحلة من التاريخ العربي ويدشّن مرحلة جديدة في تطوره، كان أحد عناوينها اندلاع الانتفاضات في أكثر من قطر عربي، تحت عنوان التغيير السياسي. وقد اصطبغت كتابات الشباب العربي في المرحلة السابقة بطبيعة المرحلة من جميع النواحي.

أول الإنجازات التي قدمتها الانتفاضات وأهمها هو عودة الشباب إلى السياسة، بعد مرحلة من التهميش والإحباط واليأس. والمقصود بالسياسة هنا معناها الشمولي: السياسة السياسية، الاقتصاد، العلم، الثقافة بمختلف منوعاتها..فالشعارات التي يحملها الشباب اليوم تحت عناوين مثل الدولة المدنية وحرية الرأي والتعبير والديمقراطية ورفض الديكتاتورية وغيرها من الشعارات التي ازدهرت ولاتزال تلهب الشباب المنتفض، هذه الشعارات ليست محض سياسية، بل هي في جوهرها ثقافية بامتياز، ومن دون تحققها يصعب القول بتفتح إبداع هؤلاء الشباب. هذه المرحلة الجديدة من التحولات ستجر معها تحولات في اهتمامات الشباب وكتاباتهم، حيث سيجدون أنفسهم منغمسين في القضايا التي ستطرحها الأوضاع المستجدة.

لئن كان من الصعب الحكم سلفاً على طبيعة كتابات الشباب في المرحلة الجديدة، فإن ما يجري من أحداث، ومدى انخراط الشباب في صنعها، سيكون هو المؤشر لأيّ أدب وثقافة وشعر سيشهده العالم العربي.

في البلدان التي شهدت انتفاضات، لعب الشباب الدور المركزي في الإطلاق، سواء عبر النزول إلى الشارع، أم عبر مواقع التواصل الاجتماعي التي أمكن بواسطتها ضرب أهم مفاصل أنظمة الاستبداد المتصلة بقمع حرية الرأي والتعبير وإيصال المعلومات إلى جميع المناطق **والعالم العربي**. لقد نجح الشباب، ولاحقاً سائر فئات الشعب، في إقران التكنولوجيا الحديثة، خصوصاً منها ثورة الإتصالات، بالصراع السياسي والاجتماعي ونقل مطالب الشعب في التغيير وجعلها قضية كل مواطن.

على امتداد مسار الانتفاضات، بدأ يتكوّن أدب يعبّر عن هذا التحوّل، في صيغة شعارات جديدة وقصائد وأهازيج شعبية. من المبكر القول بطبيعة النتاج الثقافي الذي أخرجته التطورات الراهنة او تقويمه، لكن ليس من قبيل التفاؤل المبسّط توقع ولادة ثقافة جديدة في الشعر والأدب، على يد جيل الشباب، وأن يتبلور لاحقاً في اتجاهات ثقافية محددة. هذا التفاؤل الواقعي لا بد من رفده بشيء من الحذر. فالانتفاضات الجارية ليست مجرد انقلابات عسكرية أو محطات جزئية، بل بمثابة تحولات جذرية تدخل فيها المنطقة العربية وستطال جميع مناحي حياتها، هي أقرب إلى مشروع نهضوي جديد بدأت معالمه بالظهور. الحذر ينجم عن كون الحراك الجاري سيتعرض لهجمات مضادة تهدف الإطاحة به والعودة إلى النظام السابق، ممّا يعني أنّ التطورات قابلة للانتكاس والهزيمة، مثلما هي قابلة للنجاح والتقدم.

التحدي هنا في صمود الشباب والصبر على هذا الحراك، وعدم الاستسلام إلى الإحباط أمام تراجع الحراك، بحيث تخيب آمال هذا الشباب الطامح إلى التغيير والمستعجل في إنجازه. نحن أمام مخاض تشهده المنطقة العربية،



يصعب أن تتبلور ملامحه الكاملة ونتائجه قبل سنوات. ففي المراحل الانتقالية التي يمر بها حراك الشعوب العربية، يقترن الإحباط واليأس مع الأمل والتفاؤل، فتزدهر الكتابات الفردية والمعبّرة عن الذات والبعيدة عن الغوص في تعقيدات المجتمع، كما يمكن أن تزدهر كتابات تغوص في أعماق الشخصية البشرية وتحلل تناقضاتها وتنتج نصوصاً إبداعية، وتتصدى لما هو موروث من ثقافة **العالم العربي**، المعيقة للتقدم أو تدفع إلى الأمام تلك الثقافة المفتوحة على الجديد العالمي. ولنا في تجارب شعوب عديدة ما يظهر أن السطحية والابتذال أو الهروب من الواقع الصعب نحو الاستسهال في الكتابة، "وتفريخ النصوص"، ليست بالضرورة ملازمة لطبيعة المراحل الانتقالية بما تحمله من مدّ وجزر.

لئن كان من الصعب الحكم سلفاً على طبيعة كتابات الشباب في المرحلة الجديدة، فإن ما يجري من أحداث، ومدى انخراط الشباب في صنعها، سيكون هو المؤشر لأيّ أدب وثقافة وشعر سيشهده **العالم العربي**.

مصر والسودان

كان العام 2010 علامة فارقة في عمر دولتين كبيرين على مستوى المساحة والثقافة والحضارة والتاريخ في العالم العربي، وهما **مصر والسودان**. فمصر استقبلت العام 2011 بثورة شعبية أسقطت النظام القائم وتعدّ نفسها الآن للدخول في مرحلة انتقالية دقيقة إلى الديمقراطية، **والسودان** استقبل العام نفسه بانقسامه إلى دولتين، واحدة للشمال وأخرى للجنوب، بعد استفتاء ديمقراطي شارك فيه كلّ أهل الجنوب، تقريباً.

من المهم التعرُّف إلى كتابات الأجيال العربية الجديدة في **مصر والسودان** للعام 2010، من دون ادّعاء الإحاطة بكل ما تمّت كتابته، لعدم امتلاك المعلومات كاملةً لتقديم تقرير كامل، شأن كل الدراسات التي صدرت عن **العالم العربي** وعن **الدول النامية** لجهة النقص في المعلومات والقصور المعلوماتي. لذا، تبقى نتائج هذه الدراسة مجرد ملاحظات أولية قد تحتاج إلى دراسات معمقة تتناول كلّ ظاهرة ثقافية على حدة.

منهج الدراسة

اعتمدت الدراسة المنهج المسحي الميداني، واستخدمت الأدوات الإحصائية والمقابلات الميدانية في سبيل الإجابة عن تلك الأسئلة، كما استخدمت استبياناً جرى توزيعه على شريحة كبيرة من القراء بلغت 1601 قارىء في المكتبات ودور النشر، فبلغت نسبة الشباب الذكور فيه 65 % والشابات 35 %. كذلك أُجريَت مقابلات مع 30 مؤلفاً شاباً، ولقاءات مباشرة مع 12 ناشراً مصرياً ينشرون للشباب دون سن الخامسة والثلاثين؛ وذلك بغيةَ التعرف إلى القضية بكل جوانبها وأبعادها.

صعوبات الدراسة :

في ما يتعلق بالإنتاج الفكري السوداني، واجهت الدراسة صعوبات منها أن أغلب الكتب التي ينشرها الكتّاب الشباب من السودانيين تنشر خارج حدود **السودان**، وغالباً ما تنشر في **القاهرة** أو في **دول الخليج العربي**. وقد يتم ذلك من خلال الناشرين هناك أو شركات الطباعة، وبالتالي فإن تَـوَزّع الإنتاج الفكري على هذا النحو يُمثّل في حدّ ذاته عائقاً عسيراً في تتبعه وحصره. يضاف إلى هذا عدم وجود إحصائيات موثقة في **السودان** عمّا ينشر هناك، وعدم توافرها، تالياً، في **المكتبة الوطنية السودانية** أو لدى أي أخرى ذات طابع ثقافي.

وفي ما يتعلق بالإنتاج الفكري المصري تمثّلت الصعوبة في أنه غالباً ما تكون بيانات المؤلفين المودعة في **المكتبة الوطنية المصرية (دار الكتب)** غير دقيقة، حيث لا تحتوي على البيانات المتعلقة بتاريخ ميلاد المؤلف. لذا، أكثرنا من المقابلات الميدانية بشكل مكثف مع الناشرين والمؤلفين الشباب أنفسهم. وباستثناء دور النشر الكبيرة والحكومية، لا يقوم الناشرون في **مصر** بإجراء عقود تأليف ونشر مع المؤلفين الشباب. وذلك إما لأن الناشرين يرفضون إجراء تلك العقود، أو لأن الكُتاب يدفعون تكلفة نشر كتبهم. على أن الإطّلاع على تلك العقود، في حال وجودها، يبقى أمراً شاقاً.

عينات الدراسة :

نشرة الإيداع في **المكتبة الوطنية المصرية (دار الكتب)** المتعلقة بالإنتاج الفكري المصري للشباب، العام 2010، وآراء عيِّنة مكونة من 1601 شاب وفتاة في مصر. ثم آراء عيِّنة مكونة من 20 شاباً سودانياً مقيماً في القاهرة. (بحسب الجدول رقم 2)

تحدّدت الأسئلة في 15 سؤالاً، منها خمسة أسئلة تتعلق بالشباب، وهي :

1 – من هم أهم الكُتّاب الشباب؟

2 – ما هي أهم الكتب التي قرأتها لمؤلفين شباب في العام 2010؟

3 – ما هي أهم القضايا التي تناولها الكتّاب الشباب؟

4 – هل تعتقد أن هناك علاقة بين الأحداث في الوطن العربي وبين كتابات الشباب؟

5 – من هم أهم الناشرين في مجال النشر للشباب؟

وتبيِّن الجداول من (1) إلى (4) آراء العيّنات المصرية.

التنمية وعلاقتها بالنشر في مصر والسودان

على الرغم مما تتمتع به **مصر** من قدرات كبيرة في ميدان النشر، إلا أن عدد العناوين التي تصدر عنها سنوياً لا يرقى إلى قدراتها البشرية الفكرية، ولا يتناسب ما ينشر مع عدد السكان فيها حيث نصيب الفرد من الثقافة، متمثلاً في الكتب المنشورة، منخفض للغاية عنه في الدول المتقدمة؛ إلى جانب العديد من المؤشرات الأخرى التي سيتم تناولها لاحقاً. ولا يكاد الحال يختلف كثيراً عنه في **السودان** إن لم يكن أكثر سوءاً.

وفقاً لآخر تقرير **للأمم المتحدة** عن التنمية البشرية في **مصر والسودان**، بلغ متوسط عدد السكان تحت سن الخامسة عشرة عاماً الذين يذهبون للتعليم في **مصر** حوالي 66 %، بينما

جدول (1) توزع أفراد العيِّنة بحسب الجنس

النوع	العدد	النسبة المئوية
أنثى	740	%46.2
ذكر	861	%54.8
المجموع	1601	%100

جدول (2) توزع أفراد العيِّنة بحسب العمر

النوع	إناث	ذكور	المجموع	النسبة المئوية %
دون 20	119	49	168	10.4
20 - 35	551	531	1082	66.8
36 - 50	67	193	260	16.0
فوق 50	23	88	111	6.8
المجموع	760	861	1621	%100

جدول (3) توزع أفراد العيِّنة بحسب المؤهل العلمي

المؤهل	إناث	ذكور	المجموع	النسبة المئوية %
متوسط	27	73	100	6.2
فوق متوسط	-	17	17	1
تعليم جامعي	627	248	875	54.7
دراسات عليا	86	523	609	38.1
المجموع	740	861	1601	100

جدول (4) **توزيع أفراد العيّنة بحسب الحالة الاجتماعية**

الحالة الاجتماعية	إناث	ذكور	المجموع	النسبة المئوية %
أعزب	489	528	1017	63.5
متزوج	217	252	469	29.3
أرمل	21	8	29	1.8
مطلق	13	73	86	5.4
المجموع	740	861	1601	100

في مصر يُنشَر كتابٌ واحد لكل 5000 مواطن مصري كل عام، وفي السودان يُنشر كتاب واحد لكل 100 ألف مواطن سوداني، مع الإشارة إلى أن أغلب الكتّاب السودانيين لا ينشرون في السودان إلا نادراً، ولذا فإن ما يكتبه السودانيون وينشرونه لا يظهر في الإحصاءات السودانية.

بلغ مانسبته 60.1 % من عدد السكان في **السودان**. وفي الوقت نفسه، يبلغ متوسط عدد السنوات التي يقضيها المواطن في **مصر** في التعليم 11 عاماً، وفي **السودان** أربعة أعوام، وهو ما يعني أن هذه الفجوة الكبيرة لا يمكن أن تنتج إنساناً مثقفاً، أو حتى – بيقين أقلّ – متعلماً بشكل سليم وإنما تنتج أشباه متعلمين.

وفي **السودان**، يسوء الوضع كثيراً فيقترب العديدون هناك من درجة الأمية. فالسنوات الأربع في التعليم لا يمكنها أن تنتج شخصاً قادراً على ممارسة حقوقه أو حريته، أو تمكّنه حتى من التعرف إليها بشكل واضح، وهو ما يُفضي إلى مآزق كثيرة ينبغي مواجهتها في نهاية المطاف. فالعلاقة بين النشر والتعليم والإبداع من جهة أولى وبينه وبين الحرية من جهة ثانية، علاقة حتمية، حيث يمكن للقراءة أن تنمو وتصبح عادة إلا إذا كان المواطن قد حصل على حقه من الرعاية والتعليم بشكل لائق.

يؤكد ارتفاع معدلات النشر في **الدول المتقدمة والصناعية**، أهميةَ العلاقة بين دخل الفرد والحق في التعليم والقدرة على القراءة ومستوى النشر في الدولة من جهة أولى، ارتفاع قيمة الحرية من جهة ثانية. فكيف يمكن أن يُفسّر ارتفاع الدخل في بعض دول العالم وانخفاض معدل النشر، إلا إذا كانت الحرية فيها معطلة أو معصوبة العينين؟

في هذا الإطار، ووفقاً لآخر تقرير صادر عن **المنظمة العربية للتنمية الصناعية**[1] يبلغ نصيب الفرد من الناتج المحلي الإجمالي في **مصر** 2748 دولاراً سنوياً، بينما يبلغ عدد سكان **مصر** 75 مليون نسمة، يليها **السودان** حيث يبلغ نصيب الفرد من الناتج المحلي الإجمالي فيه 1518 دولاراً سنوياً، فيما يبلغ عدد سكان **السودان** 38 مليون نسمة (قبل الانفصال). ومن المؤكد أنه بعد انفصال **السودان الجنوبي** عن **السودان الشمالي** سوف يختلف توزيع كل من الفقر والتنمية والتعليم ومن ثم الثقافة والنشر.

هذه المؤشرات الاقتصادية والديمغرافية تشير إلى أنه إذا كان نصيب الفرد في **مصر** يبلغ ضعفه في **السودان** فهل ينعكس ذلك أيضا على النشر والإبداع؟.

تبدو العلاقة شبه مؤكّدة على مستوى دول العالم بين ارتفاع متوسط الدخل من جانب، والنشر من جانب آخر، وإن كان ذلك لا ينطبق على دول بعينها، يرتفع فيها دخل الفرد ولا يقابل ذلك اهتمام بالنشر والإبداع من جانب آخر، إلا أنها علاقة مؤكدة في **الدول الصناعية** الكبرى.

يبدو من الجدول رقم (5)، أن واقع النشر في **مصر** متدن. بيد أن نشرة الإيداع المصرية ربع السنوية التي تصدرها **هيئة دار الكتب والوثائق القومية**، تشي بأن هذا الرقم ربما يمثل نصف ما ينشر في **مصر**. وهذا ما أوحت به اللقاءات التي أُجريت مع الناشرين؛ حيث لا يقوم بعض الناشرين غالباً بالحصول على رقم الإيداع، ممّا قد يفسر ظهور الإحصائية على هذا النحو السلبي، علاوة على ذلك ، يبدو أيضاً أن السوق السوداء لنشر الكتب تمثل

(*) المرجع http://www.ahram.org.eg/Economy/News/56436.aspx



استثماراً ضخماً في **مصر والسودان**، ففي مصر يتم إنتاج ضعف هذا العدد من العناوين سنويا ليصل حجم الإنتاج فيها إلى مابين 23 ألفاً و28 ألف عنوان في العام، وهذا يتضح من عدد العناوين التي سجلتها نشرة الإيداع خلال أعوام 2008، و2009، وفي **السودان** يسير الأمر على الوتيرة نفسها، على رغم التفاوت الهائل بين ما يتم إصداره من العناوين سنوياً في كل من البلدين.

إن أي قراءة متفحصة للجدول رقم (5)- والذي يعتبر إحصائية رسمية – تعني أن هناك عنواناً واحداً تم نشره لكل 5000 مواطن في **مصر** في العام، وفي **السودان** لا يكاد هذا الرقم يذكر حيث يمكن القول بأن هناك عنواناً ينشر لكل مائة ألف من السكان تقريباً أو أقل قليلاً، مع أهمية الإشارة إلى أن أغلب الكتّاب السودانيين لا ينشرون في **السودان** على الإطلاق، وبالتالي لا تظهر هذه الكتب في الإحصاءات السودانية. بعامّة، يمكن القول إن هناك عنواناً (كتابًا واحدًا) لكل خمسة ملايين سوداني، فيما تشير إحصاءات اليونسكو وغيرها إلى أن هناك عنواناً ينشر لكل 500 مواطن في بريطانيا، وعنواناً لكل 900 شخص في ألمانيا وعنواناً لكل 100 مواطن في الولايات المتحدة.

كذلك لا تتعرض هذه الإحصائيات إلى عدد النسخ، وبالتالي تتسع الهوة مرّة أخرى. ففي **مصر**، يؤكد أغلب الناشرين الذين التقيناهم، أن عدد النسخ التي تنشر لكلّ عمل جديد يتراوح بين 500 و1000 نسخة، لكن هذا الرقم يتجاوز ذلك بكثير للمؤلفين والكتّاب المعروفين، أما في **السودان** فلا يتجاوز عدد النسخ لكلّ عمل بأيّ حال 500 نسخة، وغالباً ما يتمّ تقاسم هذه النسخ بين دار النشر وبين المؤلف، ويلجأ كثير من المؤلفين السودانيين إلى نشر أعمالهم خارج **السودان** وتحديداً في **مصر ودول الخليج** العربي، لأسباب تتعلق بالتكلفة والقدرة على التوزيع والدعاية التي يمكن أن يحصل عليها الكاتب.

جدول (5) **إنتاج الكتب في كلّ من مصر والسودان مقارنة ببعض الدول المتقدمة (2)**

الدولة	عدد العناوين المنشورة	المستوى على العالم	عام الإحصاء
الولايات المتحدة الأميركية	288.355	1	2009
المملكة المتحدة	206.000	2	2005
فرنسا	63.690	9	2010
إيران	65.000	10	2010
كوريا الجنوبية	40.291	13	2010
تركيا	34.863	14	2010
بولندا	31.500	17	2010
مصر	11.986	36	2010*
السودان	لاتتوافر إحصائية	غير مصنفة	2010**

* من واقع نشرة الإيداع التي تصدر عن هيئة دار الكتب والوثائق القومية

** من واقع إحصاء العناوين التي صدرت عن بعض دور النشر، يمكن القول بأنه قد صدر في السودان حوالي 300 عنوان جديد العام 2010. (لم تُسفر الاتصالات بمسؤولين سودانيين عدة عن الحصول على معلومات دقيقة، أو على أرقام يمكن اعتمادها).

أسباب نموّ صناعة النشر في مصر وعلاقة ذلك بالكتاب الشباب

في مصر، يؤكد معظم الناشرين أن عدد ما يُطبَع من النسخ لكل عمل جديد يتراوح بين 500 و1000 نسخة، إذا كان المؤلف غير معروف بعد، لكن هذا الرقم يتجاوز ذلك بكثير للمؤلفين والكتّاب المعروفين، أما في السودان فلا يتجاوز عدد النسخ المطبوعة 500 نسخة لكلّ عمل.

زاد عدد العناوين التي تنشر في **مصر** بمقدار ثلاثة آلاف عنوان تقريباً العام 2010. ففي العام 2000 كان عدد العناوين التي نشرت في **مصر** حوالي 9000 تقريباً، بينما وصل العدد إلى 12000 عنوان العام 2010. أما الواقع الفعلي فيشي بأن عدد عناوين الكتب التي نشرت بالفعل تقترب من 21000 عنوان، غير أنه لم يسجل في **المكتبة الوطنية** (**دار الكتب المصرية**) سوى 12 ألف عنوان فقط، ويرجع ذلك إلى الأسباب التالية:

1. تزايد استخدام الإنترنت في **مصر** منذ العام 1991، حيث أفرزت جيلاً جديدًا من الكتّاب نشروا أعمالهم أولاً على الإنترنت ثم اتجهوا بعد ذلك إلى نشر الكتب والمقالات المطبوعة. ويمكن القول

أن النموّ الدراماتيكي المتسارع في ظهور تكنولوجيا المدوّنات (البلوغات blogs) على وجه التحديد هو الذي ساعد على انتشار هؤلاء بشكل مطرد، وسمح في الوقت نفسه بوجود جمهور كبير لهم خصوصاً بين الشباب، إذ وصل العدد داخل قطاع الشباب المصري إلى نحو 12 مليون مستخدم للإنترنت العام 2008 بينما كان حوالى مليون واحد فقط العام 2000..كما ظهرت البلوغات العام 2003، وظهر الفيس بوك في نهاية العام 2007. وقد جذبت البلوغات حوالى 70 ألف شاب حتى العام 2007، بينما حصل الفيس بوك على 360 ألفاً العام 2008 ليقترب الرقم من مليون خلال العام 2010. لكن التحوُّل الأكبر أتى من تحول كُتّاب المدونات إلى مؤلّفي كتب مطبوعة خلال الخمس سنوات الأخيرة من العقد الأول من القرن الحادي والعشرين.

قفز عدد الشباب الذين يستخدمون الإنترنت في مصر من مليون في العام 2000 إلى نحو 12 مليوناً في العام 2008، كما ظهرت البلوغات في العام 2003، فبلغ عدد الشباب المصريين الذين انخرطوا فيه 70 ألف في العام 2007، وظهر الفيس بوك في نهاية العام 2007 فبلغ عدد الشباب 360 ألفاً في العام 2008 ليصل إلى مليون في العام 2010.

2. احتضن بعض الناشرين هؤلاء الكتّاب الجدد الذين أتوا من قنوات غير تقليدية عبر البلوغات والفيس بوك وغيرها، وقاموا بتحويل مدوناتهم إلى كتب، أو على الأقل إلى مقالات في الصحف، وقد حدث ذلك مع كتاب الكاتبة الشابة **غادة عبد العال** الذي يحمل عنوان مدونتها نفسه "عايزة أتجوز"، حيث تمّت طباعته عشرات الطبعات وتحوّل إلى مسلسل تليفزيوني هزلي. كما حدث أيضاً مع مدونين أصبحوا الآن كتّاباً بارزين في مصر مثل **إيهاب عبد الحميد، نهى محمود، سامي كمال الدين، شريف عبد المجيد، محمد صلاح العزب، محمود سليمان، محمد فتحي، غادة خليفة، مصطفى إبراهيم، أحمد مراد** وغيرهم كثيرون.

3. المقارنة عبر الإنترنت بين ما يحدث في المجتمع الغربي وما يحدث في المجتمع العربي مستمرة منذ سنوات، ويمكن ملاحظة ذلك من خلال الكتب التي تنشر للمؤلفين الشبان في **مصر**، فهذه المقارنة كانت في مصلحة الغرب الليبرالي الديمقراطي، ولم تبتعد عن ذلك حتى كتابات الشبان المنتمين إلى جماعات الإسلام السياسي، حيث كانت مطالبتهم بمجتمع ديمقراطي في مواجهة ديكتاتوريات تدفعهم إلى الكتابة في هذا الاتجاه. هذا بالطبع إلى جانب تجاربهم السيئة مع السلطة والتي تمثلت في تعرضهم إلى الاعتقالات وتضييق الخناق والمطاردة. هذه القضايا كانت تأتي تلميحاً وتصريحاً في كتبهم خلال السنوات الماضية (وليس العام 2010 فقط) حول قضايا تعذيب **خالد سعيد وسيد بلال** وقتلهما؛ فالأول ليبرالي والثاني من التيار الإسلامي، ومع ذلك لم ينظر إليهما بوصفهما منتميين إلى تيارين مختلفين بل تمّ التعامل معهما على أنهما شهيدان مصريان في سبيل حرية الشعب المصري.

المقارنة عبر الإنترنت بين ما يحدث في المجتمع الغربي وما يحدث في المجتمع العربي مستمرة منذ سنوات، ويمكن ملاحظة ذلك من خلال الكتب التي تنشر للمؤلفين الشبّان في مصر، فهذه المقارنة كانت في مصلحة الغرب الليبرالي الديمقراطي.

4. توافر إمكانات الطباعة والنشر، وانخفاض أسعارها بالمقارنة مع الخارج، وتوافقها مع الدخول المتوسطة للمصريين. هذا إضافة إلى الكتب التي تصدر عن واحد من أهم المشروعات الثقافية في **مصر** (**مكتبة الأسرة**)، والقدرات الضخمة **للهيئة المصرية العامة** للكتاب بوصفها أكبر مؤسّسة نشر في **مصر** مع توفير قنوات توزيع متعددة لها. كلّ ذلك ساعد على توسيع انتشار الكتاب في المجتمع المصري.

5. ظهور دور نشر شبابية مثل دار "اكتب"، و "فكرة"، وغيرها، وهي دور يقودها شباب، ونافست تلك الدور الجديدة دور النشر العريقة المسيطرة على السوق، وصاحب ذلك اتجاه أعداد كبيرة من الشباب نحوها سواء للنشر فيها أم لابتياع كتبها كقرّاء.

6. صاحب ذلك أيضاً، ابتكار أساليب جديدة للنشر (حفلات التوقيع) أوجدت مجالاً بشكل غير مسبوق في **مصر** في السنوات

الخمس الأخيرة على وجه التحديد، حيث وصلت إلى ما يزيد على 700 حفلة توقيع لكتب في العام 2010 وحده، تبعاً لما نشر في الصحف وعبر الإنترنت. وقد قامت هذه الدور بنشر أعمال مجمّعة من مدونات لمدونين عدّة معاً وتمّ وضعها في كتاب واحد، مما ساعد على انتشار الكتاب بين الشباب بشكل غير مسبوق.

7. ظهور العديد من المراكز الثقافية المحلية (مثل التجمعات المؤسسية العنقودية لمؤسسات وزارة الثقافة **كهيئة قصور الثقافة** التي تنشر "سلسلة إبداعات" للشباب، **والمجلس الأعلى للثقافة** الذي ينشر "سلسلة الكتاب الأول" للشباب) على مستوى المحافظات، وحتى القرى والنجوع. وكذلك انتشار المراكز الثقافية الأجنبية في **القاهرة والإسكندرية**، وقيام **وزارة الثقافة** بتنظيم مؤتمرات سنوية للأدب والرواية والشعر، إضافة إلى المؤتمرات الثقافية المتعدّدة. ويحضر الشباب هذه المؤتمرات تقريباً في ظلّ تضييق الخناق على الجامعات والمؤسسات التعليمية، حيث تمثّل مراكز **وزارة الثقافة** ودور النشر المستقلة والإعلام الخاص (المستقل) والمدونات والفيس بوك متنفسهم الرئيس.

8. لا يمكن إنكار مساحة الحراك الثقافي في عهد النظام السابق في **مصر**. فعلى الرغم من أن نوايا وزير الثقافة المصري السابق فاروق حسني كان الهدف منها وضع المثقفين المصريين في حظيرة الدولة، وعلى الرغم من نجاحه في ذلك إلى حدّ كبير مع كُتّاب بارزين في **مصر**، من خلال الوظائف والمؤتمرات والمعارض والندوات التي احتلت مساحة كبيرة من الحياة الثقافية؛ إلا أن التأثير الجانبي فات الجميع، وهي أن الحظائر لم تصنع أبداً لصغار الكتّاب من أصحاب الروح المتمردة الحقيقية على وجه التحديد.

9. لا يمكن أيضاً إنكار الحقيقة بأن حصول **نجيب محفوظ** العام 1988 على جائزة **نوبل للآداب**، حوّله إلى رمز ملهم للكتّاب الشباب الذين ولدوا قبل سنوات قليلة من حصوله على الجائزة. وبإطلالة سريعة على ما يكتبونه في كتبهم أو عبر الإنترنت في مدوناتهم، يمكن إدراك مدى تأثير شخصيات مصرية مثل: **أحمد فؤاد نجم وصلاح جاهين ويوسف إدريس وأحمد بهاء الدين** وغيرهم على الأجيال الجديدة من الشباب المبدعين، ما يدلّ على عمق التلاقح الذي تمّ بين جيل الستينيّات وبين جيل الألفية الجديدة في **مصر**.

إن نظرة سريعة إلى ما يكتبه الكُتّاب الشباب المصري سواءً في كتبهم أم في مدوناتهم عبر الإنترنت، تجعلنا ندرك على الفور مدى تأثير شخصيات مصرية مثل أحمد فؤاد نجم وصلاح جاهين ويوسف إدريس وأحمد بهاء الدين وغيرهم، على الأجيال الجديدة من الشباب المبدعين، ما يدلّ على عمق التلاقح الذي تمّ بين جيل الستينيّات وجيل الألفية الجديدة في مصر.

10. ربما من المهم أيضاً الإشارة إلى أن هناك العديد من الكتّاب الشبان يضعون أعمالهم الكاملة الآن سواء أكانت كتبًا أم مقالات أم غير ذلك على الإنترنت في المواقع الخاصة بحفظ الملفات الإلكترونية، كنوع من الإيمان بأهمية الإنترنت في التعبير عن القضايا الفكرية والسياسية والثقافية المغايرة، سواء اتفقنا معهم أم لم نتفق، أو هروباً من كلفة النشر، أو هروباً من رقابة الدولة وتسلطها، أو لأن مجتمع القراء موجود بعيداً في هذا العالم الافتراضي.

هذه الملاحظات الأولية لا تعني أن هذه الأمور والقضايا والأطروحات مُسلم بها، إذ إنها تظلّ مجرد ملاحظات وتحليلات أولية لمدى تأثر الكتّاب الشباب بمجموعة من العوامل التي جعلت من العام 2010 عاماً مميزاً وغير مسبوق في الحياة السياسية والثقافية.

صناعة النشر في السودان وعلاقتها بالكتّاب الشباب

أما عن السودان فإن محاولات كاتب هذه الدراسة الحصول على معلومات عن النشر فيها باءت كلّها بالفشل. لكن بعض اللقاءات التي تمّت مع كتّاب وأدباء شبّان سودانيين توحي بالآتي:

1. يعود عدم نموّ سوق النشر في **السودان** إلى المشكلات الاقتصادية التي تعانيها البلاد في المقام الأول، ثم إلى القضايا السياسية التي نتج عنها انفصال **السودان الجنوبي**، ووجود كثير من البؤر الجغرافية التي لها مطالب سياسية داخل البلاد. ويبدو أن كل ذلك لعب دورًا في عرقلة التوجّه إلى تركيز جهود الدولة على التنمية الاقتصادية والثقافية بكلّ معانيها.
2. افتقاد **السودان** إلى مشروع ثقافي شامل يحتاجه بشدة من أجل التقدّم بعملية التنمية.
3. في حين أن الدولة لا تركّز على التنمية الاقتصادية والثقافية، إلا أنها تتدخل في كل شيء حتى في الإعلام الخاص، مستفيدة من حاجة هذا القطاع إلى تمويل منها. وهذا التدخل يمنع الإعلام من التعبير بشكل كافٍ عن كل أشكال الثقافة أو القضايا التي تعتبرها الدولة قضايا شائكة، وبالتالي يرحل أغلب الكتّاب السودانيين، وبخاصة الشباب إلى الخارج بحثاً عن كتابة غير مراقبة وإعلام حرّ.
4. أغلب الأعمال التي ينشرها سودانيّون تطبع في **القاهرة** أو **دبي** وهو ما يشكِّل تحدياً أمام النمو الثقافي في **السودان**. وبالتالي غالباً ما لاتصل هذه الأعمال إلى المجتمع السوداني. وقد يكون الحلّ من خلال اتفاقات شراكة وتعاون بين الناشرين المصريين والعرب والناشرين السودانيين.
5. بدأ **السودان** العام 2005 في تنظيم معرض سنوي للكتاب، وهو مالم يكن متوافراً من قبل. كما أن انضمام **السودان** إلى **اتحاد الكتاب العرب** لم يتم سوى العام 2011، ما يعني أن هناك تأخراً كبيراً في اللحاق بكل أشكال التظاهرات الثقافية المختلفة، ولكن ذلك يعني من جانب آخر أن ثمة رغبة حقيقية في التغيير.

كما يمكن القول بأن أغلب الكتّاب الشباب السودانيين يعيشون خارج **السودان**، فدار ميريت وحدها نشرت 7 عناوين لكتّاب سودانيين العام 2010، وهناك دور نشر أخرى تنشر لكتّاب سودانيين بارزين.

إن جلَّ أعمال **الطيب صالح ومحمد الفيتوري** نشرت في **الدول العربية** قبل أن تنشر في **السودان** نفسه، وهو ما يؤكد حاجة **السودان** إلى دعم صناعة النشر الوطنية الناشئة ولكن بعيداً عن تدخّل الدولة في شؤون دور النشر.

إن جلَّ أعمال الطيب صالح ومحمد الفيتوري نشرت في الدول العربية قبل أن تنشر في السودان نفسه، وهو ما يؤكد حاجة السودان إلى دعم صناعة النشر الوطنية الناشئة ولكن بعيدا عن تدخل الدولة في شؤون دور النشر.

توزيع الكتب التي نشرت في مصر والسودان على السكان

إن إطلالة سريعة على حجم إنتاج الكتب في **مصر** موزّعاً على الموضوعات المختلفة، يمكنها أن تبيِّن اتجاهات النشر في **مصر**.

إن ما نشر من نسخ لكل عنوان في **مصر** يقترب من 8 **ملايين** نسخة تقريباً العام 2010. وهذا يعني أن هناك نسخة من كلّ عنوان لكلّ عشرة مواطنين، بينما في **السودان** ثمّة تقريباً نسخة لكل ألف مواطن لكل عنوان نشر وفقاً لمتوسط عدد النسخ المنشورة من كل عنوان، بينما يقترب هذا الرقم في الدول المتقدمة من نسخة واحدة من كلّ كتاب نشر لكل مواطن.

وعلى الرغم من هذه الندرة الكبيرة في حركة النشر في **السودان**، يقول أحد الناشرين السودانيين، هو **نور الهدى محمد**، مدير دار عزة للنشر، "إن ما طبع خلال السنوات العشر الماضية يوازي ما طبع خلال قرن كامل".

إحصائيات الكتب التي نشرت في مصر العام 2010

على الرغم من الضخامة النسبية لسوق النشر في **مصر**، فإن طابع عدم المغامرة في النشر لمؤلفين جدد أو غير معروفين هي السمة الأولى لهذا السوق. كما تمثل إعادة طبع الكتب التراثية لمرات عدّة السمة الثانية لأنها تمثّل ربحاً مضمون الجانب بالنسبة إلى العديد من الناشرين المتخصّصين في الكتب الدينية وكتب التراث. والسوق السوداء للنشر في **مصر** غالباً ما تعيد طبع الكتب التراثية التي سقطت عنها حقوق التأليف والترجمة والنشر، أو الأعمال العالمية لكتّاب محددين معروفين على المستوى العربي والعالمي مثل أعمال **جابرييل غارسيا ماركيز** وبقية الكتّاب الحاصلين على جوائز نوبل مثلا، أو الكتّاب العرب الأكثر شهرة مثل **محمد حسنين هيكل ونزار قباني** و**أحمد بهاء الدين** وغيرهم، وقد أصبحت المكتبات الرقمية على الإنترنت تقوم بهذا الأمر مجاناً بتوفير كتب المؤلفين الكبار على الإنترنت من خلال نسخ رقمية يمكن لأيّ شخص تحميلها على جهاز الحاسب الخاص به في أقل من دقيقة، وهو أمر قد يحتاج دراسة معمقة من جانب المسؤولين عن الإنتاج الثقافي في **العالم العربي**، على أن تتم هذه الدراسات بالتعاون بين المؤلفين والناشرين والقانونيين والأكاديميين في مجال النشر، كما يجب أن تخصّص ورش عمل تدرس النواحي القانونية والثقافية والاقتصادية لمثل هذا النوع من النشر.

يمثل الجدول رقم (6) الإنتاج الكلي الرسمي للكتب في **مصر** العام 2010. ويجب الإشارة مرة أخرى إلى أن سوق الإنتاج الفكري للكتب المرخص لها في **مصر** يساوي سوق الإنتاج الفكري للكتب في السوق السوداء، فمن كل كتابين في معرض الكتاب ستجد كتاباً لم يمرّ عبر الطرق القانونية.

هناك بعض الأرقام والنسب المبهمة التي يجب التعليق عليها. فالكتاب الديني يحتل المرتبة الأولى كالعادة كلّ عام. ولم يتغير هذا الوضع على الأقل خلال السنوات العشر الماضية. وصل عدد الكتب في الدين الإسلامي (باللغة العربية) في **مصر** إلى نحو 2175 **عنوانًا** في العام 2010، أما كتب الدين المسيحي فوصل عددها إلى نحو 555 عنوانًا، فبلغت نسبة كتب الدين الإسلامي 18.1% وكتب الدين المسيحي 4.6% من جملة الكتب المنشورة. وهذا ما لم يكن مثار اهتمام من قبل على الإطلاق في التقارير العربية أو الدولية التي تتناول النشر في **مصر**. لكن ينبغي التأكيد على أن حرية العقيدة مكفولة وفق قوانين المجتمع المصري، لكن من المؤكد أن هناك كثيرين يستفيدون من أحداث الفتنة الطائفية المستمرة في **مصر**. ولم تحدث مصادرات من أيّ نوع لكتب دينية إسلامية أو مسيحية؛ لكن نظرة فاحصة على العناوين ستؤكد أن العناوين الجديدة في الديانتين قليلة، وأن الاقتصاد يفرض نفسه على سوق الكتاب الديني في النهاية، وهنا يتراجع عدد عناوين الكتب الدينية ويقفز عدد العناوين في الأدب وفي مجال العلوم الاجتماعية.

يحتلُّ الكتاب الديني المرتبة الأولى بين منشورات الكتب، ولم يتغير هذا الوضع على الأقل خلال السنوات العشر الماضية. وصل عدد الكتب في الدين الإسلامي (باللغة العربية) في مصر إلى نحو 2175 عنوانًا في العام 2010، أما كتب الدين المسيحي فوصل عددها إلى نحو 555 عنوانًا، فبلغت نسبة كتب الدين الإسلامي 18.1 % وكتب الدين المسيحي 4.6 % من جملة الكتب المنشورة.

تبعًا لذلك، يمكن القول بأن أكثر الكتب نشراً تقع في قطاع العلوم الإنسانية والاجتماعية وهي تشمل السياسة والاقتصاد والقانون والتربية والخدمة الاجتماعية. كما

جدول (6) الاحصائية الموضوعية لتوزيع الكتب العربية والأجنبية لعام 2010

الموضوعات	عدد العناوين العربية	عدد العناوين الأجنبية	الإجمالي	النسبة المئوية
المعارف العامة	274	7	281	% 2.3
الفلسفة وعلم النفس	379	4	383	% 2.3
الديانات	2730	78	2808	% 23
العلوم الاجتماعية	2130	336	2466	% 20.6
اللغات	349	187	536	% 4.5
العلوم البحتة	476	66	542	% 4.5
التكنولوجيا والطب	827	243	1070	% 8.9
الفنون	409	11	420	% 3.5
الأداب	2473	76	2549	% 21.3
التاريخ والجغرافيا	806	125	931	% 7.8
المجموع	10853	1133	11986	

يمكن القول إن الوهم حول أن الكتب الدينية هي الأكثر انتشاراً هو وهم كبير يجب التخلص منه. فالمصريون أكثر إنتاجا في العلوم الاجتماعية والآداب عنها في الديانات، وهو ما يمثل روح هذه الدراسة، وهو ما يعني أن ما أثير خلال السنوات السابقة عن أن المصريين أكثر اهتماماً بالدين من السياسة والأدب ليس صحيحاً. والحقيقة أن الأرقام المتعلقة بنشر الكتب تقول ذلك، كما أن اتجاهات القراءة للكتّاب الشبان تكشف عن ذلك أيضاً. إن نظرة فاحصة للكتب التي نشرت في مجال الأدب مثلا تبيّن بجلاء أن هذا هو المحك الحقيقي لإنتاج المصريين بشكل فردي، كما أن إنتاجيتهم في مجال العلوم الاجتماعية والعلوم التطبيقية معا تمثل رقماً ضخماً يصل إلى ثلث إنتاجهم بعدد عناوين يصل إلى 33% من النسبة المئوية الإجمالية لهذا الإنتاج.

الأمر الآخر أن أغلب العناوين التي نشرت في العام 2010 في مجال الدين هي عناوين لكتب تراثية أو لكتب تمّت إعادة طباعتها، ومن ثم قد يحتاج الأمر إلى دراسات أخرى تتعلق بالفحص الميداني لقراءات المصريين عن كثب، إذ ربما تتكشف حقائق أخرى.

الكتب التي نشرت في السودان العام 2010

على الرغم من كل المحاولات التي بذلت في إعداد هذه الدراسة للحصول على قائمة بالعناوين التي نشرت في **السودان** لم يتيسر إلا الحصول على قائمة من **مكتبة الكونغرس الأمريكية**، إذ باءت كل المحاولات الأخرى بالفشل نتيجة صعوبة الحصول على أرقام شاملة وموثّقة من الجهات المعنيّة في **السودان**.

هناك في السودان 44 ناشراً، يقابلهم في **مصر** من واقع سجلات **اتحاد الناشرين المصريين** 400 ناشر، هذا عدا الموزعين ومنتجي الكتب المدرسية والطابعين ومن في حكمهم. ولئن كانت إحصائيات **اليونسكو** لا تظهر **السودان** على الإطلاق، فإن بعض المقابلات واللقاءات عبر الإنترنت سمحت بإعطاء رقم تقريبي يصل إلى نحو 300 **عنوان** في العام 2010، أغلبها أعمال دينية أو مدرسية أو أكاديمية، بالإضافة إلى أعمال بعض المؤلفين القدامى أو المشهورين في السودان مثل **الطيب الصالح** و**محمد الفيتوري**.

أنشأ بعض الناشرين السودانيين صفحات ومواقع لهم على شبكة الإنترنت مثل "دار أكاديمية السودان للنشر والتوزيع" و"هيئة الأعمال الفكرية"، و"هيئة الخرطوم الجديدة للصحافة والنشر"، و"شركة الخرطوم للصحافة المحدودة" و"جامعة الأحفاد للمرأة". وأغلب دور النشر هناك هي إما دور نشر أكاديمية تابعة للجامعات، أو دور نشر تابعة للدولة أو قطاع خاص غالباً ما يكون ضعيفاً وقدراته التنافسية محدودة.

لا تهتم هذه الدور بوضع قوائم نشرها، لكن – على سبيل المثال – تضع **هيئة الأعمال الفكرية** قائمة توزيعها للكتب التي أنتجتها عبر عشرة أعوام تقريباً حيث نشرت 52 عملاً خلال هذه الأعوام آخرها نشر العام 2010 للكاتب الراحل **محمد الطاهر بن عاشور** عن قضية التعليم في التاريخ الإسلامي وتخلو القائمة تماماً من الكتّاب الشبان.

يتجه الكتّاب الشبان وحتى غير الشبان في السودان إلى النشر في **مصر** أو في **دبي** كما سبقت الإشارة، وقد شوهدت أعمال منشورة في **دول الخليج العربي** كلها لكتاب سودانيين شبان يعملون غالباً في مجال الصحافة أو مهن كتابية متعددة في **الكويت** و**أبو ظبي** و**قطر** وكذلك في **بيروت** وغيرها، وهو ما يعني أن هناك مشكلة حقيقية في السودان في مجال النشر، لكن جذور هذه المشكلة – وقبل أن تكون لها علاقة بمؤسسات النشر – لها علاقة مؤكدة بالتعليم والتنمية والمشروع الحضاري في **السودان** ككل.

أنشأ بعض الناشرين السودانيين صفحات ومواقع لهم على شبكة الانترنت مثل "دار أكاديمية السودان للنشر والتوزيع" و"هيئة الأعمال الفكرية"، و"هيئة الخرطوم الجديدة للصحافة والنشر"، و"شركة الخرطوم للصحافة المحدودة" و"جامعة الأحفاد للمرأة". وأغلب دور النشر هناك إما دور نشر أكاديمية تابعة للجامعات، أو دور نشر تابعة للدولة أو قطاعٍ خاص غالبا ما يكون ضعيفا وقدراته التنافسية محدودة.

النشر في مصر والسودان للكُتَّاب الشباب

من واقع نشرة الإيداع المصرية للعام 2010 والتي يفترض أنها تمثّل السجل المصري الرسمي لكلّ ما ينشر في **مصر** فإن المنشور للكتّاب الشبان والمسجّل لدى الناشرين هو 47 عنوانًا كان توزيعها كما هو مبيّن في الجدول رقم (7):

يؤكد **الجدول رقم** (7) ما سبق الإشارة إليه في التحليل الكلي لكل مانشر في **مصر** العام 2010، وهو أن اتجاهات الشباب نحو التأليف يحكمها نوع من التمرّد على الموروث الثقافي. وهذا يمكن قراءته بسهولة بين السطور، حيث يكاد الأدب يحتل نصف اهتمامات العقل الشاب في **مصر**. فالرواية والقصة القصيرة تحتل نصف هذا العدد، فيما يحتل الشعر النصف الآخر، كما أن هناك ممثلين لتيارات دينية جديدة وصاعدة بين الشباب، منهم الآن نجوم بارزون على الرغم من صغر سنهم.

جدول (7) منشورات الكتاب الشباب عام 2010 من واقع نشرة الإيداع المصرية

المجال الموضوعي	عدد العناوين	النسبة المئوية
المعارف العامة	3	6.4
الفلسفة وعلم النفس	2	4.3
الديانات	6	12.8
العلوم الاجتماعية	1	2.1
اللغات	-	-
العلوم البحتة	-	-
التكنولوجيا والطب	-	-
الفنون	10	21.2
الآداب	25	53.2
التاريخ والجغرافيا	-	-
الإجمالي	47	100

جدول (8) دور النشر التي نشرت لشباب في العام 2010

الناشر	عدد العناوين المنشورة في 2010	عدد كتب الشباب (تحت 35 سنة)	النسبة المئوية من اجمالي الكتب المنشورة لكل ناشر	نسبة الكتب المنشورة للشباب لدى الناشرين الخمسة من إجمالي كل مانشر لديها
دار نهضة مصر	125	18	% 14.4	% 42.8
دار الشروق	100	3	% 3	% 7.1
دار العين	26	3	% 11.5	% 7.1
دار ميريت	38	3	% 7.9	% 7.1
أكتب	20	10	% 50	% 23.8
أخبار اليوم	غير متوافر	2	-	% 4.8
الهيئة العامة للكتاب	غير متوافر	1	-	% 2.4
الهيئة العامة لقصور الثقافة	غير متوافر	1	-	% 2.4
دار شمس	غير متوافر	1	-	% 2.4
الإجمالي	309	42	-	% 100

يتجه الكتّاب الشبان وحتى غير الشبان في السودان إلى النشر في مصر أو في دبي، وما أكثر الكتب المنشورة في دول الخليج العربي لكتّاب سودانيين شبان يعملون غالباً في مجال الصحافة أو في مهن كتابية متعددة في الكويت وأبو ظبي وقطر وبيروت.

وخطاب هـؤلاء الإعلامـي الرقيق والمتسـامح والداعي إلى الأمل يجد صـدى كبيراً أيضـاً بين الشباب.

تأتـي الفنـون في المرتبـة الثانيـة مـن اهتماماتهـم، وهـذا أيضـاً دلالة واضحـة على اهتمامهـم بالعمليـة الإبداعيـة في الحيـاة في كلّ جوانبهـا. ولا يخفـى أن عـدم تمثيل العلوم والتكنولوجيـا في الإحصـائية مـبرره أن الناشريـن لاينشـرون، في ما يتعلـق بالأعمال

جدول (9) **تفضيلات جمهور القراء للناشرين في مصر**

الناشر	النوع	التكرار	النسبة
الهيئة المصرية العامة للكتاب	حكومي	68	% 4
مدبولي	ق.خ.	58	% 3.6
نهضة مصر	ق.خ.	57	% 3.5
الشروق	ق.خ.	48	% 3
دار المعارف	حكومي	47	% 2.9
الأهرام	شبه حكومي	41	% 2.5
الهيئة العامة لقصور الثقافة	حكومي	35	% 2
العبيكان	عربي ق.خ.	31	% 1.9
جرير	عربي ق.خ.	29	% 1.8
الدار المصرية اللبنانية	ق.خ.	29	% 1.8
لونجمان	أجنبي ق.خ.	21	% 1
دار الساقي	عربي ق.خ.	13	% 0.8
دار الفاروق	ق.خ.	12	% 0.7
دار شرقيات	ق.خ.	12	% 0.7
الشروق الدولية	ق.خ.	12	% 0.7
دار الحديث	ق.خ.	11	% 0.6
الهلال	حكومي	11	% 0.6
دار ميريت	ق.خ.	11	% 0.6

ق.خ. = قطاع خاص

شبه حكومي = مؤسسات تابعة للدولة لها قوانين خاصة بها

ذات الجانب الأكاديمي، إلا لأصحاب المؤهلات العلميـة العالية التي لايحصـل عليها الشـباب في **مصر** إلا بعد سـنّ الخامسة والثلاثين غالباً، وهـذا يحتاج إلى دراسـة تتعلق بالتعليم مابعد الجامعي في **مصر** ماله وماعليه؛ لكن إذا حصل عليها الشـباب قبل ذلك فـإن اهتمامه بالنشر يتجـه غالبا نحـو المقالات العلميـة وليس إلى الكتب.

من خلال اللقاءات التي تمت مع الناشرين، فإن خمس دور نشر قامت وحدها بنشر حوالى 80% من الأعمال المنشـورة للشـباب في مصر العام 2010.

كانـت **دار نهضـة مصـر** في مقدمـة الـدور المهتمـة بنشر الأعمال الشـابة في **مصر** العام 2010 بحـوالي 18 عنوانـا، ثـم **دار أكتب** بعشر عناويـن، ثم بقيـة **الناشرين الثلاثـة**. لكن **دار أكتـب** تأتـي في المقدمـة مـن حيث إن نصـف عـدد عناوينهـا التي نشـرت العـام 2010 هي لمؤلفين شـبان، ثم **دار نهضة مصـر** فـ**دار العين** ثم **البقية**.

غالبـاً ما تتضـمّن سياسـة النشر في دور النشر المصريـة والسـودانية، على حدّ سـواء، إسـهام الشـباب مالياً في نشر كتبهم، على أن يحصـل الكاتب من الناشر على عدد من النسخ. وهـذا يمثل قاعدةً عامة في السـوق لا تأخذ بها دور النشر الكبيرة أو الحكومية. لكن ثمة قاعدة أخرى للنشر أيضـاً، فغالباً إذا تبنّت إحدى دور النشر الكبيرة كاتباً شاباً، فإنها لا تطبع له أكثر من 300 نسـخة تستكشـف بها السـوق. ويكتظّ سـوق النشر بالكثير من العمليات الاقتصادية التي تحتاج إلى التحقق من الأهداف التي تقف خلفها.

ثمـة اعتقاد جازم أن ذلك سـينتهي قريباً، علـى الأقـل في **مصر** في ظـلّ الاهتمـام الكبير بالكتب والإعلام بوجه عام من جانب، والثقافة مـن جانب آخـر. إذ أثبت هذا الجيل أن وسـائل الثقافـة التقليدية لا زالت تعيش لكن أصبحت لهـا وجوه أخرى تسـمّى الإنترنت والفيس بوك



شكل بياني رقم (1)

توزيع المكتبات التي يفضل القراء الشراء منها

القطاع الخاص % 29

القطاع الخاص الأجنبي % 6

القطاع الخاص العربي % 18

القطاع الحكومي % 47

غالبًا ما تتضمن سياسة النشر في دور النشر المصرية والسودانية، على حـد سـواء، إسهام الشباب مالياً فـي نشـر كتبهم، على أن يحصل الكـاتب مـن الناشر على عدد من النسـخ. وهذا يمثل قاعدةً عامة في السوق لاتأخذ بها دور النشر الكبيرة أو الحكومية.

والمدونات والكتب الإلكترونية، وهي ستتحول إلى أدوات تقليديـة مع الوقت حتى تظهر أدوات جديدة أخرى تحلّ محلها!.

تفضيلات جمهور القراء لدور النشر في مصر

أما عن تفضيلات الجمهور المبحوث فقد تمّ الخروج **بالجدول** رقم 9 :

أتـت **الهيئـة المصريـة العامـة للكتـاب** في المركـز الأول علـى الرغـم مـن كونها مؤسّسـة حكومية تابعة لوزارة الثقافة المصرية. وكذلك ظهر في الجدول معها خمس مؤسسات حكومية أخـرى لأسـباب تتعلـق بمجهـودات الهيئة في توفير عناوين عالمية ومصرية شهيرة بأسعار منخفضة ولتبنيها مشروع "مكتبة الأسرة". بشكل عام كانت اتجاهات الجمهور نحو أهم الناشرين الذين ينشرون لكتّاب شـبّان تدعم التوجّـه نحو القطـاع الخاص، حيث ظهرت ثماني مؤسسات تابعة لقطاع النشر المستقل في **مصر**، فيمـا أتـت المؤسسـات الحكومية التـي تعمـل بالنشـر في المركز الثـاني منها مؤسستان تابعتان لوزارة الثقافة المصرية، ثـم ظهـر القطـاع الخاص العربـي بثـلاث مكتبـات وأخـيراً القطـاع الخاص الأجنبي بمكتبة واحدة.

مـا الـدلالات التي يمكـن الخـروج بها من ذلـك؟، الحقيقـة أن الحقبة الاشـتراكية بكلّ ما فيها مـن إيجابيات وسـلبيات لازالت راسـخة في الوجـدان المصـري، حيث إن الدولـة هـي التـي يقع عليها العبء الأكـبر في مجال النشر والثقافـة عمومـاً، ويجـب أن تبـدأ الدولـة في دراسة هذا الأمر بشكل جدّي للتخلص من هذه التبعيـة، حيـث يمكنهـا توجيه الدعـم للثقافة مـن خـلال الاهتمـام بالقطاع الخاص وبناء شراكات معـه، مبنيـة علـى النزاهـة وعدالـة التوزيع وتتمتّع بالشفافية المطلقة والمحاسبة والمراجعة.

ما زالت الحقبة الاشتراكية بكل مافيها من إيجابيات وسلبيات راسـخة في الوجـدان المصـري، فمـازال العبء الأكبر في مجال النشر والثقافة عموماً يقع على عاتـق الدولة. وعلـى الأخيرة أن تبدأ في دراسـة هذا الأمر بشـكل جادّ للتخلص من هذه التبعية.

لكـن مـا الأسـباب وراء تفضيـل التعامـل مع هذه المؤسسـات مـن قبل الجمهـور الشـاب القارئ؟، الحقيقة أن هذه المؤسسات على وجه التحديد تتميز بالآتي:

1 – أنهـا تنشـر لأهـم المؤلفـين في **مصـر** (364 مبحوثاً).

2 – أنهـا تنشـر للشـباب والشـابات مـن

الكتّاب حيث أفاد بذلك (235 مبحوثاً).

3 – أن أسعار معظمها في متناول القارئ (81 مبحوثاً).

4 – وصول كتبها إلى أغلب مكتبات التوزيع في أنحاء مصر (79 مبحوثاً).

5 – الأكثر وجوداً على شبكة الإنترنت (76مبحوثاً).

6 – جودة المادة المكتوبة (18 مبحوثاً).

7 – نوع الورق والتغليف (12 مبحوثاً).

العلاقة بين القرّاء والكتّاب الشباب في مصر

من أجل التعرف إلى اتجاهات القرّاء نحو كتابات الشباب في مصر، تمّ إجراء مسح على عيّنة مكوّنة من 1600 **قارئ** تم اختيارهم بشكل عمدي من قراء المكتبات المصرية في المكتبات التالية:

1 – المكتبة المركزية لجامعة القاهرة

2 – مكتبة مصر العامة (مكتبة مبارك العامة سابقاً)

3 – ساقية الصاوي

4 – دار الكتب المصرية

5 – المكتبة المركزية جامعة حلوان

6 – المركز القومي للبحوث

كان الهدف الإجابة عن الأسئلة التالية :

1 – ما رأيك في كتابات الشباب؟

2 – ما أهم كتب الشباب (المؤلفات) التي قرأتها العام 2010؟

3 – من هم أهم المؤلفين الشبّان في نظرك؟

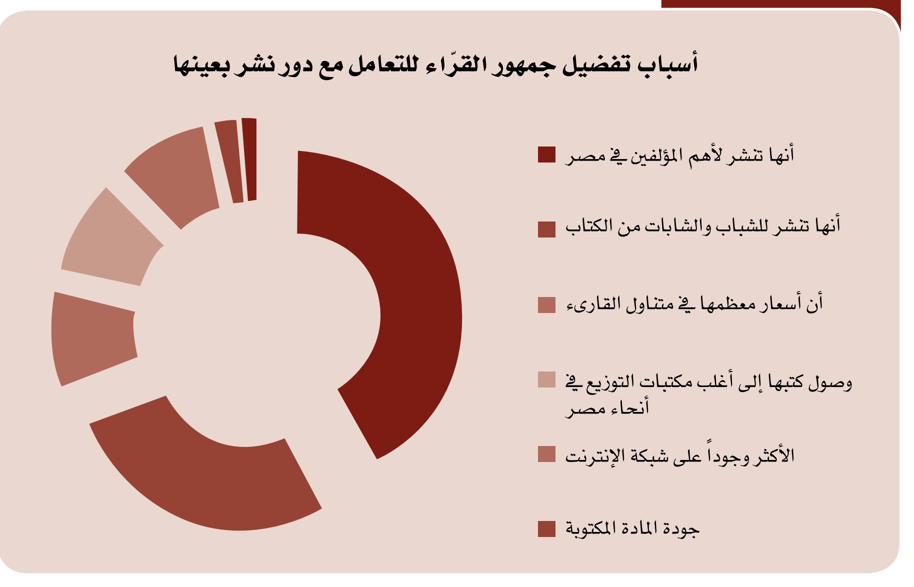
4 – هل تعتقد أن هناك علاقة بين الربيع العربي في مصر وكتابات الشباب في **مصر** العام 2010 .

5 – هل تعتقد أن للثقافة والكتب تأثيراً على قضية انفصال **السودان الشمالي والجنوبي**.

أبرز المؤلفين الشباب في مصر

في محاولة للتعرف إلى وجهة نظر القرّاء في أهم الكتّاب الشباب في مصر حالياً، لم يكن الخيار إلا خياراً سياسياً في الغالب، ثم تأتي مسائل تتعلق بالقدرة على التواصل السهل مع جمهور القراء، والقدرة إلى كشف المستور أو المسكوت عنه، وتتعلق أيضاً بخفة دم الكاتب،

شكل بياني رقم (2)



جدول (10) أهمَ المؤلفين الشبان العام 2010 من وجهة نظر العيّنة

المؤلف	الوظيفة	التكرار	النسبة المئوية*
بلال فضل	سيناريست وكاتب صحافي	449	28
خالد الخميسي	كاتب صحافي وروائي	185	11.6
أحمد العسيلي	مقدم برامج وكاتب	83	5
عمر طاهر	كاتب	72	4.5
محمد فتحى	أكاديمي وكاتب ومعد برامج	51	3
هشام الجخ	شاعر	55	3
هيثم دبور	صحافي وكاتب	48	3
غادة عبد العال	طبيبة	42	2.6
محمد صلاح العزب	صحافي	28	1.7
رضوان زيادة	كاتب	19	1.2
أحمد خالد توفيق	طبيب وكاتب	18	1
أحمد مراد	مصور وكاتب	17	1
ميشيل حنا	كاتب	14	0.9
محمد هشام عبية	كاتب	12	0.8
ايهاب عبد الحميد	صحافي ومترجم وكاتب	12	0.8
محمد سامى البوهى	كاتب	13	0.8
هانى عبد المريد	كاتب	12	0.8

*النسبة المذكورة تمثل نسبة من اختاروا الكاتب من العيّنة، حيث تمّ استبعاد كلّ الاختيارات التي تمت على كتّاب كبار.

وجماهيريته، وعلاقته بالإعلام المرئي. وقد اتضح أنه لم تكن هناك اختلافات كبيرة في اختيار أسماء المؤلفين الشباب الأكثر تأثيراً على الساحة الثقافية في مصر الآن.

أتى **بلال فضل** في المقدمة بسبب كتبه ذات الطبيعة السياسية الساخرة وعمله الإعلامي من جانب، ولطبيعة المقالات السياسية التي يكتبها في الصحف، من جانب آخر، وعمله كسيناريست في العديد من الأفلام. ففي آخر أعماله" مافعله العيان بالميت" تشريح للحالة السياسية التي كانت تعيشها **مصر** في عقد كامل تقريبا، وهو يملك حسّا فكاهيّا قوياً وقلمه يضجّ بالسخريّة المرّة.

وضعنا أمام أفراد العينّة القائمة وطالبناهم بالإضافة إليها وإعادة ترتيب الأسماء وكانت النتيجة كما تظهر في الجدول

حركة التأليف والنشر

(10)، ولم يظهر في القائمة إلا كتّاب السياسة أو الأدب أو حتى كتاب الأعمال الساخرة أو كتّاب الأعمال البوليسية مثل **د. أحمد خالد توفيق** والكاتب **أحمد مراد**، وهو مصور فوتوغرافي شهير في **مصر** على الرغم من صغر سنه، إلا أن عمله الأخير "تراب الماس"، وهو رواية بوليسية، طبعت منه طبعات عدة مؤخراً في **القاهرة**، وهو ما يعني أهمية دراسة التوجهات الجديدة لأذواق القراء في العالم العربي، بخاصة في ظل الانترنت، ولم تظهر أسماء نسائية سوى غادة عبد العال صاحبة مدونة وكتاب "عايزة اتجوز"على الرغم من أن العينة احتوت على 500 فتاة، و1000 شاب تقريبا، وهو مايثير التساؤلات عن الرؤية حول الكتابة النسائية بشكل عام.

أهم عناوين وموضوعات الكتب التي ألفها الشباب في مصر العام 2010

على الرغم من أن السؤال كان موجها عن أهم عناوين الكتب التي كتبها وألفها شباب عام 2010، إلا أن الاجابات تراوحت بين تفضيل القديم والجديد، كما هو مبين في الجدول رقم (11):

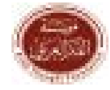
الجدول رقم 11 أهم عناوين الكتب التي ألفها الشباب عام 2010 من وجهة نظر القراء

عنوان الكتاب	التكرار	النسبة المئوية
تاكسى – حواديت المشاوير (خالد الخميسي)	125	7.8%
تراب ألماس (رواية) أحمد مراد	39	2%
ما فعله العيان بالميت – بلال فضل	32	2%
المادة ٢١٢ (هيثم دبور)	26	1.6%
الكتاب الثاني (أحمد العسيلي)	22	1.3%
كتاب مالوش اسم (أحمد العسيلي)	20	1.2%
يوميات اتنين مخطوبين	9	%.7

كانت هذه اختيارات أفراد العينة لأهم الكتب الشبابية التي نشرت في **مصر** مؤخراً، على الرغم من تحديدنا لهم العام 2010، بشكل أكثر تفصيلاً رأينا أن نضع هنا قائمة لأهم إصدارات دور النشر المصرية لأعمال الكتاب الشباب ويمثله الجدول (12).

قضايا كتابات الشباب وإشكالياتها

استمر شعاع التنوير في مصر زمناً طويلاً منذ بداية القرن العشرين وكان رواده الشيخ **الإمام محمد عبده وجمال الدين الأفغاني وعبد الرحمن الكواكبي وعلي عبد الرازق ورفاعة الطهطاوي وطه حسين وسلامة موسى وأحمد أمين** وغيرهم إلى جانب دعاة تحرير المرأة مثل **قاسم أمين وهدى شعراوي**، ثم أتى جيل الستينيّات ليقدم نموذجاً جديداً مغايراً يرمز لحركات التحرر والحركة الجماهيرية والإيمان بأيديولوجيات مغايرة كالاشتراكية وكانت رموزه في كتاب هذه المرحلة من كتاب وأدباء وفنانين مثل **زكي نجيب محمود وأمين الخولي ونجيب محفوظ وأحمد بهاء الدين وصلاح جاهين** وغيرهم، ليخفت هذا الشعاع في السبعينيّات مؤديًا بعد عشرين سنة، أي في التسعينيّات، إلى تشويه بنية الوعي والثقافة فانحسرت الفلسفة وانغلق المبدعون على أنفسهم وانقطع الشعاع تمامًا فطُعِنَ **نجيب محفوظ وقتِلَ فرج فودة وغُرِّب نصر حامد أبوزيد** وأُقصيَ الباقون من المشهد، بينما اتجه آخرون بعيداً عن القضايا الشائكة بعد صعود الإسلام السياسي في **مصر** وحروبه الصغيرة مع السلطة واشتداد قبضة الحزب الواحد. ثم مع دخول الإنترنت إلى **مصر** العام 1991، بالتزامن مع سقوط **العراق**، والمذابح التي ارتكبتها **إسرائيل** في **فلسطين ولبنان**، وجد الكُتَّاب الشباب أنفسهم وحيدين، ليبدأ في منتصف التسعينيّات ظهور جيل جديد



جدول (12) أهم مؤلفات الكتاب الشبان في مصر العام 2010

مسلسل	الكاتب	العمل	دار النشر	نوع العمل
1	وجدي الكومي	الموت يشربها سادة	دار العين	رواية
2	باسم شرف	كفيف لثلاثة أيام	دار العين	قصص قصيرة
3	دينا يسري	غزل البنات	دار العين	قصص قصيرة
4	أحمد مراد	تراب الماس	دار الشروق	رواية
5	هيثم دبور	مادة 212.. كتاب دستورى حركى ساخر	دار الشروق	مقالات
6	خالد كساب	أنا راعى بقر وحيد	دار الشروق	شعر
7	طارق إمام	حكاية رجل عجوز كلما حلم بمدينة مات فيها	نهضة مصر	قصص قصيرة
8	أيمن الجندي	الكثير من الحب	نهضة مصر	قصص
9	علاء مصباح	من بيروت إلى وادي رم ؛ حكايات	نهضة مصر	أدب رحلات
10	الطاهر شرقاوي	عجائز قاعدون على الدكك	نهضة مصر	قصص
11	شريف عبد المجيد	جريمة كاملة	نهضة مصر	قصص قصيرة
12	سيد حسن عبد الرحمن	هل أنا حي فأنتحر... ؟	نهضة مصر	شعر
13	شيرين عادل	حالة حب موسمية ؛ نثريات	نهضة مصر	نثر
14	شيماء زاهر	100 % قطن	نهضة مصر	قصص
15	أحمد الفخراني	مملكة من عصير التفاح ؛ حواديت	نهضة مصر	قصص
16	مصطفى حسني	خدعوك فقالوا	نهضة مصر	الدعوة الإسلامية
17	مصطفى حسني	الكنز المفقود	نهضة مصر	الدعوة الإسلامية
18	غادة خليفة	تقفز من سحابةٍ لأخرى"	فكرة	شعر
19	شوكت المصري	شعرية الجسد	الهيئة العامة للكتاب	نقد
20	آسر مطر	أتوبيس عام إسكندرية	العين	قصص قصيرة
21	محمود سليمان	سور للحديقة باب لقلبي	أخبار اليوم	شعر
22	مصطفى إبراهيم	وسترن يونيون.. فرع الهرم	ميريت	شعر عامية
23	محمد صلاح العزب	سيدي براني	الشروق	رواية
24	محمد صلاح العزب	وقوف متكرر	الشروق	رواية
25	مجدي الشافعي	مترو	د.ن.	رواية مصورة (كوميك)
26	مؤمن سمير	يطل على الحواس	أخبار اليوم	شعر
27	أحمد سراج	القرار	لقصور الثقافة لقصور الثقافة	مسرحية

تابع جدول (12) أهم مؤلفات الكتاب الشبان في مصر العام 2010

مسلسل	الكاتب	العمل	دار النشر	نوع العمل
28	هدرا جرجس	كان يشبه الصورة	-	قصص
29	سامي كمال الدين	هيلتون	دار شمس	رواية

مع دخول الإنترنت مصر العام 1991، بالتزامن مع سقوط العراق، والمذابح التي ارتكبتها إسرائيل في فلسطين ولبنان، وجد الكُتّاب الشباب أنفسهم وحيدين، ليبدأ في منتصف التسعينيات ظهور جيل جديد مغاير تماماً بدأ في منتصف العقد الأول من القرن الحادي والعشرين يُثبت وجودَه في الساحة السياسية والعامة، فظهر في الاحتجاجات التي تكاثرت في الانتخابات المثيرة للجدل في مجلس الشعب المصري وانتخابات الرئاسة، والتي انتهت في يناير 2011 بالثورة المصرية التي قادها الشباب.

مغاير تماماً بدأ في منتصف العقد الأول من القرن الحادي والعشرين يُثبت وجودَه في الساحة السياسية والعامة، فظهر في الاحتجاجات التي تكاثرت في الانتخابات المثيرة للجدل في مجلس الشعب المصري وانتخابات الرئاسة، والتي انتهت في يناير 2011 مع الثورة المصرية التي قادها الشباب.

وعليه، يمكن استخلاص الملاحظات التالية:

1. إن عودة الروح الوطنية للمصريين باتت مثاراً للكتابة وبأشكال متعدّدة، منها كتابة روايات بالعامية المصرية الخالصة والابتعاد عن العربية الفصحى، ومنها محاولات متعدّدة لإلقاء الضوء على المصريين الذين يعيشون على هامش الحياة، وبخاصة في العشوائيات، وانتفاء العلاقة مع السلطة بكل أشكالها.
2. ارتفاع عدد المدونات التي تتناول الأوضاع السياسية في **مصر**، والنقد اللاذع لكل الرموز السياسية مهما كانت درجة تمثيلها في النظام، وأيضاً إلقاء الضوء على كل ما تقوم به وزارة الداخلية من عمليات اعتقال وتعذيب وصل إلى حدّ قتل العديد من الناشطين السياسيين والمدونين.
3. المقارنة المستمرة بين الممارسات الديمقراطية في الغرب وما يحدث في **مصر** من ممارسات تتسم بالدكتاتورية، والتعامل الأمني المفرط، وتزوير الانتخابات، وارتفاع البطالة، وتلاشي آمال الحصول على مكان ما في مجتمع تمّ وصمه كله بالشيزوفرينيا والتشظي والتشرذم.
4. الكتابة عن القضايا المتعلقة بالإنسان الفرد وإحباطاته وهمومه اليومية بديلاً من الكتابة عن المجتمع ككل، ويستمر هذا الإسقاط على الإنسان الفرد في **القاهرة**، المدينة التي لا ترحم أحداً، ليكون المكان والسلطة قاتلين بالنسبة إليه. لكنه مع ذلك يحيا، ليس بآمال خاصة في الحياة والرفاهية؛ وإنما بآمال في أن يقف على قدميه، يأكل ويشرب وينام، ويسرق متع الحياة التي تتاح في الأماكن المظلمة من المدينة .
5. الالتصاق بلغة الواقع المتغيرة، والمركبة من مفردات غريبة أتت من تكنولوجيا المعلومات، ولتتحول أفعالها إلى أفعال عامية مصرية تكتظ بها لغة الشباب ولاتتحول عنها، مؤذنة بلغة جديدة أصبح الشباب في **مصر** يتداولها كأنها أفعال مسلم بها في اللغة العربية ولتصبح جزءًا من قاموس الرواية الجديدة والقصص القصيرة في **مصر** .
6. تنحو الكاتبات الشابات في **مصر** إلى التعبير عن إحباط الذات، وعن إحباطات أخرى تتعلق بالأمن والسلام والمستقبل والزواج والعشق المحظور، الذي يتحوّل إلى أوهام يتمّ اجترارها في بعض أعمالهنّ الروائية والشعرية. كما تخرج الكاتبات الشابات من أَسْر محرمات الماضي، في محاولة لإعادة اكتشاف الذات، والإبحار بها بعيدًا عن أسر الذكورية الذي تسيطر على الحياة.
7. كذلك تتسم الأعمال العلمية في مجال التكنولوجيا أو حتى في مجال العلوم التطبيقية بشكل عام وفي العلوم الإنسانية والاجتماعية بالبحث عن الجديد دائمًا وبالاتصال بالفكر الغربي بشكل كبير، من أجل ملاحقة التطورات اللاحقة فيها .
8. لم تختلف أعمال المسرح الشاب في **مصر** عمّا يحدث في بقية قطاعات الفنون والعلوم. فهناك دمج شبه كامل بين التكنولوجيا وبين الأعمال المسرحية من جانب، كما أن هناك اتجاهاً متعمّدًا نحو التجريب بكل أشكاله، مع صهر كلّ ذلك ليعبّر عن القضايا المركزية للوطن المتعلقة بالعلاقات بين طوائف المجتمع والتسامح وقبول الآخر، وكذلك التأكيد على فردية الإنسان في هذا العالم .
9. جاءت كتابات المبدعين الشباب الذين يعيشون بعيداً عن العاصمة سواء في الريف أم في المدن (الإسكندرية والمدن الساحلية عموماً) وكذلك في صعيد مصر، مختلفة في طابعها وقضاياها عن الكتابات القاهرية. ويبدو أن تأثير نمط المعيشة والبيئة لا زالا يؤثران على الكتابة الإبداعية حتى ولو تساوت فرص هؤلاء وأولئك في الاتصال بالفضاء السيبراني، لكن هناك وتيرة هادئة في التعبير عن قضايا الذات والمجتمع واستقراء الواقع وإعادة إنتاجه إبداعياً، فيما ينشغل كتّاب القاهرة بالشكلانية والقوالب المعتمدة في العالم للإنتاج الإبداعي.

جدول (13) من أهم العناوين التي حفزت الشارع المصري على القيام بالثورة ضمن متغيرات أخرى

العنوان	المؤلف	التكرار	نوع العمل
لماذا لا يثور المصريون؟	علاء الأسواني	91	% 6
لدي أقوال أخرى	إبراهيم عيسى	50	% 3
كارت أحمر للرئيس	عبد الحليم قنديل	31	% 1.9
جمهورية آل مبارك	عبد الحليم قنديل	29	% 1.8
عشان متضربش على قفاك	أسامة غريب	28	% 1.7
كل كتابات جلال أمين	جلال أمين	22	% 1.4
ما فعله العيان بالميت	بلال فضل	21	% 1.3
مصر مش أمي دي مرات أبويا	أسامة غريب	11	% 0.6
مصر على دكة الاحتياطي	علاء الأسواني	11	% 0.6

تنحو الكاتبات الشابات في مصر إلى التعبير عن إحباط الذات، وعن إحباطات أخرى تتعلق بالأمن والسلام والمستقبل والزواج والعشق المحظور الذي يتحوّل إلى أوهام يتم اجترارها في بعض أعمالهنّ الروائية والشعرية. كما تخرج الكاتبات الشابات من أَسْر محرمات الماضي، في محاولة لإعادة اكتشاف الذات، والإبحار بها بعيدًا عن أسر الذكورية الذي تسيطر على الحياة.

الكتابات الشبابية والتغيرات السياسية في مصر

في واحد من أهمّ الأسئلة التي وجهت إلى جمهور القراء عن العلاقة بين كتابات الشباب وبين الأحداث السياسية في **القاهرة**، لم يكن الهدف سوى التعرف إلى أهم العناوين التي

حركة التأليف والنشر

يمكن ان تكون قد شكلت الوعي السياسي المصري خلال العام 2010، وكانت النتيجة كما هي مبينة في الجدول رقم (13).

كذلك، تركنا العناوين كما هي سواء كانت للكبار أم الشباب، على أساس أن نترك للقارئ فرصة المقارنة من دون أي تدخل من طرفنا. يظهر في القائمة كتابان فقط للكتّاب الشباب بينما حظي علاء الأسواني على كتابين داخل القائمة، أما كتابات الشباب فهي غير منشورة في 2010 لكن أعيد طبعها مرات عديدة، وقد تركت هذه الكتب تأثيرات جمة في تشكيل الوعي السياسي المصري، خصوصاً لدى الشباب.

هناك تغيرٌ واضحٌ في الشخصية العربية الشابة، ليس في مصر والسودان فحسب، بل في أقطار عربية عدّة، وهو تغيّر يتصل برفض الموروث القديم لقيم الأبوة بشكلها الكلاسيكي، ولقيم المجتمع التي تحدّ من حرية الشباب العملية والفكرية والحركية والشفهية على السواء.

أبرز مؤلفي الكتب تأثيرا على الحياة الثقافية في مصر

وفي سؤال آخر عن وجهة نظر القرّاء من الشباب في أبرز الكتّاب أصحاب التأثير الأكبر على الحياة الثقافية في مصر يأتي **إبراهيم عيسى** في المقام الأول و**علاء الأسواني** بعده، ثم الكاتب الشاب **بلال فضل**. كما هو مبين في الجدول رقم (14).

جدول (14) **أهم الكتّاب ذوي التأثير على الحياة الثقافية في مصر**

المؤلف	التكرار	النسبة المئوية
إبراهيم عيسى	280	17.5
علاء الأسواني	161	10
بلال فضل	160	10
مجدي الجلاد	65	4
مصطفى بكري	48	3
فهمي هويدي	38	2.3
عبد الحليم قنديل	28	1.75
أحمد رجب	23	1.4
عمار علي حسن	18	1
المجموع		

أبرز الكُتّاب الشباب السودانيين

أيضاً في ظل عدم توافر معلومات عن النشر في **السودان** وعن مؤلفيها وعلى الرغم من تفحصنا لكل المواقع، إلا أن الحديث عن الأدباء الشبّان نادر للغاية في ظل تشتتهم وعدم وجود معظمهم في **السودان** نفسه من جانب، ومن جانب آخر أن كتبهم غير متاحة في **السودان** ذاتها لدى الناشرين هناك، من جانب آخر.

إن القائمة التي تضم 44 **ناشراً** سودانياً أغلبها دور نشر أكاديمية تابعة للجامعات أو دور نشر صغيرة، كما أن صفحاتها على الإنترنت لاتكاد تعطي أو توفّر معلومات من أي نوع ولذلك في النهاية كان لابدّ من اللقاء مع الكتّاب أنفسهم في **مصر** وفي **العالم العربي**.

كانت العينة التي تمّ الاعتماد عليها في الدراسة مكوّنة من 20 **سودانياً** يعيشون في القاهرة من طلاب الجامعات والصحافيين والعاملين في المجال الدبلوماسي. وقد نفى ثمانية منهم معرفتهم بكتّاب شبّان، فيما ظهرت أسماء لكتّاب يعيشون في **القاهرة** وينشرون فيها وربما أنهم موجودون وسط تجمعات الجالية السودانية هناك، ولذلك تظل هذه القائمة قاصرة عن تقديم كلّ الكتّاب الشباب هناك.

هؤلاء المؤلفون مهتمون بقضايا بلادهم. **فأميمة عبدالله** تعالج في روايتها "ذاكرة مشلولة" قضية جنوب السودان، فيما يتناول حمور زيادة أوضاع التنمية في السودان من خلال استعراضه حياة قرية تعيش في القرون الوسطى على الرغم من حضورها الزمني في القرن الحادي والعشرين.

ويحمل الكتّاب الشباب السودانيون على بلدهم، ويعكسون مدى حزنهم لانفصال الجنوب، لكنهم في الوقت نفسه يدركون أنه

حقّ طبيعي لأهل الجنوب بسبب معاناتهم المتعلقة بالتنمية، وأن خيار الانفصال كان الخيار الأول.

استنتاجات

تحتاج صناعة النشر مثلها مثل غيرها من الصناعات في الدول العربية إلى اهتمام كبير من الدول وإلى أن تعتبر صناعة لا تقلّ أهمية عن صناعة الغذاء أو صناعة النفط، لأنها تهتم بالعقل أولاً وأخيراً؛ العقل الذي يمكنه أن يوفر مستقبلاً وغذاءً.

هناك العديد من المؤلفين الشباب في **مصر والسودان** الذين ظهروا وحققوا لأنفسهم مكاناً بين كبار المؤلفين خلال **العام** 2010، لكن تبقى مجموعة من الملاحظات الاستنتاجية، من واقع هذا التقرير ومن واقع كتاباتهم:

1 – هناك تغيرٌ واضحٌ في الشخصية العربية الشابة، ليس في **مصر والسودان** فحسب، بل في أقطار عربية عدّة، وهو تغيّر يتصل برفض الموروث القديم لقيم الأبوة بشكلها الكلاسيكي، ولقيم المجتمع التي تحدّ من حرية الشباب العملية والفكرية والحركية والشفهية على السواء، ويتضح ذلك بشكل جلي في كتاباتهم وفي إنتاجهم الثقافي خلال الفترة الماضية، حيث يُعاد إنتاج الشخصية العربية من جديد لتمثل كلاً ذا أبعاد إنسانية متعددة .

2 – إن أغلب كتابات المؤلفين الشباب العرب في العقد الأول للقرن الحادي والعشرين تنتمي إلى مايعرف بثقافة التمرد الفكري على كل ما هو موروث، كما تتميز كتاباتهم بالانفتاح الشديد على الغرب، لكونهم مؤمنين بأن عصور المحرمات قد انتهت إلى غير رجعة. وهذا ينعكس على إنتاجهم الفكري والأدبي.

3 – الاهتمام بالتعليم في **مصر والسودان** يجب أن يكون في مقدمة أولويات التنمية. فلا يُعقل في الألفية الجديدة أن يكون متوسط عدد سنوات التعليم في مصر 11 **عاماً** وفي **السودان** أربعة أعوام، وأن يهجر التعليم ما بين 30% و40% من السكان كل عام.

جدول (15) **أهم المؤلفين من الكتّاب ذوي التأثير على الحياة الثقافية في مصر**

المؤلف	العمل	العدد	النسبة المئوية
حمور زيادة	الكونج (رواية)	12	60
خالد عويس	كياح (رواية)	11	55
يس سليمان	الحب من طرف ثالث (رواية)	11	55
أميمة عبدالله	ذاكرة مشلولة (رواية)	2	10

4 – النظر في دعم دور النشر التي تنشر للكتّاب الشباب من قبل الدولة في **مصر والسودان**. وعلى الرغم من تجربة الكتاب الأول في وزارة الثقافة المصرية والمتعلق بالكتاب الذين ينشرون لأول مرة، إلا أن صفوف الانتظار الطويلة تدفع الكتاب الشباب نحو القطاع الخاص ودور النشر المستقلة.

5 – أن هناك تجارب القطاع الخاص في **مصر** في التعامل مع الكتّاب الشباب من الممكن تعميمها في قطاعات وزارة الثقافة المصرية، أو التعاون بين وزارة الثقافة وبين دور النشر الصغيرة في **مصر**، والافادة من تجارب النشر في دور النشر الصغيرة تلك وتعميمها.

6 – رفع القيود والضرائب عن كلّ أدوات ومواد صناعة النشر حتى يمكن توفير المناخ الذي يمكنه من تقديم دور نشر منافسة.

7 – تعميم ورش العمل والندوات القصيرة والدورات التدريبية المتعلقة بالكتابة والإبداع في المؤسسات التعليمية بدعم من وزارات التربية والتعليم والثقافة والإعلام في كلّ من **مصر والسودان**.

8 – أهمية توفير منح كريمة للكتّاب الشبان

الاهتمام بالتعليم في مصر والسودان يجب أن يكون في مقدمة أولويات التنمية، فلا يُعقل ـ ونحن في العقد الثاني من الألفية الثالثة ـ أن يكون متوسط عدد سنوات التعليم في مصر 11 عاماً وفي السودان 4 أعوام، وأن يهجر التعليم ما بين 30 % و40 % من السكان كل عام.

في وزارات الثقافة في كلٍّ من **مصر والسودان** تمكّنهم من تقديم إنتاج أدبي متميز، للمبدعين منهم بخاصة، ووضع معايير شفافة تتعلق بطرق اختيارهم.

9 – توفير مؤتمر سنوي للكتابة الإبداعية للشباب في **مصر والسودان** لنقد التجارب الشبابية في الكتابة بكل أشكالها.

شهادات

إيهاب عبد الحميد (مصر)

من أبرز الكتّاب الجدد في **مصر**. ولد في **دمنهور** في **العام** 1977، وهو يعمل مترجمًا وصحافيًا وله العديد من الأعمال المترجمة. الصدفة هي التي لعبت دورها في تحول إيهاب عبد الحميد من الطب إلى الأدب، حيث بدأت علاقته بالأدب من الإسكندرية وبالتحديد في ورشة إبداعية باسم (ندوة أصيل) في النادي النوبي هناك. نشر أول مجموعة قصصية له العام 1998 في دار شرقيات بعنوان (بائعة الأحزان)، كما حصل على "جائزة ساويرس" عن روايته "عشاق خائبون" في أول دوراتها عن كتابات الأدباء الشبّان .

يمثل إيهاب عبد الحميد تياراً مختلفاً عن بقية أبناء جيله، ونشر عمله الأخير العام 2010 وهي مجموعة قصصية بعنوان (قميص هاواي) في دار ميريت وتحتوي على عشر قصص قصيرة تقع في 127 صفحة.

نهى محمود (مصر)

كاتبة وصحافية من **مواليد** 1980. أصدرت روايتين وكتابًا يضم مجموعة من المقالات بالتعاون مع الكاتب محمد فتحي بعنوان (نامت عليك حيطة) عن دار "مزيد"، ونشرت كذلك مقالات كتبتها في مدونتها "كراكيب" في كتاب حمل عنوان المدونة نفسها، وقد صدر لها العام 2010 رواية بعنوان (راكوشا)، وحصلت على جائزة دبي الثقافية في دورتها السابعة عن رواية غير منشورة بعنوان (هلاوس)، وعلى جائزة القصة القصيرة في مسابقة ساقية الصاوي.

تكاد كتابات نهى محمود تقتصر على المرأة، وهي روائية تتميز بالرومانسية مع حسّ عالٍ للسخرية، إلا إنها لم تنس قضايا بلدها المتعلقة بعشوائية الفتاوى وكرة القدم ورغيف العيش ومحرقة بني سويف التي راح ضحيتها عدد كبير من المسرحيين والأدباء المصريين في **العام** 2005. وحتى في روايتها الأولى "الحكي على مكعبات الرخام" لم تتقاعس عن تناول مشكلات الحياة في مصر. كما أنها في رواية "راكوشا" استخدمت أسلوب الأسماء المغيبة حيث لم تستخدم الأسماء وإنما استخدمت تعبيرات مثل "الولد الذي"، و"البنت التي" حين أرادت التعبير عن عمومية الأسماء في سياق الأحداث السياسية والاقتصادية والاجتماعية التي حدثت في مصر قبل ثورتها. وكإيهاب عبد الحميد نشرت نهى محمود روايتها في دار ميريت أيضاً.

هدرا جرجس (مصر)

ولد هدرا جرجس في (أدفو) في **أسوان**، في **العام** 1980، حصل على جائزة ساويرس **العام** 2008 عن روايته (مواقيت التعري)، نشر **العام** 2010 متتالية قصصية بعنوان (بالضبط كان يشبه الصورة)، حصل على الترتيب 16 في القائمة الطويلة للبوكر مؤخراً. في متتاليته التي نشرها **العام** 2010 يتناول أسرة مسيحية قبطية تمتد حياتها عبر مائة عام، يستعرض خلالها التراث القبطي في مصر وأهم قضايا الأقباط .

سامي كمال الدين (مصر)

يبلغ سامي كمال الدين من العمر اليوم الثالثة والثلاثين، وهو من مواليد قرية **(تشت)** في محافظة **قنا** في صعيد **مصر العام** 1978. انتقل للقاهرة كعامل نقاشة وسيراميك وليشتغل في الصحافة في الوقت نفسه. له

يمثل إيهاب عبد الحميد تياراً مختلفاً عن بقية أبناء جيله، ويعتقد بأن للروائي دوراً مختلفاً عن الكاتب بشكل عام. فالروائي يُعنى، كما يقول إيهاب، بـ"استعراض النقص الكامن في الأشياء"، ويرى أن فن الرواية فنٌ عظيمٌ يكاد يكون مقدّساً".

هدرا جرجس صحافي في مجلة الإذاعة والتلفزيون. بعد تخرّجه من قسم الصحافة في كلية الآداب في جامعة سوهاج، اشتغل أولاً في مجلة الشباب القاهرية ثم ترك القاهرة ليعيش في الصعيد ثلاث سنوات عمل خلالها في ميدان السياحة، ثم عاد ملبّى نداء الأدب والرواية، ورجع مرة أخرى إلى القاهرة.



كتب عدّة منها "رسائل المشاهير" وكتاب عن المطربة شادية، ورواية وحيدة هي (هيلتون) التي نشرها العام 2010 عن دار شمس، وهي رواية تنبؤية، تنبّأ فيها بما حدث في مصر **العام** 2011 .

يقول سامي كمال الدين إن انتماءه للحرية هو "انتماء جيل ينزع نحو الحرية ولا يحلم بها ، وأن هناك فرقاً كبيراً بين جيلنا وجيل الستينيّات" الذي يرى أنه جيل حالم، "أما نحن فجيل براغماتي عملي، جيل الستينيّات منحنا الهوية الفكرية، ونحن منحنا مصر الجسد. ميزة جيلنا أنه أتى بأفكاره من العالم كله، جيل الستينيّات رأى الديمقراطية تجارب ورؤى، أما جيلنا جيل القرن الحادي والعشرين فرأى الديمقراطية حريةً ودستوراً ونظامًا وقانونًا، نحن جيل يعرف ماذا يريد في تلك اللحظة. من ناحية أخرى فهو يرى أن عصر مناقشة الساسة على لسان الحيوانات انتهى، كما فعل جورج أورويل، "فنحن نناقش الآن بأسمائنا وأسماء أبطالنا ما يجب أن نفعله".

محمد فتحي (مصر)

حصل محمد فتحي على جائزة "ساويرس" فرع القصة القصيرة عن مجموعته "بجوار رجل أعرفه" وله سلسلة من الكتب التي لابدّ من وجود كلمة (مصر) في عنوانها ، مثل "مصر من البلكونة"، و"دمار يا مصر"، و"مصر وخلاص" وهي آخر كتبه في هذه السلسلة وصدرت **العام** 2010 عن دار أكتب. يعاني محمد مثلما يعاني كلّ كاتب في **مصر** من انتهاكات الناشرين، وضياع الحقوق.

"مصر وخلاص" صدر العام 2010 عن دار "أكتب"، وهو عبارة عن مقالات ساخرة بمرارة، طُبع مرات عدّة. لغته بسيطة، وأفكاره واضحة، وسخريته تجعلنا نضحك على أنفسنا. محمد فتحي وأقرانه جيل جديد، جيل له أساتذة بحثوا عنهم في كتّاب الستينيّات مثل **صلاح جاهين وأحمد فؤاد نجم والشيخ إمام ويوسف إدريس ونجيب محفوظ.** هؤلاء هم أصحاب التأثير الحقيقي على جيل 2010.

أما عن دار "أكتب" فهي واحدة من أهم دور النشر الجديدة التي ظهرت العام 2007 والتي اعتادت على النشر للشباب حيث نشرت الدار حوالى 350 عنواناً خلال أربع سنوات، منها 300 عنوان خاص بالشباب. نشرت كتباً لأعمال مجمعة مثل مدونات مصرية لمجموعة من المدونين، وكتاباً لجماعة "مواهب أدبية"، وكتاباً لجماعة "التكية الأدبية"، كما أنها تتولى نشر أعمال العديد من المدونين المصريين على شبكة الإنترنت .

نماذج من كتب الشباب الصادرة العام 2010

تقفز من سحابة لأخرى (ديوان شعر)

غادة خليفة (مصر)

ديوان غادة خليفة "تقفز من سحابة لأخرى" هو ديوانها الأول. وقد حصلت به قبل صدوره الفعلي عن دار "فكرة" على جائزة "ملتقى قصيدة النثر العربية" الأول، العام 2009. وكانت تلك الجائزة تدشيناً لصوت شعري متميّز جعل النقاد والمهتمين بالشعر عموماً وبقصيدة النثر خصوصاً يولون الديوان اهتماماً خاصاً. وغادة خليفة تحقّق حراكاً إبداعياً خاصاً لاينحصر في الشعر، فهي لاتقصر مشروعها الإبداعي على الشعر لكنها تمازج بينه وبين الفنّ التشكيلي فتقدّم دائماً مع نصوصها لوحات تشكيلية تحمّل حالة النصوص وموضوعها لغة لونيّة.

تصنع غادة خليفة سماءها الخاصة وتتخذها أرضاً من السحب المتكاثفة والمتفرقة، الصغيرة والكبيرة، المتباعدة قليلاً والمتداخلة، قافزةً من سحابة لأخرى دونما خجل أو خوف من قفزاتها الواثقة، مبتعدةً عن الاعتيادي والسائد لصناعة عالم شعري فرادته في خصوصيته وانحيازه للجمالي دونما حسابات

"مصر وخلاص" لمحمد فتحي مجموعة مقالات ساخرة بمرارة. طُبع الكتاب مرات عدّة. لغته بسيطة، وأفكاره واضحة، وسخريته تجعلنا نضحك على أنفسنا. محمد فتحي وأقرانه جيل جديد، جيل له أساتذة بحثوا عنهم في كتّاب الستينيات مثل صلاح جاهين وأحمد فؤاد نجم والشيخ إمام ويوسف إدريس ونجيب محفوظ.

انفجار روائي .. نهضة روائية .. زخم روائي .. أو ثورة روائية؛ تلك هي الكلمات التي تعبّر عن الرواية المصرية في العقد السابق ... قاعدة أساسية كنت أرى بها علاقة الفنون الأدبية السردية بالتطورات المجتمعية ألا وهي أنه حين تكون الطبقة الوسطى مأزومة تزدهر القصة القصيرة، أما حين تكون هذه الطبقة نفسها ثائرة وطامحة تزدهر الرواية نظراً لطبيعتها البانورامية الملحمية .. وهي القاعدة التي توافقت مع رؤى جورج لوكاتش وشكري عياد، ولوسيان جولدمان". د.هيثم الحاج علي (أكاديمي وناقد مصري).

تثقل كاهله خارج الشعرية، تقول:

"شَجاعَتي
الَّتي أُراهِنُ عَلَيها دائمًا
تَخاف،
قَلْبي يَرْتَجِف
وَأنا أنْقَسِمُ عِدَّةَ مَرَّات
لأُصبِحَ وَاحِدَةً تُحِبُّونَها،
البِنْتُ الَّتي لا تَستَحِقُ مَحَبَّتَكُم
تَصْرُخُ بِقُوَّة وَدَأب
تُمَزِّقُني كَي تَخْرُجَ
بِكُلِّ شَراسة وَحَيَوِيَّة
وَحدَها
تَخْطُو بِعُذُوبَة
فَوقَكُم جَميعًا
بِلا مَحَبَّةٍ أو آخَرِين".

ديوان "تقفز من سحابة لأخرى" لغادة خليفة هو ديوانها الأول. وقد حصلت به قبل صدوره الفعلي عن دار "فكرة" على جائزة "ملتقى قصيدة النثر العربية" الأول، العام 2009. وكانت تلك الجائزة تدشيناً لصوت شعري متميّز جعل النقاد والمهتمين بالشعر عموماً وقصيدة النثر خصوصاً يولون الديوان اهتماماً خاصاً.

وليس بالغريب أن تتناول غادة خليفة في نصوصها موضوعات أنثوية تحمل قضايا وأفكاراً غاية في الشيوع ولكن من زاوية مختلفة، لتبدو الموضوعات جديدة وخاصةً ومغايرة. فهي تكتب نصّاً بعنوان "عنوسة" وآخر بعنوان "قطار" وثالثاً بعنوان "قيد" تتناول فيها فكرة ارتباط الفتاة برجل يثقل كاهل فتاة بالكاد تخطو في أول الثلاثين. تقول غادة في "عنوسة":

"يَغسلُونَ رَأسَك من كُلِّ الشُّرُور
يَكسَرُونَ لَكَ ضَلعًا
كَي تَليني
يَشُدُّونَ عَينَيك بِحَبل إلى الأرض
كَي تُعانِقَ الرَّصِيفَ وَالأحذيَة ..
لَن يَهْتَمُّوا باحمِرار عَينَيك
وَلا بالغَضَب المُتَوِّج لابتِسَامَتك
فَقَط .. يُصَوِّبُونَ نَظْرَةً فاحِصَة
وَيَسألُون عَن عَدَد العابِرِين ..
لَنْ يَسْمَحُوا لي
أنْ أتبَعَ هَمْسًا لَمْ يَرَهُ أحَد،
سَيُعْلِنُون فَشَلي فِي اصْطِيادِ حياة".

وقوف متكرر

محمد صلاح العزب (مصر)

كتب محمد صلاح العزب أربعة أعمال، آخرها صدر **العام** 2010 أيضاً بعنوان (سيدي براني). لكن هذا العمل، وعلى الرغم من أنه نشر العام 2008، أعيد نشره مرّات عدّة، كان آخرها طبعة **العام** 2010.

حصل محمد صلاح العزب على جوائز عدّة، منها جائزة الرواية لمسابقة د. سعاد الصباح العام 2002، وجائزة الصدى للمبدعين في المجموعة القصصية في الإمارات العام 2003، وجائزة المجلس الأعلى للثقافة (مصر) في الرواية العام 2003، وجائزة المجلس الأعلى للثقافة في القصة القصيرة عامي 1999 و2003، والجائزة المركزية للثقافة الجماهيرية في المجموعة القصصية 2000 – 2001، وجائزة نادي القصة في الرواية 2002.

"وقوف متكرر" رواية تتحدث عن الإنسان الفرد في كلّ غزواته وهزائمه لتلك الحياة المتربة المعجونة بالفقر والحياة، في ظل فقر قاتل وأحلام لاتتحقق.

ينتمي محمد صلاح العزب إلى جيله فلا يحيد عن عمره الذي لم يتعدّ الثلاثين، ولم يتعد أيضاً لغة جيله. إنه يكتب لغة الشارع التي ينتمي إليها أبطاله جميعهم، كما أنه راصد جيد للتفاصيل الصغيرة التي تحيط بتلك الحياة التي يعيشها تسعون في المائة من أفراد الشعب المصري، خصوصاً في المدينة. تتعرض الرواية إلى يوميات شاب لانعرف سوى اسمه الأول (محمد) مثل تسمية نصف المصريين ويعمل مندوب مبيعات في مخزن أدوية. يعيش في مدينة السلام وينتقل هو وأصدقاؤه، الذين يذكر منهم محمد عبد المنعم، بين غرفة في منزل قديم وركوب ميكروباً عمومي، والموبايل الذي ينتمي لعصور حجرية وسيارة الفيات التي تنتمي للعصور الوسطى. مغامراته النسائية مكتظة بأحلام خائبة؟ حياة عادية للغاية لايريد منها محمد صلاح العزب أن يحكي عن صورة البطل الجديد في الرواية الشبابية المصرية. البطل العادي الذي يمر أمامك من دون أن تلحظه.

كتابة سريعة ومتلاحقة لا تكاد تلتقط فيها أنفاسك، ممتلئة بتفاصيل الحياة اليومية لآلاف المصريين. المصريون الذين يعيشون على هامش حياة لامعنى لها. الحياة التي يفقد فيها بطل الرواية والده. حياة عادية وموت عادي. وقوف متكرر دائماً.

الكنز المفقود

مصطفى حسني (مصر)

مصطفى حسني أحد شباب الدعاة في مصر. صدر له العديد من الكتب حول العلاقة بين الإنسان والدين. وهو كاتب وداعية لامع ومعروف في أوساط الشباب.

يدعو مصطفى حسني في هذا الكتاب للتعرف إلى الكنز المفقود، وهو يعني به هنا رؤية الله سبحانه وتعالى في كلّ شيء، حيث يرى الصالحون والورعون أن كلّ ما هم فيه هو من الله فلا ينشغلون بغيره، وبالتالي فهم يراعونه في كلّ أمورهم، ويرضونه في كل أحوالهم، فتجدهم في النعمة من الشاكرين، وفي البلية صابرين وفي أمور الرزق مجتهدين.

وهو يرى أن من فوائد هذا الكنز العظيم في حياة المؤمن أنه يساعد على الخشوع في الصلاة لأن صعوبة الخشوع تكمن في انصرافنا عن الصلاة إلى مشكلات الدنيا بما فيها العمل والبيت والأبناء والجيران وغيرها

يتميز أسلوب مصطفى حسني بالسلاسة والدعوة إلى التسامح في المجتمع وبقبول الآخر من وجهة نظر دينية إسلامية تتسم بالبساطة مع توجيه حديثه إلى الشباب. ويمكن القول إن جمهور مصطفى حسني مؤلف من الشباب بين سن الثامنة عشرة والخامسة والعشرين من خريجي الجامعات.

أتوبيس عام إسكندرية

آسر مطر (مصر)

"تعلمت أنه لابدّ من إخافة العامة دائماً بالعقاب والعذاب على الأرض وفي السماء؛ لكي يعرفوا الطاعة والاستقامة، تعلمت أنه يجب على الحاكم ألا يسمح للعامة بالحرية أو بالمتعة، بل عليه أن يعلمهم أن يجدوا المتعة في الخوف، يجب أن يعبدوني في الخوف وبالخوف. هذا هو أثمن درس تعلمته من آمون والمصريين"

بهذه العبارة المقتبسة من رواية "واحة الغروب" لـ بهاء طاهر، يفتتح آسر مطر مجموعته القصصية الصادرة عن دار العين "أتوبيس عام إسكندرية"، تلك المجموعة التي يجلد فيها آسر نفسه قبل مجتمعه، فاضحاً بحسّ ساخر لاذع كل العيوب والمساوئ والسقطات الدراماتيكية التي تنتجها العشوائية، وكأنما هو راكب حافلة يتابع كلّ ما يدور خارجها وداخلها خلال أربع محطات رئيسية عبر مشهد قصصي يستوحيه من الحالات اليومية، إذ يقتنص مشهدًا أو حالة يومية بل حتى مقابلة عابرة أو مشادة كلامية بيت طرفين؛ لينسج منها فكرة قصته التي يعمقها الحدث وتكثفها خصوصية

يكتب محمد صلاح العزب لغة الشارع التي ينتمي إليها أبطاله جميعهم، كما لو أنه راصد جيد للتفاصيل الصغيرة التي تحيط بتلك الحياة التي يعيشها 90 % من أفراد الشعب المصري، خصوصاً في المدينة. تستعرض الرواية يوميات شاب لانعرف سوى اسمه الأول، محمد، مثل تسمية نصف المصريين، يعيش في مدينة السلام وينتقل بين غرفة في منزل قديم وركوب ميكروباص عمومي، ويحمل موبايلاً ينتمي إلى "العصر الحجري" ويقتني "سيارة فيات تعود إلى العصور الوسطى".

إطار 1 — تقرير التنمية البشرية : شباب مصر بناة مستقبلنا

صدر هذا التقرير في القاهرة العام 2010، وقد شارك في كتابته وإعداده باحثون مصريون، لا يتجاوز سنّ معظمهم الثلاثين. وهو يعبّر عن رؤية شمولية لكلّ ما يهم الشباب المصري.

تكوّن التقرير من ستة عشر فصلاً. يحاول العلماء الشباب في هذا التقرير عرض الهموم التي تشغل بال الشباب في مصر والتي تتراوح بين الحصول على الشهادة الجامعية، المشاركة السياسية، الزواج، الفضول الجنسي، الحصول على أجهزة إلكترونية متطورة، العمل، والأمن الذاتي.. إلخ. وأتت اهتمامات الإناث مغايرة لاهتمامات الذكور من الشباب، كما أتت قضايا مثل التحرش الجنسي والمظهر الشخصي والأمان والزواج والتدريب والمشاركة السياسية والاجتماعية على قمة أولويات الإناث في مصر. أما الشباب فكانت أولوياتهم تقع بين الفضول الجنسي والموبايل والرياضة وتحديدًا كرة القدم والدراسة والعمل والهجرة.



الرؤية وزاوية التناول .

ومع الثرثار والمتطفل والانتهازي وخفيف الظل وغير ذلك من النماذج البشرية المنتشرة، تتعدد شخصيات/أبطال أتوبيس الإسكندرية الذي يقدم راكبه آسر مطر ثلاثاً وعشرين قصة تتراوح في الطول والقصر، فبعضها يأتي طويلاً متمسكاً بالقواعد الفنيّة للقصة القصيرة أما بعضها الآخر فيستغرق في التكثيف إلى درجة توهم بشعريته التامة أو انتمائه إلى قصيدة النثر بمفهومها المتسع، خصوصاً في مشاهد الحزن، وفي استخدام المؤلف للغة التلغرافية في تلك القصص القصيرة جداً، التي يبدو أن التطوّر التقني والإنترنت وفكرة التدوين قد أسهما بقدر كبير في بنائها بهذا الشكل الفنّي المتمين.

أراد آسر مطر أن يقدّم كتابة مختلفة فجاءت مجموعته كما أراد. شاء أن يحاكم نظاماً سياسياً بلغ به الإهمال مبلغه، فأهدى مجموعته إلى صديقه وابن خالته شادي الوسيمي أحد شهداء حريق مسرح بني سويف. وأراد أن يحاكم مجتمعاً فأخلص في الوقوف على عيوبه وسقطاته وتناقضاته. وأراد أن يحاكم مبدعين مدّعين فأخرج لهم لسانه محمّلاً برفض نماذج كتابية بقوانين راسخة تصل حدّ التقديس حطمها آسر بحرفية فاضحاً خوائها وخللها وعجزها عن الاتساع بما يريد من كتابة فخرج عليها وكفر بها. لذا جاءت نصوصه قاسيةً تتمترس بوعي جمالي مختلف ومغاير لما هو سائد. ففي أحد النصوص/ القصص قصد آسر مطر إشراك القارئ معه في لعبة افتراضية حتى النهاية، حينما كتب تحت عنوان "أنا مبدع إذن أنا مسطول" كتابة غارقة في السخرية يستخدم فيها أسماء واقعية لشخصيات معروفة تدخل في قلب الأحداث.

مجموعة آسر مطر تتمتّع بحسّ سياسي خاص، ينتمي إلى ذلك الوعي المتولّد لدى الشباب الذين تفتق وعيهم في مطلع التسعينيّات على حرب **العراق والكويت** ثم سقوط **بغداد**، ثم ما تبع ذلك من أحداث كان آخرها ثورات الربيع العربي. إنه وعي يفكّك كلّ الثوابت ثم يعيد تأويل الظواهر داخلها ثم يشرع في إعادة التركيب من جديد على ضوء المعطيات المختلفة. وعيٌ لا يلتزم بالقائم ولا المستقر ولا الغالب، ولعل قصة "في بلاد الفسافيس" تمثل التجسد الحقيقي لهذا الوعي في مجموعة آسر مطر القصصية، وهي إسقاط كامل على الحياة السياسية المصرية بكل تفاصيلها وملابساتها وتناقضاتها ومآسيها.

يتميز أسلوب مصطفى حسني، صاحب "الكنز المفقود" بالسلاسة والدعوة إلى التسامح في المجتمع وبقبول الآخر من وجهة نظر دينية إسلامية تتسم بالبساطة. و"الكنز المفقود" كتاب موجَّه إلى الشباب بين سن الثامنة عشر والخامسة والعشرين من خريجي الجامعات.

تراب الماس

أحمد مراد (مصر)

"إلى رجل الفرصة الأخيرة .. السيد الرئيس محمد نجيب"، بهذا الإهداء المشحون بالدلالات التاريخية والسياسية، يفتتح أحمد مراد روايته الفريدة "تراب الماس" التي صدرت في طبعة ثالثة **العام** 2010 عن دار الشروق بعد نفاد الطبعتين السابقتين في أشهر قليلة. ويبدو أن هذه الطبعة ستتلوها طبعات كما حدث مع روايته السابقة "فيرتيجو" والتي نفدت طبعاتها الست في أقل من عامين. رواية بوليسية جديدة يثبّت بها الكاتب أقدامه في هذا النوع الذي ندرت الكتابة المتميزة فيه في السنوات الأخيرة؛ خصوصاً بين جيل الشباب الذين أصبح واقعهم أشد دمويةً وأكثر إلغازاً.

كان أحمد مراد، الذي كتب على غلاف روايته وفوق عنوانها بالضبط "حين يصبح القتل أثراً جانبياً"، كان يعي بالفعل ما يقدم. إنها ليست رواية بوليسية بقدر ما هي رواية تروي تناقضات المجتمع المصري وتحولاته في ستة عقود شهدت هزائم وانتصارات وتحولات اجتماعية وسياسية وثقافية أوصلت المجتمع إلى حالة من التردي والازدواجية وانعدام التوازن، يكشف عنها مراد في "تراب الماس" بكل حرفية. ويقول عنها على لسان بطله متقمصاً دور السارد العليم كما في النظرية السردية: "هل أصبحنا عميانا؟ فقدنا القدرة على استئصال بؤر متعفّنة تسوقنا لبتر محتم.. إن لم يوجد من يتحرك فأنا بلا عاهة. لأكون نقمة القدر عليهم.. سأنتزع جذورهم التي ماتت منذ سنين.. شجرتهم التي تساقط علينا فضلات الطيور.. شجرة السموم.. لن أكون جزءاً من هذا العالم.. سأطرق أبواب الجحيم بيدي.. سأكون يحيى بن زكريا.. حتى ولو قطعت رأسي.. فالقتل قد يصبح أثراً جانبيا لدواء يشفي بلداً يحتضر".



سورٌ للحديقة.. بابٌ لقلبي

محمود سليمان (مصر)

للشاعر الشاب محمود سليمان خصوصية تميزه عن بقية الشعراء المجايلين له، بل وحتى السابقين عليه بسنوات عمرية قليلة، ليس لصوته الشعري المتفرّد فقط، وإنما لأنه أحد قاطني الصعيد المصري الذين لم تختطفهم فكرة الازدحام على مقاهي القاهرة ومحافلها وأضوائها المبهرة التي ربما جرّدت الكثيرين من مشروعاتهم لينسجوا على التقليدي السائد من قوالب وأفكار على الساحة الشعرية، حتى ولو كانت مفرطة في حداثتها ونوعيتها كقصيدة النثر. لذلك ظلّ محمود سليمان عزوفاً عن ذلك الاندماج والانخراط، وقابضاً على خصوصية مشروعه هناك في قنا حيث الحياة أشدّ بساطة لكنها داخله أكثر كثافةً وتعقيداً وإثارةً للدهشة والتساؤلات. وقد كان حصوله على المركز الثاني في مسابقة "أخبار اليوم" الشعرية عن ديوانه الصادر **العام** 2010 "سور للحديقة .. بابٌ لقلبي" فاتحة للبحث عن ذلك القاطن في الصعيد، والذي يتجاوز الصفوف ليحتلّ مركزاً متقدماً، بينما تلته أسماء أكثر اشتغالاً بالمشهد الأدبي اليومي وحفلات التوقيع والمناسبات الشعرية المختلفة. صدر ديوانه عن مؤسّسة أخبار اليوم للطباعة والنشر والتوزيع.

ديوان محمود سليمان "سورٌ للحديقة.. باب لقلبي" يقع في 112 صفحة من القطع المتوسط ويحتوي على أحد وعشرين نصاً شعرياً لانستطيع الجزم مطلقاً بانتمائها إلى نوع شعري بعينه وإنما هي تنتمي إلى الشعر في حضوره المطلق خارجاً عن التصنيف والتجنيس. فالقصائد باستغراقها في التفاصيل اليومية وغلبة المشهدية على بنيتها التصويرية واقترابها من الواقع الخاص للذات الشاعرة، تقترب من تقنيات قصيدة النثر وسماتها، وهي في الوقت نفسه تتمتع بموسيقى وإيقاعية عالية أحياناً، فلا تستطيع انتزاعها من الإنتماء لمدرسة شعر التفعيلة أو الشعر الحر. يقول الشاعر في قصيدة له بعنوان "هامشٌ لعبور ما":

لِمَاذَا تَفْقِدُ الرُّوحُ احْتِمَالاً
قَائِمًا نَحْوَ الخَلاص ..
أَوْ يَفْقِدُ المَقْهَى عُبُورَ المَاءِ
حِيْنَ تَرَكْتُ أَسْئِلَتِي
عَلَى مَقْهَى
وَرُحْتُ أُرَتِّبُ الأَشْيَاءَ كُلاً
حَسْبَ قُدْرَتِه عَلَى السَّيرِ المُبَاغت.

محمود سليمان يقدّم حالة شعرية خاصة يستكمل بها مشروعه الشعري الذي ابتدأه منذ أربعة أعوام في ديوانه "طلقة المحزون" الذي صدر عن سلسلة إبداعات في الهيئة العامة لقصور الثقافة.

جريمة كاملة

شريف عبد المجيد (مصر)

صدرت مجموعة شريف عبد المجيد القصصية، وهي بعنوان "جريمة كاملة"، الفائزة بـ"جائزة الشيخ زايد للكتاب"، وطليعة الأعمال المتميزة إبداعياً في القصة القصيرة للكتّاب الشباب، في العام 2010، صدرت عن دار نهضة مصر. وهي العمل الثاني للأديب الشاب، وتتميَّز بالكثير من النضج والقدرة على التجريب والتجديد من دون خوف أو خشية من الانتقاد والتبكيت. وهي أيضاً مغايرة ومختلفة على مستويات عدّة، فهي على مستوى البناء الفنّي للقصة القصيرة تقدّم

كسراً للتقاليد الفنية القائمة أو باستخدام تقنية المفارقة القريبة من قصيدة النثر أكثر من القصة القصيرة، أو باستخدام أسلوب التكثيف الذي يقترب أيضا للشعر منه إلى القصة، وإما بخلخلة الموضوع مفارقاً للعنوان أو ما يسمّى بالمفارقة الدلالية الكاملة، أو باستخدام اللهجة العامية بشكل كامل في كتابة القصة، وكأنما نحن أمام قصة قصيرة عامية خالصة.

تطالعنا هذه المجموعة القصصية بأربع وتسعين قصة تتراوح طولاً وقصراً، إذ تطولُ إحداها محتلةً صفحتين، وتقصر أخرى فلا تجاوز سطراً وحيداً، كما تتنوّع فنياً فنجد خمساً منها بالعامية المصرية كما هي القصص "علاقة سابقة، وتأمل، وعزاء، وبالضبط، وفراق"، والتي يقول في إحداها "عزاء": "الراجل –الغريب جداً– الباصص دايماً من بلكونته على شباكي كنت سعيد قوي وأنا جالس بين المعزيين وبحاول أداري فرحتي وأنا بتذكر معاهم محاسنه وأعماله الطيبة". كما أن القصص عمدت إلى توظيف المفارقة فنياً على مستويين: فإما مستوى الحدث أو مستوى الجملة. فهو في مفارقة الحدث يعيد بناء الحدث بعيداً عن الدلالات القائمة لعنوان القصة كقصة "طبق اليوم" وقصة "حدث في مثل هذا اليوم"، أما مستوى الجملة فهو يكسر التسلسل المنطقي للحكاية بجملة ختامية تكسر المشهد والبناء السابق كله، لتعيد المتلقي إلى نقطة الصفر فلا يلبث أن يعيد قراءة القصة من جديد ليبدأ تكوين دلالات مختلفة بناءً على هذه الدهشة التي أحدثتها المفارقة. يقول شريف عبد المجيد في قصته "صفحة الوفيات": "عندما كان صغيراً لم ير أيّ معنى لصفحة الوفيات، لمّا بلغ الأربعين رأى فيها صور العديد من أصدقائه، الآن وهو في السابعة والسبعين يرى أنها أهم صفحة في الجريدة".

إن شريف يقدّم لنا جريمة كاملة بكلّ المقاييس. إنه يقتل الذائقة الاعتيادية لقارئ القصة القصيرة، بعد أن نجح في تعطيل أجهزة الاستقبال الجمالية لدى المتلقي بالطرق والوسائل، وما إن تتمكن من الإمساك بتفصيلة تقنية تمكنك من اكتشاف الوقائع والقرائن حتى تحدث قصة تالية، خلخلة فنية وثغرات جمالية، تفقد معها تتبع الكاتب وجريمته. إنه تجريب وتجربة نجح شريف عبد المجيد في الهروب بها بعيداً عن أبناء جيله صانعاً عالمه القصصي الخاص وملاذه الدرامي الآمن، الذي يقول عنه في قصة "دراما": "المأساة لا يمكن أن تحدث من دون أبطالها الذين سيتصارعون دوما ويفوز واحدٌ منهم فقط بعدما يصعد على جثث الجميع، ساعتها فقط سيواجهون مصيرهم المحتوم بينما الدماء التي ستسيل لن تغيّر شيئاً من الأحداث، لكنها ستضيف إليها بعضاً من الحبكة اللطيفة".

كان حصول محمود سليمان، صاحب الكتاب الشعري "سورٌ للحديقة.. بابٌ لقلبي" على المركز الثاني في مسابقة "أخبار اليوم" فاتحة للبحث عن ذلك القاطن في الصعيد، والذي يتجاوز الصفوف ليحتل مركزاً متقدماً، بينما تلته أسماء أكثر اشتغالاً بالمشهد الأدبي اليومي وحفلات التوقيع والمناسبات الشعرية المختلفة.

كياح ..

خالد عويس (السودان)

قليلةٌ هي الروايات التي تدفعك إلى التماس مع شخصياتها وأحداثها وأماكنها إلى درجة معايشتها والتأثّر بها وكأنها واقعية وليست من صنع خيال مؤلفها. رواية الكاتب السوداني الشاب خالد عويس هي إحدى هذه الروايات التي تدفعك إلى دخولها وكأنك جزءٌ من العمل الروائي أو تُخرِجُ شخصياتها من على الورق لتتنفس بجانبك وتبادلك الفعل والانفعال.

الرواية التي صدرت عن دار ميريت في القاهرة والتي يعيش مؤلفها في الولايات المتحدة الأميركية تأخذ قارءها إلى عالم خاص بمكانه وشخصياته وأحداثه وطقوسه. عالمٌ غرائبيّ على الرغم من واقعيته كما هو عنوان الرواية الذي اختاره مؤلفها "كياح" وهو اسم من أسماء شهر "كيهك أو كياك" أحد شهور السنة القبطية المصرية التي ترتبط بالزراعة والطقس في بلاد النيل، وهي تسميةٌ منسوبة إلى الإله كاهاك أو كاهاكا أحد الآلهة المصرية القديمة أو الثور المقدس "العجل آبيس" وهو

قليلة هي الروايات التي تدفعك إلى التَّماسّ مع شخصياتها وأحداثها وأماكنها، حتى معايشتها والتأثر بها وكأنها واقعية وليست من صنع خيال مؤلفها. رواية "كياح" للكاتب السوداني الشاب خالد عويس هي إحدى هذه الروايات، تدفعك إلى دخولها وكأنك جزءٌ من العمل الروائي أو تُخرِجُ شخصياتها من على الورق لتتنفس بجانبك وتبادلك الفعل والانفعال.

إله الخير عند المصريين القدماء. هذا العنوان الذي يعدّ عتبة نصيّة رئيسة من عتبات الولوج إلى هذا العالم الروائي المكتنز بالدلالات، والذي يعمد مؤلفه إلى استقراء وإعادة تقديم مكانٍ ما لم يحدّده جغرافياً بقدر ما رصد تفاصيله وأدق مكوناته وأبعاده حتى تكاد تتغاضى عن واقعيته الجغرافية وإحداثياته طولاً وعرضاً: "الشوارع الضيقة مرصوفة بطبقةٍ طينية متجمدة ، تشقها جداول صغيرة من الماء تدلقه النسوة طوال اليوم .. البيوت تنهض كأشباح أسطورية ، تحفها الظلمة ، والريح تعوي ، وتثير غبارا خفيفاً ، البيوت ملتصقة بالأرض التي نبتت فيها ، حيطان قصيرة وخشنة ، تنتهي صفوف البيوت المتراصة بشكل عشوائي ، لتبدأ صفوف أخرى من بيوت حيطانها أطول وملساء بعض الشيء مرشوشة بالجير الأبيض .. وفي حيشانها الواسعة تبدو كمخلوقات هائلة في حلكة الليل .. وعلى بعض البوابات النوبية الشاهقة ينمو اللبلاب ويلتف على المداخل المزيّنة بنقوش قديمة ناتئة ، رؤوس تماسيح وأسود وضباع وثيران ".

على جانب آخر، تأتي الرواية في أربعين مشهداً تتابع الخمسة الأول منها وكأنها منفصلة أومتوازية مؤسّسة للشخصيات، ثم لاتلبث بدايةً من الفصل السادس وحتى الثاني عشر في الانضمام مكونةً خطاً روائياً خالصاً تتقاسم فيه الشخصيات الحدث الدرامي الرئيس في هذه الفصول الستة وهو "العرس". ولعل المتابع للمشاهد في هذه الفصول ليلمس تأثراً شديداً بعالم الطيب صالح الروائي خصوصاً في روايته "عرس الزين". ويبدو أن هذا التأثر منبعه قاسمٌ مشترك يمثله مجتمع الريف السوداني بعاداته وطقوسه وخرافاته .. على أن خالد عويس مغرقٌ أكثر في استخدام المفردات العامية السودانية التي تنتشر في ثنايا الرواية كلها، مع حرصٍ على تفسيرها وتوضيح دلالاتها داخل السياق من دون أن يكسر ذلك التفسير تتابع الحكاية وتماسكها، ومن هذه المفردات "الخُمرَة ، الدلكة ، القرمصيص ، السُردُبَّة" ، بخلاف الأغاني الشعبية والمواويل التي ضمنها روايته ، وبخاصة أغاني الأعراس.

لعل اللافت في الرواية هو تحوّل المؤلف إلى منطقة الحكي الخالصة والسرد المحض في بعض فصولها، ولا سيّما في الفصول التي تتوسط الرواية، وكأنما يحاول تهيئة المتلقي للدخول إلى معطيات جديدة في الأحداث عبر تعميق الشخصيات الرئيسية، كلّ واحدة منها على حدة وصولاً بذلك التعميق إلى ذروة الحبكة الدرامية على الرغم من ابتعاده عن الخط الرئيس للرواية، والذي يعتمد على العلاقة بين شخصيات أساسية. ولعل ذلك التوزيع المتقن للأدوار يعكس رؤية الروائي في الحياة وفلسفته التي يعلنها في مفتتح روايته مستشهداً بمقولة رامبو التي يقول فيها: "الحياة هي المهزلة التي ينبغي أن يحكيها الجميع".

الكونج ..

حمور زيادة (السودان)

من **مواليد** 1978 ويعمل صحافياً في مجموعة من الصحف السودانية. يعيش في **القاهرة** منذ **العام** 2009. نشر **العام** 2008 عمله الأول، وكان مجموعة قصصية بعنوان "أم درمانية" عن دار الأحمدي، ثم نشر في دار ميريت القاهرية عمله الثاني رواية بعنوان "الكونج".

يقول بأن مادفعه للّجوء إلى القاهرة هو مشكلات النشر في السودان، إذ غالباً ماتقوم دور النشر السودانية بالنشر في مصر، وتأخذ نصف كمية المطبوع وتمنح الكاتب نصف الكمية الأخرى، كما أنه ليس هناك إعلام متوافر عن الكاتب أو عن الكتب نفسها. ويقول أيضاً إن جيله أغلبه لديه مشكلة نشر في السودان.

"الكونج" رواية عن إحدى قرى الشمال في السودان. وهي مخزونٌ من حكايات القرية، حيث البراءة والبدائية. فالمجتمع السوداني ليس مجتمعاً حديثاً برمته، وإنما هو مجتمع يقف في منطقة وسطى بين الحداثة والتقليدية.

صدرت مجموعة شريف عبد المجيد القصصية، وهي بعنوان "جريمة كاملة"، الفائزة بـ"جائزة الشيخ زايد للكتاب"، وطليعة الأعمال المتميزة إبداعياً في القصة القصيرة للكتّاب الشباب، في العام 2010، صدرت عن دار نهضة مصر، وهي العمل الثاني للأديب الشاب، وتتميَّز بالكثير من النضج والقدرة على التجريب والتجديد من دون خوف أو خشية من الانتقاد والتبكيت.

تونس

يُعتبر العام 2010 عاماً على قدر من الأهمّيّة بالنّسبة إلى حركة الإبداع الشّبابي في مختلف مجالات الكتابة. وقد تمّ إعلانه عاماً دولياً للشّباب، ففتح ذلك الإعلان آفاقاً مهمّة أمام حركة الإبداع الشّبابي بوصفه كفيلاً بتسليط الضّوء على شريحة الشّباب التي غالباً ما تقع ضحية التجاهل والتهميش، فتُهملها السلطات الثقافيّة والسّلطات الفكريّة التي تُلقي بكلّ ثقلها في العلاقة بين الإبداع والنّشر. لذا، يمكن إذن القول بأنّ العام 2010 كان بمثابة قاطرة دفع للحركة الإبداعيّة الشّبابيّة.

على الرّغم من ذلك، يبقى السّؤال مطروحاً حول ما إذا كان الواقع، واقع الكتابات الشّبابيّة، يؤكّد ذلك أم يدحضه. فهل تصاعدت وتيرة الإبداع الشّبابي بحيث تؤكّد ذلك، أم إنّها على العكس، تقلّصت، ولم يستبطن المبدعون الشّبّان هذه الآفاق المطروحة فلم يحرّكوا ساكناً، كما أنّها هي لم تحرّك سواكن الهياكل التي تؤطّرهم، كدور النّشر والمنظّمات الحكوميّة وغير الحكوميّة المهتمّة بالشّأن الشّبابي؟

يتوقّف إيضاح تلك التّساؤلات على استنطاق الإحصائيّات المتعلّقة بالحركة النّشريّة، وما جدّ فيها من إصدارات تخصّ الشّباب، وبخاصة في منطقة دول **المغرب العربي**، التي هي موضوع هذا التّقرير.

يصطدم التحقيق في هذه الإحصائيّات بصعوبات أهمّها غياب المؤسّسات التي تعمل على ذلك، من منظور منهجي علمي. ويتّضح منذ بداية البحث في هذا المجال، بأنّ أرقام النّشر والإصدارات تأتي متفرّقة في شذرات متقطّعة الوتيرة إلى جانب ما يمكن ملاحظته من تناقض يلفّها في بعض الأحيان. فلا تُخفى على أحد المنزلقات التّجاريّة التي تسقط فيها بعض دور النّشر لتزييف الواقع وتزيين واجهاتها، فتضخّم إنتاجها في كثير من الأحيان. إضافة إلى ذلك، يذهب هذا التّعامل مع الأرقام، فيما يتعلّق بالإنتاج الشّبابي، مذهب الالتفاف على المصطلح في منحاه السّياسي والأيديولوجي ليصبح محملا تتوسّله بعض دور النّشر لابتزاز التبنّي والإشهار والدّعم العمومي (الرسمي)، على حساب وضوح الرّؤى، والمنهج العقلاني في التّعامل مع هذه الشّريحة العمريّة، وما تمثله من وزن في معادلات التنمية الشاملة، وفي معادلة دعم الإنتاج الإبداعي الشبابي بالذات.

لعلّ التّساؤل الثاني المتفرّع عن الأوّل، هو معرفة مدى الاهتمام الفعلي الذي توليه دور النّشر للإبداع الشّبابي. فهل يمكن الحديث عن تصوّر لتلك الدور يحدّد تفاعلها مع الإبداع الشّبابي، ويخطّط لهذا التّفاعل على المدى المتوسّط، أو حتّى على المدى البعيد؟ وهل البرامج التي تضعها تلك الدور تتعدّى فعلا "المناسباتيّة" (أي المناسبات الظرفية) لتنخرط في رؤية مستشرفة للطّاقات الضّمنيّة في هذا الإبداع؟ علماً بأنّ السّؤال يُطرح أيضاً على المنظّمات الحكوميّة، وغير الحكوميّة، المعنيّة بالشّباب بعامة.

يذكر الأستاذ **علي الادريسي**، من **المغرب الأقصى**، في دراسة نشرها عن طريق الإنترنيت، تحت عنوان: "ثورة شباب تونس، واقعها ومرجعيّاتها التّونسيّة والمغاربيّة" أنّ مهمّة ثورة الشّباب في **تونس** ليست سهلة، سواء تعلّق الأمر بترميم ما أفسدته مرحلة الدّولة الوطنيّة، أم بمواصلة تحقيق المشروع

الذي أقصته النّخب السّياسيّة، عشيّة حصول الحركات الوطنيّة المغاربيّة على الاستقلال، وهو مشروع "جمعيّة طلبة شمال إفريقيا" الذي نصّ على أنّ "شمال إفريقيا يشكّل أرضاً وأمّة واحدة غير قابلة للتجزئة، وتبقى كذلك إلى أبد الآبدين"، هذا الشّمال الإفريقي الذي رسّخ فيه الاستعمار ثقافة "فرّق تسد". لكنّ الإنسان المغربي (المغاربي) على الرّغم من ذلك، كان يستطيع أن يتواصل بسهولة مع جيرانه هنا وهناك، عن طريق الانتقال بالقطار من **مرّاكش** في المغرب الأقصى إلى **تونس** في **المغرب** الأدنى، والعكس صحيح. واليوم أصبح ذلك من ذكريات الاستعمار الإيجابيّة، كما كان يتواصل عن طريق الصحافة التي أغلقت الدّول الوطنيّة مجالها في وجهها، على الرّغم من وجود اتّفاقيّات لتبادلها البيني، وعن طريق النضال المشترك ضدّ الاستعمار".

يحدّد هذا الإطار التاريخي الأرضيّة الفكريّة التي بُنِيَ عليها تعامل الدّول الوطنيّة، في بلدان **المغرب العربي**، مع شريحة الشّباب، من المنظور السّياسي.

إشكاليّات النّشر في بلدان المغرب العربي

يتوجّس المبدعون الشّبّان من صعوبة النّشر التي تتمثل في سلسلة من المعوقات.

لقد اهتمّت معظم وسائل الإعلام المغاربيّة بمسألة النّشر، وأفردت لها ملفّات عديدة استنتج من خلالها أنّ النّشر في تصوّراته وطريقة تعامله مع المبدعين الشّبّان، لا يفي بحاجات هؤلاء المبدعين، كما أنّه غالباً ما يتعامل معهم من منطلق تجاري بحت.

ولقد لعبت المؤسسات العربيّة على هذا المزج بين التّجاري والثقافي واستغلّته لتكرّس سياسة تشجيع الشّباب التي تقدّمها على أنّها سياسات خصوصيّة، في حين أنّها تعتمد الفتات والتّقتير في أغلبها، متوسّلة المناسبات، غير عابئة بالإصلاحات التي يستوجبها قطاع النّشر.

ولعلّ من المهمّ وضع مسألة النشر في إطارها الثقافي؛ فتشجيع النّشر ودعمه بمعزل عن الإطار الثقافي العامّ، لا يعدو أن يكون مجرّد عمل شبه إصلاحي يراد منه البروز السياسي على حساب الحلول الجذريّة.

إنّ النشر والتوزيع مسألتان ترتبطان ارتباطاً وثيقاً بتهيئة المجتمع للقراءة والمطالعة، وإيلاء الكتاب المكانة التي يستحقها في مجتمع يؤمن بالكتاب، ويقرأ العالم، ويتعامل مع الوجود، انطلاقاً من كتاب مقدّس؛ فمعلوم أن الكتاب يحظى في الثقافة العربية، بأهمّيّة بالغة.

لذا، لا يمكن أن نختزل الاهتمام بالكتاب وتشجيعه، بمسألة المرصودات الماليّة، فالأمر يتعلّق بالأساس بما نزرعه من قيم في الناشئة، تتمثل في الاعتناء باللغة العربيّة، وإيلائها المكانة التي تستحقّها وفي خلق حركية جديدة لسياسات التّرغيب في المطالعة. إذ يتّضح من خلال ما هو سائد ومتداول في هذه السّياسات أنّها تعتمد على إبراز الإحصائيات والجهود المبذولة في هذه المجال، ولكنّها تفتقر إلى التّقويم النّوعي لاستخلاص مواطن النّقص، والتقصير فيها. كما أنّ الكتابة في العالم العربي لا تقابلها سياسات مناسبة تتمثل في استحداث الجوائز والمحفّزات الماليّة بمختلف أشكالها، بوصفها محملاً للتّعريف بأدب الشباب من جهة أولى، ووسيلة من وسائل إقبال دور النّشر على تشجيع هذا الأدب، من جهة ثانية.

عنصر آخر يبدو على قدر من الأهمّيّة في هذا الباب، وهو التّفكير في إحداث ورشات للكتابة في المراكز الثقافيّة ودور الثقافة وقصور الثقافة لرعاية المواهب الشابّة وصقلها. وهي صيغة يمكن أن يتمّ التّفكير فيها، بالاشتراك مع كبار الكتّاب للاستفادة من خبراتهم، ولعقد الصلة بينهم وبين الأدباء الناشئين. ويمكن أن يكون اتّحاد الكتّاب

يرتبط النّشر والتّوزيع ارتباطاً وثيقا بتهيئة المجتمع للقراءة والمطالعة، وإيلاء الكتاب المكانة التي يستحقها في مجتمع يؤمن بالكتاب، ويقرأ العالم، ويتعامل مع الوجود، انطلاقاً من كتاب مقدّس؛ فمعلوم أن الكتاب يحظى في الثقافة العربيّة بأهمّيّة بالغة.

في معارض الكتاب المنتظمة في بلدان المغرب العربي مؤشّرات تؤكّد أن معوّقات التعاون بين بلدان المغرب العربي غالباً ما تحبط عزائم الكتّاب الشّبّان؛ فالمجهود الذي يبذلونه في البحث والتجريب لا يقابله مجهود مماثل في مستوى التّوزيع، ودعمه من قِبَل مؤسّسات التّوزيع والنّشر، الحكوميّة والخاصّة، سواء بسواء.

عنصراً فاعلاً في هذه الخطّة، إسهاماً منه في صنع الخلف الأدبي.

بهذه الطّريقة نكون قد هيّأنا للأدب أن يجلّه المجتمع، وأن تحسب له دور النّشر حساباً يبتعد عن الاعتبارات المنفعيّة، لينخرط في المنظور الثقافي والحضاري، الذي لا يمنع تحقيق الكسب من الإبداع، سواء كان ذلك لفائدة المبدع أم لفائدة النّاشر أم الموزّع.

القضايا الأساسيّة في كتابات الشباب المغاربي

يتّضح أن القضايا الأساسيّة في الكتابات الشبابيّة المغاربيّة ، وبالذات الأدبيّة منها، تتمثل في مشكلات النّشر وتوزيع الإنتاج الأدبي، سواء تعلّق ذلك بالسّوق المغاربيّة أم العربيّة أم العالميّة. وتلك مشكلات ماديّة بالاساس، ولكنّها تطرح أيضاً مسائل ذات بعد سياسيّ واقتصاديّ وثقافي، كما أشرنا إلى ذلك؛ فالسّياسات المغاربيّة لم تتوصّل حتى الآن، إلى ضبط خطط واضحة وشفافة، تتعامل مع المعطى الشّبابي بما تمليه أهمّيّة العناية بهذه الشريحة التي تفوق نسبتها 40 % من السّكّان.

نعْلَم جميعاً أن استراتيجيات التوحيد والتنسيق والتعاون بين بلدان **اتّحاد المغرب العربي** بقيت حبراً على ورق. لا بل إنّ المعوقات التي كبّلتها لم تكن موضوعيّة بقدر ما كانت نابعة من الخلافات المفتعلة التي كان للتّبعيّة إزاء **الغرب** دورٌ واضحٌ فيها.

إنّ في معارض الكتاب المنتظمة في بلدان المغرب العربي مؤشّرات تؤكد أن تلك المعوّقات غالباً ما تحبط عزائم الكتّاب الشبّان؛ فالمجهود الذي يبذلونه في البحث والتجريب لا يقابله مجهود مماثل في مستوى التّوزيع، ودعمه من قِبَل مؤسّسات التّوزيع والنّشر، الحكوميّة والخاصّة، سواء بسواء. ففي معارض الكتاب في **البلدان الغربيّة**، نلاحظ ترافقاً بين العرض الذي يقترح للكتب، بعامّة، وبين استراتيجيا التّوزيع التي تتمثل في أساليب الإعلام والإشهار، والمستعملة للوسائل الاتصاليّة المتعدّدة.

إضافة إلى ذلك، يجدر طرح مشكلة النّقد الأدبي الذي يعاني من انعدام الفضاءات النشريّة المتخصّصة والتي من شأنها أن تساند الحركة الإبداعيّة الشبابيّة، وتأخذ بيدها، في وساطة موضوعيّة وعلميّة بينها وبين القرّاء والجمهور.

لا شكّ في أنّ العام 2010 هو العام الذي تنغلق به العشريّة الأولى من القرن الحادي والعشرين تحمل رمزيّة ما. وتتمثّل هذه الرّمزيّة في تشكّل ملامح الأدب الشّبابي الذي يتهيّأ لخلافة جيل الأدباء والكتّاب الذين أفرزتهم موجة ما يسمّى بالحداثة، أي جيل الدّولة الوطنيّة.

بعد موجات الأدب العبثي والأدب التّجريبي وأدب الطّليعة، ها هي الأقلام الشّابّة تحاول البروز والتّموقع في ما بعد الحداثة. تحاول اقتلاع مكانها في المشهد، وفرض نمط ووتيرة جديدين في الكتابة. وأول ما تبادر به هذه الكتابة الجديدة هو إعادة النظر في المسلّمات السياسيّة المحلّيّة والعالميّة.

لأوّل وهلة، يبدو هذا المشروع المتعلّق بتجديد الكتابة متأثّراً - في الآن نفسه – بمنحى الحداثة ومنحى ما بعد الحداثة، إذا اعتبرنا أنّ الكتابة العربيّة الأدبيّة منها والبحثيّة، في مختلف العلوم الاجتماعيّة والانسانيّة، تتّسم بتداخل المصطلحين: الحداثة وما بعد الحداثة.

من أشكال إعادة التّعامل مع مصطلح الحداثة وما بعد الحداثة، وما بعد بعد الحداثة، يمكن طرح القصّة القصيرة جدّا أو ما اصطلح عليه بالقصّة القصيرة بحجم فقرة.

على أنّ مشروع تحديث الكتابة يبقى مشتّتا في خياراته الكبرى بين منحيين اثنين:

- **المنحى الأوّل** يتمثّل في إعادة النّظر في أشكال الكتابة و في المسائل المتعلّقة بالتّجريب.
- **أمّا المنحى الثاني**، فإنّه يتعلّق بمسألة النّشر.

تُطرَح مسائل التّجريب بصفة ملحّة، وبخاصّة في ما يتعلّق بأدب الشّباب. ولعلّ لهذه المسألة ارتباط وثيق بالمناهج المتّبعة في دور النّشر بخصوص تقويم الأعمال الأدبيّة المعروضة للنّشر. أسئلة عديدة تطرح نفسها:

1. هل إنّ دور النّشر كلّها تعتمد على لجان للقراءة والتقويم والنقد؟
2. هل إنّ هذه اللّجان - في حال وجودها – تتمتّع بالاختصاص والكفاءة اللازمَين لتلبية شروط الجودة والجدّيّة؟
3. هل يقع التّنصيص على صفة التجريب بالنسبة إلى المادّة الأدبيّة المعروضة للنشر؟

ثمة تقاليد قامت، في معظم الأحيان، على السّلوك الفردي والعفوي، وتتمثّل في مبادرة بعض الشبّان المبدعين بإحالة نصوصهم على كتّاب كهول ومتميّزين، لطلب استشارتهم حول إنتاجاتهم، وللاستنارة بتوجيهاتهم، والاستئناس بنصائحهم. لكن يبدو أنّ هذه البادرة – على أهمّيّتها - تبقى معزولة، إذ تقتصر على عدد ضئيل من المبدعين الشبّان الذين لا يتحرّجون من هذا السّلوك، حتى أنهم يعتبرونه مسألة حيويّة بالنّسبة إليهم، باعتبار أنّ هذه الاستشارة ترسي تقاليد تبادل الرأي مع المبدعين المتمرّسين في فنّ الكتابة وتؤسّس لاحترام الرّوّاد، إضافة إلى ما تفترضه هذه الاستشارة من تدارك للأخطاء والهنّات التي يمكن أن يرتكبها المبدع الشابّ وهو في خطواته الأولى، ولا سيّما أن الأمر يتعلّق بمحاولات التجريب المتطلّعة إلى التجديد.

بالنّظر إلى ما ينتج من أدبيّات نقديّة ونظريّة حول كتابات الشّباب سواء منها الأدبيّة أو العلميّة، يمكن تحديد بعض المسالك الشّائكة التي ما فتئت الكتابة الشبابيّة تتعثّر فيها. وهي مسالك ترتبط وثيقاً بالشّأن السّياسي، إن لم يكن في ظاهرها ففي باطنها.

أسئلة حارقة حيّرت الساحة النقديّة والعلميّة منذ عقود. حول المعوقات التي تحول دون بروز التجارب الإبداعيّة والعلميّة للشّباب المغاربي.

ثمة تقاليد قامت على السّلوك الفردي والعفوي، وتتمثّل في مبادرة بعض الشّبّان المبدعين بإحالة نصوصهم على كتّاب كهول ومتميّزين، لطلب استشارتهم حول إنتاجاتهم، وللاستنارة بتوجيهاتهم، والاستئناس بنصائحهم.

في الملحق الثّقافي لجريدة "الحرّيّة" نشر في سنة 1988، ملف تعرّض إلى أدب الشباب " الواقع والطّموحات". وحاول استقراء الأسباب التي بقيت هذه الكتابات بسببها مهمّشة ومتجاهلة: "... وعلى الرغم من الأقلام الجيّدة التي تميّزت في هذا النّمط الأدبيّ (أدب الشّباب أو أدب النّاشئة أو الأدباء القادمين)، فإنّ سبيل النّشر أمامهم لا تزال شبه مغلقة. وهذا الجيل ارتضى لنفسه السّير في طريق الحداثة ورفض المسلّمات. إنّه جيل يريد الخروج عن المألوف ويعشق السّفر عبر الطّرق الصّعبة. جيل يقول إنّ الطّرق المعبّدة لا تصنع فنّا وإنّ وسائل النّقل العموميّة المريحة تطفئ في الفنّان جذوة الإبداع ، ويريد أدباً جديداً يعكس مشاغل عصره، جيل له مفاهيم أخرى عن القصّة والشعر، يستمدّ مضامين كتاباته من معاناته اليوميّة ومعاناة أمّته ويستلهم تقنياته من إيقاع العصر ويرفض التّبعيّة لأيّ كان ويحلّق في فضاءات الإبداع ليرسم عالمه بألوان مزجها بنفسه".

لا يُخفى على أحد، ما للنّقد والبحث العلمي من أهمّيّة؛ فهو يُعنى بتوضيح المسالك الإبداعيّة، ويضع جسور التعارف، وتبادل الخبرات بين الشّبّان المبدعين، وبينهم وبين المبدعين الكهول، في حلقة من تقاليد التشاور والتقويم الموضوعي والاهتمام بالسّلف، وهو عنصر مهمّ لانخراط الكاتب الشّابّ في هويّته الأدبيّة والمشهد الإبداعيّ الوطني الذي يتحرّك داخله.

ويخلُص الملفّ إلى" أنّ هذا الجيل من الكتّاب القادمين، ما فتئ يكدّ ويجاهد من أجل اكتساب هويّة لأنّ السّلف أورثوه هزائم كثيرة لا طاقة لصدره على تحمّلها. إنها هزائم متعدّدة الجوانب، فهي سياسيّة واقتصاديّة وثقافيّة واجتماعيّة. وهذه الهزائم عميقة الجذور، ضاربة في التّاريخ، تمتدّ أفنانها إلى يومنا هذا، وقد نجم عن هذه الهزائم شعور بالنقص إزاء **الغرب** يحاول الجيل الجديد من الأدباء استئصاله لكنّ آثاره لا تمّحي بسهولة. فهو راسخٌ في جميع مظاهر حياتنا، وكلّ شيء عندنا يمارس على الطّريقة الغربيّة".

الجوائز المشجّعة للأدب في بلدان المغرب العربي: نصيب الشّباب

يبقى عدد الجوائز التي تشجّع أدب الشّباب في **المغرب العربي** محدوداً نسبيّاً، بالنّظر إلى

غزارة الإنتاج الشبابي. فهي تقتصر على بعض الجوائز التي يفردها اتّحاد الكتّاب في كلّ من هذه البلدان.

كما أنّ تلك الجوائز غالباً ما تقابل بالطّعن في مصداقيّتها، لما تشي به من محاباة، ومن اعتبارات يحدث أن تخرج عن نطاق التّقويم الجمالي لتتعدّاه إلى اعتبارات ذاتيّة ضيّقة. وقد مسّت هذه الطّعون في أحيان كثيرة بعض الجوائز الجادّة التي لا يشكّ في مصداقيّتها، وهو ما يمكن أن نرجعه إلى انتشار ظاهرة المحاباة التي أصبح الشّباب يتوهّمها، على نحوٍ آليّ، من فرط ما يلاحظه من تجاوزات.

ولئن كانت هذه الجوائز الخصوصيّة ، الموجّهة إلى الشّباب، نادرة، فلأنّ الجوائز الأدبيّة بشكل عامّ، وهي لا تستثني الشّباب، نادرةٌ أيضاً، ويترشّح للفوز بها عدد كبير من المرشّحين الشّبّان. فجائزة "**أبو القاسم الشّابّي**" للبنك التّونسي، على سبيل المثال، تلقى إقبالاً واسعاً من الكتّاب والشّعراء من **البلدان المغاربيّة**، وكذلك من **البلدان العربيّة** بعامة.

الأدب التّجريبي في تونس، حركة أعلنت عن نفسها في أواخر السّتّينيّات، وتشكّلت بصفة قاطعة مع الأدب الواقعي، الذي مثّل المنهج السّائد في أوائل القرن الماضي، واستمرّ حتى أوائل نصفه الثاني.

عيّنة من الإصدارات في المغرب العربي للموسم الأدبي 2010 - 2011

لا بدّ من الإشارة في هذا التّقرير المخصوص بالبحث في النتاج الشبابي في العام 2010، إلى أنّ المواسم الفنّيّة والثقافيّة في هذه البلدان تقع غالباً في فصل الخريف، بشكل يبدأ فيه الموسم في حدود شهر أكتوبر/ تشرين الأول من السنة، ويتواصل إلى شهر حزيران/ يونيو، بداية موسم الصّيف.

لذا، فقد تمّ انتقاء مجموعة من الإنتاجات الشّبابيّة التي تيسر لنا الإطّلاع عليها، بحكم صدورها في **تونس**، بالإضافة إلى عمل روائي وعمل شعري مغربيين، بعدما تمكّنا من الحصول على الرواية عن طريق **الهيئة العليا لجائزة أبو القسم الشّابّي في تونس** (دورة الرّواية لسنة 2010).

تركّزت الإبداعات الشّبابيّة في **تونس**، في العام 2010، على صنف الرواية، لتوقها إلى **جائزة أبو القسم الشّابّي** التي اختارت أن تخصّص هذه السّنة للرّواية. كما أنّ عدداً آخر لا يقلّ أهمّيّة من النتاج الأدبي كان في باب الشّعر، وما يبرّر ذلك - في رأينا - هو انفلات الشّعر الشّبابي إثر اندلاع ثورة الكرامة والحرّيّة في **تونس**.

نماذج من النتاج الأدبي للشباب في العام 2010

"طيور الشّارع الكبير" (رواية)

الكاتبة: هدى إدريس

منشورات: وليدوف سنة 2010

تتناول هذه الرّواية للكاتبة **هدى إدريس**، قضيّة المرأة من منظور لافت للنّظر. ففي حين اعتدنا – في ما يسمّى عادة بالأدب النّسوي– على خطاب يمثّل المرأة في ضعفها وهشاشة وضعها، تأتي هذه الرّواية لتصوّر المرأة مواطنة تتمتّع بحقوقها كاملة: تشتغل وتمارس حياتها بشكل طبيعيّ. إلاّ إنّها في ذات الحين تعيش معاناة تصوّرها الكاتبة لا من حيث أنّها معاناة خاصّة بالمرأة ولكنّها معاناة يمكن أن يتعرّض لها الرّجل، هو بدوره، كمواطن أيضاً.

بالنّظر إلى هذه الدّقّة في المقاربة، تتّسم رواية "طيور الشّارع الكبير" بتحوّل على جانب من الأهمّيّة في الأدب النّسوي التّونسي.

لقد انحصرت تجربة هذا النّوع من الأدب لمدّة طويلة في متاهات الخصوصيّة الضّيّقة. وتعدّدت الإنتاجات النّسائيّة التي تتناول موضوع المرأة موغلة في تصوير النّظرة الدّونيّة التي غالباً ما يرشقها بها المجتمع وبالذّات في جانبه الرّجالي. وقد فتح الأدب التّجريبي لتلك التّجربة مجالاً واسعاً بقيت المرأة المبدعة حبيسة له. ولعلّ لهذا التّباطؤ أسبابه الموضوعيّة.

وللتّذكير، فإنّ كتابات الأديبات التونسيّات أمثال **عروسيّة النّالوتي**، **زهرة الجلاصي**، **نافلة ذهب**، **فاطمة سليم**، وغيرهنّ من كاتبات الجيل الأوّل بعد الاستقلال، تركّزت على شخصيّة المرأة الضّحيّة واقتصرت على عالمها الضّيّق. من هذا المنظور، تندرج رواية "طيور الشّارع الكبير" في تعبيرة أدبيّة صلب مسألة الجندر أو ما يمكن أن نعبّر عليه بإدراج وضع المرأة في إطار تنمويّ شموليّ يساوي بينها و بين الرّجل كشريكين في المشروع المجتمعي المنشود .

تعتمد الكاتبة **هدى إدريس** في هذه الرّواية أسلوباً سلساً، ممتعاً، يتمثّل في سرد الوقائع المحدّدة للمسار الحياتي للبطلة الرّاوية.

ضمنيّا، تطرح الرواية تساؤلات ممزوجة بشيء من الحيرة حول مختلف السلوكات التي تميّز العاملين في هذا المجال.

- علاقة رأس المال بالإعلام، التي تصوّرها الكاتبة بدقّة ملحوظة، يُفترض أن تكون حكراً على من يمارس هذه المهنة. والحال، إنها تمارس مهنة الصحافة، فهي تعيد تشكيل أدقّ التفاصيل عن قاعات التحرير وعن التعامل بين الصحافيين وعن العلاقة بين الجنسين داخل هذا الإطار المهني. ويتّضح من خلال هذا التناول أن الهاجس المهني يبقى ثانوياً في اعتبار أصحاب المؤسّسة الإعلامية ليرجّح كفّة العلاقات الخاصّة، بما فيها التّداعيات الجنسيّة والعاطفيّة. وبوصفها امرأة شابّة على قدر من الجمال والوسامة بحكم رفاهتها ومركزها المهني والاجتماعي الموروث، فإنّ ذلك يعرّضها إلى أطماع المحيطين بها والمتطلّعين إلى كسب ودّها.
- تعيد الكاتبة تمثّل الأدوار والوظائف الاجتماعيّة الرّاجعة إلى المرأة، وذلك بتفكيك هذه الأدوار وتحديد مسؤوليّة كلّ من المرأة والرّجل في الأزمات التي تهزّ علاقتهما الواحد بالآخر، وعلاقاتهما بالآخرين.
- تعيد الكاتبة التفكير في صورة الأب وصورة الأمّ على ضوء التّناقضات التي تستخرجها من ذاكرة الطّفولة، وبالمناسبة، تقوم بتعرية الصِّيَغ والقوالب الجاهزة التي تبادر بإدانتها كسبب من أسباب التّأخّر الذي تعاني منه المرأة في المجتمع العربي، والذي يجعلها تتخلّف عن صياغة دورها المناسب في البناء الاجتماعي. ومن اللافت للنظر في هذه المعالجة أنّ الكاتبة تنسج خيطاً رابطاً، على قدر من الدّقّة والذّكاء، بين هذه السّلوكات الاجتماعيّة وبين الشّخوص المحرّكة للأحداث، يجعل من وقائع روايتها مواقع تنطوي على رمزيّة عالية وعلى مدلولات تتجاوز الحدث في جانبه الرّاهن، أي العائد إلى خلفيّاته النّفسيّة والثقافيّة والاجتماعيّة.
- بخلاف بعض الرّوايات التي تؤثّث المشهد النّشري من حين إلى آخر، تتحصّن هذه الرّواية بقدر وافر من التّجرّد في معالجة الشّخوص وتركيبهم. فالكاتبة تحفر في ملامحهم بعيداً عن مواقع الأحاسيس السّطحيّة ، تحذر من استدرار الشّفقة أو التّعاطف أو السّخط، وإنّما تسعى إلى التّصوير المعمّق والذكيّ لهذه الشّخصيّات حتّى تكشف عن كوامنها وتحدّد ملامحها. ولا شكّ في أنّ هذا المستوى الرّفيع من التّحليل هو الذي آل برواياتها إلى هذا العمق.
- إنّ اعتماد صيغة الراوية عزّز البعد التّحليلي للرّواية، وأضفى عليها نوعاً من التّغريب بالمعنى البريشتي (نسبةً إلى الكاتب المسرحي الشهير **برشت**، أو **برخت**، Brecht) للمصطلح؛ فالقارئ لا يشعر بأنّ الرّواية نوعٌ من السّرد لسيرة ذاتيّة، كما أنّه يتعامل مع الشّخوص والأحداث من زوايا التّعقيدات التي تلفّها.
- تكتسي هذه المقاربة أهمّيّة خاصّة كما أشرنا إلى ذلك سابقاً، من حيث

تتناول رواية "طيور الشارع الكبير" للكاتبة هدى إدريس، قضيّة المرأة من منظور لافت: ففي حين اعتدنا – في ما يسمّى عادة بالأدب النّسوي– على خطاب يمثّل المرأة في ضعفها وهشاشة وضعها، تأتي هذه الرّواية لتصوّر المرأة مواطنة تتمتّع بحقوقها كاملة.

إنّها تخلّص الكتابة النّسويّة من التّركيز على ذاتها وتغرق في الاستيهامات التي عادة ما تحصر هذه الكتابة، لدى الرّأي العامّ الأدبي، في صورة بكائيّة تعاكس الجنس الآخر، وتجادله بطريقة آليّة، من دون اعتبار للتّلوينات التي تحدّد موقع النّوع الاجتماعي في التركيبة الاجتماعيّة الشموليّة. وهذه الميزة التي تتمتّع بها رواية "طيور الشّارع الكبير" لـ**هدى إدريس** تأخذ حجماً لافتاً على الرّغم من عودتها إلى موضوع المرأة ووضعها في المشهد الاجتماعي العام.

تركّزت الإبداعات الشّبابيّة في تونس، لموسم 2010 – 2011، على صنف الرّواية، لتوقها إلى جائزة أبو القسام الشّابّي التي اختارت أن تخصّص هذه السّنة للرّواية. كما أنّ عدداً آخر لا يقلّ أهمّيّة من النتاج الأدبي كان في باب الشّعر.

"مواسم الجفاف" (رواية)

الكاتبة: سعدية بن سالم – نشر: نقوش عربيّة

تطرح هذه الرّواية موضوع قداسة الأرض، وهو موضوع تناوله الكثير من الكتّاب العرب لعلّ أبرزهم **عبد الرحمن الشّرقاوي** في رواية "الأرض" والتي حوّلها المخرج السينمائي الكبير **يوسف شاهين** إلى شريط يعتبر اليوم مرجعيًا في مسيرته.

فضاء صحراويّ فسيح، على أرض صلبة، قاسية، عطشى. قدم مرتعشة تطؤها بتوجّس وتيقّظ. هو عبّاس : شخصيّة ملحميّة ، يعود من المهجر بعد أربعين سنة من، يجثو على الأرض ويتشمّم أديمها فيشعر بعودة الدّم في عروقه، متدفّقا في شرايينه المتيبّسة. أطلق عبّاس نظره في هذا الفضاء الممتدّ الذي يعاد باللاّتناهي ويهدّد بابتلاع الكائنات. يسلّم جسده المنهك لهذه الأرض، يتمرّغ عليها كالمجنون، ممنّياً النّفس بأن يدفن فيها. إنّه أصيل تلك المنطقة الصّحراويّة،"دقاش"،الواقعة في الجنوب التّونسي، وقد بارحها لمّا جرى تجنيدُه في القوّات الفرنسيّة، في الحرب الهنديّة الصّينيّة، التي تلقّب في تونس بـ"لندوشين".

رواية "مواسم الجفاف" لسعديّة بن سالم تمجّد المكان بكل تفاصيله، وما يحتويه الفضاء بوصفه مكاناً أنثروبولوجياً، بعناصره التي تؤثّثها الذّاكرة الشّعبيّة، والأزجال والأهازيج، وكلّ العناصر الفلكلوريّة، مثل مهرجانات الأولياء الصّالحين، خلال مواسم الأعراس.

عرف عبّاس السجن والمعتقل، يومَ كانت تونس ترزح تحت الحماية الفرنسيّة. ثمّ أطلِق سراحه زمنَ الاستقلال. ها هو يعود منكسراً، مهزوماً... يعود باحثاً عن حبيبته مريم التي تعلّق بها أيّام كان شابًا، لكنّ أخبارها ضاعت عنه الآن.

الشّخصيّة الثانية في الرّواية هي شخصيّة مريم، إلاّ أنّها ليست مريم الحبيبة المفقودة، وإنّما هي مهندسة فلاحيّة تعلّقت بالأرض وتمكّنت من الحصول على هكتارين من الدّولة لتحقيق حلمها من خلال مشروع فلاحي. كما بعثت مكتباً للإرشاد الفلاحي في منطقتها لتوظّف معارفها الفلاحيّة وتفيد بها أهل الجهة. مريم متعلّقة بخليل زميلها في الدراسة. ولكنّ علاقتهما تتعثّر بحكم البطالة التي يعاني منها خليل، والتي اضطرّته إلى الهجرة إلى منطقة الخليج طلباً للشّغل.

يركّز الكتاب على نقطة الخلاف بين الحبيبين والتي تكمن في إصرار خليل على حقّه في التّوظيف الذي يتماشى مع مؤهّلاته العلميّة في حين أن مريم قبلت التفريط بذلك الحقّ، وقنعت بهكتارين من أرضٍ بور تحلم باستصلاحها في مراهنة صعبة التّحقيق.

رواية "مواسم الجفاف" لـ **سعديّة بن سالم** تمجّد المكان بكل تفاصيله وما يحتويه الفضاء كمكان أنثروبولوجي بعناصره التي تؤثّثها الذّاكرة الشّعبيّة، والأزجال والأهازيج، وكلّ العناصر الفلكلوريّة، مثل مهرجانات الأولياء الصّالحين، خلال مواسم الأعراس.

يطّلع القارئ هنا على خفايا الشّخوص النّسائيّة التي ما فتئت تقاوم ضغط الزّمن وضغط العائلة وضغط المجتمع. هؤلاء النّساء اللاتي تضعهنّ الكاتبة في الصّف الثّاني من حلبة الأحداث، يبدون في الرّواية متأثّرات بزحف السّنوات، إلاّ أنّ الكاتبة تخرجهنّ من الصّمت، وتعيد تصوير معاناتهنّ في التّعامل مع مسائل مثل العادات والتّقاليد، في موقف يوحي، إلى حدّ ما، بعودة الوعي...

تكمن أهمّيّة هذه الرّواية في تركيبتها المماثلة لتركيبة الأواني المستطرقة: تنتهي كما



تبدأ مع تشكّل أحداثها في شكل لولبي متصاعد الوتيرة، مع الإيحاء بالحلقة المفرغة.

الكاتبة، **سعديّة بن سالم**، مجازة في اللّغة والآداب العربيّة من **جامعة القيروان** (رقّادة). صدرت لها روايات : "بين المرافئ"، (2008) و"أسماء مستعارة"، (2008)، و"أقاصيص للأطفال" (2009).

"الجدار" (رواية)

الكاتبة: سلمى اليانقي- نشر: التسفير الفنّي بصفاقس

تقديم: الأستاذ حمّادي القسمطيني

فرغت زينب من صلاة المغرب التي تبعتها بابتهالاتها إلى الله كي يرزقها مولوداً يملأ عليها حياتها الخالية إلاّ من الخوف والرّعب وصوت الرّصاص في فلسطين المحتلّة. امرأة جاوزت الثلاثين ومرّ على زواجها من عبد السّلام، أكثر من خمس سنوات ولم ترزق ولداً. رغبتها في الإنجاب ليست مجرّدة بقدر ما ترتبط بحبّها لزوجها، وهي أدرى النّاس بولعه بالأطفال، حتّى أنّها دعته للزّواج من امرأة أخرى... استشاط حينها غضباً، فقرّرت استشارة الطّبيب، إلاّ أنّه رفض لها ذلك... راود زينب الشّكّ في موقف زوجها: أيكون عقيماً، وهو لذلك يتوجّس من اكتشافها للأمر، إذا ما زار طبيباً؟ مخاوفها تزيد من هواجسها وحيرتها، وهي التي رأت زوجها، في حلم ليلة أمس، يموت شهيداً برصاص الصهاينة...

يعود زوجها إلى البيت مصحوبا بفتى صغير تائه، لعلّه الوحيد الذي نجا من بين أفراد عائلته، بعدما هدّمت مساكن القرية خلال الانتفاضة. حملت زينب الطّفل بين ذراعيها وأحسّت بدفء الأمومة يسري في عروقها. تعلّقت به و لم تعد تجد لحياتها معنى بدونه. بلغ "حمد" وهو اسم الطّفل، سنّ الخامسة، ولم يتقدّم أحدٌ للمطالبة به. كتب لزينب بعد ذلك أن تنجب بنتاً، لكنّ فرحة زينب بها لم تدم إذ تمّ قتلها، يوم خرجت الأمّ وزوجها للتسوّق.

كبر أحمد وانخرط، كبقيّة أترابه، في الكفاح للذود عن الأرض المغتصبة. وكان يمنّي النّفس بأن يكون أحسن مثال في الكفاح الوطني، إلاّ أنّ أمّه تفرط في احتضانه وتدليله، ما جعله يحسّ بأنّ هذه المعاملة تعيقه عن أداء دوره في المقاومة.

يتعرّف إلى فتاة يهوديّة، فيقع في حبّها، إلاّ أنّ رفضها اعتناق الإسلام يحول دون ارتباطهما، إلى أن يفاجأ ذات يوم بمواجهة مسلّحة . يسارع أحمد بمعانقة حبيبته ليقيها ضربات العدوّان فيتلقّى رصاصة في صدره...

عزّز اعتماد صيغة الرّاوية البعد التّحليلي للرّواية، وأضفى عليها نوعاً من التّغريب بالمعنى البريشتي للمصطلح؛ فالقارئ لا يشعر بأنّ الرّواية نوعٌ من السّرد لسيرة ذاتيّة، كما أنّه يتعامل مع الشّخوص والأحداث من زوايا التّعقيدات التي تلفّها.

رجوعاً إلى عنوان الرّواية، يحيلنا الجدار إلى عقبات متعدّدة تُبنى عليها الرّواية: جدار الأمومة الذي يقف حاجزاً أمام زينب دون تمتّعها بالأمومة ، الجدار السّرّي، بحسب تعبير الأستاذ **حمادي القسمطيني**، وهو الذي يتمثّل في عدم تمكّن أحمد من الإفلات من قبضة التملّك الذي تلفّه زينب بها، توقاً إلى إثبات أمومتها المسلوبة. أمّا الجدار الثالث فهو جدار الاحتلال الصّهيوني الذي يتسبّب في تقطيع أوصال المحبّة والتّواصل بين جنسين.

ما فتئت القضيّة الفلسطينيّة توحي بأدب غزير في وتيرة إنتاجه، وكذلك في مدلولاته.

ولقد استلهمت فنوناً أخرى من هذا الأدب، لتبني حوله آثاراً فنّيّة سيذكرها التّاريخ طويلا، من أهمّها أفلام "عرس الجليل" لـ **ميشيل الخليفي** و"المخدوعون" لـ **توفيق صالح**، والجداريّة التي قدّمها الشّاعر **محمود درويش**، في مسرح تونس البلدي، بضعة أشهر قبل وفاته...

سلمى اليانقي ابنة مدينة **صفاقس** الواقعة في وسط البلاد التّونسيّة. حاصلة على الأستاذيّة في الحقوق. صدرت لها روايتان: "سراب وضباب" التي نالت بها **جائزة علي البلهوان لأدب الشّباب** ، سنة 2005 و"رقعة الشّطرنج" سنة 2007 .

"أتفقّد الأشياء" (ديوان شعر)

الشّاعر: مبروك السّيّاري

نشر: اتّحاد الكتّاب التّونسيّين

فائز بجائزة الإتّحاد المنتظمة بمناسبة السّنة الدّوليّة للكتاب

في هـذا الدّيـوان أربع عشرة قصـيدة. وفي القصـيدة الثانية منهـا، والتي تحمـل العنوان التالي:"شـمس الغائبـين"، يعـود سـؤال النشر والشّهر ملحّاً على صاحبه في هذه الأبيات:

"كلّ الأماكن ترتدي لحن الهزيمة
كيف يكبو من علٍ قلمٌ جواد
الغائبون لوحدهم ملأوا المكان مباهج
الآن تنفتح القصيدة قمقماً
وتطهّر القرّاءَ من وقر البلاهة
والمتاهة والصّدى
الآن تنفتح القصيدة قمقماً
فتفي عجائبُها بتعليل المريد
وتبسّط المعنى جداول من نبيذ
تصطفيها العين ترياقا لها..."

ويُلحّ عليه السّؤال حول جدوى الكتابة ومآلها، وكذلك حول ثقل تأثيرها في عالم يكتم أصوات الإبداع ولا يتوسّل إلى المجد غير الأطماع الماديّة والتّطلّع إلى كراسي النّفوذ. هذا الطّرح تصوّره الأبيات التالية من قصيدته "شيء من حتّى" :

"ماذا ستصنع بالكتابة
رحت تشعل كلّ أقبية العدم
والسّادة المتآمرون على الأرائك
يطفئون ببرقع الطّاووس ثغر الصّبح...
هم أغمضوا العين البصيرة عن سراجك
واليد الطّولى اشرأبّت تستبيح
وتلتهم وشم الجراح
تخبّأت خلف الجراح..."

وفي قصيدة أخرى من النّظم العمودي، "حادي المراثي"، تتوسّط بقيّة القصائد الحرّة، يبدع الشّاعر في تشخيص المدام، ويجعل منها بطلة لقصيدة مدحيّة تذكّرنا بمدح الأبطال على غرار قصيدة عمرو بن كلثوم.

"فواصل الغياب" (ديوان شعري)

شكري البكري

نشر المطبعة الجديدة – الدّار البيضاء

الشّاعر المغربي الشّابّ هو أيضا إذاعيّ. عرف بتوقه إلى التّجديد وإلى تطوير القصيدة المغربيّة. يصف الشّاعر **أحمد بلبداوي المغربي** قصائد **شكري البكري** وصفاً "زيتيّاً" : "قصائد فواصل الغياب، تبدو معصورة على البارد، لم يُبقِ منها عاصرُها إلاّ ما كان بكراً صافياً ممتازاً. قد تلذعك صورة، هنا، لذعاً خفيفاً، لكنّك تكتشف أنّه لذع محبّب تستطيبه فتطلب المزيد". هذا الدّيوان الذي لم يوزّع في **تونس**، تناولته مجلّة "الحياة الثقافيّة" في **تونس** بالعرض والتحليل والتقويم، ونشرت إحدى قصائده القصيرة، وهي بعنوان: "سماء":

"تمسّك كأس بخناقي
وأنسى أنّي عابر مساء...
من طابق علويّ عند مفترق طريق
عقبُ سيجارة يتهاوى
أودعته عينيّ
لم أهتمّ إن كان العقب قد بلغ الأرض مشتعلاً
أم اختنق في تهاويه إليها
أمّا العينان اللتان أودعتهما إيّاه
فقد اختنقتا مشتعلتين "

البحوث والدّراسات

لا يختلف وضع الدّراسات والبحوث التي يُنتجها الباحثون الشّبّان، عن الإنتاج الإبداعي نفسه. فثمّة دراسات كثيرة تمّ إعدادها في الموسم الجامعي 2010–2011، وكذلك في الموسم الذي سبقه. إلاّ أنّ هذه النتاجات الفكريّة لم تتوفّر لها حظوظ النّشر إلاّ في حالات نادرة وفي أعمدة الصّحف السّيّارة. وفي هذه الحالات، تغيب تلك الدراسات في طيّ النّسيان والإهمال الموعود للصّحف، بعامّة.

ممّا يدعو إلى الأسف حقاً، أنّها نتاجات على جانب من الأهمّيّة والخطورة. نذكر

على سبيل المثال، ثلاثة بحوث أُعدّت على شكل تقارير، وأشرفت عليها خليّة البحوث والدّراسات التّابعة **للاتّحاد العامّ التّونسي للشّغل**. فقد اهتمّت تلك الدراسات بالمسائل المتعلّقة باستراتيجيّات التنمية في **تونس**، والمكانة التي تولى فيها لشريحة الشّباب. وذلك في مناطق **الكاف** (الشّمال الغربي)، و**القصرين** (الوسط الغربي)، و**قفصة** (الجنوب الغربي).

بالنظر إلى تاريخ إعدادها، ولما توصّلت إليه من نتائج، وما اقترحته من حلول، فقد كان بوُسع تلك الدّراسات أن تجنّب البلاد ما عاشته من أحداث واضطرابات دامية. يبقى ذلك، بطبيعة الحال، مجرّد فرضيّة، لأنّ الشّرط الأساسي في اعتبار هذه النّتائج وتطبيق الحلول التي اقترحتها تلك الدراسات، لم يكن متوفّراً، عنينا به شرط الإرادة السّياسيّة.

وكما كان متوقّعاً، فإنّ تلك الدّراسات لقيت لها مكاناً، هو سلّة المهملات، في انتظار ما سوف يجدّ في البلاد من تغيّرات، بعد انتخاب المجلس التّأسيسي وتشكيل الحكومة الانتقاليّة الثانية، إلى أن يحين تاريخ الانتخابات التّشريعيّة والتّنفيذيّة المقبلة.

لذا، على مسألة التعامل مع البحث العلمي والأدبي الذي يُنتجه الشّباب المغاربي، أن تُجيب عن أسئلة الاستراتيجيات الواضحة، المعقلنة والمنخرطة على نحو فعليّ في خارطة التّنمية؛ وهي أسئلة محدّدة وملحّة مطروحة على الحكومات وعلى المنظّمات المدنيّة. فخطورة هذه الأسئلة متأتية من كونها ذات تداعيات يمكن أن نستكشف مؤشّراتها من خلال العناصر التالية:

- ظاهرة لجوء الباحثين الشّبّان إلى المؤسّسات الغربيّة التي توفّر لهم الوسائل الممكنة لتفعيل بحوثهم، والمناخ العلمي والسّياسي للتّحقيق والبحث والتّعبير بحرّيّة مطلقة.
- اتّساع الهوّة التي تتعمّق عبر السّنوات بين التّكوين الجامعي والتّأهيل للبحث من جهة أولى، والحاجات الأساسيّة والخصوصيّة الواجب اعتبارها لتوجيه البحث العلمي إلى مدارات التّنمية الاقتصاديّة والاجتماعيّة والثقافيّة أي التنمية الشّاملة، من جهة ثانية.
- ظاهرة تشظّي الكتابة الشّبابيّة وانسيابها إلى الفضاءات المظلمة (مواقف الحافلات، مراكن السّيّارات، الأسوار القديمة...) وإلى الفضاءات الافتراضيّة (الشّبكات الاجتماعيّة الإلكترونيّة والإنترنت بعامّة).

المراجع :

– منشورات جامعة تونس: كلّيّة الآداب والفنون والعلوم الإنسانيّة.
– مجلّة "الحياة الثقافيّة" (مجلّة تشرف عليها وزارة الثقافة والمحافظة على التّراث).
– مواقع البحث العلمي والإبداع الأدبي المهتمّة بالشّباب (إنترنيت).
– مخزون إدارة جائزة أبو القاسم الشّابّي لمؤسّسة البنك التّونسي.

السعودية ودول الخليج العربي

للشباب العرب طاقات إبداعية كامنة لما يحملون من إرث تاريخي وديني وثقافي، انصهر مع ثقافة العصر الحديث، وكثير منهم حاولوا أن يمزجوا عنصريّ الأصالة والحداثة لإيجاد معادلة كيمياء الفكر في الزمن المعاصر، وما الربيع العربي إلا تجلٍ لذاك الوعي، وليس بدعاً أن ينفعل الشباب مع ما يجري حولهم انفعالاً إبداعياً، يتشكل بوجوه عدّة منها الوجه الكتابي. وفي الحديث عن الكتابة لا بدّ من حضور الحديث عن القراءة، فهل صحّت مقولة: "إن أمة إقرأ لا تَقرأ"؟ إذن من أين جاء إفراز هذا الكم الهائل من الكتب؟ يقول الناقد د. سعيد السريحي في إحدى مقابلاته على قناة "الثقافية" السعودية، ضمن البرنامج الشبابي "4 على الخط"، الذي تقدّمه مجموعة من الشباب والشابات: "قرأنا فوهَبَنا الحياةَ من كتبوا، ونكتب لنهب من يقرأنا الحياة"، القراءة والكتابة صنوان، وفرسا رهان.

آلية التعامل مع البيانات

مرّت آلية التعامل مع بيانات هذه الدراسة بثلاث مراحل:

– **مرحلة الجمع:** وفيها تمّ التوصّل إلى أكثر من 500 عنوان، من مختلف مصادر البيانات التي تمّ التواصل معها.

- **مرحلة الفرز:** بعد تطبيق معايير البحث على قاعدة البيانات، تم فرز الأسماء التي توافق هذه المعايير، فنتج عن ذلك تقليص القائمة إلى 360 عنواناً، ثم الاعتماد في تصنيف الأسماء على النحو التالي: عنوان الكتاب، اسم المؤلف، الجندر، دار الطبع ومكانها، مجال الكتاب. وكان ملحوظاً عدم اعتناء بعض المؤلفين بتسجيل دار الطباعة على مؤلفه، وقد وضعت ببلوغرافيا لهذه الإصدارات مصنفة بحسب الدولة الخليجية، ثم مفصلة بحسب مجال الكتابة.

- **مرحلة قراءة البيانات الإحصائية:** تم إعداد بعض الرسومات البيانية من واقع المعطيات التي استخلصت من قاعدة البيانات النهائية، وصنفت بحسب التالي: نسب الإصدارات في كلّ دولة بحسب المجالات، توزيع نسب الإصدارات بحسب الجندر، عدد الإصدارات في كل دولة، توزيع الإصدارات حسب المجالات، فرز الإصدارات بحسب مكان الطبع. ثم تمّ تحليل الرسومات البيانية، وتسجيل بعض الملاحظات حول الأكثر إنتاجاً (لجهة الجندر، والدولة، ودار النشر) وحول الأقل إنتاجاً أيضاً، ومحاولة تأويل الأمر ومسبباته.

رصد كتابات الشباب في دول الخليج العربي

ملمح عام:

بلغ إجمالي إصدارات الشباب في **دول الخليج** العربي نحو 360 كتاباً أسهم فيها الشباب السعودي وحده بـ 295 كتاباً، أي ما نسبته 82 % تقريباً من إجمالي كتابات **دول الخليج**. وبحسب عدد الإصدارات في 2010 تأتي **البحرين** متأخرة بعد **السعودية** 18 إصداراً ثم **الكويت**.

ولعلّ أهم الملاحظات الجديرة بالرصد أن حقل الإبداع الأدبي (سرداً وشعراً) قد بلغ 196 كتاباً من مجموع 360 كتاباً في كلّ الحقول المعرفية أي ما نسبته 54 %.

وقد تنوّعت مجالات كتابات الشباب في **دول الخليج العربي** تنوّعاً ملحوظاً من كتب التاريخ والسيرة إلى الثقافة والمجتمع والإدارة والاقتصاد إلى الدين مروراً ببعض الدراسات النقدية والأدبية بالإضافة إلى الفنّ والتصوير.

وفي ما يلي رصد لهذه الإصدارات بحسب عددها، وعنوانها، واسم مؤلّفها، والناشر، ومكان الطبع.

1 - الإمارات العربية المتّحدة

بلغ عدد الإصدارات 9 إصدارات موزّعة على المجالات التالية بحسب الجدول رقم (1)

جدول (1): كتابات الشباب الإماراتي بحسب المجال

م	المجال	عدد الكتب
1	ثقافة ومجتمع	3
2	رواية وقصص	1
3	شعر	4
4	فن وتصوير	1
	المجموع	9

شكل بياني رقم (1)

مجالات كتابات الشباب في دولة الإمارات العربية المتحدة

فن وتصوير % 11
ثقافة ومجتمع % 33
شعر % 45
رواية وقصص % 11

2 - مملكة البحرين

بلغ عدد الإصدارات (18) إصداراً موزعة على المجالات التالية بحسب الجدول رقم (2)

جدول (2): كتابات الشباب البحريني بحسب المجال

م	المجال	عدد الكتب
1	تاريخ وسيرة	3
2	ثقافة ومجتمع	1
3	رواية وقصص	6
4	دين	2
5	شعر	5
6	فن ونقد	1
	المجموع	18

شكل بياني رقم (2)

مجالات كتابات الشباب في مملكة البحرين

فكر ونقد 5 %
ثقافة ومجتمع 6 %
تاريخ وسيرة 17 %
شعر 28 %
دين 11 %
رواية وقصص 33 %

3 - المملكة العربية السعودية

بلغ عدد الإصدارات (294) إصداراً موزّعة على المجالات التالية بحسب الجدول رقم (3)

جدول (3): كتابات الشباب السعودي بحسب المجال

م	المجال	عدد الكتب
1	إدارة واقتصاد	9
2	تاريخ وسيرة	35
3	ثقافة ومجتمع	36
4	دراسات	12
5	رواية وقصص	109
6	دين	8
7	شعر	44
8	فن وتصوير	5
9	نصوص	8
10	سياسة	3
11	علوم	2
12	فكر ونقد	19
13	لغة وأدب	4
	المجموع	294

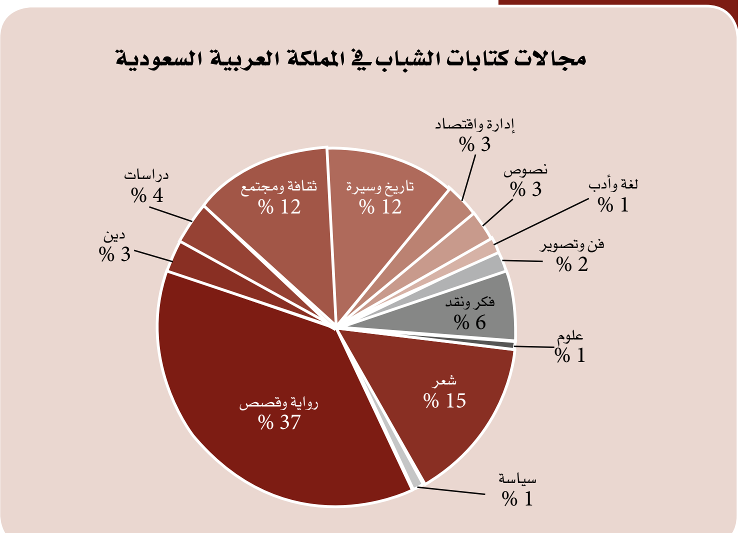
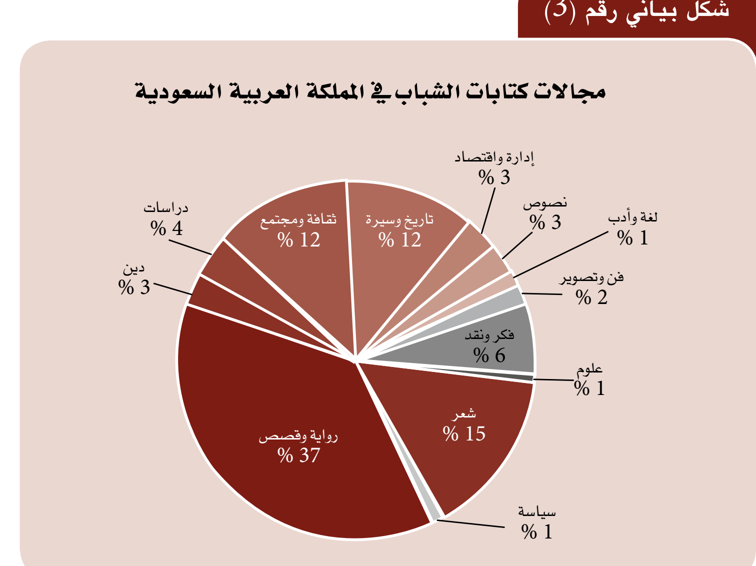
4 - دولة الكويت

بلغ عدد الإصدارات (17) إصداراً موزّعة على المجالات التالية بحسب الجدول رقم (4)

جدول (4): كتابات الشباب الكويتي بحسب المجال

م	المجال	عدد الكتب
1	تاريخ وسيرة	2
2	ثقافة ومجتمع	1
3	رواية وقصص	9
4	شعر	4
5	فكر ونقد	1
	المجموع	17

شكل بياني رقم (3)

شكل بياني رقم (4)



5 - سلطنة عمان

بلغ عدد الإصدارات (17) إصداراً موزّعة على المجالات التالية بحسب الجدول رقم (5)

جدول (5): كتابات الشباب العُماني بحسب المجال

م	المجال	عدد الكتب
1	تاريخ وسيرة	1
2	ثقافة ومجتمع	1
3	رواية وقصص	9
4	شعر	2
5	فن وتصوير	1
6	لغة وأدب	1
	المجموع	17

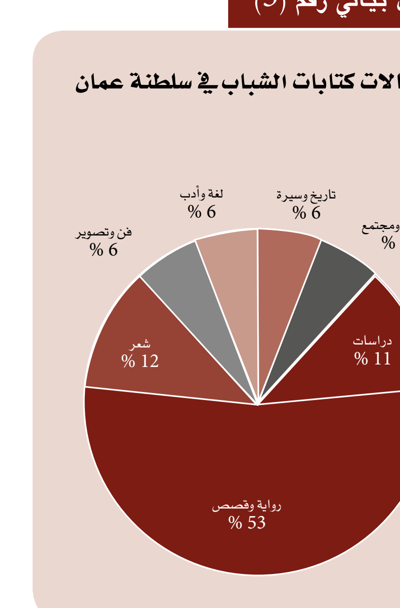
6 - دولة قطر

بلغ عدد الإصدارات (5) إصدارات موزّعة على المجالات التالية بحسب الجدول رقم (6)

جدول (6): كتابات الشباب القطري بحسب المجال

م	المجال	عدد الكتب
1	فكر ونقد	1
2	دراسات	1
3	رواية وقصص	3
	المجموع	5

شكل بياني رقم (5)

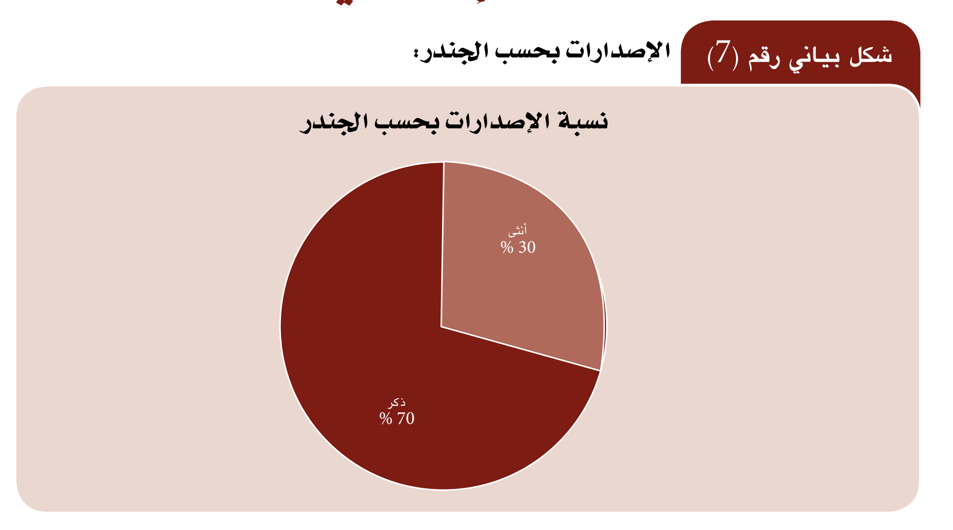


شكل بياني رقم (6)

حركة التأليف والنشر

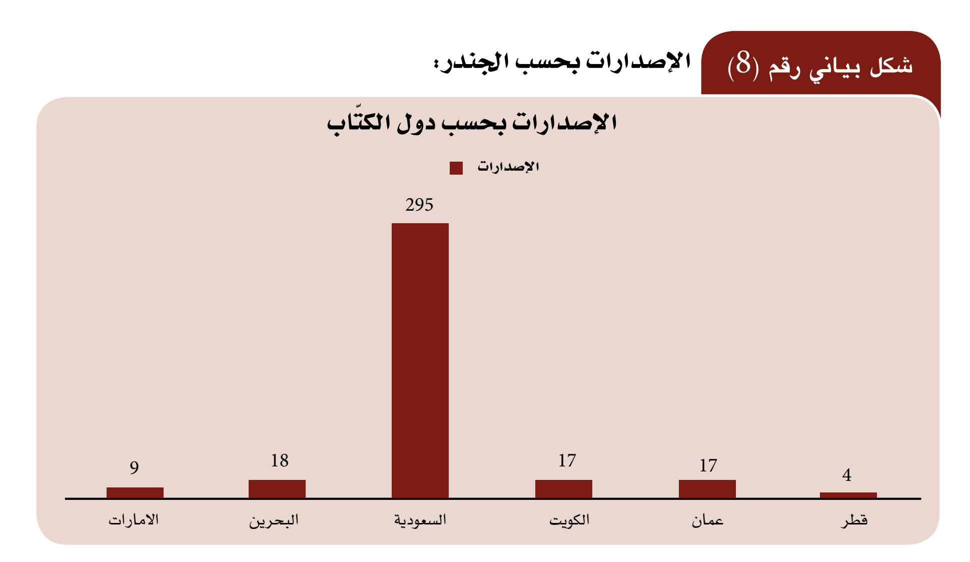
دلالات إحصائية

شكل بياني رقم (7) الإصدارات بحسب الجندر:



لظروف كثيرة توّفرت للرجل، ومعوقات عديدة جابهت المرأة، تسنّمَ الرجل الصدارة في نسبة الإصدارات في **الخليج العربي**، وليس منها أن الرجل هو الأقدر على الكتابة من المرأة؛ فالرجل يُستقبل إصداره استقبال الوليد الجديد، أما المرأة فيلج إصدارها المشهد الثقافي متلفعاً بالحياء، وربما متحجباً بالأسماء المستعارة، خوفاً من بعض الأنساق الاجتماعية التي ترى أن حضور المرأة في ساحة الكتابة أمرٌ معيب. إلا أن نسبة 30 % للمرأة من بين هذا الكم من الإصدارات تعني انحسار هذه النظرة، وانفتاح المرأة على الكتابة على الرغم من كل الصعوبات.

شكل بياني رقم (8) الإصدارات بحسب الجندر:

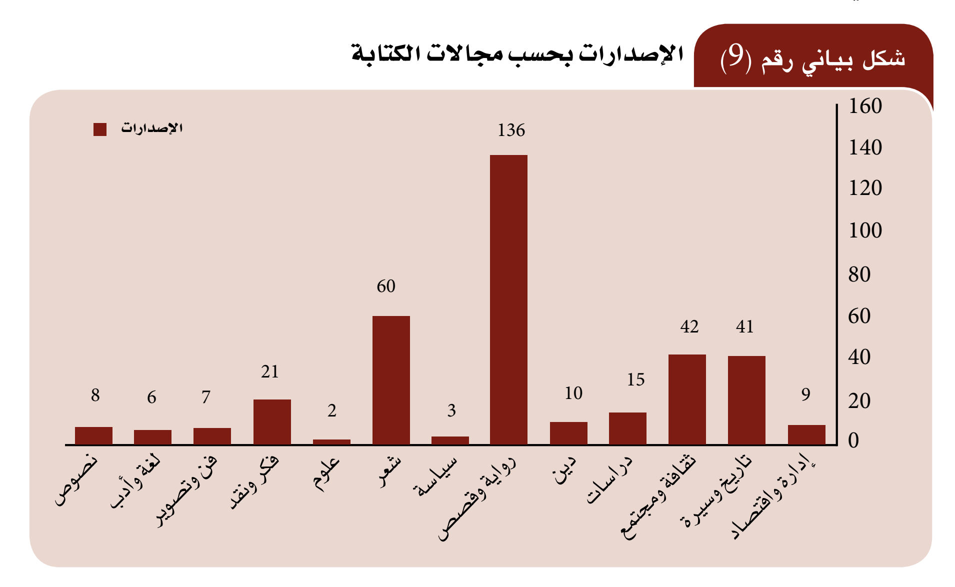


لا عجب أن تكون **السعودية** هي الأكثر إصداراً للكتب الشبابية من بين **دول الخليج**، فهي الأعلى في عدد السكان الذي يبلغ (27.136.977) نسمة، بحسب إحصائيات العام 2010 [1]، حيث يصل عدد سكان **دول الخليج** مجتمعة – من دون السعودية– إلى (11.978.100) نسمة [1]. بالإضافة إلى أن **السعودية** فيها 16 نادياً أدبياً تضخّ سنوياً العشرات من الكتب الشبابية في المشهد الأدبي السعودي، بالإضافة إلى الجامعات والمكتبات العامة، والمراكز الثقافية الرسمية وغير الرسمية.

1 – حسب إحصائيات مصلحة الإحصاءات العامة والمعلومات بالمملكة العربية السعودية للعام 2010م.

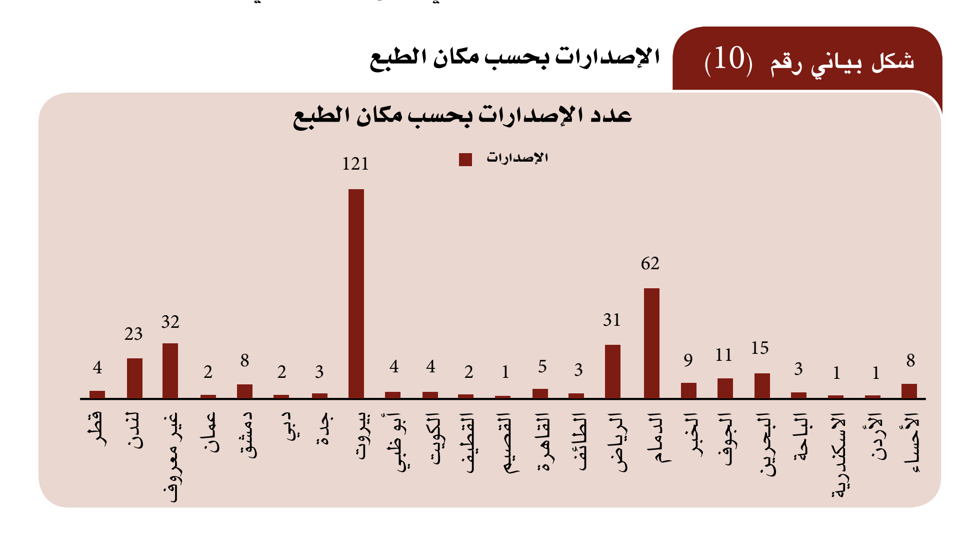


شكل بياني رقم (9) الإصدارات بحسب مجالات الكتابة



بلغ مجال الرواية 136 إصداراً، والشعر 60 إصداراً، أما بقية المجالات فتتراوح بين 2 و42 من الإصدارات؛ فهل يعني ذلك أن الشباب ظاهرة لغوية؟ أو أن التراث الأدبي الهائل الذي أورثتهم إياه العصور الأدبية الستة، منذ امرئ القيس حتى محمود درويش، هو الذي فرض عليهم هذا التوجه؟ أو أن شخصية جيل الشباب الحالمة أو المتمردة هي التي دفعته إلى أن يخلق له واقعاً افتراضياً لغوياً يعوّض فيه صعوبات الواقع، ويهرب من مرارته إلى لذّة اللغة؟ أيّا يكن السبب، لا بدّ من الاعتراف بشحّ الكتابة الشبابية في المجالات الأخرى كالعلوم والسياسة والاقتصاد والفنون، وتغيير هذا الأمر منوط بجهد المؤسسات التي تعنى بالشباب في هذه الدول وغيرها.

شكل بياني رقم (10) الإصدارات بحسب مكان الطبع



1 – حسب تقديرات منظمة الأمم المتحدة لعام 2010م.

لماذا **بيروت**؟ ربما لأن الحرية الإعلامية، والتكلفة المنخفضة في الطبع والنشر، بالمقارنة مع التكلفة الباهظة في دول الخليج، والموقع الجغرافي الاستراتيجي، ومشاركة الدور البيروتية في الكثير من معارض الكتاب في دول العالم، وطرق التوزيع المتقدمة لما تملك من خبرة وشهرة في مجالها، كلّ هذه المقومات أسهمت بشكل كبير في هجرة الشباب الخليجي إلى بيروت لطباعة نتاجهم الكتابي، إضافة إلى أنهم لا يريدون إبقاءَ إبداعاتهم تحت رحمة مقص الرقيب.

ولكن يُلاحظ من جهة أخرى أن **الدمام** احتلت المرتبة الثانية بعد **بيروت**، وربما يرجع ذلك إلى توسطها دول **الخليج العربي** جغرافياً، وتميزها في النشر، وفي جودة الإخراج الفنّي الطباعي المتمثل في الورق والتنضيد وجودة الغلاف الخارجي وجاذبيته.

السمات العامة لكتابات الشباب في الخليج العربي

لعلّ أبرز ما يمكن رصده من خلال تتبّع كتابات الشباب في دول **الخليج العربي** هو:

المجاهدة في أن تخرج كتاباتهم من سهول الكلاسيكية لتحلّق في أفق التجديد والتحديث. والاعتناء باللغة الكتابية اعتناء قد يفوق المضمون في الكثير من الأحايين. كما اتسمت هذه الكتابات بحضور البصمة الغربية في كتاباتهم، وذلك راجع إما إلى قراءة الترجمات، أو إلى بعثاتهم الدراسية والاحتكاك المباشر بالغرب. تكفي إطلالة سريعة على عناوين تلك الكتابات لتأكيد هذه السمة. أمّا الملاحظة الأكثر بروزاً فهي غلبة الكتابات الأدبية، وبخاصة القصة والرواية؛ ولا يخلو الأمر من استسهال للكتابة في هذا المجال، إلا أن هناك أسماء لامعة مبدعة. وقد بلغ مجموع هذه الكتابات الأدبية في الرواية والقصّة والشعر ما نسبته 54 % من إجمالي كتابات الشباب في كل الحقول الأخرى.

كما يلاحظ أن الكتابة في العلوم والعلوم البحتة والسياسة تقع في ذيل اهتماماتهم. فقد بلغ عدد الكتب في مجالات العلوم والاقتصاد والإدارة 11 كتاباً فقط.

وفي مجال الإبداع الأدبي يمكن بسهولة رصد روح التمرّد على النسق العام، ومحاولة الخروج على المألوف، بخاصة في مجال القصة والرواية، والشعر، وهو ما يبدو على وجه الخصوص في الجرأة في اختراق التابو (أي المحظور أو المحرَّم) والكتابة في ما كان يصنفه المجتمع الخليجي في نطاق الثالوث المحرم.

كما يلاحظ أيضاً ظاهرة تشجيع الشباب على الحركة الإبداعية في مجال التأليف والكتابة، من جهات رسمية كوزارات الثقافة والنوادي الأدبية والجامعات، وغير الرسمية كمراكز الدراسات والبحوث الثقافية وبعض المنتديات الخاصة، كان لها حضور واضحٌ وجلي، وقد أدّى ذلك إلى دفع عجلة التأليف والإبداع لدى هذه الفئة العمرية الشابة إلى الأمام خطوات واسعة.

في أعقاب هذا الحصاد السنوي لكتابات الشباب تنفتح الكثير من الأفكار التي ربما تسهم في رعاية كتابات الشباب العرب، وتذلل صعوبات الكتابة أمامهم، للوصول إلى التنمية الثقافية الحقيقية ومنها :

- أهمية تحفيز الشباب على الكتابة الإبداعية، من خلال إقامة المسابقات البحثية أو الأدبية، ورصد جوائز مجزية، بخاصة في المجالات التي تشكو قلة الكتابة فيها.
- ضرورة التكفل بطباعة المنتج الكتابي للشباب، لاسيما في ظل ظروف اقتصادية خانقة. ورعاية المنتج الكتابي للشباب من خلال إقامة احتفالات تدشينية وحفلات توقيع.
- حثّ النقاد على قراءات نقدية لكتب الشباب وتقديم المقابل المادي لهم.
- وضع قانون للطبع والنشر لا يبخس الكاتب حقه الفكري، وكبح جماح بعض دور النشر التي تعلي الاعتبارات المادية والتجارية على ما عداها..
- إعطاء ميزة للكتّاب من خلال وضع تأمينات صحية لهم ولعائلاتهم، وتخفيض قيمة الفواتير أو تسديدها عنهم.
- انتخاب بعض الكتاب الشباب للتفرغ الثقافي العكوف على مشروعهم الكتابي، كما في **الأردن والبحرين**.
- إحياء المكتبات العامة التي أضحت مخزناً للكتب فقط، بإقامة الأنشطة المنبرية، والبحثية للشباب، وإقامة الندوات والمحاضرات الثقافية فيها لإعادتها إلى مكانتها التي تستحقها.
- نشر ثقافة اقتناء الكتب، وغرس مفهوم المكتبة الخاصة لدى الأجيال الجديدة.
- المزاوجة بين المال والثقافة، بمعنى أن يرعى رجال الأعمال الأنشطة والأمسيات الشبابية لأن التنمية الثقافية تحتاج في إشعال جذوتها إلى زيت المال.



الملف الخاص

اغتراب اللغة أم اغتراب الشباب؟

"قراءة في استطلاع رأي لمؤسّسة الفكر العربي"

للأزمة أوجه عدّة

أولاً: اللغة وثقافة الهوية والانتماء لدى الشباب

ثانياً: واقع اللغة "الأساسية" لدى لشباب: المفهوم والاستخدام

ثالثاً: واقع الثنائية اللغوية لدى الشباب

رابعاً: واقع الازدواجية اللغوية لدى الشباب: معرفةً ومظهراً

خامساً: عالم التواصل بين الشباب: حدود الاندماج، والمجتمع الافتراضي

سادساً: اللغة العربية وآدابها في الكيان المعرفي للشباب

للأزمة أوجه عدّة

ليس ثمة مبالغة في القول بأن لأزمة الهوية في دول **الوطن العربي** أوجهاً عديدة ومتنوعة لا يقل إحداها أهمية ولا خطورة عن الآخر. حاصل هذه الأوجه يكشف عنه واقع اللّغة العربية في ديارها، وهو واقع يعاني تدهوراً بالغاً على صُعُد شتى:

1. تدهور في جودة العملية التعلّمية عموماً، وفي طرق تعليم اللّغة العربية على وجه الخصوص، وإلا كيف نفسّر سر تواضع –إن لم يكن تدنّي– مستوى متخرجي المدارس والجامعات العربية على صعيدي النطق بالعربية وكتابتها.
2. تراجع المعايير المهنية في الحرص على اللغة العربية والالتزام بموجباتها في وسائل الإعلام، ولاسيما الإعلام المرئي، حتى باتت "العامية" هي الأسلوب الأكثر شيوعاً في العديد من البرامج التي تبثّها الفضائيات العربية.
3. مخاصمة الفنون الإبداعية لمقتضيات اللّغة العربية ما بين سينما عربية لا تتجاوز أفلامها الناطقة بالعربية الفصيحة عدد أصابع اليد الواحدة، ومسرح تشدّه إغواءات العامية إلا نادراً. أما الأغنية العربية فقد ولّى زمن قصائدها المغناة بالعربية الفصيحة، وأضحت العامية بل "العاميات" العربية هي السائدة في الغناء العربي من **المحيط** إلى **الخليج**.
4. فتور المنظومتين التشريعية والإدارية وقعودهما عن حماية اللغة العربية والذود عن حماها، فباستثناء بعض النصوص القانونية هنا أو هناك لا يوجد تشريع "ذكي" و"متكامل" و"رادع" يفرض استخدام اللغة العربية في ديارها وحمايتها من غزو اللغات الأجنبية. وأضحت اللغة العربية في احتياج شديد إلى منظومة قانونية تتسم بهذه الصفات الثلاث: الذكاء، والتكامل (أي الشمول)، والردع (أي قوة الإلزام)، وذلك على غرار ما تفعله دول أخرى شديدة الغيرة على لغاتها الوطنية مثل **فرنسا** و**ألمانيا** و**الصين**.
5. تفشي مجموعة ظواهر متفرقة وسلبية تضعف من روح التجانس القومي على الصعيد العربي ككل، ومن روح التجانس الوطني في كل دولة على حِدَة مثل الثنائية اللغوية، والازدواجية اللغوية.
6. عزوف الشباب العربي عن التمسّك بلغته الأم والحرص على إجادتها في مقابل حالة زهو وافتخار بالتحدّث بلغات أجنبية. بلى، نحن في عيشنا الراهن نرى "عرباً" يحادثون "عرباً" حول قضايا "عربية" على أرض "عربية" بلغة أجنبية في ما يشبه الشعور "بالدونية" الحضارية.

تتعدد أوجه أزمة اللغة العربية إذن، لكن تبقى قضية الشباب واللغة العربية على درجة بالغة من الأهمية والخطورة. من هنا كان هذا "الملف" الخاص ببحث هذه القضية من مختلف جوانبها. فالواقع العربي الراهن يكشف عن مأزق عميق يحار المرء في تأصيله. هل يكمن سبب هذا المأزق في اغتراب اللغة ذاتها نتيجة العوامل (الأوجه) المشار إليها؟ أو أن الاغتراب الذي يعيشه الشباب العربي (على صعيد الهوية والانتماء) هو الذي أفضى إلى أزمة اللغة العربية الراهنة؟ أو، ولعلّها إجابة أخرى محتملة، أن المأزق مزدوج حاصله أننا



نعيش أزمتين معاً هما اغتراب اللغة العربية جنباً إلى جنب مع اغتراب الشباب؟!.

للبحث في هذه التفسيرات الثلاثة كان أمامنا أكثر من منهجية للعمل، اخترنا منها منهجية النزول إلى أرض الواقع حيث حقائق الأشياء أبلغ من أيّ تنظير. وكانت الأداة هي إجراء استطلاع رأي لشريحة متنوعة من الشباب في عدد من **الدول العربية**[1] . وككل استطلاع رأي فإن الاختلاف وارد بشأن عدد من المسائل الفنية والإجرائية.

ولكن كان الهدف هو أن يأتي **استطلاع الرأي** شاملاً لأكبر عدد ممكن من القضايا والظواهر المعاصرة في علاقة الشباب العربي بلغته الأم من ناحية، وأن يكون **الاستطلاع** كاشفاً عن الاهتمامات الثقافية للشباب من ناحية أخرى.

الاستطلاع في مضامينه وسياقاته العامة

تضمّن هذا **الاستطلاع**، وَفْقَ ما جاء في أسئلته ونتائجه الإحصائية قضايا، شَكَّلت بنية المشكلة المطروحة: ما هو واقع اللغة العربية، من منظور الشباب، رأياً وتفاعلاً وتوجّهات.

القضية الأولى: اللغة وثقافة الهوية والانتماء

قدّم البحث صورة وصفية لعلاقة اللغة بمفهوميّ الهوية والانتماء،كما انعكست في نتائج رأي الشباب العربي. وكان مناخ الأسئلة قد افترض، أو أنه اعتبر الهوية من أهم مرتكزات وجود الأمة، وبالتالي افترض، أن للغة دوراً في الحفاظ على الهوية، باعتبار اللّغة وعاء الفكر، وارتباطها بالتاريخ والثقافة لأجيال عدة. وافترض البحث، عبر أسئلته، علاقة وثيقة بين الهوية والمنظومة التعليمية، والمؤسسات الإعلامية، والتنمية السياسية، وهي علاقة تتجلى في السلوكيات التخطيطية والتنفيذية. وفي الحالين تأخذ اللغة مكانها المحوري باعتبارها أولى وسائط المتغيرات، وأعلى مقوّمات التعبير عن المتغيرات والمرتكزات السياسية، والتربوية، والإعلامية.

القضية الثانية: واقع "اللغة الأساسية" لدى الشباب: المفهوم والاستخدام

استحوذ مفهوم "اللغة الأساسية" أو "الرئيسية" في الاستخدام الحياتي اليومي للشباب، مجموعة أسئلة في **الاستطلاع**، حاولت أن تتحرى تحديد اللغة الأكثر اعتماداً في التعبير عن الاحتياجات الشخصية والاجتماعية بشكل عفوي، وبالتالي إلى أي لغة تميل اعتبارات الشباب في اعتماد ما يمكن تسميته لغة العصر أو الحداثة.

القضية الثالثة: واقع الثنائية اللغوية لدى الشباب

قاسمت الثنائية اللغوية (عربي–أجنبي)، ولا سيّما اللغة الإنكليزية، الوظائف التي تؤدّيها لغة الشباب، في استعمالاتهم الحياتية. فقد تعدّدت مشاهد هذا المُخْرَج، إذ بدت واضحة في جانب التواصل العفوي مع الآخرين، وفي رموز التواصل الكتابي، وفي التعبير عن مسميات كثيرة. وفي جدول المقارنة بالعربية، يميل المؤشر إلى صالح الثنائية، والإنكليزية تحديداً، ثم يتنامى، في لغة مراجع الاختصاص العلمي وتسمية المصطلحات وأسماء المخترعات؛ وهو ما احتاج إلى تقديم نتائج الإحصاء الخاصة بالمصطلح، في فقرة خاصة.

القضية الرابعة: واقع الازدواجية اللغوية لدى الشباب: معرفة ومظهراً

أظهرت نتائج الاستطلاع جملة مُدْخَلات

1 – راجع نصّ استطلاع الرأي ص 503

ومُخرَجات معرفية وسلوكية، في ما يتعلق باللغة الأحادية، والأساسية، والازدواجية اللغوية (الفصحى والعامية)، وتبدّى ذلك في مشهد التواصل اللغوي، إذ جرى الحوار عفوياً بمفردات وتراكيب عامية، وإذ بدت الرغبة كبيرة، أيضاً، في سماع الدراما العصرية بالعامية. كما بدا التواصل بالعامية أشبه بالمشهد الخلفي الذي يبقى حاضراً، حين يتعثر التواصل بالفصحى، أو حين يتداخل مع الأجنبية.

القضية الخامسة: عالم التواصل بين الشباب: حدود الاندماج، والمجتمع الافتراضي

رصد البحث ما خلص إليه **الاستطلاع** من نتائج تشير إلى تنامي استخدام الشباب للإنترنت وبرامج الهاتف المحمول المتطورة، وما تحمله وسائل الاتصال من مضامين معرفية، أو سواها، وما له علاقة بقضايا اللغة العربية، وبالتالي ما شكّل كتابة لغة التواصل، أهي كتابة بالحروف العربية أم بالحروف اللاتينية، ثم، في تفسير هذا التواصل لما يشكل في رأي الشباب من وسيلة اندماج مع المجتمع أو أنه وسيلة إيجاد مجتمع بديل، يسهمون في تكوين واقعه الافتراضي، ممّا يمنحهم الشعور بالاستقلالية من جهة، والاندماج الافتراضي الذي أخذ يتنامى عبر ألوان التشبيك بين الشباب.

القضية السادسة: اللغة العربية وآدابها في الكيان المعرفي للشباب

افترض البحث أن **المجتمع العربي** يعاني فجوة معرفية أبقته في دائرة التابع، المتلقي، المستهلك، غير المستفيد من موارده الطبيعية والبشرية، وجعلته غير عابىء بإنتاج المعرفة، بلغته العربية، إلا في مساحات اجتهادية محدودة. في ظلّ هذا الواقع طرحت مجموعة أسئلة على الشباب تستقري مدى معرفتهم بلغتهم وآدابها، وما يقتنونه من كتب مرجعية، وأخرى ثقافية، إرادة التقاط مؤشرات الكفاية الثقافية، في حدودها وخصائصها.

وخلص البحث إلى عدد من الاستنتاجات العامة، جرّاء رصد ما بين المسائل والنتائج من ارتباط، وجرّاء المقارنة بين "خانات" بعض النتائج الإحصائية، والتعقيب على ما قدمته نتائج الاستطلاع عموماً، في مشهد يجمع بين ما طُرح من افتراضات، وما انتهى إليه استطلاع رأي الشباب من أجوبة.

أولاً: اللغة وثقافة الهوية والانتماء لدى الشباب

1 – عرف الفكر العربي الحديث، السياسي والثقافي والتربوي، نوعاً من إجماع أهل الفكر وصنّاع القرار، على أن اللغة هي المقوّم الأول لهوية **المجتمع العربي**، بمختلف بلدانه. والقول بأولوية اللغة العربية أخذ سبيله إلى معظم الدساتير العربية، التي تنصّ على أن اللغة العربية هي اللغة الرسمية. لكن النصّ على هذا، لم يمنع دولاً عربية كثيرة من إعطاء الدستورية للغات أخرى، جنباً إلى جنب مع اللغة العربية.

2 – من حيث نصّ الدساتير العربية على انتماء كياناتها أو شعوبها إلى **أمة عربية** فهي تتوزع إلى ثلاث مجموعات: (1) مجموعة تقول بالانتماء إلى الأمة العربية حصراً، وهي حال دساتير كلّ من **الأردن والكويت وفلسطين وليبيا، واليمن، ومصر، والإمارات، وقطر، وسورية، والبحرين، ولبنان**. (2) مجموعة لا تنصّ دساتيرها على انتماء كياناتها أو شعوبها إلى **أمة عربية**، بل إلى مفاهيم عربية أقل تحديداً من الأمة، كالأسرة، أو العالم، أو الكيان. وهذه حال دساتير كلّ من **تونس** (حيث الانتماء إلى **الأسرة العربية**)، و**الجزائر** (حيث تكون **الجزائر** "جزءاً متكاملاً... مع **العالم العربي**") و**السودان** (حيث يكون السودان "جزءاً من **الكيان العربي والأفريقي**")؛ ويمكن أن يلحق **العراق** بهذه المجموعة، إذ أشار نصّ الدستور الجديد (2005) إلى أن العراق بلد متعدّد القوميات والأديان والمذاهب، وهو جزء من **العالم الإسلامي**، وعضو مؤسّس وفعّال في **جامعة الدول العربية**، وملتزم بميثاقها"؛ و**موريتانيا** (حيث الإسلام دين الشباب والدولة)؛ والمغرب (حيث **المملكة المغربية** دولة إسلامية...). (3) ومجموعة لا تنصّ دساتيرها على الانتماء العربي، بوضوح، أو إلى أيّ تعبير آخر مشابه (وهذه هي حال **موريتانيا** و**الصومال** مثلاً).

3 – يفترض الباحث أن استخدام اللغة العربية في المجتمع، بإداراته ومؤسّساته، ولا سيّما مناهج التعليم ووسائل الإعلام هو ما يعزّز تعميم اللغة الوطنية كأداة للتبليغ والتكوين، وتشكيل الوعي، باعتبار اللغة المقوّم الأساسي في بناء الشخصية الوطنية.

كما يفترض الباحث أن اللغة تحيا بالاستعمال، ولا تحيا في سطور الكتب؛ فإذا ما تمكن الشباب العربي من إتقان لغته واستعمالها فإنه يستطيع أن يبدع ويشارك في إثراء حضارته. فاللغة هي المظهر المعبّر عن الكيان الثقافي للشباب؛ وفي هذا أهمية تنسحب على دور اللغة في حياة الشباب حاضراً، وتمتد لتستقري مدى معرفتهم بالتراث.

4 – لقد قدّمت نتائج الاستطلاع، في هذا الصدد، أربعة مؤشرات:

أ– فاللغة العربية، من حيث اعتبارها لغة أساسية في الاستخدام اليومي، كما في رأي المستطلعين الشباب، بلغت النسبة في خانة (نعم): 89.7 %.

ب– وهي، من حيث كونها ترمز إلى الهوية الثقافية، وتعكس التراث، بلغ الجواب بـ (نعم): 84.8 %.

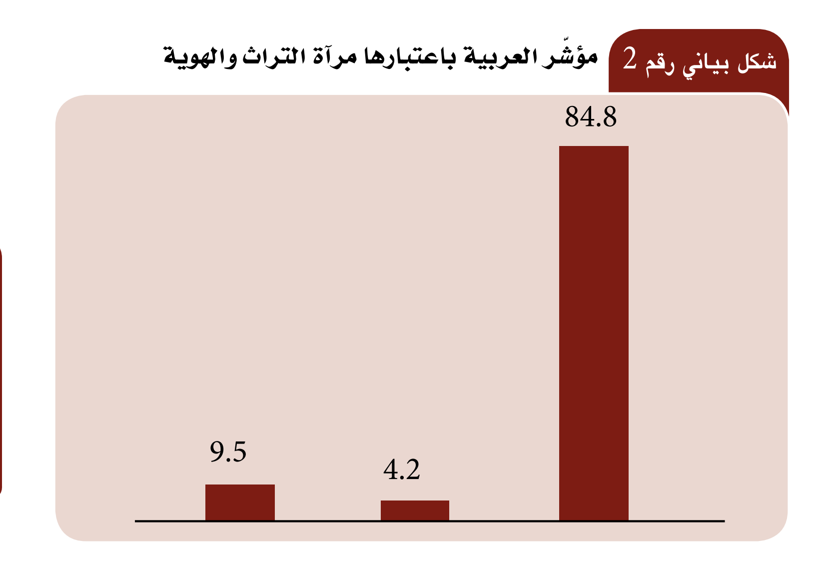
ج– وهي، باعتبارها **اللغة المستخدمة**، بسهولة **وعفوية**، في التواصل مع الآخرين، **عبر الهاتف**، بوسائله المتنوعة، والمتطورة، كان الجواب بـ (نعم): 82.9 %.

د– وهي من حيث كونها مجال فخر واعتزاز بما لها من قدرات عالية في التواصل مع الآخرين، بلغ الجواب بـ (**نعم**): 85.9 %.

شكل بياني رقم 1 مؤشّر اللغة العربية، هل هي أساسية في التواصل اليومي؟

نعم: 89.7
لا: 3
متردد: 5.3

شكل بياني رقم 2 مؤشّر العربية باعتبارها مرآة التراث والهوية



ثانياً: واقع اللغة "الأساسية" لدى لشباب: المفهوم والاستخدام

1 – حفلت أجوبة الاستطلاع، في ما خصّ



شكل بياني رقم 3 نسبة التواصل بالعربية، بسهولة وعفوية، عبر الهاتف

شكل بياني رقم 4 مؤشر العربية باعتبارها مرآة التراث والهوية

تحديد مفهوم اللغة الأساسية في الاستخدام اليومي، وتحديد درجات هذا الاستعمال، بنتائج تسترعي الانتباه؛ فقد بدا ظهور مزاحمة الأجنبية (ولا سيّما الإنكليزية) للّغة العربية، في كثير من الوظائف التي يقوم بها اللّسان العربي.

وتحمل هذه المسألة افتراضات عدةّ، من أبرزها: أن اللغة "الأساسية" أو "الرئيسية" هي التي يعرفها الشباب أكثر، ويتحدثون بها بشكل أفضل، ويستعملونها بكل سهولة ويُسر. وأن ذلك محكوم بالظروف الاجتماعية للبيئة التي يعيشها الشباب، ومن ثم، بالوظائف التي تؤديها اللغة العربية أو سواها في المحيط الاجتماعي لهذا الشخص. وأن معرفة العربية، أو سواها، أو استعمال لغة ما، كلغة تعبير عفوي، مؤشر رمزي إلى الانتماء، أو الولاء للجماعة التي تتحدث هذه اللغة. ويؤمل أن تتحرى هذه الأسئلة طبيعة المشهد اللغوي الدال على " تطبيع" الشباب لعلاقتهم باللغة العربية، أو إحدى اللغات الأجنبية، وبالتالي، ما هي اللغة التي تميل إليها اعتباراتهم في تسمية لغة العصر والحداثة، لتكون وافية باحتياجاتهم التعبيرية في الحيوات العاطفية والثقافية والعلمية، وفي مقدمة ذلك كله المصطلح الذي غدا مفتاح المعرفة في وجوهها المختلفة.

2 – وقد لخص المسألة السؤال الموجّه إلى الشباب: ما هي اللغة الأولى (الأساسية أو الأم) التي يتواصلون بها، بعفوية، في ما بينهم، في حياتهم اليومية؟

ثم تفرّع السؤال ونتائجه، إلى سبعة احتمالات، كما جاء في الرسم البياني التالي:

ولو قارنّا النتائج الواردة في الرسم أعلاه، بنتائج السؤالين:

– هل تعتقد أن اللغة العربية قادرة، فعلاً، على التعبير عن مشاعرك، وأفكارك؟

شكل بياني رقم 5 مؤشرات عن اللغة الأساسية المعتمدة في التواصل، بعفوية، في ما بين الشباب

– هل تستعين باللغة الأجنبية (الإنكليزية مثلاً) للتعبير عن مشاعرك وأفعالك، لأن اللغة العربية عاجزة عن الوفاء بذلك؟

لتبين لنا أن للعربية 69.2 % (**نعم**)، و22.8% (**جزئياً**)، و2.3 % (**غير قادرة**)، وأن للإنكليزية (أو لغة أجنبية أخرى) ما نسبته 10.3% (**نعم**)، و65 % (**لا**)، و23.6 % (**أحياناً**). فالفارق بين النسبتين: 69.2 % و2.3% ذو تواتر عالٍ لصالح اللغة العربية. ويتعزّز أولاً بـ 65 % (**لا**) في استبعاد الأجنبية، و2.3 % (العربية غير قادرة)، وتكاد تتساوى خانة (**أحياناً**) في الرأي بقدرة اللغتين على التعبير عن المشاعر والأفكار: 22.8 % للعربية، مقابل: 23.6 % للأجنبية. وهذا التساوي النسبي لا يغيّر من نتيجة (نعم) و (لا) المارّ ذكرهما.

ثالثاً: واقع الثنائية اللغوية لدى الشباب

1 – الثنائية اللغوية: المفهوم

من المفترض أن الشاب ثنائيّ اللغة هو الذي يتقن لغة ثانية بدرجة متكافئة، مع لغته الأصلية، ويقدر أن يستعمل كلتا اللّغتين بالتأثير والمستوى نفسه، في كلّ الظروف. وبالتالي، فثنائية اللغة –هنا– تعني توازناً بين نظامين لنوعين في المعرفة والاستطاعة والإتقان.

لكن، علينا أن نفترض، في الوقت نفسه، أن توازناً من هذا المستوى ليس في الإمكان تحقيقه لدى الشباب ثنائيي اللغة، حيث إنهم عادةً يتفاوتون في هذا التوازن.

وعلى الباحث أن يفترض،هنا، نوعين اثنين من الثنائية اللغوية لدى الشباب؛ الأولى تتمثل في فئة لديها الكفاءة الراجحة في اللغة (أ)

نطقاً وكتابةً وفهماً، ففي مرحلة تلقّي النصّ (المسموع أو المرئي والمسموع، أو المكتوب) تفهم وتستجيب باللغة نفسها، على عكس ما يحدث عندما يحتاج تلقّي النصّ بلغة (ب) إلى الترجمة، إلى لغة (أ) تستطيع فهمها، وتستجيب باللغة (أ) نفسها، ومن ثم تترجم الاستجابة إلى لغة (ب) لتوصيلها. فالحالة الأولى هي ثنائية لغوية راجحة أو مركبة، والحالة الثانية هي ثنائية لغوية مرجوحة أو متلازمة، أو أن للأولى نظاماً واحداً، وأن للثانية نظامين من المعاني.

ونزيد في القول والافتراض لهجة الوظائف اللغوية، فهناك مستوى من الثنائية اللغوية يتطلبه التواصل مع الأسرة أو الأقارب، ومستوى ثانٍ مع الأصدقاء، وثالث مع الباعة، ورابع مع الغرباء، وخامس للمسموع والمرئي، وسادس في تصريف القول والكتابة مع إدارات رسمية، أو في قاعات الدرس... وهكذا. ولا يعني التعداد –هنا– أننا إزاء استقلالية كاملة في القول والتركيب والتحويل في كل حالة، مما سبق، فالتداخل حاصل، وإنما التوزيع يتطلبه الفارق والمستوى والسياق، والاستعداد النفسي، والألفة. فالاستعمالات الثنائية،هنا، محكومة بالظروف الاجتماعية للبيئة التي يعيشها الشاب ثنائيّ اللغة، أو محكومة بالوظائف التي تؤديها كلٌ من اللغتين في المحيط الاجتماعي لمثل هذا الشاب. وفي المقابل فإنّ هذه الاستعمالات والوظائف محكومة بالطريقة التي يتمّ بها اكتساب اللغتين؛ فالقضية متشابكة، لأن الطريقة التي يتمّ بها اكتساب اللغتين هي نتيجة للظروف والمحيط الاجتماعي.

وعلينا أن نفترض، تالياً، أن اللغة التي جعلناها في (أ) قد تكون لغة الوظائف الاجتماعية العليا، أي لغة الإدارة والتعليم والإعلام الرسمي، وهي إلى حدّ نسبي أكبر، لغة مكتوبة ومسموعة، بينما تستعمل اللغة (ب) كلغة شخصية لدى الشباب، في الاستعمالات الرتيبة "الروتينية" والحياة العائلية، والصداقة، وما شابه من شؤون الحياة اليومية.كما يرتبط استعمال اللغة (أ) ارتباطاً أقوى بالتعليم والثقافة (= التكنولوجيا) وبالمراكز ذات المظهر الحضاري. ولنقل بصفة أكثر في المدينة.

ويفترض البحث تراجع **مجتمعات عربية**، محددّة، في إعطاء الفرصة الاجتماعية للّغة العربية في تدريس العلوم والرياضيات، ابتداءً حتى في مستويات التعليم الثانوي والعالي، وهو تراجع في استخدام العربية يتمثل في الاقتصاد اللغوي والتأخر المصاحبين للعربية.

2 - نتائج الثنائية اللغوية: نتائج متفاوتة

احتلّ التواصل **بالثنائية اللغوية**: **عربي–إنكليزي** المرتبة الثانية، بعد العربية: (نعم) 7.35 %، **وبالثنائية**: **عربي–فرنسي**: 3.8 %، **بالثنائية: عربي**–لغة **أجنبية أخرى**: 4.2 %.

بالمقارنة بين التواصل بالإنكليزية، بعفوية (8.4 %: **نعم**)، والتواصل **بالثنائية اللغوية**: **عربي–إنكليزي** 35.7 %، يظهر الفرق واضحاً. وهو ما يحمل التساؤل التالي: هل التواصل بالثنائية اللغوية، هنا، بنسبته العالية، قياساً بأحادية التواصل بالإنكليزية مردّه إلى الاستعانة بالعربية في التعبير عموماً، والاكتفاء باستعمال مفردات بعينها، أو عبارات "معهودة" أو شائعة التداول، بالإنكليزية، لـ"تطريز" التواصل، أو الرغبة في الظهور بمظهر "التحضر" أو "التفرنج"؟

ويتوقف الباحث أمام نِسَب خانات (لا جواب) في نتائج التواصل باللغات الأجنبية، فهي بنسبة عالية: 58.9 %، يقابلها، في الخانة ذاتها 9.9 % للتواصل بالعربية، لغةً أحادية.

هذا الـ "لا جواب" أو الامتناع عن الإدلاء بالرأي يجعل الباحث أمام افتراضات عدّة، من أبرزها: عدم رغبة المستطلَع رأيه، من الشباب، في الكشف عن جهله اللغة الأجنبية، أو عدم اهتمامه بها، أو ربما عدم المبالاة أساساً، أو أنه من قبيل إنكار دور اللغة الأجنبية في تواصله مع الآخرين.

وينبغي تعزيز أيّ افتراض قد تدفع إليه النتائج السابقة، إيجاباً أو سلباً، بما قدمته النتائج في الوجهة المقابلة، وهذا ما يتمثل في السؤال المغاير: هل تستعين باللغة الأجنبية (الإنكليزية، مثلاً) للتعبير عن مشاعرك وأفعالك، لأن اللغة العربية عاجزة عن الوفاء بذلك؟

لا شكّ أن السؤال يستثير "نخوة"محبّي العربية، على ما يبدو. لكنه يبقى سؤالاً مشروعاً تقتضيه طبيعة التقابل المتغاير؛ فقد بلغت نسبة الاستعانة باللغة الأجنبية (الإنكليزية، مثلاً) للتعبير عن المشاعر والأفعال 10.3 (**نعم**)، لأن اللغة العربية عاجزة عن الوفاء بذلك.

ما يذكر –هنا– أن النسبة في خانة (لا جواب) تكاد تكون غير موجودة (1.1 %).

وفي سؤال، ذي صلة، بما سبق: هل تتواصل مع الآخرين، باللغة الإنكليزية (أو لغة أجنبية أخرى) لأنها لغة سهلة في النطق والتركيب؟

شكل بياني رقم 6 مؤشّرات التواصل بالثنائية اللغوية

الفئة	القيم (%)
العربية	84.8، 1.5، 3.8، 9.9
الإنكليزية	8.4، 18.3، 28.1، 45.2
الفرنسية	1.1، 43، 2.7، 53.2
ثنائية لغوية عربي–إنكليزي	3.4، 37.3، 3، 56.3
فرنسي عربي	35.7، 16، 47.9
العربية	3.8، 32.7، 63.5
لغة عربي–أجنبي أخرى	4.2، 30.8، 65

شكل بياني رقم 7 نِسَب اعتبار العربية عاجزة عن التعبير

1.1	23.6	65	10.3



جاءت النتيجة مطابقة، تقريباً، لنتيجة السؤال المارّ ذكره؛ فهي: **نعم**: 10.6 %، **أحياناً**: 47.1 %، **لا أعرف** 38 %، **لا جواب**: 4.2 %.

أما في المجالين السمعي والبصري، فقد قدمت نتائج عدد من الأسئلة، جملة مشاهد رقمية، جديرة بالتأمل، فقد بلغت نسبة اعتماد اللغة الإنكليزية في نظام تشغيل التلفزيون: 37.3 % (**مقابل 65 % للعربية**)، و2.7 % **للغة أجنبية** أخرى. وبالتالي، فما تحمله النسبة المئوية للإنكليزية، هنا، تكاد تكون شبه مطابقة لنسبة التواصل بالثنائية: عربي– إنكليزي.

أما اللغة المعتمدة، بسهولة وعفوية، في التواصل مع الآخرين عبر الهاتف فقد كانت **بالأجنبية**: 6.1 % و14.8 % **للثنائية اللغوية**. وجاءت نسبة استخدام الإنكليزية، في التواصل **عبر الإنترنت**: 18.3 %، و18.4 % للثنائية اللغوية.

يرى 58 % من الشباب العربي أنه يتواصل مع الآخرين باللغة الإنكليزية أو الفرنسية لأنها لغة سهلة في النطق والتركيب.

3 – نتائج اعتماد الثنائية اللغوية، في تركيب الإحصاءات، من الأدنى إلى الأعلى:

قدّمت نتائج الأسئلة المتعلقة بالثنائية اللغوية، جدولاً ذا فائدة، في التعرف إلى تدرّج اعتماد الثنائية اللغوية في سلوكيات الشباب، في مختلف اهتماماتهم، إن لجهة التواصل، أو لجهة التلقي المعرفي؛ ففي الشق الأول (= التواصلي)، جاءت نسبة استخدام الثنائية **وسيلة تواصل بالهاتف** 14.8 %، **وبالإنترنت** 19.4 %، **ووسيلة تسمية القطع أو الأدوات أو الملابس المراد شراؤها، في محلات البيع**: 34.6 %. **ووسيلة تواصل مع الآخرين بشكل عفوي**: 35.7 %، **ووسيلة للتعرف إلى أصدقاء جدد، يتكلمون الثنائية اللغوية**: 48.3 %، وفي **الشق الثاني (= التلقي المعرفي) توزعت النسبة بين** 16.7 % **لحب مطالعة الكتب ذات الطابع الفكري العام**، و21.7 % **للغة المتعددة**، بشكل أساسي، في قراءة مراجع الاختصاص العلمي.

4 - استخدام المصطلحات وأسماء المخترعات

1 – يفترض الباحث أن اتساع الطلب المعرفي، وما توجبه متطلبات التفتّح الثقافي، وشوق التواصل بالحداثة، ولا سيّما وجهها التقاني، الذي يقدم جديداً في العلوم العصرية، والمدارس الفكرية النظرية.. كلّ ذلك أدّى إلى جعل البون شاسعاً بين حضارة المُنتج وقدرة استيعاب المتلقي التابع.

وبدا جلياً مقدار الكم المطلوب من التسميات الجديدة لتلك المسميات الوافدة من ألوان السلع الاستهلاكية، في الملبس والزينة، وقطع الغيار لمختلف الصناعات، ومركبات الأدوية.. وسوى ذلك من المستوردات التي تزداد أحجامها يوماً بعد يوم.

وما زاد هذه الفجوة الحضارية، التي نشهدها اليوم، هو اعتماد المناهج التعليمية، في معظم **البلدان العربية**، اللغة الأجنبية مادة تعليمية، في كثير من المواد، وفي مقدمتها العلوم والرياضيات. ممّا أفسح المجال للغة الأجنبية، (ولا سيّما الإنكليزية والفرنسية) لتكون مزاحماً يسيطر تدريجياً على مناهجنا الفكرية، وسلوكنا الاجتماعي.

وقد عظم الأمر في واقع تسمية المسميات والترويج لها في الإعلان، حتى غدا قاموس "الاقتراض" في الاستخدام اللغوي اليومي مؤشراً مقلقاً.

2 – وقد قدّم **الاستطلاع** حصيلة مجموعة من الأسئلة، في هذا الشأن، تضمّنت شقّي هذا "الاقتراض" اللغوي؛ المصطلح، وأسماء ما يتعلق بالمخترعات الحديثة. وسجّلت النتائج نسبة عالية، في اعتماد العربية، لغة مرغوبة، أو معتمدة في التعبير عن مضامين أو مفاهيم هذه الأسماء المقترضة؛ فهي في قراءة المراجع العلمية المختصة بلغت 75.7 %، وهي في



تسمية أسماء قطع غيار السيارات، أو أدوات الزينة للسيارات، أو في محل لبيع الملابس، بلغت 62.4 %، مقابل اعتماد الأجنبية، على التوالي، بالنِّسَب الآتية: 18.3 %، 25.9%، وجاءت نسبة اعتماد الثنائية في قراءة المراجع العلمية 21.7 %، أما في تسميات السلع وما شابه فبلغت 34.6 %.

وفي سؤال يستكمل المشهد: "هل تشجع الآخرين على استخدام المصطلحات وأسماء المخترعات باللغة العربية، أو الأجنبية؟، كانت النتيجة وفق الآتي:

– اعتماد العربية بنسبة 58.9 %، وبحسب الضرورة 27.4%،

– اعتماد الأجنبية بنسبة 13.3%، وبحسب الضرورة: 36.1%.

لكن ما يراه الاستطلاع في هذه النتائج يبقى في إطار ما يدركه الشاب، في إطار المشاعر، أو الاحتياجات العلمية المحدودة. أما ما يأخذ واقعه التطبيقي في المناهج العلمية المقررة، تلك التي تعتمد التدريس بالأجنبية، فله شأن مختلف، ولا سيّما في لغة التدريس الجامعي، إضافة إلى ما انتهجته بعض **البلدان العربية** من تشريع يتيح للغة الأجنبية أن تكون لغة أساسية لمن يختار ذلك، من المعاهد أو الفئات الاجتماعية.

رابعاً: واقع الازدواجية اللغوية لدى الشباب: معرفة ومظهراً

1 – يلاحظ المتتبع بحوث "اللهجات" أن كثرةً من الباحثين، قدامى ومحدثين، يحسبون الظاهرة اللهجية انحرافات عن العربية الفصيحة. ولعلّ الباعث على هذا المتجه يتصل باعتبار "الفصحى" لغة نصّ ديني، ونصّ أدب راقٍ، ولغة " أدبيات" أرست مفاعيلها رضىً وقبولاً في مؤسسة "السلطة"، وما يتصل بها من قوى وهيئات رسمية وأهلية.. فكان انعقاد الرابطة وثيقاً بين مستوى الفصحى وصنّاع القرار.

في المقابل، لا ينكر البحث اللغوي، في مناخه الاجتماعي، وجود مستويات عدّة في التعبيرين الشفهي والكتابي، وكأن المستوى الواحد أمرٌ محال في سُنّة التداول اللغوي، فالمستويات حاضرة حتى في الدائرة الواحدة، فليس التخاطب بين العامة، أو بين الخاصة، على ما بينهم من فروق اجتماعية واختلاف المنازع والمصالح واحدًا. ويرصد أتباع هذا المتجه ما بين الأشياء من فروق، تستوجب هذا التنوّع؛ بين لغة التعليم ولغة التخاطب اليومي، مثلاً؛ أو بين لغة التعبير عن الفكر ولغة التعبير عن الحدث الآني العابر، أو بين لغة سُكّت على قواعد محكمة من الصرف والنحو، ولغة تحررت من كلّ ذلك، إلا ما تقتضيه أحكام التعبير اللغوي. وكأن الأغراض المرادة فيصلٌ لما بين المستويات من ميزات؛ فالتعبير عن الأمور الفكرية والعلمية والفلسفية يستوجب الدقة، وإذ ذاك تقصر "العامية" عن أن تفي بالتعبير. أما إذا كان الغرض الترسّل عفو الخاطر فسرعان ما تدرج "العامية" على اللسان، بعيدًا عن الفصحى.. واستغراقاً في التبسيط والاختزال، وإلى حدّ اختفاء ما يعرف بحركات الإعراب.

2 – وتطرح مناقشة الأصول، في هذه المسألة اللغوية، البحث السببي، العلائقي، بين المدخلات والمخرجات، التي تراكمت في التاريخ حول هذه الظاهرة؛ فالازدواجية ظلت تتراوح بين نظامين لغويين طيلة العصور، انعكست فيها عوادي الزمان اختصاراً لأشكال الفصيحة، وتحريفاً لكثير من صيَغها، وانحسارًا لكمٍّ كبير من مفرداتها..، ثم اختلّ التوازن اللغوي، في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، بازدياد تدهور لغة التأليف، فانحط النصّ الكتابي، وتهلهل باختراقات الألفاظ والأساليب العامية. أما التخاطب فقد سادته مستويات المحكيات، وانعكس تفشّي الأميّة، وانحسار تعليم اللغة العربية في حلقات محدودة، ازدهارًا للعاميات في أرجاء **البلدان العربية**.

وعقـد باحثـون صلـة سببية بيـن اغتذاء رجحـان العامية بتفشي الأمية، وفواعل العامـل السياسـي الـذي تمثـل بالتتريك، ثـم **بفرض اللغة الأجنبية الفرنسية** في مرحلة الاحتـلال الفرنسـي **لكلٍّ من سورية ولبنان وتونس والجزائر والمغرب، والإنكليزية في مصر والعراق والأردن**. فتحوّلت السُّنَّة اللغوية إلى صراع على الهوية والتراب الوطني. في هذا المناخ المضطرم، يلاحظ الباحث في تاريخ هـذه المسألة ظهور كتابات تنتصر للعامية في مرحلة التحدي السياسي، منادية برفض الفصحى لقصورها وغربتها عن التقدم، والمناداة بإحلال العامية محلها، في الخطابين الشفاهي والكتابي معاً. وشرع عدد من دعاة العامية يطلبون تقعيدها، ليكون لها معاجم المفردات وقواعد التركيب. من هنا جاءت الخطورة التي عرّضت الفصحى للتغييب، وعرّضت الأمة العربية لأعنف انقلاب ثقافي، وعرّضت التعبير الأدبي لأعنف أزمة عرفها في خلال تاريخه الطويل.

3 – هذا المشهد المركّب، شكّل مخزوناً معرفياً في "أدبياتنا"، وأنتج جدلاً موصولاً في أوساط الباحثين، يخفت حيناً، ويشتد حيناً آخر، ثم، إن مفاعيل هذا المشهد تتجسد واقعاً في الحياة اليومية؛ في مختلف أوجه التواصل، والتلقي السمعي والبصري، مما أوجد وسطاً لغوياً يستحق أن نطلق عليه "إشكالية الواقع اللغوي" بامتياز.

لذا، توجّه **استطلاع الرأي**، في كثير من أسئلته، إلى تلمس هذه الظاهرة، في راهنيتها، في وسائل الاتصال السمعي والمرئي، والمسرح، والأغنية، والتعليم. وكان من الضرورة أن يُسْتَطْلَع الرأي بمسألة "اللغة الثالثة" كمقترح متداول للتقريب بين الفصحى والعامية.

4 – ويفترض الباحث أن هذه الظاهرة انعكست على النتاج الأدبي القصصي والمسرحي، وهما من الفنون التي يُعَوّل عليها كثيراً في تثقيف الشباب، ولا سيّما الناشئة منهم؛ فقد كتب الكثير من الأدباء حوار قصصهم ومسرحياتهم المحلية باللهجات المحلية لمضاهاة الواقع الذي يسعون إلى تحقيقه.

5 – ويلاحظ أن دائرة استعمال العامية اتسعت، ولمّا تَزَلْ، في السينما العربية، والمسلسلات الدرامية التلفزيونية، باستثناء عدد قليل جداً من الأفلام ذات الطابع التاريخي الإسلامي.

وقد نجحت الأفلام والمسلسلات الناطقة بالعامية، في إطارها المحلي، مع انتشار اللهجة المصرية التي باتت مفهومة لدى **الجمهور العربي**. لكن هذا الرواج للهجة المصرية لا يخفف من ضخامة المشكلة، فاللهجات المحلية في السينما العربية تقف حائلاً دون مشاهدة العرب أفلامهم.

ما يُذكر من أمثلة في هذا الصدد، ما حصل للفيلم الجزائري "معركة الجزائر"، فقد ظهرت "الترجمة" بالعربية الفصحى على الشاشة، لكل ما دار من حوار باللهجة الجزائرية، والشيء نفسه في فيلم فيروز (اللبنانية): "بَيّاع الخواتم" الذي تُرجم إلى الفصحى، في النسخة المعروضة خارج **لبنان**، وكذلك فيلم فيروز، الثاني: "سَفَر بَرْلك" الذي عُرض في **القاهرة** (1971)، فهو، على الرغم من تعاطف جمهور المشاهدين المصريين مع الفيلم، إلا أن لهجته اللبنانية كانت عائقاً أمام فهمهم له، مع غياب الترجمة بالفصحى.

6 – وقد قدّمت نتائج **الاستطلاع**، لسؤالين اثنين، في هذه المسألة، مؤشرين، يمكن قراءتهما من منظوريّ الفصحى والعامية. أما السؤالان فهما:

– هل تحب مشاهدة الأفلام أو المسلسلات العربية: بالعربية الفصحى؟

– هل ترتاح إلى سماع العربية الفصحى في الأفلام الدرامية العاطفية التي تعالج موضوعات عصرية؟

أما **المؤشر الأول** في الإجابة بـ(نعم)، أي بالفصحى، فقد تدنت نسبته إلى 39.9 %،

تقف اللهجات المحلية في السينما العربية حائلاً دون مشاهدة العرب أفلامهم إلى حد أن الفيلم الجزائري "معركة الجزائر" ظهرت ترجمة الحوار بالعربية الفصحى على الشاشة، وكذلك الأمر في الفيلم اللبناني "بيّاع الخواتم" الذي ترجم إلى الفصحى في النسخة المعروضة خارج لبنان!



ثم ارتفعت النسبة إلى 65.8 % لصالح الأفلام والمسلسلات ذات الطابع التاريخي– التراثي، ثم عادت النسبة فتدنت إلى 34.6 % في مشاهدة الأفلام والمسلسلات الدرامية العاطفية التي تعالج موضوعات عصرية.

وأما **المؤشّر الثاني** في الإجابة بـ(لا) أي العامية، فيحمل تباعداً كبيراً، فهو للسؤال الأول: 14.1 %، وللثاني: 36.9 %، مما يشير إلى الرغبة في سماع الدراما العصرية بغير الفصحى، أي العامية، التي تسود لغة هذا النوع من الأفلام والمسلسلات، قديماً وحديثاً، وهو ما كرّس ظاهرة الاعتياد على سماعها.

– ما جاء في خانة (أحياناً) وهي نسبة دون 20 % يمكن توظيفها إيجابياً لصالح الفصحى والعامية، في آن. لكن ما أشارت إليه نتيجة لغة الأفلام والمسلسلات ذات الطابع التاريخي، على ندرتها، في تاريخ السينما العربية، ووفرتها النسبية في المسلسلات التلفزيونية، يعكس صدق فرضية عدم صلاحية العامية، لمثل هذا النوع من المرئي– المسموع.

7 – سجّل **توفيق الحكيم** في "بيان" له، بعد الفراغ من كتابة مسرحية "الصفقة"، مواقف عدّة، تتناول بجرأة مشكلة اللغة في العمل المسرحي، وخلص إلى الدعوة إلى ما أطلق عليه "اللغة الثالثة" التي تتمازج فيها الفصحى والعامية بأسلوب يفصّح العامية، ويبسّط الفصحى، فيجعلها دارجة مقبولة. وقد كتب **علي أحمد باكثير** بهذه اللغة الثالثة إيماناً منه بقدرة الفصحى على معالجة المسرحية المحلية في بدون أن تفقدها واقعيتها (مسرحيتان: "مسمار جحا" و"الدنيا فوضى")، وهذا المتجه بلغت نسبته في نتائج الاستطلاع (**نعم**: 60 %)، مع استثناء واحد، هو أن الفصحى تجعل المسرحية مقبولة في القراءة (**نعم**: 70 %)، أما المسرح باللهجة العامية فبات مسرحاً للعمل الفكاهي... (**نعم**: 53.7 %).

فهل يعكس موضوع اللغة في المسرح العربي: مشكلة وعي الجمهور (**نعم**: 24 %، لا: 76 %)؛ ومشكلة غياب الكاتب القادر على الكتابة بالفصحى الميسرة (**نعم** 25.5 %، لا: 74.5 %)؛ ومشكلة التراجع في وعينا الثقافي، واللغوي: (**نعم**: 32 %، لا: 68.1 %).

ويطرح الاستطلاع سؤلاً آخر، مؤداه أن استخدام العامية في المسرح، أو في سائر وسائل التلقي السمعي والبصري، يقوم على اعتراض وجيه، هو أن "العامية" ليست مفهومة في كل زمان، ولا في كل قطر، بل ولا في كل إقليم؛ فمعظم المسرحيات الاجتماعية

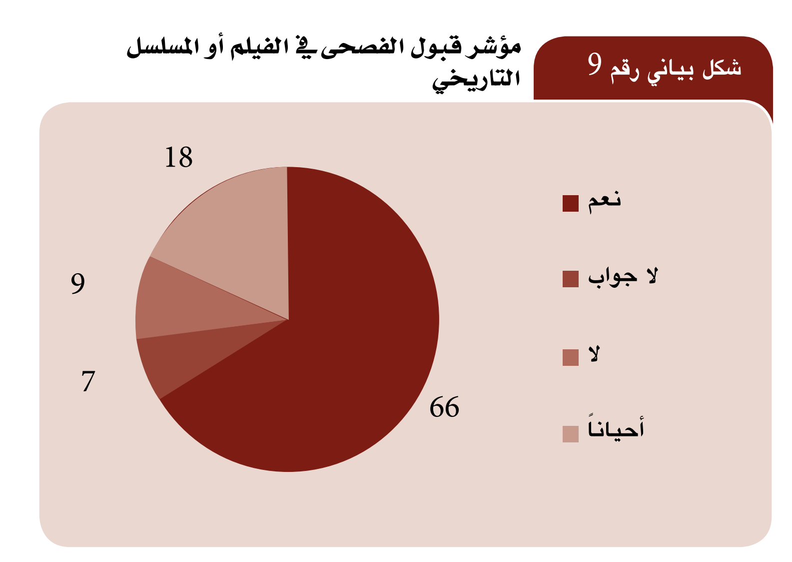
شكل بياني رقم 8

مؤشر قبول الفصحى في الفيلم أو المسلسل الدرامي العاطفي

نعم: 40
لا جواب: 29
لا: 14
أحياناً: 18

شكل بياني رقم 9

مؤشر قبول الفصحى في الفيلم أو المسلسل التاريخي



يعتمد أساسًا على اللهجات المحليّة. وبالمقابل، فإن الفصحى، ليست، هنا، لغة نهائية في كل الأحوال (**نعم**: 57 %).

وإذا كانت اللهجة المصرية حسنة الحظ، بحيث أصبحت معروفة ومفهومة في معظم أنحاء الوطن العربي، فإن اللهجات العربية الأخرى غير مفهومة إلا على نطاق محلي محدود، أو لا بدّ، إذا أردنا نقل هذه المسرحيات من بيئة عربية إلى بيئة أخرى من القيام بنوع من التوجيه والنقل من لهجة إلى لهجة. وقد بلغت نسبة من أيّد هذا الرأي 58 %، وبالتالي فالعامية ليست لغة نهائية في كل مكان وزمان (**نعم**: 81.9 %).

لكن أحداً لا ينكر أن المسرحيات المحلية المكتوبة بالعامية، مازالت، حتى يومنا هذا، المسرحيات المفضلة لدى جمهور المسرح. فهل مرجع ذلك عدم قدرة العربية الفصحى على اجتذاب جمهور المسرح؟ أو أن مرجع ذلك ما اعتاد الجمهور مشاهدته ممثلاً بالعامية؟ ولو جرت العادة بغير ذلك فهل يحس الجمهور بغرابة في مشاهدة هذه المسرحيات ممثلة بالعربية الفصحى؟

يبدي جمهور الشباب العربي نفوراً ملحوظاً من استخدام العربية الفصحى في الأفلام والدراما التلفزيونية بنسب متفاوتة، لكن تبقى عالية ومقلقة.

8 – تفترض أسئلة **الاستطلاع تراجع المستوى التعلمي العام في اللغة العربية وآدابها وثقافتها، في مراحل الدراسة، من الابتدائي حتى نهاية التحصيل الجامعي**، أو أن ذلك بات ظاهرة مألوفة في العقود الثلاثة الأخيرة.

ويتساءل الكثير من التربويين: هل نحن نعلِّم، حقيقةً، باللغة العربية في هذه المراحل؟ وبالتالي، هل أضحى تعليم المواد في هذه المراحل خليطاً من اللغة الفصيحة والعامية؟

بالمقابل يلمس المعلمون في المرحلة الابتدائية صعوبة لدى المتعلمين في استخدام الفصحى (**نعم**: 56.9 %) وصعوبة لدى المتعلمين في التعبير الشفهي، بالفصحى (**نعم**: 57.5 %)، وصعوبة لدى المتعلمين في فهم تراكيب الجملة (**نعم**: 37.9 %)، وبالتالي يلمس المعلمون استسهال التعبير الشفهي، لدى المتعلمين، بالعامية بنسبة 42.9 %.

وقد يتعدّى الأمر ذلك، في بعض الأحيان، أو في كثير من الأحيان، فنرى معلّمي اللغة العربية يدرّسون (النحو) باللغة العامية، أو بهذا الخليط من المفردات والتعابير.

ويرى عدد من الباحثين التربويين أن ظاهرة الضعف هذه آخذة في الشيوع والتعقيد في ظل العديد من محاولات العلاج، وما يحظى به التعليم من طرائق مستحدثة ومتنوعة. ويعزو المهتمون بهذا الشأن هذه المفارقة إلى جملة أسباب، من أبرزها ازدواجية الفصحى والعامية وثنائية اللغة.

ثم، إن مؤشر المدخلات اللغوية في المراحل التعليمية، كافة، يرتبط سلباً، أو إيجاباً، بمجموع الوسائط التي تعتمد عليها المؤسسة التعليمية في أداء مهمتها. يتقدم هذه الوسائط هيئة التدريس؛ فالمتعلم يلقن اللغة وثقافتها من المدرّس، ويكتسب منه، إضافة إلى ذلك، ما يرتبط باللغة من أعراف وأصول وقواعد وأساليب. وكذلك يلتقط بالتواصل مع الآخرين من زملائه حقولاً من المفردات والتراكيب: (لغة التخاطب والتواصل مع الزملاء في الصف والمدرسة، بالعامية (81.3 %)، ولغة التواصل والنقاش بين المتعلم وأساتذته بالعربية الفصحى: (**نعم**: 19.6 %، و**أحياناً**: 44.8 %).

وفي ضوء ما يجري في هذا الميدان الرحب بالاكتشاف والتفاعل، وبمقدار ما يتميز به هذا "الوسط" اللغوي من شيوع للعامية، أو لمستوى ميسر من مستويات الفصيحة يكون تشكيل السلوك اللغوي عند المتعلم.

فهل أدى ما نشهده في أحاديث ومناقشات معظم أعضاء هيئة التدريس، في محاوراتهم مع المتعلمين، على اختلاف المراحل، إلى تشكيل عامل مساعد لذيوع العامية وترسيخها في المتلقين، الصغار والكبار، على حدّ سواء؟ لقد قدمت نتائج **الاستطلاع** ما يشير إلى أن المعلمين يشرحون بالعامية (**دائماً**: 20.4%، و**أحياناً**: 31.7 %)، ويشرحون بالفصحى والعامية (**دائماً**: 21.7 %، و**أحياناً** 31.7 %).

ولو عقدنا الصلة بين المرحلتين الابتدائية والجامعية، لوجدنا شبه تواصل في اعتماد هذه الازدواجية؛ فهي في الأولى: 21.5%، وفي الثانية: 22.4 %.

وتعلو نسبة المزج بين العامية والأجنبية في لغة تعليم مواد العلوم والرياضيات، بشكل ملحوظ، في مراحل ما قبل الجامعة، فهي: 47.5 %، في حين لم تحظ ازدواجية: الفصحى والعامية إلا بما نسبته 7.9 %.

ثم نتساءل: هل أدى اعتبار اللغة العربية مادة تعلمية، عمودية، مستقلة بذاتها، إلى ظهور مشهد جانبي واكب تاريخ تعليم اللغة العربية في المؤسسات التعليمية، تمثل في انزواء دور الفصحى وانحباسه في عدد من الحصص (7–5 حصص) في الأسبوع (؟)، وبالتالي لا نشهد استخدام الفصحى إلا في هذا النزز اليسير؟ وهو أمر أدى إلى سيادة العامية في مجالات التواصل بين المتعلمين، حتى بلغت ما نسبته 81.3 %.

وهل تضافر عبء العامية مع اللغة الأجنبية لجعل المتعلّم أمام عقبات تربوية عديدة، تتمثل بتنقله بين أنظمة لغوية ثلاثة: العامية والفصحى والأجنبية، ولا سيّما تعلم مواد العلوم والرياضيات؟

9 – لقد قدمت نتائج **الاستطلاع** أفكارًا، تعكس راهنية الموقف من ازدواجية اللغة، وهو ما يمكن استثماره في جدول الاقتراحات الساعية إلى تقريب الشقة بين الفصحى والعامية؛ وهي: **اعتماد اللغة الثالثة**، أو النزعة التوفيقية المتمثلة بتفصيح العامية، وتبسيط الفصحى. وقد رأى المستطلَع رأيهم في لغة مسرحية "الصفقة" لتوفيق الحكيم، التي اعتمدت هذا الاتجاه مدخلاً صالحاً للتقريب بين طبقات الشعب الواحد، وبين شعوب اللغة العربية، عبر توحيد أداة التفاهم على قدر الإمكان، وبدون المساس بضرورات الفن، فكانت النسبة (**نعم**: 67.3 %)، وكان الموقف من انتشار هذه "اللغة الثالثة" في وسائل الإعلام المرئية والمسموعة، واعتبارها ظاهرة مقبولة 9 %، وأنها مقبولة، لكنها تحتاج إلى تطوير 21.2 %، وأنها مقبولة إلى حدّ ما: 31.1%، وأما رفضها فبلغت نسبته 30.2 %.

وجاء الاقتراح بطريقة استثمار هذه "اللغة الثالثة" وتوجيهها، عبر إصدار كتيّب إرشادات تفيد المتحدثين (**نعم**: 45.7 %)، وعبر تطوير أساليب التعبير بالفصيحة الميسرة (**نعم**: 81.4 %)، وعبر نشر نماذج من المحادثة، تساعد على تطوير لغة المتحدثين (نعم: 68.6 %).

وجاء في الاستطلا ع أن نشر التعليم وأشكال التثقيف عامل أساسي من عوامل التقريب بين الفصحى والعامية (**نعم**: 87.1 %).

وأن **لوسائل الإعلام والصحف والإذاعات العربية، وتبادل البرامج المتلفزة، والشرائط الوثائقية، والمسلسلات والأفلام، تأثيرًا، ملموسًا في التقريب بين اللهجات العربية من ناحية، وتقريب الشقة بين الفصحى والدارجة**، من **ناحية أخرى** (**نعم**: 81.4 %).

خامساً: عالم التواصل بين الشباب: حدود الاندماج، والمجتمع الافتراضي

1 – لغة التطلعات والرغبات

يفترض البحث علاقة بديهية، أو حراكاً بينياً في المجالين الخاص والعام؛ فواقع الشاب وحياته الأسرِيّة وشبكة أصدقائه ومعارفه، وهي "ممتلكاته الخاصة"؛ كلّ ذلك يتمثل في حقوق وواجبات، وبالتالي هو ما ينعكس في خطاب التطلعات والرغبات، وما يمكن أن يشمل الاحتياجات، وما يتجلّى في فرح القبول والرضا، أو ما يتمثل في الانزعاج والرفض، وأحياناً كثيرة الصمت المشوب بالضجر المكظوم والغيظ.

ويفترض البحث، في هذا السياق، أن الشاب موضوع **الاستطلاع**، هو فردٌ في

الملف الخاص



مجتمعه، وبالتالي يتشكّل رأيه من خلال منظومة المؤسسات الرسمية والأهلية، وكذلك في المجالين السمعي والبصري، والمجال الافتراضي، غالباً (= الإنترنت)، وبالتالي ملاحظة ما يمكن تسميته "الوقت العام" أو الوقت المتاح للشاب ليمارس الاهتمام بالشأن العام.

2 – التواصل الزمني التفاعلي

لقد ارتكزت هذه المسألة الفرعية، في البحث، على مفهوم التواصل بركنيه الزمني والتفاعلي، ومدى تجليات هذا التواصل في ما قدمته نتائج **الاستطلاع**، فالبحث يفترض توفّر حالة من حالات التواصل الزمني، أو توجه الشاب، بالحديث، إلى الآخر، بغية المشاركة في حراكٍ يأنف الانقطاع، ويفترض تمظهر الصلة المزمع قيامها مع هذا الآخر، تأكيداً لعدم الانقطاع البيني، أو ما يمكن أن يدل عليه التواصل التفاعلي. فهل حملت نتائج **الاستطلاع**، في هذه الجزئية، رغبة الشباب في التواصل، وبالتالي، هل بدا أن هذه الفئة الاجتماعية كانت تعي دورها جيداً؟ وهو ما سنأتي على ذكره لاحقاً.

3 - في مضمون التواصل

شكّلت نتائج مفهوم اللغة الأساسية، أو الأم، في التواصل، بعفوية، مع الآخرين، في الحياة اليومية لدى الشباب مسألة ذات شأن، لما لها من صلة بالهوية الوطنية، وكذلك نتائج تعيين اللغة المعتمدة، في الحديث الهاتفي، أو الإنترنت، مع الآخرين. فقد انحازت الإجابة إلى التواصل، بعفوية، مع الآخرين بما نسبته 84.8 % بالعربية، و1.5 % في خانة: (**لا**)، و3.8 % في خانة: (**أحياناً**)، وحصل التواصل باللغة الإنكليزية على 8.4 (**نعم**)، و18.3 (**لا**)، و28.1 (**أحياناً**). وشكلت خانة (**لا جواب**) نسبة ملحوظة في الارتفاع: 45.2 %. أما التواصل بالفرنسية فتدنت نسبته إلى 1.1 % (**نعم**)، و43 % (**لا**) و2.7 % (**أحياناً**)، كما بدت نسبة (لا جواب) عالية نسبياً: 53.2 %.

يستخدم 53% من الشباب العربي اللغة الإنكليزية أو لغة أجنبية أخرى في التواصل عبر الإنترنت في قاعات "الدردشة".

ما يسترعي النظر أن نسبة التواصل بـ"لغة أجنبية أخرى" فاقت التواصل بالفرنسية: 3.4 % (**نعم**)، و3 % (**أحياناً**)، ممّا جعل نسبة التواصل بالفرنسية تحتل أدنى مرتبة.

4 - اللغة المستخدمة، بسهولة وعفوية، في التواصل مع الآخرين عبر الهاتف

أما اللغة المستخدمة، بسهولة وعفوية، في التواصل مع الآخرين عبر الهاتف، فقد عززت النتائج اعتماد **العربية بما نسبته** 82.9 %، مقابل 6.1 % للأجنبية، و14.8 % للثنائية اللغوية. وقريب من هذه النسبة المرتفعة للعربية جاءت **اللغة المستخدمة في التواصل عبر الإنترنت**، فهي 70 % **للعربية**، يقابلها 18.3 % **للإنكليزية**، و19.4 % **للثنائية اللغوية**، و16 % **للغة** الـ MSN.

والجدير ذكره، هنا، أن مضمون الحديث عموماً، مع الآخرين، **عبر الهاتف أو الإنترنت**، يعكس استخدام العربية، بعفوية وسهولة، لأغراض **التعارف**: 23.6 %، **ولتعميق الصداقة**: 35 %، **وللتسلية واللهو**: 19.8 %، وهي نسب ضئيلة إذا ما قورنت بخانة (لا جواب)، فهي على التوالي: 55.9 %، و52.1 %، و58.9 %. ولعل ذلك يدل ضمناً على الحرج من الإجابة، أو عدم الإفصاح عن خصوصية ذاتية، أو لأسباب أخرى، لا يرغب المستطلَع رأيه في كشفها.

لكن ما يسترعي النظر،هنا، ما حمله مضمون التواصل مع الآخرين، عبر الإنترنت، بغرض الفائدة المعرفية، وهو ما نسبته: 61.2 %، مقابل 32.3 % في خانة (لا جواب)، أي بنسبة الضعف، وهو ما يحمل على التفاؤل، ويعزّز وظيفة التواصل ذي الاهتمام بالثقافة، والجدية لدى الشباب في استخدام هذه التقنية العصرية.

بالمقابل، عندما ارتبط السؤال بغرض التواصل عبر الإنترنت للتداول بشأن لغوي،



يتصل بالعربية ذي الصلة بغرض استخدام الحديث عبر الإنترنت، تدنّت النسبة إلى ما دون 20 %، في خانة (نعم)، وارتفعت إلى 52.9 % في خانة (لا). وهذا يدل على إيلاء مسائل اللهو و"الدردشة" **اهتماماً يفوق الاهتمام باللغة العربية وقضاياها**. وهو، في الوقت نفسه، يحمل التساؤل عن مضمون" الفائدة المعرفية" السابق ذكرها (= 61.2%)، وعمّا إذا كانت قضايا اللغة العربية خارج دائرة تلك الفائدة؟!

5 - التواصل القادر على نفي الانقطاع

تعزّز مفهوم التواصل الهادف إلى نفي الانقطاع، أو الوقوع في المحايدة؛ ففي الوقوف على رأي الشباب في تحديد الأساسيات الضرورية لمواكبة دور المؤسسة (أو المؤسسات) المعنية بواقع اللغة العربية، والهادفة إلى تنميتها، ما يعزّز ظهور رغبة الشباب في التوجه إلى الآخر المؤسسي، والعزم على المشاركة، فالمواكبة، أو لنقل إرادة المشاركة الفاعلة من خلال الاستعانة بالشباب في الجامعات وخارجها تمثلت بنسبة 72.6 % (نعم)، مقابل 5.3% (لا)، وكذلك اقتراحهم بالترويج الهادف في وسائل الإعلام المرئي والمسموع: 71.9 %، ومثله تقريباً الدعوة إلى تعديل المناهج التعليمية في المراحل كافة: 66.9 %؛ فالآخر، هنا، الذي طرق الشباب بابه، لإعلامه بضرورة سماع هذا الرأي، أو الموقف، أو الاستعداد، هو المؤسسة (الرسمية أو الخاصة) في مجتمع بطركي، لعلّه لا يعير الشباب اهتماماً. فهل حملت النتائج ما يشير في الاستعداد إلى تشكيل رأي ضاغط إرادة إسقاط الانقطاع؟!

وفي السؤال: في حال دُعيتَ، شخصياً، إلى حضور، أو المشاركة في ندوة عن واقع اللغة العربية، وسُبُل تنميتها. هل تلبّي الدعوة، وتقوم بالمشاركة؟ بلغت الإجابة بـ (نعم) 67.7 %. وهو ما يشي بالاستعداد والتهيّؤ والعزم الأكيد على التفاعل، أو لنقل الرغبة في التوجه إلى المشاركة، إحساساً بدافع التواصل وجدواه.

والشيء نفسه يتأكد في حال الدعوة إلى حضور ندوة عن اللغة العربية الإنكليزية، أو لغة أجنبية أخرى، فالقبول بلغت نسبته 56.3%.

لكن انقطاع الآخر عن هذا الاندفاع من طرف الشباب، انعكس موقفاً سلبياً في نتائج السؤال:

– هل جرّبت أن تبدي رأيك، في صعوبة من صعوبات اللغة العربية، في وسائل إعلامية؟فكانت الأجوبة:

لكن هذه النتائج لا تعكس ما تقدمه بعض

شكل بياني رقم 10 مؤشرات رغبة الشباب في الحضور الاجتماعي والتوجه إلى المشاركة

	الاستعانة بالشباب في الجامعات وخارجها	الترويج الهادف، في وسائل اعلام المرئي والمسموع	الدعوة الى تعديل المناهج التعليمية في المراحل كافة	تغيير المناهج التعليمية بشكل كامل
	72.6	71.9	66.9	34.2
	5.3	5.3	7.5	45.2
	7.4	8	10.3	15.6
	14.4	14.8	15.2	20.2

شكل بياني رقم (11) مؤشّر الرغبة الشبابية في المشاركة بما يتصل باللغة العربية

نعم 68 – لا 11 – لا جواب 2 – غير متأكد 19

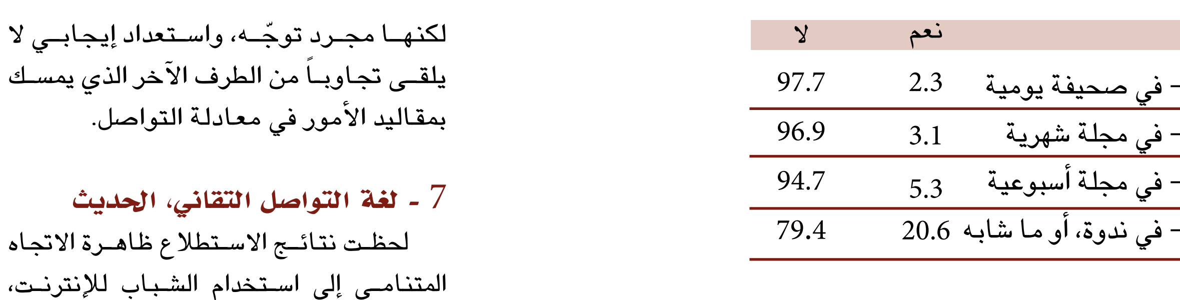
شكل بياني رقم (12) مؤشّر الرغبة الشبابية في المشاركة بما يتصل باللغة الأجنبية

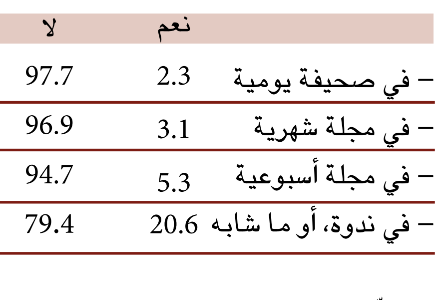
نعم 56 – لا 19 – لا جواب 2 – غير متأكد 23

الصحف أو المجلات من مجالات رحبة للكتابة على صفحاتها، وفي أعمدة، أو زوايا خاصة بالشباب وتتصل بقضاياهم، ومنها علاقتهم باللغة العربية.

6 – مشاركة ذات نتائج مزدوجة

– هل فكرت يوماً ما، أو رغبت، بتطوير لغتك العربية من خلال المناهج التعليمية، أو من خلال برنامج ثقافي ترعاه مؤسسة حكومية، أو مؤسسة خاصة؟





	نعم	لا
– في صحيفة يومية	2.3	97.7
– في مجلة شهرية	3.1	96.9
– في مجلة أسبوعية	5.3	94.7
– في ندوة، أو ما شابه	20.6	79.4

قدّمت النتائج حالة مزدوجة، فهي من جهة لا تنفي عدم الرغبة في المبادرة، لكن التواصل لا يقوم على طرف أحادي، فهو يستلزم طرفاً آخر. وما دام الطرف المقابل (المؤسسة) لا يمثل توفر الشرط الضروري لقيام المعادلة، أي أنه لا يبادر إلى الاعتراف برغبة الشباب وعزمهم على المشاركة، أقول – اختل اشتراط التبادل، واستمر – بالمقابل – سريان الإلغاء. ثم إنّ ما تحمله خانة (فكّرت ولم أنفّذ) هو وجه آخر للإصرار على عدم الاعتراف، وبالتالي اختلال بنينة الصلة التي تقوم – عادةً – بين طرفين. يضاف إلى ذلك، ما يمكن أن تحمله الإجابة من "مرارة" شبابية، وخيبة أمل؛ فالثلث، تقريباً (31.9 %) فكّر، ولم ينفّذ.

تقدم نتائج السؤال: هل سبق لك أن عرفت مؤسسة (حكومية أو أهلية) أو أكثر، قامت (أو تقوم) **باستطلاع رأي** الشباب، لمعرفة ميولهم أو اتجاهاتهم ذات الصلة بواقع اللغة العربية وقضاياها، في بلدك؟ ما يمكن أن نطلق عليه **ذروة الانقطاع بين طرفي معادلة التواصل**، فالنسبة: 16.3 % (**نعم**)، و71.9 % (لا) هي شكل صارخ لانتفاء التعارف والتبادل، وبالتالي هو أمر يؤكد الانقطاع، بدلاً من نفيه، فالنسبة 71.9 % (**لا**) خلاصة وافية للمشهد السلبي الذي يعانيه الشباب في مسألة التواصل المؤسسي. لكن يبقى السؤال: هل الشباب هم المسؤولون، وحدهم، عن هذا، أو المسؤول هو المؤسسة بما تمثل في المجال العام؟ لعل ما جاء في نتيجة السؤال، المار ذكره، جواب مقنع، فالمبادرة الشبابية متوفرة، لكنها مجرد توجّه، واستعداد إيجابي لا يلقى تجاوباً من الطرف الآخر الذي يمسك بمقاليد الأمور في معادلة التواصل.

7 - لغة التواصل التقاني، الحديث

لحظت نتائج الاستطلاع ظاهرة الاتجاه المتنامي إلى استخدام الشباب للإنترنت، فالذين اعتمدوا هذه الوسيلة التقنية، بحدّ أدنى لا يجوز الساعة، يومياً، بلغوا 25.5 %، والذين جازوا الساعة إلى الساعتين كانوا 33 %، وأكثر من ثلاث ساعات: 11.8 %، وأكثر من خمس ساعات 18.3 %.

فهل تحمل هذه النتائج تعبيراً عن الاختيار، والشعور بالاستقلالية، في مناخ اجتماعي تزداد فيه حالة رغبة الشباب في التوجه إلى الآخر المحدد أو الافتراضي في ظل غياب الحوار الجماعي؟ ولعل هذا لونٌ من ألوان التشبيك بين الشباب في مواجهة صعوبات وتحديات مجتمعية حالت دون إشراكهم أو انخراطهم، وفق ما يرضون، في المجال العام. فكان أن أخذ المجتمع البديل ينمو، سريعاً، على اختلاف أساليبه، في محاولة، منه، ترمي إلى بناء شبكة اجتماعية، أخذت تتسع دوائرها يوماً فيوماً، إلى حدّ ما نراه حاضراً في "ربيع الثورات العربية" وما يشغل واقعنا السياسي الراهن.

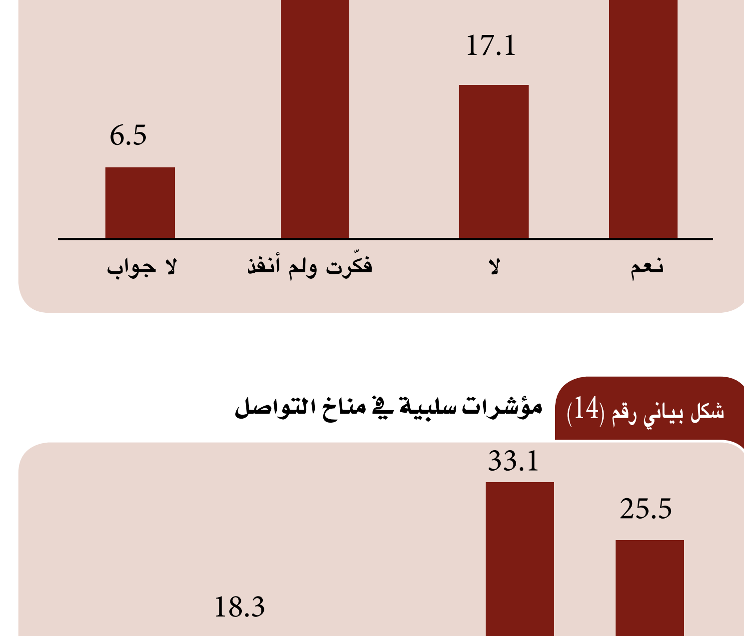
ثم، يبدو التعامل مع وسائل الاتصال، في أبعادها الثلاثة (الاجتماعية – الثقافية – اللغوية) مثقلاً بالتبعات غير المتجانسة؛ فمن جهة يبدو مضمون الحديث مع الآخرين عبر الإنترنت لمجرد التعارف فقط: 23.6 %، أو هو لتعميق الصداقة: 35 %،أو للتسلية واللهو: 19.8 %. ومن جهة مقابلة، وهو يتجه إلى الفائدة المعرفية، بنسبة: 61.2 %.

والنسبة الأخيرة، مقارنةً بالنسب السابقة، تبدو مرتفعةً، ومثيرة للانتباه. لكن ما له صلة بقضية أو أكثر من قضايا اللغة العربية وآدابها تدنى إلى ما نسبته: (**نعم**) 19.4 %، و(**لا**) 52.9 %، و(**أحياناً**) 14.4 %؟!

8 - تواصل شبابي مبتكر، بحروف لاتينية، عبر لغة الـ MSN

لعلّ الجديد المبتكر، في عالم التواصل

شكل بياني رقم (13) معدلات رغبة الشباب بالعمل على تطوير العربية عبر التواصل المؤسسي



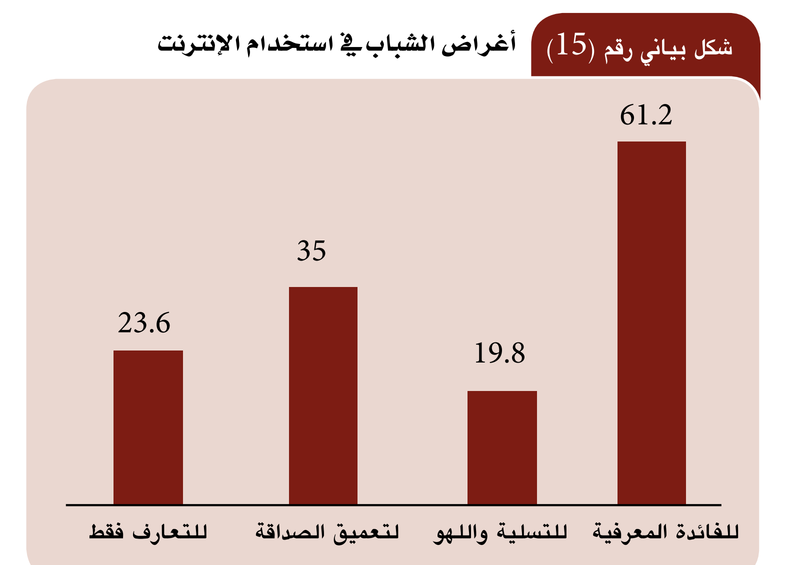
شكل بياني رقم (14) مؤشرات سلبية في مناخ التواصل

أقل من ساعة 25.5 – من ساعة الى ساعتين 33.1 – أكثر من ثلاث ساعات 11.8 – أكثر من خمس ساعات 18.3 – لا جواب 11.4

ثمة عزوف ملحوظ لدى الشباب عن التواصل مع المؤسّسات المعنية باللغة العربية بنسبة تصل إلى 71.9 % من إجمالي المستطلع رأيهم. فهل تقع المسؤولية على الشباب وحدهم أو على المؤسّسات العربية المعنية؟



الملف الخاص



شكل بياني رقم (15) أغراض الشباب في استخدام الإنترنت

أضحت الكتابة عبر الانترنت وباستخدام أجهزة الهاتف بالحروف اللاتينية لمفاهيم تدرك بالعربية أسلوباً شائعاً ومحبّذاً لدى شريحة واسعة من الشباب العربي بلغت نحو 50% من إجمالي المستطلَع رأيهم. وهي ظاهرة مقلقة بكل المقاييس تحتاج إلى الكثير من النقاش.

الشبابي، ما يسجلونه من نصوص حوارية، ورسائل مُشَفّرة، أو "دردشة" يتداخل في سطورها ضرب المواعيد واللقاءات، وتبادل النكات، واستجرار التعليقات، في جدّها وهزلها، و"تمرير" بعض الأسرار الخاصة، على سبيل التعامل بالمثل، وربما انساق الحديث البيني إلى بثّ لواعج الهوى، وتمتين روابط العلاقات العاطفية. كل ذلك عبارات هي أقرب إلى الجمل الحائرة في تراكيبها بين العربية والأجنبية، وبين الفصيحة المبسطة والعامية، إضافة إلى بناء الحوار النصّي من مقلع المفردات العامية، وتعدد أشكال كتابتها من تواصل إلى آخر. وما يزيد من طرافة هذه "النصوص" أنها تدوّن بالحرف اللاتيني، مع زيادة على تلك الأبجدية، متمثلة برسم حروف رقمية، فلحرف العين رسم الرقم 3، ولحرف الحاء، رسم الرقم 7، ولرسم الهمزة الرقم 2، ولحرف الخاء الرقم 5... إلخ.

ومن قبيل التمثيل، اقتطعنا نصّاً، من جملة نصوص، تم اختياره عشوائياً، فجعلناه في ثلاثة جداول، الأول للنص، كما جاء بتمامه، مضموناً وشكلاً، والجدول الثاني لـ"ترجمته" بنكهته العامية، والجدول الثالث لنقله إلى العربية الفصيحة، كي يكون مفهوماً من القرّاء العرب، خارج لبنان.

النص كما تمّ استخدامه في التواصل عبر الإنترنت النص بلغته العاميةالنص باللغة الفصيحة.

أما ما قدّمه الاستطلاع، في هذا الخصوص، فهو حصيلة ثلاثة أسئلة، تناولت لغة الإنترنت (لغة الـ MSN) واستخدام جهاز البلاك بيري، وكتابة الحروف اللاتينية، لمضمون مفاهيم يدركها الشباب بالعربية؛ وكانت النتائج على التوالي:

– اعتماد اللغة العربية، بنسبة 70 %
– اعتماد لغة MSN بنسبة 16 %
– استخدام جهاز البلاك بري بنسبة 7.6 %
– الكتابة بالحروف اللاتينية، 40 % لمضمون مفاهيم تدرك بالعربية
– الكتابة بالحروف اللاتينية، 55 % لمضمون مفاهيم تدرك بالأجنبية.

النص كما تمّ استخدامه في التواصل عبر الإنترنت	النص بلغته العامية	النص باللغة الفصيحة
- Hi، kifik، cava?	هاي، كيفيك، "سافا" مليحة؟ (أو: ما شي الحال)؟	• سلام.. كيف حالك.. على ما يرام؟
- Chou 3emlin lyom? Cine 3ala 7?	-شو عاملين اليوم؟ سينما عَ ل سبعة (الساعة 7)؟	ما ستفعلون اليوم؟هل نذهب، الساعة السابعة، إلى السينما؟



النص كما تمّ استخدامه في التواصل عبر الإنترنت	النص بلغته العامية	النص باللغة الفصيحة
- Nezel jdid 2 movies ktir waaaw	- نِزِل جديد 2 موفيز كتيرواو..و (حلو كتير	هنا، في السينما، فيلمان جديدان، جميلان جداً
- Fi film comedy w wa7ad action 3ala history men 1880 ta2riban	-في فيلم كوميدي وا واحد اكشن على هيستوري 1880 تأريباً (= تقريباً)	يوجد فيلم هزلي ضاحك وآخر من أفلام الحركة السريعة وتاريخي تقريباً
- Wait brb	- ويت برب (= بي رايت باك)	انتظري، سأعود حالاً
- Tyt ana online	- تيت (تيك يور تايم) (= خذي وقتك) أنا اونلاين	خذي وقتك.. أنا باقية هنا، على الاتصال
- Heyda ra2me sayvi 3endik	- هيدا رأمي (رقم) سايفي عندك	هذا رقمي، احفظيه عندك
- Ok sayavto	- أوكي (= حسناً) سايفتو	حسناً، لقد حفظته
- Aya se3a safkoun boukra?	- أيّ ساعة صفكن بكرا؟	في أية ساعة سيبدأ درسكم غداً؟
- Ana TTH men 12’30 lal 5، pffffff full time	- أنا تي تي إيتش (ثلاثاء وخميس من كل جمعة) من 12ط30 لَلـ خمسة، بوف (علامة ضجر وتأفف) فول تايم (دوام كامل)	كل ثلاثاء وكل خميس، من كل أسبوع، من الساعة الثانية عشرة والنصف إلى الساعة الخامسة، بعد الظهر، أف!! دوام كامل
- La2 ana MWF men 3 lal 5، domage ma 7a nchoufkoun	- لأ أنا أم دبليو أف (كل اثنين ؟ أربعاء وجمعة) من 3 (الساعة 3 للـ 5 (الى الساعة الخامسة) دوماج (للأسف) ما حنشوفكن	دوامي الأسبوعي كل اثنين وأربعاء وجمعة من الساعة الثالثة إلى الساعة الخامسة بعد الظهر.. للأسف لن نراكم
- Ma 3am nla7e2 dares beyn chi 6 mawed kel we7de as3ab men tenye	- ما عَمْ نلّحق درس بين شي 6 مواد، كل واحد أصعب من التاني	ندرس بشكل مكثف، لدينا ست مواد، وكل مادة تضاهي بصعوبتها الأخرى
- 3a belkoun ba3ed l cine net3asha b chi resto?	- عا بالكون بعد السينما نتعشى بشي ريستو (= مطعم)؟	أبودّكم الذهاب بعد السينما إلى العشاء في أحد المطاعم؟
- Eh why not، akid، bas weyn?ma badna fast food، badna chi 3arabe	- إي واي نط (نعم، ولم لا؟) أكيد، بس مين؟ ما بدنا فيست فود (أكل سريع)، بدنا شي عربي (طعام عربي)	لمَ لا؟ لكن، أين؟ لا نريد وجبات سريعة، نريد طعاماً عربياً.
- Aw barke delivery ashal w mnetsalla aktar	- أو بركي ديليفري (خدمة التوصيل المجاني) (أو ربما طلب الطعام إلى البيت) أسهل، ومنتسلّى أكتر	أو نطلب طعاماً إلى البيت، فيكون أيسر، ونستمتع أكثر
- Tyb mnelte2e se3a 5’30 mne7jouz ، w mne23od b cafe la beyn ma yballesh l film lal 7’30	- طيّب، منلتأي (حسناً نلتقي) ساعة 5:30 منحجز ومنأعد (نجلس) بي كافي (بالقهوة) لبين (ريثما) ما يبلش الفيلم 7:30.	حسناً، سنلتقي الساعة الخامسة والنصف.. سنحجز تذاكرنا، ونجلس في مقهى ريثما يبدأ الفيلم الساعة السابعة والنصف.

النص كما تمّ استخدامه في التواصل عبر الإنترنت	النص بلغته العامية	النص باللغة الفصيحة
- ktir 7elo l film، looool bi-da7ek، bas fi ykoun a7san	- كتير حلو الفيلم. لووول (ضحكة) بيضحك، بس في يكون أحسن	الفيلم ممتع جداً (مُضحِك).. ولكن، كان بالإمكان أن يكون أفضل.
- la2 heyda moumassel bi3a2ed 3endo aflem abel e5ed 3leya oscars	- لأ هيدا ممثل بيعأد، عندو أفلام أبل (قبل) آخد عليها أوسكار	لا.. فهو ممثل بارع، لديه أفلام نال عليها جائزة أوسكار
- yalla bukra bel jem3a men-choufkoun abel l saff، Bye	- يلّى بكرا بالجامعة منشوفكن قبل الصف، باي...	إلى اللقاء، نراكم غداً في الجامعة، قبل بدء الدرس

يأتي على رأس الأدباء العرب المعروفين لدى الشباب بترتيب نسبة معرفتهم: أحمد شوقي، وعنترة بن شداد، والمتنبي، ونجيب محفوظ، وجبران خليل جبران.

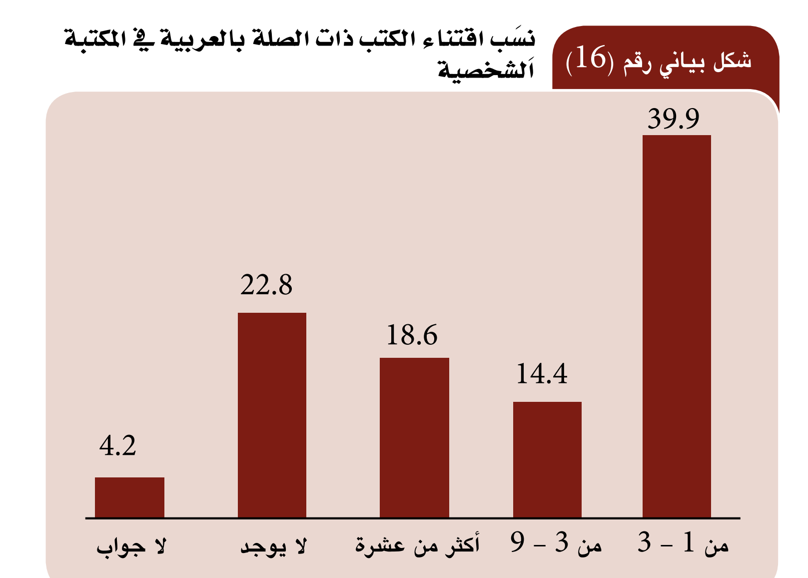
سادساً: اللغة العربية وآدابها في الكيان المعرفي للشباب

1 – يفترض الباحث أن المدخلات المعرفية، وفي مقدمتها الاعتياد على القراءة، والتزوّد بثقافة النصوص المعرفية، ولا سيّما ذات الصلة باللغة العربية وآدابها، هي من حيث الدربة عليها والمران كي تصبح سلوكاً مكتسباً، من أهم مسؤوليات الأسرة، والمدرسة، والجامعة، ووسائل الإعلام، والجمعيات والمنتديات الثقافية. فالرغبة في المطالعة أو القراءة تستدعي التعرّف التدريجي في اكتساب المعرفة. ومن الطبيعي أن تأخذ قراءة المراجع ذات الصلة بمراحل التعلّم والاختصاص، منحًى وظيفياً، وكمّاً أكبر.

2 – وفي قراءة نتائج ما يتصل مباشرة بمطالعة الكتب ذات الطابع الفكري العام، أو المرجعي عن اللغة العربية وآدابها، بدا أن حبّ المطالعة عند الشباب بلغ ما نسبته 56،3 %. ونسبة عدد الكتب ذات الصلة بالعربية، في المكتبة الشخصية، قليل جداً.

3 – ومن القول المبرّر، هنا، أن أسباب هذه النسَب الضئيلة لا تنحصر بالرغبة الشخصية، أو عدمها، لدى الشباب، فقط، فالعوامل المانعة كثيرة، ولعل أبرزها تأثيراً في هذا، تراجع الكتاب أمام التزايد السريع للفضائيات والإنترنت، وغياب التوجيه التربوي في هذا المجال، إضافة إلى عوامل أخرى، تتمثل في البطالة المنتشرة بين الشباب، وما يصاحب ذلك من فقر يجعل الكتاب خارج الأولويات المطلوبة في الحياة اليومية. ومن المفيد، هنا، أن نشير إلى "انخفاض نسبة القراءة بين العرب عموماً؛ إذ أشار البعض مثلاً، إلى دراسة قارنت بين متوسط ساعات القراءة عند العرب والأوروبيين، فجاءت النسبة، بالطبع، لمصلحة الأوروبيين (متوسط القراءة في الدول الأوروبية حوالى

شكل بياني رقم (16) نسَب اقتناء الكتب ذات الصلة بالعربية في المكتبة الشخصية



200 ساعة سنوياً، بينما تنخفض هذه الساعات وتتقلّص إلى 6 دقائق سنوياً للفرد العربي" (**التقرير العربي الثالث للتنمية الثقافية، ص 310، مؤسسة الفكر العربي**).

4 – وفي محاولة افتراضية، منّا، وضعنا قائمة تتضمن سبعة وعشرين أديباً وأديبة، وحسبنا أن الاطلاع على نتاج هؤلاء، أو البعض منهم يندرج في الاكتساب والتقصّي والتعلّم والتثقف الذاتي أو الموجّه تعليمياً، واعتبرنا ذلك من قبيل المدخلات، وما يعلق في الذهن، وما يمكن الإفادة منه، من حيث المضامين والأهداف المعرفية، في مختلف المواقف والمتطلبات الحياتية، فكراً أو نقاشاً وسلوكاً ومحاكاة لمفاهيم النصوص، عبر الاستظهار والاستشهاد. وفي رصد لنتائج المخرجات، جاء في نتائج **الاستطلاع** ما يسترعي الانتباه.

ومن المفيد أن نورد أولاً ما جاء في الشكل البياني الذي يُدْرِج تنازلياً نِسَب مدى معرفة واطلاع الشباب على نتائج هؤلاء الأدباء "معرفة واسعة":

ومن المفيد أن نُعيد ترتيب القائمة، بحسب التواتر الأعلى والأدنى، للخانات الثلاث: "معرفة واسعة" و"أسمع به، ولم أقرأ له" و"لم أسمع به"، في ثلاثة جداول:

فالنتائج تشير بالنِسَب الأعلى في (أ) إلى صدارة ثلاثة شعراء، من عصور زمنية مختلفة، من الجاهلية، والعصر العباسي، والعصر الحديث. ومن المثير للاهتمام تقدّم **أحمد شوقي**، ثم يليه شاعران من التراث، لهما من الشهرة والصيت الذائع، بفعل ارتباط عنترة بالسيرة الشعبية، والمثل السائر، وانتشار أخباره على ألسنة "الحكواتية" في المقاهي الشعبية، في مرحلة ما قبل ظهور التلفزيون، ووسائل الإعلام الحديثة، إضافة إلى سيرته البطولية التي تجسّدت في أكثر من فيلم سينمائي، ومسلسل تلفزيوني. والشيء نفسه يكاد ينطبق على **المتنبي**، الذي ماثل **عنترة** بالبطولة وانتشار أخباره، وما كان يرمز إليه من عزّة وشجاعة. إضافة إلى توفر طبعات ديوان هذين الشاعرين، وإدراج بعض نصوصهما الشعرية في مراحل مختلفة من المناهج التعليمية، في الوطن العربي.

شكل بياني رقم (17) نسَب معرفة الشباب واطلاعهم على نتاج عدد من الأدباء العرب

الأديب	النسبة
أحمد شوقي	38.8
عنترة بن شداد	27.8
المتنبي	24.3
نجيب محفوظ	17.9
جبران خليل جبران	15.6
أبو القاسم الشابي	12.5
أبو نواس	9.1
مصطفى لطفي المنفلوطي	8.7
عباس محمود العقاد	8.7
توفيق الحكيم	8
عمر بن أبي ربيعة	7.6
طه حسين	7.6
نازك الملائكة	7.2
بدر شاكر السياب	6.8
ميخائيل نعيمة	6.5
فاروق شوشة	6.1
الأخطل الصغير	5.7
جابر عصفور	4.2
عمر أبو ريشة	3.4
غازي القصيبي	3
بنت الشاطىء	3
عبدالرحمن منيف	2.3
مي زيادة	1.9
الشريف الرضى	1.9
أدونيس	1.9
زكريا تامر	1.5
وداد سكاكيني	0.4

0 5 10 15 20 25 30 35 40 45

الجدول الأول **مدى معرفة الشباب واطلاعهم على نتائج الأدباء العرب: "معرفة واسعة"**

التواتر الأعلى (أ)	التواتر الأدنى (ب)
أحمد شوقي 38.8 %	وداد سكاكيني 1.4 %
عنترة بن شداد 27.8 %	زكريا تامر 1.5 %
المتنبي 24.3 %	مي زيادة، الشريف الرضي، أدونيس 1.9 %
نجيب محفوظ 17.9 %	عبد الرحمن منيف 2.3 %
جبران خليل جبران 15.6 %	غازي القصيبي، بنت الشاطىء 3 %

لكن قصب السبق لشوقي يبرره، عدا شعريته المجددة، وإيقاعاته الآسرة في الكثير من قصائده، كونه شاعر أغنيات رائجة، بصوت وألحان **محمد عبد الوهاب**، وهو ما أعطى **شوقي** بعداً يذكر في الانتشار وعلوق اسمه في الأذهان. أما النتائج، في التواتر الأدنى (ب) فجاء أدناها للكاتبة الفلسطينية– اللبنانية **وداد سكاكيني**، ويليها القاصّ السوري **زكريا تامر**، الذي عرف بإبداعه في مجال القصة القصيرة. ثم جاءت النسب لتعلو تدريجياً لكلّ من الشاعر التراثي **الشريف الرضي**، والشاعر، الناقد **أدونيس**، **ومي زيادة** التي تميزت بثقافتها الغنية، وصالونها الأدبي، الذي كان عامراً بحضور كبار أدباء التنوير، من أمثال **مصطفى صادق الرافعي وخليل مطران**. وبدا

الجدول الثاني **في نتائج خانة "أسمع به، ولم أقرأ له"**

التواتر الأعلى (أ)	التواتر الأدنى (ب)
عمر بن أبي ربيعة 36.9 %	أحمد شوقي 11 %
عمر أبو ريشة 33.5 %	زكريا تامر 14.8 %
أبو نواس 31.9 %	فاروق شوشة 16.7 %
عباس محمود العقاد 31.6 %	المتنبي، وداد سكاكيني 17.5 %
مصطفى لطفي المنفلوطي 30.8 %	عنترة بن شدّاد 19 %

أن هذه المناخات الفكرية لم تشفع لهؤلاء الأعلام، بالحضور في النتائج.

وينسحب هذا على كلّ من **عبد الرحمن منيف وغازي القصيبي** وبنت الشاطىء. فقد بدا أن ما كان لهؤلاء من عطاءات فكرية، في النثر الأدبي الجميل، والرواية الهادفة، والدراسات الأكاديمية، لم يشفع لهم، على الرغم من توفر نتاجهم المطبوع، بالحصول على بطاقة تعريف تمكّنهم من دخول دائرة اهتمام الشباب. وهذا مؤشر يحمل جملة ملاحظات، أبرزها انصراف جيل الشباب إلى الاهتمام بالمرئي– المسموع، والإنترنت، وابتعادهم عن مطالعة الأعمال الأدبية، إلاّ ما انتقل منها إلى الفيلم السينمائي، أو المسلسل التلفزيوني، أو ما بقي عالقاً في الذاكرة من نصوص مقررة، اعتمدت في مناهج الدراسة.

تقدّم النتائج في الجدولين (أ) و (ب) ظاهرة القطيعة مع القراءة، بشكل كامل، فالأدباء المارّ ذكرهم، ليسوا أكثر من أسماء في حالتيّ المُدْخلات والمُخْرجات، وهي أسماء عالقة في الذاكرة، جرّاء ظروف مختلفة، في حياة الشباب،المُستطلَع رأيهم، لكن ما تقدمه هذه الظروف الحياتية من الناحية المعرفية هو سواء، فمضامين النصوص الأدبية، لهؤلاء الأدباء، على تنوّع أشكالها واتجاهاتها وأبعادها الاجتماعية والوجدانية والجمالية، لم توظف في تنمية سلوكيات الشباب، ولم تحظَ بخطة توجيهية،في مؤسسات التربية والتعليم، أو برامج الراديو والتلفزيون، لتجسر الصلة بين الموضوع الفكري وما يتلقاه الشباب.

• **الجدول الثالث:** نتائج خانة: "لم أسمع به" وهي تشكل ذروة ما سبق ذكره، في ظاهرة الجهل بنتاج مجموعة من أدباء العرب. فالنسب الأعلى للأدباء الخمسة الذين تصدّروا القائمة، هم على التوالي: **وداد سكاكيني** 67.3 %، **زكريا تامر** 66.5 %، **بنت الشاطىء** 59.7 %، **غازي القصيبي** 57 %، **جابر عصفور** 56.5 %.

يقابل ذلك، في النسب الأدنى، وفق الآتي:

4.6 % **لعنترة**، 5.7 % **لأحمد شوقي**، 7.6 % للمتنبي و15.2 % **لنجيب محفوظ**، و18.6 % **لجبران خليل جبران**.

• استنتاجات عامة

1 – قدّم استطلاع رأي الشباب في واقع اللغة العربية عدداً من المعطيات والمؤشرات، في نتائج إحصائية تساعد في تشكيل مادة بحثية، وصفية، وتسهم في "تشخيص" حاضر العربية، في إطارها الاجتماعي، وتوفّر لبصيرة الباحثين ما يساعدهم في استشراف مستقبل اللغة، واقتراح مخطط توجيهي، أو "خارطة طريق" إلى النهوض.

2 – جاء في نتائج **الاستطلاع** ما يمكن تسميته "مشاهد" ثلاثة لواقع سلوكيات الشباب في التعامل مع اللغة؛ فقد بدا المشهد الأول في الموقف الإيجابي من ثقافة الانتماء، وما تمثله اللغة العربية من رمز تراثي، وهوية. فالنسبة التي فاقت 80% تحمل أهمية بالغة، لأنها حصيلة استطلاع تمّ إجراؤه في مجتمعات عربية تعيش ثقافات متعددة، وكان قد مُورس بحق عدد من هذه المجتمعات تثقيف جائر، ينتهج سياسةً عدوانية بحق ثقافة هذه المجتمعات، ويجور عليها بسلطان ثقافته المستعمِرَة (كفرض الثقافة الفرنسية ولغتها في كلّ من **لبنان وسورية وتونس والجزائر والمغرب وموريتانيا**، وفرض الثقافة الإنكليزية ولغتها في كلّ من الأردن ومصر، ثم العبرية والثقافة الإسرائيلية في **فلسطين المحتلة**). يضاف إلى ذلك أن واقع استخدام الفرنسية في **تونس والجزائر والمغرب وموريتانيا** يشهد بانتشار التعددية اللغوية– الثقافية، في الدوائر الرسمية ومناهج التعليم وأشكال التواصل والتعامل في الحياة اليومية، ولا سيّما في المدن والحواضر. وشبيه بذلك ما للتعددية الثقافية في **لبنان**، من حيث انتشار اللغتين الفرنسية والإنكليزية في الفكر والسلوك ومناهج التعليم.

وبدا المشهد الثاني رغبةً في المشاركة والإسهام في الشأن الثقافي، وفي ما يتعلق بواقع اللغة العربية وتنميتها. وهو مشهد ذو وجهين، أولهما حظي بنسبة عالية حين اتصلت المشاركة بمُدْخَل نظري (ندوة أو ما شابه..)، أو إبداء الرأي في الدعوة عبر وسائل الإعلام إلى تعديل المناهج التعليمية؛ وثانيهما لحظَ تراجعاً نسبياً (إلى 44.5 %) حين اتصلت المشاركة بطابع مواكبة دور المؤسسات المعنية بواقع اللغة العربية.

أما المشهد الثالث فهو تراجع كبير في نسبة الرغبة في المشاركة (إلى 2.3 و5.3 %) حين اتصل الأمر بنشر الرأي باللغة وبصعوباتها في إحدى وسائل النشر (صحيفة، مجلة...).

هذا التفاوت النسبي في رصد واقع الرغبة في المشاركة، بدا انقطاعاً ملحوظاً في ممارسة الكتابة ونشر الرأي في إحدى وسائل الاعلام، إمّا بسبب انعدام التجربة البحثية، أو بسبب برودة العلاقة بين الشباب والمؤسسات الإعلامية، أو لعله الشعور بعدم القدرة في طَرْقِ موضوع لغوي يراه الشاب شائكاً. وبالتالي فإن هذه النتائج المتفاوتة –هنا– تقلّل من زخم العفوية التي صدرت عن الشباب في موقفهم الإيجابي من رمزية اللغة العربية وما تمثّل من قِيَم.

أكثر من 55 % من الشباب العربي (المستطلَع رأيه) لم يسمع مطلقا بوداد سكاكيني، وزكريا تامر، وبنت الشاطئ، وغازي القصيبي، وجابر عصفور!! في مقابل 5 % لم يسمع بأحمد شوقي و7 % بالمتنبي و15 % بنجيب محفوظ و18 % بجبران خليل جبران.

3 – في جِواء مقابلة، بدا اهتمام الشباب بالتواصل مع الآخر، لأغراض شتى، بوسيلة الهاتف أو الإنترنت، مجالاً مشوّقاً، ومناخاً جديداً، تتفتح آفاقه عن مستجدات تقانية، يوماً فيوماً، مما يجعل التوجه إلى هذا المجال في سيرورة مطّردة، جرّاء ما يوفّر هذا التواصل من استقلالية، وحواجز مرفوعة أو ملغاة بين المتحاورين، وبالتالي ما ينمّيه من صداقات تأخذ في مستواها العمري والفكري منحى أفقياً، فيه حرارة المساواة وانتفاء "السلطة

الرسمية" أو "الفوقية" أو "الموجّهة".

تجدر الإشارة، هنا، إلى ظاهرة الوقت المخصص للإنترنت، فهي على التوالي، احتساباً بالساعة:

فلو اعتمدنا متوسط الحد الأدنى من الوقت الذي يصرفه الشاب على الإنترنت، لتحصّل لدينا سنوياً 365 ساعة، وإذا قارنا هذا الوقت بمتوسط ما ينفقه الفرد العربي في القراءة، وهو 6 دقائق سنوياً، لبدا الفارق الكبير في الرقمين، وبدا ما لظاهرة الإنترنت من أهمية بالغة، في حياة الشباب، وهي ظاهرة مرشّحة لمزيد من الانتشار، وإلى استغراق المزيد من الوقت. والشيء نفسه ينسحب على طرق الاتصال عبر برامج الهاتف الجوّال، التي تشهد برامج مستجدة كل ثلاثة أشهر تقريباً، وسيما وأن الثقافة الحديثة دمجت وسيلتي الاتصال هاتين في وسيلة الهاتف الجوّال المتطور.

4 – ما سبق، يطرح السؤال الآتي: هل تشكّل هذه الجماعة الالكترونية عبر الإنترنت، التي تبحث عن بعضها البعض، عبر فضاءات تتيح للشباب الاستقلالية الخاصة بهم، واللغة التي تتجانس في حواراتهم يوماً بعد يوم، وما يشعرون به أو يتبادلونه من اهتمام، أين منه اهتمام، الجماعة التقليدية! – أقول: هل التواصل بغرض الدردشة التي تحيي الشعور بالذات في تواجدها مع الذات الشبيهة، وهل التواصل بغرض تبادل المعارف، الذي يُعلي من قيمة الذات...، هل سيغدو هذا المجال الالكتروني، أو الافتراضي، أو الرقمي، في نشأته المتنامية، في مجتمعنا، شيئاً فشيئاً، مجالاً بديلاً من الواقع الاجتماعي التقليدي؟ في ضوء ما تناقلته المعلومات عن أثر الإنترنت، وملايين مواقعه المنتشرة في أرجاء الكون، ولا سيّما وسائله الرقمية الأكثر شهرة: الـ"تويتر" والـ"فايس بوك"، **وفي ضوء ما يزيد على 30 مليوناً من الشباب العربي** الذين اعتمدوا هذه الشبكة التواصلية في أغراضهم المختلفة..، كل ذلك يشي بحضور مجتمع جديد، من أبرز ميزاته أنه فاعل، ومؤثر، وحيوي، ويسير، وماهر في التشبيك، وهو، شئنا أم أبينا، ساعٍ إلى انتزاع لقب المجتمع البديل، وهو ما يلبّي رغبات الملايين من الشباب العربي.

5 – لا بدّ من الإقرار بوجود دوافع مسوّغة أسهمت في حضور المجال الافتراضي للشباب، لغة وسلوكاً ومفاهيم، ولعلّ أبرزها التعبير عن الموقف الاعتراضي، أو الاحتجاجي تجاه ما يرونه تقاليد وعادات من جيل الآباء، لا تتوافق وتطلعاتهم الجديدة، وهو واقع أنشأ مجالين اجتماعيين، مجال الشباب، شبه المستقل، أو المنفصل، ومجال المجتمع بتراثه وحاضره البطركي.

وما يقدّمه المجال الافتراضي، أو المشهد الذي يتكوّن بفعل تواصل الشباب في ما بينهم، عبر الإنترنت، هو في حقيقة الأمر مجتمع احتجاجي على النزعة البطركية السائدة في المجتمع التقليدي، وهو احتجاج يتمظهر في زي الملابس، وتسريحة الشعر، وقيادة السيارة، والجلوس في المقهى، وطرق الحديث في البيت ومعاهد الدراسة، والحفلات الشبابية. كما يتجلى في نظام لغوي، له تراكيبه، غير المألوفة، للكبار، ولما هو كلاسيكي أو (اتباعي)، وله

من يجلسون إلى الإنترنت	أقل من ساعة	من ساعة إلى ساعتين	أكثر من ثلاث ساعات	أكثر من خمس ساعات
	% 25.5	% 33.1	% 11.8	% 18.3

مفرداته المستقاة من مدوّنات معاجم اللغة العربية، والأجنبية، والعاميات، وما يطرأ على ذلك من تغييرات، إما بدافع اللعب أو الابتكار الشخصي والتمايز، عدا ما تحفل به هذه اللغة الشبابية من رموز وتشفير، يتبادلون دلالاتها، مما يزيد من خصوصية هذا الاتجاه اللغوي، في مجتمع يمور بالمتغيرات.

6 – في خضم هذه التحولات الاجتماعية– الثقافية، التي يعيشها الشباب، تبقى مسألة اللغة محوراً في التعبير، ومركز دائرة اهتمام المتحاورين، فهي أداة التعبيرين الشفاهي والكتابي، وهي مرآة تعكس، في نتائج إحصاءات هذا **الاستطلاع**، ما يشبه المجال العام من مستجدات ومتغيرات؛ فقد **قدمت الإحصاءات، أربعة مؤشرات** جديرة بالاهتمام:

- **المؤشر الأول**، ما قدّمته نتائج الإحصاء في استخدام اللغة العربية، في التواصل، من حيث تدني النسبة، تدريجياً، تبعاً لوجهة الاستخدام، وهوية الآخر، وثقافته، وهو تدرّج تنازلي ينذر بتقلّص دائرة استخدامها، كما هو مبين في الجدول الآتي:
- **المؤشر الثاني**، ما قدّمته نتائج الإحصاء في استخدام اللغة الإنكليزية (تحديداً)، من حيث ارتفاع النسبة، تدريجياً، تبعاً لوجهة الاستخدام، وتحديد الآخر في التواصل، وهو تدرج متنامٍ إلى الأعلى، يدل على توسّع دائرة الاستخدام، كما هو مبيّن في الجدول الآتي:
- **المؤشر الثالث**، ما قدّمته نتائج الإحصاء في استخدام ثنائية اللغة، من حيث ارتفاع النسبة، تدريجياً، تبعاً لوجهة الاستخدام، وتحديد الآخر في التواصل وهو تدرّج متنامٍ إلى الأعلى، يدل على توسع دائرة استخدام الثنائية اللغوية، وهو توسع وتنامٍ يزيدان من انتشار اللغة الأجنبية، ولا سيّما الإنكليزية، كما هو مبيّن في الجدول الآتي:

7 – ما قدّمته نتائج الإحصاء من دلالات رقمية،

مضمون السؤال	النسبة المئوية
باعتبار العربية لغة وطنية، وتمثل الهوية الثقافية	89.7
باعتبار العربية لغة التواصل، بعفوية، في الحديث الهاتفي مع الآخرين	82.9
باعتبار العربية لغة التواصل مع الآخرين، بعفوية	84.8
باعتبار العربية لغة مراجع الاختصاص العلمي	75.7
باعتبار العربية لغة مطالعة	73.1
باعتبار العربية لغة الحديث مع الآخرين عبر الإنترنت	70
باعتبار العربية لغة معاملات المصارف وباقي المؤسسات	68.8
باعتبار العربية لغة تشغيل نظام التلفزيون	65
باعتبار العربية لغة تعارف مع أصدقاء جدد، يتكلمون الثنائية اللغوية	63.9
باعتبار العربية لغة تسمية المشتريات (= السلع الاستهلاكية)	62.4
باعتبار العربية لغة تسمية المصطلحات وأسماء المخترعات	59.9، وأحياناً: 27.4
باعتبار العربية لغة معتمدة في كتابة حروف جهاز بلاك بري (باللاتينية) للتواصل مع الآخرين	40

لا يترك الباحث مطمئناً إلى سيادة اللغة العربية، في مجتمعات عربية تحفل بالانفتاح المعرفي، وتكتسب الثقافات بلغاتها بطواعية وسلاسة، وتتطلع إلى امتلاك وسائل التقانة

مضمون السؤال	النسبة المئوية
باعتبار الإنكليزية لغة التواصل، بعفوية، في الحديث الهاتفي مع الآخرين	6.1
باعتبار الإنكليزية لغة مطالعة	6.6
باعتبار الإنكليزية لغة التواصل، بعفوية	8.4
باعتبار الإنكليزية لغة تسمية المصطلحات وأسماء المخترعات	13.2 %، وأحياناً: 36.1 %
باعتبار الإنكليزية لغة التواصل مع الآخرين، وتستخدم بفخر واعتزاز	16.9
باعتبار الإنكليزية لغة الحديث مع الآخرين عبر الإنترنت	18.3
باعتبار الإنكليزية لغة مراجع الاختصاص العلمي	18.3
باعتبار الإنكليزية لغة تسمية المشتريات (= السلع الاستهلاكية)	25.9
باعتبار الإنكليزية لغة تشغيل نظام التلفزيون	37.3

مضمون السؤال	النسبة المئوية
باعتبار الإنكليزية لغة التواصل، بعفوية، في الحديث الهاتفي مع الآخرين	6.1
باعتبار الإنكليزية لغة مطالعة	6.6
باعتبار الإنكليزية لغة التواصل، بعفوية	8.4
باعتبار الإنكليزية لغة تسمية المصطلحات وأسماء المخترعات	13.2 %، وأحياناً: 36.1 %
باعتبار الإنكليزية لغة التواصل مع الآخرين، وتستخدم بفخر واعتزاز	16.9
باعتبار الإنكليزية لغة الحديث مع الآخرين عبر الإنترنت	18.3
باعتبار الإنكليزية لغة مراجع الاختصاص العلمي	18.3
باعتبار الإنكليزية لغة تسمية المشتريات (= السلع الاستهلاكية)	25.9
باعتبار الإنكليزية لغة تشغيل نظام التلفزيون	37.3

اليسيرة، من أقرب السُبُل.

وما بدا، جليّاً، في علو شأن اللغة الأجنبية، وكذلك الثنائية اللغوية، وتراجع استخدام العربية، يزيد من هذا القلق، ولا يكون التدارك في الانكفاء عن الثقافات الأجنبية، ولغاتها، بل يكون بتشريعات تطبيقية، تلتزمها المجتمعات العربية ونُظُمها السياسية والاقتصادية والتربوية، تصون اللغة العربية، وتعمل على تنميتها

مضمون السؤال	النسبة المئوية
باعتبار الثنائية اللغوية لغة تواصل، بعفوية، في الحديث الهاتفي مع الآخرين	14.8
باعتبار الثنائية اللغوية لغة محبّبة للمطالعة	16.7
باعتبار الثنائية اللغوية لغة تواصل، عبر الإنترنت	19.4
باعتبار الثنائية اللغوية لغة مراجع الاختصاص العلمي	21.7
باعتبار الثنائية اللغوية لغة تسمية المشتريات (= السلع الاستهلاكية)	34.6
باعتبار الثنائية اللغوية لغة التواصل بعفوية، مع الآخرين	35.7
باعتبار الثنائية اللغوية لغة تعارف مع أصدقاء جدد، يتكلمون الثنائية اللغوية	48.3

في أُطُرها المعرفية، وتفاعلها الاجتماعي، وممارستها لغة تعلّم وتواصل.

8 – ثم، فإن فئة الشباب العربي، تستحق الكثير من الدراسات العلمية، فهي الفئة الواعدة التي تشكّل ثلث سكان الوطن العربي، وهي التي ستكوّن بأعدادها الثمانين مليوناً في العام 2025 بُنى تسيير المجتمعات العربية في وجهها الرسمي والأهلي.

9 – كما تستحق اللغة العربية اهتمام الغيورين على الحضارة العربية– الإسلامية؛ فالنهوض المعرفي بمستخدمي العربية، علماً، وأدباً، وفنوناً، باللسان العربي، يعزّز واقع الانتماء، ويمكّن الهوية الأصيلة، في زمن المعاصرة العلمية والتقنية التي باتت هوية العصر.

10 – ثم، إن النهوض بمتكلمي اللغة ليكون لهم منهجهم الفكري وطريقتهم في النظر إلى مستجدات المعرفة، يستلزم، رؤية متكاملة، تمدّها خبرة حضارية غنية، ويرفدها تكوين نفسي مميّز، وهو ما سيفضي إلى علو شأن اللغة العربية، فاللغة بأبنائها.

11 – لذا، من الضرورة، أن يغدو دور الشباب حاضراً، وفاعلاً في مسألة النهوض اللغوي، وأن يغدو رأيهم في مسألة اللغة العربية، باعتبارها مناط الثقافة في كلّ معانيها، ضرورة بحثية، قوامها **استطلاع** ما هو جارٍ مجرى الهواء في الصدور، وما يجول في البال، وما تحمله النفوس من قبول ورفض.

وعسى أن يكون هذا **الاستطلاع** خطوة صائبة في مسار فهم واقع اللغة العربية المعاصرة، ومدخلاً إلى تشخيص علل هذا الواقع تشخيصاً سليماً، يفضي، من ثم إلى وضع الحلول الآيلة إلى دفع قدرات العربية قُدُماً، ونسج الانتماء والتواصل الحضاري بين اللغة العربية والشباب، لتعود اللحمة، تدريجياً، فتتقلص، مقابل ذلك، دائرة الغربة الراهنة بين اللغة العربية والشباب في مجتمعنا.







"..لننهض بلغتنا"

استطلاع رأي حول واقع اللغة العربية

(خاص بالشباب)

(1)

هذا استطلاع رأي ذو هدف علمي ونهضوي وقومي تأمل مؤسسة الفكر العربي في تجاوبك معه، ونثق أن الاهتمام به هو جزء من الاهتمام بهويتنا وهوية أجيالنا المقبلة.

الاسم: ____________________

السن: ____________________

الوظيفة أو المهنة: ____________________

رقم الهاتف: ____________________

البريد الإلكتروني: ____________________

البلد: ____________________







استمارة موجهة إلى الشباب



1- هل سبق لك أن عرفت مؤسسة (حكومية أو أهلية) أو أكثر ، قامت (أو تقوم) باستطلاع رأي الشباب، لمعرفة ميولهم أو اتجاهاتهم ذات الصلة بواقع اللغة العربية وقضاياها، في بلدك؟

نعم □ | لا □ | غير متأكد □

2- في حال الاجابة بنعم:

هل أدى الاستطلاع المشار اليه، الى رصد ووصف واقع اللغة العربية، و خلص بالتالي، الى تحديد مشاكلها؟

نعم رصد واقع اللغة □ | لا □ | رصد واقع اللغة، إلى حد ما □ | لم أسمع بالنتائج □

نعم،خلص الى نتائج □ | لا، لم يخلص الى نتائج □ | لا أدري □

3- ما هي الأساسيات، التي تراها ضرورية، لمواكبة دور المؤسسة (أو المؤسسات) المعنية بواقع اللغة العربية، والهادفة الى تنميتها؟

أ- الاستعانة بالشباب في الجامعات وخارجها: نعم □ | لا □ | غير متأكد □

ب- الترويج الهادف، في وسائل الاعلام المرئي والمسموع: نعم □ | لا □ | لا أدري □

ت- الدعوة الى تعديل المناهج التعليمية في المراحل كافة: نعم □ | لا □ | لا أدري □

ث- تغيير المناهج التعليمية بشكل كامل: نعم □ | لا □ | غير متأكد □

4- ما هي أبرز ثلاث مشاكل يعانيها الشباب في تعاملهم مع اللغة العربية وآدابها؟(يرجى ذكر ذلك)

المشكلة الأولى | المشكلة الثانية | المشكلة الثالثة

(يمكن ذكر مشاكل إضافية، إذا رغبت في ذلك)

5- هل جرّبت أن تبدي رأيك ، في صعوبة من صعوبات اللغة العربية؟

في صحيفة يومية □ | في مجلة شهرية □ | في مجلة أسبوعية □ | في ندوة، أو ما شابه □ | لا □

6- في حال دُعيت شخصيا ، إلى حضور ، أو المشاركة، في ندوة عن واقع اللغة العربية، وسبل تنميتها. هل تلبي الدعوة، وتقوم بالمشاركة؟

نعم □ | لا □ | غير متأكد □

7- في حال دُعيت الى حضور ندوة عن اللغة الإنكليزية (أو لغة أجنبية أخرى) وأثرها في ثقافة الشباب. هل تلبي الدعوة، وتقوم بالمشاركة؟

نعم □ | لا □ | غير متأكد □

8- هل فكرت يوما ما ، أو رغبت ، بتطوير لغتك العربية من خلال المناهج التعليمية، أو من خلال برنامج ثقافي ترعاه مؤسسة حكومية، أو مؤسسة خاصة؟



نعم □ | لا □ | فكرت ولم أنفذ □

9- هل فكرت يوما ما ، أو رغبت بتطوير لغتك الأجنبية (الإنكليزية مثلاً) من خلال المناهج التعليمية، أو من خلال برنامج ثقافي ترعاه مؤسسة حكومية، أو مؤسسة خاصة؟

نعم □ | لا □ | فكرت ولم أنفذ □

10- ما هي اللغة الأولى (الأساسية أو الأم) التي تتواصل بها، بعفوية، مع الآخرين في حياتك اليومية؟

أ- العربية □: نعم □ | لا □ | أحيانا □

ب- الإنكليزية □: نعم □ | لا □ | أحيانا □

ت- الفرنسية □: نعم □ | لا □ | أحيانا □

ث- لغة أجنبية أخرى(يمكن ذكرها) □: نعم □ | لا □ | أحيانا □

ج- ثنائية لغوية:

عربي -إنكليزي: نعم □ | لا □

عربي- فرنسي: نعم □ | لا □

عربي- لغة أجنبية أخرى: نعم □ | لا □

11- هل تعتقد أن اللغة العربية قادرة، فعلاً ، على التعبير عن مشاعرك وأفكارك؟

نعم،كليا □ | نعم،جزئيا □ | غير قادرة □ | لا أعرف □

12- هل تستعين باللغة الأجنبية (الإنكليزية مثلاً) للتعبير عن مشاعرك وأفعالك، لأن اللغة العربية عاجزة عن الوفاء بذلك؟

نعم □ | لا □ | أحيانا □

13- هل تتواصل مع الآخرين، باللغة الإنكليزية (أو لغة أجنبية أخرى) لأنها لغة سهلة في النطق و التركيب؟

نعم □ | أحيانا □ | لا أعرف □

14- عندما تتعرف الى أصدقاء جدد، يتكلمون مثلك الثنائية اللغوية (عربي- إنكليزي، أو عربي- لغة أجنبية أخرى) : ماذا تفعل:

أ- هل تتواصل معهم بالعربية: نعم □ | لا □

ب- هل تتواصل معهم بالأجنبية: نعم □ | لا □

ت- هل تتواصل معهم بمزيج من اللغتين: نعم □ | لا □

15- هل تشعر - بداخلك- بأن اللغة العربية تعكس تراثك، وتمثل هويتك الثقافية؟

نعم، أشعر بذلك □ | لا أشعر بذلك □ | أحيانا، أشعر بذلك □

(*) في حال الاجابة بنعم، او أحيانا:

16- هل تشعر - بداخلك- بشيء من الفخر والتحضر والاعتزاز والثقة بالنفس عندما تتواصل مع الآخرين

أ- باللغة العربية □: نعم □ | لا □ | لا أعرف □

ب- باللغة الأجنبية □: نعم □ | لا □ | لا أعرف □

17- ما هي اللغة التي تعتمدها، بشكل أساسي ، في قراءة مراجع اختصاصك العلمي؟

أ- اللغة العربية: نعم □ | لا □

ب- اللغة الأجنبية: نعم □ | لا □

ت- الثنائية اللغوية (عربي- أجنبي): نعم □ | لا □

18- هل تعتبر اللغة العربية لغتك الوطنية، التي يجب أن تكون اللغة الأم، الأساسية، في التعامل اليومي، في شؤون الحياة الرسمية والخاصة

نعم □ | لا □ | متردد □

الملف الخاص

19- هل تحب مطالعة الكتب ذات الطابع الفكري العام؟

نعم □	لا □	أحياناً □

(*) في حال الإجابة بنعم:

في أية لغة تحب المطالعة المشار إليها؟

أ- باللغة العربية	نعم □	لا □
ب- باللغة الأجنبية (أو لغة أجنبية أخرى)	نعم □	لا □
ت- باللغتين: العربية والأجنبية	نعم □	أحياناً □

20- كم كتاباً مرجعياً، عن اللغة العربية وآدابها وعلومها، في مكتبتك الشخصية؟

من1-3□	من 3-9□	أكثر من10□	لا يوجد □

21- أنت في محل لبيع قطع غيار السيارات، أو أدوات الزينة للسيارات، أو محل لبيع الملابس. بأية لغة تسمي القطع أو الأدوات أو الملابس التي تود شراءها؟

أ- باللغة العربية	نعم □	لا □
ب- باللغة الإنكليزية	نعم □	لا □
ت- بلغة أخرى (يمكن ذكرها)	نعم □	لا □
ث- ثنائية لغوية	نعم □	لا □

22- ما مدى معرفتك واطلاعك على نتاج الأدباء العرب، الآتي ذكرهم:

طه حسين	معرفة واسعة □	وسط □	أسمع به، ولم أقرأ له □	لم أسمع به □
عباس محمود العقاد	معرفة واسعة □	وسط □	أسمع به، ولم أقرأ له □	لم أسمع به □
المتنبي	معرفة واسعة □	وسط □	أسمع به، ولم أقرأ له □	لم أسمع به □
أدونيس	معرفة واسعة □	وسط □	أسمع به، ولم أقرأ له □	لم أسمع به □
عمر أبو ريشة	معرفة واسعة □	وسط □	أسمع به، ولم أقرأ له □	لم أسمع به □
عبد الرحمن منيف	معرفة واسعة □	وسط □	أسمع به، ولم أقرأ له □	لم أسمع به □
عنترة بن شداد	معرفة واسعة □	وسط □	أسمع به، ولم أقرأ له □	لم أسمع به □
مصطفى لطفي المنفلوطي	معرفة واسعة □	وسط □	أسمع به، ولم أقرأ له □	لم أسمع به □
توفيق الحكيم	معرفة واسعة □	وسط □	أسمع به، ولم أقرأ له □	لم أسمع به □
أبو نواس	معرفة واسعة □	وسط □	أسمع به، ولم أقرأ له □	لم أسمع به □
نجيب محفوظ	معرفة واسعة □	وسط □	أسمع به، ولم أقرأ له □	لم أسمع به □
عمر بن أبي ربيعة	معرفة واسعة □	وسط □	أسمع به، ولم أقرأ له □	لم أسمع به □
الشريف الرضي	معرفة واسعة □	وسط □	أسمع به، ولم أقرأ له □	لم أسمع به □
زكريا تامر	معرفة واسعة □	وسط □	أسمع به، ولم أقرأ له □	لم أسمع به □
بنت الشاطىء	معرفة واسعة □	وسط □	أسمع بها، ولم أقرأ لها □	لم أسمع بها □
وداد سكاكيني	معرفة واسعة □	وسط □	أسمع بها، ولم أقرأ لها □	لم أسمع بها □
مي زيادة	معرفة واسعة □	وسط □	أسمع بها، ولم أقرأ لها □	لم أسمع بها □
بدر شاكر السياب	معرفة واسعة □	وسط □	أسمع به، ولم أقرأ له □	لم أسمع به □
غازي القصيبي	معرفة واسعة □	وسط □	أسمع به، ولم أقرأ له □	لم أسمع به □
أبو القاسم الشابي	معرفة واسعة □	وسط □	أسمع به، ولم أقرأ له □	لم أسمع به □
أحمد شوقي	معرفة واسعة □	وسط □	أسمع به، ولم أقرأ له □	لم أسمع به □
فاروق شوشة	معرفة واسعة □	وسط □	أسمع به، ولم أقرأ له □	لم أسمع به □
جابر عصفور	معرفة واسعة □	وسط □	أسمع به، ولم أقرأ له □	لم أسمع به □
الأخطل الصغير	معرفة واسعة □	وسط □	أسمع به، ولم أقرأ له □	لم أسمع به □
نازك الملائكة	معرفة واسعة □	وسط □	أسمع بها، ولم أقرأ لها □	لم أسمع بها □
جبران خليل جبران	معرفة واسعة □	وسط □	أسمع به، ولم أقرأ له □	لم أسمع به □
ميخائيل نعيمة	معرفة واسعة □	وسط □	أسمع به، ولم أقرأ له □	لم أسمع به □

23- ما هي اللغة التي تعتمدها في نظام تشغيل التلفزيون، و"الإنترنت"؟

أ- اللغة العربية	نعم □	لا □	أحياناً □
ب- اللغة الإنكليزية	نعم □	لا □	أحياناً □
ت- لغة أجنبية أخرى(يمكن ذكرها)	نعم □	لا □	أحياناً □
24- هل ترغب في مشاهدة الأفلام؟	نعم □	لا □	أحياناً □

أ- هل تحب ذلك في:	دور السينما	نعم □	لا □	أحياناً □
	التلفزيون	نعم □	لا □	أحياناً □
ب- هل تحب مشاهدة الأفلام أو المسلسلات العربية:	بالعربية الفصحى	نعم □	لا □	أحياناً □
	باللهجة العامية المصرية	نعم □	لا □	أحياناً □
	بلهجات عامية أخرى	نعم □	لا □	أحياناً □
ت- هل ترتاح إلى سماع العربية الفصحى في الأفلام، والمسلسلات ذات الطابع التاريخي، والتراثي؟		نعم □	لا □	أحياناً □
ث- هل ترتاح إلى سماع العربية الفصحى في الأفلام الدرامية العاطفية، التي تعالج موضوعات عصرية؟		نعم □	لا □	أحياناً □

25- ما هي اللغة التي تعتمدها للتواصل، بسهولة وعفوية، في حديثك التلفوني، مع أصدقائك؟

أ- العربية	نعم □	لا □	أحياناً □
ب- الأجنبية	نعم □	لا □	أحياناً □
ت- الثنائية اللغوية	نعم □	لا □	أحياناً □

26- إذا كنت ممن يمزج بين العربية والأجنبية، في تواصلهم مع الآخرين. هل هذا السلوك صادر عنك بشكل عفوي، أو أنه مقصود؟

يصدر بعفوية □	يصدر عن قصد □

27- إذا كنت ممن يشعر أن مستواه باللغة العربية وآدابها، عالٍ. هل هذا بسبب:	التربية البيتية	نعم □	لا □
	التربية المدرسية	نعم □	لا □
	المطالعة	نعم □	لا □
	للأسباب المذكورة معاً	نعم □	لا □

28- إذا كنت ممن يجلسون إلى الإنترنت:

أ. كم ساعة تقضي في جلسات	أقل من ساعة □	من ساعة إلى ساعتين □	أكثر من ثلاث ساعات □	أكثر من خمس ساعات



"الإنترنيت"؟				□
ب- ما هي اللغة التي تستخدمها في الحديث مع الآخرين، عبر الإنترنت؟ MSN,Skype, Facebook	العربية	نعم □	لا □	أحيانًا □
	الإنكليزية	نعم □	لا □	أحيانًا □
	الفرنسية	نعم □	لا □	أحيانًا □
	لغة أخرى	نعم □	لا □	أحيانًا □
	الثنائية اللغوية	نعم □	لا □	أحيانًا □
	لغة الـ MSN	نعم □	لا □	أحيانًا □
ت-ما مضمون الحديث-عمومًا- مع الآخرين، عبر الإنترنت؟	للتعارف فقط	نعم □	لا □	
	لتعميق الصداقة	نعم □	لا □	
	للتسلية واللهو	نعم □	لا □	
	للفائدة المعرفية	نعم □	لا □	
ث- هل حدث أن تداولت مع الآخرين، عبر الإنترنت، حديثًا له صلة بقضية أو أكثر من قضايا اللغة العربية وآدابها؟		نعم □	لا □	أحيانًا □
ج- هل تستخدم جهاز بلاك بيري للتواصل مع الآخرين؟		نعم □	لا □	أحيانًا □
(*) في حال الإجابة بنعم :				
ج-1: هل تعتمد في ذلك كتابة الحروف باللاتينية، لمضمون مفاهيم تدركها بالعربية؟	نعم □		لا □	
ج-2: أو لمضمون ومفاهيم تدركها مباشرة باللغة الأجنبية؟	نعم □		لا □	
29- هل ترغب في أن تكون معاملات المصارف (البنوك) وباقي المؤسسات، في بلدك، باللغة العربية؟				
نعم □		لا □		في قسم منها □
30- هل تشجع الآخرين على استخدام المصطلحات، وأسماء المخترعات، باللغة :	العربية	نعم □	لا □	بحسب الضرورة □
	الأجنبية	نعم □	لا □	بحسب الضرورة □



ملف

الإبـــداع

الإبداع



السينما عشية "الربيع العربي"

> مِنْ بين 100 فيلم أنتجت في كلّ البلدان العربيّة خلال العام 2010، لم يتجاوز المميَّز بينها مابين 15 إلى 18 فيلماً.

حتى قبل اندلاع شرارة أحداث ما سيسمى لاحقاً– وبتفاؤل مفرط بعض الشيء لن يضير أحداً بالتأكيد – "الربيع العربي"، كان المهتمون بالسينمات العربيّة يتساءلون عمّا إذا لم يكن العام 2010 سيعتبر بمثابة عام انعطافي. وكان السؤال الأساس الذي فرض نفسه طيلة ذلك العام يتعلق بما إذا كان الزمن المقبل سوف يشهد نهضة سينمائيّة عربيّة جديدة، أو نهاية حلم سينمائي كان تجاوز المائة عام من عمره، في مناطق عديدة من **العالم العربي**.

كل هذا اختلط ببعضه البعض طوال العام 2010. غير أن اختلاطه والتباس المواضيع التي تتفرع عنه، لم يمنع أن يكون هناك إنتاج في عدد من **البلدان العربيّة**. بل حتى تحسّن كمّي هنا، وفرز شبه واضح بين مستويات سينمائيّة عدّة هناك. ولاسيما بالنسبة إلى مناطق الإنتاج الرئيسة الآن – مثل **مصر**، **والمغرب** –، ناهيك بالمناطق العربيّة التي اعتادت أن تعيش حالة سينمائيّة قد تكون متواضعة من ناحية الكم – **فلسطين**، **لبنان**، **سورية** –، لكنها من الناحية النوعية حافظت، بشكل أو بآخر، على مستوى متقدم كان هو سبيل حضورها في العالم: مهرجانات وجوائز، وعروض تلفزيونية. في ضوء هذا يمكن القول، بصورة عامة، إن ثمة سينما عربيّة وجدت بالتأكيد طوال العام. بل أكثر من هذا: حتى في بلد ذي تقاليد سينمائيّة تاريخية وعريقة، أتى الفرز بين سينما جماهيرية (هزلية غالباً)، وسينما "مستقلة"، أو سينما تنسب إلى مؤلفيها كفعل إبداعي حقيقي (**مصر**)، ليؤكد حضوراً ما للسينما، خارج إطار الكثافة الكمّية. واللافت أكثر هنا، إنه بمقدار ما تزداد شعبية المسلسلات التلفزيونيّة وترث العدد الأكبر من الأنواع السينمائيّة (الكوميديا، الدرامات العائلية، الأعمال التاريخية... إلخ)، راحت هذه الأنواع تتضاءل أهمية وحضوراً على الشاشات الكبيرة، لتحلّ محلّها أنواع قد تكون خليطاً من كلّ ذلك، وقد تكون شديدة الجدّة والجدّية والابتكار. وفي الإطار نفسه، بمقدار ما راح يتزايد انزياح نجوم السينما وتقنياتها نحو الاقتصاديات التلفزيونيّة، وجدت سينما المؤلف نفسها تتحرّر أكثر وأكثر من قيود الإقبال الجماهيري – المكبِّلة عادةً –، لتخوض أساليب سينمائيّة وموضوعات إبداعية، ولتصل أحياناً إلى لغات شديدة الانعتاق، وفي أحيان أقلّ، إلى إبداعات من المستحيل الافتراض أن أيّ إنتاج تلفزيوني يمكنه أن يتحمّلها. نقول هذا هنا ونفكّر، مثلاً، ببعض ملامح الإنتاج السينمائي المغربي الجديد، كما تجلّت في أفلام عديدة حقّقت خلال العام 2010، كما سنرى لاحقاً.

طبعاً لا يمكننا هنا، أن ندقّ أبواق الانتصار معلنين فوزاً كبيراً – وغير متوقع! – للبعد السينمائي الخالص في إنتاج ما يكفي من أفلام، في طول **العالم العربي** وعرضه، كي نعتبر أن ملامح مستقبل السينما الكبيرة باتت ماثلة أمامنا. وذلك لأن حسبة بسيطة ستقول لنا، إنه من بين نحو 100 فيلم أو أقلّ أنتجت في كلّ **البلدان العربيّة** خلال العام الذي نحن في صدده، لم يتجاوز عدد الأفلام المتميّزة، مصرية وغير مصرية، نسبة تراوح ما بين 15 و18 فيلماً. واللافت أنها هي هي الأفلام التي راحت تتجوّل بين المهرجانات العربيّة – والخارجية المعنيّة بشكل متزايد بعرض المميّز من الإنتاج السينمائي العربي. وكذلك لافت هنا أن هذه الأفلام – في مجملها – كانت الأكثر إخفاقاً حين عرضت على الشاشات الكبيرة، في الصالات، حتى في الخارج حيث كانت تستقبل عادةً بوصفها "أفلاماً فنّية" وتجتذب فضوليّين من محبّي السينما. أما بالنسبة إلى الإخفاق الداخلي، فمن المرجح أنَّ ما يميِّز اللّغة السينمائيّة، وحتى الجرأة الموضوعية والفكرية والسياسية، لمثل هذه الأفلام، يقف حائلاً حتى اليوم دون وصولها إلى جمهور من المؤكد أن طليعته نفسها لاتزال – حين يدنو الأمر من السينما –، غير قادرة على استساغة لغة التجريب القصوى التي باتت تحتاجها الأفلام كي تثبت طليعيّتها. طبعاً، نحن لانريد لمثل هذا الكلام هنا، أن يكون حكماً بالإعدام على سينما لا تني تولد من رمادها في كلّ مرّة تُنعى فيها، لكنّنا نعتبره تشخيصاً ممكناً لما نعنيه حين نتحدث عن الفرز بين ماهو تقليدي وتكراري، وما هو طليعي جديد ويبني للمستقبل بين هذه الأفلام. ولعلّ هذا التشخيص بالذات هو ما يقول لنا إنّنا في إزاء زمن انتقالي يطرح أسئلة حادّة، أكثر كثيراً ممّا يزعم الوصول إلى أجوبة. والحقيقة أن هذا كلّه سيتضح بشكل أكثر تفصيلاً، وميدانياً، حين تتناول في الفصول اللاحقة الحركة السينمائيّة كما تجلّت في العام 2010 في كلّ منطقة جغرافية، وفي كلّ بلد عربي، على حدة.

والحال أنه، إذا كنّا ألمحنا أعلاه كيف أن المهرجانات السينمائيّة العربيّة، وغير العربيّة، تتخاطف نحو الدزينة ونصف الدزينة من أفلام عربيّة مميّزة، وطليعيّة غالباً، (ما يجعل هذه الأفلام نفسها تتجوّل بين مهرجان وآخر ما يحتم، حتى، إنجازها عند أواخر العام، حيث تكثر المهرجانات ومكافآتها وجوائزها) فإنما كنّا نشير إلى ازدياد أهمية المهرجانات – ولاسيما الخليجيّة منها – في حياة **السينما العربيّة**. وفي هذا جواب على من قد يتساءل بعدما ينتهي من قراءة هذه الفصول، لماذا نكثر من الإشارة إلى المهرجانات في سياق هذا الحديث المتنوّع عن السينمات العربيّة. فالحال أن المهرجانات العربيّة، باتت كثيرة (وقد نقول: أكثر من اللازم وأكثر مما يحتمل وضع السينما العربيّة، غير أن هذه مسألة أخرى). وهي صارت نقطة الجذب الرئيسة لبعض الإنتاج الأكثر تقدّماً في السينمات العربيّة. وقد يغرينا أن نقول هنا إن بعض سينمائيّينا – والأكثر تقدماً بينهم على أيّ حال، وللأسف ربما –، بات يشتغل من أجل المهرجانات، ولكن ليس من أجلها كلّها، بل من أجل ما هو أكثر ثراءٍ وكرماً – مالياً – من بينها. وهذه الأخيرة هي التي باتت تستقطب معظم الإنتاج الجيد لتعرضه، وأحياناً في صالات خالية من أيّ متفرجين. قد يكون من حقنا من الناحية المبدئية أن نعترض على هذا، منطقياً، لكنّنا في الحقيقة نتراجع عن هذا الاعتراض طالما بتنا نعرف أن التحرك كلّه، يخلق دينامية سينمائيّة حقيقية وسط مناخ جدب معمّم. ولئن كان هذا الواقع "الجديد" يقودنا إلى الالتفات إلى المهرجانات والعروض الأجنبية للسينما العربيّة الطليعية، فإنه يذكرنا بسؤال يبدو أنه بات قديماً الآن: ما أخبار الدعم الخارجي – الأوروبي بخاصة – للسينما العربيّة، أو لنوعٍ من السينما العربيّة، لنعترف أنه الأكثر تقدماً وجدية؟ لقد شكَّل هذا الدعم – ولاسيما الفرنسي منه – خلال العقود الفائتة، غنى لهذه السينما، إذ مكّن من تحقيق عشرات الأفلام المميّزة، على أيدي سينمائيّين لبنانيّين وفلسطينيّين ومصريّين وحتى سوريّين ومغاربة وعراقيّين، لكنه الآن يبدو شحيحاً. ولعل في إمكاننا أن نقول إنه اختفى تقريباً في العام 2010 حيث راحت البلدان الداعمة، إن لم تردعها الأزمة الاقتصادية العالمية عن مواصلة الدعم، توجه ما تبقى من "ميزانيات الدعم السينمائي" ناحية بلدانٍ من

> ما يميِّز اللّغة السينمائيّة، وحتى الجرأة الموضوعيّة والفكريّة والسياسيّة، لمثل هذه الأفلام، يقف حائلاً حتى اليوم دون وصولها إلى جمهور عريض.

الإبداع



العالم أكثر وعوداً وطرافـة في إنتاجها، بعد أن وجدت رتابـة ما في معظم ما كانت دعمته في الماضي بالنسبة إلى السينمات العربيّة.

ومهما يكن من الأمر هنا،لابدّ من الإشارة إلى أن مـن بـين الجديـد الـذي ازداد أهمية في العـام 2010، كان نشـوء مؤسّسـات عربيّـة، أصـيلة أو متفرعـة – ولاسـيما في **قطر ودبي وأبوظبي** – تنحـو إلى أن تحـلّ، في الدعـم وربمـا في التمويل الكامل أيضـاً، محـلّ **أوروبا** ومؤسّسـاتها وتلفزيوناتهـا. وهـذا أيضـاً بعد انتقـالي، لافائـدة مـن إنـكاره وإنـكار أهميته المسـتقبلية. ويقينـا، في نهاية هـذا الكلام، أن من بين كلّ هذه التجارب و"الانتقالات"، يبقى للتجربـة المغربية أهمية فائقـة حتى ولو بدت انتقاليـة هي الأخرى. أما المحصلـة الإجمالية لهـذا التقـديم فهـي التـي، وعلى ضـوء حديث "الربيع العربي"، سـتجيب عن السؤال الأساس الـذي **يتعـين** طرحه هنـا: هل نحن أمـام بداية نهاية السينما، أو أننا أمام بداية جديدة لها؟

مـن بـين الجديد الـذي ازداد أهميـة في العـام 2010، كان نشوء مؤسّسات عربيّة، أصيلة أو متفرعـة – ولاسـيما فـي قطـر ودبـي وأبوظبي – تنحو إلـى أن تحلّ، في الدعم وربما فـي التمويـل الكـامل أيضاً، محـلّ أوروبـا ومؤسّسـاتها وتلفزيوناتها.

2010 في السينما المصرية: نقطة التمفصل بين حال وحال

بعد انقضاء الشهور الأولى من العام 2011، عام الثورات العربيّة وما سوف يسمّى بالتالي، "الربيع العربي"، بدأ الحديث يدور في المجالات السياسية والاجتماعية والاقتصادية كافة، عن أن معظم **العالم العربي** بدأ يعيش زمناً انتقالياً "لاشك سوف تتغيَّر الأمور خلاله وبعده، وربما بأشـكال راديكاليـة". وكان مـن الطبيعـي أن تكـون الفنـون الإبداعيـة، ومن ضـمنها فنون الدرامـا السـينمائيّة والتلفزيونية، من بين تلك المجـالات التي قـد تكـون الآن في طريقها إلى أن تشـهد الجـذري مـن التبـدلات، وبالتحديـد، نحو استكشـاف ذهنيات جديدة وأكثر من هذا: متابعـة ما قد يحـدث من تبـدّل في الذهنيات. ومـن البديهي أن هذا التوقـع يبدو مشروعاً بل حتميـاً إن نظرنـا إليه من وجهة نظـر متفائلة ترى أن الخط الانحنائـي لـ"تقدمية" مايجري، إنمـا هو خطّ متصـاعد نحو الأفضـل حتى وإن كانت هناك تـأرجحات وانعكاسـات، تراجعات وضـروب تقدّم. غير أن الحقيقة قد تقول لنا إن المبدعين، وانطلاقـاً من طبيعة عملهم بـالتحديد، لاينتظـرون، عـادة، التغيرات حتـى يواكبوهـا، عملاً وتفكيراً. بل هم يسـتبقونها، يحلمون بها، قبـل أن يلتقط الشـارع الوعي بها ويحوّلها إلى برامـج عمل في الميدان. وفي مقدورنا أن نقول إن هذه سـنّة التاريـخ وتطوّر المجتمعات ودور الأفراد المميزين فيه. وإن نحن أردنا أن نترجم هـذا الـكلام ميدانيـاً، مـن دون أن نغوص في تاريخ التحركات المفصـلية، يمكننا أن نتوقف بشـكل عابـر، علـى أيّ حـال، عند إرهاصـات ثـلاث مـن الثـورات الرئيسـة التـي عرفتهـا البشرية خلال القرنين الأخيرين ونيف: الثورة الفرنسـية والثورة الروسـية، وثـورة 1968 في **أوروبا**، ولاسـيما في **فرنسا**. ففي هذه الحـالات الثوريـة الجذريـة الثـلاث، نعـرف أن الإبـداع الفكري والفنّي لعب دوراً أساسـياً في اسـتباق ديناميكيـة الحركـة الثورية في الشـارع. ولئن كان الـدور الأول للفلسـفة التنويرية في الثورة الفرنسية، سنلاحظ بـالنسبة إلى الثورة الروسية أن الشـعر والمسرح لعبا ذلك الدور الاستباقي. أما في ثورات الشبيبة والطلاب والمهمشين في أوروبـا السـتينيّات (والتـي وصـلت إلى ذراهـا في أيـار – مايـو 1968)، فإن السـينما كانت، من بين الفنون كافة، الفن الأكثر حساسـية في التقاطه تضافر الأحداث.

السيـنما المصـرية أرهصت بأحـداث ثـورة ينـاير 2011، ليـس عـبر "التثوير"، بل مـن خـلال تحسّـس كـان بمثابة إعداد لهذه الثورة.

ولعل هذا أفضل ما ينقلنا إلى **مصر**، استباقاً على ثورة **ينايـر**2011، حيث يمكن لمقارنة ما أن تضـعنا مباشرةً، ليس – طبعاً – أمام دور لعبته السـينما في "تثوير" المجتمع، واجتذاب شـبيبته إلى ميـدان التحرير، بل أمـام تحسّـس مـا سـوف يحدث والقيام بما يشـبه الإعداد له، وبخاصـة عـبر عـدد من الأفـلام التـي أُنتجت وعُرضت خلال العام السابق على الثورة، فبدت وكأنها تصرخ بصـوت لاعهـد **لمصر** المعاصرة بقوتـه ويقينه، كلمة واحدة: "كفى!". ولقد تجلّى

الفضل في الجديد المدهش في العام السينمائي 2010 يعود إلى ظاهرة تعرف بـ"السـينما المستقلة.



مضـمون هذه الصرخة عبر عدد مـن التغيّرات الرئيسـة التي كان في الوسع رصـدها، شـكلاً ومضـموناً وإنتاجاً، طوال العـام 2010، العام الذي نحن في صدده هنا، مع العلم أن الصرخة كانـت لاتـزال، بعـد، صرخـة يائسـة، حيث إن **ينايـر**2011 لم يكن قد حلّ بعد، والشـبيبة التي قامـت بـأول تحرك عبر الفايسـبوك، نـزولاً إلى ميدان التحريـر، كانت، بعد، تعـدّ بالعشرات أو بالمئات لا أكثر.

في هـذا الإطـار، لـن نكون مغالـين هنا إن نحـن قلنـا إن العـام 2010 كان في السـينما المصريـة عامـاً انتقاليـاً، لكنـه أتـى طارحـاً العديد من علامات الاسـتفهام، أكثر من طرحه حلولاً، أو حتى أمنيات. ولعلّ في مقدورنا، هنا، أن نفترض أن طرح علامات الاستفهام، في ظلّ الوضع المصري، كان كافياً عند ذلك المستوى مـن التبـدّل البطيء والغريب الـذي كانت **مصر** تشـهده، من دون أن يدركه أحد بوضوح أو على وجـه اليقين. ولعلّنا نعني في هذا: أن السـينما، في مختلف جوانب حياتها في ذلك العام، كانت تحدس بمـا يجب ويمكن تغييره، وربما كجواب على سؤال طرحه مفكرون كبار مصريّون خلال سـنوات متتالية فحواه: ماذا حدث للمصريّين؟ والحقيقة أن هذا السؤال كان هو المضمّر الخفي في فكرانيـة العديـد مـن الأفـلام الجيّـدة التي حققـت في **مصـر** العـام 2010 أو حوله. ونقول "أو حولـه"، لأننا إذا كنّا نعرف جيداً أن **مصر** شـهدت إنتاج عـدد يمكـن تحديده بــ27 **فيلماً** طـوال العـام 2010، فإن علينـا في المقابل أن نـدرك أنه ليـس رقمـاً نهائيـاً لأن ليس ثمة في الواقع أيّ إحصـائيات نهائية يمكنها أن تفتي بشـكل قاطع في هذا السياق، وذلك انطلاقاً من طبيعـة الإنتـاج السـينمائي نفسـها. ومع هذا ثمـة مقارنات متوسـطة تتوقف عنـد الرقم 27 كمعبّر عن مجموع الإنتاج المصري السينمائي في العـام 2010 فلنأخذ بها، مهما كان أسـانا إزاءهـا، حيث إنها تشكّل أدنى رقم سنوي حقّقته السينما المصرية منذ زمن طويل. ولسوف نرى هذا الأمر في سياقه بعد سطور، أما هنا فنودّ أن نشير إلى أن ثمة أربعة أبعاد تكاد تميّز الإنتاج السـينمائي المصري لهذا العام، من بينها هذا الانخفاض في عدد الأفـلام المنتجة في عام. أما الأبعاد الثلاثة التالية، فهي من منظور ما، أكـثر أهمية ودلالة، وهي على التوالي: صـعود السـينما المسـتقلة، كمّا ونوعـاً، بالمقارنة مع السـينما السـائدة؛ عـودة بعض كبـار الأزمان السـابقة إلى نشـاطاتهم بعـد غيـاب؛ وتراجع سـينما النجوم بما فيها سينما الهزليّين الجدد لصـالح أفـلام أكثر جدية. ويمكننا أن نضـيف إلى هذا بعداً رابعاً، لعله يصلـح لأن يكون أشبه بتلخيص سعيد لفاعلية هذه الأبعاد الثلاثة في تضـافرها، ونعني به الانتصارات المهرجانية التـي حققتهـا السـينما المصريـة – الجديـدة بخاصـة – في ذلك العام.

ولننتقـل الآن إلى وقفـة ما عند كلّ بعد من هذه الأبعاد.

يمكـن لمقارنة ما أن تضـعنا مباشرة، ليـس – طبعـاً – أمـام دور لعبتـه السـينما في "تثوير" المجتمـع، واجتذاب شبيبته إلى ميدان التحرير، بل أمام تحسّـس ما سوف يحدث والقيـام بما يشـبه الإعداد له، وبخاصة عبر عدد من الأفلام التـي أُنتجت وعُرضت خلال العـام السـابق علـى الثـورة، فبدت وكأنها تصرخ بصـوت لا عهد لمصر المعاصرة بقوته ويقينه، كلمة واحدة: "كفى!".

الإنتاج يتضاءل فما الذي تعنيه الأرقام هنا؟

إذا أخذنـا **الرقم** 27 معتبرين أنه أقرب إلى الصـحة، بشـكل متوسـط، وقارنّاه بـــ38 **فيلماً** أنتجت في العام السـابق 2009، ثم بـ40 **فيلماً** أنتجـت العـام 2008 (ولنكتف هنـا بالمقارنة بين هـذه السـنوات الثـلاث المتتالية)، سـنجد أن الانتـاج في 2010 شـهد انخفاضـاً يتراوح بين 30 و32 %. العزاء هنا هو أن أهل السـينما كانـوا عنـد بدايـة العـام 2010، وعلـى ضـوء نجاحـات كبيرة أو لا بـأس بها، فنياً إلى حدّ ما ولكن تجارياً بالتأكيد، في العامين الأسـبقين، يأملون أن يزيد إنتاج السينما المصرية إلى 60 فيلماً، ما كان من شأنه أن يعيد وتيرة الإنتاج إلى ما كانت عليه في العصـور الذهبية. غير أن هذا لم يحدث، بل إن الانتاج لم يصل إلى نصف ما كان مأمولاً. وزاد من أسـى هذه النتيجة أن سينما ناشـئة مثل السينما المغربية، بأفلامها العشريـن التـي حققتها في هـذا العام نفسـه،

مصر شـهدت إنتاج عدد يمكن تحـديده بـــ27 فيـلماً طـوال العـام 2010، تشـكّل أدنـى رقـم سـنوي حققتـه السينما المصرية منذ زمن طويل.

بـدت وكأنها تدبّ بخطوات حثيثة للتفوق، كمّاً على الأقل، على السينما المصرية. ولقد تواكب هـذا التراجـع الكمّـي المصري، مـع تراجع في الإيـرادات، كما في ميزانيـات الأفلام، كان من شأنه بالنسبة إلى أهل السينما أنفسهم أن يبدو كارثياً من الناحية المعيشـية، لولا أن المرحلة نفسـها شـهدت – لحسـن الحظ! – عودة فاقعة للمسلسـلات المصريـة، بعدما كانت السـورية والخليجيـة – إلى حـدّ مـا – نافسـتها طويلاً. التلفزيـون هنـا أنقذ الموقف، مع أنه هو نفسـه وإلى حـدّ مـا، كان مسـؤولاً عـن تضـاؤل عدد الأفـلام المنتجـة، حيـث إن انفجار الأوضـاع الماليـة والاقتصـادية في العـالم خـلال العام ونصـف العـام السـابقين علـى العـام 2010، أدّى إلى تراجـع حماس المحطـات التلفزيونية للإسهام في الإنتاجات السينمائيّة.

غـير أن هـذا – وعلـى الرغـم مـن تواضـع الأرقـام – لـن يدفعنـا إلى القـول بـأن وضـع السـينما المصريـة، مـن الناحيـة النوعيـة، كان كارثيـاً بـدوره، حيث كان للأمـر مفعوله العكسـي، حيـث يمكننا هنـا أن نسـتبق الأمور بعضـ الشـيء لنقـول إن هـذه الأزمـة بالذات، أعطـت العـام 2010، فـرادة لاسـابق لهـا في تاريـخ السـينما: فرادة فحواها أن نسـبة الجيّد المميّز مـن الأفلام التي حققـت في **مصر** العام 2010، كانـت مرتفعـة إلى حـدّ كبـير مقارنـةً بالأفلام "الجماهيرية" من النمط السـائد. فمن بـين الـ27 **فيلمـاً** التي حقّقت وعرضـت في هذا العـام، كان ثمة ما يقرب من نصـف هذا العدد يعتـبر أفلامـاً جيـدة أو جديـة أو طموحـة، في أسوأ الأحوال. ولعل هذا الجديد المدهش في ذلك العام السينمائي وفي **مصر** بشكل محدد، يعتبر أهم الأحداث السـينمائيّة. ولنقل هنا، مباشرة، إن الفضـل في هذا يعود إلى انتشـار ظاهرة ما بات يعرف بـ"السينما المستقلة".

معظم الذين اشتغلوا على الأفلام المصرية الجديدة في العام 2010، كتابة وإخراجاً وتمثيلاً.. إلخ، كانوا في طليعة الشبان المصريّين الذين بدأوا ثورة بداية العام 2011، عبر مداخلاتهم على الفايسبوك ثم عبر حضورهم المباشر في ميدان الثورة.

مستقلة كثيراً؟ قليلاً؟ ولكن عن ماذا؟

«بصـرة»، «أحاسـيس»، «هليوبوليس»، «عايشين اللّحظة»، «تلك الأيام»، «قاطع شحن»، «سمير وشهير وبهير»، ثم «ميكروفون»و«678» و«عـين شـمس» و«الشـوق»: لاشـك أن معظـم القـراء، كمشـاهدين للأفـلام السـينمائيّة المصرية، يعرفون هذه الأفلام أو شـاهدوها أو سمعوا بها ويجمع بينها بالتأكيد كونها أفلاماً مصرية، عرضت العام 2010 أو تحققت خلاله. غـير أن هـذا الواقع ليس هو القاسـم المشـترك الوحيد بينها، بل ثمة قواسم عديدة، يلخصـها الـكلام المتداول اليوم في عـالم النقد والتأريخ السـينمائيّين بأنها تنتمي معاً، في كثير أو في قليل، إلى "السـينما المسـتقلة". والحال أن هذا التعبير يبدو صالحاً لتعريف هذه الأفلام حتى وإن لم يكن واضحاً أو صحيحاً. وذلك بالتحديد لأنه من الصـعب القول بشـكل حاسـم عن ماذا هي مسـتقلة. فالحقيقة أن كلّ اسـتقلال يتطلب أن يكون فيه تحديد للشيء الذي يتمّ الاستقلال عنه: فالوطن يستقلّ عن الاحتلال، والابن يستقلّ عـن والديه، والمشـاكس يسـتقلّ عـن المجتمع الـذي يعيش فيه. ومن هنـا، من الصـعب تحديد الكيان الذين تستقلّ عنه هذه السينما المستقلة، طالما أن إمارات هذا الاسـتقلال ليست واضحة تمامـاً. فإذا كان الاسـتقلال هذا اسـتقلالاً عن نظام النجوم فإن نجوماً كثراً يوجدون في هذه الأفلام، وإذا كان الاسـتقلال عن أنماط الإنتاج السـائدة، فإن هذه الأنماط غالباً ما تكون هي منتجة بعض أفلام السـينما المستقلة. والشيء نفسـه يقـال عن مسـألة الاسـتقلال التوزيعي. مهمـا يكـن، وفي انتظار العثور على توصيـف أكـثر دقـة، لابـدّ لنـا أن نواصـل اهتمامنـا بمجموعـة الأفـلام الموصّـفة "مسـتقلة"، مـن ناحيـة، لأن غالبيتهـا العظمى أفلام يصـنعها سينمائيّون شـبان في أول أو ثاني أفلامهم، ثم – وهـذا أهـم كثيراً – لأنها في معظمها أفلام نفكّـر فيها مباشرة، حين نتكلـم عن النتاجات السـينمائيّة التي أرهصت بما سوف يحدث في **مصر**، والتي صـوّرت حساسـيات الجيل الجديد من المصريّين تجاه أحـوال المجتمع (وقد نجد

هنـا حقائق– ومغريـات – كثـيرة تقودنا إلى اعتبـار معظم الذين اشـتغلوا على هذه الأفلام، كتابـةً وإخراجـاً وتمثيـلاً.. إلـخ، في طليعـة الشبان المصريين الذين بدأوا ثورة بداية العام 2011، عبر مداخلاتهم على الفايسـبوك ثم عبر حضـورهم المباشر في ميـدان الثـورة). غـير أن هـذا واقـع من الأفضـل أن نتركـه إلى العام التالي (لكيلا نبدو وكأننا نسـتبق الأمور). فمن التحرش الجنسـي الذي صار ظاهرة مرعبة في بعدهـا الاجتماعـي (كمـا يفيدنا فيلـم "678" **لمحمـد دياب**)، إلى أزمة المثقف وتمزقه أمام ما يحدث (كمـا في "بصرة" **لأحمـد رشوان**)، إلى قضية المرأة المصرية والصعوبات الاجتماعية والاقتصـادية التي تحـول دون الزواج وتكوين العائلـة، مـروراً بمسـألة العنوسـة (كمـا في "بنتـين من مصـر" **لمحمد أمين**)، تفرسـت هذه السـينما المصرية الجديـدة في الواقع المصري غاضبة لما آل اليه وبالتالي لما آلت اليه أحوال المصريين عموماً.

ولئـن كنّا هنا قـد أشرنا إلى هـذه الأفلام الأربعة، فإننا نعتبرها نماذج صالحة للإشارة إلى أكـثر مـن دزينتـين مـن أفـلام لم تكتـف بـأن تحمـل سـمات الإدانة والغضـب نفسـها، بل هي شـاركتها أيضـاً تلك السـمات الأخرى التـي تجعلنا أمام سـينما جديدة حقـاً، ومنها هـامشـيتها وطليعيتهـا، وكونهـا – في معظم الحـالات – سـينما مؤلـف، من النمـط الذي لم تعهده السـينما المصرية كثيراً في الماضي، إذ نـادراً ما كان مخرج الفيلم في **مصر** هو كاتبه، وحتـى في الأفـلام المميّـزة التـي حقّقـت في ثمـانينيّات القرن العشرين، على أيدي مبدعين كبـاراً من طينة **محمـد خان** والراحلين **عاطف الطيـب ورضوان الكاشف وخيري بشارة وداود عبـد السـيد ثـم مجـدي أحمـد علـي وأسامة فـوزي** وطبعـاً **يسـري نصـر اللّه**. والآن، إذا أضفنا إلى هذه السمات المجدّدة في المواضيع وأسـاليب الإنتاج والارتبـاط المباشر بحركية المجتمـع، ذلـك التجديـد المدهش في اللّغـة السـينمائيّة، كمـا عند **إبراهيـم البطوط** (في "عين شـمس" ثم لاحقاً في "حـاوي")، أو عند **أحمـد عبـدالله** (في "هليوبوليس" ثم لاحقاً في "ميكروفـون")، سـنجدنا أمـام منظومـة سينمائيّة جديدة، لن يكون محكّموالمهرجانات السـينمائيّة مخطئـين، في مصـر وخارجهـا، حين سـيمنحونها في مهرجانات نهاية العام وبدايـة العـام التـالي، جوائـز أساسـية. فهـل نضـيف إلى هذا أن هذه الاندفاعة السـينمائيّة الجديدة التي عرفتها **مصر** في عامها الانتقالي ذاك، سـوف لن تكتفي برفد السـينما المصرية بالجديـد المدهش الذي أخذ مكانه بيسر وسـط السـينما العربيّة المتجددة بشـكل عام، بل في مقدمتها، كانت هي ما أيقظ من السبات العميق مبدعين (مثل **داود عبد السيد ومجدي أحمد علي** وحتى **محمد خان**)، مـن الأقطاب الذين، علـى شـاكلة لاحقيهم **خالـد الحجـر ويسري نصراللّه**، صـنعوا بعض أجمل ما في السـينما المصرية خلال العقود السابقة؟

أي مقارنـة بـين السـينما المصرية خلال العقود الثلاثة الأخيرة وبين روائع الماضي، تأتـي دومـاً لصـالـح هذه الأخيرة.

كبار يستيقظون ونجوم يتراجعون

حتـى وإن كان كثـير مـن أفـلام السـينما المصريـة المنتجة والمعروضـة خـلال العقود الثلاثـة الأخيرة، قـد حافظ لسـينما **مصر** هذه علـى مكانتهـا لـدى المتفرجـين المصريّـين والعـرب الآخريـن، بالتـوازي مـع حفـاظ العروض السـينمائيّة التلفزيونيّـة على ذاكرة هذه السـينما مـن خلال عرضـ وإعادة عرض مجمـل نتاجاتهـا، فإن حزنـاً ما ظـلّ طاغياً، فحواه دائماً الشـكوى من أن روائع الماضي لن تعود. وأن ماينتج اليوم لايقارن بما كان ينتج في الماضي. والحقيقة أن المراقب المنصف، ما كان مـن شـأنه أن يرى في الأمـر مجرد حنين يحـبّ اجـترار الماضـي، وذلـك لأن أيّ مقارنة بـين الجيد – والأقـل جودة – الـذي حقق بين 1950 و1985، بشـكل عام، وما حقق بعد ذلك، سـتكون دائمـاً لصـالح الحقبـة الأولى، وذلـك على الرغم من أفـلام **يسري نصراللّه ورضوان**

الإبـداع

الكاشف، ومحاولات استيقاظ **خيري بشارة ومحمد خان** وبدايات **خالد الحجر** وحتى **خالد يوسف وأسماء البكري، وعناد إيناس الدغيدي** وتجديدات **كاملة أبو ذكرى وهالة خليل وساندرا نشأت**. وقد تطول هذه اللائحة إذا شئنا. إذن، على الرغم من هؤلاء، ظلت المقارنة دائماً لصالح سينما الماضي. وهنا لعل في إمكاننا أن نورد إشارة تلخيصية، فيها شيء من العزاء، فحواها أن من الأمور الطبيعية أن يطلع في كلّ جيل مجموعة من مبدعين جدد يقدِّمون جديدهم ثم يتراجعون بالتدريج تحت وطأة السوق والإرث المكبّل والجمهور الذي – بطبيعته – يشكّل العنصر الأكثر مقاومة لكلّ ما هو جديد.

هذه الأجيال الجديدة التي نشير اليها هنا تأتي على شكل موجات، منها موجة القطاع العام في الستينيّات، مثلاً، وموجة الواقعية الجديدة في الثمانينيّات. ولعلّ في انطلاق جيل جديد – على تفاوت مبدعيه ومستوياتهم بل حتى طموحاتهم – في العام 2010 وقبله وبعده، ما يعزّز هذا التصوّر. كما تعزّزه أيضاً ديناميكية توقظ بعض "أساطين الماضي" وسط اندفاعة جديد الحاضر. وفي هذا الإطار، أمكننا هنا الإشارة إلى **داود عبد السيد** الذي قدم في "رسائل البحر" واحداً من أجمل أفلام العام 2010. وكذلك فعل **مجدي أحمد علي** في فيلمين متتاليين هما: "خلطة فوزية" (2009) ثم "عصافير النيل" في العام 2010. فإذا اضفنا إنتاج هذين المبدعين إلى "شوق" **خالد الحجر** و"احكي يا شهرزاد" (بعد "جنينة الأسماك") **ليسري نصرالله**، ومحاولة **خالد يوسف** لتقديم معادل معاصر لـ"عودة الابن الضال"، في "دكان شحاتة"، قبل أن يسجل تراجعاً في "كلمني شكراً" – وهو ما حدث **لمروان حامد** الذي سجل في "إبراهيم الأبيض"، تراجعاً بيّنا عن "عمارة يعقوبيان" –، يصبح لدينا ذلك التمازج – زمنياً – بين جيلين متعاقبين، يزيد في حدّة "انتقالية" هذا العام. وهي زيادة يعززها ما حدث في مجال "البطولات"، حيث يمكننا أن نقول إن هذا العام سجّل تراجعاً كبيراً في "شعبية" (ولنقل بالأحرى "جماهيرية") نجوم الهزل، الذين كانوا قد طغوا على السينما المصرية وإنتاجاتها خلال العشرين سنة الماضية. وهنا يكاد حديث الأرقام يقول كلّ شيء: فإذا كانت مداخيل معظم الأفلام المسماة "مستقلة" قد بدت معتدلة بحيث إن الكلفة الضئيلة لإنتاج مثل هذه الأفلام – غالباً من دون نجوم مرتفعي الأجر –، مهدت الطريق لأن تعرض من دون خسارات مالية كبيرة، حتى وإن لم يتدافع الملايين لمشاهدتها، فإن الكلفة الباهظة لأفلام "نجوم" من طينة **محمد سعد ومحمد هنيدي وأحمد حلمي**، جعلت معظم أفلام هؤلاء تخسر مالياً. وفي هذا الإطار يكون من الدلالة بمكان أن يكون **أحمد حلمي**، الذي اعتبر خلال العامين الماضيين واحداً من سادة "الشباك" دون منازع، قد أتى ثانياً، في ترتيب ارتفاع دخل أفلامه، بـ17 مليون جنيه، وراء "الزهايمر" لعادل إمام الذي حقّق حتى آخر أيام العام 2010، أكثر من 18 مليون جنيه إيرادات. لسنوات قليلة مضت، كان هذا يبدو مستحيلاً، حيث كان كوميديون من نمط **هنيدي ومحمد سعد** (**اللمبي**)، يتجاوزون **عادل إمام** كثيراً في إيرادات أفلامهم.

فإذا كان العام 2010 قد بدا انتقالياً على صعيد التبادل بين السينما السائدة والسينما "المستقلة"، وبين سينما المخرج وسينما المؤلف، وسينما الطرح الجدّي والجديد، وسينما الترفيه الخالص، فإنه – وبالتأكيد أيضاً – كان انتقالياً على صعيد خارطة النجوم والمداخيل، ما يعني أن تضافر هذه "الانتقالية" مع الوقائع الجديدة التي سوف تبرز بالتأكيد في العام التالي 2011، سيظهر فعالية هذه الانتقالية والسمات الأساسية الممهدة لمستقبل السينما المصرية.

ولعل في إمكاننا هنا، أخيراً، أن نورد جملة

تجاوز عدد المؤلفين والمخرجين الذين دخلوا عالم ممارسة السينما خلال العام، أيّ عدد سبق أن ظهر خلال أيّ عام واحد في التاريخ الحديث للسينما المصرية: إذا استثنينا العام 2009 ففي الكتابة وحدها ظهر 7 كتّاب جدداً. وفي مجال الإخراج حقق 7 مخرجين جدداً أفلامهم الأولى في هذا العام.

من الحقائق والملاحظات، التي من المؤكد أنها سوف تتبلور، شكلاً ومضموناً، في العام المقبل بحيث تشكّل الأسس التي ستكون عليها صورة السينما المصرية خلال عام الثورة. وهذه الملاحظات التي لا بدّ من تتبعها بدقة هي في شيء من الإختصار:

* الجرأة في طرح المواضيع الاجتماعية في العدد الأكبر من أفلام 2010، بما في ذلك خرق العديد من المحظورات، خرقاً ما كان يمكن له أن يتحقق لولا تساهل أبدته الرقابة ولفت الأنظار حقاً، وأزال الخوف من نفوس المهتمين الذين كان أقلقهم إبعاد **علي أبو شادي**، اللّيبرالي النزعة، عن جهاز الرقابة قبل سنوات قليلة.
* تجاوز عدد المؤلفين والمخرجين الذين دخلوا عالم ممارسة السينما خلال العام، أيّ عدد سبق أن ظهر خلال أيّ عام واحد في التاريخ الحديث للسينما المصرية: (إذا استثنينا العام 2009 الذي كان مدهشاً في استثنائيته على أيّ حال). ففي الكتابة وحدها ظهر 7 كتّاب جدداً. وفي مجال الإخراج حقق 7 مخرجين جدداً أفلامهم الأولى في هذا العام (كان العدد تسعة في العام السابق).
* غاب عن هذا العام ذلك الفيلم الضخم، نوعياً أو كمياً، الذي كان من شأنه أن يشكّل حدثاً استثنائياً. وحتى فيلم "زهايمر" **لعادل إمام**، والذي حقق عودة ضخمة، وتجديد شباب، لهذا النجم العائد – تقريباً –، لم يشكل ظاهرة كالتي شكلها قبل سنوات قليلة "فيلماه" "عمارة يعقوبيان" ثم "حسن ومرقص" – علماً بأن تاليهما "بوبس" مرّ مرور الكرام كما يبدو.
* في النهاية، يمكن القول إن العام 2010، كان عام توازن مدهش، لايطغى فيه نوع على نوع، ولا إيراد على إيراد. فكما أشرنا، كان الجيد والأقل جودة والسيئ، على توازن، كمّي ونوعي، وكان التوازن بين القدامى والجدد (من مبدعين في الإخراج والكتابة والتمثيل) واضحاً. والتوازن بين الإيراد والمصروف أقرب إلى التوازن. ناهيك بأن التوازن الإيجابي بين الجيد في **مصر** والجيد في **المغرب** والجيد في بقية الإنتاجات العربيّة، كان مضموناً، كما أن التوازن بين نجاحات الدراما التلفزيونية والأفلام السينمائيّة كان جليّاً. وفي يقيننا أن كلّ ضروب التوازن هذه تأتي لتعطي العام 2010 السينمائي في **مصر**، مزيداً من البعد الانتقالي.

السينما المغربية: أجيال تنطلق وسينما تفرز جمهورها

من يريد أن يعرف "كلّ شيء" تقريباً عمّا ينتجه **المغرب** من أفلام سينمائيّة، طويلة أو قصيرة، خلال عام كامل، ليس عليه أن يبحث ويصول ويجول طويلاً. فثمة في **طنجة** في أقصى الشمال الغربي المغربي، مهرجان سنوي يخفّف من "صعوبة" المهمة، وذلك لأنه، وتحت اسم "المهرجان الوطني للسينما"، يعرض كلّ ما أنتج في **المغرب** من شرائط. من هنا، يكاد حضور دورة العام 2011، من المهرجان (والتي عرضت أوائل هذا العام، إنتاج العام السابق)، يشكّل استعراضاً متكاملاً للحالة السينمائيّة المغربيّة، خلال عام. أما الجهة التي تقيم المهرجان، وهي "**المركز السينمائي**" **المغربي**، فإنها – على أيّ حال – الجهة التي تولّت طوال العام إنتاج القسم الأكبر من الأفلام ما أوصل عدد الأفلام الطويلة إلى "رقم قياسي" تاريخي في هذا البلد: 19 **فيلماً** طويلاً، وعدداً كبيراً (يتراوح بين 40 و60) من الأفلام القصيرة. ما يعني، قبل أيّ شيء آخر أن السينما المغربية باتت الثانية، كميّاً، وربما الأولى نوعياً، بين السينمات الإفريقية، بعد مصر. والحقيقة، أن ثمة من بين النقاد المغاربة من يرى الآن أن السينما المغربية باتت تنتج أفلاماً "تتفوق، في اللّغة والشكل، حتى على أكثر

ما هو متقدّم في السينما المصرية". وهذا كلام يبدو قابلاً للنقاش وحتى مستحقاً له. ومن المفيد القول إن هذا النقاش يشكّل جزءاً كبيراً وأساسياً من الحياة السينمائيّة المغربية اليوم، وتحديداً، منذ النهضة التي بدأت قبل سنوات والتي نتجت، من ناحية، عن التفات السلطات الرسمية إلى الفن السينمائي داعمة إياه، ومؤمّنة له حماية سياسية وفكرية في وجه أعداء كثر له. ومن ناحية ثانية، عن تسلُّم الناقد المعروف **نور الدين صايل** مقدرات السينما المغربية، إنتاجاً ومهرجانات، فقفز الإنتاج من 4–5 أفلام سنوياً، إلى ما يقرب من20 (في السينما الطويلة وحدها)، وتمّ تعريب **مهرجان مراكش** وراحت تزدهر بقية المهرجانات. هذا كلّه قد يبدو اليوم، حتى لأيّ مراقب منصف، من البديهيات. ومع هذا – في عودة إلى **طنجة** ومهرجانها الوطني – لايخلو الأمر من سجالات واحتجاجات تشغل أيام المهرجان حتى وإن كان قد لوحظ هذا العام أن الهموم السياسية العربيّة بدت أكثر طغياناً. ذلك أن "صدف التاريخ" جعلت أحداث **تونس ولبنان ومصر** تواكب المهرجان لتكشف عمق اهتمام الطبقة السينمائيّة المغربية بما يدور في **البلدان العربيّة**.

السينما المغربية باتت الثانية، كمياً، وربما الأولى نوعياً، بين السينمات الإفريقية، بعد مصر.

مهما يكن، فإن الهمّ السياسي لم يمنع من احتدام السجال حول الأفلام في شكل زاد من حدته أنه إذا كان هناك فرح بالكمّ الإنتاجي السنوي الذي بات يضع **المغرب** في موقع متقدّم بين الدول المنتجة، فإن ثمة في المقابل قلقاً عاماً يتعلق بالمستوى الذي يبدو هذا العام في شكل خاص متراجعاً عن أعوام سابقة وعلى الأقل في مجال الأفلام الطويلة، حيث لوحظ أن المستوى العام للأفلام القصيرة أتى أرفع بشكل عام. كان السؤال الحائر أمام ما لايقلّ عن نصف الأفلام المتسابقة ليس كيف أدخلت إلى المسابقة بل كيف أنتجت أصلاً وكيف حدث أن عددها في ازدياد نسبة إلى مجموع ما أنتج هذا العام، والأدهى من هذا أن بعض هذه الأفلام ("خمم" لعبدالله تكونة و"ميغيس" لجمال بلمجدوب و"الخطاف" لسعيد ناصري) نال تصفيقاً من الجمهور العادي، فيما كان أهل السينما والنقاد يندّدون بها. مهما يكن، فإن الجواب الوحيد الذي سطّره ناقد مغربي راح يسخر من الأمر كلّه كان: إننا في حاجة إلى كلّ شيء كي نصنع عالماً.

وهذا صحيح على أيّ حال. **فالمغرب** اليوم يريد أن يحقّق إنتاجاً سينمائيّاً متشعباً وحقيقياً بعدما أسهم طليعيّو سينمائيّيه في الحقب السابقة في صنع سينما تنتمي إلى الثقافة السينمائيّة. هؤلاء لهم اليوم مكانهم ومكانتهم، غير أن كثراً منهم إذ يتأملون ثلاثة أو أربعة من قدامى السينمائيّين المكرمين في حفل الافتتاح، يحسّون بشيء من الرعب: يخافون أن يصبحوا بدورهم مكرّمين أي متحفيّين، وبالتحديد تحت وطأة زحف جيل سينمائي جديد يبدو في بعض الحالات متميزاً إلى درجة يبدو معها القدامى غير قادرين على تتبع ما يحققون!. وكذلك تحت وطأة ردود الفعل التي تكون من نصيب مخضرمين إذ يصرون على الاستمرار في تحقيق أفلامهم حتى وإن أوصلهم ذلك إلى حافة الفشل.

فلسطين والمخضرمون

بالنسبة إلى الحال الثانية يبرز مثال المخرج المخضرم **عبدالله المصباحي**، الذي على الرغم من بلوغه التسعين وأمراضه وعدم قدرته على الحركة، لايزال مصرّاً على استكمال طريق سينمائي لم يحقق أيّ نجاح في أيّ يوم. وها هو هنا يشارك بفيلم طويل "يعدنا" بأنه فاتحة "ثلاثية" عن **فلسطين**. هذا الفيلم يحمل عنوان "القدس حيّ المغاربة" وهو، نظرياً على الأقل، يتطلّع إلى سرد حكاية حيّ في مدينة **القدس** كان **صلاح الدين** أقطعه لمقاتلين أتوا من المغرب في تلك الأزمان لمشاركته القتال. ويربط الفيلم تلك التسمية بكون **المغرب** في شخص ملكه رئيساً للجنة **القدس** في زمننا هذا. كلّ هذا منطقي وكان في إمكانه أن يصل إلى حكاية نزيهة لطيفة حول شخصيات محورية تعود من **فلسطين** إلى **المغرب** تحت ضغط الأحداث. وهذا موجود في الفيلم ولكن إلى جانب أطنان من النوايا الطيبة لمخرجه وأطنان من المواقف الوطنية. ومع هذا يبرز سؤال أساسي عمّا يفعله فيلم كهذا بين أفلام ينتمي معظمها إلى أجيال جديدة من السينمائيّين وربما إلى حداثة سينمائيّة لاشكّ في فاعليتها. غير أن هذا كلّه لن يعفينا من الإشارة إلى أن هذا "الفيلم الديماغوجي" – بحسب وصف بعض النقاد له – نال من التصفيق أكثر ممّا ناله أيّ فيلم آخر، وبالطبع أكثر كثيراً ممّا ناله الفيلم المغربي الآخر عن **فلسطين**. عنوان الفيلم الآخر هذا هو "أرضي" ويدور تحديداً حول أرض **فلسطين** في لغة وثائقية تخرج إلى حدّ ما عن المألوف. ذلك أن مخرج الفيلم **نبيل عيوش**، الذي صار منذ سنوات أحد أبرز المخرجين ثم المنتجين في السينما المغربية، أراد هنا أن يقدّم إسهاماً جديداً عن **فلسطين**. وبالتحديد إسهاماً ينتمي إلى الزمن الراهن. فأخذ كاميراه وفريق عمله ليشتغل في منطقتين تقعان على جانب وآخر من الحدود بين **لبنان وإسرائيل**: صوّر، في مخيمات اللّجوء الفلسطيني في **لبنان**، فلسطينيّين يتحدثون عن أوضاعهم الراهنة كما عن ديارهم الفلسطينيّة السليبة وعن حنينهم، ثم عبر الحدود ليتحدث إلى إسرائيليّين من أجيال متنوّعة، ولاسيما من أجيال الشباب، طالباً منهم أن يعلقوا على المشاهد التي التقطها للفلسطينيّين. وكانت النتيجة مدهشة لأن المشاهد الفلسطينية أثّرت بالفعل على بعض الإسرائيليّين الذين عرضت أمامهم، ولكن ليس إلى حدّ إحداث أيّ تغيير في الذهنيات.

بالنسبة إلى الغالبية، ليس ثمة مكان في هذا "السرير" إلا لحلم واحد، ولئن كان الفريقان يسميان الأرض نفسها باسم واحد مشترك هو "أرضي" – ومن هنا عنوان الفيلم – فإن ياء النسبة في الكلمة تختلف جذرياً بحسب ناطقها. جميل ورائع الصورة من الناحية التقنية فيلم **نبيل عيوش** هذا، لكنه قاسٍ ومحبط تماماً من الناحية السياسية. وهو بالتالي واحد من أصدق الأفلام التي حققت عن **فلسطين** في الآونة الأخيرة وبالتالي لن يعجب كثراً. هو من السينما التي تفرز متفرجيها ما يجعله النقيض التام وعلى المستويات كافة لفيلم **عبدالله المصباحي**.

إن الانطباع الأول الذي يخرج به المراقب "الأجنبي" بعد متابعته القسم الأكبر من الأفلام المغربية المحققة العام2010،هو أن السينما في **المغرب** وصلت، أخيراً، إلى سنّ الرشد. والوصول إلى هذه السنّ لايعني بالتأكيد حكماً قيميّاً، بل استخلاصاً لوضعية تنتقل فيها هذه السينما من "الهواية" – بغثها وسمينها – إلى "الاحتراف" – بغثه وسمينه –. فاليوم لم يعد ظهور فيلم مغربي جديد، حدثاً يجب التعامل معه برفق ورعاية. بل صار جزءاً من واقع ثقافي – إبداعي – صناعي، ينقسم الإنتاج فيه إلى أعمال ستعيش وتشكّل جزءاً من تاريخ ما، وأعمال ستنسى فور ظهورها، وبين الفئتين أعمال ستلقى إقبالاً من الجمهور العريض مهما بالغ النقاد في "شتمها" والتساؤل عما جاءت تفعله وسط إنتاج يعتبر نفسه وريثاً لممارسة سينمائيّة جدية حاولت جهدها طوال أكثر من نصف قرن أن تقول بصدق ماتريد قوله، من دون أن تجد نفسها مجبرة على تقديم تنازلات لـ "جمهور" لم يكن له وجود أصلاً. ثم حين وجد هذا الجمهور بوفرة متفاعلاً مع إنتاجه السينمائي "الوطني"، حقّق نجاحاً لأفلام لايمكن القول إنها حملت كثيراً من التنازل على صعيد المستوى ("حب في الدار البيضاء" **لعبد القادر الأقطع**، "عابر سبيل" أو "البحث عن زوج امرأتي" **لمحمد عبدالرحمن التازي**، أو "شاطئ الأطفال الضائعين" **لجلالي فرحاتي**، قبل أن تنفجر أفلام **نبيل عيوش**... إلخ).

بلوغ السينما المغربية "سن الرشد" يتضمّن أمرين: وجود هامش كبير لكلّ أنواع التجريب على صعيد اللّغة السينمائيّة والمواضيع، وبروز جيل جديد من السينمائيّين لا يدينون بشيء للجيل السابق عليهم.

مهما يكن من أمر، فإن الصورة اليوم،



في إنتاج العام 2010، تبدو أكثر وضوحاً في ذلك الفرز بين أعمال متفاوتة المستوى والمواضيع، ومتفاوتة بخاصة على صعيد لعبة التلقّي نفسها. أما السمة الأبرز هنا، والتي تغري المرء بالحديث عن "بلوغ سن الرشد"، فأمران أساسيّان بين أمور عدّة أخرى: وجود هامش كبير لكلّ أنواع التجريب على صعيد اللّغة السينمائيّة والمواضيع المستلهمة وحضور المرجعيّة السينمائيّة – على حساب كلّ مرجعيّة أخرى –، من ناحية، ومن ناحية أخرى بروز جيل جديد من سينمائيّين قدّموا هنا أفلامهم الأولى وهم يتحلقون حول عامهم الثلاثين، ولايبدو أنهم يدينون بأيّ شيء للجيل السابق عليهم في السينما المغربية، سواء أكان جيلاً مؤسّساً، أم جيلاً وسطاً كان هو من رسخ السينما المغربية هذه وفرض حضوراً قوياً لها في المجتمع المغربي كما على خريطة السينما العالمية أحياناً. واللافت حقاً هو أن أبناء هذا الجيل هم الذين حصدوا الجوائز الأساسية في المهرجان الطنجاوي، كما حصدوا التصفيق وإعجاب النقاد. كان الفوز من نصيب أفلام أولى أو ثانية لأصحابها، في شكل عام، حتى وإن سجّل فوزاً مميّزاً لـ "مخضرمين"، هما **حكيم بلعباس ونبيل عيوش**، الأول إذ نال الجائزة الكبرى عن "أشلاء"، والثاني إذ نال غير جائزة أساسية عن عمله الجديد "أرضي". ولعل اللافت أكثر، حقاً، هنا هو أن هذين الفيلمين ينتميان إلى "السينما الوثائقية" حتى وإن كان كلّ من مخرجيهما قد اختار لعمله حلولاً جمالية تتجاوز ما هو معروف عن اللّغة الوثائقية، شكلاً ومضموناً.

السينما في المغرب وصلت، أخيراً، إلى سنّ الرشد. والوصول إلى هذه السنّ لايعني بالتأكيد حكماً قيمياً، بل استخلاصاً لوضعية تنتقل فيها هذه السينما من "الهواية" – بغثها وسمينها – إلى "الاحتراف" – بغثه وسمينه.

السينما المغربية تعيش اليوم ديناميكية مدهشة، خصوصاً على صعيد إنتاج الأفلام، على الرغم من وجود نقاشات متواصلة حول "نقاط ضعف فيها".

على صعيد مسألة الجيل الجديد (العشريني/ الثلاثيني)، يجدر التوقّف عند تلك الظاهرة التي (إذا استثنينا فيلم "الوتر الخامس" **لسلمى بركاش**، وهو فيلم كلاسيكي أنيق اشتغل بحرفية ماهرة وإدارة لافتة للممثلين، ما أهّله للفوز حقاً واستحقه فاتحاً الآفاق للنهل من خلفية موسيقية تراثية أصيلة على موضوع معاصر). نقول الظاهرة التي جعلت ثلاثة أو أربعة من أبرز ما عرض، وفاز، في المهرجان أفلاماً أولى لأصحابها، ونعني هنا تحديداً الشرائط الطويلة "النهاية" **لهشام العسري** و"فيلم" **لمحمد أشاور**، وفي درجة أقلّ بعض الشيء "أيام الوهم" **لطلال السلهامي**، ناهيك ببعض الشرائط القصيرة، ولاسيما تحفة **عادل الفاضلي** "حياة قصيرة" – والأفلام التي نتحدث عنها هي، (و يا للصدفة المدهشة ولو لمرّة في تاريخ لجان التحكيم!) فازت في نهاية الأمر بجوائز المهرجان جميعها، مع استثناءات نادرة.

من الواضح أن ما يجمع بين هذه الأفلام جميعاً، إلى كونها أعمالاً أولى أو أحياناً ثانية، لأصحابها الشبّان، هو انتماؤها إلى فنّ السينما مباشرة. وذلك من طريق لغة سينمائيّة تبدو مشتتة تنهل من حداثة سينمائيّة باتت راسخة في السينما المستقلة الأميركية كما في السينما الأوروبية الأكثر تقدماً. وكان في وسعنا أن نقول إنها غريبة تماماً عن السينما العربيّة في شكل إجمالي، لولا وجود سينما **إيليا سليمان** التي تماثلها في حداثتها وانتمائها المباشر إلى فنّ السينما، كما بعض النتاجات اللّبنانية والمصرية الهامشية. فالحال أن مشاهدة "النهاية"، حتى وإن كشفت كيف أن الفيلم، في لحظات كثيرة منه يحمل إحالات سياسية (عابرة، وأحياناً في شكل سريع جداً)، تحيلنا إلى نوع من السينما الأكثر جرأة في الإفلات من خطّية السرد وتراكمية الموضوع (نتذكر هنا "ترانسبوتنغ" لداني بويل وبخاصة "البرتقال الآلي" لستانلي كوبريك، من دون أن يسهو عن بالنا مغربية الموضوع المطلقة). إن أول ما يفكّر به المشاهد حين يرى "النهاية" بشكله المنفلت وجرأة موضوعه ومشاهده وقفزه فوق المكوّنات الكلاسيكية للسينما (غياب الموسيقى تماماً، غياب اللّقطات المتقابلة، خروج الحوار من الخطية التبادلية المباشرة)، هو أن فيلماً كهذا لا يمكن في الزمن الراهن تحقيقه إلا في

فضاء سينما مثل السينما المغربية، حيث تتجاور تسامحية الرقابة النسبية، مع إمكانية توفير تمويل للفيلم ما كان يمكن لغير دعم من **المركز الوطني للسينما** توفيره، ولكن من دون أن ننسى هنا بعض الاحتياط بالنسبة إلى الكيفية التي ستكون عليها ردود فعل المتفرجين المحتملين أنفسهم إزاء فيلم جريء صوّر بالأسود والأبيض غيّب اللّحظات الدرامية والعاطفية متعاملاً مع موضوعه ببرود مطلق. من هنا يمكن القول إن أخشى ما نخشاه هو أن يكون مصير هذا الفيلم عروضاً مهرجانية ومكانة متقدمة في تاريخ الأشكال السينمائيّة لا أكثر!

تجريبي أيضاً، وفي شكل مماثل ينهل هو الآخر من فنّ السينما، هو فيلم "فيلم" الذي – على شاكلة فيلم **إيليا سليمان** الأول "سجل اختفاء"، يتحدّث، تحديداً، عن صنع فيلم: عن رغبة مخرجه في صنع فيلم–. ومخرج هذا الفيلم هو بطله الذي يلعب دور مساعد مخرج في السينما "التقليدية" يسعى لكتابة فيلمه الأول والعثور على تمويل له، مع زوجته وصديقه. هو نوع من "العمل قيد الإنجاز" على طريقة **جيمس جويس** إلى حدّ ما، إنما بلغة ساخرة ناقدة مريرة، تختلط فيها الأنواع والمشاهد والحقيقي بالمتخيّل، والرغبة بالواقع من طريق الكاتب/ المخرج الذي يروي لنا حكاية "صنعه" هذا الفيلم. غير أن هذا كلّه يشغل الساعة الأولى (تقريباً) من الفيلم، حيث نمسك أنفاسنا ونجدنا داخل عقل المخرج وصوره – على الرغم من توليف متعثّر في أحيان كثيرة –. ولكن بعد ذلك، وبعد فترة فراغ تتواصل نحو ربع الساعة تبدو ميتة تماماً وكأن المخرج لم يعد يملك ما يقول، يحاول هذا في النهاية استعادة موضوعه، لكنّه يغرق في تكرار ممل، لينتهي الفيلم وقد ضاع الجزء الأول (الرائع منه). السؤال هنا: طالما أن السينما الجديدة تخرج عن قيود زمن العرض التقليدي بين ساعة ونصف الساعة وساعتين، ألم يكن في وسع محمد أشوار أن يوقف فيلمه عند نهاية ساعته الأولى؟ لو فعل لكنّا، بالفعل، أمام عمل مميّز.

هذا الاقتصاد عرف كيف يحقّقه **عادل الفاضلي** في فيلمه القصير "حياة قصيرة". فهذا الفيلم الذي لاتتجاوز مدّة عرضه 16 دقيقة، قال في لغة نابضة سريعة ومشاهد ساخرة ذات دلالة، حكاية حياة بأكملها، هي "حياة" شخص ولد تحت شعار النحس وأمضى حياته متنقلاً من بؤس إلى بؤس. غير أن الهام هنا هو أن الفاضلي قال من خلال تلك الحياة وفي دقائق الفيلم القليلة، تاريخاً ما لبلده وشعبه، بواسطة راو وكاميرا ولغة يكاد لا يشبهها شيء في أيّ سينما عربيّة نعرفها، ولاحتى في أيّ فيلم مغربي سابق. ومع هذا، جاء الفيلم مغربياً يمكن لكلّ مشاهد أن يتعرّف إلى جزء من نفسه وتاريخه فيه وسط عبق من السخرية من الذات.

فيلم عادل الفاضلي "حياة قصيرة"، الذي لاتتجاوز مدة عرضه 16 دقيقة، كان بمثابة تحفة سينمائيّة.

على عكس هذا البعد تماماً يأتي الفيلم الأخير – بالنسبة إلينا – من هذه المجموعة "أيام الوهم" **لطلال السلهامي**. فهنا نحن أمام فيلم عولمي، شكلاً وموضوعاً. فيلم يدور في اللامكان وفي أيّ مكان، ولامرجعية له سوى مرجعية الفنّ السابع نفسه (يحفل الفيلم بتحيات مشهدية عابرة موجهة إلى أساتذة الماضي مثل **ستانلي كوبريك وسيرجيو ليوني**)، ويبدو في لحظات منه أشبه بالسينما الآسيوية. فهو يتحدث عن مجموعة من شبّان تستدعيهم شركة متعولمة تمركزت حديثاً في **المغرب**، لشغل وظيفة هامة، وتجري بينهم مباراة شديدة الغرابة والقسوة، يجب أن تنتهي باختيار واحد منهم. والحال أن هذا التلخيص بالكاد يعطينا فكرة عن هذا الفيلم الجريء الذي يمزج بين الكابوس والواقع، ولكن أيضاً بين كونه مصوراً في فضاءات طبيعية رحبة، وأيضاً في مناخ من المكان المغلق. في هذا الفيلم، الذي يمكن النظر إليه أيضاً على أنه ينتمي إلى "السينما عن السينما"، عرف

المخرج في شكل خاص كيف يدير ممثليه في شكل خلّاق كما عرف كيف يضبط إيقاع الفيلم. ولم يكن غريباً، على أيّ حال، أن يفوز "بطلا" الفيلم الرئيسيّان **مريم الراوي** و**عمر لطفي** بجائزة التمثيل في المهرجان (حتى وإن كان عمر لطفي قد فاز بالجائزة عن فيلم آخر مثّل فيه، وعرض في المهرجان نفسه).

ومن المؤكّد هنا أن السينما المغربية، بالأفلام التي توقفنا عندها أو تلك التي مررنا بها سريعاً، سينما تعيش اليوم ديناميكية مدهشة، وبخاصة على صعيد إنتاج الأفلام (في العام 2010، تحقّق المخطّط المبدئي الذي كان يتحدّث أوائل العام عن إنتاج عشرين فيلماً طويلاً، وضعفها من الأفلام القصيرة). لكن، في المقابل، ثمة دائماً نقاشات حول "نقاط ضعف" تتعلق بتراجع الثقافة السينمائيّة نفسها، وحركة نوادي السينما التي كانت ذات حين في ذروة حضورها، خصوصاً على صعيد الصالات. فإذا كان صحيحاً، أن الجمهور المغربي يقبل أكثر وأكثر على مشاهدة الأفلام المغربية (350 ألف متفرّج في العام 2010)، فإن السؤال يطرح حول تراجع عدد الصالات، ولاسيما في الأرياف، حيث من أصل أكثر من 400 صالة كانت موجودة في **المغرب** في الستينيّات، موزّعة بشكل منصف بين المدن والأرياف، لم يعد ثمة اليوم أكثر من 71 صالة. وفي مقابل هذا التراجع، يعرف **المغرب** تطوّراً في عدد الأفلام الأجنبية ونوعيّتها (الأميركية بخاصة) التي تصوّر في **المغرب** لتضحى أشبه "بمدرسة" للتقنيّين، "تخرّج" العشرات منهم ما يرفد السينما المغربية بأجيال متعاقبة من هؤلاء التقنيّين، الذين سرعان ما نجدهم يسهمون في النهضة السينمائيّة المغربية. هذا كلّه هو محور النقاشات السينمائيّة المغربية في هذه الأيام، بقدر ما تشكّل الأفلام ومواضيعها محوراً أساسياً أيضاً، خصوصاً أن هذه المواضيع، مع الانفتاح السلطوي تبدو أكثر وأكثر جرأة، ولاسيما في تناول الحاضر والماضي المغربيّين، بالنقد والكشف (كما في أفلام مثل "فينك الأيام" **لإدريس شويخة**، و"الجامع" **لداود ولاد السيد**، و"عند الفجر" **لجيلالي فرحاتي**، وبخاصة "ولاد البلد" **لمحمد اسماعيل** و"منسيو التاريخ" **لحسن بن جلون**)

إذا كان صحيحاً، أن الجمهور المغربي يقبل أكثر وأكثر على مشاهدة الأفلام المغربية (350 ألف متفرّج في العام 2010)، فإن السؤال يطرح حول تراجع عدد الصالات، حيث من أصل أكثر من 400 صالة كانت موجودة في المغرب في الستينيّات، لم يعد ثمة اليوم أكثر من 71 صالة.

السينما الجزائرية: عودة موؤودة إلى أمجاد الماضي

ثمة أمر جدير بالتنويه ذات يوم بين بداية ستينيّات القرن العشرين، أي بعد حقبة يسيرة من استقلال **الجزائر**، وأواسط السبعينيّات، ولدت بالتدريج وغالباً من رحم الاستقلال، سينما عربيّة في هذا البلد وصلت في بعض مراحلها إلى أن تشكّل منافساً رئيساً للسينما المصرية، أمّ السينمات العربيّة بلا منازع. ولم تكن تلك المنافسة على النوعية فقط، بل كانت أيضاً من الناحية الكمية. لا بل راحت **الجزائر**، ذات لحظة، تدعم أفلاماً مصرية ومشرقية بشكل عام وتلتفت حتى ناحية قضايا **المشرق العربي**، من قضية **فلسطين** إلى الحرب الأهلية اللّبنانية التي اندلعت العام 1975، فكان **للجزائر**، تحديداً من خلال فيلم "نهلة" **لفاروق بلوفة**، مساهمة رئيسة في سينماها. كذلك لابأس من التذكير مرّة أخرى بأن الإنتاج الجزائري الرسمي قدّم إسهاماً كبيراً أيضاً في انبعاث السينما السياسية على المستوى العالمي، بدءاً من فيلم "زد" **لكوستا غافراس**. ولئن كان قد أخذ على الأفلام الجزائرية التي حقّقت حتى أواسط عقد السبعينيّات كونها لم تعرف كيف تبارح قضايا الثورة وبطولاتها، فإن أفلاماً "مبكرة" مثل "الفحام" **لمحمد بوعماري** و"نوة" **لعبدالعزيز الطلبي**، ثم لاحقاً "وقائع سنوات الجمر" **لمحمد الأخضر حامينا** (السعفة الذهبية في **مهرجان "كان"** 1975) وبخاصة "عمر قتلته" **لمرزاق علواش**، أتت لتعكس الآية مقدّمة أسئلة ومرافعات حول واقع ما بعد الثورة، ولكن أيضاً حول

جذور الثورة (كما حال فيلم الأخضر حامينا المذكور).

على هذا النحو إذاً، يبدو تاريخ السينما الجزائرية شديد التنوّع الآن، إن نحن رصدناه، بشكل دقيق. ويبدو لنا وكأنه تاريخ تباطأ في الحدوث لكنه خلّف عشرات الأعمال، وكذلك عشرات الأسماء الكبيرة في عالم الفن السابع. والحقيقة أنه إذا كان متوقّعاً مع ظهور فيلم "عمر قتلته" (1976) والنجاح الهائل الذي حقّقه، نقدياً وجماهيرياً، وفي الداخل كما في الخارج على السواء، أن يكون ذلك منطلقاً لعصر سينمائي جديد وصل إلى سنّ الرشد وصار مرتبطاً بأسماء مبدعين انتشرت على الصعيد المحلّي والعالمي، فإن الذي حدث كان عكس ذلك. غير أن الذنب لم يكن ذنب السينمائيّين أنفسهم، بل ذنب الأوضاع السينمائيّة الجزائرية نفسها. والتي، إذ حصرت الإنتاج في يد السلطات الحكومية وشركاتها ومعاملها، خلقت ارتباكاً كبيراً منذ نهاية السبعينيّات مع ارتباك الأوضاع السياسية والسلطوية بعد رحيل **هواري بومدين** رئيس **الجزائر** الذي بموته ختم مرحلة من التطوّر الثقافي والاجتماعي والسياسي في **الجزائر**.

طبعاً لا يمكن القول هنا إن الإنتاج السينمائي انتهى مع ذلك الرحيل، بل هو تواصل وإن بوتائر سنويّة أقل، في وقت راح فيه أصحاب الأسماء الكبيرة في السينما الجزائرية يصمتون أو يرحلون لأسباب متعدّدة، وغالباً إلى **فرنسا** "البلد المستعمر سابقاً" والذي فتح ذراعيه للسينمائيّين الجزائريّين يقيمون فيه ويعملون. ولعلّ خير معبّر عن هذه الصورة فيلم "وداعاً يا ابن العم" **لمرزاق علواش**، الذي حقّقه هذا المخرج في **فرنسا**، بعدما "أنهى" وجوده الجزائري – مؤقتاً طبعاً – بتحقيق فيلم عن شاب جزائري يضطر للهجرة إلى **فرنسا** لعدم قدرته على التأقلم مع سلطة دينيّة متشدّدة هيمنت على المجتمع الجزائري حتى من دون أن تهيمن على السلطة السياسية في هذا البلد. وكان ذلك الفيلم "حومة باب الواد" الذي بدا أشبه بإعلان عن عدم إمكان مواصلة العيش والإنتاج في الوطن.

بعد "باب الواد سيتي" و "سلاماً يا ابن العم" حقق **علواش** عدداً من الأفلام في الخارج، فيما كان عدد من كبار السينمائيّين الجزائريّين صامتين محاولين العودة إلى وراء الكاميرا بين الحين والآخر: من **فاروق بلوفة** إلى **أحمد الراشدي**، ومن **عبدالعزيز** طلبي إلى **محمد الأخضر حامينا**، مقابل أجيال راحت تتوالى، داخل **الجزائر** وخارجها أيضاً، ضمن وتيرة إنتاج متفاوتة بين عام وآخر. غير أن المحصلة بعد ربع قرن بدت أقرب إلى السلبية، كمّاً ونوعاً. ولكن، بما أن كلّ شيء له نهاية، كان لا بدّ للسينما الجزائرية من النهوض من جديد. ولربما كان هذا مرتبطاً ببعض ليبرالية اتّسم بها الحكم في **الجزائر** خلال السنوات الأخيرة، أو ببعض رغبة لدى السلطات في الاستعانة بالسينما لمحاربة تشدّد كان المجتمع الجزائري قد بدأ يضيق به جدياً. وعلى هذا النحو، شهدت السنوات الخمس السابقة إعادة إحياء بنى الإنتاج السينمائي في **الجزائر**، وصولاً إلى تكريس ميزانية ضخمة قبل ثلاث أو أربع سنوات لمناسبة اعتبار **الجزائر** عاصمة ثقافية. ولقد مكّن جزء من هذه الميزانية عدداً لابأس به من السينمائيّين من تحقيق أفلام كان المأخذ على معظمها أنها عادت لتتحدّث عن الثورة الجزائرية بمنطق المليون شهيد وما إلى ذلك، متخطية مئات المشكلات التي يعاني منها البلد بعد نصف قرن من الحصول على الاستقلال. ومتخطية مستويات إبداعية حقيقية كانت السينما الجزائرية وصلتها، وكذلك وبخاصة هنا، متناسية إبداعات سينمائيّة حقيقية كان توصّل إلى إنتاجها جيل بأكمله من مبدعين جزائريّين ظهروا في الخارج وفي **فرنسا** بخاصة.

غير أن تلك الفورة "الرسمية" و"الثورية"

يبدو لنا تاريخ السينما الجزائرية شديد التنوّع الآن. تاريخ تباطأ في الحدوث، لكنه خلّف عشرات الأعمال وكذلك عشرات الأسماء الكبيرة.

سرعان ما همدت، من الناحية الكمية، ليعود كثر من السينمائيّين الجزائريّين، إلى البطالة. أما الذروة في هذا المجال فكانت في العام 2010، حين انتهى هذا العام السينمائي، وليس في سجل السينما الجزائرية سوى فيلمين جديدين، ناهيك بإنتاج مشترك مع **تونس**، هو فيلم "النخيل الجريح" **لعبد اللّطيف بن عمار**، وهو فيلم يتحدّث عن **معركة بنزرت** في **تونس** في العام 1961، والتي اعتبرها الفيلم – كما التاريخ الحقيقي – همّاً مغاربياً مشتركاً. قد يكون صعباً هنا الحديث عن أهمية الفيلم (الذي نتحدث عنه في سياق السينما التونسية) غير أن اللافت حقاً فيه، هو أنه يسجّل عودة ما، إلى الإنتاج المشترك بين بلدان عربيّة متجاورة، ما يفتح في هذا السياق آفاقاً جديدة وسعيدة.

هنا، وفي عودة إلى الإنتاج الجزائري السينمائي في العام 2010 تجدر ملاحظة أنه يكاد يقتصر على اسمين فقط، من بين عشرات الأسماء التي عرفتها السينما الجزائرية، داخلياً وخارجياً، على مدى تاريخها. فمن ناحية، لدينا **مرزاق علواش** (الذي، كما أشرنا أعلاه، افتتح السينما الجزائرية الجديدة قبل نحو ثلث قرن بـ"عمر قتلته") وفيلمه "حراقة" الذي حقّقه العام 2009 وعرضه في العام الذي نحن في صدده (2010). وفيه يعود إلى مسألة الهجرة التي شغلت سينماه طويلاً. ولكن هذه المرة، في تركيز على هجرة أخرى، من نوع لم يكن قد بدأ يطفو، بعد، على السطح قبل ثلث قرن: هجرة الشباب بحراً وسراً، إلى **أوروبا** بحثاً عن عيش وآفاق بدلاً من تلك التي باتت مسدودة في أوطانهم. طبعاً نعرف أن ليس ثمة ما هو جديد في هذا الموضوع الذي تناولته سينمات أفريقية، وإيطالية أيضاً، بشكل وافر خلال السنوات الأخيرة. غير أن **علواش** بتقنيته المميّزة، تمكّن – على الرغم من عادية الطرح وضعف السيناريو – من تسخير لغته السينمائيّة والحسّ الشعبي الذي باتت سينماه تتميّز به، لتقديم المأساة الكونيّة الجديدة، في قالب سينما مغامرات يمكنها أن توصل الرسالة بشكل بسيط. ومن هنا حقّق فيلمه نجاحاً جماهيرياً، مقابل ردود الفعل النقدية التي لم تكن على المستوى نفسه من القبول، بل رأت في سينما **مرزاق علواش** كما عبّر عنها هنا، تراجعاً بيّناً عن سينماه القديمة.

> انتهى العام السينمائي 2010 وليس في سجل السينما الجزائرية سوى فيلمين جديدين، ناهيك بفيلم مشترك مع تونس هو "النخيل الجريح".

وفي المقابل، إذا كان **علواش** قد مثَّل "عودة" جيل قديم ما، من السينمائيّين الجزائريّين، بهذا الفيلم، فإن **رشيد بوشارب**، المبدع السينمائي الجزائري الآخر (الذي عمل وعاش معظم حياته حتى الآن في **فرنسا**، محققاً فيها وفي **أميركا** "باتون روج" حيناً وفي **لندن** "نهر لندن" حيناً آخر بعض أفلامه المميّزة) كان أكثر توفيقاً من **علواش** في آخر ما حققه واعتبر فيلماً جزائرياً على الرغم من أن جزءاً كبيراً من الإنتاج كان فرنسياً. ونتحدث هنا عن فيلم "خارجون عن القانون" الذي كاد يكون ملحمة سينمائيّة حقيقية عن جانب من جوانب تاريخ الثورة الجزائرية. ففي هذا الفيلم الذي لم يتوقف منذ عروضه الأولى في "**كان**" 2010، عن تسجيل النجاح تلو الآخر، والفوز بالجائزة إثر الأخرى، عاد **بوشارب** إلى بدايات الثورة الجزائرية وبشكل يبدو متكاملاً مع واحد من أعظم الأفلام التي أرّخت لهذه الثورة، والذي سبقه إلى "**كان**" بثلث قرن، نعني "وقائع سنوات الجمر" **لمحمد الأخضر** حامينا الذي سبق وذكرناه). وإذا كان فيلم **الأخضر حامينا** نظر إلى تلك الثورة وبداياتها من الداخل، مركزاً على الصراعات الجزائرية/ الجزائرية بقدر تركيزه على الصراع الجزائري/ الفرنسي، فإن **بوشارب** فعل الشيء نفسه، ولكن انطلاقاً من نظرة إلى الخارج: من خلال ثلاثة شبان جزائريين اضطرهم عسف قوات الاحتلال إلى مبارحة الوطن، إما كجنود أو كعمال وما إلى ذلك. حتى عادوا والتقوا – بشكل أو بآخر – في **باريس** حيث صاروا جزءاً منٍ – وشاهداً على –الصراعات الجزائرية/ الجزائرية والجزائرية/ الفرنسية نفسه في

فرنسا ذاتها. جاء "خارجون عن القانون" فيلماً ضخماً، شائكاً في موضوعه إنسانياً في سماته وجوهره. ولئن أسلفنا أنه كاد أن يكون ملحمة فإننا نوضح هنا هذه الـ"كاد": حيث قبل عامين كان **رشيد بوشارب** نفسه، في فيلم أقل جزائرية وأكثر فرنسيّة، قد فاجأ العالم كلّه وأدهشه، في دنوه (الفنّي بامتياز والذي اعتبر كلاسيكياً إلى حدود قصوى)، بفيلم "السكان الأصليون"، الذي تحدث فيه عن واحد من أكثر المواضيع صعوبة بالنسبة إلى العلاقة بين الفرنسيّين والجزائريّين المقيمين في **فرنسا**: موضوع المصير البائس الذي كان من نصيب عشرات ألوف الجنود الجزائريّين (والأفارقة الشماليّين عموماً) الذين شاركوا في الحرب العالمية الثانية في صفوف القوات الفرنسية وقوات الحلفاء، فكان لهم دور أساسي في تحرير **فرنسا** من النازيّين، ومع هذا صاروا منسيّين تماماً في **فرنسا** بعد انقضاء الحرب العالمية الثانية، وباتوا مجرد قبور وأرقام، ليتحوّل أبناؤهم إلى هامشيّين وبائسين في فرنسا التي كان يخيّل إليهم أنهم أصبحوا جزءاً من تاريخها المجيد. نعرف طبعاً أن جائزة كبرى في "كان" كانت يومها من نصيب ممثلي الفيلم (وفي مقدمتهم **رشدي زم وجمال دبوس وسامي ناصري**). غير أننا نعرف أيضاً أن الرئيس الفرنسي، آنذاك، **جاك شيراك** أمر بعد أن شاهد الفيلم وسمع الضجيج السياسي والتاريخي الهائل الذي ثار من حوله، بإجراء تعديلات دستورية أعادت إلى سكان البلاد المُستعمَرة سابقاً حقوقهم على **فرنسا**.

اليوم، قد لانكون من محبّي أفلام **بوشارب** من ناحية. وقد نكون من الذين يفضلون سينما **مرزاق علواش** القديمة، على جديده (للعام 2010) "حراقة"، غير أن هذا وذاك لا يمكنهما أن يمنعانا، بالتأكيد، من القول إن هذين الفيلمين، كلّاً على طريقته، أعادا إلى السينما الجزائرية حيوية متجدّدة، وعوّضا معاً، عن خيبة كانت طاولت محبّي السينما الجزائرية إزاء البضعة عشر شريطاً التي كانت حققت خلال السنوات الأخيرة، من منطلقات رسمية، فلم تف بوعودها التي كانت، من الناحية الإعلامية، كبيرة. وكان حظها في ذلك كحظّ المهرجان السينمائي الأكبر الذي يقام، سنوياً، في مدينة **وهران** الجزائرية. فإذا كان هذا المهرجان قد أقيم بدءاً من العام 2005، قد يعيد إلى **الجزائر** وهجاً سينمائيّاً عربياً، فإن السنوات التي مضت على وجود هذا المهرجان لم تتمكّن من أن تثبت له أقدامه وتجعله في صف أول بين المهرجانات العربيّة، وذلك على الرغم من كلّ النوايا الطيّبة التي رافقت وجوده.

السينما التونسية : زمن الحرية يطرح أسئلة المستقبل وغموضه

إذا كانت السينما المغربية قد عرفت، خلال السنوات الأخيرة، نهضة مدهشة، فإن هذا الازدهار إنما جاء، كما رأينا، بعد سنوات مخاض عسيرة وطويلة. في المقابل، عرفت الجزائر حركة معاكسة حيث إن هذا البلد الذي ظهر، بعد استقلاله مباشرة، بلداً سينمائياً، ليس على مستوى الداخل فقط، بل على مستوى الحراك السينمائي العالمي، يرزح منذ سنوات تحت أعباء أزمات متتالية كان الازدهار السينمائي من ضحاياها، حيث لم ينخفض الإنتاج وحده، بل انخفض حضور السينما في هذا البلد على الرغم من المحاولات الرسمية لإحيائه أو إعادة إحيائه. **الجزائر** معذورة في نهاية الأمر، فالتقلبات السياسية فيها خلال أكثر من ربع قرن، كان لابدّ لها أن تقضي على ازدهار فنّ كان كثر ينظرون إليه على أنه ترف ومن الكماليات. لكن، ما عذر **تونس**، التي كانت عرفت خلال العقدين الأخيرين من القرن العشرين ازدهاراً سينمائياً يماثل في اتساعه وقوته ماعرفته **الجزائر**؟ بل يمكننا هنا أن نقول إن **تونس**، في الوقت الذي كانت فيه السينما الجزائرية تلفظ بعض أنفاسها، عرفت

الإبداع

نهضة إبداعية حقيقية كان في مقدمة رموزها مخرجون سرعان ما حازوا على سمعة عالمية. فمن توقيع **فريد بو غدير** إلى **نوري بوزيد**، ومن محمود بن محمود إلى **مفيدة تلاتلي ورضا الباهي ومحمد زرن وناصر قطاري** وبخاصة **ناصر خمير**– ويمكن لهذه اللائحة أن تطول ضامّة كل تلك الأسماء المبدعة التي ورثت جيل المؤسسين (**عمار خليفي، عبد اللطيف بن عمار، إبراهيم باباي ورشيد فرشيو** بين آخرين)، حققت **تونس** عشرات الأفلام التي وضعتها ذات لحظة في خانة البلدان الواعدة سينمائياً، نوعياً وكمياً.

غير أن هذا كلّه كان قد تضاءل حضوراً وإنتاجاً، حين أعلن الرئيس السابق **زين العابدين بن علي**، خلال النصف الأول من العام 2010، هذا العام سنة السينما في **تونس**. ومن الواضح أن **بن علي** في إعلانه هذا، إنما كان يستجيب لمبادرتين، أولاهما مبادرة عدد كبير من مبدعي السينما والمهتمين بها في هذا البلد إلى الدعوة إلى مساندة نهضة سينمائيّة جديدة، كتتويج لنضال طويل تواصل منذ نحو ثلث قرن في سعيه لإيجاد مكانة حقيقية للسينما في المجتمع والاقتصاد التونسيّين. وثانيهما مبادرة رئاسية شخصية تحاول أن تكافئ بعض أهل السينما – والفنون الأخرى – في **تونس**، على عريضة وقّعها أكثر من ثلاثمئة منهم عشية تجديد ولايته (مجدّداً) داعين لمساندة ذلك التجديد.

مهما يكن من أمر، كان حظّ **بن علي** مع السينما وحظ هذه الأخيرة مع **بن علي**، سيئاً، حيث إن ذلك العام السينمائي الذي كان من شأنه أن يحقّق حلماً فنياً تأسيسيّاً، انقلب إلى كابوس **لبن علي** نفسه، إذ ما إن انتهى العام حتى كان نظامه يلفظ أنفاسه تحت وطأة ثورة شعبيّة اندلعت بدورها تحت وطأة أوضاع اقتصادية وحقوق – إنسانية، ضاغطة، على إثر انتحار الشاب العاطل عن العمل **محمد البوعزيزي**، مفتتحةً ما سيسمّى بـ"الربيع العربي". لكن الكابوس لم يكن من نصيب الرئيس وحده، بل كان من نصيب السينما أيضاً، حيث إن المضحك/ المبكي في الأمر هو أن أطرافاً عديدة من المنتفضين التوانسة، وبخاصة المتشدّدون منهم، ربطوا – ضمنياً – بين نظام **بن علي** وبين القرارات السينمائيّة فأرادوا أن يكون للسينما التونسية مصير الرئيس المخلوع نفسه، واضعين على اللائحة السوداء أسماء عشرات السينمائيّين الذين كان ذنب معظمهم يكمن في أنهم طالبوا الرئيس قبل خلعه بفترة بأن يهتمّ بالسينما فاستجاب. وهذا الواقع حرَّك ثائرة السينمائيّين من الذين كانوا أصلاً ومنذ سنوات عديدة يناوئون الدكتاتور ويحققون أفلاماً تعبّر عن ذلك – مباشرة أو موارية –. ولقد كان **فريد بو غدير** الناقد والمخرج المعروف، من أوائل الذين أثار ذلك الموقف استغرابهم، هو الذي بعد عودته من الخارج حيث كان يستشفي خلال الحقبة "الثورية"، صدمه أن يجد أن ثمة أطرافاً تطالب بإلغاء كلّ مكتسبات المهنة (التي حققها السينمائيّون بفضل عقود من النضال)، بحجة أنها تحقّقت في عهد **بن علي** ويجب أن تزول بزواله (وهنا نفتح هلالين لنذكّر بما حصل بعد انتصار حركة الضباط الأحرار في **مصر** العام 1952، حين أراد مسؤولو الإعلام الجدد أن يمنعوا أغاني **أم كلثوم** من أن تبثّ على أثير الإذاعة. وإذ علم قائد الثورة **جمال عبد الناصر** بالأمر يومها، استدعى المسؤولين وسألهم عن سبب المنع فقيل له: **أم كلثوم** كانت تغنّي للعهد الملكي البائد، فنظر اليهم بدهشة وقال: النيل والأهرامات كانت موجودة تبدع في زمن العهد البائد، فهل نمنعها هي الأخرى؟).

لقد بدا هذا الموقف في **تونس**، ما إن "نجحت" الثورة، مدهشاً في سلبيته. والأدهى أنه أتى في وقت كانت السينما التونسية تعيش أدنى لحظات هبوطها، حيث إن إجراءات **بن علي** الرسمية المستجيبة جزئياً لمطالب السينمائيّين، وإعلانه 2010 عاماً

> مهرجان قرطاج العريق، الذي كان على مدى تاريخه أشبه بمرآة لجديد السينما التونسيّة، بدا في خريف 2010 كمرآة فارغة.

للسينما في **تونس**، والحماس العام لكلّ ما هو إبداعي في حقبة بات يظهر فيها نوع من التساهل الرقابي، كلّ هذا لم يستطع أن ينتج أكثر من فيلمين طويلين لا ثالث لهما، ناهيك بنحو دزينة أو أكثر من أفلام قصيرة. هذا إذا نحن صرفنا النظر عمّا يراه البعض من أن نجاحات مخرج فرنسي، تونسي الأصل، هو **عبد اللطيف قشيش في فرنسا**، أو فنانة من مستوى **هند صبري** التي باتت في **القاهرة** علامة من علامات السينما العربيّة المميّزة، يجب أن تعتبر شؤوناً تونسية. فالحال أن **هند صبري** نفسها أطلقت خلال العام تصريحات عدّة تنعي فيها السينما التونسية، في الوقت الذي كان فيه قشيش لا يني يؤجل تحقيق وعوده بالانصراف إلى تحقيق أفلام مقبلة له في **تونس**.

كان شيء ما قد انكسر منذ سنوات، تحت ظلّ البلادة العامة التي نتجت عن يأس كان مستشرياً إزاء تغيير سياسي ما في **تونس**. وكانت **تونس** قد فقدت بعض أكثر المهتمين بالسينما فيها حماسة (من أمثال المنتج **أحمد بهاء الدين عطية** والناقد للمؤسّسة **الطاهر شريعة**) وكان قد شاخ، بعض الشيء، جيل بأسره فيما صمت آخرون. كان الأمر في حاجة إلى أكثر من ديناميكية مفتعلة وآتية من فوق، كي تنهض السينما التونسية من جديد. وهكذا، حين حلّت دورة **مهرجان "قرطاج"** أوائل خريف العام – ومباشرة قبل اندلاع الأحداث –، كان من الواضح أن هذا المهرجان العريق، والذي كان على مدى تاريخه أشبه بمرآة لجديد السينما التونسية، بات مرآة فارغة. إذ، حتى وإن كان قد عرض "كلّ الإنتاج" التونسي أمام جمهور وضيوف أتوا ليروا أين صارت تلك السينما العريقة الواعدة المميّزة، لم يجدوا أمامهم سوى فيلمين طويلين داخل المهرجان (أحدهما من إنتاج العام السابق) وهما "دواحة" **لرجاء عماري**، و"دار جويد" **لعايدة بن عليا**، فضلاً عن فيلمين طويلين خارج المهرجان هما "النخل الجريح" للمخضرم **عبد اللّطيف بن عمار**، ناهيك بـ"نهاية ديسمبر" لمعز كمون، الذي كان قد ظهر قبل ذلك بعام تقريباً. لكنهم وجدوا كذلك عدداً لا بأس به من الأفلام القصيرة، وكمّاً هائلاً من النوايا الطيبة، التي رأت أن إعلان **زين العابدين بن علي** 2010 عاماً سينمائياً، يشكّل حافزاً لاندفاعة مقبلة. مهما يكن لا بدّ من القول إن هذا كان هو الجوّ السائد بين شهر أيار (مايو) من ذلك العام – حيث كثرت الأخبار المتداولة انطلاقاً من الجناح التونسي في القرية العالمية في مهرجان "كان" في الجنوب الفرنسي –، وموعد انعقاد **مهرجان "قرطاج"**. في ذلك الحين لم يصدق أحد، طبعاً، أن الوعود حتى وإن لم تكن في أصلها سراباً، لن يقيّض لها أن تتحقق، ليس هذه المرّة بفعل تراجع مطلقي الوعود، بل بفعل أحداث لم يكن أحد ليتوقّعها.

خلال تلك الحقبة، ولدت عشرات المشاريع، وعادت تطفو على السطح عشرات الأفكار. وقد لا نكون مبالغين هنا، إن أشرنا إلى أننا خلال دورة "**كان**" وحدها سمعنا بمشاريع تتعلق بما يزيد على عشرين فيلماً، وسمعنا مسؤولين رسميّين وغير رسميّين "يؤكدون" أن الشهور المقبلة ستشهد تحرك الكاميرات في غير مكان وعلى أكثر من صعيد. غير أن الوحيد الذي كان مقيماً على صمته في ذلك الحين، كان المنتج التونسي **طارق بن عمار** الذي يعمل بشكل خاص بين **تونس وأوروبا** وبعض المناطق الخليجية، لم يعد بشيء ولم يتحدّث عن شيء. لكنّنا سوف نعرف بعد حين أنه بعيداً من النظريات والوعود، بعيداً من قرارات الدولة، ورغبات السينمائيّين الطيّبة، كان يعدّ لحراك سينمائي من نوع متجدّد، يحاول من خلاله أن يستعيد أحلاماً إنتاجية قديمة له. أحلامه كانت حقّقت قبل أكثر من ربع قرن حضوراً إنتاجياً وجغرافياً لـ **تونس** في نوع معيّن من السينما العالمية الضخمة، عبر أفلام أنتجها

> العام السينمائي التونسي في 2010 انتهى على غموض يقود إلى التساؤل: أيّ مستقبل للسينما في تونس بعد أن استعاد شعبها حريته؟

بن عمار أو شارك في إنتاجها، صوّرت كلياً أو جزئياً في **تونس**. غير أن حلمه وئد في ذلك الحين بسبب المشكلات التي واجهت تصوير فيلم "القراصنة" من إخراج **رومان بولانسكي**، والخسائر التي نتجت عن عدم تحقيقه أيّ نجاح تجاري. ونعرف جميعاً الآن أنه لم يتبق من ذلك المشروع، إلى الديون التي تراكمت على منتجيه بسببه، سوى المركب الشراعي الضخم الذي بني ذات يوم من أجل الفيلم، لكنه الآن يطوف بين ميناء وميناء مزدهياً بنفسه شاهداً على حلم قديم. حلم سينمائي قديم.

هذا الحلم، وسط صمته أوائل العام 2010، كان **طارق بن عمار** يستعيده، ويستعدّ لتحقيقه ولكن في ظروف أخرى وعبر مواضيع تبدو له أكثر جاذبية وفاعلية اليوم. كان **بن عمار** يريد، في الدرجة الأولى، أن يجعل وطنه تونس، من جديد، وطناً لحلمه القديم المتجدّد هذا. وعلى هذا النحو، أتى بطواقم عمل ضخمة، وبواحد من أكثر المخرجين الفرنسيّين عالمية ونجاحاً، بل حتى مقدرة على تحقيق الضخم من الأفلام (**جان – جاك آنّو**، صاحب الأعمال الضخمة والناجحة مثل "اسم الوردة" عن رواية **أومبرتو إيكو**، و"العاشق" عن رواية **مرغريت دورا**، و"العدو عند الباب" عن الحرب العالمية الثانية)، وبدأ يصوّر في مناطق متنوّعة، وصحراوية بخاصة، في **تونس** مشاهد فيلم "ذهب أسود" المأخوذ من رواية مبكرة عن اكتشاف النفط في بعض مناطق **الجزيرة العربيّة** (غير المحدّدة في الفيلم) والصراعات التي اندلعت، محلّياً وعالمياً، عند تلك البدايات. منذ بداية التصوير بدا واضحاً كم أن **بن عمار** متفائل بأن مشروعه سوف يعيد الحياة، ولو مهنياً واقتصادياً، إلى نمط معيّن من الحراك السينمائي في **تونس**. غير أن هذا كلّه تبخّر بعد أيام من اندلاع الثورة: فتصوير فيلم ضخم كهذا يريد منه منتجه أن يكون تكراراً لتجربة فيلم "لورانس العرب" الذي أنتجه **سام شبيغل** من إخراج **دافيد لين**، وصوّر جزئياً في **الأردن** خلال النصف الأول من ستينيّات القرن العشرين، يتطلب هدوءاً وقدرة على التخطيط الذي لاتعيقه المفاجآت أو تؤخره الأوضاع الأمنية. وهكذا، إذ تبيّن أن هذا مستحيل في **تونس** إبان اندلاع الثورة، دخلت **قطر** على الخط وانتقل مئات العاملين في الفيلم إلى **قطر** يصورون مشاهده، محوّلين "ذهب أسود" من مشروع لإعادة إحياء السينما في **تونس**، إلى مشروع لمحبّي هذا النوع من السينما في **قطر**، وبأموال قطرية.

من جديد، إذاً، تبخّر حلم المنتج المغامر، لكن **تونس** خسرت في الوقت نفسه فرصة جديدة. أما الآن وإذ انتهى العام السينمائي التونسي على غموض لا يرتبط بمجرى الأحداث وحدها، بل كذلك بالهويات الفكرية التي بدأت تتصارع انطلاقاً من تلك الأحداث، يمكن العودة للتساؤل من جديد: أيّ مستقبل للسينما في تونس بعد أن استعاد شعبها حريته؟

السينما اللّبنانيّة: الحرب عادت...

بعد فيلمَي "كاراميل" و"فلافل" كان في وسع المراقبين الأكثر تفاؤلاً أن يروا أن السينما اللّبنانية باتت قادرة على تجاوز الحرب الأهلية وذكرياتها.

شهدت مسيرة السينما اللّبنانية خلال أعوام النصف الثاني من عشريات القرن الجديد، نشاطاً لافتاً، إن لم يكن من حيث الحجم العام للإنتاج السينمائي، فعلى الأقل من حيث المستوى العام للأفلام المنتجة. ولعل الأكثر لفتاً للنظر في تلك الأفلام – ومن أبرزها "كاراميل" **لنادين لبكي** و"فلافل" **لميشال كمون**، إضافة إلى شرائط **لغسان سله**ب والزوجين جريج/ **حاجي توماس وبهيج حجيج وسمير حبشي** – أنها في معظمها أتت متجاوزة لهواجس الحرب التي كانت أقضّت مضجع كثر من سينمائيّي **لبنان**، منذ **مارون بغدادي وبرهان علوية**، حتى **جان كلود قدسي وزياد دويري ودانيال عربيد**، خلال العقود الثلاثة الأخيرة على الأقل. وهكذا، انطلاقاً – مثلاً – من فيلم "كاراميل" و"فلافل" كان في وسع المراقبين الأكثر تفاؤلاً أن يروا أن السينما اللّبنانية باتت قادرة على تجاوز الحرب وحتى ذكرياتها، لتغوص – حقاً – في موضوعات ما بعد الحرب. وإلى هذا يمكن أن نضيف أن نجاحات العام 2008 هذه، كان من شأنها – متضافرة مع عدد من الإنتاجات التجارية المتمثلة، بخاصة، في أفلام تلفزيونية (هزلية غالياً) وجدت طريقها إلى صالات السينما ساحبةً معها إلى تلك الصالات جمهوراً تلفزيونياً، ما كان في إمكان أفلام أكثر جدية أن تخرجه من أمام أجهزة التلفزيون في البيوت، كان من شأنها أن تشقّ دروباً جديدة ودائمة للنشاط السينمائي الإنتاجي في **لبنان**. بيد أن هذا – ويا للمفاجأة! – لم يحصل. إذ سرعان ما بدا موسم 2009 جافاً وغير قادر سوى على اجترار عروض السنة السابقة عليه ونجاحاتها. وهكذا، تبدّى، على ضوء تجدد التوترات السياسية والاجتماعية في **لبنان**، أن "المشروع السينمائي اللّبناني" عاد يتأجل من جديد، فيما عاد المبدعون السينمائيون الشبان في **لبنان** يمارسون لعبة الانتظار الثقيلة وكلّ منهم يحمل مشروعاً جديداً يبدو – مرحلياً – عاجزاً عن تحقيقه. والحقيقة أنه لئن بدا التأجيل راجعاً إلى المسألة المالية، حيث إن الأزمة الاقتصادية العالمية التي اندلعت صيف 2008، حجبت الدعم الأوروبي الذي كان هو، في شكل وفي آخر، صاحب الفضل في تمويل معظم ما ذكرنا من أفلام. وطبعاً قد يكون لنا أن نتساءل هنا لماذا لم يقتبس السينمائيّون اللّبنانيّون الشبان، تجربة **أسد فولادكار**، الذي كان قبل ذلك قد تمكّن من تحقيق واحد من أنجح الأفلام اللّبنانية ("لما حكيت مريم") بمبلغ زهيد جداً، فخلق درباً جديدة؟

غير أن الاجابة عن هذا السؤال قد تفترض أولاً السؤال لماذا **فولادكار** نفسه لم يكرّر التجربة، بل إنه "أخفى" فيلماً تالياً حققه بالشروط نفسها تقريباً، ليتوجه إلى **القاهرة** حيث صار مخرجاً تلفزيونيّاً فيها لمسلسلات هزلية! نقول إذا كان تأجيل المشاريع السينمائيّة اللّبنانية راجعاً إلى أسباب تمويلية في المقام الأول، فإنه كان في مقام آخر نتيجة لصدق فنّي يمكن هنا لفت النظر إليه: لقد كان السينمائيّون اللّبنانيّون الشبان أمام مشهد سياسي واجتماعي لابأس بوضوحه عندما حقّقوا نجاحات الأعوام 2000–2008. أما في العام 2009، فإن الصورة السياسية الاجتماعية العامة راحت تبدو ضبابية بحيث شكلت مفصلاً انتقالياً غير واضح المعالم وسط انقسام اللّبنانيّين الحاد في استقطاب سياسي مرعب.

أمام مثل هذا الواقع تراكمت الغيوم، وراح كثر من الفنانين ذوي الحساسية الأعلى يتساءلون عمّا إذا لم تكن حرب لبنانية جديدة في الأفق. بدت الأمور هنا كما حالها بين 1969 – توقيع اتفاق القاهرة بين المقاومة الفلسطينيّة والجيش اللّبناني – وبين 1975، و اندلاع الحرب الأهلية والفلسطينية/ السورية والفلسطينية/ السورية/ اللّبنانية، التي ما إن صارت حقيقة حتى راحت تخلق سينماها الخاصة.

طبعاً لن نزعم هنا أن هذا كلّه كان ذا تأثيرات تلقائية، أو أن الوعي السينمائي العام بدا مستشرفاً لكلّ هذه الوضعية ومستتبعاتها، لكننا ستزعم أنه مع إطلالة العام 2010، راحت الأمور تبدو واضحة وصار في إمكان عدد من السينمائيّين اللّبنانيّين الأكثر وعياً أن يعودوا إلى مشاريعهم وكاميراتهم، ليستعيدوا من خلال نتاجاتهم الجديدة، بعض السمات الأكثر خطورة وسوءاً في مسار "الحروب" اللّبنانية. ولعل **نادين لبكي** تبدو الأكثر حساسية في هذا السياق، حتى وإن كان الفيلم الذي صوّرته – ولم تنجزه – خلال العام 2010، لن يعرض إلا في العام التالي 2011 وعنوانه "هلق لوين؟". وهو فيلم كانت فكرته واتت **لبكي** إبان أحداث العامين 2006 و2007، حين تناهى إلى انتباهها إمكانية عودة الحرب. طبعاً "هلق لوين؟" سنترك الحديث عنه إلى العام التالي. فقط أشرنا إليه كتمثيل على حساسية

الإبداع



سينمائيّة التقطت الخطر. وهو يلتقي في هذا، بالطبع، مع أفلام عدّة راحت تظهر – وتعرض – تباعاً في العام 2010، بادئة شهوراً قبل ذلك منسحبة على العام 2011، وذلك لسبب قد لا نكون في حاجة إلى شرحه تفصيلياً بعدما فعلنا ذلك في مقدمة هذا التقرير. ومهما يكن من الأمر هنا، وفي تقدير تقريبي، يدمج بخاصة عروض **مهرجانات أبو ظبي، ودبي، والدوحة**، بعروض العام التالي، سنجد هنا أمامنا عدداً لا بأس به من أفلام لبنانية يمكن ربطها بإنتاج العام 2010. واللافت أن هذه الأفلام، في معظمها حققت نجاحات مهرجانية مهمّة، ونال معظمها جوائز المهرجانات التي عرضت خلالها. ومن هنا كان من حق الناقدة **فيكي حبيب**، أن تقول في مقال لها في جريدة "الحياة" (2010/1/24) أن العام 2010، كان عربياً، عام السينما اللّبنانية بامتياز. وهي للتأكيد على قولها ذكرت كيف أن دورة ذلك العام **لمهرجان أبو ظبي** منحت جائزتيه الأساسيّتين للسينما العربيّة إلى اللّبنانيّين **بهيج حجيج** عن فيلمه "شتي يا دنيي"، **ورانيا عطية** – شراكة مع الأميركي **دانيال غارسيا** – عن فيلمهما "طيب خلص يلا". كما أن **مهرجان القاهرة** منح جائزة أفضل سيناريو للّبناني **جورج هاشم** عن فيلمه "رصاصة طايشة" الذي نال أيضاً جائزة المهر العربي في **مهرجان دبي**. أما **مهرجان الدوحة** فمنح اللّبناني/ السويدي **جوزف فارس** جائزة أفضل فيلم عربي عن فيلمه "مرجلة". ولقد شهد العام أيضاً جولات فيلمين لبنانيّين آخرين – ونجاحهما النسبي – في مهرجانات أخرى، وهما "كلّ يوم عيد" **لديما الحر** و"12 لبناني غاضب" **لزينة دكاش**. والحال أن الصورة بدت، مع مثل هذه الأفلام منتشرة في مهرجانات عديدة، وكأن ثمة إنتاجاً سينمائياً كثيفاً في **لبنان**. ومهما يكن فإن هذا يبدو صحيحاً نسبياً بالنسبة إلى بلد اعتاد ألا ينتج أكثر من ثلاثة أفلام في العام. فإذا أضفنا إلى هذا كلّه فيلماً كندياً – لا شكّ مع ذلك في لبنانيّته، كتابةً وأجواءً وموضوعاً – هو "حرائق" للكندي **فيلنوف**، من كتابة **وجدي معوض**، اللّبناني/الكندي الذي يعتبر واحداً من أبرز الكتّاب المسرحيّين في اللّغة الفرنسية حالياً، وإذا أضفنا أيضاً فيلماً يصوّره **فؤاد عليوان** عن طفولته خلال الحرب الأهلية اللّبنانيّة في **بيروت**، يصبح من المنطقي القول إن السينما اللّبنانيّة تبدو ناهضة بعدما مرّ العام الذي وصف بأنه "استراحة المحارب". بيد أن الأهم من هذا هو الإشارة التي يحملها كلّ من هذه الافلام، أو العدد الأكبر منها على الأقل. فنحن إذا كنّا أشرنا إلى أن فيلم "هلق لوين؟" **لنادين لبكي**، عاد إلى الحرب اللّبنانية بعد غياب (عبر حكاية "رحبانية" تدور أحداثها في ضيعة معزولة يبدو الرجال فيها تواقين للحرب والنساء مرتعبات منها يحاولن ردع الرجال عنها)، فإن هذه الإشارة تنطبق على الأفلام الباقية، ولو من طريق تذكّر الحرب والتذكير بويلاتها: فيلم "شتي يا دنيي" **لبهيج حجيج** يطاول واحدة من المعضلات الأكثر بؤساً التي نتجت عن الحرب اللّبنانية: قضية المخطوفين والمغيّبين قسراً والأسرى، من خلال عودة واحد منهم إلى دياره وزوجته، ولكن أيّ عودة؟

أتى العام 2010 في السينما اللّبنانية غنيّاً بالوعود والإنجاز، لكنه أتى أيضاً كجرس إنذار حقيقياً ليثبت أن السينما، وحين تعبّر عن نفسها بصدق، تبدو الفنّ الأكثر حساسيّة.

أما فيلم "رصاصة طائشة" **لجورج الهاشم** فيدور على مشارف الحرب الأهلية واصفاً ما يشبه مقدماتها من خلال حكاية عائلية تدور في البيئة المسيحيّة (مرّة أخرى تجرؤ السينما اللّبنانية على تسمية الأمور بأسمائها). أما "حرائق" فإنه على الرغم من كنديته، والتباسه الجغرافي – الذي يعمّم الصورة لتعميم المضمون–، يبدو لبنانيّاً ممسوساً بالتراجيديا الإغريقية في تلّمسه ما تتركه الحرب من جراح ومآس على الحياة العائلية والفردية. أما بالّنسبةً إلى "طيب خلص يلا"، فإنه، حتى وإن ابتعد عن الحرب بعض الشيء، وفي بعده المباشر على الأقل، فإنه يقدّم التفاتة ما، إلى الواقع اللّبناني الذي شكلت الحرب جزءاً من عوامل دماره، وذلك – هذه المرّة – من خلال حكاية عائلية تبدأ من **طرابلس** (شمال لبنان) لتصل إلى **بيروت**.

لقد أتى العام 2010 في السينما اللّبنانيّة غنياً بالوعود والإنجاز، لكنه أتى أيضاً جرس إنذار حقيقياً ليثبت مرّة أخرى أن السينما، حين تعبّر عن نفسها بصدق، تبدو الفن الأكثر حساسية. ولئن كنّا ذكرنا هنا الإنتاجات المتعلقة بالأفلام الروائية الطويلة، فإننا نشير ايضاً إلى أن هناك أفلاماً قصيرة حقّقت في لبنان في العام نفسه، وبعضها حقق بفضل – وعلى هامش – الميزانية التي خصّصتها **وزارة الثقافة اللّبنانية** لتظاهرات "بيروت عاصمة عربيّة للكتاب"، حيث حقّق عدد من السينمائيّين، ومن بينهم **جوسلين صعب**، شرائط دارت حول التاريخ الثقافي اللّبناني بشكل خاص.

السينما السورية : الرقم متواضع لكنه قياسي

إذا كانت الحياة السينمائيّة في **لبنان**، كما رأينا، تدور وتدور حول الحرب والسينما الأردنية كما سنرى، تدور حول نشاطات عمليّة، تتضمّن تصوير أفلام أجنبية في هذا البلد بشكل خاص، والحياة السينمائيّة المصرية تدور حول الفرز الدائم والمتزايد بين إنتاج سينمائي تجاري وآخر فنّي ومستقل. فيما يدور النشاط السينمائي العراقي في المنافي غالباً، فإن القسم الأهم من النشاط السينمائي في **سورية**، يدور حول الثقافة السينمائيّة مباشرة، من دون أن يكون لهذا علاقة واضحة بالإنتاج السينمائي نفسه. أما الجديد في العام 2010، بالنسبة إلى السينما السورية، فهو دخول القطاع الخاص على الإنتاج بعد غياب طويل. فمنذ سنوات عديدة، مع استثناءات نادرة (منها قبل ثلاثة أو أربعة أعوام إنتاج **نادر الأتاسي** لفيلم "سالينا" عن مغنّاة "هالة والملك" لـ الأخوين رحباني، علماً بأن الأتاسي نفسه كان قبل عقود منتج ثلاثة أفلام لـ **الرحابنة وفيروز** في **لبنان** – "بياع الخواتم"، "سفربرلك"، و"بنت الحارس").

وهكذا، لم يعد على السينمائيّين السوريّين أن يكتفوا بأن تتيح لهم مؤسّسة السينما السورية الفرصة لإنتاج أفلام. وهو أمر كان يضطرهم إلى الانتظار طويلاً بين فيلم وآخر. في العام 2010، إذاً وصل عدد الأفلام المنتجة إلى رقم غاب منذ سنوات طويلة: حقّق في سورية 4 أفلام روائية طويلة. وإذا كان الطابع الفنّي والفكري لهذه الأفلام، ينتمي كالعادة إلى ما يحمل نكهة ثقافية، فإن النشاط الثقافي الذي أشرنا إليه أول هذا الكلام هو في مكان آخر: في مهرجانين باتا يقامان بشكل منتظم. أولهما وأهمهما هو الرسمي "**مهرجان دمشق**" الذي صار منذ سنوات طويلة "مؤسّسة سينمائيّة" حقيقية؛ والثاني مهرجان آخر غير رسمي بات يتّخذ لنفسه مكانة أساسية في خارطة الحياة الثقافية في **سورية** وهو "**أيام سينما الواقع**" الذي ينظمه ويشرف عليه فريق عمل شاب يعمل خارج الأطر الرسمية. هذا "المهرجان" يحتفل كلّ عام بجديد السينما الشابة بالتعاون مع مؤسّسات أجنبية ثقافية، عارضاً أفلاماً تنتمي إلى السينمات الطليعيّة والمستقلة من وثائقية وقصيرة تحمل كلّها همّاً يكاد يكون واحداً هو الهمّ السينمائي كما يعبّر عنه سينمائيّون آتون من أنحاء كثيرة من العالم. ومن المؤكد أن هذا "المهرجان" يضخّ دماً جديداً في شرايين الحراك السينمائي السوري، من دون أن يعني هذا غياب هذه الدماء عن "**مهرجان دمشق**"، الأكثر رسمية بكثير، والذي، على الرغم من كلّ ما يقوله مناوئوه عنه، يظلّ واحداً من أفضل المهرجانات العربيّة في انفتاحه على جديد سينمات المنطقة، و"اكتشافه" سينمات آسيوية من الصعب التعرف إليها، في أمكنة أخرى. غير أن المهمّ في هذا السياق هو أن "مؤسّسة السينما" التي تنظّم المهرجان، سنوياً بعدما كان في الماضي، مرّة كل سنتين (بالتناوب



مع **مهرجـان "قرطاج"** في **تونس**)، تجعل من أيـام المهرجان مناسبة لتوزيع نحـو 24 إلى 25 كتاباً تصـدرها من سلسـلة "الفن السـابع" التـي تعتـبر محطّـة أساسـية في نشـر الثقافة السـينمائيّة، ليس في **سوريـة** وحدهـا، بل لدى القراء العرب المهتمين بشكل عام. وإصدار هذه الكتـب التي تـزداد أهمية عاماً بعد عام، سـواء أكانـت مترجمـة أم مؤلفة، يجعل من مؤسّسـة السينما السورية، أكبر وأفضل ناشر لكتب الفنّ السـابع في العالم العربي، خصوصـاً أن الكتب من توقيع كتّاب ونقـاد ومؤرخين ومترجمين، آتين من معظم البلدان العربيّة.

إذن، في مجـال المهرجانـات ("دمشـق" و"أيـام سـينما الواقـع"، ناهيـك بـالأسـابيع السـينمائيّة الدوريـة والـدوارة، التـي تقيمهـا مؤسّسـة السـينما نفسها، ولاسـيما في صالات تملكهـا في مـدن وبلـدات عديـدة)، وفي مجال إصـدار الكتب، تكاد **دمشق** تكون أنشط عاصمة عربيّة. ولكن ماذا عمّا هو أساسـي في هذا كلّه؟ ماذا عن الأفلام السورية نفسها؟

القسـم الأهـمّ مـن النشاط السينمائي السوري يدور حول الثقافة السينمائيّة مباشرة، مـن دون أن يكون لهذا علاقة واضحة بالإنتاج السينمائي.

علـى الرغم مـن أن الدولـة زادت من حجم الميزانيـة الرسـمية المخصّصـة لهـذا القطـاع (نحو 135 **مليون** ليرة سورية، أي ما يعادل نحو **ثلاثة ملايين دولار** وهو رقم يعتبر ضخماً ولا سـابق له، في المقاييس السورية)، فإن الإنتاج السـوري، في مجـال الأفلام الروائيـة الطويلة، كما في مجال الأفلام القصيرة، يظلّ متواضعاً، حتـى وان كان وصـل في العام الـذي نحن في صـدده إلى مسـتوى مرتفع نسـبياً. كما أشرنـا، فمن المعروف أن "المؤسّسـة العامة للسـينما" – وهـي المنتـج الأسـاس للسـينما السـورية –، اعتـادت أن تمـوِّل، كليـاً في أغلـب الأحيان وجزئياً في بعضـها، ما يـتراوح بين فيلمين أو ثلاثـة في العام، وبشـكل شـبه منتظـم – على الأقل منذ تسلُّم النـاقد المعروف **محمد الأحمد** إدارة المؤسّسـة. هـذا مـا أتـاح لنحـو 20 فيلماً أن تحقّـق خلال السـنوات الأخـيرة، قد لاتكون في معظمهـا تحفـاً سـينمائيّة، لكنهـا أعمـال تقف عادةً فوق المسـتوى المتوسط في خارطة السـينمات العربيّـة وتحمـل تواقيـع مبدعـين صـاروا أسـماء بـارزة، في هـذه الخريطة، مثل محمـد ملص و**أسامة محمد عبد اللّطيف عبد الحميـد** وصـولاً إلى **واحـة الراهـب** وغيرها. ومن هنـا، إذا كان الإنتاج السـينمائي السوري قـد وصـل إلى أربعـة أفـلام في العـام 2010، فإن هذا اعتبر أمراً حسـناً، بخاصة أنه تضافر مـع إنتـاج، لابأس بتميّـزه في مجـال الأفلام القصيرة، وصل إلى أكثر من عشرة أفلام برزت منها – بحسـب إجماع النقاد الذين شـاهدوها – أعمـال مثل "الوصـية الحادية عشرة **لموفق قات** و"أثر الفراشة" **لفجر يعقوب**، و"إنفلونزا" **لرياض مقدسي**، و"الفصـول الأربعة" **لنيفين الحرك.**

ولكن هنـا، وفي العودة إلى الأفلام الروائية الطويلـة الأربعة التي تحقّقـت خلال هذا العام، سيلفت نظرنـا حقاً أن واحداً فقط من هذه الأفلام كان مـن إنتـاج القطاع العام (أي المؤسّسـة). أمـا الثلاثـة الباقيـة فاثنـان منها مـن إنتاج شركـة "ريـل فيلمز" التـي يديرهـا السـينمائي المعروف **هيثم حقي**، لحسـاب محطة "أوربت" التلفزيونية، وهمـا "مطـر أيلول" **لعبد اللّطيف عبـد الحميـد** (صـاحب نتاجـات متواصلـة بـرزت، مـن إنتـاج مؤسّسـة السـينما، خـلال السـنوات السـابقة)، و"روداج" **لنضـال دبس** الذي كان سـبق له أن حقّق قبل سـنوات فيلمه الأول "تحت السـقف" من إنتـاج القطاع العام (المؤسّسة أيضاً). أما الفيلم الثالث فهو "دمشق مـع حبي" **لمحمد عبد العزيز**، من إنتاج شركة "الشرق". وأما الفيلم الذي أنتجه القطاع العام في سـنة 2010، فهـو "حراس الصـمت" **لسمير ذكرى.**

بين القطاعين العـام والخاص، إذاً، تمكَّنت السـينما السـورية من أن تضـيف إلى رصيدهـا أربعـة أفـلام جديدة، مـبرزة حضـوراً لا بـأس بـه في المهرجانـات، المحلّيـة والعربيّـة. لكن المشـكلة، هنـا، لا تكمـن في الكـمّ، وذلـك لأن

ثمة في الأمر سـؤالاً يطرح نفسـه بقـوة: ما هو المسـتوى الحقيقي لهذه الأفـلام الأربعة؟ وهل أضـافت جديداً إلى رصـيد هذه السينما؟ ثم أيّ مكانـة كانت لهـذه الأفلام معاً، لـدى الجمهور وفي مجـال اسـتقبال النقـد لهـا؟ صـحيح أن الدورة الأخيرة **لمهرجان دمشق السينمائي** حيث كان العرض الأول لـ"حراس الصمت" "نوّهت" بـالفيلم، غير أن كـثراً رأوا في هذا التنويه تحية موجهة إلى مؤسّسـة السينما لتمكّنها، وسط كلّ الصـعاب مـن إنتاج الفيلم، أكـثر منه تحية إلى الفيلـم نفسـه. وصـحيح أن "مطر أيلـول"، نال شهادة برونزية في المهرجان الدمشقي، غير أن مقارنة بسـيطة بين أفلام أخرى **لعبد اللّطيف عبد الحميد** (صـاحب "مطر أيلول") السـابقة وهـذا الفيلم سـتقول لنـا إن هذا المخرج سـجَّل تراجعـاً، في لغته السـينمائيّة علـى الأقل، عما كانت عليه هذه اللّغة في تلك الأعمال السـابقة مثل "نسـيم الـروح" و"مـايطلبه المسـتمعون"، ولاسـيما "ليالي ابـن آوى". بـل لربما كان في إمكاننـا أن نقول إن "مطر أيلول" يقترب من لغة التلفزيون أكثر ممّا من لغة السـينما، حتى وإن كان هو نفسـه قد قـال عن فيلمه قبل عرضـه: "إنه يروي بصيغة جديدة في الشكل والمضمون قضـايا الحب وحكايا الناس الذين نصـادفهم في حياتنـا اليوميـة، مـن دون أن ننظـر إلى خصوصـياتهم" معتبراً فيلمه تحية إلى **دمشق** والعـازف الراحل **محمد عبد الكـريم** أكثر من أيّ شيء آخر. والحقيقة أن **عبد اللّطيف**، ينطلق في هـذا الفيلم – كعادتـه في كلّ أفلامه –، من فكـرة خلاقـة، وفي رأسـه أماكن وشخصـيات وتفاصـيل تعد بـالكثير. لكنّه إذا كان في معظم أفلامه القديمة وفى بوعوده، فإنه هنا كان أقلّ وفاءً بها. ومن هنا لم يحقّق "مطر أيلول" إقبالاً جماهيرياً كبيراً، وكان عليه أن ينتظر عروضه التلفزيونيّة قبل أن يكتشفه الجمهور العريض.

إذا كان **عبـد اللّطيـف عبـد الحميـد** قـد اختـار **دمشق** القديمة منطلقـاً لفيلمه العاطفي "مطر أيلول" هذا، فإن سمير ذكرى توقف عند دمشـق سـنوات خمسـينيّات القـرن العشرين، ليجعلهـا المحطـة الزمنية/المكانيـة، لفيلمـه "حراس الصـمت" الذي يمكن اعتباره، بشـكل أو بـآخـر، أول محاولة سـينمائيّة جدية للنهل، سـينمائياً، مـن أدب **غـادة السمـان**، حيـث إن الفيلـم مأخـوذ مـن روايتها المسـماة "الرواية المستحيلة – فسيفسـاء دمشقية". واللافت في تجربـة **سميرذكرى** الجديدة هـذه هو أن الفيلم بعدما اكتمل صار في الإمكان نسبه إلى سينما مسـتقلة من نوع خاص، حيث إن ذكرى بعدما كان رشّـح نجومـاً سـوريّين معروفـين للقيام بـالأدوار، عاد واسـتبدلهم بشـبّان جدد. كما أن ضـيق الحيّز المكاني للرواية التي تدور أحداثها في الخمسـينيّات اسـتهدف تفـادي اضـطراره بناء ديكورات بعدما فقدت العاصـمة السورية روح تلك الأزمنـة القديمة. ولعلّ من الضروري أن نشـير هنا إلى أن **ذكرى** لا زال على تفضيله اقتباس أفلامه من الأدب، إذ ها هو هنا يتعامل مع نصّ **لغادة السمـان**، بعدما كان تعامل في أفلام سـابقة له، مـع **صبري موسـى**، المصري في "حـادثـة النص متر"، ومـع **فيصل خرتش،** في "تـراب الغربـاء" (عن حياة **عبـد الرحمن الكواكبي**). بيد أن هذا كلّه لم يشكّل نقطة جذب للمتفرجين خارج المهرجانات بمعنى أن فيلمه لم يحقّـق نجاحاً تجارياً كان متوقعاً ولو بفعل وجود اسم **غادة السمّان**، على الملصق، وأدبها على الشاشة.

علـى الرغـم مـن أن الدولـة السـورية زادت مـن حجـم الميـزانية المخصّصـة لقطاع السيـنما (نحـو 3 ملايـين دولار)، إلا أن الإنتاج السوري يظلّ متواضعاً.

وفي الوقـت الذي يقول فيه نقّاد سـوريّون (منهـم **إبراهيم حاج عبدي**) إن فيلم "روداج" **لنضـال دبس** لم يتمكّـن من تعزيز الموقع الذي كان هذا الأخير قد حقّقه لنفسـه بفضـل فيلمه السـابق "تحت السـقف" كما أن الفيلم "لم ينل إقبالاً جماهيرياً"، برز فيلم **محمد عبد العزيز** "دمشـق مع حبي" كفيلم جريء سياسياً، أكثر من كونـه فيلماً مقبولاً نقديـاً أو فنياً، أو حتى جماهيريـاً. والجـرأة هنـا، تتعلق بتقـديم فيلم حـول موضـوع كان يحيطـه نوع من الصـمت والتـابو: اليهود السوريون. إذ في هذا الفيلم تـابع

عبد العزيز، من خلال موضوع روائي، حكاية عائلة من اليهود السوريّين، الذين انتقلوا خلال العقود التي تلت إعلان دولة **اسرائيل**، إلى دول أوروبية عديدة، انطلاقاً من تلك الحارة الأليفة التي كانت العائلة تعيش فيها وسط **دمشق**، في تجانس مع بقيّة الطوائف ومع الوطن تاركين وراءهم ألبير، تاجر الشرقيات، وابنته هالة. وألبير يبقى صامداً في **دمشق** حتى اللّحظة التي يصبح فيها البقاء عسيراً عليه فيقرّر السفر ليعترف لابنته في المطار بأن حبيبها المسيحي (نبيل) لم يمت في الحرب اللّبنانية كما قال لها. للوهلة الأولى يبدو هذا الفيلم على شيء من التعقيد ولاتنقصه الجرأة كما أسلفنا، غير أنه في مقابل الجانب الأنتروبولوجي الجيد في الفيلم يبدو منضوياً على أيّ حال ضمن إطار أفلام بدأت تحقّق بكثرة في **بلدان عربيّة** عديدة، لتعيد النظر في النظرة إلى اليهود العرب الذين هاجروا خلال النصف الثاني من القرن العشرين، إما اقتناعاً أو قسراً بشكل لم يكن وارداً قبل سنوات قليلة. كان محرماً، إلى درجة أن دمشق نفسها منعت فيلم **نوري بوزيد** "ريح السد" لمجرد أن فيه شخصية يهودية إيجابية.

واضح أن هذا كلّه يحسب للسينما السورية الجديدة. غير أن هذه الفضيلة، إذ لم تتضافر مع تجديد فنّي، وكذلك مع جهود حثيثة لإيصال الفيلم السوري الجديد، أيّ فيلم سوري جديد، إلى جمهور حقيقي معنيّ به، لن تساعد هذه السينما الطموحة، والتي لاتفتقر إلى الجرأة والجديّة، على أن تكون حالها في الأعوام المقبلة أفضل من حالها هذا العام.

السينما الفلسطينيّة : كلّ فيلم أشبه بمعجزة صغيرة

إذا كان من الصعوبة بمكان عادةً، تحديد التاريخ الدقيق لظهور معظم الأفلام العربيّة، فإن الصعوبة تزداد حدّة، إن نحن تعاملنا مع السينما الفلسطينيّة. فبالنسبة إلى هذه السينما، وإذ تختلط المشاريع بالأفلام المحقّقة، والعروض التجارية بالعروض المهرجانية، وجوائز التعاطف "القومي" و"السياسي" و"الأبوي" بتلك التي تمنح عن جدارة فنّية إبداعية حقيقيّة، يصبح من الضروري دائماً التنبّه إلى أن "المؤرخ" قد يضمّ إلى عام معيّن، أفلاماً حقّقت في عام آخر سبقه. وسبب هذا غالباً هو ذلك الاختلاط، الذي يمنح أيّ شريط فلسطيني هوية عاطفية تفوق قيمة هويته الزمنية. فاليوم مثلاً، حتى وإن كنّا نعرف أن آخر ما أنتج المخرج الفلسطيني المميّز **إيليا سليمان**، يعود إلى العام 2009، حين أنجز وعرض "آخر" أجزاء ثلاثيّته ("سجل اختفاء" و"يد إلهية" وأخيراً "الزمن المتبقي")، فإننا لا يسعنا أن نتحدث عن العام الذي نحن في صدده هنا، 2010، من دون أن نأتي على ذكر **إيليا سليمان** عموماً، و"الزمن المتبقي" على وجه الخصوص. وكذلك الحال بالنسبة إلى فيلم مثل "أمريكا" **لشيرين دعيبس**، أو "**المر والرمان**" **لنجوى نجار**، مع أن فيلم **دعيبس** ينتمي إلى العام الذي سبقه وكانت عروض فيلم **نجوى نجار** إلى أواخر العام 2009. مهما يكن، إذا كان فيلم **نجوى نجار** هذا، قد نال معظم الجوائز التي فاز بها في العام 2010، فإن هذا يبرّر، بشكل مطلق، الحديث عنه في هذا التقرير. وكذلك الحال بالنسبة إلى فيلم **ميشال خليفة** "زنديق"، وحتى فيلم "عيد ميلاد ليلى" **لرشيد مشهراوي**.

ميشال خليفي هو صاحب الريادة في الولادة الجديدة للسينما الفلسطينيّة في أواخر سبعينيّات وأوائل ثمانينيّات القرن العشرين.

على أيّ حال، الحديث عن **ميشال خليفي** يأتي دائماً في أوانه، لمجرد أن نتذكّر أنه صاحب الريادة في الولادة الجديدة للسينما الفلسطينيّة. وكان ذلك أواخر سبعينيّات القرن الفائت وبدايات العقد الذي يليه، حين حقّق وعرض تباعاً خلال سنوات قليلة ذينك الفيلمين اللّذين "أعادا" تأسيس السينما الفلسطينيّة، بعدما كان الأفضل من بين إنتاجاتها سابقاً، إما في أيدي مبدعين عرب (**كتوفيق صالح** في "المخدوعون" عن نصّ **لغسان كنفاني**، و"كفرقاسم" **لبرهان علوية**)، أو في أيدي مناضلين كان الشريط السينمائي بالنسبة إليهم، مجرد سلاح في "الكفاح المسلح".

مع **ميشال خليفي**، في وثائقيّه الطويل الأول "صور من ذاكرة خصبة" ثم في روائيّه المتميز "عرس الجليل"، ولدت السينما الفلسطينيّة الحقيقية التي ستزدهر خلال العقود التالية، على يديه، في سلسلة أفلام متفاوتة القوة، وصولاً إلى "زنديق" الذي سيضمّ بقوة إلى إنتاجات العامين الأخيرين، وكالعادة سيتجوّل في المهرجانات إلى أبد الآبدين. ومن هنا، بالتالي، كانت **عودة خليفي** إلى الظهور، وبعد غيبة، خلال 2009–2010، في فيلمه الجديد، أحد أبرز الأحداث السينمائيّة الفلسطينيّة في الآونة الأخيرة. وكانت مناسبة، مثلاً، ليقول: "لاشك في أن أكثر السينما تحرّراً، اليوم، هي تلك التي يصنعها أفراد فلسطينيّون. وهذه فرصة تاريخية يجب أن نستغلها بذكاء. خصوصاً أن الحرب مع **إسرائيل** تفرض علينا أن نحاكي حتى سينما العدو. ولا أكشف سراً حين أقول إنه بعد نجاحنا في توظيف سينمانا المتحرّرة على الصعيد العالمي، راح الإسرائيليّون يبحثون عن آلات مجابهة جديدة للتصدّي لسلاحنا الجديد والفعال هذا، وفرضوا موازنات محدّدة على بعض الدول الأوروبية لمساعدتهم. والأكيد أننا سنربح في هذه المعركة لأن العدل والحرية والحقّ إلى جانبنا". والحال أنه، من دون أن يوافق المرء خليفي على كلّ استنتاجاته، يمكن تأييده حين يتحدث عن ردّ فعل السينما الإسرائيلية على وجود "السينما الفلسطينية الجديدة" وكذلك على أن من المحتم ربح الفلسطينيّين لهذه المعركة، مع ملاحظة أن "السينما الإسرائيلية الجديدة" التي تجري الإشارة إليها هنا، تشكّل من الخطر على **إسرائيل** بقدر ما تشكّل السينما الفلسطينية الجديدة. بل ثمة من النقاد الأميركيّين والأوروبيّين المعنيّين من يرى تشابهاً، في الجوهر، بين السينما الفلسطينيّة وتلك الإسرائيليّة الجديدتين.

مهما يكن، فإن ما يعبّر عنه **خليفي** – من مضمون كلامه – إنما هو ذلك الحضور المدهش للسينما الفلسطينيّة، والذي شكّل العام 2010، بضآلة إنتاجه في تراجع للوتيرة مدهش، حيزاً للتفكير وإعادة التفكير فيه، شكلاً ومضموناً، ولاسيما بعدما باتت السينما الفلسطينيّة في حاجة، أكثر وأكثر، إلى مواضيع جديدة، أقلّ ما يمكن أن يطلب منها، هو أن تواكب جرأة في الطرح عبّرت عنها من ناحية "ثلاثية" **إيليا سليمان**، ومن ناحية أخرى أعمال مثل "أمريكا" و"المر والرمان" وحتى سابقهما "ملح هذا البحر". كلّ هذه من إخراج نساء فلسطينيّات يبدو إقبالهنّ على تحقيق أفلام روائية، ضخّاً لدماء جديدة في شرايين سينما باتت راسخة، وباتت لها أفلام/ علامات (من أعمال **إيليا سليمان**، إلى وثائقيات **ميّ المصري**، فشرائط **هاني أبي أسعد ورشيد مشهراوي**... إلخ).

وخلال مرحلة إعادة النظر وإعادة التقييم التي كان عليها العام 2010، الذي تميَّز بمساع لكلّ الأسماء البارزة في التاريخ المعاصر للسينما الفلسطينيّة، لإيجاد تمويل لمشاريع ترسم بدقة وهدوء (لعلّ أبرزها فيلم "زنديق" الذي يكاد يكون نوعاً من سيرة **ميشال خليفي** الذاتية، من طريق لعب **محمد بكري** دور مخرج يسعى لتحقيق فيلمه...)، توالت المهرجانات المحلية في "الداخلين" الفلسطينيّين (**غزة ورام الله**) متناحرة في ما بينها أحياناً، متجاهلة بعضها البعض في أحيان أخرى (لافت في هذا الصدد أن يقول من في **غزة** أن مهرجان أفلام – شديد التواضع على أيّ حال – أقيم فيها هو الوحيد المعبّر بصدق على الروح الفلسطينية!!)، كما توالى تحقيق شرائط وثائقية حول مواضيع عدّة، لم يكن لأيّ عمل من بينها بروزٌ حقيقيٌ، إنما كان لها في معظمها ضجيج إعلامي يتعرض فرض نفسه باسم القضية والتعاطف السياسي معها،



ما من شأنه أن يعيدنا، إلى زمن ما – قبل – "صور من ذاكرة خصبة" و"عرس الجليل".

إذاً، بين صياغة مشاريع، من دون التمكّن – مؤقتاً كما نأمل – من تحقيقها، (وترقّب الحصول على جوائز واهتمام بذلك المهرجان الصغير في **إسبانيا** (كومبوستيلا)، حيث كان ثمة شبه تفرّد في الحضور للسينما الفلسطينيّة، أو بذلك الآخر الذي أقيم خلال العام نفسه، في أضنة في **تركيا**، وركّز اهتمامه بدوره على السينما الفلسطينيّة وأقام ندوة خاصة فيها وبالتالي، عبر حضور فلسطينيّ كبير في شتّى المهرجانات الصغيرة بما فيها **ساندانس**، الطليعي الأميركي)، مرّ عام هادئ على السينما الفلسطينيّة. برزت فيه أسماء جديدة، أو نصف جديدة، بأعمال متوسطة القيمة، وبرزت إلى حدّ أن **نجوى نجار**، بعد نجاحات سابقة في غير مهرجان خليجي، تمكّنت في دورة العام من **مهرجان الرباط** في **المغرب**، من انتزاع الجائزة الكبرى، جائزة **يوسف شاهين**، عن فيلمها "المر والرمان" متفوّقة على نحو دزينة من أفلام عربيّة أخرى، وبخاصة مغربية. كما فازت ممثلة الفيلم **ياسمين المصري** بجائزة أفضل ممثلة في مهرجان مسقط السينمائي السادس عن الفيلم نفسه، في الوقت الذي فاز فيه فيلم "صداع" **لرائد أنضوني**، وهو فيلم وثائقي كان عرض قبل ذلك في **مهرجان ساندانس** الأميركي، بجائزة "التانيت" الذهبي للأفلام الوثائقية في **مهرجان "قرطاج"**. أما فيلم "تذكرة من عزرائيل" **لعبدالله الغول**، فسافر من **غزة** إلى **دبي** ليفوز بجائزة تقديرية وهو فوز لابأس به، إذ تزامن مع فوز فيلم "بدرس" **لجوليا باشا** بجائزة الجمهور الفضية في مهرجان **برلين**، كما عرض وفاز في مهرجانات أخرى.

واضح هنا أن هذه النجاحات وغيرها، في العام الفلسطيني الأكثر صمتاً، من الناحية الإنتاجية، يكرِّس الحضور المتطوّر لسينما تصنع في المنافي، الداخلية والخارجية، ويبدو ظهور كلّ فيلم من أفلامها، أشبه بمعجزة صغيرة. ولعلّ في إمكاننا أن نختم هذا الكلام بالقول إن العام 2010 كان، انطلاقاً من هذه المقدمات كلّها، أشبه بمنطلق لنشاط نأمل أن يتجدّد في الأعوام التالية، ليرسخ أكثر وأكثر، سينما صارت تبدو، في حضورها وخرقها للتابوات، والتفاف محبّي السينما من حولها ليس لمجرد أنها فلسطينيّة، سينما حقيقية في هذا العالم الافتراضي إلى حدّ كبير.

يبدو واضحاً أن النجاحات الفلسطينيّة من الناحية الإنتاجية، تكرِّس الحضور المتطوّر لسينما تُصنع في المنافي، الداخلية والخارجية، حيث إن ظهور كلّ فيلم من أفلامها أشبه بمعجزة صغيرة.

السينما في الأردن: حراك مدهش لإنتاج محزن في ضآلته

إذا حكمنا على السينما الأردنية من خلال نشاطات المهتمين بها، خلال مهرجان "كان" السينمائي، ولاسيما من مسؤولي الهيئة الملكية الذين يتولّون شؤون الجناح الأردني في القرية العالمية التي تقام وتنشط على هامش التظاهرات الرئيسة في المهرجان، سوف يخيّل إلينا للوهلة الأولى وبسرعة أنّنا في صدد التعامل مع واحدة من أكثر السينمات نشاطاً في المنطقة العربيّة، باستثناء **مصر والمغرب**. فالحركة تبدو، عادةً، في فسحة "السينما الأردنية" هذه، وكأنها تشي بأن ثمة إنتاجاً ضخماً في **الأردن**. ومع هذا لو تحرّينا تاريخ السينما الأردنية، منذ بداياتها أواسط ستينيّات القرن العشرين وحتى الآن، سوف يدهشنا – دهشة سلبية بالطبع – أن نكتشف أن مجمل الإنتاج السينمائي الأردني، في مجال الأفلام الطويلة، لايتجاوز في عدد أفلامه عدد أصابع اليدين. ومع هذا يحقّ للمهتم الأردني بالفنّ السابع أن يعتبر بلده بلد حراكٍ سينمائي لابأس به. ويعود هذا إلى تنوّع في هذا الحراك. يسير في اتجاهات عدّة ، أقلّها أهمية وحضوراً، لعبة الإنتاج نفسها. ولعلّ أول هذه الاتجاهات أهمية، وأقدمها تاريخياً، استخدام **الأردن** وتضاريسه ومناخه، مكاناً لتصوير العديد من الأفلام الأجنبية على أراضيه. ولئن كان هذا الاستخدام، الذي قد لانجد مثيلاً له في الكم والنوعية، إلا استخدام أفلام أميركية وأوروبية

كثيرة، أراضي المغرب وتونس لتصوّر فيها العديد من مشاهد هذه الأفلام، إن لم يكن أفلاماً بأكملها، قد بدأ في **الأردن** خلال النصف الأول من ستينيّات القرن العشرين، حيث صوّر العديد من المشاهد الخارجية الأساسية من فيلم "لورانس العرب" **لدايفيد لين**، فإنه لايزال متواصلاً بقوة حتى اليوم. وتزداد الوتيرة خلال السنوات العشر الأخيرة بفعل كثرة الأفلام المحقّقة حول حروب **الخليج**، ولاسيما الحرب العراقية. حيث يؤدي تشابه الطبيعة المورفولوجية بين **الأردن والعراق**، والاستقرار السياسي، والتسهيلات التي تقدّمها السلطات الأردنية المعنيّة، للأفلام التي ترغب في أن تستخدم **الأردن** بديلاً من **العراق** أو الصحارى العربيّة وما شابه تحفيزاً لهذا النشاط. والحال أن هذا الحراك يسير دائماً على خطى "لورانس العرب" وبضعة أفلام صورت من بعده (مثل الإيطالي – اللّبناني المشترك "عاصفة على الصحراء")، خالقاً كادرات بشرية ماهرة لدى أردنيّين عملوا في تلك الأفلام، ورغبات دائمة في ولادة مشاريع سينمائيّة أردنية خالصة. وتصل هذه الرغبات إلى ذروتها حين يفوز فيلم ما صوّر في **الأردن بأوسكار** أو بجائزة مشابهة (كما كانت الحال مع فيلم "خزانة الأسى"، **لكاترين بيغالو**، الذي فاز بأوسكارات 2010)، ما شكّل مصدر فخر للمهتمين الأردنيين، انطلاقاً من أن الصحارى والمدن التي ظهرت في الفيلم، على أنها عراقية، إنما كانت أردنية، بحيث اعتبر الفيلم، من ناحية مواربة، فيلماً "أردنياً"، والنصر نصراً أردنياً.

طبعاً، من الواضح أن الأردنيّين لايحبون الاكتفاء بهذا، وهم يتطلّعون دائماً إلى نهضة سينمائيّة "حقيقية". في انتظار ذلك، يتوجّه حراكهم، بعد تصوير الأفلام العالمية في بلادهم، ناحية نشاطات العروض التي تقدّم، اساساً، من خلال مؤسّستين كبيرتيّ النشاط تخلقان بشكل متكامل، تلك النشاطات التي باتت تقدّم **الأردن** كوطن لهواة السينما، حيث تقدّم بشكل منتظم **عروض** تصحبها نقاشات **أمام جمهور متعطش**. هاتان الهيئتان هما "**الهيئة الملكية**"، و"مؤسسة **عبدالحميد شومان**"، اللّتان تعتبران محاولتين جديتين لإحياء تقاليد نوادي السينما، بعدما بدأت هذه التقاليد تختفي من عواصم عريقة في هذا المجال في معظم أنحاء العالم. أما التوجّه الثالث، فيكمن في دعم إنتاج أفلام قصيرة، بل حتى أحياناً، مساعدة أفلام طويلة عربيّة أو غير عربيّة. والحقيقة أن هذه التوجهات الثلاثة – على تواضعها قياساً إلى طموحات "أهل السينما" وتطلعاتهم في الأردن – هي التي تعطي النشاط في الجناح **الأردني** في **مهرجان "كان"** ذلك البعد التي ينمّ عن حراك أردني سينمائي.

إذا تحرّينا تاريخ السينما الأردنيّة، سيدهشنا أن نكتشف أن مجمل الإنتاج الفنّي، في مجال الأفلام الطويلة، لا يتجاوز عدد أصابع اليدين.

وفي جزء من هذا الإطار، يلفت النظر أن تضمّ لائحة الأفلام المصوّرة في **الأردن**، في العام الذي نحن في صدده (2010) ثمانية أفلام، يختلط فيها التلفزيوني (المحقق سينمائياً بشكل أو بآخر) مع الروائي الطويل، والأردني مع الأوروبي والأميركي. والقصير مع الطويل. والأفلام المصوّرة هي – بحسب لائحة وفّرتها بيانات "**الهيئة الملكية الأردنية للأفلام**"-: "بدوي" **لإيغور فولوشي** (**روسيا**)، "بديل الشيطان" **للوران لي تامهوري** (**بلجيكا**)، "نخبة القاتل" **لغاري مكندري** (**أستراليا**)، إضافة إلى فيلم "السلام بعد الزواج" الأميركي من تحقيق العربيّين **بندر البلوي وغازي البلوي** والشرائط الأردنية "7 ساعات فرق" **لديما عمرو**، و"الجمعة الأخيرة" **ليحيى عبدالله** و"مدن الترانزيت" **لمحمد حشكي**، من دون أن ننسى اهتمام قناة الجزيرة للأطفال بالتصوير في **الأردن** من خلال العمل المعروف باسم "مع التيار"، الذي يقدّم بوصفه إنتاجاً بريطانياً. ولعلّ في إمكاننا هنا أن نضيف فيلمين طويلين أردنيّين صوّرا في **الأردن** في العام السابق 2009، لكن عروضهما المحلّية والعالميّة كانت في العام 2010،

الأردنيّون لايحبّون الاكتفاء بتصوير الأفلام الأجنبية في بلادهم، بل هم يتطلّعون إلى نهضة سينمائيّة "حقيقيّة".

وهما "الشراكسة" **لمحي الدين قندور**، و"هذه صورتي وأنا ميت" **لمحمود المساد**.

وهنا، في مجال استكمال هذه اللائحة، قد يكون في إمكاننا أيضاً، أن نضيف إليها خمسة أفلام ولدت وبدأ العمل عليها في العام 2010، لكن تفصيل الحديث عنها لن يكون قبل العام المقبل وهي، في الناحية الأجنبية، جديد **ريدلي سكوت** "بروميثيوس" (**الولايات المتّحدة**) و"هاملتون" **لكاثرين وينفيلد** (**السويد**) و"العامل الفيروسي" **لدانتي لام** من **السويد**، إضافة إلى ثاني تجربة في الروائي الطويل للأردني **أمين مطالقة** (صاحب الفيلم الأردني النادر "كابتن أبو رائد") "المتحدون". وهو يقدّم، على أيّ حال بصفته إنتاجاً أميركياً، كما حال فيلم **آن ماري جاسر** الفلسطينيّة (صاحبة "ملح هذا البحر") "لما شفتك" الذي يقدّم، بدوره بوصفه إنتاجاً أميركياً.

وفي خاتمة هذا الكلام عن السينما في **الأردن**، قد يكون مفيداً، أن نتوقف لحظة عند النشاطات السينمائيّة، من عروض وندوات وسجالات وتكريمات، قامت بها "**الهيئة الملكية**" وحدها خلال العام 2010، حيث تقول لائحة بتلك النشاطات إن ما لا يقلّ عن أربعة منها أقيمت في كلّ شهر، بحيث شملت العام كلّه وتنوّعت بصورة يحسد **الأردن** عليها حقاً. وهي، إذا أضيفت إلى نشاطات **مؤسّسة شومان**، تشكّل حراكاً حقيقياً، يأتي ليعوّض على ضآلة الإنتاج الأردني الخالص، كما على تراجع حال العروض السينمائيّة في الصالات (وهو أمر يتجلّى بشكل أفضل في الجداول المرفقة).

خلال العام 2010، والحقبة اليسيرة التي سبقته، ظهرت السينما العراقيّة بوصفها السينما الأكثر حضوراً في المهرجانات العالمية والأكثر حصداً للجوائز.

السينما العراقية تكريس في الخارج وتجاهل في الداخل

خلال العام 2010، والحقبة اليسيرة التي سبقته، ظهرت السينما العراقية بوصفها السينما العربيّة الأكثر حضوراً في المهرجانات العالمية، وبوصفها واحدة من السينمات العربيّة الأكثر حصداً للجوائز، والأكثر إثارة للسجال. ومع هذا إن سألت مواطناً عراقياً عمّا يعرفه عن هذه السينما التي تقدّم في "العالم الخارجي" باسم بلده، لن يحير جواباً. وذلك بالتحديد لأن الأفلام العراقية المنتشرة على خريطة المهرجانات، ليس لها أيّ صدى حقيقي في "الداخل" لا من ناحية العروض (إذ لا صالات في المدن، حتى، لتعرضها للجمهور العريض)، ولا من ناحية التأثير في الحياة الاجتماعية. بل لعلّ من المفيد أن نذكر هنا أن الانفصال بين سينما **العراق** ومعظم مكوّنات الشعب العراقي، بات من القوة بحيث إن "قراراً" صدر بتحريم دراسة مادة التمثيل في أكاديمية الفنون الجميلة، مرّ من دون أن يأبه له أحد؛ إلا من الدوائر الفنّية والأكاديمية، التي – بدورها – لم تجد أيّ مساندة في احتجاجها. وطبعاً لن يكون من الضروري هنا أن نتحدّث عن تراجع شعبي ما. فالحقيقة أن **العراق** وعلى الرغم من أن الإنتاج السينمائي فيه يعود إلى بداية الخمسينيّات، ثم على الرغم من نهضة – مدعومة من السلطات على عهد حكم **البعث وصدّام حسين** – لا يمكنه أن يعتبر بلداً ذا تقاليد سينمائيّة. إذ دائماً ما كان ثمة شبه انفصال بين جمهور كان يفضّل دائماً السينما المصريّة والهنديّة، وإلى حدّ ما، السينما الأميركية، على أيّ سينما محلّية، وبين تلك الأفلام التي كانت، بشكل مبكر، بدائية، ثم – أيام الدعم السلطوي – صارت إما أيديولوجيّة أو متمحورة حول "بطولات" الزعيم وقصص حياته، محقّقة في معظم الحالات، من قبل أصحاب مواهب حقيقيّين كان عليهم إما أن يدوروا في فلك النظام وأيديولوجيته، أو أن يصمتوا أو يرحلوا، فيؤتى بدلاً منهم بقامات سينمائيّة مصريّة، أو غير مصرية، تحقق ما هو مطلوب (مثلاً حين حقّق الراحل **صلاح أبو سيف** فيلماً أيديولوجياً عن "القادسية" لتجنيد الشعب أيديولوجياً ضد "الفرس" إبان الصراع العسكري معهم، كما فعل توفيق صالح حين حقق "الأيام الطويلة" عن حياة **صدّام حسين**،



في واحدة من أكبر سقطات أيّ مبدع عربي حقيقي على الإطلاق).

طبعاً في خضم ذلك كلّه، انتقلت المواهب العراقية بشكل كلّي (**قيس الزبيدي وحكمت لبيب وقاسم حول**) أو جزئي (**فيصل الياسري**) إلى الخارج، بينما بقي في الداخل مبدعون انحنوا أمام العاصفة وحقّقوا أفلاماً حاولوا فيها أن يقلّلوا من حجم التنازل (**محمد شكري جميل**). أما الذين هاجروا إلى الخارج (وعمل معظمهم ضمن إطار النشاطات السينمائيّة **لـمنظمة التحرير الفلسطينية**) فسيكونون النواة لجيل من السينمائيّين عمل أفراده في المنافي – الأوروبيّة غالباً –، فاختلط لديهم الحسّ السياسي المعارض بتوجّه فنّي لافت. كما شاركوا في مهرجانات صقلت مواهبهم وساعدت بعضهم على أن يكونوا نواة حركة نقدية مميّزة. والحقيقة أن أبناء هذا الجيل، هم الذين ما إن زال حكم **صدّام حسين والبعث**، حتى تسلموا مقاليد السينما العراقية، أكاديمياً، أو إخراجاً. ومن بين إنتاجات الشبّان الأصغر في هذه الأجيال ولدت أفلام عراقية عديدة، كان المجال الأساسي للتعرف إليها المهرجانات والعروض التلفزيونيّة الأوروبية. أي الخارج بشكل رئيس. وهو خارج تعامل معها، أول الأمر، بأبوية وتعاطف سياسيّين طالما أن **العراق** وحروبها ومآسيها كانت في الواجهة.. لكنّه مع تميّز أفلام عديدة منها، فنّياً وفكرياً، راح يعتاد التعامل معها بأشكال أكثر منطقيّة وسينمائيّة. ولسوف يزيد من هذا التوجه، أن الفواصل والحدود بين ما هو عراقي – على النمط الكلاسيكي – من ناحية الهوية، وما هو مدعوم تحت الخانة العراقية باتت مرتبكة. ولاسيما من ناحية العنصر القومي، حيث إن حصول **إقليم كردستان** على حكم ذاتي، ملتبس بعض الشيء، خلق ديناميكية سينمائيّة كرديّة تجاوزت الحدود العراقية، فصار يمكن، مثلاً، إدخال مبدع إيراني، كردي الهوية مثل **بهمان قبادي**، في خانة السينما العراقية، ناهيك بأن مبدعين أكراداً، كانوا غابوا عن **العراق** طويلاً، بحيث بات من الممكن – بفعل إرادة سياسيّة مناهضة لنزعة البعث السلطويّة والإقصائيّة – عدم اعتبارهم عراقيّين، عادوا إلى "عراقية ما.."، ليس من شروطها أن ينطق الفيلم بالعربيّة (**شوكت أمين، هينر سليم**...). ويمكن القول منطقياً إن هذا أضاف غنىً وتنوّعاً إلى سينما عكست هذا في الخارج، إنما من دون أن يكون ثمة انعكاس مماثل له في الداخل. ولعلّ هذا ما كمن خلف بعض أصوات كانت تتعالى محتجة، في كلّ مرة يقدّم فيها فيلم كردي باسم **العراق** حين لا يكون ناطقاً بالعربيّة. غير أن هذا الضجيج كان لابدّ له من أن يخفت في نهاية الأمر، أمام حقائق جديدة كشفت أن **إقليم كردستان** في **العراق** يكاد يكون الجهة الوحيدة "الرسمية" في هذا البلد التي تقدّم دعماً حقيقياً للسينما العراقية الجديدة.

في هذا الإطار واستناداً إلى هذه الخلفيات التي لا بدّ من أن تبحث بشكل أعمق عند وضع أيّ تأريخ مطوّل للمسألة السينمائيّة في **العراق**، جاء العام 2010 عاماً مفصلياً بالتأكيد، بالنسبة إلى السينما العراقية الناهضة، التي بقدر ما تجذّرت فنّياً، وبقدر ما راحت ترتقي فنّياً، وجدت نفسها أمام مأزق وجودها ونجاحها: ففي السنتين الأخيرتين تضاءل الاهتمام الأوروبي بالقضية العراقية – أمنيّاً وسياسيّاً – بالتواكب مع أزمات **أوروبا** (وغير **أوروبا**)، المالية الخاصة. ولقد أدّى هذا إلى تضاؤل الدعم الذي كان السينمائيّون العراقيّون ينعمون به ويتمكّنون عبره من مواصلة تحقيق أفلامهم، وبالتالي إلى ازدياد الصعوبات في وجه هذه الأفلام التي لم يتمكّن دعم المهرجانات الخليجية (**دبي، أبوظبي، الدوحة**)، من إزالتها إلا جزئيّاً.. وربما تحت وطأة تنازلات راح المبدعون يقدّمونها. ولعلّ هذا يكمن في خلفية ما رصده المهتمّون من أن العام 2010، شهد طوال الشهور الأولى

الإبداع

منه تباطؤاً في الحراك، راح يتصاعد مع انتهاء العام، أي مع حلول موعد المهرجانات الخليجية الأساسية الثلاثة. وكان علامة ذلك، فوز **شوكت أمين** بجوائز عديدة عن فيلمه "ضربة البداية" (أحداثه عراقية لكنه ناطق بالكردية) خلال الفترة السابقة، أما جديد العام فكان عرض **عدي رشيد** لفيلمه الروائي الطويل الثاني "كرنتينة"، الذي لفت الأنظار حقاً، كما أن الأخوين **عطية** و**محمد الدراجي**، بادرا خلال تلك الفترة إلى عرض الأجزاء المنجزة من الفيلم الوثائقي "في أحضان أمي" مزودين بمكانة أساسيّة في السينما العراقية الجديدة – بل حتى في السينما العربيّة الجديدة –، كان حظي بها فيلم "ابن بابل" من إخراج **محمد**، وإنتاج **عطية**. ولعل من المهمّ هنا أن نشير إلى أن هذا الفيلم المتميّز (ونتحدث، طبعاً، عن "ابن بابل") ظلّ طوال العام 2010 يدور بين المهرجانات ويحصد الجوائز (تحدث الناقد العراقي المقيم في **السويد**، **قيس قاسم**، عن مشاركة "ابن بابل" في أكثر من 15 **مهرجاناً** في شتّى أنحاء العالم، ونيله دعم بعض كبرياتها من **برلين** إلى **ساندانس** و **روتردام**...) ومنها جائزة مجلة "فارايتي" الأميركية التي سمّت مخرجه "مخرج العام 2010 لمنطقة الشرق الأوسط".

طبعاً، لا يمكننا أن نختم هذا الكلام هنا من دون أن ننقل عن المعنيّين بالسينما العراقية واقع أن "الدولة ظلّت بعيدة عن هذا الحراك، وأبعد ما يكون عن المبادرة إلى دعم إنشاء صالات واستعادة حال الاهتمام السينمائي بشكل عام، حتى أكاديمياً، وترويجاً ودعماً للمشاركة في مهرجانات وعروض خارجية". ولعلّ هذا، من ناحية ما، كان في صالح السينما العراقية، على المدى البعيد، حيث إن غياب هذا الدعم الحكومي، في العام 2010، كما في ما سبقه، أجبر المبدعين الحقيقيّين على ابتكار أساليب إنتاج وتوزيع أتت – على ندرة اكتمالها – في صالح جعل "سينما المؤلف" الخط المسيطر على الحياة السينمائيّة العراقية، سواء أكان ذلك في الداخل أم في المنافي، أو حتى في **إقليم كردستان**، حيث حرية التعبير أكبر وترسّخ الوعي الفنّي والجمالي أكثر وضوحاً.

ابتعاد الدولة العراقية عن الحراك السينمائي جاء لمصلحة السينما العراقية، لأنه أجبر المبدعين الحقيقيّين على ابتكار أساليب إنتاج وتوزيع صبّت في صالح "سينما المؤلف".

وفي ظلّ هذا كلّه، وفي وقت تكاثرت فيه المشاريع السينمائيّة العراقية المصمّمة لأزمان مقبلة أفضل، على شكل أفلام يسعى كثر، مخضرمين أو جدداً، لتحقيقها، أو على شكل مهرجانات، من بينها واحد أقيم في **بغداد** نفسها، ويحمل اسمها، بدءاً، تواصل "أكاديمية بغداد السينمائيّة" بإدارة **ميسون الباجة جي وقاسم عيد**، بحسب ما يؤكّد الناقد **قيس قاسم**، نشاطها وسط مناخات شديدة الصعوبة وحافلة بالعراقيل، أي مناخات تكاد تكون درامية إنما راسخة أكثر وأكثر وسط غياب أيّ مبادرات أخرى من هذا النوع. ويؤكد **قاسم** أن درامية هذا الوضع الذي تعيشه هذه الأكاديمية – التي تبدو واحة أمل وسط بيئة معادية –، هي ما دفع الهولندية **شو شين تان** إلى إخراج فيلم وثائقي حمل عنوان "مدرسة بغداد للسينما"، عرض في غير مهرجان مسلّطاً الضوء على واقع الحياة السينمائيّة العراقيّة.

السينما في بلدان مجلس التعاون الخليجي

إذا كان من المنطقي في المجال الذي نتحدّث عنه هنا، أي مجال النشاط السينمائي خلال **العام** 2010 في شتى أنحاء **العالم العربي**، أن نتناول نشاط الفنّ السابع هذا في بلدان **مجلس التعاون الخليجي** في سياق واحد، طالما أن ثمة أكثر من مجرد تشابه في المجتمعات وسياقات التطوّر، فإن ما لا بدّ من الإشارة إليه قبل أيّ شيء آخر، هو أن ثمة أسباباً عديدة أخرى للنظر في حال كلّ بلد من بلدان **المجلس** على حدة. وذلك، بالتحديد، لأن المصائر السينمائيّة تختلف بين بلد وآخر، وليس فقط بفضل القوانين ودروب التطوّر التي تتعلق بكلّ بلد. بل لأن ثمة، في الأصل، مواقف رسمية ومجتمعية تتمايز، إلى درجة أنه في الوقت الذي لاتزال فيه العروض السينمائيّة، في الصالات، ممنوعة في بلد مثل **السعودية**، تبرز دولة **الإمارات**، بوصفها – على سبيل المثال – واحدة من المناطق القليلة في العالم التي تشهد فيها العروض في الصالات ازدهاراً متصاعداً. غير أن ما لا بدّ من قوله هنا هو أنّنا، إذا كنّا نرى ضرورة الإشارة إلى حركية الصالات، في لعبة مدّها وجذرها، بوصفها جزءاً أساسياً من فاعلية النشاط السينمائي، فإن ما يعنينا هنا، أكثر إنما هو حركية الإنتاج السينمائي نفسه. وهي حركية تحمل، في رأينا أبعاداً مستقبلية، بقدر ما تحمل انعكاساً ما لصورة الوضع السينمائي في بلد من البلدان. وفي هذا الإطار، يكمن المؤشر الرئيس، كمياً على الأقل، في الدراسات المقارنة بين نشاط عام معيّن والأعوام السابقة له، من دون أن نغفل واقع أن الاستقبال الذي يجابه به إنتاج ما، من قبل الجمهور والنقاد، يمكن اعتباره مؤشراً اضافياً إلى أهمية التطوّر الحاصل في النشاط الإنتاجي – الإبداعي. أما المؤشر الثالث هنا فيمكن القول إنه يكمن في صعود أو هبوط حركة الوعي بأهمية قيام حركية إنتاجية، لدى المبدعين الفاعلين بالفعل، أو المبدعين الممكنين. ومنذ الآن لا بد من القول إن هذا الوعي موجود في كلّ بلد في بلدان **مجلس التعاون**، ولو بدرجات متفاوتة، وتتاح الفرصة بين الحين والآخر للتعبير عنها. ولسوف نرصد هنا في هذه الفقرات التالية، بعض مظاهر هذا الحراك، الفعلي أو المطلبي، وهي مظاهر إذا كانت تشير إلى أمر أساسي، فإنما إلى أن العنصر الأول من عناصر ازدهار الحركة السينمائيّة (منفردة أحياناً، أومختلطة بعناصر ازدهار تختلط في الرغبات السينمائيّة بالضرورات التلفزيونيّة، في أحيان أكثر)، إنما هو الرغبة في صنع الأفلام والإرادة في متابعة تحقّق هذه الرغبة، ومن ثم التصاعد الكمّي والنوعي في ما ينتج، هذا العنصر موجود وعند مستويات متفاوتة.

السعودية : عندما تتكلّم الأرقام والحقائق

من ناحية مبدئية، لا تعتبر **السعودية**، وهي البلد الأكبر والأكثر اكتظاظاً بالسكان من بين بلدان المجلس، بلداً سينمائياً. فلا وجود للصالات السينمائيّة في **السعودية** بشكل عام، بل، حتى، من الصعب أن نقول إن ثمة من يسعى، في الوقت الحاضر على الأقل، إلى المطالبة بوجود هذه الصالات. ومع هذا، ومن جديد، لابدّ من الإشارة إلى أن ثمة إحصاءات، ربما لاتكون دقيقة أو نهائية، تقول لنا إن **السعودية** هي واحدة من البلدان الأكثر "استهلاكاً" للأفلام في العالم. لكن هذه الأفلام لا تدخل حياة السعوديّين، أوملايين المقيمين على الأرض السعودية من الأجانب، من طريق الصالات، بل من طريق العروض المنزلية، سواء أكانت هذه العروض على شكل أسطوانات مدمجة (أو ما يشبهها) المستهلكة حالياً في كلّ بيت في **السعودية**، من دون استثناءات حقيقية، أو على شكل عروض تلفزيونيّة. ومن هنا، ربما، القول بأن السينما (كأفلام، لا كعروض في الصالات) موجودة وبوفرة غير متوقعة، في **السعودية**. واللافت هنا أنه، حتى وإن كان ثمة وجود للأسطوانات المقرصنة، ولاسيما في أكثر المناطق شعبية، فإن سوق الأسطوانات غير المقرصنة تعتبر شديدة الازدهار، حيث تقول لنا تحليلات عدّة إن المواطن السعودي يحرص على أن تكون في بيته أحدث الأجهزة وتقنيات العرض، وبالتالي يحرص دائماً على اقتناء نسخ حقيقية يشغلها على هذه الأجهزة. طبعاً لايمكننا أن نزعم هنا أن هذا المواطن السعودي، يهتمّ حقاً بأن يقتني ما ينتج في **السعودية** من شرائط، لكن هذا سيأتي بالتدريج بفعل حركة تطوّر طبيعي وعندما تبدأ السينما السعودية، التي بات لها



– على أيّ حال – وجود حقيقي خلال السنوات الأخيرة، بإنتاج أفلام تخاطب هذا المواطن الذواقة، في تراكم لايزال حتى اليوم عصيّاً على الوجود. فالعلاقة الأساسية بين أيّ فيلم ينتج وجمهوره الحقيقي الأول – أي جمهور وطن المنشأ –، لاتقوم إلا بفعل التراكم. وهذا التراكم يحتاج إلى حركية إنتاجية متواصلة – أسوة بما حدث بالنسبة إلى الإنتاج التلفزيوني حيث صار ثمة وجود حقيقي اليوم لجمهور يتابع هذا الإنتاج ويحقّق له تراكمه ونجاحاته –. غير أن الحال في هذا الإطار، ليست ميئوساً منها. ذلك أنّنا إذا رصدنا ما هو قائم بالفعل، من خلال تقارير شبه رسمية، نشرت حول **العام** 2010، سنجدنا أمام تطوّر لافت وفي اتجاهات عدّة. ويقول لنا أبرز هذه التقارير – وهو تقرير نشرته "مؤسسة رواد ميديا للإنتاج والتوزيع"– إن النشاط السينمائي في **السعودية** كان في هذا العام استثنائياً على الرغم من تراجعه البيّن عمّا أنتج في العام السابق له. ففي المقام الأول، كشف هذا التقرير أن الإنتاج السعودي من الأفلام بلغ في **العام** 2010 نحو 35 **فيلماً**، مايشكّل أكثر من 18 في المائة من مجموع الإنتاج السعودي العام الذي صار حجمه الآن 208 **أفلام** تحمل هوية سعودية، حيث نعرف أن العدد الإجمالي لما أُنتج في **السعودية** منذ تحقيق أول فيلم سينمائي حمل هذه الهوية، حتى بداية **العام** 2010، هو 173 **فيلماً**. ولا ينقص من أهمية هذا الإنجاز النسبي أن كلّ هذه الأفلام التي أُنتجت في **العام** 2010، قصيرة أوتنتمي إلى الرسوم المتحركة، باستثناء فيلم روائي طويل للمخرج **محمد هلال** عنوانه "الشر الخفي"، أتى ليضاف إلى الفيلم السعودي الرائد "ظلال الصمت" **لعبدالله المحيسن** الذي فتح – قبل سنوات – للسينما السعودية أبواباً عريضة بعد عروضه الخارجية، حتى وإن كانت هذه الأبواب لم تولج بعد كما يجب.

مهما يكن، لا بدّ من القول هنا إن هذه كلها إنما هي خطوات أولى تكمن أهميتها في أنها تفتح دروباً. ولعلّ الأهم منها في هذا السياق هو أن الجديد في **العام** 2010، كمن في تزايد العروض السينمائيّة، في مناطق عديدة من **السعودية**، وكان الأبرز في هذا السياق عرض فيلم "الطريق إلى مكة" طوال شهر كامل، من ضمن نشاطات "صيف أبها". وهو فيلم "يقدّم نظرة رائعة لرحلة رجل يهودي أعلن إسلامه وسار إلى الحج على خطى **ابن بطوطة**"، حسبما جاء في تقرير "**مؤسسة رواد**". ويضيف هذا التقرير أن محافظة **جدة** شهدت **مهرجان الأفلام الأوروبيّة** خلال شهر أيار/مايو والذي نظّمه **الاتّحاد الأوروبي** وشاركت به ثماني دول أوروبية وهي: **إيطاليا، إسبانيا، بريطانيا، ألمانيا، تركيا، سويسرا، فرنسا، إيرلندا**، في حين تمّ عرض المهرجان للمرّة الثانية على التوالي في مدينة **الرياض** من خلال السفارات والقنصليات الأوروبية، وتمثّل المنشط الثالث بعرض فيلم "جدة ملتقى الثقافات والحضارات" للمخرج **ممدوح سالم** في مؤتمر **تيدكس آرابيا** في محافظة **جدة**. أما المنشط الرابع فكان بتوجيه وزير الثقافة والإعلام الدكتور **عبدالعزيزخوجه** للقناة الثقافية السعودية بشراء حقوق الأفلام القصيرة وعرضها على القناة.

وبيّن التقرير أن 41 **فيلماً** سعودياً قد شارك في 18 **مهرجاناً** دولياً وعالمياً، منها ثمانية مهرجانات ومحافل عالمية، في حين تمّت المشاركة في عشرة مهرجانات عربيّة، وكانت الأفلام المشاركة متنوّعة الإنتاج فكان 32 **فيلماً** من إنتاج **العام** 2010 في حين تعتبر تسعة أفلام من إنتاج سنوات سابقة.

ولفت التقرير إلى تحقيق السينمائيّين السعوديّين "رقماً قياسيّاً جديداً" في تحقيق الجوائز، بعد أن حصدوا عشرة انتصارات شملت أربع جوائز ذهبيّة وجائزتين فضية وأخرى في مجالات متخصّصة، ما يسطّره التاريخ لصنّاع السينما السعوديّة. وجاءت الجوائز على النحو

السعودية واحدة من البلدان الأكثر "استهلاكاً" للأفلام في العالم، لكن ليس عن طريق الصالات السينمائيّة بل عن طريق العروض المنزلية، كأسطوانات مدمجة أو عروض تلفزيونيّة.

العام 2010 شهد تزايد العروض السينمائيّة في مناطق عدّة من السعودية، كان أبرزها عرض فيلم "الطريق إلى مكة" طيلة شهر كامل، من ضمن نشاطات "صيف أبها".

التالي: فوز الفيلم السعودي "الصمت" للمخرج **توفيق الزايدي** بجائزة **الخنجر الذهبي** لأفضل فيلم خليجي قصير في **مهرجان الخليج السينمائي الثالث**. فازت المخرجة السعودية **عهد كامل** بالجائزة الفضية عن فيلمها "القندرجي" في فرع الأفلام القصيرة في **مهرجان الخليج السينمائي الثالث**. فاز المخرج **حسام الحلوة** بجائزة أفضل سيناريو عن فيلم عودة" في فرع الأفلام القصيرة في **مهرجان الخليج السينمائي الثالث**. فاز المخرج **محمد التميمي** بجائزة لجنة التحكيم الخاصة في مسابقة الطلبة عن فيلم "الجنطة" في **مهرجان الخليج السينمائي الثالث**. حقّق فيلم "**القندرجي**" للمخرجة **عهد كامل** الجائزة الذهبيّة في **مهرجان بيروت السينمائي الدولي**. حقّق فيلم "عايش" للمخرج **عبدالله آل عياف** الجائزة الفضية في **مهرجان بيروت السينمائي الدولي**. نال فيلم "داكن" للمخرج **بدر الحمود** جائزة أفضل تصوير في مسابقة أفلام من الإمارات في **مهرجان أبو ظبي السينمائي**، تمّ ترشيح الممثّل السعودي **إبراهيم الحساوي** من ضمن أفضل خمسة ممثلين في **مهرجان قرائد أووف السينمائي**، فاز فيلم "القندرجي" مناصفةً مع فيلم آخر بالجائزة الأولى لمسابقة الأفلام القصيرة في **المهرجان الدولي للفيلم العربي**.

كذلك شارك أربعة سينمائيّين سعوديّين في لجان تحكيم المهرجانات السينمائيّة وهم: المخرج السينمائي **ممدوح سالم** عضو لجنة تحكيم الأفلام القصيرة والوثائقية في **مهرجان مسقط السينمائي الدولي**، المخرج **محمد الظاهري** عضو لجنة تحكيم الأفلام في **مهرجان الخليج السينمائي الثالث**، الكاتبة **بدرية البشر** عضو لجنة السيناريو في **مهرجان الخليج السينمائي الثالث، وهيفاء المنصور** شاركت كعضوة لجنة في مهرجانين الأول مسابقة أفلام من **الإمارات** في مهرجان أبو ظبي السينمائي والثاني عضوة لجنة التحكيم الدولية لمسابقة الأفلام العربيّة في **مهرجان القاهرة السينمائي**.

من الواضح أن هذا كلّه قد لايكون بالأمر اللافت لو كان متعلّقاً ببلد ذي إنتاج وحضور سينمائيّين عريقين، لكنه، إذ يتحدث عن **السعودية**، فإن أهميته تبرز نسبياً، ولاسيما في عام شهد بدايات مرحلة انتقالية عربيّة عامة، يرى كثر من المراقبين أنها ستقود، اجتماعياً وإبداعياً، إلى آفاق جديدة. ومن هنا يمكن النظر، هنا أيضاً، إلى هذه الأرقام والحقائق – على تواضعها – على أنها تفتح آفاقاً جديدة تؤكّد حضور الشبّان السعوديّين – شباباً وشابات – في الخارطة السينمائيّة بقوّة.

41 فيلماً سعوديّاً شارك في 18 مهرجاناً دوليّاً. وقد حقّق السينمائيّون السعوديّون رقماً قياسياً جديداً في حصد الجوائز.

الكويت: نحو عودة إلى البدايات المميّزة

ليس في **الكويت** محظورات أو مشكلات تتعلق بوجود الصالات والعروض السينمائيّة الاجتماعيّة أو عدم وجودها. فالمعروف أن **الكويت** كانت من البلدان الخليجية الأولى – بعد **البحرين** – التي عرفت طقوس العروض السينمائيّة في الصالات. والأكثر من هذا أن الكويت كانت قبل نحو أربعين سنة، من أولى البلدان العربيّة الخليجيّة التي عرفت إنتاجاً سينمائياً حقيقياً، تمثّل يومها بفيلم أول، لايزال يعتبر حتى اليوم واحدة من التحف السينمائيّة على الصعيد العربي ككلّ. وهي تلك التي كانها فيلم "بس يا بحر" للمخرج **خالد الصديق**. هذا الفيلم الذي حقّق وعرض بين 1970 و1971 يحسب حتى اليوم بين أفضل عشرة أفلام عربيّة حقّقت طوال تاريخ السينمات العربيّة. وواحداً من أبرز الأفلام الأنثروبولوجية – الاجتماعية في العالم. عندما ظهر هذا الفيلم، ساد التوقّع بأنه سوف يكون البداية لحضور سينمائي حقيقي – على صعيد الإنتاج والإبداع – في أرجاء **الخليج العربي** بشكل عام. وبالفعل نعرف أن هذا

الفيلم عاد صاحبه (**خالد الصديق**) وألحقه بثانٍ لايقلّ عنه جمالاً وأنثروبولوجيّة هو "عرس الزين" الذي دنا فيه من حياة المجتمع السوداني (من طريق رواية قصيرة للطيب صالح) بعدما كان في "بس.. يا بحر" دنا من حياة المجتمع الكويتي (ما قبل النفط). كما حقّق في **الكويت** نفسها نصف دزينة من أفلام أخرى. ولكن بالتدريج، راح ذلك النشاط يخبو بحيث ما إن شارف العقد الأول من القرن الجديد على نهايته حتى بدا وكأن الحياة الإنتاجية السينمائيّة في **الكويت** اختفت تماماً. صحيح أن العامين 2008 و2009، شهدا عودةً ما لانطلاق السينما الكويتيّة، ولكن المنتوج – على أهميته العددية: 5 أفلام خلال دينك العامين – لم تأتِ على مقياس بلدٍ كان حقّق "بس.. يا بحر" قبل ثلث قرن وأكثر.

مهما يكن من أمر، فإن حصيلة الإنتاج السينمائي الكويتي من الأفلام الطويلة بلغت في تاريخ الكويت 11 **فيلماً**. أما اليوم فإن أصواتاً بدأت ترتفع متسائلة عمّا يحول دون استعادة **الكويت**، مكانة سينمائيّة ما، خصوصاً أنها لم تشهد خلال **العام** 2010 إنتاج أيّ فيلم جديد، باستثناء فيلم "هالو كايرو" وهو مشترك بين **الكويت ومصر** شاهده عدد كبير من المتفرجين، لقاهريّته (ولممثليهما المصريّين) أكثر ممّا شاهدوه لكويتيّته. وتبدو غرابة هذا الغياب للإنتاج الكويتي إن نحن تذكرنا أن في الكويت، دون غيرها من البلدان الخليجية، حركة نوادٍ سينمائيّة ناشطة، وجيلاً بأكمله من هواة السينما، من بينه **وليد العوضي**، الذي يبدو أنه يفضّل تحقيق أفلامه خارج **الكويت**! واليوم، إذا كان يمكن أن نجد عزاءً **للكويت** في قضية غياب الإنتاج السينمائي، في ما عانته منذ بداية تسعينيّات القرن الفائت (الغزو العراقي) ما أوقف نموّها الثقافي، وجعلها تبدو على خطوات إلى الوراء وهي تراقب، بدهشة، حركية النشاط المهرجاني السينمائي في ثلاثة أو أربعة بلدان مجاورة لها (**أبوظبي**، **دبي**، **الدوحة**، **مسقط**... إلخ)، فإن الوقت حان، كما تقول أصوات كويتية بدأت تعلو، لاستعادة المجد القديم، تحت عنوان فصيح هو "محاولات لإعادة الروح إلى صناعة السينما الكويتيّة بعد 40 عاماً من البدايات". أما أصحاب هذه الأصوات فهم مسؤولون ومبدعون وتقنيّون– معظمهم ينشط حالياً في الحيّز التلفزيوني – يشاركون في المناسبات والمهرجانات الخليجيّة، أو بشكل عام مشاركات فعالة، وكلّهم أمل في أن يكون الحضور المقبل لهم، في تلك المناسبات، مرفقاً بأعمال حقيقيّة تعيد الكويت إلى الساحة.

البحرين: سينما بالقطارة ومجتمع ينتظر صوره على الشاشة

للبحرين، مع السينما، حكاية تكاد تتماثل مع حكاية **الكويت** معها. **فالبحرين** التي شهدت منذ ثلاثينيّات القرن الفائت ظهور بعض أول صالات العروض السينمائيّة في منطقة **الخليج العربي**، عرفت بدورها رائداً في مجال تحقيق الأفلام الروائيّة الطويلة تشبه تجربته تجربة المخرج الكويتي **خالد الصديق** هو المخرج المعروف **بسام الذوادي**. لكن، إذا كان **خالد الصديق** اختفى من الساحة بشكل شبه تام، فإن **الذوادي** لايزال حاضراً وإنما من دون أن ينتج جديداً، أو، على الأقل، كانت هذه حاله في **العام** 2010. وفي هذا العام، على أيّ حال، تراجع حضور الفنون السينمائيّة وحتى التلفزيونيّة في البحرين، إلى إنتاج فيلمين سينمائيّين هما "حنين" و"مريمي" الذي أنتج أصلاً في العام السابق. كما أن الإنتاج التلفزيوني اقتصر على 5 مسلسلات، وهذا مايدفع إلى التساؤل الجدّي حول أوضاع تجعل أكثر البلدان عراقة فنّية في طول **الخليج العربي** وعرضه، أقلّ هذه البلدان إنتاجاً في هذه السنوات الأخيرة.

المحصلة العامة للإنتاج البحريني، منذ بدايات **خليفة شاهين** في مجال الفيلم القصير عند بداية الستينيّات، تصل إلى اكثر من 100 فيلم، مقابل أقلّ من نصف دزينة من الأفلام الطويلة. لكن السؤال هنا هو: **البحرين** التي يعتبر مجتمعها، ثقافياً وحضارياً، من أكثر المجتمعات الخليجيّة تقدّماً، وتعتبر النتاجات الأدبية فيها (شعراً وقصة ونقداً) من أكثر النتاجات العربيّة رسوخاً وحداثةً، تجعل المرء في تساؤل دائم: لماذا لم نعد نرى صورة لمجتمعها على الشاشة الكبيرة؟ فمن أفلام **بسام الذوادي** إلى أعمال مثل "4 بنات" و"مريمي" عرفت هذه الحركة كيف تتضافر مع جهود نقدية وتاريخية تتعلق بالسينما العالمية (نخصّ بالذكر منها التجربة الفريدة **لأمين صالح**)، لقول أشياء كثيرة حول مجتمع – أو بالأحرى مجتمعات – تنضح بالمواضيع والصور، فما بال **البحرين** تبدو غائبة، حتى عن الجهود التي بذلت خلال العقدين الفائتين لخلق دينامية عروض وسجالات حول السينما، بحرينية كانت أم عربيّة؟

قطر والإمارات وعُمان: إلى الخارج درّ

إذا نظرنا إلى الحراك السينمائي كما هو حاضر في بقية **الدول الخليجية** هذه، سوف نصاب بالدهشة. ففي **الإمارات** (**أبو ظبي، ودبي**) كما في قطر، ثمة ما لا يقلّ عن ثلاثة مهرجانات عالميّة تقام بشكل سنوي منذ مواسم عديدة، يضاف **مهرجان سينما الخليج** الذي يعرض عشرات الأفلام والشرائط "السينمائيّة" الآتية من شتّى **البلدان العربيّة** المطلّة على **الخليج**، بما فيها العراق واليمن أحياناً. وتعتبر اليوم **مهرجانات دبي وأبو ظبي والدوحة** من أبرز المهرجانات في العالم ومن أغناها. بل إنها صارت المحطّة السنوية الرئيسة لعرض بعض أبرز الأفلام العالمية، واستيعاب بعض أبرز الأفلام العربيّة، التي بات معظمها يفضل أن تكون عروضه الأولى في تلك المهرجانات، طمعاً بالجوائز السخيّة والسمعة العالمية التي يؤمّنها لها إعلامٌ صاخب. بل ثمّة في كلّ هذه المهرجانات مؤسّسات فرعيّة تؤمّن إنتاجاً أو إسهاماً إنتاجيّاً في أفلام عربيّة عديدة، وكذلك في أفلام عالميّة. ومع هذا جرّب أن تقارن بين كلّ هذا الصخب الإنتاجي العربي والعالمي المسنود من المهرجانات، وبين ما يعرض، مثلاً، في **مهرجان سينما الخليج** من شرائط آتية من البلدان نفسها، صاحبة المهرجانات، إذ حينها ستكتشف أن النتيجة مخيّبة. إن مهرجانات تنتج أوتسهم في إنتاج أفلام عالمية ضخمة (من أهمها وآخرها "ذهب أسود" الذي يخرجه الفرنسي **جان – جاك آنو**، صاحب "اسم الوردة" و"العدو عند الباب"، الذي أنتج بفضل أموال قطرية بدءاً من **العام** 2010، ليعرض عند نهاية **العام** 2011 في **مهرجان الدوحة**)، لاتزال حتى اليوم عاجزة عن بعث إنتاج وطنيّ حقيقي، تبدو مثيرة لشتّى أنواع التساؤل، خصوصاً أن كلاً من هذه البلدان يبدو ذا حراك ونشاط مدهشين من ناحية ارتياد الصالات وعرض الأفلام العالميّة، بل حتى وجود طاقات بشرية تحمل مشاريعها وأفلامها السينمائيّة، لكنها تبدو عاجزة عن الحصول ولو على فتات ممّا ينفق على المهرجانات. ترى أفلا يبدو هذا كلّه غريباً في مجتمعات فيها من التعدّدية الاجتماعية ومن الأسئلة والمواضيع المطروحة ما يمكنه من ملء عشرات الأفلام؟ مجتمعات بلغت فيها الحالة المهرجانيّة مايمكن أن يوصف بسنّ الرشد؟

أسئلة المهرجانات السينمائيّة العربيّة: كلّ هذه الجعجعة وطحنها المنتظر

لقد تحدثنا في تقديم هذا النصّ عن المهرجانات السينمائيّة العربيّة، وعن دورها الجديد أو المتجدّد في الحياة السينمائيّة في البلدان العربيّة؛ عن انزياحها المدهش من عواصم السينما العربيّة التقليدية إلى عواصم يبدو فيها الأمر جديداً مفاجئاً، لكن ربما أيضاً مسهماً في بناء مستقبل السينما – الجيّدة بخاصة – في بلدان **العالم العربي**. ولازدياد

الأصوات بدأت ترتفع متسائلة عمّا يحول دون استعادة الكويت مكانة سينمائيّة، خصوصاً أنها لم تشهد العام 2010 إنتاج أيّ فيلم جديد باستثناء فيلم "هالو كايرو" المتشرك مع مصر

عدد المهرجانات السينمائيّة في قطر والإمارات والبحرين مثير للدهشة، إلا أن هذه الدول لاتزال عاجزة حتى الآن عن تحقيق إنتاج سينمائي وطني حقيقي، على الرغم من الحراك المدهش في مجال ارتياد الصالات وعروض الأفلام العالميّة.

أهمية هذه المهرجانات خلال **العام** 2010، بات من المفيد أن نستعرض، بصورة نقديّة، تاريخ هذه المهرجانات وأسئلتها. لكن، هل يمكن لأحد أن يعرف، حقاً، كم عدد المهرجانات السينمائيّة العربيّة؟

يطرح هذا السؤال بهذا الشكل الذي يحمل جوابه السلبي، ليس من باب العجز عن إحصاء عدد هذه المهرجانات، بل من العجز عن الوصول إلى تحديد علمي، على المستوى العربي على الأقلّ، لما هو مقصود عادةً من استخدام كلمة "مهرجان" في وصف كلّ تلك التظاهرات والمناسبات السينمائيّة التي باتت تقام في عدد كبير جداً من المدن العربيّة وتكون هي – في شكل عام – المعنيّة حين يجري الحديث على "المهرجانات" السينمائيّة. لكي نعطي لمحة أولية تتعلق بالاستخدام غير الواضح والدقيق لكلمة "مهرجان"، حسبنا أن نقول إن في **لبنان** وحده يقام سنوياً وفي مواعيد متقاربة تمتدّ خلال فصل الخريف، بين 10 و12 مناسبة سينمائيّة تحمل جميعها أو الغالبية العظمى منها، اسم مهرجان. وفي هذا السياق، يبدو **لبنان** – على أيّ حال – حالة فريدة، بالنظر إلى أن كلّ تظاهراته السينمائيّة تقام في العاصمة **بيروت** – مع احتمال أن تنشأ لبعضها "فروع" في مدنٍ ومناطق أخرى! –. هنا، قد يقول من يستنكر تخصيصنا **لبنان** بهذه اللّفتة، أن بلداً مثل **المغرب** يشهد من المهرجانات ما يفوق بكثير عدد المهرجانات اللّبنانيّة. لكن الفارق ليس في الحجم بين واحدة من أكبر الدول العربيّة، مساحةً وسكاناً، وواحدة من أصغرها، بل في أن مهرجانات **المغرب** موزّعة على مدنه تبعاً للامركزيةٍ سكانيّةٍ وثقافيّةٍ مدهشة. ومن هنا فإن مهرجان **الرباط** غير مهرجان **مراكش**، مهرجان **تطوان** غير مهرجان **طنجة** وما إلى ذلك.

وفي الحقيقة لم نتوخَّ من هذا المدخل أن يكون محدّداً لحديثنا هنا عن مهرجانات السينما العربيّة من منطلق سلبي، بل لتحديد بعض الفوارق وأسس الحديث لا أكثر. ذلك أن أقل ما يمكن للمرء أن يقوله بصدد الزحمة العددية التي تعيشها المهرجانات السينمائيّة في **العالم العربي**، هو إنها أمر جيّد وإن كثرتها وتنوّعها أمران أيضاً جيّدان! الأهم هو أن ننظر بشيء من التواضع إلى الظاهرة بأسرها متسائلين، بعد كلّ شيء، هل فيها فائدة للثقافة العربيّة، وبشكل أكثر دقة، للسينمات العربيّة؟

الفائدة مؤكّدة من المهرجانات السينمائيّة، لكن ما يلفت النظر حقاً هو أن المهرجانات الأعرق والأهمّ على الساحة العربيّة هي المهرجانات الأفقر.

نحو فائدة ما

حسناً، قد لا يكون ثمة مجال لأيّ إجابة غير تلك الواضحة والصريحة: نعم، الفائدة مؤكّدة، مهما كان من شأن توجّه أيّ مهرجان وصيغته، وسواء أكان مهرجاناً راسخاً عريقاً في بلدان عربيّة للنشاط السينمائي فيها، إنتاجاً ومشاهدةً، رسوخاً وتاريخاً (**مصر**، **سورية**، **لبنان**، **تونس** أو **المغرب** أو حتى **الجزائر**) أم كان مهرجانات طارئة جديدة يقدّم معظمها في **بلدان خليجية** من اللافت أن معظمها اكتشف النشاط المهرجاني قبل أن يكتشف النشاط الإنتاجي، أي قبل أن يصبح صنع فيلم جزءاً من المنتوج الإبداعي المحلّي. غير أن ما يلفت النظر حقاً هو أن المهرجانات الأعرق والأهم على امتداد الساحة العربيّة هي المهرجانات الأفقر. بل لنقل بكلّ وضوح، أن معظم المهرجانات تعاني فقراً وشحّاً دائمين باستثناء ثلاثة مهرجانات خليجيّة هي "**دبي**" و"**أبوظبي**" و "**الدوحة**"، مع العلم أن هذه الثلاثة هي الأحدث وهي المقامة في بلدان بالكاد يعرف فيها للإنتاج السينمائي حضور. طبعاً لسنا هنا في وارد الحديث التاريخي أو الجمالي والأيديولوجي حول العوامل التي أخّرت ظهور السينما فنّاً إبداعياً في هذه البلدان، أو عن الأسباب التي جعلت بلداً أنتج السينما باكراً، مثل **الكويت** أو **البحرين**، يتراجع، نوعية وكمية في هذا الإنتاج بعد ذلك. ففي نهاية الأمر، ليس الذين أسّسوا المهرجانات في **دبي**

وأبو ظبي والدوحة مسؤولين عن ذلك الغياب وهذا التراجع. كذلك، سيكون من الصعب علينا أن نعتبر، مثلاً، هذه المهرجانات الثلاثة التي نذكر، مسؤولة عن فقر المهرجانات العريقة. ربما يصحّ أن نقول هنا إنه كان من المأمول في مطلق الأحوال أن تصل حدّة المنافسة التي تشكلها المهرجانات الخليجيّة، بميزانياتها الضخمة وقدرتها على الاستقطاب، إلى دفع بلدان ذات مهرجانات عريقة/ فقيرة، إلى تخصيص هذه المهرجانات بميزانيات تتصدّى للمنافسة الشرسة. بيد أن هذا لم يحصل، ليس طبعاً بسبب فقر الدول المعنيّة، بل لعدم إدراكها – ما تمكّنت البلدان الخليجية من إدراكه – وهو أن مهرجاناً سينمائيّاً ينفق عليه بقوّة وكرم يستأهلهما، يمكنه أن يضع البلد صاحب الشأن على خريطة الثقافة الحاضرة والفاعلة في العالم. وبالتأكيد، مهما كانت ضخامة المبالغ التي تنفق على المهرجانات الخليجيّة، فإنها لا تشكّل عبئاً كبيراً لو أنفقت هي نفسها في البلدان الأكثر فقراً. أما المعضلة الحقيقية فتكمن في رأينا في موقع آخر.

فالحقيقة أن بدايات المهرجانات السينمائيّة العربيّة، في بلدان راسخة ورائدة في هذا المجال مثل **مصر وتونس والمغرب** (متأخراً بعض الشيء) **ولبنان** (مبكراً بعض الشيء سابقاً سورية في هذا السياق، زمنيّاً)، كانت بدايات متواضعة تبدو اليوم أشبه بتحركات الهواة، وكانت حتى تقام من دون دعم رسمي تقريباً. كان القائمون بالمهرجانات أفراداً أو جماعات همّهم الأساس عرض أفلام لا يتيسّر عرضها في الصالات التجاريّة، وتحلُّق أعداد من الهواة المحليّين أو المستضافين من حولها. ولما كانت تلك التظاهرات بادئة ونادرة، وكان الزمن – الستينيّات من القرن العشرين – تطغى عليه الصبغة النضاليّة السياسيّة (ما جعل من تلك المناسبات فرصة لقول كلام سياسي ونضالي من طريق السينما وغالباً في إفلات متسامح من الرقابات)، كان الحماس يحلّ محلّ الإنفاق السخيّ، فيتدافع الهواة والسينمائيّون والنقاد للحضور، وتتبارى صحافتهم، كما الصحافة الأجنبيّة، للكتابة عمّا يحدث ويعرض. فكانت النتيجة، أن صار **مهرجان قرطاج** (في **تونس**) ثم **دمشق** (في **سورية**) وبعض المناسبات البيروتيّة المتفرقة، ثم **القاهرة** في **مصر والإسكندرية** أيضاً وغيرها، أحداثاً صاخبة ومناسبات راسخة وفرصاً ليس لمشاهدة أفلام مميّزة وإعطائها جوائز فقط، بل كذلك لتجمّع أهل المهنة والتناقش في ما بينهم.

هل يمكننا أن نأمل بحلول زمن قريب تنتقل فيه المهرجانات السينمائيّة، عريقها والجديد، غنيُّها والفقير، من حالة تسود أهل المهنة إلى حالة تنطلق مجتذبة متفرجين حقيقيّين، لتسهم في خلق نهضة سينمائيّة حقّة؟

زمن الكلام الكبير

طبعاً، لسنا هنا في صدد استعادة كلّ ذلك التاريخ، الذي جعل – مع الوقت – تلك المناسبات المهرجانيّة ترتبط بها أسماء عدد من أبرز وجوه السينما العربيّة الجادة، حتى وإن كنّا نعرف أن **مهرجان القاهرة** مثلاً، كما أسّسه الراحل **كمال الملاخ** ثم طوّره وأعطاه شرعيته وعالميته الأديب الكبير الراحل **سعد الدين وهبة**، استغرق وقتاً قبل أن تطلّ منه السينما العربيّة الجادة غير المصرية. هذه السينما كان "قرطاج" التونسي مكانها المفضّل، كما كان المكان المفضّل لمشاهدة جديد السينما الأفريقية، فيما جعل **مهرجان دمشق** من نفسه منبراً حقيقيّاً لجديد السينما العربيّة وجديّها، ناهيك بإطلالاته المحدودة على السينما الآسيوية وبعض السينمات السوفياتيّة.

في خضم ذلك، وبالتواكب مع تعثّر **بيروت** الدائم في تنظيم مهرجانات حقيقيّة، أو في مواصلة طريق قد تكون شقّته دورات أولى لمهرجانات مأمولة، وجدت مهرجانات عربيّة راحت تزداد عراقة مع الوقت، لكنها ترسّخت في الوقت نفسه نخبوية الاتجاه جدية في أفلامها متجهمة في مناقشاتها. ولم يكن هذا، في ذلك الحين، بسبب الافتقار إلى المال، بل لأن طبيعة الحياة الثقافية العربيّة كانت هكذا: متقشفة، لاتؤمن بالإنتاج الضخم، ولا تحبّ

استضافة النجوم. ولابأس أن نذكر هنا أنه حين بدأ "**قرطاج**" يستضيف نجوماً مصريّين، علا صراخ مثقفين كثر محتجّين صاخبين.

طبعاً، هذا كلّه، كان قد صار من الماضي في تسعينيّات القرن الفائت، حين صارت **لمهرجان القاهرة** مكانته "الدولية" وصارت استضافة النجوم جزءاً من أقانيمه الأساسيّة (ودائماً وسط صراخ الاحتجاج السلبي الذي كان يريد نقاءً سينمائياً، كانت واضحة استحالته في **القاهرة**، فانتهى به الأمر إلى أن يصبح من نصيب مهرجان آخر متشقف، مناضل في **مصر**، هو **مهرجان الإسماعيلية** للأفلام القصيرة الوثائقيّة تحت إدارة **سمير فريد** ثم تحت إدارة **علي أبو شادي**). ولئن حافظ مهرجانا "**قرطاج**" و "**دمشق**" على ذلك النقاء، وإن بشكل نسبي؛ ظلّت القسمة عادلة بين السينما المهرجانيّة، والسينما الجماهيريّة، وظلّت كذلك حتى بالنسبة إلى **مهرجان القاهرة** الذي ارتبطت جماهيريّته إلى حدّ كبير، بتغاضي الرقابة عن المشاهد الجنسيّة في المعروض من أفلامه، فكان أن تدافع الجمهور العريض لمشاهدة هذه الأفلام فقط. ومن هنا ولد تعبير "فيلم ثقافي" الشهير والذي يشير تحديداً إلى "الفيلم ذي المشاهد الإباحيّة"!

في أثناء ذلك، وبعد تاريخ لافت من الحضور لعدد كبير من السينمائيّين العرب (المميّزين منهم على أيّ حال) في عدد كبير من المهرجانات العالمية (مثل "**برلين**" و "**البندقية**" وغيرها) في تحقيقٍ لأحلام قديمة جداً كانت طويلاً ما داعبت خيال الراحل **يوسف شاهين**، حدث أن ولد في **باريس** (وفي **معهد العالم العربي** تحديداً)، على أنقاض مهرجان تأسيسي كان قد أقامه الناقد الراحل **غسان عبد الخالق** في العاصمة الفرنسيّة ونظّم له دورات عديدة ناجحة، ولاننسى مهرجاناً للفيلم العربي صار بسرعة مركز استقطاب شديد الأهميّة للسينما العربيّة ومبدعيها، كما صار نافذة فريدة من نوعها أطلّت السينما العربيّة من خلالها على العالم. وكان ذلك المهرجان الذي عاش ما لم يزد عن عقد ونصف العقد من الستينيّات، ظاهرة استثنائية، لكونه جعل من **باريس**، ودون العواصم العربيّة كلّها، المكان الوحيد الذي يلتقي فيه السينمائيّون العرب من بلدانهم كافة ويعرضون أفلامهم ويتحاورون في شأنها مع بعضهم البعض، كما مع جمهور واعٍ. لقد كان من أهمّ ما أنجزه ذلك المهرجان هو أنه كسر حاجزاً (كان كسره يداعب دائماً خيال مؤسّسي **مهرجان** "**قرطاج**" وأصحابه، من **طاهر الشريعة** إلى **حمادي الصيد**)، كان قائماً بين سينمات **المشرق العربي** وسينمات مغربه. وهذا المهرجان الذي كان ولا يزال تجربة فريدة من نوعها، حاكته وسارت على منواله تظاهرات عديدة أخرى (حيناً في **لندن** وحيناً في **روتردام** الهولندية، ومرّة – حتى – في **نيويورك**، حيث نظّمت السينما والناقدة الفلسطينيّة **علياء آراصغلي** مهرجاناً مميّزاً للسينما العربيّة **العام** 1995 في **لنكولن سنتر**)..

البداية من جديد

غير أن إطلالة القرن الجديد، سرعان ما شهدت اضمحلال ثم اختفاء كلّ ذلك النشاط العربي الجامع. وفي تلك الأثناء استأنف **المغرب** نشاطاً سينمائيّاً كان جمد لبعض الوقت، فأتى الاستئناف ليبعث حياة ليس في الحالة المهرجانيّة السينمائيّة فقط، بل كذلك في النشاط الإنتاجي في هذا البلد، ولاسيما حين عاد إلى الوطن ناقد ومنشط إداري سينمائي كان في الماضي قد أسهم في تأسيس الحركة النقدية وحركة نوادي السينما هناك، وهو **نور الدين صايل**، الذي حين عاد إلى **المغرب** أسهم أولاً في نهضة تلفزيونية، لم يلبث بعدها أن تحوّل ليعيد الحياة إلى السينما إنتاجاً وتنشيطاً ومهرجانات، من خلال تسلّمه مسؤوليات المركز الوطني للسينما. ولسوف

يكون من أهمّ علامات ذلك كلّه التعريب النسبي **لمهرجان مراكش** ذي التأسيس الفرنسي، وإقامة **المهرجان الوطني للسينما** الذي استقرّ في طنجة، كما إقامة **مهرجان طنجة المتوسطي للفيلم القصير**، ثم إعادة الحياة لبعض المهرجانات مثل **خريبكة وتطوان** وحتى **مهرجان الرباط** الذي تسلّم مقدراته مباشرة الناقد المعروف **محمد باكريم**.

كلّ هذا النشاط أعطى **المغرب** خصوصيّة مهرجانيّة مدهشة، حتى وإن كان قد ألقى بظلالٍ أكيدة على **مهرجان قرطاج التونسي**، الذي استطاعت المهرجانات المغربيّة أن "تسرق" منه اهتمامات المشرقيّين، سينمائيّين ونقاداً، واهتمامات سينمائيّي **أفريقيا ما وراء الصحراء**، ولاسيما حين عرف "**مراكش**" كيف يضرب ضربة كبرى بتنظيمه أكبر تظاهرة للسينما المصريّة أقيمت خارج **مصر** في تاريخ هذه السينما. والحال، أن هذا كلّه كان من شأنه أن يجعل **للمغرب** مكانة راسخة وعريقة – وإن متجدّدة – في جوار "**قرطاج**" و "**دمشق**" و "**القاهرة**". بيد أن الذي حدث هنا كان أمراً آخر لم يكن متوقعاً على الإطلاق: انبعثت، من العدم بالتأكيد، كلّ تلك المهرجانات الخليجية التي راحت تولد تباعاً. في البداية، حين وجدت هذه المهرجانات في "**دبي**" أولاً، لم تبدُ مخيفة، حتى بالأموال الضخمة التي راحت تنفقها، بل راح كثر يتوقّعون **لمهرجان دبي** الفشل أو عدم الاستمرار. لكن "**دبي**" نجح، وإن في استقطاب نجوم وصحافة عالمية، ليحوّل المدينة التي أقيم فيها إلى "مدينة سينمائيّة كبرى" من دون أن يأبه أحد بأن يولد، أو لا يولد، إنتاجٍ سينمائي في **دبي**. كذلك لم يكن أحد يأبه، بدايةً، بما إذا عرضت أو لم تعرض أفلام عربيّة في المهرجان. بدت الأمور وكأنما **مهرجان** "**دبي**" لايشكِّل أكثر من مرآة لما هو معهود من كوزموبوليتيّة المدينة والتباساتها. غير أن هذا الاعتبار لم يدم طويلاً، إذ – وكما كان منتظراً – منذ البداية، سرعان ما دخلت "**أبو ظبي**" على الخط راغبة في أن يكون لها، هي الأخرى، مهرجانها أيضاً. وهكذا ولد **مهرجان أبو ظبي**، الذي أراد منذ البداية، أن يكون ذا اتّجاه عربي – مصري بخاصة – يفوق فيه كلّ جهود "دبي" في هذا المجال. وبالطبع نعرف هنا بقية الحكاية: بعد "دبي" أتى "الدوحة" في تآخٍ مع **مهرجان تريبيكا** النيويوركي. وفي أثناء ذلك، ولد مهرجان مسقط، وها هي مشاريع أخرى تتوالى. وراح الصراخ يعلو، وبدأ التنافس يشتدّ على استقطاب الأفلام العربيّة، بل على تمويلها حتى. وتدفّقت الجوائز والمساعدات بشكل يبدو معه أن النابل اختلط بالحابل.

سؤال السينما

كل هذا الذي تعبّر عنه السطور السابقة، لم يصبح بعد جزءاً من التاريخ. والسجالات وضروب المنافسة لاتزال محتدمة. أما الصورة الإجمالية فبالكاد يمكن رسمها، لأنها لما تكتمل بعد، في وقت تبحث فيه المهرجانات العريقة ("**قرطاج**" و "**القاهرة**" و "**دمشق**") عن أموال تخوض بها المنافسة وتحصل بفضلها حتى على أفلام محلّية بات أصحابها يفضّلون عرضها في المهرجانات الخليجيّة. ولسنا نلومهم في ذلك. فالمهرجانات الخليجيّة تدفع، أما المهرجانات المحلّية فلا تدفع، والسينمائي مثل كلّ كائن بشري آخر ينفق على إنتاجه كي يعيش منه ويعيد ذلك الإنتاج. وتزداد حدّة الأمر أمام وضعية إنتاجيّة عربيّة لاتنتج من الأفلام، سنوياً، ما يسدّ ظمأ المهرجانات. والأدهى من هذا أن كلّ المحاولات التي بذلت حتى الآن لجمع مسؤولين نحو دزينة من مهرجانات رئيسة لإيجاد نوع من التنسيق، لم تنتج حلولاً للمآزق الدائمة التي تواجه الأفلام نفسها وأهل المهنة والنقاد الذين يجدون أنفسهم أمام مهرجانات تقام أحياناً في وقت واحد وأحياناً متقاربة المواعيد فيكون على المرء أو حتى الفيلم أن يختار مضحياً بالآخرين!.



بعد هذا كلّه، يظل ثمة سؤال يفرض نفسه لا بدّ أن نختتم به هذا الكلام الذي لم نحاول فيه أكثر من استعراض تاريخي – راهن، لصورة الحالة المهرجانيّة العربيّة: ترى، هل يمكننا أن نأمل بحلول زمن قريب تنتقل فيه كلّ هذه المهرجانات، عريقها والجديد، غنيّها والفقير، من حالة تسود حياة أهل المهنة، إلى حالة تنطلق مجتذبة متفرجين حقيقيّين، إسهاماً في خلق نهضة سينمائيّة حقيقيّة (في بلدان لاتعرف هذه النهضة، أو أخرى خبت نهضة سابقة عرفتها في الماضي أوثالثة شوّهت ضرورات السوق نهضتها وتاريخها)؟ وفي يقيننا أن هذا هو السؤال الحقيقي السؤال الذي بات لابدّ من طرحه.

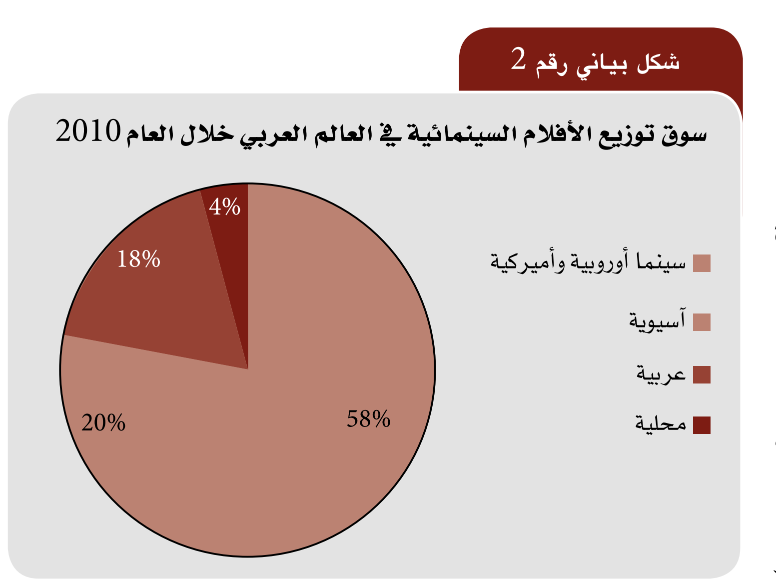
على سبيل الخاتمة : نحو مستقبل ما

كان في ودّ المرء أن ترد في الصفحات السابقة أخبار إن لم يكن تحليلات متعمّقة حول نشاط سينمائي ما، في بلدان عربيّة لم يرد ذكر لها في تقريرنا هذا. لكن هذا لم يحصل وليس الذنب ذنب التقرير بالطبع، وكذلك ليس ذنب أوضاع لاتصل الأخبار السينمائيّة فيها من بلدان مثل **موريتانيا** أو **جزر القمر** أو **الصومال** أو **دجيبوتي** أو حتى **السودان وليبيا واليمن**. الذنب ذنب الإنتاج نفسه، حيث نلاحظ ليس فقط تضاؤلاً في الإنتاج في هذه البلدان، بل غياباً تاماً له. والحقيقة أن السبب الرئيس الكامن خلف هذا الواقع المؤسي، هو غياب الإمكانات الإنتاجية في مقابل حضور، مكثف، للمشاريع ولأحلام أصحابها. من هذه البلدان تلك التي كانت عرفت ذات لحظة إنتاجاً ما، بل منها من يشكّل مبدع فيها من هنا أو آخر من هناك، علامة ما من علامات حضور قوي للفنّ السابع فيها (**موريتانيا** على سبيل المثال لا الحصر، أعطت العالم خلال العقود الأخيرة اسمين كبيرين في عالم هذا الفنّ: **محمد عبيد هندو** ثم **عبد الرحمن سيساكو**)، غير أن هذا كلّه صار من الماضي. أما الأسماء التي كانت لمعت في ذلك الماضي، فإما أنها اختفت ساعية وراء مهن أخرى مضمونة أكثر، أو أنها صارت تعمل بشكل أو بآخر مع المحطات التلفزيونية الأوروبية.

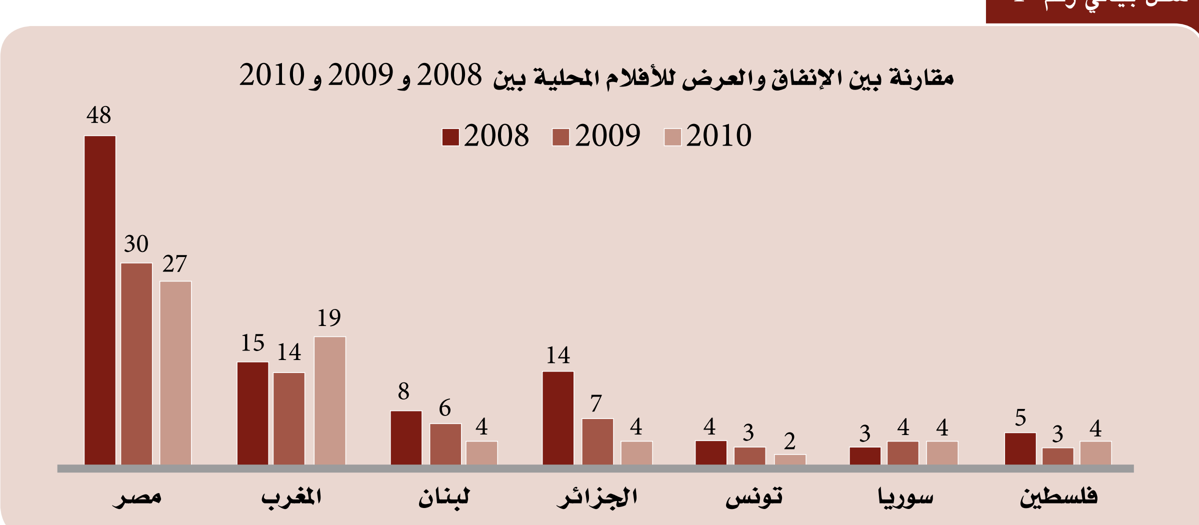
مهما يكن من الأمر، مؤكد هنا أن الأوضاع السياسيّة والاقتصادية ناهيك بزوال الصالات، وهيمنة نمط معيّن من العولمة الفنّية، كل هذا أسهم – بشكل أو بآخر – مضافاً إلى الأزمة الاقتصادية العالمية **العام** 2008 والتي لم تبرأ منها بعد مناطق كثيرة في العالم، في جعل **العام** 2010 يعتبر من أكثر الأعوام الأخيرة افتقاراً إلى الإنتاج السينمائي في البلدان التي نشير إليها، وبالتالي في اختفاء الأسماء التي كانت كبيرة أو واعدة. من هنا، إذا كان في وسعنا أن نأمل، منذ الآن، في أن يكون العام المقبل 2011 عام استعادة بعض البلدان الغائبة اهتمامها واهتمام أبنائها بالسينما في عودة لمبدعي العقود الماضية، أو في ظهور لمبدعين جدد، يخيّل إلينا أنه سيكون في وسعنا ان نتّكل، في إبدائنا هذا الأمل، على بضع مؤسّسات لا تفتأ منذ سنوات تتفاوت عدداً بين بلد وآخر ومؤسّسة وأخرى، تبدو واعدة في مجال مساندة الحركات الإنتاجية في مناطق عديدة من **العالم العربي** وخارجه. والأبرز في هذه المؤسّسات، اليوم، ثلاث، تتبع كلّ واحدة منها واحداً من البلدان الخليجية الثلاثة، ذات المهرجانات التي صارت اليوم راسخة وفاعلة حتى في السينما العالمية. إذ نعرف أن كلاً من **مهرجان أبوظبي السينمائي، ومهرجان دبي ومهرجان الدوحة**، بات له مؤسّسة تمويليّة (تعلن دائماً أنها غير ربحيّة) تتولّى مساندة مشاريع سينمائيّة متنوّعة البلدان والمبدعين والمواضيع والميزانيات. وتبدو، في هذا السياق، **مؤسّسة "سند"** التابعة **لمهرجان أبوظبي**، الأنشط والأكثر كرماً، حيث أسهمت خلال الأعوام الأخيرة في مساندة عدد كبير من الأفلام الآتية من شتّى أنحاء العالم ومنها أفلام ضخمة على النمط الهوليوودي. ومثل **مؤسّسة "سند"**، ما يقدّمه **"الصندوق القطري للفيلم"** الذي ينوّع نشاطاته بين مؤسّسات إنتاجيّة وتعليميّة ومساندة، ولا يتردّد – كما حاله أخيراً – عن مساندة فيلم فرنسي، بات قطرياً أيضاً، مثل "ذهب أسود". والحال نفسه في **دبي**، حيث لا تتردّد المؤسّسة هي الأخرى – وعلى الرغم من الأزمة المالية التي تعصف بالإمارة منذ عامين وأكثر – في دعم العديد من المشاريع السينمائيّة العربيّة ومساندتها ، ولاسيما المخرجين الشبّان.

كل هذا قد يكون، خلال **العام** 2010، في بداياته، غير أنه – وبشكل مؤكّد – سوف يكون ذا مفعول أساسي من خلق نهضات سينمائيّة، تعتمد بخاصة على عنصر الشباب، خلال السنوات التالية. ومن المؤكّد أيضاً أن هذا المفعول سيشمل، وربما في المقام الأول، خلق نهضة سينمائيّة حقيقية في بلدان **الخليج العربي** نفسها. وفي هذا السياق، لا بأس من أن نختتم استعراضنا هنا لواقع السينمات العربيّة **للعام** 2010، بالإشارة إلى واحدة من الإمارات الأساسية للنشاط السينمائي الخليجي خلال العام الذي نحن في صدده. ونعني بهذا **مهرجان سينما الخليج**، الذي – من دون أن يزعم أنه عرض خلال دورته **للعام** 2010، تحفاً سينمائيّة –، تمكّن من أن يمهّد الأرض أكثر وأكثر – عبر عشرات الأفلام القصيرة والمتوسطة، الروائية والوثائقية، وأفلام التحريك، آتية من بلدان عديدة في **شبه الجزيرة** بما فيها **العراق واليمن** – لولادة ما يمكننا منذ الآن تسميته: سينما المستقبل. ولعلّ نقطة التفاؤل الأخيرة هذه تصلح لختام هذا التقرير، الذي لا بدّ من العودة، مرّة أخيرة، للقول إنه، في مختلف سماته، يبدو لنا تقريراً يتحدث بالأحرى عن نقطة انعطافية في زمن انتقالي. زمن بداية ربيع جديد للسينما العربيّة.

شكل بياني رقم 2



شكل بياني رقم 1



الإبداع

جدول 1 حصص المناطق في عروض الصالات خلال العام 2010

البلد	سينما أميركية أوروبية	آسيوية	عربيّة	محلّية	الصالات
الأردن	94	7	14	1	32
الإمارات	184	82	20	1	241
البحرين	212	72	22	1	53
تونس	43+30 أوروبية	8	14	4	21
الجزائر	43+9 أوروبية	21	12	10	82
المغرب	84+27	8	16	18	77
العراق	-	-	-	-	5
عُمان	71	101	20	0	9
فلسطين	-	-	-	-	5
قطر	193	78	20	0	37
الكويت	187	112	22	0	67
لبنان	214	62	21	5	98
ليبيا	-	-	-	-	10
مصر	218	109	4 (غير مصرية)	38	403
موريتانيا	-	-	-	-	-
اليمن	0	28	26	0	5
سوريا	38+10	14	12	3	25
نسبة معدل مئوية	% 57	% 20	% 18	% 4	1210

حصص المناطق في عروض الصالات خلال العام 2010

2010 والدراما التلفزيونية:
إلى الشاشة الصغيرة من دون خجل

كان **العام** 2010 عام "**كارلوس**". **وكارلوس** الذي نتحدث عنه هنا هو بالتحديد ذلك السجين القابع منذ سنوات طويلة في أحد السجون الفرنسيّة، الإرهابي بالنسبة إلى البعض و"بطل الحرية ومناضلها" بالنسبة إلى البعض الآخر. غير أننا إذ نفتتح تقريرنا حول الدراما التلفزيونية العربيّة **للعام** 2010 بذكر **كارلوس** هذا، فإنّنا لا بدّ أن نشير على الفور إلى أن حديثنا هنا لن يدور حول **كارلوس** كإرهابي أوبطل أو سجين، بل من حوله وقد أعار اسمه إلى مسلسل صار منذ عُرض للمرّة الأولى وفي وقت واحد على الشاشتين الكبيرة (في **مهرجان** "**كان**" **السينمائي**) والصغيرة (من على شاشة المحطة الفرنسية التي أنتجته)، علامة أساسيّة من علامات تطوّر العلاقة بين السينما والتلفزة. بل أكثر من هذا، صار إمارة على انتفاء الصراع بين الشاشتين. ولقد عزّز من هذا الواقع الجديد، أن إنتاج "**كارلوس**" وعرضه إنما جاءا في عام وصلت إلى ذروتها فيه حركة بدأتها شبكة H.B.O الأميركية بإنتاج مجموعة كبيرة من مسلسلات وأعمال تلفزيونية دعت إلى تحقيقها – أو الإشراف عليها – مجموعة مميّزة من أهل السينما العالمية بدءاً من **مارتن سكورسيزي** وصولاً إلى **ستيفن سبيلبرغ**، مروراً **بستيفان سودربرغ وغاس فان سانت** وآخرين من طينتهما. من هنا، كان **العام** 2010 عاماً مميزاً ومفصليّاً في هذا المجال، حيث تمّ إنتاج كلّ هذه الأعمال وعرضها واجتذابها أعداداً ونوعيات مدهشة من المتفرجين، مبررة لمئات الفنّانين الآخرين، ولاسيما من ممثّلي الصفّ الأول في العالم، تلك "الخيانة" للسينما، والتي لم تعد خيانة بالطبع.

طبعاً لا نعني بهذا أن إنتاج "**كارلوس**" الفرنسي وعشرات الأعمال الأميركية، كان شيئاً جديداً. فالحقيقة أن السينما والتلفزة تتقاطعان منذ سنوات عديدة. ولطالما كان فنّانو السينما يندفعون إلى العمل في التلفزة. وفنانو هذه الأخيرة يعتبرون ذروة نجاحهم وصولهم إلى الانتقال إلى السينما، أو الإطلال عليها بين حين وآخر. ونعرف في مجالات عملية أكثر أن عروض الأفلام السينمائيّة كانت دائماً بعض أنجح ماتقدّمه المحطات التلفزيونية، كما أن ثمة في خريطة الشبكات السينمائيّة في العالم مئات القنوات المتخصّصة في عروض الأفلام السينمائيّة بحيث صارت المحطات تعتبر ذاكرة للسينما. ثم لاننسينّ هنا أن معظم أفلام السينما، حتى من قبل أن تعرض على الشاشات الصغيرة، كان يظهر واضحاً في عناوينها مدى اعتمادها على الأموال التلفزيونية كي تحقق. منذ عقود كان يمكن لمشاهد الفيلم أن يقرأ في افتتاحية تلك العناوين أسماء عشرات الشركات والمحطات التلفزيونية كمنتج للأفلام. غير أن هذا كلّه كان يتمّ وسط مناخ يبدو "تآمرياً تواطؤياً"، فيه ما فيه من خجل سينمائي. اليوم يبدو هذا كلّه جزءاً من الماضي. وكما أشرنا صار هذا يبدو واضحاً وغير مثير لخجل السينمائيّين، منذ سنوات قليلة، بشكل أتى عرض مسلسلات H.B.O و"كارلوس" ليشكّل ذروته.

والحقيقة أن افتتاح الحديث بالإشارة إلى "**كارلوس**" في تقريرٍ عن نشاطات عام في مجال الدراما التلفزيونية العربيّة،

لايبدو – بالنسبة إلينا – نافراً هنا. وذلك بالتحديد لأن القضية التي تدور من حولها حكاية **كارلوس** (ساعتان سينمائيّتان، أو 5 ساعات تلفزيونيّة تقريباً) قضية عربيّة بامتياز. وكنّا منذ زمن بعيد نتوقّع أن يقدم مبدعون عرب على تقديمها. فإذا بالفرنسي **أوليفييه السايس** يحقّقها. عزاؤنا هنا أن مشاهد كثيرة من المسلسل صوّرت في **لبنان** وغيره من البلدان العربيّة، كما أن ممثلين عرباً، خصوصاً اللّبنانيّين، شاركوا في تمثيل أدوار أساسية في المسلسل. ولعلّ ما يمكننا أن نضيفه في هذا السياق على صعيد الطرح الذي بدأنا به هذا الكلام هو أن المشروع حرص منذ البداية على أن يبدو سينمائيّاً وتلفزيونيّاً في آن، بمعنى أن مخرجه – وهو مخرج سينمائي طليعي في **فرنسا**، خاض الإخراج بعدما كان بدأ حياته السينمائيّة ناقداً في "**كراسات السينما**"، cahiers du cinema، المجلة التي كان من همومها الأولى الدفاع عن المهنة السينمائيّة، وتحديداً ضدّ التلفزة، إلى سنوات قليلة أعلنت خلالها استسلامها أمام فكرة اللّقاء بين الشاشتين. بل أيضاً راحت تدعو أهل السينما إلى دعم التلفزة بإبداعهم وتجديدات لغتهم السينمائيّة. وهو أمر بدأ يتحقّق خلال السنوات العشر الأخيرة. وأوصله السايس، بين آخرين، إلى ذروته بحيث إنّنا حتى إن آثرنا أن نشاهد مسلسل "**كارلوس**" (أو غيره من الأعمال المتكاثرة المحقّقة في مكان ما بين السينما والتلفزيون)، في منازلنا، من على أجهزة التلفزة في بيوتنا، سوف ندهش لأعمال "تلفزيونية" لها كلّ إبداعات اللّغة السينمائيّة. ومن الواضح هنا أننا مع التقنيات التلفزيونيّة التي تعرف تجديدات لا تتوقف، ومع ضخامة أجهزة العرض في البيوت، لم يعد من الإنصاف التفريق كثيراً بين مجاليّ العرض: الصالات والبيوت. ولعلّ هذا حافز إضافي يبرر لأهل السينما ما كان يعتبر "خيانة" لسنوات قليلة خلت: تحقيق أعمال تلفزيونيّة. ونحن إذا توقفنا عند **العام** 2010 الذي نحن في صدده، وحده، وانتقلنا إلى فضائنا العربي، لن نعدم أمثلة كثيرة تؤكد هذا الواقع، تقنيّاً وفنيّاً، من دون أن يكون تأكيدنا هذا حكماً قيميّاً.

في 2010، واصل مبدعو السينما العرب إنتاجهم التلفزيوني، لكن هذه المرّة من دون اللازمة التي يردّدونها بأنهم يخوضون التلفزيون بانتظار أيام أفضل تتيح لهم إنتاج أفلام سينمائيّة.

على الصعيد العربي، واصل، إذاً، كثر من مبدعي السينما العرب إنتاجهم التلفزيوني وهذه المرّة من دون تردّد بالتأكيد، ومن دون تلك اللازمة التي كان البعض قد اعتاد مواجهتنا بها في كلّ مرّة وجد نفسه في حاجة إلى تبرير أمام "يقظة ضمير سينمائيّة"، وفحواها أنهم إنما يخوضون التلفزيون في انتظار أيام أفضل حيث يتاح لهم أن يحققوا أحلامهم السينمائيّة. في الحقيقة انتهى الأمر بالبارزين منهم (من أمثال **نجدت أنزور وباسل الخطيب** في **سورية**، **وسمير حبشي** في لبنان، وربما اللّبناني **أسد فولادكار** إنما في مصر، ونادر جلال في مصر نفسها...) إلى أن يروا إمكانية لتحقيق تلك "الأحلام السينمائيّة" في التلفزيون نفسه. وهنا أيضاً ربما في إمكاننا اعتبار **العام** 2010 عاماً مفصليّاً. وكذلك ربما العام الذي قبله.. بل الأعوام التي قبله. فإذا نظرنا مثلاً إلى مسلسل "ذاكرة الجسد" الذي حققه **أنزور** عن رواية شعبية معروفة للكاتبة الجزائرية أحلام مستغانمي، من بطولة **جمال سليمان** والجزائرية **أمل بوشوشة**، هل في وسعنا أن نحلم لهذه الرواية – التي كان يتخاطفها السينمائيّون منذ ما لا يقلّ عن عشر سنوات، ثم يفتون في نهاية الأمر بـ"صعوبة أفلمتها"–، بمصير أفضل من مصيرها التلفزيوني هذا؟. فنحن، سواء أكنّا أحببنا هذه الرواية أم لم نحبّها، لايمكننا أن ننكر أن تحقيق **أنزور** لها أتى سينمائيّاً بالتأكيد لغة وأداء. طبعاً ربما يكون الزمن التلفزيوني (القياسي): 30 ساعة تمتدّ على 30 حلقة لتعرض طوال شهر رمضان الكريم، فرض نوعاً من التطويل – الذي تداركه المخرج، السينمائي الهوى كما هو معروف، بلقطات بانورامية لا تخلو من جمال متناقض مع المعهود في الحركة "اللّغوية" التلفزيونيّة –، لكن هذا لا يبدّل في الأمور شيئاً... ولا يغيّر واقع أن التلفزيون أنقذ عملاً أدبياً من الحكم عليه باستحالة الأفلمة.

لا يزال التنافس الرئيس في الأسواق التلفزيونيّة العربيّة يتعلّق بالمسلسلات المصريّة والسوريّة. أما المسلسلات الخليجيّة فلا تعرض إلا على شاشات القنوات الخليجيّة.

وينقلنا هذا بالطبع، إلى التوغل بشكل أوضح في العام الدرامي التلفزيوني الذي نحن في صدده. فإذا كان في إمكاننا أن نعتبر "ذاكرة الجسد" أبرز أعمال ذلك العام، فإن هذا لايقلّل من أهمية بقية الأعمال التي عرضت خلال العام نفسه آتية من مناطق عربيّة كثيرة، إنما مع تفاوت في إنتاج كلّ منطقة، ومدى قدرة الأعمال المنتجة هنا أو هناك على فرض حضورها خارج مناطق إنتاجها. وقبل التوقف عند هذا، لا بدّ من أن نورد هنا مجموعة من الملاحظات التي يمكن التوقف عندها بغية توضيح الصورة الإجمالية لما حدث عربياً على الصعيد التلفزيوني.

* في المقام الأول، لاتزال تتواصل تلك الظاهرة التي تثير احتجاجات جدّية ومتفاوتة القوة بين الحين والآخر: ظاهرة انحصار عروض المسلسلات الجديدة كلّ عام خلال شهر رمضان دون بقية شهور السنة مع استثناءات قليلة تتعلق، على أيّ حال، بالأعمال الأقل أهمية– في رأي القنوات المنتجة أو المشترية–، وهي عبارة عن مسلسلات لاتجد لنفسها مكاناً على شاشات رمضان فتعرض بعده، أو تؤجل أو – أحياناً – تختفي تماماً.

* لايزال التنافس الأساسي في الأسواق التلفزيونية العربيّة، يتعلق بالمسلسلات المصرية والسورية. أما إذا كانت المسلسلات الخليجية قد بدأت تعرف لنفسها مكاناً ما على الشاشات الصغيرة، فإنها في غالبيتها العظمى لاتعرض إلا على شاشات القنوات الخليجيّة، بحيث إن متفرجيها يبقون خليجيّين حتى ولو عرضت على شاشات أكثر من بلد.

*زداد استعانة المسلسلات المصريّة بخاصة، بنجوم عرب من خارج **مصر**، وأحياناً بمخرجين وتقنيّين، وكذلك حال المسلسلات السورية وإن بوتيرة أقلّ. ولقد أسهم هذا الواقع في إعادة البعد العربي العام إلى الفضاء الدرامي المصري، الذي بتنا نلاحظ أكثر وأكثر في **العام** 2010، أنه يعطي بطولات مطلقة لممثلين من خارج **مصر**. ولعلّ الأمثلة الأربعة الأكثر بروزاً حالات **جمال سليمان وسوزان نجم الدين** وربما **جمانة مراد** (من **سورية**)، **ونيكول سابا** (من **لبنان**)، وطبعاً **هند صبري** (من **تونس**). ولا بدّ من أن نلاحظ هنا أن هذه الاستعانة تسهم في تعريب عالم الدراما المسلسلة. لكن الأمر ليس صدفة ولاهو فعل إرادي سياسي. بل إنه ينبع من زيادة تعريب الإنتاجات الدرامية نفسها. وهو تعريب يطاول ميادين تبدو مستغربة (كأن يخرج اللّبناني **أسد فولادكار** "سيت كوم" مصرياً خالصاً هو "راجل وست ستات" وينجح فيه إلى درجة أن يعهد إليه بإخراج أجزائه المتتالية، إضافة إلى ميدان التمثيل. وفي هذا السياق، قد يكون ممكناً التوقف أيضاً عند مسلسل "ذاكرة الجسد"، الذي قدّم صورة مثالية للتعاون العربي بين جزائريّين وسوريّين ومصريّين ولبنانيّين فرضته الحالة التلفزيونية نفسها، باعتبارها أضحت أكثر وأكثر حالة تتعدّى الحدود لتجعل أعمالاً معيّنة تبدو ذات هوية "قوميّة" أكثر من ذات هوية وطنيّة.

التلفزيون ودراماه حلّا، بالنسبة إلى الجرأة في معالجة المواضيع الشائكة في المجتمعات العربيّة، محل السينما وبقية الفنون.

* أما الملاحظة التي يمكن أن تختم بها هذه الملاحظات، فتتعلق بحقيقة بات لا بدّ من أخذها في الاعتبار، حتى وإن لم تكن تتعلق في العام الذي نتحدث عنه هنا وحده: وفحواها أن التلفزيون ودراماه قد حلّا، بالنسبة إلى الجرأة في معالجة المواضيع الشائكة التي يسود النقاش حولها في المجتمعات العربيّة، علناً أو خفية، محل السينما وبقية الفنون. ولعل آية



هذا، أن أياً من الأفلام العربيّة التي حققت في السنوات الأخيرة، لم يثر غضب الرقابة خلال الأعوام الأخيرة – ولاسيما **العام** 2010 – كما فعل بعض المسلسلات، سواء من ناحية الرقابة الدينيّة أم السياسيّة أم الأخلاقيّة. ولعلّه يمكن القول حول هذا الأمر، إنه فيما صارت الأفلام المنتجة في شتى أنحاء **العالم العربي** أفلاماً مفروزة بين أعمال تهريجيّة مصنوعة للفتيان أو حتى لما كان يسمّى في الماضي "جمهور التيرسو" مقابل أعمال فنيّة أكثر حميمية وبالتالي أقلّ قدرة على اجتذاب الجمهور العريض، تكاد لاتعرض إلا في المهرجانات ثم تمرّ مرور الكرام حين تعرض في الصالات، صارت المسلسلات على تنوّعها أكثر دنوّا من المشكلات الاجتماعية في انقسامها بين مسلسلات تاريخيّة ودينيّة وعاطفيّة وكوميديّة، ومسلسلات جاسوسيّة ومخابرات وما شابه. ومرّة أخرى يبدو **نجدت أنزور**، في **العام** 2010، الأكثر إثارة للسجال ليس بسبب "ذاكرة الجسد" الذي حاول فيه أن يخفّف من مفعول الصفحات الأكثر إثارة للجدل– جنسياً– في الرواية الأصلية، بل بسبب مسلسله الآخر الأكثر جرأة "ماملكت أيْمانكم" الذي أوصل فيه دنو التلفزة من المحظورات الدينيّة والأخلاقيّة إلى مستوى لا سابق له.

طبعاً انطلاقاً من هنا، وفي عودة إلى تفاصيل العام الدرامي التلفزيوني، يمكن القول إن **نجدت أنزور**، كعادته منذ سنوات طويلة – مع بعض الانقطاعات – كان مخرج العام التلفزيوني بامتياز، من خلال عمليه اللّذين كانت لكلّ منهما ضجة خاصة به: "ذاكرة الجسد" من خلال شهرة الرواية التي اقتبس عنها، و"ما ملكت أيْمانكم" من خلال طروحاته الفكرية الجريئة، التي أسهم بعض مواقف رسميّة أو متشدّدة في مضاعفة عدد حضوره على الشاشات العديدة التي عرض عليها خلال **رمضان** 2010.

بيد أن **أنزور** لم يكن وحده. ذلك أن **العام** 2010، وبعد كلّ هذه المقدمات، يعتبر من أغزر الأعوام الأخيرة، إنتاجاً تلفزيونياً، بمعنى أنه سجّل ما قد يمكن اعتباره الانتصار الأكبر للدراما التلفزيونيّة، نوعيّاً وكميّاً، في الخريطة الفنية **للعالم العربي**.

طبعاً هنا، لن يكون من السهل تقديم إحصاءات متكاملة عن كلّ ما أنتج من مسلسلات وأعمال دراميّة تلفزيونيّة في شتّى المناطق والبلدان العربيّة طوال العام – من دون أن ننسى ما أشرنا إليه حول تمركز العروض الأساسيّة في شهر رمضان –، وكذلك من الصعوبة بمكان تحديد الحيّز الجغرافي، وبخاصة للمسلسلات المصريّة والسوريّة.

غير أن من الممكن، في المقابل، تقديم صورة تستعرض الحالة التلفزيونيّة أمام قارئ مطلوب منه هنا، وهو يقرأ ما يلي من استعراض لهذه الحالة، أن يضع نصب عينيه الملاحظات التي أوردناها في الفقرات السابقة.

في الحقيقة أنّنا إذا توقفنا، بالنسبة إلى حديثنا عن جديد الدراما التلفزيونيّة العربيّة، عند ما عرض من هذا الجديد خلال **العام** 2010، في شهر رمضان فقط، والذي هو، كما أسلفنا، الموسم الأهم لهذه العروض، سنجدنا أمام ما لا يزيد على 85 **مسلسلاً**، هي على أيّ حال، الأبرز خلال إنتاج العام كلّه. غير أن هذه المسلسلات ليست كلّ شيء، بل هي تمثّل في الحقيقة ما لا يزيد على نصف العدد الإجمالي لما أنتج حقاً، وبالتالي لما عرض بالفعل. أما النصف الثاني فيتألف، بالأحرى من مسلسلات إما أن تكون محليّة، بمعنى أنها لم تعرض إلا على قنوات في البلد المنتج (مسلسلات لبنانيّة في **لبنان**، مثلاً، أو جزائريّة في الجزائر... إلخ)، أو أنها عرضت على أكثر من قناة لكنّها لم تنل نجاحاً أو اهتماماً، أو – أخيراً – نجد

> في 2010، وجدنا أنفسنا أمام خريطة "دراميّة" عربيّة تصل في مجموع إنتاجها إلى نحو 150 إلى 160 مسلسلاً متنوّعاً عُرضت على عشرات المحطّات التلفزيونيّة، لكن لتقول ماذا؟

عرضها قد أجّل لمواسم أخرى لسبب أو لآخر. ما يعني أن فضاء كلّ هذه الأعمال لم يأتِ عربيّاً شاملاً، كما حال المسلسلات الأخرى، التي تزداد أبعادها العربيّة الجامعة، وتكاد تبدو – في حالات عديدة – غير مرتبطة بمجتمع معيّن، ولا حتى من حيث اللّهجة المستخدمة، ما يزيد من البعد العربي العام لهذا النوع من الإبداع الفنّي. وبالنسبة إلى الموسم الرمضاني الذي بات منذ سنوات، يعتبر الموسم الدرامي التلفزيوني العربي بامتياز، تقول لنا إحصاءات (دقيقة إلى حدّ ما) إن مجموع المسلسلات المصرية التي عرضت على القنوات المصريّة والعربيّة بلغ 48 **مسلسلاً**. أما المسلسلات السوريّة فتتراوح بين 8 و12 مسلسلاً (إذا أخذنا في اعتبارنا كون المسلسل سورياً خالصاً، أو مختلطاً ذا أبعاد عربيّة، من ناحية اختيار الممثلين وأماكن الإنتاج، بل حتى الشركات المنتجة). وفي المقابل بلغ عدد المسلسلات الخليجية (أي الآتية من **بلدان مجلس التعاون الخليجي**، 19 **عملاً**)، وأربعة أعمال عراقيّة وستة أعمال يمكن وصفها بأنها "عربيّة شاملة". وإلى هذا يضاف نحو نصف دزينة من المسلسلات المغربيّة أو الجزائريّة أو الفلسطينيّة... إلخ.

والحقيقة أننا، في نهاية الأمر، نجد أنفسنا أمام خريطة "دراميّة" عربيّة، تصل في مجموع إنتاجها إلى نحو 150 أو 160 **مسلسلاً** متنوّعاً، عرضت على عشرات المحطات التلفزيونيّة المحلّية أو الفضائيّة. ولكن لتقول ماذا؟ ها هنا، في نظر كثر من المعنيّين يكمن السؤال الرئيس. ففي فضاء عربي بات من الواضح فيه أن المسلسلات التلفزيونية حلّت، بشكل شبه نهائي محلّ الأفلام الاجتماعية التي كانت غذاءً لشتّى طبقات المجتمع خلال الثلاثين الأخيرين من القرن العشرين، على الأقل، صار من المنطقي القول إن هذه المسلسلات باتت المُشكّل الأساس للذهنيّات لدى هذه الطبقات – وهو الدور الذي لعبته السينما العربيّة، وأحياناً غير العربيّة، طوال العقود الوسطى والأخيرة من القرن العشرين –. ومن هنا ما نلاحظه في السنوات الأخيرة من ازدياد الحراك السجالي حول التلفزيون ومسلسلاته، بل حتى برامجه الأخرى، حيث بات يبدو أوضح وأوضح كيف أن السجالات التي كانت من نصيب السينما، صارت الآن من نصيب مسلسلات باتت أكثر وأكثر جرأة في تناولها لمواضيع شائكة. ونعرف الآن أن هذه السجالات تناولت، ولاسيما في **سورية**، أبعاداً دينيّة جريئة (عبّر عنها مثلاً، مسلسل "ما ملكت أيْمانكم" **لنجدت أنزور**) أو أبعاداً سياسيّة (عبّر عنها مثلاً، مسلسل "لعنة الطين" **لأحمد إبراهيم أحمد**). أما في **مصر** فإنه، وعلى الرغم من امتثاليّة معظم المسلسلات وسعيها وراء تحقيق ترفيه أو كسب مالي لا أكثر ولا أقل، كان واضحاً أن ثمة ارتباكاً متزايداً في حركيّة المجتمع تعبّر عنه مسلسلات مميّزة دنت من المسائل السياسيّة والاقتصاديّة والاجتماعيّة بأشكال أكثر وأكثر جرأة من ذي قبل. طبعاً لايمكن أن يقال هنا إن التلفزيون سار على خطى سينما النقد الاجتماعي، ولكن لا شكّ أن دنوّ المسلسلات، ولاسيما من بعض أكثر القضايا الاجتماعية حساسية (العنوسة، التفكك العائلي، تراكم الثروات، السلطة الأبوية الذكورية، الفساد في عالم الأعمال، ناهيك بالتاريخ القريب أو البعيد، بشكل مباشر أو مرمّز)، هذا الدنوّ كان جليّاً ولا يخلو من جرأة. ولعلّ في إمكاننا هنا أن نذكر أسماء لعدد من المسلسلات المصرية بخاصة، التي كانت الأكثر بروزاً، حتى نجد هذا الواقع يشير إلى نفسه بنفسه. فمن مسلسل "الجماعة" الذي كتبه **وحيد حامد**، في واحدة من تلك التجارب شديدة الخصوصية والحساسية (والذي تناول فيه بمنطق تاريخي روائيّ تاريخ جماعة الإخوان المسلمين)، إلى مسلسل "عايزة اتجوز" (الذي مثلت فيه **هند صبري** دوراً يحاكي الحكاية الحقيقية لمدوّنة مصرية تقترب من سنّ العنوسة وتبحث عن

عريس)، مروراً بـ"زهرة وأزواجها الخمسة" (الذي لعبت فيه **غادة عبد الرازق** دور سيدة يحدث لها أن تقترن تباعاً برجال عدّة، كمعادل موضوعي للدور الذي كان لعبه **نور الشريف** قبل سنوات في مسلسل "الحاج متولي" الذي بدا مروّجاً لتعدّد الزوجات وأثار صخباً كبيراً في حينه) و"أهل كايرو" الذي، من خلال حبكة بوليسيّة، يطاول خلفية ما يسمى بالنجاح المالي والاجتماعي في **مصر**.

طبعاً لن يتمّ التوقف هنا عند كلّ هذه المسلسلات، غير أنه جرت الإشارة إلى ذلك كمثال لتبيان كيف اقتحمت الأعمال المصرية في الدراما التلفزيونيّةمعاقل الحياة الاجتماعية، بشكل فاق في فاعليته وأهميته ما كانت تفعله السينما في الماضي، ما يمكّن من القول اليوم، مع شيء من التبسيط، إنه إذا كان ثمة ثورة في الذهنيّات تصنع اليوم، فلا شكّ أنها ثورة تجد نقاط انطلاقها في العدد الأكبر من المسلسلات المنتجة والتي تنحو أكثر وأكثر إلى فتح أعين المجتمع على بعض أكثر قضاياه سخونة. وهو وضع من الواضح أن الرقابات المختلفة لم تعد قادرة على لجمه في زمن الفضاءات المفتوحة، مايغري بالقول إن الإنتاج التلفزيوني، لانفلاته إلى هذا الحد من ربقة الرقابات، بات أكثر خطورة من السينما. وهو أمر لايغيب عن بال "حرّاس القديم" الرقابين، لكنهم باتوا مدركين في الوقت نفسه أنه لم يعد في أيديهم حيلة لفرض ضروب منعهم واحتجاجاتهم القديمة. فالمسلسل الذي قد تؤدي ضغوطهم إلى منعه على هذه الشاشة، سيعرض على غيرها، ولاسيما بعدما يكون قد حاز – من جراء ذلك المنع – شهرة أوسع.

فالحال أن فضاءً تلفزيونياً عربياً تسيطر الهيئات الحكومية على 26 من هيئاته، فيما تتبع 444 هيئة منه مايسمّى بالقطاع الخاص (الذي يمكن على أيّ حال السجال حول حقيقة هذه الخصوصية فيه بمنأى عن الهيمنة الرسمية)، لم يعد في إمكانه أن يخضع للرقابات، الرسميّة أو الاجتماعيّة، حقاً وتفيدنا في هذا المجال، آخر إحصاءات حول الوضع في **العام** 2010 أوردتها **اللّجنة العليا للتنسيق بين القنوات الفضائيّة العربيّة** (التابعة **لاتّحاد إذاعات الدول العربيّة**) بأن هذه الهيئات التي نتحدث عنها باتت تبثّ في مجموعها 733 **قناة** تلفزيونية منها 124 **قناة** للقطاع العام و609 **قنوات** للقطاع الخاص. وهي تنقسم، من ناحية اهتماماتها ومواضيعها إلى: 243 **قناة** جامعة – 90 **قناة** منوّعات غنائية – 61 **قناة** دراما – 37 **قناة** إخبارية – 59 **قناة** رياضيّة – 17 **قناة** اقتصادية – 14 **قناة** وثائقيّة – 3 **قنوات** سياحيّة – 20 **قناة** ثقافيّة – 15 **قناة** للمرأة والمجتمع – 27 **قناة** للأطفال – 48 **قناة** دينيّة وعقائديّة – 26 **قناة** خاصة بشؤون التسوّق – 17 **قناة** تعليميّة – 53 **قناة** للتسلية والخدمات –3 **قنوات** لاختصاصات أخرى. ونعلم طبعاً أن في إمكان كلّ المواطنين العرب، داخل **العالم العربي** وخارجه، أن يشاهدوا هذه القنوات. فإذا أضفنا إلى هذه القنوات قنوات أخرى تبثّ على **العالم العربي** بلغة آتية من بلدان أخرى ومعظمها متخصّص في الأخبار، سنجدنا أمام عالم فضائي مدهش. ويعدّد تقرير **اتحاد الإذاعات** هذه القنوات على الشكل التالي: القناة التركية – كوريا تي في – قناة تشاد – بي. بي. سي عربيّة – فرانس 24 – دي. وي. آرابيك، الألمانية – الحرة الأميركية– روسيا اليوم.

إضافة إلى هذا كلّه، في عودة منّا إلى مسألة الدراما، لا بدّ من الإشارة المهمّة إلى أن المسلسلات التركيّة التي كانت عرفت طريقها إلى الفضاء العربي، قبل سنوات، وحلّت فيه إلى حدّ كبير محلّ مسلسلات من أميركا اللاتينيّة (برازيليّة ومكسيكيّة) ولقيت رواجاً كبيراً خلال العقود الفائتة، واصلت في **العام** 2010 زحفها الناجح على البيوت العربيّة بحيث صارت جزءاً أساسياً من الخريطة الفضائية للدراما "العربيّة"، خصوصاً مع ازدياد انتشار قناة درامية خاصة أنشأتها **شبكة** M.B.C، تكاد تكون مختصّة في بثّ هذه المسلسلات "مدبلجة" في معظم الأحيان إلى العربيّة (سورية بخاصة)، بشكل متقن. ونعرف طبعاً أن هذا الازدهار للمسلسلات التركيّة يأتي متزامناً مع ازدياد الحضور التركي السياسي والاقتصادي في شتّى أنحاء **العالم العربي**، ولاسيما في مشرقه. ومن الواضح أن هذا الذي كان يعتبر، لسنوات خلت، ظاهرة تلفزيونيّة اجتماعيّة صار اليوم ظاهرة راسخة. بل في إمكاننا، في هذا السياق، أن نضيف أنه في وقت لا يلاحظ فيه النقاد أو غيرهم من المهتمين بالشأن الفضائي، أيّ تميّز للمسلسلات التركيّة على ما ينتج في العالم العربي – ولاسيما في مصر وسورية –، يلاحظون بشيء من الدهشة كيف أن المسلسل التركي، في أبعاده الميلودرامية الطاغية وحكاياته التي لاتصدّق أحياناً، صار مثالاً يحتذى بالنسبة إلى صنّاع المسلسلات، ولاسيما في **لبنان** حيث سيمكن يوماً أن يقال إنه إذا كان ثمة نهضة ما، محلّية على الأغلب، عرفها إنتاج الدراما اللّبنانية ووصلت إلى ازدهار ما، خلال **العام** 2010، فإن هذه النهضة تدين لوجود المسلسل التركي، حيث إن دراسات مقارنة، جمالية ومن ناحية الموضوع، وفي مجال اختيار الطبقات الاجتماعية التي تدور الأحداث في أجوائها (مسلسل "سارة" مثلاً.. كي لا نتوسّع أكثر)، ستفيدنا بأن الفضاء الدرامي "اللّبناني" وجد أخيراً مرجعيته الجمالية والموضوعية إلى درجة لايخفي معها بعض المنتجين أملهم في أن يحلّ المسلسل اللّبناني في مستقبل قريب محلّ المسلسل التركي في حياة المتفرجين العرب.

في هذا الإطار، إذاً، يمكن القول أيضاً، إن **العام** 2010 بدا عاماً انتقالياً، حتى وإن كانت القسمة فيه قد ظلّت هي نفسها، كما في الأعوام السابقة، بالنسبة إلى نوعية المسلسلات وتوزّعها بين ما هو تاريخي وعاطفي وميلودرامي وديني ونقد اجتماعي وترفيهي وهزلي بشكل خاص. ومهما يكن من الأمر هنا، لا بدّ من القول إنه إذا كانت كلّ المواضيع والأزمنة، نالت حصّة ما، من عروض هذا العام، يظلّ ثمة سؤال، لا بدّ من العودة إليه دائماً – وهو سؤال يطاول عالم الدراما التلفزيونية بقدر ما يطاول عالم الإنتاج السينمائي –: لماذا تظلّ حركة "التبادل" بين مشرق العالم العربي ومغربه، أحادية الاتجاه، بمعنى أن المغرب العربي، بدوله جميعاً (**المغرب، موريتانيا، الجزائر، تونس، ليبيا**) يعتبر سوقاً جيّدة لمسلسلات بلدان **المشرق العربي**، في الوقت الذي لايتمكّن فيه أيّ مسلسل مغربي (وثمة، على أيّ حال، إنتاج مغربي لا بأس به في هذا السياق) من الوصول إلى تلفزيونات **المشرق العربي**، ولا حتى طبعاً إلى متفرجيه. والحال أن حدّة هذا التساؤل تزداد عندما ننظر إلى نجاح المسلسلات التركيّة في **العالم العربي**. هنا قد يقول قائل إن الدبلجة لعبت دوراً كبيراً في نجاح المسلسل التركي، إذاً، فلماذا لا تدبلج مسلسلات بلدان **المغرب العربي** من المغاربيّة إلى اللّهجات المحكيّة في **المشرق**؟ طبعاً قد يشكّل هذا الحلّ، كما حاله إن اتّبع سينمائياً، غصّة في حلق كلّ محبّ للعروبة يرى من غير المنطقي دبلجة العربيّة إلى العربيّة، ولكن أفلا يمكننا القول، إن الغصّة تكون أكبر إن لم يهتمّ **المشرق** بالإنتاج المغربي على الإطلاق بحجة عدم فهم اللّهجات المغربيّة؟

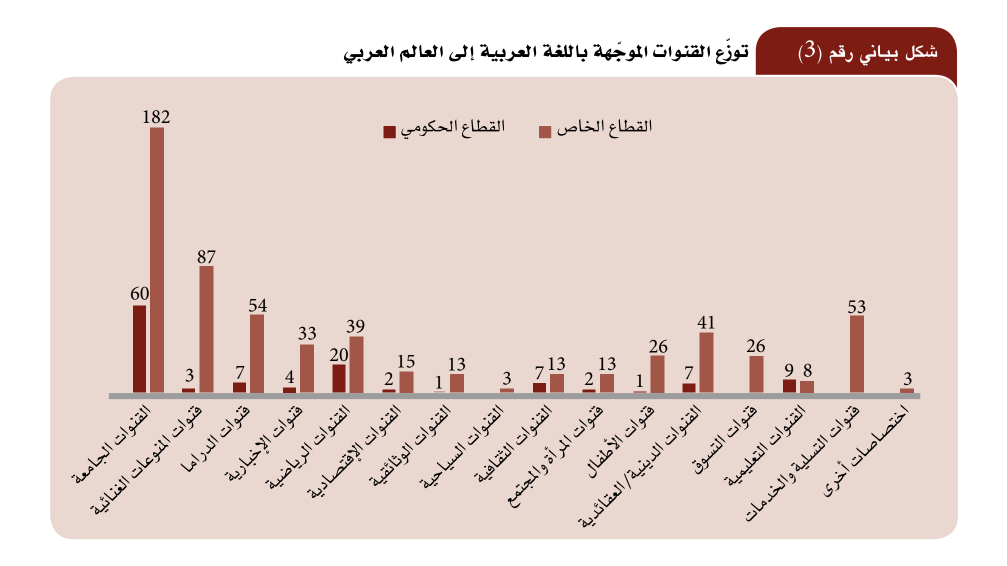
2010 بدا عاماً انتقالياً، وإن كانت القسمة فيه ظلّت هي نفسها، كما في السنوات السابقة، بالنسبة إلى نوعية المسلسلات وتوزعها بين ماهو تاريخي وعاطفي وميلودرامي وديني ونقد اجتماعي ..

جدول 2 توزّع القنوات الموجهة باللّغة العربيّة إلى العالم العربي

أصناف القنوات	القطاع الحكومي	القطاع الخاص	العدد الجملي
القنوات الجامعة	60	182	243
قنوات المنوعات الغنائيّة	3	87	90
قنوات الدراما	7	54	61
قنوات الإخباريّة	4	33	37
القنوات الرياضيّة	20	39	59
القنوات الاقتصاديّة	2	15	17
القنوات الوثائقيّة	1	13	14
القنوات السياحيّة	-	03	03
القنوات الثقافية	7	13	20
قنوات المرأة والمجتمع	2	13	15
قنوات الأطفال	1	26	27
القنوات الدينيّة / العقائديّة	7	41	48
قنوات التسوق	-	26	26
القنوات التعليميّة	9	8	17
قنوات التسلية والخدمات	-	53	53
اختصاصات أخرى	-	3	03
المجموع	124	609	733

(المصدر: تقرير اتّحاد الإذاعات العربيّة لعام 2010)

شكل بياني رقم (3) توزّع القنوات الموجّهة باللغة العربية إلى العالم العربي



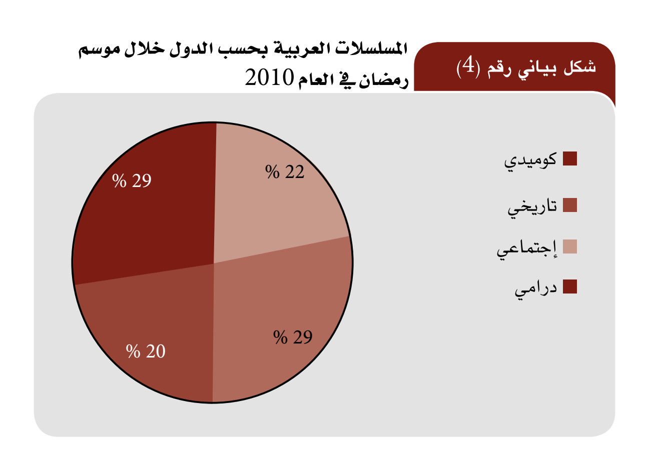


جدول 3 المسلسلات الأساسيّة التي بثّت خلال موسم رمضان (2010) على القنوات العربيّة

الهوية	العدد	درامي	اجتماعي	تاريخي	كوميدي	المجموع
مصري	48	11	15	7	15	48
خليجي	19	2	6	3	8	19
سوري	12	2	1	5	4	12
عربي عام	8	3	3	2	-	8
مجموع	87	19	25	18	25	

ملاحظة: تطابق الأرقام ليس حتمياً بسبب اختلاط الأنواع والهويات

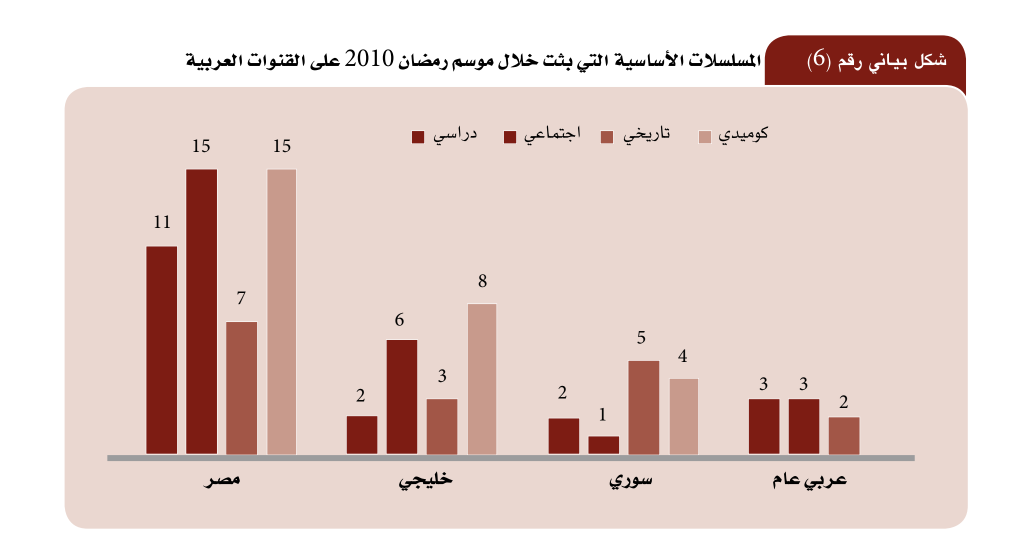
شكل بياني رقم (4) المسلسلات العربية بحسب الدول خلال موسم رمضان في العام 2010



شكل بياني رقم (5) المسلسلات العربية بحسب الدول خلال موسم رمضان في العام 2010

مصري
خليجي
سوري
عربي عام
% 9
% 14
% 22
% 55

شكل بياني رقم (6) المسلسلات الأساسية التي بثت خلال موسم رمضان 2010 على القنوات العربية



الإبداع

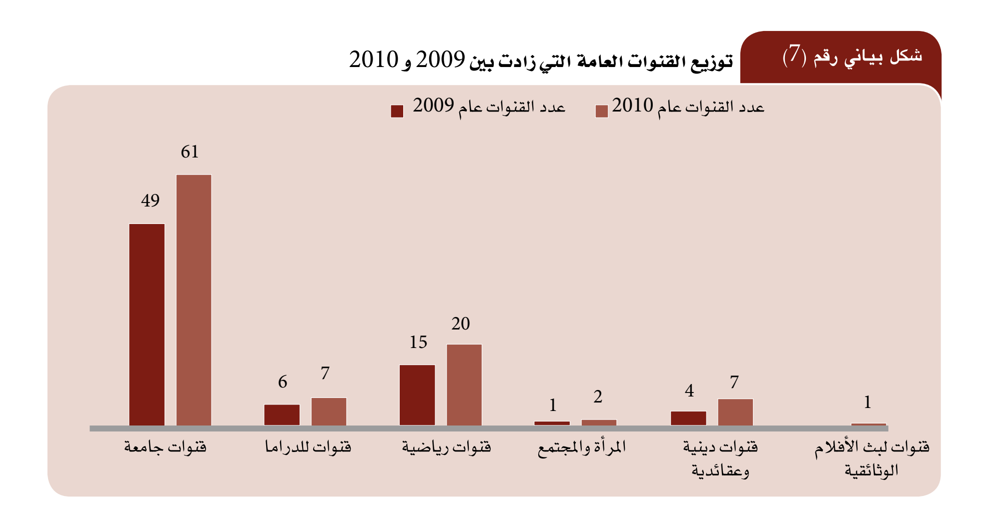
جدول 5 قنوات أجنبية رئيسة تبثّ نحو العالم العربي

روسيا اليوم	روسيا اليوم
دي وي آرابيك	دي وي آرابيك
الحرّة	الحرّة
فرانس 24	فرانس 24
بي. بي. سي. (عربي)	بي. بي. سي. (عربي)
القناة التركيّة	القناة التركيّة
كورياتي في	كورياتي في
قناة تشاد	قناة تشاد
العالم	العالم

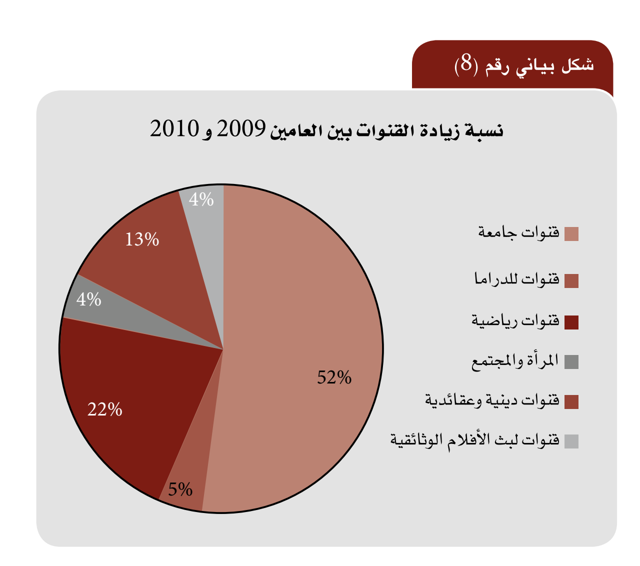
جدول 6 المسلسلات الأساسيّة التي بثّت خلال موسم رمضان (2010) على القنوات العربيّة

القنوات العامة (غير الإخبارية)	عدد القنوات العام 2009	عدد القنوات العام 2010	الزيادة
قنوات جامعة	49	61	12
قنوات للدراما	06	07	01
قنوات رياضيّة	15	20	05
المرأة والمجتمع	01	02	01
قنوات دينيّة وعقائديّة	04	07	03
قنوات لبثّ الأفلام الوثائقيّة	0	01	01
(المصدر: التقرير السنوي لاتّحاد الإذاعات العربيّة)			

شكل بياني رقم (7) توزيع القنوات العامة التي زادت بين 2009 و 2010



شكل بياني رقم (8)





المسرحيّون العرب والنفق المظلم

لا يـزال المسرحيّون العرب في صـلب فكرة الخـروج من النفـق المظلـم. أدرك القيّمون على المحاولـة، أنّ الوصـول إلى المقوّمـات الفنّيّـة والفكريّـة، لـن يقـوم إلاّ بتنميـة الوعـي. أدرك القيّمون على المحاولة أنّ الوعي وعي مشـترك. وعـي عربـي. يتأسّـس الوعـي علـى دفعـات. لـذا: تسـتمرّ الأنشـطة والنـدوات والمؤتمـرات والملتقيات والمهرجانات بلا توقّف. لا مبالغة في ذلك. انطلقوا من إحسـاس صـادق بالمكان وقـوّة المـكان، بالنفـس وقوّة النفـس، بالمادّة وقوّة المادّة. لا يعيبهم تجسـيد الصور المتقدّمة والمتراجعة في حقول أخّاذة في أحيان وكابية في أحيـان، لـن يعيبهـم ذلـك وهـم يرصـدون تراجـع الآليّات والحيويّـة المسرحيّة في القرن الجديـد. لن تفيد عمليّات التسـويف. لن تفيدهم عمليّات التوليف أو إدغام الصور بالصور. كما لـن يفيد تمخّـض المسرح بشـكل قسري بهدف ولادة قسريّـة لا تـزال تـراوح أمـام مخاطرها الأكيـدة. إنّنـا أمام مسـاء غير رائـع. إنّنا أمام مسـاء غير طيّـب، بعد تراجـع الآبـاء والأبناء. تراجع الأدوات والوسـائل والأساليب مع مرور الزمـن علـى المسـرح، بحيـث بـدا أنّ الزمن لم يخدم المسرح.

لا شـيء أصـعب مـن تحويـل المسـرح إلى مهنة. حوّل المسرحيّون المسرح إلى مهنة، عبر انشـغالات فكريّة دائمة. ثـم خسروها. لا ينظر المسرحيّون إلى المسرح كشيء منجز. ثم كشيء غـير متحقّق. لذلـك لا يزالون يسـعون إلى بناء نوع من الالتزام الاجتماعي بالمسرح. إلى نوع من الالتزام السياسي بالمسرح. بل إلى نوع من الالتزام الحياتي.

إنّهم يبنون منصّـاتهم على ضوء ذلك وهم يناظرون الأشباح. آخر منازلات الأشباح جرت في «ملتقـى الاسـتراتيجيّة العربيّـة للتنميـة المسرحيّة» في أواخر نيسـان الماضـي. أسماء عربيّـة مكرّسـة وأسـماء جديـدة وأسـماء بين بـين. مخرجـون وممثّلـون ومنظّـرون ونقّـاد. أسـماء لها فاعليّاتها في كشـف السيرة الذاتيّة الطابع وربطها بالمسـيرة الشخصيّة المعرفيّة. لم يفصح أحد في ما قدّمه عن برود أو حياديّة. حفر الـكلّ في الذاكرة، لكي يصلـوا إلى الحقول الفكريّة والفلسـفيّة الجديدة في تجربة المسرح. امتلـك البعـض جـدارة القـراءة بشـجاعة. ولم يمتلـك بعـض آخـر إلاّ التأويـل وفـق بصـيرة غـير قـادرة علـى الذهـاب إلى أبعد مـن حدود التخيّـلات البصريّة أو الذهـانيّة. حاز بعضهـم قـدرة تقديم عرض يحتفي بالفرجة ويؤكّد قوّة حضـورها لـدى المتلقّي منـذ اللحظـة الأولى، كونها قيمة أدبيّة وركيزة صلبة. طرح بعضهم الآخـر أشـياء أقـرب إلى العبـث بفـنّ المسـرح. وقعـت الرغبـة - بشـكل عـام - في البحـث عـن تلاوين مسرحيّة ونقديّـة غير جديرة بالإخفاق (عنوان الملتقـى الفرعي: واقـع المسرح العربي مكامن الإخفـاق ومواقع التعـثّر). نخب متلوّنة بأعصابها وأعصـاب بلاد وأعصاب مسارحها. ثـلاث جلسـات في ثلاثـة أيّـام. كلّ جلسـة في زمنـين. كلّ زمـن في ثـلاث سـاعات. افتتـح الملتقـى بمداخـلات نظريّـة وعمليّـة راوحـت بـين «صـورة المسرح العربي بـين الاختلالات والأعطاب والاقتراحـات» و«الحراك المسرحي في الوطن العربـي ومعوقاته» و«المسرح تحت الاحتـلال» و«تأثـيرات العولمـة علـى الخليج»

لم ينتقل المسرح العربي من وضعيّة المأخوذ بغيره والمحكوم بلسان الآخر إلى وضعيّة المأخـوذ عنـه. بدا أنّ المسرحي العربي يملك الاستطاعة ولا يملك القدرة. هـذا ليس فصلاً افتراضيًّا. على العكس. إنّه الواقع. لا تزال نظريّة المؤامرة سارية المفعول لـدى المسرحـيّ العربيّ.

و«المهرجانات العربيّة، الواقع والآفاق» و«إشكاليّة المسرح العربي والإعلام». ثم: المؤلّف المسرحي العربي والواقع زائدًا «أسئلة المخرج في المسرح العربي» إلى «واقع وآفاق التمثيل في المسارح العربيّة». مروحة عريضة من الاهتمامات. غير أنّ الكثير منها حاد عن هدف الملتقى الأساسي. بحيث لم يترك المسرحيّون المحاضرون أثرًا سيريًّا يعتدّ به. لأنّهم تجنّبوا في أبحاثهم الحقول الأساسيّة لمضمون الطرح على حساب رغباتهم في رواية تجارب ذاتيّة أو رواية هواجس ذاتيّة. ركّز الكثيرون على المصطلح المستعار من ثقافة الآخر. بل الكثير الاستعمال. اعتبروه مقدّسًا وهم يرطنون ويبرطمون به، على الرغم من الإصرار اللّافت من اللّجنة المنظّمة على تفكيك المعتبر وتسمية الباعث على وجوده بهدف تصميته في صالح نظرة جديدة وتجربة جديدة. لن يلزم أحد نفسه إذا لم يقتنع برؤيته أو مشهده الاجتماعي أو إذا لم يعتبره جزءًا من حياته الداخليّة. دين وأسطورة. ثلاثة أيّام من تبادل الأفكار بين **مشرق** و**مغرب**. لوحظ - في المجال هذا - تقدّم النقد في **المغرب** وتقدّم التجربة في **المشرق**. المسرح هنا مولود نظري. المسرح هناك مولود معماري. يمثّل المسرح في الحالين ثقافة عالميّة بنوافذ محلّيّة، له سلطة روحيّة دنيويّة على عموم أفراد العائلة في المدينة والقرية إلاّ في العالم **العربي**. طرح المشاركون همومهم وهواجسهم في أوراق رئيسيّة وملاحق. طرحوها في نوعين من الثقافة. الثقافة الشفاهيّة والثقافة العالمة. المدوّنة. اتّفق الجميع - من دون أن يتّفقوا - على أنّ المسرح العربي لا يزال في جغرافيّته غير متعدٍّ حدوده ولغاته وأقوامه. لم ينتقل المسرح العربي من وضعيّة المأخوذ بغيره والمحكوم بلسان الآخر إلى وضعيّة المأخوذ عنه. بدا أنّ المسرحي العربي يملك الاستطاعة ولا يملك القدرة. هذا ليس فصلاً افتراضيًّا. على العكس. إنّه الواقع. لا تزال نظريّة المؤامرة سارية المفعول لدى المسرحي العربي. اتّهم **سامي عبد الحميد** (عراقي) المسرحيين الشباب بالفاشيّة. وجدهم أشبه بسلاح بشري ضدّ المؤسّسين. واظب على الإعلام عن ذلك. لم يكف طوال مدّة انعقاد الملتقى عن اتّهام الشباب بذلك. ابن التجربة المسرحيّة العراقيّة القديمة لا يزال يحفظها في صندوق قلبه. ذكَّر **قاسم بياتلي** بوصايا **غروتوفسكي**. أوصانا المعلّم قال. ثم قال إنّ المعلّم كذا وإنّ المعلّم كذا. لا يزال المسرحي العربي غير مسيطر على طبيعة العلاقة بالمسرح الغربي والمسرح الأوروبي والأميركي. استخدم **عبد الكريم برشيد** صوته الدافئ الخفيض، لكي يذهب بعيدًا في تلخيص ورقة بحدود خمسين صفحة فولسكاب في خمس عشرة دقيقة. خلّف تجربة المسرح الاحتفالي وراءه. إنّه باني تجربة المسرح الاحتفالي في **المغرب**. وفي العالم **العربي** تاليًا. ما نبّه إلى قضيّة في غاية الأهمّيّة: إنّ المسرحي لا يعتبر المعلومة. المعلومة ليست في اعتباره، ولأنّها ليست في الاعتبار، يبقى المسرحي على ضفّة ويبقى المسرحي الآخر على الضفّة الأخرى. لم يتبادل المسرحيّون المعلومات، لكي يرتبطوا بالمعرفة. لن ترسخ صورة المسرح في غياب المعلومات. لأنّ بلا صورة لا قراءة. لأنّ قراءة الهواء بلا جدوى. تُنسج الصورة من الأبناء وأولاد العموم. هكذا: تفصح الصورة عن منطوقها الشفّاف وإخلاصها وأهميّتها الاعتباريّة القائمة على تسمية الأشخاص وعنونة مراتبهم وتلوين مواقعهم في حواضر المساحات المتلوّنة. طرح الملتقى أكثر من سؤال من دون طرح أسئلة. أبرز الأسئلة: ضرورة حضور السؤال في حضرة الأجوبة الجاهزة دائمًا. لا مسرح عربيًّا على التلّة. بذا أفصح الملتقى. الأمثلة كثيرة. جهّز **الطيّب الصديقي** مسرحه في **المغرب**. ثم وقع تحت عجز مادّي دفعه إلى تأجيره قبل افتتاحه. حوّلته القوى الاقتصاديّة إلى مطعم ضخم. لم يعد بمستطاع **الطيّب الصديقي** إضرام المشاعر بمسرحه القيّم القائم على اختبار النصوص التراثيّة في الأطر المسرحيّة. اختفى **عبد القادر الزروالي** عن خريطة المسرح العربي. زيّن الثنائي المغربي المهرجانات العربيّة بكلّها، قبل أن يختفي الأوّل مع مونودراماته المطوّلة غير الملاحظة لأهمّيّة العلاقة بين العرض والأرض. لن يحيط المسرح بصلاته بالناس هنا وهناك وهنالك.

«ملتقى الاستراتيجيّة العربيّة للتنمية المسرحيّة» يطرح أكثر من سؤال من دون طرح أسئلة.

راوح المسرح العربي في فترة زمنيّة ماضية، ثم راح يتخبّط في خصائصه المشؤومة. لا مدينة لبعض المسرحيّين العرب. لا بلد عند المسرحيّين العرب. لا مسرح في غياب المدينة. لا مسرحيّ، في غياب المسرح، في غياب المدينة..

المسرح والمدينة

راوح المسرح العربي في فترة زمنيّة ماضية، ثم راح يتخبّط في خصائصه المشؤومة. لا مدينة لبعض المسرحيّين العرب. لا بلد عند المسرحيين العرب. لا مسرح في غياب المدينة. لا مسرحي، في غياب المسرح، في غياب المدينة. استغرقت رحلة المسرحي اللّيبي **محمّد الصادق** إلى **مصراتة** ثلاثة أيّام. غادر **الشارقة** إلى **القاهرة** بالطائرة. ترك **القاهرة** إلى **الإسكندريّة** بالسيّارة. ثم: توجّه إلى **مصراتة** عبر المعبر الحدودي المشترك إلى **مصراتة** وهو يجرّ وراءه الورش وحلقات النقاش والمختبرات وانتظار الأنباء عن ولده المقاتل في صفوف مقاتلي «المجلس الانتقالي». لا مسرح في **ليبيا**. لا أحبّ المثل القائل بأنّ سنونوة واحدة لا تصنع ربيعًا. لأنّ الربيع يحلّ بسنونو ومن دون سنونو. غير أنّ مسرحيّة ليبيّة واحدة لا تبني تجربة. لا يبني عدد من المسرحيّات (متقدّمة أو غير متقدّمة) تجربة. لا مسرح في **تونس**. نعى **توفيق الجبالي** مؤسّس ومدير **مسرح التياترو** في العاصمة التونسيّة تجربة المسرح في البلاد. وجد أنّ الكلام على تجربة كذبة. لم تتوسّع رقعة التجربة في **السودان** ولا في **البحرين**، في حين دخل الإسلاميّون على المجال الكويتي بقوّة. رسالة المسرح محدودة في **البحرين**. كذلك في **قطر**. وهي غير متبلورة أبدًا في **المملكة العربيّة السعوديّة**. إنّنا - مع الأخيرة - مع مسرح واجب يقدّم إضاءات نوعيّة على مرّ السنوات، غير أنّه لم يبنِ تجربة. لا يزال الكثيرون يذكرون هجوم جماعة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على معرض الكتاب هناك. هجوم ضدّ الاختلاط وضدّ العناوين. لا يزال الرجال يلعبون أدوار النساء. أو تتمّ الاستعانة بممثّلة إماراتيّة أو قطريّة، لكي تلعب دور فتاة سعوديّة في هذه المسرحيّة أو تلك. ريّفت المدن أو انتهكت أو انكسرت. ما عادت **بيروت بيروت**. ولا **القاهرة هي القاهرة**. ولا **دمشق** هي **دمشق**. ولا **تونس** هي **تونس**. ثمّة سهول بمواهب بلا ملكات وبلا قدرات أدائيّة. ماتت المهرجانات العربيّة بمعظمها. ليس هذا دافع المسرحيّين العرب إلى إقامة جنازات خاصّة بالمسرح العربي. روى **حسين الخطيب** الأردني أنّهم نظّموا جنازة للمسرح الأردني في العاصمة الأردنيّة ردًّا على تردّي علاقة الدولة بالمسرح. ليس أدلّ على ذلك من حضور العقائد القوميّة والوطنيّة المستسلمة أمام كلّ شيء إلاّ أمام المسرح. ما معناه أنّ العقائد القوميّة هذه لا تمارس سكوتها إلاّ أمام المسرح. إنّها ضدّ المسرح دائمًا، لأنّها لا تريد أن تحوّله من دين إلى أسطورة أو من أسطورة إلى دين. اختزل **مهرجان فوانيس** إلى عرضين فقط. لن تؤسّس الجمعيّات تجربة مسرحيّة بعيدًا من مفاهيم المؤسّسة (كما في **السعوديّة**). الأوضاع سيّئة ومتطيّرة في آن. ثم مقاومة مع ذلك.

ريّفت المدن أو انتهكت أو انكسرت. ما عادت بيروت بيروت. ولا القاهرة هي القاهرة. ولا دمشق هي دمشق. ولا تونس هي تونس. ثمّة سهول بمواهب بلا ملكات وبلا قدرات أدائيّة. وماتت المهرجانات العربيّة بمعظمها.

المسرح الإماراتي

منذ أربع سنوت إلى الأمس، إلى **العام** 2010 – 2011، بقيت الأشياء على ما هي عليه. بقيت المسافة بين المسرحي العربي والمسرحي **الإماراتي** على ما هي عليه. ما أفاد الأوّل الثاني. لا آفاق في عمل المسرحي العربي في **الإمارات**. إنّه ينجز مشروعه العابر. ثم يمضي تاركًا خلفه أسراره وقضاياه وأوضاعه التقليديّة وأحكامه الجماليّة. لن تمسّ تجربة المسرحي العربي تجربة المسرحي الإماراتي. بالعكس. لا يزال بعض التجارب في الخليج،

بقيت المسافة بين المسرحي العربي والمسرحي الإماراتي على ما هي عليه. لا آفاق في عمل المسرحي العربي في الإمارات. إنّه ينجز مشروعه العابر. ثم يمضي تاركًا خلفه أسراره وقضاياه وأوضاعه التقليديّة وأحكامه الجماليّة.

على سبيل المثال، يعاني من تركات بعض المخرجين العرب في أراضيهم البور. عزّزت تجربة **زكي طليمات** روحه التقليديّة الإكسترا كلاسيكيّة في تربة دول الخليج. استغرق الأمر طويلاً حتى تحرّروا منها. تحرّر **صقر الرشود** في **الكويت**. كذلك **فؤاد الشطّي**. هذا مثال من أمثلة. المثال الساطع في **الشارقة** وفي إمارات **الإمارات** الأخرى تجربة **جواد الأسدي**. بدا من تجربة الرجل في **دبي** وفي **بيروت**، أنه لم يأخذ حساسيّة المسرحيّين الإماراتيّين بالاعتبار. لم يأخذ وضع الممثّل بالاعتبار. لا قواه ولا روحه ولا نبرته ولا صوته ولا لغته ولا جسده. عامل **جواد الأسدي** الممثّل الإماراتي كما عامل الممثّل البيروتي. من دون مراعاة الفروق بين الاثنين. الخبرة والقوّة والثقافة والاستعداد والتدريب والتربية والتثقيف. لن تمرّ أيّ معادلة حداثيّة مع مبتدئين. ذلك أنّ الشغل على هؤلاء بلبوس الحداثة، لن يؤدّي إلاّ إلى خلعهم اللّبوس هذا لحظة نهاية المسرحيّة، والتجربة المسرحيّة، وسفر المخرج المسرحي وعودته إلى دياره. لا يرسم المخرج المسرحي العربي سياسة واضحة في الطريق إلى بناء المعمار المسرحي في هذه المؤسّسة أو تلك، في هذه الدولة أو تلك. هكذا يدمّر المركز، قبل أن يبني. هكذا تدمّر المرجعيّات. الإنسان هو المركز هنا. الإنسان هو المركز في تيّار الحداثة. في حين أنّ الإله هو المركز في أغلب تيّارات ما قبل الحداثة. مؤدّى ذلك أن تترك تجربة المسرحي العربي أثقالها على فكرة نشأة تجربة المسرحي الخليجي. لن يرتفع المسرحي الخليجي فوقها يومًا. لأنّه جاء إليها بلا فهم. لأنّه وصل إليها بلا فهم. الحاصل: تيّارات من اللامبالاة. وخيانة المقولات والمفاهيم الأساسيّة، لأنّها غير صالحة في تربة تسعى إلى كتابة نصوصها بمرجعيّات واضحة. إنّه اتّجاه تدميري في جوهره، لا يطرح بدائل ولا حلولاً. حيث إنّ تجربة المسرحي العربي بأثقالها وبعض ادّعاءاتها الحديثة، تغيب كلّ ما هو سائد ومتعارف عليه من مقولات ومفاهيم وأنماط، في صالح ما هو غير مفهوم لدى المسرحيّين الخليجيّين الصغار السنّ والمحدودي القوّة والتجربة. لن يؤدّي ذلك إلاّ إلى إحلال نوع من الفوضى والعدميّة في تجربة المسرح في **الخليج**. إنها وجهة نظر معطوفة على قولبة المسرحي الخليجي على أيدي المسرحيّين العرب. زائد ذاتيّة الأخيرين. تدفع الذاتيّة إلى بناء أسيجة في محيط حضور المسرحي العربي. أسلاك شائكة. ترفع الأسلاك الشائكة هذه، لكي تقف بين المسرحيّ الموجود وأيّ مسرحيّ آخر تدفعه تجربته إلى الانتساب إلى تجربة المسرح في الإمارة هذه أو تلك. لا ينفتح المخرج على المخرج الآخر. لا ينفتح المبدع على المبدع الآخر. ومن الأمثلة الجازمة هنا: تجربة المخرج العراقي **قاسم محمّد**. مخرج عراقي طليعي وجد نفسه في قلب تجربة المسرح في **الشارقة**. وجد نفسه إلى جانب حاكم **الشارقة** المهجوس بالمسرح. ركّز الرجل حضوره في التجربتين. تجربة **الشارقة** الشاملة وكتابة حاكم **الشارقة** لمجموعة من النصوص المسرحيّة. لم يقترب الكثيرون كثيرًا من التجربتين منذ ذلك الوقت. خسرت التجربة بذلك احتمالات التعدّد والتنوّع في الرؤى الفنّيّة القائمة على رفض التيمات والقوالب الجاهزة لأنساق الإبداع وبرمجة العمل الفنّي. دمّرت المعطيات المحتملة الأخرى في صالح فردانيّة مسرحيّة لافتة. لن يؤدّي ذلك إلى قيام تجربة فعليّة وفاعلة. لن يؤدّي ذلك إلى بناء تجربة احتراف. لأنّ التجربة بحاجة إلى تجارب متعدّدة في فضاء جامع ماسك للعلاقات الاجتماعيّة المنعكسة في التجارب المسرحيّة.

الأرجح أن الكثيرين ممّن مرّوا على التجربة المسرحيّة الإماراتيّة، والشارقة في المقدّمة، خاضوا في المسرح. بيد أنّهم لم يخوضوا في شروط الاجتماع وما يحمله من تفاعلات ملازمة للإنسان والإنسانيّة. فصلوا النصّ عن مجتمعه. فصلوا العرض عن مجتمعه. كما فصلوا الممثّل عن مجتمعه.

مسرح ما تحت الأرض

قد يصحّ تسمية المسرح في **الإمارات**، **الشارقة** تحديداً، «مسرح ما تحت الأرض». الاسم من مسرح سرّي بناه **كانتور** في الحرب العالميّة الثانية. وذلك يشير إلى حالين اثنين. حال حضور المسرحي العربي في العلانيّة المسرحيّة في **الإمارات العربيّة المتّحدة**. ثم، حال حضور المسرحي الإماراتي السرّيّة تحت أرضه، لا على أرضه. إنّه بحاجة إلى لحظة خارقة، إلى فرصة، حتى يتحرّر من اتّجاهات الحداثة المزيّفة الراكبة على ظهره، وهو في طريقه إلى حضوره الخاصّ وحياته الخاصّة في المسرح. يلعب المال دورًا في ذلك. يلعب المال دورًا في استجلاب المسرحيّين العرب. كما لعب الأثر العربي دورًا في حياة الكثير من المسرحيّين الإماراتيّين. ذلك أنّ أعدادًا منهم تعتزل العمل في المسرح بعد نجاح في الإخراج أو في التمثيل، خوفًا من الفشل في أعمال أخرى. هذه واقعة يشير إليها الكثيرون ويعلون الصوت أمامها. ثمّة أبنية مسرحيّة في الإمارات. هذا امتياز. غير أنّها ليست الشرط الوحيد لقيام حركة مسرحيّة بتيّارات واضحة وفاعلة. قدّمت تجارب مسرحيّة طليعيّة في بيوت المسرحيين وفي المرآب الخاصّة بالسيّارات وفي الملاجئ وفي المساحات الحرّة في الهواء الطلق. المال نازيّ الحضور هنا. لن يقدّم المال شرعيّة لأحد. لن يبني شرعيّة أحد. لن يخترعها. لن يفعل سوى أن يدفع المسرحي العربي المقطوع أو من لا علاقة له بشؤون المسرح إلاّ عبر رؤية مانيكاناته، إلى العمل في المسرح لكي يحلّ مشكلة غير مسرحيّة. لعلّ ما أدّت إليه الحركة هذه بحاجة إلى إطلاق عمليّة إصلاحيّة شاملة. حيث يجد العربي نفسه في وضعيّته الواقعيّة وهو يستلم شيكًا عن أيّ مسرحيّة يزمع تقديمها في أيّ مهرجان في الإمارات تصل قيمته إلى مائة ألف درهم. تتراوح الأرقام بين ستّين ألفًا وبين مئات الآلاف. ينتج عن ذلك الكثير من المسرحيّات تحت العلبة الإيطاليّة بكثير. لأنّها الأقرب إلى قلّة خيال من يقصد المسرح بدافع المال، لا بدافع دفع العجلة المسرحيّة بما يقدر أو يستطيع بالملاحظة العاديّة. الطمع في مقابل السخاء. ثم إنّ وزارة الثقافة في **الشارقة** هي وزارة بنى تحتيّة. إذ إنّها تفتح ورشها العمليّة (نجارة - حدادة - ديكور...) لكلّ مخرج مسرحي من أيّ صنف ومن أيّ عيار. يتكرّر ذلك، وثمّة خلاصات عميقة في هذا الصدد. أوّلها: عدم تمتّع أبناء البلد بالثمار المسرحيّة. لأنّ الزارع، المسرحي العربي، لا يتعامل، ولن يتعامل مع الحقائق على الأرض بصورة جدليّة أو بصورة نقديّة تكشف ما يجب كشفه، حتى يوضع في المعالجة: يبني المسرحي العربي صروحه على البنى التحتيّة المحلّيّة المتشوّقة إلى الارتفاع والارتقاء. يؤكّد ذلك كلّ مظهر. تؤكّد ذلك كلّ التجلّيات. ولأنّها هكذا: بقي المسرحي العربي العلّة والحلّ. السبب والعجب. بطل أفكار مسبقة. بطل أفكار جاهزة أشبه بالبيوت «البري فابريكيه». بطل الحقل الثقافي الدارج في **الإمارات** يأخذ التجريب كسمة. لن يلبث أن يجوّف السمة هذه. أن يفرغها من محتواها. لذلك، تراوح التجارب في **الشارقة** بين التقصير اللّغوي وتخفيف اللّغة من أوزانها، بحيث تضحي طيف لغة لا لغة.

فوقيّة المخرج .. دونيّة الكاتب

مرّ الكثيرون على التجربة الإماراتيّة. **الشارقة** في المقدّمة. جاء **المنصف السويسي** إلى الشارقة. كما قصدها المخرج العراقي **عزيز خيّون** والأردني **حسن أبو شقرة** والعراقي الآخر **محمود أبو العبّاس** والفلسطيني **داوود أبو شقرة**. كما جاء آخرون كثر. جاء العشرات. جاء نقّاد ومنظّرون في المسرح. غير أنّ الكثيرين منهم، لم يتوقّفوا أمام إنجاز ثابت أو تطوير إنجاز أو الإمساك بإنجاز يميل مع ريح عاصفة أو ريح ذات صوت متوسّط. الأرجح، أنّهم خاضوا في المسرح. بيد أنّهم لم يخوضوا في شروط الاجتماع وما يحمله من تفاعلات ملازمة للإنسان والإنسانيّة. فصلوا النصّ عن مجتمعه. فصلوا العرض عن مجتمعه. كما فصلوا الممثّل عن مجتمعه.



لا مبالغة بذلك. لذا، يلاحظ أنّ عدد المخرجين الإماراتيّين في أيّ دورة من دورات مهرجان **الشارقة**، أقلّ بكثير من عدد المخرجين العرب. لأنّ المسرحي العربي لم يأخذ بيد المسرحي الإماراتي إلى لحم المسرح وشحمه. ألغى بعضهم النصّ المسرحي من دون أن يخوضوا في النصّ. شرط إلغاء النصّ الانتهاء من الشغل التجريبي عليه. قد يؤدّي التجريب على النصّ بالمسرحي إلى إلغاء الشغل على النصّ. غير أنّ هذا حدث في جزء منه من دون توفّر الجزء الآخر. أراد المسرحيّ العربيّ أن يحدث تغيّرات جذريّة في بنية مسرحيّة من دون جذور. أو هي غير موجودة. أو أراد العبور في سماء المسرح الإماراتي كما تمرّ شخصيّة في رسم من رسومات **شاغال**. شخصيّة طائرة. شخصيّة خفيفة. شخصيّة أخفّ من الهواء الحامل لها. اعتمد المسرحي في **الشارقة** التزيينات المعماريّة في غياب المعمار. تكلّم على الدرامتورجيا في غياب النصّ المزدوج (أدب – مشهد). برطم بكلام غير مفهوم عن السينوغرافيا ومفردات الضوء والصوت والتشكيل وهو في طريقه إلى منصّة تغيب عنها شبكتها التفاعليّة. لا يزال المسرحي الإماراتي أسير مفاهيم تتّصل بمفهوم الاحتشاد في الفسحة، بدل مفهوم تحقيق الحضور. لا ثمرة نفس، بل ثمرة آخرين.

بين العامين 2006 و2007، وجد المتابعون في أيّام الشارقة المسرحيّة ما يغيظ على صعيد **علاقة المسرحي العربي** بالمسرح المحلّي. أخذ **عبد العزيز خيّون** نصّ الكاتب الإماراتي الشابّ **عبد الله مسعود** «خفايا الجبل». قتله. لم يصمد النصّ أمام الإخراج للحظة. لم يصمد أمامه حتى في الندوة التطبيقيّة. حيث عجز الكاتب عن نقد تجربة الإخراج. اكتفى بشكر **عبد العزيز خيّون** على قبوله الشغل على نصّه قبل قتله النصّ. تلخّص فوقيّة المخرج ودونيّة الكاتب العلامة المزدوجة القائمة على قوّة الجهاز العضلي لدى فرد على حساب الفرد الآخر. عائق أساس أمام قيام منصّة مسرحيّة متعادلة تسهم في مساعدة المسرحي المحلّي في دورة عمله في الطريق إلى إيجاد طريقه الخاصّ وأفعاله المبرّرة وسبب سلوك الطريق في باب أوّل. تحمل الحركة - عندها - معنى. عنده: تصبح مفهومة. عندها: تتبادل التجربة الأدوات والعناصر بدل أن يستقوي جزء منها على الجزء الآخر. يفقد هنا جمع وربط الأدوات والظواهر المتفرّقة بالمقتربات اللازمة. ضرورة أكيدة للفنّان على الضفّتين. ربط الضفّتين يدفع إلى اعتبار المسرحي المسرح منزله لا ميدان نزال مع الآخر. لأنّ الفوارق أكيدة بين الحياة والحياة المسرحيّة. حيث تؤثّر الأحاسيس في الموضوعات الحياتيّة. ما يثير أفكارًا ومشاعر وأفعال مناسبة لها، غالبًا ما تجيء بطرق لاشعوريّة وغير محدّدة الأسباب في التعامل معها. في حين أنّ التعامل مع المسرح يطرح الأحاسيس كشرط، على المسرحي أن يستحضر ردّ الفعل المناسب له بذهنه، بمخيّلته، بقواه العضليّة والفعليّة. لإحياء الموضوع المسرحي كحقيقة تقوم على فروض أسئلة المبدع بين السبب والنتيجة.

معطى تنافسي

حال **عبد العزيز خيّون** ليس الحال الوحيدة. يشتغل الكلّ في ضوء المعطى التنافسي هذا. الحالات كثيرة. حالات التضادّ وحالات الاستسهال وحالات القنص المادّي. لن يهتمّ الكثيرون بالجانب الجمالي، لأنّهم يبنون أعمالهم على الارتجال. ليس بوصف الارتجال منهجًا، بل بوصفه سهلاً لغير مدركي القوانين العميقة الخاصّة بعمليّات الإخراج. لا إخراج ولا تطبيق نظريّة ولا نظريّة في الطريق إلى التطبيق. ولا أفكار تأسيس، ولو جنينيّة. جلّ ما في الأمر أنّ مخرجي القرن الحادي والعشرين هؤلاء، لا يزالون يعملون بروحيّة المخايليّين في خيال الظلّ مع كراكوز وعيواظ. خيالات مقصوصة وقطن مغمّس بالزيت. ثم نقطة على السطر. عودة القارئ في التجربة المسرحيّة، أو الناقد المسرحي إلى **العام** 2006 أو 2007 أو 2003، لن تعيده إلى آثار مسرحيّة جرى البناء عليها. لن تعيده إلى روح ثقافة عليا لدى الهيئات الثقافيّة في **الإمارات** بل إلى روح شعبويّة عليا لا تهدم فاصلاً بين رغبة وتحقيق الرغبة هذه في إنجاز أو نصف إنجاز أو هيئة إنجاز. مفارقة لاهبة. تلك مفارقة لاهبة أن تتقدّم المؤسّسة الثقافيّة على المخرج والكاتب والفنّان أو المبدع. يزيّف الفنّان والمخرج وسائل الهيئات الثقافيّة التعبيريّة في صالح تجربته المحدّدة بهلالين خفيّين. لن يصل المخرج أو المبدع - بشكل عامّ - إلى البحث عن أشكال اتّصال جديدة ومبتكرة لا يوفّرها التراث الموجود الممدود والمحدود في المسرح المحلّي. أو المسرح في **الشارقة**. لن يُعيد الرجوع بالزمن الزمن إلى الوراء. لأنّ زمن المسرحيّة العربيّة في **الإمارات** لا يزال في زمن الماضي. ما قدّم في **العام** 2005 أو 2006 أو 2007 هو نفسه ما يقدّم في **العام** 2010 و2011، إلاّ باختلاف العناوين والمضامين. ذلك أنّ التأسيس لا يقوم إلاّ في أشغال المؤسّسات لا خارجها. إنّنا نقف في حلقة نصف مفرغة. حلقة أشبه بالحلقات الاحتفاليّة. يقوم الطقس في مقامه إلى حين انتهاء الطقس. لا وظيفة انتقاديّة للمؤسّسة. تمنح المؤسّسة منحتها على صعيد الإنتاج العيني، لا على صعيد الإنتاج المعياري. المادّة لا الروح الداخليّة ولا الخلفيّة الفكريّة ولا الذهنيّة الثقافيّة. الخلاف بين الأزمنة خلاف في العناوين والتفاصيل البسيطة ليس إلاّ. لن يتوفّر شرط المكوث على الخشبة إلاّ في حالات قليلة نادرة. لا تحكّم ولا انتباه ولا تركيز. لا إدارة ممثّل في الموضوع المحدّد بالتمثيل. لا توجيه إلى موضوع المسرحيّة بالإرادة، بل بالانقياد الفطري من ممثّلين إماراتيّين يحدوهم إلى تجاربهم صدقهم وحيويّتهم. تصدر علاقة المسرحي الإماراتي بمسرحه عن ذاته. في حين تصدر علاقة المسرحي العربي بالإنتاج الإماراتي عن تيقّظ تامّ لموضوع الربح أو التكسّب المالي. يغلب المسرحي الوافد حواسّه كلّها في صالح الطعم المرتجى. اقتنع المسرحي المحلّي بالمسرحي العربي، ولم يقتنع المسرحي العربي بالمسرحي الإماراتي.

قتل **عزيز خيّون** نصّ الكاتب **عبد الله سعود** (إماراتي) في «خفايا جبل» **العام** 2006. غابت اللّمعة عن «الكرسي». بإخراج الأردني **حسن أبو شعيرة**. أخذ الرجل نصّ «الزير سالم» لـ **ألفريد فرج** إلى تشتّت المعنى وتشتّت الرؤية والرؤيا. سعى وراء نصّ إبداعي تلقّفه بعض المخرجين العرب وحوّلوه إلى نصّ متعدّد الوسائط في مسرح فنون أدائيّة. ذبحه. جوّره. جزره. مثله **حكيم جاسم** في شغله على «رماد الأيّام» لـ حبيب العوضي. لم تتجاوز العروض هذه تخوم الأسئلة الأولى المتوالدة من دون انقطاع. الوضع هنا بين نقيضين. عروض أدب أو عروض إنشاء مسرحي. أدب ثقيل وأدب مشهدي - بصري أثقل. لأنّه طالع من كلّ ما له علاقة بلغة الإجراء. لم يعد نصّ الكاتب الإماراتي **عبد الله سعود** نصّه على خشبة المسرح. لم يفكّكه الإخراج. لم يعد بناءه إثر تفكيكه. إذ أحاله إلى الرغبة في نقله من واقعيّة الكتابة إلى عبث العمليّات الإخراجيّة. ألبس المخرج العراقي الكاتب الإماراتي لباسه. تتكرّر العمليّة هذه باستمرار. لبوس على جسد. لا علاقة للجسد بما يلبسه. ولا علاقة للبس بالجسد. قاد **عزيز خيّون** العرض إلى عبث لا علاقة للنصّ الأصلي به. انحسر النصّ. اختصر العمل. لا تبدأ جملة حتى تنتهي قبل أن يحين وقت نهايتها. ثم اختصر النص إلى برطمة ممثّلين. اختصر النصّ إلى تأتأة ممثّلين. لم يبقَ أمام الممثّلين إلاّ الخروج على النصّ. خروج بأجسادهم على النصّ استدراجًا للضحك في الصالة المتجهّمة.

مسرحيّة «قوم يا عنتر» المستلهمة من «العائلة طوط» لـ **استيفان أوركيني** المجري مسرحيّة ضدّ الأيديولوجيا وضدّ التصنيع

زمن المسرحيّة العربيّة في الإمارات لا يزال في زمن الماضي. ما قدّم في العام 2005 أو 2006 أو 2007 هو نفسه ما يقدّم في العام 2010 و2011، إلاّ باختلاف العناوين والمضامين. ذلك أنّ التأسيس لا يقوم إلاّ في أشغال المؤسّسات لا خارجها.

المجلوب من مجتمعات إلى مجتمعات أخرى. غير أنّ ميزة المسرحيّة هي في إعادة كتابة نصّ **أوركيني** بيد الإماراتي **إسماعيل عبد الله**. سحب عبد **الله** المسرحيّة من منطقها التعبيري إلى منطقه. لم يكتف بذلك، إذ أجّل حضور الجنرال مقدار نصف زمن المسرحيّة. أضحت المسرحيّة نصفين بذلك. نصف **لإسماعيل عبد الله** ونصف **لاستيفان أوركيني**. ضبط المخرج العراقي **محمود أبو العبّاس** «قوم عنتر» بالإضاءة. شكّلت الإضاءة نبرة المسرحيّة الأساسيّة. إضاءة بيضاء حاصرتها الإضاءة باللّون الأحمر. لم يترك **محمود أبو العبّاس** أسلوبًا إلاّ واستخدمه. ضخّم وأسلب. استعمل الحكواتي وتقنيّات مهرّجي السيركات والأداء الواقعي وفانتازيّا الحضور ومسحات من التعبيريّة (روح العرض الأساسيّة). تاه العرض وانضبط في مفارقة لاهبة. لم يأخذ منهجٌ حقّه. بانت «قوم عنتر» مكتوبة بنثار مناهج جيء بها إلى منصّة مسرحيّة لم تعف الفوضى والعشوائيّة والتكديس.

سطوة التلفزيون على المسرح

نموذج جديد. مسرحيّة إماراتيّة مائة في المائة. جاءت «رماد الأيّام» من **الفجيرة** البعيدة من **الشارقة** 150 كيلومترًا. وجدت المسرحيّة في استعمال التقنيّات المسرحيّة آفة. انكفأت رؤياها على ذاتها. أقامت حضورها على فكرة الانكفاء. لذا: بنت بضربة واحدة سينوغرافياها على جسور مصنوعة من الدمى القماشيّة. برّر ذلك بوحدة المرأة بطلة المسرحيّة. دارت المرأة وحدتها بصناعة الدمى والعيش معها. لم يبرّر حضورها البترونات المستعملة في الخياطة فوق أرض المسرح وعند جنباته المبنيّة من روح واقعيّة. سينوغرافيا واقعيّة، إخراج واقعي، صرفت الواقعيّة «الإخراج» إلى موضعة حضور الممثّل. ثمّة فرق شاسع بين الإخراج والتموضع. إنّه الفرق بين «الميزانسيسن» و«الميزانبلاس». مسرحيّة بمشهد واحد. مشهد واحد يمتدّ على مسرحيّة كاملة. تفتح عينيك أو تغمض عينيك، لا فرق بعد المشهد الأوّل. مسرحيّة إذاعيّة إذاً. هذه علّة من عللها، غير الأداء السقيم والنصّ الإنشائي. الأخطر من كلّ ذلك: بياض العيون. لا تعبير في العيون. عيون ميتة. الأخطر من كلّ ذلك: بياض الجسد. أجساد ميتة أجساد ميتة بلا كودات. أجساد بلا فاعليّة. لا شيء في «رماد الأيّام» إلاّ الكليشيه المعتّم على مقاصد المرأة الحقيقيّة من سيادة نمط إنتاجها إلى ثقافتها المتحرّكة المتغيّرة وحماية مصالحها الحيويّة. لا رغبة ولا أغراء على الانفتاح. بسبب هيمنة وانتشار صور المرأة المرسّخة في الأذهان. زيارة واحدة إلى بيت حقيقي كفيل بقلب ذلك. بسبب الوقوع تحت سيطرة الكادر التلفزيوني. أبرز قتلى سطوة التلفزيون على المسرح مسرحيّة **حسن أبو شعيرة** «أيّها الكرسي»، لم يبقِ **أبو شعيرة** الأردني شيئًا من نصّ **ألفريد فرج**. قتل ملحميّته وقتل شعبيّته وقتل دراميّته. قتل كلّ شيء في لعبة سرديّة، زلقت بالمسرحيّة إلى أزمنة سحيقة. حيث اختار المخرج التلفزيوني النزعة البريشتيّة في تخبّط عرضه بنوع من الغرائبيّة الناتجة عن تصادم منهج المسرحي الألماني **برتولدبريشت** بفهم **أبو شعيرة** المشوّه له. تجربة **أبو شعيرة** على التغريب: اختراع فنّي منخفض القيمة بتكاليف عالية. بروفة مسرحيّة يشدّها مخرج تلفزيوني إلى استحقاقه المسرحي. إنّه التلفزيون على المسرح من دون انتباه. عدّ الإخراج دائمًا من الخمسة نزولاً كما يفعل التلفزيونيّون قبل المباشرة بأخذ لقطاتهم التلفزيونيّة. استهلك الراوي. استهلك الراوي مع تتالي المشاهد. ما بقيت غير ذكراه. تسلّط الإخراج على الراوي هنا، فرّغه من شكله، فرغه من مضمونه، فرّغه من معناه. أثرها: أفلت العرض من السيطرة في ضربات الإظلام المتتابعة بين مشهد ومشهد. إظلام في مقابل تغريب. مهزلة جديدة في غياب سياسة الأداء البريشتي العلاماتي.



استعمل **أبو شعيرة** «الستروبسكوب». وهي آلة ضوئيّة تسعى إلى تقطيع الحركة للإيحاء بكثرة الحاضرين فوق المنصّة. جسّد حرب البسوس بسبعة أو ثمانية مقاتلين، انتظر أحدهم لكي ينتهي قتال مقاتل مع مقاتل آخر، لكي يتفرّغ له ويقتله. استعمل التغريب بدوره في «منزل آيل للسقوط» لـ «جمعيّة شمل للتراث والمسرح»، بدخول الممثّلين من الصالة. تغريب بلا قلب، تغريب بلا روح، تغريب بلا رئة. تغريب بلا عقل. في حين أنّ التغريب منهجيّة عقليّة عند فاهمي التغريب. إنّها هنا: فوضى بلا ضوابط وأمزجة بلا تأهيل. لا ذاكرة مسرحيّة في «أيّها الكرسي»، إلاّ القليل من شكليّات التغريب. قاد التخلّص من الجدار الرابع إلى حضور لعبة المسرح في المسرح. بعدها، وجد المتفرّجون أنفسهم في لعبة مسرح في المسرح. **بريشت** أوّلاً. ثم **بيرندللو**. إخراج أشبه بضربات اليد. حطّمت هذه كلّ المعتقدات الثقافيّة في معامل الفنون. مناظر ساذجة في ديكورات واقعيّة بلا إيمان بالواقعيّة. بلا واقعيّة حقيقيّة. حلم العرض بعرض. وحين انتكس ذلك بعنف، أضحى العرض كابوسًا.

لا يثير المسرحي المحلّي لدى المشاهد المحلّي علاقة شخصيّة به. ذلك أنّه لن يذكّره إلاّ بغياب المسرحي العربي. بهذا المعنى: بالمستطاع توقّع ما سيحدث في حال استمرار السياسة السائدة في **العام** 2020. بمستطاع صاحب التوقّع أن يرى ما سيجري في الأعوام المقبلة.

محاولات محلّيّة محدودة تتعاطى مع الفنّ المسرحي بمسؤوليّة واحترام. تتعاطى معه بخوف أن تفشل في المحاولة الأولى. أو أن يفشل إثر نجاح محاولة أو محاولتين أو ثلاث محاولات. لذا: تزدهر الكتابة المسرحيّة في **الإمارات** أكثر من ازدهار الأشغال الأخرى كالإخراج والإضاءة والسينوغرافيا والنقد المسرحي. لن يثبت اسم طويلاً في تجربة المسرح في الإمارات. الثابتون قليلون. أبرزهم **حسن رجب وإبراهيم سالم**. تنقّل الاثنان بين المسرح التجريبي والمسرح الواقعي والمسرح الشعبي ومسرح الأطفال. ثمّة أسماء كثيرة مطوّرة للتجربة. غير أنّها متقطّعة الحضور. يذكر الكثيرون **عبد الله المناعي وناجي المحاي ومحمّد العامري وأحمد الأنصاري** ود. **حبيب غلوم وعبد الله صالح ومحمّد سعيد سلطي وعمر غبّاش ومرعي الحليان وعلي الشالوبي**، ثمّة أسماء شابّة جديدة في الطريق إلى بناء مستواها أو التراجع عن عمليّات البناء هذه. يذكر الكثيرون **علي جمال وفيصل الدرمكي وعلاء النعيمي وسالم بليوحة وحمد عبد الرزّاق وحمد صالح ومروان عبد الله صالح وحمد الحمادي ومبارك ماشي وعارف سلطان**. ثمّة سيّدات في التجربة. هنّ قلّة غير أنّهنّ موجودات. أبرزهنّ: **منال بن عمرو وآمال السويدي وشيخة الحوسني**. تتأتّى التجربة عند البعض من التجربة. تراكم الخبرة أوّلاً. يعني هذا أن لا ثقافة مساندة. لذا: تبقى تجارب هؤلاء، بمعظمهم، أسيرة مفاهيم ثابتة ضمن خطّ سير واحد بعيدًا من الابتكار وتطوير الرؤى الإخراجيّة. يستسهل الكثيرون العمل في المسرح. يدّعي الكثيرون. يجتهد الكثيرون ويخفق الكثيرون. يتردّد، على ضوء ذلك، أنّ الممثّل في المسرح الإماراتي هو الثروة الحقيقيّة في التجربة الإماراتيّة بما يشهد من تراكم خبرات وممارسات يعتدّ بها، كما جاء في بحث لـ **محمود أبو العبّاس** في مجلّة «المسرح العربي» (العدد 4 / آذار/2011).

لا يثير المسرحي المحلّي لدى المشاهد المحلّي في الإمارات علاقة شخصيّة به. ذلك أنّه لن يذكّره إلاّ بغياب المسرحي العربي.

جمع وإطاحة الجمع

المسرحي الإماراتي دوره في المسرح إلى أجزاء. ما يجمع الأجزاء هذه حضور المسرحي العربي. يجمعها ويطيحها في آن. بدخول المخرج العربي على تجربة المسرح المحلّي كشخصيّة فاعلة جديدة لا بدّ من اللّقاء بها، قبل أن يخرج المسرحي العربي من المشهد الإماراتي من دون تسليمه مفاتيح دوره الجديد

في الإسـهام في إنشـاء حدث أساسي أو جانبي أو ثانوي يعطف على محاولات أخرى في إنشاء حدث أساسي أو جانبي أو ثانوي في الطريق إلى حفر المسار بمقاماته الكبرى والصغرى. بقيمه الصغرى والكبرى. لا حاجة بعد إلى الكلام على قلّة الأدوار الممكنة في تحسين ذاكرة المسرحي المحلّي وانتباهه. لأنّ حضور المسرحي العربي حضـور متوتّـر أشبه بالعضلة المتشنّجة. عائق أساسي في إبانة العـالم أمام المسرحي الإماراتـي على ما هي عليـه. يجني المسرحي العربـي ولا يجني المسرحـي الإماراتي. يجني الاثنـان ماديًّا. غير أنّ المسرحـي الإماراتي لا يجني على الصعيد الإدراكي والمعرفي والحسّي والعصبي. لا يسـيطر المسرحي الإماراتي على تجربـة لأنّ المسرحي العربي لا يمنحه التجربة هذه. ذلك أنّ سبب حضوره سبب مادّي. لا تترك الحاجـة المادّيّـة أيّ طاقة معنويّة على صـعيد اسـتمرار تجربة المسرحـي المحلّي في التجربة المحلّيّـة. وتتكثّف المعضلـة الأولى بدعم الفرق المسرحيّة. تدعمها وزارة الشـؤون الاجتماعيّة. تدعمهـا دائـرة الثقافـة في **الشارقة**. تدعمها **هيئة دبي للثقافة وهيئة أبو ظبي للثقافة والـــتراث**. تدعمها الحكومـات المحلّيّـة في كلّ إمـارة. دعـم وزارات الثقافة والشـباب وتنمية المجتمع واسع. ثمّة قسم للمسرح في كلّ وزارة. يضـمّ القسم وجوهًا معروفة في تجربة المسرح في **الإمارات**. اللافت عدد الفـرق العاملة بدعم الهيئـات والمؤسّسـات لهـا: **فرقـة الشارقة، فرقة المســرح الحديث، فرقــة مسرح زايد للطفولة، مسرح أبو ظبــي الوطني، مسرح العين، مسرح بنــي ياس، فرقة مسرح دبي الأهلــي، فرقة مسرح دبــي الشعبي، فرقة مسرح الشباب القومي، مسرح حتّا، مسرح أمّ القيوين الوطني، مسرح عجمان الوطني، مسرح رأس الخيمـــة الوطني، مسرح شمل، مســرح خورفكان، مسرح كلبـــاء الشعبي، مسرح دبـــا الفجيرة، مســـرح دبا الحصن**. مؤشّر عافية. ومؤشّر إلى تورّم. ذلك أنّ تجربة **الإمارات** ليست بحاجة ربما إلى كلّ هذه الفرق المسرحيّة والفرق العاملة في المسرح تبعًا إلى تتابـع الـدور أو تقدّمـه. إنّه وجـود في الحياة العامّـة، أكثر من وجود في الحيـاة المسرحيّة. يسـتدعي ذلـك التأمّل بتيقّـظ أو النظـر بتمعّن أو القـراءة النقديّـة، يهـدف تحويل الصـادق إلى حيـوي والفرقـة المسرحيّـة إلى تجربـة والبروفـة إلى عرض. صـحيح أن بعض الفرق لا تزال تتبع جمعيّات الفنون الشـعبيّة والتراث والمسرح، ما سـبّب إشـكالات كبيرة لها، أوّلها قلّة الدعم بسـبب الارتبـاط بالجمعيّات، وتولّي قيـادة الفـرق المسرحيّـة مـن هـم مـن دون اختصـاص في المسـرح. يـتردّد ذكـر المـال دائمًـا. يـتردّد عبـور المسرحي العربـي دائمًا. شـيئان ماديـان. التجربة بحاجـة إلى حواسّ وهـي بصـدد تحصـيل حضـورها في حياتها الفرديّـة والجمعيّـة. ليسـت الصـورة صـورة مأسـويّة. ثمّة نبل يقابل إمّـا بالحاجة المادّيّة أو بالطمـع المـادّي. ثمّـة فرق بـين الاثنين. لا يزال الجميع بانتظار تحوّل التيّار السـاكن إلى تيّـار هـادئ. يحتاج الجميـع إلى مخيّلـة هنا. يحتـاج الجميع إلى هدف مطلـوب من فكرة أن نصـل إلى عروض مسرحيّـة متقدّمـة قليلاً أو كثيرًا. يحتاج الجميع إلى الوقوف على الحقائق المسـتمدّة من التجربة. أوّلها: القدرة المنشودة المؤهّلة إلى استيعاب حضور الآخر في التجربة المحلّيّة. لن تصـل التجربـة إلى واقعها المتّزن إلاّ بتخفيـف حضـور المسرحـي العربـي فيها، بعد طول حضـور على مدى عشرات السـنوات. انتهى الاستحضـار بلا تهيئة. تحتاج التجربة الآن إلى تعضـيد الأداء والأدوار في مـدى مـن التشـجيع الداخلـي بمحتـوى هـادف يجـري توظيفه لاحقًا. قدّمت التجربة حتى الآن أنواعًا هـجينة. قدّمـت أنواعًا مهجّنة. يبقـى أن تتوفّر الفائدة في تنقية التجربة المهجّنة من عناصر تهجينها. ليسـت هذه دعوة نازيّة. ليست دعوة تطهـير عرقي. بالعكس. ما تحتاجـه التجربة هـو الخـروج من حدّهـا الآخـر إلى الاسـتفادة الإيجابية منه بعد الاستفادة السلبيّة. لن تؤدّي العمليّـة هـذه إلاّ إلى فلـترة كلّ مـا هو سـاذج وطـارئ في تجربـة المسـرح الإماراتـي، بعيدًا مـن تـأثيرات شـهرة المخرج العربي وحضـوره الخاصّ في صـالح الحضـور العـامّ واعتمـاد كلـف إنتـاج غير موحّـدة. تحدّد الكلفة بحسب نوعيّـة العمـل وحاجاتـه الفعليّة لكـي لا تبقى التجربـة تجربة هرج تنعكس نتائجها السـلبيّة علـى المسرح. لا علـى المسرح وحـده، بل على البيت الإماراتي والشـارع الإماراتي والمدرسة الإماراتيّة. توفّـرت دور العرض. عظيم. توفّرت مستلزماتها الأساسيّة. عظيم. توفّرت خدماتها. عظيم. يغيب العنصر الأسـاس. يغيب المسرحي الحاضـر بشريـف حضـوره بوصـفه مسرحيًّا مـن دون قـراءة موقّعـة بمـا يسـتأهله الموقع والحضور.

نماذج مسرحيّة

أشرفـت تجربـة المسـرح في **الإمــارات** علـى عقدهـا الثالـث. يؤكّـد **سلطان بن محمّد القاسمي** أنّ المسـرح في **الإمارات** بخـير. إنّه بخير على صـعيد مفهوم التراكم لا على صعيد المنتج. «عار الوقار» من **مسرح دبا الحصن**، ألفهـا **عبد الله زيد** وأخرجها. صراع بين ثلاثة أجيـال، وفق ثلاثة مسـتويات. صراع بين الجدّ والحفيد بشـكل خاصّ. نصّ خفيف، مضعضع. نصّ حسـابات جبريّـة مبسّـطة انعكس على عمليّات الإخراج. إخراج واقعي مقولب. واقعيّة شـائنة، لن تتردّد في استعمال كلّ ما هو منفر. مسرحيّـة بـلا مأثـرة. مسرحيّـة بـلا جوهـر. المسرح في واد والمسرحيّة في واد آخر.

«هواء بحري»، تأليف **صالح كرامة**، إخراج **عمر غباش**. لغة إنشـاء في لعبـة مكعّبات تردّ إلى الأيّـام الأولى في المعاهد المسرحيّة. «هواء بحـري» أقلّ مـن تمريـن بلغة عربيّة فصـحى. تزحـف مدينـة، يزحـف خلـف المدينـة أهلها. تجريد في تجريد بلا فهم للتجريد. مجموعة من الممثّلين بملابس سوداء متشابهة. لا إيقاع ولا فضاء ولا مناخ ولا إحساس. وهلوسة واغتراب عـن المسرح. معمار دون المعمـار التقليدي، لا ذكاء ولا اجتهاد ولا هندسـة. ولا منحة أخرى. نصّ يدور في فراغ الفراغ وأشـغال بلا أشغال. لا يوجد خطأ عفوي حتى. لا حياة. شـيء أشبه بعجوز تمتطي مكنسـة لا تطير. ذقن ملصـوقة في الأولى. فواجع بلا لصق في الثانية.

ثالثة المسرحيّات مسرحيّة «أصـايل» من **إسماعيـل عبد الله** (كتابـة) **وفيصل درمكي** (إخراجًـا)، قصّـة حبّ بـين البطل و«أصـايل». **ريم الفيصل** في دور أصايل. قدّم **الدرمكي** منذ أعـوام «الظمأ». مسرحيّة لافتـة. فاجأ العرض المسرحـي العـرب في مهرجـان **الشارقـة**. مسرحيّة بغنى فكري معقول وبحلول تشـكيليّة معقولـة. عرضـه الجديد عرض مـتردّد. خطف ممثّـل العرض **جمعة علي** العرض بارتجالاته الكوميديّة. بداية أشبه ببداية شـعريّة، قبل أن تحتلّ روح وثنيّة قلـب المسرح وجنباته. نخلة في المنصّـة. نخلـة عنـد زاوية مـن زاويتيه. لا شيء سـوى أرضيّـة المسرح المرشوشة بالقشّ ومشـاهد طويلـة أقـرب إلى نظـرة مبسّـطة إلى الكتابـة. وحـدة قاتمة تلاقي المصـير الأسـود للخطـاب المسرحـي البـلا مكوّنـات جماليّـة. لا مفارقـات حتـى. لا أداء. لا شـيء سـوى أنّ المسـرح وسـيط بينه وبـين المسرحي بـلا أيّ علاقـة بالجمهور؛ بروح واقعيّة أشبـه بالرمال المتحرّكـة البالعـة للجمل والنقاط والفواصـل وأيّ طـرق تعبير محتملة من الإسـهام الفرديّ أو الجماعيّ.

ليسـت الثالثـة أفضـل مـن الأولى. ولا الرابعة أفضل من التاسـعة. ولا الثامنة أفضل من العاشرة. أخـرج **عبد الله صالـح** «الثالث». نصّ **عبد الله صالــح**. أخـرج **محمّد صالـح** «أحلـوج». تأليـف **جواهـــر مراد**. أخـرج **علي جمال** «الرهـان». كتب المخرج نصّ مسرحيّته، كتـب **مرعي العليـان** «أنـا وزوجتي وأوبـاما». أخرجهـا **أحمد الأنصــاري**. «السـلوقي» من **إسماعيل عبد الله** أحد أبرز الكتّاب في تجربة



المسرح الإماراتي. قدّمت المسرحيّة في **بيروت**. ثم قدّمت في **الإمارات**. قدّمت في **مهرجان الشارقة المسرحي**. أخرج **السلوقي حسين رجب**. كتب **عبد الله صالح** «قرموشة». أخرجها **أحمد الأنصاري**. كتب **إسماعيل عبد الله** أغزر كتّاب تجربة المسرح في **الإمارات** «حرب النعل». أخرجها **محمّد العامري**. من **إبراهيم خليف** «سفرموت». إخراج **محمّد حاجي**. كتب **مرعي الحليان** «بايته». أخرجها **ناجي المحاي**. تتكرّر أسماء الكتّاب. كما تتكرّر أسماء المخرجين. لا يعني هذا ضيق حلقة الكتّاب. ولا ضيق حلقة المخرجين. تتكرّر الأسماء في اجتماع أعمالها في **مهرجان الشارقة** سيف **الشارقة** المشهور في تجربة **الإمارات** المسرحيّة. إطار متقدّم تتوسّطه عروض عاديّة أو أقلّ من عاديّة. تقترب العروض هذه من المناهج والأصناف المسرحيّة من دون أن تصيب قلب المناهج والأصناف. لا العبث هو العبث. ولا اللامعقول هو اللامعقول. ولا التغريبي هو التغريبي. حتى أنّ عروض الواقعيّة لا تفتقد إلّا الواقعيّة. لا تطرح الأعمال مناهج. لذا لا تطرح بدائل مسارح بدائيّة تقترب قليلاً من التقدّم قبل أن تعود إلى حالها البدئيّة. هي تجارب أشبه بالتجارب المقنّنة. لا تندفع التجارب هذه كالموج في فنونها المسقوفة بالغناء أو الرقص أو الموسيقى. لا تشكّل المتعة جزءًا من عضويّة العروض المسرحيّة. لأنّها عروض بلا مسيرة. لأنّها عروض بلا تحقّق. بلا إنجاز. ليس المطلوب إنجازات باهرة. ليس المطلوب انتصارات باهرة في تجربة المسرح في الإمارات. المطلوب بالأكثر أن تتداخل العروض في تشكيل عمارة المسرح. لا بأس بعمارة خربة مخلّعة الأبواب والنوافذ. لا بأس بذلك في مرحلة أولى. لا بأس طالما أنّ العروض ترفع عمارة.

«سفر موت» مسرحيّة تلفزيونيّة. ليس هذا رأي واحد. إنّه رأي جميع من شاهد المسرحيّة. غياب كلّي للمسرح. غياب كلّي لروح المسرح. قدّم المسرحيّة «مسرح رأس الخيمة الوطني». قدّم المسرح الوطني هذا. أخ وأخت وعم غائب يعود ومطوع وطبيب نفسي، في صور تقليديّة سقيمة. سرد متتال. غياب للميزانيسن زائد غياب للفضاء المسرحي. حفلت «الرهان» بالمبالغات. مونولوغات طويلة. استجداء للحالات الكوميديّة. كوميديا في مسرحيّة رمزيّة. الرمزي ذو حمولة أيديولوجيّة. غير أنّ الإخراج شغل كلّ الخشبة بحرفيّة لازمة. كتب **جمال شكر** نصّه وأخرجه. موضوعه المقاومة. أعادت تجربة العرض الجمهور إلى ثنائيّة الاستسلام والمقاومة في لغة مواربة مع ثلاثة ممثّلين راوح الأداء الخاصّ بهم بين الأداء العاطفي والأداء المجرّد من العاطفة تمامًا. في حين بنيت «أنا وزوجتي وأوباما» على أدوات المسرح التجاري. كوميديا ترفيه مع **محمّد الأنصاري**.

لا خيال اجتماعي في المسرحيّات الإماراتيّة ولا ابتكار أشكال مسرحيّة جديدة. إثارة ذلك، هو الطريق إلى فهم الإشكاليّات الضاربة في تجربة المسرح في **الإمارات**. كشف ذلك هو تحريض على سلوك طرق المغامرة والإثارة. إنّها المراوحة بين الكمّي والكيفي. المهمّ هو محلنة المسرح الإماراتي. يحدث هذا ببطء ومن دون نجاحات كبرى.

الحجر الأسود

بيد أنّ غياب المخرجين العرب أصحاب الأسماء الصغرى، سوف يوافيه حضور اسم من عيار ثقيل. «المحلنة» المجزّأة في عروض عاديّة في مقابل تعريب بعرض كبير ضخم. «الحجر الأسود» نصّ حاكم **الشارقة سلطان بن محمّد القاسمي** أخرجه **المنصف السويسي**. مخرج تونسي مخضرم. لم يعطِ النصّ الإماراتي إلى مخرج إماراتي. طغى عرضه على كلّ العروض الأخرى. أسقط الحاكم **سلطان بن محمّد القاسمي** الوقائع المعاصرة على التاريخ لإقناع المشاهد المحلّي والعربي

والعالمي. غير أنّ ما ينقص هو إيقاف طاحونة الأعمال المسرحيّة في **الشارقة والإمارات** – تاليًا– عن الانتشار العشوائي. ما تحتاجه التجربة تقديم عروض خاصّة. عروض لافتة. عروض ناطقة بكلّ إنجازات التأسيس والتأثيث. لم يحدث هذا بعد، لأنّ المسرح في **الإمارات** ما تحوّل بعد إلى كائن جسدي. لم يصل إلى مرحلة الأعراف. لم يصل إلى مرحلة الأنساق. جلّ ما في الأمر، أنّ سياسة حاكم الشارقة **محمّد بن سلطان القاسمي**، أفصحت عن ثقافة شجّعت – ولا تزال تشجّع – على بناء عمارة المسرح بكلّ إغراءات المسرح، وبقيت التجربة بحاجة إلى مزيد من الضبط والترشيد.

خفّ عدد العاملين العرب في تجربة المسرح الإماراتي. حضروا وغابوا ولا يزالون يحضرون من دون الإسهام الفاعل في بناء آليّات فنّيّة جماليّة مؤثّرة يستفيد منها الشوارقة أو أهل المسرح في **الإمارات**. لن يطرح أحد المسألة الحسّاسة هذه، طالما أنّ العجلة دائرة. بيد أنّ زواج ابن السبعين (المسرحي العربي) من الفتاة القاصر (تجربة المسرح الإماراتي) هي ترسيمات نصوص أسفار لا أكثر ولا أقلّ. يصل المسرح الإماراتي إلى جدواه، حين يمكر المسرحي الإماراتي وحين يتملّك طرائق الإغواء المحقّقة لمصالحه في الطريق إلى بناء عقيدته المسرحيّة. أدلى الأردنيّون والعراقيّون والمصريّون واللّبنانيّون والمغاربة بدلائهم في تجربة مسرح **الإمارات**. أضفى هؤلاء روحهم الكوسميّة على التجربة. الاستفادة من الروح هذه ضروري. وخصوصًا أنّ المجتمع الإماراتي كوسمي بتميّز، مع مئات آلاف الآسيويّين والعرب والأوروبيّين والأميركيّين. شيء استثنائي إذ لم يعد الإماراتي يهاب كوسميّة مجتمعه هذا. ذلك أنّ هذا يسمح بالاستفادة من ثقافة الآخر هنا. تغيب الثقافة هذه عن تجربة مسرح **الإمارات**، ولو أنّ تحقّقها سوف يؤدّي إلى قراءة التجربة بغنى المجتمع في غياب الفوقيّة السائدة. يؤدّي الخوف إلى الغياب. غياب كلّ شيء. غياب التراكم. لا تراكم وسائل أو حيل. أصبح المسرح – مذاك تبادلاً غير حقيقي ومجرّد زيف. لأنّه قائم على الخداع في غياب الأيديولوجيّات الثقافيّة، الحيّة التلقائيّة، وفي سيطرة الفائدة الثانويّة للفقد الجماعي. فقد الأوّل للثاني وفقد الثالث للآخر. ثقافة الآخر، أثرى من ثقافة الدخلاء. الفلسطيني **داوود أبو شقرة** قدّم «منزل آيل للسقوط» منذ سنوات. تقديس أعمى للنضال.أولى أفخاخ المسرحيّة. تستوي هنا لوحة ممسوحة بنبرة تكعيبيّة (الأرجح بلا انتباه وبلا معرفة). إلى جانب لوحات بلمسات واقعيّة مدجّجة بالمبالغة بفقدانها الذاكرة الاجتماعيّة للواقعيّة. صرّحت «احفروا خندقًا» بذلك. كما صرّحت «صكّ الباب». وضعت الأولى إكساً أحمر على البئر البترولي، في حين دعت الثانية إلى رذل المادّة بتبسيطيّة مرعبة.

لا يزال المسرحي العربي يعمّم ثقافة الصورة التلفزيونيّة في **الإمارات**. «منزل آيل للسقوط» دراما تلفزيونيّة. لعب دورها الأوّل **عبد الله سعيد حيدر**. إنّ الانتقال المتزايد للممثّلين بين المسرح والسينما والتلفزيون والإذاعة والفيديو، أوجد ألفة بينها، ملكت الحقّ المقصور باستعمال الألفة هذه على مؤسّسة دون غيرها. اجتاحت نبرة الفنون الآليّة فنّ المسرح. فنّ ثانوي لدى المسرحيّين، حتى وهم يعملون في نطاقه. تغترب تجربة المسرح المحلّي عند ذلك. «احفروا بئرًا» واحدة من المسرحيّات النائية عن الهمّ هذا. مسرحيّة من مسرحيّات «جمعيّة دبا الحصن للثقافة والفنون والمسرح». مليودراما هنديّة. تحكي المسرحيّة حكاية تنقيب عن النفط في منطقة صحراويّة. ثم: فجأة تتكشّف المسرحيّة عن جريمة قتل. ثم، فجأة: تنقلب المسرحيّة إلى الصراخ ضدّ عمليّات التنقيب عن النفط. بنى المخرج بئرًا أشبه بغرفة وضيعة، دارت حولها كلّ عمليّات موضعة الممثّلين في إفراط استهلاك ذاكرة المسرح التقليديّة. بضربة

لا يزال المسرحي العربي يعمّم ثقافة الصورة التلفزيونيّة في الإمارات.. لكن التجربة قدّمت إضافات قليلة بقيت بلا سند في حال من إحلال «الفوضى الخلاّقة» في حدود بسيطة وقليلة.

واحدة إلى رأي الصفوة بحضور النفط في العالم **العربي**. تحديدًا في **الخليج**. اضطراب راديكالي. **محمّد العبد الله** مخرج «طائر الأشجان» مثله مثل **عبد الله زيد**. اختار الأول مسرحة الياباني **دزيوندي كيوسيتا** ومسخها من كلّ خصائصها. لم نعد أمام حكاية طائر الكركي في حكاية الفتاة المحبّة لزوجها وحكاية التحوّل. لم تشفع ترجمة **قاسم محمّد** لها. إذ استهلك النصّ حتى أضحى جملاً طائرة فوق نسيج متوهّم. حتى أنّ مخرجًا له اسمه وصيته هو **عبد الله المناعي** ترك البحث والاجتهاد والتجريب والروح النقديّة في «صكّ الباب». أو «أغلق الباب» بالفصحى. مسرحيّة «كسل وكسالى». أعاد الكثيرون ذلك إلى وضعه الصحّي، إذ أصيب بجلطة بالدماغ شلّته نصفيًّا. حاله مؤثّرة. بنى مسرحيّته على الجسد، ما أوقع المسرحيّة في نمط مثاقف. خمسة يهومون فوق خشبة المسرح وهم يبرطمون ويتأتئون ويومئون بالمجان. لا غاية ولا هدف. يدور الممثّلون على أنفسهم. براميل النفط على رؤوسهم وأكتافهم. عرض خارج المقوّمات الثقافيّة في تجربة **الإمارات**. إنّه أمر غريب حقًّا. أن لا تملك التجربة المسرحيّة روحيّة أخرى غير الروحيّة السائدة. غير الروحيّة الماديّة. كلّ ما هو غائب في التجارب العربيّة الأخرى متوفّر في تجربة **الإمارات**. تبدو التجارب الأخرى في حال استعداد أفضل على الرغم من عدم قدرتها على تقمّص دور متقدّم في تجربة أضحت تبحث عن صورتها وهويّتها وجمهورها من دون الوصول إلى لقاء. لا يزال المسرح الإماراتي عند حدود أفق اللّقاء. لا يتحكّم أحد بالمقبل من الأحداث المسرحيّة. صوت محروق على تجربة المسرح في بحر السخاء الممنوح لها. قدّمت التجربة إضافات قليلة بقيت بلا سند في حال من إحلال «الفوضى الخلاّقة» في حدود بسيطة وقليلة. تشبه المسرحيّة القديمة المسرحيّة الجديدة. تبقى المسرحيّة الجديدة نسخة عن المسرحيّة القديمة في وقوع الاثنتين في أحضان ما لا يسمّى مسرحًا إلاّ اصطلاحًا. ما ينقص التجربة هو توظيف وتطوير كلّ ما أنجز بحبّ حقيقي وبإدراك الطبائع الملائمة. بإدراك اللذّة. بإدراك الجمع بين الحواسّ والإدراك. تبذل **الإمارات** جهودًا هائلة بأمل أن لا تموت التجربة. بداية عقد ثالث من العطاء المسرحي. هذا صحيح. غير أنّها عنونة استباقيّة في اقتراح أفكار المتابعة. احترام ذلك واجب. واجب أيضًا عدم اختراع الأشياء.

المسرح اللّبناني

تبذل المدينة أموالاً طائلة لتعانق اللّقطات القديمة لتجربة مجلية، في قتال مميت وصراع قاتل ضدّ الوقت الجديد غير المفهوم، غير أنّ النتائج، بقيت مخيّبة للآمال. لأنّ الزمن الجديد، صار خارج المسلّمات. لم يعد يحتمل مسلّمات. هكذا، راح اللّبنانيّون إلى التماثل مع سيزيف وصخرته في الأعمال القليلة بارزة القوّة في السنوات الثلاث الأخيرة. أفضل طرق الاستسلام: الوقت يلتهم المحاولات. ذلك أنّ تجربة المسرح في الآونة الأخيرة، تقرّبت من مفهوم «اللانجري». ماكياج وبرونزاج وأثواب مثيرة ملوّنة، غير أن لا ماهيّة عامّة لها، في غياب الإشعاعات الداخليّة الموحّدة للمسرحيّات وغياب منطق الوحدة الكليّة في نسائجها العديدة. وهي تقترب من المسرحي، يشعر بها تسري إلى دواخله، من دون أن يدرك كنهها أو يؤجّل اشتعالها، لأنّه غير جاهز بعد.

لو افترضنا أنّ المسرح في أواخر حياته، لأمكن رؤية بداياته. ولو أنّه مضى على البدايات ما يقارب الخمسين سنة على وجه التقريب. غير أنّنا لن نرَ هذه البدايات، لأنّها أضحت محصّلة في التجربة الجديدة أو المسرحيّات الجديدة. غير أنّ الأخيرة لم تبلغ حدّ ارتباطها ببعضها، عبر الأساليب العديدة تحت المظلّة الواحدة. غابت الأحاديث عن المسرحيّات المليئة بالحسّ الشعبي، لأنّه تمّ تخطّي هذه المقولة. ولأنّ الشعبيّة، مالت في الآونة الأخيرة إلى الإسفاف في تسيّد تجربة «الفودفيل». وهي تجربة زوائد بنواقص. أي تجربة تعبّر عن شحوب شبحي للتجربة اللّبنانيّة الماضية. باعتبار أنّ التجربة اللّبنانيّة، تميّزت بالتعدّد وانعكاس هذا التعدّد في المسرحيّات اللبنانيّة بين أواخر الخمسينيّات وبداية الستّينيّات. ثم إنّ الفودفيل، هذا الصنف الذي ساد الساحة مطيحًا الأصناف الأخرى، من التجريد إلى التغريب إلى الواقعيّة والواقعيّة السحريّة والصوفيّة والطقسيّة والاحتفاليّة والروح الشعبيّة الأصيلة، أضحى صنفَ وراثة في فترة قياسيّة. وليس أدلّ على ذلك، منَ تجربة **مروان نجّار**. وجد في الفودفيل سهلاً أخضر، بمقدوره أن يجابه العواصف، منذ «عريسين مدري من وين». لا يعبّر هذا الكلام عن موقف ضدّ الفودفيل، لأنّ الصنف وخالقه أو صاحبه أو مستثمره، يعبّر بوعي وبغير وعي عن الاتّجاهات الاجتماعيّة لعصره. ومن ذلك، استيعاب «الفودفيل» لعشوائيّة حركة اللّبنانيّين في أثناء الحرب الأهليّة، في حلّهم وترحالهم وهجرتهم وتهجيرهم وذعرهم أمام أصوات تبادل إطلاق النار والقصف. ولكن أن يضحي الفودفيل «تراكتور» المسرح اللّبناني، بقوّة المال، فإنّ في ذلك ما يحوّله إلى منظر غير طبيعي. كما يحوّل أثره وتتبّع هذا الأثر هنا، الأب عبر الابن أو الابنة (**رنا نجّار** وهي تستعيد مسرحيّة «عريسين مدري من وين» بإخراجها) إلى جسر بلا قناطر، إلى جسد لا تهتزّ أسسه، لأن لا وجود لهذه الأسس.

فقد المسرح في السنوات الأخيرة روحه المرحة، فقد قوائم المعجبين به، أمام الأخلاط التي بنت هياكله. كأنّ المسرحيّة خسرت حضور الجسد الإنساني والشخصيّة الإنسانيّة في أحوال ومواقف تشفّ عمّا هو أبعد من المألوف، حيث نسخ الواقع نسخًا مباشرًا. وإذا ما أراد أحدهم أن لا ينسخ الواقع أو يترجمه أوقع شغله في الفانتازيّا أو الشكلانيّة البعيدة عن منطقة توظيف التراث واللّغة في صياغة المسرحيّة. وما أنجز في السنوات الأخيرة، غير مرض بشكل عام، بحضور فلتات أشواط مسرحيّة، في تخاذل البعض أمام المناسبات (**بيروت** عاصمة ثقافيّة أو السنة الفرنكوفونيّة 1999 – 2000)، ما جعل أعمال هؤلاء كتماثيل شمعيّة في متحف زراعيّ. وقع الجميع في منطقة الشكل التقريبي، بدل أن يسلكوا الطريق الممتلئ بأسئلة جديدة، قبل الشروع في الإجابة عن هذه الأسئلة بالرؤى والصيغ.

موت المسرح؟

كثر الحديث عن موت المسرح في **لبنان** والعالم **العربي**. راح الحديث في **لبنان** ينتشر في العالم **العربي**، لأنّ **لبنان** طليعة من طلائع المنطقة العربيّة في المسرح. عارض البعض الاحتفال به، عارضوا الاحتفال بيومه. عارضوا الاحتفال بيوم المسرح العالمي أو باليوم العالمي للمسرح الذي درج الاحتفال به منذ **العام** 1961. وجد **لبنان**، الذي راح يحتفل بهذا اليوم منذ انضمامه إلى المؤسّسة الدوليّة للمسرح، من يناهض الاحتفال بهذا اليوم، بعد أن أضحى العالم أحادي اللّون والرأس وفي غياب الأيديولوجيّات، «لأنّ المسرح قام على الأيديولوجيا». كذلك، بعد رفع راية العولمة الشرسة وضياع المسرح وراء القيم والمقاييس التي وضعها العالم **الغربي** أساسًا. هكذا أضحى المسرح استيرادًا وتعميمًا لشكل ابتدعه **الغرب** وفقًا لحضارته الماديّة. وهو لا يزال يفرضه حتى اليوم، في ردّة استعماريّة جديدة بسيادة التكنولوجيا والترويج لمبدأ حقوق الإنسان، بحسب **جلال خوري** في مقالة منشورة في صحيفة السفير البيروتيّة في مناسبة يوم المسرح العالمي (2001/3/27). وجد في الاحتفال باليوم العالمي للمسرح، ما هو مناف ومناقض ومعاكس للثقافات العديدة في البلدان الخارجة على المفاهيم الغربيّة والتقاليد الغربيّة وتاريخ **الغرب**. وجهة نظر، لم تمنع الكثيرين

في لبنان غابت الأحاديث عن المسرحيّات المليئة بالحسّ الشعبي، لأنّه تمّ تخطّي هذه المقولة. ولأنّ الشعبيّة، مالت في الآونة الأخيرة إلى الإسفاف في تسيّد تجربة «الفودفيل».



مـن الاحتفال بهذا اليوم، وخصوصًا أعضاء المؤسّسة الدوليّة ـ فرع لبنان. أقامت احتفالاً في العام ألفين وواحداً في **مسرح غولبنكيان، في الجامعة اللّبنانيّة–الأميركيّة في بيروت**، حيث منحت مسرحيّين منتخبين (كتّاب ونقّاد وممثّلون ومخرجون وروّاد ومؤسّسون) دروعًا تقديريّة وأسهمت في إنتاج مشاهد مسرحيّة واسكتشات هناك. ثم نظّمت احتفالاً في **العام** 2002 في **مسرح بيريت** في مبنى **الجامعة اليسوعيّة** في **بيروت**. يبقى المسرح مسرحًا. يبقى المسرح بلا مسرح لا مسرحيّين. تحوّل المسرح إلى مهنة. لم يدافع المسرحيّون عن المسرح إلاّ باستمرار عملهم في المسرح. كثرة الحديث عن موت المسرح، قابلته كثرة عدديّة. لم يقدّم في **لبنان** ما قدّم في الأعوام الثلاثة الأخيرة. أعدادٌ كبيرة، أعداد هائلة، إذا ما قورنت بمتوسّط المسرحيّات في الأعوام التي سبقتها. بدت **الجمهوريّة اللّبنانيّة** جمهوريّة مسرح غير رسميّة، جمهوريّة غير مؤكّدة. جمهرة المسرحيّات في مناسبة «بيروت عاصمة ثقافيّة» **العام** 1999، حوّلت الجمهوريّة إلى جمهوريّة مسرح. غير أنّ عدد المسرحيّات **العام** 2001، لم يقلّ عن عدد المسرحيّات المقدَّمة **العام** 1999. روزنامة طويلة عريضة: «منمنمات تاريخيّة» **لنضال الأشقر** عن نصّ **لسعد الله ونّوس**. «لوسي المرأة العموديّة» **لروجيه عسّاف** عن قصّة للكاتبة اللّبنانيّة الفرنكوفونيّة **أندريه شديد**. مهرجان أيلول قدّم ستّة عروض ممسرحة، مزيجٌ من مسرح ورقص ومحاضرة. **توماس ليمين** من **ألمانيا** قدّم «مسافة». **كزافييه لوروا** عرض سيرته الذاتيّة في «نتاج الظروف»، في حين قدّم **توماس أرغاي** «الجنّة». خمسة عروض أجنبيّة في المهرجان الدولي للمسرح الجامعي، إلى العروض المحلّيّة: «المشكلة» (طلاّب الجامعة اللّبنانيّة –الأميركيّة). «سيريل»، إخراج **ريما القدّيسة** (جامعة الروح القدس/الكسليك). «الفراشات حرّة»، إخراج **ملاك فتّال**. و«الكونترباص» **لبولين حدّاد**. وتميّز **مهرجان شمس** بلوحة فسيفسائيّة رحبة بالعروض المشهديّة القصيرة. 26 عرضًا مسرحيًّا وخمسة عروض راقصة مع ثلاثة عروض زائرة، لكلّ من **رئيف كرم وبطرس روحانا وعايدة صبرا وسهام ناصر ورويدا الغالي وعبده النوّار ورائد ياسين وميرنا الحارس ومايا زبيب وعلي مطر وشيرين كرامي وبيتي طوطل وسيلويت حديب وماي سلهب**. «سوق سودا حبيبي ما تنسى» **لفادي أبو خليل**، قدّمت على خشبة **مسرح بيروت** (آذار/مارس 2001). شخصيّتان وهميّتان واقعيّتان تنتميان إلى فترة ما بعد الحرب بالفراغ الضارب فيها، وبعنفها الداخلي. «قبضايات» قدّمتها المخرجة **لينا أبيض** على خشبة **الجامعة اللّبنانيّة الأميركيّة**، عن نصّ للكاتب الإيراني **حسين سعدي**. «عاليمين» قدّمها جو قديح في شهر شباط/فبراير على خشبة **مسرح المركز الثقافي الفرنسي**. «ديفا» عرض مسرحي تشكيلي راقص، قدّم في غرفة في **محترف** «**زيكو هاوس**». مونودراما «من أجل رجل وحيد» قدّمت على خشبة **مسرح مونو**، بإخراج الإيطالي **بيار أنجيلو سومار** الذي أدار الممثّل اللّبناني **جورج الهاشم**. الراقصة **أماني** قدّمت «أيّام وليالي أماني» على خشبة مسرح المدينة (كانون الأوّل/ديسمبر). أمّا **لينا الصانع**، فقدّمت «إخراج قيد عائلي» في نهاية **العام** 2000 على خشبة **مسرح مونو**، حيث واصلت تجاربها على الأتمتة في الأداء المشهدي. قدّمت **ندى كانو** «من جانب المصمّمين». قدّم **بول مطر** «سندباد أبًا عن جدّ» مع المخرج السويسري **باتريك موهر**. وثمّة عروض باهرة أبرزها «الساحل» تأليف وإخراج اللّبناني–الكندي **مجدي معوّض**. أربع ساعات من المسرحة في روحها مابعد الحداثيّة. و«ثعلب الشمال» عن نصّ للكاتبة الفرنسيّة **مانويل رنود**، إخراج اللّبناني **نبيل الأطن**. و«جبران خليل جبران» للتونسي **توفيق الجبالي**. و«رائحة الآخر» لفرقة **إلياس الأوروبيّة** المتعدّدة الجنسيّات: كوريغرافيا وكاباريه وسينما صامتة وسيرك وموسيقى وروك وفالس وجاز في عرض دامج. و«راجل ومرا» للتونسي **محمّد إدريس**: احتفاليّة شعبيّة موصّلة.

كثرة الحديث عن موت المسرح، قابلته كثرة عدديّة. لم يقدّم في لبنان ما قدّم في الأعوام الثلاثة الأخيرة. أعدادٌ كبيرة، أعداد هائلة، إذا ما قورنت بمتوسّط المسرحيّات في الأعوام التي سبقتها.

الكثير الكثير من العروض في العامين 2000 و2001، تحوّلت فيها السينوغرافيا إلى شكل كلاسيكي. سمة كاسحة. شيء مثبت ومتضمّن أو مكشوف في العروض المسرحيّة بمعظمها، ما أدّى إلى وقوعها في لائحة اتّهاميّة. الأبرز في هذا المجال «أرخبيل» **لعصام أبو خالد**.

اقترب ملاك الموت من المسرح، على ألسنة المسرحيّين، أنذروا بموت المسرح، قبل أن تبدأ عمليّة استنساخ جديدة للتجربة المسرحيّة، من دون بحث عن محتوى اجتماعي جديد أو أشكال جديدة. تمّ تخطّي كلّ الطروحات النظريّة السابقة، حين وجد اللّبنانيّون في **العام** 1999 أو 2006 أو 2009، ما يقيت تجاربهم البسيطة أومسرحيّاتهم اللانموذجيّة: المال قطيع، بل قطعان من المسرحيّات المتدلّية كشعر الرأس. مسرحيّات متدلّية في هواء شاغر.

كثرة لا نوعية

ثمة فئة مسرحيّة جديدة، معظم أفرادها من الشبّان، أخذت تزداد أهمّيّة. ظهر عدد من المسرحيّين المؤسّسين بين هذه الفئة. تجمّعوا لأوّل مرّة في مشاغل صناعة مسرحيّة، بدل الانشغال في البحث عن الأجوبة ـ السلاح في معركة الإسهام بقراءة الماضي المتعثّر في مسالك الوصول إلى المستقبل المنظور.

عشرات المسرحيّات على روزنامة المدينة. عشرات المسرحيّات في خطّ تصاعدي. الكلّ عاد في طوفان يخشى أن يتكشّف على صورة طوفان أشبه بطوفانات الطبيعة.

لم يعد المسرح يحمل المتلقّي إلى عالم آخر، ويحظى في الوقت ذاته بمستواه الخاصّ والمتميّز، بين واقعيّة وعبث وتعليم وتغريب وملحميّة. استهلكت هذه كلّها، حين اختبرت، وحين تحوّل المسرح إلى مادّة ملموسة، بنت خلقًا من عدم وآذانًا من أصوات وصورًا من عالم ضيّق. أسّست قوانين هندسة جماليّة، أفضت بالمتلقّي إلى عالم الإحساس بالتطهير. التراجيديا، واحد من أشكال المسرح. التراجيديا هي قدره اليوم. استُهلكت الأشكال والأصناف، بحيث لم تعد العمليّات الجراحيّة ناجحة لتجديد عضو فيه، أو لتجديد جسده. لأنّ المسرح فقد حسّه الإيقاعي النابض بالحيويّة الجماليّة.

لم يعد المسرح اللّبناني يحمل المتلقّي إلى عالم آخر، ويحظى في الوقت ذاته بمستواه الخاصّ والمتميّز، بين واقعيّة وعبث وتعليم وتغريب وملحميّة. استهلكت هذه كلّها، حين اختبرت.

عمليّة ملغومة

التجربة المسرحيّة، كالعرض المسرحي، تشكّل عددًا لا نهائيًّا من التراكيب والمعادلات المحتملة عن طريق استثارة أو استبعاد أو تكرار أو تصحيح العلامات بشكل متراتب في وحدات الزمان والمكان. الاقتراب إلى المسرح، من قوّته التقنيّة ومن عجزه التعبيري، مقتلة مدمّرة. لأنّ التأسيس (الجديد) على التأسيس، لن يقوم في معزل عن العلامات والعلاقات المتداخلة في ما بينها.

وقعت التجربة المسرحيّة اللّبنانيّة في السنوات الماضية في الصفة التقنيّة وحدها، خارج لحظات التطوّر التاريخي والمنجزات الأصيلة لفنّانين مثل **يعقوب الشدراوي وروجيه عسّاف وجلال خوري ونضال الأشقر وشكيب خوري ومنير أبو دبس وأنطوان ولطيفة ملتقى والأخوين رحباني وكركلاّ وغيرهم**. خطأ فادح، كلّف تجربة المسرح في **لبنان** الكثير الكثير. كلّفها أوّلاً، القضاء عليها بوصفها جسمًا حيًّا يتطوّر وفق قوانينه الخاصّة غير المعزولة عن البيئة والمحيط الاجتماعي والواقع السياسي والاقتصادي والفكري. ظنّ المسرح أنّه في فترة انتقال في أواخر القرن الماضي، في حين أنّ حياته بقيت خاضعة لدورة تشبه الدورة الدمويّة في جسم الإنسان. دورة دمويّة

الإبداع



تحيي، ولكنّها تبقى تسير سيرتها الأولى. دورة بلا مراحل. هذا شيء مدهش، أصاب إدهاشه التجربة المسرحيّة، بحيث بدا تقدّمها افتراضيًّا مع شباب الجيل الجديد، من دون تقدّم واقعي. الأسلوب، لمرّة جديدة، بقي بعيدًا عن التغيّرات. كأنّ الأسلوب هنا، قدرة تحكم كلّ شيء. هكذا أضحى الفنّان والجمهور الذي يستهلك إنتاجه، أعضاء تنفيذيّين في مساحات تنفيذيّة. لقد خلق الفنّ المسرحي بإساهماتهم جميعًا، وها هم اليوم يخضعون إلى قوانين الأسلوب – الشكل وليس الأسلوب– الجوهر.

سقطات مميتة، في تشبّه المسرح، برجال مرتدين البدلات الأوروبيّة وربطات العنق والقمصان الموقّعة ويدخّنون السيجار الفاخر ويتعطّرون بأغلى العطور في غياب المدينة وروح المدينة. حين يحدث ذلك، تسقط مولّدات التجارب المتقدّمة، من قيم الحرّيّة والاختلاف إلى الديموقراطيّة وحقوق الإنسان والعدالة الاجتماعيّة والتنديد بالعنف والقيم المدافعة عن الإنسانيّة ومستلزمات بناء المدينة. وقع المسرح في التعصّب، من تعصّبه للشكل، لشكل اللّحظة واليوم. ووقع في الفئويّة، من ارتداده إلى سلوكيّات المؤسّسة البيروقراطيّة، التي تهمّش الشخصيّة، كما تهمّش الروح. صار المسرح يبني نفسه لنفسه.

الاندفاع إلى تحويل المسرح إلى نور وألوان وأجواء تدغدغ الحواسّ، جعل المسرح قابعًا بين المظاهر المتقلّبة، من دون القدرة على لمس بنية الأشياء الحقيقيّة وتملّكها والمحافظة على ديمومتها.

ضرر بالغ

صارت وفادة المسرح إلى المسرح. هذا شيء استفزّ الكثيرين، ما دفعهم إلى الارفضاض عن الالتحاق بتجربة المسرح. ضرر بالغ مقيت. فقد المسرح، مناهضي الأسلوب العامّ، بحيث وقع هؤلاء في الأسلوب العامّ، على تلوينات بسيطة. ثم إنّ المسرح نفسه، نفى دلالاته. أضحى هو هو. أضحى شكله ونطقه بما يقول.

ليس بمقدور أحد أن ينفي ديمومة الأشكال والمفاهيم القديمة، ولعلّ نفيها أو الحماس الشديد في الطريق إلى نفيها أسهم في وقوع التجربة في السنوات الأخيرة بالشكلانيّة. إلى العوامل الأخرى. رغبة شرعيّة، أن لا يتناول المسرحي كلّ شيء من البداية، ولكن عليه أن ينطلق من نقطة معروفة وأن يكيّف أسلوبًا موجودًا ولو بشيء من الحدّة، في الطريق إلى تدميره بشكل جزئي قبل الشكل الكلّي. ولكن ليس هذا زمن الحروب الميديّة، حيث يتحوّل طقس تقديم الذبيحة إلى تمثيل أحداث اجتماعيّة جديدة، بانصهار العنصر المسرحي - الديني والجماعي، بالعنصر الفردي الأكثر حرّيّة وإنسانيّة.

أثر شكل المسرحيّة المفتوحة في جيل الشباب، بعد أن راح هؤلاء يستنسخون الشكل الأب أو الشكل «الحداثي» الأوّل. وهو كلّما تكرّر، وقع في الوظيفة الواحدة، ما أسقط وظيفة المسرح «السحريّة». صار السحر شبح السحر. وقد تسلّط هذا الشبح على فضاء التجربة المسرحيّة اللبنانيّة، بتحويل «الحداثي» إلى خرافة ثم بتحويل الحداثي إلى خرافي، ما حوّله إلى بدائي في لحظات الذروة في لقاء التجربة الشبابيّة بالحداثة.

الاندفاع إلى تحويل المسرح إلى نور وألوان وأجواء تدغدغ الحواسّ، شابه العبوس الشديد، ما جعل المسرح قابعًا بين المظاهر المتقلّبة، من دون القدرة على لمس بنية الأشياء الحقيقيّة وتملّكها والمحافظة على ديمومتها، لا لحظاتها الهاربة.

كلّما طرح الفنّ القضايا الداخليّة للفنّ ذاته، في اللّحظات الاستثنائيّة، يصبح المشهد رهيبًا: لا شيء. إلاّ أثر الشيء، وليس الشيء نفسه. لا علاقة لذلك بالحدس الفنّي. إنّه الحقيقة، الحقيقة وحدها. فبدل أن يتصيّد الصيّاد الحيوان، يقلّد الصيّاد الحيوان. والحيوان هنا، هو الزمن الاستهلاكي. لا خصوبة بعدئذ. لا خصوبة إبداعيّة، لأنّ الولادة والموت يختلطان، من دون فهم الفروق بينهما.

غابت الروح البسيطة القديمة، لصالح تعقيدات بلاغيّة جديدة. الشكل وحده بلاغة ثقيلة الوقع. التأرجح بين العاطفة والسأم،



أمام التزعزع الدائم في العلاقات الاجتماعيّة والسياسيّة والاقتصاديّة وانعدام الاطمئنان على الدوام، أخّر حتى اللّحظة ظهور مسرح المنعطف الاجتماعي أو السياسي. الفراغ فاغر الشدق والسأم تحت المعطف والجمهور في وسط الحركة. انطرحت مسألة الشكل والمحتوى، من جرّاء ذلك، في المسرح. ذلك أنّ المحتوى ينتقل بأشكال متعدّدة. بقي الغموض هو الخطّ المشترك بين المحتوى والشكل، بحيث إنّ مقاومة أيّ تفسير اجتماعي، أسهم في رجحان استمرار رعب المرحلة الشكليّة المحضة.

هذا وحده ما يعول عليه، في ما يخصّ المسرحيين الذين راحوا يردّدون أنّ المسرح مات. ردّدوا ذلك في معظمهم، في طريقة خداع، هي النتيجة المنطقيّة لمراوحة التجربة أمام النغم الأوّل.

انفجار العام 2000

موت المسرح؟ وكيف يموت وقد احتفلت **بيروت العام** 2000 بالذكرى الثانية والعشرين على غياب الكاتب والمخرج المصري **نجيب سرور**. قبلها ارتفعت وتيرة تقديم المسرحيّات إلى حدّ مدهش. «الفانون» **لشذا شرف الدين**، قدّمت في شهر تشرين الأوّل/أكتوبر 1999. «قطع وصل» **لرفيق علي أحمد وناجي صوراتي** في آذار/مارس 2000. «موستور» للبولوني **ليزك مادزيك**، قدّمت في شهر شباط/فبراير على خشبة **مسرح المدينة والمهرجان العالمي السنوي الثاني للمسرح الجامعي**. «طار الحمام غطّ الحمام» لبرونو جعارة على مسرح الأتينيه (**تشرين الثاني/نوفمبر** 2000)، وعشرات المسرحيات الأخرى.

مهارات شكليّة. لذا فهي بعيدة من أن تختصر مسافاتها تجاه المشاهد، من خلال قراءة واقعه وراهن الحركة المسرحيّة، إثر حرب أهليّة مدمّرة.

كأنّه لم يحصل شيء في السنوات الماضية، وكأنّ وظيفة المسرح في القرن الحادي والعشرين، هي مضغ نفسه وإبطاله، بعد أن بدا عظيمًا في القرن الماضي. موت المسرح؟ بل موت الحياة الاجتماعيّة. موت المسرح؟ بل شلل الحياة السياسيّة، وعدم قدرتها على إنتاج طبقة سياسيّة جديدة. موت المسرح؟ بل فقدانه قواه العاكسة للروح الثقافيّة اللّبنانيّة الموزاييكيّة وانكشاف مرحلة الستّينيّات، على حقيقة الحضور بنزعة ضمير الغائب. يعطف على ذلك تأثيرات الأزمة الاقتصاديّة، تلك التي صادرت كلّ طلاّب المسرح والسينما في الجامعات اللّبنانيّة إلى أروقة مباني أقنية التلفزيونات اللّبنانيّة وانهيار الطبقة الوسطى المساهمة الأكبر في الإنتاج المسرحي - الثقافي والثقافة اللّبنانيّة بشكل عام.

بانت السنوات بين **العام** 1999 **والعام** 2004 وصولاً إلى **العام** 2005 صاحبة مقولة، رسّختها الأحداث التالية. بانت السنوات تلك سنوات الإعلان عن تهميش الدور الإنتاجي في لبنان على الصعيدين المادّي والإبداعي. مضمون تلك السنوات هو الانفجار. انفجار بلا تشظية. لا شيء أمام المتابع إلاّ الرجوع والتثبّت بانفجار تلك الأعوام، لأنّها آخر علامات الإنذار المثير بما سيأتي. آخر علامات الإنذار بالنقلة المثيرة للشفقة. آخر علامات الإنذار بتفجّر الشكوك والهواجس. بالأخص إثر استشهاد الرئيس **رفيق الحريري** في شباط/ فبراير**العام**2005. مذاك: حدثت تغيّرات فكريّة. مذاك: حدثت تغيّرات سياسيّة واجتماعيّة واقتصاديّة، لن تلبث أن وضعت وضيّعت اللّبنانيين أمام ما لا يقبل وما لا يجارى. أمام رهبة التفكير في التغيير الجذري الحاصل في المجتمع اللّبناني. وجوه ابتذال. وجوه وقاحة. سلّطت الوجوه هذه الضوء على الزمن الجديد المتعدّد الوجوه والأمكنة، غير المرتبطة ارتباطًا وثيقًا بالعادات والتقاليد. أضحى المثقّف مستشارًا. أخذ المثقّف خطّه في مقابل المثقّف الآخر. أصبح اليساري بقناع جديد فوق وجهه الحقيقي. قناع المحرّض.

أكل القناع الوجه، حتى أضحى الوجه والقناع وجه المثقّف الجديد. انكسر اليسار. عطف ذلك على إطاحة الوضع بالطبقة الوسطى. الطبقة المنتجة للمثقّفين والثقافة. مذاك: أمعن الوضع بالرجوع إلى الوراء. لأنّ انكسار اليسار، كسر المحفّزات والعوامل والحوامل والضوامن. لن يُطرح بعد الآن سؤال حارّ، حيث غابت حرارة الأسئلة في حرارة الوضع اللبناني الإقليمي. لذا: بقيت الأسئلة العائدة إلى الأعوام السابقة هي أسئلة الأوضاع الحاضرة والراهنة. لم يسطع أحد بأساليب عاديّة أو بأساليب ماهرة. لم يستطع أحد أن يستنهض المسرح. ذلك أنّ الأرض مادت تحت كلّ شيء. شنّت الحرب نفسها على الوضع اللّبناني. حرب باردة. حرب بلا أسلحة ظاهرة أو خفيّة.

لن يقدر أحد على استئجار عمل مسرحي من **برودواي** أو **منهاتن** أو **نيويورك** أو **باريس** بهدف تقديمه كعمل مسرحي لبناني في غياب عوامل تأسيس جديدة لإنتاج جديد. ترتبط الأمكنة بالعادات والتقاليد. هذا صحيح. صحّة ذلك في استمرار المهرجانات اللّبنانيّة في تأمين ما هو ضائع على الصعيد اللّبناني. يقدّم المهرجان استعارات وإشعارات مسرحيّة فنّيّة راقصة أو غنائيّة أو موسيقيّة، بحيث تلبّي الاستعارة حاجة القيّمين على المهرجانات بعدم التعرّض إلى محنة التأجيل أو الإغلاق أو الاندثار. بقيت **مهرجانات لبنان** شغّالة كغسّالة تخوض معركة حاسمة مع غسيلها. لن تخدم مسرحيّة من المسرحيّات المجتمع المدني اللّبناني ولا المدنيين اللبنانيين، مع تزحلق المهرجانات إلى مفاهيم الاستهلاك عبر العرض الظرفي والمؤقّت. حدث هذا في المهرجانات كلّها. لم يعد مهرجان بعلبك إلى الأصول والتقاليد. خسرت **مهرجانات بعلبك** و**مهرجانات بيت الدين** و**مهرجانات جبيل** أبرز خصائصها. خسرت روحها الديموقراطيّة. حيث راحت تختار أعمالاً أوروبيّة وأميركيّة وعربيّة (بنسبة أقلّ) عبر روح الراهن لا عبر روح النشأة. قبلاً: كلّ خيار مسيرة. الآن: كلّ خيار هو خيار على علاقة بالظرف. أطلقت **مهرجانات بعلبك الدوليّة** تجربة المسرح في **لبنان**. احتضنت **منير أبو دبس** ومدرسة المسرح الحديث بمفهوم العمل على بناء الأساسات. لا بمفهوم العمل على تقديم عمل مسرحي لن يلبث أن ينطفئ إثر تقديم عروضه بالعدد. تمّ اعتماد **أعمال منير أبو دبس** كنقطة بداية، كنقطة انطلاق للتجربة المسرحيّة في **لبنان**. احتضنت عروض الفرقة في المهرجان واحتضنت الفرقة في المحترف الخاصّ بها في منطقة المنارة ـ نزلة الحمّام العسكري. تشبّثت بها، لكي تمنح المسرح اللّبناني روحه ونبضه. تشبّثت بها، لكي تمنح المسرح اللّبناني شكوكه وهواجسه في صراعه مع الحضور ودرجات الحضور. منحت **مهرجانات جبيل** المنشقّين عن تجربة **منير أبو دبس** فرصة التجرّؤ على المؤسّس. كسرت رهبة وحدانيّة بداية التجربة. أخرجت **أنطوان ولطيفة ملتقى وريمون جبارة** من جبّة المسرحيّ المؤسّس. منحت هؤلاء فرصة التنافس. هكذا: وقف المهرجان في مقابل المهرجان بلا ابتذال ولا وقاحة. لم يلخّص المهرجان المهرجان الآخر. بالعكس. دفع المهرجانان المسرحيّين إلى الصراع على مبدأ مسرحيّة في مقابل مسرحيّة وتجربة في مقابل تجربة. مدّ التنافس شاطئ المسرح طويلاً وعريضًا لدى اللّبنانيّين. لولا التنافس لما قامت تجربة المسرح في **لبنان**. أوصل التنافس فرقة المسرح الحديث وحلقة المسرح اللّبناني (أوّل فرقتين مسرحيّتين محترفتين **في لبنان**) إلى النزال والمبارزة. مسرحيّة بمسرحيّة. وصل الأمر بالفرقتين إلى حدّ تقديم المسرحيّة الواحدة في مصوغين عصريّين. خنق المهرجان ـ بمصوغه الحديث ـ مساهمة المهرجان في عمليّات اكتشاف المواهب الشابّة وتكريس المواهب الشابّة هذه. أضحى بؤرة استيراد. استيراد أعمال

> خنق المهرجان ـ بمصوغه الحديث ـ إسهام المهرجان في عمليّات اكتشاف المواهب الشابّة وفي تكريسها. أضحى بؤرة استيراد. استيراد أعمال أجنبيّة فقط لا غير.



أجنبيّة فقط لا غير. إمّا عبر مشاهدة العمل بالفيديو. أو عبر وسيط (أمبرازاريو). لا افتتاح ولا إغلاق. لا استمرار. هذا أكيد. لأنّ ما يعرض ليس بيروتيًّا. لأنّ ما يعرض ليس لبنانيًّا. هكذا أخرجت المهرجانات من منظومة تعميد وتعبيد التصوّرات والأفكار والقيم المعبّرة عن رؤيتها وشخصيّتها. صارت المهرجانات بلا رؤية. صارت المهرجانات بلا شخصيّة. ولو أنّها حافظت على هياكل البناء الاجتماعي ـ الثقافي (الأساسي) لفكرة اكتشاف حضور مبدع لبناني وتثبيته في الفضاء الإبداعي اللّبناني. باستدعاء لبناني يقدّم مسرحيّة غنائيّة على أدراج القلعة التاريخيّة. أخذت مسرحيّة **لغسّان الرحباني في العام** 2010، بالاشتراك مع **ملحم بركات**. ثم أخذت مسرحيّة **لفريد وماهر صبّاغ في العام** 2011. غير أنّ الأوّل اسمٌ مكرّس في الساح الفنّيّة اللّبنانيّة (**ابن إلياس الرحباني**). ثم إنّ **الأخوين صبّاغ** أصحاب تجربة سابقة كرّست حضورهما في الساح الفنّيّة اللّبنانيّة. قدّم الأخوان «غيفارا» في **البيال**. ثم: «من أيّام صلاح الدين» على أدراج بعلبك. مسرحيّة الرحباني ومسرحيّة **الأخوين صبّاغ** هما مسرحيّتان بلا وجهات نظر. أي أنّهما تقليديّتان. بغض النظر عن رغبة المسرحيّة والأخرى في تشكيل محاولات تتحدّى التقاليد المسرحيّة. أعمالهم صور مقبولة للأعمال المسرحيّة الغنائيّة ـ الراقصة، لا تعكس الأبنية الاجتماعيّة والثقافيّة والفكريّة الجديدة في **لبنان** مع شباب لا يحصر حضوره في حيّز أو هيئة أو ضفّة.

بين الاكتشاف والترويج

كرّس **مهرجان جبيل** دورة **العام** 2010 لمسرحيّة **منصور الرحباني** «صيف 840». كبرت المسرحيّة مع اللّبنانيّين. لأنّها قدّمت في المرّة الأولى في **العام** 1986. أُعيد تقديمها بحجّة غياب **منصور الرحباني** وتكريم ذكراه في مناسبة مرور عام على غيابه. تشبه «صيف 840» المصطلح. فقدت المسرحيّة بعدها الزماني وبعدها المكاني في الإعادة. بقيت تضجّ باللبّ وهي تدير ظهرها لتجاوز المفاهيم الأولى لقيام **مهرجانات جبيل**. ثم إنّ **فرقة كركلا** قدّمت ـ بحكم العادة ـ مسرحيّة غنائيّة راقصة. غير أنّها مسرحيّة لا تمتّ بصلة إلى لبنان واللّبنانيّين. مسرحيّة «زايد والحلم». عن أحد أبرز شخصيّات **الخليج والعالم العربي**: **الشيخ زايد**. لم تقدّم المسرحيّة حلولاً شكليّة ولا حلول المشكلات ـ أيّ مشكلات ـ بل اكتفت بعرض وقائع وحالات إنسانيّة ضيّقة، على الرّغم من تاريخ **الشيخ زايد** في العمل السياسي والاجتماعي. خلطت الفرقة بين رغبتها وبين واقعها. افترضت المسرحيّة حضورها. غير أنّها لم تحضر. «ومن الحبّ ما قتل» **لغسّان الرحباني** لا تُقارن بـ «زايد والحلم». الأولى أنضج. الأولى بدلالات كثيرة. الثانية بدلالة واحدة. دلالة العلاقة ببيئة الشخصيّة. لن ينكر أحد أهمّيّة **الشيخ زايد** الاستثنائيّة. بيد أنّ اشتغال فرقة لبنانيّة على شخصيّة خليجيّة ـ عربيّة هو شغل في غير الحقل المناسب. لا صلاح اجتماعي. إذن: لا إصلاح. إذن: لا إبداع. لأنّ خضوع الشخصيّة لدراسة علميّة جادّة لم يحدث. عزفت الفرقة ـ قبلاً ـ على حلم توّاق إلى اكتمال المشهد على المنصّة. تستجلب الفرقة ـ الآن ـ المشهد من خزائن تجاوز المفاهيم إلى الوقوع في الأبعاد الميتافيزيقيّة البعيدة من الدلالات المختلفة. ثنائيّة انشطار نفسي من التمزّق الإبداعي بين الوعي واللاوعي. ما يسمّى تناقض الوسط بتسلّطه ومراوغاته. ما يؤكّد على استحالة التواجد الفعلي في قلب قضيّة الشيخ زايد الحرّة من الهامشيّة وعذابات الوجود المبعثر.

سقط كلّ شيء في **لبنان**. سقطت الحياة بذاتها. لا تزال قواعد الماضي سارية. تسري قواعد الماضي على الراهن. كلّ ما حضر في أواخر أعوام الألفيّة الثانية هو هو نفسه في

العشريّة الأولى من الألفيّة الثالثة. هذه سلطة المسرح على المسرح. هذه سلطة المسرحي على المسرحي.

سقط المسرح في الفراغ العظيم بين تاريخي الحادي عشر من أيلول عام سقوط برجيّ التجارة العالميّين وتاريخ اغتيال رئيس الحكومة الأسبق **رفيق الحريري**. لا يبرّر حضور الفراغ إلاّ الفراغ. لا يشبه الفراغ **بيروت** ولا **لندن** ولا **القاهرة** ولا **براغ**. يريد المسرحي أن ينتقم من الفراغ هذا. تجتاحه رغبة جامحة في الانتقام من الفراغ. بيد أنّ تعبئة الفراغ ليست عمليّة سهلة، بلا حوامل وحوافز وميكانيزمات. هذا ما يحتاجه المسرح من دون مواربة. تنتابه موجات من الاشمئزاز الرهيب. استمرّ ذلك على مدى سنوات. ثم ما لبث أن استبدل الاشمئزاز الرهيب هذا بلامبالاة فاقعة، ساطعة، مدمّرة. لن يشعر أحد بالحرج طالما أنّ واحدة من سمات المرحلة إغلاق الأفواه بإحكام في ظلّ «الحرب على الإرهاب». حرب يقودها إرهاب يلطأ بالإرهاب، لكي يمارس إرهابه على الناس والبشر. لم يعد المسرح بيت المسرحي في **لبنان**. بات ملجأ مؤجّرًا يحفظ فيه حلقات الذهب القديمة. ماتت مراحل الاكتشاف واكتشاف الاكتشاف والتمرّد على الأشكال والمواضيع والمصوغات. لا يقيم المسرحي علاقة منتظمة بالمسرح. لا يقع المسرح في علاقة منتظمة بالمسرحي. كلّ ما يقدّم ليس إلاّ إدارة رأس إلى المسرح، إلى تاريخ المسرح، إلى زمن المسرح. دمّرت مدينة المسرح الصغيرة. ريّفت المدينة. عاد المسرح المديني إلى الريف بلا زوائد ولا زوّادة طعام. خسر اللّبنانيّون جرأة العمل في المسرح. عطف ذلك على معوقات المسرح القديمة. هكذا: راحت المسرحيّات تتقطّع حضورًا بين سنة وأخرى. عروض في سنة وعروض في سنة تالية. لم تعد المسرحيّة صاحبة موعد ثابت. أضحت عروضها غير منتظمة. لم يعد وضعها في عام مستساغًا أو ملائمًا. ثم إنّ المسرح خسر كنوز دهائه. خسر الداهية في أشغاله. خسر روحه الداهية بعد أن تحوّل **لبنان** من مساحة كوسموبوليتيّة إلى مرآب. خسر المسرح فصاحته الإغرائيّة. هكذا: أضحت المسرحيّات الكثيرة مسرحيّة واحدة. هكذا: أضحت المسرحيّات مجهضة، بعد أن تحكّم الوقت بخصب المسرح. لا تزال الرقابة في مواكبها. منعت الرقابة «أنسي السيّارة» للمخرج البلجيكي - التونسي - **رحيم العسكري**. ثم: سمحت الرقابة بعرض المسرحيّة بعد حذف أجزاء منها. لن يقاتل المسرحي الرقابة في القرن الحادي والعشرين. ترك قتالها لمسرحيّي القرن العشرين. لن يعرض المسرحي أفكاره بحرّيّة. حتى إذا ما وجّهت حرّيّته بالقمع حمل مسرحه إلى أوّل مقهى. تلك أيّام **روجيه عسّاف** و**نضال الأشقر** و**يعقوب شدراوي** و**ريمون جبارة** و**أنطوان ملتقى**. لن نشاهد بعد «أبطال مجدلون» في «الهورس شو». لن نشاهدهم فوق الطاولات فيه، في حين يتحلّق رجال الأمن العام والدرك خارج فيترينات المقهى بلا حول ولا طول. تجري الحكاية هذه في زمن قديم. خسر المسرح عفويّته المرحة. سمته في أشدّ اللحظات قمعًا. المسرح رقيق. هذا صحيح. المسرحي عنيد. يملك الوصف هذا صحّته الأكبر. خسر المسرح احتكاكه بالمسرح. بذا: بانت المسرحيّات مشغولة بلا مسرحيين. قدّم **فائق حميصي** - كمثال - عمله الإيماني الجديد في **العام** 2010 في مسرح **بيروت** أوّلاً. ثم: قدّم «كلّ هذا الإيماء» في **مسرح مونو**. قدّمت في المطرحين بلا أثر كالأثر المتروك خلف أعماله الإيمائيّة القديمة بغريزة ممتازة. دفعت المسرحيّ إلى محاولات ترويضها بالتنظير لها وللإيماء. تكلّم على جذور الإيماء في التاريخ العربي. شدّها إليه بذلك. لكي لا تبقى حكرًا على **مارسيل مارسو** و**لي كوك**. لم يعطها تاريخها العربي. أوجد لها تاريخًا عربيًّا. تكلّم على تراث الصفاعنة وعلاقة الجاحظ بالإيماء. تكلّم على الكرجيّين وعلاقتهم بفنّ الإيماء. مشهد يطرد البؤس

كرّس مهرجان جبيل دورة العام 2010 لمسرحيّة منصور الرحباني «صيف 840»العائدة للعام 1986.. فقدت المسرحيّة بعدها الزماني وبعدها المكاني في الإعادة. أدارت ظهرها للمفاهيم الأولى لقيام مهرجانات جبيل. وقدّمت فرقة كركلا مسرحيّة «زايد والحلم» عن أحد أبرز شخصيّات الخليج والعالم العربي: الشيخ زايد. لكنها لم تقدّم حلولاً شكليّة ولا حلول المشكلات..



بالقوّة النظريّة. الآن: لا شيء سوى البؤس. بحر من البؤس تطوّف عليه أسماء مسرحيّات لا مسرحيّات. غرقت المسرحيّات في بحر البؤس وهي تحاول النجاة بأطواق أصحابها الإنقاذيّة وأطوافها. فصل جديد بلا علاج. هكذا: تواترت الأسماء فوق الأطواف. عادت «انسي السيّارة» (عن نصّ **لرشيد الضعيف**) بعد منعها بحجّة «الإخلال بالآداب العامّة». بقي **لوسيان أبو رجيلي** في ارتجالاته مع أبيض وأسود. قدّمت **خلود ناصر** «ماشي أون لاين» و**جورج خبّاز** «عالطريق». قدّم **وحيد العجمي** و**يارا أبو حيدر** «تنعاد عليك». أعاد **جواد الأسدي** تقديم «الخادمتان» بوجوه جديدة. قدّم **جاد حكواتي** و**رؤى بزيع** «حكي يجر بطّيخ». قدّم **عمر أبي عازار** «هاملت ماشين» مع **فرقة زقاق**. قدّم **فؤاد يمين** و**إيلي يوسف** و**ماريليز عاد** «شاش باش». أعيد تقديم «صيف 840». قدّم عمر راجح «اغتيال **عمر راجح**». قدّم **نعمة نعمة** «فيترين». ثم قدّمت «فيفا لاديفا» لنبيل الأظنّ لمرّة أخرى. قدّمت المسرحيّات في فراغ أزرق. يعشق **نوفاليس** شاعر الموت اللّون الأزرق. لا سفر جديد إذن. إنّ الكلّ في نعومة الموت الأزرق. انتهكت الحمّى المسرح. حاول الخروج من غرفة الحمّى. ارتطم رأسه بالباب. غاب عن وعيه ولا يزال.

المسرح السوري

انعكس التوتّر والارتباك في الدورتين الأخيرتين في **مهرجان دمشق المسرحي** على العروض المسرحيّة. جاء مسرحيّون حتى يسوحوا في أنحاء سورية. كتبوا ورقهم على عجل. قرأوا الورق على عجل. ثم: غابوا عن أيّام المهرجان التالية على قراءاتهم ورقهم في ندوة أو ندوتين نظّمتا على عجل. هؤلاء أصحاب وعي صناعي. ذلك من رصدهم لخطط السير المتعثّرة. يتحدّد التطوّر هذا في حياة المسرحي. لا جدّيّة ولا جديّين. لا وجهة نظر ولا وجهات نظر. لن يعلن أحدٌ شيئًا. لن يتحفّظ أحد على شيء. لن يتحفّظ أحد على شيء غير موجود. لا ضرورة للحكمة. لا وقت للعبث في آن. ذلك أنّه لم يوجد في دورة المهرجان الأخيرة مسرحيّة واحدة تستدعي حضورها بحماس. ثمّة أعمال عاديّة. ثمّة أعمال أقلّ عاديّة. الأخيرة أكثر بكثير. اختلط كلّ شيء بكلّ شيء بعيدًا من المنطق، بعيدًا من الفلسفة. أعمال محترفة ونصف محترفة وهاوية ونصف هاوية. أعمال مدرسيّة ونصف مدرسيّة. أعمال بلا هويّة. بلا تصنيف. بلا ترتيب. أعمال جامعيّة. أعمال نصف جامعيّة. لا ثمرة سياسة عقليّة هنا. استعاد المهرجان أحد الأعمال المقدّمة على واحدة من منصّات صالات المسرح في **دمشق**. «الشهداء يعودون». إعداد وإخراج **أيمن زيدان**. جاء الأخير إلى المهرجان بتواضعه. عامله الحاضرون - الإعلام خصوصًا - كنجم تلفزيوني لا كابن مسرح. نوع جديد من النجوم. يحتلّ التلفزيون فضاء المسرح في **سورية**. كما يحتلّ فضاء المسرح في **لبنان**، و**الإمارات**، و**العراق**، و**الخليج** كلّه. سؤال شائك. بل جواب شائك. تحوّل. عودة إلى الـ «تحوّل». لا عقل ولا عدل. لا التباس. مفهوم آخر. مفهوم آخر بالتمام والكمال. كشف عن كتاب مناهج الأدلّة الجديدة. هجر المسرحيّون المسرح. هجروه بدوافع كثيرة. دافع اقتصادي ودافع سياسي ودافع فكري ودافع اجتماعي. ودافع اقتصادي لأنّ المسرح لا يكفي لإطعام عائلة إلاّ بشكل متواتر ومتقطّع. دافع سياسي لأنّ الجهات السياسيّة السورية أحدثت ثورة في مفهوم الصناعة التلفزيونيّة. أضحت المسلسلات التلفزيونيّة دواء الشفاء والسعادة بعد الشفاء من أوجاع السوري المتعب من يوميّاته وشؤونه الاستراتيجيّة. دافع فكري تبسيطي بدافع الانتشار الجماهيري. دافع اجتماعي، لأنّ المسرح لم يتحوّل إلى شرع في حياة المواطن السوري. تحوّل التلفزيون إلى شرعه الأوّل والأخير. هذا انهزام آخر في حياة المبدع السوري. طار المسرحي السوري من المسرح

كلّ ما يقدّم في لبنان بات إدارة رأس إلى المسرح، إلى تاريخ المسرح، إلى زمن المسرح. خسر اللّبنانيّون جرأة العمل في المسرح، بعدما خسر المسرح كنوز دهائه، وفصاحته الإغرائيّة.. حتّى أضحت المسرحيّات الكثيرة مسرحيّة واحدة.

الإبداع

إلى التلفزيون. غادر **جمال سليمان** المسرح. كما غادره **أيمن زيدان** و**نضال سيجري** و**فايز قزق** و**غسّان مسعود** و**يارا صبري** و**سامر المصري** و**عبد الفتّاح المزيّن** و**جيانا عيد** و**عبد الرحمن آل رشي** و**جهاد سعد** و**سلاف فواخرجي** و**عبّاس النوري** و**دريد لحّام** و**تيسير إدريس** و**زيناتي قدّيسه** و**سلّوم حدّاد** و**نجاح سفكوني** و**خالد تاجا** وآخرون كثُر. غادر المسرح أهل المسرح. لن يخدم التلفزيون العقل ولا الذاكرة. هذا هو المطلوب. مطلوب بلا أنشطة معرفيّة وبلا أنشطة ثقافيّة. إنّه عنوان النسيان الإجرائي والإهمال اللاجدلي.

اكتسح التلفزيون عالم المسرح في **العام** 2010. أضفى ذلك حجّة على حجج المسرحيّين في مغادرتهم عالم المسرح. حجّة رفعة الإنتاج التلفزيوني السوري بأشكاله وأصنافه العديدة. التاريخي والواقعي والفانتازيا والفانتازيّا العاديّة والفانتازيّا التاريخيّة والاجتماعي والعائلي. هذه معجزة من معجزات **سورية** الحديثة. لعب التلفزيون دورًا في انتقال اقتصاد **سورية** من الروح الاشتراكيّة إلى روح الرأسماليّة الوحشيّة. صفّق الغرب لذلك طويلاً. لم ينتبه الكثيرون إلى العشوئيّات في مقابل الفنادق الفخمة الجديدة والمؤسّسات الاقتصاديّة الجديدة والمصارف المستحدثة بحشود المواطنين أمام نوافذ أكشاكها. تهافت. لا تهمة بذلك. بل قلّة استقلال. انعكس ذلك على عالم المسرح. خسر المسرح موقعه الفكري. خسر المسرحي موقعته أمام تتالي تيترات المسلسلات الجديدة: يوميّات مدير عامّ، جميل وهناء، باب الحارة في أجزاء، الجوارح. عشرات المسلسلات المزاحمة للمسلسلات المصريّة والمنتصرة عليها في آن. تقع الخلاصة هذه بين الشكّ والعاطفة. إلاّ أنّ هذا نصيب المسرحيّين في **سورية**.

اكتسح التلفزيون في سورية عالم المسرح في العام 2010.. وأضفى ذلك حجّة على حجج المسرحيّين في مغادرة عالم المسرح.

يدقّ التلفزيون الأرض من أجل اللاشيء. هذا هو الموت. موت التلفزيون قاتل المسرح. لم يُبِدْ التلفزيون المسرح في القديم. لم يبده الفيديو ولا الـ D.V.D. ولا السينما. أباد التلفزيون المسرح في الآونة الأخيرة. لن يصالح أحد الموت. ولن يتّهم أحد التلفزيون، بممارسة العنصريّة العنيفة في **سورية**. يموت المسرح في **سورية**، كما تموت الحيوانات في العالم على مرّ التاريخ.

المسرح شمس في يوم غائم. التلفزيون رعب جاثم فوق عالم المسرح. يُدرك المسرحيّون أنّ موت المسرح يعني فقدان الاتّصال بكلّ الأشياء الخاصّة والعالم الخاصّ. لن يغمض المسرح عينيه إلى الأبد. هذا أكيد. الأكيد أنّ الإغماضة إغماضة راحة. إغماضة تفكّر. إغماضة تأمّل. إغماضات وسط ارتباط المسرحيين المتأثّرين بحالات الإغماض بفهم وبدون فهم.

مهرجان دمشق المسرحي إحدى محاولات الأفعال والتصرّفات المدافعة عن حضور المسرح. غير أنّ أحوال المهرجان من أحوال المسرح. أضحى المهرجان رصيفًا بعد أن كان مرفأً على شاطئ المسرح. وُجد المسرحيّون على الرصيف في حال احتضار مرعبة على مدى دورتين كاملتين في **العام** 2008 و2010. لم يعد الفرق بين النجاح وعدم النجاح واضحًا في أروقة المهرجان وفي تخطيطات وتصميمات إدارته. حالات متناقضة داخل المعمار التاريخي المسمّى **مهرجان دمشق المسرحي**. كلّ شيء يصبّ في بحر الموت. وصل التآكل إلى حدّه الأقصى في تجربة المسرح السوري و**مهرجان دمشق المسرحي**. أضداد لا تساوي شيئًا. بدل أن تقيم الأضداد حضورها على السالب والموجب، في الطريق إلى قيام الطاقة في المدى الحيوي الخاصّ بها. تعيين **عماد جلّول** مديرًا عامًّا للمهرجان هو العلامة البارزة الوحيدة في المهرجان. بقي عمر الرجل الفتي دون عمر المهرجان. لذا، استباحت العلاقات العامّة المهرجان. مهرجان أشبه بلوحة إعلانيّة. مسطّح. مسطّح فقط. تغيّر حال المهرجان بشكل كامل. جيء بسيّدة من **الكويت** لكي تقدّم صورة عن تجربة شباب **لبنان** في المسرح. حياة شباب في المسرح حياة جميلة وجديرة بأن تُعاش. لا علامة تدلّ على معرفة السيّدة بأحد الشبّان الجدد في تجربة المسرح اللبناني على صعيد الكتابة المسرحيّة أو البناء المسرحي الكلّي. لا علامة تدلّ على معرفة السيّدة بآخر تطوّرات المسرح في **لبنان**. لم تسمع بأسماء **أرزة خضر** و**عبد الرحيم عوجي** و**طارق باشا** و**مايا زبيب**. ولا بالآخرين. لا تجمعها رابطة بهم. هذا أكيد مائة بالمائة. لم يبعث الشيء هذا الذعر في أحد. لن يبعث هذا الذعر. لأنّ حال السيّدة هذه من أحوال الآخرين. شهود على الموت بدل شهود على الحياة.

دعيت السيّدة لأنّ أحد أعضاء لجنة مهرجانات دمشق المسرحي رشّحها. احتجّ اللّبنانيّون على دعوتها، حيث إنّ السيّدة لا تشغل حيّزًا ولو بسيطًا في تجربة المسرح اللّبناني على مستوى المتابعة والنقد. رمى **محمّد قارصلي** ـ أحد الداعين ـ دعوة المدّعية على عضو آخر في اللّجنة المختصّة بالدعوات. هذا ليس تفصيلاً. لأنّ شيئًا كهذا يضاعف طعم الموت في أفواه المسرحيّين. أضحى الملتقى الفكري أقرب إلى **برج بابل** أو **سوق عكاظ** في حوار طرشان في غياب شواهد النجاح أمام الروح الوجوديّة المتهافتة في جلسات اللّقاءات الفكريّة. أسماء متكرّرة، كلام متكرّر في عالم من الانقطاع الكلّي عن الناس والحياة. منتدون مقطوعون عن بعضهم. منتدون منقطعون عن الحياة العاديّة والحياة المسرحيّة. منتدون منقطعون عن ذواتهم.

كشف تراجع التجربة المسرحيّة السورية هوّة الزمان الدوّار. لا انتشاء بعد، كما حدث دائمًا لدى العرب المدعوّين إلى **سورية**، لكي يعرضوا في المهرجان أو خارج المهرجان. تلك مرحلة سابقة.

مات فوّاز **الساجر** وهو يحلم بمسرحيّة أجمل من «سكّان الكهف». كتب **سعد الله ونّوس** أجمل نصوصه وهو يواجه الموت مع تتالي جلسات العلاج الكيميائيّة في المشافي السورية واللّبنانيّة. أفنى **مانويل جيجي** حياته في صالح حياة مسرحه. اجتهد **أيمن زيدان** كثيرًا، حتى يجد له كرسيًّا في الصفوف الأولى في الصالات المسرحيّة. عومل دائمًا كنجم تلفزيوني لا كصاحب تجربة سواء في المسرح القومي أم في المسرح الجوّال. أبرز أعماله «لا تدفع الحساب» عن نصّ الإيطالي **داريوفو**. استقرّ **رفيق الصبّان** في **مصر**. مات **نهاد قلعجي**. اشترك **محمّد الماغوط** مع **دريد لحّام** في تجربة محتضرة وهي لا تزال بعد في بداية حياتها على الصعيد الزمني. كتب المسرحيّون السوريّون وصاياهم بعد أن بيّن المسرح الموت كمصير لا فكاك منه بحضوره المادّي وحضور ظلاله الخفيفة والكثيفة. موت بحالات ضمنيّة خاصّة. كلّ حالة تخصّ شخصًا، تخصّ فردًا، تخصّ اسمًا. ثمّة كآبة غير ملموسة. ثمّة كآبة ملموسة في عالم المسرح كوّنتها الوقائع المتتالية. لن ينكر أحد بعد موسم الهجرة إلى التلفزيون. لن ينكر أحد بعد أنّ ثمّة مفهومًا غائمًا ومشوّشًا يحلّق في فضاء المسرح. حاول **نضال السيجري** إلغاء «الموسم المسرحي» في صالح العالم المسرحي حين تسلّم إدارة المسرح القومي. حاول آخرون ما لم يحاوله **نضال السيجري**. حملت الأعوام الماضية تباشير حضور جيل ثانٍ في ورشات تغلي بالبحث والاكتشاف والنشاط والمغامرة. قدّم **ماهر صليبي** و**يارا صبري** «فوتوكوبي». قدّم جلال شمّوط وزينة حلاّق ورغدة شعراني «اللغرو». عمّرت **مي سكاف** «معهد تياترو». تتالت الأسماء. **ناندا محمّد** و**فايز قزق** و**نورا مراد** إلى آخرين. أكّدت تجربة الشباب حضورها بصورة متزايدة. لقيت تحقّقاتها الواقعيّة. ثم شابهت حالات الآخرين على صعيد إدراك المراوحة أو الموت. بوصف الموت هو الموت الخاصّ للتجربة وأصحاب التجربة بأسمائها وعناوينها المتعدّدة. لم تستطع التجربة صياغة قانونها الخاصّ،



كما صاغته في الستّينيّات والسبعينيّات مع **أسعد فضّة** و**سعد الله ونّوس** و**فوّاز الساجر** و**علي عقلة عرسان** و**خضر الشعّار** و**محمّد الطيّب** و**يوسف حرب** و**حسين إدلبي** و**فردوس أتاسي** و**إسكندر كيني** و**حسن عويتي** و**محمود خضّور** و**فؤاد الراشد** و**نائلة الأطرش** و**توفيق المؤذّن** و**شريف شاكر** و**شريف خزندار** و**هاني الروماني**. نسي الناس المسرح في سورية بحسب الكاتب والناقد **نجيب نصير**. إعادة المتفرّج - عنده - إلى الصالة هي المشكلة. دعوة متفرّجين جدد مشكلة إضافيّة. «نسي الصنف الأوّل المسرح». لا يدري الصنف الثاني به «(عن مدوّنته - **حزيران/يونيو** 2007). لا تحتاج قراءة كهذه القراءة إلى عين ثاقبة وفكر ناقد. ذلك أنّ جمهور المسرح في **سورية** و**العالم العربي** يؤذن لنفسه بنفسه، حيث أضحى المستخدم الأوّل في العرض الأوّل لأيّ مسرحيّة. يدور الجمهور نفسه على المسرحيّات المغلقة في أيّام عروضها الأولى فقط. ثم نقطة على السطر. ثم لا شيء. يجمع الكلّ على ذلك.

> كشف تراجع التجربة المسرحيّة السورية هوّة الزمان الدوّار.. مات فوّاز الساجر وهو يحلم بمسرحيّة أجمل من «سكّان الكهف». كتب سعد **الله** ونّوس أجمل نصوصه وهو يواجه الموت. أفنى مانويل جيجي حياته في صالح حياة مسرحه...

فقدان مركز البحث

فقد المسرح السوري مركز البحث. فقد معهد الفنون كشوفه المتقدّمة، حيث قدّم وباستمرار أجيال الموهبة والإبداع والحرفيّة. انكسرت سيرورته الآتية بلازمة ثابتة منذ زمن بعيد. لم يسع أحد منذ زمن بعيد إلى تضمينه متقارباته ومتباعداته. لا روح معمليّة. لا روح ملحميّة. لا صرامة، لا روح، لا انفتاح، لا تحديث، لا حداثة. لا طبقة فنّيّة متميزة. ولا شريحة مسرحيّة متميّزة. أرسى المعهد تقاليده ثم غاب عن التقاليد هذه. خرّج المعهد في ضربة واحدة، واحدة من أبرز دفعاته: **أيمن زيدان** و**أمانة والي** و**جمال قبش** و**وفاء موصللي**. **أيمن رضا** ابن المعهد. **فارس الحلو** ابن المعهد. قام أبناء المعهد بإغناء إمكانات تعبير المسرح بشكل مدهش، بحيث أسهموا في تنمية قدرة المسرح على الإفادة والإمتاع في. مسرحيّون مرنون وشديدو الحساسيّة. يعطف غياب أبناء المسرح عن المسرح على سطوة التلفزيون على الحياة العامّة في **سورية**. يعطف ثانيًا، على موت الروح الميثولوجيّة فيه، أو موت فكرة الانبثاق. لا علاقة لطائر الفينيق بذلك. لا علاقة لأسطورته بذلك. غادر المسرحيّون مفهوم المعاناة في المسرح إلى مفهوم الوفرة في التلفزيون. يدرس الطالب المسرح في المعهد المسرحي. تخرّجه إدارته لتجده في كواليس المسلسلات الدراميّة أو خلف الآلات في الأقنية التلفزيونيّة. منهجيّة جديدة في غياب عماد التجربة عن التجربة. غابوا عن عموم الحركة المسرحيّة في صالح التجربة التلفزيونيّة. فترة سكون. لا أهمّيّة للمسرح فيها إن أنتج أو لم ينتج. لا علاقة بعد لتيّارات التجديد في المسرح بأيّ جامعة أو منهج أكاديمي أو تنظيم فكري ممنهج. اعتمد المسرح فكرة الاستمرار في الترسيمة الراهنة للخارطة المسرحيّة الراهنة. لا نماذج متطوّرة. لا نماذج حدّ أدنى على نطاق واسع. لأنّ سؤال أيّ مسرحي عن شغل لافت في تجربة المسرح السوري في **العام** 2010، لن يؤدّي به إلاّ استذكار ثلاث أو أربع مسرحيّات. يستذكر المسرحيّات هذه بصعوبة. تراجعت الحياة المسرحيّة بكاملها في **سورية**. لم تعد «الحياة المسرحيّة» تصدر بانتظام. لم تعد الترجمات متواترة بقلاعها وقواها القديمة. تراجع حضور الأسماء النقديّة في التجربة السورية (**نبيل حفّار** مثلاً، في صالح الكتابات الصحافيّة السريعة). «لأنّ نقّاد الصحف يمارسون نقدًا دراميًّا من الدرجة الثانية». (يونسكو - الحياة المسرحيّة - عدد ربيع وصيف 2009 - العدد 67 - 68 - د. حسن المنيعي - المغرب - دراسة بعنوان الدراماتورجيا والنقد المسرحي - المسرح الفنّي نموذجًا). لا يزال النقد الصحافي أدنى قيمة من النقد الأدبي والفنّي والتأمّل الفلسفي.



اضمحلال أنماط الإنتاج والعروض

لا يندرج كلّ ما يقدّم في المسرح في عالم المسرح. تقوّضت سياسة الدولة. كما تقوّضت سياسة القطاع الخاصّ - في ما يخصّ أنماط الإنتاج والعروض. خواء رهيب هنا. ثمّة خواء ملموس هنا. ثمّة خواء مرسوم هنا. ثمّة هواء مشموم هنا. ثمّة فراغ. حيث لا يجتمع المسرحيّون إلاّ على طاولات الطعام بهيئاتهم المغبرّة وأرواحهم المكسورة. لن يغيب الصدق ولن تغيب النزاهة عن سلوك المسرحي. لذا يعكس المسرحي أوضاعه المتعثّرة في مسرحه المتعثّر. هذا على ضفّة. لا حوارات ثقافة على الضفّة الأخرى. بل تنظير. تنظير بلا معنى. تفقد الأوضاع الراهنة المسرح مفاهيمه ومبرّرات كتابة نصوصه الجديدة. تفقد الأوضاع الراهنة المسرح كلّ ما يجعله لازمًا أوّلاً. ثانيًا: كلّ ما يجعله مستساغًا. ثالثًا: كلّ ما يجعله طازجًا. سوء فهم وتناقض، تحت سحب الألعاب الكلاميّة واستخدام تعبيرات مخادعة بصعوبات تقديمها. بحيث تفهم لا كلغة أصليّة بل كشكل من أشكال الشغل على تغيير الهيئة بالأدوات الجديدة. يدرك الكثيرون أنّ المسرح أصبح معقلاً للأفكار المهيمنة لا لأفكار التحرّر. لم يعد يتلقّف الأفكار الجديدة. لأن لا أفكار. ثمّة عائق أساسي، حين يعتبر المسرحي أنّ المسرح مهندس بألواح شرائعه المتداولة. إنّه مقدّس بألواح شرائعه المتداولة. لن يلعب المسرحي دورًا في استعادة دور المسرح. تلعب الخطوة على الأرض الدور هذا. بلورت التجربة أذهان حرّة. لا يشكّ أحد بذلك. يراجع أصحاب الأذهان هذه ما آلت إليه أحوال التجربة المسرحيّة في سورية. يحنّ هؤلاء إلى الأيّام الغابرة، ليست لأنّها أيّام ماضية. وليس لأنّها بنت ثقافة المسرح. بل لأنّها صاحبة لغة ناصرت المسرح. يدعو **أسعد فضّة**(مدير مهرجان دمشق السابق)،والذي يذكر له الكثيرون دوره الكبير في «يوميّات مجنون»، إلى إعادة النظر في دور المهرجانات العربيّة. أشار الرجل إلى ما يعوق الحياة المسرحيّة في البلد هذا أو ذاك بوضع المهرجان في منتصف الطريق هذه. ذلك أنّ السلطة أو المسؤولين في الدولة يخصّصون ميزانيّة ضخمة لعمل واحد دون غيره، لكي يشارك باسم السلطة أو الدولة في المهرجان السوري أو التونسي أو الجزائري أو العراقي. تخصّص الحصّة الكبرى في ميزانيّة الإنتاج بالمسرحيّة المذكورة. ثانيًا: تجنّد أفضل الطاقات لما يعتبر «البيضة الذهبيّة» (يشارك العمل المذكور في المهرجانات العربيّة والعالميّة كافّة). «تتوقّف العجلة لأشهر، خارج الاهتمام بالعمل هذا، ما يضعف علاقة المسرح بجمهوره، بانقطاع روابط الاتّصال والتفاعل المستمرّ بين الجمهور وبين الأعمال المسرحيّة. الجمهور مرّة ثانية وثالثة ورابعة وللمرّة الألف. الجمهور قميص عثمان، الجمهور مقدّس في أوقات وعائق في أوقات. عائق عند طرف ومقدّس عند طرف آخر. لا جلبة في ذلك. لا حوار معمّق في ذلك. يروي **أسعد فضّة** أنّ المهرجانات لم تعد نسخًا متميّزة. أضحت نسخة واحدة متكرّرة. فقدت المهرجانات تمايزاتها. وهي لا تلبث أن تسجّل العرض هذا أو ذاك في أجندتها. عرض في هذا المهرجان، يراه الجمهور في المهرجان الثاني والثالث. وهكذا، يؤكّد **أسعد فضّة** أنّ المواضيع هي هي في الندوات المقامة في مستوى المهرجانات أو في حواشيها. لا مبالغة في ذلك. لا نظريّة لغويّة. بل حقيقة. لم يعد بمقدور المهرجان أن يوسّع حضوره. إنّه خلاف دوره. خلاف ما يريد أن يتلقّاه الجمهور. خلاف ما نتلقّى عنه. أزمة بنية. أزمة مفهوم. لم يعد المهرجان شخصيّة مفهوميّة استثنائيّة في امتلائها بالمعاني المحفّزة على الأفعال والتفكير. لم يعد المهرجان حدثًا تاريخيًّا. لم يعد العرض المسرحي حدثًا تاريخيًّا. لم يعد المهرجان حادثًا حتى. وكذلك المسرحيّة. لا تزال المسألة هي هي في زمننا كما هي في سالف العصر والأوان. تجاوز الزمن حضور المهرجان ودوره

> فقد المسرح السوري مركز البحث. فقد معهد الفنون كشوفه المتقدّمة، حيث قدّم وباستمرار أجيال الموهبة والإبداع والحرفيّة.. لا روح معمليّة. لا روح ملحميّة. لا صرامة.

وروحه الإنسانيّة وقوى الاستيعاب الخاصّة به.

أطلق مهرجان دمشق المسرحي بعض الأسماء الكبرى في تاريخ المسرح العربي الحديث. أطلق بعض العناوين اللمّاعة. أطلق البصائر والذخائر بحسب التوحيدي. أضحى مهرجان المثالب. لم يعد واجهة حياة للثقافة المسرحيّة العربيّة. أزمة مؤسّسة، معكوسة على الموقع الشخصي والمجتمع العامّ. أثر ذلك على أيّ رهان على الخصوصيّات. أصاب تراجع المهرجانات مرابع العيش المسرحي في صالح مرارة العيش في الوسط المسرحي المستشعر ضيق الخناق عليه وخسارته أفقه البعيد.

أصبحت الحكاية حكاية رهانات ومسائل وإقامة مباريات بين الرهانات هذه والمسائل هذه. خسرت المسرحيّات فتائلها المشتعلة. أضحت المسرحيّات مسرحيّات عاديّة غير قادرة على التمثيل أو التذكير بالأصول أو التذكير بأيّ شيء سوى حضورها الخافت، العابر فوق كلّ الانتماءات. خسرت المسرحيّة قواعد حديثها حيث يجري إدراج الاهتمامات في غير الفضاء الحقيقي المشكّل من هموم بالية وأوهام متوتّرة.

أسماء وعناوين

من أبرز مسرحيّات **العام** 2010 «سيليكون». إخراج **عبد المنعم عمايري** و«راجعين» **لأيمن زيدان** (عن الشهداء يعودون - نصّ **الطاهر وطّار**). «بيت بلا شرفات» إخراج **هشام كفارنة**. أبو شنار: مونودراما **لزيناتي قدّيسة**. إخراج **رغدة شعراني**. «منحى خطر». إخراج عروة العربي.

لا جدال في أنّ المسرح السوري سعى في الأعوام الماضية وفي **العام** 2010 إلى تخطّي نصوصه والحثّ على بناء نصوص جديدة. غير أنّ غياب الأنساق في صالح النسق الواحد، نسق إدارة العرض ووضعه في طريقه الأوحد - بلا رأي أو اجتهاد - لم يولّد إلاّ أعمالاً مسرحيّة بلا خطّة. هذا خطير. لأنّه يبدّل الاستحسان بالاستصحاب. ولأنّه يبدّل العقيدة المسرحيّة بالدين المسرحي. يسقط المجسّم في صالح المشبّه. هذه حال عامّة. هذه حال الوقوع في نظام ملازمات ومشابهات قاتلة. يختلف العرض عن العرض. هذا في باب تحصيل الحاصل. غير أنّ الاختلاف اختلاف كلام لا مدرسة. بذلك تصبح العروض المسرحيّة عرضًا واحدًا بأسماء كثيرة. ليس قليلاً ما قدّمته مديريّة المسارح والموسيقى في **العام** 2010. إلاّ أنّها عروض أوقات. توصيف قاس. ولو وافق عليه الكثيرون، بمن فيهم العاملون في المديرية. قدّم **أيمن زيدان** «راجعين». قدّم **سعيد حنّاوي** «رجل القوّة». قدّم **هشام كفارنة** «بيت بلا شرفات». قدّم **أسامة حلّال** «حكاية **علاء الدين**». قدّم **علاء كريميد** «تركيب». قدّم **مانويل جيجي** «الآليّة». **كميل أبو مصعب**: «الملك يموت». **محمود خضّور**: «المدينة المصلوبة». **زيناتي قدّيسة** «وحيد القرن». **بهاء البلخي**: «تحوّلات». رغدا الشعراني: «لحظة». **حازم زيدان**: راشامون». مأمون الخطيب: «ليلة القتلة». باسم قهار: «أناس اللّيل». تامر العربيد: «كلاكيت أوّل وآخر مرّة». طلال الحجلي: «طبيبًا رغمًا عنه» (السويداء). **رفعت الهادي**: «نرجع كالريح» (السويداء). **مروان فنري**: «طفل زائد عن الحاجة» (إدلب). **أنيس باندك**: «القتل من الخلف» (حلب). **سمير عثمان**: الغابة» (حمص). **دانيال الخطيب**: «شاطئ الأحلام» (طرطوس). **فادي الصبّاغ**: «كلام اللّيل» (حماة). **وحام السطام**: «في عرض البحر» (الحسكة). **فيصل الراشد**: «المسيح بعد منتصف اللّيل» (الحسكة). **لؤي شانا**: «حكاية بلا نهاية» (اللاذقيّة). من دون أن ننسى عروض مسرح الأطفال مع **رنا بركات** (حلم وغزّة في عيون أطفالها). **مأمون الفرخ**: «البطريق ورجل الثلج». «التاج والصيّاد» (غسّان مكانسي) واللّوحة المفيدة» (**وليد العمر**) و«أحلام الحمار الكسول» (**نصير مغامس**). كرّمت المديريّة **عبّود بشير ومنى واصف** و**رفيق الصبّان**. كما أقامت مهرجان ربيع الطفل ومهرجان دمشق المسرحي ومهرجان إدلب للفنون الشعبيّة ومهرجان دمشق للفنون المسرحيّة واحتفاليّة يوم المسرح العالمي واحتفاليّة يوم الرقص العالمي واحتفاليّة يوم الموسيقى العالمي.

لا نصوص أولى. لا نصّ أوّل يطير فوق فضاء العرض إلى الفضاءات الأخرى. قريبة وبعيدة. النصّ نصّ سابق أو جملة من النصوص السابقة. لا تتمتّع النصوص بالحركيّة الدائمة السابقة. قبلاً: محت كتابة جديدة الكتابة القديمة أو طوّرتها. نجم عن الأمر دلالة نهائيّة هي دلالة اللادلالة النهائيّة، بحيث يظلّ المدلول في تحوّل دائم مضطرد وتبقى اللّغة في حركة مستمرّة. غاب الأثير عن التجربة. غاب الأثر. ما عادت تترك أثرًا وآثارًا في الروح والنفس والأساس الأرضي. لا قيم جماليّة تسعى إلى النصوص. لا تلقّف لأسئلة جديدة. لأن لا أسئلة جديدة. ثمّة شيء إجرائي. إجرائي فقط. بانتظار انفجار جديد يحرّر اللّغة. يحرّرها من كتابة البياض بالأخصّ.

المسرح الفلسطيني

حفل **العام** 2010 بالجماليّات البصريّة العاديّة والمستفزّة. لبّت حاجة البصر والبصيرة. لم تعد التجربة المسرحيّة واقفة على قدم واحدة. طوّرت التجارب الفلسطينيّة حضورها في عروضها القائمة على فتنة المشهديّة البصريّة. لا مبالغة بذلك. لأنّ التجربة الفلسطينيّة تجربة ضدّ البلاغة والإنشاء في المسرح. ضدّ سيطرة الأدب على المسرح. لم يتوقّف التطوّر الفنّي في التجربة عند أشكال محدّدة تفقد جماليّاتها بمراوحاتها أمام الألعاب الفنِّيَّة المتكرّرة. هذا ما شاهده الفلسطينيّون في أعمال **فرنسوا أبو سالم** غير المتشابهة في التقنيّات والاستخدامات السينوغرافيّة والتجهيزات الجديدة. تطوّرت التجربة عند الجميع. استمرّ **فرنسوا أبو سالم** في «الحكواتي»، في حين طار رفاقه الآخرون إلى تجاربهم الخاصّة. **إدوار المعلّم** أوّلاً. ثم: **محمّد عيد**. ثم: **بيان شبيب**. ثم: **إيمان عون**. تزوّج الأوّل من الأخيرة. أقام الزوجان مسرحهما الخاصّ. اشتغل كلّ منهما على حدة واشتغلا في وحدة متكاملة يحلمان بتطوير آليّة العمل في المسرح الفلسطيني. حلم دائم، من خلال الحوار والمبارزة للقضاء على حالات التسيّب والروتين ودفع وتيرة العمل والسعي إلى تحسين الإنتاج كمًّا ونوعًا. اللافت: لا يزال المسرح في **فلسطين** يقدّم ما يفاجئ على صعيد الكمّ والنوع.

ليس قليلاً ما قدّمته مديريّة المسارح والموسيقى في العام 2010. إلاّ أنّها عروض أوقات. توصيف قاس. ولو وافق عليه الكثيرون، بمن فيهم العاملون في المديريّة.

يصيب التعب الفلسطينيّين. يصيبهم تعب الأيّام وتعب الانقسامات والضغوط ومظاهر الافتخار القومي بما يفعله الفلسطينيّون من دون الأخذ بعين الاعتبار الأثمان الباهظة بما يحقّقه الفلسطيني في «أرض ميعاد الإسرائيلي». تعب الفلسطينيّون بلا استثناء. غير أنّهم لا يزالون يتحايلون على القوانين الإسرائيليّة. تزوّج **فرنسوا أبو سالم**، ابن **لوران غاسبار** المجري، من فلسطينيّة. أمن زواجه إقامته. ترك **فلسطين** إلى **فرنسا** تحت ضغط الخلل والشطط في علاقة الإسرائيلي بالفلسطيني ومناصري القضيّة الفلسطينيّة. تابع أبحاثه في **فرنسا** على نصّ تاريخي بديع: «جلجامش». قدّم **فرنسوا أبو سالم** «جلجامش» في ثلاثة معابر جماليّة. بقي النصّ فوق فنّ الإخراج. لام المشاهدون والنقّاد ما شاهدوه. لم يتراجع **فرنسوا أبو سالم** عن أحلامه. لم يستسلم. لم يستكن إلى شروط العروض القاهرة، لأنّه لم يكرّر نجاحاته في تجربته التغريبيّة في «محجوب محجوب» و«جليلي يا علي». حيث حطّت المسرحيّات هذه في كلّ مطارات العالم تقريبًا. أُصيب **فرنسوا أبو سالم**، بانهيار عصبي إثر فشل عروضه الثلاثة لـ «جلجامش» بعد أن اضطرّ إلى بيع منزله في **فرنسا** بهدف دفع

حفل العام 2010 بالجماليّات البصريّة العاديّة والمستفزّة.. لم تعد التجربة المسرحيّة واقفة على قدم واحدة. طوّرت التجارب الفلسطينيّة حضورها في عروضها القائمة على فتنة المشهديّة البصريّة.

مخصّصات الممثّلين والتقنيّين العاملين معه هناك. لم يجرّده ذلك من طموحه المعاند. ذلك: أنّه حين حطّ في بيت رفيقه **عامر خليل** في **الضفّة الغربيّة**، فتح شنطة سفره عن ألواح معدنيّة وبلاستيكيّة وخيطان وألوان. أدرك **عامر** أنّ في جعبة **فرنسوا** مشروعه الجديد. غير أنّه لم يدرك أنّ «جلجامش» هي المشروع الجديد بآليّة مختلفة - قائمة على دراسة جادّة لحضور الدمى في المسرح. قدّمت «جلجامش» بحضور شخصين اثنين (**فرنسوا أبو سالم** و**عامر خليل**) مع عشرات الدمى. صنع أبو سالم الدمى كلّها وبنى الحكاية على رفض **عامر** مشاركته اللعب في «جلجامش». ولّد المسرحي شكله الجديد بعدم إثارة الفتنة. استعمل الإثارة في صالح العمل. استعمل رفض صديقه في صياغة نصّه الجديد.

آخر أعمال أبو سالم المسرحيّة

«أوبو ملكًا في سوق اللحّامين» آخر أعماله المسرحيّة. قدّم **فرنسوا أبو سالم** نصّ **الفريد جاري** برؤيته الخاصّة. ممثّلان على خشبة المسرح. اختصر المسرحي ورشته بممثّلين على خشبة المسرح في **العام** 2010. استنبط شكله الجديد من روح مسرح **جاري**. نقل خيره وبركته من التغريب إلى الرمزيّة. عاد إلى القرن التاسع عشر (1873 - 1907). اختار نصًّا من نصوص الشرارات والشلالات المضيئة التجارب المبكرة الأولى في أوائل القرن العشرين. عجن الرمزيّة بالعبث. أخذ الرمزيّة في مصوغ ساخر قرّبه من العبث. وُجد عبث مسرحيّة جاري في مسرحيّة **فرنسوا أبو سالم**. يفتح العبث هذا الباب واسعًا أمام حضور الدادائيّة والسوريةاليّة والقسوة. أثر **جاري** على **أرتو**. هكذا: وجد المشاهد «أرتو» على منصّة «أوبو ملكًا في سوق اللحّامين» بقسوته. قسوة - انعكاس لتيّارات فلسفيّة سادت أوائل القرن العشرين في تأكيد دور الثورات الفكريّة على النظم المعرفيّة السابقة ودور النهوض الاقتصادي في الاكتشافات العلميّة وتوسيع طرق التجارة والصناعة ونهوض طبقات اجتماعيّة جديدة كالطبقة الوسطى. وتهيئة العالم لحروب إقليميّة. مسرحيّة صادمة. بيد أنّ «أوبو لوروا في سوق اللحامين» هزّت حضوره المسرحي، لأنّ تجربته راحت تتضاءل بتدرّج سريع. غابت الروح الجماعيّة في المسرح. أكّد ذلك أنّ روح الجماعة فيها لم تعد قطار الفرقة الأساسي. انتهت فرقة الحكواتي. انتهت الأحلام المحرّضة على التغيير المسرحي. انتهت الجماعة إلى عنصرين اثنين على خشبة «أوبو». **فرنسوا أبو سالم** و**أدهم نعمان**. بدا المسرح وكأنّه احتاج إلى تغيير وجهه وآليّة عمله، حتى يواكب الأحاسيس الجديدة المرافقة للواقع الجديد اليائس المنكسر، إذ ما تذكّرنا انهيار **فرنسوا أبو سالم** العصبي إثر تقديمه «جلجامش» في ثلاثة مقتربات جماليّة غير ناجحة البتّة. وإذا ما عطفنا الأوضاع الفلسطينيّة العاصفة على ثقافة وحضور الجماعة وقوّتها. بقيت الخبرة. وهي خبرة كافية للانتقال من نظام الورشة الجماعيّة بالروح الجماعيّة إلى نظام آخر يراوح بين المونودراما أو العمل الثنائي. أضحى **فرنسوا أبو سالم** صاحب بيانين متناقضين في تجربة واحدة. لأنّ **أبا سالم** لا يزال يقدّم تجاربه تحت اسم الحكواتي بلا الأسماء السابقة. بالأخصّ **جاكي لوبيك** و**إدوار المعلّم** و**إيمان عون** و**عامر خليل** و**عدنان طرابيشي** و**محمّد محاميد** وغيرهم. لا تزال الأماني العربيّة بالكرامة والحرّيّة والعدالة الاجتماعيّة تتضاءل يومًا بعد يوم، بسبب الصراعات السياسيّة والاصطفافات الحادّة. ما شهدته وما تشهده **فلسطين** نموذج ساطع. لذا: تصدّت «أوبو» لـ «قسوة الخلافات الفلسطينيّة والاحترابات الفلسطينيّة». أطلقت المقاومة الفلسطينيّة شعارات عريضة سادت بها الأرض العربيّة. تعلّق الناس بها وصدّقوها وعلّقوا أمانيهم على مشاجب

> قدّم فرنسوا أبو سالم نصّ الفريد جاري "أوبو ملكًا في سوق اللحّامين" برؤيته الخاصّة في العام 2010. وتصدّت «أوبو» لـ«قسوة الخلافات الفلسطينيّة والاحترابات الفلسطينيّة».

الإيمان العميق بها. غير أنّ الثورة انتهت بالناس إلى عكس شعاراتها. تفتّت الشعور القومي في **فلسطين**، بحيث أضحى ما تبقّى من **فلسطين** مقسومًا بين «السلطة الوطنيّة الفلسطينيّة» و«حركة حماس». اختفى الشعور القومي تحت أطباق التمزّق. وصل الفلسطيني إلى مرحلة من اللامبالاة الهائلة أمام الأشياء الخطيرة في **فلسطين**. لم يبقَ من التجربة إلاّ حرفيّة التجربة وآخر شذرات الروح لدى مواطن فلسطيني نسي نفسه في حقبة أو مرحلة ماضية. أو لدى مسرحي فلسطيني لا يريد أن يخلع جلده أمام المتغيّرات الضارّة على كامل التراب الفلسطيني. لا مسرح في **غزّة**. قدّمت آخر مسرحيّة في القطاع في **العام** 2008. قدّمت المسرحيّة هذه قُبيل العدوان الإسرائيلي الأخير. لم ينسَ الغزّاويّون ولا أهل **الضفّة الغربيّة** اسم المسرحيّة، لأنّها الأخيرة في أجندة مسرحيّي القطاع. اسمها لا يزال يتردّد في آذانهم: «فيلم سينما». أصبح المسرح في **غزّة** ذكريات. نوع مسرحي حمل هموم الدفاع عن أمان ثبُت أنّه غير قابلة للتحقّق. نوع حالم بالسماء من دون تملّك قدرة أن يثبت على أرض الواقع.

لن يدهش هذا أحدًا. لأنّ غزّة عرفت بوهج عالمها السياسي وعالمها النقابي المقاوم. غير أنّها لم تُعرف بوهج عالمها الثقافي والاجتماعي والاقتصادي. ذلك أنّ القطاع أشبه بفرس يسرجه العالم بسروج مختلفة، حتى تجرّ عربات تاريخيّة شباب وشؤون المرحلة ذات الانقلابات المدوّية. لن يدهش هذا أحدًا. دهش الكثيرون وهم يتابعون رؤوس الغنم في حقل فرنسوا **أبو سالم الخصيب** على خشبة مسرحه الجديدة. رؤوس أغنام حقيقيّة مذبوحة ورؤوس أغنام مصنّعة. أكل **فرنسوا** كبدة الخروف النيئة مباشرة أمام الجمهور. سالت الدماء بين أصابعه كرواية حرّة في مجتمع لا يزال ضدّ الأسر وضدّ العصبيّات المنغلقة. ليست هذه أهمّ مسرحيّاته. ليست هذه أجرأ مسرحيّاته. ردّ بعض المشاهدين ما شاهده على المنصّة إلى حالته العصبيّة. في حين ردّه بعض آخر إلى حضور أرتو وقسوته في نصّ **ألفريد جاري**. ما لم يحظ عند **فرنسوا أبو سالم** بمكانة أثيرة أو واسعة في الأزمنة الماضية.

لا شيء في غزة

لا شيء في **غزّة**، في مقابل تيّارات مسرحيّة كثيرة في **الضفّة الغربيّة**. تروي **إيمان عون** أنّ **غزّة** صحراء مترامية أمام المسرح والمسرحيّين. لعبت «عشتار» في غزّة **العام** 2010. أخذت «مونولوغات غزّة» إلى **غزّة**. تقوم المؤسّسة في **رام الله**. وهي تتخطّى موقعها الجغرافي بأحلامها وطموحاتها. أحلام الإجابة عن أسئلة محيّرة وأسئلة غير محيّرة. رفعت تجربة «عشتار» الأطفال الفلسطينيّين في غزّة إلى مدارج القوّة عبر استعمال تأليفاتهم المسرحيّة المتساوقة في القوّة والنصاعة مع كبريات النصوص العربيّة والعالميّة على صعيد الروح التعبيريّة. كتب أطفال غزّاويّون مونولوغاتهم الخاصّة بالحرب على **غزّة** بتعمّق في المادّة المحبوكة على الوضع والمحبوكة بالوضع. أنتجت «مونولوغات غزّة» **العام** 2010. دارت مونولوغات الأطفال الغزّاويّين في العالم، حتى وصلت إلى **الأمم المتّحدة** في عرض استثنائي. نقلت التجربة الصوت الجماعي إلى آذان صانعي القرار في العالم. رفع الأطفال الغزّاويّون صوتهم الموحّد بالصوت المسرحي أمام ممثّلي **الأمم المتّحدة** يوم 29/11/2010 في اليوم المخصّص للتضامن مع الشعب الفلسطيني وقضاياه العادلة بعد جولة طويلة في العالم. أعطت «مونولوغات غزّة» فرصة كاملة للأطفال للكلام على تجاربهم الصادمة والمؤلمة المراوحة بين فقدان أقارب أو أصدقاء أو أحد ما أو أعزّاء أو الإصابة المباشرة أو التعرّض للقصف بالصواريخ من الطائرات والدبّابات بتهديد الحياة الشخصيّة.

> لا شيء في غزّة، في مقابل تيّارات مسرحيّة كثيرة في الضفّة الغربيّة. غزّة صحراء مترامية أمام المسرح والمسرحيّين.

الإبداع

أو التعرّض إلى قصف مناطق سكناهم من قبل قوّات الاحتلال الإسرائيليّة. عرض بجانب نفسي علاجي. ذاك: أهمّ أهداف «مونولوغات غزّة». لم يرو شباب وشابّات من **غزّة** قصصهم الذاتيّة من الحرب والحصار فقط، بل أنجزوا برنامج تدريب مسرحي مبنيّ على تقنيّات مسرح المضطهدين، بالكتابة الإبداعيّة الهادفة إلى الحدّ من آثار الصدمات النفسيّة في زمن الحرب. عرَّف المدرّبون المدرَّبين الصغار - بورشة التدريب - إلى أوغيتسوبوال مؤسّس المدرسة المسرحيّة هذه، بهدف التغيير إيمانًا منه بأهمّيّة المسرح في علاج المشكلات السياسيّة والاجتماعيّة والاقتصايّة والنفسيّة. تعلّم المعلّمون في التجربة وعلّموا.

مونولوغات غزّة

عاد **أبو علي ياسين** من «فيلم سينمائي» في **غزّة** إلى «مونولوغات غزّة». لعب دور مدرّب الفريق، تحت إشراف المديرة الفنّيّة **إيمان عون**. ابنة تجربة الحكواتي تقود تجربة خارج الحكواتي. في حين يستمرّ مؤسّس تجربة الحكواتي في كتابة خياراته الفنّيّة والفكريّة والدراميّة بين تطرّف موقف ورحابة مفهوم. لا تزال التجربة إذن محور النهوض المسرحي في **الضفّة الغربيّة** في أفعال سريعة دالّة. أسئلة التجربة الفلسطينيّة متلاحقة بالمعنى هذا. لا هدوء أمام مكانة. ولا مكانة أمام قضيّة، لا مكانة أمام حياة مهدّدة. لن يشفي المسرح الفلسطيني غليل أحد قبل أن يشفي غليل أبطاله. أبطال مغلولون. أبطال مقتولون مثل **جوليانو خميس مير**. قتل المسرحي عند باب مسرحه. مسرحي نشط. نافخ في الطيب. لم يتصدّر الرجل الأمراء في صحن الجامع الأعظم في **غرناطة**. لم يهتمّ بالفتاوى، لأنّه لم ينتبه إليها. وجد قيامته في الإثناء على تجارب الشباب وتميّزهم بالرواية. أخرج **جوليانو ميرخميس** الكثير والنادر بروًى واسعة في عالم الاجتماع السياسي.

وجد الرجل عند باب مسرحه يتخبّط كسمكة في مياه ضحلة آسنة. «ردّ آخرون» بقتله. قتلوه ردًّا على حال حراكه المضيئة وغليانه المشعّة. لم يضع على عينيه عصابة تعميه. لم يراع إلاّ الصدق في الاختيار من دون انكسار للآخر. رحل **جوليانو خميس مير** بين مسرحيّتين خاصّتين به. أوّلاً: «العذراء والموت». ثانيًا: «الكراسي». نصّ تشيلي. ثم: نصّ فرنسي. نصّ واقعي. وآخر عبثي. مات **جوليانو خميس مير** بعبث العابثين على أرض **فلسطين**. انتقائي. فرض على الهاجس الآني هواجسه الفكريّة والجماليّة. استدعت الهواجس هذه قضايا راهنة وملحّة أملت عليه إحساسه بالوجود في مجتمع معيّن يتمتّع بمواقف إزاء ما يحيط به.

استشهاد **جوليانو خميس مير في الضفّة الغربيّة** كاستشهاد الناشط الإيطالي في غزّة. إنّهما قتيلا فتاوى جماعات متطرّفة ضدّ فلسطين. عمل **جوليانو خميس مير في** المسرح الفلسطيني، ليس عملاً على نظريّة اجتماعيّة سياسيّة أو على خطأ نظريّة سياسيّة - اجتماعيّة. إنّه عمل على علم الاختلاف السياسي. لأنّ الرواية في المسرح حديث ثابت. حديث مثبّت. **جوليانو خميس** مير راوٍ أوّلاً. ثم: صاحب حديث ثابت. ثم: صاحب حديث مثبت. لن تقمع الصفات هذه دفعة واحدة في رجل صاحب حلم ومنهج وصاحب انتماء أكيد. لأنّه ابن حضارة والده الفلسطيني وأمّه اليهوديّة - الفلسطينيّة الأشدّ تعلّقًا بفلسطين والفلسطينيّين أكثر بكثير من الكثير الكثير من الفلسطينيّين أنفسهم. لم يسرّب الرجل إلى أرض **فلسطين**. إنّه فلسطينيّ بالولادة. فلسطينيّ ابن فلسطينيّ. اشتغل المسرحيّ على نصوص مشارق الأرض ومغاربها. لم يخشَ شيئًا إلاّ زوال الجذع المرئي للمسرح. لأن المشهد هو كيان المسرح. هذا في تحصيل الحاصل. دارت كلّ نصوص خياراته حول طبيعة الإنسان الفلسطيني في

أنتجت «مونولوغات غزّة» العام 2010. دارت مونولوغات الأطفال الغزّاويّين في العالم، حتى وصلت إلى الأمم المتّحدة في عرض استثنائي.



أنصابه المتلاحقة. سواء بالطرق المباشرة أم بالطرق غير المباشرة. «العذراء والموت» نصّ معروف عن الاعتقال والاغتصاب والثأر. «الكراسي» نصّ معروف. نصّ **يوجين يونسكو**. نصّ من مسرح اللامعقول. أو مسرح العبث. نصّ عن زوجين. يمضي الزوجان عقودًا من الزمن معًا (تروي المسرحيّة حكاية جوليانو نفسه، حكاية أمّه وأبيه. فلسطيني ويهوديّة في **فلسطين** المحتلّة. علمت أمّه الكثير من الفلسطيني في مخيّم جنين. أصبح بعضهم في مراكز عالية، في حين نفّذ البعض الآخر عمليّات انتحاريّة برّرتها اليهوديّة بقمع السلطات الإسرائيليّة للفلسطينيّين ومحاولات إلغائهم). يمضي الزوجان عقودًا من الزمن معًا. تعرّفا إلى بعضيهما، إلى درجة أنّه لم يبق أيّ شيء خافيًا على أحدهما في ما يخصّ الآخر. وجد الزوجان طريقة لقتل الملل وقتل العزلة: تخيّل زوّار غير واقعيّين. خيار الزوجين النهائي صاعق: الانتحار. إنّه أعظم قرار. تقرير مصير إلى عالم آخر أكثر سعادة. مسرحيّة عن الريبة وقلّة الثقة «وفرائس الشرّ» بحسب يونسكو. **جورج إبراهيم ونسرين فاعور** على الخشبة. معهما **إلياس نقولا**. أجواء من السورياليّة فوق منصّة أخضعها **جوليانو مير خميس** إلى منطقة الأحلام والكوابيس والجنس (معادل الموت).

قدّمت «الكراسي» على مسرح وسينماتيك **القصبة في رام الله**. لا تعني قلّة الشخصيّات في «الكراسي» انقياد الإخراج إلى الإبداع الخجول. بالعكس. بل الاشتغال على تراكم الخبرات، باختيار «النصوص الاقتصاديّة» أو المقتصدة. نصوص بشخصيّات قليلة. إنّه هواء المسرح الفلسطيني الجديد وسط الأزمات الموجزة والمطوّلة. إنّه معبر المسرح الفلسطيني إلى الدقّة والتعدّد. مسرح هذا الحيرة. عند **فرنسوا أبو سالم**: زكّت التجربة المونودراما أو مسرحيّات الممثّل الواحد ومقابله. عند **جوليانو خميس مير**: زكّت التجربة مسرحيّات الصنف الاقتصادي، باختيار نصوص بشخصيّات قليلة. عند **المسرح الوطني الفلسطيني - الحكواتي**: قدّمت «نصّ كيس رصاص» في **القدس العام** 2010 كعلامة بارزة في تجربة ما ارتضت إلاّ الشغل على خيال الظلّ. تأليف: **كامل الباشا**. تصميم وإخراج: **عبد السلام عبده**. تمثيل وغناء **ريم تلحمي** و**رجائي صندوقة** و**عامر الأشهب** و**عبد السلام عبده**. إنتاج **المسرح الوطني الفلسطيني - الحكواتي** بدعم من **مؤسّسة عبد المحسن القطّان** في إطار برنامج دعم الثقافة والفنون المموّل من **مؤسّسة فورد**. تلعب الأخيرة دورًا بارزًا في المجال هذا. وهو دور لا يبتغي صحبة المسرحيّين، قدر ما يمتلك أسئلته الخاصّة وإجاباته الخاصّة. وهي لا تؤدّي إلاّ إلى لغة متعثّرة لدى المبدع الفلسطيني والعربي، بتنازلات المسرحي هذا تحت وطأة الوضع الاقتصادي والطلب الاقتصادي المقنّع.

هذه قضيّة. ثمّة قضيّة أخرى هي قضيّة المسرح الوطني الفلسطيني. اسم معطوف على اسم آخر: الحكواتي. لا علاقة للأول بالثاني. أوّلاً: هناك «نص كيس رصاص». حفاظ على التراث، بذا يصدر مدير عام **المسرح الوطني الفلسطيني جمال غوشة** كلمته في البروشير الخاصّ بالمسرحيّة. تخصّص المخرج **عبد السلام عبده** في مسرح الدمى. أتقن - من خلال ذلك - أهمّيّة إحياء مسرح خيال الظلّ من جديد. قام بتجميع العديد من الكتب والمراجع، لكي تنفّذ التجربة بشكل صحيح. أيقن الأهمّيّة البالغة في إعادة إحياء مسرح خيال الظلّ بلقائه بالفنّان التركي **جانكيز أوزيك** في مؤتمر لصانعي الدمى في مدينة **ليون** في **فرنسا**. طرح **عبد السلام عبده** فكرة كتابة نصّ على **كامل الباشا**. وجد أنّ كتاباته تناسب مسرح خيال الظلّ، بعد أن كتب «جديدون والغولة» (بمشاركة «مسرح الرواة» الفلسطيني) و«ديك الجنّ». تتحسّس المسرحيّة صورة المستقبل من خلال الماضي.

تجلّى هواء المسرح الفلسطيني الجديد وسط الأزمات الموجزة والمطوّلة، بالعبور إلى الدقّة والتعدّد. بحيث زكّت التجربة المونودراما أو مسرحيّات الممثّل الواحد ومقابله عند فرنسوا أبو سالم. وزكّت التجربة مسرحيّات الصنف الاقتصادي عند جوليانو خميس مير، باختيار نصوص بشخصيّات قليلة.

تفتتح كاميليا (**ريم تلحمي**) مقهى حجي صالح، الحكواتي المخايل المستشهد في معركة **القسطل** الشهيرة. ترك الرجل وراءه ميراثًا عظيمًا تريد **كاميليا** إحياءه من جديد، بعد أربعين عامًا على رحيل المخايل، بمساعدة ابن حارتها عبوده (**عبد السلام عبده**) وبطليّ مسرح خيال الظلّ كراكوز وعيواظ. جاء **عبد القادر الحسيني** إلى **سورية** لكي يستعين بالزعامة العربيّة. هناك: اعتذروا عن تلبية طلباته. هناك، منحوه: نصف كيس رصاص. عندها: توجّه إلى **القدس**. ثم: توجّه **عبد القادر الحسيني** إلى **القسطل**. دخلها ظهيرة السابع من نيسان. عندها: عمد على الفور إلى إعادة تنظيم صفوف المجاهدين. عيّن في **الميمنة** (الجهة الشرقيّة) المجاهد **حافظ بركات**. عيّن في الميسرة (الجهة الغربيّة) **الشيخ هارون بن جازي**. في القلب: فصيلتان بقيادة **إبراهيم أبو دية**. بقيت القيادة في يد **الحسيني** مع فصيلي إسناد قادهما كلّ من **عبد الله العمري** و**علي الموسوس**. بدأ الهجوم وفق الترتيب هذا. إذّاك: استطاعت قوّات القلب اكتساح مواقع العدوّ واستحكاماته الأماميّة. غير أنّ التقدّم بقي صعبًا بسبب قلّة الذخيرة. أُصيب **إبراهيم أبو ديه** مع ستّة عشر من رجاله بجراح. هنا: اندفع **عبد القادر الحسيني** لإنقاذ الموقف باقتحام القرية مع عدد من المجاهدين تحت وابل من نيران الصهاينة. بطلوع فجر الثامن من نيسان، وقع **عبد القادر** ـ ومن معه ـ في طوق أحكمه الصهاينة عليهم، ما أدّى إلى استشهاده. أثر ذلك: اندفعت نجدات كبيرة إلى **القسطل**، من بينها حرّاس الحرم القدسي الشريف، بيد أنّ النجدات هذه جاءت غير منظمة.

في المسرح الوطني الفلسطيني ـ الحكواتي: قدّم «نصّ كيس رصاص» في القدس العام 2010 كعلامة بارزة في تجربة ما ارتضت إلا الشغل على خيال الظلّ.

أشكال وألوان

دمى وخيال ظلّ ومونودرامات وثنائيّات مسرحيّة وعبث ولا معقول ومسرح واقع وتغريب بحدود قليلة وتجربة إنماء مسرحي مع أطفال غزّة في «مونولوغات غزّة». هذا ليس بسيطًا. بالأخصّ: بعد الكساد والانطباع بأنّ الفلسطيني في **الضفّة الغربيّة** يجلس ويمشي فقط. غالبًا ما وقع التصوّر بأنّ المسرحي الفلسطيني في وضعيّة جلوس بوذيّة. إنّه أشبه ببوذا بجلسته الأبديّة. أي في وضعيّة التربّع الهندي، أو شيء شبيه بذلك. لا يقلّد حدًّا. لا أحد هنا. لطالما جرى التصوّر أنّ الجميع يجلس بطريقة واحدة. وأنّ الجميع يمشي بطريقة واحدة. وأن لا وقت أمام الفلسطيني إلاّ لتأمين حاجيّاته اليوميّة ويوميّاته في بنيتها المتداولة. الأجساد غير محبوسة. المخيّلة غير محبوسة، لم تأكل الطقوس الدينيّة المدن والقرى الفلسطينيّة. لم تأكل الأصوليّة الدينيّة الفلسطيني، ولو أنّها استعملت كأداة سيادة على كلّ أدوات وأشكال التعبير. سيطرت الروح الأصوليّة على بعض أجزاء الفضاء الفلسطيني. حسم الأمر في **غزّة**. لم يحسم بعد في **الضفّة الغربيّة**، طالما أنّ الأصوليّة تجسّدت في ردود فعل مباغتة، واجهها الفلسطيني بروح المقاتل الياباني أو الساموراي. نتج عن ذلك وضعيّات جديدة. وضعيّة التوجّس والخوف أوّلاً. وضعيّة المبارزة ثانيًا. يروي المسرحيّون الفلسطينيّون حكايات وحكايات عن تأثير الحركة الأصوليّة ـ الحركات ـ على المجال الواسع للفنون. يستند الفلسطينيّون إلى ضرب أمثلة عمليّة على نظرة الأصولي إلى المسرحيّات الفلسطينيّة. روى **عامر خليل** (لقاء شخصي) أنّه في أثناء تقديمه مسرحيّة «عيد قنديل»، وهي تروي سيرته الذاتيّة، لاحظ نظرات فتاة مريبة وغريبة في وسط جمهور ـ مدرسي (المدرسة حيث يعرض). لم ترفع نظراتها عنه. غير أنّه استمرّ في تقديم عرضه. صباح اليوم التالي وجد مديرة المدرسة ـ حيث يقدّم «عيد قنديل» ـ في انتظاره. قدّمت إليه باقة ورد. ثم اعتذرت عن إكمال العروض المقرّرة للمسرحيّة. ما أعطت أيّ سبب. اعتذرت ونقطة على آخر سطر الكلام. اكتشف **عامر خليل** أنّ الفتاة صاحبة

النظرات الغريبة، ليست إلاّ ابنة إمام الجامع القريب. هكذا: سمع المسرحي اسمه في مكبّرات صوت مآذن الجوامع تهدر دمه بسبب إشارته إلى نشوئه في بيئة مسيحيّة ـ هو المسلم ـ وإلى خوفه من صورة الكعبة على السجّادة في ليالي طفولته البعيدة. اضطرّ **عامر خليل** إلى تحاشي نتائج فتوى إهدار الدم بوقوع حوادث أو وقوع فوضى في عروضه الجديدة، اضطرّ إلى تحاشي ذلك بقصد الرئيس الفلسطيني **ياسر عرفات**. أخبره بما حدث له. بعدها: تكفّل عرفات بالباقي.

المسرح عند الآخر غير مهمّ كما هو مهمّ عند المسرحي. إنّه شيء يستغنى عنه. بل: الاستغناء عنه أجدى. بل: العمل في المسرح نوع من أنواع الانفصام. لحظة يستحيل القول فيها بأهمّيّة المسرحي أو أهمّيّة المسرح. ينوجد المسرح لدى الآخر بفتور أو ببرود. تسقط لديه حالات التلقّي الجزئي أو الكامل. يُتلقّى المسرح ـ لدى جزء من الجمهور الفلسطيني ـ على أساس الأفكار المسبقة منه. انقسام بين الفكر والعقل في لحظة التحام بالفعل. يروي **عامر خليل** أنّه تعرّض إلى نتائج ثقافة بيّنة الأفعال المرئيّة. تعرّض فجأة. لأن لا شيء أوحى بذلك. لا النصّ ولا الإخراج ولا الأداء. قدّم نصّاً بلا لون بشرة. لا بشرة سوداء ولا بشرة بيضاء. فجأة: أحسّ بأنّه هندي أحمر في وسط أميركي أبيض. إذ هاجمه أحد الملثّمين بسكّين وهو على خشبة المسرح يقدّم مسرحيّة «نصّ من كافكا». أخذ «تقرير إلى الأكاديميّة». ترجمه ثم اقتبسه، ثم قدّمه. يروي: لم أسلم من الحادثة. يروي: أدخلني ذلك إلى المستشفى. بقيت في المستشفى فترة طويلة. لم أتعافَ حين خرجت منها. كلّ ما حاولته: توطيد العلاقة بالجمهور. توطيد العلاقة بالناس. قسوة المهاجم الملثّم بقوّة مسرحيّة. بقوّة مسرحيّة «العذراء والموت» **لجوليانو ميرخميس**. لعبت المسرحيّة في «مسرح الميدان» في **حيفا**. مسرحيّة قويّة بحسب **إيمان عون**. عند أهل «مسرح الميدان» مهمّة محدّدة. يروي **عامر خليل**: يتمتّع «مسرح الميدان» بمهمّة عالية القيمة: ربط المسرحيّين الفلسطينيين بعضهم بالبعض الآخر. وبما أنّ الكلام كلام مسارح، يجدر ذكر أنّ مسرح الحكواتي على واجهة **المسرح الوطني الفلسطيني** ليس إلاّ تيترًا من دون خلفيّة ومن دون تأثير في فضاء من الانكشاف الكامل. يحدث هذا فرقًا كبيرًا، بحسب المسرحيّين الفلسطينيين العائشين في رعب الانقسام الفلسطيني (جرى توقيع ورقة التفاهم الفلسطيني بين فتح وحماس في القاهرة أثناء الكتابة في أوائل شهر أيّار 2011).

لم تأكل الأصوليّة الدينيّة الفلسطيني، ولو أنّها استعملت كأداة سيادة على كلّ أدوات التعبير وأشكاله. سيطرت الروح الأصوليّة على بعض أجزاء الفضاء الفلسطيني. حسم الأمر في غزّة. لم يحسم بعد في الضفّة الغربيّة.

أن يستمرّ المسرح الفلسطيني معجزة. اعتمد المسرحي الفلسطيني على قوّة اليأس، لكي يصوغ من القوّة هذه حياته المستقبليّة. لكي يصوغ من القوّة هذه صورة مستقبله. انفرطت تجربة الحكواتي. هذا صحيح. لم يشكّل هذا فجوة. لم تتّسع الفجوة في انفجار الحكواتي. أدخل الانفجار الكثيرين إلى عصورهم. لم تعد التجربة إلى الصفر. أخذت الكثير من أبطالها إلى أحضارهم وأسفارهم الخاصّة بخبرات مجموعة في حقائب ظهر، لم يلحظها أحد وهي تنشدّ على ظهورهم. سافر **فرنسوا أبو سالم**. ثم: عاد. عاد بخساراته وخيباته إلى الأرض المهدّدة بالخسران الدائم. انطلق الآخرون من قاعدة الصفر. لم ينطلقوا من الصفر، بل من قاعدة الصفر. ثمّة فروق هائلة بين الصفر وقاعدته. بين قاعدة الصفر والصفر. الصفر هو الصفر. القاعدة رمز التجدّد الدائم. رمز التجدّد المستمرّ ولو من حفر ضيَق المساحة أو عريض المساحة. الأهمّ: أنّ المسرحيّين الفلسطينيّين لم يعادوا أنفسهم، حين وقع العداء بين الفلسطينيّين. يروي عامر خليل قصّة المسرح الوطني الفلسطيني ـ الحكواتي بصوت خفيض. بصوت تواضع لن يسعه عالم كامل. إنّه رفيق **إيمان عون** في زيارة إلى **الشارقة** بهدف المشاركة في لقاء حول الاستراتيجيّة في المسرح. والتنمية في المسرح. مسرح الحكواتي

أن يستمرّ المسرح الفلسطيني معجزة. اعتمد المسرحي الفلسطيني على قوّة اليأس، لكي يصوغ من القوّة هذه حياته المستقبليّة. لكي يصوغ من القوّة هذه صورة مستقبله. انفرطت تجربة الحكواتي، لكن لم يشكّل الأمر فجوة. ولم تتّسع الفجوة في انفجار الحكواتي.

الإبداع

ليس عمارة. يفوق مسرح الحكواتي مصطلحات الفعل المعماري. مسرح الحكواتي دنيا. مسرح الحكواتي كون. إنّه سينما عتيقة.

كلّما عنّ للإسرائيليين تحويل حياة الفلسطينيّين إلى حياة رتيبة وبطيئة، هاجموا مسرح الحكواتي واقتادوا عناصر التجربة إلى سجن المسكوبيّة، قبل أن يُطلق سراحهم إلى مسرحهم من جديد. أدرك الإسرائيليّون أنّ الصالة ليست صالة، بل أنها مجال اجتماعي - سياسي - فكري. هكذا قرأوها. قرأوا كلّ ما اختبأ خلف غلافها. كلّ ما تحجبه واجهاتها. العمارة ليست فنّ العمارة هنا. ليست تعريفًا أكاديميًّا أو تعريفًا جاهزًا إلاّ للأكاديميّين المولعين بالتصميم والهندسة والتزيين والزخرفة، المنكبّين على نحت الكتل والنتوءات.

باستيلاء السلطة الوطنيّة الفلسطينيّة على مسرح الحكواتي، سقط برج التجارة في **القدس الشرقيّة**. ملاحظة: اختيرت صالة في **القدس الشرقيّة** بسبب ضمور القوّة الإسرائيليّة القانونيّة هناك. أطاحت عمليّة قتل رخيصة ومبتذلة أهداف قيام مسرح الحكواتي الأوّل. أولى الأهداف: إعلاء شأن التنوّع في مأزق اليأس المقيم في إعلان دولة علمانيّة في **فلسطين**. دولة الجماعات والأقوام والأطياف والشرائح المتنوّعة. لن تظفر **فلسطين** بمسرح كمسرح الحكواتي. هذه خسارة أكيدة، ولو أنّ **فرنسوا أبو سالم** لا يزال يقدّم مونودراماته أو مسرحيّاته باسم «الحكواتي». تخلّصت السلطة الفلسطينيّة من أسطورة المسرح بضربة واحدة. بدل أنّ تعزّز الأسطورة بغير القتل. هذا دأب الفلسطيني. هذا دأب العرب.

نموذج إشكالي

أحد الأسماء البارزة في المسرح الفلسطيني المعاصر: **جورج إبراهيم خوري**. ناشط في المهرجانات المسرحيّة العربيّة والغربيّة. إنه نموذج إشكالي. لا تخفي أبحاثه الأساسيّة نشاطاته كما لا تخفي الأسئلة الدائرة حول سلوكه ومساره ومسار علاقته بالسلطات. يروي بعض المسرحيّين الفلسطينيّين أنّ لا محرمة لديه، طالما أنّه يريد أن يغذّي مسرحه. «مسرح سينماتيك القصبة». خمس وثلاثون سنة تحت الضوء. هذا زمن يحسب مضاعفًا أو مضروبًا بثلاثة وسط الاحتلال الإسرائيلي. يقدّم مسرحه بين مسرحيّتين وثلاث مسرحيّات في العام الواحد في بلد الانتفاضات والاشتباكات والتصفيات والصدامات والأزمات الاقتصاديّة والاجتماعيّة والفكريّة. «قصص تحت الاحتلال» المسرحيّة الثانية في **العام** 2010 «مسرح وسنيماتيك القصبة». قصص ضدّ الاحتلال. نوع من تدمير من يدمّر في فلسطين. قصص طالعة من شروط لا معزولة عن مجتمعها وسط الركام والخرائب. قصص بين أعيرة الموازين. لن تتساوى كفّة الميزان مع كفّة الميزان الأخرى في **فلسطين** المحتلّة. بيد أنّ محاولات المساواة هي محاولات محدودة من قوّتها وعنفها المكبوت بمواجهة العنف العلني وفاعليه. قوّة مكشوفة تجاه جرائم معلنة يتغاضى المجتمع الدولي عنها. لا يريد «مسرح القصبة» ولا المسارح الأخرى أن يركب جدران المأزق ولا ركوب اليأس المقيم. بالعكس. تريد المسارح هذه، يريد المسرحيّون أن يبدو المستقبل ماثلاً. وأن تبدو احتمالات الظفر به ماثلة بدورها. وصلت المسارح الفلسطينيّة إلى برنامج عملي. نجحت في ذلك. أنتج نجاحها التخلّص من سيطرة الحزب والجبهة والقائد والحاكم على كلّ شيء. رفعت المسارح حالات الطوارئ في عمليّة مقلوبة. لم يرفضها النظام الفلسطيني ولا النظام الإسرائيلي (يعيّر النظام العربي بحالات الطوارئ المعلنة فيه. في حين لا يأتي أحد على سيرة نظام الطوارئ في إسرائيل الساري المفعول منذ **العام** 1948. أي عام النكبة الفلسطينيّة باحتلال **فلسطين**. ليس هذا تبريرًا للنظام العربي. بل إشارة إلى الخلط والتورية بين نظام ونظام في سياسة المكيالين في **الشرق الأوسط**).

أن يستمرّ المسرح الفلسطيني معجزة. اعتمد المسرحي الفلسطيني على قوّة اليأس، لكي يصوغ من القوّة هذه حياته المستقبليّة. لكي يصوغ من القوّة هذه صورة مستقبله. انفرطت تجربة الحكواتي، لكن لم يشكّل الأمر فجوة. ولم تتّسع الفجوة في انفجار الحكواتي.

«قصص تحت الاحتلال» عرض مسرحي لمجموعة مختارة من عروض **مسرح وسينماتيك القصبة** منذ الانتفاضة الفلسطينيّة. يؤكّد عبد الجعبة المدير الفنّي في المسرح، أنّ المسرح اختار موضوع الإعلام والوضع الفلسطيني. إنّه سرد مسرحي في كيفيّة تحوّل الفلسطيني إلى خبر تتناقله وسائل الإعلام في جميع أنحاء العالم. في حين يتضمّن الخبر حيوات الفلسطينيّين ووجودهم والخطر على الحياة والوجود. عرض من أجل التأكيد على أنّ الفلسطيني بحاجة إلى حياة هي حياة أيّ فرد في أيّ دولة في العالم. حياة بضحك وأحزان وموت وحياة. حياة بلا احتلال. يشير طاقم العمل الدسم إلى نشوء طبقة حقيقيّة في المسرح الفلسطيني. طبقة المسرحيّين الفلسطينيّين المتكاثرين كلّ يوم بيومه. ذلك أنّ فريق العمل مؤلّف من **نزار الزعبي** للإخراج و**معاذ الجعبة** للإضاءة، إلى فريق كامل من الممثّلين من **أحمد أبو سلعوم** إلى **إسماعيل الدبّاغ** و**جورجينا عصفور** و**حسام أبو عيشة** و**عماد فراجي** و**كامل الباشا** و**محمود عوض** و**خليفة ناطور** و**خالد المصوّر**.. تأليف جماعي. (تأسّس المسرح أوّلاً تحت اسم «فرقة الفنون المسرحيّة». بقي بالاسم ذاته حتى **العام** 1984، حيث تمّ تغيير الاسم إلى «مسرح الشوك». غيّرت الفرقة اسمها مرّة جديدة في **العام** 1986 إلى «فرقة الورشة الفنّيّة». جاء الاسم ليناسب تطلّعات الفرقة في المسرح التجريبي وإرساء أساليب فنّيّة جديدة تبني وتنبني على المعاصرة والتجديد. تمّت المباشرة **العام** 1989 في بناء مسرح «القصبة» وترميمه في موقعه الراهن في المدينة المقدّسة، حتى يعنى بأغراض العروض المسرحيّة المختارة. وحتى يتحوّل إلى مساحة عرض دائم للفنون التشكيليّة. ولكي يضحي ملتقى المثقّفين والفنّانين في محاضرات وندوات ومناقشات.

«قصص تحت الاحتلال» مجموعة من المشاهد المسرحيّة. أوّلاً: الهليكوبتر. ثانيًا: من قتل عبد الحسن. ثالثًا: لمن الله. رابعًا: رسالة من طفل فلسطيني في العالم. خامسًا: حقيبة سفر. سادسًا: حبّ على خطّ اليأس. شبه مشاهد مسرحيّة في توليفة بأهداف فنّيّة وسياسيّة. أن يبدأ الحدث على خشبة المسرح وأن يكتمل في الشوارع وعلى الحواجز. أو أن يبدأ في الشارع ليكتمل على الخشبة. إذ إنّ المسرح الفلسطيني لا يطرح إلاّ واقع أبناء **فلسطين** ولا يحاكي إلاّ واقعهم المشترك. صحيح أنّ ثمّة تضاؤل في القوّة في المبارزة مع الاحتلال الإسرائيلي، على صعيد الحياة السياسيّة والاجتماعيّة والاقتصاديّة. غير أن لا تضاؤل في القوّة في المسرح الفلسطيني على الصعيد هذا هنا. هذه فضيلة المسرح هذا. هذه فضيلة المسرحيّين الفلسطينيّين. إنّ جوهر الأمر هنا، أنّ المسرح لم يعد يبدع شخصيّات نموذجيّة بوجودها في الحياة الساطعة تحت الاحتلال الأشبه بالطبيعة. لذا: استمرّ الصراع مع الطبيعة - الإله تراجيديًّا. لن يفتقد المسرحيّون - بحكم تطوّر الحياة - الإيمان بالتراجيديا بانتقال التراجيديا والشخصيّة النموذجيّة من الواقع إلى المسرح. انتقلت هذه لكي تستقرّ في دفاتر يوميّات الفلسطينيّين وفي أرشيفهم الإنساني. مبعث الدهشة في المسرح الفلسطيني، في أنّ المسرحيّين الفلسطينيّين لم يصغروا دوائر الصراع في يوم من الأيّام. بالعكس. أبقوا الصراع في دائرته الكبرى. لم يستبدلوا - بذلك - التراجيديا بالشجن. لم يقعوا من جرّاء ذلك - في الضياع واللاجدوى واللاأمل مع فقدان الجدوى والأمل في أوقات مديدة.

تدرك قضيّتان المسرح الفلسطيني. الاحتلال والتمويل. ينتج عن ذلك ما دفع المسرحيّين الفلسطينيّين إلى الإيمان بعظمة الإنسان وقدرته على التغيير «في ظلّ الشهيد» (عنوان آخر مسرحيّة **لفرنسوا أبو سالم**). يعمّم الصراع مع الاحتلال مبرّرات تدقيق العروض الفلسطينيّة في الأوضاع المأساويّة

لا يطرح المسرح الفلسطيني إلاّ واقع أبناء فلسطين ولا يحاكي إلاّ واقعهم المشترك. صحيح أنّ ثمّة تضاؤل في القوّة في المبارزة مع الاحتلال الإسرائيلي، على صعيد الحياة السياسيّة والاجتماعيّة والاقتصاديّة، غير أن لا تضاؤل في القوّة في المسرح الفلسطيني على هذا الصعيد. هذه فضيلة المسرح هنا.

الإبداع



الفلسطينيّة. بقوّة **فلسطين** أصرّوا على محاكمة قتلة آبائهم. لا سرّ وكلمة سرّ هنا. هنا: الصراع في العلن.

لا تقتصر مفكّرة **العام** 2010 على ما جرى ذكره. أو على ما ذكر من «أوبوا في سوق اللحّامين» إلى «نصّ كيس رصاص» وغيرها من الأعمال المسرحيّة. أبدًا. قدّم «مسرح شبر حرّ» في **حيفا** «أنا يوسف يا أخي». قدّم «مسرح الحرّيّة» في **جنّين** «أليس في بلاد العجائب». قدّم «مسرح عشتار» «48 دقيقة من أجل فلسطين». عمل صامت. عمل يؤرّخ **لفلسطين** وناس **فلسطين** والصراع الفلسطيني ـ الإسرائيلي منذ **العام** 1915 وصولاً إلى بدايات التهجير. قدّمت **فالنتينا أبو عقصة** «أنا حرّة». أربع نساء فلسطينيّات في سجون الاحتلال الإسرائيلي وسط تحقيقات عنيفة ومدمّرة. صبيّتان على خشبة المسرح. إنارة لأحد العوالم المفصليّة في **فلسطين**. تحرّض الرغبة الشخصيّة على تنشيط رغبات التمرّد في ما هو مؤثّر في كينونة الفلسطيني وفي وضعيّتها التراتبيّة المذلّة. رسائل برقيّة كافية ووافية بحقائقها الناصعة. تخرج الرسائل هذه من العوالم السفليّة، لكي تحتلّ فضاء العالم. إنّها إرادة الصوت ومقاومته. مكاشفة ومساءلة. وتجاوز ذلك إلى نصوص مولودة جديدة، لا تفصح إلاّ عن حقيقتها العربيّة في مقابل البعد الديني للمحتلّ بفقه معاملاته وعبادته. انتقام من ذاكرة مكانيّة مخصبة بماء الفلسطينيّات وعرقهنّ ودمائهنّ في مشروع جهادي خاصّ. تدشين دائم ومستمرّ لعوالم خلافيّة، لم يعشها إلاّ الفلسطيني والفلسطينيّة. هنا: يتّصل الأوّل بالآخر. هنا: يتّصل الآخر بالأوّل. هنا: تتوهّج المأساة كما يتوهّج طفل لحظة الخروج من رحم والدته. يتجدّد انجراح السلوك. ينزف الجرح في مسيرة صاحبه الحياتيّة ذات الصلة بالآخرين. اعتراف بالألم الصادم. يصبح الشغل ـ تحت هذا الشرط ـ انتقامًا ممّن ألحق أضرارًا جسديّة وروحيّة لا تعوّض. إنّ مجرّد الإحالة إلى اللّحظة الزمكانيّة هذه مكاشفة لتاريخ حسّي ضارّ. عودة إلى **أرتو**. عودة إلى مسرح القسوة. عودة إلى التطهّر والتطهير. عودة إلى اقتصاد المسرح وليس إلى سطوة الاقتصاد على المسرح. جملة أفكار حيويّة ذات حمولة أخلاقيّة. أهمّيّة على أهمّيّة. أهمّيّة بأهمّيّة. أنسنة مطلقة. لأنّ الأنسنة تتحمّل كلّ أشكال الغربة وكلّ المظاهر الأجنبيّة (الاحتلال) وكلّ تحدّيات الوضع البشري الواقع دائمًا تحت اختبار العنف والاضطهاد المتجدّدين باستمرار. يقينيّة غير باذخة أبدًا. ذلك أنّ الأنسنة تسمح بتقديم حال تحرّر من وطأة ثقافة مغايرة لمضمونها وتحرير رموزها الأكثر تصلّبًا في التفكير المنسوب إليها. وجعلها حداثيّة وحتى علمانيّة في مستوى التحدّيات المطروحة في كلّ لحظة. ترجمة الأنسنة ـ في واحدة من تعبيراتنا الصارخة ـ في غياب الفودفيل ومسرح القوالين ومسرح البولفار والمسارح الخفيفة الأخرى عن خريطة التجربة المسرحيّة الفلسطينيّة. ليس هذا مكسب المعاناة في الدائرة الكبرى، حيث يتمدّد حضور المحتلّ الإسرائيلي. إنّه مكسب صفعة وصفحة اللّغة الإنسانيّة. الفلسطيني في فضاء تراتبي في سلم يقع باستمرار داخل اللّغة الأمّ. اللّغة هنا: سلوك. اللّغة هنا: أشكال علاقات. اللّغة هنا: انعكاس اللّغة على أشكال التعبير أو في أشكال التعبير. يدفع الكلام هذا إلى التفكير بالأشكال المعمول بها في المسارح الفلسطينيّة. إذ إنّ الشكل سلاح. سلاح إدراك الموضوع بما يستحقّه الموضوع. تحضر الواقعيّة. كما يحضر التغريب. يحضر العبث. يحضر مسرح القسوة. يحاجج أبطال المسرح الفلسطيني المسرح الفلسطيني في الطريق إلى ابتداع عالم جديد. لا حضور للملحميّة، لأنّها حاضرة في الواقع، حاضرة في الحياة العامّة، حاضرة في العام الفلسطيني. لا شيء مقدّس هنا، طالما أنّ كلّ شيء يخضع إلى

قصص تحت الاحتلال» عرض مسرحي لمجموعة مختارة من عروض مسرح وسينماتيك القصبة منذ الانتفاضة الفلسطينيّة. يشير طاقم عمله الدسم إلى نشوء طبقة حقيقيّة في المسرح الفلسطيني. طبقة المسرحيّين الفلسطينيّين المتكاثرين كلّ يوم بيومه.



التجريب على مواضيع واضحة ترتبط بكينونة الفلسطيني وتمرّ بالصراع الدائم مع قوى الاحتلال. ترتبط بالقضيّة والأبعاد الإنسانيّة الخاصّة بالقضيّة الإنسانيّة. تؤكّد إيمان عون: أنّ القضيّة السياسيّة تتقاطع مع قضيّة الوجود. وجود الفلسطيني. وجودنا. مواضيع جاهزة وغير جاهزة في آن. حيث ترتبط بتجريب حضورها في الأشكال المسرحيّة ـ المرتبطة بدورها بتجربة حضورها ـ على المواضيع. أولاً: تفكير. ثانيًا: استدعاء. ثالثًا: تجريب. لم يخشَ الفلسطيني عقاب من يخالفه. جعل نساء فلسطين يراقبون الجنود وهم يقطعون ويمزّقون أطفالهنّ الرضّع. جعل رجال فلسطين يراقبون أولادهم وهم يستشهدون برصاص واضح وصريح وهم معهم. لم يخف الفلسطيني ولا الفلسطينيّة الإسرائيلي ولم يعبدوه. انتقص ذلك من هيبة الإسرائيلي، ما قوّى حضور القوى التعبيريّة للفلسطينيّين. يقرّ المسرح الفلسطيني ـ على ضوء ذلك ـ بأنّ العقل لا النشوة هو من يستطيع انتهاك الأسرار في الغرف البعيدة أو الصناديق البعيدة في الغرف القريبة. يواجه المسرح الفلسطيني جبروت الإسرائيلي بالتخطّي. بالتخطّي في المساحة ـ المكان. المسرح الفلسطيني مسرح مكان. مسرح واقعيّة. مسرح مالتي ميديا. غادر المسرح الفلسطيني الكلاسيكيّة. لم يعد إليها أبدًا منذ غادرها. لا سريلة. ولا واقعيّة استهلاكيّة. الأهمّ: الاشتغال على المشهد. الاشتغال على الصورة. الأهمّ: الاشتغال على الجسد. الاشتغال على الروح. غادرت التجربة الخطابة إلى الاحتراف. المسرح الفلسطيني مسرح مكان. أصبح للمكان الفلسطيني شعب المكان. المذهل أنّ فلسطين تمتلك ـ كجغرافيا ـ الكثير من الأمكنة. يفرز الواقع واقعه. يفرز الواقع القديم واقعه الجديد. المكان الفلسطيني نموذجي. تغيب البنى التحتيّة المسرحيّة. غير أنّ المسارح لا تغيب. تزدهر المسارح، كما تزدهر التجارب. تُعدّ الفرق الفاعلة بالعشرات.

أبرزها: **مسرح الميدان في حيفا**. فرقة مسرح «بشرحيل». **مركز محمود درويش في الناصرة** (مسرح مجهّز بقاعة ومرافق تدريب تستقبل عروضًا فلسطينيّة وتنتج أعمالاً فلسطينيّة). **مسرح أنسمبل فرينج في الناصرة**. **مسرح اللجون في الناصرة** (أسّسه الممثّل **غسّان عبّاس**). **مسرح حنين في الناصرة** (أسّسه الفنّان **لطفي نويصر**). فرقة **مسرح السيرة** (أسّسه الفنّان **راضي شحادة**). أعضاء مسرح السيرة فريق مسرحي متخصّص **بمسرح الدمى ـ الماريونيت)**. مسرح جوّال في **سخنين**. **المسرح العربي في يافا**. **مسرح اللاز في عكّا**. **مسرح الحرّيّة في مخيّم جنين**. **مسرح عشتار في رام الله** ـ «**مسرح وسينماتيك القصبة**» **في رام الله**. المسرح الشعبي في **مخيّم الأمعري** (أسّسه الفنّان **فتحي عبد الرحمن** ـ قاعة مسرحيّة صغيرة وفريق مسرحي شبابي ينتج أعمالاً مسرحيّة مع طلبة الجامعات). **فرقة مسرح سفر في رام الله**. فرقة **مسرح الطنطورة في رام الله** (أسّسه **نضال الخطيب**). **مسرح صندوق العجب في رام الله** (أسّسه **عادل الترّيتر**). **المسرح الوطني الفلسطيني في القدس**. **مسرح سنابل في القدس** (أسّسه الفنّان **أحمد أبو سلعوم**). فرقة **مسرح القافلة في القدس** (أسّسه الفنّان **عماد متولي**) فرقة **مسرح الرواة في القدس** (أسّس الفرقة الفنّان **إسماعيل الدبّاغ**). فرقة **مسرح عتاد بيت جالا** (أسّسها الفنّانان **خالد المصود** ورائدة **غزالة** ـ خاصّ بالأطفال). فريق **مسرح الحارة في بيت جالا**. **جمعيّة الروّاد للثقافة والتدريب المسرحي في مخيّم عايدة** ـ بيت لحم (تأسّست على يد الفنّان د. **عبد الفتّاح أبو سرور**). **مسرح نعم في الخليل**. **مؤسّسة يوم المسرح في غزّة** (أسّسها الفنّانون **يان ويلمز** و**جاكي لوبيك** و**عامر خليل**). **مسرح عشتار في غزّة**. إضافة إلى المسارح هذه والفرق المسرحيّة المحترفة، هناك العديد من

لا تقتصر مفكّرة العام 2010 على مسرحيات مثل «أوبوا في سوق اللحّامين» و«نصّ كيس رصاص» وغيرها. إذ قدّم «مسرح شبر حرّ» في حيفا «أنا يوسف يا أخي»، وقدّم «مسرح الحرّيّة» في جنّين «أليس في بلاد العجائب»، وقدّم «مسرح عشتار» «48 دقيقة من أجل فلسطين». وقدّمت فالنتينا أبو عقصة «أنا حرّة».

الفرق الصغيرة والأفراد من مسرحيّين عاملين بشكل متقطّع وحرّ. تجمع كلّ هؤلاء رابطة المسرحيّين الفلسطينيّين. تأسّست في **العام** 1989: إطار نقابي يرعى الحركة المسرحيّة بما يمتلك من قدرات.

إعادة صياغة المدن القديمة

يحاول المسرحيّون في قراءة سريعة إعادة صياغة المدن القديمة في دور مستدام للمسرح والصالة المسرحيّة. المسارح في مقابل المباني الملوّثة والأبراج الإسرائيليّة. مدن من صنع التاريخ، تلتقي فيها عبقريّة المكان بعبقريّة طرق المواجهة. تقود الدروب - كلّ الدروب - إلى النواة: الصراع العربي - الإسرائيلي. صحيح أنّ الاهتمام المزدوج بالفنّ وبالاستعمال الفنّي في الصالة الفنّيّة يقدّم إمكانيّات لها مقياس مشترك واحد هو التقنيّة، غير أنّ تخطّي ذلك في باب الضرورة. إنه في باب تحصيل الحاصل مع الفلسطينيّين. لأنّ المسرح هنا يلبّي حاجة متأصّلة في الإنسان. وهي حاجة مركّبة، ثلاثيّة المكوّنات. الحاجة الوظيفيّة أوّلاً. ثم: الحاجة الجماليّة. ثم: الحاجة الرمزيّة. لا ينحصر البناء المسرحي في فلسطين في مفهوم الصرح. إذ يقدّم البناء المسرحي نفسه - هنا - ككوخ، كبيت، كملجأ. وكلّ ما يستعمله الناس في حياتهم اليوميّة. ما يغيظ: تجدّد المحاولات الأوروبيّة والأميركيّة لاختراق البيوت الفلسطينيّة هذه، عبر جمعيّات وهيئات ومنظّمات ومؤسّسات مدنيّة أو نصف مدنيّة. تقترح أن تساعد بالمال بطرق صاعقة: خذ. ثم: شاركنا. استدراج أكيد لتدمير البنية الفسطينيّة بالشراكة مع إسرائيليّين. بحيث تظهر الشراكة وكأنّها الوعد الوحيد بالمستقبل. الشرط: إقامة ورش مشتركة مع إسرائيليّين. الشرط: إنتاج مسرحيّات مشتركة مع الإسرائيليّين ولو بطرق كاريكاتريّة. كما حدث في الماضي، حين غطّت مؤسّسات أوروبيّة إنتاج «**روميو وجولييت**» **لشكسبير**. شرط أن يلعب فلسطيني دور **روميو** وأن تلعب إسرائيليّة دور **جولييت**. أو العكس. تسطيح كلّي وقاصم لمضامين الصراع العربي - الإسرائيلي في **فلسطين**. الشراكة رمز القتل. الشراكة حرب خفيّة على التجربة المسرحيّة الفلسطينيّة. الشراكة قوّة نوويّة منذورة للآخر، لا همّ لها ولا هدف إلاّ إبادة المبادرة الفلسطينيّة والخصوصيّة الفلسطينيّة والروح الفلسطينيّة النقيّة، بغير معناها النازي. الشراكة أركان حرب خفيّة، خصبة. المبدأ: شارك. مبدأ ببطانة تحول عبر المشاركة. لأنّ من يعطي لا يعطي مجّانًا. من يعطي يطلب. الأمثلة كثيرة في فلسطين وفي دول **العالم العربي**. الإشارة إلى دور التمويل في دول **العالم العربي**، إشارة إلى عنفه المستتر في فلسطين. تمنح المؤسّسات الأوروبيّة دعمها للفرق والتجارب، شرط أن تشتغل الأخيرة على ما تراه المؤسّسات مناسبًا. الأشكال الشعبيّة بشكل خاصّ. إنّه سحر التدمير بدعوة المبدع العربي للعودة إلى الماضي. قتل رخيص ومبتذل.

أخذت التجارب المسرحيّة الفلسطينيّة على عاتقها تأسيس تجربة وحمايتها. رسمت منهجة بسيطة خاصّة بذلك. بنت بذلك ظاهرة الثقافة وسط الأساطير الإسرائيليّة ذات الطابع الديني. تجمع السلطات الإسرائيليّة الأحداث وتصوغ منها، الأساطير الدينيّة. يزداد خوف الفلسطيني وتزداد شجاعته في آن. ليس لديه قوى يحتمي خلفها. لذا: يحتمي بإرادة الروح، بإرادة الأرواح البشريّة.

تحضر الواقعيّة في المسرح الفلسطيني كما يحضر التغريب. يحضر العبث. يحضر مسرح القسوة. يحاجج أبطال المسرح الفلسطيني المسرح الفلسطيني في الطريق إلى ابتداع عالم جديد. لا حضور للملحميّة، لأنّها حاضرة في الواقع، وفي الحياة العامّة، وفي العام الفلسطيني.

المكان الفلسطيني نموذجي. تغيب البنى التحتيّة المسرحيّة. غير أنّ المسارح لا تغيب. تزدهر المسارح، كما تزدهر التجارب. تُعدّ الفرق الفاعلة بالعشرات.

المسرح المصري

لن تؤدّي قراءة الحياة اليوميّة في مسرح القطاع العامّ ومسرح القطاع الخاصّ إلاّ إلى نتيجة، إلاّ إلى خلاصة صاعقة: انقراض المسرح الخاصّ وفوضى القطاع العامّ. إنّهما يكمّلان تجربة المسرح في مصر. الواحد منهما ضرورة للآخر. بغض النظر عن التناقض المفاهيمي الواضح. يعتمد مسرح القطاع العامّ على الكليّة المسرحيّة. يعتمد مسرح



القطاع الخاصّ على نجوم السينما والإذاعة والتلفزيون. خصال هذا غير خصال ذاك. هذا في باب الضرورة. لكلّ منهما صوته الخاصّ. يمثّل كلّ منهما ذاته بشكل مباشر، من دون رقابة على تبادل العواطف والبحث في حالات التواجد المتلازمة. الروح والجسد في القطاع العامّ. الجسد في القطاع الخاصّ. لن ينفي هذا مسّ تجربة القطاع الخاصّ بحالات إنسانيّة ونفسيّة وشخصيّة، تتمخّض من لدن التجربة الخاصّة. خسرت التجربة المصريّة حلمها وصلبها في السنوات الأخيرة. خسرت متنها. كما خسرت هيكلها. كما خسرت ملحقاتها المزيّنة والمزخرفة الوالدة لأحد فروع الإبداع. لا شيء لافتًا اليوم. لا شيء يعلَم. لا شيء يمسّ. لا شيء يُلمس. لا شيء، لا شيء، لا شيء. لا تجارب ولا مناهج ولا أصناف ولا هيئات ولا وجوه ولا هويّات ولا منصّات ولا منابر ولا إبداع ولا جماليّات. تراجعت البحوث في تجربة المسرح المصري نهائيًّا في **العام** 2010. يكثّف العام هذا الأعوام الماضية في التجربة. كما يشير إلى الأعوام المقبلة. فقد المسرحيّون الغريزة. قهر فقد الغريزة المسرحيّ قبل أن يقهر المسرحيّ المسرح بفقدان غريزته. يعطف على هذا الأدوار المتقدّمة الملغومة من الرقابة على المصنّفات الفنّيّة. أسهمت الرقابة في **مصر** - ولا تزال - في الحدّ من إمكانيّات المسرحيّين المملوكة. أطاحت بانفتاحهم على الإنسان في **مصر** و**العالم العربي** والعالم. قضيّة في غاية الخطورة، لم تدفع أحدًا إلى الانفعال في وجه الرقابة والرقيب. لا يبحث المسرحيّون عن حلول أو مخارج، بعد أن فقدوا قدراتهم وقواهم الصداميّة. أضحى حضورهم حضورًا باردًا لا روح فيه. لا يشكّ أحد بالتغيّرات في العالم. تغيّرات جذريّة. استلهمت التجارب حضورها وحدودها المفتوحة من الحراك العالمي الكثيف - المنفتح - في العالم. نهضة وقوى استقلال وحركات تحرّر وأفكار وصراع أفكار وأيديولوجيّات. اليوم: لا شيء. الآن: لا شيء. لا أفكار ولا صراع أفكار ولا صراع إيديولوجيّات مع انهيار **الاتّحاد السوفياتي**. أضحى العالم - بانهيار الاتّحاد - برأس واحد. بداية جديدة من دون مفاعيل رجعيّة. حيث إنّ صدمة انهيار القطب الآخر في العالم، دفعت الكثيرين إلى الاستسلام والإحباط وما شابه. لا طروحات جديدة. أضحى «الجديد» هو السائد. وحين ساد استعمل في سيادته على الفضاء، أصبح «السائد» قديم التجربة. حال دنيا. ثم تجاوز الجديد. وقع التجاوز. ثم، مذاك: انقطعت الأوصال بين المسرحي وبين مفاهيم التجديد والتنوير والتثوير والتجاوز. راوح المسرحيّون أمام ما استحدثوه وما استحقّوه بعد أن استحدثوه. لم تتوقّف العمليّات الحياتيّة - المسرحيّة في تلك المرحلة. اختبر **بريشت** اختبر التغريب. اختبر **غروتوفسكي** ومنهجه على الممثّل القدّيس. اختبر **بيسكاتور** و**مايرخولد** و**ستانسلافسكي**. أسّس **سعد أردش مسرح الجيب**. أُشير إليه بأنّه «المُغرّب» الأوّل في **مصر**. استنفدت الواقعيّة والواقعيّة السحريّة والطقس الأرتوي. عادت التجربة إلى الأشكال الشعبيّة. اختبرت كلّ شيء. لم تؤمن بالأشياء الجاهزة وسط الحراك العالمي، بين ثورات وثورات مضادّة. وبين حركات نقابيّة وحركات حاولت أن تقهر الحركات النقابيّة. وبين قوى تحرّر وقوى انعزال ومراوحة. تقف التجربة أمام ما أنجزته. أمام الجاهز. أمام ما جهّزته. تراوح أمامه. هذه علّتها. هذا مقتلها. لا تمرّ المسرحيّة كبرق ورعد. أضحت تمرّ كالخاطرة اللّطيفة. لا الخاطرة الطيّبة. دخلت الآليّة إلى الأشغال المسرحيّة. أنهت كلّ الإيحاءات الروحانيّة الطابعة مراحل أواخر الخمسينيّات والستّينيّات والسبعينيّات وبداية الثمانينيّات. إنّنا أمام واقع مختلف.

ثمّة خلاصة صاعقة حول حال المسرح في مصر: انقراض المسرح الخاصّ وفوضى القطاع العامّ، وخسارة التجربة المصريّة حلمها وصلبها في السنوات الأخيرة، كما خسرت هيكلها، وتراجعت البحوث في تجربة المسرح المصري نهائيًّا في العام 2010.

انقراض المسرح الخاص؟

لذا: يُشار إلى تجربة المسرح الخاصّ كما لو أنّ تجربة المسرح هذا ليست إشارة فقط. بل

شيء عضوي. «لسه في أمل» على الرّغم من كلّ شيء. مسرحيّة الكاتب **حمدي نوّار** بإخراج **عصام سعد** (2010). الحياة المعاصرة في **مصر** عبر لوحات منفصلة ومتّصلة في آن. لوحة عن **القدس** وأخرى عن الفساد واحتكار الحكّام للسلطة وثالثة عن التوريث ورابعة عن زواج المال والسلطة والبطالة والفقر والقهر والمعتقلات. ثمّة تلازم بين المسرح وحرّيّة التعبير. وقفت الرقابة في وجه التلازم هذا. بيّن **العام** 2010 هذا. برهن **العام** 2010 على هذا. يتحرّك الممثّلون ولا يتحرّك المسرح. هذه قضيّة نقاش غير عابر. نقاش مستفيض. وقفت الرقابة في وجه ارتباط المسرح بالتعبير. للرقابة مونولوغها الخاصّ بها. لعبت الرقابة ولا تزال أدوارًا معوقة على صعيد بلورة كتابة نصّ إبداعي حرّ. لعبت دورًا معوقًا على صعيد بلورة حضور المسرحي في نصّيه: الأدبي والبصري. حال البولفار كحال الفودفيل كحال المسارح الواقعيّة كحال المسارح السورياليّة والتغريبيّة.

يتخوّف كثر، يتخوّف مسرحيّون ونقّاد وكتّاب وممثّلون من انقراض المسرح الخاصّ. يتخوّف الكثيرون من انقراض المسرح بالعامّ، حيث يشكّل التديّن السائد والظروف الاجتماعيّة الصعبة ملامح الحياة الشخصيّة المصريّة. كما تشكّلها أغاني الحبّ برنّاتها الخاصّة على الهواتف الخليويّة. ملامح من ملامح تقف في وجه تقدّم التجربة المصريّة. أحد ضحايا الملامح هذه تجربة المسرح الخاصّ الناشط منذ سنوات طويلة في **جمهوريّة مصر العربيّة**. لن تصيب «صحوة ربيع» تجربة المسرح الخاصّ. الأخيرة من فصل واحد. قدّمت على مسرح روابط في القاهرة (نيسان/أبريل2010). وهي مقتبسة من أحد أعمال الكاتب الألماني **فرانك فيدكيند** (له **هرقل** و**بسمارك** و**موسيقى** و**فرنشيسكا**). تدور المشكلة حول ثقافة المراهقين الجنسيّة بما تتضمّنه من كبت وأحاسيس ومحاذير اجتماعيّة. لا يشبع ما تقدّمه الأسرة ومناهج التعليم داخل المدارس حاجة المراهق إلى المعرفة، ما يدفعه إلى سدّ النقص هذا بطرق، لعلّ أكثرها تأثيرًا شلّة الأصدقاء والعلاقات بينهم. فكّك الشباب نصّ الكاتب الألماني وأعادوا بناءه من وجهات نظرهم، بما يتماشى مع عوالمهم وحيواتهم الخاصّة. لا صحوة ربيع إذاً في ما يخصّ تجربة المسرح الخاصّ. إذ تقلّصت أعداد المسرحيّات الخاصّة خلال **العام** 2010 إلى خمس مسرحيّات. يخشى فريق انقراض المسرح الخاصّ، في حين يعرب البعض عن ثقتهم بقدرته على تجاوز ما يمرّ به. أو تجاوز أزمته. يتّفق هؤلاء وهؤلاء على أنّ التجربة تمرّ بأزمة جديدة. يردّون الأزمة إلى الحال الاقتصاديّة الخانقة. ثانيًا: غلاء تذكرة المسرح هذا. ثالثًا: تكلفة المسرح العالية بأجور نجومه وتكاليف بناء معماره واستعراضاته. خمس مسرحيّات يجهد من يريد تذكّر عناوينها لأنّها قليلة العدد، غير ثقيلة الحضور بالمعنى المعياري. «مرسي عايز كرسي» واحدة. «دايرشنو» واحدة ثانية. تعاون فيها **أحمد بدير** مع فريق عمل من **السودان**. يضيف بدير على الأسباب المعوقة تقدّم المسرح الخاصّ الازدحام الشديد في محيط مسارح القاهرة (**أحمد السنهوري** - مسرحيّون يحذّرون من اختفاء المسرح الخاصّ في **العام** 2011 - صحيفة **الشروق الجديدة**). يردّ الممثّل السينمائي المصري المعروف انتعاش القطاع العامّ إلى تدنّي سعر تذكرته. بل رمزيّتها. وجد **أحمد الأبياري** (منتج) أنّ أحوال المسرح الخاصّ أشبه بأحوال الطقس. هبّة ساخنة، هبّة باردة. أعمال المسرح الخاصّ ليست قيّمة. إنّها بحاجة إلى قيمة بحسبه، بطريقة مواربة، إذ يقول: أحد شروط استمرار المسرح هذا أن يخبّئ قيمًا وهدفًا بوجود البسمة الجاذبة للجمهور لمشاهدة العرض أكثر من مرّة «لإخراجه من همومه الحياتيّة. زادت برامج «التوك شو» والمسلسلات من هموم المواطن. لوّنت حياته بالأسود». لا يجد المخرج **سمير العصفوري** تجربة المسرح الخاصّ إلاّ في صفحة الوفيّات «أو الصفحة الخاصّة بالمفقودين». افتقد الرجل سماع وترداد المصطلح هذا طويلاً. أطاحت بأبطال المسرح الخاصّ بطالة مستدامة، في مقابل مسارح مغلقة. يزيد **العصفوري** - على شروط انتكاس المسرح الخاصّ - محو بعض المسارح من خرائط المدينة. انتهى **مسرح سينما الأوبرا**. أغلق **مسرح قصر النيل** و**مسرح مينوش**. أُزيل الأخير بحجّة أنّه يحجب **النيل** عمّن يريد رؤية النيل من منطقة خلف المسرح (قدّم **العصفوري** عليه منذ سنوات مسرحيّة «حزمني يا»). حتى أنّ أبطال المسرح الخاصّ عادوا إلى قواعدهم السينمائيّة والتلفزيونيّة. مثل **محمّد هنيدي** و**هاني رمزي** و**أحمد السقّا** و**يحيى الفخراني** و**نور الشريف** و**حسين فهمي**. كما توقّف **عادل إمام** نفسه عن العمل في المسرح الخاصّ مع فرقة الفنّانين المتّحدين. بقي **محمّد صبحي** وحيدًا في الميدان إلى جانبه **جلال الشرقاوي** و**أحمد الأبياري** فقط. لا تهمّ موضوعات المسرح الخاصّ الجمهور. يجد الناقد المسرحي **أحمد سخسوخ** أنّ المسرح الخاصّ يلفظ أنفاسه الأخيرة.

مسرح أسماء

المسرح الخاصّ أو تجربة المسرح الخاصّ في مصر، مسرح محسوس. غير أنّه مسرح معلّق على مجموعة من الأسماء القادرة على عدم الالتفات إلى الكلفة الماليّة الباهظة للمسرح هذا. لا شيء سوى العامل المادّي. ما يحدّد حضور المسرح هذا هو العامل المادّي وحده. لا منهج ولا مرجعيّة. لا ذكر لأسماء **بريشت** أو **بيسكاتور**. لا كلام على تشكيل الخشبة وبنائها هندسيًّا. أو بناء الخشبة ضدّ الروح الهندسيّة. لا مصادر للمسرح الخاصّ. إنّه ابن نفسه. إنّه والد نفسه. يلد نفسه ولا تلده أمّ. حتى أنّ تسييس تجربة المسرح الخاصّ تجربة على هامش السياسة، لا في قلب السياسة. ذلك أنّ تراجيديا المسرح الخاصّ هي تراجيديا مروره على حافّات السياسة لا في قلبها. نهفات ولطشات ورقصات ونجوم ونجمات. لا أكثر، لا أقلّ. آخر ما وصل بيروت من المسرح الخاصّ «عفيفي صار فيفي». تقرأ المسرحيّة من عنوانها. يكفي المسرحيّة عنوانها واسم بطلها الأوحد **محمّد نجم**. تُحيط به مجموعة من الأسماء المكمّلة حضوره فوق خشبة متهافتة. تتهافت تجارب المسرح الخاصّ على رضى الجمهور، على سرور الجمهور، على سعادته بما يراه من نجوم وألعاب خفّة وبهلوانيّات كلاميّة. عرض المسرح الخاصّ أشبه بالعرض الشامل. أداء، رقص وغناء. رقصات فرديّة ورقصات مجاميع. غناء فردي وغناء جماعي. أداء فردي، بلا أداءات جماعيّة. استعراضات قوى على متن النهفات. النهفة أداة أولى في المسرح الخاصّ. واحدة من أبرز عروض المسرح الخاصّ «شارع محمّد علي». لن يذكر أحد اسم القائم على عمليّات الإخراج فيها. حيث يقع الإخراج (التموضع أكثر) في خلفيّة اللّعبة المسرحيّة. لن يصمد أيّ مخرج أمام أسماء جماهيريّة كبرى: **فريد شوقي** و**شريهان** و**المنتصر بالله** و**وحيد سيف**. نجوم بمواصفات خاصّة. **فريد شوقي** شخصيّة دراميّة. **شريهان** شخصيّة تحيط بكلّ جوانب الأداء المسرحي في المسرح الخاصّ: تمثيل وغناء ورقص واستعراض وألعاب تقابل بينها وبين **فريد شوقي**. وحش الشاشة أمام غنّوجة المسرح والإذاعة والتلفزيون. يحيط بهما نجمان كوميديّان من عيار **المنتصر بالله** و**وحيد سيف**. عدّة كاملة. لا ينقص العدّة هذه إلاّ بناء العلاقة بين المسرح والصالة. وهي شبه جاهزة، حتى قبل رفع الستارة عن «شارع محمّد علي». لا احتفال ولا طقسيّة ولا تغريب ولا واقعيّة كما هي واقعيّة الواقع. لن تقتل **أجستوس** الملك **أغاممنون**. لن يظهر كورس. ولن تظهر **أجستوس** أمام الكورس لكي تبرّر قتلها للملك **إغاممنون**. لا

يتحرّك الممثّلون ولا يتحرّك المسرح في مصر. ويبرهن العام 2010 وقوف الرقابة في وجه التلازم بين المسرح وحرّيّة التعبير. إذ لعبت الرقابة ولا تزال أدوارًا معوقة على صعيد بلورة كتابة نصّ إبداعي حرّ، وعلى صعيد بلورة حضور المسرحيّ في نصّيه: الأدبي والبصري.

تقلّصت خلال العام 2010 أعداد المسرحيّات الخاصّة إلى خمس مسرحيّات. ويخشى فريق انقراض المسرح الخاصّ، في حين يعرب البعض عن ثقته بقدرته على تجاوز ما يمرّ به.

استعمال ميكانا (تقنيّة)، كما حدث في أكثر المسرحيّات اليونانيّة. إنّها أشبه بالرافعة. استخدمت لرفع الأرباب وإنزالهم. لا شيء من هذا. لا شيء سوى مناظر عاديّة. لا شيء سوى تغيير المناظر بمناظر أخرى. المهمّ أن يدخل الجمهور إلى قصر البطل. أن يدخل إلى قصور الأبطال فوق المنصّة بدون أن يطأ المنصّة. لأنّ المنصّة أعلى من الصالة. وسوف تبقى أعلى. قد يجدر هنا تمييز مسرحيّات **محمّد صبحي**. ذلك أنّ الأخير اشتغل في فترة أو كاد يتخصّص بتقديم الشكسبيريّات إلى الجمهور المصري أو إلى من يرغب بمعرفة **شكسبير** من الجمهور المصري. لم يلبث الرجل أن ترك شكسبير إلى حكايات أكثر عاديّة وأكثر إلحاحًا على الحضور في حياة المواطن المصري. تقدّم المسرحيّة الواقع - في تجربة المسرح الخاصّ - جزءًا من الواقع على أنّه الواقع كلّه. بقي المسرح الخاصّ مسرحًا مغلقًا على أيّ إشارة أو هاجس أو اقتراح. تراجع المسرح هذا - بغض النظر عن مراوحته على مائدته بأصنافها المتكرّرة - إلى نوع معيّن من المسرح يقوم على التبادل اللّفظي. تراجع حتى خسر جمهوره. بحيث لم يعد أحد من كبار نجوم المسرح الخاصّ قادرًا على عرض مسرحيّة أكثر من يوم في الأسبوع، أو أكثر من يومين في أبعد الاحتمالات. هذه حال **عادل إمام** و**محمّد صبحي** و**سمير غانم**. شابهت «بادي غارد» في ذلك «وطن للجنون» و«أكثر بياضًا».

صحوة ربيع في ما يخصّ تجربة المسرح الخاصّ. إذ تقلّصت أعداد المسرحيّات الخاصّة في مصر خلال العام 2010 إلى خمس مسرحيّات.

لا يقدّم المسرح الخاصّ نموذجًا اجتماعيًّا. لذا: انقرضت عروضه أو تكاد. لذا: انتهت مظاهره أو تكاد. واحدة من المظاهر هذه مسرح الصيف. أو مسرح المصطافين الخليجيّين. أدرك المسرح المصطاف الخليجي بكلّ الموضوعات الموضوعة بين قوسين. بقي في نصّ الشخصيّات من دون أن تبقى الشخصيّات في النصّ. مسرح مونولوجات وديالوغات أو أحاديث مطوّلة في مطرح مقطوع عن المسرح. يقوم المسرح الخاصّ على خطّ وهمي بين الممثّل والمتفرّج. لحظ الكثيرون أنّ الأدوات هذه أضحت بلا جدوى، لأنّها تترجم حاجة الآخر إليها لا حاجة صاحب النصّ المسرحي (ككلّ) ولا حاجة الواقع العادي إلى الواقع المرمّز.

يغالي النجوم في تحديد سقف أجورهم في المسرح الخاصّ. هذا أوّلاً. ثانيًا: ارتفعت أسعار الإعلان في الإذاعة والتلفزيون. كما ارتفعت أسعار البانوهات الترويجيّة على الطرقات العامّة. ثالثًا: سوء الحال الاقتصاديّة العامّة. رابعًا: سوء الحال السياسيّة وتشديد الرقابة حضورها في ما يخصّ النصوص الخاصّة الميّالة إلى حرّيّة واسعة في تناول الموضوعات المحلّيّة. خامسًا: الاختناق السياسي العامّ. أو تراجع الديموقراطيّة بحيث أضحت شبح ديموقراطيّة أو وهم ديموقراطيّة. انهارت كلّ النظريّات السياسيّة في اكتساح الحزب الحاكم الانتخابات الأخيرة في **مصر**.

تجربة المسرح الخاصّ تجربة استثماريّة بالدرجة الأولى. ثم تجربة فنّيّة. أو تجربة ثقافيّة في الجانب الثالث. تجربة المسرح الخاصّ تجربة سليقة. هكذا أضحت بحضور فقّاعات الأحوال الظرفيّة عليها. فقّاعات لا أصول في غياب الأصول. وفي ظلّ غياب العوائد في الاستثمار في المسرح الخاصّ، تراجع السعي إلى النتاجات كبيرة أو متوسّطة الحجم، ما أسقط صناعة المسرح الخاصّ سوى في محاولات قليلة مع **محمّد صبحي** بالتعاون مع اتّحاد الإذاعة والتلفزيون. إنتاج ستّ مسرحيّات في آن. تغلّب صبحي بذلك على مشكلة الإنتاج من دون التفاتات والتفافات برّاقة في عالم منخفض العوائد.

فقدان أمور

أحدثت العمليّة اختلالاً أكيدًا في عقد أمور على أمور. لا أمور في غياب الأمور. فقدت تجربة المسرح الخاصّ أمورها، إلاّ مع محمّد صبحي وجلال الشرقاوي. وقعت التجربة في قبضة ازدهار الفساد والشخصانيّة والمحسوبيّات وغياب الديموقراطيّة وموت الحياة الاجتماعيّة. انعكس ذلك حكمًا على تجربة القطاع العامّ. ساء كلّ شيء تقريبًا. خسرت مصر ريادتها وتجاربها الطليعيّة. حيث قدّمت **مصر** أسماء وتجارب لامعة في القطاعين الخاصّ والعامّ. مسرح القطاع العامّ مرفق من مرافق الدولة. لم يحقّق الأخير حال انسجامه مع تاريخه. تراجع بدوره. لم يحدّد الهدف في مسيرته، بما يؤدّي إلى تميّزه ونجاحه. توصّل المسرح هذا إلى كتابة تشريعاته في المراحل الماضية. غير أنّه أهملها في ما بعد. لم يستفد منها. شكّل قاعدة صلبة للحركة المسرحيّة. ثم تخلّى عنها. لم يولِ الورش المسرحيّة وحلقات النقاش والعمل الجماعي والمختبرات اهتمامًا مستمرًّا ومستثمرًا. لم تجد الحركة المسرحيّة هذه مناخات خصبة بالمستطاع الاستفادة منها. قدّمت إضاءات نوعيّة. بعدها. انتهى الأمر. لم ينس أحد تجارب المخرج **كرم مطاوع** ولا **جلال الشرقاوي** ولا **سميحة أيّوب** ولا **عبد الرحمن أبو زهرة** ولا **عزّت العلايلي** ولا الآخرين. لم ينسَ أحد تجارب **محمود الألفي** و**هاني مطاوع** و**أحمد عبد الحليم** و**فهمي الخولي** و**سهير المرشدي** وغيرهم. قدّموا ما أبهر الآخرين منذ أعوام بعيدة. وفّرت لهم البيئة السياسيّة والاجتماعيّة والثقافيّة والاقتصاديّة أفضل الظروف. وجدوا أنّ ثقافة الآخر من ثقافتهم. وأنّ ثقافتهم هي ثقافة الآخر. انفتحوا على العالم هنا. غدا حضورهم واضحًا من استلهامهم قوى الآخرين وتجاربهم. استعاضوا عن ضعف الداخل بقوّة الخارج تحت فكرة أنّ الثقافة كونيّة. ليست ملكًا لأحد. تلك مرحلة أفكار وثورات وانتفاضات وأبحاث وتجارب وأسماء وحراك واسع في كلّ الصعد. تقنيّات حديثة ومواضيع ذات خلفيّات فكريّة راسخة. قراءات إخراجيّة. سينوغرافيا جديدة. حالات انسجام بين الرؤى البصريّة والأهداف العليا للنصوص. بلورة معطيات وجهود من دون إغفال شيء. وصلت أصداء أعمالهم إلى العالم العربي والعالم. كلّ مسرحيّة حدث. وكلّ حدث بصداه. يطوف الصدى البلاد ويتخطّاها إلى البلدان المجاورة والبلدان البعيدة والبلدان الأبعد. كلّ مسرحيّة منصّة إثارة جدل وأعمال فكر ومناقشة. انتهى كلّ ذلك أو كاد. اختفت التجارب الجماعيّة. اشتعلت تجربة فرقة الورشة في **مصر**. هذا مثال. انطفأت سريعًا. استمرار المثال حاجة. انطفأت بسبب الشحّ الاقتصادي وتداخل المعطى الاقتصادي بالمعطى السياسي. دخلت السفارات على خطّ الإنتاجات السياسيّة والفرق المصريّة. أسّس **حسن غريتلي فرقة الورشة المسرحيّة**. **غريتلي** مسرحي موهوب. مسرحي محسوب. بدأت تجربته بأبحاث على النصوص المملوكيّة ونصوص **ألفريد جاري**. تحوّلت تجربته مع إسهامات بعض السفارات وصناديق التعاضد إلى دلتا النيل. إذ راح يبحث هناك عن آخر المخايلين (محرّكو خيال الظلّ) والكراكوزاتيّة والعيواظيّة والفنون الشعبيّة القديمة. من التحطيب (الرقص بالعصا) إلى طقوس القرى. من الدراما إلى السرد. من القرن العشرين إلى القرون القديمة. من شكل إلى شكل. من المسرح إلى اللامسرح. من الحقبة البصريّة إلى الذهان الحسّي. خفّضت فائدة المسرح العامّ أمام إنفاق حكومي متعاظم. أشبه الأعمال الغريزيّة في القطاع العامّ بالموجات الارتداديّة الكبرى. ليست الموجات هذه أفعالاً بل ردود أفعال.

تجربة المسرح الخاصّ تجربة سليقة. هكذا أضحت بحضور فقّاعات الأحوال الظرفيّة عليها. تراجع السعي إلى النتاجات كبيرة أو متوسّطة الحجم، ما أسقط صناعة المسرح الخاصّ سوى في محاولات قليلة مع محمّد صبحي بالتعاون مع اتّحاد الإذاعة والتلفزيون.

مهرجانات المناصب

باتت تجربة القطاع العامّ تتغذّى بالقهوة البائتة والفاست فود. فوضى. جسد مريض. جسد ميت. لا ينفكّ يحقن بحقن كبيرة مملوءة بالهواء القاتل. لا استراتيجيّات هنا. بل استدعاءات لكلّ ما هو موجود على الساح المسرحيّة



وزرابته في المهرجانات المتتالية. تواتر مهرجانات. مهرجانات ـ متواترة. مهرجانات متوتّرة. مهرجان المسرح التجريبي أوّلاً. ثم: مهرجان الضحك. ثم: لقاء الشباب. ثم: مهرجان الأقاليم. ثم: مهرجان النوادي. ثم، المهرجان القومي للمسرح. ولولا العيب والحياء لبانت لائحة المهرجانات مكتظّة بمهرجانات جديدة. مهرجان الدنيا، مهرجان الآخرة، مهرجان اللّيل والقنديل، مهرجان الكازوزة، مهرجان أمّ علي، مهرجان الإقامة، مهرجان الشتات. لا دراسة فعليّة للحاجات الأوّليّة في المهرجانات هذه. لا تشخيص متشابهات. ولا انتقال إلى مستويات أعلى. لا بحث في الدقائق والتفاصيل من أجل الحصول على معارف أعمق. هي مهرجانات المناصب. ثمّة قائد واحد لها. وزير الثقافة أوّلاً. ثم المشرف على البيت الفنّي للمسرح د. **أشرف زكي**. لم ينجز الرجل شيئًا، سوى دفاعه عن النظام في النقابة. يمثّل نظام النقابة. نظام الدولة. ثم إنّه وجد في وسط تظاهرة مؤيّدة للرئيس السابق **حسني مبارك**، في وقت انصبّ فيه الشعب المصري على المطالبة برحيل رأس النظام. لا مبالغة في ذلك. لا مبالغة إلاّ في عدد المهرجانات وفي أسماء المهرجانات. مهرجان الضحك كمهرجان السعادة في **لبنان**. أطلقت الأخير **جوزيان بولس**. مهرجان المسرح الفقير. طرح اللّقاء الأوّل لمسرح الشباب شعار: نحو مسرح فقير. شباب يعودون عشرات السنوات إلى الوراء. بدل أن يتقدّم الشباب، يتراجعون. يعودون إلى زمن **جرزي غروتوفسكي**. طرح المسرحي البولوني المسرح الفقير كأحد الحلول الجماليّة الروحيّة. المسرح الفقير هو مسرح كهنة المسرح. مسرح الممثّل الكاهن. لا المسرح بالإنتاج المادّي المحدود. ثم إنّ معظم فرق اللّقاء الأوّل لمسرح الشباب وُجدت في المهرجان القومي للمسرح. لوحظت أسماء متكرّرة هنا. الأبرز المخرج **محمّد الهجرسي** (مسرحيّة رقصة العقارب) تأليف د. **محمود أبو دومة**. المخرج **حسن محمود** (هاملت). المخرج **حسين إسماعيل** (آخر المطاف) تأليف **مؤمن عبده**. المخرج **محمّد عبد الفتّاح** ـ كلابالا (عروسة). المخرج **مصطفى مراد** (هذه ليلتي). المخرج أحمد عبد الجواد (غاليري). المخرج **محمّد فؤاد** (الوضع صامتًا). المخرج **السعيد منسي** (أهل الكهف). المخرج **أحمد عبد المنعم** (الحيلة) تأليف **أريزا كاوندا**. المخرج **السعيد قابيل** (العودة) تأليف **بيتر هاندكة** (كاسبار). المخرجان **السعيد قابيل** و**السعيد منسي**. ومخرجون ذهبوا في أغلبهم إلى كتابة نصوصهم أو إعداد نصوص عالميّة (في حال عدم ذكر كاتب النصّ يعني أنّ مخرج العرض هو كاتبه أو معدّه عن نصّ عالمي مشهور). مسرحيّات **غروتوفسكي** مختبرات. مسرحيّات اللّقاء الأوّل لمسرح الشابّ مسرحيّات ناجزة، منظورة، وجدت حضورها في المهرجان القومي. لن يستوي الصنفان في دكّة واحدة أو فوق رفّ واحد. لن يستوي أحد مع **غروتوفسكي** أوّلاً. وثانيًا: في مقابلة أهداف مسرح **غروتوفسكي** وأهداف اللّقاء الأوّل لمسرح الشباب: نحو مسرح فقير. تيتر **غروتوفسكي** بلا منهجه، بلا حيويّته، بلا جسده، بلا غرائزه الجسديّة، بلا ذكائه، بلا عيونه، بلا قلبه. إنّ ما حدث في **مصر** في مهرجان الشباب (مسرح فقير تكرارًا)، حدث من دون فهم معرفي ومن دون اقتراب من الممارسة العملانيّة **لغروتوفسكي** في مسرحه الفقير. الروحانيّات لدى المسرحي الكبير في مقابل «عروض جريئة تعتمد على إنتاج قليل التكاليف ربّما يمنح الإبداع مساحة أكبر بعيدًا من الميزانسانات الضخمة». من الميزانسينات إلى الميزانيّات. فرق أحرف. بل سفر فوق نقاط مهمّة إلى تسخيف تجربة المسرح الفقير وتسذيجها. أهداف اللّقاء: منح الشاب فرصته. ثانيًا: خلق تظاهرة مسرحيّة. ثالثًا: تقديم جيل جديد من النقّاد الشباب من خلال منحهم فرصة متابعة عروض اللّقاء والكتابة عنها من خلال النشرة اليوميّة والمشاركة في الندوات النقديّة. رابعًا: إلقاء الضوء على العروض «من خلال دعوة وسائل الإعلام المرئيّة والمقروءة ما يمنح المشاركين فرصة تأكيد تواجدهم على خريطة المسرح المصري». خامسًا: إقامة مسابقة تنافسيّة بين العروض المشاركة على مدى عشرة أيّام في شهر أيّار من **العام** 2010. خطّة أقلّ من تقليديّة في زمن المسرح المصري الصعب. يسود كلّ ما هو سائد. كلّ ما هو سائد يسود.

مسرح القطاع العامّ لم يعد يحقّق انسجامه مع تاريخه. تراجع بدوره. اختفت التجارب الجماعيّة. واشتعلت تجربة فرقة الورشة في مصر، ثم انطفأت سريعًا بسبب الشحّ الاقتصادي وتداخل المعطى الاقتصادي بالمعطى السياسي. دخلت السفارات على خطّ الإنتاجات السياسيّة والفرق المصريّة.

عشرات العروض المسرحيّة في مهرجانات متتالية في غياب البنى الموضوعيّة. يهدم مسرح ويلغى مسارح وتحوّل مسارح إلى أبنية مدنيّة في مصر. وتحترق مسارح بمن فيها. لن يزيد عدد المسارح في **القاهرة** على نحو 35 مسرحاً في العاصمة المصريّة المحتشدة بأكثر من 12 مليون مواطن. بواقع مسرح لكلّ 340 ألف مواطن. يُضاء أكثر من أربعمائة مسرح في **فيينا** طوال العام، في حين أنّ عدد سكّانها لا يتجاوز المليوني نسمة. ثمّة ما يقارب الخمسين بناءً مسرحيًّا في قرى أوروبيّة يسكنها خمسون ألف مواطن. بواقع مسرح لكلّ ألف شخص. هذه ليست فروق بناء. هذه فروق ثقافة كاملة. لأنّ المسرح غير موجود في ثقافة العرب، كما هو موجود في ثقافة الأوروبيّين والأميركيّين. وصل العرب ـ بهذا المعنى ـ إلى المسرح في نهاية المطاف. يثبت المسرحي كضفّة النهر في حين يبدو «الناقد» كماء النهر السارد. من الواضح أنّ المثال هذا في غاية السذاجة. إلاّ أنّه واقعي. حيث إنّ المهمّ هو تحديد الضفاف في خلق العلاقة المشتركة بين الناقد والمسرحي. يتحدّث أحدهم عن قوّة المسرح في مهرجان من المهرجانات على كرة القدم. انتصار المسرح على كرة القدم على الرّغم من توقّعات المنجّمين (**مجد الحماصي** على مدوّنته من دون ذكر المصدر الأساسي). الخطير، أن لا خصوصيّة في الكلام على المسرح. يشبه المسرح أيّ شيء ـ في القاعة المسرحيّة ـ إلاّ المسرح. إنّه أشبه بعربة معطّلة أو باخرة بعافية كاملة أو بجمل جديد أو بحمار ذكي. بيد أنّه لا يشبه المسرح. لن يرجع الكاتب نفسه إلى المجال الواسع للفنون. لن يرجع الكاتب نفسه إلى المجال الواسع للمسرح. مقالة ردّ فعل مباغت، حيث يقفز من وضعيّة إلى وضعيّة. سوف يجد **عمر دوارة** (وكالة أخبار مصر) أنّ وصول المهرجان القومي للمسرح المصري إلى دورته الخامسة بانتظام ما هو إلاّ التأكيد القطعي على استمراريّة الدور المسرحي الريادي لمصر. وتمتّعها ـ وحدها ـ بتحقيق تكامل عناصر الظاهرة المسرحيّة. «قد تنجح بعض الدول العربيّة الشقيقة في تقديم عروض مسرحيّة بأرقى مستوى فكري وأعلى مستوى فنّي وتقني. غير أنّ مصر تبقى بجمهورها المسرحي الكبير ـ هي وحدها ـ القادرة على تنظيم مهرجان كبير يضمّ العدد الكبير، خصوصاً أنّ كلّ عرض من العروض هذه ـ طبقًا للائحة ـ سبق تقديمه ـ في المتوسّط ـ لمدّة لا تقلّ عن ثلاثين ليلة». هذا الكلام رجوع إلى تصوّرات شخصيّة. هذا الكلام لا علاقة له بالنقد الوضعي. أو النقد الجوهري. يكفي المسرحيّة أن تلعب على مدى ثلاثين يومًا حتى تجد مطرحها في المهرجان القومي للمسرح في دورة من دوراته. عدّ الناقد دورة المهرجان الخامسة دورة التأكيد على ريادة الدور المسرحي لمصر. لا يأخذ عمرو دوّارة بنية المسرح. يتكوّن الخطّ هنا من تبسيط الرؤية لا من بساطة الرؤية. المشي هو إبداع بحسابات الكتابة هنا. لا فائدة من دراسة العرض ولا من امتلاء أكثر المسرحيّين المصريّين بالغضب من جرّاء ما وصلت إليه التجربة المسرحيّة المصريّة.

لم تتراجع مرتبة المسرح المصري حين تتالت دورات **مهرجان دمشق المسرحي** على مدى سنوات طويلة. لم تتراجع مرتبة المسرح المصري حين تتالت دورات **مهرجان قرطاج المسرحي** على مدى سنوات طويلة. لا علاقة لهذا بذاك. لا بأس في إشارة الناقد إلى أهمّيّة المأسسة في تجربة المسرح. أن يدعو إلى مأسسة التجربة. غير أنّ أحدًا لا يفهم إصراره على وضع

يبلغ عدد المسارح في القاهرة نحو 35 مسرحاً في العاصمة المصريّة المحتشدة بأكثر من 12 مليون مواطن بواقع مسرح لكلّ 340 ألف مواطن. فيما يُضاء أكثر من أربعمائة مسرح في فيينا طوال العام، في حين أنّ عدد سكّانها لا يتجاوز المليوني نسمة. ثمّة ما يقارب الخمسين بناءً مسرحيًّا في قرى أوروبيّة يسكنها خمسون ألف مواطن. بواقع مسرح لكلّ ألف شخص. هذه ليست فروق بناء. هذه فروق ثقافة كاملة.

مصـر في المرتبـة الأولى، في مرتبـة الريـادة لأنّ أحـد مهرجاناتهـا نجـح في الوصـول إلى دورته الخامسـة بلا توقّـف. مهرجان محترفين وهـواة. لا علاقـة للإبـداع بالدوران. «يعيشـوا شكسـبير» **لمحمّـد إدريسـ التونسي** بحجم عروض مهرجانين متتاليـين. أبحاث **الفاضل الجعايبي** في «خمسـون» بحجم عروض ثلاثة مهرجانـات. تجربة **روجيـه عسّاف** في «دوّار الشمس» بحجم خمسة مهرجانات متتالية. ليس من دواعي الصـدف أن تتدهور أصـول النقد في العالم العربـي. أحوال النقـد في **لبنان** و**تونس** و**المغـرب** و**الجزائر** و**العـراق**، أحواله ليسـت أفضـل حـالاً من أحـوال النقـد في **مصر**. طالما أنّ التهافت أصاب النقّاد والنقد العربي من أوّل **العـالم العربي** إلى آخره. أمـات النقّاد الكلام علـى التكنيـكات المختلفـة للأفعـال الناقصـة والناجـزة في تجربـة المسرح العربـي. يبدو أنّ العمـود الفقـري للنقـد والنقّـاد ارتبـط بدوران الطاقـة. عندهـم: الحركـة حياة. مجـرّد الحركة حيـاة. الاسـتمرار حيـاة. بؤس لا زيـادة عليه. يؤكّـد الناقـد أنّ «حرصـ» جميـع المسرحيّين (بالأخصّ أعضـاء فرق الهـواة المختلفة) على الاشـتراك بالمهرجـان القومي خير شـاهد على نجـاح دوراتـه المتعاقبة. يؤكّد الناقـد أنّ قيمة الجائـزة لا علاقـة لهـا باندفـاع الهـواة إلى المشـاركة. لا قيمة للجائزة أساسًا. خمسة آلاف جنيـه مصـري. أي أقلّ من ألـف دولار أميركي. تصـل بعضـ ميزانيّـات إنتـاج مسرحيّات في دولـة **الكويت** إلى مئات آلاف الدولارات. تصـل بعضـ ميزانيّات إنتـاج مسرحيّـات في **لبنان** إلى مئـات آلاف الـدولارات. يشـير «الناقد» إلى اختفـاء تجربة المسـرح الخاصّ عن المشـاركة في المهرجـان. شـارك **أحمد الأبياري** قبلاً في «دوري مـي فاصـوليا»، فرقـة شـباب مسـرح الفنّان بـ «تـاجر البندقيّة». لم تشـارك من الفرق الخاصّة في دورة **العام** 2010 إلاّ فرقة «روانا» للإنتـاج الفنّـي بعرضـ «وطن الجنـون» و«هو عرض متميّز» (لا يشـير إلى مـا يميّزه) لا يدرج تحت مسـمّى العروضـ التجاريّة (لا يشـير إلى ما دفعه إلى الابتعاد عن الاندراج تحت مسـمّى العروضـ التجاريّـة). إنّه «عرض جيّد ويتّسـم بالتجريـب ويقوم في إطار اسـتعراض غنائي» (لا يشـير إلى عناصـر التجريـب فيـه. ولا إلى معجـزة بنـاء عرض تجريبي يقـوم على الغناء والرقصـ، قياسًـا إلى العروض الاستعراضـيّة الغنائيّـة في **العـالم العربي** مـن أدنـاه إلى أقصـاه. يقدّمـه هـواة. يلسـع غيـاب «نجـوم المسـرح» كاتـب المقالة. يتمنّـى أن لا يسـتمرّ غيابهم عن فاعليّات المهرجان. لن نفهم سـبب اهتمـام «الناقـد» «بغيـاب نجوم المسـرح» إلاّ بعد تعداده أسـماء من يعتبرهـم نجومًا: **عايدة عبد العزيز**، **عـزّت العلايلي**، **حسين فهمي**. اقتصرت مشاركة النجوم في دورة **العام** 2010 علـى **سمير صبري** و**دوللـي شاهين** و**سامح يسري** و**غـادة إبراهيم**. يعطف ذكر الأسـماء على اعترافه بأنّ هؤلاء ليسوا من نجوم المسرح المصـري بدرجـة أولى. في الحالـين: مـن جاء الرجـل على ذكرهم يعملـون في التلفزيون أكثر بكثـير من عملهم في المسرح. في الحالين نجوم السـينما هم نجوم المسرح. تسمية بشكل مجرّد. لن يبحـث الناقد عـن المهارة والمهـارة الأقلّ. المحدوديّـة مشـتركة في التسـميتين. التسـمية الأولى والتسـمية الثانية. سـباحة في الفوضى العارمـة. جمـع شـمل الأخوة السـينمائيّين في الرغبـة بحضـورهم في مهرجانـات المسـرح كنجوم سينمائيّين يستعملون المسرح كغرض، كأداة من دون توجّهات، إلاّ الظهور على الخشبة المسرحيّة كنجوم ناجزي الحضور في السينما.

فـرز

لن يضـع الناقد المسرحيّة خلف المسرحيّة في صـورة خـطّ طويـل أشـبه بخـطّ طويل من للنمـل. يظهر المسرح أمامـه كأفعى رفيعة في حـال حركة. لا يجنّد المسرحي طبيعته الكاملة أمام المسـار المسرحي. حال لا حـلّ لـه. لأنّ لا حـلّ في أذهـان المسرحيّين ولا أذهـان النقّاد.

ثمّـة جانـب وحيـد في الأحـوال كافّـة. جانب ذاتي. جانب الاسترزاق من المسرح. الاسترزاق المـادّي والاسـترزاق المعنوي. لا قـدرة كامنة لدى مسرحي أو ناقد. الشـيء بالشـيء. الشـيء في الشـيء. الشيء للشـيء. الشـيء من الشيء. المسرح علبـة مغلقـة. لـذا: تتكـرّر الأسـماء والعناوين وتعلـو الابتهالات. يبتهـل «الناقد» للـربّ بـأن يعيـد السـينمائي إلى المهرجـان المسرحـي، لا أن يعيـد المسرحـي إلى صـوابه. حيث يشكّل حضوره عامل جذب للجمهور. حيث يشكّل حضوره عامل إثراء للمهرجان وللحركة المسرحيّة. يشـير الناقد إلى ذلك من دون شرح أو تفسير. قال كلمة ومضى. قال كلمته، بعد أن فرز بـين أجيال: جيـل الروّاد والجيل الوسـطي وجيل الشـبـاب. صراع أجيال. بدل لقاء أجيال. **محمود الألفي** من جيل الـروّاد. **عاصم رأفت** و**ناصر عبد المنعم** و**سعيد سليمان** من الجيل الوسطي. شارك الشباب بكثافة. شباب **جامعة عين شمس** شاركوا في «الليلة ماكبث». شاركت مجموعة عمل «ياسـين» (إنتاج **الهيئة العامّة لقصور الثقافة**) ومجموعة عمـل «نلتقي بعد الفاصـل» (إنتاج **البيت الفنّي للمسرح - فرقة الطليعة**». سـجّادة من العروض الشبابيّة: ظلّ الحمار، وطن الجنون، الجيل، الأميرة الصـلعاء، هـاملتهـنّ، القصّـة المزدوجة للدكتـور **بالمي**، عجايب، لسّه في أمل، أديب وشفيقة، الشطّار.

يربـح الكلّ في المهرجانـات المحلّيّة. حيث تحـوز كلّ مسرحيّـة جائـزة. جائـزة الإخـراج للمسرحيّـة كذا. جائـزة النصّ للمسرحيّة كذا. جائـزة الإضـاءة للمسرحيّـة كـذا. جائـزة كذا لكذا. من حضر السـوق - بحسـب المثل الشـعبي اللّبنـانـي - بـاع واشـترى. لم تخرج مسرحيّة ولم يخـرج مسرحيّ خـالي الوفاضـ في **مهرجان المسـرح القومـي**. جائـزة تقديـر لـكلّ مـن مجموعـة «اللّيلة ماكبث» ومجموعة «ياسـين» و«نلتقي بعد الفاصـل». جائـزة أفضـل إضـاءة لإبراهيـم الفـرن عـن عرضـ «الجيـل». جائـزة أفضـل أزياء مناصفة بين مروة عودة عن «ظلّ الحمـار» و**فايـزة نوّار** عـن «وطـن الجنون». جائزة أفضل ديكور خُصّصت للدكتور **صبحي السيّد** عن عرض «فـاوست والأميرة الصلعاء». جائـزة أفضـل اسـتعراض لضـياء شـفيق عن عرض «وطن الجنون». جائزة أفضـل موسيقى لشريـف الوسـيمي عـن عرضـ «نلتقـي بعـد الفاصـل». فـازت **أمـيرة عبد الرحمن** بجائزة أفضـل ممثّلة صـاعدة عن دورها في مسرحيّة «هـاملـتن». فـاز **حمزة العلي** بجائزة أفضـل ممثّـل عنه دوره في «ظـلّ الحمار» بالتسـاوي مع **تامر الكاشف** عن دوره في عرض «القصّـة المزدوجـة للدكتور بالمـي». حازت **سمر علاّم** جائـزة أفضـل دور ثانٍ عن عرضـ «عجايب». فـاز **مجدي فكري** بجائزة أفضـل دور ثانٍ عن «لسّه في أمل». فـازت بجائزة أفضل دور **عايدة فهمي** عن «أديب وشفيقة» بالتساوي مع **يسرا كرم** عـن «القصّـة المزدوجة للدكتـور بالمي». حصـل **سامي مغاوري** على جائزة أفضل دور عن عرض «الشـطّار». حـاز **إسلام إمام** جائزة أفضـل مخرج صـاعد عن عرض «ظلّ الحمار» بالتسـاوي مـع **سامح بيسوني** عن «فاوسـت والأميرة الصـلعاء». كما حصل عرض «القصّة المزدوجـة للدكتور بالمي» على جائزة أفضـل إخراج وعرض مسرحي، فاز بها **محمّد صفوت**. وحـاز **أحمد عبد الرزّاق** أفضـل جائزة مؤلّف صـاعد عن نصّـه «نلتقي بعد الفاصل». منحت لجنـة التحكيـم جائـزة أفضـل نصّ مسرحي مناصـفة بـين د. **نبيل خلف** عن عرض «وطن الجنـون» و**عاطـف النمر** عن عرضـ عجايب. جائـزة لـكلّ مسرحيّـة. جائـزة لعمـل معقول. جائـزة لعمل مقبـول. جائزة لعمل تحضـيري. أو مـا اعتبرتـه اللّجنة عملاً تحضـيريًّا. جائزة لأمـر ثانـوي وآخر جوهـري. جائزة مـن أجل القيام بتجربـة متقدّمة علـى التجربة المقدّمة في المهرجان المسرحي. جائزة الخطوة الأولى. جائزة الخطوة الأخيرة. ليست هذه جوائز. هذه سياسـة لجان في مهرجـان. هكذا تسـقط روح التنامـي والحرّيّة والتطوير والجرأة في صـالح

لم تخرج مسرحيّة ولم يخرج مسرحيّ خـالي الوفاض في مهرجان المسرح القومـي. جـائـزة تقدير لكـلّ مـن مجموعـة «اللّيلـة ماكبـث» ومجموعـة «ياسين» و«نلتقي بعد الفاصل». جائـزة أفضل إضـاءة لإبراهيم الفـرن عـن عرض «الجيـل». جائزة أفضل أزياء مناصفة بين مروة عودة عن «ظلّ الحمار» وفايزة نوّار عن «وطن الجنون»»..إلخ.

البنى الجاهزة. لن يزعج هذا سلطة أو دولة أو هيئة عليا في المسرح. لن يطلب أحد شرح تفاصيل كيفيّة إتمام الأمر. ثمّة زعماء مسرح يمنحون الرعايا المسرحيّين، استعدادهم للقيام بما يلزم. ثم: منحهم القيام بما يلزم. تستولي اللّجنة على جزء واسع من التجربة المسرحيّة بضربة كم، على ما يردّد الناس في بيوتهم وفي أعمالهم. الجائزة يمامة. يخرج المسرحي المتحكّم يمامته من كمّه. يمنح المسرحي يمامته البيضاء للمسرحي الشابّ أو الأكبر سنًّا أو الأكبر بعيدًا من الحالات السويّة. حيث إنّ ما يجري يخلق مشكلة استراتيجيّة. حيث تصبح نماذج النموّ في أزمة. حيث تصبح نماذج الأعمال في أزمة. حيث يفترض المسرحي أنّ عليه نسخ العمل الفائز، لكي يفوز في مهرجان مقبل. هذا ما يسمّى تأليه النموذج.

تطوير محدود

دور **مهرجان القاهرة للمسرح التجريبي** محدود جدًّا على صعيد تطوير الفنّ المسرحي. تطوير قليل ومحدود في أحسن الأحوال. ليس على صعيد الموادّ الجديدة المستخدمة، باعتبار أنّ بعض التغطيات والمقالات ركّزت على تركيز **مهرجان القاهرة للمسرح التجريبي** على التقنيّات الحديثة. لن تطوّر تجربة المسرح أو لن يطوّر المسرح المجرّب بتطويرات مدخلة. حيث إنّ التجريب فنّ لن يقوم في شقّ منظور أو في شقّ منذور. يطلع التجريب من التجريب. يطلع التجريب من ثقافة التجريب. ثم إنّ **مهرجان القاهرة للمسرح التجريبي** هو مهرجان متحف للعديد من العروض الأوروبيّة والأميركيّة. يعتبر المختصّون هنا أنّ أساس المسرح التجريبي في أن يتمّ استدعاء عروض من **فرنسا** و**إنكلترا** و**صربيا** و**الصين** و**كازاخستان**. هذا طرح خيالي. هذا طرح استراتيجيا ميتة ومميتة في آن. ذلك أنّ التكنيكات المستخدمة في تلك العروض لن تؤثّر على المنبع الأساسي لتجربة المسرح في **مصر** أو في **العالم العربي**. ذلك أنّ المسرحي العربي لن يجد تلك العروض في معادلاته المسرحيّة. ثم إنّ المسرح التجريبي هو مسرح دول صناعات متقدّمة. لم يدع المهرجان «أيّام الخيام» **لفرقة الحكواتي**. لم تخترع **فرقة الحكواتي** اللّبنانيّة فنًّا. إذ أعادت اكتشاف الأدوات المستعملة وأعادت استعمالها بحسب الحاجة كوسائل تعبير متقدّمة على كلّ ما سبقها. بلا تعقيدات وبلا فلاسفة وبلا روح فوقيّة أو أسرار أمنيّة على العمليّات المسرحيّة بأساساتها وأقوالها ودراماتها. لن يؤثّر مهرجان المسرح التجريبي على تجربة المسرح العربي بسبب مجموعة من الاعتبارات. **أوّلها**: إنّ معظم العروض هي عروض مقالب. أي أنّها عروض فانتازيّا لا عروض تجريب. **ثانيًا**: إنّ اللّجنة المكلّفة بحراسة عروض المهرجان التجريبي هي لجنة مؤلّفة من أسماء أوروبيّة وأميركيّة. **ثالثًا**: إنّ العروض المستدعاة هي - في معظمها - عروض أوروبيّة وأميركيّة. ثمّة فروق وبونات واسعة بين لجنة عربيّة ولجنة أجنبيّة على صعيد الإبداع واللّجنة الفنّيّة واللّجنة الفكريّة العامّة. ثمّة اختلاف في الأسلوب. ثمّة اختلاف على صعيد المسؤوليّة. ثمّة اختلاف في البحث عن حلول وعن موضوعات تعني وتمتّع وتنعكس في أصول البحث وجذوره على صعيد البناء العامّ. لن يرسم المسرحيّون الأجانب للمسرحيّين العرب مساربهم ومسالكهم إلى تجاربهم الخاصّة.

المسرح الجزائري

شواطئ، بحر، فنون حلقة ومدّاحون وقوّالون وحكواتيّة وأجواء معامل ومصانع. أقام هذا ثقافة الجزائري المسرحيّة منذ نصف قرن بالتقريب. تحكّمت تجربة استلهام التراث بالسحب والمطر في تجربة المسرح الجزائري في تلك الآونة. بنى التراث جزءًا من أسطورة المسرح الجزائري. تراث انفتاح. لا تراث تقوقع. خصوصيّة ثقافيّة. لا خزائن هياكل عظميّة.

تناقل الجزائريّون المادّة جيلاً بعد جيل في تراث ثقافي - شفهي غير مدوّن بمعظمه. لا لإشباع رغبة لدى طرف من طرفيّ العلاقة، الراوي والمتلقّي. بل من أجل حفظ المادّة بحيويّتها في مسلك من الوعي. قاد الوعي إلى التعلّم. شكّل التراث سفر تكوين التجربة الجزائريّة. أحياها. تضاعفت أهمّيّة العمل على التراث بتذكّر أنّ التراث ليس مادّة فقط. بل روح. روح فيّاضة بالحضور الشعبي في بلاد احتلّها الفرنسيّون على مدى عشرات السنوات. فرضوا لغتهم على الناس. ازدوجت اللّغة لدى الجزائريّين. أصبحوا «بي - لينغ». أصحاب لغتين متنافستين. اللّغة ضمير. اللّغة لغة اختلاف. اللّغة وسيلة. اللّغة غاية. اللّغة غايات بحدّ ذاتها، تلعب دورًا رئيسًا في تكوينات الناس وفي أشكال التعبير الخاصّة بها. أؤكّد على ذلك، لأنّ الشغل على التراث انقلب على ذاته بعد سنوات طويلة على حضوره الحيّ في التجربة الجزائريّة. أصبح أشبه بتجربة **عبّاس بن فرناس**. تجربة طيران مؤودة. طار المسرح بالتراث أوّلاً. ثم: سقط في التراث. ذلك أنّ أحد أبرز أنشطة **العام** 2010 في **الجزائر**: الملتقى العلمي المنعقد في **المهرجان الوطني للمسرح المحترف** في **الجزائر** أيّام 29 و2010/5/30، طرح الملتقى «توظيف التراث في المسرح المغاربي». طرائق توظيف التراث في المسرح المغاربي وآليّاته. حضور التراث في المسرح. عرض تجارب المسرح بين التراث والنظريّات المسرحيّة الجديدة. اعتبرت المداخل الثلاثة هذه التراث شخصيّة نموذجيّة. في حين استعملته التجارب السابقة كمعبر إلى تجديد وتطوير التجربة الجزائريّة. تمّت استعادة التراث بحضوره الغنائي الجديد. غيّب التراث كمادّة تراجيديّة بمستطاعها أن تركّب المسرحي المخاطرة بين الأشباح والملائكة والشياطين.

كلّما اشتدّت الأزمة في المسرح العربي، عاد المسرح العربي إلى التراث، هذا شأن المسرح وغير المسرح. هذا شأن المسرح والفنون الأخرى. استعمل العرب التراث كنفس في أحيان. استعملوه كروح في أحيان أخرى. استعملوه كمركب من مادّة وصورة في أحيان ثالثة. اشتغل المسرحيّون العرب على التراث كمؤصّلين. ثم اشتغلوا عليه كمستشرقين. عاد المسرحيّون الجزائريّون إلى التراث في **العام** 2010 بعد أن اشتغلوا عليه وحوّلوا حياته إلى حياة بهيّة وسعيدة. عاد المسرحيّون الجزائريّون إلى التراث بطريقة عرضيّة في **العام** 2010. لأنّ ما عادوا إليه استهلكه المسرحيّون الأوّلون في تجربة المسرح الجزائري. عادوا إلى ما استهلكته اشتغالات **النعيمي** و**كاكي** و**عبد القادر علولة** وكلّ من اشتغل على التراث. خلّفوا وراءهم كلّ التجارب والنظريّات المغاربيّة الأخرى. الاحتفاليّة والاحتفاليّة الجديدة. المسرح الثالث. مسرح النقد والشهادة. مسرح الكوميديا الصارمة. مسرح المرتجلات. النظريّة الافتراضيّة. النظريّة الإسلاميّة الجديدة. بيان المنهج الجدلي. مسرح المرحلة. المسرح الفردي. مسرح التكامل. النظريّة الاستدراكيّة في المسرح. النظريّة الاحترافيّة والمهنيّة. نظريّة: باتّجاه المسرح الذي نريد. التغريب. التبعيد. البيوميكانيك. الواقعيّة السحريّة. الفودفيل. تركوا مصادر الحياة والحركة. تركوا الجوهر. تركوا مقولة إنّ الفنّ هو الحقيقة المغايرة في صالح ضربة ارتداديّة أفقدت التراث ما تبقّى من قوّته. ما تبقّى من قواه. استنزفوه.

> من أبرز أنشطة العام 2010 في الجزائر: الملتقى العلمي المنعقد في المهرجان الوطني للمسرح المحترف في الجزائر أيّام 29 و2010/5/30، والذي طرح «توظيف التراث في المسرح المغاربي»، فيما اعتبرت مداخله الثلاثة التراث شخصيّة نموذجيّة، بعدما كانت التجارب السابقة قد استعملته كمعبر إلى تجديد التجربة الجزائريّة وتطويرها.

الملتقى العلمي في الجزائر

الصورة بقياس الصورة لا بسطح الصورة وطبقات الصورة. تفضي قراءة الأوراق المقدّمة إلى الملتقى العلمي في الجزائر إلى ذلك. لذا: جاء ذكر تجربة **علالو** (**علي سلالي**). كما جاء ذكر **محيي الدين بشطارزي** أحد روّاد المسرح في **الجزائر**. الأخيران عضوان في الجمعيّة الموسيقيّة المطربيّة في مستهلّ العشرينيّات. قدّم **علالو** المهازل العسكريّة. ذلك أنّ الاثنين

مالا إلى الكوميديا في المسرح وإلى تضمينه الموسيقى والغناء والرقص. شارك في الملتقى: **جمال الشايجي (الكويت)** و**أحمد إبراهيم الفقيه (ليبيا)** و**السعيد بوطاجين (الجزائر)** ود. **جميل حمداوي (المغرب)** ود. **سعيد الناجي (المغرب)** ود. **حافظ الجريدي (تونس)** و**عبد الكريم برشيد (المغرب)** و**نادر القنة (فلسطين - مُقيم في الكويت)** و**طامر أنوال (الجزائر)** و**لخضر منصوري (الجزائر)** ود. **أحمد منوّر (الجزائر)** و**عواطف نعيم (العراق)** و**بول مطر (لبنان)** وغيرهم. انتدى هؤلاء حول موضوعة غاية في الأهمّيّة هي وجود المسرحي الشخصي. قدّم **د. سعيد بوطاجين** ورقة بعنوان: **أطراس التراثيّة** في مسرحيّة جحا. تذكير ببعض المحطّات البارزة في المسرح الجزائري بكلام قسري وإداري. الأطرس مثلاً. عنده: تتجلّى الأطراس في العمل المسرحي كخاصّيّة لها مسوّغاتها الدلاليّة والوظيفيّة والمرجعيّة. بالاقتباس **أوّلاً**، بالتضمينات **ثانيًا**. «الاستثمارات في الموروث والنصوص السابقة». وصولاً إلى الجانب اللّساني وكيفيّات اشتغاله. عنده: هذا نوع موغل في تاريخ العلامات اللّغويّة والعلامات غير اللّغويّة. استخدام مصطلحات عويصة، من دون أن تؤدّي المصطلحات هذه إلى المعنى المقصود (عنوان ورقة **د. نادر القنّة**: الموروث في المسرح المغاربي بين الأنسقة الأيديولوجيّة والتنظيرات الهرمنيوتيكيّة من منظور مشارقي). مصطلحات برود عقلي لا انفعالات نفسيّة لها. أنت أمام هوس خاصّ باستعمال المصطلحات المعقّدة وغير المفهومة. وتمجيد الشخصيّة. ذلك أنّ ورقة د. **سعيد بوطاجين** نشرت على أربع عشرة صفحة مهوّاة بحرف 20 أو 22 أبيض. في حين احتلّت سيرته الذاتيّة 12 صفحة غير مهواة وبحرف 9 أسود. لا قوى متحرّكة ولا قوى مدركة. بل أجساد تتمطّى وتنمو وتولد ويزداد نموّها في المنتديات المسرحيّة. يستحضر المسرحي ذاته غافلاً عن نفسه وعن المسرح. هذه سمة من سمات كثيرة في تحقيق الحياة المسرحيّة في **العالم العربي**.

الخطير: أنّ حال النقد من حال المسرح. يتأخّر النقد أو يتقدّم على المسرح، غير أنّه يبقى فصل الكلام المبني على تجربة المسرح. ذلك أنّ الكلام على التراث هو كلام على فجوة لا تزال تتّسع في بطن المسرح، بحيث لم يجد النقد مجالاً لكي يملأها إلاّ بالعودة إلى التراث. يعود التراث في غياب نهار المسرح. ليس هذا معناه أنّ التراث ليل المسرح. بيد أنّ الانشغال بالتراث من جديد، لن يحسن في شروط المسرح. لأنّ المسرحيّين سبق وأن اختبروا المسرح إلى حدّ الإشباع. تكسّرت كلّ سهام التراث في المسرح وفي دهاليز المسرح. لن يقبل المسرح خطابًا قديمًا بعد في عماراته الجديدة. تمرّد المسرحيّون الجزائريّون على العلبة الإيطاليّة في الطريق إلى فصلهم الجديد في المسرح. عودة المسرح إلى التجربة الجزائريّة عودة العلبة الإيطاليّة إليه في مصوغ آخر.

يجيء ذكر المسرحيّين القُدامى في تجربة المسرح الجزائري. يغيب ذكر بعض أبطال المراحل الوسطى في التجربة. لا يجيء أحد على ذكر **زياني شريف عيّاد** أحد أبرز ممثّلي التجربة الجزائريّة في سبعينيّات وثمانينيّات القرن الماضي. لإقامته في **باريس**. تلعب المسافة دورًا دائمًا في الشروع بتناول الأسماء اللامعة في التجربة. الإقامة جزء أساسي من التجربة. هذا ما يبدو الأمر عليه. غير أنّ غياب بعض الأسماء لن يضفي مسحة ضروريّة من المعرفة في الطريق إلى التدوين والتأريخ بعيدًا من المشافهة. لن يزيد هذا إلاّ من وطأة الجهل المتضخّم. جمّل **الزيّاني شريف عيّاد** حضور المسرح الجزائري في المهرجانات المسرحيّة العربيّة. نال جائزة أفضل إخراج عن عمله «الشهداء يعودون». بان الرجل كالعبارة في المهرجانات المسرحيّة العربيّة. قدّم أدلّة دامغة على تخطّي المسرح الجزائري أجزاء من «أزمة الهويّة». وتخطّي المسرح الجزائري بساط التراث. هذا ليس قليلاً. ذلك أنّ الجمهور العربي ابتعد عن ابتداع أجوبة نهائيّة بالتخيّل. شاهدوا ولم يتخيّلوا وهم يخلفون جدلاً ثقيلاً لم يحز المسرح الجزائري حظًّا عظيمًا منه. **محمّد بن قطاف** مثل **زيّاني شريف عيّاد**. ولو أنّ الأوّل من عيار أثقل من عيار **زيّاني شريف عيّاد**. **محمّد بن قطاف** أيقونة المسرح الجزائري. يراوح الرجل بين الاعتلال الجسدي والصحّة الجسديّة. بيد أنّه بعيد عن الاعتلال النفسي وارتداداته كالتضخيم والتفخيم. حدّد الرجل - مع آخرين - الأسئلة الجوهريّة والأساسيّة الضروريّة في تجربة المسرح الجزائري. أخذه ذلك إلى صميم المشكلة بلا قراءات نظريّة ولا نظريّات فارغة. أوّلاً: ضرورة التواصل المنهجي. من دون منهج لا تواصل منهجي. الانخراط في التجربة على قاعدة، على قواعد أخرى. عنده: لن يقام صرح بلا وضوح. لن يقام صرح بلا احتلال فضاء. بلا بناء فضاء. بلا الإمساك بالفضاء المبني. قدّم المسرح الجزائري شهيدين. **عبد القادر علولة** و**عز الدين مجوبي**. ثمّة شهيد ثالث: محمّد بن قطاف. الأخير شهيد حيّ. أسهم الرجل في بلورة مشروع جديد في المسرح الجزائري. عاضده آخرون. منهم **إبراهيم نوّال**. ترك الأخير عمادة معهد الفنون لأنّه يحبّ التعليم، ولأنّه يجد في المنصب الإداري منصبًا متعارضًا مع مهنة التعليم. ثمّة روح رسوليّة لدى بعض المسرحيّين في **الجزائر**. ثمّة روح جوّالة على التفاعل. إنّنا أمام أبطال روح تقابل بين الحاضر والحاضر. بين الحاضر والمستقبل. من دون انقطاع عن الماضي. ومن دون تمجيد الماضي أو تأليهه. لا حدود فاصلة لدى هؤلاء بين شيء وشيء إلاّ عبر السياق الضروري في الطريق إلى صرح المسرح الجزائري المجبول بيوميّات ووقائع حياة المسرحيين الجزائريين. عندهم: لا يبنى الصرح بالحجارة والباطون. يبنى الصرح بالهموم والهواجس والقضايا والحقائق وعرق وتعب المسرحي الجزائري ونبرته العصبيّة الجديدة. يعمل المسرحيّون الجزائريّون منذ مدّة على التواصل لا على التوصّل ولا التوصيل. هذا عنوان **العام** 2010. ذهبت وقائع العام هذا إلى بلورة الرؤية العامة، لكي لا تقف التجربة عند حدّ النظريّة. لكي لا تقف عند حدّ التنظير. ربطت التجربة الناحية الاجتماعيّة بالناحية الثقافيّة. دارت التجربة في **العام** 2010 على بناء عمارة سوسيو ثقافيّة بفهم كامل لمفاهيم الاختلاف الزمني والخاصيّات الزمنيّة. لم تقف على مجال دون آخر. وقفت على مجالها وعينها على المجالات الأخرى، حتى لا تفك شيفرة دخول المسرحي إلى المسرح بنقص أو دعسة ناقصة. عالج المسرحيّون الجزائريّون ما آلت إليه أحوال المسرح في **الجزائر** بكتابة وتنفيذ استراتيجيا مسرحيّة، لا تقوم على الإحصاء. لا تقوم على العدد. لا تقوم على أهمّيّة حضور العدد في سجلاّت الإحصاء المسرحيّة. لا بأس من غياب المسرح بالمفهوم الكمّي في **العام** 2010. لأنّ ثمّة ما يخطّط له على المدى البعيد. لا انزياح إلى العدد قبل بناء مساحة تحتيّة على دلالات الخلق القديمة والوسطيّة والراهنة. الاختلاف نوعي. هذا صحيح. هذا ضروري. انتهت مرحلة في تجربة المسرح الجزائري. لا يقف الجزائريّون على صرح التجربة السابقة. بل على مركب جديد. يقوِّم المركب الجديد نقاط اللّقاء بين الإحصاء والأسلوب. غير أنّ الأسلوب ليس أسلوب مسرحيّة. ليس مصوغ مسرحيّة. أسلوب الجواب الأوّلي أو النهائي لأيّة مسألة. المسألة الآن: حضور الشباب في التجربة المسرحيّة بشروط الاستمرار في التجربة، بتحديد الأسئلة الجوهريّة والأساسيّة في المجهود المسرحي ومسالك الوصول إلى إجاباتها الضروريّة. تحديد معالم المسرح

عمل المسرحيّون الجزائريّون على التواصل لا على التوصّل ولا التوصيل. ذهبت وقائع العام هذا إلى بلورة الرؤية العامة، لكي لا تقف التجربة عند حدّ التنظير. ربطت التجربة الناحية الاجتماعيّة بالناحية الثقافيّة. دارت التجربة في العام 2010 على بناء عمارة سوسيوثقافيّة بفهم كامل لمفاهيم الاختلاف الزمني والخاصيّات الزمنيّة.



الجديد إذا ما جاز التعبير. تقابل محايث بالطبيعة، يتبلور داخل حقل المسرح وخارج الحقل المباشر ـ خطاب نوعي. ارتبط الوصول إلى الخطاب النوعي بعمليّات جوهريّة. ربط الحضور بالتأسيس زائد ربط الحضور بتنمية مفهوم حضور العمارة في السهل المسرحي. المراعاة مزدوجة. حضور الشباب وحضور البناء أو ترميم البناء واستعادة حضوره.

شباب المسرح

أبرز الشباب في التجربة الجزائريّة هم **محمّد بلقاسم وأحمد العكوم وحيدر بن حسين وعبّاس محمّد وجمال غرمي**. أسماء في قلب استراتيجيّة مسرحيّة كاملة وواضحة. فتح الفضاء أمام المسرحيّين الشباب. دعوا إلى القبض عليه بتواتر الكلام وليس بالكلام المباشر. أدرك الشباب أنّهم أمام وظيفة أخرى. دراسة البنية ورصد مبادئ تكرار الحروف، لكي لا تتكرّر. ولكي لا تدور. لا يجري تدويرها. والإيغال في مفاهيم الإيقاع والنظم من دون تنغيم؛ ذلك أنّ أخطر ما تعرّضت إليه المدرسة الجزائريّة هو الشكلانيّة. وقوعها بالشكلانيّة سواء في أوقات استعمال التراث. أو في أوقات البحث في مصوغات جديدة وعن مصوغات جديدة. هذه حلقة مسرح. إنّها حلقة المسرح الجديدة. حلقة لا انعزاليّة. لا تعزل الحلقات الشيء عن الشيء، القضيّة عن القضيّة؛ الإنسان عن المنشأة. توجّه جديد مع مراعاة وظيفة العوامل الخارجيّة في البيئة والبنية الجماليّة. للاستراتيجيّة الجديدة خاصّيّة جديدة. يتداخل الاسم بتوسيع التجربة الشخصيّة إلى حدود التجربة العامّة. لن يتذكّر الكثيرون أبرز أسماء عناوين مسرحيّات **العامّ** 2000. الأرجح، أنّها مسرحيّات قليلة. الأرجح أنّها تجارب صغيرة. هي تجارب نقاط التقاء خطّين متعامدين. إنّها الصورة المشهديّة. تترجم الصورة هذه واقع الحال. لا يتوقّف ذلك عند تاريخ ولا يعبر فوق تاريخ من دون الانتباه إليه. يحاول الشباب الجدد توسيع حدود التاريخ وكتابة تاريخهم الخاصّ في آن، متلمّسين ما يعبر عن قوّة المعنى لفكرة مطروحة لم تبلَ أو لشخصيّة مفهوميّة، تمتلك رصيدًا معرفيًّا، يمتدّ في الزمن كما يمتدّ في الحال. لا مفاهيم مدد طويلة ولا مدد قصيرة. بل ما تحتاجه التجربة بالضبط. يُعلِّمُ التاريخ الشباب. هذا أكيد. غير أنّهم لا يتلقّونه إلاّ بخلاف ما يتلقّون عنه. أي أنّهم يسافرون في التاريخ. يسافرون إلى التاريخ، لكي يعاينوه، قبل أن يقرأوه قراءة لا علاقة لها بغابر الزمان وحده. يذهب الشباب في التاريخ بحثًا عمّا يعينهم أو يشدّ من أزرهم بصدد فكرة طارئة أو جواب يعثرون عليه في ما يخصّ سؤالاً راهنًا، حتى يدشّنوا عصر حداثتهم مستفيدين من المناخ والمتاح في الأمثلة الحيّة. ما يحاول الشباب تلمّسه، ما يعزّز الصفة الإنسانيّة في تجاربهم، أو ما يعزّز فكرة الحداثة التاريخيّة، حيث يرون في التاريخ ما هو حاضر أمامهم. ما يجعل التاريخ شخصيّة مفهوميّة استثنائيّة في امتلاء التاريخ بالمعاني اللامتحفيّة الجامدة والمتصلّبة. لا يتعامل الشباب مع التاريخ والراهن والمستقبل كمتعارضات وكمتقارضات. لذا: يحضر المدّاح والراوي. إنّهم توحيديّون في تطبيقهم العلم بالعمل. يطرحون الحلقة كحلّ. كما يطرحون العبث كحلّ. يطرحون الأدوات التراثيّة كحلّ. كما يطرحون الأدوات التراثيّة. كما يطرحون السينوغرافيا والقضايا الحديثة. هذا ليس نموذجًا. إنّه اختبار في المدى الجديد للشباب الجدد. يشتغل الشباب على ما يعتبرونه الضمان الأرحب للحفاظ على حقوق الذات وحقوق الآخرين وكينونتهم المجتمعيّة. يعترفون في قرارة أنفسهم ـ كما يعترفون بالعمل ـ بأهمّيّة اللّغة بعد 130 **سنة** من الاستعمار الفرنسي وفرضه اللّغة الفرنسيّة لغة أساسيّة في دولة عربيّة إسلاميّة. لغة في ثقافة وثقافة في لغة تتعدّى حدود الشخصي المتباهي بقوميّته أو الجماعة المفتخرة بهويّتها انطلاقًا من لغة تعنيها وحدها. اللّغة لغة تجمع الجزائريين والعرب. تجمع اللّغة الجزائريّين والمسلمين في شساعة حدود **الجزائر** الحضاريّة والجزائريّة. اللّغة ضمير عند الشاب المسرحي في الجزائر. ليست اللّغة في عبارات. اللّغة مدى. يجيب كلّ من تسأله عن الشباب أنّ الشباب يمتلكون اللّغة. أفعال الشباب بطابع سياسي واجتماعي وثقافي مركّب. تحضر وزارة الثقافة في المجال هذا. دعت الأخيرة دائمًا إلى التلمّس. تلمّس ما هو منشود من جهة البحث والمجابهة. نظّم مئة فنّان «وقفة غضب في أثناء افتتاح **مهرجان الجزائر للمسرح** المحترف في دورته السادسة» (**أيّار/مايو**2011). احتجّت جماعة من فنّاني المسرح والسينما والإذاعة والتلفزيون والموسيقى على «استمرار الوضع المزري لقطاع الثقافة في **الجزائر**» (الوكالات). حمل كلّ فنّان وردة. رفعت شعارات مناهضة للرداءة في الإدارة والإقصاء وتهميش الكفاءات. وقفت في مقدّم الاحتجاج وجوه فنّيّة بارزة كالمخرجين المعروفين **مالك القعون** ورشيد **علال** ويا**سين قويسم** و**عمار بلقاسم** ونبيل **عسيلي** ومصطفى **لعريبي** و**عمر معروف** وزهير **بوزراز**. قرأ المحتجّون الفاتحة على روح مجوبي، ثم مضوا. غير أنّهم أشاروا إلى مجموعة من الحقائق الجاثمة فوق الواقع الثقافي الجزائري. حقائق برسم التعامل معها. أولاً: الديموقراطيّة. لا يزال موضوع الديموقراطيّة أحد الموضوعات الشاغلة لأذهان الكثيرين. ثمّة الكثير من الجزائريين في الخارج بسبب الضائقة الاقتصاديّة. ثمّة الكثير من الجزائريين في الخارج بسبب غياب الديموقراطيّة. بعضهم يواصل نضاله «من أجل جمهوريّة جزائريّة علمانيّة». يشير الطرح إلى حضور الموضوع الديني كثقل في الجمهوريّة الجزائريّة. يحاول البعض القراءة في خبايا فشل الثورة الجزائريّة في تحقيق أهدافها. **الجزائر** جمهوريّة دينيّة هذه هي المادّة الثانية في الدستور الجزائري. يرى البعض أنَ فضاء الحرّيّة معقول، في حين يرى بعض استمرار وتواصل سياسة التضييق على الحرّيّات. لا تزال البلاد تحاول تضميد جراح 130 سنة من الاحتلال. يدفع النظام الكثيرين إلى مغادرة البلاد. الجزائريّون ـ بالمعنى هذا ـ بين مطرقة «جبهة التحرير الوطني» وسندان الجماعات الإسلاميّة. صفّي بعض معارضي الداخل بسبب اختلاف في وجهات النظر في التعاطي مع الثورة أو بسبب ظلاميّة الجماعات الإسلاميّة في فترة التسعينيّات.

يعيش الجزائريّون بين واقع تعسّفي ويوتوبيا تأسيس نظام سياسي ديموقراطي. طرح المحتجّون في المهرجان الجزائري قضيّة التهميش والفساد. قضيّتان مطروحتان الآن على بساط الواقع. شغل الشباب الجزائري شغل بقاء. شغل مقاومة بصلاحيّة فرد. صلاحيّة أفراد. صلاحيّة جماعات. صلاحيّة فئات. أو صلاح فرد أو أفراد وجماعات وفئات في مكاشفات معمّقة ونقديّة في آن. نظر في الجانب الآخر من العقل السالف. لا يفارق هؤلاء فداحة الجاري. يستمرّون في العمل على التأسيس مع ذلك ببرامج أعمال معماريّة ـ بحثيّة في سنة حياة جديدة. مسرحيّة بالناقص أو مسرحيّة بالزائد، الموضوع في مطرح آخر بطبيعته التاريخيّة والراهنة. الأهمّ لديهم هو البعد الثقافي الآن. لا المنتج الثقافي. استراتيجيّون في فتح فضاء المسرح على العالم. أو إعادة فتح فضاء المسرح على العالم. عملهم عمل مركزي. عمل في العاصمة. عملهم عمل جبهوي. نضال مركّب في تطلّعات ميتاحدوديّة. يُعيدون تأهيل المسارح القديمة ثم يُعيدون افتتاحها. مخرجون وممثّلون وكتّاب. أُعيد تأهيل **مسرح سكبيديا** في **أمّ البواقي**. أُعيد تأهيل قاعتيّ **المسرح الوطني**. الكبرى والصغرى. الكبرى بـ 750 كرسيًّا والصغرى بـ 120 كرسيًّا.

سبحة طويلة. قاعة المقار، قاعة قصر الثقافة، **مسرح بلعبّاس**، تنشيط العمل المسرحي في منطقة مستغانم ومنطقة **جلفة** في

المسرحيّات المنتجة (البارزة) في الجزائر العام 2010، قليلة. لكن تحسّس ما يجري على صعيد العدد لن يؤدّي إلاّ إلى الوقوع في سياجات مغلقة. حيث الأهمّ خوض المعركة الجارية داخل العائلة المسرحيّة في الجزائر من دون الوقوع في الطبائع المأساويّة كندرة الأعمال اللافتة المقدّمة في العام 2010.

الإبداع

الجنوب. نشطت المهرجانات، نشطت الملتقيات، نشطت الأيّام المسرحيّة كـ «أيّام مسرح الجنوب في العاصمة». نشطت المحترفات. جيء **بإيفون رومير** من **مسرح مارسليا**. اشتراكي. يحبّ رومير الأعمال الصعبة. يؤكّد **محمّد بن قطاف** تكرارًا على أهمّيّة الشباب. يدعمهم، يتابعهم، يشير إليهم. يقيم المسرحي الفرنسي ورشة على مدى سنتين كاملتين. يزداد عدد الكتّاب. **حميد العيّاش** أحدهم. صاحب **جزائر نيوز**. يكتب ويموّل ما يكتبه. قدّمت «جحّا» في **العام** 2010 عن نصّ **كاتب ياسين**. قدّم **حيدر بن حسين** «الأستاذ كلينوف». قدّم **جمال غرمي** «جولة في الغابة». مزيج بين مسرحيّة من **بيكيت** ومسرحية أخرى. نالت المسرحيّة جائزة لجنة التحكيم في مهرجان المسرح الجزائري الأخير. يعتبر التوقّف أمام المسرحيّات المنتجة **العام** 2010، المسرحيّات البارزة (هي قليلة) شيئًا متجاوزًا للواقع. لأنّ تحسّس ما يجري على صعيد العدد لن يؤدّي إلاّ إلى الوقوع في سياجات مغلقة. حيث الأهمّ خوض المعركة الجارية داخل العائلة المسرحيّة في الجزائر من دون الوقوع في الطبائع المأساويّة كندرة الأعمال اللافتة المقدّمة في **العام** 2010.



المضمون الثقافي للأغنية العربية

مدخل منهجي لتنظير الموسيقى العربيّة

ثمة مداخل منهجيّة ثلاثة يمكن الانطلاق منها لوضع إطار نظري للموسيقى العربيّة:

1. المنهج التجريبي

هنا تكون فلسفة العلم الفيزيائي للصوت والصوتيات القائمة على التجربة المعمليّة هي المفصل في وصف موسيقى ما وتحليلها. والمزية هنا الانطلاق من الجزء إلى الكلّ. وينبغي وصف الصوت المموسق هنا من حيث المدى (range) وطول الموجة ودرجة التردّد وقوّة الصوت بل ونكهة الصوت (timbre) ومدّته في الزمان، كلّ بمعياره المتفق عليه في فيزياء الصوت من حيث كون الصوت طاقة كهرومغناطيسية. وإذا طبّق هذا المنهج التجريبي على بعض موسيقانا العربيّة فلن يجدي في جميع الأنغام إذ إن ذبذبة أو درجة تردّد ما يعرف بثلاثة أرباع التون أو نغمة (**السيكا**) في كلّ نغمة في المقام العربي لا تستقرّ عند رقم ثابت، وهذا بدوره يحول دون أن تكون بعض مسافات الموسيقى العربيّة بل وأكثرها شرقية جزءاً من تآلف بوليفوني أكبر، فتبقى موسيقانا مونوفونيّة ميلوديّة محرومة من التطبيقات (الهارمونية). لكن الصحيح أيضاً أن التطبيق البوليفوني يصبح ناجحاً بل وممتعاً حينما يقوم موسيقار إغريقي مثل **أندريه رايدر** بالتصدّي للمهمة كما فعل مع مقام شرقي غربي في الآن ذاته مثل النهوند أو السي مينور أو الدومينور في رائعة (لحن الخلود) للراحل **فريد الأطرش** أو رائعة (الود) على السلّم الخماسي السوداني للموسيقار **محمد عثمان وردي**.

2. المنهج التاريخي

هنا يكون التقصّي التاريخي هو الديدن ويستعان بكلّ ما يكتب به التاريخ من أشكال الوثائق. لأن (لا تاريخ بلا وثائق). ولو عثرنا في **اليمن** مثلاً، على مخطوطتيّ (دائرة الطرب) و(رسالة في الألحان) للطبيب الموسيقار **محمد بن أبوبكر الفارسي العدني** (توفي العام 1248م)، الذي عاصر مطلع **دولة بني رسول** في العصر الإسلامي الوسيط، لعرفنا الكثير من خصوصيّات الفكر الموسيقي المحلّي ودرجة اقترابه أو ابتعاده من التنظير الموسيقي المجايل له في **بغداد** و**القاهرة** مثلاً من حواضر العرب. وللتاريخ الموسيقي علمان مساعدان هما :

3. المنهج الإثنوميوزيكولوجي

يعرف الإثنوميوزيكولوجي أيضاً بعلم موسيقى الشعوب. وقد تخلّص من كثير من شوائب الفوقية التي غذّاها الاستشراق الأوروبي قبل أن يتخلّص من اسمه السابق، أي علم الموسيقى المقارن. هذا هو المنهج الذي يعمل به المستشرقون المعاصرون وتلاميذهم من العرب مثل الفلسطيني الراحل **حبيب حسن توما** والسوداني **علي الضو** والمصري **عصام الملاح** والعراقية **شهرزاد قاسم حسن** واللّبناني **توفيق كرباج** والكويتي **أحمد الصالحي** والأردني **عبد الحميد حمام** وكذلك يتشيّع له المختصّون في العلوم الاجتماعيّة والسلوكيّة. كان هذا المنهج يسمّى حتى الستينيّات والسبعينيّات من القرن العشرين بعلم الموسيقى المقارن، باعتبار النموذج الموسيقي الغربي الكلاسيكي هو الأنموذج العالمي الأرقى

كون موسيقاه "موسيقى تجريدية" abstract music محقّقة المقولة الجمالية الأوروبية أن (الموسيقى هي أكثر الفنون تجريداً).

يقوم هذا المنهج على قراءة الموسيقى في سياقها الاجتماعي بدءاً بتفكيكها ثم إعادة مدماكها وفهم معانيها ووظائفها السوسيو–ثقافيّة وتذوقها بشكل كلّي لا يبترها عن محيطها المحلّي وزمكانها الذي أنتجت فيه. مفاصل هذا المنهج المكوّنات التالية :

سلّم الموسيقى Mode

يكون الحديث هنا بالمقارنة بين الراجا الهندي والشاشمقام في **وسط آسيا** والمقام العربي أو التركي ، مع السلم الموسيقي الغربي الكبير(ماجور) والصغير(مينور) والكروماتيكي (الملون) وتسمّى مراراً السلالم العالميّة، علماً بأن هذه السلالم الغربيّة معدّلة بدورها عن السلالم الغريجوريّة الأوروبيّة، حتى يتمكّن المؤلفون الموسيقيون من التعامل مع البوليفونية أو تعدّد الأصوات، وذلك أساس علم جمال الموسيقى الغربيّة الكلاسيكيّة(سمفونيات – أوبرا..إلخ) وتكون البوليفونيّة أو التعدّديّة الصوتيّة إما :

- عمودياً وتعرف بالهارموني Harmony.
- أفقياً وتعرف بالكونتربوينت Counterpoint.

وتقوم الموسيقى العربيّة على نظرية المقام وهو ما يعادل السلّم لأغراض عمليّة هنا. والموسيقى العربيّة غنيّة بظاهرة التلوين المقامي، أي استخدام أكثر من مقام في الأغنية نفسها؛ فهناك 24 بعداً فيها بسبب وجود مسافة ثلاثة أرباع التون وتسمّى حيناً السيكا. ولعلَّ هذه المظاهر من التلوين محدودة في الغناء (التقليدي) في المدن والغناء (الشعبي) في الأرياف في **اليمن**، علماً بأن الجدل حول الفرق بين ما هوتقليدي وما هوشعبي في بلاد العرب ما زال قائماً من حيث كونه "اختلاف نوع" أم "اختلاف مقدار"، وهوموضوع جدلي بين أهل اليسار الجدلي وأهل الطريقة والحقيقة يتعدّى الحيّز الموسيقي.

وحتى المقامات ذات الربع تون (هناك 24 بعداً في الموسيقى العربيّة) قد تكون لها خصوصيّة تونسيّة أو يمنيّة مثلما ذهب الباحث الحضرمي **عبد الرب إدريس** في أطروحته مشيراً إلى وجود (كومات) أو ميكروتون أقل مسافة أو أكثر مسافة من التوالي المعهود في مقام (الهزام) ومقام (الحجاز)، ومن هنا يمكن الحديث عن هزام يمني وهزام مصري وحجاز يمني وحجاز مصري والآلة الوترية المظهرة لهذه الفروق تشمل العود والكمان مثلاً.

وقد حاول **مؤتمر القاهرة الأول للموسيقى العربيّة** في العام 1932 أن يختزل المقامات العربيّة والتركيّة.

ويذهب البعض إلى أن عدد درجات السلم/المقام تحدّد مدى رقيّه الموسيقي، فوصم السلّم الخماسي لذلك بوصمة التخلّف والبدائية، والواقع أن الأمر منظومة متكاملة من الهويّة والشخصيّة والجماليّة الموسيقيّة لا تختزل في المقام وحده، ودليل ذلك مدى نجاح الأغنية السودانيّة المغناة بالعربيّة الفصيحة أو المحكيّة وعلى السلم الخماسي في **أفريقيا جنوب الصحراء**.

الإيقاع Rhythm

إنه النبض الإيقاعي كما يسمّيه الباحث الموسيقي العربي المصري **عصام الملاح**، وما ينبغي أن نلاحظه هنا هو توزيع الضغوط القوية (الدموم) والضغوط الضعيفة (التكوك) والسكتات في حقل المازورة الموسيقية.

والنسيج اللّحني لغنائنا العربي يتكوّن من اللّحن المستخلص من المقامات الموسيقيّة والنبض الإيقاعي معاً، وعلى هذا النسيج أن يستجيب للقالب المغنّى عليه؛ فالقصيدة غير الموشح وغير الصوت وغير الطقطوقة وغير الدور وغير المقام وغير القد وغير المألوف وغير الغرناطي، ولكلّ قالب مقدمات وفواصل وقفلات وإيقاعات ارتبطت به ومقامات مفضّلة له.

الآلات الموسيقيّة Organology

في المشهد العربي حالياً صراع بين الآلات الأصليّة في الإرث وتلك الدخيلة من الخارج. والملحوظ أن كثيراً من الأصليّة انقرض لتحلّ محلّه الدخيلة والمستوردة.

والآلات الموسيقيّة في الوطن العربي عوائل تتوافق مع تقسيم **كورت زاكس** العالمي، مثل الوتريات string instruments ، والهوائيات أو آلات النفخ aerophones كالمزمار والناي االأرغول والودعة..إلخ، والإيقاعيّات – percussion instruments.

ولا بدّ أن نضيف الآن الآلات التي تعمل كهربائيّاً وإلكترونيّاً. وتبقى الحنجرة البشرية هي الآلة الأولى في التاريخ البشري، وتستخدم أحياناً للهمهمة والبربرة غير المفهومة كما في طقس(الربوط) بالمهرة.

الوظيفة الاجتماعية Social function

بينما انفصلت الموسيقى الأوروبيّة الكلاسيكيّة عن الوظيفة الاجتماعيّة ذات الدلالة زمانياً ومكانياً وأصبحت تعبيراً نغمياً مجرداً كالسمفونية أو قصة غنائية بالصوت الأوبرالي في الأوبرا الغنائية، تقود إلى المتعة الذهنيّة المقصودة لذاتها جمالياً، تصاحبها طقوس خاصة مثل حجز التذاكر المسبق وبرنامج الحفل مسبقاً واختيار موقع الجلوس وعدم الحديث أو حتى النحنحة خلال العرض وتأجيل التصفيق حتى آخر العرض وارتداء البذلة المكتملة عند الحضور، نجد أن الموسيقى العربيّة تدور مع دورة الحياة life cycle – عادات وتقاليد – من فرحة الميلاد وأغاني الهدهدة والختان والزواج إلى مناحة الوفاة وما يصاحبها من أناشيد دينيّة وعظيّة.

وهناك الإنشاد الديني في المناسبات الدينيّة كالأعياد، أو غناء ورقص المتصوّفة (السماع) المعروفين أيضاً بالشلالين في **تهامة اليمن**، وهو أرث تناقله المريدون شفهيّاً عبر القرون ويحمل داخله بعضاً من أجلّ التقنيات الغنائيّة المحلّية.

وهناك المارشات العسكريّة أو (الطبلخانة) كما عرفت في عصر **بني رسول** في القرون 13و14و15 ميلادية، العصر الذهبي للثقافة اليمنيّة، وحتى الأغاني المناسباتيّة وتعرف في خطابنا بالوطنيّة. كما أن كثيراً من رقصات الحرب، كالزوامل وغيرها، تحوّلت إلى طقوس يراد بها الاحتفاء بالضيف.

وتحتلّ أغاني العمل الزراعي بمراحله المختلفة مساحةً كبيرة من الغناء الموجّه

الموسيقى العربيّة	الموسيقى الكلاسيكيّة الغربيّة
بناء مونوفوني ميلودي monophonic melodic لا يستغني عادةً عن التغنّي بالشعر واللّحن أحادي الخط	بناء بولفوني polyphonic تجريدي واللّحن متعدّد الخطوط
يتجلّى جماليّاً في التطريب الذي يبدأ بالاستجابة العضليّة من المستمع	يتجلّى جماليّاً في التجريد الذي يحتاج استجابةً ذهنيّة وتدريباً مسبقاً على التذوّق من قبل المستمع
ثراء إيقاعي وإمكانيّة مصاحبة إيقاعيّة (بوليرتمي)	فقر إيقاعي
تنفيذٌ أوركسترالي وتمدّدٌ أفقي غير موظّف	توزيع أوركسترالي عمودي يهتدي بالكتابة وعلم التأليف لآلة معيّنة
إمكانية للارتجال improvisation والمحاورة المحدودة بين الآلات (هيتروفوني)hetrophony	التزام حرفيّ بالنوتة وتعليمات قائد الأوركسترا
الجمهور متلقٍّ ومرسل معاً	الجمهور متلقٍّ
الجملة تتفرّع لتعود وتتكرّر لتضمن الوحدة العضوية للّحن وتؤكّد واحدية الخالق كباقي الجمال الإسلامي	الفكرة تتطوّر وتنمو باطّراد، موحيةً بنقلات في الصور والمعاني، ساردةً ما يشبه الحبكة الموسيقيّة



وظيفياً إلى جانب أغاني العمل في البحر عند إشراع السفن وصيد الأسماك أو الملاحة ومع أغاني العودة للبرّ من رحلة قصيرة أو رحلة طويلة، وكذا أغاني أصحاب الحرف اليدوية بأنواعها ممّا يمارسه الرجال أو النساء. وهناك أغاني الرعاة والجمّالة، إضافة إلى غناوي النساء عند أداء الواجبات المنزليّة.

العقلية والذهنية الموسيقية Aesthetic mentality

هنا نحن بصدد الإستطيقا أو علم الجمال الموسيقي والفروق الفردية ملحوظة بين المشتغلين بالإطراب بسبب فروق الموهبة والتربية الموسيقيّة المكتسبة، كما أن لكلّ شعب عقليته وذائقته الموسيقيّة التي تعتبر جزءاً من هويّته الثقافيّة ومن هنا نجد عبارة (علم موسيقى الشعوب).

منهج تصنيف المضمون الثقافي للغناء العربي:

يرى الباحث **محمد سعيد الريحاني** (**المملكة المغربيّة**) أن الأغاني العربيّة قد تحمل أكثر من موضوعة ما، وبالتالي يمكن أن تصنّف، أو يمكن أن تتشظّى، إلى تسعة أصناف بحسب العامل المهيمن في الأداء.[1]

1) **بحسب الغرض الغنائي:** نلاحظ هنا تقاطعاً مع ما عرف بأغراض الشعر العربيّ القديم

- حكم، مدح، غزل، ابتهال، رثاء.

2) **بحسب الإيقاع:** جغرافيّ (الأغنية المغربيّة، الأغنية السودانيّة، الأغنية الخليجيّة...)

- إثنيّ (حيدوس للأمازيغ، الأندلسي للمورسكيّين، الكناوي للزنوج...)
- جهويّ (الهيت **لقبائل الغرب**، الطقطوقة **لقبائل جبالة**..)
- طبقيّ
- دينيّ

3) **بحسب الأدوات المشغلة في العزف:**

- أغنية شرقيّة (حضور مهيمن للعود أو القانون)
- أغنية غربيّة (حضور طاغ للقيثارة أو الساكسفون)

4) **بحسب انضباطها للقواعد الموسيقيّة :**

- الأغنية الكلاسيكيّة
- الأغنية الشعبيّة

5) **بحسب عدد المغنّين :**

- الغناء المنفرد
- الغناء الجماعي
- أغاني المجموعات

6) **بحسب جنس المغنّي :**

- الأغنية النسائيّة
- الأغنية الأنثويّة

7) **بحسب الموقف من الوجود :**

- أغنية ثوريّة
- أغنية رسميّة
- أغنية تجاريّة

8) **بحسب الحالة النفسيّة المقصودة :**

- الجذبة
- المرح
- الحزن

9) **بحسب اللّغة :**

- فصحى
- زجل عامي (الأغاني الشعبيّة)
- تهجين (أغاني الراي)

حصاد العام 2010

تفتقر مواقع الموسيقى العربيّة في الإنترنت إلى مرجعية موثوق في إحصائياتها على المستويين الأكاديمي والتجاري، بحيث تُستقى منها درجة الانتشار لأغاني كلّ عام جديد. ويمتدّ هذا الفقر إلى التصنيف، حيث تبتدع هذه المواقع تسميات تتصادم أكاديمياً ومنهجيّاً مع ما هو معروف من تقسيمات أنماط الغناء. ممّا يؤدّي إلى قصور واضح في قدرة الباحثين على تحليل مضامين الخطاب الغنائي والوصول من خلال الجداول والرسوم البيانيّة الإحصائية إلى التعرف إلى القضايا والظواهر التي هيمنت على إنتاج عام ما.

ثمة عقبة في وجه أيّ مقاربة وصفيّة وتحليليّة تكتسب موضوعيتها وحياديتها من المعلومات والبيانات والأرقام الدقيقة التي يمكن أن يقدّمها الحاسوب. فالمشكلة بالأساس مشكلة معلوماتيّة. وفي ما يلي ما أمكن استخلاصه للعام 2010.

1 – محمد سعيد الرَّيْحَانِي، «أزمة الأغنية العربيّة من أزمة الشعر العربي»، جريدة «العرب الأسبوعي» اللّندنية، 10 /3/2007 .

الكميّة المنتجة

ومن الجلي أن الأغلبية الساحقة من هذه الأغنيات هو باللّغة العامية أو المحكيّة وليست بالعربيّة الفصيحة، لكي لا تقول العربيّة الفصحى لأن فصحى هي على وزن (فعلى) وهي صيغة المبالغة في لغة الضاد. وبعد أكثر من نصف قرن على توجّس أمير الشعراء **أحمد شوقي** من الدور الذي لعبته أزجال **بيرم التونسي** في الترويج للمحكيّة المصريّة عبر الأغاني على حساب الفصيحة، يبدو واضحاً أننا أمّة تكتب بلغة وتغنّي بلغة أخرى!

مهرجانات غنائيّة وموسيقيّة

بدت **تونس** و**المغرب** نموذجين بارزين، إضافة إلى **قطر**، من البلدان العربيّة الأكثر ازدهاراً بالمهرجانات، ولاسيّما الغنائيّة والموسيقيّة، وذلك لاعتماد اقتصاد البلدين على السياحة كمصدر دخل رئيسيّ. وهو ما يطرح بشدّة إشكالية المراكز والأطراف في **الوطن العربي**.

الجوائز الموسيقيّة والغنائيّة

الجوائز في المجال الإبداعي مثل الشهادات في المجال الأكاديمي. وظيفتهما الاعتراف بالعطاءات. فالاعتراف بالمجهود والعطاء مهمّ بالنسبة إلى الإنسان لأنه يصبح "تكريماً". وعليه، يبقى"تكريم الأديب" تقليداً ثقافيّاً يتمظهر من خلال أشكال عدّة نبيلة كالتوشيح أو التوسيم أو تسمية المؤسّسات الثقافية أو الشوارع أو الأحياء باسمه أو العضويات الشرفيّة أو تقديم الشهادات الأكاديميّة الفخريّة والاقتراح للجوائز أو إطلاق جوائز باسم المكرّم...

والجوائز الفنّية تأتي في هذا السياق من خلال ثلاثة نماذج: فهناك جوائز التكريم والاعتراف بالمجهود، وهناك جوائز الاستقطاب ويطغى عليها الجانب الأيديولوجي، وهناك جوائز النهوض في حقل من الحقول الغنائيّة كأغاني الطفل وحقوق الإنسان وغيرهما...

الدوحة عاصمة الثقافة العربيّة 2010

بإيعاز من **منظمة اليونسكو**، وابتداءً من سنة 1996 تاريخ انطلاقتها في **القاهرة**، تعلن **جامعة الدول العربيّة** كلّ سنة عن المدينة التي ستكون "**عاصمة للثقافة العربيّة**" لمدّة سنة كاملة حافلةً بالأنشطة الثقافيّة تقدّم خلالها الإنتاجات الثقافيّة والفنيّة المحليّة والعربيّة. ونظراً لنجاح المشروع، فقد اقتفت **منظمة المؤتمر الإسلامي** خطى **جامعة الدول العربيّة** وأطلقت على لسان من ينوب عنها ثقافياً، "**المنظمة الإسلامية للتربية والثقافة والعلوم**"(إيسيسكو)،

جدول 1

البند	الإحصاءات	مصادر المعلومة الحاسوبية
الألبومات	139 البوماً	المواقع التالية :
الأغاني	1401 أغنية	موالي، اللّوماني المخزن،
الفيديو كليب	246 فيديوكليباً	موعود، ومواقع أخرى..

مشروعاً موازياً أطلق عليه اسم "عاصمة الثقافة الإسلامية" وكانت أولى عواصمه **مكّة المكرمة** سنة 2005.

نمت فكرة "عاصمة الثقافة العربيّة"، أولاً، في وقت تعرف فيه الثقافتان العربيّة والإسلاميّة انحساراً وميلاً للتقوقع على الذات، لذلك تهدف فكرة العواصم الثقافيّة إلى تحرير الإبداع وتقريب الثقافات العربيّة في المحيط الواحد وتعزيز الهويّة الثقافيّة ووضع الثقافة في صميم مشاريع التنمية العربيّة وتعزيز التواصل بين الثقافات العربيّة البينيّة وجعل الثقافة أساس العمل العربي المشترك. ثانياً، أنشئت فكرة "عاصمة الثقافة العربيّة" لمقاومة الانجراف وسط سيل العولمة الثقافيّة والإعلاميّة وإرادات الهيمنة للانفراد بتسيير العالم وتوجيه الرأي والذوق. إنها دفاعٌ عن الخصوصيّة ومقاومةٌ للتهميش وأحادية الثقافة. ثالثاً، أنشئت فكرة "عاصمة الثقافة العربيّة" للانفتاح على الثقافة وتحريرها، فليس ثمة إنسان حرّ لم يحرّر فكره بعد.

ويعتبر لقب "عاصمة للثقافة العربيّة" تشريفاً وشهادة استحقاق على صدر المدينة المرشحة والبلد الأم ومناسبة لإعادة الاعتبار للثقافات الوطنيّة على طول الخريطة العربيّة. كما أنها فرصة لاستكشاف الهوية والمصالحة مع الذات ومع الآخر.

تحتفل كلّ عام عاصمةٌ عربيّة بصفتها عاصمة ثقافية للعرب، وفي **العام** 2010 كانت **قطر** (الدوحة) عاصمةَ العرب الثقافيّة، وبما أن الغناء والموسيقى مكوّنان أساسيّان من مكوّنات الثقافة لمجتمع أو أمّة ما، يوضح **الجدول رقم** 8 ثراء عاصمة العرب الثقافية 2010 بالفعاليات المتميّزة في الموسيقى والغناء؛ ومن أبرز ما ميّز احتفالية هذا العام هو **مهرجان الموسيقى الشرقيّة** الذي تميّز بأمسياته ولياليه الطربيّة، وكذلك ندوته الفكريّة، هذا إلى جانب مهرجان الدوحة الغنائي السنوي العاشر.

الأغلبية الساحقة من هذه الأغاني هو باللّغة العاميّة أو المحكيّة وليست بالعربيّة الفصيحة. بعد أكثر من نصف قرن على توجّس أمير الشعراء أحمد شوقي من الدور الذي لعبته أزجال بيرم التونسي في الترويج للمحكية المصرية عبر الأغاني على حساب الفصيحة، يبدو واضحاً أنّنا أمّة تكتب بلغة وتغنّي بلغة أخرى!

ما دام العرب يحتفلون كلّ سنة بمدينة من المدن العربيّة، والتي هي بالضرورة "**عاصمة سياسيّة**"، لتصبح "**عاصمة ثقافيّة**"، فالاختيار الذي يتوقّعه كلّ مواطن عربي هو أن يتمّ في هده التظاهرة الثقافيّة "**تشجيع المنتوج الثقافي والفنّي الجديد والحديث الصدور**". لذلك، فالمنطق المتوقّع في هده التظاهرات الثقافيّة السنويّة هو استدعاء الفاعلين في الفنّ والثقافة والأدب الذين أصدروا على الأقل عملاً واحداً في السنة السابقة لإعلان اسم عاصمة الثقافة العربيّة، ومن ثم تحويل "**العاصمة الثقافية**" إلى فضاء "**يتبارى**" فيه الفنّانون على عرض "جديدهم" واستعراضه.

الفنّ هو"**ضمير الأمة**" حين يشتغل على "المضمون" وهو "**وجدان الأمة**" حين يشتغل على "الشكل". قد يبدو هذا "تشابكاً" بين مجال الفنّ ومجال الفكر لكن الفرق بينهما بيّن. فالحياة قد "تصعب" من دون فكر ومن دون تفكير ولكن "تستحيل" الحياة من دون فنّ ومن دون جمال. وهذا ما يثبت أن الفنّ يتضمّن الفكر ويحتويه، وبأنه أوسع منه وأشمل. فالفنّ يولد مع الإنسان، إنه فطريّ. أما الفكر فيُتعلم، إنه مكتسب.

وإذا كان الفنّ "أشمل" من الفكر، فإن الإبداع "أسبق" على التنظير والتقعيد. لقد كان الفنّ هو السبّاق دائماً إلى جدران الكهوف والأهرامات وأسوار المعابد كما كانت تتغنّى به هذه القبيلة ويفخر به ذلك الشعب. فروائع الفنّ جاءت "قبل" التنظير: الإلياذة والأوديسة، جلجامش، ألف ليلة وليلة، بيووولف، المعلقات العشر... أما التنظير، فلعلّ أول عمل تنظيري إبداعي عرفه تاريخ الفنّ كان لـ"**أفلاطون**" ومن بعده تلميذه "**أرسطو**"، وهي تنظيرات هيمنت على الحقل الإبداعي الإنساني لمدّة تزيد على الألفي سنة قبل أن ينتفض الفنّ، والإبداع عموماً، ثائراً على الجمود الذي تكون وراءه عادةً "سلطة"

التنظير و"هيبة" التقعيد. فبينماكانت الكلاسيكيّة انضباطاً للقواعد الفنّية المثبتة، صارت الرومانسيّة تفجيراً للعواطف والمواقف والأعراف الاجتماعيّة، بينما التزمت الرمزية القواعد عبر تحدّيها... بهذه الطريقة، راوح الفنّ، في ثورته على التنظير والتقعيد، بين الإذعان والجرأة والمخادعة والمراوغة.

وإذا كان الفنّ "سبّاقا" على الفكر و"شاملاً" له، فإن المطالب التي يرفعها الفنّانون حالياً تبقى هي "استقلالية" الفنّ عن الفكر بينما يناضل بعض المفكرين من أجل "إلحاق" الفنّ بالفكر والفلسفة على وجه الدقة. وهي مفارقة لا بدّ من الانتباه إليها!

أما على صعيد الاختصاص، فـ "الفكر" يحدّد الوعي وطريقة الإدراك الإنساني لتسهيل الاتصال والتواصل بين الناس، بينما يروّض "الفنّ" القول الكامن في مجاهل الذات الإنسانية واللاوعي الإنساني. وبينما يرى الفنّ موضوعاً واحداً من زوايا عدّة، يرى الفكر كلّ الموضوعات من زاوية واحدة. وبينما يسعى الفنّ إلى تحقيق المتعة والحسّ بالجمال، ينهمك الفكر في السعي للحقيقة. وبينما يطمح الفنّ إلى أن يصبح ملاذاً للإنسان وضامناً لتوازنه ليبقى حيّاً وليعيش أطول، يسعى الفكر إلى أن يصبح هادياً للإنسان لفهم مجريات الأمور بغية السيطرة على الشروط المحيطة به والتحكّم بها.

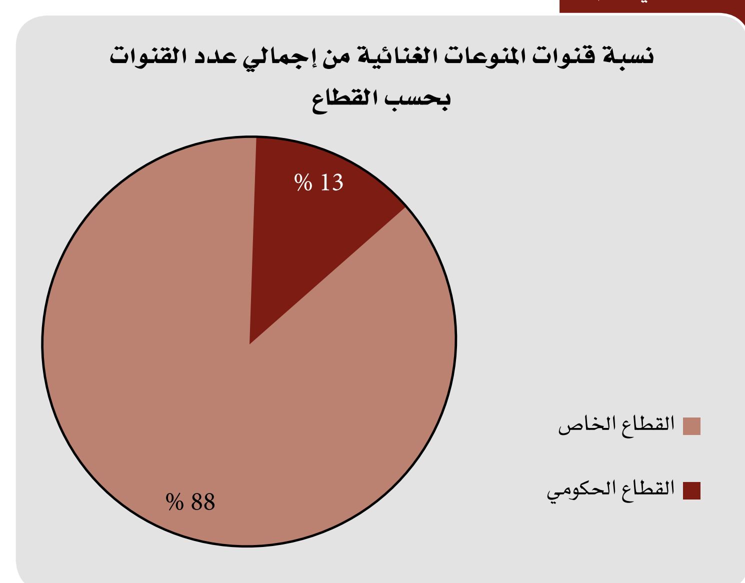
إن مهمة الفنّ الأساسيّة هي "الحفاظ على هوية المجتمعات وخصوصيّاتها" (لباس، إيقاع، رقص، معمار، طبخ، طرز، وشم، حلي...)، و"الدفاع عن الشخصيّة الثقافية للمجتمعات الإنسانية"، و"مدّ الجسور بين ماضي الثقافة وحاضرها لضمان استمراريّتها"، و"الإسهام في الإقلاع التنموي العام". فالتنمية ليست اقتصادية فقط، بل ثقافيّة وفنّية أيضاً. وهذا ما يتجلّى على المستويين الشكلي والجوهري في سلوك الأفراد وأذواقهم وتفضيلاتهم... إذ يرتقي ذوق الأفراد والمجتمعات برُقيّ فنونها وينحطّ بانحطاط فنونها. فالمنطق السليم لن يقبل بشاعرٍ يستمع لموسيقى "الراي" كما لن يقبل بفنانةٍ تشكيلية ترقص " أم علاية". الانحطاط والرقي بوابته "الفن": "قل لي ماذا تغنّي وترسم وتنحت وتكتب وتصمّم، أقول لكَ من أنت".

البثّ الفضائي الغنائي العربي

تطوّر أشكال عرض الموسيقى بدأ أولى خطواته بالأغنية المسموعة (الأغنية الإذاعية، على الأثير) إلى أغاني الأفلام (الأغاني المصاحبة لأحداث الفيلم وأداء الممثلين) إلى الأوبرا السينمائيّة (الأغنية المضمنة في سياق فيلم) إلى الأغاني المصورة (سهرات حيّة أو استعراض غنائي راقص في الخلفية مع حضور المغنّي في الواجهة) ثم أخيراً إلى الفيديو كليب (زمن تدفق اللّقطات القصيرة والغزيرة والمثيرة، حيث أصبحت الخلفية خاصة بالإشهار والإعلانات مع امتلاك المغنّي زمام الرقص والغناء معاً).

لقد كان للبثّ الإذاعي الفضل الأول في نقل الموسيقى للمستمعين في أيّ مكان.

شكل بياني رقم 1



الإبداع

فالمتعة كانت سمعيّة صرفة في البداية. لذلك كان ابتكار الموسيقى الفيلميّة نقلة نوعيّة مهمّة، كان لها الفضل أيضاً في شيوع فنّ السينما في بداياته الأولى حيث كانت الأفلام مجرد صور متحركة بلا صوت (Movies أو Pictures). إذ أسهمت الموسيقى الفيلميّة في تفسير الأداء الفنّي للمثلين وإعداد المشاهد على اتّخاذ مواقف وجدانية اتجاه المشاهد المعروضة. لكن الأوبرا السينمائية، مع بداية السينما الناطقة، وسّعت لذة تلقّي الموسيقى لتشمل السمع والبصر والوجدان في فيلم يرتكز على حكاية مركزيّة تمسك بخيوطها وحدة الموضوع. أما الجيل الرابع من عرض الموسيقى فكانت الأغنية التصويريّة، وجاءت كثورة على الأوبرا السينمائيّة منتصرةً للتفرّد على حساب الانتماء لفيلم أو الامتثال لخدمة أحداثه وتطوّر شخوصه، مؤسّساً بذلك لثقافة جديدة في العرض السمعي – البصري للموسيقى والغناء حيث الأغنية مسموعة ومرئية في آن خارج أي سياق حكائي أو سينمائي. وأخيراً، الفيديو كليب، آخر الأشكال الإعلامية في عرض النصوص الموسيقيّة على الجمهور، جاء ليستلهم جيداً كشوفات علم النفس وإنجازات فنون التسويق، وحدّد هدفه في "الضغط إعلامياً لترويج المنتوج الموسيقي الجديد في السوق الفنّية" وهو ما يمكن اعتباره قطيعة مع الموسيقى المسموعة في أولى المراحل، مرحلة البثّ الإذاعي، حيث كان الهدف هو "إمتاع جمهور المستمعين".

استأثر الغناء العاطفي العربي في العام 2010 بنسبة 69 % من إجمالي الغناء العربي كلّه قبل الغناء الشعبي 22 % والديني 7 %.

الإنتاج الغنائي العربي في الألفية الثالثة[1]

نظراً لاستغناء دور الإنتاج العربيّة عن المثقفين، واكتفائها بالأصوات الغنائيّة والعازفين و"التقنيّين" عموماً، فقد كانت أهم عقبة في وجهها هي تأسيس مدرسة فنّية تستمدّ منها خصوصيتها. وهذا ما يؤثّر ليس في التلقّي الفنّي وتوسيع قاعدة المستمعين فقط، بل إنه يؤثّر أيضاً على مستوى الإنتاج الفنّي الذي يبقى فريسة التذبذب والهزات المستمرة، نظراً لهشاشة الأرضية الفنّية وارتكانها للأهواء والأمزجة ولكلّ ما يتعارض مع التأطير الفكري الذي يحمي الإبداع الفنّي من السطحيّة والارتجاليّة ويؤمّن سيولته واستمراريته...

شكل بياني رقم 2

الإنتاج الغنائي العربي في الألفية الثالثة

4000
3500
3000
2500
2000
1500
1000
500
0

2001 2002 2003 2004 2005 2006 2007 2008 2009 2010

1 – عن موقع اللّوماني في الإنترنت

الألبومات بحسب نوع اللّون الغنائي المذكور

تمّ هذا التصنيف بحسب المعلومة المرافقة للألبوم، والتي لا تتبع عادةً التصنيف المنهجي الذي قدّمناه في الباب الأول الخاص بالمضمون الثقافي للأغنية ضمن استعراضنا للإطار النظري.

إنتاج 2010 بحسب النوع الاجتماعي:

ظاهرة الأغنية المصوَّرة "الفيديو كليب"

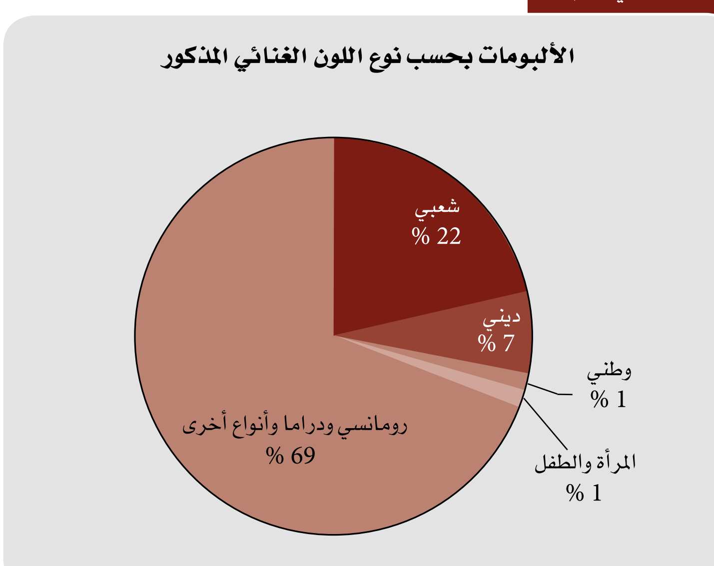
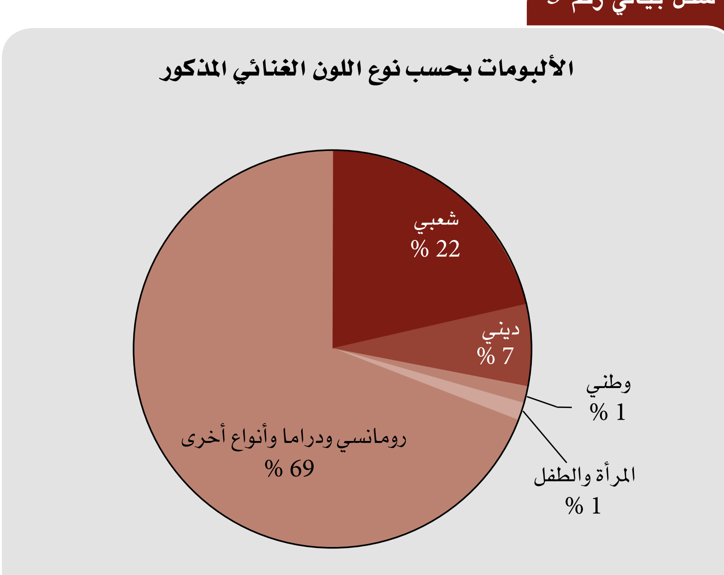
بدايات الفيديو كليب دشّنت أول ظهور لها مع نهاية السبعينيّات من القرن الماضي. وكانت بذلك تتويجاً لتطوّر ملحوظ عرفه المسار الموسيقي في العالم من الموسيقى المسموعة في الإذاعات والحفلات إلى الموسيقى المصاحبة للفيلم للتأثير على المشاهد، إلى الأوبرا السينمائيّة حيث القطع الغنائيّة تؤطرها قصة وسيناريو وحوار الفيلم، إلى الأغنية التصويريّة المستقلة عن الفيلم السينمائي، ثم أخيراً إلى الفيديو كليب الذي يعتبر احتياطياً كبيراً لتغطية الثغرات في الأداء الغنائي للمطرب أو الضعف الموسيقي في التلحين والتوزيع أو هشاشة الكلمات في النصّ الشعري أو الزجلي... وبذلك، يكون الفيديو كليب قد فتح شراعاً ثالثة للأغنية: فمن نصّ شعري مكتوب إلى نصّ ملحّن مسموع، إلى نصّ ممثّل مرئي.

والشائع في الرأي أن الفيديو كليب العربي الراهن يعكس واقع الطبقات الاجتماعية العليا، تماماً كما فعلت السينما العربيّة في بداياتها قبل أن تتدرّج في نزولها نحو واقع الإنسان البسيط وهمومه. فكلّ شيء متوفر: السيارات الفاخرة ودخول المطاعم الباذخة مع الفتاة الساحرة، ثم الاستجمام في المنتجعات الخاصة بالخواص من خاصة الناس... لكن الحقيقة أن الفيديو كليب، مثل السينما العربيّة في بداياتها مرّة أخرى، لم يعكس في يوم من الأيام واقع الطبقات الاجتماعيّة لا العليا ولا الوسطى ولا الدنيا. هناك دور إنتاج في **بلدان عربيّة** محافظة تكتري راقصات من **بلدان عربيّة** أخرى ليؤدّين رقصات لا تجرؤ على أدائها بنات بلدانهم "المحافظة". كما ثمة دور إنتاج في **دول عربيّة** أخرى عريقة في الفنّ ولا تعتبر ضمن لائحة "المحافظين"، تكتري بدورها "أجنبيات" من **أوروبا الشرقية** أو من غيرها ليؤدّين أدواراً أكثر حميميّة مع مطرب الشريط موضوع الفيديو كليب، وهو ما لا تستطيع القيام به بنات البلد. فما دام أبناء وبنات البلد غير قادرين على أداء أدوار فنّية في شريط فنّي، فهل يمكن اعتبار الشريط انعكاساً لواقع هؤلاء؟ هل يمكن اعتبار كراء الممثلين والراقصين من الخارج مجرد صدفة؟ هل يمكن اعتبار كراء الممثلين والراقصين من الخارج مجرد انفتاح على الآخر؟ هل يمكن اعتبار كراء الممثلين والراقصين من الخارج مجرد إرادة في تنويع الوجوه؟...

إن للأمر علاقة بغياب فلسفة عامة تستلهم مفهوم الفيديو كليب وتكيفه مع البيئة العربيّة وتوصله في الحياة العربيّة والوجدان العربي. فالمتتبّع للإنتاج الغنائي العربي

الفيديو كليب يعتبر احتياطياً كبيراً لتغطية الثغرات في الأداء الغنائي للمطرب أو الضعف الموسيقي في التلحين والتوزيع أو هشاشة الكلمات في النصّ الشعري أو الزجلي... وبذلك، يكون الفيديو كليب قد فتح شراعاً ثالثة للأغنية: من نصّ شعري مكتوب إلى نصّ ملحّن مسموع، إلى نصّ ممثّل مرئي.

شكل بياني رقم 3

الإبداع

المصوّر، الفيديو كليب، ينتبه منذ الوهلة الأولى لمشاهدته لأغلب الفيديو كليبات العربيّة، هيمنة مثيرة وغير مبرّرة للإيقاع الغربي والأدوات الموسيقيّة الغربية واللّباس الغربي وأشكال التحية الغربية والإيماءة الغربيّة والفضاءات الغربيّة (**برج إيفل، ساحات روما، ساحات لندن**)...

الفيديو كليب نُقل من الثقافة الغربيّة إلى الثقافة العربيّة "بحذافيره"، من دون أن يعرف "تأصيلاً" في الذاكرة الغنائيّة أو "تكييفاً" مع الواقع العربي كما حدث مع أغلب الفنون التي نشأت في الغرب وحجّت إلينا. الفيديو كليب "فرض فرضاً" على المشاهد العربي ليظلّ محافظاً على أصوله الغربيّة مغيّراً لغة تواصله فقط ليصبح فيديو كليباً غربيّاً بلغة عربيّة.

إنتاج 2010 بحسب الفيديو كليب:

V = أغنية مصورة (فيديو كليب) أنتجت مع الألبوم.

مثلاً 1 : V يعني أُنتج فيديو كليب واحد مع الألبوم، 2 : V يعني أنتج فيديو كليبان اثنان مع الألبوم

شكل بياني رقم 4

إنتاج 2010 بحسب النوع الاجتماعي

% 22

% 78

يعتمد الفيديو كليب العربي، في طبعته الحالية، على "التكرار": التكرار لتعويد المشاهد على المضامين والقيم المتدفقة من الفيديو كليب، التكرار لجعل المضامين المعروضة ذوقاً عاماً...

إذا كانت **الولايات المتّحدة**، وهي القطب الوحيد المتحكّم في النظام العالمي الجديد تمتلك بمفردها 95 % من مصادر المعلومات على الشبكة الدولية للمعلومات (الإنترنت) وتمتلك 65 % من مواد الإعلام والاتّصال في ربوع العالم كافة، فإن باستطاعتها بواسطة هذين الكمّاشتين التأثير على الأذواق الفنّية وربما القناعات الفكريّة والسياسيّة أيضاً!. والفيديو كليب هو أحد أهم هذه الأدوات: "أمركة الأذواق" في سياق "عولمة الأذواق". لكن ماذا عن دور مؤسّسات الإنتاج العربيّة في محاكاة هذه الظاهرة والترويج لها؟ هذا سؤال يحتاج إلى إجابة!

إنتاج 2010 بحسب شركة الإنتاج:

قديماً، كان الفيلم السينمائي يصنع الأغنية بدافع القصة المحوريّة في الفيلم: "ممنوع الحب" بطولة **محمد عبد الوهاب**، "لحن الخلود" بطولة **فريد الأطرش**، "بياع الخواتم" بطولة **فيروز**، "دموع الندم" بطولة **محمد الحياني**. لكن مع ظهور الفيديو كليب، حدث انقلاب جذريّ في عملية تحقيق الأهداف في الإنتاج الغنائي. إذ تحوّلت العلاقة المتبادلة بين الصوت (الأغنية أو النصّ الموسيقي) والصورة (الفيلم) من الخدمة الفنّية المتبادلة إلى خدمة الأهداف الاقتصاديّة. هكذا صار للفيديوكليب أثره البالغ على رفع "إيرادات" الشريط الموسيقي. وتجذّر حضور الفيديو كليب أكثر، فصار له موسم قار يدشّن فيه دخوله الاقتصادي أو الفنّي أو هماماً. فإذا كان للكتاب موسم يبدأ بالدخول المدرسي في خريف كلّ سنة مع شهر **سبتمبر**، فإن للسينما موسمها وهو فصل الشتاء مع شهر **ديسمبر**، وللمسلسلات التلفزيونيّة العربيّة والإسلاميّة موسمها وهو **شهر رمضان**، وللأشرطة الموسيقيّة والفيديو كليب موسمهما الثابت وهو فصل الصيف: فصل العطلة السنويّة والرحلات والحفلات والاستجمام...

في البدء كان دور الموسيقى المسموعة هو "الإمتاع" عن طريق الطرب والموسيقى، ومع موسيقى الأفلام، تحوّل الهدف إلى "إنجاح الفيلم" عبر بوابة الموسيقى حيث كانت الخلفية الموسيقيّة للفيلم تعزّز الأثر الفنّي لدى مشاهد الفيلم. أما في زمن الفيديو كليب فقد انقلبت الأدوار وصارت دلالة "إنجاح الأغنية بين جمهور الأغنية" هي "رواجها في السوق". إنه انقلاب من سلطة الإبداع والرأسمال الرمزي إلى سلطة المال والرأسمال المالي. لقد انقلبت السلطة الفنّية في الزمن الراهن منتقلةً من "سلطة المطرب" أو "سلطة المبدع/الملحن" في وقت من أوقات الزمن الماضي إلى "سلطة الفيديو كليب" وسلطة دار إنتاج الفيديو كليب.

لقد كانت المطربة **أم كلثوم** سلطة فنّية تتدخّل في كلّ كبيرة وصغيرة، ابتداءً من النصّ الشعري إلى الألحان والتوزيع، وانتهاءً باختيار العازفين، وهي السلطة نفسها التي كان يتمتّع بها **عبد الحليم حافظ** ويمارسها وآخرون من كبار المطربين العرب، بحكم كونهم واجهة الأغنية أمام الجمهور، في زمن كان فيه الهدف هو"الطرب والإمتاع".

كما كان المبدع/الملحّن يتمتّع بسلطة فنّية إزاء المطرب المرشّح لأداء نصّه الغنائي. فقد كان الموسيقار المغربي الراحل **عبد السلام عامر** أثناء اختباره للصوت الأنسب لأداء رائعته "راحلة"، يجلس أمامه المطربان **محمد الحياني وعبد الهادي بلخياط** ويمتحنهما بالتناوب إلى أن استقرّ اختياره على **محمد الحياني** في النهاية. فسلطة المبدع/الملحّن، بحكم كونه مبدع الأغنية ومؤطرها، سادت في زمنٍ كان الهدف فيه هو"الحس بالدور التاريخي في الرقيّ بالذوق الفنّي العام".

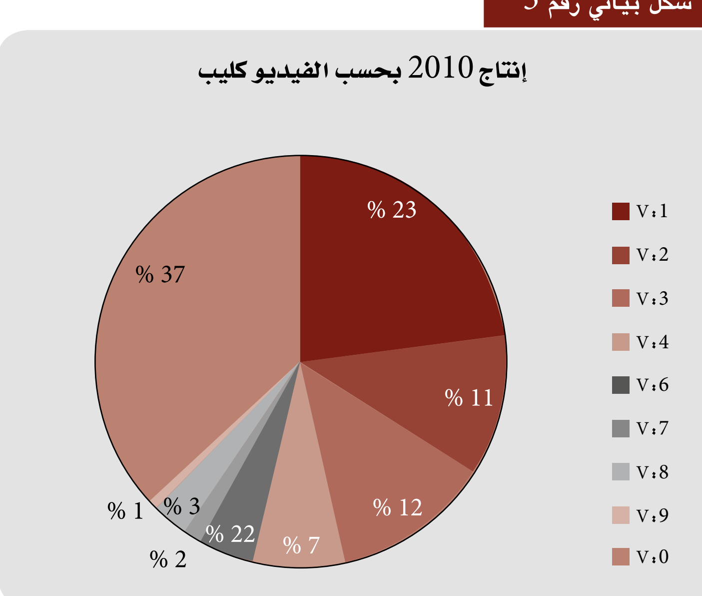
أما الآن، في زمن صعود الصورة وأفول الاهتمام بالبثّ الإذاعي المسموع، فالسلطة قد انتقلت إلى شركات إنتاج الفيديو كليب فأصبحت تتحكّم في أذواق الأمّة بإنتاج أغاني "الواوا" و"البح" و"الدح" واصطناع نجوم للغناء متواضعي الموهبة!.

ملامح من مشهد الغناء العربي في 2010

حفل **العام** 2010 ببعض الأحداث والمفارقات في مشهد الغناء العربي والتي قد لا تبدو في ذاتها عميقة الأثر، لكنّها على الرغم من ذلك لا تخلو من دلالة.

* اليمن تفوز **بنجم الخليج** 2010، **وسوريا** تفوز **بستار أكاديمي** 2010.
* مدينة **تريم اليمنيّة عاصمة للثقافة الإسلامية** 2010، **والدوحة** عاصمة **قطر عاصمة للثقافة العربيّة** 2010.
* **دورة كأس الأمم الإفريقية** لكرة القدم تغيّر مواعيد حفلات **دار الأوبرا** المصرية لتزامنهما.

شكل بياني رقم 5



الفيديو كليب نُقل من الثقافة الغربيّة إلى الثقافة العربيّة "بحذافيره"، من دون أن يعرف "تأصيلاً" في الذاكرة الغنائيّة أو "تكييفاً" مع الواقع العربي كما حدث مع أغلب الفنون التي نشأت في الغرب.

شكل بياني رقم 6

*أغنية وطنيّة مصوّرة لـ **نجوى كرم** في حبّ الوطن، كما تنافس **إسرائيل** فتدخل **موسوعة غينيس** للأرقام القياسيّة بأكبر صحن تبّولة في العالم صوّرته في أغنيتها الفيديو كليب. **إسرائيل** في أغنية أخرى تحضر بصورة أحد عملائها في فيديوكليب لـ **أمل حجازي** (ويلك من الله) لتعبّر الأغنية عن بقاء العداء العربي الإسرائيلي.

*عدد من المطربين يقومون بالإنتاج لأنفسهم وشركات الإنتاج تكتفي بالتوزيع.

***راغب علامة** يغنّي للبيئة ويعيّن سفيراً لها.

***نانسي عجرم** النجمة الفاتنة تحقّق رقماً قياسيّاً بين الفنّانين العرب بوصول معجبيها على صفحتها الخاصة في الفيس بوك إلى مليون معجب، وكذلك تغنّي **لمونديال جنوب إفريقيا** 2010 مع فنّان إفريقي في الأغنية الرسمية للمونديال.

*الكويتيّة **شمس** تعيّن سفيرة لجمعية تعني بالأشخاص ذوي الجنسيّتين وأكثر من جنسيّتين.

***أليسا** تقترب من تحقيق مليون نسخة في مبيعات الألبومات لـ 2010.

في البدء كان دور الموسيقى المسموعة هو "الإمتاع"، ومع موسيقى الأفلام تحوّل الهدف إلى "إنجاح الفيلم". أما في زمن الفيديو كليب فقد انقلبت الأدوار وصارت دلالة "إنجاح الأغنية بين جمهور الأغنية" هي "رواجها في السوق". إنه انقلاب من سلطة الإبداع والرأسمال الرمزي إلى سلطة المال والرأسمال المالي.

بعض أنماط الغناء العربي كما تمّت ملاحظتها في الشبكة العنكبوتيّة

(أ) الأغنية الوطنيّة والسياسيّة

يبدو أن المناخ السياسي العربي مازال يفتقد عبر العقود الثلاثة الماضية ظاهرة الأغاني الوطنيّة أو السياسيّة مثلما كانت مزدهرة في عقديّ الخمسينيّات والستينيّات. وهو أمر مفهوم حيث ارتبطت هذه الحقبة الزمنيّة بظاهرة التحرّر الوطني واستقلال العديد من الدول العربيّة عن القوى الاستعماريّة، كما شهدت هذه الحقبة زخماً عربياً لتطلعات قوميّة ووجوديّة، ومشاريع وطنيّة كبرى كان للغناء فيها دور قومي ووطني في تعبئة الجماهير وإيقاظ مشاعرها العربيّة.

جاء العام 2010 مثل ما سبقه من أعوام خالياً جافاً من ظاهرة الغناء الوطني التي عرفتها مرحلة المدّ القومي. وفي مقابل ذلك سادت ظاهرتان غنائيّتان ملحوظتان هما ما يمكن تسميته بالأغنية "الشوفينية القطرية" التي توظف بعض المناسبات الرياضيّة لكي تتغنّى بأمجاد الوطن. هكذا انتشرت في **مصر** بعض الأغاني احتفالاً بفوز الفريق المصري لكرة القدم ببطولة الأمم الإفريقية. وتكشف كلمات مثل هذه الأغاني عن روح مفرطة في الزهو بالذات القطريّة إلى حدّ ملامستها لنزعة شوفينيّة تبدو أبعد ما تكون عن الروح القوميّة والوطنيّة التي عبّرت عنها الأغنية المصريّة الوطنيّة في حقبة الخمسينيّات والستينيّات.

كما أن كلمات بعض هذه الأغاني لا تخلو من ركاكة وسطحيّة وذوق متدنٍّ، وربما أسهمت في إذكاء مناخ التعصّب الرياضي بين الجماهير العربيّة.

والمقارنة بين كلمات أغنية وطنيّة مثل "وطني حبيبي الوطن الأكبر" أو "متقولش إيه إدتنا مصر.. قول حذى إيه لمصر" وهي



من غناء **عليا التونسية** في سبعينيّات القرن الماضي بكلمات أغنية تقول "ادلع يا مصري يا أحلى من حقك قوي يا حلاوة العيون العسلي والجسم القوي" تكشف بجلاء عن أزمة الكلمة في الأغنية الوطنيّة العربيّة وضحالة القيم والمعاني التي تحملها كلمات الأغنية المصرية. وهي الأغنية التي أدّاها المطرب **ماجد المهندس** أثر فوز الفريق المصري بكرة القدم ببطولة أفريقيا!.

أما الظاهرة الغنائية الأخرى التي تشبه في ظاهرها الأغنية الوطنية أكثر ممّا تعبّر في جوهرها عن معاني الوطنية فهي ما يمكن تسميته بأغاني الاحتفاليات والتمجيدات التي تطلق في إطار الاحتفال بمناسبات معيّنة. ومثال ذلك ما يشهده **مهرجان الجنادرية** في **المملكة العربيّة السعوديّة** كل عام، ومن بينها **العام** 2010، من تقديم لوحة غنائيّة تتمحور حول الوطن.

وعلى الرغم من ذلك فإن **تونس** و**مصر** قد شهدتا بعض الأغاني الوطنيّة التي عبّرت عن مناخ التغيير الثوري الذي اجتاح البلدين في العام 2010. هكذا بدت الأغنية التونسية "علمونا" لفرقة بلدنا وهي تقول "علمونا كيف نصنع من ظلام اللّيل شعلة.. علمونا كيف نخبئ من جراح القلب فلّه". وهكذا أيضاً يمكن قراءة أغنية المطرب المصري **محمد منير** "إزاي" التي ألّفها **نصرالدين ناجي** وهي أغنية سياسيّة وطنيّة يلجأ فيها الشاعر للحديث عن حبيبته وهو يقصد الوطن في عملية إسقاط سياسي واضح. وقد رفض التلفزيون المصري إذاعة هذه الأغنية في **العام** 2010 حتى قامت الثورة في أوائل **العام** 2011، بعدها لم تتوقف المحطات الفضائية المصريّة عن بثّ الأغنية عشرات المرات في اليوم الواحد. تحكي الأغنية عن الإحباط الذي يعيشه المواطن المحب ممّا يلقاه من حبيبته (الوطن مصر) وما يتعرّض له من امتهان واغتراب في بلده "... أنا طفل أتعلّق بيكي في نصّ السكة توهتيه".. ثم تقول الأغنية أيضاً "... إزاي أنا رافع راسك وإنت بتحني في راسي إزاي...".

(ب) الأغنية العاطفية

الأغنية الرومانسية أو أغاني الحبّ أو أغاني العشاق كلّها أسماء للإنتاج الذي طغى على كل ألوان الإنتاج الغنائي والموسيقي الأخرى نظراً لما يتطلّبه جمهور المستمعين لكونه يعبّر عن الحال الذي أصبحوا فيه نتيجة للظروف التي فرضتها عليهم الظروف الاقتصادية وما يصاحبها من أمراض العصر من إفرازات لنظرية المجتمعات المتأسلمة وما تفرضه من قيود على العلاقات بين الفتيان والفتيات وما نتج من ذلك من علاقات غرامية آنية أفرزت هذا النوع من الجمهور وبالتالي أنتجت مستوى ثقافياً متدنياً في الإنتاج الغنائي العربي كما أثر فيه البعد المادي المصاحب للثورة التقنيّة والفضائيّة والانفتاح غير المقنّن على الحضارة الغربية، وما نتج عن هذا الانفتاح من استيراد للجوانب المادية والاستهلاكية وتهجينها في إنتاجنا الثقافي بشكل عام والإنتاج الغنائي بشكل خاص، ولاسيما في الأغاني العاطفية حيث أصبحت الأغنية مجرد صور مثيرة مليئة بالإيحاءات الجنسية (فنانات الإغراء) وهو ما أسهم به رجال هذه الصناعة المعروفة بصناعة الفيديو كليب (فنّ التعرّي) ممّن يقومون به من تشجيع لهكذا نوع من أنواع الإنتاج الغنائي البعيد عن المعايير الأساسيّة والفنّية لأيّ إنتاج غنائي حقيقي، وهذا التشجيع ينعكس من خلال طغيان الإنتاج الغنائي الركيك (الفيديو كليب والأغاني الهابطة) على باقي ألوان الإنتاج الغنائي الأخرى، وكذلك انحدار مستوى الأغنية العاطفية، والمقارنة بين الأغاني العاطفية العربيّة في **العام** 2010 وبالتأكيد ما سبقه من أعوام وبين مثيلتها

الإبداع

في العصر الذهبي الممتد خلال أربعينيّات وخمسينيّات وستينيّات القرن الماضي تكشف عن عمق أزمة الكلمة في الأغنية العربيّة.

شهد **العام** 2010 عودة المطربة اللّبنانية **فيروز** للغناء في أغنية "ما شاورت حالي" من ضمن ألبوم "إيه فيه أمل". كما غنّت التونسيّة **لطيفة** مجموعة أغاني تضمّنها "ألبومها" الغنائي الجديد "أتحدّى". وصدر للمطرب الخليجي من **الإمارات العربيّة المتّحدة حسين الجسمي** "ألبوم" غنائيّ "حامله اسمه"!! وللمطرب السعودي **عبدالمجيد عبدالله** ألبوم بعنوان "تناقض" يغني فيها أغنية تحمل الاسم ذاته ينعي فيها تناقضات الإنسان.

(ج) الأغنية الشعبيّة

تنتشر الأغنية الشعبيّة في الوسط الاجتماعي العام (الأقل ثقافة) لارتباط هذه الأغاني بالحالة المزاجية للمجتمع، وتعتبر وسيلة للتعبير عن المجتمع في أفراحه وأتراحه وقد تعبّر عن رأي سياسي معيّن وتخضع في مستواها الثقافي لعوامل عدّة، منها المستوى الثقافي للمجتمع وتأثّر المجتمع بالثقافة الماديّة وانهيار المنظومة القيميّة للمجتمع نتيجة ازدحام السكّان في المدن بالذات في الأحياء الفقيرة، ولاسيما في البلدان الأقل نموّاً ما يعكس انشغال الناس بهمومهم الحياتيّة، ومع هذا تظلّ الأغنية الشعبية تأخذ حيّزاً من الإنتاج الغنائي العربي.

ولعلّ الأغنية الشعبيّة تعاني ما تعاني منه أنماط الغناء العربي الأخرى، ولاسيما حينما تقارن بالأغنية الشعبيّة العربيّة خلال عقود مضت. وثمة نموذجان للغناء الشعبي في **العام** 2010 يدلّلان على أزمة الأغنية الشعبيّة. النموذج الأول أغنية المطرب اللّبناني الشعبي **فارس كرم** بعنوان "الأرجيلة" والتي تقول كلماتها "رتني تنباك معسل.. وتحرقيني بأرجيلة.." وكذلك أغنية **سمير صبري** "أنا عامل مسمار تمام" أو المصري **شعبان عبدالرحيم** الذي وصل به الأمر لأن يغني للحشيش معبّراً – كما في معظم أغانيه السابقة – عن حالة انحطاط غنائي وتدهور لغوي ربما لم تشهد **مصر** مثله من قبل. وبعد أن أعلى **سيد درويش** من مفهوم الغناء الشعبي ليصل به إلى آفاق سامقة جاء **شعبان عبدالرحيم** بعد سبعين عاماً ليهبط بمفهوم الغناء الشعبي إلى الدرك الأسفل وليثير أكثر من تساؤل حول ما جرى للذائقة الغنائية للمصريّين وهم الذي قدّموا للغناء الشعبي العربي روائع لا يمكن نسيانها.

(د) أغاني الأطفال

تعدّ أغنية الطفل أهم وسائل التعليم والتربية الدينية أو الدنيويّة، كما ترتبط بالترفيه والترويح عن النفس سواء أكانت الأغنية باستخدام الآلات الموسيقيّة والإيقاعات أو الأغنية الإسلامية (الإنشاد). وقد ظهر في الآونة الأخيرة العديد من الشركات والقنوات الفضائية التي تهتمّ بهذا النوع من الإنتاج الغنائي أو تلك التي أفردت مساحةً خاصةً في برامجها لذات الغرض، وخلال **العام** 2010 مثل أعوام سابقة من ظهور ألبومات غنائية للأطفال. ما يعدّ نقصاً وتجاهلاً لنمط غنائي لا يقلّ أهمية عن الأنماط الغنائيّة الأخرى. وهو جزء من مناخ عام لا يبدي فيه العرب اهتماماً كافياً وجاداً بفنون الطفل في السينما والمسرح والغناء. وباستثناء أغنية **نانسي عجرم** "يا رب تكبر ميلا" وأغنية **هيفاء وهبي** "بابا فين" وأغنية "مين كبرني" التي غنّتها فرقة **فري بيبي** من **مصر** وهي ذات أفق إنساني رفيع يعلي من مكانة الأم وقيمتها، فإن الساحة الغنائيّة العربيّة مازالت تحتاج لمزيد من الاهتمام بأغنية الطفل.

(هـ) الأغنية الدينيّة

تتشعّب الأغنية الدينيّة بتعدّد أنواعها وامتداد بعض أنواعها في القدم كالموشحات،



وفي السنوات الأخيرة حدث تحوّل في الأغنية الدينيّة، بحيث أدخلت عليها الآلات الموسيقيّة، وتطوّر وعي منتجي هذه الأغنية وأصبح إنتاجها متعدّد الأغراض واختلط السياسي بالاجتماعي والديني بالحياتي وأصبح لكلّ حركة إسلامية فرقة واحدة على الأقل تستخدمها لتسويق فكرها العقائدي والسياسي، كما ظهرت فرق ومنشدون غير مؤطرين، ممّا أثرى هذا النوع من الإنتاج وإن أصابته حمى المادة كباقي الأنواع من الإنتاج الغنائي.

وقد شهد **العام** 2010 تنامياً ملحوظاً للغناء الديني فصدر للفنّان اللّبناني **رضا** ألبوم "رباعيات في حب **الله**" يتضمّن مجموعة من الأدعية والمناجاة ذات الطابع الصوفي؛ وقدّم المطرب الإماراتي **حسين الجسمي** أغنية "ربنا"؛ والمطربة المغربيّة **سميرة سعيد** مجموعة أدعية دينيّة بعنوان "ألهتني الدنيا". كما صدر للمطربة **أنغام** ألبوم "الحكاية المحمدية" متضمّناً عشر أغنيات دينيّة، تتحدّث عن عشر نساء جليلات كان لهنّ دور ريادي مهمّ في تاريخ الاسلام. كما غنّى المطرب اللّبناني **وائل جسار** أغنية "في حضرة المحبوب".

ولعلّ هذه الأغنيات الدينيّة التي شهدها العام 2010، وأخرى غيرها بالتأكيد، تمثّل استصحاباً لمناخ عام يتزايد فيه دور الدين في حياة الناس، ويبدو العرب وكأنهم يحتمون بالدين ويجدون فيه السكينة والملاذ، هرباً من وطأة الواقع الاقتصادي والاجتماعي، وربما النفسي أيضاً. وقد لاقى الكثير من هذه الأغنيات نجاحاً ملحوظاً لدى الجمهور العربي إلى حدّ استغلالها كنغمات شخصيّة مميّزة لرنين الهواتف المحمولة.

(و) الفصحى (الأغنية القصيدة)

أبرز من غنّى هذا القالب العريق من الغناء العربي طوال الأعوام الماضية بما فيها **العام** 2010 هو الفنان العراقي **كاظم الساهر**. وفي **العام** 2010 صدر **لكاظم** ألبوم (الرسم بالكلمات)، حاوياً قصيدتين للشاعر الراحل **نزار قباني** هما (الرسم بالكلمات) و(حبيبتي) إلى جانب قصائد بالعامية. إلا أن المستمع لأعمال الفنّان **كاظم الساهر** من شعر **نزار قباني** يجد قدراً من التكرار في هذه الأعمال بسبب انحصار الشعر المغنّى في أعمال الشاعر **نزار قباني**. لكن مازالت الظاهرة الغنائيّة العربيّة المقلقة هي انحسار الغناء بالعربيّة الفصيحة، ومازالت "العاميّة"، بلهجاتها المتباينة من منطقة عربيّة لأخرى، هي النمط الغنائي السائد. بل إن "العامية" التي تحتكر كلمات الأغنية العربيّة تبدو في تدهور متواصل يبلغ أحياناً حدّ الركاكة، وهي "عاميّة" لا يمكن مقارنتها "بالعاميّة" التي كان يكتب بها **أحمد رامي** مثلاً، أو **حسين السيد** أو **مرسي جميل عزيز** أو **عبدالرحمن الأبنودي** أغاني **أم كلثوم** و**محمد عبدالوهاب** و**عبدالحليم حافظ**.

(ز) أغاني المسلسلات والأفلام

اشتهرت في **العام** 2010 مسلسلات من إنتاج العام نفسه، بحيث أنتجت أغانٍ خاصة بالمسلسلات فراجت تلك الأغاني بقدر رواج المسلسلات وبعض الأغنيات تفوّقت برواجها على المسلسل نفسه وهذا ما انعكس على الجمهور الذي أبدى اهتمامه بالأغنيات المصاحبة على سبيل المثال المسلسل السوري باب الحارة الذي لاقى نجاحاً كبيراً.

(ح) الجلسات الخليجيّة

لمثل هذه الجلسات جمهورها الخاص وهو ما ساعد على توفّر معلومات على الشبكة العنكبوتية، وإن كانت غير دقيقة، حيث حصل الباحث على رقم تقريبي عن حجم الإنتاج الغنائي من هذا اللّون والذي تسري عليه معايير الألوان الأخرى من تدنٍّ أو تنام، وممّا يسهم في شيوع هذا اللّون، هو اهتمامٌ بعض الفضائيّات ووجود جمهور.

بعض جوانب المأزق المعرفي للأغنية العربيّة

يطرح المضمون الثقافي للغناء العربي في **العام** 2010، كما في أعوام سابقة مأزقاً معرفيّاً تتعدّد فيه العوامل والأسباب بقدر ما تتنوّع جوانب هذا المأزق.

التربية الموسيقيّة المدرسيّة: الغياب وتعطيل الوظيفة الجماليّة

نحن في مجتمع عربي ذي تركيبة سكانيّة يميل فيها الميزان لصالح الشبيبة والأطفال، لذا ينبغي أن نستصحب البعد التربوي والتعليمي المطلوب من جيلنا نحوشبيبتنا إذا ما عزمنا على تمليكهم المعارف والمهارات والتوجهات التي وصل إليها التراكم المعرفي في يومنا الحاضر. فالتربية الفنّية (تشمل حصة الموسيقى) غُيّبت عن مدارس البنين والبنات الحكوميّة في **بلدان عربية** شتّى. بحجة أن تعليم الفنون ليس من الأولويات، خصوصاً عند من يجدون تصادماً بين التربية الفنيّة والنشأة الدينيّة القويمة للطفل، وتمّ ذلك ضمن المساومة السياسيّة التي شهدها ذلك القطر بعد الاقتتال الأهلي صيف **العام** 1994. كما عطلت كثير من القراءات القرآنية التي من شأن تنوّعها في التجويد تمكين النشء من أعظم تمرين يمكن أن يحصل عليه من يطمح في توظيف سليم لقدراته الصوتية.

إن "حَذف" الموسيقى خصوصاً والفنّ عموماً من الحياة ومن السلوك اليومي للفرد، أيّ فرد في أيّ زمان ومكان، يعني حصر الوجود في حاجات الجسد الأساسيّة. وفي "الضامن المادي" لهذه الحاجات الثلاث وهو"العمل".

لم يحدث هذا الفصل بين الفنّ والحياة على مرّ التاريخ لسبب بسيط وهو أن "الحياة ذاتها فن": الفنّ جواب عن سؤال "الكيف". الفنّ، إذاً، هو"شكل" سير الأمور في الحياة، وهو أيضاً "جمالية" طرح القضايا على الطاولة. لكن الفنّ، وإن كان يبدأ عادةً بـ"الكيف" و"الشكل"، فإنه غالباً ما يصبح "موضوعاً" و"مضموناً" و"جوهراً". وهنا تكتمل حلقات تطوّر الفنّ في التقدّم من مرحلة "سؤال الجدوى" التي يُخَصُّ بها الفنّ عادةً قبل قبوله إلى المرحلة الثانية، مرحلة "التخصيص"، بحيث يقبل الفنّ كـ "شكل" تعبيري إلى المرحلة الثالثة والأخيرة، مرحلة اعتماد الفن كـ "مضمون" و"موضوع" و"جوهر" و"حياة"...

وعليه، فحينما يكون هدف الأغاني هو التسرية أو الترويح، تكون وظيفتها تقوية العلاقات وإزالة الاضطرابات والتوتر في العلاقات الاجتماعية. وقد استقرّت النظرية الوظيفيّة (Functionalism) ورسخت كنزعة علميّة قوية على مسرح الدراسات الأنثروبولوجية، وأصبح مدلول كلمة الوظيفة يغطّي في وقت واحد الروابط القائمة بين العناصر الثقافيّة، وكذلك الإسهام الذي يقدّمه جزء من الثقافة إلى تلك الثقافة ككلّ.

وللّغة الموسيقيّة كثير من الوظائف البيولوجيّة والنفسيّة والاجتماعيّة، نكتفي بذكر عشر منها في ضوء ما ذكره عالم الأنثروبولوجيا **آلان مريام** مثل: التعبير الانفعالي والعقلي: فالموسيقى وسيلة مهمّة في التعبير عن الانفعالات والتنفيس عنها، وكذلك التعبير عن الأفكار وتجسيدها. والاستمتاع الجمالي: فالخبرة الجمالية المصاحبة للموسيقى هي من أعمق الخبرات الجمالية الإنسانية. والترفيه: حيث يشيع استخدام الموسيقى للتسلية والمتعة في العديد من المجتمعات الإنسانية. والتواصل أو التخاطب: وذلك باستخدام وسيلة أخرى غير اللّغة للتخاطب ونقل الانفعالات داخل مجتمع بعينه، أو عبر المجتمعات الإنسانيّة. ولتأكيد الانصياع للمعايير الاجتماعية: حيث تستخدم الموسيقى في بعض الثقافات مصاحبة لبعض التعليمات أو التحذيرات، لتأكيد معايير اجتماعية معيّنة. كما



تستخدم الموسيقى بوصفها وسيلة للإسهام في استمرار الثقافة واستقرارها؛ فقد تكون الموسيقى معبّرة عن القيم الاجتماعية السائدة، وما يعتري هذه القيم من ثبات أو تغيّر أيضاً.

وطن أم عالم عربي.... جدلية الهوية

ما زالت ثنائية التسمية: **وطن عربيّ** أم **عالم عربيّ**؟ تطرح من التساؤلات قدر ما تكشف من دلالات. ومن الملاحظات أن علاقات الإنتاج التجارية قد أصبحت سبباً في أن يتمّ تسجيل الغناء العربي وإنتاجه خارج الخريطة العربيّة، مثلاً في **تركيا**. ومن الناحية التاريخيّة فإن هذا ليس بالجديد؛ إذ إن أحفاد المهاجرين الحضارمة في **بلاد الملايو** ما يزالون ينتجون كاسيتات غنائيّة بالعربيّة، فصحى ومحكيّة، حتى اليوم. بينما في المقابل تضمّ **جامعة الدول العربيّة** أقطاراً يقوم فيها الإنتاج الغنائي على الغناء بلغات غير عربيّة. وهذا شأن يستحق نقاشاً أوفر حول الهويّة القوميّة والغناء العربي وجدلية الجغرافيا والتاريخ في عصر ندعو فيه إلى الأنسنة.

غناء أم موسيقى عربية؟

مصطلح "موسيقى" جديد على اللّغة العربيّة، و أول من استخدمه هو الفيلسوف العربي **الفارابي** نقلاً عن الأصل في المعجم الإغريقي. ومع ذلك فالغناء والموسيقى لا يتطابقان: الغناء يشترط لزوماً صوتاً بشرياً يؤدّي نصّاً موسيقيّاً، أما الموسيقى فلا تشترط أصواتاً بشرية بل يمكنها الاستغناء عنها جميعاً كما في الموسيقى الأدواتية (Instrumental music).

والواقع أن الموسيقى الآلية البحتة المجردة من الغناء والتي عرفت خطأ بـ(الموسيقى الصامتة) أصبح نصيبها القليل الأقل من مساحة الغناء والموسيقى العربيّة، وعلى الرغم من أن الموسيقى الخالصة المستخدمة في الإنتاج السمع بصري، كالمسلسلات التلفازيّة والأفلام السينمائيّة، توظّفها وتحتاجها، فإنّنا لا نجد بينها ما يروي الظمأ إلى (الإمتاع والمؤانسة) من القوالب العربيّة الآلية والتي يشترك معنا فيها الإرث الموسيقي التركي أحياناً (بشارف – سماعيات – لونجا – تحميلة– دولاب – دائرة..إلخ). صحيح أن بعض المطربين الناجحين قبل **العام** 2010 بعقود قدّموا مقطوعات موسيقيّة خالصة مثل الراحل **فريد الأطرش** في مقطوعة (توتا) والراحل **محمد عبد الوهاب** في مقطوعة (حبّي) في دول المراكز العربيّة، وكذا في دول الأطراف العربيّة، نجد الراحل السوداني **محمد أدهم** في مقطوعة (الأدهمية) واليمني **سالم بامدهف** في مقطوعة (سوسن) والراحل اليمني **أحمد قاسم** في مقطوعة (أمينة)، إلا أن شهرة هؤلاء الفنانين لم تأتي نتيجة مقطوعاتهم هذه، وإنما لأغانيهم الكثيرة بصرف النظر عن مستواها الفنّي. حتى التقاسيم الحرّة الارتجالية على العود العربي، والتي نجد عند الأوروبيّين طلباً عليها في مهرجاناتهم لا نستطيع أن نجد بينها الكثير من المغايرة من حيث العزف الارتجالي الذي هو روح فنّ التقاسيم في علم جمال الموسيقى العربيّة.

أغنية أم طقطوقة عربية؟

إن استخدام مصطلح (الأغنية) يرسخ خطأ شائعاً في خطابنا طالما اشتكى منه علماء الموسيقى العرب قبل غيرهم مثل **نزار مروة** و**جابر علي أحمد**..إلخ، ذلك أن مصطلح الأغنية في سيرورة التطوّر التاريخي للقوالب الغنائيّة في الغناء العربي يحتفظ بالمصطلح لما كان يعرف (بالطقطوقة) أو (القطقوطة)، وهو قالب بسيط شاع في **مصر** في العقود الأولى من القرن العشرين، يقوم على معمار شعريّ ولحنيّ هو المذهب والكوبليهات، وكان

الإبداع

يـؤدّى في علب اللّيل ولا يحظى عادةً مغنيه أو مغنّيته بالتقدير الذي يحمله الجمهور لمن يرتاد تحدّي غناء القوالب الأخرى في الغناء العربي في المدن العربيّة والتي لكلّ منها خصوصياته الأدائية وطقوسه التي يتعارف عليها الجمهور نفسه: قالب الدور المصري – قالب موشح المشارقة وموشح المغاربة الدنيوي منها والديني – قالب القصيدة الفصحى المغناة – قالب المقام العراقي – قالب الصوت الكويتي والبحريني – قالب القد الحلبي – قالب المألوف وتفرعاته في شمال إفريقيا – قالب الآلة المغربي – قالب الحقيبة السوداني – قالب الدان الحضرمي – قالب المجس الحجازي..إلخ. هذه كلّها يجمعها الإرث الكلاسيكي للغناء العربي في المدن أو موسيقى المدينة كما ترى الباحثة د. **شهرزاد قاسم حسن**. إذاً كلّ طقطوقة أو أغنية هو غناء وشيء من الميلودي لكن ليس كلّ غناء أو موسيقى عربية طقطوقة أو أغنية بالتأكيد.

ابن خلدون وأزمة شعرنا الغنائي !

إن تشخيص أزمة الكلمة في الأغنية العربيّة وتحميلها سنة بعد أخرى المسؤولية في تدنّي مستوى الخطاب الغنائي العربي يفترض جدلاً أن الكلمة الملحّنة المغناة منفصلة عن ما يتحايث معها من أزمات تشملها وتتعدّاها إلى أزمة في الشقّ الموسيقي والأدائي، بل والسمع بصري، وما يحكم هذه المكوّنات المختلفة من علاقات الإنتاج كالربح التجاري السريع وغياب الاستراتيجيات الوطنيّة والقوميّة التي بغيرها يصبح التحدّي أكبر وأكبر أمام تقدّم المضامين المختلفة للفعل الغنائي العربي وتنوّعها. لذا لا نستطيع كأمة خابت آمالها في الوحدة والتحرير والنهضة أن نتوقّع تطوّر شعرنا الغنائي في إبداعنا في الوقت الذي تتراجع فيه المكوّنات الأخرى، ومثل هذه الملاحظة كان **ابن خلدون** سبّاقاً إليها، ومن ثم جاء الفيلسوف الأميركي المعاصر **ماسلو** بمدرجه المعروف بهرم الاحتياجات الإنسانية ليؤكّد أن التفات الإنسان إلى الفنّ ومن ثم حلمه بتحقيق الذات لا يأتي إلا بعد تحقيق سلسلة من الاحتياجات البيولوجيّة والسيكولوجيّة والسوسيولوجيّة.

سايكس وبيكوفاشلان موسيقيّا (اللّهجات الموسيقية العربيّة)

كثيراً إن لم نقل دائماً ما تطغى المراكز على الأطراف في معادلة الإنتاج والإبداع الثقافي، والغناء ليس استثناءً، وثمة توافق بين الباحثين الموسيقيّين العرب والمستشرقين المشتغلين في الغناء العربي على أن لهجة (أسلوب) الغناء العربي تنقسم إلى أربع لهجات متميّزة من ضمن المشترك العام لها داخل بوتقة اللّغة الموسيقيّة العربيّة الواحدة. ولقد كان الباحث الألماني **موريس شنايدر** من أوائل أولئك الذين نبّهوا إلى هذه النظرية، وتبعه في ذلك التونسيان **صالح المهدي** و**محمود قطاط**، ومثله فعل البحّاثة البريطاني **أندرسون ديوك باكويل** وهذه اللّهجات هي: لهجة شبه الجزيرة العربيّة وتشمل **اليمن** وكلّ **دول مجلس التعاون الخليجي العربي**، ولكنّها تمتدّ أيضاً إلى جنوب **العراق**، وخصوصاً قرية **الزبير**، كما أن هذه اللّهجة نفسها بمكوّناتها هي الأكثر حضوراً بين عرب المهجر في **بلاد الملايو**؛ وهي بلاد تشمل **ماليزيا وسنغافورة وأندونيسيا وبروناي** وجنوب **تايلاند**. ويعرف هذا الفنّ الذي يؤدّى باللّغة العربيّة، فصحى ومحكيّة، في تلك المناطق بفنّ (سمرة القنبوس ورقص الزفين) (Qambus Samra & Zapin)، وبالقدر نفسه نجد أن المكوّن الموسيقي الحضرمي والعماني والكويتي هو المهيمن في غناء دول عربيّة نائية، مثل **جمهورية جزر القمر** وحتى **جزيرة زنجبار** (الفردوس المفقود الثاني) التابعة حالياً إلى **تنزانيا** وجزر مجاورة، مثل **جزيرة بمبا وجزيرة لامو** وبعض الثغور المقابلة لهذه الجزر مثل **مليندي وممباسا**، ويعرف هذا الفنّ في هذه المناطق بفنّ (الطرب) (Tarrab)،إلا أنه يأتي مختلطاً بكلمات سواحيليّة وإيقاعات هنديّة. ويبقى من المهمّ أن نشير إلى أن عدداً من سكان **شبه الجزيرة العربيّة** يغنّون بلغات غير عربيّة قريش مثل المهرية والسقطرية في **اليمن** والبرطوحية والحرسوسية في **عمان**.. إلخ، لهجة **مصر** وبلاد **الشام** وبلاد **الرافدين**، وهذه اللّهجة هي التي تكاد تلمس حضورها بقوّة في المناطق الخارجة عن نفوذها الجغرافي السياسي حتى أصبحت تختزل الغناء العربي في نمطيّتها.

وهي مناطق تجد أن آثار المثاقفة الموسيقيّة بينها وبين الموسيقى الفارسيّة من حيث المقامات وبعض الآلات وكذلك الموسيقى التركيّة قبل المعاصرة كبير، ولعلّ هذا ما يفسّر الحضور الكثيف لعلماء الموسيقى الأتراك في جلسات المؤتمر الأول للموسيقى العربيّة المنعقد في **القاهرة العام** 1932.

مرّة أخرى نجد أن الانحياز للأمانة العلميّة يفرض علينا أن نقول إن بعض الثغور البحريّة لهذه المنطقة على **البحر الأحمر** تتقاسم الكثير من ملامح لهجة **الجزيرة العربيّة** كما هو الحال في فنّ السمسمية في **العقبة في الأردن والإسماعيلية في مصر**، حيث تعرف فنون السمسمية هناك بفنون (الضمة) و (البمبوطية).

كما يلاحظ أن منطقة **بلاد النوبة** في جنوب **مصر** تتبع نظاماً موسيقيّاً قائماً على ثقافة السلّم الخماسي وتتشاطأ هذه الثقافة مع بلاد النوبة الواقعة شمال **السودان**.

كما أن مجاميع عديدة من سكّان **العراق** الأصليّين يغنّون بلغات غير عربيّة والمثال الأبرز هو حالة **كردستان العراق**، وسريان **لبنان** ونوبة جنوب **مصر**..إلخ.

لهجة **المغرب الكبير**، وتشمل **الدول العربيّة** المطلّة على جنوب **البحر الأبيض المتوسط** باستثناء **مصر**. وهنا نجد أن الإرث الموسيقي الذي تطوّر وتبلور في **بلاد الأندلس** (الفردوس المفقود الأول) له بصمات في التقاليد والطقوس الموسيقيّة للأجزاء الشماليّة من هذه الرقعة العربيّة وتستطيع أن تميّز الأذن المشرقية العربيّة غناء شقيقتها من البلدان **المغاربيّة**، من دون أن تكون قادرة بالضرورة على تحديد كونه غرناطياً جزائرياً أم ملحوناً مغربيّاً أو نموذجاً لناس الغيوان، وذلك من خلال ما نسمّيه النسيج اللّحني، إضافة إلى ما يعرف عند أهل الصنعة بـ(الهنك). وهناك مناطق واسعة في جنوب هذا الحزام الجغرافي تقوم موسيقاها على ثقافة السلم الخماسي ممّا يعطيها (هنكا) مغايراً ويصبح الغناء باللّغة العربيّة حيناً وبلغات المجتمعات المحلّية الأصيلة هناك حيناً آخر. فمثال على ذلك أغاني **واحة غدامس** في **ليبيا** وأغاني مقام الرصد العبيدي المعروف أيضاً بالراست الكناوي في **جنوب تونس**، وقس على ذلك غناء **كناوة في الجزائر** وغناء منطقة **سوس** في جنوب مملكة **المغرب**.

هناك من يخلط بين "الأغنية العربيّة" وبين "الأغنية العربيّة المشرقيّة". والمسألة ليست بهذه البراءة. إنها تنمّ عن ذهنيّة أساسها أن **المشرق** هو المركز و**المغرب** هو الهامش. ولذلك فجميع القنوات الإذاعيّة والتلفزيّة المشرقيّة تحصر الأغاني المبثوثة على أمواجها على رقعة جغرافيّة تتأرجح ما بين **الخليج والشام والنيل**.

المشرق العربي يقصي **المغرب العربي**، و**المغرب العربي** يقصي أغاني جيرانه المغاربيّين، وفي الوقت نفسه كلّ دولة تقرب نوعاً غنائيّاً وتجعله فنّاً رسميّاً(الطرب الأندلسي في **المغرب** مثلاً)، بينما تقصي أنواعاً غنائيّة أخرى وتختزلها في كلمة "فولكلور"...

الغناء في المنطقة الأفرو–عربية، وتشمل **موريتانيا** وجمهورية **السودان وجيبوتي والصومال**،لايكون بالعربيّة فقط، بل باللّغة الحسانية أيضاً، في **موريتانيا** وبلغات بجاويّة ونوبيّة وزغاويّة..إلخ في شرق وشمال وغرب جمهورية **السودان** على التوالي. أما الغناء في **الصومال** فيكون بالصوماليّة وفي **جيبوتي** يتوزّع بين الصوماليّة والدنكليّة أو العفريّة.

جديد الفقه: غناء المسلمين والمنزلة بين المنزلتين

لعلّ أهم التنظيرات الموسيقيّة للعالمة الأميركية الدكتورة **لويس إبسن** (عرفت باسم **لمياء الفاروقي** بعد اعتناقها الإسلام)، اقتراحها تراتبيّة لفصائل الفنّ الموسيقي عند المسلمين من حيث: كونه موسيقى، وما الموقف الفقهي حوله؟.

عن العلاقة ما بين أزمة الشعر العربي وأزمة الأغنيَة العربيّة

التعريف الشائع للشعر عند العرب هو أنه "كلّ كلام موزون ومقفّى". ولذلك فقد انصبّ كلّ الجهد في تاريخ الشعر العربي على الوزن والقافية. فكان الاهتمام الكبير بعلم العروض ولم يكن ثمّة اهتمام بفلسفة الشعر أو نظرية الشعر. فبزغ في الثقافة العربيّة نجم **الخليل بن أحمد الفراهيدي** البصري علامة الأنغام والإيقاع ولم يبزغ نجم لأيّ منظّر للشعر. فالانشغال بالجانب التقني في الشعر العربي صرف الانتباه عن الجانب التنظيري له.

إن الدارس للشعر العربي يعتقد وهو يعدّ البحور الستة عشر المحدّدة لنظم الشعر في الأدب العربي، أن كلّ بحر يختصّ بغرض شعري دون غيره. لكنّه، في زحمة أسماء البحور وتضارب الأغراض الشعريّة، يعلم أنه بالإمكان نظم الشعر في جميع الأغراض الشعريّة بميزان شعري واحد فقط: ببحر شعري واحد لا غير. والقصيدة العربيّة العموديّة تشهد أن ربع ما نظّم من شعر في تاريخ الأدب العربي نظّم على وزن "البحر الطويل"، فقد نسج **أبو الطيّب المتنبّي** قصائد حكمه على هذا البحر:

على قدر أهل العزم تأتي العزائم
وتأتي على قدر الكريم الكرائم
وتكبر في عين الصغير صغارها
وتصغر في عين العظيم العظائم

كما حاكت **الخنساء** قصائد الرثاء التي اشتهرت بها على وزن "البحر الطويل" تماماً كما نظّم **الحطيئة** قصائد الهجاء المعروفة باسمه على ذات الوزن. ولقد جاراهما في ذلك السابقون واللاحقون من فطاحل الشعراء العرب. فقد جاءت قصائد **إمرئ القيس وعنترة العبسي وأبي تمّام والبحتري وأبي نوّاس وعمر بن أبي ربيعة** في الفخر والغزل والمدح والوصف والتصوف والاعتذار... منظومة على ذات الوزن الأكثر هيمنة على الإيقاع الشعري العربي: "البحر الطويل".

إن هيمنة "البحر الطويل" على الشعر العربي، على الأقلّ في شكله العمودي، يبرهن بما لا يدع مجالاً للشكّ والتشكيك أن اعتماد الأوزان في الشعر العربي لم يخضع لضوابط فلسفيّة تؤطر هذا الاختيار وتميّزه عن ذاك. ولذلك ترك اختيار الوزن الشعري للتلقائيّة والسليقة الشعريّة لدى الناظم. في حين عرفت ثقافات إنسانيّة أخرى مسارات مختلفة في قرض الشعر، إذ خصّت لكلّ غرض شعري وزناً شعريّاً موازياً وبالمثل خصّت لكلّ غرض غنائي إيقاعاً موسيقيّاً موازياً.

وإذا كان الشعر العربي قد عرف ستة عشر بحراً شعريّاً ولم يستثمر هذا العدد الكبير من الأوزان في تنويع الإيقاعات تماشياً مع تنوّع الأغراض الشعريّة، فالنتيجة هي أن الشعر العربي قد ضيّع فرصته في إنتاج قوالب

شعريّة خاصة بكلّ غرض شعري. وإذا كان للشعر، تنظيراً وإبداعاً، تأثير واضح على باقي الفنون، فالنتيجة هي أن أعطاب الشعر انتقلت، بالعدوى، إلى باقي الفنون، بما فيها الأغنية العربيّة. ومن هذه الأعطاب ضياع فرصة إنتاج قوالب موسيقيّة لكلّ غرض غنائي.

هكذا، تشتّتت الأغنية العربيّة بين تسعة أصناف تبعاً لتأثير"العامل المهيمن في أدائها":

1) بحسب الغرض الغنائي: حكم، مدح، غزل، ابتهال، رثاء...
2) بحسب الإيقاع: الجغرافي(الأغنية المغربيّة، الأغنية السودانيّة، الأغنية الخليجيّة...)، أو الإثني (أحيدوس للأمازيغ، الأندلسي للموريسكيّين، الكناوي للزنوج...)، أو الجهوي (الهيت لقبائل الغرب، الطقطوقة لقبائل جبالة...)، أو الطبقي، أو الديني.
3) بحسب الأدوات المشغلة في العزف: أغنية شرقية (حضور مهيمن للعود أو القانون)، أغنية غربيّة (حضور طاغ للقيثارة أو الساكسوفون)...
4) بحسب انضباطها للقواعد الموسيقية: الأغنية الكلاسيكيّة، الأغنية الشعبيّة...
5) بحسب عدد المغنّين: الغناء المنفرد، الغناء الجماعي، أغاني المجموعات...
6) بحسب جنس المغني: الأغنية النسائيّة، الأغنية الأنثويّة...
7) بحسب الموقف من الوجود: أغنية ثوريّة، أغنية رسميّة، أغنية تجاريّة...
8) بحسب الحالة النفسيّة المقصودة: الجذبة (هارد روك آند رول)، المرح (كلاسيك روك أند رول)، الحزن (بلوز)...
9) بحسب اللّغة: فصحى، زجل عامي(الأغاني الشعبيّة)، تهجين (أغاني الراي).

أمام هذه التشظية لمفهوم الأغنية وهذا التشتت للمجهود الغنائي، ألم يحن الوقت بعد لتوحيد الأغنية العربيّة تحت نظريات عربيّة في الغناء تبحث في الأصول وتستمدّ منها مقوّماتها الفكريّة والفلسفيّة لإعطاء الروح لهذا الفنّ الفاعل في الوجدان العربي؟

ألم يحن الوقت بعد للإقلاع بالأغنية العربيّة في زمن لا مكان فيه للفنون الصوريّة، التي لا يوجد أساس فلسفيّ يسندها في مواجهة رياح العولمة وهيمنة القوة المادية والرمزية؟

أزمة الغناء العربي بين سلطة "الواحدية" وإرادة "الحرية"

للأغنية العربيّة "خصوصية" تجعلها بعيدة عن المسار الذي سارت فيه جارتها الشمالية. فدخول المذياع والتلفاز والسينما والفيديو والـ DVD والـ VCD والإنترنت وغيرها، فضلاً عن الأحداث العربيّة المصيريّة التي حفرت ذاكرة القرن العشرين، لم تترك آثارها على الأغنية العربيّة كما حدث لجارتها الأغنية الغربيّة التي مرّت بالشروط نفسها، وذلك للأسباب التالية:

1. الفلسفة التي تحكّمت في دخول وسائل الاتصال السمعيّة– المرئيّة العالم العربي لم يكن الغرض منها "تطوير الإنسان العربي"بل"ضبطه". والدليل هو أن المنافسة بين القنوات العربيّة كانت "منافسة جغرافيّة"، الشيء الذي أنتج أغاني"عادية" بإيقاعات جغرافية محلّية!...
2. الواقع السياسي العربي الذي ولّدته الهزائم السياسيّة والعسكريّة جعل الشارع العربي حكراً للتجوّل والتسوّق. ولذلك كان المطرب(ة) العربي (ة) يبدع مواويله (ها) وآهات عشقه (ها) في استوديو التسجيل بينما النار تحرق **شام ونيل**1967 والشارع محروس بالعصي والمطرب المتمرّد محروم من تأشير الدخول لإحياء العروض الغنائية...

ولأنّ "الاختلاف" في الذهنيّة العربيّة يعني آلياً "الفتنة"، فقد قويت مفاهيم "الواحدية" و"الإجماع" على لسان الأغنية العربيّة التي عوض إنتاج خطاب البديل والمثال والحرية

الإبداع

والاختلاف، أنتجت خطاب "السلطة" وعزّزت معايير "الواحديّة" و" النمطيّة":

1. **الصوت الذكري**: ناعم وذكري، باستثناء صوت عربي واحد خرق المعايير وفرض ذاته بصوته الأجش الغليظ، المطرب الشامي **فهد بلان**، ولكن "السلطة" الفنّية، التي أصبحت تعبّر عن نفسها على لسان رجل الشارع العادي، تابعته بالتنكيت لخروجه عن المعيار المحدّد للمغني الذكر: الصوت الناعم.

2. **الصوت الأنثوي**: ناعم وأنثوي، باستثناء أصوات أنثويّة قليلة انزاحت عن المعيار النمطي وفرضت ذاتها بأصواتها المبحوحة: المطربة المغربيّة **نعيمة سميح**، والمطربة **نجوى كرم** و**هيام يونس**... إذ عرف الغناء في **العالم العربي**، في الماضي، اللّجان التي تهتمّ بإجازة أو بمنع الأصوات الغنائيّة الصالحة والأصوات الغنائيّة غير الصالحة. وقد اعترض في أول الأمر على المطربة العربيّة العملاقة فايزة أحمد بسبب "البحّة" في صوتها، هده البحّة التي كانت في حينها ميزة صوتيّة مميّزة عند جيراننا في الشمال.

هكذا، بانفصالها عن الشارع العربي بمطالبه وآماله وإحباطاته، أصبحت الأغنية العربيّة مجرد نوتات يملأ بها المذياع والتلفزيون آذاننا في انتظار ساعة نومنا نحن، ونهاية بثّه هو. وتأسيساً على ذلك، غاب أكبر منبر جماهيري لتمرير خطاب الدمقرطة والتحرّر والوعي الحقوقي، وغابت معه أسئلة المواطنة والحوار...

لقد عانت الأغنية العربيّة من كونها أغنية مونولوج، تغنّي لذاتها. حتى الطفرة النوعيّة التي حقّقتها مجموعات شعبيّة غنائيّة مغربيّة خلال السبعينيّات (ناس الغيوان، جيل جيلالة، تاكدة، إزنزارن...) بمحاولاتها الارتقاء إلى الأغنية الجماعيّة كانت في أصلها أغنية مونولوج لكون الأغنية تغنى في نفس الآن بأصوات أعضاء المجموعة جميعاً. المطلب الآن هو الارتقاء إلى الأغنية الحواريّة: حوار الذات مع الآخر.

الأغنية الحوارية في الثقافة العربيّة أو "ثقافة الحوار الغنائي" (= duo)

هناك من يفصل قنوات التعبير الإنساني إلى ثلاث: 1. المونولوج: وهوحوار داخلي مع الذات. 2. الحوار: يقتضي حضور طرفين (إما فردين أو جماعتين) يتواصلان لغوياً، جسدياً. 3. التفاوض: حوار غائيّ مصلحيّ واع بمصالح الذات والآخر ويعمل على التوفيقَ بينها...

لكن القاعدة العامة لكائن اجتماعي كالإنسان تبقى هي "الحوار"، لأنها قناته التعبيريّة الأساس لا يستبدلها بالمونولوج إلا في هزائمه وإحباطاته وشكوكه وخوفه من الآخر. كما لا يستبدلها بالتفاوض إلا في التسويات الرسميّة والتنازلات المتبادلة...

الاهتمام بالحوار هو اهتمام حديث رافق التنظير الفكري والإبداعي والسياسي والتاريخي الهادف إلى الانفتاح على الآخر الذي قد يكون جزءاً من ذاتنا تارةً أو وجوداً منفصلاً تارةً أخرى، أحياناً تحت اسم "شراكة" وأحياناً أخرى تحت اسم "تناصّ" أو "تلاقح"... والأغنية كشكل من أشكال الثقافة معنيّة بالحوار، ولكنّها كتجلٍّ من تجلّيات عقلية المجتمع، رهينة النسق العام سواء في إرادة الانفتاح والتلاقح والتعدّد أم في إرادة التقوقع والرأي الواحد.



ملف

الحصاد الثقافي السنوي
للعام 2010

حصاد العام 2010:
عام ثقافيّ حيويّ لا يخلو من تحفّظات

I. ما قبل الحصاد

الانطباع الأوّلي المتولّد عن بانوراما المشهد الثقافي العربي على امتداد العام 2010، هو كثافة الأنشطة والفعاليّات وتنوّعها، بخاصةً مع الحيّز الواسع الذي خُصّص للفنون، من عروض مسرحيّة وسينمائيّة وفنّ تشكيلي وغناء.. إلخ، فضلاً عمّا يوحي به هذا المشهد من تبلور أطرٍ عمليّة للحوار والنقاش وتبادل التجارب في القضايا الثقافيّة العربيّة، ولاسيما بعدما عملت السياسة طويلاً على تفريق العرب، وبعدما باعدت بينهم المصالح الاقتصاديّة.

لكن، هل يمكن القول إن هذا الزخم الثقافي في ظاهره، والمتراكم في أشكاله، يعكس تطوّراً حقيقيّاً في نوعيّته؟ وهل جاءت كلّ هذه الأسئلة مختلفة ومتميّزة عن بعضها البعض أم أن الكثير منها وقع في فخّ التكرار والاجترار إلى حدّ أنّنا أصبحنا نرى مؤتمرات وندوات عديدة تناقش الموضوعات نفسها أحياناً تحت العناوين نفسها؟ ثم، ولعلّه السؤال الأهم، هل لامست هذه الأنشطة والفعاليات اهتمامات الناس وتطلّعاتهم وهمومهم، أو أنها بقيت محصورةً في دوائر النخب العربيّة قليلة العدد؟

هل يمكن القول إن الزخم الثقافي في العام 2010، والمتراكم في أشكاله، يعكس تطوّراً حقيقيّاً في نوعيّته؟ وهل جاءت كلّ هذه الأسئلة مختلفة ومتميّزة بعضها عن البعض أو أن الكثير منها وقع في فخّ التكرار إلى حدّ أنّنا أصبحنا نرى مؤتمراتٍ وندواتٍ عدّة تناقش الموضوعات نفسها أحياناً تحت العناوين نفسها؟.

هذه الأسئلة، وربما عديد غيرها، ليست سوى عيّنة من الأسئلة التي يثيرها هذا المشهد الثقافي على الرغم من إيجابيّاته؛ تلك الإيجابيّات التي لاتتمثّل بعدد الأنشطة وحسب، بل بالقضايا والعناوين التي طبعته، والتي دارت بشكل أساس في فلك واقع عربيّ وعالميّ متغيّر، أومأت إليه عناوين كثيرة لعددٍ من الأنشطة الثقافيّة أوالنصوص الواردة في الدوريّات الثقافيّة والفكريّة التي تضمّنت مصطلحاً واحداً على الأقل يشير إليه، أي إلى هذا الواقع المتغيّر. كانت أهمّ القضايا التي انشغل بها العرب في مؤتمراتهم ودوريّاتهم الفكريّة والثقافيّة: "التحوّلات الأدبية في العصر الرقمي"، "تكيّف المنظور الواقعي للعلاقات الدولية مع التحوّلات الدولية لما بعد الحرب الباردة"، "تحوّلات المنظمات الدولية وموتها"، "أين دور العرب في عالم يتشكّل من جديد؟"، "تحصين الثقافة العربيّة في زمن التحوّلات العاصفة"، "التابعون الجدد"، "المُصلحون الجدد"، "اقتصاد القرن الحادي والعشرين، والآفاق الاقتصادية – الاجتماعية لعالم متغير"، "الثابت والمتحوّل في الشرق الأوسط"، "حول الواقع العربي والمستقبل في عالم يُعاد تشكيله راهناً"... إلخ. حيث بدا هذا التحوّل مصدر الكثير من الهواجس حول الواقع العربي والمستقبل في عالم متغيّر يُعاد تشكيله راهناً، وحول دور العرب ومسؤولياتهم في صنع نهضة فكريّة وثقافيّة وحضاريّة عربيّة. هذا فضلاً عن أبرز التحدّيات التي تواجه اللّغة القوميّة والهويّة والتاريخ والشباب، خصوصاً أنهم (أي الشباب) موكلون بالمشاركة في رسم المستقبل، فضلاً عن موضوع "حوار الحضارات أو الثقافات"، بكلّ عناصره ومكوّناته، بما في ذلك "الأنا والآخر"، و"الإسلام"، ولاسيما الإسلام كدين حضاري حامل لقيم الحوار والتعارف بين الناس، لأن موضوع الإسلام جرت مقاربته عموماً من زوايا عدّة، منها على سبيل المثال لا الحصر ضرورة تجديد الخطاب الديني، والإقرار بأهميّة الاجتهادات في إطار

وحدة المرجعيّة الدينيّة، لما يشكّله ذلك من تعبيرٍ عن فهم الإسلام كنظام شامل. كما استدعت الموضوعات المتعلّقة بـ"الأنا والآخر" مفهوم التنوّع والتعدّد بأشكاله الثقافيّة والدينيّة والسياسيّة والفكريّة كافة. حيث برزت اتجاهات تدافع عن التنوّع بعيداً من التنميط والقولبة، وانسجاماً مع حقائق التعدّد في الكون وفي معطيات الحياة الاجتماعية. وفي إطار الحوار نفسه، نوقشت آليات الحوار والتواصل بين الشباب ومعه، ومشاركته في الشأن العام، وانخراطه في العمليّة التنمويّة. وبرز الاهتمام في هذا السياق أيضاً بالترجمة كفعل ثقافي تواصلي.

واللافت تشكيل الثقافة نفسها محور مناقشات في الساحة الثقافيّة العربيّة، خصوصاً إزاء أطروحات المفاهيم التنمويّة الجديدة التي اعتبرت الثقافة مكوّناً تنمويّاً رئيساً، فشغلت فكرة الإعداد لقمّة ثقافيّة عربيّة حيّزاً مهمّاً في الساحة الثقافيّة العربيّة، كما تقاطعت المقاربات إزاء الثقافة مع مختلف القضايا السياسيّة والاجتماعيّة والاقتصاديّة والتكنولوجيّة الراهنة، مثل "إشكالية التعدّدية الثقافيّة في الفكر السياسي المعاصر: جدلية الاندماج والتنوّع"، الثقافة العربيّة في ظلّ وسائط الاتصال الحديثة"، "الثقافة العربيّة.. المستقبل والتحدّيات"، "تغيّرات الثقافة.. تحوّلات الواقع"، "الصناعات الثقافيّة في الوطن العربي"، "الثقافة الرقمية"، "صناعة المحتوى الثقافي العربي أهميتها وتحدياتها"... إلخ، هذا فضلاً عن إشكالات قضايا الثقافة العربيّة المعاصرة عموماً، سواء في مقابل تهافت الجانب الإنساني في الثقافة الكونية المعاصرة، أم في مقابل سؤال الهوية، ومواجهات القيم في نهاية عولمة الحداثة الغربية.

تقاطعت المقاربات إزاء الثقافة مع مختلف القضايا السياسيّة والاجتماعيّة والاقتصاديّة والتكنولوجيّة الراهنة، مثل "إشكالية التعدّدية الثقافيّة في الفكر السياسي المعاصر: جدلية الاندماج والتنوّع"، الثقافة العربيّة في ظلّ وسائط الاتصال الحديثة"، "الثقافة العربيّة.. المستقبل والتحدّيات"، "تغيّرات الثقافة.. تحوّلات الواقع".

بذلك تعدّدت الموضوعات التي تناولت القيم المشتركة بين الشرق والغرب، أو "الاختلاف في وجوهه الدّينيّة والحضاريّة والأيدولوجيّة". ومثل كلّ الموضوعات التي يتقاطع بعضها بعضاً، شغل **حوض البحر الأبيض المتوسط** حيّزاً من الواقع الثقافي العربي لسببين: أولهما اندراجه في إطار حوار الحضارات أو الثقافات وما يقتضيه ذلك من ضرورة تعزيز العلاقات الأوروبيّة المتوسطيّة في سياق الحوار الحضاري بين العرب والعرب، وبين العرب وغيرهم، انطلاقاً من القيم المشتركة بين الغرب والعالم العربيّ والإسلامي، وثانيهما التخوّف من محو الهوية القومية للدول العربيّة لمصلحة هوية **الشرق الأوسط الكبير**، ذي البواعث الخفيّة والاحتكاريّة، والدور الأميركي المناهض لتطلّعات العرب والمناصر **لإسرائيل**. فكُتب الكثير عن العلاقات الدوليّة وسياسات **الولايات المتّحدة**، مثل "تكيّف المنظور الواقعي للعلاقات الدولية مع التحوّلات الدولية لما بعد الحرب الباردة"، و"سياسة الولايات المتّحدة تجاه الشرق الأوسط في حقبة أوباما: هل هي نقطة تحوّل"؟ و"الاستشراق الأميركي.. قصة العلاقات المضطربة بين أميركا والشرق الأوسط منذ العام 1945"...

شغل حوض البحر الأبيض المتوسط حيّزاً من الواقع الثقافي العربي لسببين: أولهما اندراجه في إطار حوار الحضارات أو الثقافات، وثانيهما التخوّف من محو الهوية القومية للدول العربيّة لمصلحة هوية الشرق الأوسط الكبير.

وفي هذا الصدد، احتلت **تركيا** بدورها حيّزاً في المشهد الثقافي للعام 2010، وذلك في ضوء التساؤلات والمقاربات التالية: "التعاون العربي – التركي... إلى أين؟"، "الخيارات الاستراتيجية للوطن العربي، وموقع تركيا منها"، "وجهة نظر عربيّة في التعاون والتنسيق العربي – التركي"، "وجهة نظر عربيّة في واقع وآفاق العلاقات الاقتصادية العربيّة– التركية"... إلخ.

أما موضوعات مثل "الصراع على آسيا الوسطى.. قديم يتجدّد"، و"التغلغل الإسرائيلي في دول آسيا الوسطى وانعكاساته على علاقاتها مع المنطقة العربيّة"، فتشير بدورها إلى الأهميّة التي احتلّتها بلدان مركزيّة مثل **الهند واليابان والصين**، كقوى اقتصاديّة عالميّة، في المشهد الثقافي العربي، انطلاقاً من التفكّر في أطر وأساليب التواصل معها على الصعد كافة، إلتفافاً على المحاولات

الإسرائيلية الرامية إلى مزاحمة العرب في التقرّب من هذه البلدان. وهذا في وقتٍ تراجع فيه الزخم الذي كان لبعض الموضوعات مثل الديمقراطيّة، المرأة، العلمانيّة، الحداثة. علماً بأن موضوع "الحداثة" أخلى الساحة لموضوعات مثل "المعرفة والعقل والعلم"، بوصفها مكوّنات هذه الحداثة، فيما أخلت الخطب المطالبة بالديمقراطية العربيّة على النسق الأوروبي أو الأميركي الساحةَ للخطب المشكّكة فيها من خلال مقالات مثل،"العولمة والديمقراطية والإرهاب"، "الديموقراطية ... أم التنمية؟ – خيارات العرب الصعبة!!!"، "تحوّل أفكار نشر الديمقراطية إلى رديف لنظرية الفسطاطين".

موضوع الحداثة أخلى الساحة لموضوعات مثل المعرفة والعقل والعلم، بوصفها مكوّنات هذه الحداثة، فيما أخلت الخطب المطالبة بالديمقراطية العربية على النسق الغربي الساحة للخطب المشككة فيها.

هذا المشهد الثقافي العام ليس وليد العام 2010، إنما هو يتواصل مع المشاهد الثقافيّة للأعوام السابقة إذاً، وتحديداً مشاهد العقد الأول من الألفيّة الثانية، التي أثارت بدورها الكثير من الإشكاليات الجديدة، أو قامت بتجديد بعض القديم منها، في ظلّ عولمة مختلفة وعلاقات دوليّة جديدة أيضاً.

فما هي أبرز هذه الموضوعات التي ميّزت المشهد الثقافي العربي بعموميّته في 2010، والتي بدت مولودة من رحم العام السابق بخاصة، ومن العقد الفائت بعامة؟ وإلى أيّ منهجيّة استند حصادنا الثقافي للعام 2010؟ وهل إن الحصاد الثقافي قد يفضي إلى التفاؤل بمستقبل الثقافة العربيّة أو إنه يعتبر ذلك مجرد "حملات أمل" بحسب ما جاء في عنوان إحدى الدوريّات الشي شملها الحصاد[1] ؟

في منهجيّة الحصاد

لئن كانت القضايا المطروحة آنفاً في الثقافة العربيّة هي التي رسمت البانوراما الثقافيّة **للعام** 2010، إلا أن استكمال هذه البانوراما استند إلى مجموعة من النماذج الثقافيّة العربيّة، وتحديداً إلى أنشطة عددٍ من المؤسّسات الثقافيّة العربيّة بلغ مجموعها 31 **مؤسّسة موزّعة** على 8 دول عربيّة هي: **لبنان ومصر وسورية والسعودية والكويت والإمارات وتونس والمغرب**، بالإضافة إلى مجموعة من الدوريات الثقافيّة والفكريّة الخاصة بهذه البلدان (انتماءً أو صدوراً).

من أبرز هذه المؤسّسات في **لبنان**: **النادي الثقافي العربي، مركز دراسات الوحدة العربيّة، المجلس الثقافي للبنان الجنوبي، الجمعية اللّبنانية لعلم الاجتماع، الحركة الثقافيّة انطلياس**. ومن **مصر: مكتبة الإسكندرية، المجلس الأعلى للثقافة، الهيئة المصريّة العامة للكتاب**، من خلال **معرض القاهرة الدولي للكتاب 42، ساقية عبد المنعم الصاوي**. ومن **سورية : وزارة الثقافة السوريّة واتّحاد الكتّاب في سورية** في فروع الرقة **ودير الزور والسلميّة وحلب وحمص واللاذقيّة وإدلب وبيبيلا، والمركز الثقافي العربي في دمشق - أبو رمانة**. ومن **السعوديّة: مركز الملك عبد العزيز للحوار الوطني، النادي الأدبي الثقافي في جدّة، النادي الأدبي في الرياض، معرض الرياض الدولي للكتاب، نادي أبها الأدبي، نادي المدينة المنوّرة الأدبي والثقافي، المهرجان الوطني للتراث والثقافة الجنادرية**. ومن **الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، مؤسّسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين، معرض الكويت للكتاب، مجلة "العربي"**. ومن **الإمارات: مؤسّسة محمد بن راشد آل مكتوم (المنتدى الاستراتيجي العربي)، هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث، مؤسّسة سلطان بن علي العويس الثقافيّة، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية في أبو ظبي، ندوة الثقافة والعلوم في دبي**. ومن **تونس: المجمع التّونسي "بيت الحكمة"**. ومن **المغرب: المعرض الدولي السادس عشر للكتاب والنشر**" (الذي جاء تحت شعار "العلم بالقراءة أعزّ ما يطلب"، **واتّحاد كتّاب المغرب**[1] ".

أما عن الدوريات الثقافيّة والفكرية الصادرة في هذه البلدان، فبلغ عددها 20 **مجلّة** هي: من **لبنان**: **مجلة المستقبل العربي**[2]، **مجلة الآداب**[3]، **مجلة الفكر العربي المعاصر**[4]، **مجلة العرب والفكر العالمي**[5] ، **مجلة كلمن**[6] ، فضلاً عن كتاب "**باحثات" السنوي**[7]؛ ومن **مصر: الهلال**[8]، **وجهات نظر**[9]، **الثقافة الجديدة**[10]؛ ومن **سورية**: **المعرفة**[11]، **الحياة الفكريّة**[12]؛ ومن **السعوديّة**: **القافلة**[13]، **جذور**[14]؛ ومن **الكويت: العربي**[15]، **البيان**[16]؛ ومن **الإمارات**: **آفاق الثقافة**[17]، **آفاق المستقبل**[18]، **دبيّ الثقافيّة**[19]؛ ومن **تونس**:**الحياة الثقافيّة**[20]؛ ومن **المغرب: المناهل**[21].

ولقراءة منهجيّة مركّزة، تجاوز الملف في حصاده أحياناً جمعيات وروابط ومؤسّسات ثقافيّة كثيرة منتشرة في المناطق والمدن والبلدات والقرى العربيّة، لأن ذلك يتجاوز حدود هذا التقرير وأهدافه الرامية إلى قراءة بعض اتّجاهات المشهد الثقافي العربي بعموميته، وليس عن طريق مسحٍ شاملٍ للمؤسّسات الثقافيّة وأنشطتها، أو للًدوريّات العربيّة وموضوعاتها. فاستثنى الملف أنشطة الجامعات الخاصة والرسميّة، فضلاً عن إصداراتها الدورية، وذلك للأسباب السابقة نفسها ولسببين آخرين إضافيّين: أولهما ضرورة حصر نموذج الدراسة وتحديد أطره، وثانيهما غلبة الطابع الأكاديمي الصرف على دوريات المؤسّسات الأكاديمية وأنشطتها من جهة، واتجاهها إلى الفئات الأكاديميّة بصورة خاصة من جهة ثانية، سواء في أنشطتها أم في دورياتها. في حين يهدف هذا الملف من خلال الحصاد الثقافي للعام 2010 إلى تلمّس الحركة الثقافيّة العامة في عدد من البلدان العربيّة

1 – العنوان هو: "حملات أمل: الثقافويّة والإصلاح في العالم العربيّ"، مجلة الآداب، لبنان، 6–7–8 /2010.

1 – نذكّر بأن هذه الأنشطة تخصّ المكتب التنفيذي فقط، لأن الفروع الأخرى للاتّحاد، وعددها 23 فرعاً، موزّعة على مختلف أنحاء المغرب، وأنجزت أنشطتها الثقافيّة الخاصة بها.

2 – مجلة فكرية ثقافيّة شهرية، تصدر عن مركز دراسات الوحدة العربيّة في بيروت.

3 – مجلة شهريّة أدبيّة ثقافيّة، تصدر عن دار الآداب في بيروت.

4 – مجلة فكريّة فصليّة تصدر عن مركز الإنماء القومي، بيروت/باريس.

5 – مجلة فصليّة، تصدر عن مركز الإنماء القومي، بيروت/فرنسا.

6 – مجلة فصلية ثقافيّة، تصدر في لبنان عن جمعية سين.

7 – كتاب سنوي متخصّص يصدر عن تجمّع الباحثات اللّبنانيات في بيروت، وقد صدر في العام 2010 الكتاب الرابع عشر بعنوان "الممارسات الثقافيّة للشباب العربي".

8 – مجلة ثقافيّة شهرية، تصدر عن دار الهلال في مصر.

9 – مجلة ثقافيّة وسياسيّة وفكريّة تصدر شهريّاً عن الشركة المصريّة للنشر العربي والدولي.

10 – مجلة ثقافيّة تصدر شهريّاً عن الهيئة العامة لقصور الثقافة في مصر.

11 – مجلة ثقافيّة شهريّة تصدر عن وزارة الثقافة في سورية.

12 – مجلة فصلية تصدر عن وزارة الثقافة – الهيئة العامة السورية للكتاب في سورية.

13 – مجلة ثقافيّة تصدر كلّ شهرين عن شركة الزيت العربيّة السعوديّة (أرامكو السعوديّة)، الظهران.

14 – مجلة ثقافيّة أدبيّة تصدر شهريّاً عن النادي الأدبي الثقافي في جدّة–السعوديّة.

15 – مجلة شهريّة ثقافيّة تصدر عن وزارة الإعلام في الكويت.

16 – مجلة أدبيّة ثقافيّة شهريّة تصدر عن رابطة الأدباء في الكويت.

17 – مجلة آفاق الثقافة والتراث، مجلة فصليّة ثقافيّة تراثيّة، تصدر عن قسم الدراسات والنشر والعلاقات الثقافيّة في مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث في دبي– الإمارات العربيّة المتّحدة.

18 – مجلة سياسيّة اقتصاديّة استراتيجيّة تصدر شهريّاً عن مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجيّة في الإمارات.

19 – مجلة ثقافيّة شهريّة تصدر عن دار الصدى للصحافة والنشر في الإمارات.

20 – مجلة ثقافيّة تصدر عن وزارة الثقافة والمحافظة على التراث في تونس.

21 – مجلة فصليّة تصدر عن وزارة الثقافة في المغرب.

فقد الوطن العربي في العام 2010 عدداً من الشخصيات الفكرية والأدبية والثقافية المرموقة مثل د. محمد عابد الجابري و د. محمد أركون ود. فؤاد زكريا ود. نصر حامد أبو زيد ود. خليفة التليسي ود. غازي القصيبي والطاهر وطار وأحمد السقاف.

شهدت نهايات العام 2010 "المؤتمر الرابع للحوار العربيّ– الصينيّ" الذي عقد في بكين، حيث بحث في جوانب مختلفة من العلاقات العربيّة– الصينيّة، في إطار معرفيّ ثقافيّ أكاديميّ، ذي جوانب سياسيّة واقتصاديّة وثقافيّة، نوقشت خلاله مسائل متنوّعة تقتضيها العولمة الاقتصادية.

من خلال الأنشطة والدوريات المنفتحة على الجمهور العربي الواسع بمختلف اختصاصاته. واستثنى الملف أيضاً، وحرصاً أيضاً على ضرورة حصر نموذج الدراسة، بعض الأنشطة الثقافيّة التي قامت بها المؤسّسات الثقافيّة التي شملتها الدراسة، مثل المعارض الفنّية على أنواعها، والندوات الأدبية والأمسيات الشعرية، فضلاً عن الأنشطة ذات الطابع السياسي الصرف. فيما استثنى الملف أيضاً من الدوريات الثقافيّة والفكريّة الموضوعات السياسية البحتة، وليس تلك المتعلقة بالفكر السياسي، فضلاً عن استثنائه الموضوعات الفلسفية المتخصّصة[1]، إلى جانب الفنون الأدبيّة وغير الأدبية (كالشعر، والرواية، والقصة، والسينما، والمسرح، والتصوير، والفنّ التشكيلي..إلخ)، والأنشطة الثقافيّة التي تناولت شخصيات ثقافيّة وفكريّة معيّنة، خصوصاً تلك التي غيّبها الموت في العام 2010. إذ فقد الوطن العربي في هذا العام عدداً من هذه الشخصيات التي حفلت سيرها بالإنجازات الفكريّة والفلسفيّة والأدبيّة والثقافيّة، مثل المفكّر المغربي **محمد عابد الجابري** مؤلّف "نحن والتراث"، "الخطاب العربي المعاصر"، "بنية العقل العربي" وغيرها من المؤلّفات الفكريّة الهامة، والشاعر والمثقف الكويتي **أحمد السقاف** من مؤسّسي مجلة "العربي" الكويتيّة، والأكاديمي المصري المتخصّص في الفلسفة **فؤاد زكريا**، الذي كان مستشار تحرير سلسلة عالم المعرفة الكويتيّة، والمفكّر والأكاديمي الجزائري **محمد أركون** الذي اشتهر بمؤلفاته مثل "الفكر الأصولي واستحالة التأصيل"، "نحو تاريخ آخر للفكر الإسلامي"، الإسلام – أوروبا – الغرب"..إلخ، والمفكّر والأديب الّليبي **خليفة التليسي** الذي خلّف أكثر من 45 كتاباً في التاريخ والترجمة والأدب والفكر، منها "بعد القرضابية"، "رحلة عبر الكلمات"، والروائي الجزائري **الطاهر وطّار** الذي اشتهر بروايات مثل "اللاز" و"الزلزال" وغيرها، والشاعر والأديب والسياسي السعودي **غازي القصيبي** الذي خلّف نتاجاً أدبيّاً مثل "شقة الحرية"، "العصفورية" في الرواية، و"للشهداء" و"حديقة الغروب" في الشعر، والأكاديمي والمفكّر المصري المتخصّص بالدراسات الإسلامية والّلغة العربيّة والعلوم الإنسانية **نصر حامد أبوزيد**، الذي اشتهر بمؤلفات مثل "الاتجاه العقلي في التفسير"، "إشكاليات القراءة وآليات التأويل"، "نقد الخطاب الديني"، "دوائر الخوف قراءة في خطاب المرأة"...

أنشطة وفعاليات ثقافيّة تتناسل[2]

سبقت الإشارة إلى أن الموضوعات التي دار في فلكها المشهد الثقافي العربي في العام 2010، بدت مولودة من رحم العام السابق، لا بل من العقد الفائت. وقد عزّز هذا الانطباع الأوّلي الإطلالة البانوراميّة على الساحة الثقافيّة العربيّة، قبيل المضيّ في اعتماد النموذج المحدّد الذي استند إليه الحصاد. فتبيّن أن من بين أبرز الأحداث الثقافيّة التي اختُتم بها العام 2009، انعقاد "مؤتمر العلاقات الأوروبيّة المتوسطيّة بين التصريحات والحقائق"(**منتدى الفكر العربي، عمّان**)، والذي تابع قضايا الحوار الحضاري بين العرب والعرب، وبين العرب وغيرهم. إذ كان **منتدى الفكر العربي** قد خصّص أكثر من عشرين حواراً في مجال الحوارات الأوروبيّة، بدءاً من الحوار العربي الأول الذي عقد في **عمّان** قبل 27 عاماً؛ ثم تابع في مؤتمره هذا مسألة التراجع الثقافيّ في العلاقات بين الشعوب المتوسطيّة، ولاسيما

1 – من ذلك مثلاً، موضوعات مثل "التفكير الفينومينولوجي مع فتغنشتاين"، أو"نيتشة والحقيقة"، أو "في الفلسفة النيتشوية" وما شابه.

2 – يمكن العودة إلى تفاصيل الفعاليات المذكورة في هذا العنوان في ملحق الحصاد، تحت عنوان أنشطة وفعاليات ثقافيّة تتناسل.

استضافت القاهرة في نهاية العام 2009، مؤتمراً دولياً بعنوان: "مستقبل الإصلاح في العالم الإسلامي: خبرات مقارنة مع حركة فتح الله كولن التركيّة، أكد على أن "التنوّع في نماذج الإصلاح يُعتبر من أبجديّات المرجعية الإسلامية التي يستند إليها روّاد الإصلاح والتجديد.

كشف مؤتمر "فكر9" الذي نظمته مؤسّسة الفكر العربي النقاب عن هاجس قوميّ عربيّ يتمثّل في كيفية الإسهام في نهضة عربيّة تعذّر القيام بها منذ أن عمّت حركة نهضويّة عربيّة البلدان العربيّة بين مطلع القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين.

أن التفاعل أو التعاون عبر المتوسط من وجهة نظر المنظّمين ليس بجديد.

في المقابل شهدت نهايات العام 2010 "المؤتمر الرابع للحوار العربي– الصيني" الذي عقد في **بكين**، بعدما كان المؤتمر الأول قد أقيم سنة 1986 في **عمّان** تحت عنوان "العرب والصين: من التأييد عن بعد إلى التعاون عن قرب – حوار المستقبل". فبحث المؤتمر الرابع في جوانب مختلفة من العلاقات العربيّة– الصينيّة، في إطار معرفيّ ثقافيّ أكاديميّ، ذي جوانب سياسيّة واقتصاديّة وثقافيّة، نوقشت خلاله مسائل متنوّعة تقتضيها العولمة الاقتصادية، وتحسين ظروف المعيشة، ومواجهة المصاعب والتحدّيات. من ذلك، أهمية التعاون في مجال الطاقة والسوق والاستثمار، وضرورة إنشاء مجالات جديدة للاستثمار، ولاسيما في إطار البُنى التحتيّة عبر الاستفادة من مجلس التعاون العربي– الصيني، وأهمّية التكافؤ بين قوّة الصين اقتصادياً ودورها في القضايا الدولية، وتحديداً القضيّة الفلسطينيّة، وكيفيّة رسم استراتيجيّات جديدة لتعميق التعاون العربي –الصيني، وتعزيز العلاقات الثقافيّة.هذا بالإضافة إلى لقاءين عقدهما المنتدى من ضمن لقاءاته الشهريّة تحت عنوان:"الشرق والغرب: القيم المشترَكة"، و"الاختلاف في وجوهه الدّينيّة والحضاريّة والأيدولوجيّة".

وكان العام 2010 قد دُشِّن بالمرحلة الثانية من ورشة عمل "مشروع التراث الحيّ لبلدان البحر الأبيض المتوسط"، وهو مشروع كانت **وزارة الثقافة السوريّة** قد أطلقته قبل ثلاث سنوات بالتعاون مع **اليونسكو**. فناقشت الورشة اتفاقية حماية التراث الّلامادي في **بلدان حوض البحر الأبيض المتوسط** بشكلٍ عام، وفي **سورية** بشكلٍ خاص، كما ناقشت آليات تنفيذ الاتفاقية، إضافةً إلى الخبرات التي يمكن أنّ تقدمها الورشة لأعضاء لجان جمع التراث في كلّ المناطق السوريّة.

وفي موازاة ذلك، كانت **القاهرة** قد استضافت في نهاية العام 2009، مؤتمراً دولياً بعنوان: "مستقبل الإصلاح في العالم الإسلامي: خبرات مقارنة مع حركة فتح الله كولن التركيّة"، أكّدت خلاله أمانته العامة في بيان لها أن "التنوّع في نماذج الإصلاح يُعتبر من أبجديّات المرجعية الإسلامية التي يستند إليها روّاد الإصلاح والتجديد، وأن المرجعية الإسلامية ذاتها هي التي تفتح الأبواب المغلقة، وترحّب بجميع الاجتهادات التي تشتبك مع الواقع وتهدف إلى إصلاحه وتطويره. وعليه، فإن تعدّد الاجتهادات في إطار وحدة المرجعيّة ليس فقط مقبولاً، بل هو ضروري ولازم، وهو من مظاهر التعبير عن فهم الإسلام كنظام شامل. كما أن التنوّع في الرؤى والبرامج الإصلاحية على أساس المرجعية الإسلامية، ينسجم مع حقائق الوقائع الاجتماعيّة والسياسيّة، ويعكس جوهر الفطرة الإنسانية التي تتأبّى على التنميط والقولبة، وتنزع دوماً للتنوّع، وتتآلف مع حقائق التعدّد في الكون وفي معطيات الحياة الاجتماعية".

وتناولت بحوث المؤتمر ومناقشاته آنذاك عدداً من التساؤلات الهامة، منها: لماذا نجحت التجربة التركيّة للأستاذ فتح الله كولن في التواصل إيجابياً مع الغرب أكثر من أيّ حركة إصلاحية أخرى أتت من العالم الإسلامي؟ وما هي طبيعة الدور الإصلاحي لهذه الحركة داخل تركيا وخارجها؟ وما الذي تكشف عنه مقارنة هذه التجربة مع جهود الإصلاح التي شهدها العالم الإسلامي خلال نصف القرن الأخير تحديداً؟ وغير ذلك من التساؤلات التي تهدف بحسب منظّمي المؤتمر إلى تعميق المعرفة العلميّة بمختلف جهود الإصلاح والتجديد، وبيان كيفيّة الاستفادة بخبراتها في مواجهة مشكلات الواقع وتحدّيات المستقبل في العالم العربي والإسلامي.

ثم اختتمت الأنشطة الفكرية والثقافيّة للعام 2010 في **لبنان** بمؤتمر عربيّ عقدته **مؤسّسة الفكر العربي** في **بيروت** بعنوان

"العالم يرسم المستقبل.. دور العرب"، تحدّدت غايته الأولى في "الإسهام في صنع نهضة فكريّة وثقافيّة وحضاريّة عربيّة يشارك في إنجازها أهل الثقافة والفكر وأهل المال والأعمال". فيما تناولت محاوره الخمسة الموضوعات التالية: "دور العرب في رسم المستقبل"، "خرائط جديدة للفرص الناشئة"، "اقتصاد المعرفة: فرص جديدة"، "الإبداع الاجتماعي في الوطن العربي"، "الفكر العربي الحديث"(الاتجاهات والفرص المتنوّعة).

وكان رئيس **مؤسّسة الفكر العربي** الأمير **خالد الفيصل** قد أشار إلى أن أهداف المؤتمر ترمي إلى "اكتشاف الأساليب الحديثة والفاعلة التي تحفّز الوعي بدور العرب الحضاري، وتطلق قدراتهم الآنية لصناعة المستقبل، بالبناء على الإرهاصات النهضويّة التي تلوح في الأفق العربي في أكثر من مكان".

بذلك، كشف مؤتمر "**فكر**9" النقاب عن هاجس قوميّ عربيّ يتمثّل في كيفية الإسهام في نهضة عربيّة تعذّر القيام بها منذ أن عمّت حركة نهضويّة عربيّة البلاد العربيّة (بين مطلع القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين)، وتركّزت أعمال مفكّريها في التنظير للطرق والأطر والأساليب التي من شأنها استنهاض العرب من الواقع المتخلّف وتجاوزه، عبر تعيين مكامن هذا التخلّف وبناء مستقبل عربيّ أفضل...

وكان سبق ذلك، "**إعلان الدوحة بشأن الإعداد للقمّة الثقافيّة العربيّة**"، أعرب من خلاله المجتمعون في الدورة السابعة عشرة لمؤتمر الوزراء المسؤولين عن الشؤون الثقافيّة في الوطن العربي في **الدوحة**، عن ثقتهم بأن العمل الثقافيّ العربيّ المشترك هو السبيل إلى تحقيق إسهام عربي فاعل في زمن التكتّلات الإقليمية، وفي زمن التحدّيات الكبرى في عصر العولمة، وبأن شروط هذا العمل الثقافيّ العربيّ المشترك متوفّرة في الأمّة العربيّة، من حيث الانتماء الثقافي والحضاري واللّغة الواحدة، وكذلك من حيث المصالح المشتركة والمستقبل الواحد، فضلاً عن التزامهم بتحقيق ما حدّدته **القمة العربيّة** في **سرت** من أهداف عقد القمة الثقافيّة.

وممّا جاء في البيان: "ناقش المؤتمر الإطار المرجعيّ للإعداد للقمّة الثقافيّة المقدّم من المنظمة والمتمثّل في قرارات مؤتمر الوزراء المسؤولين عن الشؤون الثقافيّة في الوطن العربي وخطط العمل والمشروعات التي اعتمدها عبر دورات انعقاده، والوثيقة الصادرة عن اللّقاء التحضيري الأول للمثقفين وهيئات المجتمع المدني العربي المعنيّة بالثقافة، الذي نظمته **مؤسّسة الفكر العربي** في بيروت في شهر تموز/ يوليو الماضي، وما تقدّمت به دول عربيّة من اقتراحات..".

كما اطّلع المؤتمر على تقرير **المنظمة العربيّة للتربية والثقافة والعلوم** بشأن العقد العربي للتنمية الثقافيّة (2005 - 2014)، وبخاصة مشروع العواصم الثقافيّة العربيّة، وعلى تقريريها بشأن الاحتفاء **بالقدس عاصمة للثقافة العربيّة العام** 2009، **والدوحة عاصمة للثقافة العربيّة** 2010، وعلى الدراسة التي وضعتها المنظمة تنفيذاً لتوصية **اللّجنة الدائمة للثقافة العربيّة** (**الرياض**، 2009) بشأن تصوّر مرحلة جديدة لمشروع **العواصم الثقافيّة العربيّة** في ضوء التجربة الأوروبيّة.

هكذا توالدت الموضوعات واستكملت، فكان اختيار **الإسكندرية عاصمة السياحة** العربيّة للعام 2010، عائداً إلى ختام **مؤتمر المجلس الوزاري العربي للسياحة** في العام 2009، فأتى هذا الاختيار من بين 12 مدينة عربيّة تقدّمت لهذه المسابقة. وغطّت فعاليات الاحتفالات باختيار **الإسكندرية عاصمة السياحة العربيّة** لعام 2010 الفترة الممتدّة من شهر إبريل/ نيسان وحتى 25 **ديسمبر/ كانون الأول** 2010؛ علماً بأن فكرة اختيار مدينة عربيّة لتكون عاصمة السياحة العربيّة تعود إلى مبادرة مقترحة من جامعة الدول العربيّة لاختيار إحدى المدن العربيّة سنويّاً لتكون عاصمة للسياحة العربيّة، وذلك تشجيعاً لحركة السياحة العربيّة البينيّة وإبراز الخصوصية والعادات والتقاليد المميزة لكلّ مدينة وإبراز القيمة السياحيّة لكلّ مدينة يتمّ اختيارها، وإلقاء الضوء على الدور الذي تقوم به في دعم صناعة السياحة العربيّة من خلال التواصل مع الثقافات والحضارات الأخرى.

شهد العام 2010 عدداً من المؤتمرات حول حوار الحضارات، منها "المؤتمر الدولي حول حوار الحضارات والتنوّع الثقافي" في تونس؛ ومؤتمر "أبعاد غائبة في حوار الحضارات" في فلسطين .. كما أقيمت في سورية "الندوة الدولية لربط البحار الخمسة"، وفي الإمارات مؤتمر آفاق التعاون بين العرب ودول جزر الباسيفيك.

تسعةُ أعوام على تخصيصِ عامٍ لحوار الحضارات

إذا كان "حوار الحضارات"من المفاهيم أو المصطلحات التي سادت في نهايات القرن الماضي، وذلك برواج المفهوم في الأوساط الفكريّة والثقافيّة كافة، سواء على المستوى العربيّ أم العالميّ، فإن هذا الموضوع بات مطروحاً، وبقوّة في الأوساط الثقافيّة والسياسيّة والاقتصاديّة، وخصوصاً بعدما أعلنت **الجمعية العامة للأمم المتّحدة** العام 2001 عاماً للحوار بين الحضارات، وبعدما كان **منتدى دافوس الاقتصادي العالمي** قد كرّس قبل ذلك جلسةً خاصةً في **يناير/ كانون الثاني** 2000 حول موضوع "حوار الحضارات". فشهد العام 2010 عدداً من المؤتمرات واللّقاءات حول الموضوع، بعدما كان العام 2009 قد شهد بدوره مؤتمراتٍ مماثلة، من بينها مثلاً:"المؤتمر الدولي حول حوار الحضارات والتنوّع الثقافي "بمناسبة **احتفالية القيروان عاصمة للثقافة الإسلامية للعام** 2009، وذلك نتيجة ارتباط المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة والمنظمة الدوليّة للفرانكفونية باتفاقية للتعاون وقِّعت في العام 1986، ومؤتمر "أبعاد غائبة في حوار الحضارات" في **فلسطين** (2009)، ومؤتمر "دور الترجمة في حوار الحضارات 2"، والذي جاء انطلاقاً من توصيات مؤتمر "دور الترجمة في حوار الحضارات الأول"، الذي كانت **جامعة النجاح الوطنية** قد عقدته في العام 2007.

ومن المؤتمرات والندوات التي شهدها **العام** 2010 في مجال التواصل والحوار والتبادل ما بين الثقافات والحضارات، ندوة "الأتراك في عيون العرب"، بعدما كانت **سورية** شهدت في العام السابق(2009) أعمال الندوة السوريّة التركيّة التي أقيمت بعنوان: "السوريون بعيون الأتراك"، والتي نتج عنها العديد من المقرّرات والتوصيات، من أهمها: ترجمة الأدب السوري إلى اللّغة التركية وترجمة الأدب التركي إلى اللّغة العربيّة. وفي **سورية** أيضاً عُقد في **مكتبة الأسد الوطنيّة** مؤتمر "العرب والأتراك: مسيرة تاريخ وحضارة"، وهو الثاني من نوعه بعد مؤتمرٍ مشابه له بمناسبة **احتفالية القدس عاصمةً للثقافة العربيّة**، عُقد في العام 2009 تحت عنوان "القدس في العهد العثماني" وشدّد آنذاك على العلاقات العربيّة التركيّة نظراً للتاريخ الطويل الذي يربط الأتراك بالعرب. كما نظّمت **وزارة الثقافة السوريّة في** العام 2010 أيضاً ملتقى "التواصل الثقافي بين مشرق الأمة العربيّة ومغربها" و"الندوة الدولية لربط البحار الخمسة".

هذا، وعُقد "منتدى التعاون العربي– التركي" على المستوى الوزاري في **إسطنبول**، الذي رمى إلى تعزيز العلاقات العربيّة التركيّة في اجتماع الدورة الثالثة **لمنتدى التعاون العربي التركي**، ونوقشت خلاله التطوّرات في **الشرق الأوسط**، بالإضافة إلى قضايا دوليّة وإقليمية عدّة ذات اهتمام مشترك.

أما مكتبة الإسكندريّة، فنظّمت مائدةً مستديرة بعنوان "صياغة البحر المتوسط". كما نظّمت **المكتبة** مؤتمر"مبادرات في التعليم والعلوم والثقافة لتنمية التعاون بين أميركا والدول الإسلاميّة" ومؤتمر "تعارف الحضارات"، فيما نظّمت **دولة الإمارات العربيّة المتّحدة وجامعة الدول العربيّة**، مؤتمر"آفاق التعاون بين الدول العربيّة ودول جزر الباسيفيك".

شهد العام 2010 خمسة مؤتمرات تبحث كلها عن هاجس العروبة، والمأزق العربي، كان آخرها مؤتمر "فكر9" لمؤسّسة الفكر العربي عنوانه: "العالم يرسم المستقبل .. دور العرب؟"

وفي سياق المؤتمرات والملتقيات العربيّة التي تندرج ضمن الحوار مع الآخر أو الانفتاح عليه، أقيم في **المكتبة الوطنيّة في الرباط - المغرب** معرض "المغرب وأوروبا، ستة قرون في نظرة الآخر" برعاية **الملك محمد السادس**، تضمّن وثائق وكتباً ولوحاتٍ ومنقوشاتٍ ومعروضاتٍ مختلفة، تبرز تاريخ **المغرب** مع **أوروبا** منذ نهاية القرن الخامس عشر وحتى العصر الحاضر.

جاءت هذه الأنشطة في وقت تزامنت فيه الصراعات بين الأفراد والجماعات الطائفيّة والمذهبيّة والإثنيّة مع العولمة، وسيادة خطابٍ ثقافيٍّ عنصريّ يموّه جوهر الصراعات القائم على المصالح عموماً، باختزاله إلى صدام بين حضارات أو ثقافات. وما الدعوات المتعدّدة، التي انطلقت في العالم بأسره، بشرقه وغربه، إلى "الحوار الحضاري أو الثقافي"، سوى دعوات مناهضة لسيادة تلك الأيديولوجية التي تعتبر عودة الهويات من جديد إلى المسرح العالمي وتصادمها أو تصارعها أمراً واقعاً.

وبالتالي تراوحت الخطابات المندرجة تحت خانة "حوار الحضارات" أو "الثقافات" بين التنظير له وحول ضروراته تارةً، وبين الترجمة العملانيّة له تارةً أخرى، ولكيفية دعمه وممارسته، سواء بطريقة مباشرة (عبر البيانات والخطب والاتفاقيات المشتركة المثمِّنة للحوار) أم غير مباشرة (عبر موضوعات تفكّك الخطاب الثقافي العنصري الحامل لتصوّرات أحادية عن الآخر، ومعنيّة بتشكيل مواقف عدائيّة تجاهه). يذكر أن **المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة (إيسيسكو)** سبق لها أن تبنّت في خطة العمل الثلاثية للأعوام (2010 – 2012) مواصلة العمل في عدد من المجالات التي تضمّنتها خطة العمل الثلاثية (2007 – 2009)، بسبب أهميتها وحيويّة موضوعاتها وتفاعلاتها المستمرّة مع المتغيّرات الدوليّة ومع عدد من قضايا الساعة، ومنها موضوع التصدّي للحملة العدائيّة ضدّ الإسلام والمسلمين واعتبار التصدّي للحملة العدائية ضد الإسلام والمسلمين هدفاً استراتيجياً ثابتاً في خطط عمل المنظمة،وذلك إلى جانب أربعة أهداف استراتيجيّة فرعيّة هي: تفعيل دور الموارد البشرية في المنظومة التربوية وتعزيز مؤسّسات التأهيل وتطوير مراكز التدريب وتنويع برامج التكوين، تعزيز البحث العلمي وتوجيه أولوياته وتسخير نتائجه لتحقيق التنمية المستدامة، تجديد السياسات الثقافيّة وتطوير آليات العمل الثقافي لخدمة الأغراض التنمويّة، الإسهام في تجسير الفجوة الرقميّة بين الدول الأعضاء والدول المتقدّمة.

من حوار الحضارات إلى المستقبل العربي

وإذا كان العام 2010 قد انتهى بسؤال مؤتمر "**فكر** 9" عن دور العرب، فإن هذا السؤال نفسه سبق له أن شكّل هاجس المؤتمر السنوي السابع **لمنتدى الإصلاح العربي** الذي نظّمته **مكتبة الإسكندرية** العام 2010 تحت عنوان:"عالم يتشكّل من جديد.. أين دور العرب؟"، كما كان هاجس مؤتمر "العروبة والمستقبل" الذي أقيم في **مكتبة الأسد في سورية**. وقد سبق هذه المؤتمرات في العام السابق مؤتمران متزامنان حول العروبة في العاصمة اللبنانيّة بيروت، الأول نظّمه **مركز دراسات الوحدة العربيّة**، وجاء تحت عنوان "من أجل الوحدة العربيّة: رؤية للمستقبل"، والثاني نظّمه **تيار المستقبل** تحت عنوان "العروبة في القرن الحادي والعشرين". ثم شهدت **بيروت** في العام 2010 ندوة "المعرفي والأيديولوجي في الفكر العربي المعاصر" التي نظّمها **مركز دراسات الوحدة العربيّة**. حيث قدّمت الندوة عشرة أبحاث في المجالات العلميّة المتعدّدة لجدلية "المعرفي والأيديولوجي"، وجاءت بحسب العناوين التالية: "الأيديولوجيا والمعرفة: تحديدات نظريّة"،"التأليف الفلسفي العربي"،"التأليف السوسيولوجي العربي"، "العلوم السياسيّة"، "الدراسات الاقتصاديّة

كان للغة العربية حصتها من نشاطات العام 2010 حيث عقد "مجمع اللغة العربية" مؤتمره التاسع في دمشق، كما أقيمت أيضاً في دمشق ورشة عمل حول "إشكاليات اللغة العربية في المواقع الإلكترونية" وختم المجلس العالمي للغة العربية موسمه الثقافي بمحاضرة في بيروت تحت عنوان "لغتنا الأم في معترك العولمة".

احتلّ موضوع الشباب العربي حيزاً مهماً في أنشطة العام 2010، حيث نظّم كل من مكتبة الإسكندرية ومنتدى الفكر العربي: "مؤتمر الشباب العربي وظاهرة العنف"، و"نموذج محاكاة جامعة الدول العربية 2010"، و"منتدى االشباب العربي في الاسكندرية".

من الانطباعات الأولى التي ولّدها المشهد الثقافي العربي للعام 2010 نشوء بذور اتجاه مجتمعي ثقافي عربي يميل إلى البحث عن حلول عمليّة أكثر من ميله إلى إعادة الاعتبار لنظريات طوباوية.

العربيّة"، "الدراسات التاريخيّة"، "دراسات التراث"، "دراسات الفكر النهضوي"، "دراسات الفكر الغربي"، "الدراسات العربيّة للاستشراق". وتطلّع **مركز دراسات الوحدة العربيّة** من خلال ندوته إلى "إتاحة ناتجها للجمهور المثقف في الوطن العربي، ولقادة الرأي من النخب الفكريّة والسياسيّة، آملاً أن يساعد كلّ ذلك على إنضاج وترشيد الوعي الثقافي العربي، أي أن تكون مناسبة لتفكير هادئ وعميق في جدلية عاشها الوعي العربي منذ ميلاده الحديث ولم تفارقه حتى اليوم[1] ".

وبقدر ما كانت الندوة فعاليّة فكريّة بامتياز في مناقشتها الأوجه المختلفة لالتباسات العلاقة بين المعرفي والأيديولوجي، إلا أن أهدافها جمعت ما بين التنظيري والعملاني في آن، بسبب إسهامها في فضّ هذا الالتباس والتأسيس للبحث العلمي الرصين.

وفي سياق مسألة العرب والعروبة والهويّة، نشطت أيضاً المؤتمرات والندوات المدافعة عن اللّغة العربيّة بوصفها أساساً عنصراً من عناصر الهويّة العربيّة والمستقبل العربي. فعقد **مجمع اللّغة العربيّة** مؤتمره التاسع ("المؤتمر التاسع لمجمع اللّغة العربيّة")، وأقيمت في **دمشق** ورشة عمل حول "إشكاليات اللّغة العربيّة في المواقع الإلكترونية"، وختم **المجلس العالميّ للّغة العربيّة** موسمه الثّقافي للعام 2010 بمحاضرة في بيروت تحت عنوان "لغتنا الأم في معترك العولمة"؛ ويذكر أن **مهرجاناً للّغة العربيّة** أقامته **مؤسّسة الفكر العربي** في شارع **الحمراء** في **بيروت** بالتعاون مع جمعية **فعل أمر** صيف العام 2010، تحت شعار: "نحن لغتنا". وجاء المهرجان ليكون حلقة من حلقات "**مشروع الإسهام في تطوير تعلّم اللّغة العربيّة**"، الذي كانت **مؤسّسة الفكر العربي** قد تبنّته من ضمن مشروعها "**عربي** 21 "، الرامي إلى تعزيز اللّغة القومية ودعمها على نطاق الوطن العربي، فيما اختارت **المنظمة العربيّة للتربية والعلوم (الألكسو)** الأول من آذار/ مارس من كلّ سنة للاحتفاء باللّغة العربيّة.

.. ومن المستقبل العربي إلى الشباب

موضوع الشباب، وتحديداً الشباب العربي، احتلّ حيّزاً هاماً بدوره في أنشطة العام 2010، وذلك كتتمّة للأعوام السابقة، حيث شهد هذا العام "منتدى الشباب العربي في الإسكندرية"، و"نموذج محاكاة جامعة الدول العربيّة 2010"، ومؤتمر "الشباب وظاهرة العنف"، الذي نظّمه كلّ من **مكتبة الإسكندرية ومنتدى الفكر العربي**، علماً بأنه سبق **للمنتدى** أن عقد خلال السنوات الخمس الماضية ثلاثة مؤتمرات شبابيّة هي "الشّباب العربيّ وتحدّيات المستقبل"(2004)، و"الشّباب العربيّ في المهجر"(2006)، و"نحو تطوير مؤسّسات العمل الشّبابيّ العربي"(2008)، كما عُقد "المنتدى العالمي للقادة الشباب–دافوس 2010" في **جامعة القاهرة**، فضلاً عن الندوة الدوليّة حول "الشباب والمستقبل: تحدّيات الواقع، وتعزيز القدرات، وآليات المشاركة"، التي عقدت في **قرطاج**، وذلك في إطار "**السنة الدولية للشباب**" التي انطلقت رسمياً في الثاني عشر من **شباط / فبراير** 2010 واستمرّت حتّى الحادي عشر من **آب / أغسطس** 2011.

الندوة التي استمرّت ثلاثة أيام تناولت المحاور التالية:"الشباب في العالم: إشكاليات الواقع وتحدّياته"، "الحوار والتواصل بين الشباب ومعه: الأسس والسبل والغايات"، "مشاركة الشباب في الشأن العام بين الواقع والطموح"، "انخراط الشباب في العمليّة التنمويّة من خلال جودة التعليم ومواءمة التكوين"، "الشباب وترسيخ القيم الإنسانية

الندوة التي استمرّت ثلاثة أيام تناولت المحاور التالية:"الشباب في العالم: إشكاليات الواقع وتحدّياته"، "الحوار والتواصل بين الشباب ومعه: الأسس والسبل والغايات"، "مشاركة الشباب في الشأن العام بين الواقع والطموح"، "انخراط الشباب في العمليّة التنمويّة من خلال جودة التعليم ومواءمة التكوين"، "الشباب وترسيخ القيم الإنسانية المشتركة". فيما اختتمت الندوة الدوليّة أعمالها باعتماد وثيقة تحمل عنوان"إعلان تونس حول الشباب والمستقبل".

تبيّن بالأرقام والوقائع أن "نقص المعرفة" في الوطن العربي يشكّل المعوق الرئيسي الثالث الذي يعترض طريق التنمية الإنسانية العربية، فضلاً عن تراجع موقع اللغة العربية في الخارطة الثقافية والتربوية العربية الذي راح يعكس عمق الأزمة الثقافية العربية.

1 – من الإعلان الذي أصدره مركز دراسات الوحدة العربيّة عن الندوة http://causlb.org/Home/print.php?id=61

الحصاد



المشـتركة". فيمـا اختَتمـت النـدوة الدوليّـة أعمالهـا باعتمـاد وثيقة تحمـل عنوان"إعلان تونس حول الشباب والمستقبل [1]".

الثقافة العربيّة تحت المجهر

بقدر ما تناسلت الموضـوعات والقضـايا عامـاً بعد عـام، وخصوصـاً في العقـد الفائت، شـكّلت الثقافة نفسـها محور نقاش في الساحة الثقافيّـة العربيّة، تمثّل في العـام 2010 بندوة "الثقافـة العربيّـة في ظـلّ وسـائط الاتصـال الحديثة"، و"المؤتمر الأول للسياسـات الثقافيّة في المنطقة العربيّة"، و"الاجتماع التحضـيري الأول للقمّة الثقافيّـة العربيّة"، وندوة "الثقافة العربيّة.. المسـتقبل والتحدّيات"، ومؤتمر"أدباء مصر" في دورته الخامسة والعشرين تحت عنوان "تغيّرات الثقافة..تحوّلات الواقع". فيما بـادرت **وزارة الثقافة المغربيّة** إلى إطلاق سلسلة ندوات للنظر في إشـكاليات الوضع الثقافي وتشخيص الوضـع الثقافي المغربي في مناحيه الأساسية، ومعالجة إشكاليات تدبيره، وتجديد موضوعات النقاش العام حول القضـايا الفكريّة. وجاء هذا الاهتمـام الكثيف بموضـوع الثقافة في سـياق ما طـرأ من مفاهيـم تنمويّة جديـدة في العقود الماضـية، اعتبرت "الثقافة" مكوّناً أساسيّاً من مكوّنـات التنمية الشـاملة، يمكـن تنميتها عبر الاستثمار في الصناعات الثقافيّة.

لئن جاء الاحتفال "ببيروت عاصمة عالمية للكتاب" ليعزز دور بيروت الفكري والثقافي، وتهيئة الأجواء الملائمة للنهوض بوضع القراءة في لبنان، فإن جزءاً لا بأس به من الأنشطة الثقافية عبّر عن محاولات تكريس أدوات الثقافة عربياً.

معظم الموضوعات الثقافية والفكرية التي ارتبطت بلبنان حصراً على هامش الاحتفال بـ "بيروت عاصمة عالمية للكتاب"، لم تكن منفصلة عن السـياق العـالمي والإقليـمي والعـربي، نظـراً لارتبـاط القضـايا المحلية الملحّة بالمتغيرات العالمية.

II- المشهد الثقافي العربي من خلال أنشطة المؤسّسات العربيّة

التحرّك من القول إلى الفعل

لعـلّ الانطبـاع الأول الـذي يولّـده المشـهد الثقـافي العربي **للعـام** 2010، هـو بدايات تبلور بـذور اتّجـاه مجتمعـي ثقـافي عربي، يميـل إلى البحـث عـن حلـول عمليّـة أكـثر مـن ميلـه إلى إعـادة الاعتبـار إلى نظريـات "طوباوية". وهذه الملاحظـة ليسـت وليـدة هـذا العـام المدروس، ولاسـيما أن بذور هذا الاتّجاه بدأت بالتكوّن منذ تسـعينيّات القرن الفائت، خصوصـاً مع احتلال الثقافـة موقـع الصـدارة في الحـراك الـدولي، واتّخاذ الهوية القوميّة كذلك بعداً رئيسـاً، سـواء في صـراع القـوى أم في الصـراع بـين الأمم، ولاسيما مع اشـتداد وطأة عدم الاستقرار الدولي بعـد أحـداث الحـادي عشر مـن سـبتمبر/أيلول 2001، وتعاظـم التحديّـات أمـام الوطن العربي بعـد الانفتـاح علـى تيـارات العولمـة وتحريـر التجـارة والاندمـاج المتزايـد في الاقتصـاد الرأسـمالي العالمـي، والاعتمـاد بشـكل متزايـد على قوى السـوق وآلياته وانتشار ثقافته وقيمه في جميـع مجـالات النشـاط والحياة، واشـتداد حدّة مواجهـة البلدان العربيّـة لتجلّيات العولمة وتداعياتها على الصـعد الاقتصاديّة والسياسيّة والاجتماعيّة والثقافيّة والتربويّة كافة، وبعدما تبـيّن بـالأرقـام والوقائـع أن "نقـص المعرفة" في الوطن العربي يشـكّل المعـوق الرئيس الثالث الذي يعترض طريق التنمية الإنسـانية العربيّة[2]، فضلاً عن تراجع موقع اللّغة العربيّة في الخريطة الثقافيّة والتربويّة العربيّة الذي راح يعكس عمق الأزمة الثقافيّة العربيّة.

العام 2010 يتابع أنشطة "بيروت عاصمة عالميّة للكتاب"

جـاء الاحتفال بـ "بيروت عاصـمة عالميّة **للكتـاب**" **بـدءاً مـن** 23 **نيسان (أبريـل)** 2009 وحتـى 23 **أبريـل/ نيسـان** (2010)، ليعـزّز دور بـيروت الفكـري والثقـافي. ولئـن هدفـت هذه الفعالية إلى تنشـيط الدور الثقافي لبيروت وتهيئـة الأجـواء الملائمـة للنهوض بوضـع القـراءة في **لبنان** بعامة وإنشـاء تجمّع ثقافيّ وطنيّ وتوحيد المواطنين ضمنه واحترامَ حقوق المواطن الثقافيّة..إلخ[1]، فإن جزءاً لا بأس به من هذه الأنشـطة عبّر عن محـاولات تكريس أدوات الثقافـة عربيّاً، وذلك بإشـراك المجتمع المدني اللّبنـاني والعربـي في آن. ولئـن كان "إطـلاق مسـار التنمية الثقافيّة" قد شـكّل أحد الأهداف الاستراتيجيّة **لوزارة الثقافة اللبنانية وبلدية بيروت** عبر اسـتنهاض المجتمع المدني اللبناني وبنـاء القـدرات مـن خـلال التدريـب وورش العمـل وتعزيـز كتـاب الناشـئة وغيرهـا مـن الأنشـطة المحليّـة، فإن جـزءاً منها بـدا معزّزاً لمقـوّم أساسـي من مقوّمـات الوجـود العربي، كاللّغـة، وذلـك من خلال نشـاط محلّـي لبنانيّ حصـراً مثـل نشـاط اللّغـة العربيّة لــ "جمعية المقاصـد–ابتدائية خليل شهاب" (من **نيسان/ أبريـل** 2009 إلى **نيسان/أبريـل** 2010). في حين بدت الأنشـطة الأخرى مستنهضةً لطاقات المجتمـع المـدني العربي بأسره، شـأن نشـاط "بـيروت 39" لاختيار أفضـل 39 **كاتباً عربيّاً** دون سـنّ الأربعين (من **أيلول /سبتمبر** 2009 **إلى** 22 **نيسان/أبريـل** 2010)، واسـتحداث موقـع علـى شـبكة الإنترنت لقصـص الأطفال والروايـات ليكـون أداة تعـاون تجمـع بـين مختلـف العاملين في حقل الكتابـة في البلدان التـي تتكلّم العربيّة، وإنجـاز معرض لعيّنة من المخطوطـات العربيّـة في **آذار/ مارس** 2010 من ضـمن برنامـج "المخطوطـات العربيّة في المكتبـات اللّبنانية" الذي انطلق في **حزيران/ يونيـو مـن العـام** 2009، فضـلاً عن النقاشـات واللّقـاءات التـي تمّـت بـين عـدد مـن الكتّـاب المختارين والجمهـور العريض في **آذار/مارس** 2010، وسـوى ذلك من أنشـطة استمرت حتى **نيسـان/ أبريـل** 2010، كان مـن أبرزهـا ندوة "نقد الرواية العربيّة:المنجز والإشكالات" التي جـرت في **بيروت** بالتعاون بين **الـدار العربيّة للعلـوم- ناشـرون ووزارة الثقافـة اللّبنانيـة** في 8-9 **كانـون الثـاني/ ينايـر**، والنـدوة التي دعـت إليهـا **مؤسّسـة الدراسـات الفلسطينيّة** أيضـاً، في بيروت"حـول بـيروت في الإنتـاج الأدبـي والفكري في موضـوع الصراع العربي الإسرائيلي (8 **كانون الثاني/ يناير** 2010).

وقـد حفل العام 2010 خارج إطار "بيروت عاصـمة عالميّـة للكتـاب" بسلسـلة نـدوات ومحاضـرات نظّمتهـا مؤسّسـات المجتمـع المدني، من جمعيات وروابط ومؤسّسات ثقافيّة وتعليميّـة، حول موضـوعات لبنانيّـة وعربيّة وعالميّة شائكة وملحّة. ومن الملاحظ أن معظم الموضـوعات الثقافيّة والفكريّـة التي ارتبطت بــ لبنـان حصراً لم تكن منفصـلة عن السـياق العالمـي والإقليمـي والعربـي، نظـراً لارتبـاط القضـايا المحلّية الملحّة بـالتغيـيرات العالميّة الراهنـة. وقـد تبدّى ذلك في ما قدّمه أصـحاب الأوراق المقدّمـة في هذه المناسـبة أو تلك. هذا فضـلاً عن مهرجان اللغـة العربيّة الذي نظّمته **مؤسّسة الفكر العربي** انطلاقـاً من بيروت.

حفلت الجلسات الخمس "للمؤتمر الأول للسياسات الثقافية في المنطقة العربية" في لبنان بمسائل تتعلّق بكيفية إسهام تحسين وعي المجتمع بقيمة الثقافة، والتعير الثقافي.. كما طرحت مساءلات حول "مفهوم السياسات الثقافية" والتحديات التي تواجهه، كعدم ربط الثقافة بالتربية، والطابع المناسباتي للعمل الثقافي عموماً.

وفي محاولة اختصـار الاتّجاه الغالب في الحركـة الفكريّـة والثقافيّة في **لبنـان**، والذي كان أكـثر بـروزاً في العـام 2010 عمّـا كان عليه الأمـر في الأعوام السـابقة، بدا أن هناك اتجاهـاً واضـحاً للنهوض باللّغـة العربيّة من خلال تدابير عملانيّة، فضلاً عن تبلور الجهود الرسـميّة وجهـود المثقفين والقطـاع الخاص مـن أجل نهضـة ثقافيّـة عربيّـة، تتقاطع مع المحـاولات النهضويّة السابقة لكن مع تميّزهـا بمحاولـة بلورة إطـار عمليّ ومحـدّد لهـا. وقد تجلّى ذلك مـن خلال فعاليّات فكريّة وثقافيّة قـامـت في بيروت وبحثـت إشـكاليات ثقافيّة عربيّة، وجمعـت جمهوراً عربيّاً. فشـهد **لبنان** في العـام 2010، فعاليّتين ثقافيّتين عربيّتين تكرّسـان الاتجاه العربي نحـو ثقافة عملانيّة هما: "المؤتمـر الأول للسياسـات الثقافيّة في المنطقـة العربيّـة"، و"الاجتماع التحضـيري الأول للقمـة الثقافيّـة العربيّـة"، كما شـهدت

1 – يمكن العودة إلى تفاصيل الإعلان في ملحق الحصاد، ملحق1.

2 – تقرير التنمية الإنسانية العربيّة للعام 2003 : نحو إقامة مجتمع المعرفة، برنامج الأمم المتّحدة الإنمائي والصندوق العربي للإنماء الاقتصادي والاجتماعي.

1 – راجع في هذا الصدد "ملف الحصاد الثقافي" في التقرير العربي الثالث للتنمية الثقافيّة، ط1 ، بيروت 2009 ، مؤسّسة الفكر العربي، ص–ص638–641.



شهد لبنان في العام 2010 فعاليتين ثقافيتين عربيتين تكرسان الاتجاه العربي نحو ثقافة عربية عملانية هما: "المؤتمر الأول للسياسات الثقافية في المنطقة العربية" و"الاجتماع التحضيري الأول للقمة الثقافية العربية".

الساحة العربيّة ملتقى قادة الإعلام العربي، الذي هدف إلى إيجاد حوار نوعيّ بين قادة الإعلام العربي، بغية الوصول إلى حلول عمليّة وواقعيّة للمشكلات والعوائق التي تواجه مسيرة الإعلام العربي أو تلك التي تعطّلها، كما جرى تحديد احتياجات الحركة الإعلامية العربيّة ومتطلّبات المرحلة الآنية في العمل الإعلامي. فحملت الجلسات الثلاث الأساسيّة للملتقى العناوين التالية: "دور الإعلام في دعم العلاقات العربيّة"، "اقتصاديات الإعلام"، "العلاقة بين الإعلام والسلطة".

المؤتمر الأول للسياسات الثقافيّة في المنطقة العربيّة

ناقش المؤتمر مختلف الجوانب المتعلّقة بالسياسات الثقافيّة، وذلك انطلاقاً من المفهوم الخاص للسياسات الثقافيّة الذي تتبنّاه **مؤسّسة المورد الثقافي** بوصفها منظّمة المؤتمر، بالتعاون مع مؤسّسة **دون الهولنديّة** و**المجلس الثقافي البريطاني**. فالسياسات الثقافيّة – كما حدّدها القيّمون على المؤتمر – عبارة عن "مجمل الخطط والأفعال والممارسات الثقافيّة التي تهدف إلى سدّ الحاجات الثقافيّة لبلد أو مجتمع ما، عبر الاستثمار الأقصى لكلّ الموارد الماديّة والبشريّة المتوفّرة لهذا البلد وهذا المجتمع، أي ما يتخطّى السياسة المتعلقة بالفنّ والتراث إلى سياسة أوسع وأشمل تتطلّب تضافراً وتكاملاً بين قطاعات شتّى في المجتمع".

ولعلّ القيمة المضافة التي يمكن تسجيلها لهذا المؤتمر، هي أنه قام بجهود المجتمع الأهلي، وتحديداً بجهود العاملين والباحثين والخبراء في السياسات الثقافيّة وواضعيها، وذلك بعدما سبق له القيام بمبادرة إقليميّة في العام 2009 لرصد الملامح الرئيسة للسياسات الثقافيّة في ثماني دول عربيّة هي **لبنان وسورية والأردن وفلسطين ومصر والجزائر وتونس والمغرب، من أيار (مايو)** 2009 وحتى **كانون الثاني (يناير)** 2010، وبالاستناد إلى نموذج لمسح السياسات الثقافيّة شمل تسعة محاور: السياق الثقافي للبلد المدروس والتبعيّة الإدارية، صنع القرار والإدارة، الأهداف والمبادئ العامة للسياسات الثقافيّة، الموضوعات الراهنة في تطوير السياسات الثقافيّة والجدل حولها، النصوص القانونيّة الرئيسة في الحقل الثقافي، تمويل الثقافة، المؤسّسات الثقافيّة وشراكات جديدة، دعم الإبداع والمشاركة، مصادر ووصلات إلكترونيّة.

وقد حملت الجلسات الخمس "**للمؤتمر الأول للسياسات الثقافيّة في المنطقة العربيّة**"، والتي تلتها جلسة ختامية، العناوين التالية: "السياسات الثقافيّة ووضع الثقافة في المجتمع"، "الثقافة على الصعيدين القومي والدولي: التحدّيات والشروط القانونية اللازمة لوضع السياسات الثقافيّة"، "تمويل السياسات الثقافيّة: تنمية الموارد الماليّة والاقتصاد الثقافي"، "الفاعلون الرئيسيّون في حقل الثقافة: أطر التعاون الثقافي على المستويات المحليّة والإقليميّة والدوليّة"، "المؤسّسات والشبكات الثقافيّة".

فتمّ البحث في كيفية إسهام السياسات الثقافيّة في تحسين وعي المجتمع بقيمة الثقافة، وفي دور الممارسات الثقافيّة والتعبير الثقافي، بما يتضمّناه من إنتاج وتبادل، في لعب دور حيويّ ببناء مجتمعات منفتحة وديمقراطيّة. كما طرحت مساءلات عدّة حول "مفهوم السياسات الثقافيّة"، فضلاً عن التحدّيات التي تواجهه، كعدم ربط الثقافة بالتربية، والطابع المناسباتي للعمل الثقافي العربي عموماً، والهيمنة المتمثّلة بسطوة بعض الدول العربيّة وأنظمتها على الثقافة وتجييرها لمصالحها السياسية، الأمر الذي يفتح المجال واسعاً للفساد المالي ولإطار غير ديمقراطي يتسبّب في "قتل الإبداع". في حين أن اتجاه الحكومات إلى رفع موازناتها المخصّصة للثقافة إلى أكثر من 1.5 %، لايعني انتفاء إشكالية تمكين المجتمع المدني، خصوصاً في ظلّ مشاركة الحكومات في التمويل واعتماد منظّمات المجتمع المدني على الخارج. وفي مسائل التمويل أيضاً، برز سؤالان مهمّان، الأول "هل تنفرد الدولة بالاستثمار الثقافي أو تنفتح على رأس المال الخاص وتفسح المجال أمام المؤسّسات المانحة؟، والثاني" ماهي الطرق الفضلى لتوجيه الدعم المالي إلى المبدعين والفاعلين الثقافيّين وتحسين الأداء المالي للمشروعات والمؤسّسات الثقافيّة؟".

كما ناقش المؤتمر ضرورة التقريب بين الثقافة والتنمية وتقريب الفنان والمبدع من الجمهور وبيئته وتوسيع تدخّل المجتمع المدني سواء لرسم السياسات أم لتشجيع الإبداع.

وبذلك، انتهى المؤتمر بجملة توصيات[1]، بعدما شكّل مادة موثّقة قام بها ممثلون من المجتمع المدني، وأفضت إلى استخلاص بعض السمات العامة للسياسات الثقافيّة في العالم العربي، سبق أن أشارت إليها **حنان الحاج علي** رئيسة المجلس الفنّي في **مؤسّسة المورد الثقافي**، ونُشرت في سياق تحقيق ضمّه العدد الثامن من "**متابعات**" (**آب/أغسطس** 2009)[2] بعنوان "السياسات الثقافيّة"، وتتلخّص بالآتي:

– إن السياسة الثقافيّة في العالم العربي سياسة نظرية لاتترجم بخطة متكاملة.

– إن السياسة الثقافيّة تبقى في حدود طرق تُعتمد أو يتمّ السير وفقها، ولا تترجم إلى مجموعة قواعد وقوانين وخطط تقرّها السلطات رسمياً من أجل تغييرٍ وتطويرٍ بعيديّ المدى.

– إن الثقافة في خدمة السياسة (ثقافة القوميّة العربيّة، ثقافة الهويّة الوطنيّة، ثقافة الهويّة الإسلاميّة، ثقافة المقاومة، ثقافة الحزب الحاكم، الثقافة الرسميّة المركزيّة....) وليست السياسة في خدمة الثقافة.

خلص اللقاء التحضيري الأول للقمّة الثقافية العربية الذي نظّمته مؤسّسة الفكر العربي إلى المطالبة بتعزيز جهود حماية اللغة العربية والتراث، ودعم الإبداع وحماية الملكية الفكرية، ودعم المحتوى الرقمي العربي على شبكة الإنترنت، وتنظيم سوق ثقافية عربية، ودعم حركة الترجمة وترشيدها.

الاجتماع التحضيري الأول للقمة الثقافيّة العربيّة[3]

في بادرة هي الأولى من نوعها في الفضاء الثقافي العربي، دعا **الأمير خالد الفيصل** إلى مواجهة الأزمة الثقافيّة الراهنة بالسرعة اللازمة وبالآليات الكفيلة، والتصدّي لها عبر أعلى مستويات القرار السياسي، لئلا تتحوّل إلى أزمة كيان ووجود حضاري تهدّد الأمّة بكاملها. فقد اعتبر **الأمير خالد الفيصل** في كلمة افتتاح المؤتمر أن **القمة الثقافيّة العربيّة** "تمثّل فرصة لتوظيف رؤى المثقفين حول قيم التقدّم والاستنارة والنهوض"، معتبراً أن التضامن الثقافي العربي ضرورة قوميّة لتوظيف القواسم المشتركة للأمة، ومقدّماً اقتراحين إلى الملتقى؛ الأول دعا فيه إلى التركيز على المشروع الثقافي العربي – للعقدين المقبلين – كقضية محورية واحدة، وقال: "لعلكم تتفقون معي في أن إنقاذ اللّغة العربيّة من أهم قضايانا الملحّة على المشهد الثقافي". أما الاقتراح الثاني، فكان إنشاء صندوق تمويل ثقافي عربي، يتمّ توفير موارده من إسهامات حكومات الدول العربيّة، "على

أظهرت الأنشطة العائدة لأربع مؤسّسات ثقافية في مصر أن هناك 50 نشاطاً تناولت المجال المصري المحلي و59 نشاطاً تناولت قضايا عالمية و37 نشاطاً في المجال العربي.

1 – راجع التوصيات في الملحق المرفق بهذا التقرير (ملحق2).

2 – نشرة إعلامية دورية تصدر عن "مؤسّسة الفكر العربي" في بيروت.

3 – يذكر أن هذا الاجتماع جاء بناءً على الاقتراح التي كان رئيس "مؤسّسة الفكر العربي" الأمير خالد الفيصل قد أطلقه في خطابه إلى أمين عام جامعة الدول العربيّة السيّد عمرو موسى بأن تقوم جامعة الدول العربيّة بالدعوة إلى عقد قمّة ثقافيّة عربيّة تحت رعايتها على غرار القمّة الاقتصاديّة التي عُقدت في الكويت. فعقدت مؤسّسة الفكر العربي، بالتعاون مع المنظّمة العربيّة للتربية والعلوم والثقافة (ألكسو)، وتحت مظلّة جامعة الدول العربيّة، الاجتماع التحضيري الأول لـ"القمّة الثقافيّة العربيّة"، الذي شارك فيه – بالإضافة إلى شريحة واسعة من المفكرين والمثقفين والمبدعين والأكاديميّين العرب – اتّحاد الكتّاب والأدباء العرب، اتّحاد الناشرين العرب، ممثّلون عن المجامع اللّغوية العربيّة، رؤساء المجالس الثقافيّة الوطنية في بعض الدول العربيّة، مركز الملك عبد العزيز الثقافي العالمي، الهيئة العربيّة للمسرح، مراكز الدراسات والأبحاث، المؤسّسات الإعلامية، مؤسّسات وجمعيات ثقافيّة أهلية.

أن تقدَّر حصص الدول فيها طبقاً لمعايير يراها القادة، للإنفاق على المشروعات الثقافيّة العربيّة ذات البعد القومي والطابع الاستراتيجي، التي تخدم قضيتنا المحورية".

وبناءً عليه، كانت التحضيرات للقمّة قد انتهت باجتماع تشاوري في **تونس** لفريق العمل التحضيري المؤلف من ممثّلين عن **جامعة الدول العربيّة ومؤسّسة الفكر العربي والمنظّمة العربيّة للتربية والعلوم والثقافة (ألكسو) في 20 أبريل (نيسان)** 2010، وكان من بين ما تمّ الاتفاق عليه أن يفضي الاجتماع التحضيري الأول **للقمة الثقافيّة** إلى "مشروعات، أو قضايا ثقافيّة محدّدة ومناقشة حيثيّاتها العمليّة والإجرائيّة القابلة للتنفيذ بعيداً من أيّ تنظير ثقافي لذاته، أو طرح لقضايا يغلب عليها الطابع الأيديولوجي". لذا، توزّعت أعمال اللّقاء التحضيري على ثماني لجان[1]، تمثّل أبرز القضايا الثقافيّة والمشروعات التي تحتاج إلى استثمار. وتدارست اللّجان القضايا الثقافيّة الملحّة، منتهيةً بوضع توصيات طالبت بتعزيز جهود حماية اللغة العربية والتراث، ودعم الابداع وحماية الملكية الفكرية، وإيلاء الاهتمام الكافي بثقافة الطفل والشباب، ودعم المحتوى الرقمي العربي على شبكة الانترنت، وتنظيم سوق ثقافية عربية، ودعم حركة الترجمة وترشيدها[2].

في السعودية أظهرت الأنشطة الـ 41 العائدة لسبع مؤسّسات سعودية أن 16 نشاطاً منها تناول الشأن المحلي و12 نشاطاً تناول المجال العالمي. أما ما تناولته الأنشطة العربية فبلغ 12 نشاطاً.. فضلاً عن نشاط واحد للمجالات الإقليمية (السعودية والخليج العربي).

عروبة بالقوّة لا بالفعل

كشفت الأنشطة العائدة في **لبنان** إلى كلّ من **النادي الثقافي العربي، مركز دراسات الوحدة العربيّة، المجلس الثقافي للبنان الجنوبي، الجمعية اللّبنانية لعلم الاجتماع، الحركة الثقافيّة انطلياس، معرض بيروت الدولي للكتاب الـ**54، والتي بلغ عددها 32 نشاطاً، أن هناك15 نشاطاً تناولت المجال اللّبنانيّ المحلّي، و7 **أنشطة** تناولت المجال العالميّ وموضوعات راهنة على المستوى العالمي، و8 **أنشطة** تناولت المجال العربيّ، فضلاً عن **نشاطين** (2) تناولا مجالات إقليميّة **(لبنان والمشرق العربي)**.

وأظهرت الأنشطة العائدة لأربع مؤسّسات ثقافيّة في **مصر** هي: **مكتبة الإسكندريّة، المجلس الأعلى للثقافة، الهيئة المصرية العامة للكتاب** من خلال "معرض القاهرة الدولي للكتاب42"[3]، **ساقية عبد المنعم الصاوي**، والتي بلغ عددها 148 نشاطاً، فضلاً عن 3 أنشطة أخرى هي "**المنتدى العالمي للقادة الشباب-دافوس** 2010"، الذي عقد في **جامعة القاهرة**، و"**مؤتمر أدباء مصر**" في دورته الخامسة والعشرين:(**دورة محسن الخياط**)، **وملتقى قادة الإعلام العربي** الذي نظّمته **هيئة الملتقى الإعلامي العربي**، أظهرت الأنشطة العائدة لهذه المؤسّسات إذاً، أن هناك 50 نشاطاً تناولت المجال المصريّ المحلّيّ، و59 نشاطاً تناولت قضايا خاصة بالمجال العالميّ وموضوعات راهنة على المستوى العالمي، و37 نشاطاً تناولت المجال العربيّ، و5 أنشطة تناولت المجال الإقليميّ (مصر **والعالم الإفريقي**).

وأظهرت الأنشطة العائدة لثلاث مؤسّسات في **سورية** هي: **وزارة الثقافة السوريّة واتّحاد الكتّاب في سورية** (فروع **الرقة ودير الزور والسلميّة وحلب وحمص واللاذقيّة وإدلب وبيبيلا**)، و**المركز الثقافي العربي** في **دمشق (أبو رمانة)**، والتي بلغ عددها 82 نشاطاً، أن هناك

أظهرت الانشطة العائدة لثلاث مؤسّسات ثقافية في سورية، والتي بلغ عددها 82 نشاطاً، أن هناك 8 منها تناولت المجال المحلي، و34 نشاطاً تناول المجال العالمي، فيما تناول 33 نشاطاً المجال العربي، فضلاً عن 7 أنشطة للمجالات الإقليمية.

1 – اللجان الثماني هي: لجنة إنقاذ اللغة العربيّة، لجنة حماية التراث، لجنة الإبداع وحماية الملكية الفكرية، لجنة رعاية ثقافة الطفل والشباب، لجنة تحالف القيم وحوار الثقافات، لجنة المحتوى العربي الرقمي على شبكة الإنترنت، لجنة السوق الثقافيّة العربيّة المشتركة، لجنة الترجمة.

2 – راجع التوصيات في الملحق المرفق بهذا التقرير (ملحق3).

3 – تناول المحور الرئيسي للمعرض ثلاثة عناوين كبرى ناقشت أهم القضايا العلميّة المستحدثة، والأزمة الاقتصاديّة العالميّة، والآفاق الإبداعية للرواية العربيّة.

جدول (1) **توزّع أنشطة المؤّسسات الثقافيّة بحسب المجالات**

	لبنان	مصر	سورية	السعودية	الكويت	الإمارات	تونس	المغرب	المجموع	النسبة (%)
المجال المحلّي	15	50	8	16	2	5	2	20	118	29
المجال العربي	8	37	33	12	9	15	2	15	131	32
المجال الإقليمي	2	5	7	1	2	7	0	0	24	6
المجال العالمي	7	59	34	12	2	10	8	8	140	34
المجموع	32	151	82	41	15	37	12	43	413	100

8 أنشطة تناولت المجال السوريّ المحلّي، و34 نشاطاً تناولت المجال العالميّ وقضايا راهنة على المستوى العالمي، فيما تناول 33 نشاطاً المجال العربيّ، فضلاًعن7 أنشطة للمجالات الإقليميّة (**سورية والمشرق العربي**).

أما في **السعوديّة**، فبدا، من خلال الأنشطة العائدة لسبع مؤسّسات ثقافيّة سعوديّة هي: **مركز الملك عبد العزيز للحوار الوطني، النادي الأدبي الثقافي في جدّة، النادي الأدبي في الرياض، معرض الرياض الدولي للكتاب، نادي أبها الأدبي، نادي المدينة المنوّرة الأدبي والثقافي، المهرجان الوطني للتراث والثقافة (الجنادرية)**، أن من بين الأنشطة التي بلغ عددها 41 نشاطاً، تناول 16 نشاطاً المجال السعودي المحلّي، فيما بلغ عدد الأنشطة التي تناولت المجال العالمي والقضايا الراهنة على المستوى العالمي 12 نشاطاً، وعدد الأنشطة التي تناولت المجال العربي 12 نشاطاً، فضلاً عن **نشاط واحد** (1) للمجالات الإقليميّة **(السعوديّة والخليج العربي)**.

وبيّنت أنشطة المؤسّسات الثقافيّة الكويتيّة، وهي: **المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب**، مجلة **العربي**، **مؤسّسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين، معرض الكويت للكتاب**، والتي بلغ عددها 15 نشاطاً، أن هناك نشاطين(2) تناولا المجال الكويتيّ المحلّي، فضلاً عن نشاطين(2) تناولا مجالات عالميّة وقضايا راهنة على المستوى العالمي، و 9 أنشطة ذات بعد عربيّ، ونشاطين(2) ذي أبعاد إقليميّة (الكويت والخليج العربي).

ومن خلال أنشطة خمس مؤسّسات ثقافيّة إماراتيّة،هي: **هيئة أبوظبي للثقافة والتراث، المنتدى الاستراتيجي العربي (مؤسّسة محمد بن راشد آل مكتوم)، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية في أبو ظبي، مؤسّسة سلطان بن علي العويس الثقافيّة، ندوة الثقافة والعلوم في دبي**، والتي بلغ عددها 37 نشاطاً، بدا أن هناك 5 أنشطة تناولت المجالات المحلّية، و 10 أنشطة تناولت المجال العالميّ والقضايا الراهنة على المستوى العالمي، مقابل 15 نشاطاً للمجال العربيّ، و7 أنشطة للمجالات الإقليميّة **(الإمارات والخليج العربي وآسيا)**.

أما في **المغرب** فالأنشطة العائدة لكلّ من **المعرض الدولي السادس عشر للكتاب والنشر** (والذي جاء تحت شعار "العلم بالقراءة أعزّ ما يطلب"، **واتّحاد كتّاب المغرب**[1]، والتي بلغ

من خلال أنشطة خمس مؤسّسات ثقافية إماراتية، وقد بلغ عددها 37 نشاطاً، بدا أن هناك 5 أنشطة تناولت المجالات المحلية، و10 أنشطة تناولت المجال العالمي، مقابل 15 نشاطاً للمجال العربي و7 أنشطة للمجالات الإقليمية.

1 – للتذكير، تخصّ هذه الأنشطة المكتب التنفيذي فقط، لأن الفروع الأخرى للاتّحاد، وعددها 23 فرعاً، موزّعة على مختلف أنحاء المملكة المغربيّة، وأنجزت أنشطتها الثقافيّة الخاصة بها.

عددها 43 نشاطاً، فصبّ 20 نشاطاً منها في القضايا المحلّية، مقابل 8 أنشطة للمجالات العالميّة والقضايا الراهنة على المستوى العالمي، وتناول 15 نشاطاً المجالات العربيّة.

أخيراً، توزّعت الأنشطة العائدة لـ **المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون "بيت الحكمة"**، والتي بلغ عددها 10 أنشطة، فضلاً عن نشاطين (2) متفرّقين يعود كلّ منهما إلى **جمعية دراسات دولية التونسيّة** وقسم **علم الاجتماع** في **كلّية الآداب والعلوم الإنسانيّة** في مدينة **صفاقس**، كالآتي: نشاطان (2) للمجال المحلّي، و8 أنشطة للمجال العالميّ والقضايا الراهنة على المستوى العالمي، فضلاً عن نشاطين (2) للمجال العربيّ.

فالأنشطة ذات المجالات العربيّة بلغت نسبتها، من مجموع عدد الأنشطة البالغ 413 نشاطاً في الدول الثماني، 32 % مقابل نسبة 29 % للأنشطة ذات المجالات المحلّية (**كما هو مبيّن في الجدول رقم - 1 -**).

هذه الأنشطة عبارة عن ملتقيات ومنتديات ومؤتمرات وندوات ولقاءات حواريّة تناولت عدداً من القضايا والظواهر الثقافيّة الملحّة على المستوى العربي. حيث احتلّت **قضايا الواقع العربي المتنوّعة** مثل تأثير الأزمة الاقتصاديّة العالميّة على العالم العربي، والنزاع العربي–العربي، والإعلام العربي، والشفافية والمساءلة في الوطن العربي، والأمن القومي العربي، والعصر الرقمي وتأثيره على العالم العربي، وحريّة الإبداع، وغيرها من القضايا الحيّز الأكبر من الموضوعات التي تناولتها الفعاليّات الثقافيّة (فشكّل ذلك نحو 20 % من مجموع الفعاليات أو الأنشطة الخاصة بالقضايا العربيّة)؛ تلا ذلك موضوع اللّغة والإسلام اللّذين شغل كلّ منهما نحو 16 % من مجموع الفعاليات أو الأنشطة الخاصة بالقضايا العربيّة)، ثم **موضوع الثقافة** الذي حاز على نسبة 12 %، **فالشباب** 10 %، ثم **القدس** 6 % ثم **الذاكرة والتراث** (5 %)، فيما حازت الموضوعات الأخرى مجتمعة (مثل المرأة، الترجمة، التأليف والنشر... إلخ) على نحو 15 %، علماً بأن موضوعات الترجمة قد شغل الساحة الثقافيّة العربيّة على امتداد العقد السابق، ولاسيما مع تطوّر الاهتمام بموضوع "حوار الحضارات". وقد أقيمت فعاليّات كبرى حول موضوع الترجمة، كان من أبرزها المؤتمر الدولي للترجمة بعنوان "الترجمة وتحدّيات العصر" الذي نظّمه **المركز القومي للترجمة في القاهرة** من 28 **إلى** 31 **مارس / آذار** 2010.

أنشطة متنوّعة.. وتوازن عربيّ مختلّ

لعلّ تنوّع الموضوعات التي غلب فيها الحيّز المخصّص لقضايا عربيّة، يشير إلى ارتباطها بالتأثيرات العالميّة، من اقتصاديّة وسياسيّة ورقميّة وتكنولوجيّة وغيرها، مثل "نحن والأزمة الاقتصاديّة العالميّة"، "الثقافة العربيّة في ظلّ وسائط الاتصال الحديثة"، "العرب ومواجهة التحدّيات المعرفيّة في القرن الحادي والعشرين"، "العقل العربي ومجتمع المعرفة"، "العرب بين ثقافة العولمة وعولمة الثقافة"،"الوظيفة التربويّة للّغة العربيّة في عصر المعلومات"..إلخ[1]. غير أن هذه القضايا تشير في الوقت عينه إلى تشظٍّ عربيٍّ ناتج عن اختلال التوازن العربي في ظلّ التحوّلات الدوليّة المتسارعة، لا بل إلى تغيّرات العالم بأسره. الأمر التي راح يستدعي أكثر من ذي قبل اختلافاً في التفكير، ومحاولات لبناء استراتيجيّة عربيّة ودعم المسالك العملانيّة. بحيث تميّز العام 2010 بتراجع زخم بعض القضايا التي كانت مطروحة بإلحاح مثل قضايا المرأة والديمقراطية مثلاً، لكن من دون أن يعني ذلك غيابها، خصوصاً أنها قضايا شائكة ومزمنة، وذلك لمصلحة **اللّغة والعروبة والإسلام والشباب والثقافة**. إذ إن تلك القضايا الشائكة وغيرها لا تزال تشكّل تحدّيات واقعيّة في الوطن العربي، وخصوصاً قضايا الفقر والبطالة، والمشاركة السياسية، والمشكلات الطائفية والعرقية، التي اعتبرها **مركز الخليج للدراسات في مؤتمره السنوي العاشر**(8/ 5/ 2010)، والذي جاء تحت عنوان "التحديات العربيّة الداخليّة"، من أبرز تلك التحدّيات. وبالتالي فإن المقصود بالاتجاه العملاني هو الانتقال من الاكتفاء بتشخيص الواقع نحو وضع الحلول والمسالك، ولاسيما أن مجريات العقد السابق الذي أسهم فيه تطوّر استخدام وسائل الاتصال والتواصل الحديثة، مثل المدوّنات الإلكترونيّة وشبكات التواصل الاجتماعيّة وغيرها، ربما أسهم في فرض ديمقراطيّة تتجاوز الأطر التي تسمح بها الحكومات العربيّة، في الوقت الذي أسهمت فيه إنجازات الدول الآسيوية والأفريقية ودول أميركا اللاتينيّة التي تمّت في فترة زمنيّة وجيزة، وكذلك تقدّم النموذج التركي والإيراني في ظل حكم ذي توجّه إسلامي، والتشكيك بمقولة ارتباط الديمقراطيّة بالتنمية، وغيرها الكثير من المظاهر والوقائع السياسيّة والاقتصاديّة، ربما تكون أسهمت في إعادة التفكير في النماذج والمقولات الاقتصاديّة والسياسيّة والثقافيّة، وفي محاولة الخروج منها، بما يتناسب مع خصوصيّة السياق العربي الراهن وإمكانيّاته ومشكلاته، وكذلك الخروج من "عقدة الغرب" و"الخوف منه" و"التماهي أو التماثل به". وهذا ما قد يفسّر بدوره أيضاً، عودة **القدس** إلى صدارة أولويّات الأنشطة العربيّة، بعدما راحت الأوضاع تشير إلى تراجع ثقة الشعب الإسرائيلي بقدرة دولته على الاستمرار بعد فشلها في حربيّ **لبنان وغزّة**، وفشلها في حسم مصير مدينة **القدس** بعد مرور 43 عاماً على احتلالها، وما رافق ذلك من هجمة تهويديّة غير مسبوقة عليها بلغت ذروتها خلال العام 2009، واستكملت في العام 2010.

الانطباع الأوّلي الذي يشير إليه إذن، **الحصاد الثقافي للعام** 2010 من خلال متابعة أنشطته وفعالياته، هو تبلور إرادة عربيّة جامعة، تبحث عن استراتيجيّة عمل عربي مشترك. فإلى جانب الفعاليات الكبرى التي تمّت الإشارة إليها في مقدمة الحصاد، والتي كانت بغالبيّتها عربيّة وتستقطب جمهوراً عربيّاً (حتّى ولو كانت دوليّة)، أو تلك التي كانت امتداداً لتقليد الأسابيع الثقافيّة العربيّة التي دأب بعض المؤسّسات العربيّة على إقامتها بهدف تعزيز العلاقات الثقافيّة بين أقطار الوطن العربي وبهدف تبادل الأفكار والخبرات والتجارب، بحسب ما يرد في خطاب منظّمي مثل هذه الفعاليات، إلى جانب ذلك كلّه إذاً، أخذت المشاركات البيْنيّة الثقافيّة أشكالاً عدّة، منها الملتقيات الشبابيّة العربيّة، شأن **ملتقى الشباب العربي**، وهو حدث ثقافيّ إبداعيّ اجتماعيّ سنويّ، يرعاه حاكم **الشارقة** ويشارك فيه الشباب العرب ممّن تتراوح أعمارهم بين 16 و24 عاماً، وعادةً ما تكون هذه البرامج والأنشطة الثقافيّة مواكبة لطموحات الشباب واهتماماتهم. فاستضافت **الإمارات العربيّة** "الملتقى الحادي عشر لشباب دول الخليج العربيّة" (1-5/ 2/ 2010)، واستضافت **مصر** في 8/5/ 2010 فعاليات الدورة الأولى لـ "ملتقى الشارقة للشعراء الشباب" دون سنّ الخامسة والثلاثين في الوطن العربي لمدّة سبعة أيام في مقرّ **مكتبة الإسكندرية** وفي **اتّحاد كتّاب وأدباء مصر** في **القاهرة** و**مكتبة مبارك** في مدينة **الأقصر**. كما أقيم "أسبوع الإمارات الثقافي في مهرجان القرين الثقافي السادس عشر" في **الكويت**، واشتمل على العديد من الفعاليات للتعريف بالثقافة الإماراتية، وتنوّعت عروضه بين الفنون التراثية والفنون الشعبيّة وأمسيات

1 – لمزيد من التفصيل حول مختلف عناوين الفعاليات والأنشطة المتعلّقة بالعالم العربي، يمكن العودة إلى "موضوعات أنشطة تناولت قضايا عربيّة" في ملحق الحصاد(ملحق4).

تميّز العام 2010 بتراجع زخم بعض القضايا التي كانت مطروحة بإلحاح، مثل قضايا المرأة والديمقراطية مثلاً، لكن من دون أن يعني ذلك غيابها، وذلك لمصلحة اللغة والعروبة والإسلام والشباب والثقافة.

الانطباع الأوّل الذي يشير إليه الحصاد الثقافي للعام 2010، هو تبلور إرادة عربية جامعة تبحث في استراتيجية عمل عربي مشترك، من خلال مثلاً، استضافة الإمارات للملتقى الحادي عشر لشباب الخليج، واستضافة مصر لملتقى الشارقة للشعراء الشباب.. واستضافة مكتبة الأسد، الدوحة كضيف شرف، كونها عاصمة الثقافة العربية للعام 2010



الشعر النبطي والفصيح والأفلام السينمائية القصيرة ومعارض الفنّ التشكيلي والخطّ العربي والزخرفة الإسلامية وغيرها. فيما استضاف "معرض مكتبة الأسد الدولي الـ26 للكتاب" (1 - 8/ 8/ 2010) الدوحة كضيف شرف كونها **عاصمة الثقافة العربيّة** للعام 2010. وأقيمت فعاليّات "الأسبوع الثقافي المغربي" (8 - 12/ 3/ 2010) ضمن فعاليات **الدوحة عاصمة للثقافة العربيّة للعام** 2010، حيث قال وزير الثقافة القطري **حمد بن عبد العزيز الكواري** آنذاك إن الثقافة العربيّة تجمع العرب جميعاً ويمكن أن تقوم بما لم تقم به السياسة، وأن شعار الاحتفالية "الثقافة العربيّة وطناً.. والدوحة عاصمة" يعبّر عن ذلك بامتياز. وأضاف أن الأسبوع الثقافي المغربي "فرصة جيّدة من أجل التعرّف أكثر إلى المغرب، لأنّنا لا نعرف المغرب كما ينبغي".

وتضمّنت فعاليات الأسبوع الثقافي المغربي في **قطر** محاضرة لوزير الثقافة المغربي **بن سالم حمّيش** بعنوان: "العولمة في مرآة الثقافة"، وندوة فكرية بعنوان "دور الثقافة في التنمية البشرية" لـ **عبد الخالق التهامي**، وقراءات شعرية للشاعرات المغربيات **آمنة المريني وثريا مجدولين ووفاء العمراني**.

لافت ما يكتبه البعض من أنَّ المؤسّسات الحكومية لا تعطي الحق الكافي لرعاية الثقافة.. أمّا القيمون على الثقافة، وبحسب أحد كتّاب جريدة "البيان" الإماراتية، فإنهم يعطون أنفسهم الحق الأول في البروز والظهور على أكتاف التطوير الثقافي والمتابعة.

الأسئلة المطروحة وسؤال العام 2010

يبدو أن اتّجاهات المؤسّسات الحكوميّة أو اتّجاهات مؤسّسات المجتمع المدني أو كليهما نحو تفعيل الثقافة العربيّة البينيّة، والتي لا تقتصر على المؤتمرات والندوات فقط، وإنما تتعدّاها إلى ورش عمل ومهرجانات ومعارض كتب وغيرها من الأنشطة، لم تسهم كفايةً في تعزيز ثقة المجتمع المدني بالقيّمين على الثقافة. فتحت عنوان "الثقافة بين الإدارة والتكريم" كتب **سليمان الحزامي** في مجلة "البيان" (**حزيران/ يونيو** 2010، **العدد** 479) أن المؤسّسات الحكوميّة لاتعطي الحقّ الكافي لرعاية الثقافة. أما القيّمون على الثقافة فيعطون أنفسهم الحق الأول في البروز والظهور على أكتاف التطوير الثقافي والمتابعة. والوضع لا يختلف عند المعنيّين برعاية الثقافة في قطاعات أخرى، والتي تتمثّل في بعض جمعيات النفع العام أو المؤسّسات الخاصة، فكلّها تدور في فلك الشهرة الشخصيّة والتمجيد الفردي لرئيس هذه المؤسّسة أو تلك.

وتحت عنوان "المهرجانات الثقافيّة" (**البيان، شباط/فبراير** 2010، **العدد** 475)، انتقد **خالد عبد اللّطيف رمضان** المهرجانات الثقافيّة التي تقدّم مجموعة من الأنشطة الثقافيّة والفنّية والأدبيّة بطريقة تجعلها تحشد في أيام معدودة، قد تمتدّ لثلاثة أسابيع أو أكثر، من دون أن تكون المؤسّسات الثقافيّة المنظّمة لها قادرة على ضمان استمراريّة التغطية الإعلامية طوال فترة إقامة المهرجان، أو أن تكون قادرة على الحفاظ على وتيرة الزائرين والمشاركين. كتب رمضان ذلك وهو يأمل بأن توزَّع الجهود والموارد المالية على العام بأكمله، لضمان الإقبال الجماهيري والمتابعة الإعلاميّة وتحقيق الهدف من وراء هذه الأنشطة، أي نشر الوعي الثقافي والارتقاء بذوق الجماهير ورفد الساحة الثقافيّة بنتاجات ثقافيّة وفنّية على مدار العام وخلق حالة ثقافيّة.

هذه الملاحظات، وغيرها الكثير حول المهرجانات الثقافيّة وسوى ذلك من فعاليّات، باتت تشكّل ظاهرة في الوطن العربي، ولاسيما الجدل الدائر مثلاً حول الجوائز. وبالتالي، فإن السؤال عمّا إذا كان في إمكان هذه المهرجانات والفعاليات أن تكون بديلاً من الفعل الثقافي، أو أنها وسيلة مشجّعة على الحشد الثقافي لا على الوعي الثقافي، يغدو سؤالاً مركزيّاً.

وفي السياق نفسه، لم تخلُ الساحة الثقافيّة العربيّة خلال العام 2010 من الأصوات المتحفّظة، ليس فقط على تلك المهرجانات والفعاليّات، بل على فكرة قيام "قمةّ ثقافيّة"، تعيد تكرار التجارب العربيّة الفاشلة التي تتمثّل بإصدار توصيات وقوانين، غالباً ماتبقى حبراً على ورق، أو أن يتمّ احتكار القمة من قبل النخب السياسيّة العربيّة الحاكمة، أو أن تظلّ القمة في مجال التعميم الثقافي وفي إطار المسائل أو القضايا "الكبرى"... وغيرها الكثير الكثير من المخاوف والتحفظات المحقّة، على الرغم من اعتبار الكثيرين أن مثل هذه القمّة هو حدث أول وفريد في تاريخ القمم الثقافيّة العربيّة، وأنها تشكّل اعترافاً بدور الثقافة كحامل للتغيير ورافعة أساسيّة للتنمية.

لم تَخلُ الساحة الثقافية العربية خلال العام 2010 من الأصوات المتحفظة، ليس على المهرجانات والفعاليات فقط، بل على فكرة قيام قمة ثقافية عربية تعيد تكرار التجارب العربية الفاشلة التي تتمثّل بإصدار توصيات وقوانين غالباً ما تبقى حبراً على ورق.

فتحت عنوان "رسالة مفتوحة إلى السيد **عمرو موسى**: القمة الثقافيّة المنتظرة"، كتب **سليمان إبراهيم العسكري** يقول: "إذا كان سعينا في الوحدة الاقتصادية قد تراجع، وإذا كان مسعانا في الشراكة الرياضيّة قد تمهّل، وإذا كان دربنا في الشراكة الاجتماعية مكبّلاً بما يعرقله، وإذا كانت اتفاقياتنا للدفاع المشترك قد سكنت الأدراج، فلنأمل بأن تكون خطواتنا نحو القمة الثقافيّة أكثر تفاؤلاً. جدول القمة الثقافيّة المنتظرة يجب أن يصوغه المثقفون والمبدعون أنفسهم، وأن يحدّدوا لقادة أمّتهم تصوراتهم لطريق النهضة". إلا أن العسكري أبدى في رسالته جملة تحفّظات منها: أن "جدول القمّة الثقافيّة المنتظرة يجب أن يصوغه المثقفون والمبدعون أنفسهم، وأن يحدّدوا لقادة أمتهم تصوراتهم لطريق النهضة، لا أن يفرض جدول أعمال القمة الثقافيّة أجهزة بيروقراطية لا ترى أجمل ولا أفضل ممّا هو قائم الآن"، وأن الثقافة العربيّة "ليست مادة مفردة منفصلة يمكن تدريسها في منهاج تعليمي، ولكنّها نسق حياة، ولهذا لا ترتبط بالقراءة فقط، وإنما هي جماع للفنون والآداب"، وأنه إذا كان "من أمل في القمة الثقافيّة المنتظرة، فهو الطموح بأن توسّع الآفاق للإبداع العربي، وأن تزيل سطوة الرقابة العمياء، وأن تتحرّر الحروف لتنبت لها أجنحة تحلّق بثقافتنا العربيّة بعيداً عن قيود التخلّف وردّة الجاهلية، وعنف الاضطهاد" (**العربي، تموز/ يوليو** 2010، **العدد** 620).

ورأى المفكّر البحريني **محمد جابر الأنصاري** في مقال له في جريدة "الخليج" الإماراتية (**الخميس،** 28 **كانون الثاني/ يناير** 2010)، أن أيّ قمة ثقافيّة عربيّة لن تنجح إذا ظلّت في مجال التعميم الثقافي وعلى صعيد "كبريات المسائل".

وعلّق المفكّر اللّبناني **أحمد بيضون** في تحقيق حول "القمّة الثقافيّة" بعنوان "القمة الثقافيّة العربيّة: مبادرة التطلّعات والتحفّظات"، نشرته "متابعات" الصادرة عن **مؤسّسة الفكر العربي (العدد** 15-16، **مارس/ أبريل** 2010) قائلاً: إن ما يفترض أن تُعنى به الحكومات، وهو البنى التحتيّة للثقافة، لا الثقافة نفسها. فالمكتبات العامة والمتاحف والمسارح أمور يقع القسط الأكبر من عبئها على عاتق الحكومات، وذلك فضلاً عن تلك الحاجة التي فرضها العصر اليوم، وهي شبكات الاتصال التي تتوقف على جودتها جودة الخدمات الثقافيّة المتعلقة بالإنترنت. لكن حالما نغادر هذا المستوى، نصل إلى ما بات يسمّى اليوم "السياسات الثقافيّة". وهذه كثيراً ما تكون تسمية خادعة لشيء آخر ولا بدّ من متابعتها بالحذر والنقد. يستحسن مثلاً – والكلام لبيضون – أن توجد مراكز أبحاث تموّلها الحكومات أو تشترك في تمويلها. "ويستحسن أن تُدعم الأعمال الفنّية بالمنح والجوائز. هذا كلّه قد يكون حكومياً وقد لا يكون. وهو قد يكون مختلطاً. وفي كلّ حال، يجب أن يكون القرار، في هذه الشؤون، بأيدي هيئات مؤكّدة الاستقلال، لا يوجّهها إلا المعايير والقيم الخاصة بالميدان الذي تعمل فيه... فتبقى، على الخصوص، بمنأى عن مصالح السلطات وأصحاب السلطة، حتى لو كان المال حكوميّاً أو موالياً لأهل الحكم. ولكن توليد تلك الهيئات الحرّة واستقامة عملها هما من الأمور التي تفترض قدراً من

نال مفهوم "السياسات الثقافية" قسطه من النقد أيضاً، إما نتيجة إخفاق كلّ المشروعات الثقافية العربية المشتركة، التي تشرف عليها المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، أو للتناقض بين مصطلحيّ "السياسات" و"الثقافة العربية"، لأن الثقافة العربية ثقافة أمّة واحدة، في حين تعكس السياسات العربية نزعات قطرية انعزالية.

السيادة الاجتماعية لأنظمة قيم بعينها، أي لثقافة سلوكية بعينها".

أما سؤاله الموجّه إلى "القمة الثقافيّة" فكان "حول إمكانيّة بحثها، إذا انعقدت، في كيفيات التوجّه نحو هذه الغاية، أي، بالدرجة الأولى، في تعزيز حريات الفكر والرأي والتعبير، أي، أيضاً، في تعزيز استقلال العمل الثقافي عن مصالح الحكم؟. وتابع: "أشكّ في حصول ذلك. عساها أن تبحث إذن في تعزيز البنى التحتيّة للثقافة... وقد يكون أمثل لنموّ الثقافة أن تعفيها حكوماتنا من هذا الذي تسميه "سياسات ثقافيّة". فإن لم يكن ذاك التعزيز ولا هذا الإعفاء فما حاجتنا إلى قمة ثقافيّة؟".

لقد نال مفهوم "السياسات الثقافيّة" قسطه من النقد أيضاً، إما نتيجة إخفاق كلّ المشروعات الثقافيّة العربيّة المشتركة التي تشرف عليها **المنظمة العربيّة للتربية والعلوم والثقافة** بحسب ما يذهب البعض (مشروع المكتبة الرقميّة العربيّة، مشروع الموسوعة العربيّة، توحيد مجامع اللّغة العربيّة في مجمع واحد، مشروع الترجمة، مشروع التوثيق، فضائيّة ثقافيّة عربيّة تنطق باسم العرب جميعاً... إلخ)، أو للتناقض بين مصطلحيّ (السياسات) و(الثقافة العربيّة)، لأن الثقافة العربيّة ثقافة أمّة واحدة وتجسّد وحدة الأمّة، في حين تعكس السياسات العربيّة نزعات قُطرية انعزالية، وبإمكانها أن تؤدّي إلى تفتيت الثقافة العربيّة الواحدة إذا ما بقيت رهينة السياسات العربيّة التفكيكيّة.

والأمر عينه ينسحب على اللّغة، حيث تسود عدم الثقة بالقيّمين عليها، خصوصاً أن المهرجانات والتظاهرات (مهرجانات اللّغة" مثلاً)، أو أعوام اللّغة (مثل عام اللّغة العربيّة الذي أقيم في كلّ من مصر والأردن في العام 2007) لم تؤدِّ إلى نتيجة، بعدما بقي "قانون اللّغة العربيّة الصادر العام 1991 في الأردن، في أدراج الحكومة، وبعدما كان تعامل الدولة مع هذا الموضوع غائباً تماماً.

بالعودة إلى الدوريات وموضوعاتها، يتبيّن أن العروبة لم تعد مسألة تحزّب بقدر ما باتت تعبيراً عن انتماء ثقافي حضاري قائم بالقوة، قبل أن يكون قائماً بالفعل، وأن أي موضوع وجودي لا يمكن معالجته إلا في سياقه العربي، لأن العروبة ليست خياراً وإنما قدراً.

في محاولة اختصار هذه الأسئلة والسجالات الدائرة منذ أعوام، والتي لا تقتصر على العام المدروس فقط، أي العام 2010، يمكن القول، إضافة إلى عدم الثقة بالقيّمين على الثقافة، إن المسألة الأساسيّة المطروحة، والتي شغلت حيّزاً في العام 2010، هي ما إذا كانت الثقافة، بمفهومها العلمي، تتجسّد بأدواتها فقط، أم إنها نتيجة تغيير فعليّ في صميم الوعي، أي وسيلة تغيير أساسيّة لأساليب التعليم والتنشئة الاجتماعيّة والإعلام والنشر... إلخ، وسيلة تسهم في بناء عقل نقديّ، وتُعنى بتكوين نمط تفكير يجمع بين أفراد المجتمع ويقرّب بينهم؟

III-المشهد الثقافي العربي من خلال الدوريّات الثقافيّة والفكريّة

بالانتقال إلى الدوريات الثقافيّة والفكريّة وعددها 20 **مجلّة**: **المستقبل العربي، الآداب، الفكر العربي المعاصر، العرب والفكر العالمي، كلمن، كتاب باحثات السنوي (لبنان)، والهلال، وجهات نظر، الثقافة الجديدة (مصر)**؛ **المعرفة، الحياة الفكريّة (سورية)**؛ **القافلة، جذور (السعوديّة)، العربي، البيان (الكويت)، آفاق الثقافة، آفاق المستقبل، دبيّ الثقافيّة (الإمارات)**؛ **الحياة الثقافيّة (تونس)**؛ **المناهل (المغرب)**، بالانتقال إلى هذه الدوريّات إذاً، تمّ تصنيف موضوعاتها بحسب 8 محاور: تلك التي تخصّ بلداً عربيّاً معيّناً، وتلك التي تخصّ **الخليج العربي، والمغرب العربي، والوطن العربيّ**، فضلاً عن محور متعلّق بالموضوعات المرتبطة بقضايا **الشرق الأوسط الكبير**، وبقضايا عالمية، وبمجالات **ثقافيّة واجتماعيّة متنوّعة وعامة**، وبمجالات **فلسفية وفكريّة نظريّة** عامة.

أما الموضوعات التي تخصّ **الوطن العربي**؛ فقد تمّ تصنيفها كذلك، اصطلاحاً ولغايات إجرائيّة، بحسب 4 محاور فرعيّة

هي: الموضوعات التي ترتبط **بالمشروع القومي العربي أو بالعروبة**، وتلك المتعلّقة **بالمشروع الديمقراطي العربي والدولة وحقوق الإنسان في السياق العربي**، والمتعلّقة باليسار العربي، فضلاً عن الموضوعات المختلفة التي تناولت **التراث أو التاريخ العربيّين**. إذ تتقاطع هذه المحاور الفرعيّة وتتداخل ببعضها بعضاً.

والملاحظ في هذا الصدد الحيّز المهمّ الذي احتلّته الدائرة العربيّة، سواء في تناولها المجال القطري (أي بلد عربيّ محدّد)، أم الإقليمي (أي **المغرب العربي** أو **الخليج العربي**) من بين مجموع المقالات (النموذج) العائدة إلى الدوريات العشرين، والتي بلغ عددها 502 مقالة (**كما هو مبيّن في الجدول رقم– 2 –**).

وقد شكّلت نسبة الموضوعات المتعلّقة بـ الوطن العربي 30 % مقابل 15 % للموضوعات المتعلّقة ببلد عربيّ محدّد، و1 % لكلّ من الخليج والمغرب العربيّين، و8 %لـ الشرق الأوسط. هذا مع ضرورة الإشارة إلى أن الحصّة التي احتلتها القضايا الخاصة بالشرق الأوسط من جهة، أو تلك التي احتلّها النطاق العالميّ من جهة ثانية، تشير إلى حركة الانفتاح العالميّة التي ميّزت هذا العصر، والتي ينخرط فيها الوطن العربي، سواء كفاعل أم متلقٍّ.

بحيث بلغت نسبة الموضوعات الخاصة بالمجال العربي)، أي مجموع النسب العائدة للوطن العربي ومحاوره الأربعة، فضلاً عن النسب العائدة لكلّ بلد عربي وللمغرب والخليج العربيّين) نحو 47 %، مقابل 8 % للمجال الشرق أوسطي، و45 % للمجال العالميّ والعام (كما هو مبيّن في الشكل رقم1).

توزّع الموضوعات بحسب النطاق الجغرافي

وإذ تؤكّد هذه الملاحظة الأولى أن "العروبة" لم تعد مسألة تحزّب بقدر ما باتت تعبيراً عن انتماء ثقافي حضاري قائم بالقوّة قبل أن يكون قائماً بالفعل، وأن أيّ موضوع وجودي لايمكن معالجته إلا في سياقه العربي، لأن العروبة كما تردّد كثيراً في الآونة الأخيرة ليست خياراً، وإنما هي قدر، فإن غلبة الموضوعات

جدول (2): أبرز المجالات التي تناولتها الدوريات في العام 2010

المجالات	العدد	النسبة (%)
بلد عربي محدّد	73	15
المغرب العربي	7	1
الخليج العربي	4	1
الوطن العربي	44	9
المشروع القومي العربي/العروبة	26	5
الديمقراطية/الدولة / حقوق الإنسان	17	3
اليسار العربي	20	4
التراث العربي	44	9
الشرق الأوسط الكبير	41	8
المجال والقضايا العالميّة	50	10
مجالات ثقافيّة واجتماعيّة متنوّعة	103	21
مجالات فلسفيّة وفكريّة ونظريّة عامة	73	15
المجموع	502	100

شكل بياني رقم (1) توزّع الموضوعات بحسب النطاق الجغرافي

المجال العربي
المجال الشرق أوسطي
المجال العالمي

الحصاد

الحيّز الكبير الذي خصّصته الدوريات للمشكلات الاجتماعية والإشكاليات الثقافية في ضوء العولمة، ما هو إلا ضرورة تسهم فيها هذه الدوريات في تعميق الوعي بخطورة المفصل التاريخي الذي يعاصره العالم بأسره، والذي لا بدَّ من أن تصبّ تداعياته على العرب.

ذات المجال العربي على تلك المتعلّقة بكلّ بلد عربي على حدة، يعكس قناعة باتت شبه مترسّخة في **الوطن العربي**، وخصوصاً لدى مثقفيه بأن التهديد لايطال بلداً عربيّاً دون آخر بل الوجود العربي برمّته. لذا خُصّصت الندوة التي نظّمتها **مؤسّسة سلطان بن علي العويس الثقافيّة** بالتعاون مع **مؤسّسة عبد الحميد شومان**، والتي جاءت بعنوان "الثقافة العربيّة.. المستقبل والتحديات" (9 – 10/ 10/ 2010)، لتعالج موضوعات "الثقافة العربيّة: واقع وتحديات" من منظور عربي وتحت تأثير التفاعل العالمي، كموضوعات "الثقافة العربيّة والعولمة"، "ثقافة الفراغ وقضايا الشباب"، "اللّغة والهويّة في الثقافة العربيّة"، "الثقافة والحداثة"، "البنية الهيكلية للمؤسّسات الثقافيّة والإعلاميّة"، "الترجمة وتأصيل المعرفة"، "أزمة الموروث الثقافي"، "الثقافة وقضايا المرأة". بحيث انتهى المشاركون في الندوة إلى توصيات عدّة في سبيل تعزيز الثقافة العربيّة منها: أن حرية المثقف في إطار ثقافة عربيّة متجذّرة ومعاصرة هي الأساس، وأن العولمة الراهنة ما هي إلا استئناف وتطوير لأشكال سابقة من العولمة تتّخذ الآن شكل عولمة تقنيّة، وأن هناك ضرورة لتحديث البنية الهيكليّة للمؤسّسات الثقافيّة والإعلامية العربيّة لاستيعاب التحدّيات المستقبلية، هذا فضلاً عن التوصية على بدور التربيّة وتحرير المرأة والحرص على اللّغة العربيّة وغيرها.

وفي تصنيف المقالات التي تناولت موضوعاتها القضايا العالميّة[1]، جاءت نسبة المقالات التي تناولت مشكلات اجتماعيّة وإشكاليات ثقافيّة في ضوء العولمة بنسبة 32 % من مجموع المقالات التي تناولت قضايا عالميّة والبالغ عددها 50 مقالاً (كما هو مبيّن في الجدول رقم – 3 –).

جدول (3): **الموضوعات المرتبطة بقضايا عالميّة**

الموضوعات	التكرار	النسبة (%)
اقتصاديّة تنمويّة	12	24
علاقات دوليّة وسياسات أميركا	11	22
المستقبل في ضوء العولمة	11	22
مشكلات اجتماعيّة وإشكاليات ثقافيّة في ضوء العولمة	16	32
المجموع	50	100

وهذا يؤكّد مرّة أخرى أن الحيّز الكبير الذي خصّصته الدوريات للمشكلات الاجتماعيّة والإشكاليات الثقافيّة في ضوء العولمة (مثل "إشكالية التعدّدية الثقافيّة في الفكر السياسي المعاصر: جدلية الاندماج والتنوّع" أو "في إشكاليات مجتمع المعرفة"، و"العولمة والديمقراطية والإرهاب.."), وكذلك ما تمّ تخصيصه للمستقبل في ضوء العولمة (مثل "اللّيبرالية وحدود العدالة"، أو "تحوّلات الأمم والمستقبل العالمي... ")، ما هو إلا ضرورة، تسهم فيها الدوريات في تعميق الوعي بخطورة المفصل التاريخي الذي يعاصره العالم بأسره والذي لا بدّ أن تصبّ تداعياته على العرب. والحجة نفسها تنطبق على اهتمام الدوريات بالصراع في **الشرق أوسط**، حيث لوحظ الأهميّة التي شغلها كلّ من **تركيا** و**إسرائيل** من مجموع الموضوعات التي تناولت **الشرق الأوسط** والتي بلغت 41 موضوعاً. إذ شغلت **تركيا** 56 % من هذا المجموع، مقابل 20 % **لإسرائيل**[2]. **فالشرق الأوسط** من أكثر مناطق العالم توتّراً، نظراً لأهميته الاقتصاديّة والاستراتيجيّة، وارتباط ذلك بمصالح دول كبرى، كما أن عدداً كبيراً من الدول العربيّة يقع في **قارة آسيا**، مثل **سورية**، **لبنان**، **العراق**، **الأردن**، **فلسطين**، ودول **شبه الجزيرة العربيّة**: **السعودية**، **الإمارات**، **قطر**، **عمان**، **اليمن**، **البحرين**، **الكويت**، فضلاً عن الدول الفاعلة في **الشرق الأوسط** مثل **إيران**، **وتركيا**، إضافة إلى **الكيان الإسرائيلي**.

وبقدر ما أدّى نقص المياه الكبير الذي تعاني منه المنطقة إلى قيام تحالفات ونزاعات بين دول كثيرة، فإن وجود النفط فيها، (يقدَّر حتياطي النفط في الشرق الأوسط بنحو66 %من احتياطي النفط العالمي)، وتشكيل المنطقة المزوّد الرئيس للنفط للعالم المتطوّر، ولا سيما **أوروبا وأميركا وروسيا واليابان**، أبّدت محاولات الدول الكبرى للإشراف على المنطقة، وخصوصاً **أميركا**.

وبالتالي تعكس الأهميّة المتزايدة الممنوحة للموضوع التركي على الصعيد العربي منذ عقد، واقع السياسة التركيّة من ضمن **المشروع الأميركي الجديد للشرق الأوسط الكبير**، الذي يمتدّ من **المغرب** حتى **أندونيسيا**، مروراً بجنوب **آسيا** و**آسيا الوسطى** و**القوقاز**، والعائد إلى المؤرّخ اليهودي البريطاني الأصل **برنارد لويس**، والذي يهدف إلى إذابة الهوية القومية لدى دول **الشرق الأوسط** والتوحّد تحت هوية الشرق **الأوسط الكبير**. إذ تعتبر **تركيا** نفسها جزءاً من **الغرب**، وموالاتها **للولايات المتّحدة** لا شبهة فيها، وبالتالي فإنها تعدّ جزءاً من العائلة الغربيّة، وتحتفظ مع **العالم الإسلامي** بعلاقات جيّدة، وإن كانت هذه العلاقات موضع جدل، خصوصاً أن **لتركيا** علاقاتها الوثيقة بإسرائيل، ما يجعلها بحسب بعض المحلّلين العمود الفقري في المنطقة، بمباركة واشنطن ودول **الاتّحاد الأوروبي**. وإذ رأى فيها البعض عنصراً استراتيجيّاً في ميزان القوى الإقليمي الدائم التغيّر والشديد التقلّب، فإن آخرين رأوا في **تركيا** شريكاً اقتصاديّاً هاماً وضروريّاً للحوار معه حول الإصلاح السياسي في المنطقة، خصوصاً في زمن التكتّلات الإقليميّة.

ومن المفيد في هذا الإطار، الإشارة إلى أن التغيّرات التي شهدها النظام العالمي في العقود الماضية، ومن أهمها زوال سياسة الاستقطاب الدولي التي كانت سائدة خلال الحرب الباردة، أدّت إلى بروز **الهند** و**اليابان** و**الصين** وغيرها من البلدان غير الأوروبيّة كقوى اقتصاديّة عالميّة، فرض صعودها تعزيز تعاون البلدان العربيّة بعامة والبلدان الخليجيّة بخاصة معها، وذلك التفافاً على المحاولات الإسرائيلية الرامية إلى إثارة النعرات العرقيّة والدينيّة والمذهبيّة في **الشرق الأوسط**، دعماً لمقولة "صدام الحضارات" الموجّهة ضدّ المسلمين والعرب، لما في ذلك من خدمة للمشروع الصهيوني الرامي إلى تغيير الهويّة الجيوسياسيّة والثقافيّة والحضاريّة للعالم العربي والإسلامي، بمباركة أميركيّة.

لذا تابع العام 2010 تقاربه الثقافي والاقتصادي مع هذه الدول وغيرها من الدول مثل **البرازيل وروسيا** التي برزت بذور تعاون جديد معها، وذلك من خلال الأسابيع الثقافيّة التي لا تقتصر على أقطار **الوطن العربي**، بل تتعدّاه إلى دول إسلامية ودول أجنبية أخرى، انطلاقاً من ضرورة الانفتاح على ثقافات دول العالم المختلفة والتواصل معها بما يحقّق الأهداف الثقافيّة والإنسانية المشتركة، ومن خلال توقيع اتفاقيات ثقافيّة مع عدد من المؤسّسات والمنظمات والجمعيات والهيئات في **الوطن العربي** وباقي دول العالم، والتي يتمّ بموجبها تبادل الزيارات والإصدارات والمعارض وعقد اللّقاءات الثقافيّة وإحياء عدد من الأنشطة والبرامج الفكريّة والأدبيّة والعلميّة. فشهد العام 2010 نشاطاً قام به **اتّحاد كتّاب المغرب** في إطار الديبلوماسية الثقافيّة، وهو مشاركته في "المنتدى العالمي حول الأدب

1 – راجع هذه الموضوعات بشكل مفصّل في ملحق الحصاد:ملحق5.

2 – في سياق القضايا المتعلّقة بالشرق الأوسط الكبير، تمّ إدراج الصين واليابان، وهما خارج حدود الشرق الأوسط، في خانة قضايا الشرق الأوسط نظراً لتفاعلهما مع المنطقة بعامة والعرب بخاصة. ولمزيد من التفصيل حول هذه الموضوعات يمكن العودة إلى ملحق الحصاد: ملحق6 .

والكتابة عن الكوارث الطبيعيّة" في **طانغ شان- الصين** (3 – 13/ 6/ 2010)، وعُقدت اتفاقية للتبادل الثقافي بين اتّحاد الكتّاب العرب **واتّحاد الكتّاب الصينيّين**، تضمّنت التعاون بين الاتّحادين في المجالات الثقافيّة والأدبيّة والفكريّة كافة، وتبادل الوفود وترجمة الكتب من اللّغة العربيّة إلى اللّغة الصينيّة، وكذلك من الصينيّة إلى العربيّة. وأقامت **مؤسّسة سلطان بن علي العويس الثقافيّة** فعاليات **الأسبوع الثقافي الصيني** في **دبي** من 22 **ولغاية** 25 **شباط/ فبراير** 2010، والذي اشتمل على معرض للفنّ التشكيلي والسيراميك والنحت وغيرها من الأنشطة الفنّية، وندوة عن التبادل الثقافي العربي الصيني تحدث فيها مثقفون صينيّون، وأصدرت المؤسّسة كتاباً يحتوي على نماذج أدبيّة مختارة ومترجمة إلى العربيّة من قصص وأشعار ونصوص أدبيّة لكتّاب صينيّين معاصرين. وكانت المؤسّسة قد أقامت بالتعاون مع **دائرة السياحة والتسويق التجاري في دبي** معرض "الفنّ البرازيلي بين حضارات الشرق والغرب"، من 22 إلى 31 **كانون الأول/ ديسمبر** 2010.

من ناحية ثانية، وقّعت **وزارة الثقافة السوريّة** برنامجاً تنفيذيّاً للتعاون الثقافي بين **سورية وروسيا** تضمّن تبادلاً للخبرات الأكاديمية وإقامة المهرجانات والأسابيع الثقافيّة (21/ 3/ 2010)، وفي أثناء زيارته إلى موسكو التقى **عبد الله بن محمد الصارمي** وكيل وزارة التعليم العالي في سلطنة عمان **البروفيسور فيتالي ناؤومكين**، مدير معهد الاستشراق لدى أكاديميّة العلوم الروسيّة، وذلك لبحث آفاق التعاون الثقافي المشترك بين البلدين...

وامتداداً للتقليد الثقافي الذي ينتهجه **مهرجان الجنادرية في السعوديّة** في استضافة دولة شقيقة أو صديقة كضيف شرف، استضاف **المهرجان الـ** 25 (17/3/ 2010 **حتى** 31/3/ 2010)، خلال برنامجه الثقافيّ (18/ 3/ 2010 **حتى** 22/3/2010) **الجمهوريّة الفرنسيّة**، وكانت **السنغال** ضيف شرف **معرض الرياض الدولي للكتاب** (3 – 13/ 3/ 2010).

أقامت مؤسّسة العويس الثقافية في فبراير 2010 فعاليات الأسبوع الثقافي الصيني في دبي، الذي اشتمل على معرض للفن التشكيلي والسيراميك والنحت، وندوة عن التبادل الثقافي العربي – الصيني، تحدث فيها مثقفون صينيون، وأصدرت المؤسّسة كتاباً يتضمّن نماذج أدبية ومترجمة إلى العربية من قصص وأشعار صينية.

الصوت والصدى

لأن الثقافة لغاية الآن هي بمثابة صوت السياسة وصداها، ولأن السياسة، وتحديداً الأيديولوجيات السياسيّة تشكّل نموذجاً إجماليّاً للعلاقات في المجتمع، على حدّ تعبير عالم الاجتماع الفرنسي **بيير أنسار** في كتابه **الأيديولوجيات السياسيّة**، فإنها–أي السياسة– تحضر ضمنيّاً في كلّ بناء ثقافي، بحيث يمكن للقراءات النقديّة وحدها أن تزيل القناع الثقافي عنه. فالموضوعات الثقافيّة حول **تركيا** في دوريات/نماذج الحصاد، مثل "الحوار العربي – التركي"، "بحث تركيا عن نفوذ إقليميّ"، "تركيا عثمانية جديدة؟"، "العرب والانفتاح التركي.. مواقف لا موقف"، "تركيا عثمانية جديدة؟"..إلخ، ما هي إلا تعبير ثقافيّ عن واقع سياسي تحاول الثقافة ترجمته عبر مفاهيم "الحوار" و"التحالف" من جهة، و"الهيمنة" و"السيطرة" من جهة ثانيّة، وما بينهما من مفاهيم مثل "الخصوصيّة" والهويّة" و"الإسلام المعتدل"... إلخ.

وفي السياق نفسه كان لا بدّ للموضوعات الاقتصاديّة التنمويّة، وتلك المتعلّقة بالعلاقات الدوليّة والسياسات الأميركيّة أن تشغل حيّزاً مهمّاً من مجموع المقالات التي تناولت موضوعات عالميّة (**وعددها** 50 **مقالاً**)، نظراً لارتباط الاقتصادي بالسياسي من جهة، وارتباطهما معاً من جهة ثانيّة باللاعب السياسي – الاقتصادي الأبرز لغاية الآن على الساحة العالميّة، أي **أميركا**، ثم ارتباط ذلك كلّه بالثقافة من جهة ثالثة. فمقالات مثل "سياسة الولايات المتّحدة تجاه الشرق الأوسط في حقبة أوباما: هل هي نقطة تحوّل؟"، و"أميركا، إلى المافيا... سيري!"،

أو "في العلّة الثقـــّة لنشوء الإمبراطورية الأميركية"،أو "تغطيات إعلاميّة أميركية توّجج الكراهية"... إلخ، ما هي إلا خطب تسهم في تحليل الموقع العربي الراهن، من النواحي السياسيّة والاقتصاديّة والثقافيّة كافة.

ويشير الحيّز الكبير الذي احتلّه موضوع التقنيّة ومجتمع المعلومات من بين القضايا الثقافيّة والاجتماعيّة المتنوّعة[1]، إلى الهمّ العربي المتمثّل باللّحاق بركب الغرب تقنيّاً، بعدما كان هذا الهمّ يوازي في حقبات تاريخيّة سابقة همّ اللّحاق به فكرياً. بحيث بلغت نسبة المقالات التي تناولت مسألة التقنيّة ومجتمع المعلومات 22 % من مجموع عدد المقالات/ القضايا البالغ 103 مقالات، تليها نسبة 10 % لكلّ من قضايا التعليم والصحافة والنشر، والعلم ومجتمع المعرفة، فنسبة 9 % لكلّ من قضايا الترجمة والتنمية الثقافيّة، ونسبة 7 % لمسألة اللّغة (**كما هو مبيّن في جدول رقم– 4 –**).

وتمثّلت أبرز الموضوعات الفلسفيّة والفكريّة والنظريّة التي تناولتها الدوريات خلال العام[2] 2010، بموضوع الأنا والآخر، سواء أتمثّل ذلك بالعلاقة بين **العرب** وأوروبا، أم بين الإسلام وغيره من الديانات، ولاسيما **المسيحيّة**، حيث بلغت نسبة المقالات التي تكرّر فيها هذا الموضوع 26 % من مجموع عدد المقالات الخاصة بهذا المحور، والبالغ **عددها** 73 **مقالة** (**كما هو مبيّن في الجدول رقم** – 5 –). تلا ذلك الموضوعات المرتبطة بقضايا الثقافة المعاصرة ومخزون القيم الإنسانيّة الذي لا تزال هذه الثقافة تختزنه، وعلاقة الثقافة بالهوية والنظم الاجتماعية، ومواجهات القيم الثقافيّة في ظلّ العولمة..إلخ، فيما احتلّت مفاهيم المعرفة والعقل والعلم حيّزاً بارزاً من بين الموضوعات المتناولة، تلاها موضوع الدين، ولاسيما إشكاليات تجديد

جدول (4): القضايا الثقافيّة والاجتماعيّة المتنوّعة

المجالات	التكرار	النسبة (%)
التقنيّة ومجتمع المعلومات	23	22
التعليم	10	10
الصحافة والنشر	10	10
العلم ومجتمع المعرفة	9	9
الترجمة	9	9
التنمية الثقافيّة	9	9
اللّغة	7	7
البيئة	4	4
أزمة القراءة	2	2
الشباب	2	2
غيره	18	16
المجموع	103	100

جدول (5): أكثر الموضوعات الفلسفيّة والفكريّة والنظريّة التي تناولتها الدوريات

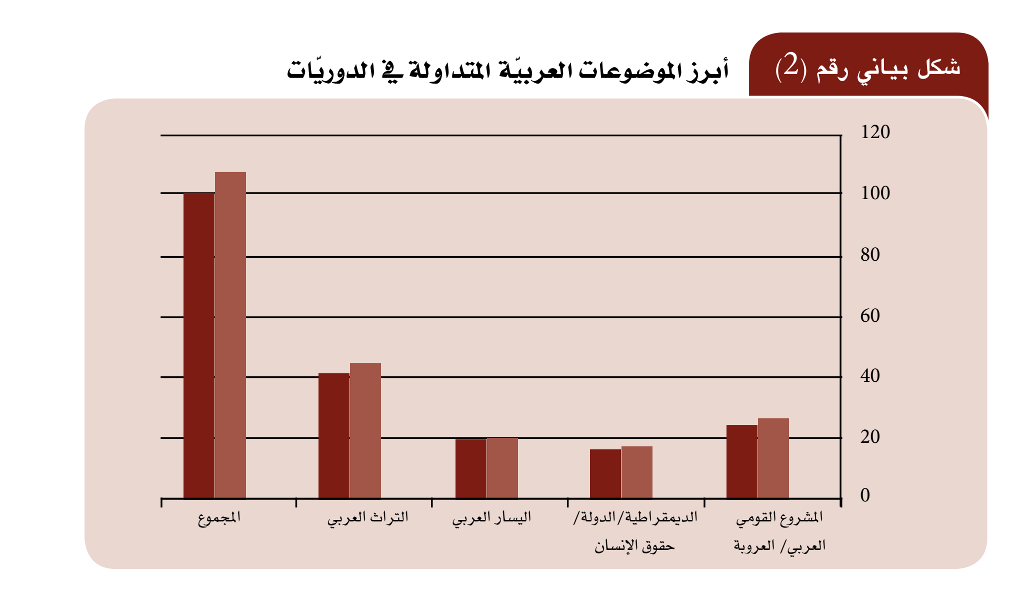
الموضوع	التكرار	النسبة (%)
الأنا والآخر	19	26
الثقافة	10	14
المعرفة / العقل / العقلانيّة / العلم	9	12
الدين	8	11
الرقابة	6	8
الإبداع	4	6
غيره	17	23
المجموع	73	100

1 – يمكن العودة إلى هذه الموضوعات بالتفصيل في ملحق الحصاد: ملحق 7.
2 – يمكن العودة إلى هذه الموضوعات بالتفصيل في ملحق الحصاد، ملحق 8 .



تمثّلت أبرز الموضوعات الفلسفية والفكرية والنظرية التي تناولتها الدوريات خلال العام 2010 بموضوع الأنا والآخر، سواء أتمثّل ذلك بالعلاقة بين العرب وأوروبا، أم بين الإسلام وغيره من الديانات، حيث بلغت نسبة المقالات التي تكرر فيها هذا الموضوع 26 % من مجموع عدد المقالات الخاصة بهذا المحور والبالغ عددها 73 مقالة.

شكل بياني رقم (2) أبرز الموضوعات العربيّة المتداولة في الدوريّات



الخطاب الديني والتطرّف الديني، والتنوير والدين، والعلم والدين. وشغل موضوع الرقابة الدوريات خلال العام 2010 أكثر من انشغالها بموضوعات أخرى جاءت متفرّقة مثل المرأة، والحداثة، والعلمانيّة وغيرها. ويحيل الحيّز الذي شغله موضوع "الأنا والآخر" في الدوريّات العربيّة، على الحيّز الذي شغله موضوع "حوار الحضارات أو الثقافات" في الفعاليات العربيّة، والذي حافظ خلال العام 2010 على الزخم نفسه الذي كان له في السنوات السابقة، ولاسيما أن محور"الأنا والآخر"يشكّل بعداً من أبعاد حوار الحضارات أو الثقافات.

ماذا عن الموضوعات العربيّة[1]؟

اللافت في دوريات **العام** 2010 غلبة الموضوعات / المقالات التي تناولت التراث العربي، بحيث شكّلت نسبتها 41 % من مجموع المقالات أو الموضوعات الخاصة **بالوطن العربي**، والتي بلغ مجموعها 107 **مقالات**. تلا ذلك موضوعُ المشروع القومي العربي أو العروبة بنسبة 26 %. فموضوع الديمقراطيّة والدولة وحقوق الإنسان بنسبة 17 %. فاليسار العربي بنسبة 20 % (**كما هو مبيّن في الشكل رقم**– 2 –).

ولعلّ ذلك لايكفي للإشارة إلى خروج العرب من عقدة التماهي بالغرب والخوف منه، نحو التفكّر بكيفيّة التواصل معه فحسب، بل هو يشير أيضاً إلى استنهاضهم الحلول العمليّة في مواجهة مشكلات الواقع العربي في ضوء كلّ ما يطرأ من تغييرات، استنهاضاً قد يبدأ أو ينتهي من التراث، لكن من دون أن يتوقّف عنده. هذا على الرغم ممّا توحي به هذه العودة من "اعتزاز بالماضي المجيد" بدلاً من أن تكون عودة نقديّة. إذ إن المقالات/النموذج[1] غلب فيها الطابع الإخباري السردي، أو الإخباري السردي التحليلي الهادف إلى استخراج ما هو "مصدر اعتزاز عربيّ إسلامي" والإضاءة عليه، على الطابع النقديّ، أو التحليلي النقدي. إذ صبّت هذه العودات في الإضاءة على التراث بعامة، والتراث العربي الإسلامي بخاصة، مع إهمال التراث الشعبي، والتراث العائد إلى حضارات ما قبل الإسلام. فبلغ مجموع المقالات التي تخضع التراث العربي الإسلامي للنقد 13

1 – يمكن العودة إلى هذا التصنيف في ملحق الحصاد، ملحق 9.

شكل بياني رقم شكل (3)

3
2
1
80 60 40 20 0
عودة الى التراث الشعبي
عودة إخباريّة سرديّة / إخبارية سردية تحليلية
عودة نقديّة

مقالاً (**أي بنسبة** 29 %) مقابل 29 للمقالات الإخباريّة، أو حتّى الإخباريّة التحليليّة أو لكلتيهما (**أي بنسبة** 66 %) من بين مجموع المقالات البالغ عدده 44 **مقالاً**، فيما لم يحظَ التراث الشعبي، والتراث العائد إلى حضارات ما قبل الإسلام سوى بمقالين اثنين (5 %)، **كما هو مبيّن في الشكل** (**رقم**– 3–).

لربما يصعب فصل هذه الملاحظة عن النزعة الإسلاميّة المتشدّدة التي تواكب النظرة المعتدلة إلى الإسلام، على الرغم من كلّ التحوّلات الإيجابيّة المتمثّلة بمناخ ثقافيّ عربيّ يبدو فيه العرب وقد قطعوا أشواطاً كبيرة في التصالح مع الماضي، وفي توقّفهم عند تأمل كيفيّة إعادة هيكلة مظاهر الحياة على الصعد كافة. فالنزعة الإسلاميّة المتشدّدة واكبها في الغرب أخرى مماثلة، تحتوي سمات عنصريّة وإلغائيّة للآخر المسلم، تمثّلت في **العام** 2010 بعددٍ من المظاهر التي تعكس نمطيّة صورة الإسلام، منها تنفيذ **فريد فيلبس** كاهن **كنيسة ويستبورو بابتيست تشيرش** في **ولاية كنساس** تهديده بحرق نسخة من القرآن الكريم والعلم الأميركي في صيف **العام** 2010، واحتدام الجدل في **فرنسا** بُعيد تصريحات اليمينيّة **مارين لوبان**، والتي قارنت من خلالها بين الاحتلال النازي والمسلمين الذين يضطرون إلى أداء صلاة الجمعة في الشوارع لضيق المساجد، فضلاً عن مجريات نقاش عام ساد في **فرنسا** يحذّر من التأثير السلبي للعرب والإسلام على السلم الاجتماعي، وعلى ما يسمّونه "الإرث المسيحي–اليهودي لأوروبا"، وذلك على الرغم من تنبيه بعض الأحزاب السياسية وعدد كبير من المفكّرين إلى خطورة الاستخدام السياسي لموضوع الهوية، معتبرين أن موضوعات الهجرة والعرب والمسلمين تشكّل تجارة مربحة للأحزاب السياسية، وأن تنامي العداء للإسلام والمسلمين والعرب، يشكّل خطراً كبيراً على مستقبل **فرنسا**. وكذلك الكتاب الذي أثار جدلاً فكريّاً وإعلاميّاً في **فرنسا وأوروبا** على وجه التحديد، وهو كتاب **سيلفان غوغنهايم** "أرسطو في جبل سان ميشال، الجذور الإغريقية لأوروبا المسيحية"، والذي ينكر فيه المؤلف الدور المركزي للثقافة العربيّة الإسلامية في نقل التراث الفكري والفلسفي إلى **أوروبا**.

فيما تمثّلت العودات إلى كلّ من المشروع

النزعة الإسلامية المتشدّدة واكبتها في الغرب أخرى مماثلة لها تنطوي على سمات عنصرية وإلغائية للآخر المسلم، تمثلت بعدد من المظاهر، منها تنفيذ "فريد فيلبس"، كاهن كنيسة ويستبورو في ولاية كنساس تهديده بحرق نسخة من القرآن الكريم.

لأن بلدان الخليج من أهم الدول المصدّرة للنفط، فإن الدوريات العربية المعنية تخصّصت بدراسات تدعو إلى ضرورة وضع سياسة نفطية – اقتصادية وطنية يتم بموجبها إخضاع صادرات النفط لاعتبارات التنمية والمصالح المشروعة لشعوب المنطقة عبر الأجيال.



القومـي العربـي أو العروبـة في تحرّرهـا من السـجال القـديم حول مـا إذا كانـت القومية العربيّـة ظاهرة طبيعيّـة أم ظاهرة تـاريخيّة، وتميّزت العودات إلى مشروع اليسـار العربي بتحرّرها من التشـدّد القديم أيضـاً، فتناولت الدوريـات ملفّات ومحاور تحـثّ على التأمل وتثير الأسـئلة مثـل: "هـل تراجـع الشـعور القومي العربي"؟ و"مـا هـي القومية العربيّة بالمفهـوم العلمـي والثوري"، و"هـل تتبـاين اسـتراتيجيات التأسـيس للديمقراطيـة وهل تتبـاين مضامينها في الفكر العربي الراهن؟"، و"لماذا يرفض العرب الديموقراطية؟"، فضلاً عن أسـئلة حول اليسـار العربي والتباسـات النقـد الذاتـيّ، والمقارنـة بين اليسـار القديم واليسـار الجديد، مع سؤال عمّا إذا كان هناك حـاجة إلى يسارٍ جديد[1] ...

التيارات السياسيّة الأيديولوجيّة العربيّة تحت مظلّة العروبة

اللافـت في مضـامين نمـوذج الدوريـات الثقافيّـة العربيّـة المسـتقاة من **العـام**2010، أن هذه المضـامين مارسـت دورها في تأسيس وعـي مناهـض لمـا تـؤول إليـه أحـوال العالم العربـي ومـا يُخطَّـط له من مصـير قد يقضـي علـى ما تبقّى من أواصـر قوميّة. وبرز ذلك في مجالات عدّة أبرزهـا:

1. **في معالجـة الدوريـات مشـكلات كلّ بلد عربيّ مـن زوايا مختلفة**: فمن خلال هذه المعالجة[2]، ولاسيما ما خصّ البلدان التي تعيش مخاضاً أو نزاعات وتوترات وحروب، تمّت قراءة الوضع العراقي عبر ارتباطه بسياسات التجزئة وضـرب الانتمـاء القومـي في البلاد لمصلحة الانتمـاءات الطائفيّة والمذهبيّـة التي تعبّر عن المصالح الأميركيّة والصـهيونيّة، فضـلاً عن اسـتغلال ثرواتـه النفطيـة وغـير النفطيّـة. في حـين تمّ التذكـير بـأن الأزمة الفلسـطينيّة هي أزمة عربيّة بـامتياز في ظلّ التهديد الصـهيوني المستمرّ.

كمـا تمّت قراءة إخفـاق الدولة الوطنية في **السـودان** في بنـاء دولـة ديمقراطيـة حقيقيّة وفي تغليـب الانتمـاء الوطني علـى الانتماءات الأخـرى، الأمـر الذي تـرك المجال واسـعاً لأن تحتكـر السـلطة القـرار مدعومـة مـن القـوى الخـارجية.

أمـا **الخليـج العربـي**[3]، ولأن بلدانـه مـن أهمّ الدول المصـدّرة للنفط، فقد تمّ تخصيصـه بدراسـات نقديّـة تدعـو إلى ضـرورة وضـع سياسـة نفطيّة–اقتصـاديّة وطنيّـة في بلـدان المنطقـة، يتـمّ بموجبهـا إخضـاع صـادرات النفط لاعتبارات التنمية والمصـالح المشروعة لشـعوب المنطقة عـبر الأجيال. كمـا تمّ تناول قضـايا **المغرب العربي**[4] انطلاقاً من الاغتراب اللّغوي في بلدانه..إلخ. وقد عنى ذلك أن غالبيّة المقـالات والدراسـات والبحوث التـي تناولت كلّ بلـد عربي علـى حدة، أو مجموعـة من هذه البلـدان (**المغـرب العربـي، الخليـج العربـي**) تطرّقـت في قراءاتهـا إلى المشـكلة الأساسـيّة البـارزة، لكن عبر الكشف عن المشكلات العربيّة العامة التـي قد يعاني منها بلد عربـيّ أو أكثر، والتـي تحيـل علـى قضـايا الهويّـة والطائفيّة والمذهبيّـة والعشـائريّة والسـياديّة وغيرهـا من المشـكلات العربيّة الكـبرى أو العامة. ومن هذه الموضـوعات، التي تخصّ الوطن العربي بعامة، العرب والمشروع الصـهيوني، أو قضايا أمـن الإنسـان العربـي (الهويـة، الديمقراطية، التعدّديـة والتنـوّع، العلـم، الحريّـة، الأنظمـة السياسـية، العدالـة، مجتمـع المعرفة..إلخ). في حين تناولت الموضـوعات الفلسـفيّة والفكريّة النظريـة العامـة بعضـاً مـن هـذه المشـكلات، لكـن مـن زوايـا مختلفـة، فلسـفيّة بـالتحديد (مثـل موضـوع "الديمقراطيـة والفلسـفة")، أو فلسـفيّة نقدية (مثل "نقـد التصـوير اللّيبرالي للحريـة")، أو إبسـتمولوجيّة (مثـل موضـوع "في إبستمولوجيا الاجتماع: نماذج السلطة")، أو مـن منظـور علـم الاجتماع (مثل"موضـوع مفاهيم الثقافة والنظام الاجتماعي")... إلخ.

2. **في معالجـة الموضوعـات المرتبطـة بقضايـا عالميـة :** ارتبطت هذه الموضـوعات، سـواء بشـكل مباشر أم غير مباشر، بـالأوضـاع العربيّة، ولاسـيما أن تفاعـل الخاص مع العام أو العكس يشكّل إطـاراً تحليلياً لا بـدّ منه في فهـم مـا يجـري في العـالم وفي كلّ منطقة من مناطقـه، ومنهـا **العالم العربي**. لـذا تمحورت غالبيّـة الموضـوعات المطروحـة في قـراءة الأحـوال المتغيّرة للعالم، سـواء لجهة التغيّرات الاقتصـاديّة وتبعاتهـا الاجتماعيّـة، أم لجهـة قـراءة خريطـة القـوى العالميّـة وتحليلها بعد انتهاء مرحلة الحرب البـاردة، ومن ذلك سياسة **الولايـات المتّحـدة** تجـاه **الشـرق الأوسـط**، فضـلاً عن تـأثير القوى الأوروبيّة عليه أيضـاً، في ظـلّ مركزيـة القـوّة الأميركيّـة، ناهيـك بمفاهيم التنمية المستدامة والتعدّدية الثقافيّة في الفكر السياسي المعاصر، ومجتمع المعرفة، وغيرهـا مـن القضـايا العمليّـة والنظريّة التي تلقي بتأثيراتها على العالم بأسره.

3. **في معالجـة موضوعات تخصّ الشرق الأوسـط**: بحيـث لم تخـرج متابعـة الدوريات العربيّـة لموضـوعات تخصّ قضـايا الشرق الأوسـط، عن سـياق جدلية العـام والخاص. إذ خصّـص بعض الدوريات ملفات كاملة للبحث في العلاقـة العربيّة – التركيّـة"، ونالت تركيا حصّة الأسد في نقاش الوضع الإقليمي والعربي، مقارنـةً ببلدان أخرى تسـتعيد حضورهـا كقوى عـالميّة مثل **اليابان**. وهو الأمر الذي يظهر عدم انفصال الفكري والثقافي عن السياسي، بمعنى أن التوجهـات الفكريّـة والثقافيّـة الهادفة إلى التقـدّم والتغيير غير منفصلـة عمّـا يجري من تحـوّلات على السـاحة السياسـيّة، ومن تعيين لمراكز القوى العالميّة، سواء تلك القائمة حالياً أم تلـك التـي يتوقّـع أن تحظـى بثقـل عالمـي أكـبر في المسـتقبل، مثـل اليابـان، خصوصـاً أن الحداثـة الناشـئة لهـذا البلد، شـأنه في ذلك شـأن عدد مـن البلدان الآسـيوية، قد انعكسـت ثقافياً في التوجّـه صـوب تقييم هذه التجارب، وتحديداً صـوب البعد الإنمائي فيها. وهو الأمر الـذي حـوّل سـؤال الهضـة: لماذا نجـح الغرب وفشل العرب؟ إلى سؤال عن أسباب فشل العرب ونجـاح اليابـان وغيرهـا من البلدان الآسـيوية في مطلـع القرن الحـادي والعشرين. وقد صـدر عـن **مركـز دراسـات الوحـدة العربيّـة** في **بـيروت** خـلال **العـام** 2010 كتـاب "**ديناميـة التجربـة اليابانيـة في التنميـة المركبـة : دراسة مقارنـة بالجزائر وماليزيا**" للدكتور **ناصـر يوسـف**، وذلك بعـد ثماني سـنوات على كتاب "النهضة اليابانية المعاصرة – الدروس المسـتفادة عربيـاً"، الـذي صـدر عـن المركـز نفسـه في العام 2002، بما يشـير إلى الاهتمام بـالتحرّر من التبعيّة والتغريب، والاعتماد على الذات عربياً وإسلامياً.

في حـين أن اهتمـام العـالم العربـي، على مسـتوى السياسـي، بـأمـن واسـتقرار منطقـة **الشـرق الأوسـط** وازدهارهـا قـد ترجـم بـالتطلّع صـوب **تركيا** كدولة ناهضـة إقليمياً بـالديمقراطية والعلم. فـاسـتذكر المشاركون في الاجتمـاع الثالث لـ **منتـدى التعاون العربي–التركـي** علـى مسـتوى وزراء الخارجيـة في تركيا في العاشر مـن **يونيو/ حزيران** 2010 نتائـج الاجتمـاع الـوزاري الـذي تمّ من خلاله تدشـين المنتـدى في إسـطنبول بتاريـخ 11 **أكتوبـر/** تشريـن الأول 2008 وكذلـك نتائـج الـدورة الثانيـة لـ **منتدى التعـاون** التي عقدت في **دمشـق** بتاريـخ 15/ 12/ 2009 ومـا أدّى

---

1 – يمكن العودة إلى هذه الموضوعات بالتفصيل في ملحق الحصاد، ملحق9 .
2 – يمكن العودة إلى الموضوعات الخاصة بكلّ بلد عربي على حدة في ملحق الحصاد، ملحق10.
3 – يمكن العودة إلى تفاصيل الموضوعات التي تناولت الخليج العربي في ملحق الحصاد، ملحق11.
4 – يمكن العودة إلى تفاصيل الموضوعات التي تناولت المغرب العربي في ملحق الحصاد، ملحق12.

خصّص بعض الدوريات ملفات كاملة للبحث في العلاقة العربية – التركية، ونالت تركيا حصة الأسد في مناقشة الوضع العربي والإقليمي مقارنة ببلدان أخرى تستعيد حضورها كقوى عالمية مثل اليابان، وهو الأمر الذي يظهرعدم انفصال الفكري والثقافي عن السياسي.

لوحظ تركيز الدوريات على ثلاثة مشروعات تلتقي تارة، وتفترق طوراً وهي: المشروع القومي العربي و المشروع الديمقراطي العربي ومشروع اليسار العربي .. غير أن ما يجمعها هو هذا الإصرار على الانطلاق في اتجاه بناء مستقبل بناءً عملانياً، ومحاولة صوغ رؤية متكاملة تطرح البديل.

إليـه المنتدى من تيسـيرٍ للعلاقـات بين **الدول العربيّـة وتركيـا** ومـن تعزيزٍ لهـا، من خلال إنشـاء إطـار مؤسّسـي لتنشـيط التشـاور بـين الجانبـين في شـتّى المجـالات ذات الاهتمـام المشترك.

كمـا انعكسـت الحاجـة إلى تعزيـز التعاون الاقتصـادي في عقد الدورة الخامسة لـ **المنتدى الاقتصـادي التركـي- العربـي** الـذي نظمتـه **مجموعـة الاقتصـاد والأعمـال** في **إسطنبول** يومي 10 و11 **حزيران/يونيو** 2010. وبـالتالي، ولمّا كان تعزيـز الروابط الثقافيّة والاجتماعية العربيّة–التركيّة قد شكّل أحد روافد هذا الخيار العربـي في الاسـتراتيجية السياسـيّة العربيّـة، فـإن تنـاول موضـوع العلاقـات التركيـة–العربيّـة ثقافيّـاً وفكريّـاً تُرجـم بموضـوعات تناولـت بالتقـويم والنقـد والتحليـل والتنظـير بعضـ جوانب الواقع التركي، الأمر الذي يصـبّ في تقويم شـكل هذه العلاقة التـي كانت قـائمة على مدى قرون، وفي اسـتنهاض المضـيء من هذه التجربـة، عبر تقاطعها مع مقولات ثقافيّة أعيـد الاعتبار لها في السـجال الثقافي العالمي والإقليمي والعربي، مثل "القراءات النقدية للفكر والفلسـفة الإسـلامية"، أو "حـوار الحضـارات والثقافـات والأديـان"، أو "الصـورة الحقيقيـة للإسلام"... إلخ.

4. **الموضوعـات الخاصـة بالمشـروع المستقبلـي العربـي:** لوحـظ تركيـز الدوريات علـى ثلاثـة مشروعـات مسـتقبليّة تتقاطـع وتلتقـي تـارةً وتفترق طـوراً، وهـي: المشروع القومي العربي، المشروع الديمقراطي العربي، مشروع اليسـار العربي. غير أن ما يجمعها هو هـذا الإصرار على الانطلاق في بناء المسـتقبل بنـاءً عملانيّـاً، تجلّـى في محاولـة صـوغ رؤيـة متكاملـة تطـرح البديـل، بعدمـا أدركت الإنتلجنسـيا العربيّة أن العصـر لم يعد يحتمل الاكتفاء بـالتنظـير نتيجة التنـاقض السياسـي والحزبي والثقافي القائـم، لا بل أن ثمّة حـاجة ملحّـة للبديل المتماسـك. وهو تحوّل يسـتكمل الصرخـة التـي عـبّر عنها عـدد مـن المثقفين منذ منتصـف ثمانينيّات القرن الماضـي، ومن بينهم السـوري **حافظ الجمالي**، حين تسـاءل حـول السـبل القمينـة بمجابهـة التحدّيـات التي يواجههـا العرب قـائلاً: "تُـرى كيف نفعل لمجابهتهـا، وبأيّ المنـاهج، وبـالاعتماد على أيّ أيديولوجيـا، وبـأيّ إيحـاء[1]؟"، أو سـؤال المثقف اللّبنـاني **جـورج دورليان** "ماذا يكون بـالتحديد مصير فكرتيّ الثورة والتغيير اللّتين عشنا على أنغامهما زهـاء قرنين ونيّف من الزمن، وسرنا في مسالكهما الوعرة والصاخبة لعقود عديدة، وحقّقنـا جوانـب منهـا سرعـان مـا تبـيّن لنا بطلانها وتهافتهـا. فالثورة والتغيير الفعليّان اللّذان كنّا نشـاهدهما قد حصـلا في غفلة منّا وفي المكان الذي لم يخطر في بالنا أنه المجال الحقيقيّ للثورة والتغيير: التكنولوجيا [2]". فيما ولّد هـذا المخاض "محـاولات للإجابة"، يُذكر منهـا نـدوة "نحو مشروع حضـاري نهضـوي عربـي" التي نظّمهـا **مركز دراسـات الوحدة العربيّـة** (23–26 **نيسـان/ إبريـل** 2001) والتـي صـدرت في كتـاب عـن المركـز نفسـه في العام نفسـه أيضـاً، ثم البحـث الذي نشرته مجلـة الآداب بعنـوان: "محاولـة في الإجابـة عـن سـؤال مـا العمـل؟: نحـو مشـروع عربـيّ ديمقراطيّ" (**العـدد** 9 – 10/ 2010) للمفكّـر **عزمي بشارة**، فمشروع اليسـار العربي الجديد الذي خصّصـت لـه مجلـة الآداب حيّزاً واسـعاً (**الأعداد** 4 – 5/ 2010)، والذي قابله صـدور كتاب المفكّر اللّبناني **كريم مروّة** بعنوان: "نحو نهضة جديدة لليسار العربي" (2010)، والمعبّر

> أدركـت الإنتلجنسـيا العربيـة أن العصـر لم يعـد يحتمـل الاكتفـاء بالتنظـير نتيجـة التنـاقض السياسـي والثقافي القائم، بل أن ثمة حاجة ملحة للبديل المتماسـك، وهو تحوّل يسـتكمل الصرخـة التـي عبر عنها مثقفو الثمانينيات ومن بينهم السوري حافظ الجمالي الـذي تسـاءل: "تـرى مـاذا نفعـل لجبه التحديـات؟ وبأيّ المناهج؟ وبالاعتماد على أيّ أيديولوجيا؟ وبأيّ إيحـاء؟".

1 – الجمالي، حافظ، "موقف المثقف العربي من إشكالية النهضة من حيث الأيديولوجية"، من المثقف العربي ودوره وعلاقاته بالسلطة والمجتمع(ندوة–حلقة دراسية)، ط1 ، الرباط، المجلس القومي للثقافة العربيّة، 1985، ص 99 .

2 – دورليان، جورج، "التغيير والثورة بين اتّساع الآفاق وانكماش الحدود"، النهار(ملحق خاص)، 20 ك1 /ديسمبر، 1999، ص 22.



عن اتجاه قياديّ حزبيّ كبير سـابق في الحزب الشـيوعي اللّبنـاني إلى طرح رؤيـة بديلة. هذا، مـع ضـرورة الإشـارة إلى أن النقـد الذي لاقاه الكتـاب، أسـهم علـى الرغم من ذلـك في تفعيل السـجال عربيّـاً. وقـد أجمـع مختلـف منتقدي كتاب مروّة على مسـألة التباس المفاهيم لدى المؤلـف، ولاسـيما لجهـة اعتبـاره "المفاهيـم اللّيبرالية وكأنها هـي اليسـار[1]". فلاحظ النـاقد الفلسـطيني **فيصل درّاج** مثـلاً، أن كتاب **مروّة** يعـبّر عن الارتبـاك، و"عن فكر قلـق، وعن نظر يسـاري انتهـى، ولا يعـرف كيـف يبـدأ، وعـن يسـار قديم وقع عليه التعـب والاغتراب". وبرّر **درّاج** نقده بـالاسـتناد إلى التجربة الاشـتراكيّة العربيّة التي فشلت بسبب خروجها عن المفهوم الحقيقي للاشـتراكيّة، لأن هذه الاشـتراكية في تطبيقها العربي القريب، على الأقل، لم تكن "إلا شـعاراً أيديولوجيّاً سلطويّاً، يبرّر قمع المجتمع لحسـاب نخبة حاكمة، وممارسـة بيروقراطية، لا إشـراف عليها، أفضـت إلى توليد "رأسـمالية متوحشـة" جديدة.. وما قطاعها "العام"، الذي اختصـرت فيـه كلمـة الاشـتراكية، إلا قطـاع سـلطويّ خاص، أمّـن للنخبـة الحاكمة الجمع بين القرارين الاقتصادي والسياسي معاً.

كمـا لاحـظ **درّاج** أن مـا تناسـاه مشروع مروّة هو أن المواطنـة والديمقراطية والمجتمع المـدني كمقولات قد يتضـمّنها كلّ من الخطاب المـاركسـي والآخر اللّيبرالي، قد يفترقـان بسبب ما يميّز الخطاب اليساري عن الخطاب اللّيبرالي، وهـو "السياسـات المشخّصـة المتميّـزة التـي تجعـل هـذه المقولات ممكنـة[2]". وهنـاك أيضـاً تعليق الكاتبة السـورية هيفـاء الجندي بقولها: "مـن بين أهـم المرتكزات التـي اعتمدهـا كريم مروة أسـاسـاً للتغيير: بنـاء دولة حديثة، "دولة الحق والقانـون"، وإذا قلنـا "دولة حديثة" فهذا يعني دولة ليبراليّة (رأسـماليّة). وهذا ما يثير دهشـتي عند الأسـتاذ مروّة وغيره من الكتّاب، الذيـن يعـودون إلى اسـتلهام رؤى وتصـورات مفكّـري وفلاسـفة القرن التاسـع عشر لمفهوم الدولة الحديثـة[3]". فيما اعتبر الباحث اللّبناني فارس إشتي في سياق نقده كتاب مروّة ونايف حواتمـة (الأمين العـام للجبهـة الديموقراطية لتحرير فلسـطين منذ العام 1969) أن الكتابين طرحـا معنىً ملتبسـاً لليسـار. إذ "لم يحدّد أيّ منهمـا معنـى اليسـار وكأنـه بديهيّـة، لا بـل يوحيان بـأن اليسـار هو الماركسـية"، مضيفاً أن "هذا الالتباس بين اليسـار، فكراً وممارسةً، والماركسية، فكراً وممارسةً، ومصادرة الثانية للأول لا يعني تطابقهما[4]".

الدروس المستخلصة

التركيز علـى الهوية والعروبة في مواجهة تحدّيـات العصـر والعمـل علـى مشروع بنـاء الأمّة، سواء على مستوى الدولة أم الاقتصاد أم المؤسّسـات، وارتبـاط ذلك بـالثقافة والحضـارة العربيّـة الإسـلامية، وبلـورة برامـج عملانيّة ترتبط بمصـالح النـاس..إلخ، هي كلّها عناوين كبـيرة لمشروع النهضـة الحديثـة إذا ما جاز التعبير. لكن بعدما أسهمت الدروس المستخلصة مـن ماضٍ غـير بعيـد في إلى عـدم عبـادة "الأيديولوجيا" بمعناهـا العصـبي التعصّـبي، سـواء أكانت أيديولوجية قوميّة أم ماركسـيّة، أم ليبراليّـة؛ بحيـث سُـجّل علـى القوميّـين في الماضي، وبحسـب **عزمي بشارة**، "التقليل من شـأن مفهـوم المواطَنـة والحيـاة المدنيّـة بعد الاستقلال بـانتظار الوحدة العربيّة[5]". ما أسهم في عجز الأحـزاب القوميّة عـن تحقيق الوحدة

> شدّد عزمي بشـارة على تحلّي المشروع العربـي الديمقراطي "بـالواقعية والعقـلانية" و"الثـوريـة النقديـة" بغيـة ترشيد الحلم وعقلنته وأنسنته حتـى لا يتحـوّل إلى طوبـى غاضبة.

1 – كيلة، سلامة، "اللّيبرالية بصفتها يسار ملاحظات حول أطروحات كريم مروة الأخيرة"، الأفق الاشتراكي، 13 /9 /2010
http://www.socialisthorizon.net/index

2 – درّاج، فيصل، "نحو نهضة جديدة لليسار في العالم العربي" لكريم مروة: السياق المعطّل وفضيلة الارتباك"، جريدة السفير 6/8/2010.

3 – الجندي، هيفاء أحمد، "كريم مروة ومنطق التعميم والانتقاء"، جريدة السفير23/7/2010.

4 – إشتي، فارس، "معنى اليسار في كتابين لحواتمه ومروّه: ارتباك وإرباك"، جريدة النهار اللّبنانية 12/2/2010 .

5 – بشارة، عزمي، "محاولة في الإجابة عن سؤال "ما العمل؟": نحو مشروع عربيّ ديمقراطيّ"، مجلة الآداب، العدد 109 –10 /2010.

بقدر عجزها عن تكريس مفهوم الأمّة والدولة ذات السيادة، و"تدهور المشروع القوميّ إلى أيديولوجيّة تبريريّة لأنظمة مشغولة بمسألة بقائها في السلطة [1]".

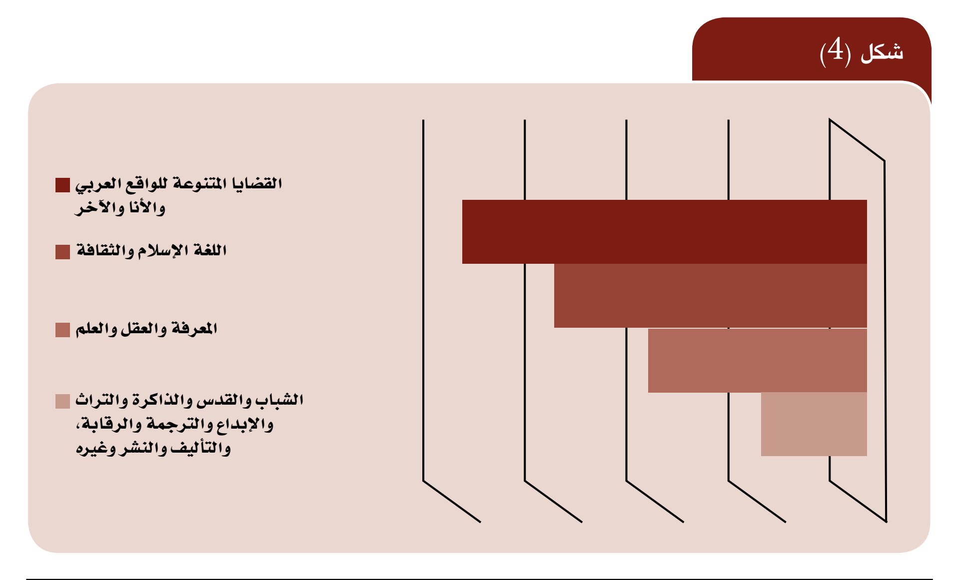
لاشكّ في أنّ غيابَ دولة القانون وما يترتّب عنها من حقوق وواجبات، ومن تكريس لمفهوم المواطنة، وتفعيلٍ للضمانات الاجتماعيّة، وعدم تقييد الحريّات السياسيّة.. إلخ، كانت جميعها من الأسباب الرئيسة التي أفضت إلى ما آلت إليه أحوال العرب، ولاسيما بعد أن حلّت الانتماءات العشائريّة والطائفيّة بدل الانتماءات الوطنيّة والقوميّة، ما أسهم في تفتيت دول عربيّة مثل **العراق** و**السودان** و**اليمن** و**الصومال**، خصوصاً في ظلّ تحالف بعض النخب الحاكمة مع الاستعمار السياسي والاقتصادي والعسكري ضدّ شعوبها. لذا شدّد **عزمي بشارة** على أن يكون تحلّي المشروع العربي الديمقراطي "بالواقعيّة والعقلانيّة" من أبرز سمات أيّ مشروع واقعي من أجل تغيير الواقع لا من أجل تكريسه، فضلاً عن "الثوريّة النقديّة" بغية "ترشيد الحلم وعقلنته وأنسنته، حتّى لا يتحوّل إلى طوبى غاضبة أو تقريعيّة أو تبشيريّة عابرة [2]". فبات التأكيدُ على العربيّة في وجه الطائفيّة والمذهبيّة والعشائريّة والجهويّة موقفاً عروبيّاً بحسب **بشارة**: "أن تكونَ عروبيّاً في أيامنا، يعني أن تتّخذ الهويّة العربيّة نقيضاً لتسييس الهويّات التفتيتيّة. أن تكون عروبيّاً يعني في أيّامنا أن تكون بشكلٍ واعٍ عربيّ الهويّة [3]". ويذكر أن عبارة "أن تكونَ عربيّاً في أيامنا" شكّل عنوان كتاب أصدره بشارة في العام 2010 **عن مركز دراسات الوحدة العربيّة** في **بيروت**.

العصر الراهن تسوده حضارة عالمية واحدة، تمتد وللمرة الأولى في التاريخ (بحسب د. محمود أمين العالم) من أدنى الأرض إلى أقصاها، وهو الأمر الذي يفسر تمركز هذه القضايا في الحصاد الثقافي للعام 2010.

V. ملاحظات ختاميّة

في محاولة الجمع بين الموضوعات التي احتلّت الأهميّة الأكبر في الفعاليات العربيّة والدوريّات في آن على مدى العام 2010، احتلّت "**قضايا الواقع العربي المتنوّعة**" (أي تأثير الأزمة الاقتصادية العالميّة على العالم العربي، والنزاع العربي–العربي، والإعلام العربي، والشفافية والمساءلة في الوطن العربي، والأمن القومي العربي، والعصر الرقمي وتأثيره على العالم العربي، وحريّة الإبداع، وما شابه) المرتبة الأولى من حيث الحيّز الأكبر الذي خصّص لها إلى جانب موضوع "**الأنا والآخر**" من بين الموضوعات في كلا المجالين (أي الفعاليات الثقافيّة والدوريّات)، تلا ذلك موضوع "**اللّغة والإسلام والثقافة**" (في المرتبة الثانية)، فمسائل "**المعرفة والعقل والعلم**" (في المرتبة الثالثة)، **فقضايا "الشباب والقدس والذاكرة والتراث والإبداع والترجمة والرقابة، والتأليف والنشر**... "إلخ في المرتبة الرابعة والأخيرة (**كما هو مبيّن في الشكل رقم** – 4 –).

شكل (4)



ولئن كان مفهوم "**حوار الحضارات**" عائداً إلى نهاية القرن العشرين، ولئن كان قد احتلّ مكانة مهمّة من بين قائمة الاهتمامات الثقافيّة في العالم بأسره، فإن هذا المفهوم حافظ على أهميّته للردّ على مقولة "**صدام الحضارات**". وما الأهميّة التي احتلّها كلّ من مصطلحيّ "الأنا" والآخر" في الثقافة العربيّة إلا جزء من جدلية "حوار/صدام الحضارات"، والذي رافقته مجموعة من المفاهيم/القضايا التي حافظت على رواجها في هذا السياق العربي، مثل الهوية/الخصوصية، التحديث/التأصيل، العلمنة/الدين، العلم/الدين، التراث والإسلام واللّغة... إلخ. إذ إن التفاهم العربي– العربي حول هذه القضايا، إلى جانب القضايا الأخرى مثل التقدّم الاقتصادي والحقوقي والاجتماعي... ، وبعكس مراحل زمنيّة سابقة، لم يعد نابعاً من خلفيّة اللّحاق بالغرب، بل من أجل الإسهام في حوار حضاريّ عالميّ يخصّ مستقبل الوطن العربي بقدر ما يخصّ مستقبل العالم، ولاسيما أن العصر الراهن تسوده حضارة عالمية واحدة، تمتدّ، ولأول مرّة في التاريخ بحسب المفكر المصري **محمود أمين العالم**، من أدنى الأرض إلى أقصاها؛ وهو الأمر الذي يفسّر تمركز هذه القضايا في الحصاد الثقافي **للعام** 2010. كما استوطنت هذه القضايا نفسها عناوين كتب بارزة صدرت للمرّة الأولى **العام** 2010، أو أعيدت طباعتها أو تُرجمت إلى العربيّة، وهي عائدة لمفكرين عرب شأن **محمد أركون** على سبيل المثال لا الحصر. يذكر من هذه الكتب: "مفهوم الآخر في اليهوديّة والمسيحيّة"، "إشكالية التعدّدية الثقافيّة في الفكر السياسي المعاصر.. جدلية الاندماج والتنوّع"، "من إسلام القرآن إلى الإسلام الحديث النشأة المستأنفة"، "الآخر في الثقافة العربيّة من القرن السادس حتى مطلع القرن العشرين"، "قراءة النصّ الديني عند محمد أركون"، "العقل العربي ومجتمع المعرفة.. مظاهر الأزمة واقتراحات بالحلول"، "القدس في الجغرافيّة الروحيّة الإسلاميّة"، "القدس وحدها هناك"، "الثقافة العربيّة"، "الجذور الثقافيّة للديمقراطية في الخليج"، "الهوامل والشوامل حول الإسلام المعاصر"، الأنسنة والإسلام..مدخل تاريخي نقدي"، الأزمة المالية العالمية نهاية اللّيبرالية المتوحشة"، "الزراعة العربيّة وتحديات الأمن الغذائي..حالة الجزائر"، "المسلمون والأقباط في التاريخ" (طبعة ثانية). فيما فاز الباحث المصري **سمير أبو زيد** في **العام** 2010 بـ "**جائزة أهمّ كتاب عربي**"، التي تمنحها **مؤسّسة الفكر العربي** سنويّاً، عن كتابه "العلم والنظرة العربيّة إلى العالم" الصادر عن **مركز دراسات الوحدة العربيّة** (2009)، والذي يعالج فيه مؤلّفه قضية تأسيس العلم في المجتمعات العربيّة المعاصرة عبر استخلاص شروط التأسيس العلمي من التجربة الأوروبيّة في عصر الإصلاح والنهضة، وتأسيساً على منهج الفصل– الوصل عند **الشيخ عبد القاهر الجرجاني**. وهي جميعها موضوعات تعكس القلق العربي في بيئة دوليّة متغيّرة على الصعد السياسيّة الدوليّة والاقتصاديّة والثقافيّة كافة.

الانطباع الأساس الذي يوحي به الحصاد الثقافي للعام 2010، يتمثل في ذاك التطلّع الثقافي العربي إلى رحاب عالمية أوسع تعكسه تجارب آسيوية وأخرى عالمثالثية ناجحة.

العام 2010 يدفع إلى التفاؤل.. لكن ..!

الانطباع الأساسي الذي يوحي به الحصاد الثقافي **للعام** 2010، ولّده عدد من المظاهر التي عكستها قراءة نماذج من اتّجاهات

1 – المرجع السابق نفسه.
2 – المرجع السابق نفسه.
3 – المرجع السابق نفسه.

الفعاليّات الثقافيّة ومن اهتمامات الدوريات العربيّة وخطبها. ومن ذلك الإقدام الثقافي العربي مقارنةً بسنين ماضية، لعلّه إقدام متحرّر من مشاعر الهزيمة، يتميّز بخروجه من "**عقدة الغرب**" و"**الخوف منه**" و"**التماهي**" به، نحو التطلّع إلى رحاب عالميّ أوسع ونحو تجارب عالميّة ناجحة كبعض التجارب الآسيويّة أو "العالم ثالثيّة" بعامة، والبحث في آليات التواصل مع العالم وطرقه، فضلاً عن نموّ اتّجاه ثقافي عملاني يستند إلى الروابط العروبيّة، على الرغم من اختلاف الاتجاهات الفكريّة التي تقوده، ويرمي، من بين ما يرمي إليه، إلى إصلاح الثقافة، بحجّة أن الاستثمار فيها هو استثمار في التنمية البشريّة، وذلك كلّه في إطار تحكيم قيم الحوار والترابط والتعاون والاعتدال والتسامح وغيرها من القيم التي تصدّ نظرية **هنتنغتون** المتشائمة حول مستقبل الإنسان والبشرية والمؤمنة بالصراع فقط، مع نفي إمكانية الحوار، والتي بسبب ما تنطوي عليه من عنصريّة تجاه الآخر(الغربي أو العربي والإسلامي) تصوّره على أنه كتلة واحدة غير قابلة للتغيير. فيما يراهن هذا الاتّجاه الثقافوي بكلّ قيمه الإنسانيّة على إمكانية أن تصلح الثقافة ما تفسده السياسة في عالمنا العربي.

غير أن الأمر يطرح جملة تساؤلات منها **ما إذا كان الحوار عمليّة إراديّة فقط، أم ثمة جوانب موضوعيّة تنبغي معالجتها**؟ وهو سؤال يتحدّد بالآتي:

1. كيفيّة التحرّر مثلاً، من الهيمنة السياسيّة التي تطال مختلف مجالات الحياة، بما فيها المنظومة الفكريّة والمفاهيمية، في ظلّ الهيمنة الاقتصاديّة والسياسيّة الأميركيّة، التي تطال أحياناً حقل العلوم الإنسانيّة والاجتماعيّة والسياسيّة ومناهجها؟ بحيث برزت فئة جديدة من المثقفين والمفكرين العرب، ممّن يحملون سمات "المثقف التقني" (بحسب التمييز الكلاسيكي العائد إلى الفيلسوف الإيطالي غرامشي)، من تكنوقراط وأكاديميّين، تطوّعهم أجهزة الدولة، وينتجون الأفكار والرؤى التي تخدم واضعي السياسات النيوليبراليّة المعولمة. كما أنه لم يجر بعد، وبشكل عام، تحرّر المؤسّسات الثقافيّة العربيّة، الرسميّة منها وغير الرسميّة، من ثقافة البنى الحزبيّة العربيّة القديمة التي تسودها نظم سلطويّة تطرح قضايا التحوّل الديمقراطي، فيما يعيق منطق تشكّلها التحوّلَ الديمقراطي والتنمية بكلّ أنواعها. يظهر ذلك من بين كواليس المؤسّسات الثقافيّة وتشي به أخبار أهل الثقافة من هنا وهناك، والتي كانت حافلة في **العام** 2010. ما جعل أسبوعيّة "الأيام" المغربيّة مثلاً، وفي آخر عدد لها صادر **العام** 2010، تختار وزير الثقافة **بنسالم حميش**، وهو الروائي والمفكّر والمثقف العربي المعروف، من ضمن "أسوأ شخصيات السنة" على المستوى المحلّي.

كما كان "**المعرض الدولي للنشر والكتاب**" الذي احتضنته مدينة **الدار البيضاء** أوائل شباط (فبراير) من العام نفسه إطاراً للخلافات، منها قرار المقاطعة الذي اتّخذه العديد من الكتّاب والمبدعين المغاربة، والذي بدا في ظاهره احتجاجاً على حرمانهم من تعويضات المشاركة في لقاءات المعرض وندواته (وهي تعويضات ماديّة هزيلة أساساً)، فيما حمل في باطنه دلالات سياسيّة متعدّدة. فضلاً عن تأجيل **حميش** حفل تسليم "**جائزة المغرب للكتاب**" الذي كان يقام عادةً خلال افتتاح "**المعرض الدولي للنشر والكتاب**"، والذي ردّ البعض أسبابه إلى تسريب نتائج لجنة تحكيم الجائزة إلى الصحافة والرأي العام قبل الإعلان الرسمي عنها.

كما جرت احتجاجات على تعيينات في ديوان الوزير، وفي مناصب المسؤولية داخل الوزارة، على اعتبار أن الجانب الشخصي، لا المهني، هو مَن تحكّم في تلك التعيينات، التي أعقبتها أيضاً استقالات..

أثار "مؤتمر أدباء مصر" صخباً في الأوساط الثقافية المصرية دفع أمينه العام جمال التلاوي للقول معتذراً من الجميع: "ثمة مؤتمرات تقام في مصر تبلغ تكاليفها أضعاف هذا المؤتمر، ولا يحضر جلساتها عُشر من يحضر جلسات هذا المؤتمر.. أمّا المؤتمرات الأخرى، فهي لا تهتم إلا بجلسات الافتتاح، ولا استثني من ذلك، مؤتمرات المجلس الأعلى للثقافة.

فيما تابعت أحوال أهل الثقافة في **مصر** ما كان يجري في أواخر **العام** 2009، عندما كانت الثقافة المصرية قد ودّعته بمؤتمرات واحتفالات وتعويضات وجوائز، صاحبها جدلٌ عنيف حول صدقيّة الجائزة الأدبية، فجّرته **جائزة البوكر العربيّة**. هذا بالإضافة إلى إقامة عدد من شعراء قصيدة النثر المصريّين من جيليّ الثمانينيّات والتسعينيّات ملتقى للشعر البديل من الملتقى الأصلي الذي يقيمه المجلس الأعلى للثقافة في مصر احتجاجاً على ما اعتبروه إهمالاً للنوع الذي يكتبونه من **أحمد عبد المعطي حجازي**، رئيس مؤتمر الشعر الذي يقيمه **المجلس الأعلى للثقافة** كلّ عامين بالتناوب مع الرواية. لكنّهم خرجوا من ملتقاهم متفرقين. أما الملتقى الذي كان قد أقيم أساساً لتحاشي الانضواء تحت عباءة المؤسّسة الرسمية ممثّلةً بوزارة الثقافة وهيئاتها، فقد انتهى إلى قبول تمويل من وزارتيّ الإعلام والشباب والرياضة. فيما أثار "مؤتمر أدباء **مصر**" ضجّةً في الأوساط الثقافيّة المصريّة دفع أمينه العام جمال التلاوي في حوار معه نشرته مجلة "الثقافة الجديدة" (2010/11/6) إلى الدفاع عن المؤتمر بقوله: "سأكون صريحاً مع الاعتذار للجميع، هناك مؤتمرات تُقام في مصر تبلغ تكاليفها أضعاف هذا المؤتمر ولا يحضر جلساتها عشر من يحضر جلسات هذا المؤتمر. أما المؤتمرات الأخرى فهي لا تهتمّ إلا بالجلسة الافتتاحية، ولا أستثني من ذلك مؤتمرات **المجلس الأعلى للثقافة** منذ أكثر من عشر سنوات، والتي أشارك فيها، وأعلم أن كثيراً من جلساتها يكون عدد الباحثين أكثر من عدد الحاضرين للاستماع والمناقشة.. ولا أستثني كثيراً من المؤتمرات الجامعيّة الأكاديميّة (...) أنا لا أقصد انتقاد شخص أو هيئة، ولكن أنبّه أن القصور موجود في كلّ مكان وأتصوّر بموضوعيّة أن مؤتمر أدباء مصر من أنجح المؤتمرات التي تقام في مصر وأكثرها دقة وتنظيماً، لأن اللّجان منتخبة وتعمل بشكل جماعي، وليس بشكل فردي".

أما أحداث نوفمبر العام 2009 بين جماهير **مصر والجزائر** التي جرت بسبب مباراة كرة القدم والأجواء المشحونة التي بلغت حدّ العنف، فقد تابعت فصولها حتى العام 2010. وكان الأمر خير دليل على سهولة ارتداد العرب عن لحمتهم ما أن يمسّ في واحدهم عصب بعينه، لا لشيء إلا بسبب السياسة العربيّة التفتيتيّة التي يمارسها بعض الأنظمة والمؤسّسات الرسميّة العربيّة عندما تقتضي مصالحه السياسيّة بذلك. وفي حالة **مصر والجزائر** مثلاً، شاركت القيادات السياسيّة للبلدين في تأجيج الأحداث، إلى جانب الإعلام الرسمي والخاص، بحيث قدّمت الحكومتان في كلّ من **مصر والجزائر** دعماً لعشرات آلاف المشجّعين لحضور مباراة **السودان** الفاصلة بين المنتخبَين في **العام** 2010، وعلى حساب الدولة، نظراً لأهمّية هذه المباراة حينها في تأهيل أحد الفريقين لنهائيات كأس العالم وكأس أمم أفريقيا.

إن أمر أحوال الثقافة في الوطن العربي لا يقتصر على المؤسّسات الرسميّة فقط، بل الخاصة أيضاً. بحيث نشهد حراكاً للمؤسّسات الثقافيّة الخاصة خاضعاً لإرادة المتنفّذين وصراعاتهم، سواء لأسباب شخصيّة تتعلّق بالنفوذ أم لأسباب عامة تتعلّق باتّجاهاتهم السياسيّة، أم لكلا الحالين معاً. والمؤسّسات الثقافيّة في هذه الحالة تكون أقدر على التأثير في الرأي العام بسبب ما توحي به من حياد عن السياسي ومتفرّقاته.

2. **إشكاليّة مفهوم حوار الحضارات أو الثقافات نفسه**: فعلى الرغم من أن الحوار بات وسيلة لإيجاد قواعد جديدة في التعامل الدولي يتفّق عليها الجميع، إلا أن أسسه وخصائصه وآلياته ليست في عالمنا العربي محطّ إجماع. إذ إن مقاربة الموضوع عربيّاً وإسلاميّاً لا تخلو من مضامين أيديولوجيّة تتحكّم بمساره، سواء على صعيد القوى السياسيّة والثقافيّة القائمة أم على صعيد

أمر أحوال الثقافة العربية ومفارقتها لا يقتصر على المؤسّسات الرسمية فقط، بل ينسحب على نظيراتها الخاصة، بحيث نشهدها تخضع لإرادة المتنفذين وصراعاتهم، سواء لأسباب شخصية عائدة للنفوذ، أم لأسباب عامة تتعلق بالاتجاهات السياسية، أم لكلتا الحالتين معاً.

المؤسّسات الثقافيّة التابعة لها، أم على صعيد مختلف المؤسّسات التي تتبنّاه، خصوصاً أن كلّ مقاربة أيديولوجيّة لموضوح "**حوار الحضارات** أو الثقافات" تلقي بظلالها على جملة المنظومة المفاهيميّة والمصطلحيّة الملحقة به. من ذلك مثلاً، اختلاف زاوية النظر إلى مسألة "**حوار الحضارات**" باختلاف زاوية النظر إلى الحداثة والأصالة والخصوصيّة والأنا والآخر. حيث يعني نبذ الحداثة والدعوة إلى الأصالة بالنسبة إلى البعض تنصّلاً من المشاركة في صنع التاريخ، لأن الشعوب التي لا تشارك في تطوير الحداثة، تتخلّف بالضرورة حتى تهمّش. وحيث لا خيار بين الحداثة والأصالة، لأن ليس للحداثة أو للأصالة معنى واحد. وقبول الحداثة كما هي، أي كحداثة رأسماليّة من جانب، وتلوينها بألوان الأصالة من الجانب الآخر، هو في النتيجة قبول الوضع الراهن، أي التبعية للمنظومة الرأسمالية. فيما يكمن الحلّ في العمل على تطوير سبل الحداثة، بدل أن يكمن في إنكارها وتلوينها. فيما يعتبر البعض أن الخصوصيّة الثقافيّة عبارة عن جنوح دينيّ يفتقد الرؤية الموضوعيّة للصراع ضدّ الهيمنة الحضارية السائدة، وهي بالتالي ماضوية معادية للتاريخ والسوسيولوجيا. فمن خصائص الطرح الإسلامي للحوار ومنهجه وآلياته: الإسلام، واستنباط منهج الحوار وأهدافه من القرآن الكريم، والدفاع عن المرجعية الإسلامية، وتقديم الثقافة الإسلامية إلى الثقافات الأخرى، واعتبار الحضارات متعدّدة وليست حضارة عالمية واحدة... إلخ. ويذكر في هذا الصدد أن مؤتمر "تعارف الحضارات" (18-2010/5/19) الذي نظّمته **مكتبة الإسكندريّة** (السابق ذكره) جاء تحت شعار "لتعارفوا"، معتمداً مفهوم "التعارف" القرآني، مع تبيان أن الأصول القرآنية التي ترتكز على وحدة الإنسانية وعلى شمول الهدى الإلهي للإنسان جعلت للآخر حقوقاً عدّة يراعيها المسلمون ويحفظونها لغيرهم، مثل حقّ احترام الإنسان في ذاته، بصرف النظر عن دينه ولونه وجنسه، وحقّ احترام العقائد، مهما اختلفت وتعارضت مع عقيدة الإسلام.

ومن خصائص الطرح الحداثي للحوار: الحداثة، وتجديد الفهم القرآني وقراءته في ضوء الراهن الحضاري، والاستناد إلى العلمانية باعتبارها من مقوّمات الحداثة، والانطلاق في مناقشة مختلف القضايا وفق هذا المنظور مثل قضايا: المرأة، وحقوق الإنسان، وعلاقة الدين بالدولة وغيرها، وتجاوز تداعيات التراث، واعتبار الحضارة القائمة حضارة عالمية، وتجاوز بعض الخصوصيّات الثقافيّة للوصول إلى القيم العالمية المشتركة.

أما التيار اليساري، فيركّز على القضايا المرتبطة بالفكر اليساري، مثل: قضايا التحرّر، والعدالة الاجتماعية، والتهميش العالمي وغيرها [1]".

وبالانتقال من العام إلى اليومي، تكفي الإشارة مثلاً إلى بعض الجدل الذي تبع انعقاد مؤتمر "مبادرات في التعليم والعلوم والثقافة لتنمية التعاون بين أميركا والدول الإسلاميّة" (16-2010/6/18)، والذي عقد في **مكتبة الإسكندريّة**، لتبيان أن الحوار باتّجاهاته كافة، وسواء أكان محليّاً (عربيّاً إسلاميّاً-عربيّاً إسلاميّاً) أم حواراً مع الآخر، يحتاج إلى إيجاد قواسم مشتركة بين مختلف أطرافه. فقد لاقى المؤتمر المذكور انتقادات مختلفة، تشكّك في نيّة الإدارة الأميركية لجهة إيجاد تسوية عادلة للقضيّة الفلسطينيّة وحلّ قضية اللاجئين وإضفاء قدر من التوازن على السياسة الأميركية في المنطقة .

وللتذكير، فإن النقد الموجّه إلى أميركا في الخطب السياسيّة أو الثقافيّة أو الاقتصاديّة

الجدل الذي تبع مؤتمر "مبادرات في التعليم والعلوم والثقافة لتنمية التعاون بين أميركا والدول الإسلامية" يعكس وجهة النظر القائلة بأن الحوار باتجاهاته كافة (محلياً وأقليمياً ودولياً) بات يحتاج إلى بلورة قواسم مشتركة مسبقة بين أطرافه ..

لاقى المؤتمر المذكور مثلاً انتقادات لاذعة من بينها أن الأميركيين الذين جاؤا المؤتمر رفضوا سماع وجهة النظر الأخرى، ومنعوا كلاً ممن يختلف معهم بالرأي من التحدّث.

1 – راجع في هذا الصدد: عاشور، الزهراء، "حوار الحضارات وإشكالية الأنا والآخر في الفكر العربي والإسلامي المعاصر"، مجلة الكلمة، منتدى الكلمة للدراسات والأبحاث، العدد68، السنة السابعة عشرة ، صيف 2010.



أو غيرها، يبدو أنه ازداد في **العام** 2010، ولاسيما بعد وعود الرئيس **باراك أوباما** في خطابه الشهير الذي كان قد ألقاه في **جامعة القاهرة** في **حزيران/ يونيو العام** 2009؛ أي حين عدَّد سبع أولويات للتعاون، هي: الحاجة إلى التصدي للتطرّف العنيف في **أفغانستان**، والعلاقة بين **إسرائيل** وما أطلق عليه الرئيس "الوضع الذي لا يمكن تحمّله" للفلسطينيّين، والمسألة النووية الإيرانية، والنهوض بالديمقراطية، والحرّية الدينيّة، وحقوق المرأة، والتنمية الاقتصاديّة. مبيّناً بذلك مدى التحدّيات التي قال في صددها:" أنا أهدف إلى أخذها مأخذ الجدّ- إذ بخلاف ذلك، فإن البديل هو أن الجهل يحفّز الانقسام، والانقسام يحفّز سوء الفهم، وسوء الفهم يفرّقنا أكثر. إن قدريْنا لصيقا الارتباط ببعضهما أكثر من أيّ وقت مضى. ذلك أن انعدام الاستقرار الاقتصادي وتغيّر المناخ والإرهاب أمور لا تفرّق بين المسلمين وغير المسلمين. وتلك هي الحقيقة الأولى في هذه المرحلة من مراحل العولمة.أما الحقيقة الثانية فهي أن **الولايات المتّحدة الأميركية** لاتزال القوّة العظمى في العالم. لكن مع أنها بارزة فهي ليست مهيمنة، وهي لا تستطيع إخضاع العالم بمفردها؛ لأن القوة آخذة في الابتعاد عن مراكز النفوذ عبر الأطلسية التقليدية في القرن العشرين. دعونا لا نهوّن من القوة الأميركيّة – بنوعيها الناعمة والصلبة- لكن هناك حاجة إلى ائتلافات جديدة. والحقيقة الثالثة هي أن تلك الائتلافات يجب أن تكون ائتلافات بين الدول، لكنها لا يمكن أن تتحقّق من دون أن تكتسب موافقة المواطنين". ثم تابع أوباما قائلاً:"وبناءً عليه، فإننا بحاجة إلى فهم المهمة التي أمامنا على مستويين: حلّ المشكلات واقتناص الفرص على مستوى النُّخب (بناء الائتلافات في ما بين الدول)؛ وبناء الثقة على المستوى الشعبي (حشد الرضا بين الشعوب). وكلّما ازداد التقدّم المحرَز على مستوى النخب في ما يتعلّق بالمشكلات السياسية والاقتصادية، ازدادت سهولة كسب عامة الناس. وفي المقابل، كلما ازداد الشكّ لدى الجماهير ازدادت الصعوبة التي سيواجهها القادة السياسيّون في تقاسم القضايا المشتركة".

أن الرئيس الأميركي **أوباما** كان قد وجّه رسالة إلى المشاركين في مؤتمر "مبادرات في التعليم والعلوم والثقافة لتنمية التعاون بين أميركا والدول الإسلامية"، ألقاها نيابة عنه مبعوثه لدى **منظمة المؤتمر الإسلامي**، ذكّر خلالها بزيارته القاهرة في **العام** 2009 ومناداته ببداية جديدة بين **الولايات المتّحدة** والمسلمين حول العالم، مبنيّة على الاحترام المتبادل والاهتمام المشترك. ودعا فيها إلى العمل معاً على "عقد شراكات جديدة بين حكوماتنا وبين شعوبنا لبحث القضايا التي تهمّنا في حياتنا اليومية؛ مثل العيش بكرامة، والحصول على تعليم، والتمتّع بصحة جيّدة، والعيش في سلام وأمن، وأن نمنح أبناءنا مستقبلاً أفضل. دعونا نعمل على خلق عالم مبنيّ على المبادئ المشتركة بيننا: العدالة، والنموّ، والتسامح، والكرامة للبشرية جمعاء"، ومذكّراً بما قاله في القمة الرئاسيّة حول ريادة الأعمال، التي كانت قد عقدت قبل شهرين من موعد المؤتمر، في أن "البداية الجديدة التي نسعى إليها ليست ممكنة فحسب، وإنما بدأت بالفعل".

كخلاصة للحصاد الثقافي العربي خلال العام 2010، يعتبر النشاط الثقافي ناشطاً في هذا العام، واحتلّ الانشغال بالأحوال الثقافيّة للعالم العربي حيّزاً مهمّاً في هذا النشاط، وذلك على الرغم من كلّ التحفّظات التي واكبت هذه الإيجابيات.

ولعلّ من أبرز الملامح الإيجابيّة لهذه الحركة الثقافيّة:

1. تبلور قناعة بأن أمن الوطن العربي يبدأ من أمن كلّ دولة عربيّة على حدة، وأن هذا الأمن تشكّل الثقافة فيه ركناً حيوياً.

وجّه الرئيس أوباما رسالة إلى مؤتمر "مبادرات التعليم والعلوم والثقافة لتنمية التعاون بين أميركا والدول الاسلامية" نادى فيها ببداية علاقات جديدة بين الطرفين، مبنيّة على الاحترام المتبادل، والاهتمام المشترك .. ودعا إلى عقد شراكات جديدة تتمحور حول العيش بكرامة والحصول على التعليم، والتمتّع بصحة جيدة والعيش بأمن وسلام..

الثقافة ليست ثابتة وجوهرية، بل خاضعة للتغيير بحسب الظروف الاقتصادية والاجتماعية والسياسية؛ وقد تستثمر في اتجاه المزيد من التبعية للنظام الاقتصادي النيوليبرالي، والاحتلال بمختلف أشكاله .. كما أنها قد تستثمر من أجل التحرّر من السياسات والأطماع الخارجية.

2. تبلور أطر عمليّة للحوار والنقاش وتبادل التجارب في القضايا الثقافيّة العربيّة تعد بالانطلاق من التنظير إلى تفعيل العمل الثقافي العربي بعد دراسة كلّ التحدّيات التي تواجهه، وبعد أن عملت السياسة على تفريق العرب وباعدت بينهم المصالح الاقتصاديّة من جهة، وبعد فشل مختلف الاتجاهات الفكرية من قوميّة وشيوعيّة وليبراليّة في ترجمة أفكارها على أرض الواقع ترجمةً تحفظ أمن الإنسان العربي وكرامته. فبدا العام 2010 عاماً واعداً بمزيد من العقلانيّة عبر اتجاهين:

الاتجاه الأول: الاتجاه نحو مشروع عربي ديمقراطي يلتقي مع طموح الشيوعيّة والاشتراكيّة العلميّة في تحرير المجتمع من الاستغلال والاحتكارات واللامساواة والظلم، ومع طموح القوميّين العرب بإعلاء القوميّة فوق الطوائف والمذاهب والإثنيات، ومع طموح اللّيبراليّة بتكريس الحياة البرلمانيّة والانتخابات الشرعيّة وتداول السلطة، لكن على قاعدة واحدة أساسيّة هي "إصلاح الوعي"، الذي يستحثّ المواطن العربي على إثارة الأسئلة وتحليل الواقع تحليلاً يسمح له بتحقيق شرط نهوض مجتمعه؛ إذ إن الثقافة ليست ثابتة وجوهريّة، بل خاضعة للتغيير بحسب الظروف الاقتصاديّة والاجتماعيّة والسياسيّة، وقد تُستَثمر في اتجاه المزيد من التبعيّة (بأشكالها الاقتصاديّة والسياسيّة والاجتماعيّة) للنظام الاقتصادي النيوليبرالي والاحتلال بمختلف أشكاله، كما أنها قد تُستثمَر من أجل التحرّر من السياسات والأطماع الخارجيّة وما يترتّب عنها من تبعات على الصعد كافة.

الاتجاه الثاني: مواجهة التحدّيات الثقافيّة التي راحت تأخذ مظاهر عدّة منها:

تراجع القراءة، ضعف اللّغة القومية وسيطرة اللّغات الأجنبيّة، تراجع جودة التعليم العام والعالي، ضعف الفضائيات العربيّة في وضع تصوّر لإنتاج ثقافة عربيّة متنوّعة ومتجدّدة، قصور في تكوين ثقافة ووعي بقضايا تكنولوجيا المعلومات والاتصال وعلاقتها بالتربية والتعليم.. إلى ما هنالك من مظاهر تشير إلى ضرورة إنقاذ الوضع الثقافي العربي إنقاذاً عملانيّاً. ومن هنا كان الاهتمام بادياً في الانشغال بموضوع اللّغة العربيّة، انطلاقاً من أن البلدان التي حققت حداثتها حقّقتها بلغاتها القومية.

فهل تتابع الأعوام المقبلة تكريس إطار للحوار من الوجهة العربيّة والإسلامية، إطار يقوم على القواسم المشتركة الكبرى بين الاتجاهات المختلفة؟ وهل الأعوام المقبلة تبشّر بزوال مختلف التحفّظات التي أبرزها العام 2010 إلى السطح؟ وهل تبلور الأعوام المقبلة ما إذا كانت الزوايا المضيئة في الثقافة العربيّة قابلة للإشعاع، أو مجرد سراب عابر؟.

في مختلف الحالات، تبقى الأعوام المقبلة رهينة المصادفة، كمقولة لم يتخلّ عنها فوكو في قراءته عملية إنتاج الأحداث، بدلاً من الاكتفاء بـ "إقامة روابط سببيّة آلية أو روابط ضرورة مثالية بين العناصر" التي تشكّل سلاسل الأحداث الخطابيّة"[1]

1 – فوكو، ميشيل، نظام الخطاب، ترجمة محمد سبيلا، ط1 ، بيروت، 1984 ، دار التنوير، ص38 .



ملحق الحصاد

أنشطة وفعاليات ثقافيّة تتناسل:

- "العلاقات الأوروبيّة المتوسطيّة بين التصريحات والحقائق"، منتدى الفكر العربي بالتعاون مع مجموعة سيرفد CERVED، عمّان، 2009/10/31.
- "المؤتمر الرابع للحوار العربيّ– الصينيّ"، منتدى الفكر العربي والمعهد الصيني للدراسات الدولية، بكين 23-24 /2010.
- "الشرق والغرب: القيم المشتركة"، منتدى الفكر العربي، عمّان، 2010/10/10.
- "الاختلاف في وجوهه الدّينيّة والحضاريّة والأيدولوجيّة"، منتدى الفكر العربي، عمّان، 2010/6/16.
- ورشة عمل "مشروع التراث الحيّ لبلدان البحر الأبيض المتوسط"، وزارة الثقافة السوريّة/ اليونسكو، مكتبة الأسد، دمشق، 2010/1/31.
- "مستقبل الإصلاح في العالم الإسلامي: خبرات مقارنة مع حركة فتح الله كولن التركيّة"، جامعة الدول العربيّة، القاهرة، 19-2009/10/21.
- "العالم يرسم المستقبل.. دور العرب"، مؤسّسة الفكر العربي، بيروت، 8 -12/9/ 2010.
- الدورة الـ17 لمؤتمر "الوزراء المسؤولين عن الشؤون الثقافيّة في الوطن العربي"، الدوحة، 27 – 28/10 /2010.
- "المؤتمر الدولي حول حوار الحضارات والتنوّع الثقافي"، المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة (إيسيسكو) بالتعاون مع المنظمة الدوليّة للفرانكفونية في تونس27/5 إلى 2009/6/4.
- "أبعاد غائبة في حوار الحضارات"، جامعة الإسراء الخاصة، الأردن 8-2009/7/9.
- "دور الترجمة في حوار الحضارات 1"، جامعة النجاح الوطنية، فلسطين، 26-2007/6/27.
- "دور الترجمة في حوار الحضارات 2"، جامعة النجاح الوطنية بالتعاون مع المركز الثقافي الألماني – معهد جوته، فلسطين، 18-2009/11/19.
- "الأتراك في عيون العرب"، اتّحاد الكتّاب العرب بالتنسيق مع اتّحاد كتّاب أوراسيا التركي، ومحافظة شانلي أورفه في جنوب شرق تركيا، سورية، 12-2010/2/15.
- "السوريّون بعيون الأتراك"، اللاذقية– سورية، 14/11 /2009 .
- "العرب والأتراك: مسيرة تاريخ وحضارة"، وزارة الثقافة السوريّة ومركز الأبحاث في التاريخ والفنون والثقافة الإسلامية (أرسيكا– إسطنبول)، سورية، 1-2010/8/2.
- ملتقى "التواصل الثقافي بين مشرق الأمة العربيّة ومغربها"، وزارة الثقافة السوريّة، سورية، 2010/8/5.
- "الندوة الدولية لربط البحار الخمسة" وزارة الثقافة السوريّة، سورية، 2010/12/9.
- "منتدى التعاون العربي–التركي"، وزارة الثقافة السوريّة، إسطنبول، 9-2010/6/10.
- "صياغة البحر المتوسط"، مكتبة الإسكندريّة بالتعاون مع سفارة فرنسا في القاهرة والمركز الثقافي الفرنسي، مصر، 10-2010/4/11 .
- "مبادرات في التعليم والعلوم والثقافة لتنمية التعاون بين أميركا والدول الإسلاميّة"،مكتبة الإسكندريّة، مركز

الحصاد

الحوار في الأزهر، مركز الدراسات الحضارية وحوار الثقافات- جامعة القاهرة، 16-2010/6/18.
- مؤتمر "تعارف الحضارات"، مكتبة الإسكندريّة، مصر، 18-2010/4/19.
- "آفاق التعاون بين الدول العربيّة ودول جزر الباسيفيك"، الإمارات وجامعة الدول العربيّة، أبو ظبي، 2010/6/24.
- "عالم يتشكّل من جديد.. أين دور العرب؟"، "منتدى الإصلاح العربي السابع"، مكتبة الإسكندرية، مصر، 1-2010/3/3.
- "العروبة والمستقبل"، مكتبة الأسد، سورية، 15-2010/5/19 .
- "من أجل الوحدة العربيّة: رؤية للمستقبل"، مركز دراسات الوحدة العربيّة،بيروت، 23-2009/2/25 .
- "العروبة في القرن الحادي والعشرين"، تيار المستقبل، بيروت، 23-2009/2/25).
- "المعرفي والأيديولوجي في الفكر العربي المعاصر"، مركز دراسات الوحدة العربيّة، بيروت، 16-2010/5/11.
- "المؤتمر التاسع لمجمع اللّغة العربيّة، مجمع اللّغة العربيّة، 11/28 إلى 2010/12/1.
- "إشكاليات اللّغة العربيّة في المواقع الإلكترونية"، معهد الإعداد الإعلامي بالتعاون مع اللّجنة الفنّية لمجلس وزراء الإعلام العرب في جامعة الدول العربيّة، دمشق، 5-2010/12/7.
- "لغتنا الأم في معترك العولمة"، المجلس العالميّ للّغة العربيّة، 2010/12/18.
- "منتدى الشباب العربي"، الإسكندرية"، 2/27 إلى 2010/3/1.
- "نموذج محاكاة جامعة الدول العربيّة ، 4/23 إلى 2010/8/7.
- "الشباب وظاهرة العنف" مكتبة الإسكندرية ومنتدى الفكر العربي، 13-2010/12/15.
- "المنتدى العالمي للقادة الشباب – دافوس 2010"، جامعة القاهرة، وزارة الاستثمار وكلية الاقتصاد والعلوم السياسية والهيئة العامة للرقابة المالية والبورصة المصريّة ومؤسّسات أخرى،2010/4/1.
- "الشباب والمستقبل: تحدّيات الواقع، وتعزيز القدرات، وآليات المشاركة"، الإيسيسكو، الأمانة العامة لاتّحاد المغرب العربي، الألكسو، قرطاج- تونس، 14-16 /1/ 2010 .
- "الثقافة العربيّة في ظلّ وسائط الاتصال الحديثة"، مجلة العربي، الكويت، 8-2010/3/10 .
- "المؤتمر الأول للسياسات الثقافيّة في المنطقة العربيّة"، بيروت، 7-2010/6/8.
- "الاجتماع التحضيري الأول للقمّة الثقافيّة العربيّة"، 13-7/14/ 2010.
- "الثقافة العربيّة.. المستقبل والتحدّيات"، مؤسّسة سلطان بن علي العويس الثقافيّة ومؤسّسة عبد الحميد شومان، عمّان، 9-2010/10/10.
- "مؤتمر أدباء مصر الـ25": "تغيّرات الثقافة.. تحوّلات الواقع"، الهيئة العامة لقصور الثقافة بالتعاون مع محافظتيَ القاهرة والجيزة، 21-2010/12/23.

ملحق رقم (1)

إعلان تونس حول الشباب والمستقبل

ندوة: "الشباب والمستقبل: تحديات الواقع، وتعزيز القدرات، وآليات المشاركة"- قرطاج (2010/1/14)

أكّد الإعلان على ضرورة تشجيع المبادرات التنمويّة والأنشطة الفكريّة والمشروعات الإبداعيّة للشباب، وفتح المزيد من منابر الحوار والإعلام والتعبير عن الرأي لفائدته، وإيجاد آليات استشارية يعبّر من خلالها عن تصوّراته وآرائه إزاء البرامج والسياسات الوطنية الكبرى. كما أكّد على أن الأمم بشبابها والعالم بشبابه، وأن الشباب إشراقة حاضر الأمة وأمل مستقبلها، وهو المَعين الذي تستمدّ الدول والشعوب من حيويّته الوجدانية والفكريّة والماديّة، قدرتها على التطوّر والتجدّد، وتنطلق الأمم والجماعات من طموحه وتطلّعاته نحو آفاق التقدم والرفاه، وهو العماد المتين لمنظومات التنمية الاجتماعيّة والبشريّة في مختلف الدول. ومن الأمور الحيويّة التي دعا إليها الإعلان أيضاً:

- العمل على تمتين البناء المعرفي للشباب وتطوير مؤهلاته ومهاراته التخصّصية والحياتية، وتنمية كفاياته وقدراته على التدبير المستقلّ والتصرف الرشيد والحلّ الناجع للمشكلات، بما يهيئه للمشاركة الحقيقية في تحمل المسؤولية وصنع القرار.
- تعزيز التعاون الثنائي والإقليمي والدولي بين المنظمات والهيئات الشبابيّة الحكوميّة وغير الحكوميّة، من خلال تشجيع حركة الأفكار والأشخاص في إطار احترام الخصوصيات الثقافية للمجتمعات وترسيخ مبادئ التعارف والتعاون والتضامن، بما يخدم نقل الخبرات والتجارب الرائدة والاستفادة المشتركة منها.
- توجيه مشروعات التعاون المشتركة بين دول الشمال ودول الجنوب، وبخاصة بين دول المجموعة الأوروبية ودول العالمين العربي والإسلامي، إلى فئة الشباب بدرجة أولى، سعياً إلى وضع الأسس الضرورية لبناء علاقات تسودها روح التعاون والحوار المتكافئ والاحترام المتبادل بين الطرفين.
- وضع آليات التأهيل المناسب وتنويع مسالك التكوين التخصّصي للشباب، بما يتلاءم مع المتطلبات التنمويّة في الدول الأعضاء، ويضمن له الاندماج في أسواق العمل الداخليّة، والتقليص من تأثير الفقر والبطالة وسائر الآفات الاجتماعية والرفع من مستوى النموّ والإنتاج.
- تشجيع الإنتاج المشترك بين دول الشمال ودول الجنوب لبرامج ثقافيّة وترفيهيّة وتلفزيونيّة موجّهة إلى الشباب في مختلف دول العالم، تعزيزاً للتفاهم بين الشعوب، وتعريفاً بالآخر وتصحيحاً لصورته وصورة حضارته.
- تحفيز المشاركة الشبابيّة في العمل التطوّعي التنموي والإنساني، على المستويين الوطني والدولي، واستثمار الطاقات الشبابيّة لتكثيف الجهود المبذولة في مقاومة الآفات الاجتماعيّة والصحيّة والتنمويّة كالفقر والأمية والانحراف وإدمان المخدرات والأوبئة والأمراض المنقولة والعنف والتطرّف والإرهاب.
- التأكيد على مكانة الأسرة في بناء الاستقرار النفساني للشباب، وتعزيز دورها في تربية النشء وإعداد الشباب على الاقتداء

الحصاد



بالنمــاذج الإيجابيــة مــن خــلال السـلوك الأسـري داخـل البيـت وخارجـه، وإعـداد برامـج توعوية مـن خلال وسـائل الإعلام لتوعية الآباء والشـباب حـول أهمية البناء الأسري المتين، وذلك انطلاقاً من أن تمكين الشـباب وتهيئتـه لتحمّـل مسـؤولياته في بناء المجتمع، يتأسّـس وينطلق من مرحلة الطفولـة، وتشـارك فيـه مختلـف مكوّنات المجتمع ومؤسّساته وهيئاته.

- تمكـين الطفـل من حقوقه كافـة، وحثّ دول العـالم علـى وضـع التشريعـات الكفيلـة بضـمـان حقوق الطفـل واتّخـاذ الإجراءات الضروريـة لمناهضـة التقاليـد والأعراف التي تحول دون ذلك.
- مشـاركة الـدول الأعضـاء والمنظمـات الحكوميـة وغـير الحكوميـة، بفعالية على مـدى سـنة 2010 في احتفـال المجموعـة الدولية بالسنة الدولية للشباب التي أقرّتها الجمعيـة العامـة لـلأمم المتحـدة، وحثّ المنظمات والهيئات الشبابية بشكل خاص، على المبادرة باقتراح برامج عمل وأنشـطة كبرى بالتنسـيق مع وزارات الاختصاص، من شـأنها أن تعزّز دور الشـباب في رسـم السياسـات وتنفيذ الخطط الوطنية وخدمة الصالح العامّ.
- ترسـيخ ثقافـة الاجتهـاد لـدى الشـباب، وتحديث الخطاب الإسلامي على أساس من مقاصـد الشريعة التي تعلي من شأن العقل والتفكير وتشجع على التفكير المستنير.

في المقابل، شدّد الإعلان على ضرورة تخصيص الموارد المناسـبة لتيسـير اندماج الشباب، وخصوصـاً حاملـي الشـهادات العليا، في منظومتـيّ التشـغيل والتكويـن المسـتمرّ، وإنشـاء الآليات المناسـبة لتشـجيعه على اسـتحداث المشروعات الخاصة في مختلف قطاعات الإنتاج.

كمـا دعا الإعلان أيضـاً إلى تطوير التشريعات والقوانـين، بما يتيح لأكبر عـدد ممكن من الشـباب المشـاركة في الحيـاة السياسـيّة والبرلمانيّـة، وفي إدارة الشـأن العـام وممارسـة حقّـه في الانتخـاب والترشـح لعضـوية المجالـس النيابيّـة ومختلـف الهيئـات والمؤسّسـات المحليّـة والوطنيّـة والدوليّة. فيما دعا المنظمات الشبابيّة في العالم العربي والإسلامي إلى توثيق علاقات التحـاور والشراكة والتعـاون في ما بينها لمواجهـة القضـايا والتحدّيات المشـتركة وتبـادل التجـارب الناجحة والممارسـات المثلـى، وإلى مدّ جسـور التعارف والتبادل الثقافي مع المنظمات الشبابيّة في مختلف التجمّعـات الإقليميـة في العـالم، من أجل إقامة حوار شبابي شامل يجعل من معرفة الآخـر وقبـول ثقافـة الاختـلاف والتنوّع، قـاعـدة ثابتة في العلاقـات التي تربط بين الأمم والحضارات.

وأوصـى بإعـداد الدراسـات الميدانيّـة وقواعد البيانـات والمعلومـات ذات الطابـع الإحصـائي، عـن واقـع الشـباب في العالم العربي والإسلامي، من أجل توفير المعطيات الضروريـة لرسـم السياسـات والخطـط المناسبة للنهوض بأوضاعه، وكذلك إعداد اسـتراتيجية للشـباب في العالمين العربي والإسـلامي تسـتفيد منهـا الـدول العربية والإسـلامية في رسـم سياسـاتها الوطنية ذات الصـلـة، وتعتمد إطـاراً توجيهياً عاماً للعمل العربي والإسـلامي المشترك في هذا المجال.



ملحق رقم (2)

توصيات "المؤتمر الأول للسياسات الثقافيّة في المنطقة العربيّة" (7 - 8 يونيو/ حزيران 2010)

أولاً: الحوار وتبادل الآراء:

1 – مباشرة عقـب هـذا المؤتمـر، تنظيـم ندوات وحلقـات مناقشـة حول عناصـر محدّدة في السياسات الثقافيّة مع المسؤولين الحكوميّين عـن الثقافـة، بالـذات وزارات الثقافـة، ومع مسـؤولي المنظمـات الدوليـة والمانحـة الناشـطة في المنطقـة العربيّة، بحيث يشـكّل ذلك أساساً للتحضير لمؤتمـر إقليمي حول السياسات الثقافيّة يعقد في 2012.

2 – تبادل الخبرات حول توثيق وبحث وإصلاح السياسـات الثقافيّـة مـع تركيـا ومنطقـة البلقـان وأفريقيـا، ويشـمل ذلـك تنظيـم فعاليـات ولقاءات مشـتركة، ودعوة خبراء حكوميّين ومسـتقلين من هذه المناطق إلى الإسهام في عملية رصد وتقييم السياسات الثقافيّة في المنطقة العربيّة.

ثانياً: الأبحاث:

1 – تنقيح ومراجعة ونشر النصّ الكامل للأبحاث التي تمّـت في المرحلة الأولى للمشروع، على أن يتمّ ذلك قبل نهاية 2010.

2 – البـدء في مرحلـة ثانية من البحـث تمتدّ إلى أربعـة بلدان عربيّة جديدة بحدّ أقصـى، على أن يسبق ذلك مراجعة لملائمة أنموذج المعهد الأوروبـي للبحث المقـارن للظروف المحلية. تبدأ المرحلة الثانية في بداية العام 2011.

3 – إطـلاق مجموعـات عمل علـى السياسـات الثقافيّة تضـمّ خبراء مستقلين وحكوميّين في البلـدان الثمانية لتقوم برصـد وتوثيق التطـورات والممارسـات الإيجابيـة علـى صـعيد السياسـات الثقافيّـة. تبـدأ هـذه المجموعـات عملهـا في سـبتمبر (أيلـول) 2010، وتمثـل تقاريـر مجموعـات العمـل مرجعـاً مهماً لكلّ المناقشـات والفعاليات حول السياسات الثقافيّة في المنطقة.

ثالثاً: التوثيق والمعلومات:

1 – إعداد ونشر تقرير حول السياسات الثقافيّة في البلدان الثمانية مرّة كلّ شهرين. ويكون الإصدار الأول لهـذا التقريـر الـدوري في نوفمـبر2010؛ ويسـتمد محتـواه مـن التقاريـر التي تصـدرها مجموعات العمل في البلدان الثمانية.

2 – إعـداد ونشر تقريـر سـنوي حـول الفعـل الثقافي في البلدان الثمانية مبدئياً، وتأتي محتويـات التقريـر الـذي يصـدر مـرّة كلّ شـهرين من مجموعات العمل، وكذلك وفقاً لمعايـير "مؤشر الفعل الثقافي"، ويصـدر التقرير السنوي الأول في نهاية 2011.

3 – استكشـاف إمكانيـة خلـق "مؤشر للفعـل الثقـافي" يحتـوي علـى معايـير لقياس الفعـل الثقـافي في البلـدان الثمانيـة. يتمّ تحديد هذه المعايـير وفقاً للنقاش والحوار بـين المسـؤولين الحكوميّـين والناشـطين الثقافيّـين المسـتقلين خـلال عامي 2010 و2011. ويقدم أنموذجاً مبدئياً لهذا المؤشر في البلدان الثمانية في المؤتمر الذي سيعقد في 2012 لمناقشـته واستكشـاف إمكانية استخدامه في بلدان عربيّة أخرى.

رابعاً: توصيات عامة:

1 – التأكيـد علـى التحالـف مـع القطاعـات الأخـرى في المجتمع التي يمكنها أن تلعب دوراً فعـالاً في تنفيـذ هـذه التوصـيات، خصوصاً قطاعي الإعلام والتعليم.

2 – اعتبـار كلّ المشـاركين في المؤتمر شركاء محتملين في تنفيذ هذه التوصيات.

ملحق رقم (3)

توصيات الاجتماع التحضيري الأول للقمّة الثقافيّة العربيّة (13-14 تموز/ يوليو 2010)

الوثيقة الختامية الصادرة عن الاجتماع وتوصياته

بعد مناقشات علميّة جادة ومستفيضة، توصّلت اللّجان إلى توصيات مهمّة تضمّنت الكثير من المقترحات الشموليّة والتفصيليّة، تمّ إرسالها إلى أمين عام جامعة الدول العربيّة لصياغتها وفق الأسس المعتمدة في جامعة الدول العربيّة، ورفعها إلى القمة العربيّة المقبلة، المخصصة للثقافة العربيّة.

وفي ما يلي نصّ الوثيقة الختامية الصادرة عن الاجتماع والتوصيات التي تضمّنتها:

في إطار التحضير للقمة الثقافيّة العربيّة التي دعا إلى عقدها إعلان "سرت" البند 14 (الصادر عن مؤتمر القمة العربيّة العشرين المنعقد في ليبيا في شهر مارس 2010)، وإعمالاً لما تقرر في الاجتماع التشاوري الذي دعت إليه جامعة الدول العربيّة في القاهرة في 24 من يناير كانون الثاني 2010 من أن يعهد لمؤسّسة الفكر العربي والمنظمة العربيّة للتربية والعلوم والثقافة "ألكسو" تنظيم لقاءات تحضيرية تمهيداً للقمة الثقافيّة العربيّة تحت مظلة جامعة الدول العربيّة.. عقد في بيروت في 13-14 يوليو/ تموز 2010 اللّقاء التحضيري الأول للقمة الثقافيّة العربيّة الذي شارك فيه ممثلون عن مؤسسات ثقافيّة رسمية، وجمعيات أهليّة ثقافيّة، واتحاد الكتاب والأدباء العرب، واتّحاد الناشرين العرب، وأعضاء مجامع لغوية عربيّة، والهيئة العربيّة للمسرح، ومعاهد للترجمة، ومراكز دراسات وأبحاث عربيّة، ومؤسّسات إعلامية، ومفكرون، وكتاب وشعراء ومسرحيون عرب ينتمون إلى 18 دولة عربيّة.

والمشاركون في هذا اللّقاء إذ يعبرون عن اهتمامهم وقلقهم بما تواجهه الثقافة العربيّة من تحديات في عالم يموج بالتغيرات.

وإذ يدركون أن الثقافة بتجلياتها المعرفية والإبداعية هي محور منظومة التنمية المستدامة في المجتمع وجزء من البنية الأساسية لأي مشروع نهضوي عربي.

وإذ يؤمنون بأهمية التضامن الثقافي العربي كضرورة قومية لتعظيم القواسم الثقافيّة المشتركة للأمة بقدر ما يؤكدون في الوقت ذاته على أهمية الانفتاح على قيم التقدم الإنساني.

وإذ يعتبرون أن أي إصلاح ثقافي يحتاج بالضرورة إلى حركة عمل ثقافي دؤوب ونشط في المجالات كافة في إطار من الوعي بالتفرقة بين الفكر الثقافي والعمل الثقافي.

وإذ يثمنون دور المجتمع الأهلي في العمل الثقافي العربي كعنصر معزّز ومكمل لأدوار المؤسّسات الرسمية، ويحيون المبادرات الخاصة في النهوض بالثقافة انطلاقاً من الإيمان بالمسؤولية الاجتماعية والثقافيّة لرأس المال.

وإذ يشكرون مؤسّسة الفكر العربي التي استضافت أعمال هذا اللّقاء ولجهود ومبادرات رئيسها صاحب السموّ الملكي الأمير خالد الفيصل صاحب مبادرة الدعوة لعقد قمة ثقافيّة عربيّة.

فإنهم يوصون في ختام لقائهم بما يلي:

أولاً: على صعيد جهود إنقاذ اللّغة العربيّة:

بصفة عامة

1. وضع الخطط الكفيلة واتّخاذ القرارات اللازمة بهدف:

أ. تشخيص أوضاع اللّغة العربيّة بتعيين المشكلات ونقاط الضعف التي تعاني منها، وتحديد أسبابها، والتعرف إلى التحديات التي تواجهها.

ب. توفير معلومات ومعطيات وإحصاءات تتيح التعرف إلى أوضاع اللّغة العربيّة على صعيد كلّ بلد عربي على حدة، وعلى صعيد العالم العربي كله.

ج. تخصيص ملف للّغة العربيّة في التقرير السنوي الذي تعدّه مؤسّسة الفكر العربي.

د. دعوة كلّ المؤسّسات العربيّة لأن تكون مؤتمراتها كلّها، بما فيها مؤتمرات الشباب، باللّغة العربيّة.

في الإطارين الدستوري والقانوني

1. تفعيل المواد المتعلقة باللّغة العربيّة في الدساتير، أو النظم الأساسية للحكم العربيّة، التي تنصّ على أن اللّغة العربيّة الفصحى هي اللّغة الرسمية للبلدان العربيّة، وذلك بإصدار الأنظمة والتشريعات التي تحمي اللّغة العربيّة وتعزّز مكانتها في جميع المجالات.
2. إقرار سياسة لغويّة واضحة لدعم اللّغة العربيّة، على الصعيدين الرسمي والشعبي، وبصورة خاصة في قطاعات التعليم والاقتصاد والإعلام والتقانة.
3. إنشاء مجلس أعلى للّغة العربيّة، يرتبط مباشرة بالقمة العربيّة، يتولّى دراسة أوضاع اللّغة العربيّة في البلدان العربيّة، ورسم السياسات والاستراتيجيات ومتابعة تنفيذها. ويكون له فروع في كلّ بلد عربي.

التعليم

1. اعتماد اللّغة العربيّة لغة للتدريس والبيئة التعليميّة والبحث العلميّ، في مختلف مراحل التعليم، مع العناية بتعليم اللّغات الأخرى.
2. حثّ وزارات التربية والتعليم في البلدان العربيّة على:
   - إعداد مدرّسي اللّغة العربيّة إعداداً ملائماً.
   - تطوير مناهج اللّغة العربيّة.
3. تجديد طرائق تدريس اللّغة العربيّة وتقويمها، واستخدام الوسائل التقنية الحديثة في ذلك.
4. تحديث كتب تدريس اللّغة العربيّة، وكتب المطالعة الحرّة، على صعيدي المحتوى والإخراج.
5. إعداد اختبارات قياس كفاءة تلاميذ المدارس وطلاب الجامعات في اللّغة العربيّة، بناءً على مؤشرات ومعايير مشتركة.
6. إنشاء مراكز لنشر اللّغة العربيّة في مختلف البلدان الأجنبية.
7. دعم برامج تعليم اللّغة العربيّة للناطقين بغيرها من اللّغات.

في مجالي السوق والاقتصاد

1. حثّ وزراء العمل والمال والاقتصاد والتجارة على إبرام الاتفاقيات والعقود والمعاملات التجارية باللّغة العربيّة.
2. اعتماد معرفة العربيّة الفصحى معياراً رئيساً من معايير التوظيف.
3. تطوير المحتوى العربي على الإنترنت.
4. منع نشر الإعلانات المكتوبة باللّهجات العاميّة.
5. منع اللافتات التجارية المكتوبة بلغة أجنبية سواء كانت بحروف عربيّة أم أجنبية، ما عدا العلامات التجارية العالمية، وفي هذه الحالة تُكتب المحتويات باللّغة العربيّة الفصحى، وبحجم أكبر من حجم الحروف الأجنبية.

في مجال الإعلام

1. حثّ وسائل الإعلام المختلفة، المقروءة والمسموعة والمرئية، على تعزيز العلاقة بين اللّغة والهويّة.
2. التأكيد على توسيع نطاق استخدام اللّغة العربيّة الفصحى في وسائل الإعلام

المقروءة والمسموعة والمرئيّة.

3. الحرص على أن يكون ما يقدّم باللّغة العربيّة حيّاً ومشوّقاً.
4. تشجيع إنتاج المواد والبرامج الإعلامية المعدّة باللّغة العربيّة الفصحى.
5. تشجيع إنتاج البرامج المشتركة بين البلدان العربيّة، وتسهيل تبادلها.
6. اشتراط إجادة اللّغة العربيّة الفصحى في مَن يتقدّمون لشغل وظائف التحرير والتقديم في وسائل الإعلام المختلفة.

تنظيم دورات تأهيل لرفع مستوى كفاءة العاملين في وسائل الإعلام، في اللّغة العربيّة الفصحى.

ثانياً: حماية التراث

1. تأسيس مركز عربي لصيانة التراث وحمايته بهدف رصد وحصر كلّ أشكال التراث المادي وغير المادي في الدول العربيّة.
2. إنشاء قاعدة بيانات إلكترونية باللّغة العربيّة واللّغات الرئيسة الرسمية المتداولة في المنظمات الدولية.
3. التثقيف والتوعية بأهمية المحافظة على التراث بأنواعه وأشكاله كافة، خصوصاً لطلبة المدارس والجامعات.
4. استرداد ما تمّ فقده من الكنوز العربيّة بالتنسيق مع الجهات المعنية.
5. إجراء الدراسات والبحوث الخاصة بمختلف عناصر التراث الثقافي.
6. بناء القدرات البشرية التي تستوجبها مستحقات التراث.

ثالثاً: على صعيد دعم الإبداع وحماية الملكية الفكرية

1. ضرورة تحديث القوانين التي ترعى انتشار الثقافة وحماية حقوق المبدع مالياً وفكرياً وأخلاقياً والعمل على تحقيق مواءمة التشريعات الوطنية العربيّة مع الاتفاقيات الدولية الخاصة بحماية الملكية الفكرية.
2. إنشاء مرجعية عليا تكون قراراتها سريعة ونافذة وموازية في تعويضاتها للجرم المرتكب.
3. مكافحة السطو المنتشر بتشكيل لجنة قانونية لصياغة قواعد تحمي المبدع أو المنتج الفكري، ولجنة لتلقّي الشكاوى على المستوى العربي يرفدها صندوق دعم لتسهيل إحالة القضايا على القضاء وتعزيز الجانب الأخلاقي معاً.
4. إنشاء هيئة تحكيم عربيّة تنظر بسرعة في النزاعات المتعلقة بانتهاكات الملكية الفكرية تعتمد إجراءات أكثر تبسيطاً وسرعة من تلك التي تتيحها الإجراءات القضائية المعمول بها في المحاكم.
5. تعميم قوانين الملكية الفكرية في مختلف الدول العربيّة.
6. مأسسة حماية الملكية الفكرية وجعلها نافذة عملية بوصفها جزءاً من العمل العربي المشترك.
7. تعزيز الحريات العامة والحقوق الأساسية، رفع مستوى التعليم والقضاء على الأمية.
8. إيجاد هيئة معنويّة ترقب وترصد باسم المبدعين والمثقفين ما يحدث، وتكون جسراً بين مَن انتُهكت حقوقه والقضاء، أي تكوين مرصد أهلي عربي موحّد لحماية المثقف يحظى بدعم الحكومات.
9. تشجيع وتسهيل انتقال وتبادل المنتج الإبداعي الفكري، بما يتطلبه ذلك من عدم إعاقة تدفّق المنتجات الفكرية، ورفع القيود الجمركية وغيرها، وتخصيص مبالغ دعم للإبداع العربي مالياً.
10. خلق سوق حية للفنون العربيّة ومهرجانات سنوية يمولها صندوق دعم، وإنشاء مركز ثقافي عربي ذي فروع دولية أسوة بالمركز الثقافي البريطاني والفرنسي والأميركي والألماني إلخ.
11. ضرورة إنشاء صندوق لحماية الإبداع والمبدعين تكون له فروع في كلّ العواصم العربيّة مع المتابعة القانونية لردع القرصنة بكلّ أشكالها.

رابعاً: على صعيد رعاية ثقافة الطفل والشباب

ثقافة الطفل:

1. ضرورة تشكيل هيئة عربيّة مرجعية عليا خاصة بتنمية ثقافة الطفل العربي تضم ممثلين عن المجالس والهيئات المعنية بالطفولة في كلّ بلد عربي وممثلين عن الجمعيات الأهلية المعنية ومتخصّصين في ميادين أدب الأطفال والتربية وعلم النفس وعلم الاجتماع والعلوم والفنون مهمتها صياغة معايير علمية أساسية في عملية التنمية الثقافيّة الخاصة بالطفل، وإيجاد آليات تحفيز للإبداع.
2. تأسيس مراكز بحوث علمية خاصة بالنتاج المعرفي والفنّي الموجّه للطفل على مساحة الوطن العربي مهمتها إنجاز دراسات نظرية وميدانية واستطلاعية تهدف إلى قياس وتحديد احتياجات الطفل النفسيّة والاجتماعيّة والمعرفيّة والفنّية وتقويم النتائج الموجهة للطفل، وتصدر هذه المراكز تقريراً سنوياً موحداً للتنمية الثقافيّة للطفل.
3. تبنّي قضايا التنمية الثقافيّة للطفل في جميع أبعادها في الاستراتيجيات الوطنية للتنمية.
4. إيجاد شبكة تواصل إلكترونية وورقية بين الأطفال العرب من خلال تنظيم ملتقيات وورش عمل ثقافيّة فنّية مشتركة بين الأطفال على المستوى العربي والعالمي، وإنشاء موقع ثقافي تربوي تفاعلي على شبكة الإنترنت بإشراف متخصّصين يعتمد اللّغة العربيّة الفصحى في منتوجه الثقافي والفنّي.
5. تعميق وتوسيع تجربة إنشاء برلمانات عربيّة للطفل، تمكّنه من تنمية ثقته بنفسه، والارتقاء بقدراته على التعبير والحوار، والتعامل مع الرأي الآخر، وممارسة الديمقراطية والإسهام في تقدّم مجتمعه.
6. إعادة النظر في المناهج التعليميّة، بحيث تحفز الفكر الإبداعي والنقدي والفضول المعرفي لدى الطفل.
7. تعزيز الشعور بالانتماء إلى الهوية الثقافيّة العربيّة بما لا يتناقض مع الانفتاح على الثقافات الإنسانية الأخرى.
8. دعم تأليف موسوعات ومعاجم مبسطة وممتعة، ورقية وإلكترونية، تغطّي جميع مجالات العلوم والفنون والآداب.
9. تنمية مهارات الأطفال العلمية والفنّية والإبداعية للتعامل مع تقنيات العصر.
10. نشر ثقافة العمل التطوعي بين الأطفال، من خلال تعميم برامج الخدمة الاجتماعية في المدارس كجزء من متطلّبات النجاح وتشجيع النتاج الثقافي والمبادرات المتوجهة للأطفال ذوي الحاجات الخاصة.
11. تشجيع اكتشاف مواهب الأطفال الأدبية والإبداعية ودعمها ليصبح الطفل صانعاً للثقافة وليس متلقّياً لها فحسب.
12. وضع خطة لتشجيع المطالعة لدى الأطفال باعتماد وسائل متطوّرة، وتخصيص ساعة للمطالعة والقراءة من ضمن برنامجها وتفعيل المكتبات المدرسية وتدريب القائمين عليها.
13. اعتماد خطة استراتيجية للنهوض بالمسرح المدرسي كأحد الركائز المهمّة في تنمية مهارات الطفل، من خلال إدراج المسرح كمادة علمية في المناهج الدراسية وتفعيل المسرح المدرسي وتأسيس المهرجانات المسرحية المدرسية الوطنية وصولاً إلى المهرجان العربي



للمسرح المدرسي، وذلك بالتعاون مع الهيئة العربيّة للمسرح.

14. تشجيع تخصيص صفحة للأطفال في الجرائد اليومية.

15. إقامة معرض عربي سنوي للنتاج الثقافي للأطفال، وتكريم المبدعين، وتوزيع جوائز سنوية للنتاج الأفضل لذلك العام.

16. تشجيع ترجمة كتب الأطفال واختيار الجيد من الكتب العالمية بما يتوافق مع القيم العربيّة والإنسانية.

17. توخي التوازن بين الطابع العلمي والأدبي في الكتابة للأطفال والتركيز على أهمية الخيال العلمي.

ثقافة الشباب:

1 – ضرورة قيام ورش ثقافيّة عربيّة تجمع الشباب العرب حول موضوعات محدّدة لتعزيز الشعور بالانتماء القومي وتشجيع الحوار وتبادل التجارب.

2 – تأسيس حملات "أنا اقرأ" لتشجيع الشباب على القراءة والمطالعة تنظم في وقت واحد في سائر البلدان العربيّة ويتمّ فيها تنظيم معارض متنقلة بأسعار رمزية.

3– العمل على توجيه الشباب في اتجاه تعلّم أشكال التعبير الفنّي وإنتاج الأعمال الإبداعية التي تساعد على إيجاد فرص عمل وامتصاص العنف وحلّ المشكلات الناجمة عن البطالة والضياع.

4 – تبنّي قضايا التنمية الثقافيّة للشباب في مختلف أبعادها في الاستراتيجيات الوطنية للتنمية.

5– ايجاد شبكة تواصل إلكترونيّة وورقيّة بين الشباب العرب من خلال تنظيم ملتقيات وورش عمل ثقافيّة فنّية مشتركة بين الشباب على المستوى العربي والعالمي.

6 – تعميق وتوسيع تجربة إنشاء برلمانات عربيّة للشباب، تمكّنه من تنمية ثقته بنفسه، والارتقاء بقدراته على التعبير والحوار والتعامل مع الرأي الآخر، وممارسة الديمقراطية والإسهام في تقدّم مجتمعه.

7 – تخصيص مساحات أكبر للشباب في وسائل الإعلام.

8 – إنشاء صندوق يدعم الكتّاب والباحثين والمفكرين الشباب بغية تسليط الضوء على مواهبهم وقدراتهم.

9 – التوسّع في تأسيس نواد ثقافيّة فنية للشباب للارتقاء بمعارفهم وتطوير مواهبهم وتحقيق التواصل بين الفئات الشابة.

خامساً: على صعيد إعلاء القيم الإنسانية وحوار الثقافات

1. إنشاء مؤسّسة لتدريب الشباب على الحوار وجدوى القيم انطلاقاً من أن الحفاظ على القيم مسؤولية أساسية من مسؤوليات الدولة ويجب رعاية ذلك والعمل على تحقيقه.
2. العمل على وضع معجم موسوعي عربي لتحديد سلم القيم النظرية الإنسانية (العقلية) والدينية لتكون مرجعاً أساساً في برامج التعليم ولفئات المجتمع كافة.
3. تأسيس وقفيات وطنية في جميع الدول لدعم مؤسّسات المجتمع المدني، ومراكز البحوث التي تعمل على الحفاظ على القيم المجتمعية والوطنية لضمان الدعم الدائم.
4. ضرورة التعاون بين المؤسّسات الدينية والمؤسّسات المدنية بغية تعزيز القيم المدنية والدينية وإيجاد توازن بينها.
5. العمل على جعل منظومة القيم المجتمعية والوطنية جزءاً من مناهج المراحل الدراسية.
6. إنشاء معهد عربي لحوار الحضارات.
7. العمل على وضع آلية للحوار بين القيادة السياسية ومثقفي ومفكري الوطن بشكل دوري لتحقيق تعاون مشترك لخدمة الوطن.
8. إدراج قيم احترام التعدّدية والتنوّع وحقّ الاختلاف داخل المجتمعات العربيّة في المناهج التربوية والأنشطة الإعلاميّة، انطلاقاً من اعتبارها مصدر غنى وليس مصدر أزمات.
9. أهمية فتح قنوات حوار معمّق مع الثقافات الآسيوية التي أقامت معها الثقافة العربيّة تاريخاً طويلاً من التفاعل الثقافي. وقد نجحت الدول الآسيوية في إقامة التوازن الثقافي بين الأصالة والمعاصرة. وهناك دروس مستفادة في هذا المجال.

سادساً: دعم المحتوى الرقمي العربي على شبكة الإنترنت

انطلاقاً من العلاقة الوثيقة بين المحتوى العربي الرقمي والتنمية المستدامة على المستويات كافة وإدراكاً للتغيرات النوعية المتسارعة لثقافة مجتمع المعرفة، ناقش المجتمعون قضايا المحتوى العربي الرقمي على شبكة الإنترنت وكان الاتفاق على التوصيات التالية:

1. إدراكاً لطبيعة الإنترنت القائمة على حرية تداول المعلومات والبيانات والآراء، يؤكد المجتمعون على أهمية عدم وضع أيّ قيود محلية أو دولية تؤثر على ذلك.
2. وضع سياسات عربيّة رشيدة ومتوازنة للتعامل مع الشركات العالمية في تكنولوجيا المعلومات بهدف ضمان الإسهام العربي الفعال في صناعة المحتوى الرقمي.
3. التأكيد على أهمية توحيد قوانين الملكية الفكرية الواجب تطبيقها في العالم العربي بشكل لا يعيق إثراء المحتوى العربي على الإنترنت، وسدّ الفجوة في تشريعات الإنترنت بشكل يضمن الحفاظ على الخصوصية الفرديّة، ولا يتعارض مع حرية التعبير والنشر وتبادل المعلومات.
4. الشروع في الحفاظ على الذاكرة العربيّة الرقمية عن طريق أرشفة المخزون العربي الرقمي وتوثيقه.
5. رأب الفجوة الرقمية المتفاقمة للّغة العربيّة واعتبارها اللّغة الأساس لصناعة المحتوى الرقمي العربي بأقصى استغلال لإمكانات حوسبتها التي تتيحها تكنولوجيا المعلومات والاتصالات في ذلك.

سابعاً: السوق الثقافيّة العربيّة

1. العمل على مراجعة الوثائق المتصلة بالعمل الثقافي العربي المشترك كافة، وتحديثها وتفعيلها.
2. تنفيذ القرارات الخاصة بالاتفاقيات الثقافيّة العربيّة، وزيادة الموارد المخصّصة للثقافة في كلّ قطر عربي.
3. إنشاء مركز معلومات للإنتاج الثقافي العربي والصناعات والخدمات المتصلة به.
4. إنشاء صندوق للتنمية الثقافيّة يدعم الإنتاج الثقافي، ويشجّع على الاستثمار في الصناعات والخدمات الثقافيّة.
5. إنشاء مصارف عربيّة متخصّصة تعمل على دعم الاستثمار في الصناعات الثقافيّة وفق معايير الجودة.
6. تأسيس شركات عربيّة للتوزيع، برأسمال أهلي، وتوجيه الأقطار العربيّة نحو إصدار تشريعات تسهم في تعزيز الاستثمار في هذا المجال.
7. إعطاء معاملة تفضيلية لصناعة الكتاب في الوطن العربي من خلال التشريعات الضريبية والجمركية، مع اهتمام خاص بصناعة الكتاب الرقمي، والاهتمام برقمنة كتب التراث العربي ونشرها في هذا الوعاء الإلكتروني.
8. إقامة صناعة عربيّة للورق برأس مال مشترك، كجزء من حماية الأمن الثقافي العربي.



9. دعم صناعة السينما وأنواع الإنتاج الفني الأخرى، مع تشجيع الاستثمار في هذا المجال، وتقديم التسهيلات والحماية اللازمة له.

10. إنشاء مراكز تحديث وتطوير للصناعات الثقافيّة في الأقطار العربيّة، وذلك لبناء القدرات الذاتية للمؤسّسات العاملة في هذا المجال، بالتركيز على التدريب والاستشارات ونقل الخبرات.

11. تنقية التشريعات الوطنيّة، خصوصاً في مجاليّ الضرائب والجمارك، من كلّ ما يعوق مسيرة النتاج الثقافي.

12. العمل على تحفيز الوظيفة الثقافيّة لرأس المال الخاص، ومؤسّسات المجتمع المدني، لتوجيه جزء من استثماراتهم وجهودهم نحو المجال الثقافي.

13. دعوة ممثلين للقطاعات الفنّية المختلفة وقطاعات الإنتاج والتوزيع وأشكال الأداء الفنّي الأخرى، للمشاركة في اللّقائين المقبلين، إعداداً للقمة الثقافيّة، نظراً لدورهم ومسؤولياتهم فيها.

ثامناً: على صعيد دعم حركة الترجمة وترشيدها

1. اقتراح تأسيس "هيئة عربيّة للترجمة والنشر" مرتبطة بالمنظمة العربيّة للتربية والثقافة والعلوم تمثّل فيها كلّ الدول العربيّة، وأهم مراكز الترجمة والمؤسّسات الأكاديمية ودور النشر العربيّة، ونخبة من الخبراء المختصين، وتوكل إليها مهمة الإشراف على ترجمة أهم الأعمال الإنسانية، من العربيّة وإليها، وفق الخطوات الإجرائية المقترحة التالية:
   - تشكيل لجنة تبلور المقترح وتصوغ الركائز والأهداف والأولويات والاستراتيجيات وآليات التنفيذ، توطئة لعرض ما تخلص إليه على القمة الثقافيّة المزمع عقدها.
   - عقد ندوة تطرح فيها فكرة المشروع، يستضاف على منبرها مديرو مراكز ومؤسّسات الترجمة القطرية العامة والخاصة، وعدد من أبرز المترجمين العرب، وممثلون عن أهم دور النشر العربيّة والعالمية، بحيث تناقش فيها قضايا من قبيل: أولويات الترجمة، معايير التقييم، البنية الإدارية المقترحة للهيئة، علاقة الهيئة بمراكز ودور الترجمة القطرية، مصادر التمويل، وما إلى ذلك من مسائل تأسيسية وإجرائية.
   - تقصّي تجارب مراكز الترجمة القطرية، والإفادة منها في وضع الهيكلية والأهداف المناسبة للهيئة المقترحة.
   - الإفادة من تجارب أمم أخرى أحرزت تقدماً لافتاً في مجال الترجمة.
   - الإشراف على مؤتمرات وندوات دورية تناقش ما يسهم في تطوير حركة الترجمة من العربيّة وإليها.

2. يكون من مهام الهيئة العربيّة للترجمة والنشر تحقيق مايلي:
   - نشر الوعي بأهمية الترجمة في إثراء الثقافة العربيّة.
   - إيلاء اهتمام خاص بتوطين الثقافة العلمية عبر ترجمة أعمال حديثة في العلوم الطبيعية والإنسانية.
   - إنشاء قاعدة بيانات ترصد كلّ ما ترجم من العربيّة وإليها.
   - تصنيف الأعمال المترجمة وفق الحقول المعرفية والإبداعية، وإبراز المجالات الأدنى نصيباً، والأدعى بأن تحظى بأولوية الترجمة.
   - وضع معايير جودة خاصة بالترجمة، واعتماد مؤسّسات ومراكز الترجمة القطرية وفق هذه المعايير.
   - وضع خطط زمنية للترجمة.

3. دعم الشراكة بين الهيئة ومراكز الترجمة ودور النشر، عبر الإسهام في تمويل عمليات الترجمة والنشر التي تقوم بها المؤسّسات التي تستجيب لخطط الهيئة.

4. الإسهام في تعزيز معاهد وكليات وأقسام الترجمة في أرجاء الوطن العربي.

5. مخاطبة المؤسّسات التعليمية والأكاديمية والمراكز البحثية والمراكز الفكرية والثقافيّة بشأن الأعمال التي توصي بترجمتها.

6. عقد دورات وورش عمل تثقيفية وتدريبية تنمّي مهارات المترجمين العرب.

7. دعم جمعيات الترجمة العربيّة القائمة والحضّ على إنشاء المزيد منها.

8. الاهتمام بدراسة اللّغات القديمة بحسبان ندرة المترجمين منها.

9. الدفاع عن حقوق المترجمين، وضبط لائحة أخلاقيات مهنة الترجمة وترسيخها.

10. ترسيخ أعراف وتقاليد خاصة بمهنة الترجمة، ووضع قواعد طباعة ضابطة، والعمل على توحيد الأساليب التيبوغرافية.

11. عقد اتفاقات وإرساء شراكات مع دور نشر عالمية لترجمة سلاسل ثقافيّة وعلمية ومعاجم وموسوعات عامة وتخصّصية.

الحصاد

ملحق رقم (4)

موضوعات أنشطة تناولت قضايا عربيّة[1]

لبنان

المعرفيّ والايديولوجيّ في الفكر العربي المعاصر	القدس والمسجد الأقصى المبارك
الحركات السلفية في المغرب	فلسطينيو 48 وصراع البقاء ضدّ إرادة المحتلّ
يهودية دولة إسرائيل	تكريم فنّانين فلسطينيّين
حركة الاستيطان غير شرعية وعقبة في طريق السلام	الحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافيّة للفلسطينيين في لبنان: واقع ومرتجى

سورية

العلمانية في المشرق العربي	اللّغة العربيّة استمراريّة ووجود
اللّغة العربيّة ودورها في التأصيل الثقافي	الإعلام الدولي وانعكاساته على الواقع العربي
الثقافة العربيّة والتلوّث الثقافي	العرب ومواجهة التحديات المعرفيّة في القرن الحادي والعشرين
القدس في الخطاب السياسي الإسرائيلي	الشباب ودورهم في بناء المجتمع
الشرق في عيون الغرب	التراث العربي الإسلامي في مجال الفكر التربوي
المخدرات وأثرها على الشباب والمجتمع	إشكاليّة المرأة العربيّة بين الجسد والعقل
خطر انتشار العاميّة في وسائل الإعلام	تمكين اللّغة العربيّة
اللّغة العربيّة واقعاً وآفاقاً	اللّغة بين الموهبة والإبداع
تمكين اللّغة العربيّة	حوارات شبابيّة عن اللّغة العربيّة
تمكين اللّغة العربيّة	الوظيفة التربويّة للّغة العربيّة في عصر المعلومات
اللّغة العربيّة وهمومها.. إمكانيات البقاء ومسوغات الهجوم	الملتقى الثاني للتواصل الثقافي بين مشرق الأمة العربيّة ومغربها
تمكين اللّغة العربيّة	المشروع النهضوي العربي..اللّغة مرتكزاً

1 – تكرّر بعض العناوين نظراً لاختلاف التواريخ، أو المدن التي تمّ فيها موضوع النشاط، من ذلك مثلاً موضوع "تمكين اللّغة العربيّة" وما شابه.



سورية

آفاق تربويّة حول تمكين اللّغة العربيّة	آثار العراق بعد سبع سنوات من الاحتلال
الواقع العربي وآفاق المستقبل	سلطة النموذج في الفكر العربي
النهضة العربيّة والأندلس	قراءة في تقرير التنمية الإنسانية لعام 2009
اللّغة العربيّة بين الواقع والمأمول	الكتاب..أزمة نشر أم أزمة قراءة؟
لغتنا العربيّة على مشارف القرن الحادي والعشرين	

مصر

عالم يتشكّل من جديد.. أين دور العرب؟"	نموذج محاكاة جامعة الدول العربيّة 2010
منتدى الشباب العربي في الإسكندرية	العقل العربي ومجتمع المعرفة"(13/ 1/ 2010)
الوباء بين العلم والخرافة(4/2/2010)	الحرف التراثيّة التقليديّة تصوّرات ومفاهيم
الحكي الشعبي والمرأة: قيم ذكورية أم قيم أنثوية	تعارف الحضارات
مستقبل العمل الإسلامي المشترك (7/2/2010)	ملتقى قادة الإعلام العربي
الشباب وظاهرة العنف	مفهوم الخلاص في المسيحيّة والإسلام
الفلك بين العلم والدين	العقل العربي ومجتمع المعرفة
الثقافة العربيّة خلال عام ونصف	العنوسة..قنبلة موقوتة تهدّد مجتمعاتنا
مفهوم الخلاص بين الإسلام والمسيحيّة	الإسلام والحضارة الغربية
فلسفة التغيير	الرضا عن الذات
تجديد الخطاب الديني بين الواقع والمأمول	انتماؤنا من تاريخنا
أهمية المناخ الداعم لتمكين المرأة في المجتمع	الشبكات الاجتماعيّة والصحافة
التنشئة العلميّة من أهم أدوات النهضة بالعلوم	الانتماء إلى العروبة: الواقع والمأمول
الأندلسيّون في الشرق..من غرناطة الحمراء إلى القاهرة الزهراء	مبادرات في التعليم والعلوم والثقافة لتنمية التعاون بين أميركا والدول الإسلاميّة
كبار السنّ مفتاح السعادة	الإعجاز العلمي بين الرواية الإيمانية والدوافع العلميّة
التراث المعماري والانتماء	دور الزكاة في تحقيق التنمية

مصر

الشبكات الاجتماعيّة والصحافة	الشباب والزواج: أزمة زواج الشباب
مستقبل الطاقة النووية والأمن العربي	البدو في الوطن العربي عبر العصور
النشر العربي من أول وجديد	

السعوديّة

المثقف والسلطة	الرواية والسياسة
المستشرقون والشعر العربي	الأدب العربي في السنغال
طه حسين وحركة التنوير	فرنسا.. والإسلام في دراسات المفكرين الفرنسين المعاصرين
مساهمة السنغال في الحضارة العربيّة	الأزمة المالية العالمية والاقتصاديات الوطنية 2010
ازدهار الاقتصاد الإسلامي وتهافت الاقتصاد العالمي	القدس في ضمير العالم الحقّ.. التاريخ.. السلام
الإعلام السياسي في العالم العربي بين الحرية والمسؤولية	السلفية.. المفهوم ـ المراحل ـ التحوّلات

الكويت

إشكالية النصّ المسرحي	الإبداع والانتشار
القدس في السينما	الواقعة التاريخيّة بين التحقيق التاريخي والتأليف الروائي
الشباب والمسرح	الثقافة العربيّة في ظلّ وسائط الاتصال الحديثة
مبدعون فقدناهم	لماذا قمّة عربيّة للثقافة؟
تجربتي في الرواية	

تونس

حوسبة اللّغة العربيّة وحوسبة الترجمة	الشباب ثقافة



الإمارات

العرب بين ثقافة العولمة وعولمة الثقافة	المؤتمر السابع لاتحاد الناشرين الدولي لحقوق النشر
حرية التفكير في العالم العربي	المرأة العربيّة ومتطلبات التنمية
الكثافة السكانية في العالم العربي: نعمة أم نقمة؟	جودة التعليم: كلام بلا فعل؟
هل يكره العرب بعضهم بعضاً؟	الاستثمارات العربيّة في الإعلام: تنافس أم تكامل؟
الثقافة العربيّة.. المستقبل والتحديات	أين حرية الإبداع والابتكار في العالم العربي؟
المسلمون في أوروبا بين التهميش والاندماج	الفقر والأمن القومي العربي
العرب بين ثقافة العولمة وعولمة الثقافة	الشباب العربي: هل هم طاقة إيجابية أم خطر على المنطقة؟
الشفافية والمساءلة في الوطن العربي	

المغرب

المسجد في المدينة: الهندسة الإسلاميّة في أوروبا	التفكير في المؤنث
الرقمنة بين المحافظة والتثمين	نحن والأزمة الاقتصادية العالمية
الترجمة كفعل ثقافي تواصلي	هل من كتابة جديدة للأجيال الجديدة؟
التحوّلات الأدبية في العصر الرقمي	الفلسفة اليوم بين الحاجة إليها وصعوبات الفعل والتأثير؟
دور المدونات والأرشيف في صيانة الذاكرة	المثقفون اليوم: وضعهم وتأثيرهم
الترجمة وسؤال الأصل	مساءلة الإسلامولوجيّين الجدد
الهيئة الحقوقيّة للإسلام في أوروبا	الإسلام السياسي ومأسسة الديمقراطية
وضع اللّغة العربيّة اليوم	

ملحق رقم (5)

موضوعات (الدوريات) المرتبطة بقضايا عالميّة

اقتصاد وتنمية: "اقتصاد القرن الحادي والعشرين/ آفاق اقتصادية – اجتماعية لعالم متغير" (المستقبل العربي، العدد 371 كانون الثاني/ يناير 2010، "التنوّع الحيوي والتنمية المستدامة والغذاء (عالمياً وعربياً)" (المستقبل العربي، العدد 373 آذار/ مارس 2010)، "تكنولوجيا النانو.. وآثارها الاقتصادية والاجتماعية على المجتمع العالمي" (العربي، تموز/ يوليو 2010، العدد 620)، "الزلازل لا تقتل سوى الفقراء" (العربي، أيار/ مايو 2010، العدد618)، "توظيف رأس المال الاجتماعي.." (العربي، شباط/ فبراير 2010، العدد 615)، "قمة كوبنهاجن.. صفقة اللّحظة الأخيرة لم تتضمّن أيّ تعهدات ملزمة"(العربي، آذار/ مارس 2010، العدد 616)، "الرياضة.. بين التنمية والتجارة" (العربي، نيسان/ أبريل 2010، العدد 617)، "كوبنهاجن – ميونيخ.. القرن الحادي والعشرين" (العربي، حزيران/ يونيو 2010، العدد 619)، "التنوّع الحيوي عند نقطة اللاعودة"(العربي، آب/أغسطس 2010، العدد621)، "الأزمة المالية بمنطق اقتصادي" (المستقبل العربي، العدد 374 نيسان/ أبريل 2010).

العلاقات الدوليّة وسياسات الولايات المتّحدة: "أوروبا من أجل المتوسط: من مؤتمر برشلونة إلى قمة باريس (1995 – 2008)" (المستقبل العربي، العدد 372 شباط/ فبراير 2010)، "تكيّف المنظور الواقعي للعلاقات الدولية مع التحوّلات الدولية لما بعد الحرب الباردة"(المستقبل العربي، العدد 376 حزيران/ يونيو 2010)، "الصراع على آسيا الوسطى..قديم يتجدّد" (آفاق المستقبل، آذار/ نيسان–مارس/ أبريل 2010، العدد 4)، تحوّلات في الحركة الصهيونيّة حول العالم" (آفاق المستقبل، تموز/ آب– يوليو/أغسطس 2010، العدد 6)، "سياسة الولايات المتّحدة تجاه الشرق الأوسط في حقبة أوباما: هل هي نقطة تحول؟" (المستقبل العربي، العدد 373 آذار/ مارس 2010)، "أميركا، إلى المافيا... سيِري!" (الآداب، العدد 1–2–3/ 2010)، "أميركا بين عهدين" (الهلال، آب / أغسطس 2010، العدد 118)، تهافت الحضارة الغربيّة" (الهلال، كانون الأول / ديسمبر 2010، العدد 119)، "النسر وغصن الزيتون والحلم: تغيّر تصورات العالم لأميركا" (الثقافة الجديدة، تشرين الثاني/ نوفمبر 2010، العدد 242)، "في العلة الثقافيّة لنشوء الإمبراطورية الأميركية" (المعرفة، شباط/ فبراير 2010، العدد 557)، "تغطيات إعلاميّة أميركية تؤجج الكراهية" (آفاق المستقبل، تشرين الثاني/ كانون الأول– نوفمبر/ ديسمبر 2010، العدد 8)، "إشكالية "هل تعود الحروب الصليبيّة مجدّداً؟" (تشرين الثاني/ نوفمبر 2010، العدد 119)،"

المستقبل العالمي في ضوء العولمة: "اللّيبرالية وحدود العدالة (المستقبل العربي، العدد 374 نيسان/ أبريل 2010)، "تحوّلات الأمم والمستقبل العالمي" (الهلال، نيسان/أبريل 2010، العدد 118)، "استشراف آفاق المستقبل" (المعرفة، نيسان/أبريل 2010، العدد 559)، "هل انتهى عصر الخيال العلمي؟"(العربي، تشرين الأول/ أكتوبر2010، العدد 623)، "عصر التطلعات" (العربي، أيلول/ سبتمبر 2010، العدد 622)، "نوعية الحياة وتحدّيات المستقبل")العربي، كانون الأول/ ديسمبر 2010، العدد 626)، "كيف تؤثّر العولمة في الهوية والقطبيّة؟" (آفاق المستقبل، أيلول/ تشرين الأول– سبتمبر/ أكتوبر 2010، العدد 7)، "العولمة عديمة القطبيّة والإنترنت عديمة المسؤولية" (آفاق المستقبل، أيلول/ تشرين الأول– سبتمبر/ أكتوبر 2010، العدد 7)، "تحوّلات المنظمات الدولية وموتها" (آفاق المستقبل، تشرين الثاني/ كانون الأول – نوفمبر/ ديسمبر2010، العدد8)، "الأدب المقارن والعولمة" (آفاق الثقافة والتراث، آذار/ مارس 2010، العدد 69)، "العولمة وأزماته" (المعرفة، كانون الثاني/ يناير 2010، العدد 556).

مشكلات اجتماعيّة وإشكاليات ثقافيّة في ضوء العولمة: "إشكالية التعدّدية الثقافيّة في الفكر السياسي المعاصر: جدلية الاندماج والتنوّع" (المستقبل العربي، العدد 378 آب/ أغسطس 2010)، "في إشكاليات مجتمع المعرفة" (المستقبل العربي، العدد 381 تشرين الثاني/ نوفمبر2010)، "العولمة والديمقراطية والإرهاب.." (وجهات نظر، آذار/ مارس2010، العدد 134)، "عولمة الفساد!" (وجهات نظر، تشرين الأول/ أكتوبر2010، العدد 141)، "يا عزيزي كلنا... " الرقص مع الفساد!!" (وجهات نظر، تشرين الأول/أكتوبر2010، العدد 141)، "العلاقة بين الدبلوماسيّة والإعلام..تنافس أم تكامل؟!" (الهلال، تشرين الأول/ أكتوبر 2010، العدد 119)، "أطروحة حوار الحضارات والانفتاح على ذاتيات الآخر" (المعرفة، كانون الثاني/ يناير 2010، العدد 556)، "الهويات الأصولية في زمن العولمة"(المعرفة، شباط/ فبراير 2010، العدد 557)، "المعارض الدولية" (القافلة، تشرين الثاني/ كانون الأول– نوفمبر/ ديسمبر 2010، العدد 6 المجلد 59)، "ثقافة العنف..." (العربي، كانون الثاني/ يناير2010، العدد 614)، "متاعب الدواء.. آفة عالمية تنتظر العلاج" (العربي، آذار/ مارس 2010، العدد 616)، "كأس شقراء لقارة سمراء" (العربي، حزيران/ يونيو 2010، العدد 619)، "غابات الكوكب تنحسر.. وتنوّعها الحيوي في خطر")العربي، كانون الأول/ ديسمبر 2010، العدد 626)، "جائزة الأوسكار.. تقدير فنّي في ثوب سياسي" (دبيّ الثقافيّة، تموز/ يوليو 2010، العدد 62)، "العالم يعشق كرة القدم" (دبيّ الثقافيّة، تموز/يوليو 2010، العدد 62)، "كوبنهاغن.. الجدل حول التغيّر المناخي" (آفاق المستقبل، كانون الثاني/ شباط– يناير/ فبراير 2010، العدد 3).

ملحق رقم (6)

موضوعات (دوريات) مرتبطة بقضايا الشرق الأوسط الكبير

تركيا: ملف بعنوان: "الحوار العربي – التركي" (المستقبل العربي، العدد 382، كانون الأول/ ديسمبر 2010) ويتضمّن البحوث التالية: "الخيارات الاستراتيجية للوطن العربي، وموقع تركيا منها"، "الخيارات الاستراتيجية لتركيا، إقليمياً ودولياً، وموقع الوطن العربي منها"، "وجهة نظر عربيّة في التعاون والتنسيق العربي – التركي"، "وجهة نظر عربيّة في واقع وآفاق العلاقات الاقتصادية العربيّة–التركية"، "الثابت والمتحوّل في الشرق الأوسط" (كلمن، العدد 1، خريف 2010)، "الشرق الأوسط في دوامة سوق الفهم" (كلمن، العدد 1، خريف 2010)، "التعاون العربي– التركي... إلى أين؟" (المستقبل العربي، العدد 371 كانون الثاني/ يناير 2010)، ملف خاص بتركيا (الآداب، العدد 11–12/ 2010) تضمّن الموضوعات



التالية: "الحركة النِّسْويّة في تركيا بعد 1980"، "في بعض الشؤون السياسيّة التركيّة الراهنة: حوار مع إتيين محجوبيان"، "الجيش حزباً سياسياً"، "الخوف من مواجهة التاريخ: خطوات أساسيّة على طريق المصالحة التركيّة – الأرمنيّة"، "عن الحقد المتنامي في تركيا ضدّ الأكراد"، "حزب العدالة والتنمية وبحث تركيا عن نفوذ إقليميّ"، "تركيا عثمانية جديدة؟" (وجهات نظر، نيسان/ أبريل 2010، العدد 135)، "تاريخ العرب والأتراك" (المعرفة، آذار/مارس 2010، العدد558)، "العلاقات العربيّة التركية" (المعرفة، نيسان/أبريل 2010، العدد 559)، "استانبول عاصمة الثقافة الأوروبية" (المعرفة، أيار/ مايو2010، العدد 560)، "الوحدة الحضارية بين بلاد الشام وتركيا" (المعرفة، أيلول/ سبتمبر2010، العدد 564)، "المشكلة الكرديّة.. معيار تصالح تركيا مع نفسها" (آفاق المستقبل، آذار/ نيسان– مارس/ أبريل2010، العدد4)، "مواقف العلمانيّين الإسلاميّين الأتراك حيال العرب" (آفاق المستقبل، آذار/ نيسان– مارس/ أبريل2010، العدد4)، "تركيا تخوض معارك القوّة الناعمة" (آفاق المستقبل، كانون الثاني/ شباط– يناير/ فبراير2010، العدد 3)، "العرب والانفتاح التركي.. مواقف لا موقف" (آفاق المستقبل، آذار/ نيسان– مارس/ أبريل2010، العدد4).

إسرائيل: "التصدّعات الاجتماعية وتأثيرها في النظام الحزبي الإسرائيلي" (المستقبل العربي، تشرين الأول/ أكتوبر2010، العدد380)، "أصل المخاوف.. لماذا تخشى إسرائيل إيران النووية إلى هذه الدرجة؟" (وجهات نظر، كانون الثاني/ يناير 2010، العدد 132)، "هل تجرؤ.. ألا تكون إسرائيلياً!!" (وجهات نظر، آذار/ مارس2010، العدد 134)، "إسرائيل المصنعة!" (الهلال، تشرين الثاني/نوفمبر 2010، العدد 119)، "الكيان اليهودي عنصري في الدين والسياسة" (المعرفة، شباط / فبراير 2010، العدد 557)، "التكنولوجيا الحديثة ودورها في هيكلة الاقتصاد الإسرائيلي" (المعرفة، أيار/ مايو2010، العدد 560)، "الفلسطينيّون في إسرائيل.. سياسة الأقلية الأصلية في الدولة الإثنية" (العربي، حزيران/ يونيو 2010، العدد 619)، "الدين في إسرائيل" (آفاق المستقبل، تموز/آب– يوليو/ أغسطس 2010، العدد6).

اليابان: "أصول التحديث في اليابان، 1568–1868" (المستقبل العربي، العدد 380 تشرين الأول/ أكتوبر2010)، "المنتدى المصري الياباني.. نموذج أمثل لحوار الحضارات" (الهلال، كانون الثاني/يناير 2010، العدد 118)، "مفتي الديار المصرية في اليابان" (الهلال، تموز/ يوليو2010، العدد 118)، "الحملة الفرنسية على مصر.. رؤى يابانيّة" (الهلال، أيلول/سبتمبر 2010، العدد 119).

الصين: "هل تحكم الصين العالم؟!!" (وجهات نظر، كانون الثاني/ يناير2010، العدد 132)، "المنتدى العربي الصيني" (المعرفة، أيلول/ سبتمبر2010، العدد564)، "مواجهة متخيّلة بين الصين والهند" (آفاق المستقبل، كانون الثاني/ شباط– يناير/ فبراير 2010، العدد3).

غيره: "القنوات الفضائيّة الدينية في الشرق الأوسط" (آفاق المستقبل، أيلول/ تشرين الأول– سبتمبر/أكتوبر2010، العدد 7)، "كيف السبيل إلى الخروج من أفغانستان" (المستقبل العربي، العدد 372 شباط/فبراير2010)، "الاستشراق الأمريكي..قصة العلاقات المضطربة بين أمريكا والشرق الأوسط منذ عام 1945" (وجهات نظر، حزيران/ يونيو2010، العدد137).



ملحق رقم (7)

موضوعات (دوريات) تتعلّق بمجالات ثقافيّة واجتماعيّة متنوّعة

في التقنية ومجتمع المعلومات: "عصر اللّيزر" (الهلال، كانون الثاني/يناير2010، العدد118)، "ثورة الآيباد" (وجهات نظر، آب/ أغسطس2010، العدد 139)، "شهود على الرعب في عالم «فيسبوك»" (وجهات نظر، أيار/ مايو2010، العدد136)، "معركة الصورة" (وجهات نظر، كانون الثاني/ يناير2010، العدد 132)، "الإنترنت وعولمة الخرافة" (الهلال، كانون الثاني/يناير 2010، العدد 118)، "الحاسوب والإبداعات الفكرية والأدبية" (المعرفة، شباط/ فبراير2010، العدد557)، "سحر العلم" (المعرفة، شباط/ فبراير 2010، العدد 557)، "التقنيات الذكيّة" (المعرفة، كانون الأول/ ديسمبر2010، العدد 566)، "مرحلة الفوضى التكنولوجيّة" (القافلة، كانون الثاني/ شباط– يناير/ فبراير2010، العدد 1 المجلد 59)، "أثر التكنولوجيا على أداء المخّ" (القافلة، آذار/ نيسان–مارس/ أبريل 2010، العدد 2 المجلد 59)، "التكنولوجيا الحيوية" (القافلة، أيلول/ تشرين الأول– سبتمبر/ أكتوبر2010 العدد 5 المجلد 59)، "الإدارة عن بعد" (القافلة، أيلول/تشرين الأول– سبتمبر/ أكتوبر 2010 العدد 5 المجلد 59)، "مستقبل التلفزيون" (القافلة، تشرين الثاني/ كانون الأول– نوفمبر/ديسمبر 2010، العدد 6 المجلد 59)، "النانوسمفونية القرن لقهر المرض والسرطان" (العربي، شباط/ فبراير2010، العدد615)، "الوسائط الجديدة في نقل الثقافة.." (العربي، آذار/ مارس 2010، العدد 616)، "من المدونات إلى الفيس بوك «هايد بارك» عربي على الإنترنت" (العربي، آذار/ مارس 2010، العدد 616)، "الفضاء على شاشات الكمبيوتر" (العربي، أيار/ مايو2010، العدد 618)، "الإبداع وسياسة الرقمنة" (العربي، أيار/مايو2010، العدد 618)، "اللّغة حياة .. بين اللّغْو والمبالغة" (العربي، أيار/ مايو 2010، العدد618)، "الفجوات السوداء في فضاء الإنترنت!" (العربي، حزيران/ يونيو 2010، العدد619)، "الإعلام الإلكتروني يربك المطبوع" (آفاق المستقبل، كانون الثاني/شباط– يناير/فبراير2010، العدد 3)، "مواقع إنترنتيّة سبّاقة إلى الخبر قبل الدول والمؤسّسات" (آفاق المستقبل، آذار/نيسان– مارس/أبريل 2010، العدد4)، "الإنترنت بين الهويّة الكونيّة والهويات الفرعيّة" (آفاق المستقبل، أيار/ حزيران–مايو/ يونيو2010، العدد5)، "عودة الدولة إلى الإنترنت" (آفاق المستقبل، أيار/ حزيران– مايو/ يونيو2010، العدد5).

في التعليم: "التعلّم مدى الحياة" (المعرفة، كانون الثاني/ يناير 2010، العدد 556)، "التربية في معترك الحداثة" (المعرفة، كانون الثاني/ يناير2010، العدد 556)، "التعليم العالي بين التنوّع والهوية" (وجهات نظر، أيار/مايو 2010، العدد136)، "رسالة من الجامعة" (الثقافة الجديدة، تشرين الأول/ أكتوبر 2010، العدد 241)، "الدور الإنساني للمدرسة في النظام الرأسمالي الجديد" (المعرفة، أيار/مايو2010، العدد 560)، "ذاكرة المتعلّم.. وكيف نقويها" (المعرفة، تموز/يوليو 2010، العدد562)، "الجامعات الإلكترونية ومفهوم التعليم عن بعد" (المعرفة، تشرين الأول/ أكتوبر2010، العدد565)، "مسار التعليم بين الحاضر والمستقبل" (المعرفة، تشرين الأول/

أكتوبر2010، العدد565)، "الأمن التربوي للطفل في العالم الرقمي" (المعرفة، كانون الأول/ ديسمبر2010، العدد 566)، "التعليم العالي.. حقّ يصطدم بالحاجة" (القافلة، تموز/آب – يوليو/أغسطس2010، العدد4 المجلد 59).

في النشر والصحافة: "نهاية الناشر... الذي نعرف!" (وجهات نظر، أيار/ مايو 2010، العدد136)، "الإنترنت ومجتمع الاستعراض" (الهلال، تموز / يوليو2010، العدد118)، "الإنترنت وتأثيرها على تطوّر المجتمعات" (المعرفة، حزيران/ يونيو2010، العدد 561)، "الدين والفضائيّات" (الهلال، كانون الأول/ ديسمبر2010، العدد119)، "الإنترنت.. علم العلوم في عصر مجتمع المعلومات" (المعرفة، تموز/ يوليو2010، العدد 562)، "الإعلام في عصر التقنيات والمجتمع المعلوماتي" (المعرفة، آب/أغسطس 2010، العدد563)، "الكتب الرقمية والكتب المطبوعة" (المعرفة، تشرين الثاني/ نوفمبر 2010، العدد 566)، "بين الورقي والرقمي" (القافلة، تموز/آب– يوليو/أغسطس2010، العدد 4 المجلد 59)، "صنّاع النشر يتبادلون الاتهامات" (آفاق المستقبل، أيار/حزيران– مايو/ يونيو2010، العدد5)، "أسباب انهيار المؤسّسات الصحافيّة العربيّة" (آفاق المستقبل، تموز/آب–يوليو/ أغسطس 2010، العدد 6).

في العلم ومجتمع المعرفة: "اطلبوا العلم.. كلام في السياسة!" (وجهات نظر، كانون الثاني/يناير 2010)، "لكي تظلّ الدولة " العظمى ".. عظمى... ماذا يمكن للعلم أن يفعله؟" (وجهات نظر، كانون الثاني/ يناير2010، العدد132)، "تخصّصات مختلفة.. ومعارف مختلفة.. وتحديات مختلفة" (وجهات نظر، كانون الثاني/ يناير2010، العدد 132)، "عصر العلم.." (وجهات نظر، كانون الثاني/ يناير2010، العدد 132)، "مجتمع المعرفة، كيف يمكن أن يصبح واقعاً؟" (المعرفة، آذار/ مارس2010، العدد 558)، "رؤية مضلّلة للتقدّم العلمي" (المعرفة، أيار/ مايو 2010، العدد 560)، "فلسفة الذكاء الصناعي" (المعرفة، أيار/ مايو2010، العدد 560)، "البحوث العلمية عماد التطوّر التقني والتنمية"(المعرفة، أيار/ مايو2010، العدد 560)، "القراءة الرقمية" (القافلة، أيلول/تشرين الأول– سبتمبر/ أكتوبر2010 العدد5 المجلد 59).

في الترجمة: "قضايا الترجمة من واقع تجربتي" (الهلال، أيلول/سبتمبر 2010، العدد 119)، "مقاربات في الترجمة" (المعرفة، شباط/ فبراير2010، العدد557)، "العولمة والجغرافيا الجديدة للترجمة (المعرفة، نيسان/أبريل2010، العدد 559)، "العولمة ونماذج جديدة للترجمة" (المعرفة، حزيران/يونيو 2010، العدد 561)، "المترجمون واستيراد القيم الثقافيّة" (المعرفة، كانون الأول/ ديسمبر2010، العدد 566)، "الترجمة.. قضيّة على نار..حامية؟" (القافلة، آذار/ نيسان– مارس/ أبريل 2010، العدد 2 المجلد 59)، "قضية الترجمة.. إشارات لا بدّ منها" (القافلة، أيار/ حزيران–مايو/ يونيو2010، العدد 3 المجلد 59)، "ترجمة العلوم الاجتماعية في العالم العربي" (حقول، شباط/ فبراير2010، العدد 9)، "الترجمة وسؤال الهوية الثقافيّة" (العربي، تموز/ يوليو2010، العدد620).

في التنمية الثقافيّة: "في مفهوم الثقافة السياسية ووظائفها" (المعرفة، أيار/ مايو2010، العدد 560)، "رأي.. ربما تنجح الثقافة فيما أفسدته السياسة.. بداية جديدة" (وجهات نظر، آذار/ مارس 2010، العدد 134)، "المرأة والقرار الثقافي" (المعرفة، أيار/ مايو2010، العدد 560)، "الصناعات الثقافيّة في الوطن العربي" (المعرفة، تشرين الثاني/ نوفمبر2010، العدد566)، "الثقافة الرقمية.. فقر فادح في المكتبة العربيّة وتنوّع في نظيرتها الأجنبية" (العربي، نيسان/ أبريل2010، العدد617)، "النقل من علوم ومعارف الآخرين" (العربي، أيار/ مايو 2010، العدد 618)، "صناعة المحتوى الثقافي العربي أهميتها وتحدياتها" (العربي، كانون الأول/ ديسمبر2010، العدد 626)، "المهرجانات الثقافيّة" (البيان، شباط/ فبراير2010، العدد475)، "الثقافة بين الإدارة والتكريم" (البيان، حزيران/ يونيو2010، العدد 479).

في اللّغة: لا هويّة لأمة بلا لغة" (الثقافة الجديدة، تشرين الأول/ أكتوبر 2010، العدد 241)، "حديث عن لغة الضاد" (الهلال، نيسان/أبريل2010، العدد 118)، اللّغة العربيّة والتحديات التي تواجهها" (المعرفة، آذار/ مارس2010، العدد 558)، "اللّغة العربيّة: الواقع وآفاق المستقبل" (المعرفة، آب/ أغسطس 2010، العدد563)، "اللّغة حياة.. قد يراد التجميل فيكون التشويه" (العربي، تموز/ يوليو 2010، العدد 620)، "رؤية مستقبلية لغوية للمحتوى الثقافي العربي" (العربي، تشرين الأول/ أكتوبر2010، العدد623)، "حياة اللّغة وموتها مقاربة أنتروبولوجية" (البيان، شباط/ فبراير2010، العدد475).

في البيئة: "ظاهرة الاحتباس الحراري" (المعرفة، نيسان/أبريل2010)، "الاحتباس الحراري.. بين الحلول الكبيرة" (القافلة، كانون الثاني/ شباط– يناير/ فبراير2010، العدد1 المجلد 59)، "هل الحياة تدمّر نفسها؟" (العربي، آذار/ مارس 2010، العدد 616)، "البيئة العربيّة تستغيث.. فهل من مجيب؟" (العربي، تموز/ يوليو 2010، العدد 620).

في أزمة القراءة: "أزمة أفكار.. أم مشكلة قراء" (وجهات نظر، آذار/ مارس 2010، العدد 134)، "العزوف عن القراءة" (المعرفة، تموز/ يوليو 2010، العدد562).

الشباب: "الجيل القادم واختياراته المستقبليّة" (تشرين الثاني/ نوفمبر2010، العدد119)، "ثقافة الشباب" (دبي الثقافيّة، كانون الثاني/ يناير2010، العدد 56).

غيره: "القضاء على الجوع"، (وجهات نظر، كانون الثاني/ يناير2010، العدد 132)، "السحابة والزحام والسياسة العامة" (وجهات نظر، كانون الثاني/ يناير 2010، العدد 132)، "كل الحركة تعتمد عليه.. تعالوا نودع عصر النفط" (وجهات نظر، كانون الثاني/ يناير2010، العدد 132)، "للجوع... . معنى آخر!" (وجهات نظر، شباط/ فبراير2010، العدد 133)، "الثورة المخملية!!! هل هناك تغيير بلا عنف؟" (وجهات نظر، نيسان/أبريل، 2010 العدد 135)، "انتهت الحرب الباردة.. فهل حرب المياه قادمة؟"(وجهات نظر، تموز/ يوليو 2010، العدد138)، "الدراما الدينيّة بين السنة والشيعة" (الهلال، تشرين الثاني/ نوفمبر2010، العدد 119).

"حميمية العلاقات الاجتماعية" (المعرفة، شباط/ فبراير 2010، العدد 557)، "اتخاذ القرار جوهر العمل الإداري" المعرفة، شباط/ فبراير 2010، العدد 557)، "التكنولوجيا في التراث العربي" (المعرفة، شباط/ فبراير 2010، العدد 557)، "الصحافة علم وفن .. ولكن" (المعرفة، آذار/ مارس 2010، العدد 558)، "مخاوف الإنسان اللامنطقية" (المعرفة، آذار/ مارس 2010، العدد 558)، "قتل المبدعين، مادياً أو معنوياً" (المعرفة، آذار/ مارس 2010، العدد 558)، "تأسيس علم العمران" (المعرفة، أيار/ مايو2010، العدد 560)، "الإنسان ومسؤولية اللّسان" (المعرفة، أيار/ مايو2010، العدد 560)، "العبودة والعمل" (المعرفة، أيار/ مايو2010، العدد 560)، "الوقاحة الفكرية" (المعرفة، أيار/ مايو2010، العدد 560)، "الصحة النفسية في



القرن الحادي والعشرين" (المعرفة، تشرين الأول/ أكتوبر2010، العدد565).

"ثقافتنا آسيوياً..صفحة بيضاء" (القافلة، آذار/ نيسان– مارس/ أبريل 2010، العدد2 المجلد 59)، "التعصّب الرياضي" (القافلة، أيار/ حزيران–مايو/ يونيو2010، العدد3 المجلد 59)، "الإعلانات في الشوارع" (القافلة، أيلول/ تشرين الأول– سبتمبر/ أكتوبر2010 العدد5 المجلد 59)، "أفلام تلفزيونية بميزانيات محدودة!" (العربي، آذار/ مارس 2010، العدد616).

ملحق رقم (8)

موضوعات (دوريّات) فلسفيّة وفكريّة نظريّة عامة[1]

الثقافة : "إشكالات قضايا ثقافتنا المعاصرة" (المعرفة، نيسان/ أبريل 2010، العدد 559)، "الثقافة والتطوّر الإنساني" (المعرفة، حزيران/ يونيو2010، العدد561)، "أين الجانب الإنساني في الثقافة الكونية المعاصرة؟" (المعرفة، تموز/ يوليو2010، العدد 562)، "الثقافة العربيّة المعاصرة وسؤال الهوية" (المعرفة، تموز/ يوليو2010، العدد 562)، "مواجهات القيم في نهاية عولمة الحداثة الغربية" (المعرفة، تشرين الأول/ أكتوبر2010، العدد 565)، "الثقافة العربيّة بعيون عربيّة" (المعرفة، تشرين الأول/ أكتوبر2010، العدد 565)، "مفاهيم الثقافة والنظام الاجتماعي" (العرب والفكر العالمي، صيف 2010، العددان التاسع والعشرون والثلاثون)، "هل غاب مبحث الإنسان في الثقافة العربيّة الكلاسيكيّة؟" (الهلال، شباط/ فبراير2010، العدد 118)، "ماذا تريد مصر من المثقفين؟" (الهلال، آذار/ مارس2010، العدد 118)، "والرياضة أيضاً من مجالات دبلوماسيّة الثقافة" (الهلال، كانون الثاني/ يناير 2010، العدد 118).

المعرفة/ الفكر/ العقلانيّة/ العلم: "معنى التفكير "(المعرفة، كانون الثاني/ يناير 2010، العدد 556)، "التاريخ ونظريات المعرفة" (المعرفة، شباط/فبراير2010)، "الفكر والمعرفة العالمية" (المعرفة، كانون الأول/ ديسمبر2010، العدد 566)، "كيف يفكّر العرب؟.. العقلانية النقدية في الفكر العربي المعاصر"(وجهات نظر، كانون الثاني/يناير2010، العدد 132)، "العقل والآلة.... سؤال الذكاء الأبدي" (وجهات نظر، أيار/ مايو2010، العدد 136)، "تاريخ تغيّر فكرة الإنسان عن الكون" (الهلال، أيلول/ سبتمبر 2010، العدد 119) ، "المفهوم الفكري للإدارة المعاصرة" (المعرفة، كانون الثاني/ يناير 2010، العدد 556)، "الفكر الاقتصادي العربي من التبعية إلى الاستقلال" (العربي، تشرين الأول/ أكتوبر2010، العدد623)، "هل انتهى العلم؟" (الهلال، آذار/ مارس2010، العدد 118)، "العلم والوحدة المعرفيّة" (الهلال، أيلول/ سبتمبر 2010، العدد 119)، "محنة العقل في أفق العلم" (الفكر العربي المعاصر، خريف 2010 السنة الثلاثون العدد 152 – 153).

المجتمع/ الاجتماع: "الحاجة الملحّة إلى عقد اجتماعي جديد" (المعرفة، تموز/ يوليو2010، العدد 562)، "في إبستمولوجيا الاجتماع: نماذج السلطة" (العرب والفكر العالمي، صيف 2010، العددان التاسع والعشرون والثلاثون)، "اللّغة والمجتمع" (حقول، تشرين الأول/ أكتوبر 2010، العدد 10).

الحداثة : "أفق فلسفي جديد يتجاوز ما بعد الحداثة" (آفاق المستقبل، أيلول/ تشرين الأول– سبتمبر/ أكتوبر2010)، "تجلّيات وتداعيات الحداثة ومابعدها" (المعرفة، كانون الثاني/ يناير 2010، العدد 556)، "الديمقراطية والفلسفة" (الفكر العربي المعاصر، ربيع 2010، السنة الثلاثون، العدد 150–151).

الدين: "أنسنة التعليم الديني" (آفاق المستقبل، أيار/ حزيران– مايو/ يونيو2010، العدد5)، "الأسلوب والنظم القرآني بين الأصالة والحداثة" (آفاق الثقافة والتراث، آذار/ مارس2010، العدد 69)، "التأثير الإسلامي على الفكر الديني اليهودي.." (العربي، كانون الثاني/ يناير2010، العدد 614)، "عن إشكاليات تجديد الخطاب الديني" (الهلال، أيار/مايو2010، العدد 118)، "اللّيبرالية والتطرّف الديني" (الهلال، تموز/ يوليو2010، العدد 118)، "التنوير والدين: وهم الأعداء" (الهلال، تموز/ يوليو2010، العدد 118)، "فكرة المشترك في الشرائع المختلفة" (آب/ أغسطس2010، العدد 118)، "العلم والدين صراع أم حوار؟" (آب/ أغسطس 2010، العدد 118).

الإبداع: "هل الجنون يغني الإبداع؟" (العربي، أيار/مايو2010، العدد618)، "هل يكفي الإبداع الثقافي للعيش الكريم؟" (القافلة، كانون الثاني/ شباط– يناير/ فبراير2010، العدد1 المجلد 59)، "التصوّف والإبداع" (الحياة الثقافيّة، شباط/فبراير2010، العدد210)، "المبدع بين الأخلاق والمسؤولية" (المعرفة، حزيران/ يونيو 2010، العدد 561).

الأنا والآخر: "أسئلة عن الإسلام والغرب" (وجهات نظر، أيار/مايو 2010، العدد 136)، "مسلمون ومسيحيّون ويهود.. كيفية التعايش" (وجهات نظر، شباط/ فبراير2010، العدد 133)، "ماهو الغرب" (وجهات نظر، كانون الأول/ ديسمبر 2010، العدد 143)، "هل حقّق الحوار بين الثقافات أهدافه"؟ (الهلال، شباط/ فبراير2010، العدد118)، "بين تسامح الإسلام ورحمته ووحشية المشهد المعاصر" (الهلال، آب/أغسطس2010، العدد 118)، "الكراهية المفرطة" (الهلال، تشرين الأول/ أكتوبر 2010، العدد 119)، "التنوّع وهؤلاء الآخرون" (الهلال، تشرين الثاني/ نوفمبر2010، العدد 119)، "السنة الدولية للتقارب بين الثقافات" (المعرفة، كانون الثاني / يناير 2010، العدد 556)، "رؤية جديدة لمستقبل الحوار بين الحضارات" (المعرفة، حزيران/ يونيو 2010، العدد 561)، "آليات وتقنيات واستراتيجيات الحوار الإعلامي مع الغرب" المعرفة، تموز/ يوليو2010، العدد562)، "جسور بين الثقافات" (المعرفة، تموز/ يوليو2010، العدد562)، "بعض أوجه التلاقي بين المسيحيّة والإسلام" (المعرفة، تشرين الثاني/ نوفمبر2010، العدد566)، "الآخر ليس واحداً" (دبيّ الثقافيّة، حزيران/ يونيو2010، العدد61)، "عقليّة الجاليات المسلمة في الغرب" (آفاق المستقبل، تموز/ آب–يوليو/ أغسطس2010، العدد 6)، "حراك يهود أوروبا" (آفاق المستقبل، تموز/ آب– يوليو/أغسطس 2010، العدد 6)، "مواطنو أميركا اللاتينيّة العرب" (آفاق المستقبل، تشرين الثاني/ كانون الأول–نوفمبر/ ديسمبر2010، العدد8)، "ثقافةالحوار" (البيان، كانون الثاني/ يناير2010، العدد474)، " البحث عن هوية" (العربي، حزيران/ يونيو 2010، العدد619)، "الجذور العميقة لأوروبة" (المعرفة، آذار/ مارس 2010 ، العدد 558).

الرقابة : "الرقابة والأدب" (حقول،

1 – على الرغم من عدم شمول هذا التصنيف القضايا الفلسفية البحتة، إلا أنه شمل الموضوعات الفلسفية التي تتركّز حول قضايا نظريّة تهمّ الفكر العربي مثل الديمقراطية، والحرية، والسلطة وما شابه.

الحصاد



تشرين الأول/ أكتوبر2010، العدد10)، "الرقابة من اللّغة إلى المجتمع" (حقول، تشرين الأول/ أكتوبر 2010، العدد 10)، "مسارات الرقابة" (حقول، تشرين الأول/ أكتوبر 2010، العدد 10)، "الرقابة العربيّة المتخلّفة" (حقول، تشرين الأول/ أكتوبر 2010، العدد 10)، "الرقابة ونضج الكتابة" (حقول، تشرين الأول/ أكتوبر 2010، العدد 10)، "الرقابة والسلطة والمجتمع" (حقول، تشرين الأول/ أكتوبر 2010، العدد 10).

الحريـة: "رُهاب الحرية عبر حرية الرُهاب" (المعرفة، كانون الثاني/ يناير2010، العدد 556)، "في نقد التصوير اللّيبرالي للحرية" (الفكر العربي المعاصر، ربيع 2010، السنة الثلاثون، العدد 150–151).

العلمانيّة/العلمنة: "مشكلة علمنة المفهوم في الاقتصاد– السياسي" (الفكر العربي المعاصر، ربيع 2010، السنة الثلاثون، العدد 150–151).

الاستشراق: "الاستشراق الألماني" (المعرفة، حزيران/ يونيو 2010، العدد 561)، "الاستشراق الألماني" (المعرفة، آذار/ مارس2010، العدد 558).

الإنسانيّة: "الإنسانية البازغة" (العربي، تشرين الثاني/ نوفمبر2010، العدد 624)

التقدّم: "حول مفهوم التقدّم ودلالاته" (نيسان/ أبريل 2010، العدد 617)، "الوعي الاجتماعي والتقدّم" (المعرفة، كانون الثاني/ يناير 2010، العدد 556).

المرأة: "دور المرأة في الحياة الروحيّة وفي إدارة الشأن السياسي من خلال التراث المستنير (الحياة الثقافيّة، شباط/ فبراير 2010، العدد210).

الكولونيالية: "الكتابة الكولونيالية: الجدوى والحدود" (المناهل، كانون الثاني/ يناير2010، العدد87).

غيره: "التوظيف التراثي.. ما يوظّف وما لا يوظّف" (الهلال، أيلول/ سبتمبر 2010، العدد 119).

ملحق رقم (9)

محاور الموضوعات(دوريات) الخاصة بالوطن العربي

9.1 موضوعات تتناول التراث والتاريخ العربي والإسلامي

عودات نقديّة إلى التراث: "في القراءات "اللاتاريخية" في المدينة العربيّة الإسلامية" (المستقبل العربي، العدد 373 آذار/ مارس 2010)، "الأيديولوجي والمعرفي في تحقيقات التراث العربي وقراءاته" (المستقبل العربي، العدد 381 تشرين الثاني/ نوفمبر2010)، "الأيديولوجي والمعرفي في الخطاب التاريخي العربي" (المستقبل العربي، العدد381 تشرين الثاني/ نوفمبر 2010)، "حركة التأويل في التراث النقدي" (الفكر العربي المعاصر، خريف 2010 السنة الثلاثون، العدد 152–153)، "نقد

الخطابة السياسية في التراث العربي" (العربي، آذار/ مارس 2010، العدد 616)، "الأندلس.. ودلالاتها المتناقضة" (آفاق المستقبل، كانون الثاني/ شباط– يناير/ فبراير 2010، العدد 3)، "مخارج التأويل والاجتهاد في قراءة النصّ والفلسفة، ابن رشد راهناً" (الفكر العربي المعاصر، ربيع 2010، السنة الثلاثون، العدد 150–151)، "بين شبلي شميّل ومخالفيه" (الفكر العربي المعاصر، خريف 2010 السنة الثلاثون، العدد 152–153)، "الألسنيّات لإحياء الكفاءة في فهم الإسلام والحياة: كيف يرتقي المسلمون من طَور الجمود إلى طَور الحركة" (المستقبل العربي، العدد 373 آذار/مارس 2010)، "سيوف من لهب: أسباب الفتوحات الإسلامية واستقبال الشعوب المفتوحة لها" (كلمن،العدد صفر، ربيع 2010)، "تحليل دين محمد نظرات في أصول الدين والأمة والدولة في الإسلام" (كلمن، العدد1، خريف 2010)، "في تاريخ «النصرانية» العربيّة – سياسة وحروب وعقائد" (وجهات نظر، حزيران/ يونيو2010، العدد137)، "الأمويون بين دمشق وقرطبة .. مقارنات في الحكم والإدارة" (العربي، أيار/ مايو2010، العدد 618).

عودات إلى التراث الشعبي والحضارات غير العربيّة: "التراث المصري الشعبي.. ثقافة انتماء" (الهلال، شباط/ فبراير2010، العدد 118)، "مناهج التعليم السومرية – البابلية" (المعرفة، آذار/ مارس 2010، العدد 558).

عودات إخباريّة سرديّة / إخباريّة سرديّة تحليليّة: "الأخلاق في الاقتصاد الإسلاميّ كما جاء في القرآن الكريم" (الآداب، العدد 12–11/ 2010)، "العودة إلى التراث ضرورة حضاريّة" (آفاق الثقافة والتراث، تموز/ يوليو2010، العدد70)، "مصر وانتماؤها العربي والإسلامي" (الهلال، كانون الثاني/ يناير 2010، العدد 118)، "النهضة العمرانية في بلاد الشام أواخر العهد العثماني" (المعرفة، شباط/ فبراير 2010، العدد557)، "الجذور المشتركة لتاريخ العرب القديم" (المعرفة، آذار/مارس2010، العدد 558)، "لماذا كثرت الفتوحات الإسلامية في رمضان؟" (الهلال، آب /أغسطس2010، العدد 118)، "رمضان في القرآن والسنة" (الهلال، آب/ أغسطس2010، العدد 118)، "العيد ودلالاته الحضارية والأخلاقية" (الهلال، أيلول/ سبتمبر 2010، العدد 119)، "علم الجوارح والبيزرة في التراث العربي الإسلامي" (المعرفة، شباط/ فبراير 2010، العدد 557)، "من أعلام الزّهد والتصوّف بالقيروان" (الحياة الثقافيّة، شباط/ فبراير2010، العدد 210)، "ضوء على تاريخ العالم الإسلامي" (المعرفة، كانون الأول/ ديسمبر2010، العدد 566)، "صرخات الاستغاثة النسوية الثلاث كان لها ما بعدها في تاريخنا" (آفاق الثقافة والتراث، أيلول/ سبتمبر2010، العدد71)، "المسيحيّون في الحكم الإسلامي"(وجهات نظر، شباط/ فبراير2010، العدد 133)، "ثلاث موجات من التنوير"(الهلال، نيسان/ أبريل 2010، العدد118)، "الفنّ الخطابي في التراث النقدي" (آفاق الثقافة والتراث، آذار/ مارس 2010، العدد 69)، "رياضيّات الخوارزمي: تأسيس علم الجَبر" (المستقبل العربي، العدد 377 تموز/ يوليو 2010)، "مفهوم الطبيعة، أو من الطبيعة إلى الإرادة لدى فلاسفة الإسلام" (الفكر العربي المعاصر، ربيع 2010، السنة الثلاثون، العدد 150–151)، "المستقبل في الفكر الخلدوني" (الفكر العربي المعاصر، ربيع 2010، السنة الثلاثون، العدد 150–151)، "محمد على الكبير.. الوالي... والسلطان.. تقرير مبعوث الآستانة" (وجهات نظر، أيار/ مايو2010، العدد 136)، "الفاطميّون بناة مصر الإسلاميّة" (الهلال، أيار/ مايو2010، العدد 118)، "صقلية الإسلامية.. اندثار الأثر



ونحيب النخيل" (العربي، آذار/ مارس2010، العدد 616)، "العودة إلى الدين" (العربي، نيسان/ أبريل 2010، العدد 617)، "علم الطبيعة في الفلسفة العربيّة" (المعرفة، آذار/ مارس 2010، العدد 558)، "المفاهيم الأثرية والحضارية المتوارثة" (المعرفة، تشرين الأول/ أكتوبر2010، العدد565)، "حقوق الإنسان في التراث العربي" (المعرفة، تشرين الأول/ أكتوبر2010، العدد 565)، "ملامح من الحركة الثقافيّة والأدبيّة في قطر عبر التاريخ" (البيان، أيار/ مايو2010، العدد478)، "رحلات المغامرين العرب في المحيط الأطلسي" (آفاق الثقافة والتراث، آذار/ مارس2010، العدد69)، "الحياة .. من المهد إلى اللّحد" (الهلال، شباط/ فبراير2010، العدد118)، "حقوق الإنسان في التراث العربي" (المعرفة، تشرين الأول/ أكتوبر2010، العدد 565)، "ضوء على تاريخ العالم الإسلامي" (المعرفة، كانون الأول/ ديسمبر2010، العدد 566).

2.9 موضوعات ترتبط بالمشروع القومي العربي أو بالعروبة

"ثورة تموز/ يوليو والمستقبل العربي" (المستقبل العربي، العدد 377 تموز/ يوليو 2010)، "مأزق العلم العربي: هل يمكن قيام نهضة علمية عربيّة؟" (المستقبل العربي، العدد 378 آب/ أغسطس 2010)، "رؤية مستقبلية" (المستقبل العربي، العدد 379 أيلول/ سبتمبر 2010)، "مدى المشروعية في المشروع النهضوي العربي" (المستقبل العربي، العدد 380 تشرين الأول/ أكتوبر 2010)، "مذاهب المفكّرين السوريّين في "الدولة العربيّة" تفحّص نقدي" (كلمن،العدد صفر، ربيع 2010)، "حملات الأمل: الثقافويّة والإصلاح في العالم العربيّ" (الآداب، 6-7-8 /2010)، "الوحدة العربيّة في مواجهة المشروع الصهيوني" (المستقبل العربي، العدد 372 شباط/ فبراير 2010)، "المشروع النهضوي العربي: نداء المستقبل"(المستقبل العربي، العدد 374 نيسان/ أبريل 2010)، "حال الأمة العربيّة (2009-2010) النهضة أو السقوط" (المستقبل العربي، العدد 375 أيار/ مايو2010)، "الفردية وثقافة النهضة" (المستقبل العربي، العدد 375 أيار/مايو 2010)، "مأزق العلم العربي هل يمكن قيام نهضة علمية عربيّة؟" (المستقبل العربي، العدد 376 حزيران/ يونيو2010)، "مشروع سورية الكبرى: دراسة في أحد مشروعات الوحدة العربيّة في النصف الأول من القرن العشرين" (المستقبل العربي، العدد 376 حزيران/ يونيو 2010)، "هل تراجع الشعور القومي العربي؟ قراءة سوسيولوجية في آراء طلاب جامعة الكويت" (المستقبل العربي، العدد 378 آب/أغسطس 2010)، "أمن الإنسان العربي: هوية الصراع وصراع الهويات" (المستقبل العربي، العدد 372 شباط/ فبراير 2010).

ملف "العروبة والمستقبل" ويتضمّن الموضوعات التالية: "العروبة في معنىً حضاريّ"، "العروبة وصناعة التاريخ"، "العروبة ومسألة الاندماج الوطني" (المستقبل العربي، العدد 379 أيلول/ سبتمبر2010)، "الأمة والدولة والطبقات في الوطن العربي" (المستقبل العربي، العدد 379 أيلول/ سبتمبر2010)، "تغريب اللّغة وأزمة الهوية" (الهلال، نيسان/ أبريل2010، العدد118)، "الثقافة تصلح ما تفسده السياسة" (الهلال، نيسان/ أبريل2010، العدد 118)، "القومية العربيّة بالمفهوم العلمي والثوري" (المعرفة، كانون الثاني/ يناير 2010، العدد 556)، "الحذر من اختراق الثوابت" (المعرفة، شباط/ فبراير 2010، العدد 557)، "التراث الشعبي والهوية" (المعرفة، نيسان/ أبريل2010، العدد 559)، "الوحدة الحضارية بين الجزائر وبلاد الشام عبر التاريخ" (المعرفة، تموز/ يوليو 2010، العدد562)، "العروبة والمستقبل" (المعرفة، آب/ أغسطس 2010، العدد563)، "التواصل الثقافي بين مشرق الأمة ومغربها" (المعرفة، تشرين الثاني/ نوفمبر2010، العدد 566).

3.9 موضوعات تخصّ المشروع الديمقراطي العربي وحقوق الإنسان

"محاولة في الإجابة عن سؤال "ما العمل؟": نحو مشروع عربيّ ديمقراطيّ" (الآداب، العدد9 – 10 / 2010)،" تباين استراتيجيات التأسيس للديمقراطية وتباين مضامينها في الفكر العربي الراهن" (المستقبل العربي، العدد 373 آذار/مارس 2010)، "إعادة تشكيل المقاومة والديمقراطية: روايات من حماس وحزب الله (المستقبل العربي"، العدد 377 تموز/ يوليو 2010)، "مفهوم الكتلة التاريخية..على قاعدة الديمقراطية أم التعدّدية والتنوّع؟" (المستقبل العربي، العدد 378 آب/ أغسطس 2010)، "إعادة التفكير في الدمقرطة العربيّة: انتخابات بدون ديمقراطية"(المستقبل العربي، العدد 381 تشرين الثاني/ نوفمبر 2010، "حقوق الإنسان في الوطن العربي (2009 – 2010) تبعات إضاعة الفرص، وتكريس انتهاكات حقوق الإنسان" (المستقبل العربي، العدد 381 تشرين الثاني/نوفمبر 2010)، "استطلاعات الرأي العام والممارسة الديمقراطية في الوطن العربي: تفكير في وضع يتجاوز الراهن" (المستقبل العربي، العدد 382 كانون الأول/ديسمبر 2010)، " في الاستبداد العربي" (وجهات نظر، آذار/مارس2010، العدد 134)، "عودة مصر المثقفة" (وجهات نظر، أيار/ مايو2010، العدد136)، "الدولة بين الإسلاميّين واللّيبراليّين" (وجهات نظر، تموز/ يوليو2010، العدد 138)، "الديموقراطية... ... أم التنمية؟ – خيارات العرب الصعبة!!!" (وجهات نظر، تموز/ يوليو2010، العدد 138)، "لماذا يرفض العرب الديموقراطية؟" (وجهات نظر، آب/ أغسطس2010، العدد 139)، "بين الطائفية.. والديمقراطية.. والانتماء – الطريق إلى الحكومة الصالحة" (وجهات نظر، كانون الأول/ ديسمبر 2010، العدد 143)، "عن ثقافة المواطنة" (الهلال، آذار/ مارس2010، العدد 118)، "العمل الطوعي وخدمة المجتمع" (الهلال، آب/ أغسطس2010، العدد 118)، "ديمقراطية.. التخلف!" (العربي، حزيران/ يونيو 2010، العدد 619)، "تحوّل أفكار نشر الديمقراطية إلى رديف لنظرية الفسطاطين" (آفاق المستقبل، آذار/ نيسان– مارس/ أبريل2010، العدد 4).

4.9 .موضوعات تخصّ اليسار العربي

"في ضرورة خلق نواةٍ جديدة لليسار" (الآداب، العدد 4-5/ 2010)، "أزمةُ المسؤوليّة في الوطن العربيّ (الآداب 4 – 5 / 2010)، وتضمّن العدد نفسه من مجلة الآداب المقالات والدراسات التالية: "المنتدى الاشتراكيّ: بين الهويّة الفكريّة والمهامّ البرنامجيّة"، "كيف حضرت الماركسيّة – اللينينيّة في تجربتي السياسيّة؟"، "ماذا تبقى من هويّة اليسار الشيوعيّ العربيّ اليوم؟"، "نحو تصوّرٍ عامّ ليسارٍ عربيّ جديد"، "موت الماركسيّة المبتذلة أو ورطة النّصر(التجربة العراقيّة)"، "كي يكون اليسار سبيلنا إلى النهضة"، "اليسار العربيّ: حوار مع جلبير الأشقر"، هل توجد حاجة إلى اليسار في المجتمع العربيّ؟".

ملف "اليسار العربي: "الأزمة والاقتراحات" (الآداب، العدد 2010/8-7-6) وتضمّن الجزء الثاني من الملف المقالات والأبحاث التالية: "مؤتمر حيفا: صعود حراك وطنيّ جديد"، "أزمة اليسار العربيّ"، "اليسار العربيّ والتباسات النقد الذاتيّ"، "يسار قديم، يسار جديد!"، "في الواقع لا في النصّ: أيّ يسار، وأين، وأيّة سياسات يساريّة؟"، "مفارقة غياب اليسار: حالة مصر"، "الحاجة إلى يسارٍ جديد... من جديد"، "الماركسيّة العربيّة: في تبريرِ التسلّط"، "اليسار في الأردن: مواجهة الأزمة أمْ بناء المشروع؟"، "اليسار المغربيّ: مخاض التغيير (ندوة)"، "أول تجربة ماركسية عربيّة.. عشرون عاماً على الأفول"(وجهات نظر، أيار/ مايو 2010، العدد136).



ملحق رقم (9 مكرر)

موضوعات تخصّ الوطن العربيّ ككلّ

"التغلغل الإسرائيلي في دول آسيا الوسطى وانعكاساته على علاقاتها مع المنطقة العربيّة" (المستقبل العربي، العدد 371 كانون الثاني/ يناير2010)، "مأزق الحداثة العربيّة من احتلال مصر إلى احتلال العراق" (المستقبل العربي، العدد 374 نيسان/ أبريل 2010)، "الثورة الرقمية تضع الإعلام العربي على مفترق طرق" (المستقبل العربي، العدد 376 حزيران/ يونيو2010)، "قراءة في انعكاسات المشروع الإمبراطوري الأميركي على المنطقة العربيّة" (المستقبل العربي، العدد 377 تموز/ يوليو 2010)، "حركة الكفاءات العربيّة، الإقليمية والدولية" (المستقبل العربي، العدد377 تموز/ يوليو 2010)، "العقل التاريخي وإشكالية التحديث" (الفكر العربي المعاصر، خريف 2010 السنة الثلاثون العدد 152–153)، "أزمة الشرعية في النظام السياسي العربي" (المستقبل العربي، العدد 378 آب/أغسطس2010)، "كيف يصنع القرار في الأنظمة العربيّة؟" (المستقبل العربي، العدد 379 أيلول/ سبتمبر2010)، "معاناة الأحزاب السياسية العربيّة وهمومها: نظرة تقييمية لدور الأحزاب العربيّة وأوضاعها" (المستقبل العربي، العدد 380 تشرين الأول/ أكتوبر2010)، "النفط والتنمية في الفكر الاقتصادي العربي: كيف طرحت قضية دور النفط في التنمية في الفكر الاقتصادي العربي؟" (المستقبل العربي، العدد 380 تشرين الأول/ أكتوبر 2010)، "المعرفي والأيديولوجي في الفكر العربي المعاصر2" (المستقبل العربي، العدد 382 كانون الأول/ ديسمبر 2010)، "الربا والاقتصاد والتمويل الإسلامي – رؤية مختلفة (المستقبل العربي، العدد 382 كانون الأول/ ديسمبر 2010)، "الفضاء السيبرني وتحوّلات القيم: مقاربة عربيّة" (المستقبل العربي، العدد 382 كانون الأول 2010)، "عناصر أوّلية في سوسيولوجيا الدولة الريعيّة في المجتمعات العربيّة" (الفكر العربي المعاصر، ربيع 2010، السنة الثلاثون، العدد 150–151)، "الهجوم على التعصّب الديني ليس هجوماً على الدين"(وجهات نظر، أيار/ مايو 2010، العدد 136(، "آيات وجنرالات..الهواجس العربيّة الجديدة"(وجهات نظر، كانون الثاني/ يناير 2010، العدد 132)، "ليست فقط ندرة في المياه .. أسئلة العرب المناخية" (وجهات نظر، تشرين الثاني/ نوفمبر 2010، العدد 142)، "ثقافة التغيير.. وجهة نظر إسلامية" (وجهات نظر، كانون الأول/ ديسمبر2010، العدد 143)، "اضمحلال الفكر السياسى العربي "(وجهات نظر، كانون الأول/ ديسمبر 2010، العدد 143)، "العدل المطلق في الثقافة العربيّة"؟" (الهلال، آذار/ مارس2010، العدد118)، "أين دور العرب في عالم يتشكّل من جديد؟" (الهلال، نيسان/ أبريل2010، العدد 118)، "الإعلام والموروث الشعبي" (الهلال، نيسان/ أبريل 2010، العدد 118)، "ثقافة التعصّب" (الهلال، أيار/ مايو2010، العدد 118)، "مشكلة الإنسان في فكرنا العربي الحديث والمعاصر "(الهلال، حزيران/ يونيو 2010، العدد118)، "يوم توحّدت مصر" (تشرين الأول/ أكتوبر 2010، العدد119)،" أول دفاع عن الملكيّة الفكريّة في الصحافة المصريّة" (تشرين الأول/ أكتوبر 2010، العدد 119)، "دار الكتب المصريّة.. قرن ونصف من التنوير" (تشرين الأول/ أكتوبر 2010، العدد 119)، "عولمة الصورة والمشهد القرآني الخالد" (الهلال، كانون الأول/ ديسمبر2010، العدد 119)، "تحصين الثقافة العربيّة في زمن التحوّلات العاصفة" (المعرفة، كانون الثاني/ يناير2010، العدد 556)، "الحضارات الإقليميّة في العالم القديم" (المعرفة، حزيران/ يونيو 2010، العدد 561)، "الحداثة العربيّة: من التجديد إلى الجمود" (المعرفة، تموز/ يوليو 2010، العدد 562)، "التفتت العربي في زمن العولمة.."(العربي، كانون الثاني/ يناير 2010، العدد 614)،"بحث أسباب الوهن العربي تدفعني لليأس.." (العربي، كانون الثاني/ يناير2010، العدد614)، "رأس بيروت" المنفتحة على العرب والعروبة" (العربي، أيار/ مايو2010، العدد618)، "الفجوة النانو– معرفية وآثارها على العالم العربي" (العربي، آب/ أغسطس2010، العدد621)، "الثقافة الغائبة" (العربي، أيلول/ سبتمبر 2010، العدد 622)، "التابعون الجدد" (العربي، تشرين الثاني/ نوفمبر2010، العدد624)، "المُصلحون الجدد")العربي، كانون الأول/ ديسمبر2010، العدد 626)، "واقع الثقافة العربيّة لا يعالج بالقمم ")العربي، كانون الأول/ ديسمبر2010، العدد 626)، "نقد مناهج تعليم اللّغة العربيّة" (آفاق المستقبل، كانون الثاني/ شباط– يناير/ فبراير2010، العدد 3)، "معوّقات الدراسات المستقبلية في الجامعات العربيّة" (فاق المستقبل، كانون الثاني/ شباط– يناير/ فبراير2010، العدد3)، "مواقف العلمانيّين الإسلاميّين الأتراك حيال العرب" (آفاق المستقبل، آذار/ نيسان– مارس/ أبريل 2010، العدد4)، "الدعوات إلى إصلاح التعليم الديني" (آفاق المستقبل، أيار/ حزيران– مايو/ يونيو2010، العدد5)، "العلم العربي وكيف عجّل بظهور عصر النهضة الأوروبيّة" (آفاق المستقبل، كانون الأول/ ديسمبر 2010، العدد 72).

ملحق رقم (10)

موضوعات تخصّ بلداناً عربيّة معيّنة

العراق: "النفط وترسيم الحدود العراقية – الإيرانية" (المستقبل العربي، العدد 372 شباط/ فبراير2010)، "العراق: مستويات الصراع بين إرادتين" (المستقبل العربي، العدد 373 آذار/ مارس 2010)، "نحو عراق ديمقراطي مسالم موحَّد، غير طائفي" (المستقبل العربي، العدد 373 آذار/ مارس 2010)، "غياب قوة النفط وقصور الفكر الاقتصادي في "المشروع النهضوي العربي: مقاربة في التجربة العراقية" (المستقبل العربي، العدد 375 أيار/ مايو2010)، "الانتخابات البرلمانية العراقية بين أزمة تنافس الائتلافات ومصداقية المفوضية" (المستقبل العربي، العدد 375 أيار/ مايو 2010)، "الأهمية الاستراتيجية لنفط العراق في منظور الولايات المتّحدة الأميركية (المستقبل العربي، العدد 376 حزيران/ يونيو2010)، "الاقتصاد السياسي لتنامي قوة النفط في العراق: مرحلة حاسمة" (المستقبل العربي، العدد 378 آب/ أغسطس 2010)، "تأثير الاحتلال الأميركي في الشعب العراقي واقتصاده" (المستقبل العربي، العدد 382، كانون الأول/ ديسمبر2010)، "الخريطة البغدادية تتمرّد على منعزلاتها"

(كلمن،العدد صفر، ربيع 2010)، "من كاتم الصوت إلى المحاكم: محنةُ الإعلاميّ العراقيّ" (الآداب، 9 – 10 / 2010)، "العراق ..انتخابات طائفيّة بأدوات علمانيّة" (آفاق المستقبل، آذار/ نيسان– مارس أبريل 2010، العدد 4).

موريتانيا: "العلاقات الموريتانية– الإسرائيلية": من التطبيع إلى التجميد إلى القطع" (المستقبل العربي، العدد 379 أيلول/ سبتمبر2010).

السعوديّة: "الاختلاط في التعليم السعودي" (آفاق المستقبل، كانون الثاني/ شباط– يناير/ فبراير2010، العدد 3).

السودان: "دارفور، منقذون وناجون: السياسة والحرب على الإرهاب" (المستقبل العربي، العدد 371 كانون الثاني/ يناير (2010، "مستقبل الديمقراطية في السودان بعد انتخابات نيسان/ أبريل 2010" (المستقبل العربي، العدد 382 كانون الأول/ ديسمبر2010)، "الحائط المسدود: مسائل العروبة والإسلام في السودان" (كلمن، العدد صفر، ربيع 2010)، "السودان: مستقبل على المحك" (وجهات نظر، أيار/ مايو 2010، العدد 136).

مصر: "هل من اختراقٍ عظيم للبوار السياسيّ في مصر؟ (الآداب 4 – 5 / 2010)، "وثائق عن مصر التي كانت!!!" (وجهات نظر، آذار/ مارس2010، العدد 134)، "الجامعات المصريّة في الصحافة المصرية" (وجهات نظر، أيار/ مايو 2010، العدد 136(، "التعليم العالي المصري رؤية دولية" (وجهات نظر، أيلول/ سبتمبر 2010، العدد 140)، "المسلمون.. والأقباط...والوطن"(وجهات نظر، تشرين الثاني/ نوفمبر 2010، العدد 142)، "مشكلات المسلمين مشكلات الأقباط" (وجهات نظر، تشرين الثاني/ نوفمبر 2010، العدد 142)، "الأقباط والمسلمون في مصر أسئلة الهوية" (وجهات نظر، تشرين الثاني/ نوفمبر 2010، العدد 142)، "ليست فتنة طائفيّة؟" (الهلال، آذار/ مارس 2010، العدد 118)، "السينما والمجتمع في مصر" (الهلال، نيسان/ أبريل 2010، العدد 118)، "الموقف من فرعونية مصر وعروبتها" (الهلال، حزيران/ يونيو2010، العدد 118)، "التحوّل الاقتصادي في مصر" (الهلال، تموز/ يوليو 2010، العدد 118)، "لماذا لا نقرأ؟ وإذا قرأنا لا نتعلّم" (آب/ أغسطس 2010، العدد118)، "القاديانيّة .. اختطاف الإسلام والتضليل باسمه" (الهلال، أيلول/ سبتمبر2010، العدد 119)، "عبد الناصر والثقافة والمثقفون.." (تشرين الأول/ أكتوبر 2010، العدد 119)، "صراع فرنسي– إنجليزي على العقل المصري" (تشرين الأول/ أكتوبر 2010، العدد 119)، "الحج في الثقافة الشعبيّة المصريّة" (الهلال، كانون الأول/ ديسمبر 2010، العدد 119)، "حلول علميّة لمشكلة الأمن المائي المصري" (الهلال، كانون الأول/ ديسمبر2010، العدد119)، "أسوان.. الحضارة والتاريخ" (الثقافة الجديدة، تشرين الأول/ أكتوبر2010، العدد241)، "التراث مكوِّن ثقافي في أسوان".. (الثقافة الجديدة، تشرين الأول/ أكتوبر 2010 العدد241)، "رسالة مفتوحة" (عن الثقافة العربيّة واللّغة) (الثقافة الجديدة، تشرين الثاني/ نوفمبر2010، العدد 242)، "مؤتمر أدباء مصر بين المنجز والمأمول" (الثقافة الجديدة، شباط/ فبراير2010،العدد245)، "كيف نطوّر مؤتمرنا ونحدثه شكلاً وموضوعاً؟" (الثقافة الجديدة، شباط/ فبراير 2010، العدد245)، "ملاحظات أولية حول مؤتمر أدباء مصر عبر الدورات السابقة" (الثقافة الجديدة، شباط/ فبراير 2010، العدد 245)، "مؤتمر أدباء مصر.. قراءة في المقدمات والفعاليات والنواتج" (الثقافة الجديدة، شباط/ فبراير 2010، العدد 245)، "مؤتمر الأدباء.. لعبة المتن والهامش" (الثقافة الجديدة، شباط/ فبراير 2010، العدد 245)، "مراكزنا الثقافيّة بلا أجندة مدروسة" (الثقافة الجديدة، شباط/ فبراير2010، العدد 245)، "مؤتمر أدباء مصر بين المنجز والمأمول"(الثقافة الجديدة، شباط/ فبراير 2010، العدد 245)، "مراكزنا الثقافيّة بلا أجندة مدروسة" (الثقافة الجديدة، شباط/ فبراير 2010، العدد 245)، "أحداث عنف في العاصمتين المصرية والجزائرية بسبب ماتش كورة" !!!!!" (الثقافة الجديدة، شباط/ فبراير 2010، العدد245)، "الإسكندرية ثاني أكثر مدن العالم تهدداً بالغرق.. "(مجلة العربي، كانون الثاني/ يناير2010، العدد 614).

اليمن: "تريم.. منارة ثقافيّة مشرقة على مدى القرون" (المعرفة، نيسان/ أبريل2010، العدد 559).

سورية: "التأريخ المعماري للمدينة السورية بعد معركة حطّين" (المعرفة، كانون الثاني/ يناير2010، العدد 556)، "الخط العربي في سورية" (المعرفة، نيسان/ أبريل2010، العدد 559)، "وحدة التشريع.. ضرورة وطنيّة ملحة" (المعرفة، تشرين الأول/ أكتوبر2010، العدد 565).

وقد صدر عدد واحد من مجلة الحياة الفكريّة، عن الهيئة السورية العامة للكتاب (العدد3 العام 2010) يتضمّن أربعة عشر مقالاً إلى جانب شهادات مخصّصة للجولان المحتلّ، ومن هذه المقالات: "الجولان في المشهد الثقافي السوري"، "الجغرافيا الاقتصادية للجولان والصراع على موارد المياه"، "الجولان: من التطبيع إلى التسوية"، "الجرائم الإسرائيلية في الجولان السوري والقوانين الدولية"، "الجولان وفلسطين"، "الجولان قضية قومية"، "سورية في الرؤية الاستراتيجية الصهيونية"، "خلفية موجزة حول احتلال هضبة الجولان"، "الجولان بين أمانة الحق ومعيارية الواجب"، "دور الحركة الشعبية والنقابية في تحرير الجولان"، "هل ازدهر الاستيطان في الجولان خلال الحقبة البيزنطية"، "البعد الثقافي لقضية الجولان"، "البعد الاجتماعي لقضية الجولان"، "الجولان في المشهد الثقافي".

فلسطين: "القضية الفلسطينيّة.. تاريخ بلا مستقبل؟" (الهلال، آذار/ مارس2010، العدد 118)، "أعياد القدس ولّى زمانها" (الهلال، حزيران/ يونيو 2010، العدد 118)، "أميركا والديمقراطية والدولة الفلسطينيّة" الهلال، تشرين الأول/ أكتوبر 2010، العدد 119)، "القدس بين الفرنسيسكان واليهود" (تشرين الثاني/ نوفمبر2010، العدد 119)، "قافلة الحرية ترسم المستقبل" (المعرفة، أيلول/ سبتمبر2010، العدد 564)، "الخلافات الفلسطينيّة تتمحور حول تقاسم السلطة" (آفاق المستقبل، آذار/نيسان– مارس أبريل2010، العدد4).

لبنان: "الحريات الدينية في لبنان.. بين الحيرة والحرية" (العربي، شباط/ فبراير2010، العدد 615).

ملحق رقم (11)

موضوعات تخصّ الخليج العربي

"الطفرة النفطية الثالثة وانعكاسات الأزمة المالية العالمية: حالة أقطار مجلس التعاون لدول الخليج العربيّة" (المستقبل العربي، العدد 371 كانون الثاني/ يناير 2010، "أبو ظبي.. بلد الثورة الصناعية الثالثة" (آفاق المستقبل، آذار/ نيسان– مارس/ أبريل2010، العدد4)، "الإعلام الخليجي من أهم مقوّمات الدولة" (آفاق المستقبل، أيار/ حزيران– مايو/ يونيو2010، العدد5)، "الخليج وأزمة النمور الآسيويّة" (آفاق المستقبل، تشرين الثاني/ كانون الأول – نوفمبر/ ديسمبر2010، العدد8).

ملحق رقم (12)

موضوعات تخصّ المغرب العربي

"المشكلة الصحراوية بين المغرب والبوليساريو: نحو دولة صحراوية في دولة اتحادية (فدرالية)" (المستقبل العربي، العدد 373 آذار/ مارس 2010)، "اللّغة والجندر: اللّسان الأجنبي عقدة وصنّارة استلاب لهويّة المرأة المغاربيّة" (الآداب، العدد 1-2-3/ 2010)، "ازدواجية النخبة في الجزائر" (النخبة الإعلامية كمثال) (المستقبل العربي، العدد 374 نيسان/ أبريل 2010)، "متغيّرات الأنشطة الاقتصاديّة للمرأة المغربيّة" (آفاق المستقبل، أيلول/ سبتمبر 2010، العدد71)، "المغرب من منظور كولونيالي "(المناهل، كانون الثاني/ يناير2010، العدد87)، "الحماية وانعكاساتها" (المناهل، كانون الثاني/ يناير2010، العدد 87)، "تطوّر الوعي الصوفي بإفريقيا وبلاد المغرب" (الحياة الثقافيّة، شباط/ فبراير2010،العدد210)، "التصوّف في غرب إفريقيا" (الحياة الثقافيّة، شباط/ فبراير2010، العدد 210).



الفهارس العامة

فهرس البلدان العربية

أ

ب

ت

ث

ج

ح

خ

د

ذ

ر

س

ش

ص

ط

ظ

ع

ف

ق

ك

ل

م



ن

هـ

و

فهرس البلدان العربية

الأردن

الإمارات

البحرين

تونس

الجزائر

جزر القمر

جيبوتي



السعودية

السودان

سلطنة عُمان

سورية

الصومال

العراق

فلسطين

لبنان



فهرس الموضوعات

المعلوماتية

التعليم



كتابات الشباب العرب

الملف الخاص.. اغتراب اللغة أم اغتراب الشباب؟

الإبـــداع

الحصاد الثقافي السنوي للعام 2010



فهرس الجداول والأشكال

المعلوماتية



التعليم







كتابات الشباب العرب

الملف الخاص.. اغتراب اللغة أم اغتراب الشباب؟



الإبــداع

الحصاد الثقافي السنوي للعام 2010



التقرير العربي الرابع للتنمية الثقافية

تقرير سنوي يصدر عن مؤسّسة الفكر العربي حول واقع التنمية الثقافية في الدول العربية، ويُعنى تقرير هذا العام بوصف وتحليل أهم مظاهر التنمية الثقافية في مختلف الدول العربية في العام 2010، متضمّناً الملفات الستة التالية:

قضايا الشباب العربي على الإنترنت: "مؤشّرات ودلالات"

ملامح عامة حول قضايا الشباب على الإنترنت، مؤشّرات القضايا المثارة عبر الإنترنت في العام 2010، جماهيرية القضايا المثارة، "البصمة التقنية" قنوات النشر و"نظرات خاصة" على القضايا المثارة، القضايا من المحيط إلى الخليج "بصمة الجغرافيا"، دلالات التفاعل العربي عبر الانترنت".

التعليم الجامعي وسوق العمل: اختلالات على الجانبين

الأوضاع الراهنة للتعليم العالي في مصر وعلاقتها بسوق العمل، التعليم العالي في السعودية، واقع التعليم العالي في سورية، تطوّر مسيرة التعليم العالي في الأردن، تونس: حين تكون البطالة أحد أسباب الثورة، خريطة التعليم العالي في لبنان.

كتابات الشباب العرب .. محاولة للرصد

دراسة لأهم كتابات الشباب العربي في لبنان وسورية، ومصر والسودان، وتونس، والسعودية ودول الخليج.

الملف الخاص: اغتراب اللغة أم اغتراب الشباب؟

"قراءة في استطلاع رأي لمؤسّسة الفكر العربي".

ملف الإبداع:

السينما عشية "الربيع العربي"

المسرحيون العرب والنفق المظلم

المضمون الثقافي للأغنية العربية

ملف الحصاد الثقافي السنوي للعام 2010

حصاد العام 2010: القضايا والتساؤلات التي انشغل بها العرب في مؤتمراتهم وملتقياتهم وعلى صفحات دورياتهم الثقافية.

مؤسّسة الفكر العربي

مؤسّسة دولية أهليّة مستقلّة تأسّست في العام 2001م (1422هـ) مقرّها بيروت، وهي مبادرة تضامنية بين الفكر والمال لتنمية الاعتزاز بثوابت الأمّة وقيمها وأخلاقها بنهج الحريو المسؤولة، وتُعنى بمختلف سبل المعرفة والعلوم والثقافة والفنون، وذلك عن طريق توحيد وتطوير ومضاعفة الجهود الفكريّة والثقافيّة والعلميّة التي تدعو إلى تضامن الأمّة والنهوض بها والمحافظة على هويّتها.



شارع المعرض، خلف الجامع العمري، الوسط التجاري
ص.ب.: 524 – 11 بيروت – لبنان
هاتف: 00961 1 997100 - فاكس: 00961 1 997101
www.arabthought.org

ISBN 978-9953-0-2246-8